الأسرار

العدد الثانى

—

بدل النسخة

١ قرش صاغ

—

فى هذا العدد:

—

انور باشا

ينشيء في تركيا

نواة الجاسوسية

الانكليز

يضربون قلعة «الفاو»

ويحتلون البصرة

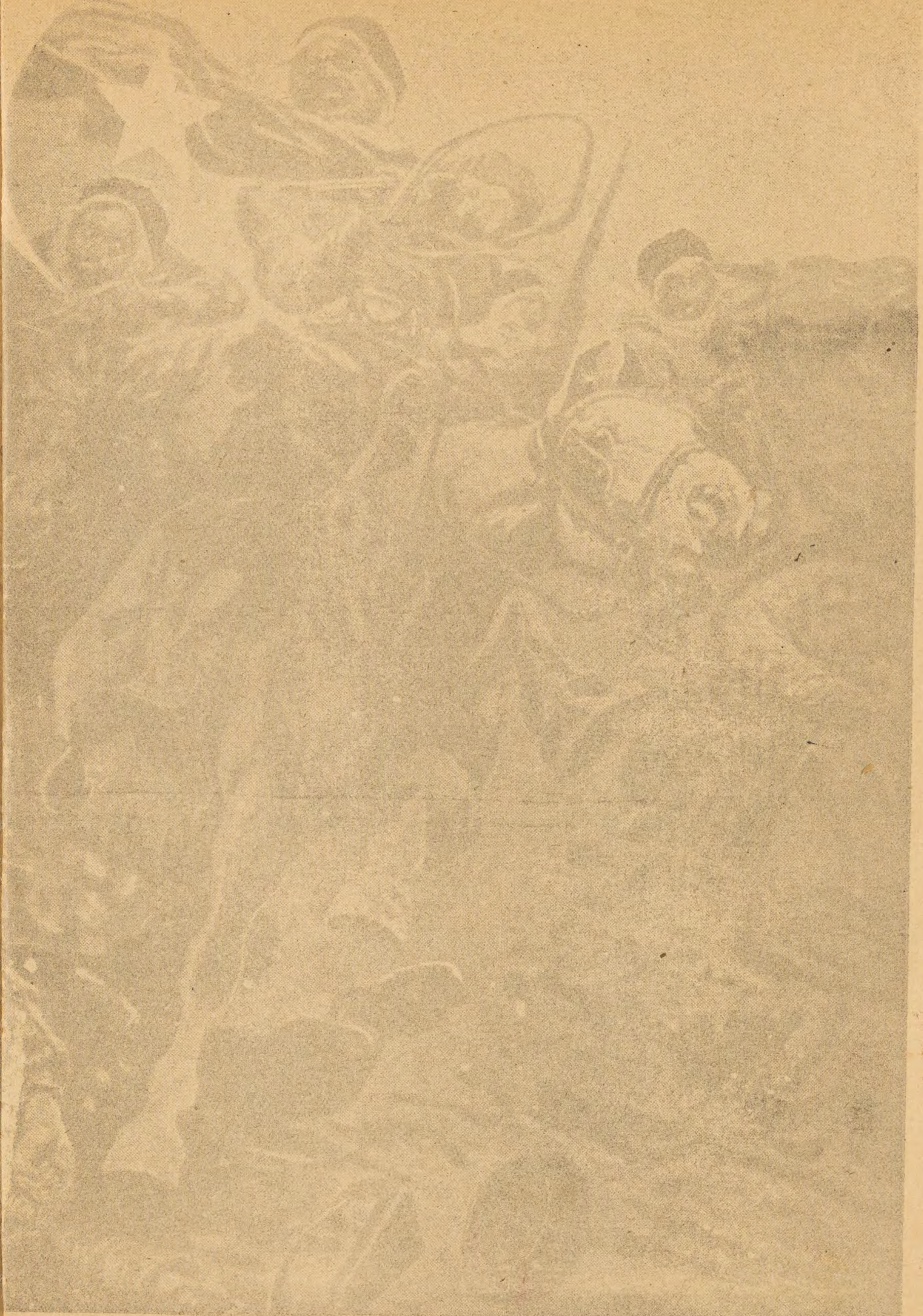
الجيوش الالمانية

تزحف

الى باريس



اسرار الجاسوسية والحرب الكبرى



الاسرار

مجلة اسبوعية تاريخية تبحث في التاريخ وما اهمله التاريخ

العدد ٢ * بيروت في ١٥ نيسان سنة ١٩٣٨

الادارة : مكتبة صادر * شارع اللنبي * بيروت

اسرار الجاسوسية في القضية العربية

بقلم فؤاد ميداني



الطيار الفرنسي « فدرين » وبجانبه معاونه
ويبدو الى اليمين بكر سامي بك والي بيروت وبجانبه السيد « كوجه »
قنصل فرنسا العام في بيروت في اوائل سنة ١٩١٤

حاولنا في الجزء الاول من « الاسرار » ان نلم بمختلف شؤون الدولة العثمانية قبل اعلان الدستور وبعده . فعرضنا في ست عشرة صفحة تاريخاً دقيقاً يتسنى به لمن يطالع الاعداد التالية من « الاسرار » ان يتبين الموقف بجلاء ويدرك سير الحالة في ذلك العهد وما انتاب السلطنة العثمانية من ازمات

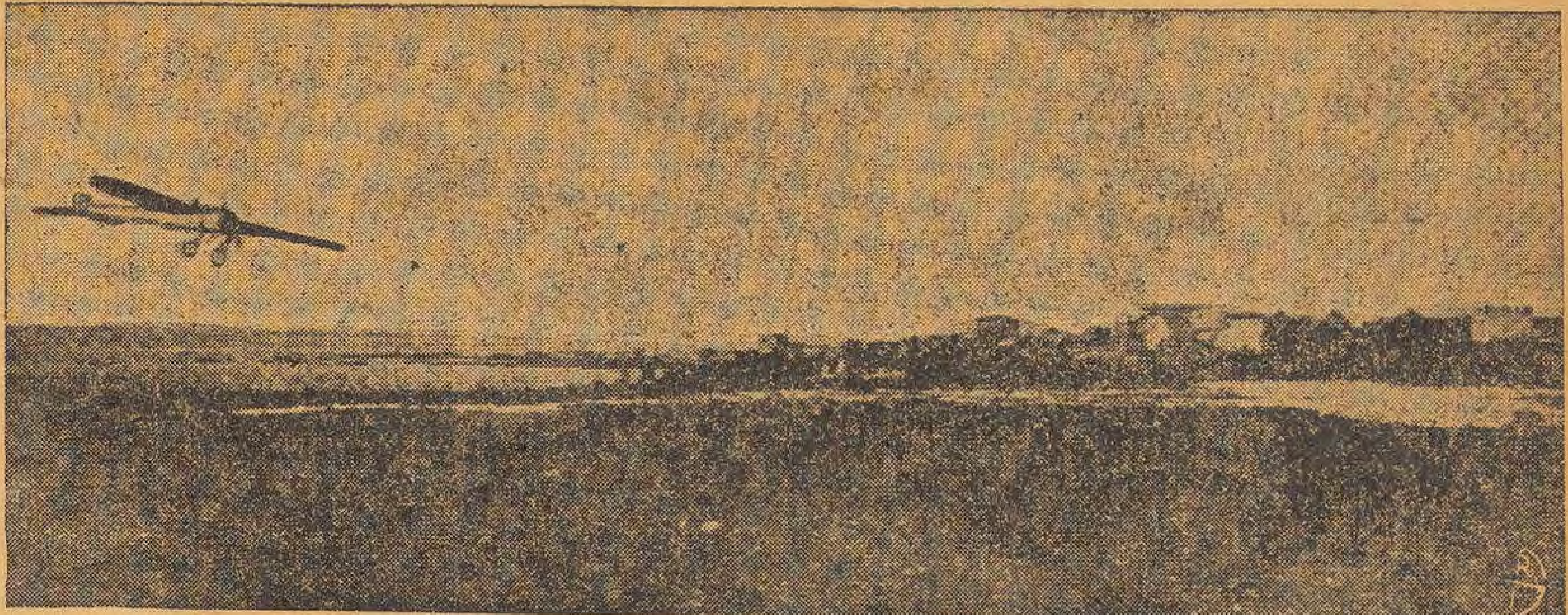
وآخر ما قلنا ان زيارة الاسطول الفرنسي والطائرتين الفرنسيتين لبيروت ازعجت الدولة العثمانية . واستعد الاتراك لمقاومة هذه الدعوات بمثلها ، فانتدبوا الطيارين فتحي بك وصادق بك للقيام برحلة جوية من العاصمة العثمانية استانبول الى مدينة القاهرة قاعدة مصر

وبرح الطياران صباح الاحد في ٨ شباط ١٩١٤ استانبول على الطيارة « معاونت مليت » الى « اطه بازار » ، والمسافة بينهما ١٤٠ كيلومتراً ، فقطعاها في ساعة و٢٢ دقيقة . وباتا تلك الليلة هناك . وفي اليوم التالي سافرا الى اسكيشهر والمسافة ١٤٠ كيلومتراً قطعاها بساعة واحدة . وباتا ذلك اليوم فيها . وفي اليوم الثالث ، اي الثلاثاء في ١٠ شباط ، قاما من اسكيشهر الى « افيون قره حصار » ثم الى قونيه ، والمسافة ٣٢٠ كيلومتراً ، فقطعاها بثلاث ساعات ، ثم انتقلا الى طرسوس وقطعا اعلى جبال طوروس ، وبلغا اطنه فحلب ، فوصلا الى حلب بعد ظهر الجمعه في ١٣ شباط وحضرا فيها صلاة الجمعة فاقيمت لهما حفلة شائقة جداً تظاهر فيها الاهلون بولائهم للطيارين التركيين .

واحيت لهما حلب عدة ولائم ومآدب كانت من افخم واعظم مظاهر الاحتفاء . وبقيا في حلب الى صباح الاحد في ١٥ شباط ١٩١٤ ثم طارا الى حمص ونزلا فيها ليتناولا الغداء فاستقبلهما الاهلون بمظاهر الغبطة والتهليل والتكبير ، وتابعا مسيرهما الى بيروت فوصلا اليها بعد ظهر الاحد ونزلا في جهة « شوران »

بيروت تهتف عالياً للطيارين العثمانيين

وليس في امكاننا ان نصف الحفاوة التي لقيها يومئذ الطياران العثمانيان في بيروت . ويكفي القول ان مرتفعات بيروت المطلة على محلة الروشه وسهول رأس بيروت كانت غاصة بالجماهير التي احتشدت في



الطائرة «معاونت مليت»

تحوم حول المنارة للنزول في شوران

ذلك المكان وقد بلغ مجموعها ٧٠ بالمئة من سكان المدينة

وقضى الطياران في بيروت بين مظاهر التكبير والتكريم من عصر الاحد حتى صباح الخميس ، وطارا فوق بيروت ولبنان مراراً ، واقيمت لهما حفلات متعددة طافحة بالاعجاب والاحترام

وفي الساعة العاشرة من صباح الخميس ، بعد ان غادرا بيروت ، حدث انفجار خفيف في المحرك وافلت اللولب الذي يسد منفذ البنزين ، فشعر فتحي بك بالخطر وقفل راجعاً ، الا انه في هذه المرة لم يذهب الى شوران بل نزل في جوار نهر بيروت وخرج مع رفيقه سالمين ، واقاما يشتغلان باصلاح ما تعطل بمساعدة ابراهيم بك باش مدير البرق والبريد في بيروت ، وكان من رجال الميكانيك الفنيين ، وبذلك اضطرا للبقاء في بيروت الى صباح الثلاثاء في ٢٤ شباط فبرحاها الى دمشق ومنها الى فلسطين

الا ان العناية لم توفق هذين الطيارين الباسلين . فالحلل ما لبث ان اصاب طائرتهما وهما في فلسطين ، فسقطت بهما هناك وقتلا ونقل جثمانهما الى دمشق فدفنا فيها بجوار ضريح السلطان صلاح الدين الايوبي

وهكذا اخفقت المحاولة العثمانية الاولى ، كما اخفقت المحاولة الفرنسية الاولى ، الا ان الفرق بين الاخفاقين ان الطيار الفرنسي نجا واحترقت طائرته وحدها ، اما الطياران التركيان فقد قتلا واتلفت طائرتهما

وقام بعدهما بمحاولة الوصول الى القطر المصري طياران عثمانيان هما اليوزباشي نوري بك والملازم اسماعيل حقي بك ونجحا في ما اخفق به رفيقاهما ، ووصلا الى بيروت في اواخر شهر شباط ونزلا بطيارتهما في محلة شوران . واقيمت لهما في بيروت حفلات شائقة ، ثم تابعا رحلتهما الى مصر فوصلاها سالمين

وكان لهذه الحركة بعض ما رجا لها الاتراك من الاثر



يمثل هذا الرسم الرجال الذين شهدوا الحفلة التي اقامها النادي الفرنسي في بيروت في ١٨ شباط ١٩١٤ للطيارين التركيين فتحي بك وصادق بك . ويبدو في الصف الاول من اليمين اليوزباشي فتحي بك الطيار ، بكر سامي بك والي بيروت ، صادق بك راصد الطيارة ، المسيو كوجه معتمد فرنسا ، كميل بك اده مدير الامور الاجنبية ، صبيح بك قومندان الدرك ، المسيو بيكون رئيس النادي ، مصطفى بك الخالدي وكيل مدير الشرطة

رسم الطيارين فتحي وصادق في النادي الفرنسي

في بيروت

السلطنة العثمانية في باريس

جمال باشا ورؤوف بك يشهدان عرض الاسطول الفرنسي في طولون

ماذا تطلب تركيا من دولة فرنسا؟...

الوزير الفرنسي يحيل الوزير العثماني الى مدير الخارجية للمحادثة في مطالب الاتراك

خاف جمال ان تعرض عنه فرنسا فلجأ الى انكلترا

فيما احمد جمال باشا يسعى في هذه الاثناء الى اصلاح ذات البين بين تركيا وفرنسا وقعت الازمة الفرنسية فادت الى استقالة وزارة السيد «بارتو» وسقوط السيد «بيشون» وزير الخارجية ورئيس جمعية الصداقة التركية الفرنسية في باريس التي يرئس جمال باشا فرعها في استانبول

رأي جريدة «الثبات» البيروتية

في موقف لبنان وسقوط وزارة فرنسا

وسقوط الوزارة الفرنسية جاء في ٧ كانون الاول سنة ١٩١٣ وكان شديد التأثير في الاندية السورية اللبنانية وفي بلاد العرب بوجه خاص . وكتبت جريدة «الثبات» البيروتية بتاريخ ١٠ كانون الاول سنة ١٩١٣ في صدد هذه الاستقالة ما يلي : «لاستقالة الوزارة الفرنسية أثر بليغ في سياسة هذه البلاد، خصوصاً وفي عهدها عقد في باريس المؤتمر السوري العربي . والسيد «استيفان بيشون» وزير خارجيتها استقبل بنفسه وفد المؤتمر وقد تألف من اعضاء حزب اللامركزية في القاهرة، واعضاء حزب الاصلاح في بيروت، ومن اللجنة التي دعت الى هذا المؤتمر

«والسيد بيشون هو من اجاب هذه الوفود بقوله : «ستكون فرنسا وكيلة ومحامية عنكم لدى الدولة العثمانية ولدى دول اوربا، وهو من اعرب عن ولاء فرنسا للدولة العثمانية وصدقها في صداقتها لها، واظهر العطف الشديد على سوريا ولبنان، وايد التقاليد التي تربط فرنسا بهذه البلاد الجميلة. وختم الوزير الفرنسي كلامه قائلا : «فرنسا اشد الدول حرصاً على كيان الدولة العثمانية . اولاً لصداقتها التاريخية. وثانيا لمصالحها السياسية والاقتصادية . والدولة الفرنسية تحرص على اجراء الاصلاح الحقيقي الكامل في البلاد السورية لان هذا الاصلاح وحده يؤيد سياستها وتفرضه تقاليد الولاء بين الدولتين»

الاندية العثمانية في خوف ووجل

هذا ما نشرته جريدة «الثبات» على اثر استقالة الوزارة الفرنسية. اما الاندية العثمانية فاستقبلت سقوط الوزارة الفرنسية بخوف ووجل خشية ان تقوم بعدها وزارة تقوّض المشاريع التي اعتقد جمال باشا انه شيد اسسها . واتجهت ابصار هذه الاندية الى الازمة باهتمام. وقلقت لما كلف السيد رايمون بوانكاره، رئيس الجمهورية، السيد «ريبو» فالسيد جان ديبوي ، وكلاهما من اعضاء مجلس الشيوخ ، تأليف الوزارة، ليقينها ان الرجلين لا يميلان اليها ، غير انها ما لبثت ان ارتاحت لما عهد الرئيس الى السيد دومرغ بتأليف الوزارة ، وقد تقلد السيد دومرغ في الوقت نفسه وزارة الخارجية. وازدادت ثقة الباب العالي بفرنسا لما اعلن رئيس الوزارة في بيانه على مسمع من النواب والشيوخ ان وزارته ستتبع في سياستها الخارجية خطة الوزارة السابقة وانها تحافظ بنوع خاص على تقاليد الصداقة الفرنسية العثمانية وترغب في مساعدة سوريا ولبنان على الترقي والتقدم دون ان تمس هذه المساعدة كيان السلطنة العثمانية واستقلالها

فازدادت الصلات بين الدولتين قوة ومودة بعد ذلك البيان . وعقدت الاتفاقات . وانصرفت الحكومة التركية الى تعزيز موقفها في الداخل والخارج ، فجاءت بطلعت بك الى وزارة الداخلية واولت

احمد جمال باشا وزارة البحر

الثقافة العثمانية

ولقد تراءى للاتراك مما دار من احاديث بين وفد «الجامعة اللبنانية» وقنصل المانيا العام في بيروت، ومما بدا لهم من اعمال حزب الاصلاح السوري

وقاموا، تنفيذاً لهذه السياسة، الى وضع منهاج للمعارف في ولايات سوريا وحلب وبيروت ومتصرفيتي القدس واللاذقية المستقلتين يرمي الى الاكثار من انشاء المدارس الابتدائية والثنوية والعليا تتولى التعليم باللغة التركية وتحل محل مدارس البعثات الاجنبية في البلاد العربية كافة



﴿ حفلة تدشين معهد الحقوق العربي في بيروت ﴾

يبدو في صدر الرسم بكر سامي بك والي بيروت ، وعن يمينه اوهانس قيومجيان باشا متصرف جبل لبنان ، والسيد كولوندر قنصل فرنسا وسيادة المطران شبلي اسقف بيروت ، وعن يسار الوالي عبد الغني سني بك مكتوبجي الولاية . فكميل بك اده فصبيح بك قائد الدرك وبين الوالي والمكتوبجي يبدو منح بك رمضان رئيس المجلس البلدي فعبد القادر الدنا ووراء اوهانس باشا الشيخ عبد القادر القباني

والدعوات التي تقوم بها مدارس البعثات الاجنبية في سوريا ولبنان ، ان من واجبهم استمالة العرب اليهم، ولا سيما الشبيبة، وذلك بتثقيفها كما تقضي به مصلحة الدولة، وبذلك يحققون السياسة القائلة بضرورة تتريك العرب

وكان في النية تنفيذ هذا المشروع فوراً ، الا ان السياسة التي اتبعها الاتراك حيال فرنسا اهابت بهم الى تأجيل هذا التنفيذ على ان ما لجأوا اليه في تلك الاثناء انشاء معهد للحقوق في

بيروت يكون مرجعاً لطلاب العرب اجمعين . وذلك بعدما رأوا المتخرجين من المعاهد غير العثمانية يضطرون الى السفر لمصر اوفرنسا للحصول على شهادة الحقوق ،اذ ليس في وسعهم ، وهم يجهلون اللغة التركية ، ان يرتادوا استانبول للحصول على اجازة الحقوق منها

انشاء مكتب الحقوق

وفي اليوم العاشر من شهر كانون الاول ١٩١٣ احتفل رسمياً بافتتاح المعهد تحت رئاسة بكر سامي بك والي بيروت واوهانس قيوبجيان باشا متصرف جبل لبنان ، شهد الحفلة المطران بطرس شبلي اسقف بيروت الماروني وقنصل فرنسا وسواهما من كبار الناس

سفر جمال باشا

وفي اليوم نفسه الذي اطلقت فيه الرصاصة الجانية على الارشيدوق فرنسوى فرديناند ، اي في اواخر حزيران سنة ١٩١٤، غادر احمد جمال باشا استانبول الى باريس يرافقه اثنان من ضباط اركان حربه ، هما رؤوف بك الذي اشتهر في الحرب الايطالية العثمانية بلقب بطل المدرعة « حميدية » ، وواصف بك . فوصلوا الى باريس في اليوم الاول من شهر تموز فاستقبلتهم العاصمة الفرنسية بحفاوة منقطعة النظير . واستقبل السيد بوانكاره رئيس الجمهورية الفرنسية الوزير العثماني بترحيب فائق . ومن باريس شخص جمال يصحبه رفيقاه الى ليون فرسيليا فطولون . وفي « طولون » شهدوا مناورات الاسطول الفرنسي الكبرى، وقد دامت من ١٠ الى ١٤ تموز ١٩١٤ ، ولما عادوا الى باريس كانت الازمة العالمية قد اشتدت وباتت البلاد على ابواب الحرب الكبرى

جمال باشا يقابل وزير خارجية فرنسا

وزير الخارجية يحيله الى المدير

ومع هذا رغب احمد جمال باشا في الاستفادة من الموقف وطلب مقابلة وزير خارجية فرنسا . وتمت هذه المقابلة ، الا ان الوزير الفرنسي كان في شغل عن الوزير العثماني فقال : كنت ارغب يا دولة الباشا ان احادثكم في امور متعددة مهمة ، غير اني منصرف في الاثناء الحاضرة الى ما يجري في مجلس النواب من مناقشات خطيرة . عدا اننا نستعد للقيام برحلة الى روسيا برفقة رئيس الجمهورية . وهذه الرحلة يعارض بها الاشتراكيون . ولقد كلفت السيد « ماجوري » ، مدير الامور السياسية في وزارة الخارجية ، ان يتولى هذه المحادثات عني . وزودته بما يجب عليه ازاءكم . فاطلب اليكم مخاطبته في الامر !

جمال باشا يجهل مرمى الوزير

وجواب وزير الخارجية الفرنسية صريح جداً . فهو يميل الى ابعاد جمال عن المفاوضات . ولكن جمالا فهم عكس ذلك واعتقد ان صرفه الى السيد « ماجوري » دليل خير . وتوهم ان مشروع الصداقة العثمانية الفرنسية الذي اختمر به رأسه بات قريب التحقيق

ماذا قال المدير لجمال باشا ؟

الوزير العثماني يقاطع المدير الفرنسي

ولدى لقاء الرجلين شكر السيد « ماجوري » لجمال باشا مساعيه في توطيد الصداقة بين الامتين ومضى في الشكر طويلا . فقاطعه جمال باشا بقوله : لا ارى من فائدة ياحضرة المدير في اطالة مثل هذا الحديث العديم الفائدة . فعلينا ان نتباحث في امور محسوسة . فانتم تعلمون ان السلطنة العثمانية ذهبت ضحية العدوان وخصوصاً بعد الحرب البلقانية . ففقدت معظم ولاياتها في اوربا ، وفقدت جزرها في الارخبيل . ونحن الذين تسلمنا مقدرات هذه الدولة الضعيفة المتهدمة يجب علينا ان نداويها ونبعث فيها حياة جديدة . ولذا ارغب في ان اباحثكم في قضية الخلاف على جزر الارخبيل بيننا وبين الحكومة اليونانية .

« لسنا نجهل محبة فرنسا لليونانيين وما ترجون منهم في المستقبل . ولكن لو نظر السيد « ماجوري » في موقع الدولتين لظهر له اننا اعظم نفعاً لفرنسا من الدولة اليونانية

« ان الحكومة العثمانية ، وانا احد افرادها ، تقول : ترغب فرنسا وانكلترا في ان تكون دول اوربا المركزية كحلقة متينة بين ايديهما . وقد اكملتا هذه الحلقة ما عدا جهتها الجنوبية الشرقية . فان تركيا وبلغاريا لا تزالان منفصلتين عنها ، الا ان تركيا اذا دخلت الحلقة لا يتسع لبلغاريا البقاء بعيدة عنها !

« فاذا كانت فرنسا تريد حقاً اتمام هذه الحلقة فعليها ان توفق بيننا وبين الدولة اليونانية في خلافنا على جزر الارخبيل وان تصون ديارنا عن الطمع الروسي . وبذلك تفسحون لنا المجال لانهاض بلادنا ويصبح لكم في الشرق دولة قوية صديقة !

« انا على يقين ان مقتل ولي العهد في البوسنه والهرسك يدل على ان الحرب قريبة الوقوع وان من الواجب الاسراع في اتخاذ كل حيطة لاتقاء اذاها !

« ماجوري » ينظر في اقتراح جمال

فنظر السيد « ماجوري » في ما اقترح عليه احمد جمال باشا

وسأله عن طريقة هذا التوفيق الذي يدعو اليه بين تركيا والدولة اليونانية فاجاب جمال باشا :

ـــ الطريقة هي اعادة جزر الارخبيل وجزر « الدوديكونيز » ، المستولية عليها ايطاليا ، الى الدولة العثمانية. ومنح هذه الجزر استقلالا داخلياً واسعاً ، على ان ينفق دخل هذه الجزر على تعميرها ، ويعفى سكانها من الخدمة العسكرية ، وتمنح الامتيازات والحماية التي يتمتع بها لبنان

فقال السيد ماجوري: ارى اقتراحاتكم بحاجة الى درس وتدقيق ، على انها حسنة وفي الامكان الاتفاق عليها .

«اما الحلقة التي اشرتم الى عزمنا على تكوينها من دول اوربا المركزية فهي صحيحة ، ولكن علينا معرفة رأي حليفتنا روسيا في هذا الصدد . وسنرافق السيد بوانكاره رئيس الجمهورية الى بطرسبرج فاعرض هناك اقتراحاتكم على حلفائنا ، فاذا وافقوا عليها حققناها والا فانه يصعب على فرنسا في الوقت الحاضر عقد اي اتفاق كان مع اية دولة كانت بصورة منفردة !

وهكذا انتهت المقابلة ! ...



﴿جمال باشا محافظ استانبول﴾

﴿ وهو احمد جمال باشا نفسه ﴾
﴿ وكان لا يزال برتبة بك ﴾
﴿ يوم اخذت له هذه الصورة ﴾

عند هذا الحد وقفت محادثات احمد جمال باشا مع الفرنسيين وعاد الى استانبول دون ان يفعل شيئاً

من وزير فرنسا الى سفير انكلترا

وفي استانبول اجتمع جمال بسفير انكلترا وباحثه في ٢٠ آب ١٩١٤ في هذه الاقتراحات وقال :

ـــ مطالب تركيا الرئيسية منكم هي :

« اولا ـــ اعادة السفن الحربية العثمانية التي اوصت عليها الدولة العثمانية في مصانعكم ومانعت حكومتكم في ان تسلمنا اياها

« ثانياً ـــ الابتعاد عن التدخل في شؤوننا الداخلية

« ثالثاً ـــ تحقيق المطالب التي عرضتها باسم الحكومة العثمانية على الحكومة الفرنسية

ادوار غراي يقول كلمته

فابرق السر ادوار غراي وزير خارجية انكلترا الى السر «ملت» سفير بريطانيا في استانبول بتاريخ ٢٢ اب سنة ١٩١٤ يقول : «مطالب الحكومة العثمانية صعبة جداً ، ومع ذلك فاننا على استعداد تام للمباحثة فيها. فلا تترددوا في ابلاغ الحكومة العثمانية نياتنا وفي ابلاغها ضرورة العمل بمطالبنا التالية :

«اولا ـــ اعادة ضباط المدرعتين الالمانيتين «غوبن » و «برسلو» حالا الى المانيا

« ثانياً ـــ توفير الضمانات لتأمين حرية مرور السفن التجارية في المضايق دون اقل ممانعة

« ثالثاً ـــ التزام جانب العزلة لدى وقوع الحرب

« رابعاً ـــ تنظيم القضاء في البلاد العثمانية بما يحول دون الظلم

« وبعد ذلك لا يسع الحلفاء الا الاعتراف باستقلال السلطنة العثمانية وتسجيل هذه المواثيق في معاهدات السلام التي ستعقد بعد نهاية الحرب »

ودارت مناقشات طويلة حول هذه الاقتراحات بلا جدوى . فالحلفاء ظلوا يحومون حول الموضوع دون ان يجزموا به

الالمان في الميدان العثماني

اما الاتراك فكانوا يومذاك في موقف حرج . لقد بحثوا عن حليف يستندون اليه وما غاب عنهم ان هذا الحليف ضروري لهم . وشعر الالمان بتردد الاتراك فعرضوا انفسهم فاستقبلهم الاتراك بسرور وعقدوا واياهم اتفاق آب ١٩١٤ المشهور

وانضمام تركيا الى المانيا اهاب بها الى دخول الحرب في جانب الالمان في المجزرة العالمية الكبرى

الجاسوسية في السلطنة العثمانية

عبد الحميد اول من فكر في انشاء دار للجاسوسية ... ولكن ...
انور باشا يتولى تنظيم الشبكة بدقة تامة

غير ان الاتراك نظموا والالمان استفادوا ، فالجاسوسية العثمانية باتت مطية للالمان

وقف القراء على الحالة في الدولة العثمانية قبل دخولها الحرب العالمية ، ووضحت لهم الاسباب والعوامل التي حالت دون اتفاق الحلفاء وتركيا وانتهت الى اتفاق تركيا والمانيا . والان نتبسط في معالجة ما انتاب البلاد في اثناء الحرب وجعل منها دائرة جاسوسية

منشأ الجاسوسية في تركيا

مثلت الجاسوسية في الحرب العالمية دوراً خطيراً . ونحن لا نميل في هذه السلسلة الى النظر في الجاسوسية من الوجهة العالمية بل من ناحيتها العثمانية ، فنأتي منها على ما جرى في تركيا العثمانية دون سواها

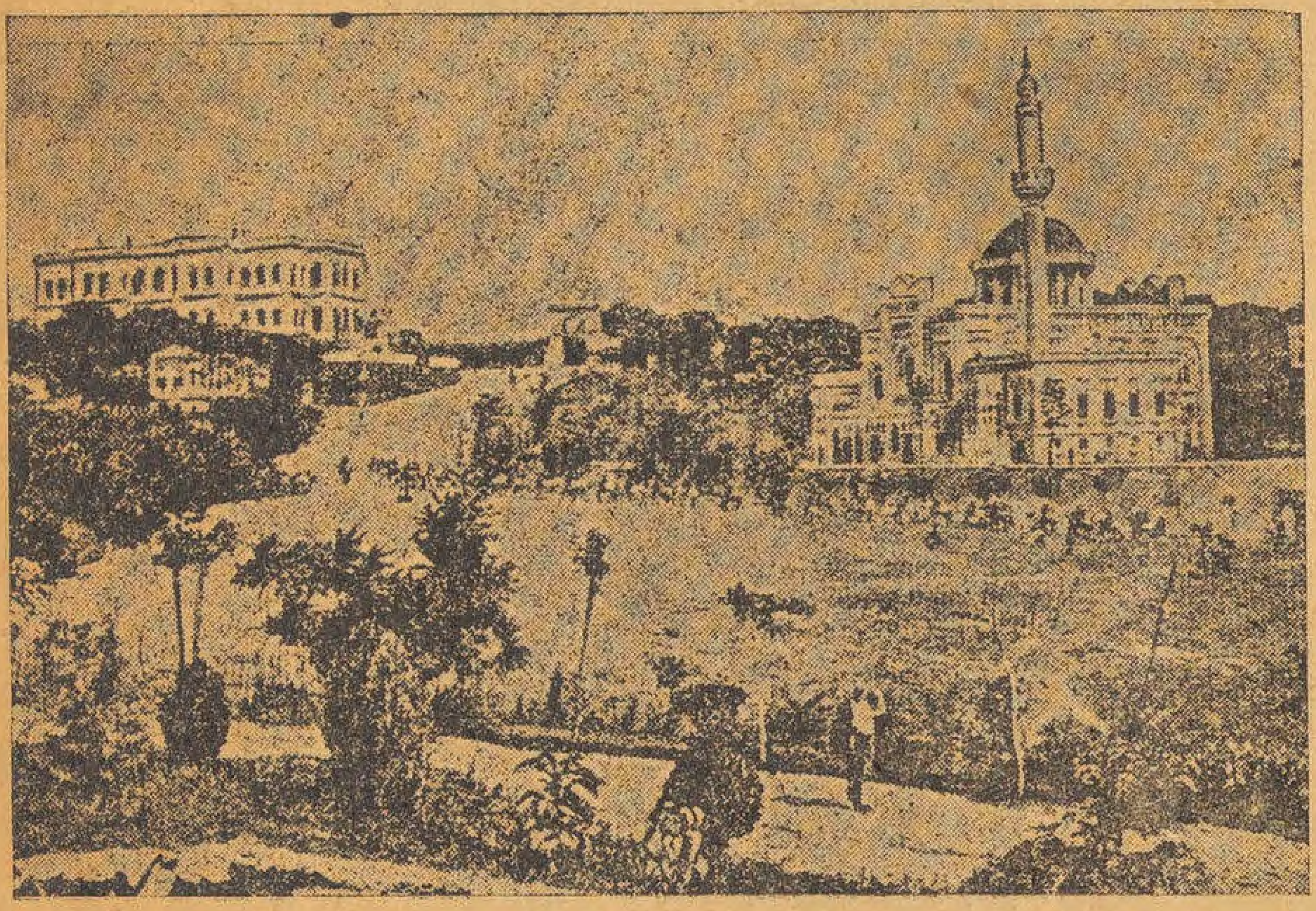
خلت السلطنة العثمانية من دار للاستخبارات . فالسلطان عبد الحميد اول من اوجد هذه الدار . وكانت في بدء عهدها غير منظمة تتلقى التقارير من اي كان عن حالة من يهمها امرهم ، ومعظم هذه التقارير لا تعدو الشؤون الخاصة ، فتتناول مسلك الافراد وموقفهم من السلطان عبد الحميد

وقد اشتهر يومئذ قصر (يلديز) بانه محط جواسيس السلطان . ومجرد ذكر اسمه كان كافياً لالقاء الرعب في قلوب الاهلين

ولما هدم الاتحاديون السلطان عبد الحميد ظلت هذه الدار ضائعة الكيان حتى وقوع الحرب البلقانية الثانية . فقام اذ ذاك رجال الاتحاد والترقي بتنظيمها ، الا انهم لم يبلغوا بها المرام

« تشكيلات مخصوصة »

وفي اليوم الذي سبق اعلان النفير العام في تركيا عقد اجتماع مهم في مقر حزب الاتحاد والترقي العام تقرر فيه انشاء تنظيم جديد باسم « تشكيلات مخصوصة » يعمل به فوراً سواء دخلت تركيا في الحرب العالمية او التزمت جانب العزلة . واوضح يومذاك انور



قصر يلديز

باشا القصد من هذا التنظيم الجديد بقوله : ان مهمة هذه المؤسسة :

« اولا — تسهيل مهمة القوات العثمانية في البلاد المعادية لها اذا ما خاضت تركيا حرباً عالمية

« ثانياً — تأليف العصابات لمهاجمة الحدود

« ثالثاً — تضليل قوات الاعداء

« رابعاً — الحصول على انباء العدو الصحيحة ومعرفة مبلغ استعداد الاعداء الحربي وابلاغها القيادة العليا

« خامساً — مقاومة حركات الجواسيس الاجانب في السلطة العثمانية

«سادساً — اعطاء العاملين في هذه المؤسسة السلطة الواسعة»

فوافق الجميع على هذه «التشكيلات» وتولى رئاستها المطلقة انور باشا وعهد بشؤونها الادارية الى سليمان بك العسكري وهو القائد



انور باشا القائد الاعلى للجيش العثماني
وهو الذي قاد تركيا الى الحرب العالمية
ودعاها للقتال بجانب المانيا

الذي فوض اليه الدفاع عن العراق في الحرب العالمية ثم اقدم على الانتحار لدى انهزام قواته امام الاعداء

بدء العمل

وفي آب ١٩١٤ لما بدأت الحرب العالمية اعلنت السلطنة العثمانية النفير العام وحجتها ان الواجب يحتم عليها هذا التدبير . وفي اليوم التالي لاعلان النفير العام عين افراد مؤسسة « التشكيلات المخصوصة » . واول ما قاموا به تقرير العمل على الحدود القريبة . فانشأوا فروعاً للجاسوسية في تلك المناطق على الشكل التالي :

تنظيم فروع الجاسوسية

تتولى العمل في منطقة ارزنجان بالقرب من الحدود الروسية جماعه مؤلفة تحت رئاسة فريد ، وقوامها حسن بصري ، ممدوح شوكت ، ادهم ، احسان الصغير (حسن بصري كان حتى عام ١٩٣٧ قنصلا عاماً للجمهورية التركية في بيروت) وممدوح شوكت وهو اليوم من رجالات العراق المعروفين

ويقوم بهاء الدين شاكر بك بادارة الحركات في شمالي القفقاس

وفي حدود ايران يتولى الامر : عمر ناجي، روشني بك

وفي حدود الافغان: سليمان شفيق باشا ، وفواز بك ، وعبدالله افندي

وفي الروملي : ابراهيم بك ، وعلي رضا ، وجلال نائب اقولونيا . وهذه الفروع الخمسة مرتبطة بسليمان بك العسكري .

هذا ما عمد اليه الاتراك فور اعلان النفير العام لتنظيم اعمال الجاسوسية . وبذلك امنوا المراقبة على حدود روسيا وايران والافغان والبلقان والعاصمة

اما الجاسوسية في البلاد العربية وعلى حدودها فلم يفكروا فيها حتى ذلك الوقت

رجال الفروع في مقر اعمالهم

وسافر رجال هذه الفروع الى المناطق الخاصة بهم ، واذا بهم يتلقون الاوامر للعمل بما يلي :

اولا — تعيين جواسيس في منطقة ارزنجان وطرابزون من سكان القفقاس في هاتين المنطقتين العثمانيتين او ممن يرتادون روسيا وذلك ليوافوا الدولة العثمانية بانباء القفقاس واستعداد روسيا للحرب

ثانياً — استمالة القفقاسيين الى السلطنة العثمانية وتسليحهم واثارتهم على الروس اذا وقفت روسيا موقف الخصم من تركيا في الحرب العالمية الكبرى

ثالثاً — انتداب القائد احسان الشاب، وهو قفقاسي الاصل، للسفر الى « باطوم » في القفقاس لتأليف شعبة للجاسوسية التركية وتسيير حركاتها

رابعاً — الاستفادة من الماجين في تلك المناطق لتأليف عصابات منهم تتمرد عند الاقتضاء على روسيا

فقامت هذه الهيئات بمساعيها بصورة جدية وانصرفت الى العمل بدقة تامة . فنجحت سريعاً في خطتها وظهر من قوتها ومقدرتها انها اهل لبلوغ الهدف الرامية اليه

تدخل الالمان

وهذه « التشكيلات » كانت في الشهر الاول من تأسيسها ، اي في شهر آب سنة ١٩١٤، عثمانية بحتة تشتغل في سبيل السلطنة العثمانية لمعرفة اسرار الاعداء ، الا ان الامر ما لبث ان تبدل في اوائل شهر ايلول ١٩١٤ ، فالدولة العثمانية كانت قد عقدت مع المانيا معاهدة سرية تحتم عليها ان تكون صديقة المانيا . ولقد تبين ان التدابير التي



﴿ قره كمال بك ﴾

﴿وهو من مؤسسي حزب الاتحاد والترقي ، مثل دوراً خطيراً في سياسة هذه البلاد . خصوصاً في خلال الحرب العالمية لما تولى وزارة الاعاشة التي انشئت لتخفيف وطأة المجاعة ، فكان ان استغل منصبه لمنفعته الشخصية مما اتخذه الكماليون حجة على شنقه سنة ١٩٢٨ ﴾

عمد اليها انور باشا لانشاء دائرة « التشكيلات المخصوصة » ملهمة من الالمان انفسهم الذين شاؤوا استغلال الاتراك للوقوف على اسرار جيرانهم، وليحملوا الدولة العثمانية على الانضمام اليهم في الحرب العالمية

وتلقى « قره كمال » الامر بان يسافر الى طرابزون ليشرف بنفسه على هذه الحركة السرية

وقره كمال بك من كبار اركان حزب الاتحاد والترقي . وقد ولي في الحرب العالمية منصب وزير الاعاشة، وفي سنة ١٩٢٨ قضى عليه الكماليون في انقره مع جاويد ورفاقهما من اقطاب الاتحاديين

وجاء قره كمال بك الى طرابزون وبرفقته اثنان من الالمان كانا اول من تدخل في شؤون الاستخبارات العثمانية قبل دخول تركيا في الحرب العالمية بجانب المانيا

وهذان الالمانيان هما الهر « موسيل » والهر « شميت » . الاول كان قنصلاً لالمانيا في « اسكوب» احدى الولايات الالبانية ، فلما اعلنت هذه البلاد استقلالها سنة ١٩١٢ وانسلاخها من السلطنة العثمانية نقل الى قنصلية المانيا في ارضروم . وكان يتدخل في مختلف الشؤون بصفة كونه مراسلاً لجريدة « كوليش زيتونغ » التي تظهر في « كولونيا »

اما الاخر فكان من ضباط مصلحة الاستحكامات الالمانية وهو برتبة ملازم اول

ومع ان هذين الالمانيين يرتديان الملابس العثمانية فقد لفتا الانظار بحركاتهما ، حتى ان قنصل روسيا في طربزون اهتم بالامر وكتب عنهما تقريراً مهماً الى حكومته في بطرسبرج

مكيدة في طربزون

ودبرت في طربزون مكيدة للنيل من روسيا هذه قواعدها :

اولا — تعاهد الحكومة العثمانية على مساعدة مندوبي كورجستان (احدى مقاطعات القفقاس) في ما يحتاجون اليه من السلاح لتأمين حريتهم وخلاصهم من روسيا واعلان استقلالهم

ثانياً — تحدد الحكومة العثمانية ، بعد انتهاء الحرب ، بالاتفاق وممثلي « كورجستان »، حدود بلاد كورجستان المستقلة

ثالثاً — تعتبر هذه المعاهدة مرعية الاجراء بعد استيلاء القوات العثمانية على بلاد كورجستان

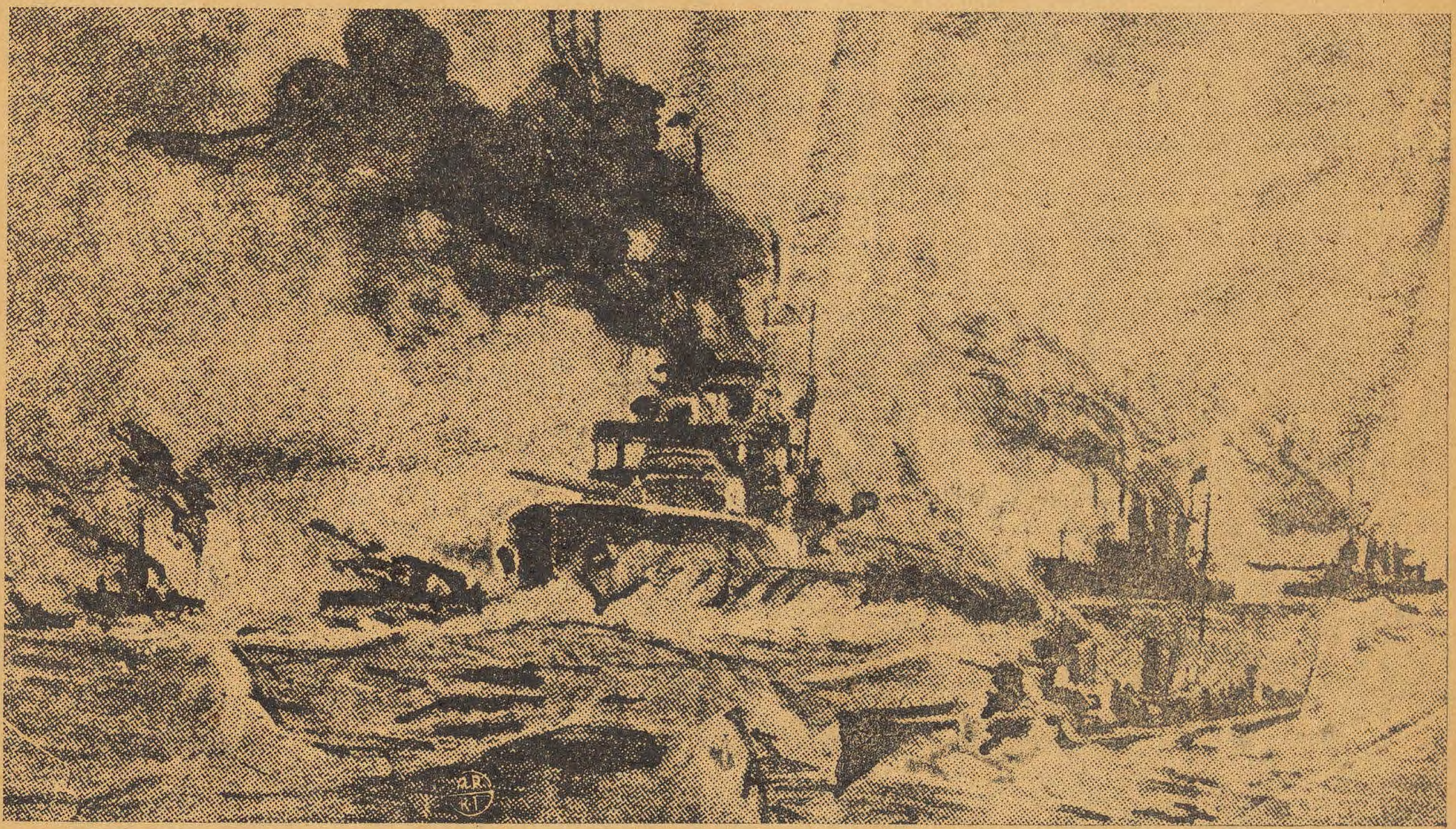
رابعاً — يعاهد الكرج الذين وقعوا هذا الاتفاق على مساعدة القوات العثمانية في احداث فتنة عامة في بلاد القفقاس اذا ما دخلت روسيا الحرب ضد السلطنة العثمانية

وبعد توقيع هذه المعاهدة السرية عهد الى احمد كريل ، وهو شاب كورجي من متخرجي جامعة لوزان في سويسرا ، بان يمثل بصورة سرية منطقة كورجستان لدى دار « التشكيلات المخصوصة » وان يتولى اجراء التسهيلات اللازمة لنقل اكبر عدد ممكن من الضباط الالمان الى كورجستان (بلاد الكرج) للقيام بالتنظيم العسكري القائم عليه اساس هذا الاتفاق

ويتولى سليمان بك العسكري ادارة هذه الحركات وتنظيمها

من هو المفتري في الحرب ؟...

يتبين مما اوضحنا ان الالمان والعثمانيين سبقوا الحوادث في اجبار روسيا على محاربة السلطنة العثمانية ، وان دار الاستخبارات العثمانية التي قامت تحت ستار « التشكيلات المخصوصة » كانت قبل اشتغالها في شؤون الجاسوسية عاملاً قوياً الى سبيل جر تركيا في الحرب العالمية ، حتى اذا اخرج الاسطول العثماني الى البحر الاسود ، وهاجم في اواخر ايلول سنة ١٩١٤ الموانىء الروسية ، ودفع الدولة العثمانية الى الحرب العالمية ، كانت العصابات التي اعدتها هذه المؤسسة تنطلق على الحدود الروسية وتفسح مجالا للقوات العثمانية في اجتياز الحدود القفقاسية



الاسطول العثماني في البحر الاسود يطلق قذائفه على « اوديسا »

رسم الاسطول العثماني فيما المدرعة « ياووز » اي « غوبن » الالمانية تضرب ثغر « اوديسا » في روسيا مساء ٣٠ تشرين الاول سنة ١٩١٤ بامر من الاميرال « سوشن » الالماني . وهذا الرسم من الوثائق التاريخية وقد ادى الحادث الى اشتراك تركيا في المجزرة العالمية

الانكليز اول من يجتاح تركيا ويحتل ارضها

القوات الانكليزية تضرب قلعة (الفاو) وتمشي الى احتلال البصره

كيف ولماذا انهزمت القوات العثمانية في العراق؟... اثر الهزيمة في استانبول

عزل القائد العثماني جاويد باشا وتعيين سليمان بك العسكري

اتجهت انظار انور باشا والالمان الى القفقاس لدى انضمام تركيا الى المانيا في المجزرة العالمية الهائلة، ولذلك دعت القيادة العثمانية العليا جنودها من العراق لتطلقها على الحدود الروسية. فجاءت بالفرق الـ ٣٥ و ٣٦ و ٣٧ المعسكرة في العراق الى الولايات الشرقية المجاورة للحدود لتستعد لقتال الروس، ولم يبق في العراق الا الفرقة الـ ٣٨ وكانت مؤلفة من ١٧ الف جندي مقسمة كما يلي:

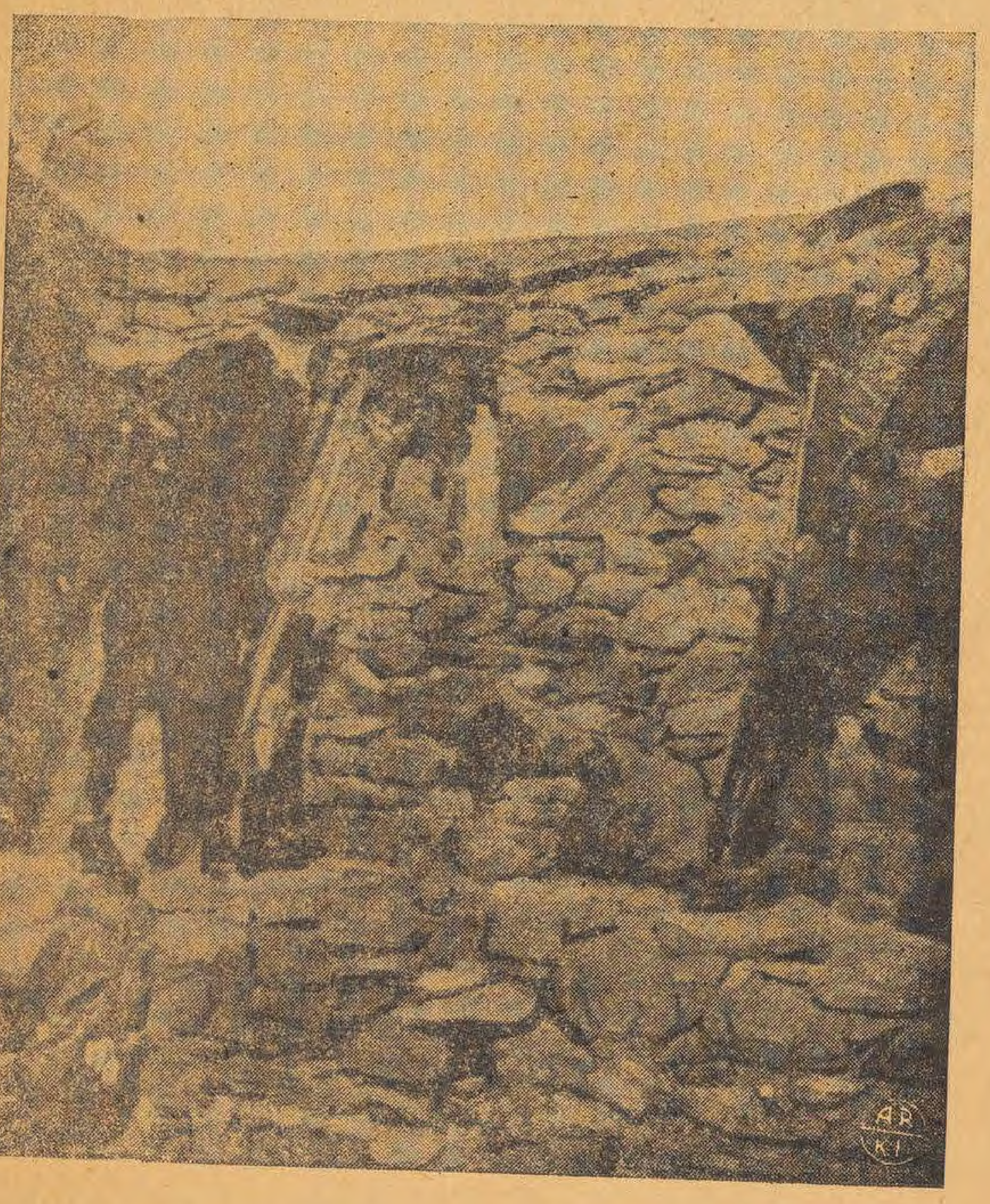
اولا — سبعة طوابير من الجنود التابعين الى الفرقة ٣٨

ثانياً — سبعة بلوكات من افراد الدرك

ثالثاً — ستة طوابير من قوات الحدود

وهذه القوات مجهزة بسلاح قديم وحديث من المعدل الالماني وبنادق مارتين و١٤ مدفعاً من اجناس مختلفة كلها قديم الصنع، وثلاثة رشاشات، وفصيلة من الفرسان مؤلفة من ٣٨٠ مقاتلا

هذه هي القوات الضعيفة التي ابقاها العثمانيون في العراق لما دخلوا الحرب العالمية لمواجهة الاخطار التي قد يتعرض لها العراق اذا ما هاجمته القوات الانكليزية



جانب من قلعة « الفاو » في العراق

هذا الرسم يمثل شطراً من قلعة « الفاو » المتهدمة وقد وقف جنديان انكليزيان يراقبان متهاحركات الاتراك.

حرب الفاو

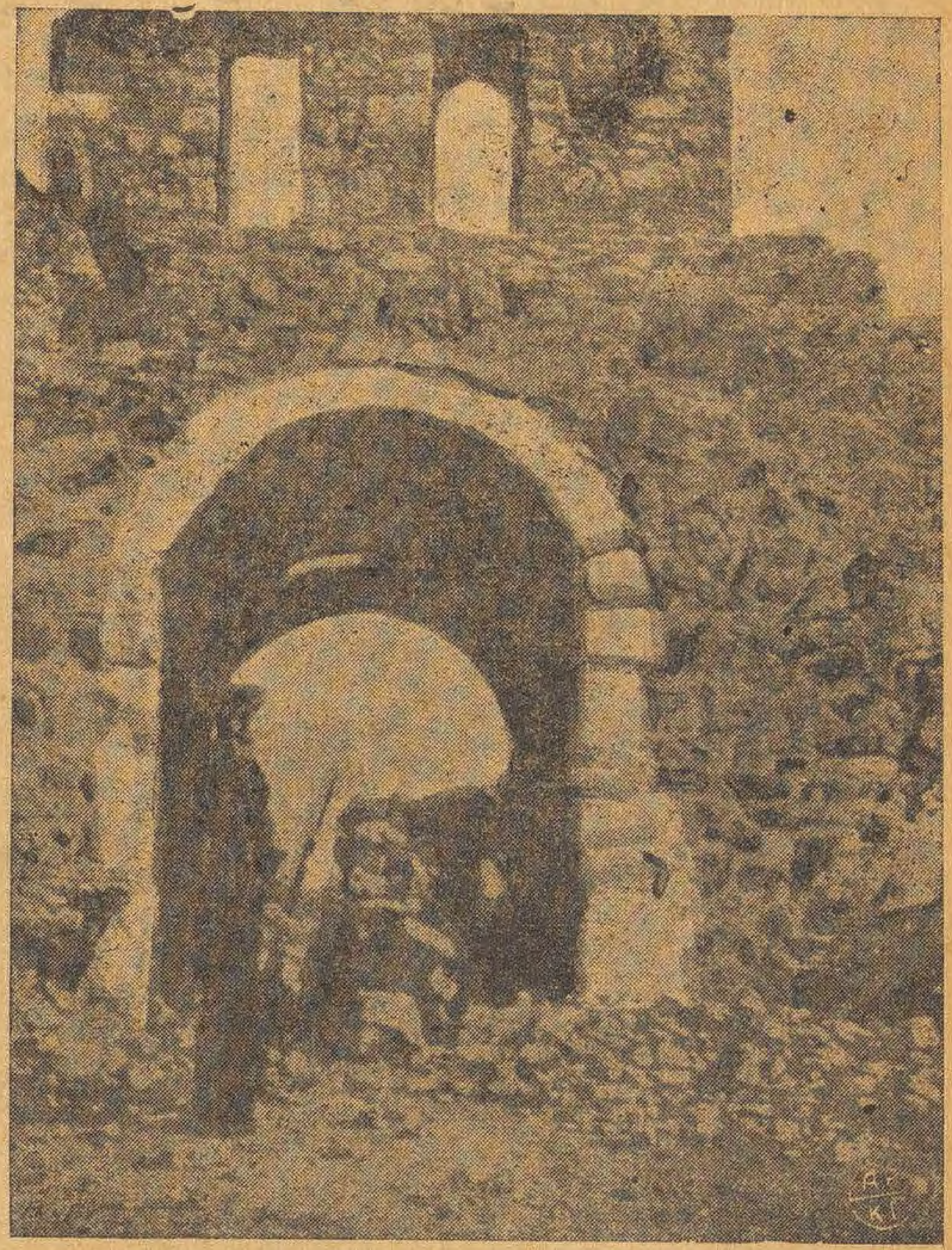
والعثمانيون كما اهملوا حشد القوات الكافية للدفاع عن البلاد العراقية بصورة خاصة، والديار العربية بصورة عامة، اهملوا تحصين قلاعهم الحربية البحرية ومنها قلعة «الفاو» الواقعة على مدخل نهر الفاو، وهي بناية متهدمة يحيط بها جدار من الرمل وليس فيها من وسائل الدفاع سوى اربعة مدافع من الطراز القديم لا تصلح حتى لرد هجمات عصابة صغيرة

وفي صباح السادس من تشرين الثاني سنة ١٩١٤ وقفت مدرعات من الاسطول الانكليزي امام هذه القلعة وانذرت قائدها بوجوب الاستسلام في مدة لا تزيد على الساعتين، الا ان القائد برهان الدين، وهو من الضباط القدماء، اراد ان يقاوم فامر باطلاق القذائف على المدرعات الانكليزية، فكان ان انفجر خمس قذائف فقط، اذ ان الانكليز اسكتوا المدافع التركية، وبعد نصف ساعة من الزمن اضطرت حامية القلعة الى الانهزام الى موقع « الزين » واحتل

الانكليز هذه القلعة بعد ظهر اليوم السادس من شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٤ وكان ينتظر منها ان تدافع عن الحدود العثمانية

الانكليز في بلاد العرب

اكتفى الانكليز في ذلك اليوم بما غنموا وانصرفوا الى اعداد مراكزهم الحربية. وجاءتهم في اليوم نفسه خمس بواخر تنقل الجند



﴿ جانب آخر من قلعة «الفاو» العراقية ﴾

﴿ يمثل هذا الرسم مدخل القلعة وقد وقف ملاح انكليزي يحرسه ﴾

والاعتدة الحربية. وفي اليوم التالي اخذت بواخر اخرى تصل الى الميناء فبلغ عدد القوات الانكليزية التي احتشدت هناك فيلقاً كاملا يزيد بمجموعه على عدد القوات العثمانية في جميع البلاد العراقية

عدد القوات التركية

اما القوات التركية فلم تكن تزيد على اربعة الاف جندي ضعيفة العدة والعدد. ولذلك اسرع الى موقع (الزين) قائد الفرقة الـ ٣٨ امير الآلاي صبحي بك وانصرف الى تنظيم وسائل الدفاع وتحمس سكان هذه المنطقة من ابناء العشائر العربية فتطوعوا في صفوف الجيش العثماني للذود عن الوطن

واول من اندفع الى التطوع عجمي باشا السعدون شيخ مشايخ عرب السعدون المشهورة بالقوة والبطش، فاوفد العدد الكبير من القبائل التابعة له لمساعدة العثمانيين

معارك العراق الاولى

ولما استعد الانكليز عند مدخل «الفاو» بدأوا عند فجر اليوم الخامس عشر من شهر تشرين الثاني هجومهم على المراكز العثمانية بقيادة القائد «داريت». فاشتبك الفريقان بمعركة شديدة في موقع «سيحان»، وكانت القوات العثمانية مؤلفة من الالاي ٢٣ وبقية افراد الفرقة ٣٢ ووحدات الخيالة. وكان الفوز في بدء هذه المعركة بجانب الاتراك الا ان الباخرتين الحربيتين الانكليزيتين، وكانتا في النهر، ما لبثتا ان صبتا قذائفهما بشدة على القوات العثمانية فاجبرتاها على التقهقر الى الوراء

وفي ١٧ تشرين الثاني احتل الانكليز سيحان ثم تعقبوا العثمانيين الى قرية «ساحل» وهي تبعد خمسة اميال عن الشمال الغربي من سيحان، وهنا نشبت معركة اخرى استمرت خمس ساعات وانتهت بانهزام العثمانيين

سقوط البصرة

وهكذا توالى الفشل على القوات العثمانية حتى شعرت القيادة بعجزها عن متابعة القتال. فعقد القائد العثماني اجتماعاً في مقر الولاية، ولما كان الوالي غائباً استشار القاضي الذي يقوم مقامه، واجمع الرأي على ضرورة جلاء القوات العثمانية عن البصرة، وفعلا اخلاها العثمانيون في ٢١ تشرين الثاني سنة ١٩١٤ بعد ان اغرقوا ثلاث بواخر في النهر لسد الطريق النهري.

وفي ٢٢ تشرين الثاني تمكنت الباخرتان الحربيتان الانكليزيتان «شبيكل» و«اودن» من عبور النهر بسهولة ورفع الحواجز التي وضعها العثمانيون، وتبعتهما باخرتان نقلتا الجنود الى البصرة

وفي صباح ٢٣ احتلت القوات الانكليزية هذه المدينة وكان احتلالها آخر عهد العثمانيين بالبصرة.

العراق قبل الاحتلال الانكليزي

ولا بد من كلمة نقولها في القطر العراقي قبل الاحتلال الانكليزي. فالفوضى والاستبداد مثلا في هذا القطر دورهما الخطير، وخصوصاً قبل اعلان الدستور. فكان اللصوص يسطون على البيوت علناً ويعيثون باموال الناس وارواحهم والحكومة تنظر الى هذه الحالة دون ان

تتحرك وتثبت وجودها

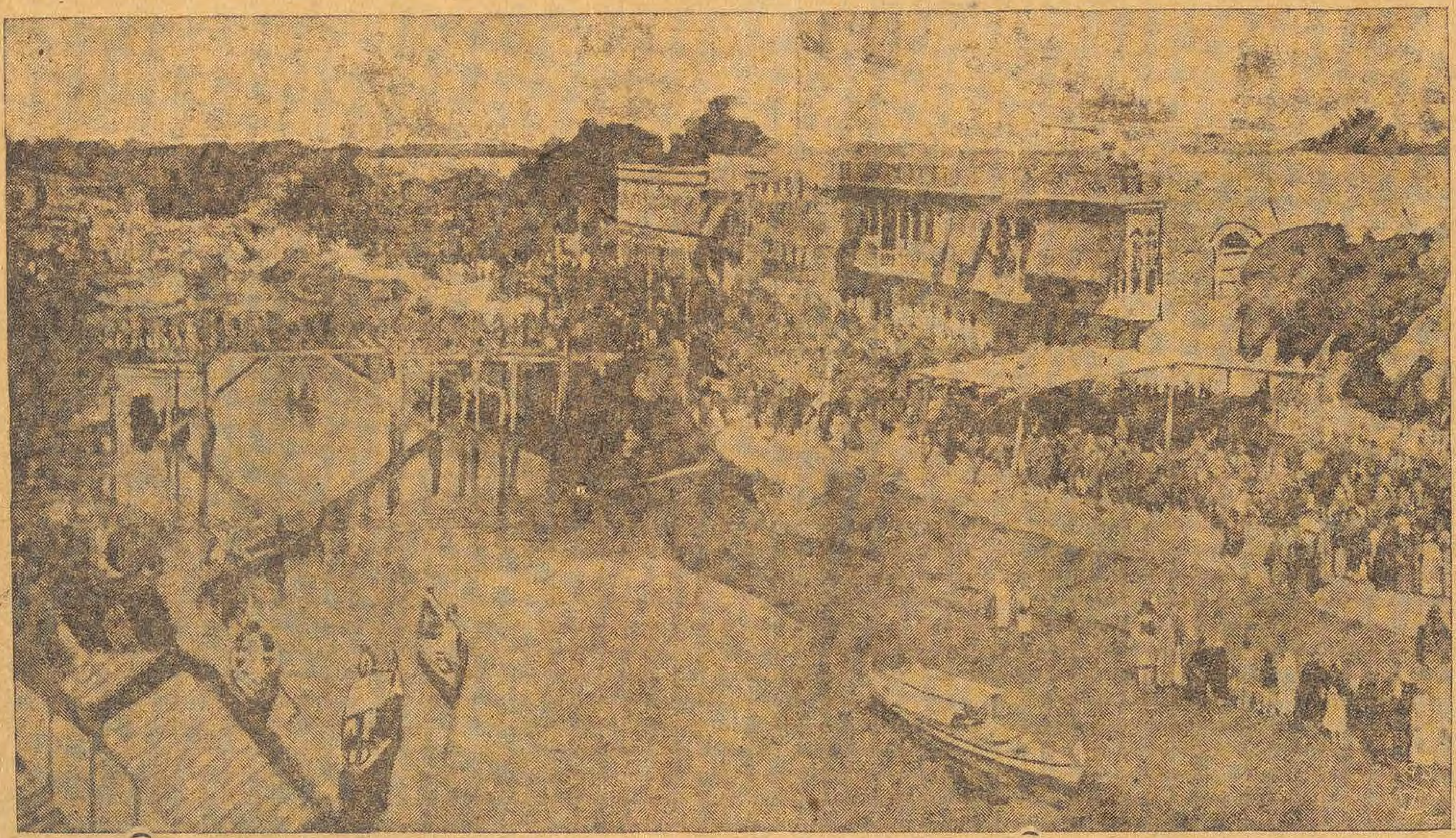
فهي لا تقوى على القيام باي عمل كان . وظلت هذه الفوضى مستمرة حتى بدء فجر النهضة القومية في العراق

وهذه النهضة انبثقت في استانبول نفسها ، ذلك ان فئة من

الاخر « جمعية البصرة الاصلاحية » وقد قامت في البصرة تحت رئاسة طالب بك النقيب

ثلاثة فروع لجمعية « العهد » في العراق

وانشئت كذلك ثلاثة فروع لجمعية « العهد » في الموصل



دار الحكومة في البصرة

وقد احتفل فيها القائد « باريت » القائد العام للحملة الانكليزية برفع العلم الانكليزي عليها وذلك يوم ٢٤ تشرين الثاني سنة ١٩١٤

شباب العراق الذين اكملوا دروسهم في العاصمة العثمانية، وشهدوا مظاهر الشعور القومي التركي، غلى الدم في عروقهم واقبلوا الى بغداد ونار الحماسة الوطنية تشتعل بين جوانحهم . فبثوا روح القومية في نفوس اخوانهم الشبان العراقيين . وفي مقدمة هؤلاء حمدي بك الباجه جي . فهو بعد احرازه الشهادة النهائية من المدرسة الملكية في استانبول جاء بغداد معاوناً للوالي وتولى تدريس الاقتصاد والحقوق الدولية في معهد الحقوق . وفي هذا المعهد اخذ يبث في زملائه وطلابه الدعوة الى مبدإ القومي الجديد . فراجت دعوته لدى فئة لا يستهان بها منهم . وباتت الوطنية راجحة الوزن والقدر ولكن في القول دون العمل . فما ظهرت بجلاء الا وقد تألف حزب « اللامركزية الادارية العثماني » وانشئت جمعية « العهد »

فقد تأسس فرعان للحزب اللامركزي في العراق ، وهما وان كانا يختلفان عنه اسماً فانهما متصلان به روحاً وعملا . فالفرع الاول حمل اسم « النادي الوطني العلمي » واتخذ بغداد قاعدة له ، وكان رئيسه مزاحم بك الباجه جي (سفير العراق في روما اليوم) ، والفرع

وبغداد والبصرة . وكانت الزعامة في فرع بغداد لحمدي بك الباجه جي، وزعامة البصرة لطالب بك النقيب . ومثلت هذه الجمعيات دوراً مهماً في سياسة العراق . فأنشأت جريدة « النهضة » لسان حالها ، الا ان هذه الجريدة لم تعش طويلا ولم يظهر منها ما يزيد على ١٤ عدداً وقد عطلتها السلطة وشاءت القبض على مديرها مزاحم بك الباجه جي ، ففر الى البصرة ، ولاذ بكنف طالب النقيب ، شأنه شأن فئة من مجرمي العرب السياسيين فرّت من استانبول على اثر وقف عزيز علي المصري واحتمت بالسيد النقيب نفسه . وفي مقدمة هؤلاء السادة : نوري السعيد ، صبيح نجيب ، عبد الله الدملوجي

وهكذا اتسعت حركة العرب في القطر العراقي، وظل هذا شأنها حتى دخول تركيا الحرب العالمية واحتلال القوات الانكليزية البصرة في ٢٣ تشرين الثاني سنة ١٩١٤

ولما بلغ نبأ احتلال البصرة القيادة العامة العثمانية استحوذ عليها الاضطراب وقضت بوقف الانكليز عند حدهم ومنع تقدمهم في البلاد العربية

خطة الدفاع الحربي

وعقد اجتماع في بغداد تحت رئاسة جاويد باشا قائد القوات العثمانية في العراق حضره رؤساء اركان حربه وتقرر فيه :

اولا — المطالبة باعادة القوات العسكرية التي برحت العراق الى حدود روسياوتعزيز القوات الموجودةوالمنتظرة بالسلاح والاعتدة الحربية اللازمة



﴿ الزعيم العراقي حمدي بك الباجه‌جي ﴾

من مؤسسي النهضة العراقية

ثانياً — اضافة لواء من الخيالة الى القوات الموجودة

ثالثاً — ايجاد خط دفاع في منطقة العمارة لصد هجمات القوات الانكليزية ومنع تقدمها الى جهة الشمال .

يتولى قيادة الجبهة الجديدة عطا بك قائد قوات الدرك وتؤلف هذه الجبهة من قوات بغداد العسكرية وطابور درك الحدود ، وطابور الدرك السيار الذي تبدل اسمه واضحى معروفاً بقوات دجلة

ونفذت هذه المقررات . فطيرت البرقيات الى استانبول لطلب تعزيز الحامية . وشحنت القوات بالبواخر التجارية الصغيرة من دجلة الى الوجهة المقررة لها . وانصرفت حال وصولها الى اقامة الاستحكامات وتعزيز وسائل الدفاع

احتلال المزيرعة

الا ان القوات الانكليزية بعد احتلالها البصرة لم تقف مكتوفة الايدي بل حصنت مواقعها واوفدت قوات منها لاحتلال الاماكن المجاورة . فتمكنت من السيطرة على ضواحي البصرة . وزحفت قوة منها تحت حماية الاسطول النهري الى المزيرعة ، وهي قرية قائمة على الساحل الايسر من نهر الفرات تجاه القرنة . فجرت فيها معركة شديدة انتهت بفوز القوات الانكليزية واحتلال المزيرعة .

وخاف القائد عطا بك ، وهو يرى تقدم سفن الانكليز في النهر ، ان تنطلق الجنود الانكليزية الى جهات « قلعة صالح » وفيها معسكر القيادة ، فاوفد مفرزة اخفت الالغام تجاه « ابو عرار » وهو يبعد عشرة اميال عن شمالي القرنة . وهكذا منع تقدم الانكليز . وهم لو تقدموا لكان من الصعب صدهم عن التوغل في قلب العراق

وبعد ادراك هذا الهدف اوفد عطا بك مفرزات من قواته الى الجهات القريبة من « القرنة » لدرس مواقع الانكليز واستطلاع اعمالهم الحربية

خطورة موقع القرنة

والقرنة من القرى المهمة من الوجهة العسكرية . ففيها ملتقى نهري الفرات والدجلة . واستيلاء الاعداء على هذا الموقع شديد الخطورة وهو يقطع كل خط اتصال بين القوات العثمانية والبصرة ويساعد الانكليز على السيطرة على المواقع الحربية

ولكي تمنع القيادة العثمانية احتلال الانكليز لهذا الموقع قررت ما يلي :

اولا — تأليف مقدمة خط الدفاع الاولى في الجهات الممتدة الى قلعة صالح مركز القيادة

ثانياً — تقديم قوات دجله الى خط يمتد من المزيلة الى الروطة لتأليف المقدمة الثانية لخط الدفاع

ثالثاً — تعزيز حامية المزيرعة بقوة اضافية من قوات الاحتياط الموجودة هناك

رابعاً — تنفيذ هذه الاوامر قبل صباح اليوم الخامس من شهر كانون الاول سنة ١٩١٤

خامساً — على القوات الثبات في مراكزها والدفاع عنها

وهذه القوات التي اعدت للدفاع في تلك المناطق مؤلفة من خمسة آلاف جندي اشداء ، الا ان الاعتدة الحربية كانت تنقصهم

فوز القوات الانكليزية

وفي الساعة الثالثة من صباح ٧ كانون الاول سنة ١٩١٤ شوهد الاسطول النهري الانكليزي يتقدم الى المزيرعة ويمطرها وابلا من القذائف . فلم تتمكن المدفعية العثمانية من مقاومة الهجوم، فاضطرت الى السكوت ، وانتقلت المعركة الى البر فقاومت الحامية



* شرذمة من الجنود الانكليزية تدخل القرنة على السيارات *

— فرحة مستبشرة —

المؤلفة من بلوكين من المشاة قوات القائد « باريت » الانكليزي ببسالة فائقة . ولقد انتهت المعركة بوقوع نصف القوات العثمانية قتلى تحت رصاص الانكليز ، فاضطر الآخرون الى الاستسلام الى القوات الانكليزية . ولما استتب الامر للانكليز امر القائد « باريت » قواته بمتابعة الهجوم على القرنة فاحتلتها في ظهر اليوم الثامن من شهر كانون الاول ،بعد ان احاطت بها من جميع اطرافها، مما حمل حاميتها المؤلفة من ٤٠ ضابطاً و ٩٨٠ جندياً، هم بقايا الفرقة ٣٨، على الاستسلام الى العدو

الحالة في استانبول

رأت القيادة الالمانية العليا في توغل الانكليز في العراق ما لا يتفق والسياسة التي رسمها الالمان لتوطيد نفوذهم في الشرق . فاوعزت برلين الى ممثليها في البلاد العثمانية كي يشتغلوا في سبيل اقصاء الانكليز عن العراق ، فاجتمع هؤلاء بانور باشا ونظروا في الموقف واجمعت الكلمة على ما يلي :

اولا : استبدال قائد قوات العراق

ثانياً — استبدال قائد الجيش الرابع

ثالثاً — ايجاد جبهة حربية جديدة لتخفيف ضغط القوات الانكليزية

رابعاً — تعزيز دور الاستخبارات

وانصرفت مساعي العثمانيين الى الاهتمام بالقضية العربية

سليمان العسكري

فاستدعى انور باشا القائد سليمان بك العسكري وخاطبه بقوله: جاويد باشا قائد قواتنا في العراق اظهر ضعفاً متناهياً في ادارة الحركات الحربية، وهو يرى ان الموقف سيزداد خطورة اذا لم نجهزه بقوات جديدة. ولما كانت البلاد بحالة لا تساعدها على توفير النجدات المطلوبة رأينا ان نوليكم هذه القيادة مع تسيير اعمال « التشكيلات المخصوصة » التي اقبض على ناصيتها . وبامتلاكك هاتين القوتين تصبح ذا سلطتين احداهما عسكرية والاخرى سياسية . فتؤلف هناك شبكة واسعة للجاسوسية وتستميل العشائر وتضمها الينا. وعليك مهمة اخرى تنحصر بالاسس التالية :

اولا — مقاومة الجواسيس الانكليز المنتشرين في جزيرة العرب واستئصال الدعوات التي يقومون بها

ثانياً — انشاء شبكة جاسوسية في بلاد العرب

ثالثاً — الاتصال بقيادة الجيش الرابع في سوريا وفلسطين لمقاومة هذه الحركات

رابعاً — اثارة الفتن في المناطق الخاضعة للنفوذ الانكليزي في جزيرة العرب لاحراج الانكليز

العسكري يقبل القيادة في العراق

فاعلن سليمان بك العسكري انه يرضى العمل باوامر قائده الاعلى . وانصرف الى وضع الخطة المقبلة لتنظيم الجيش العراقي . وفي اول كانون الاول سنة ١٩١٤ اقيل القائد جاويد باشا من قيادة

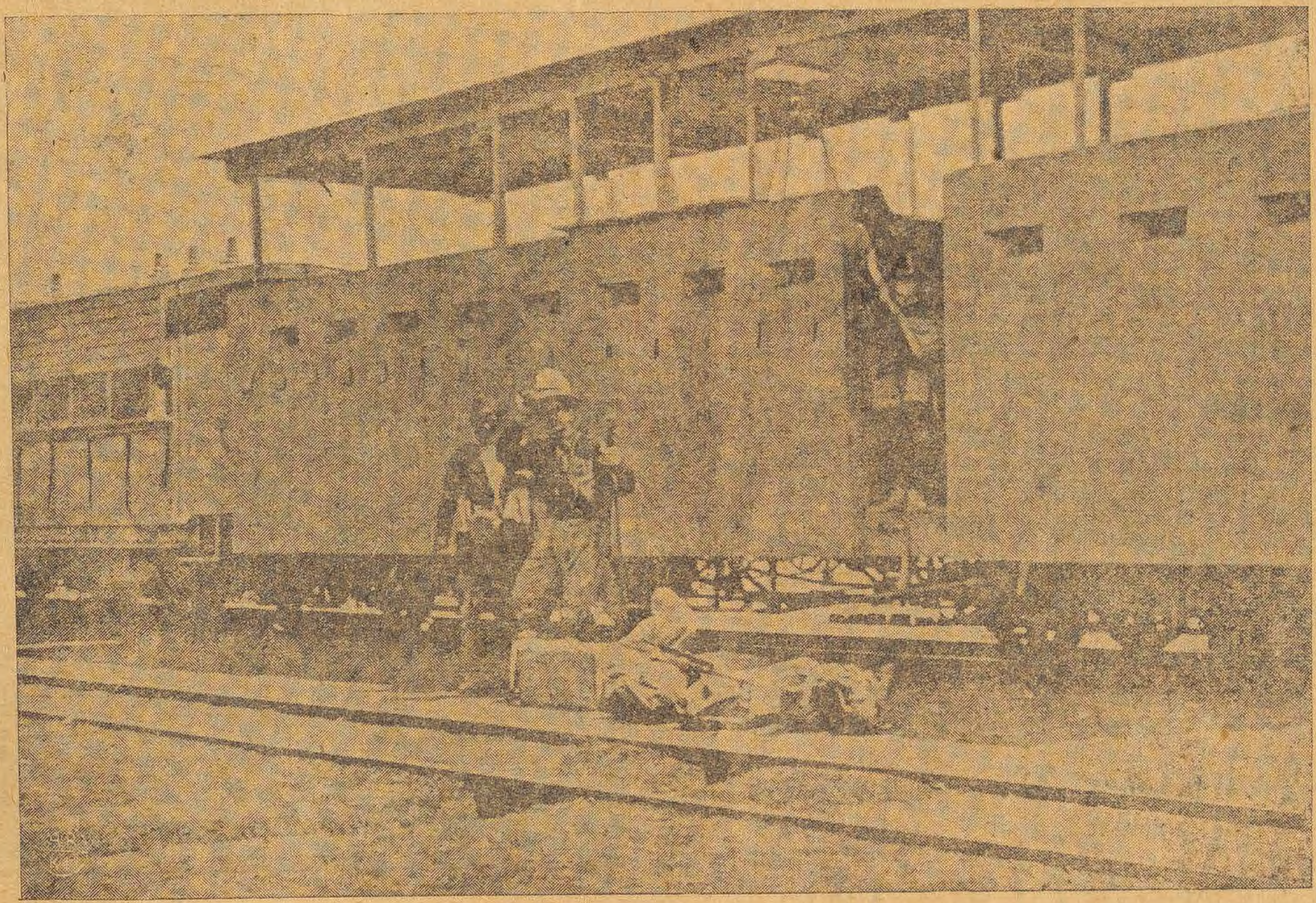
جيش العراق وحل محله سليمان بك العسكري ، وبعد ثلاثة ايام سافر سليمان بك الى بغداد ليتسلم مهام منصبه الجديد

الاتراك لا نجدات عسكرية لديهم

وكان الموقف يومذاك في بغداد ، والانكليز ينزلون في البصره ١٥ الف جندي، شديد الخطورة. فالقوات العثمانية ضعيفة .وحكومة استانبول غير قادرة على مساعدتها . والنجدات الانكليزية كانت تتدفق على « البصرة » . فالانباء الرسمية اكدت ان ثلاث بواخر بخارية وصلت في ٢٥ تشرين الثاني الى البصرة حاملة الجنود البريطانية وفي ٢٨ وصلت خمس بواخر اخرى حتى بلغ عدد الجنود التي انزلت في البصرة ١٥ الف جندي والنجدات لا تزال تتوارد

السكة الحديدية

ولم تقف مساعي الانكليز عند هذا الحد من الاستعداد العسكري بل جاوزتها الى تأمين طرق المواصلات . ففي الاسبوع الذي احتل فيه الانكليز البصرة مدوا خطوط السكة الحديدية ودفعوا السفن الحربية في النهر لتأمين الطرق النهرية التي تساعدهم على النجاح وتجاه هذا الاستعداد الرائع جمد الاتراك مكتفين بالنظر في الموقف . الا ان النظر في الموقف لم يكن يفيد . فكلما امعنوا في البحث والدرس توغل الانكليز في احتلال العراق



بعد احتلال البصرة

سكة حديد انكليزية مصفحة بالفولاذ من الطراز الذي استعملته القوات الانكليزية في زحفها على العراق بعد احتلال البصرة



اسرار الحرب الكبرى

بقلم كرم ملحم كرم

القوات الالمانية تستولي على مدينة «لياج» البلجيكية وعلى حصونها

القائد «ليمان» يبكي ويعتذر عن بقائه حياً

قائد الماني يقول : يجب قتل الاسرى لئلا يبقى وراءنا احد من الاحياء !...

بلجيكا تذهب فريسة النار !



☸ القائد « ليمان » البلجيكي ☸
☸ قائد حصون « لياج » ☸

خاف ابناء « لياج » على مدينتهم فرغبوا الى القائد « ليمان » انقاذها من الدمار. فطلب القائد من الالمان ان ينصرفوا عن المدينة ويتركوها وشأنها. فابوا الا ان يتسلموا الحصون والمدينة معاً . فرضي القائد بالمدينة اما الحصون فاعلن انه عزم على الثبات فيها حتى النهاية .

فخيّره الالمان بين الاستسلام اوضرب المدينة، فآثر الابقاء على الحصون، فلم يكن من الجيش الالماني الا ان صوّب في الساعة الثامنة ليلا مدافعه على « لياج » وبدأ ضربها . فجلت عنها القوات البلجيكية نزولا على اوامر العاصمة « بروكسل » ، فاحتلها الالمان ، وكانوا قد دمروا حصن « فليرون » الكبير فاضحى طريقهم آمناً . وارتدت الجنود البلجيكية الى الحصون فاستولى الالمان على المدينة . ولقد استولوا عليها دون مقاومة وحكومتها قضت بهذا الاستسلام الهادىء . واستقبل « فون اميخ » ، قائد الفيلق العاشر ، محافظ المدينة وعالنه ان الجند لن يسيء الى الاهلين ، فلهم ان يعودوا الى اعمالهم كالمعتاد

الالمان يحتلون "لياج"

القبض على ١٧ رهينة بينهم الاسقف

على ان القائد « ليمان » ، مع دعوته جنوده المعسكرين في مدينة « لياج » الى اخلاء المدينة ، انصرف الى حصن « لونسان » يمضي في الدفاع والمقاومة . وطرب الالمان كل الطرب لاستيلائهم على مدينة « لياج » ، واذاعوا النبأ في صحفهم بحروف ضخمة وهنأ بعضهم بعضاً . وقبض القائد العسكري على سبع عشرة رهينة من وجهاء المدينة بينهم اسقف « لياج » ليضمن اخلاد المدينة الى السكينة. على ان اعتقالهم لم يطل، فابلغهم القائد ان الاهلين اطلقوا النار على الجند الالماني ، فاذا عادوا الى اطلاق النار ألقى عليهم كل تبعة وضربهم ضربة



الجنود البلجيكيون يستريحون بعد المعركة

قاضية . وما لبث ان اخلى سبيلهم . على انه ما اكتفى بهذا الانذار بل عمد الى الحيطة . فنصب المدافع في كل مرتفع ، وحفر الخنادق ، وانزل الجنود ضيوفاً على السكان ، واباح لهم ان يستولوا على ما شاؤوا من الامتعة .

النار والفوضى في المدينة

وحاول فريق من الاهلين الدفاع عن نفسه ورياشه فكان عقابه الموت العاجل واحراق داره . واذا الفوضى تنتشر في المدينة بعد كل وعد بالطمأنينة ، واذا النار تندلع في « لياج » بكاملها . فهب الناس الى الشوارع مذعورين فاصطادهم رصاص الجند واحداً بعد واحد

مدافع الالمان تفتت حصون « لياج »

وصوّب الالمان على حصون « لياج » مدافع من طراز « هويتزر » فنسفتها نسفاً مخيفاً . ووقعت قذيفة منها في مستودع البارود والذخيرة في حصن « شودفونتين » فلم تبق منه حجراً على حجر . وثبت حصن « لونسان » وفيه يقيم القائد ليمان . على ان القائد لم يكن يستطيع الانتقال من مكانه بسهولة وقد سقطت حجارة على رجليه فحطمتهما . وقضي على ثلاثة ارباع رجال الحامية ، وتعطل معظم المدافع . واستعد القائد ومن بقي في الحصن حياً للساعة الاخيرة فاحرقوا كل ما لديهم من الاوراق وأتلفوا كل ما وضح لهم منه انه ذو قيمة عسكرية ، واعتزموا نسف الحصن في الدقيقة الاخيرة

بيد ان الالمان لم يمهلوهم لنسف الحصن وقد تولوا ذلك بانفسهم ، فاطلقوا مدافعهم دفعة واحدة واذا الجدران تتهدم وتنهار ، وسكتت المدافع فوثب المشاة الى الحصن وثباً . ولم يبق في الحصن ما يزيد على خمسمئة رجل ، واذا مستودع البارود ينفجر ويقوّض ما عفت عنه مدافع الالمان ويقتل من الخمسمئة ثلاثمئة وخمسين . وغاب معظم الاحياء تحت الانقاض . ومن هؤلاء القائد « ليمان » نفسه . الا ان رجاله انتشلوه شبه ميت ، ووقف احد ضباطه يحرسه . ولما اقبلت الجنود الالمانية صاح بها الضابط : لا تمسوا القائد ، فهو ميت !

القائد « ليمان » يبكي

بيد ان القائد لم يكن ميتاً وقد استفاق من غشيته وعرض سيفه على القائد الالماني ، فابى هذا ان يأخذه منه قائلا له : ابقه لنفسك ، فلم تؤذ به الشرف العسكري !

وما وقعت هذه الكلمات في اذن القائد البلجيكي حتى اغرورقت عيناه بالدموع ، فاسره الالمان ، غير انه كتب في اليوم التالي الى الملك ألبر ، ملك بلجيكا ، رسالة يعتذر له فيها عن بقائه حياً ، قال :



فرقة من الفرسان الالمان في اجتيازها البلاد البلجيكية

« مولاي ، اذا لم افقد الحياة في تلك الفاجعة فالفضل في ذلك يعود الى رجالي وقد حالوا دون اختناقي بالدخان المنبعث من انفجار البارود

« لقد شئت لاجل شرفنا العسكري ان لا اسلم حصناً من الحصون ، ولكن ما وقع قد وقع على كره مني ، فعفواً عني يا مولاي!

«ساءني عذاب الاسر في المانيا ، بيد ان خاطري يرتاد ابداً وطني ويقف عند مليكي . وكنت اود ان اهب لها نفسي ، الا ان الموت اعرض عني !...»

الالمان يتفوقون على الفرنسيين

وكان استيلاء الالمان على حصن « لانسان » في ٢٣ آب سنة ١٩١٤ ، على حين ان العاصمة « بروكسل » وقعت بين ايديهم قبل هذا التاريخ بايام ثلاثة . وفي ذلك اليوم نفسه ،في ٢٣ آب، نشبت معركة « مونس » ، واشترك في هذه المعركة الجيش الانكليزي يديره القائد« فرانش »

ومعركة «مونس» اظهر فيها القائد الالماني العام« فون مولتك» حزماً وبراعة .فتفوق بمداوراته على القائد « جوفر » الفرنسي . فالقائد الفرنسي لم يحسب ان الالمان يملكون مثل هذه القوات الجرارة، ولذا دفع جيشه الى احتلال اماكن يصعب الفوز فيها . فتريث القائد الالماني حتى اذا ما امسى اعداؤه في متناول يده اطلق عليهم نيران مدافعه تهشمهم تهشيا

وهذه المدافع هي التي ضمنت الفوز للجيش الالماني في البلجيك. فهي من مدافع الحصار الضخمة . فحبط ازاءها هجوم الفرنسيين والانكليز على طول الجبهة الممتدة من « مونس » الى « شارلروى ». ونفد صبر الالمان حيال ما يلقون من مقاومة في بلجيكا . ورأوا ان طول الوقت يزيد في اهبة الفرنسيين والانكليز للقتال وتطول به الحرب ، فراموا العجلة وهم يريدون الخلاص من المجزرة في اشهر ثلاثة يسودون بها الكون . وهذه العجلة وقد صدمتهم بها بلجيكا حملتهم على الانتقام منها بقسوة وفظاعة . فهم مع احترامهم مدينة بروكسل مانعوا في ابداء هذا الاحترام حيال المدن الصغرى . فاطلقوا جيوشهم على بلدة « آرشو » ينهبونها ويدمرونها . وما فازوا في معركة « مونس » حتى اباحوا مدينة «لوفان »،وهي تعد خمسة واربعين الف نفس، للنهب والسلب والتفظيع .وما وقف انتقامهم عند هاتين البلدتين بل جاوزها الى كل بلدة وقرية بلجيكية ينزلون فيها.

بلجيكا تستنجد بالعالم المتمدن

ولم تر بلجيكا بداً،وهي تجد نفسها عرضة لهذه الاهوال،من الاستنجاد بالعالم المتمدن،بالدول المسكة على عزلتها .وعهدت الى لجان منها بالنظر في ما احدث فيها الالمان من غرائب بخرقهم قانون حق الافراد ، وعبثهم بقوانين الحروب وتقاليدها . فجاء تقارير هذه اللجان ان الفاجعة اعظم مما رسا في المخيلات ، وان هناك قرى بكاملها ضاع كل أثر منها

احراق المدن وخطف الارواح

وحجة الالمان على تهديم « آرشو »واحراقها ان ابن شيخ البلد قتل قائداً من قادتهم الكبار . ولكن ابن الشيخ لم يفتك بالقائد الالماني الا وقد شاهد الكثيرين من الاهلين يسقطون تحت الرصاص الالماني ولاحت له منازل متعددة تأكلها النيران . حتى ان هناك من ينفي اقدام ابن الشيخ على البطش بالقائد الالماني. فالقائد فرض نفسه فرضاً كضيف على شيخ البلدة . ووقف على شرفة المنزل يبصر منها ما يجري في ساحة « آرشو » . فالقوات الالمانية احتشدت فيها تطلق النار، وطاشت احدى الرصاصات فاصابت من القائد مقتلاً فذهبت بحياته . هذا ما قيل في نفي الجريمة عن ابن الشيخ البالغ من



البر الاول ملك بلجيكا

العمر خمسة عشر عاماً ، والعاجز عن السير بعدما اصابته في اليوم الفائت رصاصة في رجله . وابوه السيد « تيالبان » كان يوزع لفائف التبغ على الحراس الواقفين ببابه ساعة مصرع القائد الالماني .غير ان الالمان مانعوا في الاخذ بهذه الحجج وقادوا الاب والابن وشقيق الاب الى ساحة الموت واطلقوا عليهم النار كما اطلقوها على سبعة وعشرين شخصاً آخرين قبضوا عليهم في المنزل.وما لبثوا ان اطعموا المدينة للنار!

مدينة « لوفان » تحترق

وفي ليل ٢٥ آب احترقت مدينة « لوفان » واحترقت فيها مكتبتها التاريخية الحافلة بكنوز العقل البشري ، كما احترقت كنيسة « سان بيار » الملأى بالرسوم والتماثيل الفنية . والباعث على احراقها ادعاء الالمان ان الاهلين اطلقوا عليهم النار . غير ان الاهلين ينكرون هذه الدعوى ويقولون ان الالمان توهموا ذلك فقاموا الى بنادقهم يطلق احدهم على الآخر النار في الظلام . ولم يجدوا امامهم غير الاهلين لفش خلقهم فانتقموا منهم باحراق مدينتهم دون ان تعترضهم القيادة الالمانية في ما فعلوا

غفران « اندين »

وفي ٢٢ آب كان القائد الالماني « فون بيلوف » يذيع في رجال السلطة البلجيكية في مدينة « لياج » بلاغه التالي :

« بعد ما اسمعنا سكان مدينة « اندين » انهم ذوو نيات سليمة فاجأوا قواتنا مفاجأة سافلة . ولقد عمد قائد الجيش العام ، بعد استشارتي ، الى احراق المدينة والفتك بمئة نفس . وارى ان ابلغ ذلك مدينة « لياج » كي يعلم ابناؤها اي مصير يرقبهم اذا طاب لهم ان ينهجوا هذا النهج »

« اندين » ليست مجرمة !

ويقول الحلفاء ان مدينة « اندين » ليست مجرمة لتلقى تلك المعاملة الرهيبة . فالعدوان الذي يشير اليه « فون بيلوف » وهم من الاوهام اخترعه الجنود الالمان رغبة منهم في السلب والقتل . ولقد عبثوا بالمدينة بفظاعة . فدام النهب والتقتيل فيها ثماني واربعين ساعة . وهلك ثلاثمئة وعشرون نفساً من ابنائها لا مئة كما روى القائد « فون بيلوف » في بلاغه . ومعظم هؤلاء سقطوا تحت حراب الجنود الالمان وفؤوسهم . واحرق ثلاثمئة منزل . وفرضت السلطة العسكرية على الاحياء من السكان تنظيم وليمة للجيش الالماني تعلن بها مدينة « اندين » الغفران.وحملت الوليمة اسم « غفران اندين » ، واشترك فيها الاهلون،القاطرة قلوبهم دماً ،والالمان الضاحكة منهم الوجوه والقلوب

« دينان » بين الدم والنار

ولم يختلف مصير « دينان » البلجيكية عن مصير اختها«اندين». ففي اليوم الحادي والعشرين من شهر آب اجتاحت المدينة سيارة مصفحة تطلق الرصاص من مدافعها الرشاشة ذات اليمين وذات اليسار. فاصابت فئة من الاهلين . على ان المأساة المروعة وقعت في ٢٤ آب فقبض الالمان على مئة وثلاثة وخمسين رجلا اطلقوا عليهم النار تحت عيون نسائهم واولادهم . وما لبثوا ان مالوا على النساء يقتلونهن ، ولم

يرحموا الاولاد . وبلغت ضحاياهم في « دينان » و « انسيرم » و « دليف » و « نيف » ما لا يقل عن ثمانمئة نفس. ودمروا في المدينة وضواحيها الفاً ومئتي منزل من الف واربعمئة

وفي التاريخ نفسه شاهدت بلدة « تامين » خمسمئة نفس من سكانها يسقطون تحت وابل الرصاص . واجهز الجند على من ظلت الحياة تجول فيه بطعنات الحراب او بضربات اعقاب البنادق. والدافع الى هذا التقتيل الانتقام من فرقة فرنسية قاتلها هؤلاء الجنود ولم يظفروا بها . وصال النهب صولته . وخشخشت النيران في المنازل فالتهمت مئتي منزل من البلدة الحافلة بذوي الايدي العاملة

ولم يقل نصيب « ترموند » و « ليسكو » عما لقيت هاتيك المدن المنكوبة . فالارهاب الالماني كان فيها قاصماً مخيفاً

القذائف على « مالين »

وصوب الالمان قذائفهم على مدينة « مالين » فاصابت هذه القذائف الكاتدرائية ودار الحكومة والمتحف . فاحتج الكردينال « مرسيه » اسقف المدينة احتجاجاً صاخباً مؤثراً على هذا العدوان الاليم . وانشأ رسالة الى ابناء رعيته ليتلوها الكهنة في الكنائس . فمانع الالمان كل الممانعة ورفضوا ان تتلى الرسالة والا دخلوا المساجد يحولون بانفسهم دون تلاوتها. ولما اصطدموا بصلابة الكردينال حبسوه في قصره . ورددت النبأ صحف العالم اجمع . وخيل الى القائد « ده بيسينغ » حاكم البلجيك العسكري انه في قسوته على ذلك الاسقف الشيخ يحمله على اعلان ندمه على ما بدر منه في رسالته . غير ان الكردينال لم يرهب البطش الالماني. فما تحول عن رأيه الصريح

التهديد في مدينة (نامير)

وفي ٢٥ آب احتل الالمان مدينة « نامير » بعدما ظلوا ثلاثة ايام متوالية يصلونها النار الحامية . واذاع القائد « فون بيلوف » على اثر دخوله اياها منشوراً يقول :

« يجب تسليم الجنود الفرنسيين والبلجيكيين قبل الساعة الرابعة كاسرى حرب . ومن لا ينزل من الاهلين على هذا الامر يحكم عليه في المانيا بالاشغال الشاقة المؤبدة . وستتولى لدى الساعة الرابعة تفتيش المنازل . وكل جندي نقع عليه فيها نطلق عليه الرصاص

« الاسلحة والبارود والديناميت يجب ان تسلم الينا قبل الساعة الرابعة . وعقاب المخالفين الموت برصاص البنادق

« ستحتل قوات المانية الشوارع وتقبض في كل شارع على عشر رهائن، حتى اذا ماوقع فيه عدوان علينا اطلقنا النار على الرهائن العشر معاً »

يجب قتل الاسرى !...

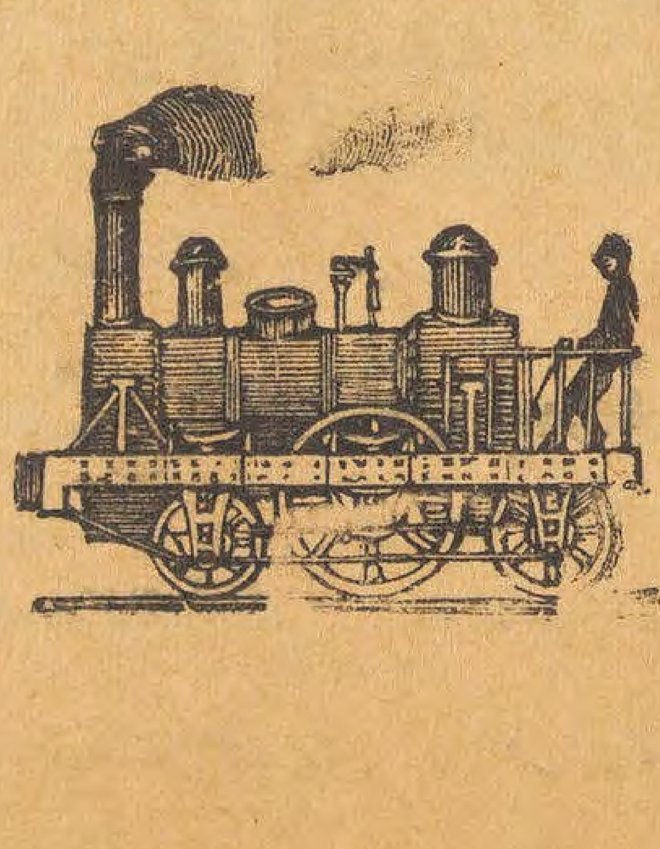
هكذا يقول قائد الماني

ذلك ما نشر على سكان مدينة « نامير » القائد الالماني « فون بيلوف » . وهو تهديد راعب ، غير ان هناك قائداً المانياً آخر جاوز هذا التهديد في منشور اعلنه دون ما رهبة قال فيه :

« لن نأسر احداً بعد اليوم. فالاسرى يجب ان يقتلوا على الفور. وسيلقى الجرحى هذا المصير سواء كانوا يحملون سلاحاً او لا يحملون. وهذا شأن كل من يقع بين ايدينا من رجال العدو مهما يكن عددهم. يجب ان لا يبقى وراءنا احد من الاحياء »

وهذا المنشور وقعه القائد « ستنجر » ، وهو من قادة الدرجة الثالثة . و كثيرون من الجرحى الفرنسيين سقطوا تحت رصاص جنوده

ولقيت بلجيكا من الفظائع اشدها . وعانت من الويلات ادهاها. فما ابقى الالمان فيها على وسيلة للتشنيع والتفظيع . فكل مباح اباحوه وكل محرم حللوه . وهذا منتهى ما يصل اليه الانتقام الانساني !



الالمان يدخلون عاصمة بلجيكا بسلام

بروكسل تفتح ابوابها للجيش الالماني مخافة تدمير مبانيها وآثارها

ارفع شكواك الى الامبراطور. اما نحن فسندخل!...

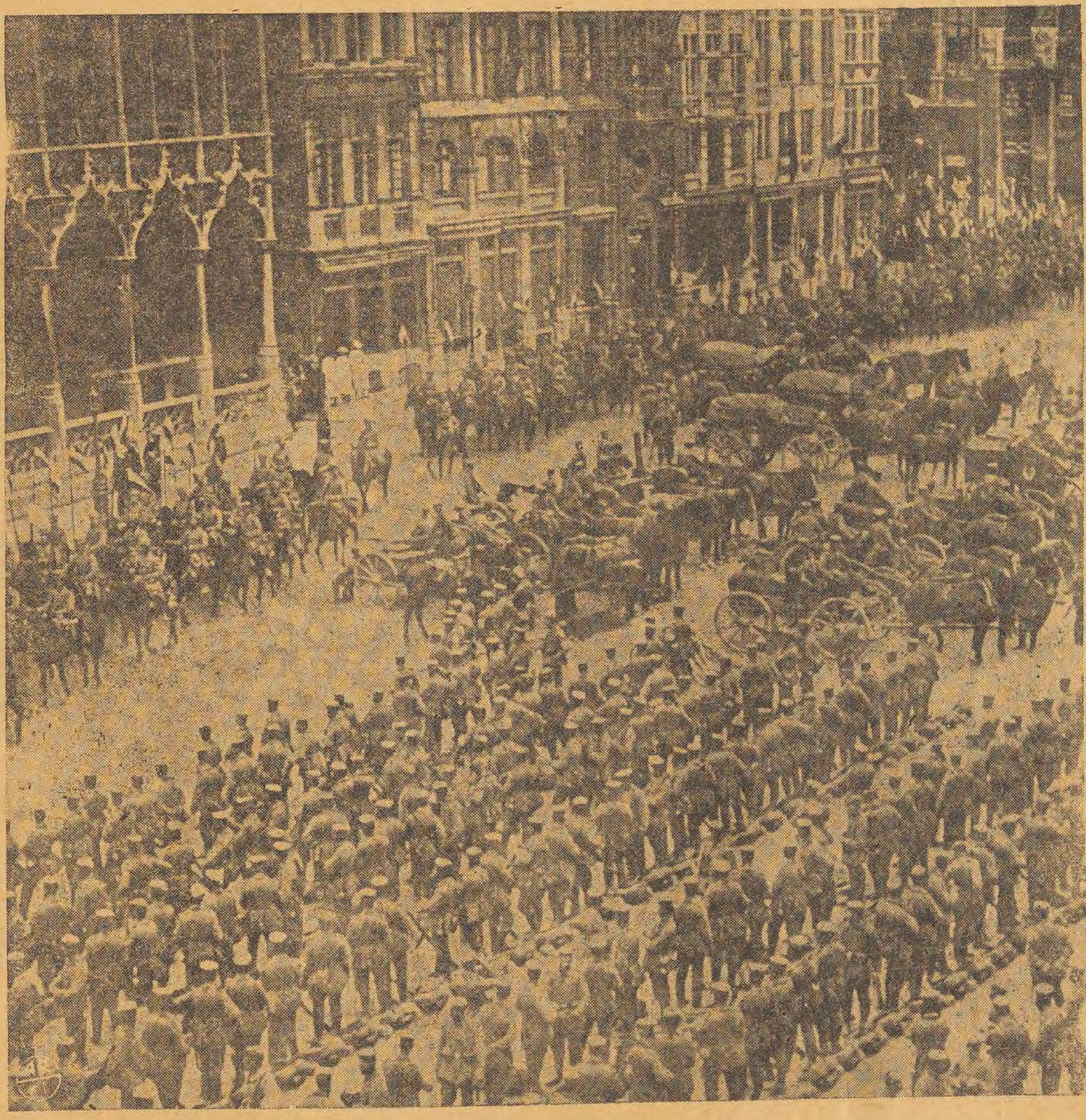
احتل الالمان العاصمة البلجيكية «بروكسل» في ٢٠ آب، واحترموا آثارها فما نالتها منهم اذية. على ان «بروكسل» لم تقاوم وقد خشيت ان يصيبها التدمير كسائر المدن والقرى البلجيكية، بل اكتفت بان تحتج. ولقد اذاع محافظها في بني قومه النداء التالي:

«ابناء وطني — مع كل ما ابدت جيوشنا من الشجاعة في نصرة جيوش الحلفاء فاننا لنخشى ان يحتل الاعداء العاصمة بروكسل

«وقد اعتزمت السلطات الحاكمة ان لا تبرح مقر اعمالها بل تتابع هذه الاعمال بالهمة التي ترقبونها منها. وهي تلفت انظاركم الى ان قوانين الحرب تمنع العدو من اكراه الاهلين على توفير اي ايضاح كان عن الجيش الوطني وما يملك من وسائل الدفاع. فعلى ابناء بروكسل اذاً ان يرفضوا كل ايضاح في هذا الصدد يدعوهم اليه الغاصب. اننا لنطلب منهم ذلك في سبيل الوطن!

«ويجب ان يرفضوا ارشاد العدو الى اسرارنا. فكونوا على حذر من الجواسيس. ولا يخيل اليكم ان من حق العدو ان يمس شرفكم واعراضكم او حياتكم واملاككم ويزعجكم في ممارسة دينكم. فاني ادعوكم الى اطلاعي على كل عدوان يبدر منه. وانا على استعداد للدفاع عن حياتكم وحريتكم ما دمت حياً. لتعش بلجيكا حرة مستقلة. لتعش بروكسل — ادولف ماكس»

وبيان محافظ المدينة لا غموض فيه. فالعدو على الابواب. وقضت بروكسل ليلتها ساهرة كأنها في مأتم. فلم تنم حتى الصباح



الجيش الالماني يدخل بروكسل بطبل وزمر

وقد شعت الانوار في كل بيت. واعلن في اليوم التالي ان السيل الالماني العرم على وشك ان يتدفق. فاسرع «أدولف ماكس» لمخاطبة قائد

هذا الجيش في منع القوات الالمانية من دخول مدينة مسالمة . ولكن ما اعلن قد اعلن . فابت على القاهر كبرياؤه ان يلين . على ان « أدولف ماكس » لم يبد المذلة . فخاطب الالمان بلغة من يحتقر المخاطر . وحيال اصرارهم على دخول العاصمة اعترض المحافظ بشدة قائلا : اذا دعوني ابرق بشكواي الى الامبراطور غليوم !

فتعجبوا من منطقه ، الا ان جرأته حالت دون نقمتهم عليه

الشكوى الى غليوم

قال المحافظ: يؤلمني ان تدخل جيوش ملك خطير، احتفلت بروكسل

الفرسان الالمان. فريكن من الضباط الالمان الا ان قضوا فوراً على التذمر البادي للعيان بان دفعوا جيادهم الى وسط الجموع الصاخبة وشهروا سيوفهم يهددون بالقضاء على كل من ترتفع له نأمة . والخوف من البطش الالماني اهاب بالبلجيكيين الى السكوت حتى وهم يشاهدون دباً صغيراً يرتدي ثوب قائد بلجيكي ويرفع الى رأسه قبعة عسكرية على طراز الملك « ألبر » نفسه

وظل « ادولف ماكس » يتولى شؤون العاصمة ببطولة الوطني المخلص ودهاء السياسي الحاذق . فعرف كيف يفرض على الغزاة الاحترام والوقار. غير أنهم في آخر الامر تضايقوا منه وقد احرجهم



المدافع الالمانية في اقتحامها الديار البلجيكية الآمنة

احتفالا شائقاً بمروره فيها ، مدينة لا ترضى بدخول هذه الجيوش اليها !

فاجاز له القائد الالماني ان يشكو امره الى الامبراطور . فكتب البرقية ووعده الالمان بانهم سيطيرونها الى القيصر ، غير انهم لن ينتظروا الجواب، بل سيدخلون المدينة عنوة . فاضطر الى الاذعان . وابلغوه ما يجب ان تؤدي بروكسل من الغرامة . وطلبوا منه مئة رهينة هو احدها . فاعلن انه لا يمانع في ان يكون رهينة لدى القيادة الالمانية ، على أن يكون وحده . فهو يضمن الهدوء في بروكسل. غير ان القيادة اذا اصرت على امتلاك مئة رهينة فانه ليرفع عنه كل تبعة . وتجاه هذه الصلابة رأت القيادة الالمانية ان تخفف من غلوائها

واحتل الجيش الالماني مدينة بروكسل . وطغت جحافله عليها كالامواج . فكانت اشبه بسلسلة من الحديد يمسك بعضها بعضاً . ولو بدرت من الاهلين بادرة سوء لاضحت هذه السلسلة الحديدية بركاناً يقذف الحمم . غير ان الاهلين ما استطاعوا ان يقفوا جامدين وهم يرون ضابطين بلجيكيين اوثقت ايديهما ورُبط طرف وثاقهما بمهامز

بما يبدي من اعتراض واحتجاج . فقبضوا عليه واعتقلوه في المانيا

الاستيلاء على انفرس

وما تهاون ولاة الامر في « انفرس » في القيام بواجبهم . فقاوموا الالمان حتى الدقيقة الاخيرة . ولم يلقوا السلاح الا بعد نضال عنيف . فانهارت حصونهم تحت قذائف اطلقتها عليهم مدافع عجزوا عن ردّ نيرانها ، واحدث الموت في صفوفهم ثلمات لم يملكوا من الرجال العدد الكافي لسدها . وارهق التعب جيادهم، وضاقت بالجرحى مستشفياتهم وباتت لا تملك ما يساعدها على معالجة المنكوبين . اوتكردست الجثث في خنادقهم وظلوا يناضلون كالابطال ويردون عنهم الجحافل الالمانية. ولم يستطع الالمان دخول « انفرس » قبل ١١ تشرين الاول ١٩١٤ ، وبها استولوا على معظم بلجيكا ، غير ان الجيش البلجيكي لم يقنط من الفوز ، فتراجع الى فرنسا يحارب فيها الغزاة وينتقم منهم لوطنه الشهيد

فرنسا تستعيد الالزاس واللورين ثم تجلو عنهما

زحف الالمان من البلجيك يهدم خطط فرنسا

القائد «بو» يعتذر للالزاسيين وهو يودعهم

الالمان ينتقمون!..

وثبت قوات الامبراطور غليوم يوم اعلان التجنيد في المانيا الى احتلال الديار الفرنسية من انحاء ثلاث. وفي اليوم التالي، وهو يوم اعلان الحرب، خرق الالمان الحدود الفرنسية الشرقية — في ولاية «اللورين» وضواحي «بلفور» — من اماكن متعددة. وفي ٦ اب اندفع الجيش الفرنسي الى «اللورين» واحتل «فيك» و «فيك الوسطى» في جنوبي «شاتوسالان»

وفي اليوم السابع دخلت القوات الفرنسية ولاية «الالزاس». ووفقت في هجومها كما وقفت في «اللورين» وقد استولت فيها على «ساربورغ» و «دلم» و «دياز» و «شاتوسالان». وما لبثت ان احتلت «دياز» و «مورهانج». واستمر التقدم في «الفوج». وفي اليوم الثامن عشر بات الشطر الاكبر من الاودية التي تشرف عليها جبال «الالزاس» في قبضة الفرنسيين. ومن تلك الاودية هدد الجيش الفرنسي «كولمار» و «ستراسبورغ» ودخل مدينة «ملهوس». وهذا الفوز الباهر كان له في باريس، بل في فرنسا باجمعها، اجمل صدى

احتلال الالزاس واللورين

وفرنسا تميل كل الميل الى استعادة هاتين الولايتين المسلوختين منها في حرب ١٨٧٠، وهي ان تكن رغبت في الحرب وخاضتها في سبيل الالزاس واللورين، وكم طالبت بهما، وكم بكت عليهما، وكم غلت الحماسة في العروق لاجل استعادتهما. فتراءى لفرنسا وقد فقدتهما انها اضحت مهيضة الجناح، ذليلة. ولمحو هذا الذل رحبت بحرب ١٩١٤، وشاقها فوزها باحتلال الجانب الاكبر منهما، الا ان اغتباطها لم يكن طويلا. فما طلع يوم ٢٠ آب حتى شعر الفرنسيون بالضغط الالماني، فاستعاد العدو منهم منطقة «دلم — ساربورغ». واضطروا الى التراجع في جهات «نانسي» وفي جنوبي «لونيفيل»

وفي جهات «نانسي» استقر الفرنسيون في القمم العالية وهي اشبه بنصف دائرة محصنة. فدافع عنها الجيش بقوة فائقة وبهمة القائد «كاستلنو» يعضده القائد «ديباي». فالقائدان اظهرا الحنكة والحزم ورباطة الجأش وانقذا تلك القمم من الاكتساح الالماني وكأنهما انقذا فرنسا!

الالمان ينتقمون من اللورين

وابصر الالمان بام عيونهم تأييد ابناء اللورين للقوات الفرنسية فصمموا على الانتقام منهم. واول ما اقدموا عليه اضرام النار في قرية «بادونفيه». فالتهمت ثمانين منزلا بينها منزل مختار القرية. فعاندت امرأته واحتجت فلقيت الموت. على حين ان زوجها ابدى كل مرونة ورباطة جأش وانقذ من ايدي ابناء القرية اسيراً المانياً اوشكوا ان يقتلوه

وما وقف الالمان في انتقامهم عند قرية «بادونفيه»، فالحقد دفعهم الى احراق ضياع متعددة انتصر سكانها للفرنسيين. ومما رواه محافظ ولاية «مورت وموزيل» ان الالمان لم يتورعوا عن الفتك بالنساء والبنات والشيوخ، وانهم قضوا في «بريمينيلي» على خمس ضحايا بينها شيخ ابن اربع وسبعين، وامرأة في العمر نفسه، وهذه المرأة احرقت في منزلها بجانب ابنها الجريح، ولم يبق من ضيعة «باري» غير إطلال

وتوالت حوادث الانتقام. وفي ٢٣ آب لما استعاد الالمان بلدة «لونيفيل» مثلوا في السكان اشنع تمثيل، وخصوصاً في «جربيفييه». فالقائد الالماني «كلوس» وقد احتل هذه البلدة جاء بخمسة عشر رجلا من سكانها وعرضهم لرصاص جنوده. غير ان انتقامه منهم جرى بشكل يكاد لا يصدق. فجلس تحت سنديانه وبسط امامه خواناً رقصت عليه الشمبانيا، وملأ كأسه بهذا الشراب والتفت الى جنوده يقول لهم: عندما ارفع كأسي عليكم ان تطلقوا النار!

ورفع كأسه الى شفتيه يتذوق « الشمبانيا » فيما الضحايا المسكينه تسقط في الارض غائصة في دمائها

ولقيت بلدة « شانتيهيه » ما تعرضت له بلدة « جربيفييه » فالالمان فتكوا بفئة من ابنائها ولم تسلم من التدمير مبانيها . وذلك كان حظ « لونفيل » . فالالمان ادعوا ان الاهلين اطلقوا على جنودهم النار ، اذاً يجب الانتقام من الاهلين . وطريقة الانتقام معروفة ، السلب والنهب والتقتيل . وهكذا كان . بل زادت القيادة الالمانية في الكيد ففرضت الغرامة المالية ، وانذرت حاكم المدينة باداء ستمئة وخمسين الف فرنك ، واذا لم تملك القيادة الالمانية هذه القيمة بعد يومين قضت بالموت رمياً بالرصاص على كل من تجد لديه مالاً او يحاول الفرار

ولم تنج قرية من مآسي الانتقام . فاحرقت في بلدة « مير » ستة وثلاثون منزلا ، وقتل عشرة اشخاص بينهم امرأة . واحرقت في « كرافيك » تسعة وسبعون منزلاً بينها دار القائد « ليوتي » ، وما تحامت القذائف الالمانية نسف دار رئيس الجمهورية « رايمون بوانكاره » في بلدة « سامبينيي »

القائد (بو) في الالزاس

وانهزام الفرنسيين في اللورين دعاهم الى الهزيمة في الالزاس . فقد احتلوا في ٧ آب بلدة « ألتكيرخ » ، وفي ٨ آب هاجموا مدينة « ملهوز » وملكوها . وما لبثوا ان توغلوا في جبال « الفوج » يدعمهم النصر . واذاع القائد « جوفر » في الالزاسيين نداءه الحماسي التالي ، قال :

« بعد اربع واربعين سنة قضيناها في انتظار أليم تنزل الجنود الفرنسية ارضكم . هم طليعة جيش الانتقام والاخذ بالثأر . والامة الفرنسية باجمعها تدفعهم اليكم وقد خطت في مطاوي اعلامهم آيات الحرية والحق . لتحيَ الالزاس ولتحيَ فرنسا !... »

غير ان الفرنسيين ما اقاموا في « ملهوز » يومين حتى اضطروا الى براحها . فقد هاجمتهم فيها قوات المانية اوفر عدداً واستعداداً . ومدينة « ملهوز » مدينة صناعية قديمة ومركز حربي من الطراز الاول . فلم يكن من الفرنسيين الا ان عادوا الى احتلالها بعد معركة عنيفة ادارها القائد « بو »

وفرنسا كانت تعتمد على هذا القائد اللامع في تنظيم قواتها وقيادتها . فهو من اولئك الذين شهدوا حرب ١٨٧٠ وقطعت فيها يده اليمنى . ولقد كان عند ثقة بني قومه به . فابلى البلاء الحسن في قيادة الرجال وفي تسيير المعارك . على حين انه تقاعد منذ عشر سنوات . ولكن الحرب دعته اليها فلبى النداء يخدم امته وبلاده بما يملك من مقدرة واقدام

وفي ٢٠ آب انتقل من « ملهوز » الى « غبويللر » فاحتلها وبات على بضعة اميال من « كولمار » . وفيما يحاول دخول هذه المدينة تناول من القائد الاعلى الامر بالرجوع وقد احتاجت القيادة الى قواته بعد اجتياح الالمان للبلجيك . فتألم القائد « بو » وحزن حزناً شديداً . ولكن الامر هو الامر . فلم يكن عليه الا ان يطيع ، ثم هو لا يجهل الدافع الى هذه الدعوة . فالقائد العام « جوفر » على حق فيها . وظهر تألم القائد « بو » الاضطراره الى براح « الالزاس » في نداء نشره على الاهلين يقول فيه :



القائد بو

قائد الجيش الفرنسي في الالزاس

« نشبت المعركة العظمى بين « موبيج » و « دونون » وعليها موقوف مصير فرنسا ومصير الالزاس « فان مصير الوطن في الشمال . والى هناك يدعو القائد العام قوات الامة جمعاء للقيام بهجوم حاسم . وقد تصرفه مساعينا في وادي « الرين » عما يرجو من فوز ونصر

« اذاً سنضطر الى براح الالزاس موقتاً كي نضمن لها الخلاص التام مع شدة ألمنا لوقوفنا الان عن انقاذ هذه الديار من القسوة الالمانية . انها لضرورة قاسية ينزل عليها جيش الالزاس وقائده متألمين وقد اكرهتهما عليها القوة القاهرة »

ولم يكن القائد « بو » يجهل اي خيبة ستلقى ولاية الالزاس والجيش الفرنسي يتراجع عنها . فلا ريب ان الالمان سينتقمون ممن ساعد هذا الجيش ورحب به . ولقد انتقم الالمان في بدء المعارك من سبعة عشر شخصاً في مدينة « ملهوز » حاولوا دخول البلاد الفرنسية فراراً من اساءة الالمان اليهم . وبعد تقهقر الفرنسيين في ١٠ آب عن « ملهوز » نفسها اطلق الجند الالماني النار على احد الكهنة لكونه اخفى في قبة الجرس نفراً من الجنود الفارين . وفي « ستراسبورغ » اعتقل اربعمئة نفس كرهائن

ومثل هذه التدابير لا تحمل الالزاسيين على المسرة وقد املوا كثيراً فكان ان خابوا كثيراً ، واي خيبة . فنظروا الى الجيش الفرنسي يبتعد عنهم واجمين وانهارت برحيله آمالهم ، وعانوا شديداً من تأديب الالمان

دولة تزحف على باريس

الالمان يغزون فرنسا في بدء الحرب بمليونين ونصف مليون رجل باريس الضاحكة الطروب يسودها الجزع

«فون كلوك» الالماني يهز فرنسا!

مشت الفيالق الالمانية الى اجتياح البلجيك ومنها الى احتلال باريس مشية جبارة ، واثقة ببلوغ هدفها الاسمى ، مؤمنة بقوتها وعزمها ، عابثة في سبيل مشتهاها بالانظمة والمعاهدات ، ساخرة بكل عقبة تقف في طريقها ، مذللة كل حاجز مهما يكن منيعاً ، فهدمت الحصون ، واحتلت المدن ، وهزمت الجيوش . فتوارى من امامها اعداؤها برهبة ورعب



﴿ القائد « فون كلوك » الالماني ﴾
﴿ الزاحف بجيوشه الجرارة الى باريس ﴾

واندفع ذلك الجيش الجرّار بمدافعه وقادته وألويته ، بوجهه القاسي الملامح ، الفولاذي النظرات ، المرفوع الرأس ، البطاش ، الى صميم فرنسا يبغي امتلاكه مثله في سنة ١٨٧٠

وهو اذا احتل صميم فرنسا ، اذا استقر في باريس ، ملك النصر وخضعت له فرنسا من الشمال حتى الجنوب ، من بحر المانش حتى البحر المتوسط ، وسيطر على العالم ، واضحى السيد المطلق ، وبات على يقين باخماد كل ثورة يتقد بها البلد الفرنسي لمناوأته واقصائه عنه . فليس له الا ان يمد قبضته الحديدية ليخنق كل فتنة في مهدها . ولا يبقى عندذاك امام فرنسا الا ان تطأطىء الرأس وتنحني امام الجبار الالماني المنطلق كالنسر الى التهام العظمات

وتدفق هذا الجيش العرمرم دون ما انقطاع كأنه البحر الطامي . تدفق من كل ناحية ، من كل طريق ، من كل منفذ . فهو في كل مكان . في محطات القطار ، في الطرق ، في السهول ، في الجبال . هو سور من لحم ودم انتصب حول فرنسا واخذ يشد عليها الخناق .

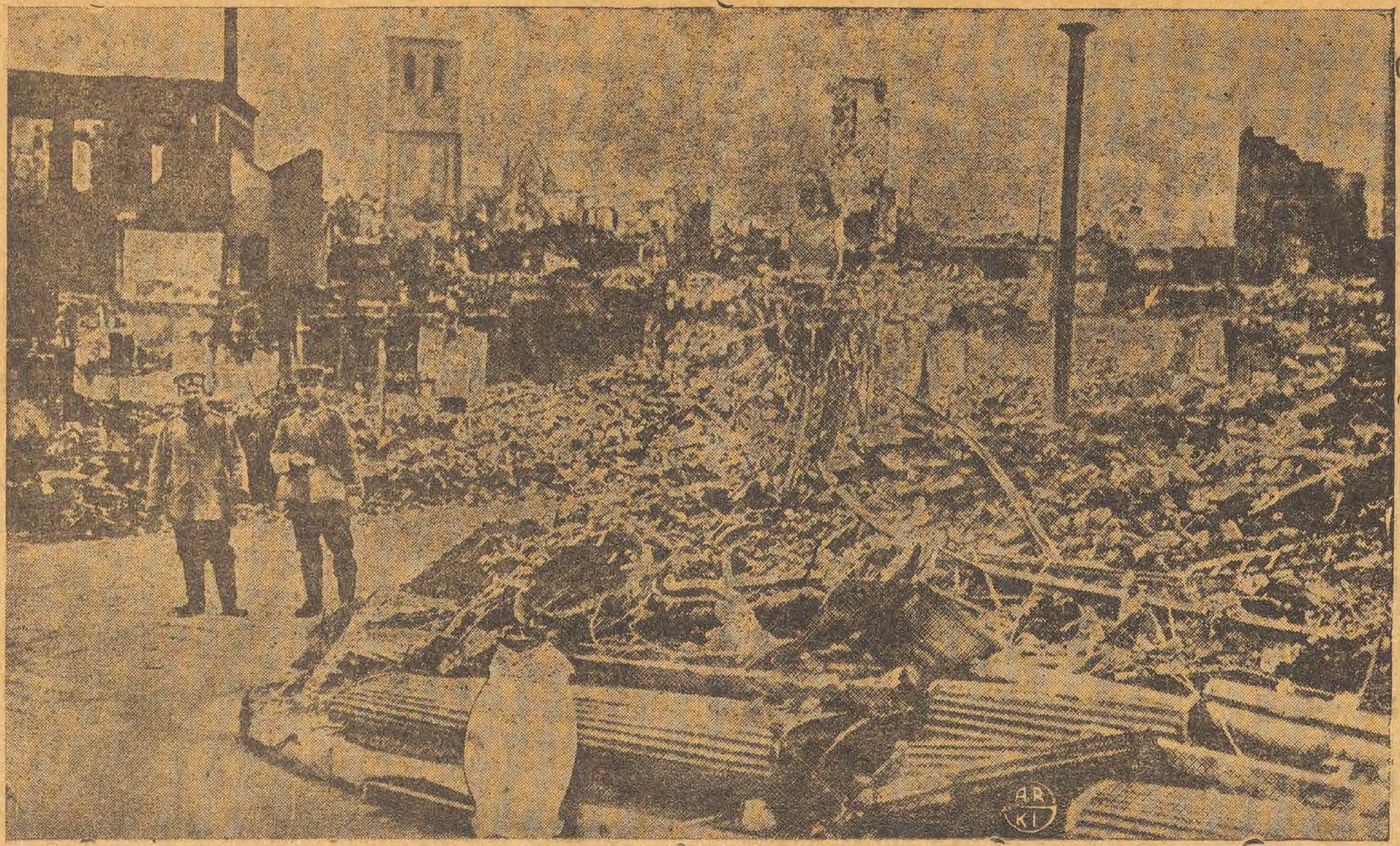
دولة تزحف !...

وانه لجيش منظم كملت معداته واستوفى شروطه . فمن مشاة تلمع بنادقهم ويملأ الرصاص صدورهم وتبدو ملابسهم نظيفة متقنة ، ومن فرسان على جياد مطهمة مرفوعة الرأس كرا كبيها ، ومن مدافع مصقولة مفتوحة الاشداق تقذف من احشائها الموت ، ومن ضباط بخوذاتهم الحديدية الناتئة القمة كأنها تستنزل ويلات السماء على من تحدثه النفس بمعاندتها ، ومن اطباء وممرضين وسيارات ومركبات . هذه دولة زاحفة الى امتلاك العالم !

وما خلا هذا الجيش من اطباء اسنان ، ومن حلاقين ، ومن طباخين . فكان الحلاق يقف في عرض الطريق ويقبل اليه الجنود فيجز شعرهم ، ويشرف احد الضباط على العمل ، فمن لم تجز الالة شعره بدقة اعاده الضابط الى الحلاق ، حتى ولو امسى في قلب الفرقة نفسها ، ودعا الى اصلاح الخلل باهتمام

اسلاك الهاتف على الاشجار

وتنقل جنود على الدراجات يحملون بايديهم اسلاك الهاتف وينشرونها على الاشجار ، فمن شجرة الى شجرة ، مما يساعد القيادة على مخاطبة اي شرذمة كانت بسهولة فائقة



مدينة «ريتل» الفرنسية وقد امست انقاضا بعد تدمير الالمان لها

والقوة المنطلقة الى باريس ليست تقل عن اربعمئة وخمسين الف جندي. فهي تسعة جيوش. وانهزم امامها الفرنسيون والانكليز. وكانت هزيمتهم الكبرى في «شارليروي» وقد تم بها احتلال بلجيكا

الفرنسيون ينهزمون

وفي ٢٢ آب انهزم الفرنسيون في «لونغوي» ، وفي ٢٣ انهزموا على نهر «الموز» . وتوالى الانهزام على طول الخطوط . ووقف الجيش الفرنسي في الشمال والشرق من مدينة «ليل» حتى «ابينال» يصد هذه القوات الطاحنة عن دخول فرنسا . فتولى قيادة الفرنسيين في «ليل» القائد «داماد» يجابه جناح الجيش الالماني الايمن المالك زمامه القائد «فون كلوك» ، وقد سندت هذا الجيش فرقة من الفرسان يتولاها القائد «فون مارويتز» عهد اليه بتمهيد السبل امام القوات الالمانية في البراري واحتلال المدن

واقام الانكليز في «كاتو» . وانتشرت قوات القائد الفرنسي «لانرزاك» من «فالانسيان» و «موباج» الى نهر «الموز» . وما لبث ان حل محله في امر هذه القوات القائد «فرانشه ديسبيره» لمقاومة هجوم الجناح الايسر في جيش القائد الالماني «فون كلوك» يعضده جيش القائد «فون اميخ» المعروف بجيش «الموز»

ووقف بوجه الجيش الالماني الثالث للقائد «فون هوسن» ، والجيش الالماني الرابع للدوق «ده ورتمبرغ» ، القائد الفرنسي «ده لانكل ده كاري» وقد امتدت قواته من «شيماي» و «جينه» الى «مازيار» و «سيدان» و «شارلفيل»

وكان على القائد «ريغاي» ان يصدم الجيش الخامس القابض على ناصيته ولي عهد المانيا بين «لونغوي» و «برياي» وامام «فردون» ، غير ان هذه القيادة انتقلت فوراً الى القائد «ساراي»

ووقف القائد «كاستلنو» امام الجيش الالماني السادس لقائده ولي عهد بافاريا . واستقر القائد «ديباي» امام خط «تول — ابينال — بلفور» يصد عنه الجيش الالماني السابع للقائد «فون هترينجن» ، والجيش الالماني الثامن للقائد «فون ديملينغ»

الهجوم الالماني بشكل مثلث

فالهجوم الالماني على باريس كان اشبه بمثلث واسع الجنبات تلتقي خطوطه في باريس ، بل كان اشبه بمروحة مبسوطة على طول حدود فرنسا في الشرق والشمال . ودعي كل جيش من الجيوش الالمانية الى قطع الطريق على كل قوة فرنسية تقف عثرة في سبيله والى تطويقها

والحق يقال ان الهجوم على فرنسا على طريق بلجيكا ادهش القيادة العامة الفرنسية واكرهها على تبديل خطتها في الدفاع والهجوم . فكانت تعتقد ان الالمان يقتحمون فرنسا من الشرق ويحترمون عزلة بلجيكا ، فاذا بهم يعبثون بهذه العزلة عبثاً عجيباً وينقضون على

فرنسا من الشمال مما دعا القيادة الفرنسية العامة الى تبديل خططها الحربية باجمعها

فرنسا لم تكن على حذر !

ولقد اذاع ، قبل نشوب الحرب ، الكتاب العسكريون وسواهم ما يخشونه اذا وقعت حرب فرنسية المانية . ومما اعلنوا في هذا الصدد ان الحرب اذا وقعت استهانت المانيا بعهودها في الحرص على عزلة بلجيكا وفاجأت فرنسا من الحدود الفرنسية البلجيكية ، غير ان القيادة الفرنسية العليا ابت تصديق هذا المقال . فلم يخطر لها في بال ان الالمان يقدمون على خرق وثيقة تحمل توقيعهم . ولكن الحرب خدعة . وهذه الخدعة لجأت اليها المانيا في مقاتلة اعدائها وحجتها انها تعتمد في حرب ١٩١٤ السرعة وادراك الفوز في اقرب آن مستطاع . وكانت على ثقة بالنصر . فلن يأتي اليها عندما تملك سيادة العالم من يعيرها استخفافها بالعقود الدولية وشعارها في نهجها معروف : «الحق للقوة ! ...»

حدود فرنسا الشمالية غير محصنة

واطمئنان الفرنسيين الى المعاهدة الضامنة عزلة بلجيكا قعد بهم عن انشاء الحصون في حدودهم الشمالية . فوثقوا بالمعاهدات ، بتلك المعاهدات التي قال فيها « بيتمان هولويغ » مستشار الدولة الالمانية يوم اعلان الحرب الكبرى انها حبر على ورق . فجاءت ثقتهم في غير موضعها واحتل الالمان هذه الحدود واستولوا على مدينة « ليل » . ولم يكن بوسع القوات الفرنسية صدهم عن مبتغاهم وهم اوفر عدداً وتنظيما واستعداداً للقتال ، خصوصاً والحدود مفتوحة فلا حصون تحميها ، والقوات ضعيفة وقد فوجئت فرنسا مفاجأة من تلك الناحية. ومع كل اقدام اظهره القائد « داماد » وجيشه ، ومع خبرة هذا القائد الفرنسي العسكرية لم يقو على الدفاع عن مدينة « ليل » . ولقد اتهم فريق من الفرنسيين بهذا النقص في تحصين المدينة القائد « برسان » حاكم المدينة العسكري ، فدافع القائد عن نفسه ونفى كل تبعة عنه ، وايده في ذلك القائد « داماد » نفسه ، وصدق هذا التأييد وزير الحرب السيد « ميلران »

وهكذا تسنى للالمان ان يحتلوا كل مدينة غير محصنة ، على حين انهم وقفوا عاجزين امام الحصون . فما استطاعوا دخول المواقع المنيعة في الشرق وقد ظهر لهم انهم يتعبون باطلا في الاستيلاء عليها . ولمسوا لمس اليد هذا العجز وهم يهاجمون « بلفور » و « ابينال » و « نانسي » و « فردون » . فالحصون الفرنسية ردت كل هجمة عليها وثبتت ثباتاً عجيباً في النضال

ولكن الالمان مع وقوفهم موقف العجز حيالها ظلوا يوائبونها ، وكل قصدهم ان يلهوا الجيش الفرنسي عن حدوده الشمالية وان يصرفوه الى الشرق ، حتى اذا ما اندفعت قواتهم من الشمال الى باريس قطعوا على قوات القائد « جوفر » ، اي على معظم الجيش الفرنسي ، خط الرجوع ، فيبيت الفرنسيون بين المطرقة والسندان ، بل بين حجري الرحى ولا يبقى امامهم غير الموت او الاستسلام

خطة التطويق الالمانى الهائلة

وهذه الخطة ، خطة التطويق ، ظهرت جلياً منذ ٢٠ آب ١٩١٤ في حركات الجيش الالماني . فالالمان بذلوا مجهودهم في الالتفاف على الجناح الفرنسي الايسر . وتولى هذه المهمة الجناح الالماني الايمن. فقاتله الفرنسيون يساعدهم الانكليز ، ولكن الفوز تم للالمان . وتقهقر الانكليز الى « موباج » والفرنسيون الى غربي نهر « الموز». واحتل الالمان « مازيار » . وارتدت القوات الفرنسية والانكليزية عملا باوامر القيادة العليا الى مواقع تسد بها الطريق على الزحف الالماني ، وكان عليها ان لا تبرحها ، الا ان اضطرارها الى معونة البلجيكيين اكرهها على براح هذه المواقع والانتقال منها الى حيث تعضد الجيش البلجيكي القدام ، فظفر بها الالمان واكتسحوا الارض الفرنسية اكتساحاً رائعاً ، ففي ٢٥ آب دخلت قوات الفرسان المالك زمامها القائد « فون مارويتز » منطقة « روبه توركوان » ولم يكن فيها من قوات الدفاع العدد الكافي

الالمان ينتقلون من نصر الى نصر !

واحتلت قوات من الفرسان ايضاً مدينة « ليل » وبلدة «دواي» فيما يدخل الجيش الالماني مدينة « سيدان » بعد معركة حامية

وفي ٢٦ اصطدم الجيش الفرنسي في ناحية « فيرتون » بالحرس البروسي فانزل به خسائر جسيمة . على ان الفرنسيين تراجعوا في منطقة « سان ديه »

وفي ٢٧ انهزم الانكليز في شمالي « سان كانتان » واستسلمت « لونغوي » للالمان. ولكن القوات الفرنسية على نهر « الموز » صدت هجوماً المانياً وغنمت علماً من اعلام العدو

وتوالى انهزام الانكليز فتراجعوا الى « نويون » و « سوني » و « لافير » . واجتاز الالمان نهر « الموز » واتجهوا في ناحية « لاون »

وفي ٢٩ اضطر الانكليز الى التقهقر . فارتدوا الى خط « سواسون — كومبيان » ، ونشبت معارك عنيفة بين الفرنسيين والالمان في « لانوى » ، و « سيني لابابي » و « نوفيون بورسيان » . واحتل الالمان « لانير » ، الا ان الجناح الفرنسي الايسر رد هجوم الجيش الالماني العاشر في « غيز » وفي الشرق



القوات الانكليزية تصطدم في البلجيك بالجيش الالماني وتحاربه بالسلاح الابيض

وفي ٣٠ تراجع الحلفاء الى خطوط نهر « السوم » ونهر « اواز »

فرنسا عاتبة على نفسها

ارتعد الفرنسيون حيال انهزامهم المتوالي . فما كانوا يرقبون هذه الصدمات المستمرة وكانوا اذا استقروا في مكان اقبل الالمان يزحزحونهم عنه . وحسبوا للغد كل حساب . فالمصيبة عمياء كما بدا لهم منها!

والعتب في ذلك عليهم . فقد لاموا انفسهم اشد اللوم لنومهم على حرير فيما المانيا تجاهد وتناضل في طيّ الخفاء لقهرهم واذلالهم. فلم يفكر ولاة الامر فيهم في تحصين الحدود الشمالية بل ابقوها على ما هي فيه من حصون قديمة العهد غير مجهزة بمدافع ضخمة ترد عنها هجمات العدو . وتراءى لهم ان المواثيق محترمة ابداً، وان من العار على الدول ان تزدريها وتدوسها . فكان ان الايام دلتهم على ضلالهم في ما اعتقدوا وتوهموا

ودفعت القيادة الفرنسية العليا قواتها الى الشرق واذا الهجوم الالماني يفاجىء فرنسا من الشمال . وهذا دليل على ان الفرنسيين لم يكونوا على حذر . فناموا واستيقظ سواهم ، بل هم اطلقوا غنمهم في ارض مسبعة فلا عجب اذا تصيدهم الضرغام !

فكانوا يتقهقرون ابداً والالمان يتقدمون . كانوا لا يجدون انفسهم غير مهزومين والالمان يردونهم خاسرين . فادركهم الهلع . وكاد يستولي عليهم اليأس . وفيما يرقبون الاخبار السارة اذا بلاغ القيادة العليا يقع في اذانهم كالنعي قائلاً : « لا تزال الحالة من نهر السوم حتى جبال « الفوج » كما كانت . فهي اليوم مثلها بالامس »

ولم يجهل الفرنسيون ما ينطوي عليه هذا البلاغ في حقيقته وما يرمي اليه . فهو يقول ان الحالة لا تبعث على الامل وان الالمانيين لا يزالون في تقدمهم . وهذه هي الحقيقة . فالالمان ظلوا يتقدمون . كانوا يتقدمون ابداً . وبلغوا نهر السوم » . وبلوغهم نهر « السوم » معناه انهم باتوا على ابواب باريس

اللاجئون الفرنسيون يملأون باريس

والفرنسيون في الديار التي احتلها الالمان لحقوا بالجيش الفرنسي يحتمون به راضين لانفسهم بما يرقبه من مصير ، بل هم سبقوه الى باريس . وباريس كانت تبصرهم يقبلون اليها في حالة مؤلمة ممضة. فتغالب نفسها على الهدوء ولكن الهدوء كان احياناً يخونها ، فتشعر بانها لا تملك اعصابها ، وتنطلق الى الساحات العامة ترقب الحرب بصبر نفد منها ، وتنصت الى انباء السياسة فيها ، وتسائل نفسها : أليس من الضرورة احداث تبديل في الرؤوس ؟

وتقف جموعها امام مصرف الدولة بقلوب يعضها اليأس . ووقع في الاذان ان الالمان انتصروا انتصاراً عظيما وانهم اضحوا في طريقهم الى باريس ، فارتمت الانظار على الانظار بحرقه ولوعة وقطرت الاكباد

دماً. ورأى رئيس الحكومة السيد « رينه فيفياني » ان فوز الالمان صدمة له فاستقال من منصبه واستقالت الوزارة بكاملها، غير ان رئيس الجمهورية لم يشأ ان يبعد عنه السيد « فيفياني » فدعاه الى تأليف الوزارة التالية. ففعل الرجل وتألفت الوزارة الجديدة من « فيفياني » رئيساً، وبريان نائب رئيس ووزيراً للعدل، و « دلكاسه » للشؤون الخارجية، وميلران للحرب، ودومرغ للمستعمرات

حاكم باريس العسكري

وما اعلن تاليف الوزارة حتى عمد رئيس الدولة الى تبديل حاكم باريس « العسكري »، فكان يتولى هذا المنصب القائد ميشال فحل محله القائد « غالياني »

وفي اليوم التالي اذاع الحاكم الجديد نداء يعلن فيه رغبته في توطيد الامن، والسهر على العاصمة الفرنسية، واعجابه بشجاعة القوات الفرنسية وصبرها على المكاره والمتالف، ويدعو الفرنسيين باجمعهم الى المقاومة والتضحية

وما تورع في ندائه عن القول ان روسيا حليفة فرنسا تخطو خطوات الجبابرة الى قلب برلين. وطلب الى بني وطنه ان يبذلوا كل ما لديهم من قوة في الذود عن ديارهم وفي توفير كل ما تحتاج اليه ويقوون عليه. وختم نداءه بقوله: « لنحرص على حدودنا بما لدينا من عزم ومهارة فندرك النصر !... »

مليونان ونصف مليون الماني في فرنسا

وتعاظم التيار الجارف الطاغي على فرنسا. فالالمان لم تنقطع سيولهم. فما انقضى عليهم شهر من الزمن حتى امسوا في ارض فرنسا مليونين ونصف مليون. ولا بد من الاعتراف بمقدرة القادة الالمان وخبرتهم. فكانوا يعرفون الديار الفرنسية ومواقعها وطرقها كما يعرفون ديارهم وبيوتهم فلا تخفى فيها عليهم خافية. ومالوا الى الاعتقاد ان ما من حصن يقوى على الثبات امام قذائفهم الهائلة الهدامة، وان ما لديهم من قوات الفرسان يكفي لاحتلال المدن وللقيام باعمال الارهاب في كل ناحية يهبطون عليها، وان القطر الحديدية اذا تعطلت سدت مسدها السيارات ولدى الجيوش الالمانية العدد العظيم منها

وهذه السيارات كانت تجتاز فرنسا وتجتاحها بصلف وبطر على جبهة طولها ثمانمئة ميل. وشعرت فرنسا بالخطر الداهم وحارت في ما تتخذ من تدابير لاتقائه. فان ما تملك من قوات وما اسعفتها به انكلترا لا يجاوز مليوناً ونصف مليون. وعلى هذه القوة ان تنتشر على طول جبهة القتال دون ان تدري اي موقع من المواقع ينصب عليه جحافل العدو

الانهزام !... ابداً الانهزام !...

وملك الناس الذهول. ففي ٣٠ آب تراجع الحلفاء الى منطقة « اواز »، ومنطقة « السين »، ومنطقة نهر « الموز » العليا

وفي اول ايلول اطلق الالمان نيران مدافعهم على مدينة « سواسون » واحتلوها

وفي ٢ توالت الهزيمة وتراجع الانكليز الى خط « شانتي — نانتاي »

وفي ٣ تراجعوا الى جنوبي « المارن » بين « لاني » و « سيني » وبلغ الالمان « سويب » و « فيل سير تورب » و « شاتوتياري »

وبين ٢ و ٤ ايلول كانوا في مدينة « ريمس » ومدينة « ايبرناي » و « كومبيان » و « بون سانت ماكسانس » و « كراي » و « شانتيي » و « سنليس »

وقيل ان فئة من الكشافين حامت حول باريس. والكشافون يتقدمون الجيش بخمسين ميلاً

فانتشر الذعر في كل نفس. وقليل هم الذين ملكوا رباطة جأشهم. وقال العالم: قضي على فرنسا !...

باريس في بحران !

واقامت باريس تنتظر، باريس هذه المدينة الجميلة، الهيفاء، الضاحكة الوجه والقلب، اقامت تنتظر ما سوف يحل بها

فالعدو اضحى على العتبة، وهي ليست على استعداد للصدمة. فلم ترقب ان تمسي بين ليلة وضحاها فريسة الاعداء. ولو ادركت ان اعداءها سيبلغونها في احد الايام لتولت تحصين نفسها وانشأت حولها الاسوار، ولكنها اطمأنت الى غدها، واطمئنانها مال بها عن كل اهتمام بمركزها الحربي

ولقد اضحت في بحران والالمان يزحفون اليها. فلم تجهل ما كان منهم في الديار التي اجتاحوها. فهدموا ونسفوا وبات الجبل امام مدافعهم سهلاً، والسهل مهواة، والدار العامرة خراباً

فخافت مدينة النور على نفسها وعلى كرامتها وآثارها. وتمثلت التشويه والتدمير يساورانها فجزعت وبحثت عن كل تدبير تتقي به النكبة. وتذكرت ابناءها المندفعين الى القتال، الغائصين في الدم، المضحين بالارواح، فاعتزمت ان تموت شريفة كريمة، لا رخيصة ممتهنة ينظر اليها التاريخ بهزء واحتقار !

ماذا فعل الالمان في الديار المحتلة ؟

ومما حمل باريس على النضال والدفاع حتى الموت عن كرامتها



الانكليز يهاجمون الالمان في مدينة «ليل» ويكرهونهم على الجلاء عنها

ما ظهر لها من الالمان في كل بقعة احتلوها . فوصلت اليها انباء الارهاب واضحة جلية

فان مدينة « ليل » مع كونها ألقت سلاحها ، وقضت على رجال الامن فيها بان ينزعوا مسدساتهم ، واخات الثكنات لا تبقي على جندي واحد بين جدرانها ، لقيت الضغط والشدة

فاقبل اليها في ٣١ آب في السيارة الضابط « فون اوبل » تصحبه فئة من المشاة . فدخل دار المحافظة ونادى اليه المحافظ ومعاونيه . ولقد بادر المحافظ بقوله : ابلغك ان ثلاث كتائب المانية ستنزل في « ليل » . فكن على استعداد لاستقبالها . ولدى عودتي يجب ان ارى محافظ « تور كوان » و « روبه » !

وعاد بعد يومين على رأس الف وخمسمئة رجل يفتش صناديق المال في المحافظة ودار البريد وخزانة الاقتصاد ، فما اهتدى الى سوى ثمانية وعشرين الف فرنك

وفي اليوم التالي تولى قيادة الجيش الالماني في « ليل » الكولونل « غيبيل » وهو استاذ في مدرسة الحرب العليا . فادعى ان احدى الصحف في مدينة « ليل » اهانت الجيش الالماني في قولها عنه « الفيضان التوتوني » — اي فيضان عنصر « التوتون » المنتمية اليه المانيا والنمسا — فكلفها هذا الوصف مئة وخمسين الف فرنك

وفي دار المحافظة هجم « فون اوبل » على المحافظ ورماه عن مقعده وصاح به قائلا : انت تدعو الى التجنيد !

وامسك بخناقه يمنعه من الكلام . وانهال احد الجنود على امين سر المحافظة بعقب البندقية . فاعترض المحافظ . فلم يكن من « فون اوبل » الا ان قضى على المحافظ بالموت رمياً بالرصاص . فعصب له عينيه وقاده الى الجدار يدعو رجاله الى اطلاق النار عليه ، بيد ان السيد « بيكيه » ، استاذ اللغة الالمانية في جامعة « ليل » ، تدخل في الامر وانقذ بحكمته ونفوذه المحافظ المسكين من بلواه

وبعد ساعات قلائل ، فيما الالمان يضجون ويفرضون سلطانهم على الاهلين ، اذا بهم يبرحون مدينة « ليل » تحت التهديد الانكليزي

غرامة مليون فرنك على « فالنسيان »

وفي ٣٠ آب احتل الكولونل « كينتزل » نواحي « فالنسيان » وفرض نفسه حاكما على المنطقة . وقضى على مدينة « فالنسيان » نفسها بان تؤدي غرامة مليون فرنك . وحجته في فرض هذه الغرامة انه لقي بين اوراق مفوض الامن رسالة تهزأ بالامبراطور غليوم الثاني تحت عنوان « وصية غليوم »

ولقد اضطرت المدينة الى اداء الغرامة . فدفعت المصارف النصف والنصف الآخر من اموال المدينة . فاباحت « فالنسيان » مخازنها للجيش الالماني يتقاضى منها نصف المليون الاخر في مقابل قسائم يسلمها الى التجار بدل ما تناول مما لديهم

ولم يوفق الالمان في بلدة « لاون » ، فان احد العاملين في دار

الحكومة حمل الملايين الاثني عشر الممتلئة بها صناديق بيت المال وانطلق بها الى باريس يؤديها الى السلطة العامة

المانيا فوق الجميع

وفي ٣١ آب احتل الالمان مدينة « اميان » وهم ينشدون : المانيا فوق الجميع !

وضرب الضابط « فون ستو كهوسن » قائد القوات الالمانية مدينة « اميان » بغرامة مليون فرنك يستوفي بعضها نقداً وبعضها عيناً . وشاء الضابط الالماني ضمان المبلغ فاعتقل اثني عشر عضواً من اعضاء المجلس البلدي انضم اليهم النائب العام مع بلوغه الثالثة والسبعين من العمر

على ان الاحتلال الالماني لم يطل في « اميان » . فالفرنسيون استعادوا في ١١ ايلول المدينة واقصوا عنها المحتلين وهم ينشدون « المارسيلياز »

القذائف على « سواسون »

وفي اول ايلول اجتاح الالمان مدينة « سواسون » بعدما رموها بالقذائف وهدموا جانباً منها . فنأى الجيش الفرنسي عنها واباحها للقوات الالمانية تنزل فيها ظافرة منصورة

مدافع « فون كلوك » على « سنليس »

وكان على الجيش الالماني لبلوغ باريس ان يمرّ في «سنليس» . فهي في وسط الطريق . على ان المدينة ابت الاستسلام اليه واصرت على المقاومة . فصبّ الالمان عليها نيران المدافع

و « سنليس » مدينة تاريخية قديمة حافلة بالآثار الغالية . الا ان المدفع الالماني لم يحترم آثارها ولا جمالها . فواثبها بقسوة الراغب في الخلاص الوشيك

ويتولى امر هذا الجيش الزاحف الى « سنليس » القائد « فون كلوك » ، فمال عن كل رفق بها وشعاره : « الحرب هي الحرب !.. » فتهدمت كاتدرائيتها القديمة وعهدها يرجع الى القرن العاشر للميلاد .

وما لبث الالمان ان دخلوها بقوة العاصفة يطلقون رصاصهم على كل معاند

ودخل احد كبار الضباط صرح الحكومة يبدي غضبه ونقمته لتردد ممثلي الحكومة في استقبال الجيش الفاتح . فاعلن شيخ المدينة ان الجيش الفرنسي غادر « سنليس » بقضه وقضيضه ، فلم يصدق الالمان الا بعدما تحروا المنازل جمعاء

وعندما يتحرى الجيش الفاتح المنازل لا يحبس يده عن كل ما تطول من خمور . واذا اطلاقة نارية تقلق المدينة . فابدى الالمان غضبهم وحكموا على « سنليس » بالفناء . فاجتاز راكبو الدراجات شوارعها يحملون الزيوت والخرق المبللة بالزيوت ويشعلون فيها النار ويطرحونها في صدر المنازل من النوافذ والابواب

وقُبض على شيخ المدينة واطلق عليه النار . واهينت جثته وقد دفنه الالمان بشكل غريب . فشكوا رأسه في اعماق الارض ورفعوا رجليه في الهواء

جرأة غلام فرنسي

ومما يروى في هذا الصدد ان الالمان قبضوا في ناحية « دوشي » على خمسة عشر غلاماً يشهرون عليهم السلاح . واتفق ان جندياً فرنسياً اصابته رصاصة فارتمى هناك في حفرة ينتظر ان يموت او ان يأتي من يحمله الى المستشفى ليرى الاطباء رأيهم فيه . ولاح لهذا الجندي ضابط الماني يقسو على امرأة فرنسية ، فلم يكن منه الا ان سدد الى الضابط فوهة البندقية واودى به

فامسكه الالمان وقادوه الى ساحة الموت يقاسم اولئك الصغار مصيرهم . وشعر بالعطش يلهب صدره فجاءه غلام يحمل اسم « اميل ديبره » بشربة ماء . وابصره ضابط الماني يرفق بالجندي الجريح فدعاه الى الفتك به فيما الجنود الالمان يرمون برصاصهم الغلمان الاربعة عشر . وسلم اليه بندقية لقتل الجندي الفرنسي . وامره باطلاق النار . واطلق الغلام النار الا انه لم يقتل الجريح وهو من بني قومه ، بل صوب البندقية الى الضابط الالماني ورماه بنارها فقضى عليه

فثأر الالمان ومزقوه تمزيقاً رهيباً بالرصاص ورؤوس الحراب

اسرار الجاسوسية والحرب الكبرى

العدد الثالث



أسياد المجزرة العالمية
الامبراطور غليوم واركان حربه ، والقائد « جوفر » واركان حربه

فى هذا العدد :
الاستعداد لحملة السويس . تنظيم الجاسوسية

الأسرار

١ قرش مصري

الاسرار

مجلة اسبوعية تاريخية تبحث في التاريخ وما اهمله التاريخ

العدد ٣ * بيروت في ٢٠ نيسان سنة ١٩٣٨

الادارة : مكتبة صادر * شارع اللنبي * بيروت

اسرار الجاسوسية في القضية العربية

بقلم فؤاد ميداني

اوضحنا في الجزئين السالفين حالة الدولة العثمانية منذ سقوط السلطان عبد الحميد حتى خوض تركيا الحرب العالمية ، واننا لنتناول في السلسلة التالية حوادث الاتراك بعد اندفاعهم عفواً في المجزرة الرهيبة . وستتجلى حوادث الجاسوسية في ما سنتبسط في نشره ، فيطالع القراء ما وعدناهم به من ايضاح المبهم ، وهو ما اهاب بنا الى عقد تلك المقدمات المسهبة

لما اعلنت الدولة العثمانية النفير العام في شهر اب ١٩١٤ ، اقيمت المظاهرات الحماسية في بيروت ، واقبل شباب العرب اقبالاً عجيباً على قيد اسمائهم للخدمة العسكرية ، لاعتقادهم انهم يقومون بواجب يحتمه عليهم حب الوطن ، وما كانوا لينتظروا ان تعاملهم الحكومة العثمانية تلك المعاملة القاسية التي ظهرت منها في سنوات الحرب الاربع



بكر سامي بك والي بيروت

اخذ له هذا الرسم في بيروت يوم شهرت الدولة العثمانية الحرب على الحلفاء ، وقد ارتدى ملابسه الرسمية ليحضر حفلة عرض الجيش التي اقيمت يومذاك في بيروت

اخلاص البيروتيين

وليس من دليل على شدة اخلاص البيروتيين وحبهم للدولة العثمانية من موقفهم الحماسي في تشرين الثاني ١٩١٤ ، فوردت الانباء بعد ضرب الاسطول العثماني للثغور الروسية ، وبعد ضرب الاسطول الانكليزي لقلعة «الفاو» واحتلالهم البصرة ، ان اساطيل الحلفاء تنوي احتلال بيروت والسواحل اللبنانية ، وازدادت هذه الاشاعات رواجاً على اثر اغراق الباخرة الالمانية على ساحل محلة «الدورة» في بيروت ودخول تركيا الحرب ، وارتياد وحدة من اسطول الحلفاء

شواطئ بيروت . فلم يكن من السكان الا ان اظهروا تمسكهم بالدولة العثمانية ورغبتهم الصادقة في مقاومة الاحتلال الاجنبي ، فنزحوا افواجاً افواجاً عن بيروت . ولما كانت السكة الحديدية يومذاك افضل طرق المواصلات ، اقبلوا عليها بالالوف ، حتى باتت محطة سكة الحديد من رأس

مرفأ بيروت الى محلات اوروزدي باك قطعة واحدة من الاجساد البشرية ،تنتظر القطار لتسافر الى دمشق ،فاضطرت ادارة السكة الى تسيير خمسة قطر في اليوم الاول زيادة على القطر المعتادة ، وتعاظم عدد الراحلين فاضطرت الادارة الى تسيير قطار واحد في كل ساعة الانطلاق بكل تلك الجموع الغفيرة الى عاصمة الامويين

بكر سامي بك يعجب بالبيروتيين

ويدحض بحركتهم اراء ذكي باشا

وبكر سامي بك والي ولاية بيروت — وكان على خصام وقائد الجيش الرابع ذكي باشا — رأى في ما بدر من البيروتيين حجة يدحض بها مزاعم قائد الجيش العثماني الرابع . فكان ذكي بك يقول ان الشعب عدو للدولة العثمانية، يرقب الفرص كي يمد يده الى اعدائها، وهذا الاعتقاد مال به الى المطالبة باستبدال الجنود الاتراك من الجنود العرب، فقاومه بكر سامي بك في هذا الرأي، وذهب الى القول بضرورة الاعتماد لا على البيروتيين فحسب، بل على اللبنانيين ايضاً .فاذا احسنت الدولة العثمانية مداراتهم وعرفت استمالتهم اليها انشأت منهم عنصراً قوياً يساعدها ويؤيدها .لهذا رأى الوالي في هجرة البيروتيين حجة على فساد رأي ذكي باشا ، وهذه الحجة استعان بها انور باشا على ابعاد القائد عن مقام الجيش الرابع في دمشق

واباح بكر سامي بك بالاتفاق وانور باشا للبيروتيين هذه الهجرة على اسبوع بطوله . وبعد هذا الاسبوع اذاع بكر سامي بلاغاً رسمياً نفى به الاشاعة القائلة ان ثمة خطراً يهدد بيروت، واعلن ان لا فائدة من هجرة ابناء البلاد الى الداخل ، فخفت حركة الهجرة ،الا ان الناس على مرور الايام مالوا الى الاعتقاد بحسن نيات الحلفاء ورغبتهم عن ضرب مدينة بيروت التجارية

الخوف يملك الاجانب

والخوف الذي استحوذ على البيروتيين في الايام الاولى من دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية استولى على الاجانب من رعايا الحلفاء وقد خافوا العاقبة ، فاندفع منهم فريق غير قليل الى بواخر الدول المحايدة شاخصين الى بلادهم

حادث طريف

واتفق ان جماعة من اللبنانيين حاولوا الفرار في آخر باخرة غادرت ميناء بيروت. فاقبل مفوض المرفأ يتحراها وهي اميركية. فمنعه الربان ، فابلغه المفوض ان المنع يدعو الى مس الامتيازات الاجنبية . فخاف الربان العاقبة وبقي في المرفأ

وكان في الباخرة ٤٢ شخصاً من اللبنانيين والبيروتيين الذين رأوا الويل في بقائهم في البلاد العثمانية، والدولة العثمانية ناقمة عليهم ، فطلبوا الى الربان ان لا يسلمهم ، فوعدهم خيراً

وكان مفوض المرفأ قد طلب قوة من السلطة العسكرية لتنزل اولئك اللبنانيين والبيروتيين ارض بيروت . فاوفدت السلطة العسكرية قوة يقودها الملازم مظلوم بك . فلما شاهدها الربان وقف على سلم الباخرة ومعه خمسة من رجاله المسلحين وسأل الضابط عما يريد فقال : جئت انزل العثمانيين الفارين !

قال الربان : واذا مانعت في ذلك ؟

— اقتحم الباخرة بالقوة !

— اذاً تفضل !

قال الربان ذلك وامر رجاله باطلاق النار على الجنود العثمانيين اذا حاولوا دخول الباخرة بالقوة

بكر سامي بك يتدخل

وشاهد مفوض المرفأ ما يجري وادرك خطورة الموقف ، فابلغ الامر الى الوالي بكر سامي بك ، وبكر سامي خشي الاصطدام بالولايات المتحدة الاميركية ، فطلب من مرافقه العسكري اعادة مظلوم بك ورجاله . الى مقرهم وان يبيحوا للباخرة متابعة طريقها بسلام وهكذا انتهت المشكلة !

التبعة على مفوض المرفأ

وكتب بكر سامي بك في ذلك تقريراً القى به التبعة على مفوض المرفأ ، فكان من واجبه ان يدرك امر هؤلاء الاشخاص قبل فرارهم الى الباخرة، وان يعلم ان مهاجمة الباخرة بذلك الشكل يسيء الى الدولة العثمانية ، والموقف لا يجيز الاصطدام باي دولة اخرى

كيف بدأت الحملة على قناة السويس

انور يريد الخلاص من جمال فيدعوه الى قيادة جيش سوريا

ماهي شروط انور على جمال ؟..

احمد جمال باشا يصطدم بالقادة الالمان في تنظيم حملة مصر ... واخيراً يلين !

ممن تألفت الحملة على مصر ؟..

في السلطنة العثمانية ثلاثة رؤوس : انور وطلعت وجمال وكانت سياسة جمال تعاكس وسياسة انور . فقد رأى انور في احمد جمال مقاوماً لسياسته في تركيا، خصوصا وجمال اول من اسس اندية « تورك اوجاغي » واستطاع بالاعتماد على هذه الاندية ضم الشبيبة التركية الراقية الى الكتلة التي يستند اليها . فلمس انور في هذه الحركة ما يمس سيادته القائمة على الجيش وفكر في الخلاص من جمال باشا

وكيف يخلص منه ؟ ...

فكر في ذلك طويلا . ولما اقترح عليه الالمان استبدال ذكي باشا قائد الجيش الرابع خطر له ان يستفيد من الفرصة ، فوقع اختياره على احمد جمال باشا وزير البحر

انور يدعو جمالا

ودعا انور باشا اليه احمد جمال ورحب به ترحيباً فائقاً ، وحدثه عن موقف السلطنة العثمانية فقال :

— عزيزي جمال باشا ، انا راغب في تنظيم حملة عسكرية على مصر باجتياز قناة السويس ، وكل قصدي اشغال الانكليز واكراههم على ابقاء قوة كبيرة العدد من جنودهم في مصر مخافة ان يسوقوها الى الجبهة الغربية او الى الدردنيل

« ولتحقيق هذه المهمة انصرفت منذ شهرين الى تنظيم الحالة في سوريا وجهزت قوات الفيلق الثامن تحت قيادة جمال بك المرسنلي (جمال باشا الصغير) لتكون على استعداد

« ولما كان الالمان يبدون كل اهتمام بتجهيز حملة على مصر انتدبت القائد الالماني « فون كريس » لرئاسة اركان حرب الجيش الرابع، على ان يحصر مساعيه باعداد القوة الكافية لافتتاح القناة ودخول مصر ، وهو الان في دمشق

« وانت تعلم ان مساعدة الاهلين ورجال البدو لا غنى عنها . ولقد اوفدت مرافقي الخاص ممتاز بك ، وعبد الرحمن باشا اليوسف عضو مجلس الاعيان ، والشيخ اسعد الشقيري رئيس مجلس تدقيق المؤلفات الشرعية ، والامير شكيب ارسلان وسواهم من اصحاب النفوذ في بلاد العرب ، لمساعدتنا في تذليل العقبات .

« وفوضت الى الفريق ذكي باشا ، قائد الجيش الرابع ، الدفاع عن فلسطين وسوريا ، وكلفت جمال بك العمل مستقلا لتنظيم قضية قناة السويس

ولكن ...

« ولكن ذكي باشا اظهر ضعفاً وقد اعلنني ان ليس في وسعه الدفاع عن البلاد السورية بالقوات الموجودة لديه ، وانه يخشى ان يقدم الحلفاء على احتلال السواحل اللبنانية ، ولذلك فهو يصر على ضرورة انجاده بقوات اخرى . ففكرت في ان استغني عنه وان ادعوكم الى بعض التضحية بقبولكم قيادة الجيش الرابع، وهكذا تساعدون على

تأمين حملة قناة السويس من جهة ، وتحافظون على الامن العام في البلاد السورية من جهة اخرى. أيمكنني ان انتظر منكم القيام بهذه التضحية ؟

ماذا قال جمال ؟...

فاجاب احمد جمال باشا : يمكنكم ان تعتمدوا في ذلك عليَّ ، ولكن لي شروطاً ؟

فقال انور : انا على استعداد لقبول شروطكم كلها !

— اذاً ساوافيكم غداً بها!

شروط جمال باشا

وفي اليوم التالي قدم جمال باشا شروطه وهي :

اولا — السلطة المطلقة في الشؤون السياسية والعسكرية في منطقة الجيش الرابع

ثانياً — بقاء وزارة البحر في عهدة احمد جمال ، على ان يتولى انور وكالتها في اثناء غياب الوزير الاصيل

ثالثاً — ضرورة الوقوف على رأي جمال باشا والحصول على موافقته في كل ما يجري في وزارة البحر من تنسيق واصلاح

رابعاً — امتداد سلطة القيادة الرابعة الى جزيرة العرب كافة وولايات الاناضول الجنوبية ما عدا العراق

خامساً — منح احمد جمال باشا الحق المطلق في اختيار ضباط اركان حربه والضباط الذين يحتاج اليهم في مقر القيادة في سوريا

انور يوافق !...

فوافق انور باشا على هذه المطالب دون تردد ووقعها ساعة رفعها اليه جمال باشا

وفي ٢١ تشرين الثاني سنة ١٩١٤ غادر جمال باشا استانبول في طريقه الى دمشق فكان وداعه مؤثراً شائقاً منقطع النظير

في طريق سوريا

بدأ الغرور يملك جمال باشا منذ غادر استانبول . فالخطب التي القيت في حضرته حملته على الاعتداد بنفسه ، فخيل اليه انه بات قائداً عظيما وانه مقبل على بلاد جديدة يفتحها . ولذا عرج على

« قونيه » لزيارة ضريح مولانا شلبي افندي الشيخ الاكبر للمولوية والتبرك بلثم هذا الضريح . فلقي هناك كل حفاوة وتليت الادعية بنجاحه وتوفيقه

وتابع الموكب سيره في القطار الى « بوزانطي » وهي آخر محطة يصل اليها قطار السكة الحديدية ، والخط الحديدي لم يكن يومذاك مرتبطاً بحلب



انور باشا (الى اليسار) وجمال باشا (الى اليمين)

رأسان من الرؤوس الثلاثة غير المتوجة في تركيا

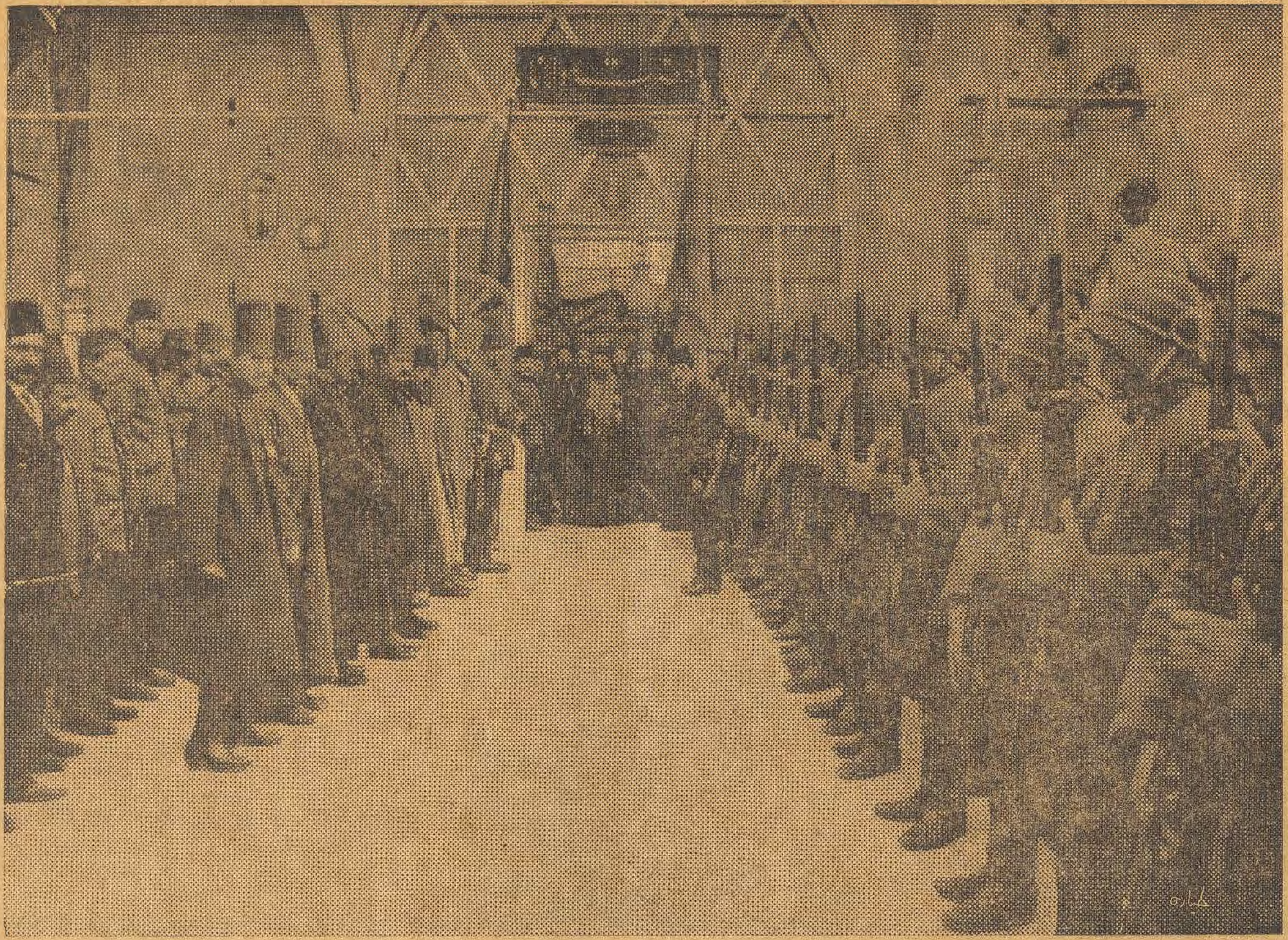
ومن « بوزانطي » امتطى الموكب السيارات الى طرطوس ، فاطنه ، فاسكندرونه ، فحلب ، فحماه ، فحمص ، فبعلبك ، فدمشق. ووصل الى دمشق في اوائل كانون الاول سنة ١٩١٤

حملة القناة

ولا بد من كلمة في حملة القناة . لقد فكر الاتراك في قهر الحلفاء بمهاجمة الروس من القفقاس ، ولكن الخطة بليت بالاخفاق . فبحثت القيادة الالمانية عن طريق آخر تضايق به الدول المتحالفة . ووجدت امامها مصر فخطر لها ان تغزوها

ذكي باشا يعارض في حملة مصر

وعرضت الفكرة على « فون كريس » ، وكان احد افراد



شيخ المولوية يمشي لاستقبال جمال باشا

لما عرج جمال باشا على مقام زعيم المولوية الاكبر للتبرك ، خرج مولانا حيدر شلبي لاستقبال القائد العثماني المقبل للمرة الاولى الى سوريا . وقد ارتدى الزعيم المولوي ملابسه الرسمية مع ان الزعيم الاكبر للمولوية لا يخرج من مقامه لسوى المثول بين يدي جلالة السلطان . وهذا الرسم يرينا الزعيم الاكبر خارجاً لاستقبال جمال باشا تحييه الجنود . والرسم تاريخي نادر ، خصوصاً بعد الغاء الكماليين لطريقة المولوية ، مما حمل خليفة الزعيم على الانتقال الى حلب وفيها يقيم اليوم .

البعثة العسكرية الالمانية في استانبول، فوافق عليها واعلن نجاحها.

ولما كان ذكي باشا قائداً للجيش الرابع عهدت اليه القيادة العليا بامر هذه الحملة . فابدى ذكي باشا رأيه بصراحة وجرأة في تقرير ضافي الذيول وافى به القيادة العليا واظهر لها ما في اعداد تلك الحملة من خطر وضلال ، قال في تقريره :

« اقدامنا على مثل هذه الحركة ، ونحن نرى خطوطنا الحديدية في فلسطين لا تتعدى محطة «سان سباستيا» البعيدة عن نابلس احد عشر ميلا ، امر خطر جداً ، خصوصاً متى علمنا ان هذه المحطة تبعد عن قناة السويس ٥٢٠ ميلا ، منها ٢٩٠ ميلا للطرق الممتدة الى بئر السبع والبقية في وسط صحراء التيه القاحلة المحرومة الماء والغذاء

«ولو فرض اننا تمكنا من تذليل هذه المصاعب فيظل لدينا اقتحام الضفة الاخرى من القناة وقد اقام فيها الانكليز قلعة حصينة بما جهزوها به من معدات واعتدة حربية حديثة ... »

القيادة لا تحفل برأي ذكي باشا

الا ان القيادة لم تحفل باراء ذكي باشا. فكفت يده عن حملة القناة وفوضت امرها الى الفيلق الثامن لقائده جمال المرسيني ورئيس اركان حربه « فون كريس »

وبدأ « فون كريس » اعداد الحملة منذ وصوله في اواسط تشرين الاول سنة ١٩١٤ الى دمشق ، حتى اذا ما اقبل احمد جمال باشا في ٦ كانون الاول سنة ١٩١٤ كانت هذه القوة مؤلفة من عشرة طوابير مشاة ، وثلاثة بلوكات للمدافع الرشاشة ، وبطاريتين مدافع

جبلية ، واربع بطاريات صحراء سريعة ، وبطارية خفيفة ،وبطارية للقذائف عيار ١٥ والاي هجين، وطابور استحكام

الحملة على السويس

وهذه القوات انتخبت من خيرة افراد الفرق ٢٣ و٢٥ و٢٧، فاضحى سائر رجالها المكلفين الدفاع عن البلاد السورية ضعافاً .

وتألفت الحملة — وقد اطلق عليها اسم « حملة مصر » — من قوات القلب يتولاها القائمقام علي فؤاد بك ، ومن الجناحين الايمن والايسر

وقوات القلب تعدّ ٣٧١ ضابطاً ، واحد عشر ألفاً ومئة وستة واربعين جندياً ،و ٨١١ جواداً للركوب ، و ١٨ هجيناً ، و ١٥٠ اكاراً، و ١٤٤٤ جملا

وقوات الجناح الايمن مؤلفة من ٣٣ ضابطاً، و ١٣٨٦ جندياً ،و٥٥ جواداً للركوب ، و ٩٥ اكاراً ، و٤٣ جملا

والجناح الايسر مؤلف من ٣٢ ضابطاً ، و ١٢٥٢ جندياً ، و٢١ جواداً للركوب ، و٤١ اكاراً، و٤٧ جملا

فبلغ مجموع هذه القوات المعدة لتكون طليعة الجيش العثماني في اقتحام قناة السويس ٤٣٦ ضابطاً ، و١٦٨٠٠ جندي

وتقرر ان تكون المؤخرة الفرقة العاشرة المقيمة في ذلك الحين في فلسطين

وهذه القوة محرومة الطائرات، واللاسلكي ، وسواها من الوسائل العسكرية الفنية الحديثة

***

والخطة التي رسمها « فون كريس » تدعو قوات القلب الى السير من بئر السبع في خط مستقيم ووجهتها الاسماعيلية

ويسير الجناح الايمن من بئر السبع الى الجهة الساحلية فيجتاز غزة فالعريش فالقنطرة

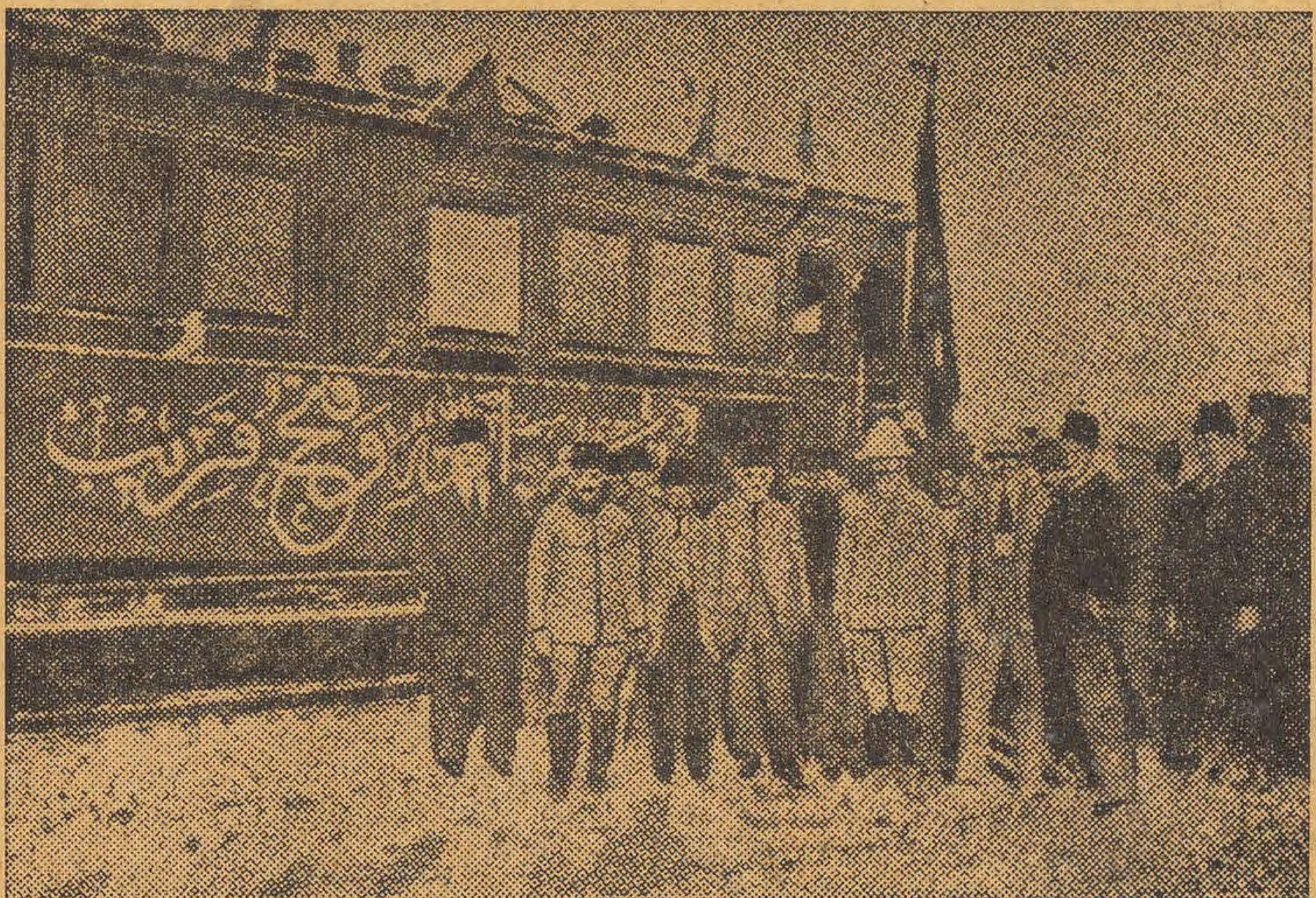
ويتجه الجناح الايسر الى قلعة النخل فالسويس

هذه خطة حملة مصر . عليها ان تسلك طريقاً مجهولا هو الصحراء . والصحراء لا تُعرف الى ابعد من « حفير العوجة » ، وما بعدها فمجهول، ومع ذلك تقررت هذه الخطة واجبرت القوات والمدفعية الثقيلة وسواها من معدات القتال على التوغل فيها

جمال وفون كريس يصطدمان

الا ان هذه الخطة لم ترق احمد جمال باشا وقد ادرك عدم فائدتها في بلوغ الهدف الرامي اليه . فاصطدم بالقائد الالماني « فون كريس » اصطداماً عنيفاً كاد يكون شبه مبارزة

الا ان رغبة احمد جمال باشا في استعادة مصر ، وقد عاهد على هذه الاستعادة مودعيه في محطة حيدر باشا في استانبول ، اهابت به الى التخفيف من غلوائه. فتساهل في امور متعددة كان يرغب في المعاندة فيها.



جمال باشا يركب القطار ليتولى قيادة حملة مصر

شاء فريق من انصار احمد جمال باشا ، فيما القائد العثماني يركب القطار الى فلسطين ليشترك في حملة قناة السويس ، ان يتوددوا الى الرجل صاحب النفوذ العالي ، فزينوا له قطاره وكتبوا عليه بحروف كبيرة : « نصرٌ من الله وفتح قريب ! ... » كما يبدو في هذا الرسم التاريخي الماثل للعيان

واخيراً تم الاتفاق على منهاج الحملة كما يلي :

اولا — منع الاحمال الثقيلة الخاصة بالجيش . وتنزيل احمال كل ضابط الى ١٥ كيلو فقط . والاكتفاء بخيمتين للمرضى في كل طابور

ثانياً — لكل جندي في اليوم ٦٠٠ غرام خبز ، و١٥٠ غرام بلح ، و٩ غرامات طعام آخر

ثالثاً — تأليف خمسة طوابير جمال لنقل الماء والارزاق للجيش

رابعاً — خطة السير : القيام من الرقاد الساعة ٤ ، السير الساعة الخامسة والنصف ، الراحة الاولى السابعة والنصف ، السير من ١٢ الى الواحدة والنصف ، ومن الثانية الى الرابعة



خامساً — تقوم ادارة الاعاشة قبل سير القوات بانشاء مراكز امامية لتموين الجنود وحيوانات النقل

سادساً — تتحرك القوات من دمشق في اليوم الاول من كانون الثاني سنة ١٩١٥ وفي ٢١ منه تنطلق من بئر السبع الى القناة .

***

وقرر احمد جمال ان يكون على رأس هذه القوة ليؤمن لنفسه الفوز فعقد اجتماعاً وزع فيه الاعمال على القادة ، وفي ١٥ ك الثاني ١٩١٥ غادر وضباطه دمشق شاخصاً الى القدس ، فاستقبله فيها الجيش كما استقبله الاهلون بمزيد الترحيب . ومكث جمال واركان حربه في القدس نحواً من اسبوعين اعدوا فيها التدابير لتجهيز حملة قناة السويس التي بدأت في شهر شباط اعمالها الحربية

خريطة سير الحملة العثمانية الى افتتاح مصر

تمثل هذه الخريطة صحراء سينا والطرق التي سلكتها الحملة العثمانية فيها لافتتاح قناة السويس . وباستطاعة قراء «الاسرار» الاعتماد عليها في تتبع سير الحركات الحربية التي قام بها الاتراك لاحتلال مصر . والحراب الظاهرة في الرسم والبادية من بئر السبع تدل القراء على اتجاه حركات الجيش

بعد اقالة جاويد باشا من قيادة جيش العراق

القائد سليمان العسكري يحشد قواته لاستعادة البصره من الانكليز

بينما يستعد احمد جمال باشا في خلال شهر كانون الثاني ١٩١٥ لاجتياح قناة السويس اذا سليمان بك العسكري يصل الى بغداد ويحل محل جاويد باشا في قيادة جيش العراق. ولم يكن منه الا ان نظم الجيش على الشكل التالي :

اولا — «فرقة دجله». تؤلف من قوات «دجله» ويضاف اليها ثلاثة طوابير من المشاة وبطارية للقذائف اقبلت من استانبول وحلب وعهد بقيادتها الى «الضابط حليم بك المعروف بمهاجر حليم»

ثالثاً — رتل «الحويزة». وقد تألف من فوجين من المشاة وسرب من الخيالة، ونصف فرقة من المدفعية، وفرقة من العشائر يبلغ عدد افرادها ثلاثة الاف. وتولى امر هذا الرتل محمد فاضل باشا الداغستاني

واشتهر فاضل باشا في شعبة «التشكيلات المخصوصة» المالكة زمام الجاسوسية في جبهة القفقاس.

رابعاً — رتل الناصرية يقوده الضابط علي بك. وتألف هذا الرتل من تسعة افواج من المشاة، «وكتيبة خيالة»، واربع بطاريات



❋ حملة الهجن الانكليزية في العراق ❋

بعد احتلال «البصرة» اعتمد الانكليز في انتقالهم كل خطة ناجحة. فانشأوا الخطوط الحديدية — كما اشرنا الى ذلك في العدد الفائت من «الاسرار» — وما ترددوا في الاستعانة بالهجن كما يبدو في «هذا الرسم». فان قوة من فرقة الهجن تسير في طريقها الى القرنة على ضفاف دجلة

ثانياً — فرقة العشائر. وقد تمكن سليمان بك العسكري من تأليف هذه الفرقة من عشائر ابو محمد في لواء العمارة. وفوض امرها الى ثلاثة من الضباط العثمانيين وقد قسمها الى ثلاث فرق وجعل مقرها الرئيسي في التل الاخضر الواقع في الهور تحيط به المياه والبردى والقصب، وهو على بعد عشرة اميال من القرنة

اما العشائر التي اشتركت في هذه الحوادث فمؤلفة من عشائر «ابو محمد» وهي من العشائر العربية القوية، تعد ١٩ الف نسمة بينها الف خيال. وقد اظهرت اخلاصاً شديداً وتضحية لا يستهان بها في الاعمال الحربية ومقاومة القوات الانكليزية الزاحفة الى العراق.

مدفعية صحراء وبطاريتين جبليتين وما يزيد على ثمانية آلاف محارب من العشائر العربية والكردية

وحشد سليمان بك العسكري هذه القوات بجوار موقع «المزيبلة — عران» للزحف على الاهواز والالتفاف على الجيش البريطاني الايمن واجباره على التقهقر

واتصلت هذه التدابير بقيادة القوات الانكليزية فحولت حركاتها من هجوم الى دفاع وانشأت معسكراً محصناً في المزيرعة على ضفة دجلة اليسرى وقباله القرنة

الا ان سليمان بك العسكري ما لبث ان دبر خطة اخرى تقضي في شهر شباط ١٩١٥ بمهاجمة البصرة من طريق الساحل العربي

تنظيم الجاسوسية في السلطنة العثمانية

انور باشا وبهاء الدين شاكر يتوليان تعيين الجواسيس في تركيا

عيون الاتراك على البلاد العربية

الفدائيون ينشئون لهم عصبة لارهاب معارضيهم من ارباب المناصب الكبرى

قاضي الموصل ضحيتهم الاولى !

وفيما الجيوش العثمانية تمشي الى احتلال مصر من جهة ، والى استعادة البصرة من جهة اخرى ، فكرت دار الجاسوسية في استانبول في بلاد العرب

اجتماع سري

وفي ١٥ كانون الاول سنة ١٩١٤، اي بعد رحيل احمد جمال باشا الى سوريا ، عقد اركان دار الجاسوسية العثمانية اجتماعهم الاول في ديوان وزير الحرب انور باشا

وحضر هذا الاجتماع بهاء الدين شاكر بك الذي ولي رئاسة هذه الدائرة بعد تعيين سليمان بك العسكري للقيادة في بغداد ، كما حضره قره كمال بك، وخلوصي بك،وضياجوهر بك . وبسط انور الدافع الى عقد الاجتماع السري فقال :

انور يوضح موقف جمال في سوريا

وموقف سليمان العسكري في بغداد

— تولى صديقنا سليمان بك العسكري القيادة في العراق ، وجمال باشا القيادة في سوريا ، وكلاهما منصرف الآن الى التدابير العسكرية الواجب اتخاذها ، الاول لاخراج القوات الانكليزية التي احتلت البصرة وضواحيها، والاخر لاحتلال مصر . وكلاهما، وحالته كما نعلم، لا طاقة له على مساعدتنا . فان دور الاستخبارات لديهما تهتم هناك بدرس الموقف . ولما كان يهمنا الوقوف على وضع الانكليز في مصر ، والاتصال بالامراء العرب في الجزيرة ، ولا سيما بالامام يحيي وابن السعود وابن الرشيد ، والادريسي ، ومتابعة الاعمال الحربية في طرابلس الغرب تحت ادارة السيد احمد الشريف السنوسي ، دعوتكم الى تقرير منهاج نبلغ به اهدافنا !

بهاء الدين شاكر يتكلم

فاجاب بهاء الدين شاكر: من الواجب في بادىء الامر الاتصال بالسيد احمد الشريف السنوسي.وهو اتصال نريده مكيناً ما دمنا نستعد لمهاجمة مصر من ناحية قناة السويس. ومن الفائدة لنا ان يكون السنوسي في جانبنا لنضرب الانكليز في مصر من ناحيتين ، من قناة السويس وطرابلس الغرب !

دار الجاسوسية العربية

وبعد اخذ ورد طويلين في الموضوع تقرر انشاء دار للاستخبارات العربية يتولاها بهاء الدين شاكر بك ، وحددت اعمالها كما يلي :

تتولى هذه الدار شؤون الاستخبارات في البلاد العربية كافة وترتبط رأساً بانور باشا

يختار رئيسها بهاء الدين بك بالاتفاق وانور باشا الرجال الموثوق بهم للقيام باعمالها . ولها وحدها الحق المطلق في الاطلاع على اسماء هؤلاء الرجال الحقيقية . اما في المكاتبات والمخاطبات فهم يحملون الارقام والرموز ويتخاطبون بها . ولا يجوز ان يقف احد على اسرار

هذه الارقام والرموز

ينتخب افراد هذه المؤسسة من جواسيس يقيمون في البلاد، ومن جواسيس يقومون بالعمل في الخارج

اما الجواسيس العاملون في قلب السلطنة العثمانية فمن الواجب اختيارهم من ابناء البلاد سواء كانوا من الاهلين او من العسكريين . وهذا القسم من الجواسيس على درجات ، اولى وثانية وثالثة ورابعة . واصحاب الدرجة الاولى يتصلون مباشرة ببهاء الدين شاكر ويطلعون على ما لديه من شؤون يبلغونها ارباب الدرجة الثانية، وهؤلاء ينقلونها الى ارباب الدرجة الثالثة ، وهؤلاء الى الرابعة

ولارباب الدرجة الاولى الحق في معرفة من هم دونهم . اما الرابع فلا يحق له ان يعرف سوى رئيسه ورئيسه من ارباب الدرجة الثالثة



﴿بهاء الدين شاكر بك﴾ الرئيس الاعلى لدائرة الاستخبارات العثمانية وهو من الذين مثلوا دوراً خطيراً في القضية العربية. وهذا الرسم اخذ له في نهاية سنة ١٩١٤

جواسيس الاتراك خارج تركيا

اما في خارج السلطنة العثمانية فينتظم الجواسيس الذين تستعين بهم تركيا في فئتين. الاولى الجواسيس الذين تعينهم دار الاستخبارات العامة في البلاد العربية الخارجة عن حدود السلطنة العثمانية ، سواء في بلاد عربية خاضعة للنفوذ الاجنبي او شبه مستقلة. وهؤلاء ينقلون الى دار الجاسوسية العامة ما لديهم من اخبار ويتلقون ما تدعوهم اليه من اعمال

والفئة الاخرى الجواسيس الذين ترى دار الجاسوسية ايفادهم بمهمات الى الخارج لمختلف الشؤون

شعبة مقاومة الجواسيس

وتؤسس في الوقت نفسه شعبة تتولى مقاومة الجواسيس الاجانب في السلطنة العثمانية

ومهمة هذه الشعبة بث العيون على الجواسيس الاجانب، او الافراد المشتبه بانهم من الجواسيس الموفدين الى السلطنة العثمانية، ولا سيما الى البلاد العربية الخاضعة لتركيا. ومهمتها ايضاً مقاومة اعمال هؤلاء الجواسيس بصورة حازمة ومخادعتهم في حركات الجيش

على ان تمنح هذه المؤسسة سلطة واسعة لتسيير اعمالها، ويرتبط رئيسها ببهاء الدين شاكر بك

دار الفدائيين

وتنشأ دار خاصة ترتبط بانور باشا وبهاء الدين شاكر بك دون سواهما ويطلق عليها اسم دار الفدائيين

ومما يفوض الى هذه الدار تنفيذ الاوامر الواردة عليها من انور وبهاء الدين دون ما تردد او اعتراض، ويكون رجالها ممن يوثق بهم ولا يبطئون في تنفيذ ما يدعون اليه دون اي ممانعة كانت وفي اي وقت كان

اجتماع آخر لتقرير شؤون اخرى!...

وبعد جلسة ١٥ كانون الاول سنة ١٩١٤ اجتمع انور وبهاء الدين شاكر في جلسة ثانية بتاريخ ١٧ كانون الاول من السنة نفسها وقررا :

اولا — انتداب عبد الحميد صادق بك احد رجال انور باشا المخلصين المقيمين في القاهرة لتسيير شعبة الاستخبارات في مصر. وعلى بهاء الدين شاكر بك ان يتفق واياه على تأمين المخاطبات والمكاتبات للحصول على الانباء في حينها

ثانياً — ارجاء الاتصال بامراء الجزيرة العربية الى وقت آخر، على ان يتولى محمود نديم بك — وكان مكتوبجي ولاية اليمن وحاكم صنعاء — ادارة حركة الجاسوسية في اليمن والبلاد العربية الاخرى

ثالثاً — انتداب نوري بك — شقيق انور باشا — للسفر الى طرابلس الغرب لتحريض السيد احمد الشريف السنوسي على متابعة الثورة على ايطاليا وامتلاك شؤون الجاسوسية في تلك الانحاء ، على ان تمتد سلطته الى المنطقة الادريسية والبلاد العربية المجاورة ، وان

ويكون نوري بك ذا سلطة واسعة في تقرير خطة العمل واتخاذ التدابير الناجعة في فوزه بمساعيه والاستعانة بمن يعتمد عليهم من الرجال

يعين رؤساء القسم الاول بهاء الدين شاكر، ويرسلون قبل اول كانون الثاني سنة ١٩١٥ الى المناطق الموكولة اليهم ليبدأوا عملهم، وعليهم اختيار من هم دونهم قبل ١٥ يوماً من وصولهم.

ويتولى حسام الدين كامل بك رئاسة شعبة مقاومة الجواسيس ويبدأ عمله فوراً. وعليه ان يختار مساعديه قبل رأس السنة الجديدة، ويتولى رئاسة شعبة الفدائيين مفيد بك

الفدائيون في البلاد العربية

واسس مفيد بك في البلاد العربية فرع الفدائيين الاول. ولم يكن الباعث على انشائه سوى خدمة انور باشا نفسه وتأييد نفوذه

وبدأ مفيد اعماله في ٢٠ كانون الاول سنة ١٩١٤، ومع ان الفرع لم يكن يزيد في عدد رجاله على مفيد بك نفسه وخمسة من الفدائيين، ابى هؤلاء فور امتلاكهم زمام اعمالهم الا ان يقوموا بما يثبت وجودهم. فاتفقوا فيما بينهم على القيام باعمال خطيرة

جناية الفدائيين الاولى

فلما اقدم الانكليز على ضرب قلعة الفاو في ٦ تشرين الثاني سنة ١٩١٤ واخذوا يتقدمون الى البصرة كان الوالي غائبا. فتولى العمل بالنيابة عنه قاضي المدينة. والنظام العثماني ينص على ان القاضي يتولى منصب الولاية الاول لدى غياب الوالي

ولما اصبح الانكليز على ابواب البصرة واقبل صبحي بك، قائد الحامية، يستشير القاضي في الامر، نصحه القاضي بان يسلم المدينة ويرحل عنها.

وحجة القاضي وجيهة. فهو يعلم ان ليس في وسع القوات العثمانية الضعيفة مقاومة الانكليز. وان يكن لا بد من المقاومة ففي خارج البصرة لئلا تتعرض المدينة للتدمير تحت القذائف الانكليزية.

فوافق القائد على هذه النصيحة واظهر القاضي اخلاصاً لدولته اذ لم يبق في البصرة، بل اتجه الى بغداد ونزل في احد فنادقها المعروف باسم «فندق عبد الاحد» وكان بامكانه لو ظل في البصرة ان يلقى من الانكليز كل الاحترام.

وفي الفندق...

ومفيد بك، رئيس عصبة الفدائيين، وقد اطلع على هذا الخبر، طاب له ان يدشن اعماله بجريمة يذهب لها صدى. ففكر في قتل القاضي. ومما دعاه الى ذلك اعتقاده ان ارتكاب هذه الجناية يساعده حتما على ارهاب ارباب المناصب العرب، فلا يميل احد منهم الى العبث بمصالح الاتراك



❋ عبد الرسول احمد هادي ❋
الفدائي الذي فتك بقاضي البصرة. وله سلسلة من الجنايات ارتكبها في البلاد العربية سيطالع القراء تفصيلها في حينه.

واستدعى اثنين من رجاله، هما عبد الرسول احمد هادي، ويوسف الموصلي، وكلفهما القيام بهذه الجناية.

ومساء ١٤ كانون الثاني كان القاضي قتيلا في فندق عبد الاحد في بغداد. ووجدت بجانبه رقعة كتب عليها: «هذا جزاء من يسلم البلاد الى العدو !...»

وظل امر الجريمة سراً حتى يومنا هذا كما نعتقد. الا ان المصادر الموثوقة وافتنا بالخبر الصحيح وهي تقول ان الفدائيين المذكورين، عبد الرسول ويوسف، هما اللذان ارتكبا الجريمة. وكان مقتل قاضي البصرة بدء سلسلة من الجرائم ارتكبت في العراق ننشرها في تواريخها



❋ يوسف الموصلي ❋
وهو اشوري الاصل اندفع مدفعي في جانب العثمانيين ثم انقلب عليهم في اخر الحرب. وله وقائع مهمة

طرابلس الغرب لا تزال قبلة انظار الاتراك

نوري باشا شقيق انور يركب البحر الى طرابلس حاملا السلاح
الاخوان شاتيلا يساعدان على تهريب الاسلحة

جعفر العسكري يسافر الى طرابلس ويعود بمطالب السنوسي من الدولة العثمانية وبعهوده لها – بدء النفور بين انور وجمال!

فيما يتسلم مفيد بك شؤون العصبة الفدائية دعا انور باشا اليه شقيقه نوري بك ومنحه بعد ايام رتبة «باشا» وابلغه اي مهمة انتدبه لها بالاتفاق وبهاء الدين شاكر بك. وعهد اليه بسلطة مطلقة لاتخاذ التدابير التي تقتضيها المهمة، قال:

ــ هدفنا الاساسي من ايفادك الى طرابلس الغرب تأمين معاونة السنوسيين لنا على حدود مصر. ومقاومة جواسيس الانكليز. ونقل كمية من السلاح والمال الى السنوسيين. وتوطيد دعائم فروع الجاسوسية العثمانية في طرابلس الغرب وبلاد العرب

وكان يومذاك جعفر باشا العسكري، الوزير العراقي الذي قتل عام ١٩٣٦ في الثورة التي دبرها بكر صدقي باشا، برتبة يوزباشي واشتهر في حروب طرابلس الغرب وقد ابلى البلاء الحسن فيها. فاختاره نوري باشا ليكون رفيقه في مهمته. وكان جعفر العسكري في استانبول فاتفق واياه نوري باشا على ان يشتريا من البلاد اليونانية اما يحتاجان اليه من اسلحة، ويستأجران باخرة تحمل هذه الاسلحة الى طرابلس الغرب

محيي الدين وسعد الدين شاتيلا

واهتم نوري باشا باختيار سائر معاونيه. فوقع على اثنين من البيروتيين كانا قد اشتركا في حوادث طرابلس الغرب، احدهما في البلاد اليونانية وهو محيي الدين باشا شاتيلا، والاخر في بيروت وهو سعد الدين بك شاتيلا. وطير الى الثاني برقية يدعوه فيها الى اثينا يصحبه كمال بك ومحمد بك الجبالي للاشتراك في اعمال الاستخبارات العربية

وكمال بك كان مرافقاً لمصطفى كمال باشا في حرب طرابلس الغرب سنة ١٩١٢، وهو اليوم من نواب المجلس الوطني الكبير. والثاني كان قائمقام «طبرق» احد الاقضية في طرابلس الغرب، فغادرها وجاء بيروت بعد احتلال الايطاليين لذلك القضاء

وفي اليوم الخامس من شهر كانون الثاني سنة ١٩١٥ وصلت الى مرفأ «بيرايا» اليوناني الباخرة «شكيلا» قادمة من بيروت وعليها سعد الدين بك (باشا) شاتيلا وكمال بك ومحمد بك الجبالي، فاستقبلهم على متنها السيد محيي الدين شاتيلا

ونزل محيي الدين الى البر وشقيقه وكمال بك، وهو سلانيكي الاصل، لكونهما يحملان جوازات سفر تشير الى انهما من التبعة اليونانية، اما الاخير فمنعه رجال الشرطة من النزول بحجة ان جواز السفر الذي يحمله مزور، وانه ليس من اليونانيين. واعادوه الى الباخرة ينزل منها في جهة اخرى.

فلم يرق ذلك الاخوين. على ان محيي الدين شاتيلا ما لبث ان عمد الى طريقة مكنته من تهريب محمد بك الى اثينا وقد تقرر ان يجتمعوا فيها بنوري باشا.

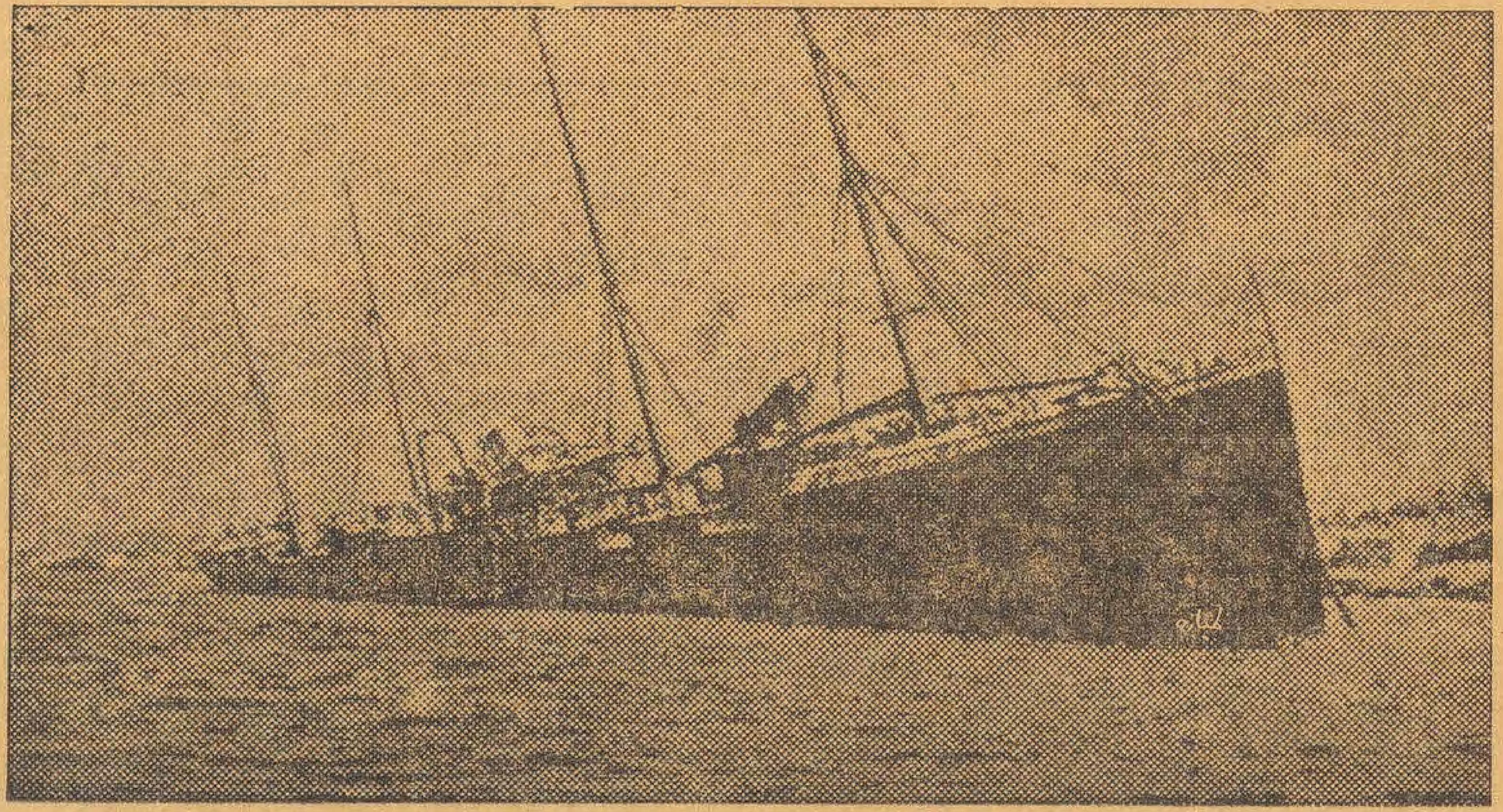
مشترى السلاح

وفي السابع من شهر كانون الثاني سنة ١٩١٥ وصل الى اثينا نوري باشا شقيق انور باشا وجعفر بك (باشا) العسكري ونزلا في فندق «اكروبولدي». وفي اليوم نفسه وصل الاخوان شاتيلا والاخوان كمال ومحمد الجبالي وعقدوا اجتماعاً بسط فيه نوري باشا القصد من مجيئه الى اثينا وهو شراء السلاح وحمله في باخرة الى طرابلس الغرب. فتولى الامر محيي الدين شاتيلا وقد تمكن في ايام معدودة من القيام بما دعي اليه وأخفى السلاح في باخرته المعروفة باسم «انجيلوكلالوبولو» يقودها الربان «فانجيلي». وعند منتصف ليل ١٥ كانون الثاني سنة ١٩١٥ استقل نوري باشا وجعفر العسكري وكمال ومحمد جبالي ومحيي الدين شاتيلا الباخرة بصفة كونهم من الذوتيين العاملين فيها وابحرت بهم الى طرابلس الغرب

وما كادت هذه الباخرة الصغيرة تجتاز بهم جزر الارخبيل حتى هبت عليهم عاصفة شديدة رأى معها الربان ان من الصعب متابعة المسير.

فمال بالباخرة الى جزيرة صغيرة قائمة على مقربة من جزيرة «كريت» واضطروا الى البقاء اربعة ايام فيها

الا ان هذا الانتظار الممل حمل نوري باشا ورفاقه على القلق. فما صدقوا ان العاصفة تعوق سير الباخرة هذه الايام الطويلة. ورأوا في الامر مكيدة دبرها السيد محيي الدين شاتيلا لايقاعهم بين ايدي



باخرة محيي الدين شاتيلا تحمل الذخيرة الى طرابلس الغرب

رسم الباخرة «انجيلو كلالوبولو» التي اقلت القافلة العثمانية الاولى الى طرابلس الغرب وركابها نوري باشا شقيق انور ورفاقه. وقد اخذ لها هذا الرسم عند ساحل سلوم

الحلفاء، ولذا ابتعدوا عنه واخذوا يتشاورون فيما بينهم في طريقة انقاذ الموقف. وشعر السيد شاتيلا بما انتابهم من سوء ظن فاقبل اليهم يقول:

— يظهر لي منكم انكم على ارتياب في امري. ولمحو هذه الريبة رأيت ان ادفع الباخرة الى البحر مهما يكن من امر المخاطر التي نتعرض لها. فاستعدوا للسفر، فان يكن هناك خطر فاني لعلى استعداد مثلكم لاحتمال اعبائه!

السفر في كل حال

واندفع الى ربان الباخرة وامره بالسفر، فاحتج الربان بان العاصفة تمنعه من المسير وتهدد الباخرة. فلم يأبه السيد شاتيلا لهذا الاحتجاج واصر على المسير فوراً. فاذعن الربان وانطلقت الباخرة في جو عاصف شديد المخاطر تعاني اهواله مدة اثني عشر يوماً حتى وصلت في ساعة متأخرة من الليل الى ساحل «دفنه» جوار سلوم.

وهناك وقفت واسرع اليها زعيم قبائل «المنفه»، وكان يقطن ورجاله السواحل — وكلهم مخلص للسيد احمد الشريف السنوسي — فتسلم منهم ما في الباخرة من سلاح واكرم مثواهم، واوفد من يبلغ السيد احمد قدومهم

في مضارب السنوسيين

وبعد يومين كان الاربعة، نوري وجعفر ومحمد وكمال، في مضارب السيد احمد في جوار السلوم. فاستقبلهم السنوسي بحفاوة متناهية.

واطلعه نوري باشا على الدافع الى مجيئه، وهو الاطلاع على نياته تجاه الدولة العثمانية. فاظهر السنوسي استعداده لمساعدة الجيوش العثمانية في حروبها. وعرض على نوري باشا شروطه، وهذا نصها:

اولا — يعاهد السيد احمد الشريف السنوسي على اعلان الحرب على الدولة التي تحارب الدولة العثمانية ويرى في اعدائها اعداء له

ثانياً — لا يعقد معاهدة او صلحاً معاية دولة كانت من الدول المتحاربة دون ان توافق على ذلك الحكومة العثمانية

ثالثا — يعترف بالسيادة الدينية لجلالة الخليفة العثماني على بلاده ويكلف الحكومة العثمانية تمثيله في الخارج

رابعاً — تستعين الحكومة السنوسية بالعثمانيين لتنظيم جيشها وسائر ما تحتاج اليه

وفي مقابل ذلك يطلب السيد احمد الشريف السنوسي ما يلي:

مطالب السنوسي من تركيا

اولا — تعترف الحكومة العثمانية وحلفاؤها المانيا والنمسا والمجر باستقلال البلاد السنوسية تحت سيادة احمد الشريف السنوسي استقلالا تاما.

ثانياً — تقر هذه الدول بالامارة على البلاد السنوسية له ثم لاولاده وحفدته متسلسلة بالارث

ثالثا — تؤيد هذه الدول نفسها الحاق المناطق المتاخمة لبلاده بامارته، وتقر بسيادته عليها عندما يحتلها حرباً ويرغب سكان تلك المناطق في الالتحاق به

رابعاً — تقدم له المساعدات اللازمة من مال وسلاح والضباط المتخصصين ليتسنى له القيام بهذه الاعمال

عودة جعفر العسكري

وعلى اثر هذه المفاوضات اجتمع نوري باشا برفاقه وتم بينهم الاتفاق على ان يظل نوري باشا وكمال بك ومحمد بك جبالي في المنطقة السنوسية للاشراف على ادارة الاعمال في تلك الجهات ولينظم نوري

الطلبة المحافظين وكلهم من حفظة القرآن الكريم الذين يتكوّن منهم حرس السيد احمد الشريف السنوسي الخاص ، وعددهم من ٨٠٠ الى ٨٥٠ شخصاً

ثانياً — الآلاي الاول وهو مؤلف من الطابور الاول ومركزه في «بئر واعر» ويبلغ عدد افراده الف مقاتل ، وهو القوة النظامية الاولى التي ظلت في طرابلس الغرب . ويدير اموره ضباط



مضارب السيد السنوسي في طرابلس الغرب

﴿في صحراء طرابلس الغرب استقبل السيد احمد الشريف السنوسي الوفد العثماني . وفي هذا الرسم مضارب الشريف لما استقبل﴾
﴿في آخر كانون الثاني سنة ١٩١٥ ضيوفه العثمانيين﴾

باشا حركة الجاسوسية فيها

وتقرر ان يعود جعفر باشا العسكري الى تركيا حاملا مطالب السيد السنوسي وما عرفه عن القوات السنوسية

ولما كانت الباخرة التي اقلتهم الى جوار السلوم عادت ادراجها ، فعلى جعفر العسكري ان يتنكر ويسافر الى تركيا بطريق مصر

قوات السنوسي الحربية

وفي اواخر كانون الثاني سنة ١٩١٥ غادر جعفر باشا العسكري السلوم الى مصر حاملا ما وفق له من معلومات . ومما جاء في تقريره عن قوات السيد احمد السنوسي ان هذه القوات تتألف اولا : من طابور

عثمانيون . ولدى هؤلاء بطارية من الرشاشات

ومن الطابور الثاني ومركزه «النموذج» . وهو نظامي كالاول مؤلف من الف جندي وفيه بطارية من الرشاشات

ثالثاً — الآلاي الثاني المؤلف من سبعة طوابير غير نظامية الاول مركزه المنفه ، والثاني مركزه العواقير ، والثالث مركز البراعصة ، والرابع مركزه الحاسة ، والخامس مركزه طوارق ، والسادس مركزه تبو ، والسابع مركزه اولاد علي

وقوة هذه الطوابير تختلف بما تقتضيه الاحوال وهي ليست نظامية بحتة بل يديرها زعماء العشائر ، الان عدد كل طابور لم يكن يقل عن ٥٠٠ مجاهد .

رابعاً — الخيالة .وهذه الف خيال . وقوات المدفعية وهي ضعيفة وليس فيها ما يزيد على ٥٠ مدفعاً خفيفاً

خامساً — لدى السيد احمد معمل كان للجيش العثماني اعده لاصلاح البنادق وملء الخراطيش الفارغة ، وهو تابع لقيادة القوة النظامية .وبامكان هذا المعمل اعداد ما ينقص هذه القوات من ذخيرة

سادساً — يستطاع جمع قوة من خمسة الى سبعة الاف مقاتل



جعفر باشا العسكري في ملابسه العثمانية

رسمه في رحلته الى طرابلس الغرب يوم كان يحمل ورفاقه السلاح والذخيرة الى السيد السنوسي

آخرين اذا توفر لهذه المنطقة ما تحتاج اليه كما اوضح ذلك السيد السنوسي في مطالبه

العسكري في القدس

وقد استغرقت رحلة جعفر باشا العسكري من السلوم الى يافا نحواً من شهرين . ذلك ان هذا الضابط العربي اضطر الى اخفاء حقيقته كضابط عثماني والتنقل في جهات مصر .ولقي مركباً شراعياً وصل به الى يافا في اليوم الرابع من شهر نيسان سنة ١٩١٥ ، وفي اليوم التالي قصد القدس وقابل احمد جمال باشا ، وكان فيها ، واطلعه على ما اتفق له منذ غادر ونوري باشا العاصمة استانبول حتى بلوغه القدس

جمال يغضب لتدخل انور في الامر

وبدل ان يطرب جمال باشا لرؤية جعفر العسكري ، وثمة ما يساعده على اجتياز قناة السويس واحتلال مصر ، ابدى كل اشمئزاز ومانع في نصرة جعفر العسكري لامرين،اولاً :لرؤيته انور يتدخل في امور لم يطلعه عليها ، وثانياً : لعدم رغبته في تحقيق اراء سواه

ولهذا عمد الى مماطلة جعفر العسكري قائلاً له انه سيعرض الامر قريباً على القيادة العامة

ولكنه لم يعرض شيئاً على انور ، حتى انه لم ينبئه بقدوم جعفر الى القدس . واكبر دليل على اغفاله امر العسكري البرقية الواردة عليه من انور تقول :« بلغنا ان اليوزباشي جعفر العسكري عندكم ، اطلعونا على نتيجة مساعيه »

برقية جعفر الى انور باشا

فابرق عند ذاك جعفر الى انور باشا يعلمه وجوده في سوريا ويبين له خلاصة مطالب السنوسي والتقارير التي تسلمها منه جمال باشا

وفي آخر نيسان تلقى جمال برقية تدعوه الى مساعدة جعفر ووردت على جعفر نفسه برقية تقول :

انور يوافق على مطالب السنوسي

« وافق فخامة وكيل القائد العام ووزير الحرب العثماني على شروط السيد احمد الشريف السنوسي باجمعها ، وسيرسل اليكم قريباً صورة مصدقة من مجلس الوزراء عن قبول هذه الشروط لتسلموها الى السيد احمد الشريف السنوسي

« واعطي احمد جمال باشا الامر ليجهز لكم مركباً تعودون به الى السلوم مع مقدار من المال والذخيرة .

« عليكم بالسفر في اقرب وقت ممكن لتحقيق الهدف الاسمى الذي تعملون له — رئيس اركان الحرب : كال»

حديث العسكري لجمال باشا عن الانكليز

هم يقومون باستعداد خطير في مصر

وعلى اثر هذه البرقية قابل جعفر باشا العسكري احمد جمال باشا وابلغه ان الموقف شديد الخطورة . فالانكليز يقومون في مصر باستعدادات عسكرية كبيرة . وقد رأى في « الاسماعيلية » عدة بواخر تقل جنوداً ووجهتها العراق لتعزيز الموقف العسكري هناك ،

كما ان الكثيرين من الجنود في القاهرة يرسلون الى مواقع الحرب في قناة السويس والى حدود مصر الغربية . وختم جعفر باشا العسكري حديثه قائلا :

— ومما يزيد في خطورة الموقف العسكري ان الانكليز عمدوا الى تحصين الحدود الغربية المتاخمة لحدود طرابلس الغرب . ومن الواجب والحالة هذه ان نعمد الى اغتنام الفرصة قبل استعدادهم التام . والا بتنا لا نقوى على القيام باي تدبير من شأنه دفع القوات السنوسية الى قلب مصر !

مماطلة جمال باشا

ولكن هذه الحجج الصادقة لم تحدث تبديلا في خطة احمد جمال باشا . فود احمد جمال ان ينقلب السنوسي على الدولة العثمانية ما دام اقدم على مساعدتها باشارة من سواه دون ان يؤخذله في الامر رأي . ولهذا اخذ يماطل في ابداء رأيه . ووعد جعفر العسكري بان يدرس الموقف بعد انهائه اعماله في القدس . وطلب منه ان يذهب الى بيروت وينتظر تعليماته فيها ، اذ انه ابرق الى فخري باشا وكيل قيادة الجيش الرابع لاتخاذ التدابير اللازمة

خطورة الموقف

والتقارير الواردة على القيادة العليا من عبد الحميد صادق بك ، رئيس شعبة الجاسوسية في القاهرة ، تدل على ان الحلفاء يستعدون استعداداً عظيماً لمكافحة القوات العثمانية الزاحفة الى مصر وفيها يقول عبد الحميد صادق : « وصلت في ٣٠ اذار سنة ١٩١٥ الى الاسكندرية عشر بواخر تقل الجنود الفرنسيين الذين اوفدتهم الحكومة الفرنسية لنصرة الجيش الانكليزي في الدفاع عن مصر

« واستقبلت هذه القوات في الاسكندرية بحفاوة زائدة ، ومشت في عرض عسكري امام قائدها الجنرال « داماد » الذي اقامت له الجالية السورية اللبنانية المقيمة في مصر حفلة شائقة وذلك يوم الاربعاء في ٣١ اذار

« وفي المساء سافر القائد « داماد » الى القاهرة فقابل السلطان حسين ، وعند الظهر تغدى على مائدة السلطان . وعند ظهر الجمعة في ٢ نيسان ادبت الوكالة الفرنسية في القاهرة مأدبة غداء على شرف القائد « داماد » حضرها ٢٥٠ شخصاً من اعيان مصر والانكليز وبعض اللبنانيين والسوريين الموجودين في القاهرة

« وعلمت ان القائد « داماد » تولى القيادة العامة للقوات الفرنسية . وسيشرف في الوقت نفسه على السواحل السورية واللبنانية والفلسطينية وتقرر القيام ببعض الاعمال على الحدود ! »

وورد تقرير آخر من هذا الجاسوس بتاريخ ١٠ نيسان سنة ١٩١٥ على احمد جمال باشا يقول فيه : « غادرت ميناء الاسكندرية ثلاثة طرادات فرنسية . وقد علمت ان الاوامر التي تناولتها تنص على ضرورة اقامة حصار بحري شديد على الملاحة العثمانية . فالحلفاء ساءهم كما علمت رؤية السفن الشراعية العثمانية تواصل اعمالها كالمعتاد فقرروا فرض حصار شديد على الشواطىء العثمانية وضرب بعض المراكز واغراق المراكب الشراعية »

ومع ذلك لم يهتم جمال باشا

ومع هذه التقارير الصريحه لم يهتم احمد جمال باشا بالامر وكان منصرفاً بكل قواه الى تدبير الاستعداد اللازم لحملة القناة الثانية

ضرب غزه

وجاءت الانباء تؤيد اقوال دار الجاسوسية العثمانية . ففي ظهر الاربعاء في ١٤ شباط سنة ١٩١٥ اقدم طراد فرنسي على ضرب زورقين شراعيين في جوار الساحل بالقرب من (حفير العوجه) فاغرقهما ، الا ان ركابهما نجوا والطراد انذرهم بالامر ، فاقاموا في زورق للطراد والقيت القذائف على المركبين فغرقا .

وصباح الخميس في ١٥ منه لحق الطراد نفسه بزورق شراعي كان يمخر عباب البحر في جهات غزة ، ولما انذره الطراد بالوقوف عاد ادراجه الى غزة نفسها . وهناك اضطر الطراد الى ضرب معسكر العثمانيين في هذه المدينة فقتل ثلاثة جنود وجرح عشرة . وهؤلاء ضحايا الحرب الاولى في البحر . ودام الامر ٤٠ دقيقة . وما لبث الطراد ان برح شواطىء غزة

ضرب عكا

وساد السكون المنطقة البحرية . فان هذه الحوادث التي اتصلت بالملاحين العرب اقلقتهم فامتنعوا من دفع زوارقهم الى عرض البحر

وظهر السبت في ١٧ نيسان سنة ١٩١٥ بدا الطراد في جهات عكا فطارد مركباً شراعياً قاصداً الى حيفا فاغرقه . وفي الوقت نفسه اطلق قذائفه على جسر الناعمة القائم بين عكا وحيفا فهدمه رغبة منه في قطع خطوط المواصلات العثمانية البرية

ومع ذلك فلم يهتم جمال باشا ، وابرق جعفر العسكري الى انور يبلغه ما الت اليه الحال

اسرار الحرب الكبرى

بقلم كرم ملحم كرم

باريس الضاحكة تنتظر هجوم الالمان وهي مقفرة كالصحراء!

حكومة فرنسا تنتقل الى مدينة «بودرو»

القائد «غالياني» يتولى الدفاع عن باريس بقوة وحزم ويعمد الى تحصينها

الطيارات الالمانية فوق باريس!



﴿ القائد غالياني الفرنسي ﴾
﴿ وهو الذي حمى باريس من الهجوم الالماني ﴾

وجزعت باريس!

جزعت للانباء المؤلمة المتساقطة في اذنها كطعنات الخناجر والمدى! ووقفت وهي تمسك قلبها بيدها تقرأ مصيرها من خلال سطور البلاغات المقتضبة

واضطربت الاراء في موقفها. وذهب فريق الى ضرورة فتح ابوابها للعدو دون ان تحاول امراً، كما جرت الحال في «بروكسل» صوناً لصروحها وروائعها، فيدخلها الالمان بروح المسالمة اكثر منهم بروح العدوان

لكن ثمة من ناهض هذا الرأي ونادى بضرورة المقاومة. فاعترض عليه الفريق الاول بقوله: اما رأيتم ما اصاب «لياج» المدينة التي قاومت الالمان بقوة السلاح؟... لقد تهدمت مبانيها ودكت حصونها وباتت مشوهة دميمة!

غير ان هذا المنطق لم يؤثر في المتصلبين. فوثقوا بالجيش الفرنسي، وبمواهب حاكم باريس العسكري الجديد القائد «غالياني»، وبمناعة

تلك الجبال المرتفعة حول المدينة المكللة بالحصون، وبشجاعة قوات المدينة نفسها وكلها على اهبة للقتال

تحصين باريس

واشتغل ستون الف جندي في تطويق باريس بالاستحكامات. واقبلت الى العاصمة جيوش متعددة . وكل هذه المظاهر دلت على ان المعركة الكبرى الحاسمة قريبة الوقوع

وهدم القائد « غالياني » الدور التي لا فائدة منها المشيدة حول باريس . واذاع رئيس المجلس البلدي منشوراً يحرض فيه كل من لا نفع منه على براح العاصمة. وجرى احصاء لمعرفة المقيمين في المدينة والى كم يحتاجون من الغذاء

الهدوء والجزع في كل مكان

وتبدلت باريس عنها في ايام الحرب الاولى . فالضجة التي سادتها همدت وحل محلها السكون. فالطلاقة التي قابل بها الباريسيون اعلان الحرب تلاشت، والهتاف والتصفيق لم يبق منهما اثر . وصيحات باعة الجرائد تذيع ما في الصحف من انباء انطفأت ، والاحاديث المشتعلة حزماً واندفاعا طويت ، والحوادث المؤسفة التي وقعت لدى اعلان المجزرة ، بان اطبق فريق من الناقمين على مخازن الالمان والنمسيين يحطمون ابوابها ويبيحون ما فيها للنهب والسلب ، امحت كأنها لم تقع . فالحكومة شددت في حفظ النظام . واعلن مدير الامن في نداء قاسي اللهجة ان كل من يعكر سكينة العاصمة يطرح امام المجلس الحربي

الملاحون يحرسون باريس

ورحل معظم الباريسيين عن مدينتهم بالقطر والسيارات .وقام رجال البحر بحراسة المدينة . فكانوا يلتقون في الشوارع بحراس الليل . ولقد تنكرت باريس لعارفيها . فمن عرفها قبل اعلان الحرب وفي الايام الاولى من المجزرة الكبرى جهلها يوم دخل الالمان فرنسا يزحفون الى عاصمتها

النساء والاطفال والشيوخ يرحلون عن باريس

الحكومة تنتقل من باريس الى « بوردو »

وبدل تلك الجحافل الجرارة المندفعة يوم اعلان الحرب الى ميادين القتال بحماسة وطلاقة امتلأت الشوارع بالشيوخ والنساء والاطفال الهاربين من وجه العدو الزاحف بخيله ورجله الى عاصمة فرنسا

والحكومة نفسها ، حكومة فرنسا ، برحت في ٢ ايلول العاصمة الى « بوردو » . ودعي مجلس الشيوخ والنواب وسائر المصالح العامة الى اللحاق بها ، كما دعي مصرف الدولة الى الرحيل حاملاً امواله الطائلة

والصحف الكبرى نفسها توارت عن باريس ، فمنها ما لجأ الى « ليون » ومنها ما ظهر في « بوردو »



❋ رجل وامرأته في موقف الوداع ❋
❋ مظهر من المظاهر المؤثرة لدى وقوع الحرب وتقاطر ❋
❋ الرجال الى توديع نسائهم في رحيلهم الى ميادين القتال ❋

الحكومة تبدي عذرها ..

ولتبرير هذا الانتقال رأت الحكومة ان تقول كلمتها فيه . فملأت جدران العاصمة ببلاغ يعلن اضطرارها الى براح باريس تجاه الزحف الالماني. قالت: « الحالة الحاضرة تفرض على رئيس الجمهورية وعلى الحكومة تدبيراً مؤلماً. فمن واجب السلطات العامة الموكول اليها السهر على الانقاذ الوطني ان تبتعد في هذه الاثناء عن مدينة باريس . ونزولا على طلب السلطة العسكرية ينتقل مقر الحكومة الى حيث يظل على صلات مستمرة بسائر نواحي البلاد . ولم تبرح الحكومة باريس الا بعد تأمينها الدفاع عن المدينة وحصونها بكل ما تملك من وسائل ناجعة . وهي تعلم ان الشعب الباريسي الكريم يغنيها عن دعوتها اياه الى الهدوء والصبر ورباطة الجأش ... »



الجنود الفرنسيون ينشئون الاستحكامات حول باريس

القائد «غاليانى» يخاطب ابناء العاصمة

وتكلم القائد «غالياني حاكم باريس العسكري فخاطب حامية المدينة وسكانها بنداء وجيز الا انه حازم قال فيه: «لا برح رجال حكومة الجمهورية مدينة باريس كي يزيدوا في قوة الدفاع عنها. لقد توليتُ حماية باريس من العدو المكتسح. هذه المهمة ساقوم بها حتى النفس الاخير!»

وتوالى رحيل الناس عن العاصمة. وخلت احياء في غربي المدينة من ساكنيها. فمن سار اليها تراءى له انه في مدينة مقفرة. فالابواب والنافذ باجمعها اغلقت. فما بقي في الدور ديّار ولا نافخ نار. ومعظم المحلات والمخازن اقفلت ابوابها

ولم تزدحم الشوارع بالمارة مثلها من قبل، فالناس وقد نفروا من باريس جعلوا من المدينة الحافلة بالملايين صحراء قاحلة تصفر فيها الريح، وتكاد العين لا تقع في الشارع الطويل العريض على سوى مركبة تتهادى ببطء كأنها في مأتم، وعلى سوى راجل مطرق كئيب

واحياناً كان يمرّ اليوم بطوله على شارع رحيب تكثر فيه الاقدام كشارع «الشانزيليزه» فلا تنطلق فيه سيارة واحدة. وهذا شأن سائر الشوارع الانيقة في قلب باريس. فكانت تبدو عريضة وسيعة. والمكان اذا خلا من الناس بدت الرحابة فيه وساد القوم الحذر. فاذا مشوا نقلوا ارجلهم بدقة كأنهم يخشون السقوط، واذا تكلموا تبادلوا الكلام بصوت خافت كأن حولهم جواسيس. فكل شيء صار الى الهدؤ، الى السكون، وكثيراً ما نابت الايدي والعيون عن اللسان. وارهفت الاذان، واتجهت الانظار الى الافق، الى الفلك، تود ان تسمع ما تهدر به الابعاد، تودّ ان تعلم اين امسى الالمان من باريس؟

ومن بقي؟...

ومن بقي في باريس اذاً؟...

لم يبق فيها غير الجيش، ولقد انضم الى هذا الجيش قوات من الانكليز. وبقي فريق من الشيوخ والنساء والمشوهين، بقي هؤلاء الذين قضت عليهم الضرورة بالبقاء. وكانوا يغالبون انفسهم على المجاهدة. كانوا يظهرون رباطة الجأش على ما بهم من جزع ورعشة

ولم تكن تعرف باريس بعض ايامها السالفة في سوى الاحاد. فالباريسي لا يطيق يوم الاحد الانزواء في داره. فهو يميل الى الانطلاق من الوكر. وهذه العادة لم تتبدل فيه حتى في اثناء الحرب. فالشوارع كانت تمتلىء بالقوم، وخصوصاً الساحات، فتغص ساحة «لا كونكورد» بالجموع، وتحيط الجماهير بتمثال «ستراسبورغ» وتمثال «ليل»، وتندفع الى ساحة الاهرام «البيراميد» تطوق تمثال «جان دارك» وتجلله بالازهار، وتسير الى المضارب العسكرية وهي تنشد «المرسلياز»

الطيارات الالمانية فوق باريس

وفي ٣٠ آب شاهد الباريسيون للمرة الاولى طيارة المانية تسبح في جو باريس على علو الفي متر. فنظروا اليها وهي تجول في سمائهم بدهش وخوف. فاطلقت قذائفها على رصيف «فالمي» وشارع «ماره» وشارع «ريكوله» وشارع «فيناغريه» فقتلت فيه امرأة طاعنة في السن. وتلا اطلاق القذائف رمي المناشير. وكانت هذه المناشير تقول: «الجيش الالماني اضحى على ابواب باريس، فما عليكم ايها الباريسيون الا ان تعلنوا الاستسلام!...»

وعادت الطيارات الالمانية الى باريس في اول ايلول، وفي يومه الثالث حاولت المحاولة نفسها، ثم انتهى كل شيء!

الالمان يندفعون الى نهر «المارن»

وفي صباح ٥ ايلول، فيما يوقع في لندن رجال التحالف الثلاثي ذلك البيان الذي يعاهدون فيها على رفض كل صلح منفرد، طالع الباريسيون بلاغاً يقول ان الالمان مالوا عن باريس ومشوا الى الجنوب الشرقي منها

والحقيقة كل الحقيقة ما اذاع البلاغ. فالالمان، عملاً بخططهم الحربية، شاؤوا قهر الجيش قبل احتلال المدينة. ولذا اهملوا باريس ريثما يهزمون الجيش الفرنسي المعسكر على ضفاف «المارن» تحت لواء القائد «جوفر»، حتى اذا ما نالوا مناهم منه دخلوا العاصمة يحتلونها دون ما حذر وخوف!

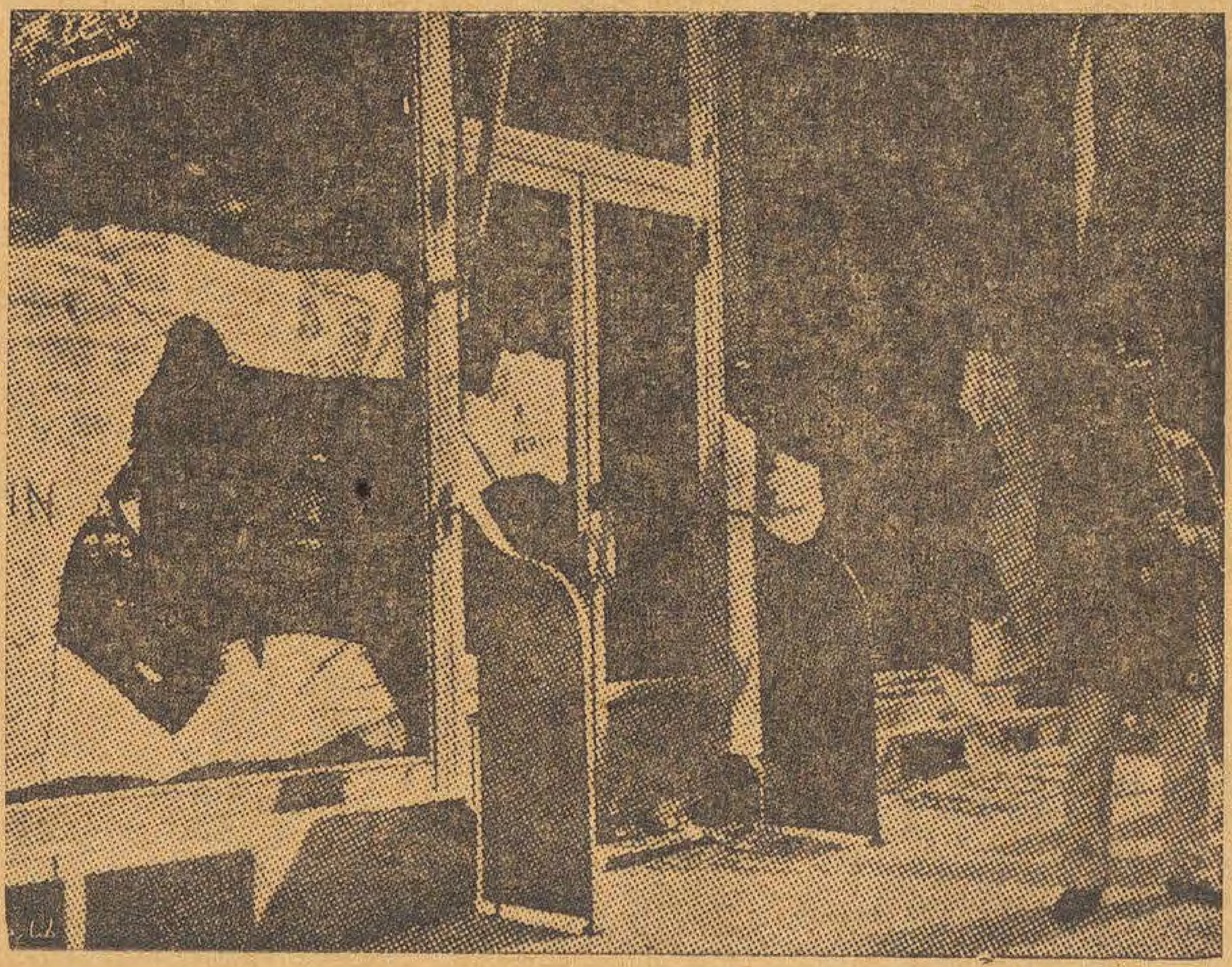
الهجوم على المارن

وثق الالمان بقادتهم ثقة عمياء. فتوهموا ان ما يملك هؤلاء القادة من مقدرة ومواهب حربية كفيل بان يضمن لهم النصر. فالفائزون في سنة ١٨٧٠ لن يخيبوا في سنة ١٩١٤

هذا هو منطق الشعب الالماني. وهذا المنطق اهاب بالامة الجرمانية الى الايمان المطلق بقادتها العسكريين. فابت ان تعتقد، ولو لهنيهة واحدة، ان ثمة من يتفوق على امراء جيشها في الفن والجرأة والتدبير

وايمانها بقادتها العسكريين شمل جيشها. فالشعب الالماني كان يرى في جيشه المدرب اعظم جيش في العالم. وهذا اليقين المالك نفس الشعب الالماني حمل المانيا على الاستهزاء بالحرب، بل على الرغبة في الحرب، فهي ظمأى الى سيادة البشر

وفي انطلاقها الى باريس دلت على ما يختمر في رأسها من مطامح وآمال. وبدا للفرنسيين ان الموقف حرج، وانهم اذا لم يثبتوا في الميدان هانوا. وما غاب عنهم ان المعركة التي ستنشب على ابواب باريس هي القذيفة الاخيرة في فوهة المدفع، فاذا اصابت استعادوا مكانتهم ورفعوا عنهم العبء القاصم، والا رزحوا تحته وطال عليهم الارهاق، فقد تنقضي عشرات السنين وانفاسهم تختنق في صدورهم ولا تجد لها المنفذ الرحيب



❋ مخازن الالمان والنمسيين في باريس بعد الهجوم عليها ❋
❋ مشهد من مشاهد اعلان الحرب في فرنسا ❋

خطة القائد «جوفر»

والقائد «جوفر» هو القابض على الدفة. وعز عليه ان تطأطىء فرنسا هامتها لاعدائها فصمم على الوقوف بجيوشه امام باريس. شاء ان يطلق السهم الاخير. فاما موت واما حياة. فقد اضحت فرنسا على مفترق الطرق وعليها ان تختار مصيرها، بل عليها ان تنتهي الى المصير الذي يكتبه لها جيشها وقادتها

ومنذ ٢٥ آب والقائد «جوفر» ينظر في الموقف. وقر رأيه ان تنتهي قواته الى مكان منيع تستقر فيه وتتخذه مصدراً لهجومها. فان هذا التقهقر المتوالي ليس مما يبعث على الاطمئنان ويضمن سلامة فرنسا

وفي ذلك النهار، في ٢٥ آب نفسه، اذاع القائد «جوفر» في القوات الفرنسية البيان التالي:

«اما وقد اصطدمت خطة الهجوم المقررة بالعقبات المنيعة، فالقيادة العامة تعلن ان الاعمال المنتظرة ستنتظم بما يعيد الى جناحنا الايسر قواه ويمكنه من الهجوم. وستتولى جيوشنا الاخرى صد هجمات العدو ريثما يتصل جناحنا الايسر بالجيشين الانكليزيين الرابع والخامس



رجال البحر يتولون حراسة باريس في ايامها السود

وبالقوات التي استدعيناها من حدودنا الشرقية

« وسيعضد هذه الحركة مؤخرات من الجيش تتولى في الاماكن المنيعة اقامة العثرات في طريق العدو ، فتقابل هجومه بمثله ، الا انه هجوم قصير المدى، عنيف ، دعامته الاولى المدفعية ، وبذلك تحول دون تقدم العدو او تؤخره على الاقل ! »

حشد الجيش الفرنسي في « اميان »

وفي هذا البيان نفسه قضى القائد « جوفر » بحشد قوات من الجيش في « اميان » . وتم هذا الحشد بين ٢٧ آب و ٢ ايلول ، وتألف من فيلقين وخمس فرق احتياطية ، وفرقة مراكشية ، فكان نواة الجيش السادس الموكول امره الى القائد « مونوري » . ووجهة الهجوم كانت « سان بول — اراس » او « اراس — بابوم»

وفيما القائد « جوفر » يتراجع تحفزاً للوثوب ، كي يتسنى له الاستعانة بقواته جمعاء على مهاجمة الجيش الالماني ، باغته الجيش الالماني كالتيار الجارف وافسد عليه مسعاه . فلم يمهله الوقت الكافي لتنظيم نفسه واعادة تنظيم الجيش الانكليزي

جيش « فون كلوك » يقف عن باريس

وفي ٣ ايلول ، بعدما كانت خطة الالمان تقضي بالزحف الى باريس دون ما التفات الى سائر النواحي ، ظهر من القائد الالماني « فون كلوك » ان خطته تبدلت . فوقف عن باريس واتجه جيشه الى الجنوب الشرقي في ناحية « مو — كولوميه »

وشاء القائد الالماني بهذه المحاولة الجريئة ان يلتف على الجناح الفرنسي الايسر ويحطمه ويمنعه من الحركة ، حتى اذا ما بلغ هذه الامنية دخل باريس وهو شديد الاطمئنان الى موقفه

وهي خطة لو نجحت لضمنت حتماً الفوز للجيش الالماني ومهدت له السبيل الى باريس . ولكن القائد « فون كلوك » بالغ في الاعتماد على نفسه والثقة بقواته. فألقى نظرة الاحتقار على الجيش الفرنسي السادس الممتد الى الخط الشمالي الشرقي ليتصل بالجيش البريطاني ، ولم يحفل بالاماكن المنيعة المعتصم بها هذا الجيش

خطة « فون كلوك » تذيع

ومضى « فون كلوك » في محاولته باقدام عجيب وسرعة متناهية. وتراءى له انه سيفاجىء الجناح الفرنسي الايسر مفاجأة تودي به ، الا ان قوات من الفرسان الفرنسيين ، والطيارات الانكليزية ،درت بخطة القائد الالماني ، فلم يكن من القائد « جوفر » الا ان اذاع في مساء ٤ ايلول في جيوشه امراً عاماً بدرء المحاولة الالمانية

الهجوم الفرنسي العام بعد التقهقر العام

تفاصيل معركة المارن الكبرى

الفوز يبسم للفرنسيين بعد ما كادوا يذهبون ضحايا التيار الالماني

أعظم معركة في التاريخ!

قال القائد العام للجيوش الفرنسية الانكليزية :

« يجب الاستفادة من مغامرة الجيش الالماني الاول بان تصب عليه جيوش الحلفاء في الجناح الايسر قواتها وتصده عن مبتغاه . وعلى هذه الجيوش ان تتخذ لنفسها تدابير الهجوم في اليوم الخامس من ايلول ، على ان تبدأ هجومها في اليوم التالي

« والتدابير الواجب اتخاذها في مساء ٥ ايلول استعداداً لهذا الهجوم هي :

« اولاً — تتأهب قوات الجيش السادس بكاملها المعسكرة في الشمال الشرقي من «مو» لاجتياز نهر «الاورك» و«ليزي سير اورك» و «ماي ان ميلتيان» متجهة الى «شاتوتياري» . واتماماً لهذا المسعى على القوات العاملة من فيلق الفرسان الاول ، الموكولة قيادته الى القائد «سورده» ، ان تتلقى اوامرها من القائد «مونوري»

« ثانياً — يستعد الجيش الانكليزي المقيم في جبهة «شانجي كولوميه» للهجوم في ناحية «مونميراي»

« ثالثاً — يضيّق الجيش الخامس قواته بعض التضييق الى ناحية الشمال وينظم خطوطه على الجبهة الممتدة بين «كورتاكون — استرناي — سيزان» ويستعد للهجوم في الناحية الجنوبية الشمالية . وعلى فيلق الفرسان الثاني الذي يتولى امره القائد «كونو» ان يؤمن اتصال الجيش الانكليزي بالجيش الفرنسي الخامس

« رابعاً — يغطي الجيش التاسع يمين الجيش الخامس ويملك مخارج مستنقعات «سان غون» الجنوبية ويدفع شطراً من قواته الى الجبال شمالي «سيزان»

« تقوم في صباح ٦ ايلول هذه الجيوش بالهجوم العام »

الجيش الفرنسي ينجو من الالتفاف الالماني

ومنذ ذلك الحين نجت القوات الفرنسية من التطويق الالماني وبات الجيش الالماني مهدداً بتطويقها . فالجيش الاوسط يقاومه وجهاً لوجه ، والجناح الايمن يهدده من حصون «فردون» ، والجناح الايسر من حصون باريس

وفي ٥ ايلول تلقى الجيش الفرنسي الثالث امر القائد جوفر القائل :

« ينتقل الجيش الثالث من الشمال الشرقي الى الغرب ليهاجم الجانب الايسر من قوات الاعداء المندفعة الى غربي «الارغون» . ويشاطر الجيش الرابع اعماله في مجابهة العدو »

وتلقى الجيش الرابع هذا الامر :

« غداً ، في ٦ ايلول ، تهاجم جيوش الميسرة الجيش الالماني الاول والثاني . فعلى الجيش الرابع وقف حركته نحو الجنوب ومصادمة العدو يعضده في ذلك الجيش الثالث »

* * *

فكل جيش من جيوش الحلفاء ادرك ما عليه . فالتبعات توزعت وبات النصر موقوفاً على شدة المتقاتلين وصبرهم وتفوقهم

وما زالت الجحافل الالمانية الجرارة توالي زحفها كالجبل السيار ، بل هي سلسلة من الجبال السيارة تتحرك . وكان على الفرنسيين والانكليز ان يهدموها قبل ان تسحقهم ، فالفوز ما برح حليفاً لها منذ اندفعت في ارض البلجيك في طريقها الى امتلاك فرنسا

الى جنود فرنسا!

والموقف كان يحتاج الى اثارة الحماسة من الجانبين ، من الجانب الالماني ومن الجانب الفرنسي . على ان الحماسة الالمانية كانت في منتهاها وقد اسكر النصر الالمان . فالحصون تهدمت تحت مدافعهم، والجيوش تناثرت امامهم ، والعقبات ذللتها اقدامهم ، فانتشوا ! . على حين ان القوات الفرنسية والبلجيكية والانكليزية لقيت التقهقر ، فهي بحاجة الى من ينفخ فيها روح الاستبسال . وتولى ذلك القائد جوفر وقد اذاع في جنوده نداء وجيزاً الا انه عظيم التأثير فقال:

« الى جنود فرنسا !..



ولي عهد المانيا في ثياب فرسان الموت

قائد الجيش الالماني الخامس في الحرب الكبرى

« عليّ تذكيركم جميعاً ، وانتم تشتبكون في حرب موقوف عليها خلاص الوطن، ان الموقف لا يجيز لكم الالتفات الى الوراء . فاحصروا مجهودكم في مهاجمة العدو ودحره. والجيش اذا لم يملك القوة على التقدم يحتفظ مهما كلفه الامر بالارض المستقر فيها ، ويفنى على بكرة ابيه ولا يتقهقر . كل وهن في هذه الاثناء لا عذر فيه »

والجنود الفرنسيون عرفوا الحماسة وهذا النداء يقع فيهم . وزادهم حماسة الامر بالهجوم وهم الذين لم يحسنوا منذ بدء المعارك غير التراجع . ففعل نداء القائد « جوفر » فيهم فعله المنتظر وصمموا على القتال بروح المستميت. ونفضوا عنهم او جاعهم وقنوطهم وادركوا ان الاستبسال وحده ينقذهم مما هم فيه . فاما يلقي بين ايديهم النصر واما يطرحهم في هوة الفناء . والموت احدى الراحتين !

« فون كلوك » في خطر !

في ٢٧ آب تألف الجيش الفرنسي السادس، وضمّ من القوات الفيلق السابع ما عدا فرقته الثالثة عشرة ، وخمس فرق احتياطية ، والفيلق الرابع ، والفرقة الخامسة والاربعين الاحتياطية القبلة من الجزائر

وتولى قيادة هذا الجيش القائد « مونوري » ، وملك زمامه القائد « غالياني » المفوض اليه الدفاع عن باريس

وعسكر الجيش السادس في الشمال الغربي ، على الجبهة الممتدة بين « ماراي أن فرانس — دامارتان — مونجه » ، الا ان القائد « غالياني » بالاتفاق والقائد العام دعاه في ٥ ايلول الى الناحية الشرقية للوقوف بوجه الفيلق الالماني الاحتياطي الرابع وقد حسبه القائد الالماني « فون كلوك » كافياً لتأمين سير القوات الالمانية الى « مو » و « كولوميه »، على انه لم يكن بالكافي ، فاصطدم بالقوات الفرنسية ولقي الخذلان ، وذلك مما بشر الفرنسيين بالخير وزاد في املهم بالنصر

ففي ٦ ايلول اصطدم في قرية « سان سوبله » هذا الفيلق الالماني بثلاث فرق من الجيش الفرنسي السادس ، فاضطر الى التراجع عشرة اميال على نهر « الاورك »

وشعر القائد « فون كلوك » بما ارتكب من خطأ عسكري كاد يذهب بجناحه الايمن فانجده على الفور بالفيلقين الثاني والسابع ليقصي الفرنسيين الى الشمال الغربي . وهذه السرعة في ايفاد النجدات، وهذه الدقة في تسيير الجيوش، دلتا على مواهب القائد «فون كلوك» العسكرية النادرة ، فهو من اولئك القادة العظام المشهود لهم بمضاء العزيمة وسرعة التدبير

ولم تغفل القيادة الفرنسية عن نجدة القائد « مونوري » ، فجهزته بما استطاعت من القوات ، الا ان هذه النجدات كانت دون ما وفر الالمان للفيلق الاحتياطي الرابع . فهي لا تجاوز فرقة من الجيوش التي استدعتها القيادة الفرنسية العليا من حدودها الشرقية في الالزاس واللورين

وادرك القائد « غالياني » ان النجدة لا تكفي فحشد في ليل ٧ ايلول نجدة اخرى في الف ومئة سيارة اطلقها الى القائد «مونوري» نفسه . على ان الالمان ظلوا اوفر عدداً ، فالنجدات الفرنسية مابرحت غير كافية

... حتى اخر قذيفة

وتوالت المعارك بين هاتين القوتين اربعة ايام بلا انقطاع .

فدامت من ٦ ايلول الى اليوم التاسع منه. وحاول القائد « مونوري» ان يبعد الالمان الى الضفة الاخرى من نهر « الاورك » . وامر مدفعيته ، ولديها مدافع من عيار ١٥٥ و٧٥ ،بان تصب نارها على الاعداء حتى آخر قذيفة ، وان تتقدم ما دامت تبصر امامها الالمان . وقاتل رجاله المشاة بعزم لا يفل

وانه لقتال شاق رأى فيه الفرنسيون انفسهم امام عدو يفوقهم عدداً . فكانوا واحداً مقابل اثنين . وشعر الجيش السادس في اليوم التاسع من ايلول بان الموقف حرج ، وان النصر يحتاج الى التفاني في الدفاع ، فلم يعدم هذا التفاني ، حتى اذا ما اطل اليوم العاشر قبض على راية النصر

فابعد الالمان عن « بارسي » في شمالي « مو » ، واجبرهم على الجلاء عن « فاريد » ، وانطلقت في اثرهم القوات الفرنسية المدعوة من افريقيا الى ميدان القتال ، فطاردتهم في السهل المحيط ببلدة « اتريبيي » . وما لبث الجيش الفرنسي ان استعاد موقع « نانتاي له هودوان » وقد دافع عنه الالمان بشدة وحزم

الالمان يقاتلون بصلابة الجبابرة

وايقن الالمان ان كل تقهقر منهم يطيل في اجل الحرب وينال من نصرهم القهار ، فاندفعوا كالجبابرة يريدون ان يشقوا الصفوف الفرنسية وينفذوا منها الى هدفهم الاعلى ، غير ان الفرنسيين كانوا يدافعون عن البقية الباقية من املهم بالحياة . فوقفوا في طريق التيار الالماني عقبة منيعة . ومع كل ما ابدى الالمان من القوة والبسالة في خطوط « غران موران » و « بتي موران » ، ومع استماتة جناحهم الايمن في النضال وفي الاحتفاظ باماكنهم فقد غلبوا على امرهم ، بل هم اعتقدوا انهم غلبوا على امرهم فارتدوا الى الوراء وعبروا نهر « الاورك » بعد كل ما لمسوا من العناد الفرنسي ، على حين انهم لم يكونوا مضطرين الى هذا التقهقر لو عرفوا حقيقة موقف الفرنسيين. فالقوات الفرنسية اذابت كل ما تملك من بأس وبطولة وسقطت في ارضها تتام لفرط عيائها واسلحتها بيديها،فخيل الى الالمان انها لا تزال على صفاء وسلامة فتراجعوا . واستفاقت القوات الفرنسية في صباح اليوم العاشر من ايلول واذا بها سيدة الموقف

وقضي على التيار الطاغي . فصدمه الفرنسيون وقد اوشك بلوغ المصب . وبعدما كان القائد « فون كلوك » ينطلق من نصر الى نصر اذا به يتراجع بلا نظام

الجيش الانكليزي يثبت وجوده

ومع كل احتقار الامبراطور غليوم الثاني للجيش الانكليزي فقد شاطر هذا الجيش — على بطء حركاته — قوات القائد « مونوري » الفرنسية مهمة الظفر

ولم يكن الجيش الانكليزي يزيد على مئة وثلاثين الف رجل انتشروا حول باريس من الشمال الى الشرق على خط « كريسي ان بري — كولوميه » . وبمساعدة الجيش الخامس الذي يديره القائد «فرانشه ودسبيره» واثبوا جبهة الجناح الالماني الايمن

والبرودة الانكليزية اثبتت وجودها في ساحات القتال . فاستهانت بالموت فيما الرصاص يتساقط عليها . وبهذه البرودة التاريخية اقصى الانكليز عن « فرتهسوجار »القوات الالمانية كما انقذوا منها « فرته غوشه »

الهزيمة الالمانية تتعاظم

وفي ١٠ ايلول اتسع نطاق الهزيمة الالمانية . فاجتاز الانكليز نهر « المارن » من ناحية « شاتو تياري » وارغموا الجيش الالماني على الارتداد الى « سواسون » يعضدهم الفرنسيون

وتحدث المارشال « فرانش » الانكليزي عن التضعضع الالماني يومذاك فقال : « فيما احدى فرق جيشنا الثاني تمشي في ناحية الشمال اذا فرقة تبدو ازاءنا وعلى مسافة قريبة منا . فتوهمنا في البدء انها فرقة انكليزية، بيد اننا لم نلبث ان شعرنا باننا امام جماعة من الالمان المنهزمين. فهاجمناهم وقد استسلم منهم ما يزيد على اربعمئة رجل »

ولقد بلغ عدد الاسرى الالمان يوم طاردهم في ١٠ ايلول الفرنسيون والانكليز ألفي اسير

الانكليز يستبسلون !

وظهر في هذه المعركة الهائلة الاستبسال الانكليزي بجلاء . فاندفعت القوات الانكليزية الى القتال بشدة عجيبة . حتى ان فرقة بكاملها اصيبت بالجراح ، ومنها من قضى نحبه ، ولم يخرج من المعركة سالماً من الاذى سوى عشرة افراد . وحاولت فرقة من الفرسان الالمان ان تستولي على مدافع تحميها جماعة من الارلنديين ، فباع الارلنديون باجمعهم ارواحهم كي تسلم المدافع ،ولقد سلمت ، ولكن بعدما فني الارلنديون الذين يحمونها على بكرة ابيهم

ووضح الاستبسال الانكليزي في صد قوات « فون كلوك »



الانكليز يهاجمون القوات الالمانية ويردونها عن باريس

الالماني عن التقدم في طريقها الى باريس . فالانكليز ضايقوها في مسيرها وابدوا كل صلابة . فان مؤخرات جيوشهم صدمت التيار الالماني في انحاء متعددة . ووقفوا وقفات البطولة يجودون باخر نسمة فيهم غير حافلين بالموت . فاذا قضي عليهم بان يموتوا في اماكنهم بذلوا الغالي لا يكترثون لانطفاء ارواحهم في ميادين القتال

معركة المارن

بدأت معركة « المارن » منذ ٦ ايلول . وتوالت الصدمات الهدامة على الجبهة بطولها . واذاعت القيادة الفرنسية العامة في ٧ ايلول، ولكن بشكل مستتر ، الاصطدام الجبار بين العدوين . قالت : « احتدم التطاحن على خط يمتد من « نانتاي له هودوان » الى « مو » و « فيتري له فرنسوى » وينبسط الى فردون »

وفي هذا النهار نفسه عرف الحلفاء النصر . فالجناح الايسر ادرك الفوز وقد اندفع الى نهر « الاورك » ظافراً . واعلنت القيادة العليا في بلاغ طنان ان حالة قوات الحلفاء حسنة في مجموعها

موقف جيوش المحاربين

وموقف الجيوش المتقاتلة في معركة المارن الكبرى كان يبدو كما يلي :

﴿ موقف الحلفاء ﴾ — عسكر في الجهة اليسرى من باريس الجيش الفرنسي السادس يديره القائد « مونوري » ويقاتل جانب جناح العدو الايمن مستنداً الى القوات المخندقة في استحكامات باريس. ووقف في وجه الالمان الجيش الانكليزي يعضده في الناحية الشرقية الجيش الفرنسي الخامس الموكول امره الى القائد « فرانشه ديسبيره » وهو جيش حديث التنظيم

وسند هذه القوات الجيش الفرنسي التاسع الحديث التنظيم ايضاً والخاضع للقائد « فوش » ، ثم الجيش الرابع للقائد « ده لانكل ده كاري »

﴿ موقف الالمان ﴾ — وبلغ عدد قوات الحلفاء التي خاضت المعركة الكبرى مليوناً ومئة وخمسة وعشرين الف جندي . فاطبق عليهم الالمان بمليون ومئتين وخمسة وسبعين الف جندي تنظمت على الترتيب

التالي من يسار الحلفاء الى يمينهم :

الجيش الاول يقوده « فون كلوك » . الجيش الثاني يتولاه « فون بيلوف » . الجيش الثالث « فون هوسن » . الجيش الرابع الدوق ده دورتمبرغ . والجيش الخامس الذي يقوده ولي عهد المانيا تألف منه الجناح الالماني الايسر وعهد الى القائد «ساراي» الفرنسي بان يلزمه الوقوف مكانه يساعده في ذلك الجيش الثالث

غليوم الثاني في المعركة

واستقر في الناحية اليمنى القائد « كاستلنو » الفرنسي على رأس الجيش الثاني يحمي « نانسي » من القوات البافارية التي يقودها ولي عهد « بافاريا » — و « بافاريا » احدى الدول المؤلفة منها الامبراطورية الالمانية — وهذه القوات هاجمت « نانسي » على مرأى من الامبراطور غليوم الثاني وقد شهد المعركة بنفسه . واقام القائد « ديباي » في « الفوج » يصد عنها هجمات القائد الالماني « فون هيرنجن »

***

هذه هي حالة جيوش المتقاتلين ساعة اعلن الفرنسيون الهجوم العام

وهذا الهجوم كما قرره القائد « جوفر » يقضي على الجيش الفرنسي السادس باجتياز نهر « الاورك » متجهاً الى « شاتوتياري » ، وعلى الجيش الانكليزي بالانطلاق من جبهة « شانجي — كولوميه» لمهاجمة « مونميراي» . ويسير الجيش الخامس المقيم على خط « كوتا كون — — ايسترناي — سيزان » من الجنوب الى الشمال . وترسخ اقدام الجيش التاسع عند المصب الجنوبي لمستنقعات « سان غون » ، ويتسلق شطر منها القمم المرتفعة شمالي « سيزان » . ويتصل الجيش الرابع بالجيش الثالث لمهاجمة القوات الالمانية الزاحفة الى غربي «الارغون »

الهجوم الفرنسي يدهش الالمان

تلك كانت مواقف المتقاتلين وهذه هي اوامر القائد الفرنسي العام . ولقد ادهش الهجوم الفرنسي القوات الالمانية وانتفضت له . الا انها ما لبثت ان ملكت روعها

وفي القائد « فون كلوك » يحاول ان يطوق جيش القائد « فرانشه ديسبيره » اذا به يدفع عنه بمقدرة تثير الاعجاب حركة التطويق القائم بها القائد « مونوري » الفرنسي وينجو من الشرك

وقاتل القائد « فون بيلوف » القوات الفرنسية بعزم مكين .

وحاول تحطيم جبهة الجيش السادس للقائد « فوش » . وضرب هذا الجيش ضربات تشهد له بالقوة والموهبة . وألقى القائد « فوش » في مأزق حرج . فعرف القائد الفرنسي ان امامه قائداً محنكاً يخيف ، خصوصاً ولدى « فون بيلوف » مئتان وخمسة وستون الف رجل ، على حين ان « فوش » لا يملك من الرجال ما يزيد على مئة وخمسة واربعين الفاً

القائد «فون بلوف» الالماني يحرج «فوش»

وسعى القائد « فون بيلوف » لدفع القوات الفرنسية الى نهر « السين » . وجاهد في سبيل هذه الامنية بكل ما اوتي من بسالة وموهبة وتفوق في عدد الجيوش . ولكن الفرنسيين بذلوا ما فوق الطاقة للثبات في اماكنهم . ففي ٦ و٧ و ٨ و ٩ ايلول قذفهم « فون بيلوف » بجيوشه وبنيران مدافعه وبحماسة قواته وببراعة اساليبه دون ما جدوى . بلى ، كان الخطر يهدد جيش القائد « فوش » ويكرهه على التراجع في بعض النواحي ، الا ان هذا الجيش عرف كيف يثبت امام الغارة الالمانية المقوّضة . فتقهقر في مواضع وتقدم في مواضع . وفي ١٠ ايلول اذاع البيان التالي :

« اشد المعارك جرت في المنطقة الممتدة بين الجبل المرتفع شمالي « سيزان » و « فيتري فرانسوى » . ففي هذه المنطقة حصرت جيوش المانية ثلاثة مجهودها ، الجناح الايسر من قوات القائد « فون بيلوف » ، وجيش امارة « ساكس » ، والجيش الذي يقوده الامير ده ورتمبرغ

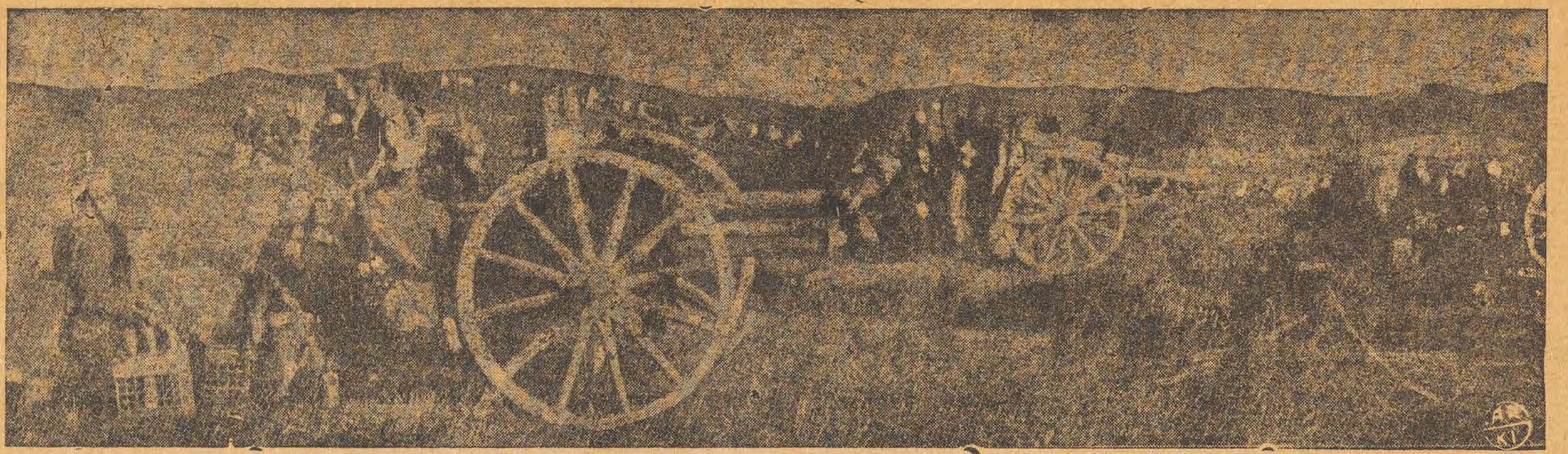
« وحاول الالمان بهجمات متوالية ان يحطموا قوات القلب الفرنسية ، ولكنهم لم يدركوا الوطر . وقد وفر لنا فوزنا في شمالي « سيزان » العودة الى خطة الهجوم . فاضطر العدو الى الانسحاب من المعركة على طول الجبهة الممتدة بين مستنقعات « سان غون » ومنطقة « سومسو » للالتواء فوراً الى المنطقة القريبة في «فيتري له فرنسوى»

رباطة جأش القائد فوش

ولقد ابدى القائد « فوش » في هذه الايام العصيبة رباطة جأش نادرة . فظهر منه انه صلب العود ، ثبت الجنان ، متفوق في الفن الحربي العسكري

وساعده انتصار الفرنسيين والانكليز في منطقة « الاورك » . فالمارشال الانكليزي « فرانش» والقائد الفرنسي « فرانشه ديسبيره» ضعضعا شطراً من جيش القائد الالماني « فون كلوك » وحملاه على كشف الجانب الايمن من قوات « فون بيلوف »

وانتهز « فرانشه ديسبيره » قائد الجيش الفرنسي الخامس هذه



المدافع الالمانية في ساحات معركة المارن

السانحة، اطلق في ناحية الشرق فيلقين من قواته انجد بها القائد «فوش». واطمأن « فوش » الى ان الخط الذي يتولى الدفاع عنه لن يخرق. فدفع في ليل ٩ ايلول بجرأة غريبة قسماً من قواته للفصل بين جيوش « فون بيلوف » وجيش امارة « ساكس » الالمانية ، فحالفه التوفيق في هذه المغامرة العجيبة، وظل يقاتل يومين بكاملها على جبهتين اثنتين

مهاجمة الحرس الامبراطوري الالماني

وعند الصخور الشاهقة في ضواحي « شمبانيا » هاجم الجناح الايسر من قوات القائد « فوش» الحرس الامبراطوري الالماني وهو نخبة القوات الالمانية. وكان الهجوم هائلا بالغاً منتهى العنف والحماسة. فقد رغب الفرنسيون في قهر اولئك الذين نادوا بان ليس من يعادلهم في البأس والصولة . والرغبة في التفوق زادت في قوة الفرنسيين وفي شجاعتهم . فقاتلوا صوناً لسمعتهم وكرامتهم وكانوا الفائزين !

ودُحر الحرس الامبراطوري الى مستنقعات « سان غون » ، وبلغها مهشما ، تاركا بعده فئة من رجاله واعتدته ، حتى وسمعته . وتوغل في منبطحات ليس من السهل اجتيازها . وكانت هزيمته فاضحة. ومع كل ما عقد عليه الامبراطور غليوم من آمال فقد خيّب هذه الآمال وفجع القيصر الالماني بزهوه وكبريائه

القوات الافريقية في الميدان

وكان للقوات الافريقية موقفها المجيد في الدفاع عن ارض فرنسا. فكلما استعصى الامر على سواها في اقصاء عدو عنيد اجاد تحصين موقعه دعيت الى اقصائه عنه . ولم تكن تتردد في تلبية النداء عابثة بالمخاطر . فكل عقبة تذلل امامها ، ومن المحال ان تتراجع عن كل ارض تحتل

واجمل ما قامت به من اعمال البطولة استيلاؤها على قصر «مونديمان» المشيد على بضعة اميال من «سيزان». فقد احتل القصر قائد الماني واركان حربه. فصممت القوات الافريقية على اكراهه على الجلاء عن القصر . وعضدتها المدفعية فبدأت هجومها . فقابلها الالمان برصاص البنادق والرشاشات واستطاعوا ان يحطموا هجومها . ولكن قوات من القناصة دعمتها فعادت الى هجومها بعزم اشد . وتسلق فريق منها اسوار القصر وفريق آخر دخل من النوافذ ، على ان الالمان قاوموا . وقاوموا ببسالة واقدام عجيبين . ونصبوا مدفعاً رشاشاً في احد الابراج وحصدوا بهِ حصداً صفوف المهاجمين. غير ان القوات الافريقية ، وهي الحاملة اسم « توركو »، لم تحفل بالخسائر المنكوبة بها وبالثلمات المفتوحة في صفوفها. فاشتبكت والالمان في معركة جال فيها السلاح الابيض جولته . فالاجساد اصطدمت بالاجساد . واذا « التوركو » اسياد المكان !

الالمان لم يناموا !...

الا ان الالمان ما ناموا . فعادوا الى الاستيلاء على القصر . واستولوا عليه. فعز على « التوركو » ان يهونوا واندفعوا الى استعادة ما فقدوا . واستعادوا المكان . فما رضي الالمان عن الهزيمة بل تحمسوا لكرامتهم المقهورة واذا بهم يفوزون ويسترجعون ما افلت منهم . فتفاقم غيظ « التوركو » وانقضوا على القصر للمرة الرابعة عابثين بكل مقاومة . وابدوا من الصلابة ما لان امامه كل عناد . فاضطر الالمان الى التقهقر ولم يبق في القصر غير انقاض تشتعل . وعلى هذه الانقاض سيطر « التوركو » الفرنسيون !

والاستيلاء على قصر « مونديمان » زاد في فوز الجيش التاسع لمالك امره القائد « فوش » ، فدفع هذا القائد الموهوب قواته الى

« فيرشامبينواز » وفي نيته ان يتقدم ابداً . ونجح بعد المعركة الاولى في شرقي هذه البلدة ، وابعد العدو الى الشمال

وفي ١١ ايلول دخل « شالون سير مارن » وقد جلا عنها الالمان

الفوز يبسم للجيش الفرنسي

والجيش الفرنسي الرابع وقد تولاه القائد « ده لانكل ده كاري » — وهو من قوات الجناح الفرنسي الايمن — حارب في ٧ و ٨ ايلول قوات الدوق ده ورتمبرغ وصدها الى الشمال بعد ما حملها على الجلاء عن « فيتري له فرنسوى » . وكانت المعركة عنيفة كل العنف في « سيرميز له بان » . فالفرنسيون استولوا عليها ثلاث مرات ، ولم تثبت بين ايديهم في سوى المرة الاخيرة

وهكذا! تمتع الفرنسيون والانكليز بالفوز في الخطوط الحربية بطولها. واهتز الالمان في كل بقعة حاربوا فيها وانهزموا في اماكن متعددة، حتى ان جناحهم الايمن تقهقر اربعين ميلا

القائد ساراي يهاجم ولي عهد المانيا

والجيشان الفرنسيان الثاني والثالث ادركا نصيبهما من الظفر . فالقائد « ساراي » صدم بجيشه الثالث قوات ولي عهد المانيا بجهود كلفه غالياً

فقد شاء ولي العهد ان يجتاز « الارغون » بطريق « مونفوكون » و « فارين »، واندفعت القوات الالمانية في هذا الطريق بقوة هائلة لتدعم في « فيتري له فرنسوى » قوات الدوق ده ورتمبرغ . ولم يكن جيش القائد « ساراي » يوازي بعدده الجحافل الالمانية، على انه ابى ان تمر وان يكن دونها عدداً . فاطلق مدافعه وجيوشه عليها غير حافل بما ينتابه من خسائر فادحة. واستطاع بعد خمسة ايام من معارك متوالية ان يردها عنه . وكلمته يومذاك اضحت كلمة تاريخية . فقد اعلن : « لن يمروا !...! » والالمان لم يمروا بل تقهقروا . ففي ١٢ ايلول كان القائد « ساراي » يدفعهم عن « رافيني » وعن غربي « بار له ديك » والقائد « كاستلنو » الفرنسي، وهو من يدير حركات الجيش الثاني ، حمى « نانسي » من هجمات ولي عهد بافاريا . وهذه المقاومة، مقاومة الجيشين الثالث والثاني ، ساعدت سائر القوات الفرنسية كل المساعدة على القيام بهجومها العام . فلو انتصر الالمان على القائد « ساراي » والقائد « كاستلنو » للقيت الجيوش الفرنسية الويلات !

فرنسا تتنفس!

وما وقعت هذه الانباء في مسامع فرنسا حتى تنفست وتلاشت مخاوفها وحل في نفسها الطرب على اختلاف مذاهبها السياسية المتعددة

وفي ١١ ايلول نشرت السلطة العسكرية شيئاً من تفاصيل المعارك واعلنت ان الجناح الالماني الايمن تراجع من ٦٠ الى ٧٥ ميلا . وخلاصة ما اذاعت في بيانها ان الالمان تقهقروا على معظم خطوط القتال

وفي ١٢ ايلول ردد العالم صدى منشور للقائد جوفر اوضح فيه ما آلت اليه المعركة الكبرى ، قال :

« انتهت المعركة المضطرمة منذ خمسة ايام بانتصار لا ريب فيه. فان هزيمة الجيوش الالمانية الاول والثاني والثالث تتعاظم امام قواتنا في القلب واليسار . وبدأ جيش العدو الرابع يلتوي الى شمالي «فيتري» و « سيرميز » . وفي كل مكان يبقي العدو الكثيرين من الجرحى وكمية من الذخائر . في كل مكان يقع بين ايدينا الاسرى . ولاحظت جيوشنا في تقدمها آثار عنف المعركة وخطورة الوسائل التي استعان بها الالمان لصد وثبتنا

« ان عودتنا بشدة الى الهجوم ضمن لنا النجاح . كلكم ايها الضباط والجنود لبيتم النداء . انكم لتستحقون شكر الوطن ! — جوفر »

وطرب الحلفاء لهذا النصر الرهيف ، وطربت فرنسا . فعاد اليها زهوها ونجت من المهالك . وعبس الالمان ، فالخطة التي وضعوها لاكتساح فرنسا ودخول باريس تقوضت وهي على وشك التحقيق. لقد انهارت ساعة كادت تبلغ مرحلتها الاخيرة !

هزيمة الالمان تثير دهش الالمان انفسهم

جيوش الحلفاء يطاردون القوات الالمانية المنهزمة

ولكن الالمان يدعون انهم يتراجعون ليثبوا !

لماذا تقهقر الالمان؟..

القائد الالماني « فون كلوك » اول من تضعضع امام هجوم الحلفاء في معركة المارن . وتبعه القادة الاخرون، من«فون بيلوف» ، الى « فون هوسن » ، الى الدوق ده وتمبرغ، الى ولي عهد المانيا. وابقوا في تراجعهم بين ايدي جيوش الحلفاء الاسرى والمدافع والرشاشات والاعلام . واضطروا في بعض الانحاء الى الاسراع في الهزيمة .فما نقلوا جرحاهم ومستشفياتهم. ولم يقفوا في هزيمتهم الا بعد ايام استقروا على أثرها في خنادق انشأوها بايديهم

من القائد العام الى وزير الحرب

وكتب القائد العام الى وزير الحرب يقول له :

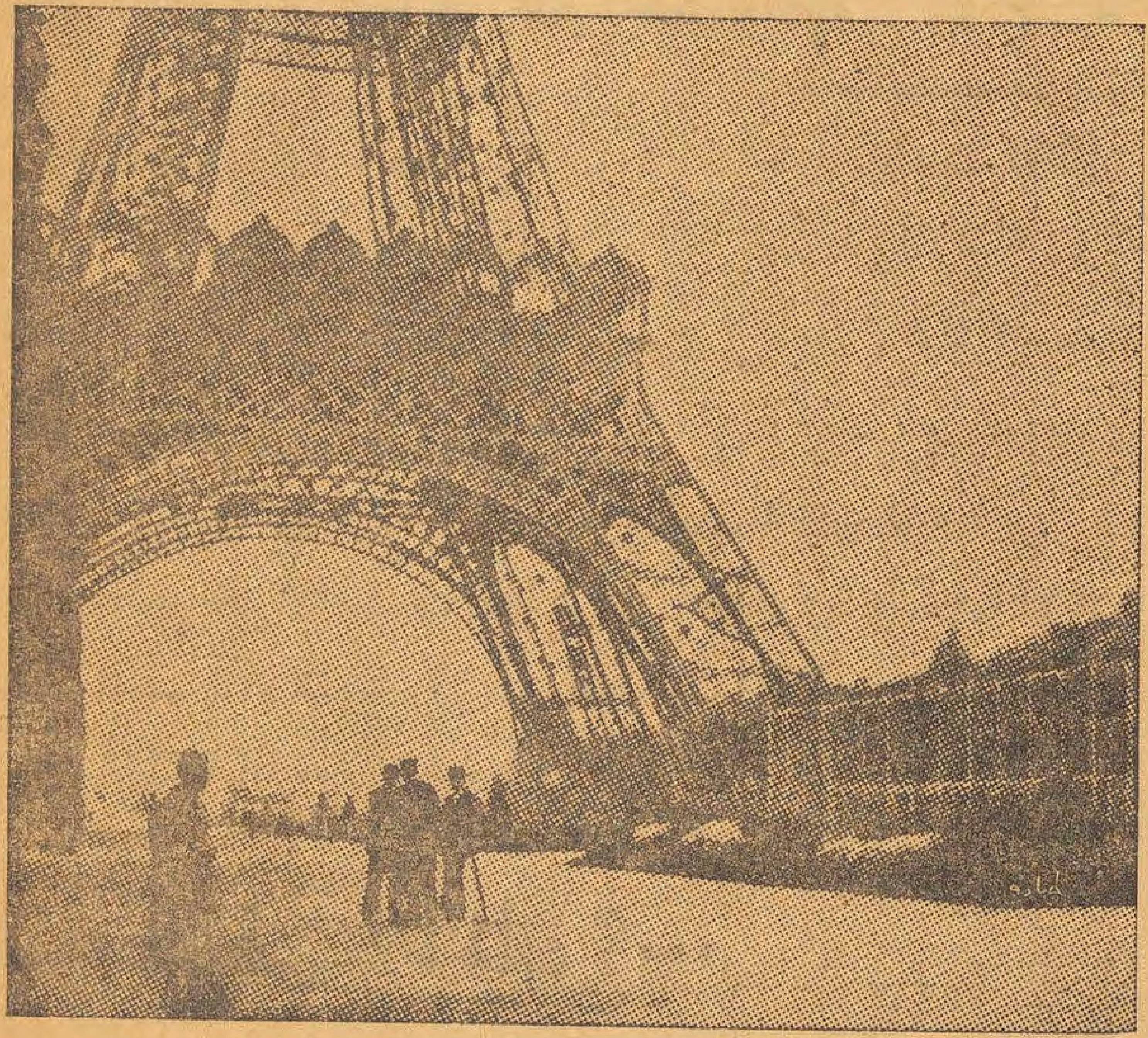
« يتجه انتصارنا يوماً عن يوم الى الكمال . فالعدو انهزم في كل مكان وهو يبقي لنا الاسرى والجرحى والاعتدة . وبعد المجهود الباسل الذي ابدته قواتنا بين ٥ و ١٢ ايلول ادركتها الحماسة وعمدت الى مطاردة اعدائنا بعنف . واجتزنا من ناحية اليسار نهر « الاين » في جهة « سواسون » ، مما دفعنا في ستة ايام مئة ميل الى الامام . واصبحت قوات القلب في شمالي المارن . وجيوشنا وجيوش حلفائنا في حالة حسنة في عزيمتها وجلدها وميولها. وستتابع المطاردة بكل قوانا . باستطاعة الجمهورية ان تفاخر بالجيش الذي اعدّت للقتال ! »

الهزيمة الالمانية مستمرة

وابلغ قرار اركان الحرب العام في فرنسا ان القوات الالمانية المعسكرة على نهر « الموز » اخذت تتراجع ، وان الفرنسيين احتلوا « سان ديه » و « لونفيل » و « راون ليتاب » و «بكارا» و «ريميريفيل » و « بون آموسون » ، وان التقهقر الالماني عام من « نانسي » الى « الفوج »

وفي الغرب برح الالمان مدينة « اميان » الى « بيرون » و«سان كانتان » ، وفيهما جمعوا قواتهم المبعثرة ونظموها

وطالت المطاردة . فالفرنسيون انتشوا بخمرة الظفر وباتوا لا يحفلون بالمتاعب، كالالمان في بدء هجومهم . فما ايقنوا انهم قهروا ذلك العدو الجرار ، الهائل ، العظيم في كيانه وفي قسوته وجبروته ، حتى



برج « ايفل » في باريس

يحرس قاعدته الجند في اثناء الهجوم الالماني على فرنسا

ملكتهم الحمية الوطنية واضحوا يهزأون بكل عقبة . فكانوا بالامس يتقهقرون ويتراجعون ، كانوا يرجون ان يثبتوا في وجه هذا العدو الراعب ، اما الان وقد تغلبوا عليه فامسوا يميلون الى اقصائه عن ارضهم . وما ارتابوا في قوتهم على ضمان هذا الاقصاء . فامعنوا في



الجيوش الفرنسية الظافرة تستريح بعد المعركة الكبرى

بذل المجهود ، وفي ١٤ و ١٥ ايلول ادركوا مؤخرات الجيش الالماني على خط يمتد من منطقة « نوايون » الى الجبال المرتفعة شمالي « فيك سير اين » و (سواسون) ، وجبل (لاون) والمرتفعات القائمة في شمالي (ريمس) وغربيها ، والى « فيف سير تورب » و « فارين » و « الموز » وغابة « فورج » شمالي « فردون »

وهذه الجبهة استقرت فيها قوات الحلفاء في جناحها الايمن وجيش القلب . اما الجناح الايسر فقد وثب الى ناحية البحر يطارد القوات الالمانية المتراجعة ويجاهد في ادراكها

لماذا تقهقر الالمان ؟...

وللتقهقر الالماني اسباب . وهذه الاسباب اشار اليها القادة الالمان انفسهم وقد قالوا في معركة « المارن » انها معركة انهر وغابات وضياع ، اي ان الطبيعة نفسها ساعدت فيها . وهذا صحيح . والقيادة الفرنسية نفسها شاءت ان تجري المعركة على هذا الشكل وبها تفل العزم الالماني . فالالمان اقوياء في السهل وهم تلك الفيالق المتراصة المعروفة البدء والمجهولة النهاية ، اما المرتفعات والمنحدرات فليسوا يضارعون فيها الجيش الفرنسي

ومما زاد في سرعة الهزيمة الالمانية ان ميدان القتال كان فسيحاً رحيباً . فاضطرت القوات الالمانية الى توزيع مجهودها . وخصوصاً في انحاء متعددة الجبال والانهر والاودية . فمن استحكامات باريس ، الى منطقة « الاورك » ، الى « غران موران » و « بتي موران » وما فيه من انهر ، الى جبل « لابري » وما حوله من اودية عميقة وما يكسوه من غابات ، الى جبل « سزان » واعالي « شمبانيا » وعند اسفلها مستنقعات « سان غون » . وهذا الخط ينتهي في « الارغون » وهي منطقة تكثر فيها الجبال والاحراج

الالمان يعمدون الى التدمير

وعمد الالمان الى التدمير في هزيمتهم . فكل ناحية جلوا عنها شوّهوها بقدر ما استطاعوا . فما ابقوا بعدهم غير انقاض . وهناك قرى تهدمت بكاملها ، وغابات تعددت ثلماتها ، وحقول ضاعت رسومها . ولم يبق الالمان في وادي « الواز » غير اطلال ، ودمروا « شوازي او باك » و « اولانكور » و « كارلبون » . فما ابقوا فيها سوى جدران سود ، وسطوح مثقوبة ، ودور منهوبة ، وحدائق مهشمة ، فلازهر فيها ولا ثمر حتى ولا ورق!



القوات الالمانية تتراجع بعد هزيمتها في معركة المارن

واحرقوا «شاتيون سير موران» و «سومبوي» و «ده هويرون» و « كوردبمانج » . وضاعت آثار « سيرميز له بان » و « رافينيي »، فلم يكن هناك غير تلال من حجارة سود

رأي الالمان في خيبتهم

واخفى الالمان خيبتهم بادعائهم ان الفن الحربي قضى عليهم بهذا التراجع ، وانهم تراجعوا ليحسنوا الوثوب . غير ان ما اهتدى اليه الحلفاء من وثائق اشار بجلاء الى ان الالمان لم يجهلوا اي اخفاق فجعوا به في معركة المارن

ففي الدار التي استقر فيها اركان حرب الجيش الالماني الثامن وقع الفرنسيون على وثيقة امضاها القائد « تولف فون تشيب اند ويدنباخ » تقول :

« فيتري له فرنسوى في ٧ ايلول — بلغنا الهدف الذي رمت اليه قواتنا في سيرها الطويل الشاق . واضطرت الجيوش الفرنسية الى قبول المعركة بعد تقهقرها المستمر . والموقف الحاسم قريب . فعلى معظم الجيش الالماني اذاً وعلى فيلقنا ايضاً ان يشتبكا غداً ، على طول خط القتال الممتد من باريس الى فردون ، في معركة تضمن لالمانيا الرخاء وتنقذ شرفها . واني ارقب من كل ضابط وجندي ، مع قسوة المعارك المجيدة الاخيرة ، ان يقوم بواجبه كاملاً حتى النفس الاخير . كل شيء موقوف على ما تنتهي اليه معركة الغد »

ويقول الحلفاء ان هذا النداء شبيه بنداء القائد جوفر . ولكن الالمان وقد شاؤوا الظفر صدمتهم الخيبة . وهم يحاولون النفاذ الى باريس . فان معركة المارن انقذت باريس من كل تهديد اجنبي ، وانقذت فرنسا !

من اعمال بطولة المتقاتلين

ووصفت جريدة « التيمس » المعركة فقالت ان المدفعية مثلت في القتال دوراً خطيراً لم تمثله في حين من الاحيان

وقالت في القائد « فوش » ان ألمع كاتب عسكري في اوربا كان اقوى محارب في المعارك المتأججة اللظى ؛

ومعركة « المارن » حفلت بمآثر البطولة من الجانبين ، من الجانب الالماني والجانب الفرنسي . فلم يقلّ الالمان بسالة عن الفرنسيين

ولقد نشرت جريدة الحكومة الفرنسية عن مآتي الجنود الابطال انباء متعددة . ومما قالته ان الجندي « ديلاتر » ابدى بسالة فائقة . فاصيب في ذراعيه الاثنتين بالرصاص ، واصيب بالرصاص في صدره وظل في خط النار يقاتل الاعداء

واحد يقاتل ثمانية

وفي ٦ ايلول بينما الجندي «مارسل داغونو » ، احد افراد فرقة المشاة الثانية والسبعين ، يعود من مهمة اوفد لها مع ثلاثة من رفاقه فاجأهم ثمانية من الجنود الالمان يسدون عليهم الطريق . وفيما يحاولون اجتياز قناة

«المارن» وقد مانعوا في الاستسلام اطلق الالمان عليهم النار . فقتل رفاق « داغونو » الثلاثة وظل وحده في قيد الحياة يقاوم ثمانية من الاعداء. فلم يكن منه الا ان قتل الضابط الالماني وجنديين وهجم على الثالث وطرحه في قناة الماء . فخاف الآخرون وركنوا الى الفرار

وهذا حادث آخر !

وفوجيء ضابط فرنسي واثنان وعشرون جندياً من جنوده الفرسان في قرية « غران فرينوى » بالفرقة الثامنة من الحرس الامبراطوري

وايقن الضابط ان لا سبيل الى النجاة بسوى ابداء الجرأة. فدعا رجاله الى شق صفوف الاعداء بكل ما يملكون من قوة

فاطلقوا لجيادهم العنان واقتحموا الصفوف الالمانية ونجوا منها سالمين والالمان ينظرون اليهم بدهش وذهول

صدى انتصار « المارن »

كان لمعركة « المارن » صدى جميل لدى حلفاء فرنسا . فوردت على الحكومة الفرنسية تهانئ روسيا وبلجيكا وانكلترا وصربيا والجبل الاسود . وساد الاذهان ان الجيش الالماني ليس اقوى جيش في العالم . وذلك ما اعترفت به ايطاليا واسبانيا مع كونهما في عزلة

وابلغ نداء اذاعه قادة جيوش الحلفاء نداء القائد «مونوري» الفرنسي لقواته افراد الجيش السادس . فقد خاطبهم ببيان مؤثر ينضح اعجاباً وشكراً فقال :

« الفضل فضلكم في انتصارنا . فالظفر كلل اعلامنا بهمتكم وبطولتكم . والآن وقد بلغتم الامنية المجيدة التي تشتهون فعليكم ان تحرصوا عليها وان تحولوا دون خسارتها . اما انا فان يكن لي بعض الفضل فقد نلت عنه كل مكافأة بعد خدمة طال عليّ مداها . وهذه المكافأة اني اقود جماعة مثلكم !

« اني اشكر لكم بتأثر شديد ما ابديتم من بسالة رائعة . فمنذ اربع واربعين سنة ومجهودي وعزيمتي متجهان الى الانتقام ممن فجعونا بحرب ١٨٧٠

« الشكر لكم يا جنود الجيش السادس الابطال !... »

اما القائد جوفر !...

اما القائد « جوفر » — قائد قوات الحلفاء العام — فقد اشتهر عنه انه قليل الكلام . ولما وافق الى روسيا رئيس الجمهورية الفرنسية، السيد ريمون بوانكاره ، قال فيه القيصر نقولا الثاني يخاطب الوزير « دلكاسه » :

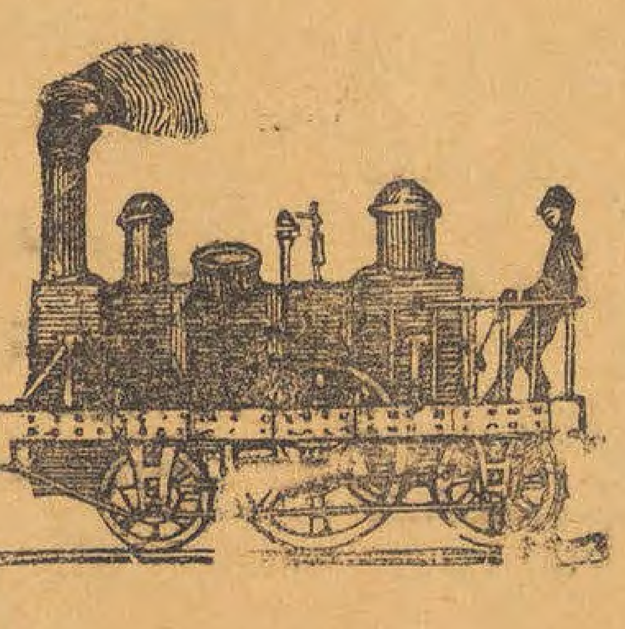
— مما يعجبني في قائدكم العام انه يتكلم قليلا ، بل هو يؤثر ان لا يتكلم اذا لم يكن لديه ما يقول . لا ريب انه من الشمال !

فاجاب « دلكاسه » مبتسماً : هو من الشمال مثلي ، فقد ولدت في « ارياج » وولد في « البيرينه » الشرقية ، اي اننا جاران !

والقائد « جوفر » بعد خدمة طويلة في جيش المستعمرات رقي سنة ١٩١١ الى قيادة اركان الحرب مما رفعه الى مقام القائد العام لدى نشوب الحرب الكبرى

ووصفه كاتب في « الجورنال ده جنيف » فقال : « القائد جوفر يبدو بديناً ، عامر القوى ، بقد يشدّ الى الطول ، اشقر شعر الرأس والشاربين ، وخطه المشيب ، عينه اليسرى دون عينه اليمنى اتساعاً . وهو شبيه كل الشبه بالرسوم المنشورة له . على ان ما لا يشاهده فيه الجميع تلك السيادة المفطور عليها ، فهي كامنة في شخصه مع بساطة متناهية لا ادعاء فيها ولا غرور . والسلطة تتجلى في ما يبدي من حركة ، الا انها حركة سريعة خالية من تصنع السيطرة. ونظراته تدل على انه رجل يدرك ما على عاتقه من تبعات ويرغب في القيام بها بوجدان صحيح ! »

هذا هو القائد « جوفر » قاهر الالمان في معركة « المارن » . ومعركة « المارن » لا تزال حتى اليوم اعظم معركة في التاريخ !



اسرار الجاسوسية والحرب الكبرى

الأسرار
العدد الرابع



شرذمة من كتيبة "الهلال الاحمر" في طريقها الى قناة السويس

صورة حقيقية لمعركة قناة السويس الاولى



١ قرش مصري

الاسرار

مجلة اسبوعية تاريخية تبحث في التاريخ وما اهمله التاريخ

العدد ٤ بيروت في ٢٧ نيسان سنة ١٩٣٨

الادارة : مكتبة صادر * شارع اللنبي * بيروت

اسرار الجاسوسية في القضية العربية

بقلم فؤاد ميداني

رغب السلطان محمد رشاد في دعوة امراء العرب الى عقد مؤتمر اسلامي في عاصمة السلطنة والخلافة ، اعتقاداً منه ان هذا المؤتمر سيساعد على توطيد نفوذ الدولة العثمانية من جهة ونفوذه كخليفة للمسلمين من جهة اخرى . الا ان انور باشا رفض هذا الاقتراح وهو لم يصدر عنه ، مخافة ان تكون وراء هذه الدعوة مكيدة سرية دبرها له احمد جمال باشا ، فبذل كل ما لديه من مجهود للحؤول دون عقد المؤتمر .

والسلطان محمد رشاد وقد اعتاد الخضوع التام لمشيئة انور ، ابى في هذه المرة النزول على هذه المشيئة ، واصر على دعوة امراء العرب اليه

السلطان لم يحسن انتهاز الفرصة

غير ان السلطان لم يحسن انتهاز الفرصة . فان دخول الدولة العثمانية في الحرب العالمية ، وانقطاع المواصلات حتى بين العاصمة وحلب ، وقفا حائلا دون تلبية هؤلاء الامراء الدعوة

ولو فرض وكانت وسائل النقل موفورة فمن المحال ان يلبي الامراء الدعوة وان يبرحوا قواعد حكمهم في هذه الاحوال التي يرقبها كل منهم ليستقل ببلاده ويقطع كل صلة له بالسلطنة العثمانية

موقف الاتحاديين من العرب

والموقف السيء الاثر الذي وقفه الاتحاديون من العرب قبل الحرب العالمية كان من الاسباب الرئيسية التي اهابت بالامراء العرب الى النفور من الاتحاديين

ففي سنة ١٩١٢ دعا مبارك الصباح امير الكويت وفداً من رجاله ليحمل تحيته وتحية الكويتيين الى خليفة المسلمين ، وزود الوفد بكتاب الى عزت باشا يقول فيه : « لما زارني المعتمد الانكليزي في الخليج حمل اليّ رسماً لجورج الخامس ملك بريطانيا موقعاً من جلالته ، فرفعت هذا الرسم في احدى زوايا قاعة الاستقبال تاركاً صدر المكان للرسم الذي سيتفضل صاحب الجلالة السلطان وخليفة المسلمين باهدائه اليّ . فارجوكم تأمين هذه الهدية والعمل على ارضاء الوفد الشاخص اليكم !... »



السلطان العثماني محمد الخامس

المعروف باسم محمد رشاد

ولكن الاتحاديين وفي مقدمتهم طلعت باشا وانور باشا رفضوا حتى استقبال الوفد ، كما ابوا ان يتوسطوا لدى السلطان لاهداء رسمه الى امير الكويت . وكان ان عاد الوفد الى بلاده ساخطاً صاخباً . وكانت النتيجة ان مال امير الكويت بانظاره عن تركيا واتفق والانكليز

خيبة السلطان

والسلطان،وكان يجهل الامر ،اعتقد انه اذا دعا امراء العرب تمكن من حملهم على العمل تحت لوائه ، ولهذا عـارض انور وارسل الدعوات الى امراء العرب لعقد مؤتمر في استانبول يوم ١٠ كانون الاول سنة ١٩١٤ ، الاانه تلقى رفض هؤلاء الامراء باجابة دعوته، وكان لانور باشا اليد الطولى في هذا الرفض

قضية جعفر العسكري

والدور الذي مثله انور باشا وقضى بخيبة السلطان محمد رشاد شاء جمال باشا ان يمثله حيال انور نفسه

وفي العدد الثالث من « الاسرار » وقف القراء على ما كان من جعفر العسكري في طرابلس الغرب،وسعيه مع نوري باشا،شقيق انور،لاستمالةالسيد احمد الشريف السنوسي الى الدولة العثمانيـة وما كان من فوزهما في المضمار . على ان جعفر باشا العسكري عاد الى يافا والقدس واجتمع فيها باحمد جمال واطلعه على كل ما جرى، فتنكر له جمال باشا ورمى الى افساد الخطة،مع ان هذه الخطة عظيمة الفائدة لجمال،غير انها وقد بدرت من انور ابى جمال الموافقة عليها، مما دعاه الى المماطلة في اعادة جعفر العسكري الى طرابلس الغرب . ولم يعمل على اعادته الا وقد شكاه جعفر الى انور باشا نفسه .فابرق انور الى جمال بضرورة مساعدة جعفر العسكري في مساعيه.ففعل جمال باشاولكن على كره منه . ذلك انه كان يرغب في ان يفاوض بنفسه الامارات العربية المجاورة.على ان البلاد العربية كانت في غليان شديد،فان امراء العرب ، وهم يرصـدون الفرص للانقضاض على الدولة العثمانية ، وجدوا في الحرب العالمية الحاضرة فرصة كافية لتحقيق مطامعهم في الاستقلال . فوقفوا جميعاً ينتظرون ان تنتهي الحـال الى ما يبلغهم اهدافهم

خطة جمال باشا في مباحثة الامراء

وخطة جمال باشا دفعته الى مفاوضة هؤلاء الامراء الذين تسعى بريطانيا لاستمالتهم اليها . وكان يرغب في ان يكـون الفوز في هذا المضمار له لا لسواه من اركان الحكومة العثمانية، ولذا ساءه ان يرى انور باشا يعمد قبله الى مفاوضة السنوسيين ، وساءه وهو يفـاوض الادريسي ، ومبارك الصباح امير الكويت ، وابن السعود ، والامام يحيى ، وابن الرشيد وسواهم من امراء العرب ، ان يرى امامه جعفر بك العسكري يأتيه معلناً انه اتفق والسيد احمد الشريف السنوسي لتأييد الدولة العثمانية

وهكذا نرى ان تنازع النفوذ غلب على جمال ، مع انه كان في امكانه لو احسن السياسة ادارة الامور والاستفادة من الموقف . غير انه ظل يماطل جعفر العسكري مدة من الزمن حتى جاء الى بيروت في اول حزيران سنة ١٩١٥، وفيها استدعى احمد آغا الشرقاوي ، وهو من رؤساء البحارة المعروفين في بيروت ، وامره ان يعد له مركباً واربعة بحارة يمكنهم ان يتحملوا المخاطر للسفر الى السلوم .وقد وفق احمد آغا لهذا المركب، فجاء به من طرابلس ومحموله ١٥٠ طناً وكان فيه اربعة من البحارة الطرابلسيين هم السادة : مصطفى،مراد ، محمد ، ابراهيم(يؤسفنا ان لا نعرف اسماء عيال هؤلاء السادة لنثبت بطولتهم ونحن نسرد هذا التاريخ ،ولكننا على استعداد لنشرها في عدد آت اذا وردت علينا منهم او ممن يعرف عنهم شيئاً)

وانتدب الضابط احمد عيد واربعة جنود آخرين لملء هـذا المركب بالسلاح والعتاد الحربي والسهر عليه

أهكذا يعملون في سبيل امه ؟

وفي الثالث من شهر حزيران سنة ١٩١٥ استدعى احمد جمال اليه جعفر العسكري وخاطبه قائلا :

— اني جد آسف لعدم تمكني من ايجاد كل السلاح والمال اللذين تحتاجون اليهما . على اني وفرت لك كمية من السلاح ومبلغ خمسة الاف ليرة ذهباً !

فقال جعفر العسكري : هذا لا يكفي يا صاحب الدولة !

— ولكن هذا كل ما استطعت،ولست اقوى على سواه !

— وما العمل اذاً ؟

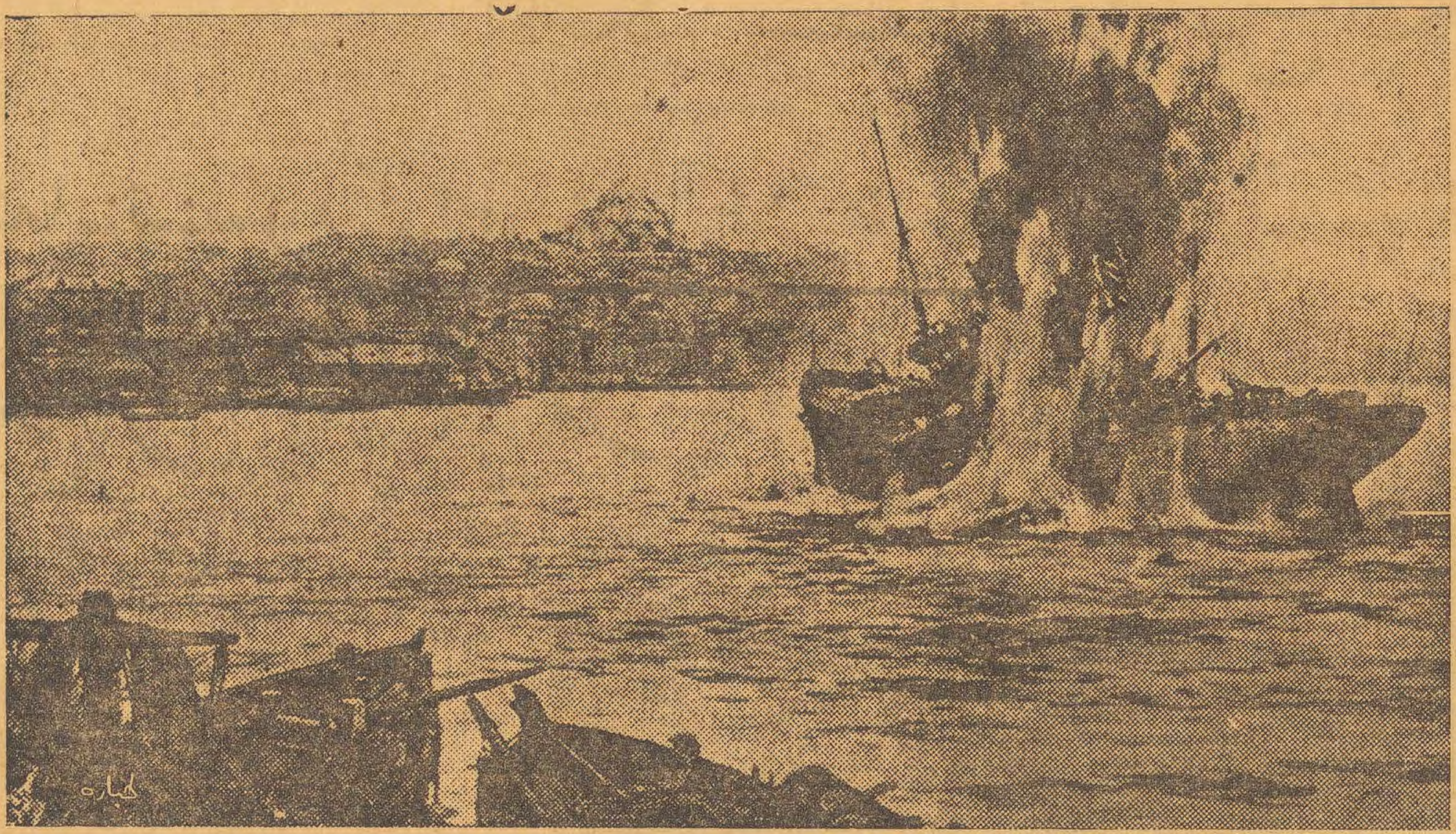
— سنخاطب في الامر استانبول !

ولما كانت المعارضة لا تفيد شيئاً ودع جعفر العسكري قائد الجيش الرابع وانصرف. وقبيل شروق شمس ١٥ حزيران سنة ١٩١٥ جاء الى ميناء بيروت فلقي احمد اغا الشرقاوي بانتظاره مـع البحارة والضابط والجنود الاربعة . وكان بجانبهم في وداعه صديقاه الامير عادل ارسلان ، وكان موظفاً في دار مراقبة الرسائـل ، والدكتور ناجي الاصيل وقـد اصبح من وزراء العراق . واستقل العسكري المركب وسافر الى طرابلس الغرب . فوصل الى مرفأ « بورسليمان » الصغير بجوار السلوم بعد رحلة شاقة استغرقت اربعة عشر يوماً

وابلغ ذلك معسكر السنوسيين فجاءه نوري باشا ، شقيق انور، فاطلعه جعفر العسكري على كل ما كان

الانكليز على حذر

ولم تلبث دار الجاسوسية الانكليزية ان وقفت على التدابير التي اتخذها العثمانيون في طرابلس الغرب ، خصوصاً بعد نشاط الحركات الحربية في طرابلس ، فاقامت المراقبة الشديدة على المناطق البحرية من خدم جعفر العسكري ، واسرع باعادته الى السلوم ، ووحد جهوده وجهود السيد احمد الشريف السنوسي لتبدل الموقف والحال دون خيبته في اختراق قناة السويس ، اذ ان الانكليز يصبحون عرضة لهجومين قويين ، من القناة ومن حدود مصر الغربية وهذا الهجوم لو تحقق لكان في الامكان اخراج الانكليز



﴿ الانكليز ينسفون الباخرة العثمانية « استانبول » الشاخصة الى طرابلس الغرب ﴾

فيما القيادة العثمانية توفد الى السنوسي البواخر حاملة الذخائر والسلاح فاجأت غواصة انكليزية الباخرة « استانبول » وهي تبرح العاصمة العثمانية الى طرابلس الغرب يقودها الربان شفيق كامل بك. فرمتها بالقذائف واغرقتها . والرسم يمثل مشهد النسف وقد وقع في شهر حزيران سنة ١٩١٥

وتمكنت من اغراق ثلاثة مراكب اطلقتها الحكومة العثمانية الى طرابلس الغرب بعد رحيل جعفر باشا. وكان ان وقع رجالها في الأسر واستولى الانكليز على ما يحملون من وثائق مهمة واموال وذخائر. وكل هذا كان يعود بالنفع العظيم على الحركة السنوسية لولا حؤول الانكليز دون وصوله واستئثارهم به

وشعرت الحكومة العثمانية بالتعب الجسيم والانكليز يضايقونها فاستنجدت بالحكومتين الالمانية والنمساوية طالبة منها ان تسعفاها بالغواصات لتكون على اتصال مستمر بالسنوسيين ، الا ان هذه التدابير لم تفد شيئاً وقد صارت الى الاخفاق التام

التبعة على جمال باشا

وتبعة الاخفاق تقع على احمد جمال باشا قبل الجميع. فلو استفاد

استعداد السنوسيين

والسيد احمد الشريف السنوسي وقد دعا ابناءه الى الجهاد اذاع منشوراً يعلن فيه القبائل العربية في طرابلس الغرب ان الدولة العثمانية وافقت على استقلال طرابلس وانه سيحارب بجانب القوات العثمانية كما يحارب الصديق بجانب صديقه !

وطلب من بني قومه في ختام منشوره العمل واياه يداً واحدة في سبيل تحقيق هذا الهدف السامي

ولباه الى جهاده العدد الكبير من القبائل العربية التي هاجمت حدود مصر الغربية بعد وقوع معركة قناة السويس الاولى ،ولكن العثمانيين كانوا قد تقهقروا على ضفاف القناة .

تفصيل دقيق لمعركة قناة السويس تنفرد به «الاسرار»

كيف مشت الحملة المصرية الى احتلال مصر ومن هم قادتها ؟..

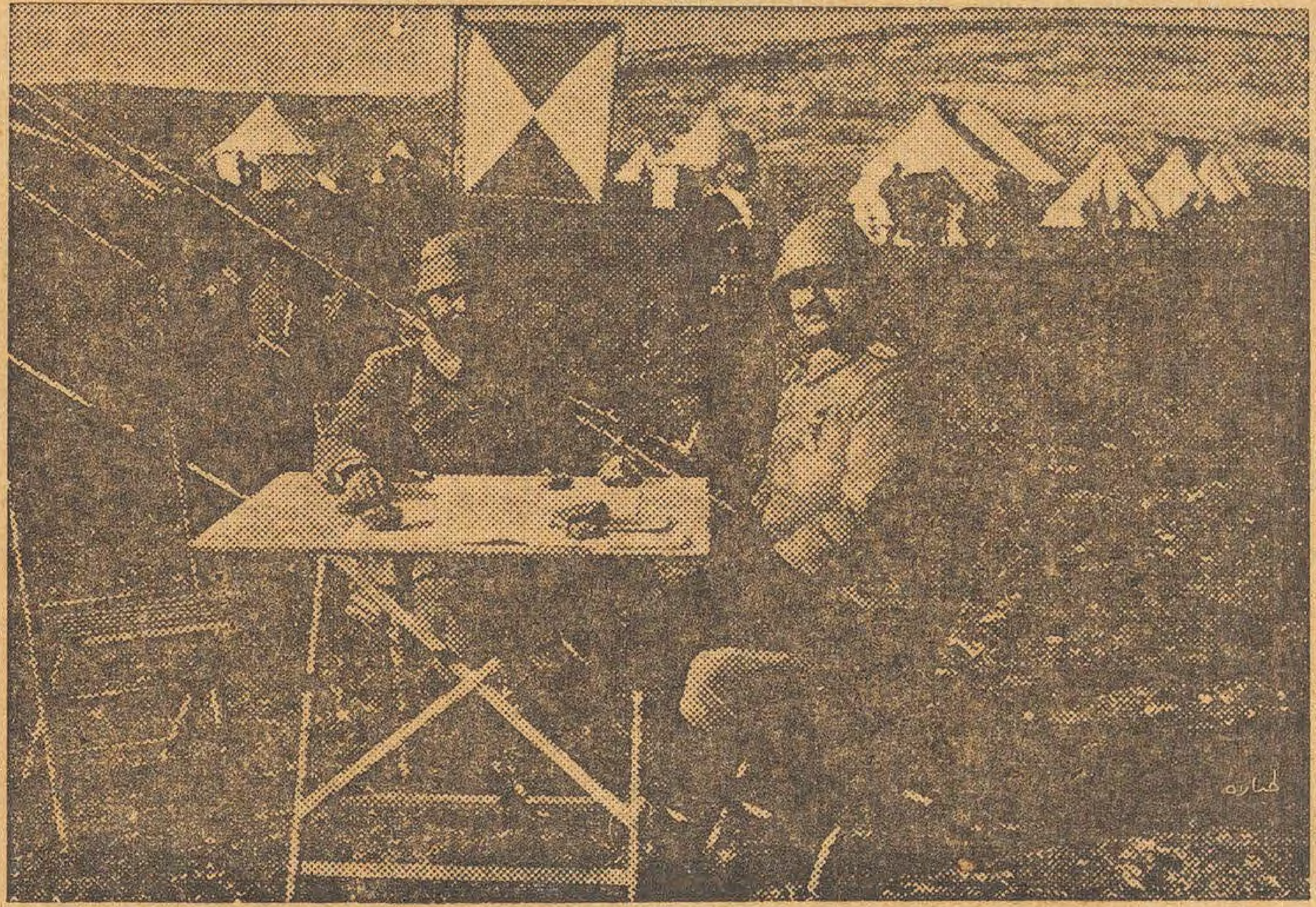
الانكليز يستيقظون على نباح الكلاب

الجنود العثمانية تستبسل ولكن القوات الانكليزية تغلبها على امرها وتنزل بها الخسران

جمال باشا يتراجع ساخطا !

انصرف احمد جمال باشا ، بعد مغادرته دمشق في شهر كانون الثاني سنة ١٩١٥ ، الى الاستعداد في القدس لحملة قناة السويس الاولى . وبذل في سبيل ذلك كل قواه حتى تم له ما رآه واجباً من الاستعداد. وفي اليوم الرابع من كانون الثاني سنة ١٣٣٠ ، اي ١٧ كانون الثاني سنة ١٩١٥ ،اقيمت له في ردهة فندق «غران اوتيل» مأدبة غداء شائقة القيت في اثنائها الخطب والادعية بفوز جمال باشا ، كما أقيمت الزينات والمظاهرات ابتهاجاً بغزو مصر . وما اقبل جمال ومن معه لركوب السيارات حتى وجدوا صعوبة شديدة في اجتياز الطريق الى هذه السيارات لشدة الازدحام. فالشعب كان في حماسة فائقة

وبعد نصف ساعة اتجه الموكب الى « بئر السبع »وبات جمال تلك الليلة فيها. ولدى الصباح غادر بئر السبع الى صحراء سينا . وبعد ساعات ثلاث بلغ الموكب المرحلة الاولى من الصحراء في مركز « الخلاصة »



جمال باشا في صحراء التيه يبتسم ليقينه بافتتاح مصر

لما وقف موكب احمد جمال باشا في « الخلاصة » في اندفاعه الى افتتاح مصر نصب خيامه للراحة وجلس يتناول الطعام كسائر افراد الجيش . ويبدو الى جانبه في هذا الرسم علي فؤاد باشا رئيس اركان حربه. ووراءهما مرافقا القائد زكي بك وسعد الدين بك الجركسي وتبدو الابتسامة على شفتي جمال باشا لاعتقاده انه سيفتح حقاً بلاد مصر

وهناك حفرت بئر جديدة . والمركز مؤلف من عدة خيام اتخذت مستودعات للحبوب وانتصب امامها عمود رفعت في اعلاه لوحة كتب عليها : « خلاصة منزل نقطه سى » . وفي « الخلاصة » تناول القائد العثماني ومن معه الغداء ، وكان عدة قطع من البقسماط وقليلاً من التمر والماء

وللمرة الاولى اجتمع احمد جمال باشا في مكان واحد بضباطه. وكان حتى مغادرته القدس شديد التمسك بالرسميات ، الا انه في الصحراء ضرب صفحاً عن اظهار السيادة وحب السلطان

وبعد الانتهاء من الطعام تحرك المعسكر الى « حفير العوجه » فوصلها عند الغروب

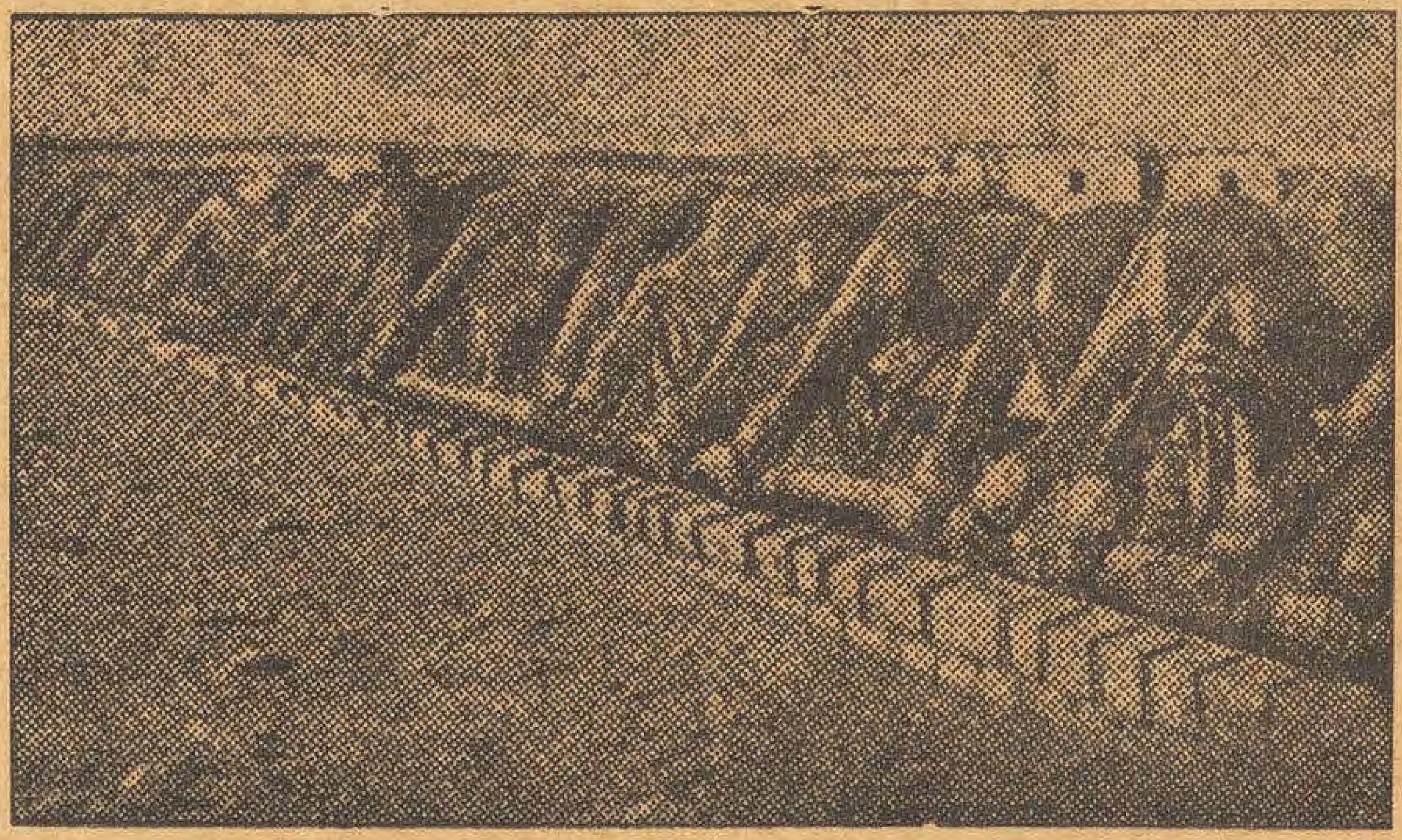
والحفير كانت في ذلك الحين اخر مركز للقوات العثمانية في صحراء سيناء،ومقراً لمدير الناحية ولبلوك من الجنود النظامية . والحد الفاصل بين السلطنة العثمانية ومصر على بضعة اميال منها

وامست الحفير ، والجيش العثماني يستعد للحملة على مصر ، مركزاً رئيسياً لدائرة المنزل (دائرة المنزل تتولى امور اعاشة الجنود في الجيش العثماني) وقام فيها مستشفى كبير ، ومستودعات ومحلات للذخائر،ودار للبرق،وجرت فيها مياه للشرب يمكن القادم من الصحراء ان يتذوقها بلذة متناهية

وقضى جمال باشا واركان حربه ليلتهم في الحفير . وصباح اليوم التالي غادروها الى « وادي العريش ». والاماكن التي انشأ فيها «المنزل» مستودعات له بعد الحفير هي : ام شيخان ، هلال ، ابن ، بئر حاممه، برنجي خابرا ، جفجافة ، ايكنجي خابرا .

والمسافة بين كل من هذه المستودعات ما يقارب ٣٠ ميلا،الا ان الطريق كان من الرمل ، صعب المسالك ، ومع ان القافلة تسلك ذلك الطريق في شهر كانون الثاني فالحر كان شديداً . ولهذا عرجت القافلة على عدة مراكز قبل «ام شيخان» ، فوصلت اليه عند الظهر . وكانت حالتها مؤسفة وليس هناك مياه للشرب

وشربت الجمال من اقنية من خشب صنعت لهذا القصد



الجمال تشرب من اقنية الخشب في صحراء التيه

في الحملة العثمانية الاولى المنظمة لاحتلال مصر استعان القادة الاتراك بالجمال لحمل الذخائر والمؤن . ولما كان الماء غير موفور في اماكن يسهل على الجمال الشرب منها اعدت اقنية من الخشب لارواء البعران . وهذه الاقنية كانت تنقل على ظهور العيس نفسها في كل مرحلة . وقد وافانا احد الضباط الاتراك ، من اصدقاء « الاسرار» بهذا الرسم التاريخي زيادة في الفائدة فاثبتناه شاكرين



الجنود العثمانيون يمدون انابيب الماء في الصحراء

كلما تقدمت القوات العثمانية من قناة السويس انصرف العمال الى مد الانابيب لتأمين حاجة الجيوش الى الماء . الا ان هذه التدابير لم تفد شيئاً والعواصف الرملية التي هبت في الصحراء قضت على هذه الاعمال القضاء التام

ولم يقف الموكب في ام شيخان بل تابع مسيره الى « وادي العريش » . فبلغها مساء . وهناك علم ان القوات العسكرية مرت بهذا الطريق ، الا ان المدفعية كانت تلاقي صعوبة تامة . فجيء بعدد كبير من العمال لاصلاح الطرق في تلك المنطقة

وبات المعسكر ليلة واحدة في وادي العريش وتابع سيره الى ابن — هلال . فقيل له ان القوات لا تزال تواصل سيرها فاضطر احمد جمال باشا الى الوقوف هناك اسبوعاً كاملا بمن معه . وفي صباح ١٣ كانون الثاني اندفع في الصحراء فوصل بعد الظهر الى بئر حاممة.

بين القدس والمعسكر

وفي بئر حاممة انقطعت المخاطبات بين المعسكر ومقر القيادة في القدس. فالبرق السلكي يتصل بالحفير ولا يجاوزها،ولم يكن للاسلكي وللطيارات وجود . ولذا لم تقو القيادة على مخاطبة الجيش بسوى الاعتماد على الرسل من راكبي الجمال ، فقررت تأليف شبكة من راكبي الهجن لتأمين المخاطبات

جمال يضيع !

ومشت القافلة الى موقع « برنجي خابرا » بهدوء تام ، الا انها ما كادت تنتقل من هذا الموقع حتى فقدت كل أثر يرشدها الى وجهتها، وظلت تسير مدة ١٢ ساعة دون جدوى حتى لاحت لها عن بعد خيام

منصوبة . فاعتقدت انها وصلت الى المكان الشاخصة اليه ، وما اعظم ما كانت خيبتها لما رأت نفسها تعود الى « برنجي خابرا » . فقضت الساعات الطويلة تحوم حول ذلك المكان . وما كان منها الا ان استنجدت بمن يعرف تلك الاماكن وانطلقت الى جفجافة ثم الى خابرا الثانية ، وذلك في ٢٦ كانون الثاني سنة ١٩١٥

الموقف العسكري

وكان الموقف العسكري يومذاك كما يلي :

اولا – وصلت قوات الفيلق الثامن الى مراكزها تجاه قناة السويس

ثانياً – وصلت الى « برنجي خابرا » المقدمة الاولى من الفرقة العاشرة والمؤلفة من آلاي من المشاة وبطارية من المدفعية

ثالثاً – ستصل بعد ثلاثة ايام الى قلعة النخل مقدمة قوات الحجاز

خلاف جديد بين جمال و « فون كريس »

وفي خابرا الثانية (اكنجي خابرا) وقع خلاف جديد بين احمد جمال باشا قائد الجيش الرابع وفون كريس باشا قائد الفيلق الثامن، فقد رأى قائد الجيش الرابع ضرورة تأخير الهجوم بضعة ايام على قناة السويس ريثما تتجمع القوات في المراكز المعينة لها

اما قائد الفيلق فرأى ضرورة الاسراع بالهجوم ، وحجته على ذلك ان الحركات الحربية يجب ان لا تستند الى قواعد عسكرية فحسب بل الى امور اخرى ايضاً . فالقوات تابعة في حركاتها لحاجتها الى الماء . والماء غير موفور في المراكز التي يشغلها الجيش تجاه قناة السويس ، وانتظار الجيش طويلا بلا ماء يؤثر في معنوياته . فاضطر جمال باشا الى الاذعان لارادة قائد الفيلق مرة اخرى

والحقيقة ...

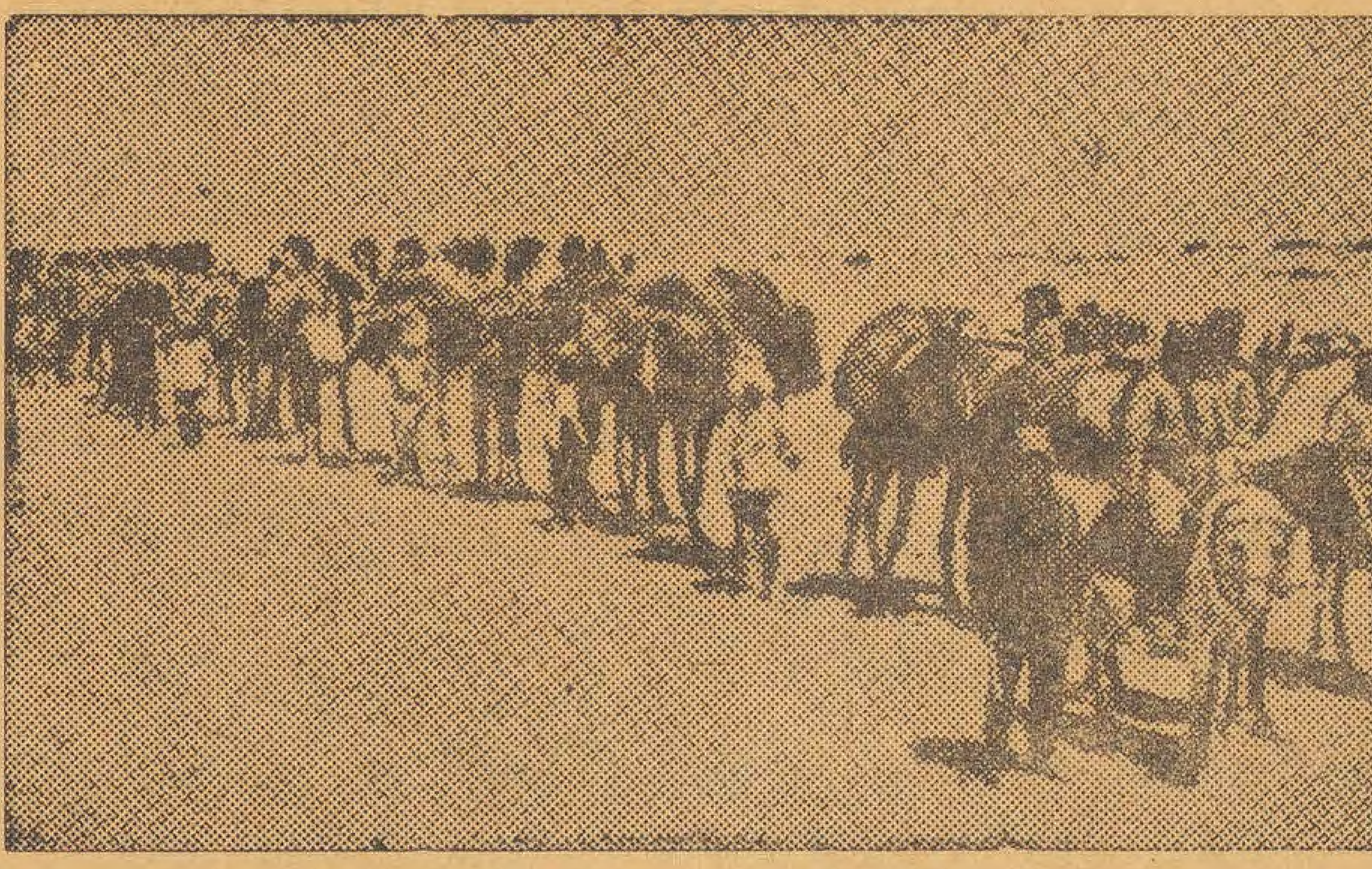
والحق يقال ان حملة السويس كانت في موقف صعب خطير من جهة الماء والاعاشة والاعتدة الحربية . فالجمال كانت قليلة لدرجة لا تمكن القيادة من تأمين احتياجات الجند بصورة مستمرة . فبات تأخير الهجوم على القناة حتى يوم تعلنه القيادة امراً ليس بالامكان ، كما ان العودة لم تخطر يومذاك في بال احد بعد الوصول الى المرحلة الاخيرة ، ذلك ان اقرب مكان آمن تلجأ اليه القوات هو بئر السبع البعيد عنها ما يزيد على ٣٠٠ كيلو متر ، مما جعل الحملة امام امر واقع وهو ان تلقي بنفسها في القناة ، فاما ان تفوز او ان تذهب شهيدة الواجب

منشور القيادة

ولم يبق على القيادة الا ان تثير الحماسة في صدور الجنود والضباط وتدعوهم الى اراقة آخر نقطة من دمائهم في سبيل الوطن

فاذاع جمال باشا منشوراً أوضح فيه الموقف الراهن بصراحة قائلا : « الغذاء والماء والظفر والنجاة وكل شيء على الضفة الاخرى من القناة . والجوع والعطش والموت والمصيبة في الصحراء التي تركتموها وراءكم ! .. »

ووعدت القيادة في منشورها بالعناية باولاد الذين سيقتلون وبرفع مرتب الذين يبدون البطولة وما اشبه



✵ حملة الذخائر والاعاشة في الجيش العثماني ✵

قافلة من حملة الذخائر الذين يعتمد عليهم الجيش العثماني في تأمين مؤخرة الجند بما ينقلون من اعتدة ومؤونة

اوامر الهجوم

وفي مساء اول شباط ١٩١٥ حلقت فوق الجيش العثماني طيارات انكليزية بعد ان قامت بجولات فوق المعسكر للوقوف على الحالة الحربية فيه ، وما توارت حتى عقد قادة الجيش اجتماعاً في ناحية منخفضة من موقع كتيبة الخيل ليس بالامكان رؤيتها من الناحية الاخرى من قناة السويس . وفي هذا الاجتماع ادلى القائد الالماني « فون كريس » الى القادة بما عليهم لدى الهجوم العام وقد تقرر القيام به في اليوم التالي ، فشاء ابلاغهم ادق التفاصيل الشفاهية فضلا عن الاوامر الخطية

اوامر « فون كريس »

فقال ان هذا الهجوم سيكون كميناً مفاجئاً ، وان المرور سيكون

بين طوسوم وسرابيوم ، اي من جهة بحيرة التمساح الواقعة تجاه الاسماعيلية الى البحيرة المالحة الكبيرة ، وذلك في الجنوب الغربي من المواقع التي تجمعت فيها القوات العثمانية ، وان القوات التي ستجتاز القناة ستكون مؤلفة من خمسة طوابير . اما القوات الاخرى فانها

الى القنطرة ، والآلاي ٦٨ على المنطقة الممتدة من الفردان — الاسماعيليه ، والجناح الايسر على منطقة السويس

رابعاً — عند غروب شمس ٢٠ كانون الثاني سنة ١٣٣٠ على بطارية المدفعية الثقيلة مع طابور المشاة المخصص بها الانتقال الى



☀ خارطة صحراء التيه التي اجتازتها الحملة العثمانية الى قناة السويس ☀

نشرنا في العدد الماضي من « الاسرار » خارطة تشير الى خطة القوات العثمانية في اجتياز قناة السويس .
والخارطة التي تنشر في هذا العدد ترشد المطلع عليها الى صحراء سينا المعروفة بصحراء التيه ،
وهي الفلاة التي سلكتها الحملة العثمانية في طريقها الى القناة

ستقوم بالهجوم من المواقع المعينة لها

وعلى القوات التي ستتولى حركة « الاجتياز » ان تتحرك من مراكزها في اليوم التالي بعد غروب الشمس ، متجهة الى ناحية قريبة من المكان المعين لها

نص البلاغ الرسمي

وبعد هذا الايضاح اعلنت القيادة امراً خطياً هذا نصه :

« اولا — انسحبت قوات العدو الاجمالية الى الساحل الغربي من القناة

« ثانياً — يبدأ الهجوم على القناة بعناية الله تعالى ليل ٢٠ كانون الثاني سنة ١٣٣٠ الموافق ٢ — ٣ شباط سنة ١٩١٥

« ثالثاً — على مفرزات الجناح الايمن الهجوم على الجبهة المؤدية

هضبات بئر فوّاره

« يلحق طابور من الآلاي ٢٨ بهذه البطارية في اثناء انتقالها .

* * *

« مهمة هذه المدفعية تخريب سفن الاعداء الحربية الموجودة في بحيرة التمساح ، واذا وجدت فرصة سانحة فعليها ان تعمد الى اغراق احدى البواخر عند مدخل القناة

« وعندما تقوم هذه البطارية بمهمتها عليها ان تنتقل الى الجنوب لتطلق قذائفها على المدرسة الحربية القائمة في البحيرة المالحة الكبيرة

« خامساً — على آلايات المشاة ان تترك عند الساعة السادسة من مساء ٢٠ كانون الثاني سنة ١٣٣٠ مراكزها وتتجه الى الغرب

« يدير الحركة الرئيسية للفيلق رئيس اركان الحرب العام للفيلق نفسه اي فون كريس باشا »

اما المواد الاخرى من هذا البلاغ ففيها بيان القيادة للتدابير الواجب اتخاذها والاماكن الواجب احتلالها اذا ما نجحت القوات العثمانية في اجتياز القناة

وفيها ضرورة ايجاد خط للدفاع اذا لم تفز هذه القوات باختراق قناة السويس

خط الدفاع

وتأسس خطان للدفاع ، الاول شرقي القناة والاخر غربيها ، وعين خط الدفاع الاساسي غربي القناة ، اما خط الناحية الشرقية فليس غير تنظيم في المؤخرة

العاصفة الشديدة

كان من المقرر يوم ٢٠ كانون الثاني سنة ١٣٣٠ ، الموافق ٥ شباط سنة ١٩١٥ م، ان لا تقوم القوات العثمانية باي حركة كانت ،وان تخلد الى السكينة استعداداً للعمل في الليل . وتقرر ان ينتقل معسكر القيادة الى هضبة على بعد خمسة اميال من القناة في جهة قريبة من موقع كتيبة الخيل المعينة لمرور القوات

وبعد الظهر هبت عاصفة شديدة ما لبثت ان تحولت الى اعصار هائل. فبات من المحال رؤية شيء ، حتى ان الضباط الحربيين امسوا لا يرون بعضهم بعضاً . فتلقى الاتراك هذه العاصفة كبشرى من السماء ، ذلك ان العاصفة وهي ممتدة من الشرق الى الغرب تساعد على اخفاء استعداد الترك للهجوم على الانكليز ، وتمنع عن الطيارات الكشافة رؤية ما يجري فتسهل اعمال الكمين

ولكن القيادة لم تستفد من هذه الفرصة وقد وفرتها لها الطبيعة ، فهي تريد السير في الوقت المعين ، فما عرفت اغتنام النهزة السانحة

هل بدأ الهجوم ؟

انتقل القائد « فون كريس » واركان حربه الى الهضبة المخصصة لتسيير حركات الهجوم والاشراف عليها

وكان من المقرر ان يبدأ الهجوم في الساعة العاشرة مساء .

ولكن مرت الساعة العاشرة ولم تبدر بادرة تدل على بدء الهجوم

وكان من الصعب على القيادة معرفة حقيقة الامر ، والاتصال الهاتفي غير موجود واللاسلكي مفقود

ومرت ساعة وساعتان والسكون لا يزال مخيما على القادة مما رماهم بالخوف فتعاظم خفقان قلوبهم

ماذا جرى ؟

ماذا جرى ؟...

لماذا تأخر الجيش والساعة تكاد تدق الثانية بعد منتصف الليل ؟

ما دعا الى هذا التأخر وقد دام اربع ساعات ؟

ليس لاحد ان يجيب عن ذلك بشيء

وفجأة علا ازيز رصاص الرشاشات وصوت النفير يعلن الهجوم. وعند ذاك تنفس احمد جمال باشا وقال : هاه ايشته !... هاه ايشته ! كأنه يريد بهاتين الكلمتين وقد فاضت بها شفتاه من قلب محروق ان يقول لرفاقه: بدأ النجاح ، ان ما كنتم تنتظرون مني تحقق !..

ولكن تلك الضجة لم تكن مقبلة من معسكر القوات التركية بل من ضفة القناة الاخرى ، اي من معسكر الانكليز . فاشتدت الحيرة بالقائد الالماني « فون كريس » وهو لم يكن يعتقد ، كما ابلغه جواسيسه ، ان هناك ، على ضفة القناة الاخرى، خط دفاع للانكليز تحميه المدافع الرشاشة

الله اكبر، الله اكبر!

ووقف القادة يرقبون ما سوف يكون ، وبعد ساعة وصل الضابط عارف افندي وهو من عهدت اليه القيادة بتأمين الارتباط بينها وبين قوات الهجوم. وكان جريحاً فلم يتمكن من اطالة الكلام، قال :

— وصلت الوحدات الاولى من قواتنا الى ضفة القناة الاخرى، وسمعت باذني نداءها تهتف : الله اكبر ! ... الله اكبر !

وسقط الى الارض والدماء تتدفق من جراحه

وبعد دقائق جاء رسول آخر يقول ان قائد قوات الهجوم البنباشي اركان حرب ثروت بك جرح ونقل الى مستشفى الاسعاف .

وفي الساعة السادسة من صباح ٢١ كانون الثاني غادر « فون كريس » الهضبة الى مكان القتال

كيف وقعت المعركة على القناة

كلاب الانكليز تنبح وتوقظ اسيادها

ولقد تبين ان القوات التركية ما كادت تصل الى بعد ٦٠٠ او ٧٠٠ خطوة من ضفة القناة حتى اخذت كلاب الانكليز على الضفة الاخرى تنبح عالياً . واقام الانكليز هذه الكلاب كحراس يقظين لانذارهم بهجوم القوات العثمانية . ولدى النباح عمد الانكليز الى بنادقهم الرشاشة واخذوا يطلقون رصاصها على العثمانيين. وما سمع قادة

الاتراك من ازيز لدى الساعة الثانية بعد منتصف الليل كان بدء هجوم قواتهم على القناة

ولم تجبن القوات العثمانية حيال هذه المفاجأة بل بادرت مسرعة الى احتلال سد القناة الشرقي

وقامت بحماية العوامات المعدة لنقل الجنود . واول من حاول اجتياز القناة افراد البلوك الثالث من الطابور الاول التابع للالاي ٧٤ ، الا انه — ويا للاسف !... — لم يصل من افراد هذا البلوك سالماً الى الضفة الاخرى غير ضابط واحد وجندي واحد

وتلته عدة بلوكات على العوامات الاخرى ، فكانوا يخترقون ذلك الممر بصعوبة تامة ، ومع هذا لم يتأخروا عن تقدمهم ، فكانوا يظهرون بسالة من اروع ما شهد التاريخ

وكانت المدفعية التركية تواصل اطلاق النار من مدافع الصحراء

اما المدفعية العثمانية الثقيلة ومدافع الاسطول الانكليزي فما برحت حتى تلك الساعة تلزم السكوت

بوادر التردد

وعند ذاك ورد على القيادة نبأ يعلن ان قوات الفيلق الثامن التي وصلت الى ضفة القناة الاخرى تتردد في الشروع باطلاق النار على الاعداء وتطلب نجدة من الفرقة العاشرة لتعزيز موقفها . فدعي الالاي ٢٨ التابع للفرقة العاشرة للتقدم الى الامام . وبعد دقائق شوهد افراد هذا الالاي ينفذون الامر

ويظهر ان مدفعية الانكليز شاهدت هذا الالاي يتقدم فبادرته باطلاق النار من مدفعيتها. ولكن جنود الالاي لم يتقهقروا بل تابعوا سيرهم حتى وصلوا الى مراكز الفيلق الثامن، وعند ذاك بدأ اطلاق الرصاص بشدة بين هذه القوات والقوات الانكليزية ، وباتت ضفتا القناة شعلة من نار

هاي باي : اين انت ؟...

و « هاي باي » ضابط الماني يتولى قيادة المدافع الثقيلة . وسكوته حتى هذا الوقت عن اطلاق قذائفه لمساعدة القوات المهاجمة اقلق القيادة . فاخذت تبدي الاشارات متسائلة عن الدافع الى سكوت المدفعية .

وكان الضباط يتساءلون : اين هو « هاي باي » هذا ؟

فما لبثوا ان سمعوا جواب تساؤلهم وقد علا قصف المدافع وتلته سحابة دخان كثيفة من جهة الاسماعيلية . فعلم القادة ان المدفعية الثقيلة بدأت عملها ، واطلقت في بادىء الامر قذائفها على طراد حربي انكليزي في بحيرة التمساح في القناة نفسها . واجابها هذا الطراد بالمثل ، وكانت المدفعية العثمانية تصيب الهدف مما اضطر الطراد الانكليزي الى الانهزام بعدما اشتعلت فيه النيران

الا أن الفوز لم يدم للبطارية العثمانية ، فما كاد الطراد يبتعد عن مركزه حتى حلت مكانه مدرعة من الطراز الثقيل وقامت بعملها بقوة واجبرت المدفعية العثمانية الثقيلة على السكوت

وعادت هذه المدرعة ووحدت والمدرعة الراسية في البحيرة الكبيرة مساعيها واخذتا تطلقان نارها على المراكز العثمانية الاخرى، وافسدتا رأي القائد « فون كريس » المعلن على مسامع القادة العثمانيين



قلعة النخل على الحدود المصرية

وهي القلعة التي تراجعت القوات العثمانية عنها في حملتها على مصر

ان القطع الحربية عاجزة في القناة عن القيام باعمال حربية ناجعة

بوادر الهزيمة

وضعف بعد الظهر موقف القوات العثمانية واضحى في حالة لا تساعد على متابعة الهجوم . فاذاع القائد العام « انه لم يبق في الامكان اجتياز القناة بالاعتماد على الكمين ، وان من الواجب ابدال الخطة والعمل على اجتياز القناة بالقوة الجبرية ، فعلى المقاتلين ان يقفوا في ذلك النهار عن هجومهم وان ينتظروا حتى الليل ويحصروا مساعيهم بمضاعفة اطلاق النار بكل ما يملكون من الوسائل »

ولتحقيق هذه البغية اضيفت بطارية الصحراء الى القوات المحاربة

مؤتمر القادة

وعند العصر عقد القادة اجتماعاً حربياً للنظر في الموقف ، ذلك ان اوامر « فون كريس » التي تقررت لم تكن تدل على ان بالامكان القيام بالهجوم الجبري المقرر في ذلك الليل

واجتمع هؤلاء القادة . وكان جمال باشا مفكراً حائراً ، وعلي فؤاد باشا مطمئناً مرحاً ، وفون كريس ساكتاً ذليلا والاصفرار يعلو محياه . فقد تبدل مظهره كل التبديل عنه من قبل

موقف الحملة بعد الهجوم الاول

وتكلم « فون كريس » يوضح موقف الجيش العثماني بعد معركة القناة الاولى فقال :

— تشغل الان خمسة طوابير من قوات الفيلق الثامن مساحة اربعة اميال ، فتطلق النار عن بعد ٢٠٠ او ٢٥٠ متراً على الاعداء من الجهة المقابلة لطوسوم وسرابيوم في القناة

« وتعمل القوات الثانية تجاه البحيرة المالحة الكبيرة ، وهي بحالة لا تساعدها على مقاومة قذائف المدرعة الراسية في البحيرة المذكورة

« اما قوات الآلاي ٢٨ الاحتياطي فلم يبق منها غير طابور واحد لم يشهد القتال

« ولا يزال طابور مدفعية الصحراء ، المؤلف من بطاريتين ، في موقع مستور يتسنى له منه متابعة اطلاق النار على المدرعة الكامنة في بحيرة التمساح

« نفدت معدات فرقة النقليات والجسور التي استخدمت في الليلة السابقة لعبور القناة »

رأي جمال باشا الصغير

هذا ما افضى به القائد الالماني « فون كريس » . وبعد هذا الايضاح دعي جمال باشا المرسلي (المعروف باسم جمال باشا الصغير) واخذ رأيه في الامر بصفته قائد الفيلق فقال بصراحة :

— قوات الفيلق في حالة تعب شديد . والواجب يحتم علينا ان نستبدل فوراً قوات المقدمة الاولى قوات الآلاي ٢٨ ، ولن يكون في وسعنا ان نقوم غداً بهذا التبديل !

« وهناك نقص في الذخيرة . فان استمرار القتال يحول دون حصولنا على الذخيرة المطلوبة ، مما يدعوني الى القول ان الثبات في مواقفنا مدة طويلة امر محال !

القادة الالمانيون يتناقشون

وقبل ان يجيب « فون كريس » تدخل القائد الالماني الاخر « فون فرانكنبرغ » رئيس اركان حرب احمد جمال باشا وقال :

— اضحى الامل ، والحالة هذه ، مفقوداً . . ولذا ارى ضرورة الوقوف عن القتال !

فاعترض « فون كريس » بقوله : ولكن ...

فقاطعه « فون فرانكنبرغ » قائلا : ليس هنا مجال للاعتراض فاذا قضينا بوقف القتال كان في وسعنا انقاذ قواتنا الباقية بان نتراجع بانتظام دون ان نبلى بخسائر فادحة . اما اذا تأخرنا في تنفيذ ذلك فالعاقبة ستكون وخيمة جداً !

جمال باشا يوافق

فقال احمد جمال باشا : اوافق رئيس اركان حربي على ما ابدي ، ومع هذا فاني على استعداد للتضحية بكل هذه القوات ان يكن هناك من امل ، حتى ولو كان هذا الامل ٤٠ بالمئة !



❊ القائد الالماني ❊
« فون فرانكنبرغ »
رئيس اركان حرب قائد الجيش العثماني الرابع

واعطي « فون كريس » الكلام ، فون كريس الذي دبر فكرة الحملة على مصر وكان من اكبر المساعدين عليها . قال والانتظار كلها متجهة اليه :

— ليس لنا امل بالنجاح . وليس باستطاعتي ان اضمن ١٠ بالمئة من الفوز . هذا من الوجهة العسكرية . اما من وجهة شرفنا وكرامتنا العسكرية فعندي ان نتابع حركاتنا الحربية ، حتى النهاية ، فاما ان نفوز او لا يبقى منا احد في قيد الحياة !

خيال شاعر

والحق يقال ان اقتراح « فون كريس » لا يخرج عن حد كونه تخيلات شاعر ، فان تحقيق فكرته افجع خاتمة لتلك المأساة

ولكن احمد جمال باشا لم يوافقه على هذا الاقتراح ، فهو لا يريد ان يلقي بنفسه في هذه المهلكة . وسأل رئيس اركان حربه الهر « فون فرانكنبرغ » عن رأيه في الموضوع فاجابه :

— اذا كان فون كريس يريد الموت فعليه ان يلقي بنفسه في القناة فيموت ويستريح ، اما ان يدفع امامه القوات العثمانية للانتحار فهذا ما لا اوافق عليه !

فلم يكن من احمد جمال باشا عندئذ الا ان اعلن امره بالاستعداد للتراجع

البلاد السورية تبتهج ثم تمتعض

بلاغات القيادة التركية عن حملة قناة السويس
اشبه بالمثل القائل : اقرأ تفرح جرب تحزن !...

وفي ٢٣ كانون الثاني سنة ١٣٣٠ (٨ شباط سنة ١٩١٥) بدأت القوات العثمانية تتراجع . وكان من امر هذه المعركة الضالة ان فقدت فيها القوات العثمانية كثيراً من رجالها . فالتقرير الذي وضعه جمال باشا المرسلي ، قائد الفيلق الثامن، عن مصير هذه المعركة يقول : ان خسائر القوات العثمانية بلغت ١٤ ضابطاً قتيلا ، و١٥ ضابطاً جريحا ، و ١٥ ضابطاً مفقوداً ، و ١٧٤ جندياً قتيلا ، و ٣٦٦ جريحاً ، و٧١٢ مفقوداً .

اما المصادر الانكليزية فتقول في تقاريرها التي اذيعت بعد نهاية الحرب، ان خسائر العثمانيين كانت في هذه المعركة ١٠٢٥ قتيلا و ١٢٣٩ جريحاً و ١٥٠ اسيراً

البلاغات المصرية

واذيعت في مصر بلاغات في هذا الصدد ، وهذا نص البلاغ المنشور في اليوم التالي للمعركة :

« بينما كان الحراس البريطانيون يقومون بحراسة القناة في الهزيع الاخير من ليل ٢ — ٣ شباط سنة ١٩١٥ تبينوا اشباحاً كثيرة تتقدم نحوهم، فادركوا انها قوة من العدو فاطلقوا نار بنادقهم لابلاغ القوات البريطانية المرابطة على الضفة الغربية دنو العدو . فاخذت هذه القوات تطلق النار ، وبعد مدة قصيرة شوهدت تلك الاشباح نازلة في منحدر الضفة الشرقية ، ولم تلبث ان شرعت تجيب القوات البريطانية بالمثل

« وسمعت في هذه الاثناء ضجة عظيمة من جانب العدو، شوهد بعض رجاله يدفعون الزورق الاول الى منحدر الضفة ، وبعد قليل سمع صوت سقوطه في الماء ، ثم سقوط الزورق الثاني والثالث والرابع ، وعندها حولت المدفعية المصرية ومدفعية « التريتوريال » قنابلها على العدو ، فاصيب مقدم الزورق الاول بقذيفة نسفته ومزقت الجنود المستقرين فيه واطارت اشلاءهم في الهواء وغرق الزورق

« واندفع الزورق الثاني والثالث والرابع الى الشاطىء فانهالت عليها القذائف والرصاص فخرقتها وطبقت جوانبها ، فانقلبت وغرقت وقتل الجنود . وهكذا كان مصير سائر الزوارق

« ولما طلع الصباح شوهد العدو زاحفاً الى محطة طوسون ، وكانت مدفعيته تطلق النار على محطتي طوسون وسرابيوم ، فجاوبتها مدفعيتنا ومدفعية احدى السفن الحربية ، وبعد قتال دام مدة ارتد العدو عند الساعة الثالثة والنصف مساء . ووقع بين ايدينا في اثناء القتال ثمانية ضباط و٢٨٢ جنديا اسرى ، ووجد عدد كبير من القتلى امام مراكزنا

« واصيبت السفينة الحربية « هاردنغ » مرتين بالقذائف فجرح عشرة من البحارة

« فقد في خلال هذه المعارك ضابطان وثلاثة عشر رجلا قتيلا و٨٥ جريحاً

« ويؤسفنا ان نعلن ان الملازم الاول احمد حلمي افندي ، من ضباط المدفعية المصرية في حامية طوسون ، وجنديين مصريين آخرين قتلوا ، وجرح جندي مصري واحد ، وابلت القوات المصرية بلاء حسناً

« وفي الصباح التالي شوهد العدو عند الفجر غربي « مدفعية الاسماعيلية » يتحصن في الخنادق ، واطلقت اورطتان منه رصاصها علينا . واستمر في النهار اطلاق الرصاص دون ان تلحق بنا خسارة

« اما في جهة القنطرة فقد هوجمت مراكزنا الامامية، الا اننا صددنا العدو والحقنا به خسارة بلغت ٢١ قتيلا و٢٥ جريحا وقبضنا على ٢٦ اسيراً

« وتبين ان قوة العدو كانت مؤلفة من ١٢ الف مقاتل على اقل تقدير ، وانها كانت مسلحة بست بطاريات من المدافع ، وكان سلوك الجنود الانكليز والهنود والمصريين موجباً للثناء والمدح »

***

هذا نص البلاغ الرسمي الذي اذاعه الانكليز عقب هذه المعركة

الشديدة . ونحن نترك لقراء « الاسرار » حق الحكم من وجهة تقدير الخسائرفي الارواح !

اما البلاغات التركية فكانت تناقض هذا البلاغ

البلاغات التركية

فالبلاغ المصري وان كان مقتضباً ففيه شيء كثير من الحقيقة ، خلافاً للبلاغات التركية . فقد اذيع بعد معركة



الهلال « الاحمر » في حملة قناة السويس

يمثل هذا الرسم التاريخي شرذمة من كتيبة « الهلال الاحمر » في طريقها الى قناة السويس . على ان هذه الشرذمة وقد جازت مسافة طويلة في الصحراء نصبت مضاربها وجلست تستريح وتتناول طعامها . والى جانبها رسم احد افرادها في صلاة الظهر ، وهو مظهر وافر الخشوع يدل على تقوى وورع

القناة بلاغ رسمي في دمشق وبيروت يقول : « تمكنت القوات العثمانية بين التهليل والتكبير من اجتياز قناة السويس حيث فتكت بالقوات المعادية فتكا ذريعاً . ويزيد عدد خسائر الاعداء على خمسة الاف مقاتل . اما خسائرنا في هذه المعركة فهي لا تتعدى ١٣ قتيلا و ٣٠ جريحاً »

وعلى اثر هذا البلاغ اعلنت الاوامر باقامة الزينات في المدن السورية جمعاء التابعة للجيش الرابع

المظاهرات في بيروت

ودعا قائد موقع بيروت فريقاً من الاهلين وطلب منهم القيام بمظاهرة طنانة ابتهاجاً بسقوط القناة بيد القوات العثمانية . وتنظمت سريعاً هذه المظاهرة . وجاء المتظاهرون بزورق من الميناء زين بالاعلام بحجة انه احد الزوارق التي استعان بها الجيش لاجتياز القناة ، ورفعوه على مركبة واخذوا يجرونها فرحين ينادي بعضهم بعضاً : هيللي هيللي !

فيجيبهم آخرون : اخذنا الترعة الحمد للي !

(اي الحمد لله . والترعه اي ترعة السويس)

واستمرت المظاهرات طول ذلك اليوم

ولابد من القول ان الشعب البيروتي كان حقاً فرحاً مسروراً بفوز الجيش العثماني باجتياز القناة ودخول مصر لاعتقاده ان هذا الفوز سيؤدي حتما الى انتهاء الحرب الحاضرة

اقوال الصحف الدمشقية

ونرى اتماماً للفائدة ان نذيع ما كتبت صحف دمشق يوم اعلن في البلاد ان الجيوش العثمانية اجتازت قناة السويس تحت قيادة احمد جمال باشا . قالت احدى الصحف :

« دوت اصوات البشائر عصر يوم السبت في جميع انحاء سوريا بالفوز المبين الذي احرزته قواتنا باختراق قناة السويس . فكان يوماً مشهوداً واقيمت فيه معالم الزينة في كل مكان ورقصت الافئدة طرباً . ولم تنم للناس عين ، وبلغت المظاهرات الوطنية اشدها وعلت اهازيج الرجال وزغردة النساء تخترق الاسماع وتطير عن العيون لذيذ المنام . ولم تكد تشرق غزالة يوم الاحد حتى ظهرت المدن السورية تختال في حلل الزينة ، ولم يبق في الازقة والاسواق المحتشدة فيها الجموع الغفيرة محطا لقدم . وكانت الرايات تخفق فوق الرؤوس فينحني لها القوم احتراماً .

« وسارت في دمشق مظاهرات طلاب المدارس مع موسيقاها تعزف الاناشيد الوطنية وتبشر العالم بالفتح المبين . وسارت وراءها الجماهير الى دار الحكومة تحييها تحية المحب الولوع المنتظر بفروغ الصبر كل خبر سار من اخبارها . وعند ذلك خرج الى الشرفة الوالي وهيئة الحكومة لتحية المخلصين ، وانصرفت الجموع وكل منهم

يدعو لهذه الدولة بالنصر والظفر على الاعداء»

قصيدة من نظم ذاك العهد

والقصائد كانت في ذلك العهد بضاعة فئة من الناس اتخذتها وسيلة للتجارة والكسب . وفي الحفلة التي اقيمت في بيروت ابتهاجاً بفوز احمد جمال باشا باختراق قناة السويس واحتلال مصر التي احدهم في ساحة الشهداء ، على جماهير الاهلين، قصيدة جاء في مطلعها :

يا ايها الجيش المظفر في الوغى ابشر بنيل العز والاقبال
جددت للاسلام تالد مجده بل كنت للاجداد خير مثال
واثبت جيش الانكليز بقوة لا تنثني واجتزت اي قتال
وملأت اعماق القلوب مسرة لما ظفرت بمنتهى الامال

وختم هذه القصيدة موجهاً عبارات الثناء الى جمال باشا فقال :

يا سيد الاعلام ظلك في الورى سيظل ممدوداً مدى الاجيال
لا زلت وضاء السنا متسامياً فوق الرؤوس معطر الاذيال
ما خيمت في ارض مصر جيوشنا او بدد الظلماء نور (جمال)

شاعر آخر

وانشد شاعر آخر قصيدة استهلها بقوله :

يا للحمية ان العرب قد ظفروا
بمصر اذ قد دعاها النيل والهرم
والجيش نال من الاعداء ترعتها وفاز اذ صاحباه العزم والهمم
بشرى لنا باجتياز الترعة انفرجت
عنا (المضايق) اذ زالت بها الظلم
فنحن في جذل والروس في وجل
والانكليز قصيم الظهر منقسم
يا للمسرة للاسلام قد ظفرت
بمنية لم ينلها قبل مستلم
وجددت ذكر آباء غطارفة شادوا لابنائهم ما ليس ينهدم

ولكن السرور لم يدم طويلا والاخبار الصحيحة عن خيبة الحملة ما لبثت ان ذاعت تشير الى تراجع القوات العثمانية والى سقوط عدد كبير من الجنود بين قتلى وجرحى واسرى .

ومن هؤلاء جماعة من البيروتيين . فما لبث الفرح ان انقلب الى ترح . وكانت معركة القناة الاولى من بواعث كره البلاد لاحمد جمال باشا والنفور منه وقد نكب رجاله ابناء البلاد العربية بعدد كبير من اخوانهم في ساحة القتال

جمال يخاطب انور

ولكنه لا يبلغه حقيقة ما جرى

وهذا الاخفاق الفادح الذي منيت به القوات العثمانية لم يؤثر في احمد جمال باشا . فقد ابرق الى انور باشا يقول :

« دلتنا الحملة التي قمنا بها على قناة السويس ان بامكاننا النجاح في اختراق القناة والوصول الى هدفنا باحتلال مصر . وظهر



❋ الضابط المصري احمد حلمي من ضحايا معركة القناة ❋

اشار البلاغ الرسمي الذي اذاعته الحكومة المصرية في اول شباط سنة ١٩١٥ الى ان ضابطاً مصرياً هو الملازم الاول احمد افندي حلمي سقط قتيلا في معركة قناة السويس وقد تمكنا من الحصول على رسم الضابط ونشرناه رغبة منا في مماشاة التاريخ والوقائع

لي ان الضرورة تقضي علينا لانجاح الحملة المقبلة ببذل مجهودنا في تنظيم مصلحة المنزل (دور الاعاشة) وتعميمها في الصحراء واصلاح الطرق. فان هذين المشروعين مما لا غنى عنه . وانه ليستحيل علينا ان ندير مصلحة « المنزل » مهما تكن منظمة دون طرق مواصلات صالحة بين

بئر سبع والجبهة
«وقد رأيت بعد البحث الدقيق اتخاذ المقررات التالية :

«اولا — انشاء طرق صالحة لسير السيارات ومركبات النقل بين بئر السبع وقناة السويس تمكن ربط دور (المنزل) بعضها ببعض

«ثانياً — انشاء خط سكة حديدية يربط محطة «سان سباستيا» في جوار نابلس بالقدس وبئر السبع ، والعمل فيما بعد على مده الى



❋ الانكليز في مصر يوزعون الطعام على الاسرى العثمانيين ❋

اسرى الحملة العثمانية في معتقلهم بالعباسية في القاهرة . وقد احتشدوا وبين ايديهم القصاع يأكلون فيها.
وبينهم جندي انكليزي يوزع الطعام عليهم

قلب الصحراء السورية
«ثالثاً — حفر ابار ارتوازية في كل مركز تنشأ فيه دار للمنزل لتأمين حاجته الى الماء

«رابعاً — انشاء المستودعات والمستوصفات والمستشفيات اللازمة لهذا المشروع

خامساً — لما كان المشروع يدعو الى استخدام لا اقل من ٤٠ الف عامل ، ولما كان من الصعب ابقاء هؤلاء العمال غير المسلحين تحت رحمة القضاء والقدر دون حماية القوات المسلحة ، قررنا ايجاد تنظيمات عسكرية خاصة لقيادة قوات الصحراء

فالرجاء ابلاغنا رأيكم في الامر

القدس في ١٠ شباط سنة ١٩١٥

***

قائد الجيش الرابع ووزير البحرية
جمال

فاجاب انور باشا في اليوم نفسه يعلن موافقته على هذه التدابير

تنظيمات الصحراء

فاذاع قائد الجيش الرابع قراراً هذا نصه :

المادة الاولى — انشئت في شبه جزيرة سينا قيادة مستقلة منفصلة عن الفيلق الثامن ومرتبطة رأساً بقيادة الجيش الرابع

المادة الثانية — يطلق على هذه القوات اسم «قيادة القوات العثمانية في صحراء سينا»

المادة الثالثة — تقسم هذه القيادة الى معسكرين ، الاول

لادارة المنازل يكون تابعاً لمفتشية المنازل العامة في الجيش الرابع ، وتحصر اعماله بتأمين حاجة القوات وحملة القناة الثانية . والثاني عسكري ومهمته الدفاع عن العمال الذين يشتغلون تحت ادارة «المنزل» وارسال مفرزات كشفية لمناوشة القوات المعادية والتجسس عليها ومنعها من التوغل في قلب الصحراء

المادة الرابعة — يكون مقر قائد مراكز المنزل في بئر السبع ويكون مقر قيادة قوات صحراء سينا في « ابن »

تنشأ ثلاثة مراكز رئيسية ملحقة بقيادة قوات الصحراء في العريش وقلعة النخل وخابرا الاولى

فون كريس في الصحراء

وعلى اثر هذا القرار دعا احمد جمال باشا اليه القائد الالماني «فون كريس » مصدر كارثة قناة السويس الاولى ، وعرض عليه هذه المهمة فقبلها فوراً ، فاولاه اياها جمال باشا ، وشخص « فون كريس » الى « ابن » لادارة اعمال منصبه الجديد

قوات فلسطين

وبعد ان فصل احمد جمال باشا شبه جزيرة سينا عن الفيلق الثامن ،وجعلها قيادة مستقلة تابعة له رأساً، نظم في قرار آخر بتاريخ ٢٣ شباط سنة ١٩١٥ القيادات في فلسطين وبلاد العرب وهذا نص القرار :

المادة الاولى — انشئت قيادة جديدة باسم « قيادة منطقة القدس » تضم متصرفيتي عكا والقدس (اي منطقة فلسطين في حدودها الحالية)

المادة الثانية — يفصل قضاء غزه وقضاء بئر السبع عسكرياً عن قيادة منطقة القدس ويلحقان بمفتشية المنزل في بئر السبع

المادة الثالثة — يتولى جمال باشا « الصغير » قائد الفيلق الثامن قيادة منطقة القدس .

المادة الرابعة — يدير قائد الفيلق الثالث عشر القوات العثمانية في ولايات بيروت وسوريا (اي ولاية دمشق) وحلب واطنه باسم وكيل قائد الجيش الرابع

المادة الخامسة — ينقل معسكر الجيش الرابع الى القدس

المادة السادسة — تربط الفرقتان الثامنة والعاشرة بقيادة الجيش الرابع مباشرة

ورأى جمال باشا بعد هذا التنظيم ان ينقل معسكره الى القدس استعداداً لامرين :

الاول — تهيئة المعدات اللازمة لحملة القناة الثانية التي سيطالع قراء « الاسرار » تفصيلها في حينه

ثانياً — مفاوضة امراء العرب في الجزيرة العربية لاستمالتهم الى جانب الدولة العثمانية .

مفاوضة الادريسي

وفعلاً قام احمد جمال باشا بتحقيق القسم الاكبر من هذا المنهاج . فهو مع مماطلته جعفر العسكري في اعادته الى طرابلس الغرب رغب في ان يقوم بمساع جدية لدى زعماء العرب لاستمالتهم الى جانبه. فاستدعى اليه عزت بك الجندي الى القدس وخاطبه بقوله : لست اجهل يا عزت بك عظيم اخلاصك وتضحيتك . ويسرني ان اراك تعمل في سبيل وطنك وامتك !

« البلاد في الاثناء الحاضرة بحاجة الى الاتحاد . ولهذا رأيت ضرورة ايفادك الى بلاد الادارسة لتستميل الادريسي وتضمه الى صفوفنا!

قال عزت بك :

— ولكن الاخبار الاخيرة يا مولاي تدل على ان السيد الادريسي يقوم بمفاوضة الانكليز للاستقلال ببلاده ، واري والامر كما يلوح لي اننا تأخرنا جداً في الظهار !

— انت على حق في ما تقول . ولكن اعتمادي عليك يجعلني على ثقة وطيدة بانك قادر على تحقيق المهمة !

— انا على استعداد لكل ما يأمر به صاحب الدولة!

سفر عزت بك

وبعد هذا الحديث بين الرجلين انصرفا الى اعداد الخطة الواجب اتباعها لاستمالة السيد الادريسي الى جانب الدولة العثمانية باي وسيلة كانت . واطلق جمال باشا يد عزت بك الجندي في منح الوعود التي يراها ضرورية لكسب ثقة الادريسي

وبعد الاتفاق على هذه الاسس استدعى احمد جمال باشا السيد احمد آغا الشرقاوي ، زعيم البحارة المعروف في بيروت ، وطلب منه ان يجهز له ما تحتاج اليه الرحلة الى البحر الاحمر

فاعدّ الشرقاوي مركباً شراعياً حمل عزت بك في شهر نيسان سنة ١٩١٥ الى عرض البحر . الا ان آثار عزت بك اختفت بتمامها ولم يعرف عنه احد شيئاً

من هو عزت بك ؟...

وعزت بك الجندي من اسر حمص المعروفة . تقلب في مناصب

عسكرية متعددة في الجيش العثماني . وكان من اعضاء حزب «العهد» وجمعية « الفتاة » المؤسستين العربيتين اللتين قامتا قبل الحرب العالمية للعمل على استقلال العرب وتحريرهم من النير العثماني

وهذه الصلات المرتبط بها عزت بك الجندي اهابت بالكثيرين للاعتقاد ان اختفاء اثاره مكيدة دبرها له احمد جمال باشا للايقاع به . الا ان الحقيقة سنوضحها عندما يحين الموعد في الاعداد التالية من « الاسرار »

موقف الادريسي

والسيد الادريسي اول امير عربي ثار على السلطنة العثمانية . فقد لقي من الاتراك كل اضطهاد ومقاومة فنقم عليهم نقمة شديدة واستقل ببلاده في المناطق الجبلية وقام يحارب الاتراك بشدة . فنشبت بينه وبينهم معارك طاحنة . ولما اعلنت الدولة الايطالية الحرب على السلطنة العثمانية في آخر سنة ١٩١١ حتى قام السيد الادريسي يفاوض الايطاليين للاتفاق واياهم على محاربة العثمانيين . فاستقبل الايطاليون مايعرض عليهم الادريسي بسرور واقدموا على ضرب السواحل الادريسية الخاضعة للنفوذ العثماني . فساعدوا الادريسي على توسيع منطقة نفوذه ومقاتلة الاتراك مما باتت معه الدولة العثمانية في موقف عظيم الخطر

ولما انتهت الحرب الايطالية باستيلاء الايطاليين على طرابلس الغرب اهمل هؤلاء مساعدة السيد الادريسي ، ورأى الاتراك ضرورة اخماد حركته بالقوة . فاوفدوا احد قادتهم المعروفين سليمان شفيق كمالي باشا لاطفاء فتنة الادارسة من جهة والعمل على استمالتهم بالحسنى من جهة اخرى . وقد مثل سليمان باشا في هذه البلاد دوراً خطيراً تمكن به من اطفاء النار واعادة الهدوء الى عسير .

جهل المفوض السامي العثماني

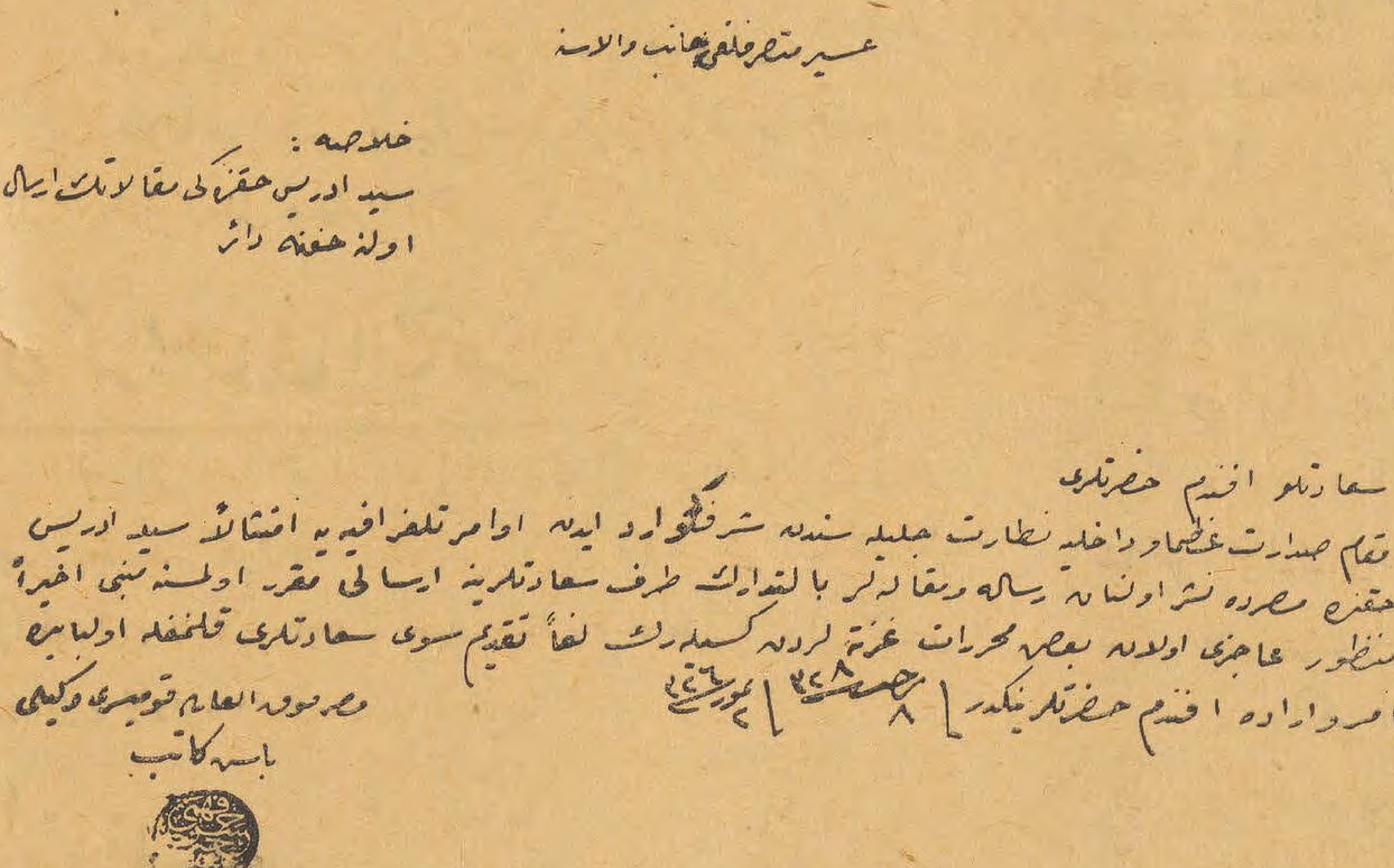
ومما شكاه السيد الادريسي الى سليمان شفيق كمالي باشا قائد القوات العثمانية والى متصرف عسير (كانت المنطقة الادريسية في ذلك الوقت تعرف باسم متصرفية عسير) ان الاتراك يفظعون فيه ، وان من الواجب وضع حد لهذه الاعمال ومنع صحافة مصر من النيل منه

فطير المتصرف الى المفوض السامي العثماني في القاهرة برقية يقول له فيها : « تعلن الاخبار الواردة علينا من بعض جواسيسنا ان في مصر من يطعن على السيد الادريسي ليعرقل مساعينا . وعليه ارجو ان تقفوا على حقيقة الامر وان توافونا بها بالتفصيل !... »

الا ان المفوض السامي بالوكالة بدل ان يوافي المتصرف بالحقيقة الصريحة كتب اليه الرسالة التالية وهذه ترجمتها :

لجانب متصرفية عسير المحترمة

الخلاصة بشأن ارسال المقالات الخاصة بالادريسي



جواب المفوضية العثمانية في مصر عن نيل الصحف المصرية من الادريسي

وهي الصورة نفسها محفورة بالزنكوغراف

حضرة سيدي صاحب السعادة

امتثالاً للاوامر البرقية المشرفة الواردة من مقام الصدارة العظمى ، بشأن ارسال الارسالات والمقالات التي نشرت في مصر بشأن السيد الادريسي ، اقتطعنا من الصحف بعض المقالات التي نشرت اخيراً وارسلناها الى سعادتكم

« وعلى كل فالامر لمن له الامر سيدي

في ٨ رجب سنة ٣٢٨ و ٢ تموز سنة ٣٢٦

نائب المفوض السامي في مصر

رئيس الكتاب : حسن فهمي

***

وهذه الوثيقة تدل قراء « الاسرار » على مقدار الجهل الذي كان يسود من يتولون السياسة العثمانية

وسيطالع قراؤنا ما دعا الى اخفاق المفاوضات التركية الادريسية والى ما دفع السيد الادريسي في شباط سنة ١٩١٥ الى الاتفاق والانكليز . فهو اول امير عربي انقلب على السلطنة العثمانية في الحرب العالمية واول من استقل ببلاده من امراء العرب

كما انه اول من خسر سيادته واضمحلت دولته بعد الحرب العالمية

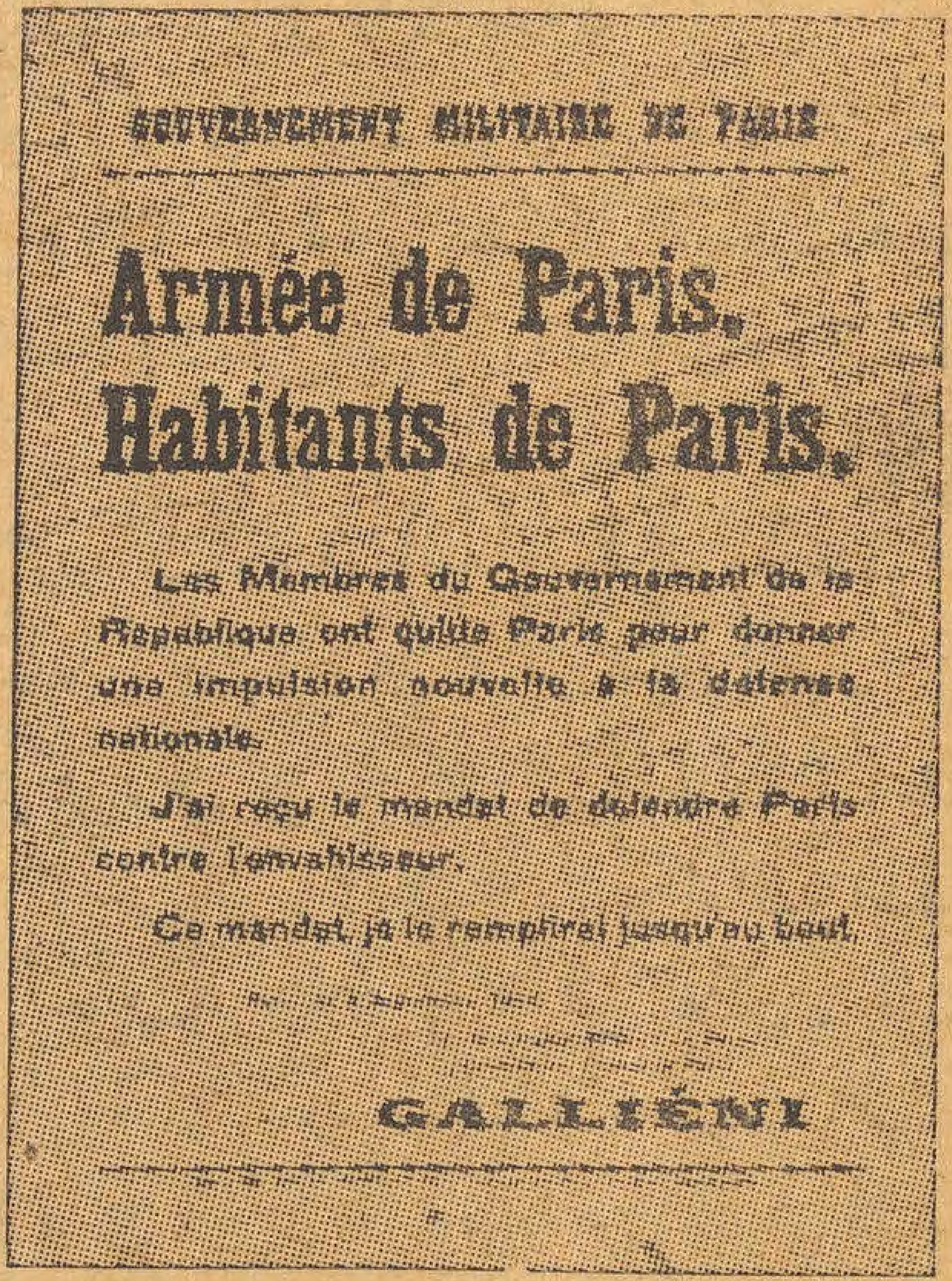
اسرار الحرب الكبرى

بقلم كرم ملحم كرم

الجيش الالماني بعد حجبه الارض يغيب في بطن الارض

حرب الخنادق تبدأ في جوف فرنسا

القتال في كل مكان !



GOUVERNEMENT MILITAIRE DE PARIS

Armée de Paris.
Habitants de Paris.

Les Membres du Gouvernement de la République ont quitté Paris pour donner une impulsion nouvelle à la défense nationale.

J'ai reçu le mandat de défendre Paris contre l'envahisseur.

Ce mandat, je le remplirai jusqu'au bout.

GALLIÉNI

الى اهالي باريس !...

دعوة القائد «غالياني» الى سكان باريس بضرورة ابداء رباطة الجأش يوم كان يزحف اليهم الالمان

مما اتفق عليه الالمان في خططهم الحربية ان يدفعوا فوراً قواتهم الى الهدف الرامين اليه . فكل مرحلة يجتازونها في وثبة. وهكذا يهون عليهم تطويق العدو وسحقه . ومثل هذه الخطة، خطة الوثب ، يجرون عليها في هزيمتهم . فالسرعة ركن الاعمال الحربية لديهم ، سواء في التراجع او الهجوم. ولذا ما كاد خطر التطويق يدهمهم وهم يقاتلون على ضفاف نهر «المارن» ونهر «الاورك» حتى تراجعت جحافلهم دفعة واحدة

فالهجوم كان كتلة وثابة، والرجوع كان كتلة متقهقرة . فقد خضعت تلك الجحافل لاشارة واحدة بحركة واحدة . فظهر منها انها دقيقة في كل خطوة من خطواتها . فما كاد القائد «فون كلوك» يعلن بالهاتف ان القائد الفرنسي «مونوري» يهدده بالتطويق حتى تراجع الجميع . والتراجع وان يكن هزيمة ناطقة صريحة ، دل على بعد نظر القادة الالمان . ولولا ان يأمروا به لظهر منهم انهم قادة غير محنكين، وانهم وقد نظموا خطة الفوز لم ينظموا خطة الهزيمة ، وهذا خطأ في تسيير الجيوش في ميادين الحرب ، على ان القادة الالمان لم يقعوا فيه

تدابير القادة الالمانه

فالقادة الالمان في زحفهم الى فرنسا ابدوا كل مقدرة . فابقوا وراءهم قوات تنجدهم وتحمي خطوط المواصلات وتخفف من وطأة الهزيمة لدى وقوعها . وهذه خير خطة يعول عليها في الحروب . والالمان وقد اعتمدوها اتقوا صدمات عنيفة شاء ان ينكبهم بها الحلفاء الظافرون

فمن نجا منهم ، على اثر مطاردة الفرنسيين والانكليز بعدا

معركة « المارن » ومعركة « الاورك » ، استقر وراء مدينة « ريمس » على خط وافي التحصين ، يقوم على قمم جبال منيعة . وهذه القمم ، على مناعتها ، كان قد ذللها الالمان واستولوا على حصونها . وساعدهم ما فيها من مغاور ومن خنادق على الرسوخ فيها . فامتد الخط الالماني من « روى » الى « لاسينيي » مجتازاً نهر « الاين » الى قمم « شمبانيا » الى غابات جبال « الارغون » . في هذا الخط استقر الجيش الالماني بسلام نحواً من سنة كاملة

وهو خط نظمه له جيشه الاحتياطي . فأنشأ الثكنات على رؤوس القمم وفي المنعطفات ، وفي الاماكن الخالية من القمم والمنعطفات شيدت الخنادق والاستحكامات باتقان تام

وزاد الجيش الاحتياطي في التنظيم بان بنى تحت الارض المدن الفسيحة الخفية الطرق والاسرار والداخل والخارج . فتخفيها آناً الاشجار وآناً الصخور الشاهقة او اطلال كوخ من الاكواخ

وكثيراً ما اتفق لهم ان يقيموا من السبل خنادق لا تراها العين . وامام « لاسينيي » ، على فسحة من الحقول مداها عدة اميال ، لا يشاهد فيها المرء غير سهول فسيحة ، ولا تساعد النظارات على رؤية ما يزيد على هذه السهول ، انشأ الالمان خنادق في وسط الزرع وملأوها بالجنود . ولم يكن يبدو في النهار شيء مما تخفيه هذه السهول ، على ان في الليل كانت تجول فيها الاشباح ، ويعلو احياناً منها ازيز الرصاص

الالمان استعدوا للغزو قبل الحرب

ومغاور « سواسون » القائمة وراء مدينة « ريمس » فكر فيها الالمان قبل الحرب . ويقال ان القائد « فون كلوك » انتدب قبل وقوع الجزرة العالمية باشهر قلائل للقيام بمهمة عسكرية سرية في فرنسا ، وانه ارتاد منطقة « سواسون » ورأى فيها خير مكان للمقاومة ، وانه قضى بشراء تلك الانحاء كي يسهل على الالمان تنظيمها قبل نشوب الحرب الطاحنة ، حتى اذا ما دخلوا فرنسا وقعوا على ما يشتهون كأنهم في صميم بلادهم

وهكذا كان . فالقائد الالماني « فون كلوك » كان يعرف طرق فرنسا كما يعرف طريق منزله ، مما مهد امامه كل عقبة ودعاه الى اجتياح البلد الفرنسي ببصيرة الرجل العارف الى اين تقوده قدماه

وجرى انشاء الاستحكامات الالمانية بسرعة مدهشة . فكانت خطاً مزدوجاً يمتد من بحر الشمال الى منطقة « بلفور » . واستهان الالمان بالارض اللزجة ، فسخروها لمآربهم واقاموا فيها الاستحكامات على كره من الطبيعة كما فعلوا في ولاية « بيكارديا » الجاري فيها نهر « الاين » وهكذا فعلوا في ارض « سواسون » الصخرية وفي ارض « شمبانيا » وفي جبال « الارغون » وغدرانها . وجاؤوا من المانيا بمحاريث ضخمة تشق الارض سريعاً وتساعدهم على انشاء الاستحكامات. وما عجزوا عن تفتيته من الصخور نسفوه بالالغام . فامسوا كأنهم في امنع الحصون !

المدافع تحت الارض

وتفننوا في المقاومة والتستير فاخفوا تحت الارض المدافع الرشاشة ومدوا اليها اسلاك الهاتف ، واقاموا على حراستها نفراً من الرجال . فاضحى جيشهم خفياً لا يبدو للعين . فكل فئة اقامت في خندق مستور حافل بكل ما تحتاج اليه من ادوات ورياش كأنه منزل مجهز بحجراته وقاعاته واثاثه . فهناك حجرة الرئيس ، وحجرات الجنود ، وقاعة الطعام ، والمطبخ . وارتبطت الخنادق بعضها ببعض بطرق واروقة . وطوقها الهاتف باجمعها ، كأن القوم في مدينة حية تدب في بطن الارض !

وهذه المدينة الكبرى ما خلت من مستودعات الذخائر ومن مخازن الاعاشة . واحياناً كانت المباني ترتفع في طوابق متعددة ، فينحدر بها مشيدوها الى اعماق الارض . وعلى سطوح هذه المدينة الخفية اكياس من التراب والحجارة ، وحولها على بعد عشر خطوات اسلاك شائكة مشتبك بعضها ببعض الى ما لا نهاية له

وهكذا لجأ الجيش الالماني الصلب القوي الى احشاء الارض . فقد توارى على اثر معركة « المارن » ، توارى بعد ذلك الزحف المخيف وقد اجتاز به المدن والجبال والنصر يخفق فوق اعلامه ، والابواق تنفخ معلنة الفوز ، والعدو يتراجع امامه مذعوراً جازعاً ، ورؤوس حرابه ونواتىء خوذه تهدد السماء ، ومدافعه وسياراته ومستشفياته تجري وراءه مالئة الساحات والميادين على عرض اميال واميال

اما اليوم فلم يبق شيء من كل تلك الدواليب الجائحة الساحقة . فالنسر طوى جناحيه . والفرسان والمشاة والرماة والمدافع اطبقت عليهم الارض . فهم في جوفها . وتلاشى كل اثر للالمان . فليس من يدري اين اصبحوا . وبدأت حرب الخنادق ، حرب اعماق الارض . وباتت هيئات اركان الحرب على مقربة من الجيوش ولكنها لا تقاسمها الظلمات . فهي تقضي ايامها في اجمل الفنادق من المدن الفرنسية الشمالية ، وفي افخم الدور ، وتحتل صروح الحكومة ، على حين ان الجيش يثوي في بطن الارض ، وراء المدافع والرشاشات ، ويمعن في تحصين خنادقه ويرد عنها كل هجمة ، حتى ان ضباطه كانوا يفاخرون بان موقع « تاهير » في « شمبانيا » لا يؤخذ ، فيكفي ان تقبض فيه امرأتان على مدفعين رشاشين راسخين فيه لترداً عنه اقوى الجيوش



الرماة الفرنسيون

شرذمة من الجنود الفرنسيين اقامت وراء الخنادق تطلق قذائفها على الاستحكامات الالمانية المجاورة لها

وهو نموذج من نماذج حرب الخنادق بعد اخفاق الالمان في معركة المارن الكبرى

الحرب في كل مكان

وبدأت حرب الخنادق ، فعرف الالمان كيف يستفيدون منها وهم قوم يميلون في كل عمل الى الضخامة والمتانة والكثرة ، الى كل صلب جبار . فتعاظمت همتهم في تشييد هذه الخنادق بقدر ما طالت ايديهم رغبة منهم : ان يرسخوا في قلب فرنسا ، فلا يقبل اليهم من يزحزحهم من اماكنهم

واطلقوا في الجو طياراتهم يشقون صدر الفلك ويطلقون قذائفهم على مدن الاعداء عابثين بالرصاص المتصاعد اليهم من سطح الارض. فهم ممن لا يبالون المخاطر ولا يكترثون لها . فكانت طياراتهم تحلق فوق المدن المحصنة ، وفوق الخنادق والحصون الجاثمة في اعلى القمم ، وتندفع بسرعة هائلة وترتقي الى ارفع مستوى يمكن الارتقاء اليه . ولم تكن هذه الطيارات من طراز واحد بل تعددت منها الانواع . فكان هناك المنطاد العريض الضخم الهيكل ، المنتفخ الجوانب ، والطيارة الصغيرة السابحة في الجو وتكاد لا ترى

فاقلقوا الجو . اقلقوه في الليل والنهار . فكانت طياراتهم تحتل كبد السماء في الليالي المظلمة وتطلق قذائفها على المدن والحصون بعدما تسلط عليها الاشعة الكشافة ، فتدمر وتحرق وتلقي الرعب في القلوب !

وما وقفوا عند هذا الحد . فالفكر الالماني ابى الجمود في ابان الحرب الكبرى . فما اهتدى الى قوة من القوى المدمرة الا استعان بها . فكان هائلا في ما استنبط وفي ما ضرب به اعداءه . فانشأ طيارات مثلثة يستقر فيها ثلاثة من الطيارين على فسحة مئتين وخمسين متراً ويصوبون منها قذائفهم الى اي هدف شاؤوا

ومالوا الى الغواصات يكثرون منها . فهي في قلب البحر كالخنادق الحصينة في جوف الارض . وبلغت غواصاتهم طولا رائعا تقد الماء كالحيتان ، هي حيتان من فولاذ تهدد اساطيل الحلفاء والبواخر دون ما استثناء . فيكفي ان تكون هذه البواخر لدولة تخاصم المانيا

وانغماسهم في المياه دل على انهم قوم يرومون النصر كيفما كان الامر ، كاليائس المستميت . فانطلقوا كالعميان في البحار لا يحسبون حساباً للمخاطر . وكم من مدرعة اغرقوا ، وكم من باخرة نسفوا ! كانوا يهدمون خصومهم ويشدون بهم الى اللجج ثم يظهرون على مقربة منهم يتأملونهم ساخرين شامتين ضاحكين منهم في انحدارهم الى قعر الخضم يستقرون فيه الى الابد

وبهذه الاعمال الرهيبة هزوا قلوب اعدائهم ونقلوا الحرب من مكان الى مكان ، من سطح الارض الى بطنها ، من صدر البحر الى جوفه ، من الارض الى السماء . ولم يبق عليهم الا ان يثقبوا الارض ويقيموا فيها نفقاً يمتد الى باريس ، فيتم لهم احتلالها دون ان يدري احد انهم زاحفون اليها !

ولكن الفرنسيين ...

ولكن الفرنسيين لم يهجعوا فيما الالمان يتغلغلون في احشاء



بعد المعركة !

نفرٌ من الضباط الفرنسيين اقبلوا الى ساحة القتال بعد معركة المارن الكبرى ليشاهدوا مدافن اخوانهم الذين فاضت ارواحهم في النضال والتأثر باد على وجوه الجميع . والخشوع يسود حركاتهم الحزينة الخرساء

التراب .فقاموا الى الخنادق يبنونها.وقام بجانب الخندق الالماني خندق فرنسي . فما دام الالمان يريدون ان تطول الحرب فلماذا لا تطول ؟..

وكان الفرنسيون يقيمون في البدء خنادقهم على سطح الارض دون ما اهتمام منهم بالتوغل فيها . فتحفر معاولهم قليلاً من التراب لترد عنهم رصاص الاعداء،اما الآن والالمان ينهجون هذا النهج فقد رأى الفرنسيون ان يسيروا واياهم فيه.فشيدوا الخنادق بترتيب ونظام كما فعل الالمان . اي ان الخنادق باتت حصوناً لا اخاديد .وقد انشئت كأنها قلاع ابدية . فالتقليد ساد الفرنسيين واستقروا تحت الارض كالالمان انفسهم

ومع كون الفرنسي لا يطيق البقاء في مكان واحد ، مع كونه يهيم بالتنقل ،فقد اضطر الى البقاء سنة كاملة في جوف التراب. فما دام الالماني في الخندق فهو في الخندق . وقد شعر كما شعر الالماني بان عليه ان يحتفظ بالارض المعسكر فيها لئلا يفلت منه شبر واحد منها

وكان يرقد والرطوبة تحيط به من كل جانب ، والاوحال تعلو قدميه واحياناً ركبتيه . فهو يريد الدفاع عن وطنه ، ولاجل الوطن كل تضحية تهون !

ولم يغادر الالمان الاماكن التي احتلوها وراء خط الدفاع الذي انشأوه . فظلوا فيها يفرضون على السكان مشيئتهم ، فهم في بلدة « روى » منذ ٣٠ آب يجبرون الاهلين على الخضوع والامتثال .لقد عسكر فيها فيلق من فرسانهم يتولى شؤونه القائد «فون اميخ »

وثار الغضب في القائد الالماني فاسلم البلدة للنهب والسلب واحرق معامل السكر القائمة فيها. واستردها الفرنسيون ،وما ان استردوها حتى اشتدت بالالمان النقمة عليها،فرشقوها في يوم واحد بخمسمئة قذيفة

وبلدة « سواسون » دخلها الالمان في اول ايلول دخول الغزاة، فاقصاهم عنها الفرنسيون في ١٢ ايلول ، فتراجعوا الى اعالي « باسلي » و « فوكسرو » واطلقوا منها قذائفهم على تلك البلدة يهدمون المنازل والدور

وما عفت القذائف عن المدافن فنسفتها ، واضطر الاهلون الى براح مدينتهم ، غير ان بضع مئات منهم لم تستطع الرحيل ، فعاشت بين الاطلال والانقاض تكافح الموت

ومنذ ذلك الحين تقدمت الخطوط الفرنسية بعض التقدم ، فاضحت حدودها « لاسينيي — تراسي ليمون — نونرون — كراون — سومبي — فيل سير تورب »

وفي ٢٠ ايلول تألف جيش جديد على يسار جيش القائد « مونوري » ، وعهد بامره الى القائد « كاستلنو » واستقر في منطقة « لاسينيي — روى — بيرون »

وبين « الواز » و « الارغون » اقامت جيوش القادة «مونوري» ، «فرانشه ديسبيره »،« لانكل ده كاري».وقد اضطرت في ٢٦ ايلول الى مقاومة هجوم الماني عنيف في شرقي مدينة « ريمس »،وشهد غليوم بنفسه خيبة جيوشه .وهذا الهجوم دعا الى بدء الهجوم الفرنسي في « شمبانيا »

قذائف الالمان على كاتدرائية (ريمس)

قائد الماني يقول: شعرة من رأس جندي منا خير من العالم!.

اعظم اثر تاريخي يهدمه الالمان غير آسفين

مدينة تعيش في الدهاليز!

في ١٩ ايلول، لدى الساعة العاشرة ليلا، اذاع اركان حرب الجيش الفرنسي بلاغاً يقول:

«بعد قتال شديد لم يستطع فيه الالمان ان يتقدموا امام مدينة «ريمس» شبراً واحداً عمدوا طول النهار الى اطلاق القذائف على الكاتدرائية»

وفي اليوم التالي في ٣٠ ايلول، لدى الساعة الثالثة بعد الظهر، عاد اركان الحرب الى اذاعة بلاغ آخر جاء فيه:

«امعن الالمان دون ما سبب عسكري في اطلاق قذائفهم على كاتدرائية «ريمس» حتى باتت شعلة من نار»

وكاتدرائية «ريمس» أثر تاريخي نفيس، بل نادر الوجود. وقد عتب العالم على الالمان لتهديمهم اياه، الا ان لغة الالمان معروفة، فالحرب عندهم هي الحرب. وكل ما يبدر منهم فيها يجوز

والكاتدرائية قديمة. فان تاريخها يرجع الى عصور سالفة. ولقد احترقت في العصور الاولى، الا ان اسقف «ريمس» المطران «البريك ده هامبر» عاد الى تشييدها في ٣ آب سنة ١٢١٢، واشتغل فيها مهندسون ونحاتون ورسامون من اكابر المهندسين والنحاتين والرسامين في العالم

ولم تبلغ الكنيسة تمامها الا بعد مئة سنة من اعادة تشييدها. الا انها احترقت سنة ١٤٨١، فاعيد في اليوم التالي ترميمها. وفي ابان الثورة الفرنسية الكبرى عقد فيها الثائرون مجالسهم ثم اتخذوها اهراء لهم، على انهم شوهوها بعض التشويه. ومنذ ذلك الحين تولت الحكومة الاهتمام بها

وطول الكاتدرائية ١٥٠ متراً، وعرضها ٦٢، وهي على شكل صليب لاتيني، وقد حوت من الاثار التاريخية ما لا يقدر بمال. ومع ان من قوانين الحرب الحديثة الحرص على مثل هذه النفائس فالالمان ما رعوا لها حرمة. ولقد صرح القائد الالماني «فون ديسفورت» لجريدة «التاغ» الالمانية برأيه في نسف كاتدرائية «ريمس» فقال:

— ليس بامكاننا ان ندافع عن جيوشنا مما يعزى اليها من التهم سواء في الداخل او الخارج. فان كرامتنا تأبى علينا هذا الدفاع. وليعلم الجميع ان ليس لنا ولجيوشنا ان نؤدي لاي كان عن اعمالنا حساباً. فلن نرمي الى تبرير عمل من اعمالنا ولا الى الاعتذار!

«فكل ما يبدر من جنودنا قصد الاساءة الى العدو ونشر اعلامنا ظافرة هو الصواب بعينه. وحجته منه وفيه. ولسنا ممن يهتمون بما يبدي سوانا من اراء حتى وان يكن اصحاب هذه الاراء من رجال البلدان الحريصة على عزلتها. واذا تهدمت الآثار والروائع باجمعها القائمة بيننا وبين العدو، تحت نيران مدافعنا، فالامر لا شأن له لدينا. ربما كنا نأسف على هذه الخسارة في اوقات اكثر هدوءاً، اما الان فليس لنا ان نخسر في هذا الصدد كلمة واحدة!

«فان «مارس» إله الحرب، هو سيد الموقف في هذه الايام لا «أبولون» إله الشعر والحب. واقل اذى يصيب احد المقاتلين في صفوفنا اعظم وقعاً علينا من تهديم الكاتدرائيات باجمعها ومن ضياع كنوز العالم باسره. يقولون عنا اننا برابرة. وماذا يعنينا مما يقولون؟... اننا لنضحك من هذا السخف، بل نحن نسائل انفسنا ألا يجوز فينا هذا اللقب؟

«نطلب من الناس الانقطاع عن الثرثرة الفارغة. فلسنا نرغب في ان نسمع شيئاً عن كاتدرائية «ريمس» وعن سائر الكنائس والقصور التي تشاطرها مصيرها. لا، لا نريد ان نسمع شيئاً. فليأتنا عن «ريمس» ان جنودنا استعادتها وهذا يكفينا!...»

المدينة بعد الكاتدرائية !

ولم تشتعل الكاتدرائية وحدها بل اشتعلت مدينة « ريمس » بكاملها . فحاصرها الالمان ثمانية ايام دون ان يتسنى لهم دخولها ، فنقموا عليها ودمروها

والقذيفة الالمانية الاولى اصابت مدينة « ريمس » في ٢ ايلول بعد الزحف الالماني الموفق من شمالي فرنسا . وذهب ضحية قذف المدينة بالنار المئات من القتلى والجرحى

الالمان يحاربون الالمان !

وفي ٤ ايلول دخلتها القوات الالمانية الاولى ، غير ان هذه القوات دهشت والقذائف تتساقط عليها في اليوم التالي . وثار ثائرها . وخيل اليها ان الفرنسيين يهاجمونها ، ولكنها ايقنت ان اخوانها يرشقونها بالقذائف كما دلت على ذلك القذائف نفسها وقد بلغت ما يزيد على المئة

وعند ذاك علم الالمان المقيمون في المرتفعات الواقعة شمالي « ريمس » انهم يطلقون النار على اخوانهم ، فكفوا عن هدم المدينة

واقبلت قوات من الجيشين الالمانيين الثاني والثالث الى احتلال « ريمس » . وفرض قائد هذه القوات على المدينة غرامة قدرها خمسة وثلاثون مليوناً . وما لبث ان خفضها الى ثلاثة ملايين . على انهم ما تقاضوا منها غير مليون واحد عيناً . فشربوا من خوابي المدينة ما انعشهم . ولما انصرفوا عنها كانت الشوارع ملأى بالزجاجات . وساءهم ان يبقوا في الارض كل هذه الكنوز فصبوها في الدلاء يسقون منها خيلهم

وفي ١١ ايلول استعدوا للرحيل . وفي ١٢ منه اقبل الفرنسيون يطاردون المقهورين في معركة « المارن » ، وفي اليوم نفسه بدأ الالمان اطلاق قذائفهم بعنف على مدينة « ريمس » دون ما هدنة . واحياناً كان يبلغ ما يطلقونه في اليوم نحواً من الف وخمسمئة قذيفة



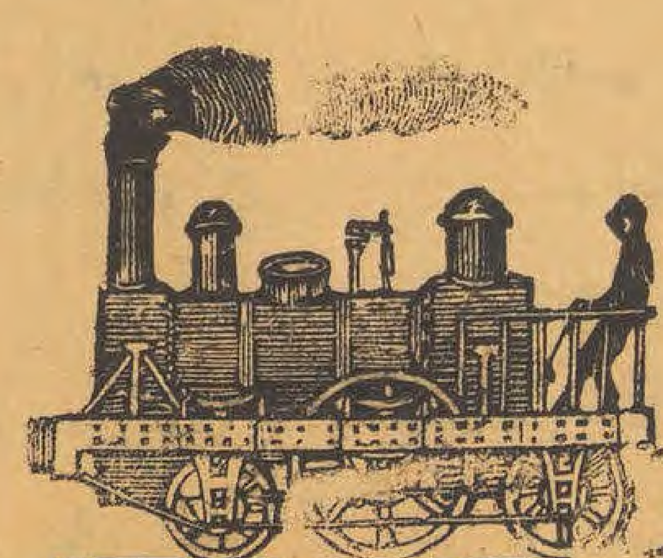
الجنود الانكليزية تحرس فرقة من الاسرى الالمان

وهذه القذائف كانت تصب على المدينة من كل ناحية من النواحي . فكل مرتفع يحيط بمدينة « ريمس » قامت عليه مدافع المانية ترمي بالنار المدينة التاريخية الجميلة

وكان للطيارات الالمانية يد في التدمير . فترتفع في جو المدينة وتلقي عليها القذائف المحرقة . واشتعلت معامل كثيرة ، وتهدم ستمئة منزل ، وقتل لا اقل من خمسمئة نفس . وبين المنازل المتهدمة هيكل لليهود ، ومعبد للبروتستانت ، وكنيستان عدا كاتدرائية « ريمس » ، وثكنات للجيش

***

وخشي الاهلون على الجرحى فنقلوهم الى الدهاليز ، والى هذه الدهاليز لجأ الاهلون ، اولئك الذين رفضوا براح المدينة . فعاشوا تحت الارض ، وانشأوا في دهاليزهم المدارس ، ومقر المجلس البلدي . وما كانوا ليبرحوا تلك الاوكار الا عندما يهدأ تفجير القذائف . وذلك دام طويلا ، نحواً من سنة . وقد لقيت « ريمس » من الاهوال اشدها . واحتج اسقفها الى العالم على ما انزل الالمان بالكاتدرائية . فذهب لاحتجاجه صدى في معظم الانحاء . الا ان الالمان لم يحترموا قولاً ولا اصغوا لنصح . فما دامت الحرب مشتعلة فعلى العالم اجمع ، بلا استثناء ، ان يكون على حذر من شر الحرب !



كيف فوجئت انكلترا بالحرب العالمية

حزب الاحرار الانكليزي يصر على محالفة المانيا دون فرنسا

انكلترا تمشي الى الحرب وهي في حرب !

ارلندا تشتعل كالبركان !

منذ اواخر عام ١٩٠٥ وحزب الاحرار الانكليزي يجاهد بقوة للتوفيق بين سياسة دولتين سكسونتين انكلترا والمانيا. فشاء ان يعيد الى هاتين الدولتين الصفاء والطمأنينة. فلا تقلق انكلترا للتنافس الالماني ولا تقلق المانيا حيال عظمة الاسد البريطاني سيد البحار.

وخاطب وزراء انكلترا في ذلك الملك ادوار السابع كما خاطبوا من بعده الملك جورج الخامس. فرغبوا في ان تزول هذه المسابقة في البحار وقد بدأت منذ سنة ١٩٠٠، فتكاد لا تبني انكلترا مدرعة حتى تنشىء المانيا مدرعتين، ولا تعمد المانيا الى تشييد طراد حتى تشيد بريطانيا العظمى طرادين

ومن رأي حزب الاحرار الانكليزي ان تقيم انكلترا والمانيا على صفاء تام، وان تميل انكلترا عن فرنسا وتحالف المانيا. ولما عُقد سنة ١٩٠٧ التحالف الثلاثي بين انكلترا وفرنسا وروسيا عارض حزب الاحرار في انكلترا هذا التحالف كل المعارضة، على حين ان المانيا لم تظهر كل هذه النيات السليمة حيال انكلترا. فكانت تدعو الى التسليح البحري فيما رجال حزب الاحرار في انكلترا يدعون دولتهم الى الوقوف عن هذا التسليح

... حيث يبدو لويد جورج

وظل «الاحرار» الانكليز ينادون بفكرتهم حتى ظفروا بتحقيقها. ففي شهر شباط سنة ١٩١٤ اعلن «لويد جورج»، وزير المال في بريطانيا العظمى، فتور همة انكلترا في انشاء مدرعات بحرية اخرى

ولا عجب في الامر والانكليز كانوا يهتمون بمستعمراتهم اكثر منهم بما يجري عند جيرانهم. كانوا ينادون بالسلام وينفرون من الحرب وممن يفكر فيها. ولما اعلنت هذه الحرب في اوائل شهر آب ١٩١٤ لم تحرم انكلترا الصحف الداعية الى العزلة، طالبة ان تقف انكلترا بعيدة عن كل ما يجري في القارة الاوروبية من شؤون خطيرة

ومما اهاب بالصحف الانكليزية الى اعتماد هذا النهج ما وقع في انكلترا من اضطراب. فالافكار قلقت يوم دعا رئيس الحكومة السيد «اسكويث» الى منح ارلندا بعض استقلالها. فالمجلس النيابي صدق هذه المنحة وايدها، غير ان مجلس اللوردات ثار عليها تظاهره شيعة البروتستانت في ارلندا نفسها

واستطاع مجلس اللوردات على مدى سنتين كاملتين وقف «المنحة»، على ان مجلس النواب اذا عاد الى تصديقها اضحت مبرمة وتسنى للوزراء ان يحملوها الى الملك لتوقيعها. وخاف البروتستانت ان يتم هذا التصديق فهاجوا، ولم يكن منهم الا ان اعلنوا رغبتهم في البقاء على اتصال تام بانكلترا. ومما قالوا انهم يقيمون في معظمهم في شمالي ارلندا، في ولاية «اولستر»، فما يمنع ان يكونوا مستقلين عن الارلنديين الكاثوليك، فينضم نوابهم الى مجلس «وستمنستر» لا الى مجلس «دوبلين»؟...

والبروتستانت اقبلوا الى ارلندا في حملات «كرومويل» و «غليوم دورانج»، وساءهم ان يمسوا في مجلس «دوبلين» عدداً ضئيلا وان تكون الكلمة المطلقة للكاثوليك فرفضوا الاستقلال، وانذروا بالثورة اذا اعلن هذا الاستقلال في ديارهم. فانهم ليؤثرون ان يموتوا والسلاح بين ايديهم على ان يسيطر عليهم الكاثوليك !

وما كانوا مازحين !

ولم يكونوا مازحين في ما اعلنوا. فالبروتستانت في ارلندا

شديدو التعصب لمذهبهم الديني . والدليل على تعصبهم دعوة بعضهم بعضاً الى السلاح . فاحتشدوا في ولايـة « اولستر » صفوفاً صفوفاً بلغت نحواً من مئة الف مقاتل . واقبل قادتهم ينظمون هذه الصفوف ويجهزونها بالاعتدة . ووقف النائب السير « ادوار كارسون » خطيباً فيهم يحثهم على النزال . فكان يبرح في كل يوم سبت العاصمة لنـدن



الجنود الانكليزية في ميادين القتال
يصافحون القوات الافرنسية الافريقية المعروفة باسم تور كو

الى مدينة « بلفاست » فيثير الحماسة في الصدور ويعرض قوانه وقد حرضها على جماعة الكاثوليك

والكاثوليك تعصبوا !

وما بدر من البروتستانت بدر من الكاثوليك . فحشدوا قواتهم تحت لواء زعيم حزبهم في المجلس النيابي السيد « جون ريدموند » ووقفوا امام التيار البروتستانتي على اهبة للقتال . ومن المعروف عن الكاثوليك في ارلندا انهم ثلاثة ارباع السكان

وخشيت حكومة السيد « اسكويث » هذه الضجة ، ورغبت في توطيد الهدوء فحاولت تبديد تلك القوات الهائجة في ارلندا . واعتمدت تجهيز حملة لخضد شوكة البروتستانت في « بلفاست » فاذا بها تقع في مشكلة اخرى ، ذلك ان ضباط الحملة رفضوا محاربة جيش نظمه السير « ادوار كارسون » هم يؤيدونه في مراميه

وطلبوا من الحكومة وعداً قاطعاً بان لا تسوقهم الى ميدان سياسي اكثر منه عسكرياً . فاحرجوا موقف وزير الحرب الكولونل « سيلي » فمال سراً الى مفاوضة هؤلاء الضباط المتمردين ، غير ان القضية وقعت في مسامع الرأي العام ، واتهم الوزير في مجلس النواب بالضعف في السياسة والوهن في العزيمة ، فاستقال من منصبه ، واضطر السيد « اسكويث » نفسه الى القيام بشؤون وزارة الحرب

النار تحت الرماد

واستقالة الكولونيل « سيلي » خففت في الظاهر بعض الغليان ، الا ان النار ظلت كامنة تحت الرماد ، وخصوصاً في ارلندا ، فالافكار ما برحت مضطربة قلقة . وفي ٢٦ تموز ، فيما اوربا على وشك الاشتعال ، اهتزت « دوبلين » بحادث خطير وقع فيهـا بين الاهلين والجيش . فالاهلون اهانوا قوات الجند ، فلم يكن من الجند الا ان اطلق عليهم النار وقتل منهم ثلاثة وجرح خمسين . فاحتـدم الامر في مجلس النواب الانكليزي وقامت القيامة

والخوف من تفاقم الحالة دعا الانكليز الى التماس السلام فـيما الحرب تعصف باوربا وتزمجر على الابواب !

فضل « ادوار غراي » على فرنسا

واذا لم تقف انكلترا بعيدة عن المعترك الاوربي ، اذا لم يبدر منها في سنة ١٩١٤ ما بدر منها سنة ١٨٧٠ وقد اطلقت يد المانيا في محاربة فرنسا وساعدت دون ان تدري على انشاء دولة جرمانية قوية العضل ، فالفضل يعود في معظمه الى حكمة وزير الشؤون الخارجية السير ادوار غراي

فالرجل يتولى منذ تسع سنوات شؤون انكلترا الخارجية . ولم يكن فيه ما يدل على ملامح رجال السياسة المحافظين الجامدين . فهو طويل ، مكشوف الجبين ، دقيق الشفتين ، عميق النظر ، تتجلى المشيئة في كل حركة منه ، كريم المحتد ، درس في « اكسفورد » ، ولم تكن مواهبه بارزة وهو على مقاعد الدرس

على انه ما بلغ العشرين من العمر حتى انتخب نائباً . وانضم الى حزب الاحرار فلمع بايجازه في الخطابة وفي سمو خلقه . ولم يدهش احد لما دعاه اللورد « روزبري » الى وكالة وزارة الشؤون الخارجية . ولم يلبث هذا الوكيل ان امسى بعد عشر سنوات اصيلا . فارتقى سنة ١٩٠٥ الى مقام وزارة الشؤون الخارجية نفسها . ولما وقعت مكيدة « سيراجيفو » وذهبت بحياة ولي عهد النمسا تفانى السير « ادوار غراي » في توطيد السلام . فظل ثمانية ايام يبذل في بلغراد وبطرسبرج وبرلين وفينا اقصى المجهود لدرء خطر الحرب . ولم ييأس مع كل ما لقي من صدمات . ولكنه ادرك اخيراً ان التعب محال ، وان الخطر على السلم بات مستفحلا ، فلا بد من الحرب !

وفي ٢٩ تموز ، لما قررت المانيا في « بوتسدام » اعلان الحرب ،



هجوم فرنسي بالسلاح الابيض على الخنادق الالمانية في سواسون

حاول المستشار الالماني « بيتمان هولويغ » شراء عزلة انكلترا ، فوعد بان يحفظ سلامة فرنسا اذا انتصرت المانيا على روسيا . فرفض السير « ادوار غراي » هذه المساومة قائلا ان انكلترا لا تتدخل في حرب تعلن بين روسيا والنمسا ، ولكن هذه الحرب اذا امست اوربية وتناولت فرنسا فلا يسع انكلترا التزام جانب السكوت

على ان لهجة السير « ادوار غراي » كانت باردة ، وفي برودتها قد تكون رصانتها . ومما لفت نظره بنوع خاص احترام عزلة البلجيك . اما وقد ثبت له ان هذه العزلة لن تحترم فاطلع مجلس الوزراء الانكليزي على الحالة الراهنة . ومجلس الوزراء — ومن رجاله « اسكويث » و « لويد جورج » و « ونستون تشرشل » — ادرك ان انكلترا ستقف بين امرين ، اما الحرب واما العزلة المخجلة . ولما كان الشرف قبل السلامة المشوبة بالعار فقد اعلن مجلس الوزراء الانكليزي ان اسطول بريطانيا العظمى على استعداد لحماية الشواطىء الفرنسية اذا اصيبت هذه الشواطىء بعدوان من جانب المانيا ، وان انكلترا وهي حريصة على معاهدة سنة ١٨٣٩ ، الرامية الى توطيد استقلال بلجيكا وصون عزلتها ، لا تقوى على رؤية هذه المعاهدة

تطعن في صميمها وتقف منها مكتوفة اليدين

ولكن لا بد من المعارضة !

غير ان مجلس الوزراء لم يكن مجمعاً على هذا الرأي . فهناك وزيران أصرا على ضرورة بقاء انكلترا في عزلة . والوزيران هما اللورد « مورلاي » و « جون بورنس » . وحاولا اقناع زملائهما ببقاء انكلترا بعيدة كل البعد عن التدخل في الشؤون الاوربية، فما افلحا . وعدم الفلاح دعاهما الى الاستقالة

ونظر حزب المحافظين في الحالة فاجمعت كلمته على ضرورة تأييد الحكومة في مجابهة العدوان الالماني . وكتب رئيس الحزب في المجلس النيابي الى رئيس الحكومة يقول له :

« عزيزي السيد اسكويث

« من رأيي ورأي اللورد « لانسدون » زعيم حزب المحافظين في مجلس اللوردات، ابلاغكم ان من الغضاضة على شرف انكلترا وسلامتها التردد في اعانة فرنسا وروسيا . ولقد اجمعت كلمة زملائنا على ذلك . والحكومتكم ان تعتمد على مساعدتنا في اتخاذ كل تدبير تراه ضرورياً لهذا القصد — بونارلو »

الحرب في المجلس النيابي

ولكن حكومة السيد « اسكويث » ابت ان تبت وحدها الامر . فشاءت ان يشاطرها ذلك المجلسان ، مجلس الامة ومجلس اللوردات ،لتنفي كل تبعة عنها

وفي ٣ آب عقد مجلس النواب جلسة خطيرة . ووقف السير « ادوار غراي » يلقي بياناً طويلا عن الحالة في اوربا . وما اخفى ميل الحكومة . فقال ان الحرب لا بد منها اذا لم ترجع المانيا عما تحاوله . فايده مجلس النواب بالاجماع . ولم يكن من السيد « جون ريدموند» زعيم القوات الوطنية في ارلندا الا ان وقف يقول :

— باستطاعة الحكومة ان تدعو قواتها من ارلندا . فالكاثوليك والبروتستانت يحسنون الدفاع عن شواطئهم !

وصدق المجلسان امر التعبئة العامة . ولم يكن المعارضون ذوي عدد يذكر . وكان المبلغ المرصد للدفاع الوطني خمسين مليون ليرة انكليزية

بيان الحكومة الانكليزية

وفي ليل ٤ — ٥ آب اذاعت وزارة الشؤون الخارجية في لندن اعلان انكلترا الحرب على المانيا لخرقها عزلة البلجيك. على ان الناظر الى الشعب الانكليزي لم يكن يدرك حقيقة موقفه . أراضٍ هو ام غير راض ، أيشوقه القتال ام لا يشوقه ؟...

ذلك مما لم يظهر بوضوح . وطال امر هذا الغموض اياماً . فالاتحاد الوطني ابطأ في البزوغ . اجل ، لقي السير « ادوار غراي » في المجلسين كل التأييد ، واستقبلت لندن بحماسة امر التجنيد .وجالت مواكب من ابنائها في شوارع العاصمة الغنية تنشد « الله ينقذ الملك! ...» و«المارسيلياز» وهي ترفع الاعلام ، وطافت حول تمثال « نلسون » وهي تهزج وتصفق . واضطر الملك والملكة وولي العهد الى الظهور في شرفات قصر « بوكنغهام » لتحية الجماهير الهاتفة لهم . على ان لندن والمجلسين ليسوا انكلترا باسرها . فما هو رأي ذوي الايدي العاملة في ما ابرم ، ما هو رأي ارلندا وايكوسا وسائر بلاد الامبراطورية ؟

أتقاوم « ايكوسا» البروتستانتية المانيا البروتستانتية ؟

وارلندا الراغبة في الاستقلال أتخوض ميدان الحرب ؟

وسائر ممتلكات الامبراطورية البريطانية ، هذه الحلقات المتماسكة من البشر ، هذه الاقوام الحرة في اعلان موقفها من الحرب او السلم ، أتنضم الى انكلترا لمحاربة المانيا ؟

تصريحات « ادوار غراي »

هذا ما ودت الحكومة ان تعرفه وما ود الرأي العام الانكليزي الاطلاع عليه . وفي ٥ آب صرح السير « ادوار غراي » بما يدفع انكلترا الى الحرب فقال :

— اذا سئلت لماذا شهرنا الحرب اجبت للقيام بفرض دولي يقضي به الشرف ليس لمن يحترم نفسه ان يتخلى عنه ، وانتصاراً لمبدأ هو الدفاع عن الدول الصغرى التي تعبث بها القوة الغاشمة !

***

واتضح لانكلترا بعد ما حل ببلجيكا من الاهوال الالمانية انها كانت على حق في اعلان الحرب. وصرح احد كبار رجالها السياسيين قائلا : لو لم نهب للذود عن بلجيكا لكنا شعباً خلت عروقه من الدم الانكليزي !

وايقن انصار المانيا انهم اخطأوا . والسير « وليم رمساي » الكيمائي الانكليزي الشهير ، وكان من طلاب السلام ، وقع قبيل الحرب منشوراً ينقم فيه على فكرة الحرب ،غير انه عاد فكتب في ١٥ آب الى جريدة « التيمس » رسالة يقول فيها :«بدأت اعترف بان المانيا تحاول استعباد اوربا وان من الضرورة الحؤول دون هذا الاستعباد !..»

وفي كتاب اذاعه المعلمون في جامعة « اوكسفورد » تحت

عنوان : « لماذا اندفعنا الى الحرب ؟ .. » اوضحوا نفورهم من خطة المانيا ، واعربوا بهذا الرأي عن اراء المفكرين الانكليز باجمعهم

وجريدة « منشستر غارديان » مع كونها جريدة سلمية كتبت تقول : « والان كل ما يهمنا ان نكون منصورين ! ... »

وايد الارلنديون زعيمهم « جون ردموند » . وختم المجلسان



الالمان يحرقون قتلاهم

في ساحات معركة « المارن »

دورتهما وهما يصيحان : لتحي انكلترا !

موقف الامبراطورية البريطانية

ولم يختلف موقف سائر اجزاء الامبراطورية البريطانيـة عن موقف انكلترا . فما كاد الناس في « كندا » يطلعون على ما اعتزمت انكلترا حتى احتشدوا في « مونتريال » حول تمثال الملك ادوار السابع وهتفوا لاتفاق فرنسا وانكلترا . ونادوا فيما بينهم بالاتحاد المقدس . واجمعوا ، على اختلاف احزابهم ، على ضرورة مناصرة الوطن الام المهدد بالاخطار

وخشيت اوستراليا ان تحتفظ انكلترا بعزلتهـا . بيد انها ما اعلنت الحرب حتى لقي هذا الاعـلان صدى استحسان في البلد الاوسترالي . فاستقبله الجميع بالرضى . وحزب العمال نفسه ايد الدعوة الى الحرب كما ايدهـا المحافظون . ولما تولى في شهر ايلول زعيم حزب العمال السيد « فيشر » الحكم طير الى السيد « اسكويث » رئيس الحكومة الانكليزية برقية يقول فيها : « صرحت لدى اعلان الحرب ان على اوستراليا ان تؤيد بريطانيا العظمى حتى آخر رجل وآخر فلس لديها . ويسرني اني بتّ استطيع عند الضرورة ان اقرن القول بالعمل !... »

وعرضت « زيلاندا » الجـديدة كل مساعدة . ولم تدهش انكلترا وهي ترى من ذلك البلد هذا الخضوع وقد عوّدها اياه . على حين انها دهشت كل الدهش وقد لمست هـذا الخضوع نفسه في افريقيا الجنوبية وهي مستعمرة احتلتها انكلترا منذ اثني عشر عاماً وتولى الامر فيها القائد « بوتا » زعيم « البوير » اعداء الانكليز

ومما صرح به القائد « بوتا » ونبأ اعلان الحرب يقع في مسمعه : ما دامت الامبراطورية في حرب فان افريقيا الجنوبية لفي حرب لمقاتلة العدو المشترك . مما يتفوق به ابناء افريقيا الجنوبية تمسكهم بالشرف . وهذه الميزة فيهم تدعوهم الى الحرص عليها نقية صافية !

الهند تؤيد انكلترا في اعلان الحرب

والهند البريطانية والاسلامية ايدت انكلترا في اعلان الحرب . والامراء الهنديون السبعمئة ، وكانوا لا يزالون يملكون بعض السيطرة ، ابلغوا نائب الملك في الهند ، اللورد هاردنج ، عزمهم على مساعـدة انكلترا بالمال والرجال . وبين هؤلاء امير « جودهبور » البالغ السبعين من العمر ، فقد اعلن بعزم انه يجود بكل ما عنده في سبيل مليكه

وعرضوا على نائب الملك جيوشهم ، فابرق الى انكلترا يقول ان الجيوش الهندية لا تمانع في اوربا نفسها في نصرة الحلفاء

فاثرت مواقف الممتلكات البريطانيـة في الشعب الانكليزي وتراءى له انه يناصر قضية نبيلة عادلة في خوضه ميادين القتال

ولكن انكلترا ليست على استعداد !

على ان انكلترا وهي المطالبة بالسلام لم تكن على استعداد للحرب . فالدولة الراغبة في الدفاع عن بلجيكا وفي مساعدة فرنسا تحتاج الى جيش . وفي شهر آب ١٩١٤ لم تكن تقوى انكلترا على محاربة دويلة فكيف تستطيع ان تقاوم المانيا ؟

وما غاب عنها اي قوة هي المانيا ، ولا اي مجهود يجب ان تبديه لتنظيم جيش يقوى على سحق القوات الالمـانية او يقف منهـا على الاقل موقفاً تصان به الكرامة ويحفظ لانكلترا ماضيها المجيد . فالامر يحتاج الى بضعة اشهر . وفي اثناء هذه الاشهر المطلوبة أتقف انكلترا موقف الجمود ؟...

لا ، عليها ان تضمن تجارتها واعاشتهـا وان تحمي شواطئها . ووسائل هذه الحمـاية موفورة ، أليس لدى انكلترا اعظم اسطول

بحري ؟

لقد شاء غليوم الثاني ان ينشىء لنفسه اسطولا اعظم ، الا ان كل ما ابداه من جهد لم يأت بفائدة. اجل ، ضمن له اسطولا ضخما ، ولكن الاسطول الانكليزي ظلّ متفوقاً في عدده وقوة رجاله. فهناك مئة وخمسون الف ملاّح ، كلهم من المتطوعين ، درجوا على تقاليد « رودناي » و « نلسون »

وما احجمت انكلترا في عهد من العهود عن الوقوف في طليعة الدول البحرية ، فان من مبدإها ان يكون اسطولها اقوى من اسطولين مزدوجين. وفي سنة ١٩٠٨ تراءى لها انها ستشتبك والمانيا في حرب طاحنة ، وان هذه الحرب ستنشب في البحار . لذلك تأهبت انكلترا . فحشدت في البحر الشمالي اكبر اساطيلها وانشأت في شواطىء « ايكوسا » قاعدة بحرية جديدة

وتولى امر الاصلاح في الاساطيل الانكليزية اللورد « فيشر ». فاجتهد في ضبط رمي القذائف ، ودعا الى بناء مدرعات محمولها عشرون الف طن . ولما غادر منصبه سنة ١٩١١ في امارة البحر ظلت مبادئه سائدة . وايده فيها الملك جورج الخامس

والملك جورج الخامس يهيم بالبحر . فظل يطوف في البحار نحواً من خمس عشرة سنة . وبلغ من حبه للعمل في الاسطول انه كان يتولى بنفسه تجهيز المدرعات بالفحم . وارتقى الى العرش ولم يبرح يعرض في مرفأ « بورسموث » الاساطيل ، فينظر في الغواصات ، ويرصد حالة الطردات والمدمرات ، ويقيم في المدرعات

وهذا التدقيق المستمر زاد في شأن الاساطيل الانكليزية . ولما اعلنت الحرب تسنى للملك جورج الخامس ان يدعو اساطيله الى العمل . وكانت على اهبة . فما استعدت انكلترا للحرب كل الاستعداد في سوى البحار

تنظيم الاساطيل

وتألفت القوة البحرية الاولى من اربعة اساطيل ، كل اسطول يضم ثماني مدرعات ضخمة حديثة الطراز — ما عدا الاسطول الثالث وقد ضم مدرعات اقدم عهداً من مدرعة الملك ادوار السابع — والى جانب المدرعات الضخمة احتشدت في كل اسطول طرادات متعددة في خمس فئات ، كما احتشدت فيه المدمرات والنسافات

وهذه الاساطيل اندفعت تواً الى عرض البحر يقودها اميرها السير « جون جاليكو » ، وهو احد تلاميذ اللورد « فيشر » ، منتصب القامة ، رقيق البنية ، ذو ماض لامع مجيد ، توسد الخامسة والخمسين من العمر ، وذاع صيته بين رجال البحر واطلق عليه لقب « جاك الصامت » . وكان من امر هذه الاساطيل ان تسلمت امر الدفاع عن الشواطىء الانكليزية وحاصرت الشواطىء الالمانية في البحر الشمالي

اما الاساطيل الانكليزية الاخرى فقد تولت المحافظة على سلامة تجارة الحلفاء في البحار بنسف مدرعات العدو التي تدفعها جرأتها الى براح مقرها والظهور في عرض اليمّ

***

هكذا توزعت الاعمال على اساطيل انكلترا لضمان وحدة بريطانيا العظمى ولمساعدة انكلترا على اعداد الجيش الذي تحتاج اليه في البر

الجيش الانكليزي

لم يكن في سنة ١٩١٤ لانكلترا جيش ذو شأن . فما ملكت غير قوات لا تتوفر على اثبات وجودها في المأزق العصيب . فهي اضعف جيش عرفته الدول الاوربية الكبرى وقد بلغ عدده مئة وتسعة وسبعين الف ضابط وجندي ، على ان القوة الحقيقية المجهزة بالسلاح لم تكن تزيد على مئة وسبعين الفاً . منها مئة وخمسة وثلاثون الفاً في انكلترا

بلى ، هناك جيش الهند وعدده خمسة وسبعون الف رجل ، وجيش احتياطي قوته مئة وخمسة واربعون الف رجل تتألف من الجنود القدماء وأُعدّ لتلبية النفير العام ، واضيف الى هذه القوات كلها جيش يبلغ واحداً وستين الف رجل يُعرف باسم « الجيش الاحتياطي الخاص » ، وافراده ممن تطوعوا في الخدمة العسكرية لستة اشهر قاموا فيها بالتمارين المفروضة على كل من يدعى الى حمل السلاح في جيش منظم

لا خدمة اجبارية

وليس في انكلترا نظام يقضي بالخدمة الاجبارية . فالنظام الساري ما برح مثله في القرنين السابع عشر والثامن عشر . فمن شاء تطوع وخدم في الجيش

وفي انكلترا اربع وستون منطقة تقوم بتعبئة الجيوش. وفي كل منطقة منها ضباط يدعون الناس الى الانتظام في صفوف الجند . ولكل منطقة فرقة خاصة . ولهؤلاء الضباط ان يذيعوا المناشير يوضحون فيها الفوائد من العمل في الجيش ، لهم ان يلقوا المحاضرات ويستعينوا فيها بالفانوس السحري على اظهار مزايا الجندية

ومما يتفق احياناً ، على أثر حفلة رياضية ، ان يدعى القوم الى

مجلس تشنف فيه اذانهم الموسيقى العسكرية. وما ينتهي العزف حتى يقف في السامعين نفر من ذوي المقام العالي يدعون الشبيبة المتحمسة في ألعابها الرياضية الى نصرة الوطن والحرص على مجده الغالي

وهذه الدعوة تشير الى الحض على التطوع في الجيش. وعلى كل شاب يرغب في التطوع ان يعاهد على القيام بما تفرض الجندية عليه. ولا بد من كفيل يضمن احترام المتطوع للعهد. وبعد ذاك يقول الطبيب كلمته في صحة هذا المتطوع. فان يكن صالحاً للعمل تسنى له الانخراط في الجيش

فالتجنيد كان صعباً. فلا الدولة تتساهل فيه ولا الاهلون. فالدولة سنت قانوناً يوفر لها من الجند عدداً ضئيلا. والاهلون كانوا ينفرون من التجنيد، حتى ان هناك ولايات لم تكن تمد الجيش الانكليزي بجندي واحد، واذا جاء اليها من يستحث همة بنيها على العمل في الجيش خاشنته كل المخاشنة

شروط التجنيد

وما سنته الدولة من قوانين يحتم على طالب التجنيد ان يكون بين الثامنة عشرة والخامسة والعشرين، وان يحمل السلاح اثنتي عشرة سنة. على انه لا يبقى في الخدمة العاملة ما يزيد على سبع سنوات، والسنوات الخمس الباقية يقضيها في نطاق الجيش الاحتياطي، اي انه يعاهد على تلبية نداء الملك ساعة يدعى الى حمل السلاح

ولم يكن الجندي الراجل يتقاضى في اليوم ما يزيد على فرنك وربع فرنك، اما الخيال فيتناول فرنكين وخمسة عشر سنتيما

والضباط في معظمهم من ابناء الاسر النبيلة، يقتبسون العلوم العسكرية في مدرستين: «ساندهارست» و«وولويتش». وقليل هم الجنود الذين يرتقون الى مقام الضباط. واذا بلغوا هذه المرتبة كانوا من ضباط جيش الاحتياط، مما اقام حاجزاً منيعاً بين الضباط والجنود

جيش انكلترا

والجيش الانكليزي المعد في انكلترا للقتال يوم اعلنت الحرب الكبرى يتألف من القوات التالية:

اولا — تسعة طوابير من الحرس، ثلاثة طوابير من الرماة، ثلاثة من الايكوسيين، طابور ارلندي، طابوران «كولدستريم»

ثانياً — تسعة وستون آلاياً من المشاة

ثالثاً — خمسة واربعون طابوراً من الفرسان، عشرة منهم لحراسة الملك

رابعاً — ٢٥ بطارية جاهزة، ١٤٧ بطارية للصحراء، و٩ بطاريات للجبال. ويتولى امر الحصون تسع وتسعون فرقة من رجال المدفعية. وكل بطارية مؤلفة من ستة مدافع

خامساً — سبع وسبعون فرقة لبناء الجسور وتنظيم الحصون واعداد الحصار



الجنود ينقلون جرحاهم

«من ساحات القتال في «المارن»»

وهذا الجيش احتشد في معظمه في جنوبي انكلترا وفي ارلندا. ومن المعروف عن انكلترا ان كل منطقة فيها تؤلف حكومة عسكرية خاصة

وللجنود ثوبان، ثوب للحفلات الكبرى وثوب اغبر اللون «كاكي». ولدى المشاة بندقية حسنة الرمي والاصابة، معروفة باسم «لي انفيلد» من عيار سبعة ميليمترات

والمدافع سريعة الاطلاقة. والطيران الحربي حسن التنظيم. ففي انكلترا ثمانية عشر سرباً، كل سرب يضم ثماني طيارات

والمسؤول الاوحد عن الجيش الانكليزي امين سر الدولة البرلماني. ويدير شؤون الجيش مجلس خاص مؤلف من اربعة اعضاء: رئيس اركان الحرب، رئيس التجنيد، مدير حركات الجند، مدير المدفعية

وعلى هذا المجلس ان يجهز الجيش للحرب بالاتفاق ومفتش الجيش. وحول كل عضو من اعضاء المجلس يحتشد نفر من الضباط درسوا في شطر هم الاكبر في معهد اركان الحرب. على ان هذا التنظيم الوافي لا يشير الى كون الجيش وافياً. فما الجيش الانكليزي غير

قوة ثرية في بريطانيا العظمى من شأنها حفظ الامن في المستعمرات

على ان انكلترا اعتزمت ان توفد قوة من جيشها الى ميادين القتال. وفكر اللورد « هالدان »، وزير الحرب في حكومة السيد « اسكويث »، في انشاء حملة تضم عشرة فيالق من المشاة، ويتألف كل فيلق من ٥٩٨ ضابطاً، و١٨٠٧٥ جندياً، و ٦١٦١ حصاناً، و ٧٦ مدفعاً

ومن فيلق للفرسان عدد ضباطه ٤٨٦ ضابطاً، وجنوده ٩٤١٠ فارساً، وخيوله ١٠١٩٥ جواداً، ومدافعه ٢٤ مدفعاً

ومن فيالق اخرى مما يبلغ في مجموعه مئة وخمسين الف مقاتل.

وعين السير « جون فرانش » قائداً عاماً لهذه الحملة

الجيش الملازم

والى جانب الجيش العامل والجيش الاحتياطي يقوم الجيش الملازم، وهو الجيش المعروف باسم « تاريتوريال ». وقد اطلقنا عليه اسم « الجيش الملازم » لكونه ليس اصلا بل فرعاً، فلا يدعى الى الخدمة العاملة غير مرة في العام، للقيام بالتمارين الحربية مدة تتفاوت بين ثمانية ايام وخمسة عشر يوماً

وهذا الجيش يجب ان يبلغ عدده ثلاثمئة وخمسة عشر الف رجل، الا انه لم يكن يعدّ في حقيقته ما يزيد على مئتين وخمسين الف جندي مقسمين على ستة وثلاثين طابوراً من الفرسان، و ١٤ بطارية جاهزة، و٦٧ طابوراً من مدفعية الصحراء، و ١٤ بطارية ضخمة، و ٨٩ فرقة لمدافع الحصون، و ١٠٣ فرق لانشاء الحصون والجسور، و ١٩٤ طابوراً من المشاة، و ١٥ طابوراً من راكبي الدراجات

وهذا الجيش سدّ مسدّ القوات المنظمة المنطلقة الى بلجيكا وفرنسا لنصرة بلجيكا وفرنسا، ووفر لهذه القوات تمثيل انكلترا في ساحات القتال، في معارك « مونس » و « المارن » و « الاين » و « فلاندر »، تمثيلا طافحاً بالسؤدد والكرامة

على ان انكلترا ما اكتفت

غير ان انكلترا ما اكتفت بهذه القوات توفدها الى ساحة النضال، فايقنت ان الاسد البريطاني يجب ان لا يكون في ساحة الوغى دون مكانته العالية في كل ناحية من النواحي. ولذا عهدت في ٦ آب الى اللورد « كيتشنر » بتأليف جيش آخر تفاخر به بريطانيا العظمى

من هو اللورد كيتشنر؟...

واللورد « كيتشنر »، بطل الخرطوم، خير من يتولى هذه المهمة، فهو ألمع وجه في الجيش البريطاني وقد اشتهر في مواقف متعددة وظهر فيها بمظهر البطل المقدام

واللورد « كيتشنر » ابن ضابط في الجيش الانكليزي بلغ رتبة « كولونل » ثم تقاعد وانصرف الى العمل في الزراعة واستقر في ارلندا

ورُزق ابنه « هربرت » فبدا من الفتى انه يؤثر الصمت على الكلام. وشاء الاطلاع على القواعد الفنية العسكرية فتدرج في معهد « وولويتش » العسكري، وفي سنة ١٨٧٠ كان في العشرين من العمر وكل اجازة ينالها تدفعه الى ابيه في « دينان ». وكان ابوه قد تزوج مرة اخرى في فرنسا

وانهزم الفرنسيون سنة ١٨٧٠ فتطوع « هربرت كيتشنر » في طابور « شواطىء الشمال » السادس وابدى ميلا الى فرنسا. وهذا الميل نادر في ذلك العهد الوقوع عليه بين الضباط الانكليز. على ان « هربرت كيتشنر » لم يستطع عملا في الجيش الفرنسي وقد اصيب فور تطوعه بنزلة الصدر. فعاد الى « وولويتش » وخرج منها ضابطاً من ضباط الهندسة الحربية. وابت عليه همته البقاء في انكلترا في الثكنات يقضي حياة تبعث على الملل، فركب البحر الى الشرق وقام بدرس الآثار في فلسطين وقبرص، كما درس مواقع تلك الديار. وتعلم التركية والعربية، وتولى منصب المعتمد الانكليزي في ارضروم. وفي سنة ١٨٨٠ لما استقرت انكلترا في مصر دعي كيتشنر الى العمل في القطر المصري

ففوض اليه امر قيادة الفرسان المصريين، ثم امر دار الاستخبار، ثم ارتقى الى مقام حاكم على شواطىء البحر الاحمر

ولم يدركه الجمود. فظهر منه انه رجل عسكري يميل ابداً الى القتال. وكان يقاتل ويفوز. فهزم الدراويش. ولفت انظار اللورد « كرومر »، مندوب انكلترا في مصر، فرفعه الى رتبة سردار الجيش المصري، اي القائد الاعلى لهذا الجيش

واول ما فكر فيه « كيتشنر » وهو على رأس القوات المصرية ان يستعيد السودان من المهدي. وسخر في سبيل هذه الامنية مياه النيل وارض النيل. فانشأ الخطوط الحديدية من مصر الى الخرطوم، واطلق في النيل النسافات، وفي سنة ١٨٩٨ انتصر على المهدي في معركة ام درمان وقتله

فكافأته انكلترا بان انعمت عليه بلقب « لورد ». ولم يومذاك

كل اللمعان . وساعده على الظهور شكله واناقته وقوة ساعده . فهو طويل القامة ، نبيل الملامح ، متناسب القسمات ، نحاسي النظرات . فكل ما فيه يشير الى القوة والعافية

ولما لقيت انكلترا في سنة ١٨٩٩ تلك الفواجع في «الترانسفال» لم تجد امامها غير اللورد « كيتشنر » تدعوه الى نصرتها . فتولى بادىء بدء رئاسة اركان الحرب لدى اللورد « روبرتس » ، وما لبث



فرقة من القوات السنغالية
تدعى الى القتال في فرنسا

ان تولى القيادة العامة ، فاخضع «البوير» الابطال ونال لقب «فيكونت» ، وانصرف الى الهند ينظم جيشها ، وهو من عشاق العمل ، وما لبث ان عاد الى مصر يقمع فيها الحركات الوطنية

وفي سنة ١٩١٤

ولما اعلنت حرب ١٩١٤ كان اللورد « كيتشنر » بالاجازة في انكلترا . وشخص الى « كاله » ليبحر منها الى مصر واليها يدعوه منصبه ، واذا به يتناول برقية من لندن ترفعه الى المقام الاول في الجيش كأمين سر لوزارة الحرب ، ووافقت على هذه الترقية الاحزاب الانكليزية على اختلافها

ولم يجهل اللورد « كيتشنر » وهو يقبل المهمة المندوب لها اي عبء يرفع على عاتقه . فعليه ان ينظم جيشاً يضارع في قوته وعزيمته وعدته الجيش الفرنسي ليتسنى له الوقوف امام الجيش الالماني . ولا بد لبلوغ هذا المستوى من السهر والجد

وبحث اللورد « كيتشنر » عن الرجال كما بحث عن الذخائر والمؤن لتجهز الجيش بها . وبهمته استطاعت انكلترا ان توفد في ٦ آب الى بلجيكا وفرنسا جيشها العامل ، وفي ١٢ آب كانت توفد اليهما جيشها الملازم

اجل ، لقد تأخرت انكلترا في ايفاد الجيشين بكاملهما ، الا انها اوفدتهما بالتدريج وبترتيب ضمنت به سلامة قواتها . فابحر الجنود الانكليز في الشواطىء الفرنسية بهدوء عجيب . فما نغصت عليهم صفوهم غمامة . فنزلوا في « اوستند » ، المرفأ البلجيكي ، ليلا . على حين انهم نزلوا في الشواطىء الفرنسية في رابعة النهار . واستقبلهم الاهلون في « بولون » وفي « الهافر » بالاناشيد والتصفيق ، ونثروا عليهم الازهار ، ورفعوا الاعلام فوق المنازل وفي الشرفات . ومن الشواطىء انتقل الجيش الانكليزي الى « موباج » وفيها احتشد جيش القائد « فرانش »

على ان هذا الجيش ابقى وراءه في الشواطىء التي نزل فيها المستودعات والاهراء . وكان على اتفاق تام وجماعة السكان فهمهم وفهموه !

نداء اللورد «كيتشنر»

غير ان اللورد « كيتشنر » لم يطلق جيوشه الى القتال الا وقد اذاع فيهم نداء يدعوهم به الى القيام بواجبهم وصون كرامة انكلترا من كل هوان قال :

« ايها الجنود ، تناولتم الامر بان تبرحوا اوطانكم الى ارض سواكم ، لتساعدوا ، انتم جنود الملك ، اخوانكم الفرنسيين وتردوا معاً اجتياح العدو المشترك . فعليكم ان تحققوا ما دعيتم اليه بكل ما لديكم من شجاعة وعزم وصبر

« تذكروا ان شرف الامبراطورية البريطانية موقوف على همتكم . فمن واجبكم لا ان توفروا الدليل على تمسككم بالنظام وعلى احتمالكم المشقات تحت النيران المنصبة عليكم فحسب ، بل يجب ان تكونوا على صلات طيبة بمن تساعدونهم في هذا النضال

« معظم الحروب التي دعيتم الى خوضها ستقع في ارض صديقة ، وارفع ما تؤدون لوطنكم انكلترا من خدم الظهور ، سواء في بلجيكا او في فرنسا ، بمظهر الخلق الانكليزي الصحيح

« كونوا ذوي كياسة وذوي نية حسنة . احترموا ملك سواكم وانظروا ابداً الى النهب والسلب مثلكم الى عمل شائن . فان حلفاءكم يستعدون للقائكم والترحيب بكم ومنحكم الثقة التامة . ويجب ان يشير موقفكم الى انكم جديرون بالثقة وبما ستلقون من ترحيب

« لن يتسنى لكم القيام بواجبكم بتمامه الا اذا كنتم ذوي صحة كاملة ، فتجنبوا اذا التفريط في صحتكم مهما يكن من نوع هذا التفريط ! .. »

انشاء جيوش جديدة

وفيها جيش المارشال « فرانش » يعمل في بلجيكا وفرنسا بما دعاه

اليه اللورد « كيتشنر » مال اللورد الى انشاء جيوش جديدة تزيد في سمعة انكلترا ومقامها

ونادى ابناء امته الى تأليف هذه الجيوش فلباه في ايام قلائل سبعون كتيبة

ولكن هذه القوات مع اندفاعها الى القتال بحماسة واخلاص ظلت غير كافية . فلا يسع انكلترا ان تثبت في النضال الا اذا جاوز جيشها المليون ، ولتوفير هذا المليون من الارواح صدق المجلسان مئة مليون ليرة انكليزية لتجنيد خمسمئة الف مقاتل ينضمون الى القوة المجهزة بالسلاح، مما يرفع عدد الجيش الانكليزي الى المليون

كيتشنر وزير!

ولكن من يستطيع حشد هذا الجيش ؟

كيتشنر !

كيتشنر الذي عرفت قدره بلاده فرفعته الى مقام وزير الحرب على ان الوزير نفسه حار في الوصول الى نصف المليون . فمن اي ارض يأتي به ، وكيف ينظمه ؟...

ذلك ما فكر فيه طويلا وزير الحرب في انكلترا اللورد « هربرت كيتشنر »

فهو يعلم ان طريقة التجنيد في وطنه عقيمة . فلا تجنيد اجباري في انكلترا . وعندما تصدم البلاد التجنيد الاجباري فمن الصعب عليها دعوة الامة الى حمل السلاح

وكان اللورد « روبرتس » قائد الجيش الانكليزي بالامس قد رغب في اعلان الخدمة العسكرية الاجبارية في انكلترا ، الا ان الشعب الانكليزي لم يجد من ضرورة تدعو الى الخدمة الاجبارية ، بل هو كان يخشى الخدمة الاجبارية وينفر منها كل النفور . ولم يتبدل موقفه منها في شهر آب سنة ١٩١٤ ، فظل ناقماً عليها لا يريدها. وكل ما تساهل فيه ان يقوم التجنيد للحرب الكبرى على اساس التطوع مثله من قبل ، على ان يدوم هذا التطوع حتى نهاية الحرب والحجج كانت مقنعة !

قال الانكليز : ما النفع من تجنيد الملايين وليس ثمة ما يساعد على تجهيزها وتنظيمها وتوفير المساكن لها ؟ .. لماذا تهديم الحياة الاقتصادية في انكلترا دون ما فائدة ؟..

واعتبر اللورد « كيتشنر » بهذه الاراء ، واكتفى بان يدعو الى التطوع دون ان يفرض على الامة مبدأ التجنيد الاجباري . واذاع دعوته . واذا الاقبال يدهشه . ففي اقل من شهر واحد جاوز عدد المتطوعين في الجيش الانكليزي اربعمئة وتسعة وثلاثين الف جندي

ذلك في ١٩ ايلول ١٩١٤

وفي ٢٠ تشرين الاول من السنة نفسها صدق المجلسان اعتماد مالياً لخمسمئة الف آخرين، فجاء سبعمئة وثمانون الف رجل يطلبون ان يتطوعوا للقتال

فبلغ الاعجاب بالامة الانكليزية مبلغه الاقصى، ورأت الحكومة ان تنظم جيشاً جراراً في عدده وعدته، فاعلنت في ١٧ تشرين الثاني ١٩١٤ ان جيشها سيؤلف من مليونين

وهو عدد هائل لم تكن انكلترا تحلم بان تبلغه في يوم من الايام !

اسرار الجاسوسية والحرب الكبرى

اسرار

العدد الخامس

بدل النسخة
١
قرش مصري

في هذا العدد

انتحار العسكري
قائد جيش العراق العثماني

انهزام الروس
امام الترك

وانهزام الترك
امام الروس

جهاد كيتشنر
في تأليف الجيش الانكليزي

لويد جورج
يأتي بالعجائب لتوفير المال



جورج الخامس ملك انكلترا وأركان حربه



اللورد كيتشنر ومحافظ لندن يعرضان الجيش

الاسرار

مجلة اسبوعية تاريخية تبحث في التاريخ وما اهمله التاريخ

العدد ٥ بيروت في ٣ ايار سنة ١٩٣٨

الادارة : مكتبة صادر * شارع اللنبي * بيروت

اسرار الجاسوسية في القضية العربية

بقلم فؤاد ميداني

السلطان عبد الحميد يبدي رأيه في دخول تركيا الحرب العالمية

لم تكن الحرب من رأي السلطان المخلوع



السلطان عبد الحميد

شاءت الاقدار ان لايموت السلطان عبد الحميد بعد خلعه فوراً ، فظل في قيد الحياة ليشاهد بعينه انهيار السلطنة العثمانية

وقليل هم الذين يعلمون ان المصائب لم تنزل بالدولة العثمانية الا بعد خلع السلطان عبد الحميد وفي عهد حزب الاتحاد والترقي. اجل ان السلطان عبد الحميد لم يسعد البلاد بل تركها كما هي وسياسته قد اشتهرت باسم « ادارة مصلحت » ،اي تسيير الامور بالتي هي احسن وعدم اثارة الفتن في البلاد ، غير انه ابقاها كما تسلمها ، ولم يكد يهوي عن العرش ويتولى الاتحاديون الامر حتى بدأ التفسخ في ادارة البلاد .

حكمة عبد الحميد

والسلطان عبد الحميد كان يقول في هذا الصدد :

— السلطنة العثمانية آنية قديمة متفسخة منعتها بالاعتماد على مرهم « ادارة مصلحت » من السقوط ،وذلك مدة ثلث قرن . على ان الاتحاديين ما كادوا يتسلمونها مني ، وقد استولوا عليها بقوة الشباب المخدوع بقوته،حتى اضاعوا التوازن وبدأ الانهيار دون ان يشعروا بالامر. ولما تلفتوا الى ما حولهم وجدوا ان ليس بيدهم منها شيء !

والسلطان عبد الحميد على حق في ما قال . فان اركان حزب الاتحاد والترقي جهلوا حسن التدبير ففقدوا اجزاء متعددة من السلطنة العثمانية ، عدا انهم اساؤوا الى الاقوام العاملة تحت لوائهم فاضمرت لهم الشر وباتت ترقب الفرص للانقلاب عليهم

مذكرات عبد الحميد

والسلطان عبد الحميد لم يمت في سوى اليوم الحادي عشر من شهر شباط سنة ١٩١٨ ، وقد امهله الزمن كي يشهد المجازر العالمية حتى سنة ١٩١٨ ، وفي هذه الاثناء انصرف الى كتابة مذكراته والتعليق على ما جرى في تلك الايام العصيبة .

وهذه المذكرات تمكنا من الحصول عليها لننشرها على قراء «الاسرار»وفيها اراء السلطان عبد الحميد في ما انتاب السلطنة العثمانية بعد خلعه عن العرش. على اننا لن نفرد لها صفحات المجلة بكاملها بل ننقل منها رأي السلطان عبد الحميد في كل حادث من الحوادث ليقف القراء على آراء السلطان الداهية في حالة بلاده بعد ماصار الى منفاه

مذكرات السلطان عبد الحميد

بدأ السلطان عبد الحميد كتابة هذه المذكرات في قصر « آلا تيني » لما نفي اليه في سلانيك واكمل ، هذه السلسلة في قصر



☼ الرزنامة التي شهدت موت عبد الحميد

لما امسى السلطان عبد الحميد في آخر ساعاته لم يستطع نزع ورقة « الروزنامة » الحاوية تاريخ ١٠ شباط سنة ١٩١٨، وهو يوم احتضاره، ولقد نقلت الحكومة العثمانية هذه الروزنامة الى دار الآثار حاملة ذلك التاريخ ، كما يبدو في الرسم ، وهو آخر يوم من حياة عبد الحميد

« بكلربكي » في استانبول ، وقد نقل اليه لما اعلنت الحرب البلقانية الثانية ورأى الاتحاديون ان سلانيك باتت تحت خطر الاحتلال اليوناني .

وظل السلطان عبد الحميد في هذا القصر حتى وافاه الاجل المحتوم في ١١ شباط سنة ١٩١٨

رأيه في الحرب

لم يطلع عبد الحميد على الاحوال السياسية في البلاد الا بما كان يطالعه في الصحف وبما ينقله اليه حراسه في القصر من انباء غير وافية، ولذا لم يعلم شيئاً عن استعداد انور باشا ورفاقه لخوض الحرب العالمية.

وفي ٢٨ ايلول سنة ١٣٣٠ الموافق ، ١١ تشرين الاول سنة ١٩١٤ ، كتب في مذكراته يقول : « وقفت ساعة لمشاهدة الاسطول العثماني وهو يغادر البوسفور الى البحر الاسود ، وكانت المدرعتان «ياووز» و « مدللي » تتهاديان امامي فسرني المشهد وقد دلني على ان حكومتي بدأت تهتم بتعزيز اسطولها في هذا الوقت العصيب

« ولكن ما يؤسفني ان يستمر الشقاق في الداخل ، والشقاق مخيف . واذا كانت الحكومة مخطئة فعلى القوم افهامها الحقيقة . اما ان تنظم المكايد في خارج البلاد وفي مناطق خاضعة للنفوذ الاجنبي فهذا مما يؤلمني كل الالم .

« اجل ، اعلنت الصحف في الخارج ان المعارضة قوية ، ولكني على ثقة بان هذه المعارضة تستند الى سواعد الانكليز ودسائسهم وما برحوا منذ ركوبي العرش يعملون على هدم السلطنة العثمانية ! »

عبد الحميد واعلان الحرب

وكتب في ١٧ تشرين الاول سنة ١٣٣٠ الموافق ٣٠ تشرين الاول سنة ١٩١٤ يقول :

« نحن في اول ايام عيد الاضحى المبارك ، فالناس يستعدون للاحتفال بافراح العيد ، غير ان الصحف جعلت الفرح ترحاً وقد اذاعت خبراً مؤلماً عن نيل الروس من اسطولنا في البحر الاسود . وقد قابل اسطولنا هذا العدوان بالمثل ، فضرب بعض الموانىء الروسية واغرق بعض السفن . اذاً لقد تحققت مخاوفي وبات دخولنا الحرب امراً لا مفر منه !

رأيه في مصير السلطنة

« ولكن ماذا تكون العاقبة ؟ . اذا انتصر الانكليز وحلفاؤهم علينا في هذه الحرب كانت العاقبة وخيمة فتؤدي حتما الى اضمحلال السلطنة العثمانية .

« اننا لفي حالة صعبة ولم يبق لدينا قوة تدافع عن كياننا ، والى اي مصير ينتهي عندذاك اولادنا وعيالنا؟..

« املنا الوحيد معقود على الالمان. واذا فاز الالمان تبدل موقفنا،

ولكن ...

« اجل ، ولكن ... فانا لننتقل عند ذاك من تحكم الانكليز بنا الى استعمار الالمانيين لنا . فالدولة اذاً اخطأت جداً في دخول الحرب العالمية . وكان من واجبها البقاء في عزلة اقتداء بي ، فتحتفظ بكيانها وتستند الى الفريقين لاعادة مجدها وقوتها

« اما الان وقد خرج الامر من يديها فليس لدي الا الدعاء لله بان يقي هذه البلاد الشر والمكروه !... »

عبد الحميد والجهاد

واهتم السلطان عبد الحميد كل الاهتمام بعد حادث البحر الاسود بان يتتبع حالة البلاد . ولما بلغه ان السلطان محمد رشاد اعلن الجهاد العام كتب في مذكراته :

« اخطأ اخي في اعلان الجهاد . وكان عليه ان يهدد به الحلفاء وان يتخذه سلاحاً للتهويل لا ان يعلنه . فانا على يقين ان ليس بين المسلمين في الخارج من يلبي نداءه . لقد كنت شديد الاطلاع على نفسية البشر ، ولذا كنت اهدد باعلان الجهاد تهديداً فقط . اما وقد اعلنه اخي فلا حول ولا قوة الا بالله ! ... »

والحملة على مصر !...

ولما اتصل به ان احمد جمال باشا برح دمشق الى فلسطين ليتولى قيادة الحملة على قناة السويس لافتتاح مصر اعلن في مذكراته رأيه التالي :

« الانكليز اقوياء . وكان من قوتهم ان منعوا الخديوي عباس حلمي من العودة الى مصر قبل دخولنا الحرب في جانب اعدائهم . فاضطر الى البقاء في استانبول وقد لمسوا فيه قوة تتعارض ومطامعهم . ومن كانت هذه حالتهم لا يمكنهم ان يتساهلوا في الدفاع عن قناة مصر

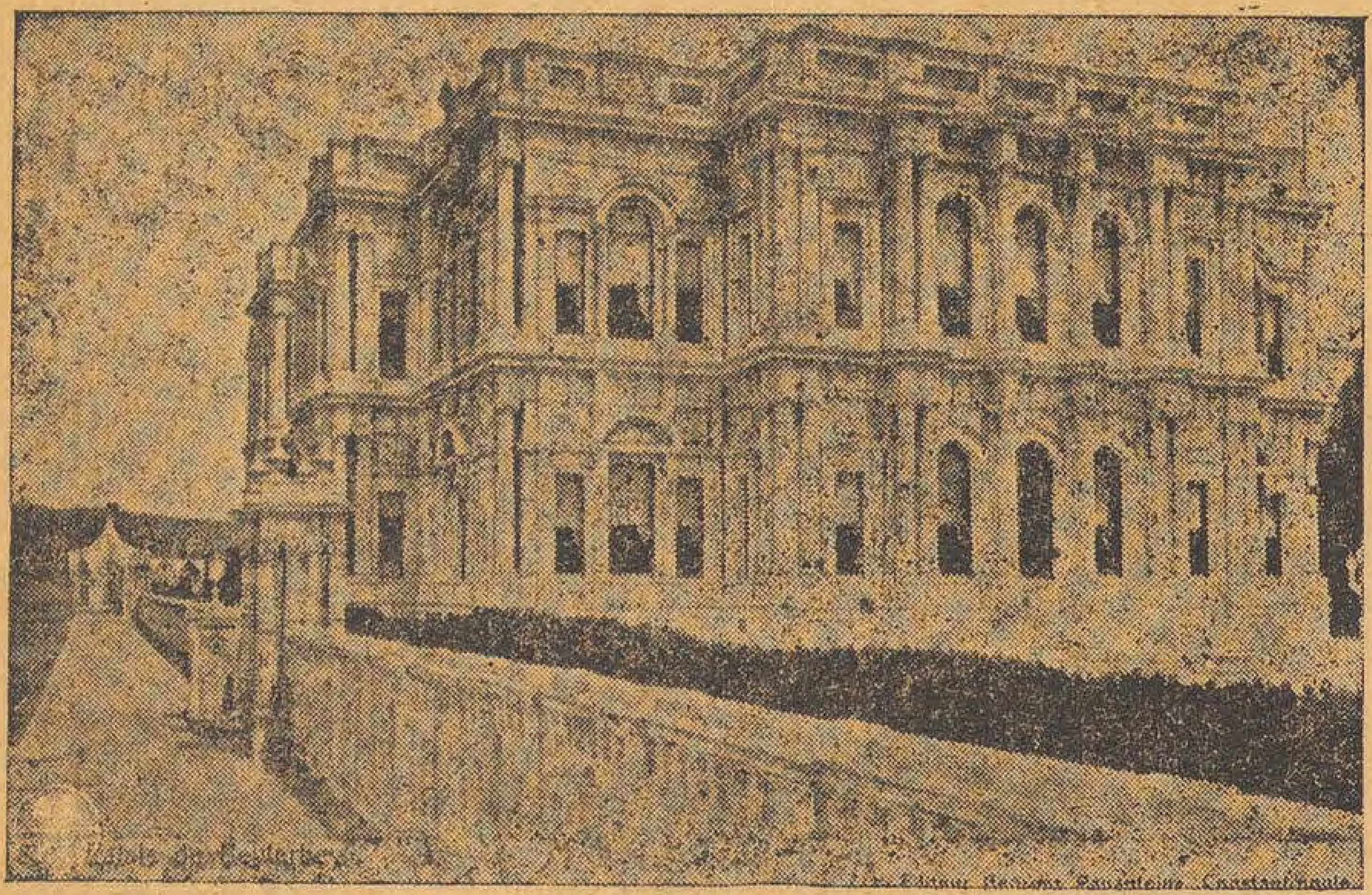
« انور ورفاقه اندفعوا في اعداد هذه الحملة متأثرين بدعوة الالمان ، الا انهم على خطأ كبير في سياستهم . والخيبة ستكون حتماً عاقبة لهذه الحملة مادام الاستعداد المطلوب لها مفقوداً . واذا لا قدر الله واندفع انور ورفاقه في هذه المخاطرة فالمصير سيكون وبالا ، وسيتيه رجالنا في صحراء سيناء كما تاه فيها منذ ستة الاف سنة النبي موسى وقومه معشر الاسرائيليين »

***

والسلطان عبد الحميد كان على حق في نبؤاته هذه . فان نهاية حملة قناة السويس الاولى كانت سيئة كما طالع قراء « الاسرار » في العدد الفائت من هذه المجلة . ولقد تطور بعد ذاك الموقف في جبهة سيناء كما يلي :

تراجع العثمانيين عن القناة

تسلم الفريق « فون كريس » باشا القيادة في شبه جزيرة سينا



قصر بكلربكي

هذا القصر مستودع ذكريات تاريخية وقد حوله سلاطين آل عثمان سجناً لاولياء عهدهم يمنعونهم من براحه لئلا يكيدوا لهم . وعبد الحميد الذي سجن اخاه محمد رشاد طول مدة حكمه عاد وسجن في القصر نفسه ومات فيه بتاريخ ١١ شباط سنة ١٩١٨ وكان آخر سلطان استقر بين جدرانه

وقام بمناوشات القوات الانكليزية في مناطق الحدود

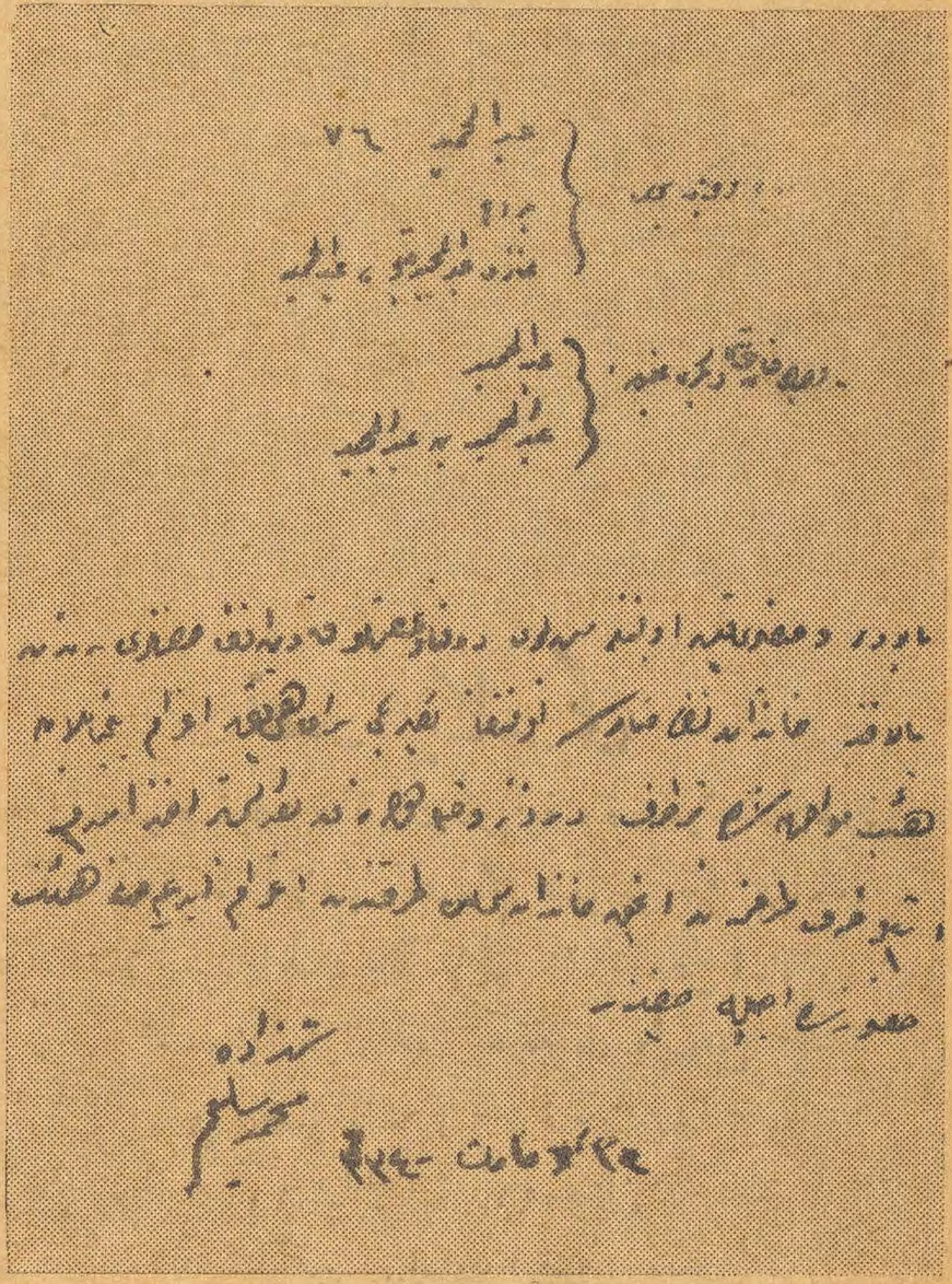
واذاعت القيادة الانكليزية بتاريخ ٢ اذار سنة ١٩١٥ بلاغاً قالت فيه : « لا تزال قوة صغيرة من العثمانيين في قلعة النخل . اما سائر الجيش العثماني فقد تراجع الى حفير العوجه وبئر سبع في جنوبي فلسطين »

والقوات العثمانية لم تقم حينذاك باي مسعى من شأنه اضعاف قواها في صحراء التيه تبعاً للخطة المقررة ، مما حمل القيادة الانكليزية على اذاعة بلاغ يوم الخميس في ٥ اذار يقول : « لم يحدث شيء جديد بعد نشر البلاغ الاخير عن صحراء سينا . وليس من دليل على ان الاتراك ينوون اعادة الكرة »

وساد بعد ذلك السكون . وعند ظهر الاثنين في ٢٢ اذار سنة ١٩١٥ عادت القيادة الانكليزية ونشرت بلاغاً آخر قالت فيه :

« مخافر العثمانيين الامامية قليلة الحركة ، ولا تزال على مسير اربعة ايام من قناة السويس . والعثمانيون يمدون سكة حديد الى بلدة اللد القريبة من يافا »

على ان القوات العثمانية وقفت عن نشر البلاغات عن الحالة في الجبهة . فقد انصرف احمد جمال باشا ، وهو في القدس ، الى اعداد



الامير سليم يعلن انه تسلم اموال ابيه

على اثر وفاة السلطان عبد الحميد في قصر « بكلربكي » نظمت الهيئة الخاصة التي انتدبت لتصفية امواله بياناً بتركته سلمته الى نجله الاكبر الامير محمد سليم الذي توفي في العام الماضي في جونيه . وهذا الرسم الحامل توقيع الامير يشير الى انه تسلم اموال والده واختامه الثلاثة المذكورة اوصافها في اعلى الرسم وانه لن يعرض هذه الاموال في سوى حضرة مجلس الاسرة السلطانية الذي ينتدبه السلطان محمد رشاد

العدة لحملة القناة الثانية من جهة والى مواصلة مد سكة حديد فلسطين من محطة « سان سباستيان » ،وهي آخر محطات السكة الحديدية ، الى اللد ثم الى بئر السبع ، مما يدلنا على ان البلاغات الانكليزية التي كانت تذاع في ذلك الوقت على كثير من الحقيقة

معركة الكبري

الا ان هذا الجمود الذي ساد الجبهة منذ معركة القناة الاولى لم يرق الفريق « فون كريس » باشا ، فمال الى القيام بحركة جديدة . وفي اليوم الذي نشرت فيه القيادة الانكليزية بلاغها عن وجود العثمانيين على مسافة اربعة ايام من الجبهة قامت ثلاثة طوابير من القوات العثمانية بحركة التفاف حول المراكز الانكليزية في جهات « الكبري » على ضفة القناة . وكانت مفاجأة خطرة على القوات الانكليزية وهي لا ترقب هذه المفاجأة . فنشبت معركة شديدة بين الفريقين انتهت باحتلال العثمانيين للمراكز الانكليزية ثم اقدامهم على مهاجمة مؤخرة الانكليز

وفي صباح اليوم التالي قامت المدفعية باطلاق قذائفها على المراكز العثمانية بشدة مدة ثلاث ساعات ، فساعدتها الطيارات ،حتى اذا مهدت السبيل لهذه الحركة هاجم الانكليز العثمانيين واستعادوا الاماكن التي خسروها في ٢٢ اذار ورجع الاتراك مرة اخرى الى مراكزهم المتأخرة

البلاغات التركية عن المعركة

واذاعت الحكومة العثمانية في ٢٣ اذار بلاغاً رسمياً قالت فيه : فازت القوات العثمانية فوزاً مبيناً على الانكليز في موقعة الكبري ودحرتهم دحراً فظيعاً ، وخسر الانكليز في هذه المعركة ٨٠ قتيلا و ١٨٠ جريحاً ، اما خسائرنا فكانت قتيلا واحد و ١٤ جريحاً

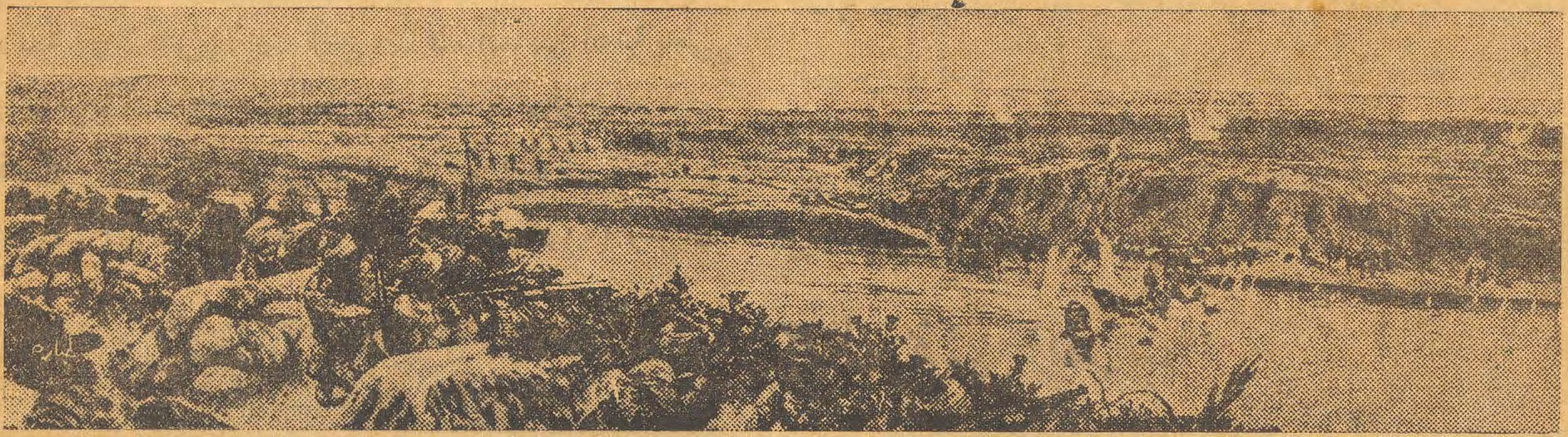
وفي ٢٤ منه اذاعت بلاغاً آخر يقول: « تواصل قواتنا مطاردة فلول الانكليز على ضفة القناة وقد دب الرعب في قلوبهم وباتوا اذا رأوا شبحاً ظنوه من جنودنا الاشداء فيعمدون الى اطلاق النار دون ما ادراك »

البلاغات الانكليزية

اما الانكليز فقد اذاعوا صباح الاربعاء في ٢٤ اذار سنة ١٩١٥ بلاغاً رسمياً هذا نصه : « رأت احدى الدوريات الانكليزية فجر ٢٢ الجاري جماعة من العدو قرب نقطة الكبري قبالة السويس ، فتبادل الفريقان اطلاق النار ، وقدرت الطيارات عدد القوة المهاجمة بالف جندي ، على ان هذه القوة تقهقرت بعدما اصلتها مدافع نقطة الكبري ناراً حامية وعسكرت على بعد ٨ اميال من شرقي الترعة . وفي صباح ٢٣ منه حملت قوة انكليزية عليها وهزمتها »

وصباح السبت في ٢٧ اذار اذاعت القيادة الانكليزية في مصر بلاغاً آخر يقول : « ليس من جديد في جبهة سينا بعد انهزام العثمانيين في معركة الكبري . وقد بلغت خسائرنا في هذه المعركة ٣ قتلى و ١٦ وجرح ١٨ من الجنود الانكليزية »

وهذة الحادثة آخر ما وقع في جبهة سينا حتى اليوم من الاخير شهر نيسان سنة ١٩١٥



اصدق رسم لمعركة قناة السويس الاولى

رسم معركة الكبري الحقيقي كما وقعت في قناة السويس . وهو مأخوذ من الضفة المصرية . وتبدو منه الضفة العثمانية الممتدة الى صحراء التيه . ويظهر فيها انفجار القذائف



الجنود يدافعون عن قناة السويس

بين القوات التي دافعت عن قناة السويس فرقة من الجنود الهندية . وفي هذا الرسم شرذمة منها تمر في شوارع القاهرة بطريقها الى القناة

جريحاً » وخسائر العثمانيين ٥٠ قتيلاً ، اما الجرحى فكثيرون ، وقد تمكنوا من اللحاق باخوانهم »

***

وهكذا اضحت البلاغات الرسمية عرضة للمسخ والتزوير مما لا سبيل فيه الى الوقوف على الحقيقة الراهنة

لا شيء جديد في الجبهة التركية !

وما لبث الهدوء ان ساد الجبهة العثمانية وقد رأت القيادة ان التمادي في مهاجمة الانكليز يؤدي الى ضياع عدد كبير من الجنود

وفي صباح اليوم التاسع من شهر نيسان سنة ١٩١٥ ذاع بلاغ رسمي في مصر جاء فيه : شوهدت فصيلة من فرسان الاتراك على بضعة اميال من القنطرة شمالاً بشرق ، فتبودل اطلاق النار بينها وبين حماة الترعة وعادت الفصيلة من حيث اتت ولم يفقد احد من الفريقين »

اما البلاغ التركي فقال : « ان قوة عثمانية قامت بحركة استكشاف في المواقع الانكليزية فاصطدمت بمعركة شديدة انتهت بقتل خمسة

وفيما احمد جمال باشا يستعد لتجهيز حملة قناة السويس الثانية هاجمت قوات الحلفاء باساطيلها وجنودها المضايق (سيطالع قراؤنا

هذا الفصل باسهاب في اعداد اخرى من هـذه المجلة) ورأت القيادة العليا ان دفع هذا الهجوم يحتاج الى عدد كبير من الجند يحشد وراء المضايق للدفاع عن شبه جزيرة « كليبولي » من جهة ، ولمنع القوات المتحالفة ،اذا اجتازتها،من احتلال استانبول من جهة اخرى ، فابرق انور باشا الى جمال يقول : يجب تأخير حملة قناة السويس الثانية بعض الزمن ريثما تتدير امر الحلفاء في المضايق . ولذلك تدعى قوات الفرقتين الثامنة والعاشرة من منطقة الجيش الرابع الى جناق قلعة »

فاوفد جمال هاتين الفرقتين في شهر اذار سنة ١٩١٥ ، على ان



موسيقى الجيش المولوي في شوارع دمشق

انشأ احمد جمال باشا طابوراً للمولوية في دمشق . وابناء العاصمة السورية يعرفون الكثير من اعمال هذا الطابور — وما ارتكبه افراده من فظائع واحدثوا من مشاكل . وفي الرسم موسيقى الطابور تمر في جادة جمال باشا في دمشق بطريقها الى محطة سكة حديد الحجاز لاستقبال القائد العثماني

انور ما اكتفى وقد عاد يطلب من جمال الى شبه جزيرة كليبولي الفرقة ٢٥ ، ثم طلب فرقتين من قوات الفيلق ١٣ ، فارسل احداها الى بغداد لتعزيز الحامية العثمانية فيها ، والاخرى الى « بتليس » وكانت الثورة الارمنية قد اجتاحتها . فالثورة الارمنية بدأت في اواخر نيسان سنة ١٩١٥ وكان لها شأن خطير في الحرب العالمية مما سنوضحه في حينه

خطورة الموقف العسكري

ونزع هذه القوات من قيادة الجيش الرابع رمى احمد جمال باشا في موقف خطر جداً . فالمنطقة التي يتولى حمايتها تمتد من قناة السويس الى فلسطين ، اي انها تشمل ولايات بيروت وحلب ودمشق واطنه ومتصرفية لبنان والصحراء والبادية العربية . ولم يبق في كل هذه الانحاء قوة تزيد على ١٢ طابوراً وبطارية من المدافع السريعة الاطلاقه وبلوك واحد من المدفعية الرشاشة

جمال يخشى العرب

واحمد جمال باشا الذي خطب في دمشق ، يوم وصوله اليها من استانبول ، يبدي استعداده للتكاتف وجماعة العرب كان يخشى العرب ويعتقد انهم ليسوا مخلصين للدولة العثمانية . واكبر دليل على ذلك برقيته الى انور باشا بتاريخ ٢٥ نيسان ١٩١٥ وقد قال فيها :

« الموقف في سوريا ولبنان شديد الخطورة . ابناء البلاد يعملون سراً على اضرام فتنة تبدأ من فلسطين وتنتهي في خليج الاسكندرونة . واندلاع الثورة الارمنية في زيتون يزيد في خطورة الحالة ويدعونا الى الاهتمام بهذه التدابير السرية

« والقوات العثمانية الموجودة لديّ ضعيفة جداً في عناصرها وهي مؤلفة في معظمها من العرب وليس بامكاننا الاعتماد عليهم . والقوات التركية الوحيدة الموجودة لدينا لا تزيد على طابور من المتطوعين والمولويين يقيم في دمشق، وبلوك من متطوعي « دوبريجه » اتخذناه حرساً لمعسكر القيادة

« ولا اكتمكم اني اثق ثقة تامة بافراد الشعب ، ولكني اخشى الدسائس والدعوات التي يقوم بها فريق من ذوي المآرب من زعماء البلاد ومن انصار الاجانب الذين يجودون بالاموال الطائلة في سبيل نشر الفتن والثورات

« ولما كانت قطع الاسطول الفرنسي تجوب السواحل السورية، ولما كانت الاخبار الواردة علينا من مختلف المصادر ، ولا سيما من عبد الحميد صادق بك رئيس شعبة الاستخبارات في القاهرة ، لا تشير الى عزم الحلفاء على القيام بحركات حربية في هذه السواحل ، ولما كان من المنتظر في المستقبل القيام بمثل هـذه الحركات اذا ما تراجعت القوات المتحالفة عن المضايق خائبة

« ولما كانت القوات الحالية الموجودة لدينا لا تكفي للدفاع عن هذه المنطقة كما سبق لنا القول ، لهذا اعتمدنا التدابير التالية :

« اولا — اقمنا الاستحكامات الحربية الكافية لانشاء خط دفاع

عن السواحل في المناطق الممتدة من مرسين الى طوبراق قلعة واسكندرونه ، حتى اذا اقدم الحلفاء على انزال جنود في هذه المنطقة ملكنا لصدهم عنها القوة الكافية

« وفي الوقت نفسه انشأنا استحكامات في « دورت يول » لحماية مؤخرة الاستحكامات الساحلية ، ونصبنا فوقها المدفعية الثقيلة الكافية لصد هجمات القوات الزاحفة من البحر ، وولينا قيادة هذه المؤسسات لضباط وجنود من الاتراك نثق بهم ونعتمد عليهم

«ثانياً — اقمنا مثل هذه الاستحكامات الساحلية في المناطق الساحلية الاخرى الممتدة من اللاذقية الى طرابلس فبيروت

« ولما كانت الجبهة الممتدة من بيروت الى طرابلس تؤلف في نظرنا موقعاً اشد خطورة من سواه لكونها تقوم في شواطىء جبل لبنان الطامع فيه الفرنسيون والذي يضمر لنا سكانه عداء شديداً مع كل ما يتظاهرون به اليوم من المودة والسكينة ، رأينا ان نحتل بعض هضبات هذا الجبل المرتفعة ، ونصبنا على خمس قمم منها المدافع الثقيلة التي توفر لنا الدفاع عن الاستحكامات الساحلية اذا ما شاء العدو انزال جنوده في تلك الشواطىء ، وتساعدنا على اخماد كل فتنة قد يخطر ببال اللبنانيين القيام بها لاحراجنا

« ثالثاً — اقمنا استحكامات ساحلية في المنطقة الممتدة من عكا الى حيفا الى يافا

« ولما كانت الهضبات الوحيدة التي يمكن الاعتماد عليها في هذا الخط الفسيح تقع في جوار حيفا ، وهي جبل الكرمل ، اقمنا الاستحكامات اللازمة في هذه المنطقة ونصبنا عليها بطارية من المدافع الثقيلة .

« هذه هي التدابير الاحتياطية التي رأينا من الضرورة اعتمادها

« ومن الراهن انها تدابير وقتية ، خصوصاً والانباء الاخيرة تدل بصراحة على ان الاعداء كلفوا جواسيسهم درس حالة البلاد بدقة تامة ، كما انهم اتخذوا من جزيرة ارواد ، وقد احتلوها اخيراً ، قاعد لحركات هؤلاء الجواسيس الذين بدأوا يفدون الينا .

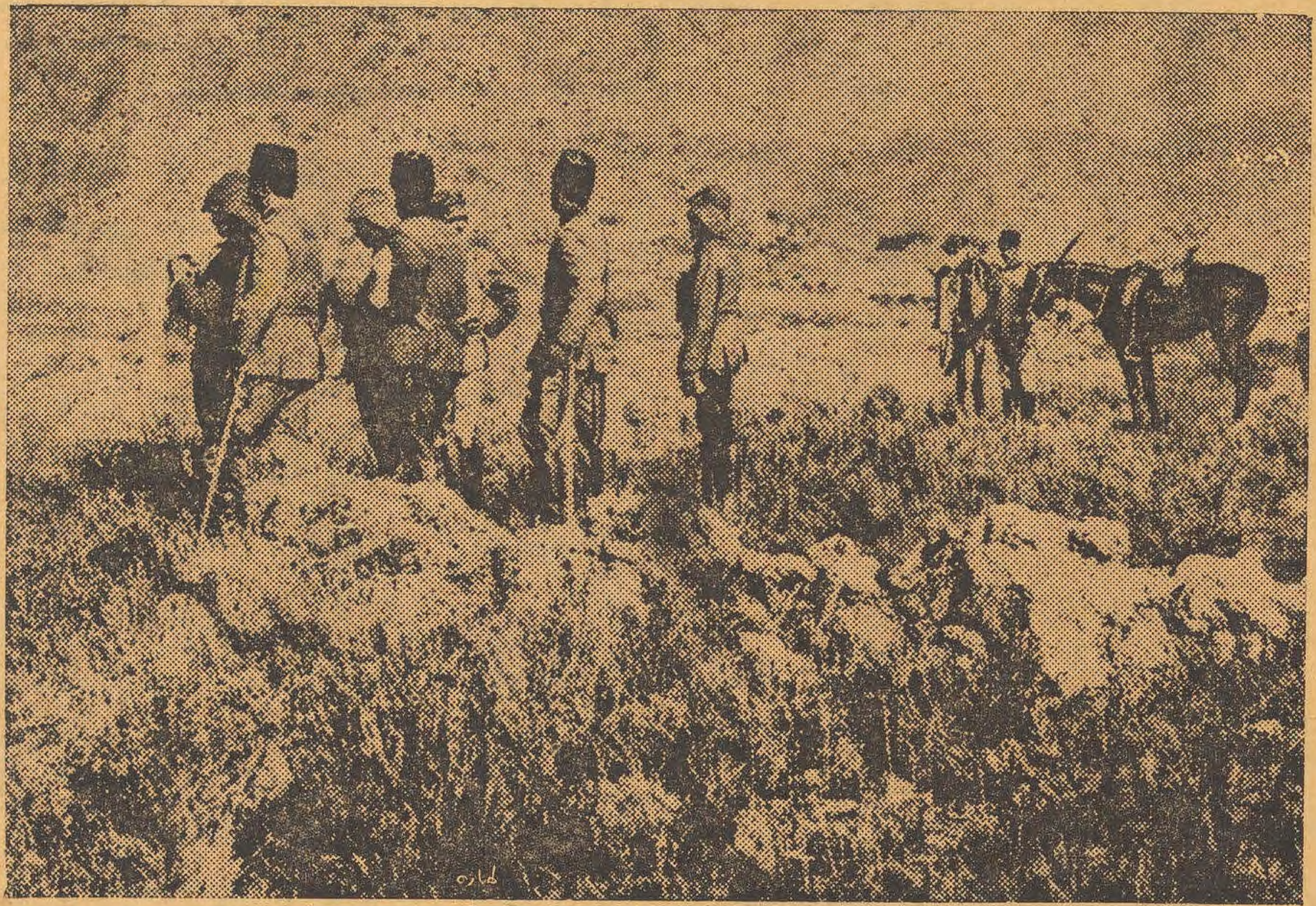
« غير ان مصلحة الاستخبارات المقاومة للجاسوسية ضعيفة جداً عندنا ، فقررنا الاستعانة بالمصلحة التي انشأتموها ، اي بدار « تشكيلات مخصوصة »

« ان بكر سامي بك ، والي بيروت ، يشجع بحركاته المخالفة للقانون والنظام الحركات العدائية ، وارى من الصعب العمل واياه ، ولذا كتبت الى وزارة الداخلية لتستبدل منه عزمي بك صديقنا معاً . وهو من نستطيع الاتكال عليه في مثل هذه الاحوال الخطيرة .

«ارجو تأييدي في هذا الصدد وفي اقرب آن ! »

***

هذه خلاصة التقرير او الكتاب شبه الرسمي الذي كتبه احمد جمال باشا الى انور باشا . وانور كان مطلعاً على هذه الامور وجواسيسه السريون وافوه بها (راجع العدد الثالث من مجلة « الاسرار » وفيه الايضاح الوافي عن تنظيم دار الاستخبارات العثمانية في بلاد العرب)



في بيت مري

نصب الترك مدافعهم على هضبات لبنان لمقاومة الحلفاء اذا ما رغبوا في احتلال الشواطىء . وفي الرسم ضباط اركان حرب الفرقة ٤٣ وقد وقفوا على هضبة بيت مري التي شيد عليها بعد الحرب العالمية فندق بيت مري الكبير

العثمانيون في العراق بين نصر وقهر

الجيش التركي يدحر في البدء الانكليز ولا يلبثون ان يدحروه

الداغستاني لا يحسن الاستفادة من فوزه

سليمان العسكري ينتحر !..

اوضحنا الوقف الحربي والسياسي في منطقة فلسطين الحزبية، والآن نتحدث عن حالة البلد العراقي

بعد احتلال القرنة

بعدما احتلت القوات الانكليزية القرنة في ٨ كانون الاول سنة ١٩١٤ (راجع العدد الثاني من «الاسرار») تحصن الفريق «فراي» بلوائه الثامن عشر على ضفة الدجله اليمنى، على مسافة ميل من شمالي القرنة، ولدى نهاية شهر كانون الاول وصل الى «صخر يجه» الواقعة شمالي قناة عران، طابوران من القوات التركية

وكان سليمان بك العسكري، القائد الجديد للقوات العراقية، قد حشد قوات وافرة من جيشه في الناصرية ليزحف بها الى البصرة، ولذا قرر:

اولا — الدفاع بجوار المزيلة وعران

ثانياً — الالتفاف بالقوات الاخرى، الموكولة قيادتها الى توفيق بك، للزحف الى الاهواز والاحاطة بالجيش البريطاني الايمن

جرح سليمان العسكري

ولكن هذه التدابير لم تفد سليمان بك العسكري شيئاً والفريق «دربي» الانكليزي هاجم بقواته في اول كانون الثاني سنة ١٩١٥ القوات العثمانية في عدة معارك، وفي ٢٠ منه وقعت بين الفريقين معركة شديدة في المزيرعة على ضفة دجله اليمنى دامت عشر ساعات وانتهت بخسارة القوات العثمانية التي بليت بخسائر فادحة بلغت في الارواح ٤٥٠ قتيلا

وفي الوقت نفسه اصيب سليمان بك العسكري بشظية من مقذوفات المدفعية الانكليزية فجرح

الدفاع بدل الهجوم

وبعد هذا الاخفاق الرائع الذي نكبت به القوات العثمانية اجتمع سليمان العسكري باركان حربه، وهو على فراشه، وقرر ان يستبدل الدفاع من خطة الهجوم، كما قرر ان يحشد في عران قوات وافية.

وفيما القائد العثماني يتخذ هذه التدابير انصرف الانكليز الى تعزيز قواتهم في المزيرعة

الزحف الى البصرة

ولم يلبث سليمان بك العسكري ان دعا الى التجسس على القوات الانكليزية ومشاغلتها على خط دجله وشمالي القرنة بقواته المعسكرة في عران. ودعا اليه محمد فاضل باشا الداغستاني من العمارة — وكان قائداً لجبهة الاهواز — وكلفه اعداد حملة للزحف الى البصرة، نزولا على خطته السالفة، وفوض اليه مخاطبة القبائل الواثق بها في مساعدة القوات في زحفها

معركة الجويزة

فانصرف الداغستاني الى تنظيم قواته العسكرية من جهة والعشائر من جهة اخرى، حتى اذا تم له كل استعداد امر قواته بالتقدم. فاحتلت في ١٨ شباط سنة ١٩١٥ (الجويزة) دون اقل مقاومة،

وسارت منها الى الجنوب

وشعر القائد « باريت » الانكليزي بهذه الحركة فاطلق حملة يملك زمامها القائد « روبنصون » لمقاومة الداغستاني . فالتقى الجيشان في موقع الغدير . الا ان القائد « روبنصون » فاجأ حملة محمد فاضل



محمد فاضل باشا الداغستاني

مثل هذا القائد دوراً خطيراً في البلاد العربية . فكان قائداً في اليمن وعسير ونجد ، ثم اعتمده الترك في الحرب الروسية فاخفق

وهذا الرسم اخذ له لما تولى القيادة لاستعادة البصرة ، فكان نصيبه الاخفاق ايضاً

باشا مفاجأة انزلت بالقوات العثمانية خسائر بليغة. وكاد الجيش العثماني يفنى لو لم تبادر القبائل العربية الى نجدته .

وهذه القبائل مؤلفة من بني طرف ، وبني لام ، والصواعد ، والسودان وسواهم من رجال القبائل العربية في العراق . فانصبوا على مؤخرة الجيش البريطاني وحصروه بين نارين، مما ضمن الفوز للقوات العثمانية ، فدحرت الانكليز دحراً فظيعاً ، وبلغت خسائر القوات البريطانية في هذه المعركة ٤٥٩ قتيلا وبعض المدافع والرشاشات ، اما خسائر القوات العثمانية فكانت لا تزيد على ٦٠ قتيلا

هفوة الداغستاني

ومحمد فاضل باشا الداغستاني اخطأ جداً بعد هذه المعركة في ادارة الحركات الحربية ، فكان عليه بعد الفوز الذي ادركه في هذه المعركة ان يتابع تقدمه ، ولكنه لم يفعل بل عاد الى « الاهواز » يحتمي بها وهناك هاجمه الانكليز واكرهوه على التراجع

استقالة قائد الحملة الانكليزية

ووضح للقيادة العليا الانكليزية ان الفريق السير « ارثور باريت» غير قادر على ادارة الحركات الحربية في العراق . فالمعارك التي نشبت لم تسجل للانكليز ظفراً مهماً . مع ان قواته كانت متفوقة على القوات الاخرى . فدعي من العراق . واذيع بلاغ قيل فيه ان اعتلال صحة الفريق السير « ارثور باريت » اهاب به الى الاستقالة ، وان القيادة العامة قبلت استقالته وعينت مكانه القائد « طاوسهند »

الموقف العسكرى الانكليزى

اما القوات الانكليزية فكانت لدى وقوع هذه المعارك مؤلفة من اللواء السابع عشر ، واللواء السادس عشر واللواء الثلاثين . ولما استبدلت القيادة الفريق « باريت » عززت هذه القوات باللواء الثامن عشر ، وقد جيء به من الهند ، واللواء التاسع عشر وقد دعي من مصر يقوده الفريق « ملس » . وحولت القيادة العامة هذه القوات الى فيلق واحد اطلقت عليه اسم « الحملة الانكليزية في ما وراء النهرين» وولت امره الفريق الاول السر « جون نكسن »

القوات التركية

انتقل الفريق سليمان بك العسكري ، قائد القوات العثمانية في العراق ، الى بغداد ليجري له الاطباء عملية جراحية بعد اصابته بتلك الشظية في فخذه . وكان لا يزال ملازماً فراشه لما وردت عليه من جواسيسه انباء استعداد الانكليز لمهاجمة مراكزه . فلم يكن منه الا ان اعتزم العودة الى الجبهة ليدير الحركات العسكرية بنفسه ولكن الاطباء منعوه ومثل هذا الجهد ينكأ جراحه . ونصحه اصدقاؤه بالامتناع من براح سريره فرفض وحمل الى الجبهة على محفة ، وطاف في المعسكر والجنود يحملونه عليها

معارك اذار

ووقعت في شهر اذار ١٩١٥ معارك لا شأن لها يذكر . القوات التركية تناوش الانكليز والانكليز يناوشونها . ولما اقبل سليمان بك العسكري قام بهجوم على الانكليز فتمكن من احتلال « النخيلة » واجبر القوات الانكليزية على الالتجاء الى حصن الشعيبة ، فانصرفت فيه الى تحصين مواقعها بشدة واتخاذ التدابير لمقاومة العثمانيين الزاحفين الى البصرة .

معركة الشعيبة

وكان سليمان بك العسكري قد اعد قوات غفيرة في الناصرية استعداداً للمعركة الحاسمة التي قرر فيها البطش بالقوات الانكليزية . الذين ما لبثو ان وسعوا نطاقهم الحربي للقيام بحركة التفاف على القوات الانكليزية في غابة « البرجسية » ، فهاجمهم من خلفهم اللواء السادس عشر واللواء السابع عشر الانكليزيان واكرهاهم على التراجع وفي المساء عادت القوات العثمانية واستعادت مراكزها الامامية



بلدة الشعيبه العراقية بعد المعارك العثمانية الانكليزية

لم تبق معارك الشعيبه على ابنية قائمة في هذه البلدة . والرسم يشير الى الحالة السيئة التي انتهت اليها بلدة الشعيبه العراقية بعد سقوط القذائف عليها . وهذا الرسم اخذ ساعة احتراقها

حشد ٢٠ الفاً من افراد القبائل العربية والكردية كما حشد من قواته القسم الاكبر

وصباح ١١ نيسان ١٩١٥ عقد مجلساً حربياً بحث فيه الموقف وقرر ان يبدأ الهجوم على المراكز الانكليزية في فجر ١٢ نيسان، فتتولى في البدء المدفعية عملها بتعطيل مدافع حصون الشعيبة ، ثم يتقدم المشاة تساعدهم من الجنوب والشرق قوات العشائر تحت قيادة محمد فاضل باشا الداغستاني وعجمي باشا السعدون

معركة العراق الكبرى

وفي فجر ١٢ نيسان بدأت المدفعية العثمانية اطلاق قذائفها بشدة على الحصون الانكليزية . فقابلتها الحصون بالمثل . وتقدم المشاة فاشتبكوا والانكليز بمعركة شديدة كان الفوز في بدئها بجانب العثمانيين واجبرت اللوائين على اجتياز المنطقة الى ما وراء الحصون وفي ١٣ نيسان كانت المعركة سجالا بين الفريقين

انهزام العثمانيين

إلا ان الموقف ما لبث ان تطور في مساء ١٣ نيسان. فالنجدات التي وصلت الى القوات الانكليزية عززت موقفها وبات من الصعب على العشائر العربية والكردية البقاء في اماكنها ، فاضطر القسم الاكبر منها الى التراجع وظلت القوات العثمانية في الميدان تدافع ببسالة نادرة حتى صباح ١٤ نيسان اذ بدأت الحصون الانكليزية القاء قذائفها بشدة على البطاريات العثمانية. فاسكتت عند الفجر بطاريتين منها . وعند شروق الشمس اضطرت البطاريات الاخرى الى السكوت . واذ ذاك تضعضعت القوات العثمانية ولم يبق في وسعها الثبات امام الانكليز

التراجع !...

وما برح سليمان بك العسكري ممدداً على المحفة يرصد حركات قواته من محل مرتفع . ولما تبين له ان الموقف اضحى خطيراً وان الثبات اضحى محالا دعا قادته الى التراجع لانقاذ من تبقى من افراد



سليمان بك العسكري

بعد معركة (المزيرعة) التي وقعت في ٢٠ كانون الثاني سنة ١٩١٥ بات القائد سليمان بك العسكري عاجزاً عن السير على قدميه . فنقله جنوده على محفة . وهو يبدو في هذا الرسم ممدداً على محفته ساعة كان يدير معركة الشعيبه وقد انتحر لما اخفق فيها

الجيش . ومع ان من حقه ان يتراجع مع قواته وهو قائدها العام ظل في مكانه يذيع اوامره فيها ليؤمن سلامتها وهي تتراجع ، حتى اذا ما ايقن ان سوادها الاعظم بات في مأمن التفت الى ضباط اركان حربه وطلب منهم ان يغادروا الهضبة فوراً ويلحقوا بالقوات المتراجعة . فبغت هؤلاء لهذا الامر وشاؤوا ان لا يغادروا الهضبة الا وهو امامهم ، فصاح بهم سليمان العسكري بلهجة الامر :

ــ اني ادعوكم الى الذهاب !

فلم يسعهم حيال هذا الامر العسكري الا تلبية النداء

انتحار سليمان العسكري

وسليمان بك العسكري وقد اشتهر بتاريخه المجيد في المعارك التي خاضها ساءه ان ينكب بالخيبة وهو في بدء عهده بالقيادة ، خصوصاً وكان يرجو من هجومه على الشعيبه دحر القوات الانكليزية واستعادة البصرة .

اما وقد اخفق في مسعاه وخسر في هذه المعركة رجاله فرأي من العبث الثبات واعتزم الانتحار

ولما غادره ضباط اركان حربه التفت الى مرافقه الخاص وقال :

ــ لم يبق لي امل بالحياة ، فاليك برسالة الى اهلي وبرسالة اخرى الى انور باشا ، فاحملهما اليهما على الفور !

فقال مرافقه : ولكن الاعداء باتوا على مقربة منا ياسيدي !

ــ لا بأس !

ــ أتريد الاستسلام اليهم ؟

ــ ذلك اليّ !

وحاول الضابط ان يجادل قائده في الامر، الا انه خاف العاقبة وخيالة الانكليز باتت على مقربة منه ، واقل تأخر يلقيه بين ايديهم ، فغادر المخيم ، الا انه ما كاد يصبح على بابه حتى سمع ازيز رصاصة واحدة ، فعاد ادراجه واذا رئيسه قد انتحر وكان يلفظ انفاسه الاخيرة

على ان سليمان بك لم يمت فوراً ، فنظر الى مرافقه موبخاً اياه لعودته ، وكل ما تمكن من التفوه به على اثر هذا التوبيخ كلمته : « اذهب !... » ، وعلى الاثر لفظ النفس الاخير

الانكليز يكرمون القائد

وبعد دقائق من وفاة سليمان بك العسكري دخلت طلائع القوات الانكليزية المخيم ، فوقعت على القائد جثة هامدة فادت له التحية العسكرية وابلغت الخبر قائدها العام فاقبل الى المخيم يحيي جثمان القائد الراحل ويأمر بدفنه في احتفال عسكري مهيب

وصباح ١٥ نيسان سنة ١٩١٥ دفن سليمان بك العسكري

خسائر المعركة

وهذه المعركة ذهب من ضحاياها عدد كبير من الفريقين ، وهي من المعارك الكبرى التي كان العراق ميدانها في بدء الحرب العالمية .

والانباء التي اذاعتها المصادر الانكليزية بعد الحرب تقول ان خسائر الانكليز كانت الف قتيل وجريح ، بينهم ١٨ ضابطاً انكليزيا قتيلا و٤٠ ضابطاً جريحاً

اما خسائر القوات العثمانية ، على ذمة الانكليز ، فكانت ثلاثة آلاف بين قتيل وجريح و٨٠٠ اسير

على ان المصادر العثمانية لم تنشر بعد الحرب شيئاً من ذلك لاسباب كثيرة ، الا ان البلاغات التي اذاعتها في ذلك الحين تقول ان خسائر العثمانيين كانت ٥٢٠ قتيلا و ١٣٠٠ جريح ، اما خسائر الانكليز فتزيد على ثلاثة آلاف

قائد العراق الجديد

ما كاد نبأ انتحار سليمان بك العسكري يتصل بالقيادة العثمانية العليا حتى قضت بتعيين امير آلالاي علي بك، رئيس اركان حرب الحملة العراقية، قائداً بالوكالة . وظل في مركز القيادة حتى اليوم الثاني والعشرين من شهر ايار سنة ١٩١٥ وقد حل في القيادة الفريق نور الدين باشا .

والفريق نور الدين باشا من القادة العثمانيين المعروفين وقد مثل في الحرب ادواراً مهمة سنأتي على وصفها في حينها ، وهو لا يزال حياً يقطن « منمن » على مقربة من ازمير

العشائر العربية بعد معركة الشعيبة

وما لبثت القبائل التي جندت عشرين الفاً من رجالها لمحاربة الانكليز ان تراجعت الى مراكزها بعد خذلان القوات العثمانية في معركة الشعيبه . وهناك من استقر في موطنه يرقب الموقف ليميل الى الكفة الراجحة ، ومنهم من استماله الانكليز فانقلب على الدولة العثمانية يحاربها .

على ان ثمة فريقاً من العرب الاقحاح يعمل تحت لواء عجمي باشا السعدون ، زعيم عشائر المنتفك ، وهذا الفريق آثر ان يكابد ما كابد العثمانيون على ان ينقلب عليهم ، فظل موالياً لهم حتى الى ما بعد الحرب العالمية.

مصير عجمي السعدون

ولم يكن من عجمي باشا السعدون بعد جلاء القوات العثمانية نهائياً عن البلاد العربية الا ان غادر مسقط رأسه الى تركيا ، فاشترك في حروبها الوطنية ، حتى اذا فاز مصطفى كمال باشا ورفاقه تجنس بالجنسية التركية واستقر في الاناضول . وهو الآن في ولاية ماردين

الاتراك يستميلون العرب

شعر الاتراك بان القبائل العربية اخذت تبتعد عنهم . بعد انتحار سليمان بك العسكري ، فقاموا بدعوة واسعة لحمل القوات العربية على العودة الى صفوف العثمانيين . واذيع يومئذ منشور هذا نصه :

« ابت العناية الصمدانية الا ان تحيق الاعداء بوابل من الخسائر المتوالية ، وابى الاسلام الا ان يؤيد الحق والدين والشريعة . فالاعداء الذين حاولوا احتلال بلادنا المقدسة لاقوا من شدة المقاومة ومن صبر ابناء البلاد ما دلهم دلالة صادقة على ان الامة العربية ، وخصوصاً العراق ، كتلة واحدة تعمل للذود عن الخلافة ومقام السلطنة العثمانية ، وانها بشبابها وشيبها وكبارها وصغارها يد واحدة لمقاومة عدوان المعتدين

« لقد هب العرب جميعاً في العراق ينادون : « الله اكبر !... » لرد اعداء الوطن

« وتلقيت اليوم برقية من مولانا مجد العلماء في كربلاء يعلمني فيها ان المجتهدين الكرام في النجف الاشرف هبوا جميعهم هبة الرجل الواحد يدعون لجلالة الخليفة بالنصر ويرومون التطوع في جيشنا المظفر ، وان قافلة مؤلفة برئاسة الائمة المجتهدين : شيخ الشريعة الاصفهاني ، والشيخ السيد مصطفى الكاشني ، والسيد علي الداماد التبريزي ، غادروا النجف الاشرف على الباخرة « الموصل » الى ميدان الجهاد المقدس . فعلى اخواننا ان يتكاتفوا حتى النهاية ريثما تحرر البلاد من الاعداء وننتصر عليهم باذن الله

السيد عبد المهدي
نائب كربلاء

***

ووزع هذا المنشور في المنطقة التي سقطت بين ايدي الانكليز وفي سواها من المدن العراقية لبث الدعوة للاتراك

غوث الكيلاني

وبعد ثلاثة ايام من هذا المنشور اذاع الترك بلاغاً رسمياً يقول :

« على اثر اعلان الجهاد قام دراويش جماعة « غوث الكيلاني » باذاعة نشرة يدعون فيها انصارهم الى تلبية نداء الخليفة للجهاد ، وكان ان اقدم الكثيرون من الافغانيين والهنود المنتسبين الى هؤلاء الدراويش الكرام على براح مقرهم في البصرة والانضمام الى صفوف المجاهدين الغزاة »

***

هذا ما جاء في البلاغ الرسمي . وهؤلاء الدراويش وان كانوا قد اعلنوا استعدادهم لتأييد الخليفة فلم يغادروا ، والحق يقال ، تكاياهم في بغداد ولم يذيعوا شيئاً من النشرات التي اوردها البلاغ

الجيوش العثمانية في الجبهة الروسية

قوات العثمانيين تندفع في محاربة الروس الى محاصرة « باطوم »
ولكن الروس ينتصرون في ولاية « وان »

الموقف العسكري بين بين !

بدأ العثمانيون خوض معارك الحرب العالمية بان هاجموا سواحل البحر الاسود والحدود الروسية وقناة السويس. ولم يهاجمهم الحلفاء في سوى البصرة والحدود العراقية . وطالع قراء « الاسرار » في الاعداد الماضية تفاصيل وافية عن معارك العراق وقناة السويس ، اما الحالة في الجبهة الروسية فكانت لا تقل خطورة عن هذه المعارك .

فالعداء بين العثمانيين والروس قديم . والتاريخ سجل عشر حروب بين روسيا والسلطنة العثمانية قبل عام ١٧٧٥ ، ثم اشتد الموقف حرجاً وتوالى سير الحروب بين الدولتين

حرب يوسف باشا

وهذه الحرب وقد عرفت باسم حرب يوسف باشا بدأت في سنة ١٢٠١ (١٧٨٨ ميلادية) في عهد السلطان عبد الحميد الاول واستمرت الى اواسط شهر جماد الاخر سنة ١٢٠٦ ، اي ما يقارب خمس سنوات ، ولما انتهت كان السلطان سليم الثالث يتولى العرش وتتولاه في روسيا الامبراطورة كاترينا الثانية

ولهذه الحرب ذيول طويلة . فالسلطان عبد الحميد الاول كان في مقدمة الراغبين في ابرام السلام ، الا ان رئيس وزارته ، الصدر الاعظم يوسف باشا ، عارض في ذلك كما عارض « بوتمكين » رئيس وزارة روسيا . وفي سنة ١٢٠٢ ازداد موقف العثمانيين خطورة وقد اعلنت النمسا عليهم الحرب تعضد روسيا

وكانت قد سقطت قلعة « اوزي » بين ايدي الروس فاثر سقوطها في السلطان عبد الحميد الاول فمات سنة ١٢٠٣ متألماً . ولما ولي سليم الثالث العرش ابقى يوسف باشا في الصدارة وخاطبه قائلا :

— لن يأوي سيفنا الى غمده قبل ان ننتقم من الاعداء !

الا ان هذا الانذار لم يفد شيئاً والضعف الذي استولى على السلطنة العثمانية اهاب بها الى عقد معاهدة ذات ثلاث مواد ، تنص المادة الاولى منها على قبول العثمانيين تجديد العهود القديمة ، والمادة الثانية على تصديق امتيازات امراء رومانيا ، والمادة الثالثة على منع تدخل السلطة العثمانية في شؤون بلاد الكرج وتأمين حرية التجارة الروسية

في عهد نابوليون

والحرب الثانية وقعت بعد هذه بخمس عشرة سنة وفي عهد السلطان سليم الثالث والقيصر اسكندر الاول ، يوم اقام نابوليون بونابرت البلاد واقعدها .

وفي هذه الحرب تدخل الانكليز في شؤون السلطنة فاجتازوا باسطولهم يوم ١٠ ذي الحجة سنة ١٢٢١ (١٨٠٨ م) المضايق لضرب « سباستوبول » واحتلوا مصر ، وعند ذاك ظهر محمد علي باشا الكبير مؤسس البيت المصري المالك . واستمرت هذه الحرب ست سنوات . وفي ١٧ جماد الاول سنة ١٢٢٧ (١٨١٤ م) عقد في بوخارست اتفاق الصلح المؤلف من ١٦ مادة .

وروسيا لم تستفد من هذه الحرب ، على ان السلطنة العثمانية خسرت فيها كثيراً . فقد احتلت روسيا بسارابيا وباتت السيادة مشتركة بين العثمانيين والروس في مضيق « كيلي » ، وتحررت صربيا بعض التحرر من السيادة العثمانية

الحرب الثالثة

ووقعت الحرب الثالثة في ٦ ذي القعدة سنة ١٢٤٣ — ١٨٣٠ م)

ودامت الى ١٥ ربيع الاول سنة ١٢٤٥ وانتهت بعقد معاهدة ادرنه المؤلفة من ١٦ مادة بين السلطان محمود الثاني وقيصر روسيا نقولا الاول .

وكانت الحرب الرابعة حرب القرم وقد تكاتفت فيها فرنسا وانكلترا وتركيا ، وانتهت هذه الحرب بانخذال روسيا ،وفيها ساهمت البحر الاسود . والثانية من جهة البر في ولاية « وان »

واجتازت القوات التركية ومتطوعو كورجستان، الذين جمعتهم دار «التشكيلات المخصوصة» في طرابزون، هذه الولاية الى ارتوين و«شوروخ» وعند حدود « شوروخ » وقعت المعارك الاولى بين القوات التركية والروسية . وكانت القوات الروسية في هذه المنطقة ضعيفة جداً اذ



الاستحكامات والجثث التي غادرها الاتراك في محاربة الروس

وقعت على ضفة ساحل « مراد صوبي » معركة شديدة بين القوات العثمانية والروسية. وقد غادر الترك استحكاماتهم وقتلاهم وتراجعوا . وفي هذا الرسم تبدو الاستحكامات التركية المصنوعة من اكياس الرمل وبجانبها جثث ضحايا تلك المجزرة

تركيا في اول مؤتمر اوربي . والحرب الاخيرة بدأت بحرب طاحنة في ولاية « الهرسك»، ومع كون تركيا ظفرت في هذه الحرب فقد رأى عبد الحميد ان ينتهي بالتنازل عن معظم حقه في الهرسك وصربيا واعادة « تساليا » الى يونان

واخيراً كانت الحرب العالمية الكبرى ، حرب ١٩١٤ ، وقد تحرشت فيها تركيا بالروس كي تشترك فيها وكان لها ما تروم

بدأ الاتراك هجومهم على المراكز الروسية من جهتين :الاولى جبهة البحر وقد نشبت المعارك فيها من جهة مدينة طرابزون على ساحل

ان الروس الذين يستعدون للحرب في جهات البر لم يهتموا بهذه المنطقة لاعتقادهم ان في وسع قواتهم البحرية الدفاع عن هذه المناطق الساحلية، مما فسح المجال لفوز الاتراك

البلاغات الرسمية

هلل العثمانيون لفوزهم ونشروا بلاغاً رسمياً عن انتصارهم قالوا فيه : « تمكنت قواتنا العسكرية من اجتياز منطقة ولاية طربزون الى آرتوين ثم الى شوروخ . واستطاعت في المعارك التي دارت اليوم

رحاهـا اجتيـاز نهر شوروخ واحتـلال « اجارا » فباتت على بعـد عشرة اميال من « باطوم » . وتراجعت القوات الروسية عن هـذه المنطقة تراجعاً فظيعاً تاركة في ساحة القتال ١٢٠ قتيلا و ٥٠٠ جريح

وهذا البلاغ اذيع في اليوم الاول من شهر كانون الاول سنة ١٩١٤

و « باطوم » من المدن الروسية القوية القائمة على ساحل البحر الاسود . وقد حصنها الروس باحدث معدات الدفاع مما لا يتسنى

جهزت القيادة العثمانية قوات كافية لمهاجمة الروس في شمالي آجارا . وتم الهجوم بشدة متناهية مما ساعد العثمانيين على اختراق قلب القوات الروسية واحتلال بلدة « كيدا » والتقدم ٧٥ ميلا في البلاد الروسية

ومعركة « كيدا » من المعارك الشديدة التي فيها الاتراك مهارة فائقة . فما ان دفعوا قواتهم الى الشمال حتى دعموها بقوات كبيرة من الجنوب وتمكنوا من الاحاطة بمؤخرة القوات الروسية



الطابور التركي المؤلف في دمشق لمناهضة العرب

اسس احمد جمال باشا طابوراً تركياً خالصاً ليقاوم به قوات العرب . وفي هذا الرسم يظهر هؤلاء الجنود الاتراك وهم يجتازون شارع جمال باشا في دمشق وقد بدت دار سكة حديد الحجاز جلية واضحة

للقوات التركية التغلب عليه بسهولة . ومع هذا فقد اعتقد الترك انه في وسعهم احتلال هذه المنطقة في اقرب آن

ولكن الموقف الحربي الذي تلا البلاغ دل على ان التقدم السريع الذي تقدمته القوات العثمانية وقف في ضواحي « آجارا » ، اذ ان قوات الروس تمكنت هناك بعد معركة شديدة من وقف تقدم العثمانيين

احتلال كيدا

الا ان وقف الجيش العثماني لم يدم اكثر من اربعة ايام . فقد

وانزلوا بها الاضرار الجسيمة . وقتل في هـذه المعركة ٣٧٠ من الروس وكانوا في حالة لا يتسنى لهم بها الدفاع عن انفسهم

وفوز القوات العثمانية مهد لها السبيل الى اجتياز ١٢ ميلا في الجهة الجنوبية الشرقية من باطوم، وساعدها في اليوم التاسع من شهر كانون الاول على تخريب مولد الكهرباء في هذه المدينة فاضحت بلا نور

وكان باستطاعة العثمانيين احتلال هذه المدينة في ذلك اليوم ، الا ان المدفعية الروسية اخذت تصب حممها من البر والبحر على العثمانيين فمنعتهم من التقدم

في الجبهة البرية

اما الحالة الحربية في الجبهة البرية فالكفة الراجحة فيها كانت بجانب الروس . فهم وقد تراجعوا امام العثمانيين في بدء المعارك الحربية في تلك المنطقة الساحلية تقدموا في الجبهة البرية . فما كاد الاسطول العثماني يتقدم في آخر تشرين الاول سنة ١٩١٤ على ضرب الموانىء الروسية حتى تناولت القوات الروسية المعسكرة في جهات نهر « اراس » وبلدتي « ايغدير » و « قاغزمان » الامر بالتقدم . فاخترقت سلسلة جبال « ارارات » المشهورة بارتفاعها وانحدرت الى داخل الحدود العثمانية واخترقت قوة القلب فيها مواقع « قره كليسا » و«حامور » ، ومنها انحدرت الى ضفاف نهر « مراد صوبي »

اما قوات الجناح الايسر فاجتازت « قاغزمان » ، فالسلسلة المنخفضة لجبال « ارارات » وبلغت«حالياس»وفيها تمكنت من الاتصال بقوات القلب في جهات « الشكرد » وسارت الى الامام محتلة « اشك الياس » و« قليج كدكي » على الضفة الاخرى من نهر مرادصوبي

والجناح الايمن سار من ايغدير مخترقاً سلسلة ارارات القريبة من الحدود الايرانية واحتل قرهبولاق ، وموصوت ، ودياربن ، واوج كليسه ، وطاشلي شاي في ولاية « بايزيد ». ولما وصل الى « مالحاس » اتصل بقوات القلب وبالجناح الايسر مما جعل منطقة واسعة من البلاد العثمانية في قبضة الروس

معركة مراد صوبي الكبرى

واندفع الروس في تقدمهم في قلب الولايات الشرقية العثمانية كما اندفع العثمانيون في ولاية « ارتين » ، الا ان الروس بعد ان وحدوا جبهاتهم في جهات نهر « مرادصوبي » ما لبثوا ان تقدموا محاولين التوغل في قلب هذه الولايات لاحتلال مدينة « وان »

والعثمانيون وكانوا قد حشدوا قوات غفيرة من رجالهم في « آغي » و « ملاذ كرد » و«باطنوس » نصبوا كميناً للقوات الروسية عند منحدرات وادي « مراد صوبي » . وفي هذا الكمين باغتوا القوات الروسية وضربوها ضربة مروعة انزلت بالروس الخسائر الفادحة واكرهتهم على التراجع . فعسكروا في موقع « طوتاق » واتخذت قيادتهم موقع « قليج كدكي » مقراً لها، واستقر بجانبها اركان حرب القوات العامة

هذا هو الموقف العسكري الحربي في الجبهة الروسية العثمانية في شهر كانون الاول سنة ١٩١٤

ورغبت يومذاك القيادة التركية في القيام بحركات في الجبهة الغربية فاوفدت قوات كافية الى حدود منطقة « ازربيجان » في القفقاس من جهة « رواندوز » ، فبدأ الوهن يدب في صفوف الروس ، واذاعت القيادة العثمانية بلاغاً بتاريخ ١٣ كانون الاول سنة ١٩١٤ يقول :

« يسير القتال الذي بدأ على حدود ولاية « وان» بين قواتنا المظفرة والروس سيراً موفقاً يدل على ان الفوز مستمر في جانبنا

« و حاولت قوة من خيالة الاعداء مهاجمة قوة من خيالتنا في جوار بلدة « سراي » الا ان قواتنا تغلبت عليها وحملتها على التراجع بشكل زري . واصيب العدو بخسائر فادحة »

واذاعت في التاريخ نفسه بلاغاً آخر ورد فيه :

« منيت هجمات الروس على مواقعنا في شمالي بحيرة « وان » بالفشل . واستطاعت قواتنا الظفرة التقدم في منطقة « رواندوز » ٧٥ ميلا واحتلال « صاوجيلاغ » بعد معركة فزنا فيها فوزاً باهراً »

الموقف الاخير

وفي بدء عام ١٩١٥ كان الموقف في الجهة الحربية الروسية على الشكل التالي: اولا — توغلت القوات العثمانية ٨٠ ميلا في روسيا في ولاية ارتون وباتت تجاه قلعة (باطوم) البحرية

ثانياً — تقدمت القوات العثمانية في ولاية رواندوز ٧٥ ميلا وباتت على مقربة من قاعدة هذه الولاية

ثالثاً — احتلت القوات الروسية قلب الولايات الشرقية . فان القسم الاكبر من ولايتي « بايزيد » و « وان » بات بين يديها واخذت تهدد المواقع العثمانية على ضفة بحيرة « وان » وولايه « ملاذ كرد » وقضاء « مجيدلي »

وظل الموقف على هذا الحال حتى آخر شهر اذار . وقد تبدل بعدذاك الموقف تبديلا خطيراً مما سنوضحه بالتفصيل

اسرار الحرب الكبرى

بقلم كرم ملحم كرم

اللورد كيتشنر يوفق لاستمالة بني قومه الانكليز الى التطوع المناشير والدعوات تملأ المدن والقرى

في انكلترا جباران !...



اللورد كيتشنر
وزير الحرب في انكلترا

كيف تألف جيش اللورد « كيتشنر » ؟

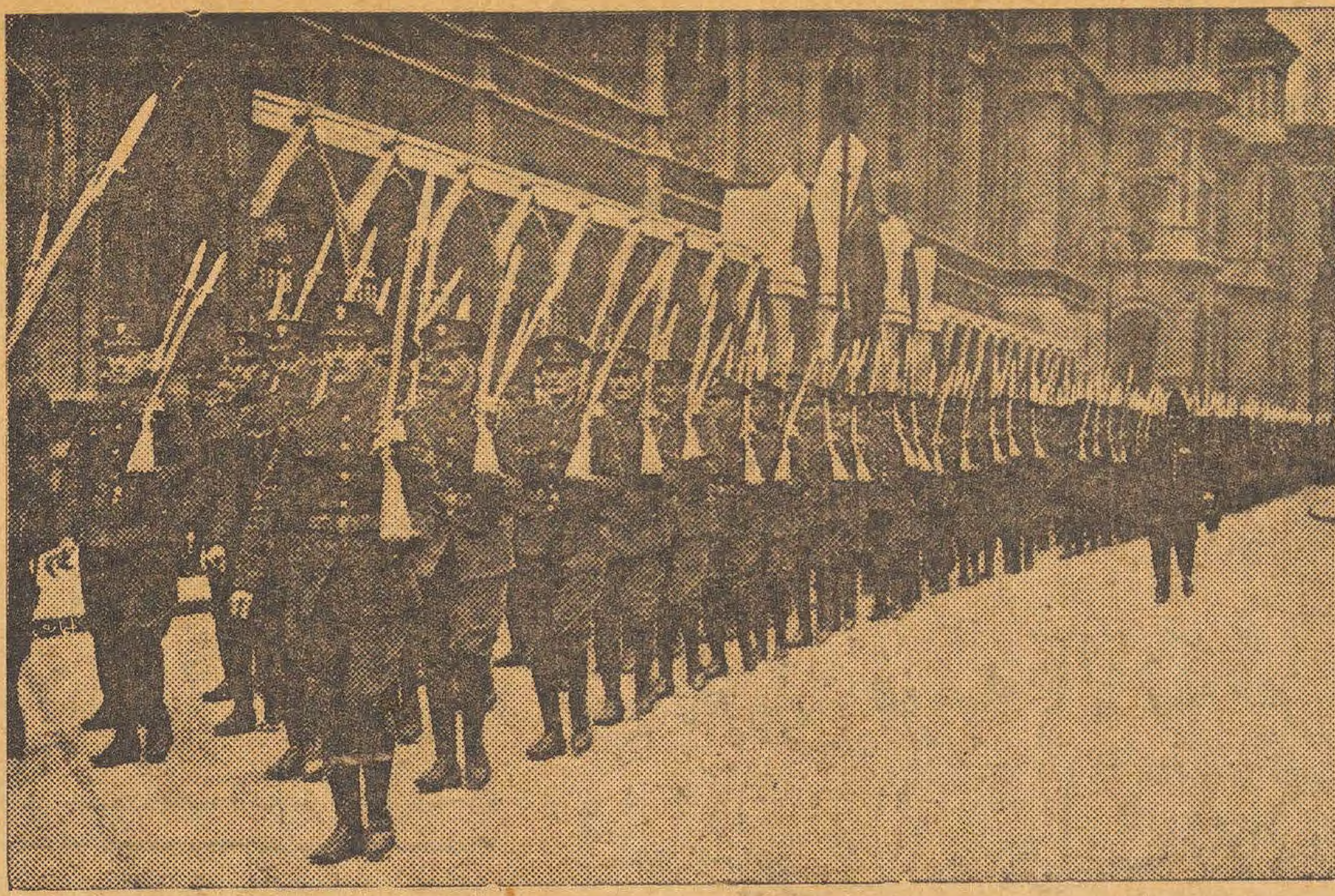
ادرك وزير الحرب الانكليزي حقيقة ميول بني قومه فما خفيت عليه الاساليب في استمالتهم الى التجنيد . فهم قوم تستهويهم المناشير والدعوات . وبالاعتماد على المناشير والدعوات نظم اللورد « كيتشنر » الجيش الانكليزي كما يريد . فكان يظهر احياناً بنفسه في المنشور ماداً يده الى الامام ، رافعاً اصبعه ، مشيراً الى الشبيبة الانكليزية وصائحاً بها : انا بحاجة اليك !

وهذه المناشير ملأت لندن ، فكست ارضها وجدرانها ، كما ملأت المدن الاخرى وسائر المحلات والقرى . وكان بعضها يبدو بشكل آخر . فيظهر فيه نفر من الجند بينهم مكان فارغ ، وتحت هذا المكان كلمات تقول : أتريد احتلال مقعد الشرف ؟

ولما مات في فرنسا القائد الانكليزي اللورد « روبرتس » ، وكان يقوم بعرض القوات الهندية ، نشرت في انكلترا الاعلانات تقول : هذا رجل مات وهو يؤدي واجبه ، وانت هل فكرت في واجبك لتكون في مصاف الابطال ؟

الامعان في اذاعة الدعوة

ولاثارة حماسة القوم وتحريضهم على الالمان تفنن الانكليز تفنناً



فيالق الجيش الانكليزي الملازم تستعد لركوب البحر الى فرنسا

عجيباً . فلما لم يقووا عليه بالعنف شاؤوا الوصول اليه ببث الدعوة . فطبعوا رسوم اطلال « لوفان » و « ده ترموند » التي نثرتها القذائف الالمانية في كل مكان ووزعوا هذه الرسوم على الاهلين يوضحون لهم فيها الفظاعة الالمانية

وما ناموا عن معاهدة ١٨٣٩، تلك المعاهدة التي وقعتها روسيا تضمن بها سلامة بلجيكا وتعاهد على حفظ عزلتها وكان ان خرقها الالمان قبل الجميع. فصوّر الانكليز هذه الوثيقة تمزقها المانيا بيديها ويقول فيها «بيتمان هولويغ» مستشار الدولة الالمانية انها قصاصة من ورق

وزادوا فالصقوا الدعوات الى التطوع بكل مركبة وسيارة . وحملت هذه الدعوات عبارات مختلفة تحث الهمم . فمنها ما يقول : تطوعوا لمدة الحرب !

ومنها : الملك والوطن بحاجة اليكم !

ومنها : لا نزال بحاجة الى الرجال !

الوزراء والكتاب يخطبون

واقيمت الحفلات الخطابية للحض على التطوع . وفي هذه الحفلات كان يخطب الوزراء والنواب واللوردات والكتاب وينذرون سامعيهم بالخطر الالماني ويعلنون خرق المانيا لعزلة بلجيكا ،ويفضحون فظائع الالمان ويوضحون ما اهاب بانكلترا الى القتال في سبيل النصر

ومع كون النساء من الراغبات في السلم فقد ظهرن بين انصار التجنيد ينادين الشبيبة الانكليزية الى التضحية بكل نفيس لاجل فوز انكلترا في الحرب ، قائلات ان مقر كل رجل سليم في الجبهة او في مضارب التمارين العسكرية !

وهناك اسراب من النساء كن يقبلن الى الشبان وهم في النزهة ويخاطبنهم بقولهن : تعالوا الى خدمة الملك ، انتم اقوياء وراشدون فلا تتأخروا !

واذا رأين منهم تردداً شككن في صدورهم ريشة بيضاء دليلاً على الخوف والجبن

وانتقلت الدعوة الى ملاعب التمثيل ودور الاشباح المتحركة. وجالت الموسيقى العسكرية في الشوارع والطرق تعزف الاناشيد الحربية

على ان معظم المتطوعين مشوا الى الحرب في سبيل الغلبة والفوز. فالشعب الانكليزي رياضي في دمه ، فشخص الى ميادين القتال مثله الى حفلة رياضية ليحرز فيها النصر

ولم يكن يشتد الاقبال على التطوع الا يوم ترد الانباء عن سوء الحالة في حومة النضال . فالشعب الانكليزي كان يمتعض وهو يرى حلفاءه وابناءه في مأزق حرج. وفي اوائل ايلول وفي اليوم التالي لسقوط مدينة «انفرس» عرفت دور التعبئة الاقبال العظيم على التطوع. فسجلت دور لندن في الايام الفاصلة بين معركة « شالیروی » ومعركة المارن الارقام التالية :



موسيقى الجيش الايكوسي في طريقها الى ساحة الحرب

في ٢٦ آب بلغ عدد المتطوعين ١٧٢٥ متطوعاً
في ٢٧ منه بلغ العدد ١٦٥٠
وفي ٢٨ بلغ ١٧٨٠
وفي ٢٩ كان عددهم ٢٨٠٠
وفي ٣٠ بلغوا ١٩٢٨
وفي ٣١ كانوا ١٦٢٠
على حين انهم تكاثروا في اول ايلول ، فكانوا ٤٦٠٠
وفي اليوم الثاني منه بلغوا ٤١٠٩
وفي اليوم الثالث ٣٣٦٠
وفي اليوم الرابع ٤٠٢٨

فما ان يدوس الشاب عتبة دار التعبئة حتى يمسي للجيش. فينظر في حالته الطبيب ويقسم اليمين على الاخلاص للملك والوطن ، ويكتب بطاقة الى ذويه يبلغهم فيها ما قرّ رأيه عليه

التطوع يزيد على المطلوب

وازدادت حركة التطوع عبأً الى حد اضطر فيه اللورد « كيتشنر » الى رفض الطالبين. فاقام العثرات في الطريق، لا لكونه لا يريد هؤلاء المتطوعين بل لان الثكنات امتلأت والاعتدة باتت قليلة . ففرض على المتطوع ان يكون ذا طول معلوم ، فمن لا يبلغ هذا الطول لا يقبل في الجيش

وظهر من المتطوعين انهم في مستوى فكري اسمى من افراد الجيش مع انهم في معظمهم من ذوي الايدي العاملة

ومالت ارلندا عن الثورة ورغبت في ان تشاطر الوطن الام مهمته في الحرص على عزلة بلجيكا وفي منع الالمان من اجتياح فرنسا حليفة انكلترا . فسادها الهدوء ، وجهزت في ثلاثة اشهر خمسة وثلاثين الف جندي

وهكذا حشد اللورد « كيتشنر » القوات التي دعاها الى القيام بالواجب . واختار ضباط هذه القوات من المتقاعدين والمستقيلين ، او من الضباط القدماء . وكان يلجأ عند الضرورة الى ترقية فئة من الجنود الاشداء الى مقام الضباط ، او يأتي بهم من ابناء الاسر الراقية ومن الطلاب ، وهم في شطرهم الاكبر ممن قاموا بدرس عسكري وشيك

وتولى الجيش اللازم تدريب المتطوعين. ونزولاً على التقاليد ظلت هذه القوات محتفظة بطابعها المحلي ، اي ان القوات المتطوعة في لندن والمنتسبة الى هذه المدينة لم تندغم بقوات اخرى . فكل ولاية اطلقت اسمها على الجنود المتطوعين فيها وانضم هؤلاء تحت لواء واحد . فما اختلط الايكوسي باللندني ، ولا ابن الغرب بابن الشرق. فالارلندي كان بجانب الارلندي ، والايكوسي بجانب الايكوسي . وهذه التقاليد ما برحت انكلترا تعمل بها . ولم يشأ اللورد « كيتشنر» الخروج عنها

حتى انه ابى ان يضم المعدنين الى الرياضيين . فالمعدنون في

جانب والرياضيون في جانب . مما ساعده على انشاء جيش متناسب الميول والاذهان

ومثل هذا العدد من الرجال تضيق عنه الثكنات . ليس في ذلك ريب . فانشئت له المضارب كي يقوموفيها بما يحتاج اليه من تمارين. وحفلت سهول « ألدرشوت » بمئة الف مقاتل يقومون في كل يوم بالتمارين العسكرية . والتمرين العسكري يحتاج الى زمن لا يقل عن خمسة او ستة اشهر ، الا ان اللورد « كيتشنر » رأى في اواخر سنة ١٩١٤ ان التعلم اضحى وافياً . فانشأ ستة جيوش يتألف كل جيش منها من ثلاثة فيالق . وبلغ مجموع هذه الجيوش ستاً وثلاثين كتيبة من المشاة اندفعت الى ميادين القتال وكان لها فيها شأن يذكر . هذا عدا ما وفرت المستعمرات الانكليزية من جيوش

المستعمرات الانكليزية تساهم في التجنيد

كندا والهند واوستراليا وزيلاندا

ابت المستعمرات الانكليزية الا ان تضرب بسهم وافر في التجنيد. فظهرت الحماسة في كل ناحية ، واقبل ابناء المستعمرات على الاشتراك في الحرب الكبرى كأنهم يدافعون عن اوطانهم

فما ترددت في ايفاد القوات الى ساحة النضال مستعمرة انكليزية على الاطلاق . فمن كندا ، الى اوستراليا، الى « زيلاندا » الجديدة ، الى الترانسفال ، الى الهند

على ان هذه المستعمرات لم تكن على استعداد للقتال كانكلترا نفسها . فهي جانحة الى السلم . ورغبتها في السلم حملتها على الاكتفاء بعدد قليل من الجند فيها

وهذه « كندا » لم يزد عدد قواتها على ثلاثة آلاف جندي بما فيهم الضباط وصف الضباط والفرسان والمدربون . اجل ، هناك قوة احتياطية يبلغ عددها خمسين الفاً تقبل مرة في العام للقيام بالتمارين الحربية ويدوم بقاؤها تحت السلاح خمسة عشر يوماً على الاكثر ، وهناك خمسة وعشرون الفاً في جمعيات الرماية . على ان « كندا » لم تغفل عن هذه القوات ، فجهزتها للقتال ، واوفدتها الى انكلترا لتدفعها الى ساحات الحرب . والجميل في « كندا » انها تعتمد مبدأ الخدمة الاجبارية . فعلى شبيبتها ان تخدم في صفوف الجيش . فمن بلغ الثانية عشرة عليه ان يحمل السلاح ستة عشر يوماً في السنة حتى بلوغه الخامسة والعشرين

وعلى المرشحين لمقام ضابط ان يتوفروا على دروس خاصة تساعدهم على العمل في قيادة الجنود

قوات اوستراليا في الميدان

وكان لدى اوستراليا سنة ١٩١٤ خمسة وثمانون الف شاب عمر كل منهم دون الثامنة عشرة ، وخمسون الفاً بين الثامنة عشرة والخامسة والعشرين ، واربع وعشرون بطارية من آخر طراز

ومن هذه الشبيبة تسنى للحكومة الاوسترالية ان تنشىء حملة مؤلفة من عشرين الف رجل . وازداد عدد المتطوعين فبات في اواخر سنة ١٩١٤ لدى اوستراليا جيش عدده اربعون الف رجل على استعداد لركوب البحر الى اوربا لخوض غمار الحرب الكبرى . عدا قوة احتياطية يبلغ عدد رجالها سبعين الفاً وقوات من الحراس لا تقل عن ستين الف رجل

واعتقد الاوستراليون انهم سينضمون في سهول « الفلاندر » الى اخوانهم الانكليز . ولكن تركيا كانت قد انحازت الى جانب المانيا واضحت مصر في خطر ، فما كان من القيادة الانكليزية العامة الا ان قضت بنقل الجيش الاوسترالي الى ضفاف النيل للدفاع عن قناة السويس

من السويس الى غاليبولي

ولحق بالجيش الاوسترالي جيش « زيلاندا » الجديدة وعدده عشرة آلاف جندي . على ان معركة قناة السويس ما كادت تنتهي حتى بدأت حرب الدردنيل . فانتقلت هذه القوات الى شبه جزيرة غاليبولي

الجيش الهندي في النضال

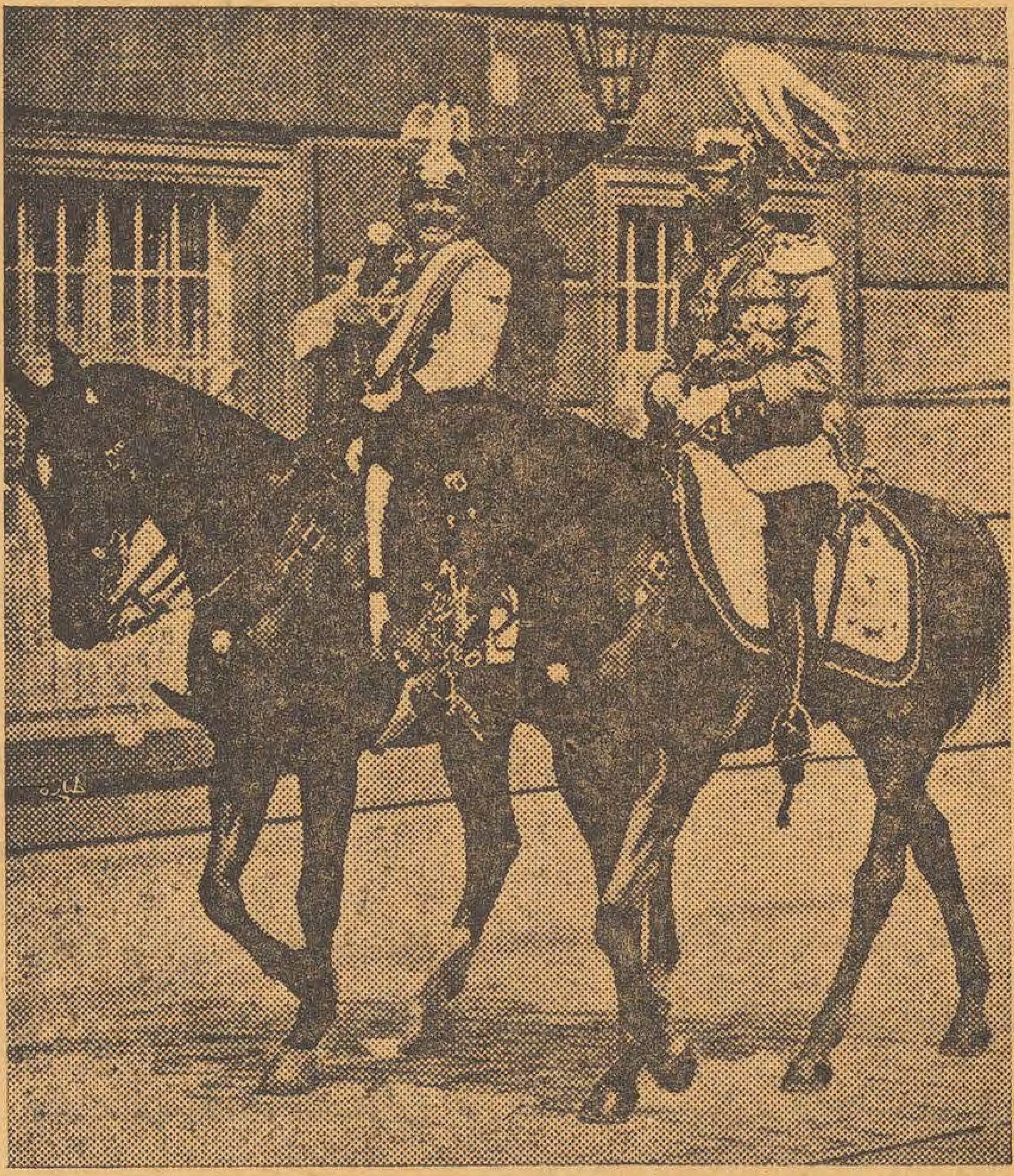
وان يكن سبق للقوات الكندية والاوسترالية ان دافعت عن سلامة انكلترا في حرب الترانسفال فلم يسبق ذلك للجيش الهندي . فالهنود احتشدوا في اوطانهم يطلبون بشدة ان تجيز لهم انكلترا القتال في ساحات اوربا بجانب الجيش الانكليزي . ولم يقل عددهم عن مئتي الف رجل بينهم خمسة وثلاثون الفاً من القوات الاحتياطية

وقد توزعوا على مئة واربعين كتيبة من المشاة وتسعة وثلاثين لواء من الفرسان . وكلهم من المتطوعين المنتمين الى الطبقات الهندية على اختلافها . فهناك جماعة السيخ ، وهي شبه قبيلة حربية خشنة التقاليد طويلة الشعر ، و « الغوركا » ، وهم قبيلة تسكن الجبال ذوو قامات قصيرة ، الا انهم اشداء يرتدون الثوب الازرق القاتم ، والمسلمون ابناء ولاية « بنجاب » المشهورون بالانفة والوفاء ،

والبراهمة المنتسبون الى ارقى طبقة في الهند

وتولى امرهم امراؤهم، وخضع هؤلاء الامراء لسلطان الضباط الانكليز القابضين على ناصية الجيوش الاجنبية بكاملها

ونظر اللورد « كيتشنر » في الموقف ورأى ان ليس بالامكان رفض مطلب الهنود . وفي اواخر شهر آب دعا منهم الى اوربا فيلقين من المشاة وفيلقاً من الفرسان يقودهم السير « جيمس ويلكولس »



الامبراطور غليوم الثاني سيد الحرب

في ضيافة جورج الخامس (الى اليمين ملك انكلترا)

مرسيليا ترحب بالهنود

وذات صباح من شهر ايلول اطلت هذه القوات على مرفأ مرسيليا تحملها بواخر متعددة اصطفت في خط متناهي المدى . ورحبت مرسيليا بالهنود اجمل ترحيب . فاستقبلتهم هاتفة : لتحي انكلترا ، ليحي الهنود !

ومن مرسيليا اتجهوا الى « تولوز » و« اورليان » . واستقروا في مضرب « سيركوت » يتمرنون عدة اسابيع على اساليب القتال قبل مسيرهم الى الجبهة

هذا ما قام به اللورد « كيتشنر » في اثناء الاشهر الاولى من عهده بالوزارة . ولا نكير في ان هذا العمل على قوته وجلاله ما خلا من العيوب . فاللورد ان يكن قد اهتدى الى الرجال فما اهتدى الى الذخائر والاعتدة الكافية . الا ان من الضرورة القول ان العمل جبار . فقد استطاع اللورد بما فُطر عليه من الجهود ومضاء العزيمة ان يبدو عند حسن ظن دولته به . ورأى الملك ان يظهر اعجابه بوزيره فمنحه وسام « ربطة الساق »

لويد جورج على بيت المال

واذا تسنى لانكلترا بالاعتماد على اللورد « كيتشنر » ان تجهز في اشهر قلائل جيشاً لجباً فالفضل في اعداد هذا الجيش وتموينه فضل بيت المال الانكليزي . فالمعروف عن انكلترا انها دولة غنية طافحة صناديقها بالمال . وهي وحدها بين الدول المتحاربة نجت في بدء القتال من الازمة الاقتصادية التي رمت اوربا بالشلل . وهذا التفوق دين للسيد لويد جورج في عنق انكلترا . فكان يومذاك وزير المال . واتخذ من التدابير لحفظ اموال الدولة وزيادتها ما ادهش به العالم . فما قام به اللورد « كيتشنر » في الناحية العسكرية من اعمال جبارة قام به لويد جورج في الناحية المالية، ولقيت انكلترا بهما سيدين جبارين !

من هو لويد جورج ؟

ولويد جورج عجيب في نشأته . فان اباه معلم مدرسة . ولقد تولى السهر عليه عمه . وعمه يشتغل باصلاح الاحذية العتيقة . فنشأ لويد جورج متعلماً ، يدين بالمذهب البروتستانتي القح ، شديد الولع بالمناظرات والمناقشات السياسية . واستطاع بعد درس ومطالعة ان يعمل في مكتب محام ثم ان يستقل بالعمل كوسيط في القضايا الموكولة اليه ، وما لبث وهو ابن سبع وعشرين ان جلس على اريكة النيابة ، وذلك سنة ١٨٩٠

والرجل يختلف في شكله عن معظم بني قومه، فانه ليشبه الفرنسيين اكثر منه الانكليز ، سواء بعينيه المتحركتين البراقتين ، او بشعره الكستنائي المسترسل الى الوراء ، او بجبينه المتجعد، او بشاربه الاسود

وللرجل على المنبر حركات حازمة جازمة واقوال بليغة . وظل خمس عشرة سنة زعيم الاحرار المتقدمين في المجلس النيابي ، وارتقى في سنة ١٩٠٥ الى مقام وزير التجارة ، ثم اصبح وزير المال .

ويقال عن لويد جورج انه ذو اصل فرنسي وانه تعمق في الاداب الفرنسية . ويقول الفرنسيون انه اقتبس منهم حب المنطق

وكان الرجل يميل في البدء الى تحديد السلاح والى التفاهم بين المانيا وانكلترا . غير ان السير « ادوار غراي » اطلعه على الفخ الذي ينصبه غليوم الثاني امبراطور المانيا وعلى ما في سياسته من خطر . فلم

تمكن منه الا ان ايد زميله بكل ما يملك من نفوذ وسلطان . ولما نشبت الحرب عمد الى تدابير جريئة ساعدت انكلترا على دخول الحرب دون ان تشعر بانها في ازمة مالية اقتصادية

فالاسهم الانكليزية هبطت ساعة ادرك العالم ان الحرب على الابواب . واضطر في ٣١ تموز الصفق المالي في لندن الى قفل ابوابه. ورفع مصرف الدولة فائدة الاموال المودعة لديه الى ٨ بالمئة كي يحتفظ بهذه الاموال . على ان لويد جورج تدخل في الامر، وذلك بان حال دون اقبال الاهلين على المصارف لانتزاع اموالهم منها

واتفق ان اليوم الثالث من شهر آب كان عيداً عاماً اقفلت فيه المصارف ابوابها ، فرأى لويد جورج ان تتوالى الاعياد ، فتشمل اليوم الرابع والخامس والسادس من آب ، فلا تفتح المصارف بل تظل مقفلة مما لا يتسنى به للناس ارتيادها .وفي اليوم السادس اعلن قانون تأجيل الديون « الموراتوريوم » وهو قانون سرى على الديون المعقودة قبل اعلان الحرب

وهكذا نجت المصارف من الافلاس . واستطاع لويد جورج بما يملك من همة ان يستجيز المجلسين، مجلس النواب ومجلس اللوردات ، بان يجري في التداول رقاعاً مالية من فئة الليرة ونصف الليرة ، وضمن لمصرف الدولة كل خسارة تصيبه ، مما وفر للمصرف انزال اسعار القطع الى ٥ بالمئة . وفي تشرين الثاني انتهى قانون تأجيل الديون وبقي من حق القضاة دون سواهم تقسيط الدين. وهكذا نجت انكلترا من كل اضطراب مالي وهي تخوض الحرب العالمية

لويد جورج والسفن التجارية

وكان لوزير بيت المال يد لا تنكر على السفن التجارية . فلا غنى لانكلترا عن هذه السفن تجوب اليم وتحمل الى « الجزيرة المثلثة » المال والزاد . غير ان دور التأمين وقد لمست ما تتعرض له السفن من اخطار رفضت كل الرفض تامين المشحونات والا دهمها الافلاس. فما كان من لويد جورج الا ان دعا هذه الدور الى متابعة عملها ، فاذا ما بليت سفينة بالسقوط في اعماق البحار تولت الدولة اداء اربعة اخماس القيمة المؤمنة هذه السفينة عليها

ودفع السفن الحربية الى تطهير البحار من كل خطر ، فتحمي السفن التجارية وترفع من طريقها الالغام . فاطمأنت دور التأمين ، وبعد ما رفعت بدل الضمان الى ٥ في المئة عادت فانحدرت به الى واحد بالمئة والدولة تعينها على كل خسارة

ولم تغمض للويد جورج عين

فرأى في شهر ايلول ان حالة بيت المال تحتاج الى عقد قرض، فاعلن انه بحاجة الى هذا القرض وانه يدعو الاهلين الى المساهمة فيه بفائدة ثلاثة ونصف بالمئة . ولم يكن القرض قليلا . فهو اعظم قرض عرفته الدول وقد بلغ ثلاثمئة وخمسين مليون ليرة انكليزية . فما كان من الشعب الانكليزي الا ان اقبل باجمعه على الاشتراك في عقد هذا القرض . وبعد اسابيع قلائل باتت القيمة في بيت المال ، مما تسنى به لوزير المال ان يقوم بما احتاج اليه حشد الجيوش من نفقات

النساء في الحرب

ولم تشأ النساء وهن يشاهدن الحرب تتلظى ان يبتعدن عن نارها . فاقبلن على التطوع كممرضات في الجيش . وفي ايام معدودة كانت ثلاثة آلاف ممرضة يشتغلن في ثلاثة وعشرين مستشفى ، كل مستشفى منها يضم خمسمئة وعشرين سريراً

ووقف الصليب البريطاني الاحمر ، المشمول برعاية الملكة الام الكسندرا ، ثلاثة الاف ممرضة اخرى على دور الصحة . وعدد كبير من هذه الممرضات سلك طريقه الى فرنسا وبلجيكا . واخيراً بات امر التمريض منظماً . فامست الدولة لا تقبل من الممرضات الا كل من حملت شهادة ناطقة

واهتمت الملكة «الكسندرا» بانشاء دار للاعتناء بهذه الممرضات اذا اصبن في اجسامهن. وفي هذه الدار توفرت اسباب الراحة على اطلاقها

وعرضت النساء الطبيبات على الدولة خدمهن . واحتشدن في فندق « كلاريدج » وفي « ديميره » وفي لندن. وحوّلت شقيقة المارشال « فرانش » دير « روايومون » الى مستشفى اقامت فيه الطبيبات الايكوسيات . وانتقلت فئات منهن الى صربيا

ومالت النساء المثريات الى مساعدة العيال الفقيرة المنتقل عنها اربابها الى ميدان الجهاد

وفي اوائل شهر آب اذاعت الملكة ماري نداء الى نساء انكلترا تبلغهن فيه انها انشأت مؤسسة « العمل النسائي ». ومن شأن هذه المؤسسة ان توفر العمل للعاملات المحكوم عليهن بالبطالة

وتحققت مشيئة الملكة . وظهرت هذه المؤسسة وطافت على الدور التجارية تطلب منها قبول النساء في الاعمال التي خلت بانصراف الرجال الى الحرب. وانشأت دوراً لحياطة الاثواب العسكرية اشتغلت فيها كل امرأة بحاجة الى العمل . فكانت المرأة تربح في الاسبوع نصف ليرة انكليزية دون ان يجاوز عملها اربعين ساعة

وكانت الملكة ماري تقبل بنفسها للنظر في الاعمال . وفي كل اسبوع توفر هذه المعامل خمسين الف ثوب توزع على الجنود الانكليز وحلفائهم

من «فون كلوك» الى «فون بيلوف»

الجيش الالماني يندفع الى الشمال لمقاتلة الفرنسيين وقطع خطوطهم

استبسال الالمان يضمن لهم النصر الى حين

الجيش الانكليزي يدافع عن مدينة «ليل» الا ان الالمان يحتلونها برؤوس الحراب

الحظ يعاند غليوم !

صمم القائد «جوفر» منذ ١٥ ايلول على متابعة الخطة التي ضمنت له الفوز على ضفاف المارن . فالالمان وقفوا على ضفاف نهر «الاين» يبدون كل مقاومة . ورأى القائد «جوفر» ليقصيهم عن هذه الاماكن ان ينشىء جيشاً جديداً الى يمين القائد «مونوري» ويدفعه الى الشمال فيصطدم بالجانب الايمن من القوات الالمانية

ودعي القائد «كاستلنو» من اللورين ،وقد ابدى فيها مواهبه العسكرية بدفاعه المجيد عن «نانسي» ،كما دعي قسم من جيشه للقيام بهجوم على الالمان تدعمه الفيالق الاحتياطية وكتائب من الجيش الملازم . وهذا الهجوم قام به القائد «كاستلنو» في ٢٠ ايلول واندفع الى ما وراء سكة حديد «كراي» شاخصاً الى «اميان» بطريق «سان جيست» و «براتاي»

بين كاستلنو وفون بيلوف

وعهد الالمان الى قائد من خيرة قادتهم باعتماد خطة «فون كلوك» ، فيجتاح الجيش الفرنسي السادس وينفذ هذه الخطة بتمامها. والقائد هو «فون بيلوف» . فاذاع في قواته الامر بالتقدم . وكان هذا التقدم من الجانبين ، من الجانب الفرنسي ومن الجانب الالماني. فالالمان هجموا على «كراي» و «بوفه» والفرنسيون مثلهم . كل من ناحيته . ولا بد لهذين الجيشين من الاصطدام في هجومها العنيف

والفوز للسابق. وهذا السابق كان القائد «كاستلنو» الفرنسي، الا انه لم يدرك في البدء الفوز . ففي ٢١ ايلول دخل «نوايون» غير انه لم يستطع الثبات فيها وقد اقصاه «فون بيلوف» عنها . فاكتفى القائد الفرنسي بان يخوض معارك شديدة حول المدينتين الصغيرتين «روى» و «لاسيني» وهما مستقران خطيران للخطوط الحديدية

الالمان ينتصرون

ودامت المعركة عشرة ايام . والقائد الالماني «فون بيلوف» ، وهو الاكثر عدداً بالرجال ،استطاع دخول «روى» و «لاسينيي» بعد ما نزلت به خسائر فاحشة ، ولكنه لم يملك القوة على التوغل فيها وقد اكرهه الفرنسيون على الوقوف . وايقن الالمان ان مجهودهم في هذه الناحية لن يأتي بفائدة فانتقلوا بقواتهم الى الشمال يعمدون الى هجوم آخر ميدانه منطقة «اراس» دون ان ينثنوا عن «روى» و «لاسينيي» و «دالبر» وهي مدينة صناعية امعن الالمان في اطلاق قذائفهم على مصانعها

معركة «اراس» الاولى

ايقن الجيش الفرنسي على اثر اخفاقه في «شارليروى» ان منطقة «اراس» ستبيت ميداناً للمعارك الطاحنة . وكانت القوات التي تحتلها من جنود القائد «داماد» قد انصرفت عنها الى «اميان» و «مونديديه»

وفي ٣٠ آب اذيع ان الالمان اقتربوا منها . فما كان من السلطة الحاكمة فيها الا ان قضت على الرجال الذين يستطاع الاستفادة من خدمتهم في الجيش الى براح المدينة لئلا يقعوا اسرى بين ايدي العدو ولم يكن عدد الالمان كبيراً . فهم لا يزيدون على بضع مئات من الفرسان . فاستقروا في القلعة القديمة القائمة في ناحية الجنوب الغربية من المدينة واستولوا على ما يحتاجون اليه من طعام ومركبات



❋ السيد اسكويث رئيس وزارة انكلترا ❋
❋ يشرف بنفسه على مناورات الجيش الانكليزي ❋

وثياب . واحتلوا المستشفيات وقادوا الى الاسر الجرحى الذين يمكن انتقالهم من اسرتهم

وظلت مدينة « اراس » حتى اول شهر ايلول مكان مرور للفرسان الالمان، فكانت تتوالى اقامتهم فيها دون ان تطول . الا ان هذه الحالة تبدلت على اثر معركة المارن فيما الجيشان المتقاتلان يحاولان اجتياح بعضهما بعضاً وقدمال كل منهما الى تطويق الآخر متجهين بجبهتيهما الى الشمال . فالجيش الفرنسي استطاع عند ذاك احتلال المدينة يتولاه القائد « بيرجير » . واستعيدت « اراس » واضحت حارساً انوفاً لمقدمة خطوط الحلفاء

الالمان يشنون الغارة

غير ان الالمان لم يرضوا عن استعادة الفرنسيين لهذه المدينة.

ففي اول تشرين الاول سنة ١٩١٤ شنوا الغارة على « اراس » ونشبت فيها المعارك وفي ضواحيها. ولشدة نقمة الالمان عليها رموها بالقذائف. فبدأوا ضربها في ٦ تشرين الاول غير راحمين

ودعي الامير « روبرخت » البافاري الى الانطلاق بجيشه من اللورين ، وقد حارب في شهر آب فيها ، الى « بيكاردي » و« ارتوى » ، ثم الى تذليل كل عقبة في طريق قواته الى « اراس » و« اميان » ، على ان يكون تقدمه سريعاً لتطويق الجناح الفرنسي الايسر

واحسن الالمان اختيار الفرصة . فالقائد « جوفر » كان قد اتفق والمارشال « فرانش » الانكليزي على الانتقال بالقوات البريطانية الى « الفلاندر » وبلجيكا . وهذا الانتقال ابقى الجناح الفرنسي الايسر وحيداً تصونه قوات غير كافية . فدهمه الخطر . وشعر بالامر القائد جوفر فاتخذ كل تدبير من شأنه انقاذ هذه القوات من الاجتياح الالماني

فأنشأ في منطقة « اراس » جيشاً هو الجيش العاشر عهد بامره الى القائد « فوش » الذي عين قائداً لجيوش الشمال . فكلف القائد « فوش » القائد « مودهوي » يعضده القائد « ديربال » ، قيادة هذا الجيش ودفعها الى صد التيار الالماني

ممن تألف الجيش الفرنسي العاشر ؟...

والقائدان « مودهوي » و« ديربال » في عمر يكاد يكون واحداً . فالاول في السابعة والخمسين والآخر في الثامنة والخمسين . والجيش العاشر الموكولة اليهما شؤونه تألف من قوات مختلفة . من قوات يجهل بعضها بعضاً . فهي مؤلفة من كتائب الجيش الملازم ، ومن القوات الافريقية ، ومن فيالق جيء بها من جبهة « الاين » كالفيلق العشرين والفيلق الحادي والعشرين ، ومن فيلق للفرسان يتولاه القائدان « كونو » و « ده ميتري »

وهذه القوات وصل بعضها اثر بعض تتقد فيها الحماسة، الا ان التعارف بينها يكاد يكون مفقوداً ، فهي نفسها تجهل نفسها ، على ان الموقف يدعوها الى التعاضد وان يكن مجيء بعضها الى جبهة القتال لا يزال حديث العهد

والامير « روبرخت » البافاري يملك ستة فيالق . فوزع القائد « مودهوي » قواته بين الجنوب والشمال من مدينة « اراس » وفي ضواحي « دالبر » وشرقي « لان » و« باتين » . وتولت كتائب من الفرسان في منطقة « باتين » ، على الحدود البلجيكية ، تمهيد السبل امام فيالق المارشال « فرانش »



الانكليز يهجمون بقواتهم على (نوف شابيل) في فرنسا ويحتلونها بيتاً بيتاً

خطة الاجتياح الالمانية

واول ما رمى اليه الالمان ليهدموا قوات القائد « مودهوي » ويضعضعوها القيام بهجوم مزدوج ، فتسد فيالق الفرسان الالمانية الطريق على الفرنسيين المقبلين من ناحية البحر وتعضدها في هذه المهمة قوات من المشاة تنتقل بالسيارات الى حيث يجب قطع خطوط الاعداء ، وتندفع بقية الجيش الالماني الى مدينة « اراس » تطرد الفرنسيين منها

وهذه الخطة اذا نجحت ضمنت للالمان امتلاك الجيش الفرنسي العاشر واحتلال شمالي فرنسا حتى نهر « السوم »

والحق يقال ان القائد « ده مودهوي » بسط جيوشه على خط طويل يحتاج الي قوات اوفر عدداً . ولقد اضطر في اوائل تشرين الاول الى الجلاء عن « دويه » و « لان » ليحشد قواته حول « اراس »

الالمان يعودون الى احتلال « ليل »

وفي ١٢ تشرين الاول عاد الالمان الى احتلال مدينة « ليل » بعد ما صبت قذائفهم عليها ثلاثة ايام متوالية . وتقدم فرسانهم فاحتلو « هازبروك » و« بابيل » و « كاسل » . على ان مجهودهم تحطم امام مدينة « آراس »

ولكنهم ابوا ان يتراجعوا . فقذفوا المدينة بكل ما لديهم من قوى وراموا احتلالها مهما كلفهم الامر . وهذا الجهد قضى عليهم بتضحيات جسيمة استطاعوا بها احتلال شطر من ضواحي المدينة ، حتى انهم احتلوا المحطة والمدافن . غير ان القائد « ديربال » كان يدفع هجومهم كلما تقدموا . فضايقهم ـ ولم يكن منهم بين ٢ و١٠ تشرين الاول الا ان اطلقوا كل قوة فيهم وقد ساءهم ان يظلوا في اماكنهم . وعادوا الى هذه المحاولة في اواخر الشهر فما افلحوا . فالفرنسيون ثابروا على المقاومة ، حتى انهم استطاعوا في ٢٠ تشرين الاول ان يعقدوا الامل على النصر. فاقبل الانكليز الى نجدتهم من شمالي «باتين» مما حال دون كل تطويق يهددهم به الالمان

واتسعت المعارك . كان نطاقها يتسع يوماً عن يوم . واذا بها تنتقل الى خارج الحدود الفرنسية ، على ضفاف «الايبر» و«الايزر». فلقي الالمان الهزيمة . وانها لهزيمة دموية مفجعة

«اراس» تحت القذائف

وغاظ الالمان ان يخفقوا فمالوا الى الانتقام مثلهم امام مدينة «ريمس» . فما دامت «اراس» نجت من قبضهم فماذا يضيرهم اذا هدموها ؟

وعمدوا الى الهدم قبل الهزيمة . ففي صباح ٦ تشرين الاول استيقظت المدينة على القذيفة الاولى تنفجر فيها ، فسقطت القذيفة في ضواحي المحطة وقتلت ولداً . وانقضت القذيفة الثانية على حانوت بقال . واذا القذائف تتوالى حتى المساء بلا عد ولا حساب

وعاد الالمان الى رمي القذائف في اليوم التالي وما بعده . وبلغ ما رشقوا به مدينة «اراس» في هذه الايام الثلاثة نحواً من ألفي قذيفة

فعمد الاهلون لاتقاء البلية الى الاختفاء في الدهاليز المدفونة في طيات الارض، الشيدة تحت كل منزل من المنازل ، وحين ينهار احد هذه المنازل ويكاد يسد الدهاليز ينتقل منه اربابه الى دهاليز جيرانهم يأمنون فيها غضبة الالمان

وفي ٩ تشرين الاول ، وقد وقف الالمان عن ضرب المدينة ، خرج الاهلون لرؤية ما جرى واذا بهم امام اطلال نائحة . ومن هم هؤلاء الاهلون ؟ ... فئات من الشيوخ والعجائز والنساء والاطفال

ووقعت القذائف الالمانية على المستشفيات فهدمتها ، وعلى المعاهد والمؤسسات الكبرى . ومما يروى في هذا الصدد ان احدى الراهبات كانت تضمد في ٧ تشرين الاول امرأة جريحة اصابتها في الشارع قذيفة المانية فيما كانت تنجو بولديها ، وهما ابنة تبلغ السادسة وطفل ابن نصف سنة . والتضميد كان يجري في مستشفى «سان جان» ، غير ان قذيفة اخرى هبطت على المستشفى فاصابت المرأة بجرح آخر وقتلت الابنة وقتلت الراهبة معاً

رواية شاهد عيان

وكتب شاهد عيان ماجرى له ولاخوانه ابناء مدينة «آراس» في اثناء هذه النكبة فقال :

«نحن في يوم ٦ تشرين الاول ١٩١٤ ، الليل اشبه بالليالي السالفة . استيقظنا في الصباح على قصف المدفع . وتجاوبت اصداء الطلاقات البنادق بين خندق وخندق . واشرقت الشمس . ولدى الساعة العاشرة رفرفت خمس طيارات المانية في سماء المدينة . وعادت الينا بعد الظهر لدى الساعة الثانية . وحامت اثنتان منها على حي «اميان» و «بوديمون» . فاطلق عليها الجند الفرنسي الرصاص من كل جانب حتى باتا كأنهما في قلب غمامة بيضاء . واذا احداها تلقي كتلة من النار وتهوي الى الارض كأنها تبدي اشارة متفقاً عليها ،



المارشال «فرانش» الانكليزي

قائد الجيوش الانكليزية في فرنسا

وما هو ربع ساعة من الزمن حتى تساقطت القذائف على ناحية «سان جان باتيست»

«وعندما يخيل الينا ان الرماية انتهت نبرح مخابئنا وننسل الى الشوارع وقد بقي فيها من امسكوا على الجرأة ، فنتحدث وايام ويسائل بعضنا بعضاً : هل انتهى التدمير ؟



جماعة من الاسرى الالمان يحسن اليها الفرنسيون

« غير ان الالمان لا ينتهون، وكانوا يختارون يوم الاحد للامعان في رشقنا بقذائفهم ..... »

واحتمل ابناء « آراس » تجارب أليمة ، على ان صبرهم تكلل بالظفر . فالالمان مع هدمهم مدينة « آراس » لم يحتلوا مدينة « آراس »

الانكليز يقاتلون!

وفيما الجيش الفرنسي العاشر يثبت امام « آراس » قام الجيش الانكليزي بنقل قواته من جبهة « الاين » الى « فلاندر » وبلجيكا

وهي مهمة صعبة في تلك الاحوال الدقيقة . ففي ١١ تشرين الاول ترجل في ضواحي « باتين » الفيلق الانكليزي الثاني القابض على ناصيته القائد « سميث دوريان »

وفي ١٣ تشرين الاول وصل الى « هازروك » الفيلق الثالث للقائد « بوليتاي »

وبعد ثمانية ايام اقبل الفيلق الاول يتولاه القائد « دوغلاس هايغ » والفيلق الهندي للسير « جيمس ويلكوكس »

واستقر المارشال « فرانس » باركان حربه في « سانت اومر »

وكان على الجيش البريطاني مهمتان ، الاولى نصرة الجيش البلجيكي على البقاء في خط « الايزر » ومنع كل هجوم الماني على « دانكرك » و « كاله »

والمهمة الاخرى مساعدة القائد « مودهوي » والاندفاع الى « الباسه » و « ليل » لقطع مواصلات العدو

ومنطقة « الباسه » تقع على بعد خمسة عشر ميلا من شرقي « باتين » ، و « باتين » ناحية صغيرة في موقعها الا انها خطيرة بكونها ملتقى الطرق. فالخطوط الحديدية وطرق المركبات تلتقي فيها ،فاضحت همزة الوصل بين منطقة « ليل » ومنطقة « ارتوى »

واحتل الالمان هذه المنطقة بقوة . غير ان الانكليز تكفلوا بالرسوخ فيها وهم اذا اقصوا الالمان عنها مشوا الى نجدة « ليل »

وورد على القائد الانكليزي « سميث دوريان » الامر بالجلاء عن « باتين » وبالانطلاق وفيلقه الى « الباسه » للاستيلاء عليه . فتحركت في ١٢ تشرين الاول فرقتان من الفيلق الثاني، هما الثالثة والخامسة ، وتقدمتا على طول قناة « باتين » الى « الباسه » حتى قرية « جيفانشي »

على ان القائد المحنك « سميث دوريان » ادرك ان من المحال مهاجمة جبهة العدو ، فقرّ رأيه على الانصراف عن « جيفانشي » الى الشمال ليقطع طريق « الباسه » الى « ليل » ويكره العدو على الجلاء

وبدأت الحركة في ١٣ تشرين الاول ، يوم استعادة « ليل » . ولكن قوات القائد « سميث دوريان » مع كل جهدها ومع احتلالها قريتي « لافنتي » و « اوبر » لم تفلح في بلوغ مرماها ، فاضطرت في اليوم الثامن عشر من تشرين الاول الى الوقوف عما تبتغي لصد هجمات



لويد جورج وزير مال انكلترا في الحرب
يخطب في اجتماع سياسي عام

عنيفة صدمها بها الالمان

الالمان يتجهون الى البحر

وكانت النجدات قد وردت على الجيش الالماني ليستعيد هجومه ويضعضع خطوط الحلفاء ويبلغ البحر . فرمى بين ٢٢ تشرين الاول و٢ تشرين الثاني بمعظم قواته الفيلق الانكليزي الثاني وهو على يقين بانه يفتح امامه طريقاً الى « كاله » اذا قهر القائد « سميث دوريان » واستولى على « باتين »

وفي صباح ٢٢ تشرين الاول بدأ الهجوم . ومع ان فرقة فرنسية اندفعت في القتال الى جانب القوات الانكليزية فلم تبرح هذه القوات دون الجيش الالماني عدداً

ولهذا خسرت الفرقة الانكليزية الخامسة موقعها وتقهقرت عن بلدة « فيولين » واضطرت الى التراجع رويداً الى خط يمر من شرقي « جيفانشي » الى شرقي « نوف شابيل »

فلم يكن من الالمان الا ان صوبوا قذائفهم بشدة الى الجبهة البريطانية الجديدة . وقاموا بعد يومين بهجمات عليها . وفي ٢٧ تشرين الاول كانوا يحتلون « نوف شابيل »

والقتال الطويل العنيف ذهب بهمة الفيلق الانكليزي الثاني . ولكن الانكليز لم يغفلوا عن قائدهم « سميث دوريان » ، فاوفدوا اليه لواء هندياً سنده في ميسرته ، اي في اشد النواحي احتداماً . وبعد ايام اقبل لواء هندي آخر انضم الى الاول ، ودعمت هذين اللوائين المدفعية البريطانية وفوض اليهما الدفاع عن « باتين »

بسالة الهنود

وفي ٢٨ تشرين الاول قامت كتيبة من الهنود بهجوم على القوات الالمانية في « نوف شابيل » فاحتلت بضعة منازل فيها . وفي ٣١ وقف الرماة الهنود ، من قبائل « الغوركا » ، وقفة تثير الدهش والاعجاب تحت نيران المدافع الالمانية . فاحتملوا وقع هذه النيران بهدوء ، مع كل صعوبة اعترضتهم بالاقامة في خنادق لا تتناسب وقاماتهم القصيرة

وفي ٢ تشرين الثاني اضحت جبهة « سميث دوريان » في خطر ، وكاد الالمان يخرقونها بهجماتهم المستمرة عليها ، الا ان رماة « الغوركا » الهنود صدموا الهجمات الالمانية بهجمة يائسة انقذوا بها الجبهة الانكليزية من الالتواء

المدافع تتبارز

ففترت همة الالمان . وخففوا في الهجوم من غلوائهم ، وعمدوا الى المدافع يهدمون بها اعداءهم . غير ان اعداءهم اجابوهم بالمثل . ولم يبق هناك غير مدافع تصب نيرانها على مدافع تقذف بالنار من احشائها

وفي هذه الاثناء تسنى للانكليز ان يتمرسوا بقواعد الحرب الاوربية . وما لبثت الانباء ان وردت على القائد « سميث دوريان » تقول ان الالمان انهزموا امام « ايبر » . وهزيمتهم هذه وضعت حداً لهجماتهم في شمالي فرنسا وفي بلجيكا

اقبل الشتاء !

كان الالمان يعتقدون ان الحرب تنقض على الحلفاء كالصاعقة وتفعل فيهم فعل الصاعقة في صخرة تطحنها . على ان الالمان لم يحسبوا حساباً لمعركة « المارن » ولم ينتظروا من الفرنسيين ان يملكوا

روعهم . فخيل اليهم ان فرنسا سيعتريها الذهول وتتراجع قواتها على الفور الى باريس تلقي فيها السلاح وتنادي بالاستسلام

ولكن معركة « المارن » وقعت ، واستعاد الفرنسيون روعهم ، ومالوا الى الهجوم بعد الهزيمة وعرفوا الفوز بعد الخيبة . فتضعضع الالمان وعضوا شفاههم غيظاً ، على ان اليأس لم يملكهم بل عتبوا على انفسهم لكونهم تجهزوا لحرب تدوم ثلاثة اشهر فاذا بها تعدو الاشهر الثلاثة وتطول ، الى متى ؟.. ليس من يدري !

واقبل الشتاء ، شتاء سنة ١٩١٤ — ١٩١٥ .

والشتاء قاس في فرنسا ليس بامكان الجيوش ان تتبسط فيه بحركاتها . فالجو حاكم مسيطر عليها

وفي ناحية « ارتوى » كاد يستولي على المتقاتلين الجمود . فالالمان حاولوا الهجوم على مواقع الفرنسيين بقوات ضئيلة دون ان يوفقوا في معظم محاولاتهم

وفي ١٦ كانون الثاني ١٩١٥ اطلقوا نيرانهم على « بلانجي » واحتلوا معامل الصب فيها ، غير ان بقاءهم لم يطل وقد صدهم الفرنسيون وابعدوهم عنها

وتسنى للفرنسيين والانكليز ان يتقدموا في بعض النواحي مما زاد في تحصين مواقعهم

ففي اول كانون الاول ١٩١٤ استولت فصيلتان من الصباحيين وثلاث فرق من المشاة في ناحية الجنوب الشرقية من « باتين » على قصر « فيرميل » وحدائقه . واستقر فيه الفرنسيون مع كل ما قام به الالمان من الجهد لاستعادته والنزول فيه

جمود ... ولكن تحت النار !

ولا نريد بقولنا ان الجمود استولى في فصل الشتاء على الجبهة الحربية ان القتال وقف دولابه والمدفع سكت ، بل نريد القول ان المعارك الكبرى اضحت بطيئة السير بل نادرة ، اما المعارك الصغرى فما خلا منها يوم

وفي منطقة « اراس » لم ينقطع سير القتال طول الشتاء . ففي كل يوم تقع مناوشات دامية ، الا ان الوحل والماء اقاما المصاعب في طريق المحاربين يعاندانهم في ما يبغون من حركات

لا انهزام بلا قتال

والوحل والماء اكرها الفرنسيين على الجلاء عن اماكن متعددة والبلاغ المعلن في ٩ كانون الثاني سنة ١٩١٥ يقول : « اضطرت القوات الفرنسية في غابة « برتونفال » الى الجلاء عن قسم من خنادقها دون ان تشتبك والعدو في قتال . فالوحل كان يغمرها في بعض الانحاء الى الاكتاف »

وتدفقت السيول بغزارة . فما انقطعت خيوط الامطار على مدى اشهر طوال مما زاد في المشقة وفي شظف العيش . فكان الجندي



متطوع انكليزي في الحرب الكبرى
يركض لاحقاً باخوانه المقاتلين

يغرق في المياه ويضطر الى البقاء زمناً في الجليد والصقيع عرضة للزمهرير . وتتشقق رجلاه فيمسي عاجزاً عن المسير

الا ان القوة القهارة الدافعة زهرة اوربا الى القتال ابت على المحاربين ان يتذمروا ، فاحتفظوا بروعهم ورباطة جأشهم ، وحملتهم همتهم على القتال بلا ابطاء . فما ان يدعوهم الداعي حتى يجدهم يقظين . وهذه الحمية المختلجة فيهم قادتهم تحت الثلوج والامطار الى معارك « ايكيري » و « روكلانكور » و « سوشه » و « كارنسي » و « جيفانشي » و « بواسيل »

واعظم معركة وقعت بين ١٥ و ١٨ اذار وانتهت باحتلال

جنوبي « نوتردام ده لوريت» وقد استولت عليها الكتيبة الفرنسية المئة والثامنة والخمسون

الاستيلاء على "نوف شابل"

وفي الشهر نفسه قام الانكليز بهجوم لامع على « نوف شابل » فاحتلوها في ١٠ اذار بعدما شوتهم الخنادق الالمانية بنيرانها

هذا كل ما جرى في شتاء ١٩١٥

فالمواقف لم تتبدل لا في المعسكر الفرنسي ولا في المعسكر الالماني

اجل ، قضي على المتقاتلين بان يفتحوا عيونهم طول تلك الليالي الباردة ، في مهب الرياح الهوج ، وتحت الشتاء الصافع والثلج العريض الاكفان ، كي يتبينوا في مطاوي الظلام حركات العدو . واذا ناموا اغمضوا عيونهم واسلحتهم بايديهم. وكيف يرقدون؟. كالنائم اليقظان. فهم ابداً على حذر . ابداً ،لدى كل حركة ، وكل صوت ،وكل حفيف!

فاذا مال غصن خيل اليهم ان العدو امامهم

اذا وثبت في الغاب ارنب مذعورة حسبوها قذيفة او شرذمة من شراذم الاعداء

اذا عطس رفيق لهم امتدت ايديهم الى البنادق والحراب وتشنجت اعصابهم حتى كادت تنفجر

وطول السهر كان يقضي عليهم بالرقاد، بل كان يغلبهم على امرهم ويفرض عليهم هذا الرقاد فرضاً ، كالقوة القاهرة . ولكن اين يرقدون ؟... في ارض زاحمتهم عليها الفئران والحشرات . والى متى يرقدون ؟... لساعة ، لنصف ساعة ، لربع ساعة من الزمن ، لدقائق عشر !

ويتراءى لهم انهم في عالم غريب عن العوالم التي عاشوا فيها وهم لا يبصرون امامهم غير جدران واوكار يأوون اليها كالحشرات والحيوانات ، وغير سماء دكناء مربدة ، وارض مقفرة جرداء لا نديم فيها ولا سمير ، وغير دماء تختلط بالامطار ،وجرحى ، وجثث ، اكداس من الجثث ، اكداس كالجبال !

وماذا يسمعون ؟.. قصف المدافع، اوامر تعلن،ازيز الرصاص، انين الجرحى ، انهيار الارض ، قذائف تحفر وقذائف تنسف وقذائف تحصد !

فالموت في كل مكان ، في كل ناحية ، تحت كل حجر ، في كل زاوية !

الموت يهبط عليهم من الجو،ويتصاعد اليهم من احشاء الارض، ويأتيهم في خط مستقيم ، من الامام ومن الوراء وكل جانب !

أيبقون الى غد ؟...

من يدري ؟

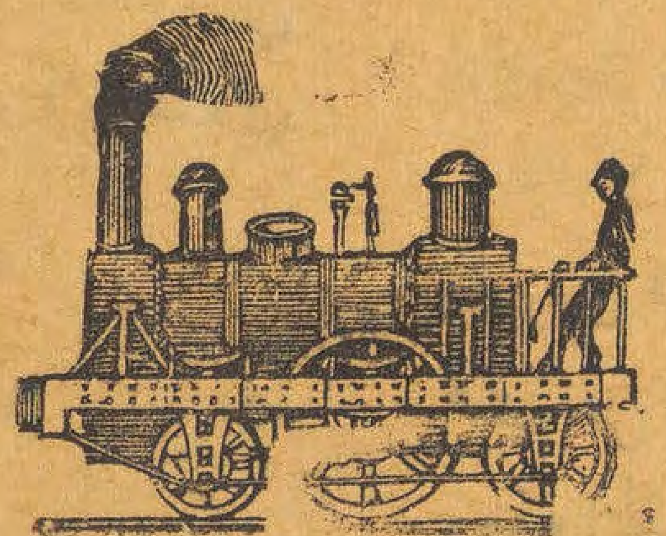
ربما قضي عليهم بعد دقيقة من الزمن، ربما ان يبرحوا خنادقهم، بل مدافنهم . فهم ليسوا بالاحياء ما داموا يتبطنون الارض !

واذا اتفق لهم ان يبرحوا اوكارهم ادهشهم ما تقع عليهم عيونهم. فما امامهم غير اودية اضحت جبالاً ، و جبال اضحت اودية ، وسهول قدتها القذائف فباتت حفراً ، وحفر امست مقابر ، ومقابر جمعت بين الاموات والاحياء ، واحياء يحاربون الموت، وموت ينثر الرؤوس ، ورؤوس تغور في الارض ، وارض لا تستقر على حال !

***

هذه هي الحرب وهؤلاء هم ضحاياها ... على انهم صابرون . فهناك ما هو اعظم من الفناء ، هناك الوطن والكرامة . ولاجل الوطن والكرامة كل ملمة نعمة ، وكل بلية سعادة !

وقوم هذه روحهم ، وهذا هدفهم ، ليس بالهين ان ينفذ الى قلوبهم الملل ، ولا ان يسري في عروقهم الوهن. فقد اثبتوا في الارض اقدامهم وقالوا لها :من تحت اخمصك الحشر !..



الالمان يعودون الى الهجوم

الملك ألبر البلجيكي يذيع في قواته المتلاشية نداء حماسياً

حكومة بلجيكا تنتقل الى الهافر

على مفترق الطرق !

قلنا ونقول ان معركة « المارن » انقذت باريس من الاجتياح الالماني . ذلك مما لا جدال فيه . فلولا استبسال الفرنسيين في المارن لاستقر غليوم الثاني وقادته في « الشانزيليزه » في باريس ولفرضت



الملك ألبر الاول

« ملك بلجيكا »

المانيا مشيئتها على الكون باسره ، على ان معركة « المارن » كانت في جانب الفرنسيين وكانت المنقذة . وهذا شأن معارك « الايزر » ومعارك « ايبر » . فهي ايضاً منقذة . لقد انقذت فرنسا وبلجيكا من اعدائهما

وكانت بدء عهد جديد في موقف الحلفاء من المانيا

ومعارك « الايزر » و« ايبر » التي نشير اليها هي التي وقعت في تشرين الاول وتشرين الثاني من سنة ١٩١٤ ، واظهر فيها الحلفاء من الصلابة في المقاومة ما لوى عنان التيار الالماني الجائح . فالبلجيكيون والانكليز والفرنسيون ، مع كونهم دون الجيش الالماني عدداً ، استطاعوا ان يقوّضوا كل هجوم الماني

والالمان زحفوا في الشمال الى « كاله » ، الى البحر ، ليقطعوا كل صلة بين فرنسا وحلفائها . فان « كاله » على بحر « المانش » مفتاح انكلترا . فاذا استولى عليها الالمان فكأنهم سدوا اقرب طريق يجمع بين الحلفاء في الشمال الغربي من القارة الاوربية

بلجيكا على ضفاف « الايزر »

في ٨ تشرين الاول ١٩١٤ جلت القوات البلجيكية والحكومة البلجيكية نفسها عن مدينة « انفرس » وانصرفت الى اوستند » تستقر فيها . على ان الحكومة لم تقوَ على البقاء في « اوستند » فانتقلت منها الى مدينة « الهافر » في فرنسا . والجيش البلجيكي مثلها . فهو وقد عجز عن البقاء في « اوستند » تابع هزيمته الى ضفاف نهر «الايزر » وعلى رأسه ملك البر الاول

وفي ١٥ تشرين الاول انتهى الجيش البلجيكي الى ضفاف « الايزر » . وكان يحميه في هزيمته لواء من الجيش البريطاني وكتيبة من الملاحين الفرنسيين المدججين بالسلاح وقد اوفدهم القائد « جوفر » لنجدة « انفرس »

على ان هذه الكتيبة من الملاحين وقد بلغت « غان » دعيت

الى اتلاق العدو واحراجه كي يتأخر في مطاردته فلول القوات البلجيكية

وكان يقود هذه الكتيبة ، وعدد رجالها ستة الاف ملاح، امير البحر « رونارش » ، وهو من ابناء ولاية « بريطانيا » الفرنسية، من اولئك الاشداء الكامنة فيهم صلابة الصوان

وعرف الالمان قدر هذه الكتيبة امام مدينة « غان » . فهي ما كادت تشتبك وايامهم في القتال الدامي في بلدة « بيل » حتى شعروا بانهم حيال قوة واثقة بنفسها. فقد اخرت تقدمهم نحواً من ثماني واربعين ساعة

الجيش البلجيكي الكليل

بيد ان الالمان استطاعوا اخيراً ان يدفعوها عنهم وان يحولوا دون حمايتها للقوات البلجيكية البالغ عددها خمسين الف رجل. فاطلقوا قذائفهم على هذه القوات واكرهوها على التضعضع والهزيمة. غير ان حالتها لم تكن تدل على انها تملك قوة المقاومة. فهي ضعيفة متلاشية. فالتعب اضناها والذخيرة تفدن منها. فامست تائهة قلقة كالطائر في مهب الريح

وفي كتاب انشأه « بيار نوتومب » تحت عنوان « الايزر » وصف هذه القوات فقال فيها : « رأيت القافلة وكأنها مصابة بالشلل ، فكان رجالها يسقطون في الطريق ولا عزيمة فيهم . وكانوا يرددون قولهم: « نحن اموات احياء !... ». على ان ما كان يدفعهم ابداً الى القتال رغبتهم في التضحية باخر قطرة من دمهم في سبيل وطنهم المهيض الجناح ! »

نداء الملك ألبر

والملك ألبر كان يعرف كيف يحيي عزيمة جيشه المنهوك . فيذيع فيه النداء تلو النداء داعياً اياه الى الامل والرجاء . ولما وقف هذا الجيش على ضفاف « الايزر » خاطبه مليكه بقوله :

« ايها الجنود !

« منذ شهرين وما يزيد على الشهرين وانتم تقاتلون في سبيل القضية العادلة ونصرة استقلالكم الوطني. فقاومتم جيوش الاعداء واحتملتم الحصار وتراجعتم دون ان تصابوا بخسارة في طريق ضيق محفوف بالمخاطر .

« ولم تجدوا في هذا النضال الهائل من يسندكم ويدعمكم . اما الآن فانتم في جانب الجيوش الفرنسية والانكليزية الصلبة العود . فعليكم ان تظهروا بثباتكم وشجاعتكم ، وقد وفرتم عليهما كل دليل ، انكم تحسنون الحرص على سمعتكم في القتال . واعلموا ان القضية قضية كرامة وشرف . فكونوا على ثقة بالمستقبل وحاربوا باندفاع وعزم .

« واريد منكم ان تتجهوا ابداً بانظاركم الى الامام في الاماكن التي ادعوكم الى الوقوف فيها . وانظروا الى من يتلفظ بكلمة « تراجع » لا يعلنها مليككم بنفسه مثلكم الى خائن للوطن

« دقت الساعة لتدفعوا عن ارض وطننا العزيز ، بالتكاتف وقوات حلفائنا ، العدو الذي اجتاح ارضنا عابثاً بعهوده وبحقوقنا المقدسة ... »

ماذا بقي من الجيش البلجيكي ؟ ...

وهذا الجيش الذي خاطبه الملك ألبر الاول بمثل هذه اللهجة هو ذلك الجيش المنهوك المضنى المتساقط في الطريق لفرط العياء والمشقة. ولم يبلغ خمسين الف رجل بل تسعة واربعين الفاً كما دل على ذلك الاحصاء الدقيق . بلى ، كان هنالك عشرون الف رجل آخرون لا يختلفون في حالتهم عن اولئك ، وانضم اليهم فريق من المتطوعين كانوا قد لجأوا في بدء الحرب الى فرنسا . وفي ١٧ تشرين الاول بدأ الهجوم الالماني كمقدمة للهجوم الاكبر في ٢٤ و٢٥ تشرين نفسه

ولقي الالمان امامهم بفلول هذا الجيش الواهي حماة اشداء في جبهة « نيابور » و« ديكسمود » يظاهرهم الملاحون الفرنسيون تحت قيادة أمير البحر « رونارش » . وهؤلاء الملاحون اقاموا في « ديسكمود » نفسها وقد انشأوا لهم استحكامات تقيهم بقدر المستطاع هجمات الاعداء



الأسرار

العدد السادس

ماذا يمثل غلاف « الأسرار » ....

مشهد اعدام حسين احمد رضا على اثر محاولته اغتيال انور باشا
والى الجانبين رسم انور باشا (الى اليمين) ورسم السلطان حسين كامل (الى اليسار)
وفي اسفل الرسم صورة حسين احمد رضا (الى اليمين)
وصورة محمد عبد القادر خليل الذي حاول اغتيال السلطان حسين (الى اليسار)



اصحابها : انطون صادر ، كرم ملحم كرم ، فؤاد ميداني

الاسرار

رئيس الانشاء المسؤول: كرم ملحم كرم — منشىء القسم الشرقي: فؤاد ميداني

المكاتبات باسم مدير المجلة : انطون صادر

الادارة مكتبة صادر * شارع اللنبي * بيروت

مجلة اسبوعية تاريخية تبحث في التاريخ وما اهمله التاريخ — العدد ٦ — بيروت في ١٠ ايار سنة ١٩٣٨

اسرار الجاسوسية في القضية العربية

بقلم فؤاد ميداني

عبد الحميد يكره الخديوي عباس حلمي ويرى فيه انانياً حسوداً

مصر لم تنتصر للعثمانيين في الحرب الكبرى



☀ عباس حلمي باشا خديو مصر ☀

هذا الرسم اخذ لعباس حلمي باشا الخديوي المصري الاخير في صيف سنة ١٩١٤ لما جاء استانبول . وكان ذلك آخر عهده بوطنه وقد منعه الانكليز من العودة اليه

مما يؤثر عن السلطان عبد الحميد انه كان يتجنب اثارة شعور امراء العرب وعظمائهم ، فكان معظم رجال حاشيته منهم. وابو الهدى الصيادي وعزت باشا العابد في مقدمة من نال عطفه ومحبته، ومثلهما سليم باشا ملحمه ونجيب باشا ملحمه اللبنانيان

وعبد الحميد كان يرى في بلاد العرب سياج تاجه وعرشه ، ولهذا سعى للاحتفاظ بهذه البلاد ورأى ضرورة الابتعاد عن كل ما من شأنه التأثير في عواطف شعبها او يدعو الى استياء زعمائها

عبد الحميد يكره عباس حلمي

وكان يكره عباس حلمي باشا خديوي مصر . وقد قال عنه في مذكراته بتاريخ ١٠ آب سنة ١٩١٤ :

« تشاءمت من هذا الرجل منذ الدقيقة التي تسلم فيها مقدرات الامور في مصر . فهو حسود اناني من جهة ، ولا يهمه من جهة اخرى سوى تحقيق مصالحه الخاصة .

« ولقد تظاهر باخلاصه للاتحاديين ، ولكني على ثقة تامة بانه لا يتردد في الانقلاب عليهم ان يكن في هذا الانقلاب ما يؤمن له مطامعه في السيادة والمال

« احسن الانكليز الى مصر في منعه من العودة اليها ، ولكنهم اساؤوا الينا وقد ابقوه عندنا ! »

***

هذا ما اورده السلطان عبد الحميد في مذكراته الموجودة لدينا

عن عباس حلمي باشا. والمعروف لدى متتبعي السياسة العثمانية قبل الحرب الكبرى ان النفور كان مستحكماً بين السلطان والخديوي، اذ ان الحاشية الملتفة حول السلطان كانت تحدث عبد الحميد عن مطامع عباس حلمي في العرش والخلافة معاً، فكرهه السلطان عبدالحميد وسعى لمناكسته في اكثر ما كان يعرض عليه من امور



✵ رسم آخر لعباس حلمي باشا ✵

لما زار عباس حلمي باشا في اول عام ١٩٣٨ مدينة بيروت بدا بالشكل الظاهر في هذا الرسم. وقد رأينا ان ننشره لقراء «الاسرار» ليروا الفرق بين الرسمين والبعد بينهما ٢٤ سنة

واورد حسن تحسين باشا رئيس كتاب المابين في مذكراته التي نشرها سنة ١٩٣١ فصلا عن ذلك قال فيه :

« اتصل بالسلطان عبد الحميد ان عزيز باشا من امراء مصر يقوم بجولة في البلاد السورية تحقيقاً لمهمة خاصة ندبه لها خديو مصر .

« وتلقى السلطان كتاباً من كاظم باشا يؤيد فيه الاخبار الواردة على السلطان من مصر ويقول ان عزيز باشا سافر الى البادية السورية مرتدياً ملابس امرائها وانه يواصل التعرف الى عربان البادية ومحادثتهم

« فثار السلطان عبد الحميد ثورة شديدة لهذه الانباء وكتب بشدة الى الخديوي عباس حلمي باشا يقول انه اذا داوم على هذه الخطة اضطر رجال الامن الى القبض على عزيز باشا وعلى كل رسول سري ينتدبه للجولة في البلاد العثمانيه .

« وخوف السلطان عبد الحميد من هذه الجولات لم يكن لمجرد كرهه الخديوي فحسب بل لعلمه ان الانكليز يسعون لتوسيع منطقة نفوذهم من جهة العقبة الى داخل البلاد العثمانية . فهم يقولون ان العثمانيين جاوزوا في حدودهم المنطقة العثمانية واحتلوا جزءاً من ديار مصر . ولذا قاموا بمطالبة السلطان باعادة هذه المنطقة للبلاد المصرية

« والسلطان عبد الحميد، وكان يخشى الاصطدام بالانكليز ويسعى لحل هذه المسألة بالصورة الموافقة، ساءه ان يقف عباس حلمي في هذه القضية بجانب الانكليز

« وزاده يقيناً بسوء نية الخديوي الانباء القائلة ان عدة سفن انكليزية رست امام السواحل اللبنانية وانزلت فيها كميات وافرة من السلاح والعتاد الحربي. وان هذه المواد ارسلت سراً الى عربان البادية

حل قضية العقبة

« فرأى السلطان عبد الحميد ان يضع حداً للقضية وان يضرب الخديوي ضربة شديدة تمنعه من متابعة حركاته هذه . فاوفد الى العقبة مرافقه الخاص امير الآلاي رشدي بك .

« ووصل رشدي بك الى العقبة على رأس قوة كبيرة من الجند فلقي الجماعات التي انتدبها الخديوي لاقلاق الامن على الحدود المصرية العثمانية قد تمكنت من اجتياز الحدود الى جهات العقبة. فهاجمها رشدي بك بقواته وطردها من هذه المنطقه بقوة السلاح

موقف الانكليز

« والانكليز الذين لم يتعودوا مثل هذه الشدة من السلطان عبد الحميد تعجبوا من امره واوفدوا اثنين من جواسيسهم بصفة كونهما من رؤساء قبائل العرب لمقابلة رشدي بك ومعرفة حقيقة نياته

« ورشدي بك وقد ادرك حقيقة امرهما ابدى الشدة حيالهما وافهمهما ان حركاته جديةوان الاوامر التي تلقاها من السلطان صريحة واضحة وهي ضرب كل من يحاول الاقتراب من المنطقة العثمانية، وان كل مقاومة او معارضة تؤدي حتما بصاحبها الى التهلكة، وان السلطان يعمل على تجهيز قوات غفيرة من جيشه سترد تباعاً على تلك المنطقة

الانكليز يهددون عبد الحميد

فعاد الجاسوسان الى الحدود المصرية. ولما اطلعا الانكليز على ما سمعا شاء هؤلاء ان يعودوا الى تهديد السلطان عبد الحميد على عادتهم. فاوفدوا المدرعة « ديانا » الى خليج العقبة تهدد القوات العثمانية، كما اوفدوا سفيرهم الى يلديز يهدد السلطان . الا ان الحقد الذي يتقد في

صدر عبد الحميد على الخديوي عباس حلمي باشا اهاب به لاول مرة الحاسد اذنيه عن سماع هذا التهديد ، وكان ان فاز ببغيته وحمل الانكليز على الابتعاد بقواتهم عن تلك الجهة وتأمين سيادته عليها »

***

وهذه النبذة من مذكرات حسن تحسين باشا تدلنا بصراحة تامة على مقدار حقد السلطان على الخديوي

بعد خلع عبد الحميد

ولما خلع السلطان عبد الحميد عن العرش تظاهر عباس حلمي ضده وايد حزب الاتحاد والترقي تأييداً مطلقاً اعتقاداً منه ان هذا التأييد يضمن له السيادة المطلقة ، ولهذا قام بارتياد تركيا مرة في كل عام يقضي فيها فصل الصيف . وفي صيف عام ١٩١٤ ، قبل نشوب الحرب العالمية ، جاء الى استانبول . ولما خاضت الدولة العثمانية الحرب العالمية حاول الخديوي العودة الى عاصمة بلاده ، الا ان الانكليز اقاموا في سبيله العراقيل ومنعوه من العودة الى القاهرة. فظل في العاصمة العثمانية

والانكليز وقد باتوا اخيراً على خلاف مستمر وعباس حلمي باشا مانعوا في عودته الى بلاده

ولما اعلنوا في اواخر عام ١٩١٤ الحماية على مصر حاول الخديوي ان يحتج عليهم ، فكان ان اتسعت شقة الخلاف بينه وبينهم ، وتفاقم الامر على أثر انضمام تركيا في الحرب العالمية الى اعداء انكلترا . فدبر الانكليز مكيدتهم وخلعوه عن عرش الخديوية وحولوا مصر الى سلطنة ولوها المغفور له حسين باشا نجل كامل باشا من سلالة محمد علي الكبير

وبقي عباس حلمي باشا في استانبول.وجاء اليها فريد بك رئيس الحزب الوطني المصري وكان من المقاومين لسياسة الانكليز في مصر

حديث فريد بك

ونشرت جريدة « تصفير افكار » في عددها رقم ١٢٧٧ بتاريخ ٢ كانون الاول سنة ١٩١٤ حديثاً لفريد بك،رئيس الحزب الوطني المصري ، ادلى به الى احد المنشئين فيها ، وفي الحديث ما يدل قراء « الاسرار » على روح ذلك الوقت. وهذه ترجمة الحديث عن الجريدة التركية ، قال فريد بك :

ــ انا عالم بان الجيش العثماني المظفر ، اي جيشنا ، على حدود السويس ، وان يوم الحساب مع الانكليز قد اقترب ، ومع انني لست عسكرياً لابدي رأيي في هذه الحملة فان ما اعتقده بحماسة جيشنا وتضحيته يبشرني بقرب الفوز

« اما القوات الانكليزية الموجودة في مصر فأعلم انها تبلغ ٥٠ الفاً من الجنود الانكليز الاقحاح

المصريون لا يحاربون الخلافة !

« وليس في امكان الانكليز ان يعتمدوا على المصريين في الشؤون العسكرية بعد ان اعلن إمام المسلمين الاكبر الجهاد ضد الحلفاء . فالقوات العسكرية التي جمعت من مصر كانت قوات احتياطية لمساعدة الشرطة في المحافظة على النظام

وتابع فريد بك حديثه فاجاب عن سؤال وجهه اليه الصحفي بشأن الثورة المصرية المنتظرة من قبل العثمانيين ، قال :

ــ كل من يعرف مصر ولو قليلا يمكنه ان يتحقق من كره المصريين للانكليز . وانا لا اشك في ان زحف القوات العثمانية على مصر يولد في قلوب المصريين الرغبة في الثورة والسعي لمعاضدة القوات العثمانية ومساعدتها على دخول مصر . وعند ذاك يرى الانكليز انفسهم بين نارين ، نار القوات العثمانية المظفرة ونار الشعب المصري الثائر الحاقد عليهم ! ..»

واشار فريد بك الى موقف وجهاء مصر والسودان والى اخلاصهم للدولة العثمانية والى امله بقرب العودة الى مصر عندما تدخلها القوات العثمانية المظفرة

***

وهذا الحديث الذي نشر في استانبول قبل حملة قناة السويس الاولى بشهرين يدلنا على سهولة انخداع القابضين على مقدرات الامور في السلطنة العثمانية بمثل هذه الدعوى .

والحق يقال ان الخديوي عباس حلمي باشا وفريد بك رئيس الحزب الوطني المصري وسواهما من رجال مصر الذين ارتادوا العاصمة العثمانية يوم اعلان الحرب العامة او كانوا فيها خدعوا انور باشا وجماعته وحملوهم على الاعتقاد ان في وسعهم احتلال مصر وانهم يجدون فيها من المصريين كل مساعدة ، فما ان يبدو الجيش العثماني حتى يهب المصريون للوقوف واياه صفاً واحداً

موقف المصريين

ولا ندحة عن القول ان في مصر الكثيرين ممن يحبون العثمانيين، الا ان السواد الاعظم كان يسعى لتحرير مصر من كل سيطرة اجنبية وتوطيد استقلال هذه البلاد

ثم ان الميول مختلفة ، فكما يجد فريد بك من ينصره في رأيه ومذهبه يجد الانكليز من يؤيدهم في ما يرمون اليه

في الشرق مكيدتان !...

مكيدة لاغتيال انور ومكيدة لاغتيال السلطان حسين كامل المصري

السلطان محمد رشاد يهدر دم السلطان حسين

يد انور في القاهرة

دبرت في بدء عام ١٩١٥ مكيدة لاغتيال السلطان حسين كامل بعدما تولى عرش السلطنة في مصر

والمعروف حتى الان ان الاتحاديين هم الذين دبروا هذه المكيدة.



فريد بك رئيس الحزب الوطني المصري

وهو ممن مثلوا دوراً مهما في الحرب العالمية . وحاول العثمانيون الاستفادة منه وتسخيره لخدمة مصالحهم والنيل به من الحلفاء ، الا ان الخيبة كانت نصيبهم فيه . والرسم نشرته سنة ١٩١٤ جريدة (تصفير افكار) وهي تعلن حديث الرجل المثبت في هذا العدد من «الاسرار»

غير ان ما لدينا من وثائق يثبت ان الاتحاديين ما كانوا يفكرون في اغتيال سلطان مصر، ولكن الانكليز وقد اتفقوا مع امير الا لاي صادق بك على اغتيال انور باشا وسعيد حليم باشا حملوا انور على تدبير مكيدة اغتيال السلطان بنفسه .

ولوقوف قراء «الاسرار» على الحقيقه نوضحها لهم فيما يلي :

الجاسوسية العثمانية

لم يهتم انور باشا بانشاء دار الجاسوسية عبثاً ، فهو لما اوفد شقيقه نوري باشا الى طرابلس الغرب لتهديد مصر من حدودها الغربية ، واوفد احمد جمال باشا الى سوريا ليهدد مصر من قناة السويس ، اعتمد في انجاح مهمتهما على دور الاستخبارات التي انشأها لمقاومة دعوة الاجانب ونشر الدعوة العثمانية في بلاد الحلفاء والانحاء الممتدة سيطرتهم عليها

وقابل السلطان محمد رشاد — والسلطان كان مطيعاً لانور — وحمله على النيل من سيد مصر الجديد باعلان « ارادة شاهانية » يهدر بها دم السلطان حسين كامل . فوافق السلطان محمد رشاد على مطلب انور واعلن ارادة جاء فيها :

« ان صاحب الجلالة السلطان محمد خان الخامس بن السلطان عبد المجيد خان .

« بناء على الدستور ...

« وبناء ...

« وبالنظر الى قرار مجلس وزرائنا الموقر

« ولما كان صاحب الدولة عباس حلمي باشا لا يزال منصوباً على عرش الخديوية المصرية ؛

« ولما كان حسين باشا ابن كامل باشا قد اعلن نفسه خديوياً على مصر باسم السلطان حسين ، ولما كان قد وافق بعمله هذا على شمول الحماية الاجنبية بقعة من السلطنة العثمانية ، ولما كان ايد خروجه على

الدولة بتحريضه ابناء مصر على مقاومة الدولة العثمانيه ، ولما كان خالف بذلك ارادة صاحب الجلالة الخليفة السلطان محمد رشاد ، ولما كان عمله هذا يعتبر خروجاً على الدولة ومقام الخلافة ، نجيز اسقاطه من الحقوق المدنية كافة و نرى فيه متمرداً نهدر دمه »

واذيع على اثر ذلك منشور هذا نصه :

« يا ابناء مصر الكرام



المتهم باغتيال انور باشا

اخذت الشعبة السياسية هذا الرسم لدى اعتقال حسين احمد رضا كما جرت العادة في اخذ رسوم المجرمين . والرسم المنشور على غلاف هذه المجلة اخذ لحسين نفسه لما اعدم في ١٨ نيسان سنة ١٩١٥ في استانبول

حسين رضا

« اعلن الجهاد المقدس ، وعلى كل مسلم عاقل بالغ ان يخوض غمار الجهاد ذوداً عن دينه ، حفظاً لمركز العالم الاسلامي ، فهلا علمتم ذلك ؟

« بعضهم يحاول ابعادكم عن تلبية داعي الجهاد ، وفي مقدمة هؤلاء من نصبه الانكليز رغماً منكم سلطاناً عليكم

« ان الدين والواجب يحتمان عليكم خوض غمار هذه الحرب المقدسه بجانب دولة الخلافة .

« يا ابناء مصر الكرام !

« فرض الله عليكم الجهاد فعليكم ان تلبوا نداء الخليفة .

« اكثر الدول الاوربية ، وفي مقدمتها انكلترا وفرنسا ، قامت تحارب الدولة العثمانية وخليفة المسلمين مما يدعونا الى العمل متحدين

« يا ابناء مصر !

« الاعداء قاموا لاستعماركم فقررت الحكومة انقاذكم من ذل الاستعمار والعبودية

« عليكم واجبات يفرضها دينكم ووطنيتكم وهي انقاذ بلادكم من العدو المغتصب وتلبية نداء الخليفة الى الجهاد العام

« عمال انكلترا الذين تولوا الاحكام في بلادكم بدأوا يخدعونكم ويغشونكم لتحقيق مطامعهم ، فاستيقظوا وهبوا الى العمل يداً واحدة لدفع الاجنبي عن بلادكم وحفظ حقوقكم والله معكم ! »

تأثير هذه النشرات

ووزعت الالوف من هذه النشرات في انحاء مصر . وساد الاعتقاد ان بيان الخليفة وهذا المنشور كافيان لقيام المصريين على الانكليز والسلطان حسين ، خصوصاً والانباء التي اخذت ترد من مصر على الصحف التركية تدل على ان المصريين قاموا بمظاهرات يريدون بها اثارة الفتن في القطر المصري ، الا ان المظاهرات لم تقع بوجه من الوجوه

مكيدة لاغتيال انور

وفي الاسبوع التالي لاذاعة هذا المنشور ورد من شعبة مقاومة الجاسوسية في مصر ان الانكليز بالاتفاق مع السلطان حسين نظموا في استانبول مكيدة لاغتيال انور باشا وسعيد حليم باشا الصدر الاعظم وهو من اقارب السلطان حسين المصري. فاهتمت الشعبة السياسية في استانبول بهذا النبأ وقامت بتحريات دقيقة تمكنت بها من اعتقال حسين احمد رضا وهو يحاول الاقتراب من انور باشا عند خروجه من وزارة الحرب في ١٢ اذار سنة ١٩١٥

ولقي رجال الامن في وسط حسين مسدساً كما اهتدوا في غرفته في محلة « بشكطاش » الى رسالة تؤيد صحة هذه الرواية

رفاق حسين رضا

وهذه الرسالة من امير الالاي صادق بك المقيم في القاهرة ورد فيها : « عليك القيام بالمهمة التي انتدبت لها . وبامكانك ان تكون على ثقة وطيدة بان هذا التدبير اذا تم ضمن حياتك وحياة السلطنة العثمانية باجمعها . ذلك اننا على يقين بان الرجل يناصر وحده الالمان ، فاذا قضينا عليه استطعنا بالاعتماد على اخواننا في العاصمة انقاذ الدولة من الهاوية التي تريد مطامع هذا الرجل ان تزجها فيها »

والرسالة شديدة الصراحة تدل على القصد من المكيدة

وحسين نفسه لم ينكر هذه التهمة اذ قال :

— اتفق امير الالاي صادق بك مع الامير صباح الدين ، المشهور باتصاله بالانكليز ، على تدبير هذه المكيدة . واوفدا الي سليم فريد ، احد رجال الامير الاوفياء ، لاغتيال انور باشا وهما يعرفان اخلاصي لصادق بك . اما الان وقد فضح امري فلا يسعني الا ابداء اسفي على ما آل اليه الامر

« ولكن ثقوا بان هذه المحاولة اذا اخفقت الان فلن تخفق في المستقبل ، فان رئيسي صادق بك سيعرف من يختار للنجاح في العمل اكثر مني ! »

الامير صباح الدين

وقراء « الاسرار » يعرفون من هو امير الالاي صادق بك

وقد طالعوا نبذة عنه في النشرة الاولى من هذه المجلة. فالرجل من اكبر مؤسسي حزب الاتحاد والترقي ، الا انه انقلب عليه بعد ما رأى من استئثار انور وجماعته بالامر ، فقاومهم وانشأ حزب الحرية والائتلاف المعارض

اما الامير صباح الدين فهو من اصهرة البيت العثماني المالك . وقد اشتهر بعدائه للاتحاديين وعطفه على العرب ، وقام يطالب مرارا باعطاء العرب حقوقهم في لامركزية واسعة النطاق . ومثل في سياسة الدولة العثمانية في الحرب العالمية ادواراً خطيرة سنتبسط في ايضاحها

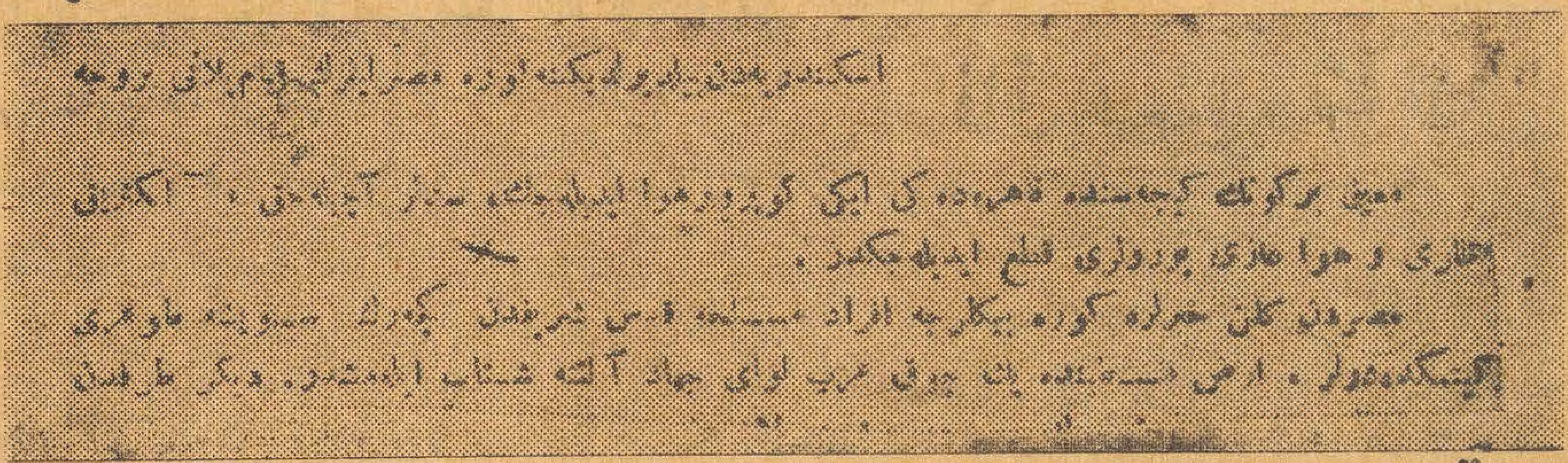
مصير حسين وسليم

وبذلت الضابطة السياسية مجهوداً عظيما في سبيل اعتقال سليم فريد ، رسول الامير صباح الدين ، الا ان محاولتها ذهبت سدى ، فالرجل تمكن من الاختفاء في استانبول . ودلنا ما استقيناه من اخبار مد الحرب العالمية على ان الرجل ظل في استانبول يتجسس للامير

فاوعز الى عبد الحميد صادق بك رئيس مصلحة الجاسوسية العثمانية في مصر كي يتدبر الامر

والاخبار التي اذيعت بعد الحرب العالمية ، وتصريحات الذين اشتركوا في المكيدة، لا تشير الى ان الاتراك هم الذين دبروها. الا ان ما اطلعنا عليه من المصادر الموثوقة يدل بصراحة على ان انور باشا هو مدبر المكيدة ، يؤيد ذلك ما نشرته قبل محاولة الاغتيال جريدة « تصفير افكار » بتاريخ ١٥ اذار سنة ١٩١٥ في عددها رقم ١٢٧٩، تحت عنوان « الثورة في مصر والانكليز » ، قالت :

« لا شك ان الشعب المصري غير راض عن سياسة البلاد الحاضرة . فهو يستعد لاحداث ثورة تتقد في آن واحد في مصر جمعاء ، وذلك بان يعمد احد الفدائيين الى قتل من سمى نفسه سلطاناً على مصر ، وعند ذلك ينادي الاهلون بالثورة وينسفون الجسرين القائمين في القاهرة ثم يخربون السدود النهرية ويقطعون مجرى الكهرباء ... »



ماذا قالت « تصفير افكار » ؟ ...

صورة الخبر الذي نشرته جريدة « تصفير افكار » بتاريخ ١٥ اذار سنة ١٩١٥ مأخوذاً بالزنكوغراف . وقد اثبتناه على صفحات « الاسرار » لتظهر للقراء صحة ما نحدثهم عنه في هذه السلسلة التاريخية

وللانكليز طول ايام الحرب الكبرى

اما رفيقه حسين احمد رضا فقد سيق الى ديوان الحرب العرفي في استانبول فحوكم في ثلاث جلسات سرية وحكم عليه بالموت، ونفذ فيه الحكم في ١٨ نيسان ١٩١٥ وكان ضحية انور باشا الاولى في خلال الحرب العالمية

انور يكيد للسلطان حسين

بعد وقوف انور باشا على المكيدة المدبرة لاغتياله واغتيال الصدر الاعظم سعيد حليم باشا رأى من الضرورة مقابلة العمل بالمثل،

وهذا الخبر الذي نشر والمراقبة على الصحف قائمة يدلنا على انور باشا اراد ذلك للتهديد والوعيد . وقد اثبتنا في هذه الصفحة النص بحروفه

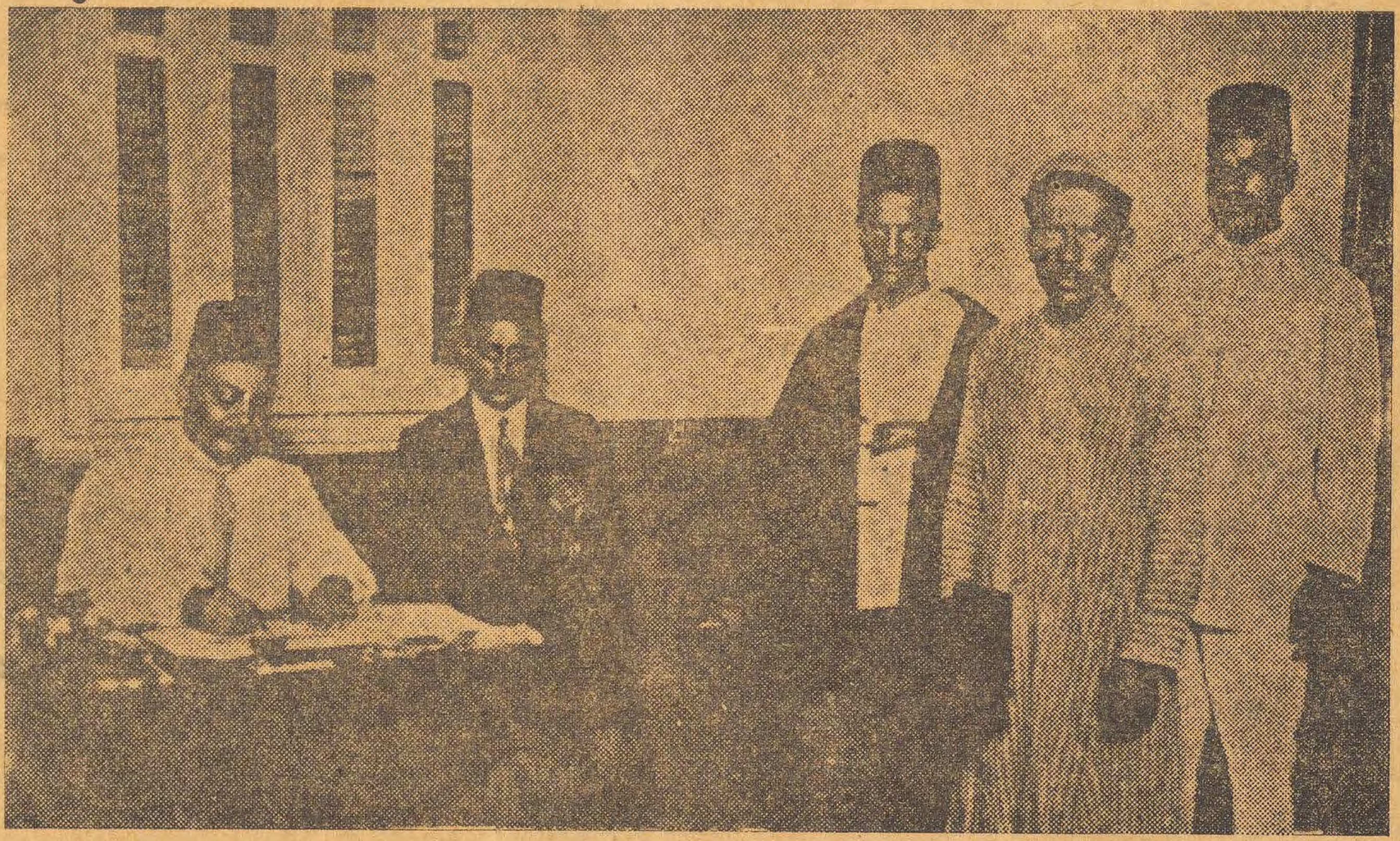
وهذه الوثيقة التاريخية التي لم تنشر حتى الآن بالعربية تثبت بجلاء ان انور باشا وانصاره هم اصحاب تلك المحاولة. فرموا الى اغتيال حسين كامل سلطان مصر انتقاماً منه

اما كيف اتفق رئيس مصلحة الجاسوسية السرية العثمانية في القاهرة مع القاتل على تدبير المكيدة فذلك مما رواه احد رؤساء دار « التشكيلات المخصوصة » في مذكراته ، قال :

كيف دبرت المكيدة

« محمد عبد القادر خليل شاب في الخامسة والعشرين من عمره من اهل المنصورة، شديد التحمس للاسلام ، غيور على مقام الخلافة ، ساءه ان يرى السلطان حسين بجانب الانكليز يسايرهم في كل ما يطلبون منه ويؤيد مصالحهم فاضمر له حقداً ونال منه بعبارات مهينة جهلاً في اطلاق القذيفة وآثر عليها المسدس ، فجاءه رئيس دار الجاسوسية بمسدس يساعده على ارتكاب الجريمة واطلق له حريته في اختيار الفرصة السانحة ، الا ان محمد عبد القادر اخفق وكان اخفاقه داعياً الى الحكم عليه بالموت »

هذا ما ورد في مذكرات احد رؤساء دار « التشكيلات المخصوصة » عن محاولة الاغتيال . اما ما علمناه فهو التالي :



محمد عبد القادر خليل الذي حاول اغتيال حسين كامل سلطان مصر

لما اعتقل محمد عبد القادر خليل لبس المئزر البلدي واقتيد الى قسم الشرطة للتحقيق في امره . وهو يبدو في هذا الرسم واقفاً بين اثنين من الجنود المصريين امام مأمور القسم الذي انصرف الى استنطاقه قبل ان تتسلمه السلطة العسكرية

« وفي احدى الحفلات المقامة للسلطان حسين كامل سمعه احد جواسيس العثمانيين فتبعه حتى عرف محل سكناه وابلغ ذلك رئيسه ، فتمكن الرئيس من الاتصال بالشاب واستمالته اليه

« ووردت الاوامر من استانبول بضرورة مقاومة السلطان واغتياله ، فوقع اختيار رئيس دار الجاسوسية في مصر على محمد عبد القادر خليل . فدعاه اليه واستحلفه بالقرآن الكريم وبكل ما هو مقدس لديه ان لا يشير بحرف الى صلته بدار الجاسوسية العثمانية اذا اخفقت محاولته وقبض عليه

« ورمت خطة رئيس دار الجاسوسية في مصر الى اطلاق قذيفة مكانيكية على السلطان حسين كامل ، ولكن محمد عبد القادر اظهر

كيف ارتكبت الجريمة

على اثر معركة قناة السويس الاولى وخيبة العثمانيين في احتلال مصر قامت في البلاد المصرية كتلتان ، الاولى تؤيد الانكليز ، والثانية تعطف على العثمانيين . واكثر افراد هذه الكتلة من رجال الدين والعامة

« ورأى السلطان ، والموقف يدعوه الى كسب عطف الرأي العام ، ان يتقرب من الاهلين ، فاخذ يرتاد المؤسسات ، وفي ٢٥ اذار ١٩١٥ زار مدرسة الزراعة العليا ، وفي ٢٦ منه زار ملجأ الايتام التابع لوزارة الاوقاف ، وفي ٣٠ زار اصلاحية الاحداث في الجيزة ، وقام

في رحلات اختلط فيها بالشعب بصورة مستديمة

محاولة الاغتيال

وظهر الجمعة في ٩ نيسان اقبل السلطان حسين الى المسجد لاداء فريضة الصلاة . فهاجمه محمد عبد القادر الخليل واطلق عليه عدة عيارات نارية اخطأته . فهاجم اركان الحرس السلطاني المعتدي واعتقلوه وقادوه الى مقر القيادة الانكليزية، فقررت احالته الى المحكمة العسكرية، والبلاد المصرية كانت تابعة في ذلك الوقت للسلطة العسكرية

ولم يستغرق التحقيق الاولي طويلا والرجل اعترف بانه حاول قتل السلطان حسين كامل، فاحيل الى المحكمة العسكرية التي عينت يوم الاثنين في ١٩ نيسان موعداً لمحاكمته

وفي اليوم نفسه التأمت المحكمة العسكرية في قاعة محكمة الاستئناف الاهلية في القاهرة بحضور كبار الموظفين والقضاة والمحامين ومكاتبي الصحف المصرية والاجنبية . وظلت المحاكمة مستمرة حتى مساء الاربعاء في ٢١ منه، وقضت المحكمة بادانة الرجل والحكم عليه بالموت . ورفعت اوراق القضية الى القائد «مكسويل» قائد الجيوش البريطانية في مصر، فاقر حكم الموت

تنفيذ الحكم

ولما كان القانون العسكري يوجب تنفيذ حكم الموت بعد ١٤ ساعة، وكان اليوم الثاني من ايام الجمعه التي لا يجوز فيها اعدام مسلم، فقد نفذ حكم الموت بمحمد خليل في الساعة الثامنة من صباح السبت في ٢٤ نيسان في الغرفة السوداء بسجن الاستئناف الاهلي في القاهرة . وفي اليوم نفسه صدر بلاغ رسمي هذا نصه :

« نفذ حكم الاعدام شنقاً في محمد خليل المجرم في الغرفة السوداء بسجن الاستئناف الاهلي حول الساعة الثامنة صباحاً »

ويرى القراء في هذا البلاغ المقتضب ان الحكومة اكتفت بان تقول « المجرم » دون ان تشير الى جرمه وهو محاولة اغتيال السلطان حسين كامل لرغبتها في عدم اثارة هذه القضية

تأثير الحادث

وكان من امر هاتين المكيدتين الاخفاق . ففي استانبول اخفقت المكيدة المدبرة لاغتيال انور باشا واعدم حسين احمد رضا الذي حاول قتل انور، كما اخفقت مكيدة مصر واعدم محمد عبد القادر الذي حاول قتل السلطان

اما الشعبان المصري والعثماني فلم يهتما بالامر اكثر مما اهتم به القضاة. ونسي الرأي العام ما جرى بعد اعدام بطلي المكيدتين بمدة قليلة وزاد في نسيان الناس الفشل الذي اصاب الحملة العثمانية على قناة السويس في محاولتها امتلاك البلاد المصرية

مكيدة اخرى

ولكن هذا الفشل الذي منيت به دار الاستخبارات العثمانية بقتل السلطان في القاهرة اهاب بعبد الحميد صادق بك لتدبير مكيدة اخرى لاغتيال السلطان في الاسكندرية، وذلك في ٩ تموز سنة ١٩١٥، اي بعد هذه بثلاثة اشهر . وكانت العاقبة الفشل، مع ان المكيدة الثانية محكمة اكثر من الاولى

واذاعت الحكومة المصرية عن المكيدة الجديدة البلاغ التالي:

« استأجر الجاني في اواخر الشهر الماضي شقة في المنزل رقم ٩٩ في شارع رأس التين بالاسكندرية وكتب صك الايجار وامضاه باسم محمود حلمي، وقال انه من كفر الزيات، وقد استأجر الشقة باربعة جنيهات في الشهر ودفع ايجار شهرين سلفاً، وادعى ان عيلته ستأتي لتمضية الصيف معه فتجيء بالاثاث، ولم يقطن المنزل بل كان يتردد اليه .

« وفي ظهر يوم الجمعة في ٩ تموز سنة ١٩١٥ بينما كان الموكب السلطاني متوجهاً الى الجامع لاداء فريضة الجمعة انتظر الجاني مرور مركبة عظمة السلطان . فلما اقترب الموكب من ذلك البيت ألقيت عليها قذيفة من الطابق الثاني بعد ان اشعل الفتيل المتصل بداخل القذيفة. ولحسن الحظ لم تنفجر القذيفة بل اصابت عريش المركبة فاجفل الجوادان وسقطت الى الارض. اما عظمة السلطان فلم يشعر بالحادث ولا ابدى له اهتماماً . فظل في المركبة هادئاً حتى جيء بمركبة كان يتصدرها الوزراء فاستقلها وتابع الموكب سيره

« اما الجاني فلما ارتكب فعلته صعد الى سطح المنزل واجتازه الى سطح منزل آخر مجاور له ومنه انحدر الى الطريق، فلقي على الدرج بعض النسوة، فحياهن بهدوء وسكينة فظننه احد اقارب صاحبة البيت

« ولدى تحري شقة الجاني وجد فيها بقية سيكارات مشتعلة وقذيفتان اخريان . ويواصل البوليس السياسي تحقيقه لمعرفة المجرم ورفاقه وانزال العقوبات الشديدة بهم »

***

هذا ما جاء في البلاغ الرسمي المنشور يومذاك . اما المجرم وهو من مصلحة الاستخبارات العثمانية فقد تمكن من النجاة وظل مجهولا

محاكمة السلطان حسين كامل

وانور باشا ، وكان يثق ثقة عمياء برئيس دار الجاسوسية العثمانية في مصر، ساءه هذا الفشل في عدم نجاح المؤامرة على السلطان فقرر محاكمة السلطان حسين غيابياً . ووقع اختياره على احمد جمال باشا لتنفيذ هذا القرار وحجته في ذلك ان احمد جمال باشا ، وهو القائد المكلف امر الحملة المصرية ، من حقه محاكمة السلطان لانه حرض القوات المصرية على القوات العثمانية. ووافق احمد جمال على ذلك وطلب الى هيئة ديوان الحرب العرفي في عاليه محاكمة حسين كامل غيابياً.



احمد جمال باشا

وقد وافق على ادانة السلطان حسين كامل واحاله غيابياً الى الديوان الحربي العرفي في عاليه

واستغرق التحقيق في القضية وقتاً طويلا انتهى في شهر شباط ١٩١٦ اذ اعدت « هيئة تحقيق ديوان حرب عرفي عاليه »، المؤلفة برئاسة علي كمال بك ، تقريراً يقع في ٨٦ صفحة رفعته الى النيابة العامة وهذه رفعته الى رئاسة المجلس

محتويات التقرير

وعالج هذا التقرير بصورة مفصلة تاريخ مصر وعلاقة الخديوية المصرية بالدولة العثمانية وما كان من موقف السلطان حسين . ثم قال ان كل هذه الامور وان كانت تؤلف جزءاً من الخيانة التي يجب ان يتهم بها السلطان فقد ارتكب حسين كامل جرماً افظع بمساعدته القوات المحتلة على مقاومة القوات العثمانية الزاحفة الى مصر ومنعه اياها من التقدم ، فكان ان قضى بالهلاك على عدد لا يستهان به من الجنود العثمانيين

الحكم باعدام حسين كامل

وفي اليوم السادس والعشرين من شهر اذار سنة ١٩١٦ عقد الديوان الحربي العرفي جلسته ونادى الحاجب ثلاث مرات على حسين كامل باشا وسائر المتهمين كما تقضي به انظمة المحاكم. ولما اعاد الحاجب في المرة الثالثة معلناً عدم وجود الاشخاص المطلوبين طلب النائب العام اعطاءهم مهلة عشرة ايام لتلبية الطلب حتى اذا رفضوا القدوم جرت محاكمتهم غيابياً ، وايدت المحكمة هذا الطلب واجلت الجلسة الى اليوم السادس من شهر نيسان

وفي اليوم التالي لهذه المحاكمة التاريخية اصدر الديوان الحربي العرفي بعاليه بلاغاً هذا نصه الحرفي :

بلاغ رسمي

صادر من ديوان حرب عرفي بيروت وجبل لبنان

« نعلن انه قد اعطيت مهلة عشرة ايام من جانب الرياسة الى حسين كامل باشا ابن اسماعيل باشا الخديوي الاسبق الذي لم يمكن القاء القبض عليه والمتهم بالخيانة لكونه ابدل في منطقة مصر وهي من اجزاء الممالك العثمانية اداراتها الملكية والسياسية وشكلها الحالي واعلن خديويته فيها وبعد ذلك اعلن نفسه سلطاناً على مصر

« وبناء على ظهور بوادر الحرب بين حكومة انكلترا والدولة العلية العثمانية اشرك مساعيه ضد الدولة العثمانية مع حكومة انكلترا المذكورة التي استولت على القطعة المذكورة فعلاً

« بناء عليه واذا لم يراجع الديوان الحربي العرفي ببيروت وجبل لبنان المشكل في عاليه بطرف المدة المذكورة يعتبر بانه لم يطع القانون توفيقاً لمنطوق المادة ٣٧١ من اصول المحاكمات الجزائية فيصير اسقاطه من الحقوق المدنية .وفي اثناء محاكمته الغيابية تحجز امواله ولا يبقى له حق باقامة دعوى ما وكل انسان مجبور بان يخبر عن محل وجوده »

عاليه في ٢٧ اذار سنة ١٩١٦

***

ومددت رئاسة الديوان الحربي العرفي بعاليه هذه المهلة الممنوحة لسلطان مصر مع معرفتها ان هذه المهلة من السخافات .وفي اليوم الاخير من شهر نيسان اجتمع الديوان وحاكم السلطان غيابياً وحكم عليه بالاعدام

تعميم سخيف

وفي اليوم التالي لصدور هذا القرار صدر تعميم هذا نصه :
« الى قواد الدرك ومديري الشرطة



السلطان حسين كامل

المغفور له السلطان حسين كامل ، سلطان مصر ، لما كان في زيارة دار العلوم العليا في القاهرة ، وظهر وراءه بعض اركان القصر السلطاني

« بناء على الحكم الصادر بتاريخ ٢٩ نيسان سنة ١٩١٦ من مقام الديوان الحربي العرفي ببيروت وجبل لبنان المتشكل في عاليه والقاضي باعدام المرقوم (كذا) حسين كامل باشا ابن الخديوي اسماعيل باشا يقتضي البحث والتحري عن المجرم المرقوم « كذا » وارساله مخفوراً الى جانب رئاسة الديوان الحربي المشار اليه ليلاقي جزاء الخيانة التي ارتكبها

« ونبلغكم في الوقت نفسه ان صاحب الدولة قائد الجيش الرابع قد وضع مكافأة قدرها خمسون ليرة لمن يأتيه بالمرقوم حسين كامل سواء أكان حياً ام ميتاً علاوة على التلطفات الاخرى التي سينالها من جانب القيادة المذكورة

« وللبيان صار اعلان ذلك — المفتش العام لقوات الدرك
امير الالاي : سامي

***

ولكن هذا التعميم — كما كان منتظراً منه — ذهب صرخة في واد ...

تصديق حكم الاعدام

واحمد جمال باشا الذي جاء الى البلاد السورية مشترطاً على انور باشا الحصول على السلطة التامة في تنفيذ احكام الموت، والذي استعمل هذه السلطة في عدد كبير من ابناء البلاد العربية لم يشأ ان يصدق حكم الموت على سلطان مصر مع معرفته ان هذا القرار وان صدق لن ينفذ . فرفع الحكم الى استانبول لتصديقه من مجلس الوزراء ومن السلطان محمد رشاد ، فاذاع محمد رشاد ارادة سنية هذا نصها :

« ان حسين كامل بن اسماعيل باشا الخديوي الاسبق المتهم باخراج احدى قطعات البلاد المحروسة السلطانية من ادارة الدولة العلية العثمانية وتسليمها الى حماية احدى الحكومات الاجنبية وتجاسره على الخروج على السلطان باعلانه اولا خديويته على مصر ثم سلطنته عليها وعلى ان تقرأ الخطبة باسمه

« لما كان عمله هذا يعد خروجاً على طاعة الدولة والخليفة

« رسمنا بعد الاطلاع على رأي مجلس وزرائنا بما يلي :

« المادة الاولى — صدر القرار المعطى من ديوان حرب عرفي بيروت — جبل لبنان المتشكل في عالية والقاضي باعدام المدعو حسين كامل بن اسماعيل باشا الخديوي السابق وفقاً للفقرة الاولى من الذيل الرابع للمادة الرابعة والخمسين من قانون الجزاء الملكي على ان تجري محاكمته الوجاهية حين القبض عليه وتحجز امواله واملاكه وتدار بمعرفة الحكومة وتنزع رتبه وتسترد اوسمته وفقاً للمادة التاسعة والعشرين والمادة الحادية والثلاثين من القانون المذكور

« المادة الثانية — ناظر الحربية مأمور بانفاذ ارادتنا هذه

« في ١٨ شوال سنة ١٣٣٤ و ٥ آب ١٣٣٢

محمد رشاد

الصدر الاعظم — محمد سعيد

وكيل القائد العام وناظر الحربية — انور

وعند هذا الحد سدل الستار على المؤمرات التي دبرها انور باشا ورفاقه ضد السلطان حسين، وكانت النتيجة ان فشل المذكورون في اجراء محاولات جديدة

هل من مكيدة لاغتيال احمد جمال باشا ؟...

مكيدتان جديدتان احداهما في بيروت والاخرى في سلانيك

الاتحاديون يميلون الى الفتك بالامير صباح الدين

ضرب مدينة الاسكندرونة

وقعت بعد ذلك مؤامرة ثالثة في بيروت نفسها قليل هم القراء الذين يعلمون اسرارها. فقد اعتقل في اليوم الرابع من شهر اذار ١٩١٥ « استبان ماركوبولو » وهو شاب في العقد الثالث من عمره ، من اهل استانبول ، اتهم ببرقية من دار الاستخبارات العثمانية انه اقبل من استانبول الى بيروت لاغتيال احمد جمال باشا . فاعتقل في فندق « كاسمان » في محلة باب ادريس (فندق رويال اليوم) وسيق الى دار الشرطة . فانصرف اسماعيل حقي بك رئيس البوليس العدلي الى سماع افادته .

فاتضح ان « استبان » كان فعلاً في سلانيك ، الا انه لم يفد لاغتيال احمد جمال باشا بل لدرس الحالة في البلاد

وجاء في افادته ما خلاصته :

سلانيك مركز جاسوسية

لما اعلنت الحرب العالمية اتخذ الحلفاء من دور اعتمادهم في سلانيك مقراً للجاسوسية لدرس الحالة في تركيا ودول البلقان ، ثم ازدادوا اهتماماً بالامر لما علموا ان الاتراك ارسلوا اول شحنة من السلاح من « بيرايا » ، بالاعتماد على الاخوين سعد الدين باشا شاتيلا ومحيي الدين باشا شاتيلا ، الى طرابلس الغرب . فاقاموا رقابة شديدة واستطاعوا بهمة جواسيسهم المنتشرين هناك مكافحة هذه الحركة والاطلاع على اسرار العثمانيين، وبذلك نجحوا في اغراق ثلاث سفن تحمل اعتدة حربية وذخائر ودراهم مرسلة الى طرابلس الغرب . (راجع العددين ٢ و٣ من الاسرار) ، الا ان الحركات التي قام بها الاخوان شاتيلا وعودة جعفر العسكري من طرابلس الغرب اهابت بهم الى الامعان في المراقبة ، فرأوا ان يؤسسوا داراً للجاسوسية في بيروت وانتدبوا لها « استبان ماركوبولو »

من هو استبان ؟

و « استبان » من الشبان المشهورين بالذكاء والمقدرة. وكان على اتصال بالمشتغلين بتجارة السلاح الحربي ، فاعتمده الانكليز لهذه المهمة ، وشعر جواسيس الاتراك بتردده الى دار الاعتماد الانكليزية فوقفوا له بالمرصاد، حتى اذا غادر سلانيك قاصداً بيروت ظنوه مقبلا لاغتيال احمد جمال باشا فابلغوا رئيسهم في استانبول الامر ورئيسهم اطلع دار الامن في بيروت على النبأ فاعتقلت « استبان » كما سبق لنا ايضاحه

اعدام استبان في دمشق

و « استبان » انكر انه مقبل لقتل احمد جمال باشا واعلن انه من تجار اليونان الذين اعتادوا زيارة سوريا لمهام تجارية . وكاد ينجح في ادعائه لولا وثيقة كانت في جيبه تبين منها انه ملحق بدار الاستخبارات الانكليزية . ولم يسعه عند ذاك الا الاعتراف بانه موفد لمراقبة من تنتدبهم القيادة للسفر الى طرابلس الغرب او سواها من البلاد العربية

وتجاه هذا الاعتراف سيق الرجل الى ديوان الحرب العرفي. فجرت محاكمته . وفي اليوم السابع من شهر حزيران سنة ١٩١٥ اعدم شنقاً في دمشق

اغتيال الامير صباح الدين

وما دمنا نتحدث عن المؤامرات وحوادث الاعدام التي دبرها الاتحاديون في البلاد فلا بأس ان ننقل الى القراء حادثاً آخر يدلهم على ان الاتحاديين انصرفوا الى تدبير المؤامرات بقدر ما انصرفوا الى السياسة والحرب . فالامير صباح الدين من اكبر خصومهم وقد جاهد بكل قواه في مقاومتهم. فهو الذي شجع حركات العرب ودفعهم الى المطالبة بحقوقهم المركزية ، واليه يرجع الفضل الاكبر في ادارة دفة المعارضة ضد الاتحاديين



الامير صباح الدين عدو الاتحاديين

يعد الامير صباح الدين ، صهر البيت المالك العثماني، من اكبر اعداء الاتحاديين ، وقد ظل يقاومهم طول الحرب العالمية ، مما سيطالعه القراء في « الاسرار » ، وهذا الرسم اخذ له سنة ١٩١٤

ولما وقعت الحرب العالمية غادر الامير العاصمة الى بلدة «فريلو» اليونانية الواقعة بين « بيرايا » و « اثينا » واستأجر فيها قصراً كبيراً يعد من افخم قصور اليونان اتخذه مقراً له

دسيسة على الاتحاديين

والامير صباح الدين حوّل القصر الى دار واسعة النطاق للجاسوسية وللمتآمرين ، فمال من جهة الى مفاوضة اعداء حزب الاتحاد والترقي في داخل البلاد وخارجها لاحداث ثورة لقلب نظام الحكم الحاضر في تركيا

وقام من جهة ثانية بمفاوضة الحلفاء لعقد صلح منفرد معهم . وكانت اسس خطته كما يلي :

اولا — يتعهد الامير صباح الدين بعقد صلح منفرد مع الحلفاء على اساس الاعتراف بسيادة السلطنة العثمانية في حدودها الحالية كما كانت عليه في آخر سنة ١٩١٤

ثانياً — يتعهد الامير صباح الدين باحداث ثورة في السلطنة العثمانية لقلب نظام الحكم الحاضر في البلاد

ويتعهد الحلفاء في مقابل ذلك بمساعدته مادياً وعسكرياً في سبيل تحقيق هدفه ، الا ان قوات الحلفاء العسكرية لا تعمد الى احتلال المراكز التي تراها ضرورية إلا بعد موافقة الامير

ثالثاً — في ما يختص بالبلاد العربية يتعهد الامير صباح الدين باعطاء هذه البلاد استقلالا لامركزياً واسع النطاق

كما يتعهد بان يترك للحلفاء تعيين المستشارين والاختصاصين الذين ترى البلاد انها بحاجة اليهم بشرط ان لا يؤخذ هؤلاء الا من رعايا الحلفاء

رابعاً — يتعهد الامير صباح الدين بالاعتراف بالسيادة المطلقة التي تتمتع بها متصرفية جبل لبنان مع الاحتفاظ لفرنسا بحق السيادة البحرية على هذه السواحل

خامساً — يتعهد الامير صباح الدين بان يترك لسفن الحلفاء وحدها حق المرور في المضايق وتأمين حرية مرور السفن الحربية المتحالفة بين البحرين الاسود والابيض

اتصال الامير بالعرب

هذه هي خلاصة الشروط التي اتفق الامير صباح الدين على العمل بها مع الحلفاء . وهي لو تحققت لامكن ان تؤدي الى انقلاب خطير في مستقبل السلطنة العثمانية

الا ان الامير لم يقف بمساعيه عند هذا الحد بل قام ايضاً بمفاوضة زعماء العرب والارمن لتمهيد السبل امام مساعيه هذه ، فعمد :

اولا — الى تحريض الارمن لاحداث ثورة ٢٥ نيسان سنة ١٩١٥

ثانياً — الى تحريض العرب على احداث ثورة في البلاد العربية تبدأ من جهات صيدا

ثالثاً — الى تجهيز الحركة الرجعية في البلقان ومصر .

موقف دار الاستخبارات العثمانية

ودار الاستخبارات العثمانية تمكنت من الحصول على معظم هذه

المعلومات . فاكتشفت اولا ثورة الارمن ثم المساعي التي بذلت في صيدا لاحداث ثورة عربية بمساعي عبد الكريم الخليل(سنعالج هذه القضية في فصول على حدة في مجلتنا «الاسرار»)ثم اكتشفت المؤامرة التي دبرت لاغتيال انور باشا .

محيي الدين شاتيلا

ومحيي الدين باشا شاتيلا الذي سافر الى طرابلس الغرب في منتصف كانون الثاني ١٩١٥ (راجع الجزء الثاني من الاسرار) لم يمكث في السلوم الا اسبوعاً واحداً ، ثم عاد الى « بيرايا » وفيها تلقى دعوة من انور باشا بالشخوص الى العاصمة . فلبى الدعوة . فاستقبله انور باشا بحفاوة زائدة . وبعد ان شكر له مساعيه العظيمة في سبيل تحقيق المهمة التي انتدب لها سلم اليه براءتين سلطانيتين، الاولى بمنحه الوسام الحربي اضافة الى الوسام المجيدي ، والثانية بمنحه لقب باشا . ثم خاطبه قائلا :

— انا نقدر لك يا باشا اخلاصك وتضحيتك في سبيل البلاد والوطن. ولذا عندك مهمة نرغب اليك تحقيقها !

فاجاب محيي الدين شاتيلا : انا على استعداد ياصاحب الدولة!

قال انور : في الخارج جواسيس يكيدون لنا ولسلامة الدولة ويرمون الى احداث ثورة في البلاد ، ولهذا نرغب اليك ان تعتمد احد الفدائيين المعروفين في اليونان لانقاذنا منهم !

فردد قوله : انا على استعداد !

— اذاً اذهب الى اسماعيل جانبولات بك !

اطوار المكيدة

واسماعيل جانبولات بك من اشد المتحمسين لحزب الاتحاد والترقي . فقد ماشاه منذ البدء حتى النهاية ، فرحب بمحيي الدين باشا شاتيلا وخاطبه بقوله : نحن بحاجة الى فدائي يعمل على انقاذنا من احد اعدائنا !

— أتريدون قتله ؟

— نعم !

— انا مستعد لكل خدمة ، اما للقتل فلا !

— نحن على ثقة بكم ، فلن نطلب منكم ارتكاب جريمة القتل بل ارشادنا الى من تعتمدون عليه وهكذا لا يكون لكم ضلع في المؤامرة، عدا اننا نميل الى قتل احد الخائنين الساعين لهدم سياستنا والاساءة الى البلاد . واعتقد ان قتل فرد افضل بكثير من قتل امة !

— ومن تريدون قتله ؟

— الامير صباح الدين . اطلعتك على اسمه كي تعلم اننا واثقون بك ثقة عمياء . وانت وقد كنت في سلانيك تدرك ما يدفعنا الى ارتكاب هذه الجريمة . فان وجود "الامير صباح الدين" في "قيد الحياة" خطر علينا عظيم !؟



* اسماعيل جانبولات بك *

وهو احد الذين اعتمدهم الاتحاديون وكانوا من الرؤساء النافذين . وهذا رسمه بملابسه العسكرية

ودار حديث مطول بين اسماعيل جانبولات بك وبين محيي الدين شاتيلا انتهى باتفاق الرجلين على تنظيم المكيدة

جورجي بوراد اوغلي

« جورجي بوراد اوغلي » من رؤساء عصابات « القوميته جي » الذين اشتهروا في البلقان قبل الحرب العالمية . فكان خصم القوات العثمانية واليونانية معاً ، ولذا حكم عليه قبل الحرب العالمية بالموت عدة مرات من قبل الحكومتين اليونانية والعثمانية . فلجأ الى اعمال تهريب السلاح . وكان يؤمن معيشته باي صورة كانت لا يهمه الا ان يحصل على المال كيفما تسنى له الحصول عليه

واختار محيي الدين باشا شاتيلا هذا الرجل لارتكاب الجريمة. وادخله سراً الى استانبول وجمعه باسماعيل جانبولات بك الذي خاطبه بقوله : قيامك بهذه المهمة لا يعفيك مما عليك من احكام فحسب ، بل ينيلك ايضاً ٥٠٠ ليرة عثمانية ذهباً ندفع لك بعضها مقدماً والباقي

يؤدى اليك بعد قتلك الامير ، أترضى بذلك ؟

ـــ كلا !

ـــ ولماذا ؟



جورجي بوراد اوغلو

الثائر الذي دعي الى اغتيال الامير صباح الدين وهو بملابس « القومته جي » التي اشتهرت في حروب البلقان

ـــ لاني اريد القيمة كلها مقدماً !

ـــ واذا لم تقم بما عليك ؟

ـــ اعدك بشرفي اني اقوم بما عليّ !

فرأى اسماعيل جانبولات بك ان المماطلة لا تفيد ، واضطر الى اداء المبلغ مقدماً ، وسافر جورجي الى سلانيك لقتل الامير

مقتل مرافق الامير

وطاف جورجي حول قصر الامير في (فريلو) اربعة ايام حتى تمكن من معرفة الطريقة التي تساعده على اقتراف الجريمة

وفي مساء الخامس من شهر نوار بينما كان اليوزباشي عثمان صبري بك خارجاً من القصر ، وهو مرافق الامير ويشبهه شبهاً عظيماً ، ظنه جورجي الامير نفسه فبادره بعدة عيارات نارية القاه بها صريعاً وركن الى الفرار

وفي اليوم التالي لما ادرك ان من قتله ليس الامير جن جنونه واقدم على جريمة مثلثة دلت على مبلغ تهوره . فما رقب فرصة اخرى لقتل الامير بل هاجمه وهو يسير في جنازة الضابط القتيل واطلق عليه عدة عيارات نارية اخطأت الامير ايضاً وقتلت ثلاثة ممن كانوا يشيعون الجثمان وتوارى عن الانظار

سفر الامير الى مصر

وهذه الحوادث المكررة وان تكن لم تنقذ الاتحاديين من الامير صباح الدين الا انها في كل حال نذير سوء . فخاف الامير العاقبة واضطر الى براح الديار اليونانية الى مصر لاعتقاده ان الاتحاديين الذين اخفقوا في هذه المرة في قتله سيعمدون في المرة التالية الى نيل مأربهم منه . وابحر الى مصر وهو على يقين انه فيها بامان ، فلن يقدم هناك الاتحاديون على قتله وطرق المواصلات بعيدة بينهم وبينه

مصير جورجي

اما جورجي بوراد اوغلو زعيم «القوميته جي» فاعتصم بالجبال على اثر هذا الحادث وظل فيها حتى دخلت الدولة اليونانية الحرب العالمية ، فاستماله الحلفاء الى صفوفهم واخذ يحارب العثمانيين بشدة ، ثم حارب الاتراك في صفوف القوات اليونانية لما احتلوا ازمير بعد نهاية الحرب . ونال عطف حكومته فعفت عنه . وهو يقيم اليوم في منزل بعيد عن الضوضاء في سلانيك يرقب ساعته الاخيرة

بعد هذه الجنايات !

هذه هي الجنايات السياسية التي دبرت في الشهور الاولى لدخول السلطنة العثمانية الحرب الكبرى

وبعد هذه الجنايات وقعت عدة حوادث خطيرة شيطالها قراء

« الاسرار » في تواريخها مما يدلهم على ما نال الدولة العثمانية من تلاعب بشؤونها كان ابطاله قادتها

في ساحة الحرب

وفي هذه الاثناء كان الموقف في جبهات الحرب الثلاث هادئاً تماماً .

فالعثمانيون كانوا يستعدون في جبهة القفقاس لتحصين المراكز التي احتلوها في جبهتي « باطوم » الساحلية وازربيجان الداخلية

والروس كانوا في الوقت نفسه يستعدون للمحافظة على مراكزهم في « وان » خصوصاً والثورة الارمنية كانت قد اندلعت في آخر نيسان واخذت تساعدهم على توطيد مراكزهم

في الجبهة العراقية

والسكون الذي ساد الجبهة الروسية العثمانية ساد ايضاً جبهة العراق . فالقوات العثمانية بعد انهزامها في معركة الشعيبة ، التي انتهت بانتحار القائد سليمان بك العسكري ، انصرفت الى تأسيس خطوط الدفاع . فالقائد الجديد نور الدين باشا رأى بعد هذه المعركة ان ليس بامكانه مواصلة الهجوم فعمد الى الدفاع . والانكليز لم ينصرفوا الى مهاجمة المراكز العثمانية بل اخذوا في تحصين مراكزهم . وهكذا امسى الموقف في العراق حتى اول ايار سنة ١٩١٥ موقف استعداد وتجهيز من قبل الفريقين

في الجبهة السورية

والموقف في الجبهة السورية كان هادئاً تماماً . والحلفاء الذين كانوا قد هاجموا المضايق لم يبرحوا اماكنهم على ضفاف قناة السويس ، الا ان سفنهم الحربية كانت تجوب الشواطىء السورية وتعرقل اعمال الملاحة وتحرج الغواصات الالمانية

ضرب الاسكندرونة

وعهدوا الى المدرعة الفرنسية « لاتوش ترافيل » بهذه المهمة . فقامت بحوادث رويناها في العدد الثالث من « الاسرار » . ونهار الاحد في ٢١ نيسان سنة ١٩١٥ لما وصلت هذه المدرعة الى ميناء الاسكندرونة وبدا لها ان القنصلية الالمانية ترفع علمها انذرت القائد العسكري بضرورة اجبار القنصلية على ازال العلم الالماني والا اضطرت الى ضرب دار القنصلية . وابلغت القائد انها ستنفذ تهديدها اذا لم يطوَ العلم في مدة ساعتين

الا ان القائد لم يملك الجرأة على ابلاغ الامر . فاطلع رئيسه على الانذار ورئيسه ابلغه الى القائد والى الوالي معاً



✻ اليوزباشي عثمان صبري بك ✻

لما ضلّ الثائر « جورجي بوراد اوغلي » عن الامير صباح الدين المكلف القضاء عليه قتل مرافقه الخاص اليوزباشي عثمان صبري بك وبينه وبين الامير بعض الشبه . وهذا الضابط كان من المندفعين بحماسة لتأييد الامير العثماني

وكاد الموعد ينتهي ، وارسلت المدرعة الانذار الاخير . ولما رأى قائد الموقع ان رؤساءه سكتوا عن الجواب سار بنفسه الى القنصل وحدثه بما كان فهزأ به القنصل واجاب ان المدرعة لا تجسر على ضرب دار الاعتماد

غير ان هزأه لم يدم طويلا اذ ان المدرعة ألقت ثلاث قذائف اصابت العلم فكسرته واحدثت اضراراً في دار الاعتماد الالمانية

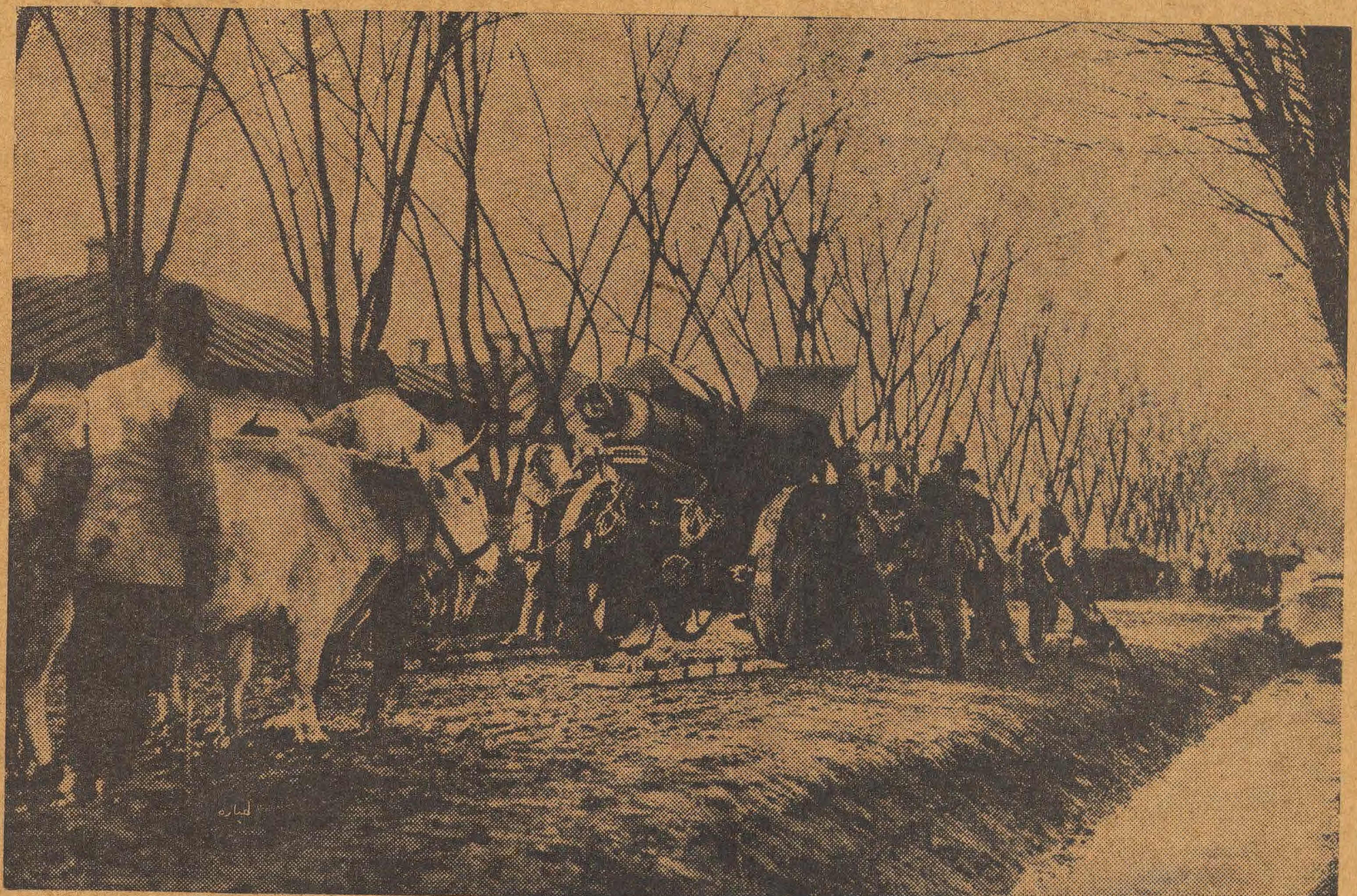
وبعد يومين اذاعت الحكومة في بيروت بلاغاً رسمياً هذا نصه:

«اذاعت شركة البرقيات العثمانية ان طراداً فرنسياً رسا صباح الاحد الماضي في مياه الاسكندرونه وطلب ازال العلم الالماني عن قنصليتها ، ولما ابت الحكومة ذلك عليه اطلق القنابل على القنصلية »

وحاولت الصحف الالمانية ان تستغل الحادث وتتهم الفرنسيين بانهم

ضربوا مدينة الاسكندرونه الامينة، الا ان الحقيقة ظهرت فيما بعد ، فالفرنسيون لم يضربوا الا علم القنصلية الالمانية . وانحصرت الاضرار ببناء القنصلية وحده . وهم لو شاؤوا ضرب هذا المرفأ لانزلوا به خسائر فادحة .

هذه هي الحادثة الحربية الوحيدة التي وقعت في تلك المنطقة في خلال هذا الشهر



المدافع العثمانية في العراق تجرها الثيران

لم يكن الجيش العثماني مجهزاً بآلات الميكانيك في خلال الحرب العالمية ، حتى ان المدفعية لم تكن في متناول ايديهم بل بايدي النمساويين . وهذا الرسم يمثل فئة من الجنود النمساويين تشرف على سير مدفع تجره الثيران في الجبهة العراقية ويساعد عليه بعض القرويين من العراقيين



اسرار الحرب الكبرى

بقلم كرم ملحم كرم

الالمان يحاولون الانبساط الى البحر لقطع الصلة بين انكلترا وفرنسا

المعارك الدامية في بلجيكا تحبط مساعيهم

الالمان الجبابرة يرزحون !

المعركة في ارض البلجيك

في هذه الناحية البلجيكية القريبة من الشاطىء ، على جبهة تمتد من « ديكسمود » الى «نيابور»

هذه بلاد « الفلاندر » ، و«ديكسمود » و« نيابور» في ناحيتها الغربية ، والبلدتان تقومان على ضفاف نهر « الايزر » ، وليس نهر «الايزر» بالحاجز المنيع لتخشاه القوات الالمانية الظافرة في « انفرس » وقد احتلتها واخذت تطارد فلول الجيش البلجيكي الواهية العزم

والبلدتان مع اتصالها بنهر «الايزر» اتصلتا معاً بخط حديدي. ولم تجد القوات البلجيكية غير هذا الخط تتخذه درعاً لها وترد منه الجيش الالماني عن بلوغ الشاطىء الفرنسي

فالالمان يريدون الوصول الى شاطىء « كاله » مهما كلفهم الامر. فاعترضت بقايا الجيش البلجيكي طريقهم تساعدها قوات غير كبيرة العدد من الفرنسيين والانكليز

ومدينة «ديكسمود » وقد رست على الضفة اليمنى من نهر «الايزر» تولى امير البحر «رونارش» حمايتها بان وطد مقر قيادته على الضفة اليسرى في « كايسكرك »، وهي قرية يتصل فيها خط « ديكسمود — نيابور » الحديدي بخط « فيرن » مقر اركان الحرب البلجيكي العام



امير البحر الفرنسي « روناش »
قائد لواء الملاحين الفرنسيين في البلجيك يصافح فئة من ضباطه



الدوق ده ورتمبرغ

قائد الجيوش الالمانية في معارك « الايزر »

خط الدفاع عن « ديكسمود »

وطريق « كايسكرك » يفصل بين المعسكرين اللذين فوض اليهما الدفاع عن بلدة « ديكسمود »، وهذان المعسكران انشأهما امير البحر « رونارش » بنفسه، فعهد بقيادة المعسكر الشمالي الى الضابط « ديلاج » والمعسكر الجنوبي الى الضابط « فارناي » ، واحتفظ لديه بكتيبة احتياطية

على ان المدافع لم تكن موفورة. فما استطاع الاميرال « رونارش » ان يعتمد حتى ١٧ تشرين الاول ١٩١٤ على سوى ثلاث بطاريات بلجيكية ، ووصلت قوات مدفعية اخرى في النهار نفسه فرفعت عدد المدافع الى اثنين وسبعين

ولكن الملاحين الفرنسيين ورفاقهم البلجيكيين لم يعتمدوا كل الاعتماد على المدافع ، فاتكلوا على ساعدهم وشجاعتهم ، واعتزموا ان يخوضوا المعارك بالسلاح الابيض

السفن الحربية على استعداد

وخط « نيابور — ديكسمود » ، وطوله عشرون ميلا ، يستطيع الاستغاثة بالسفن الحربية ان يكن بحاجة الى النجدة . فليس على السفن الا ان تدنو من الشواطىء البلجيكية لتعضد قوات الحلفاء . وهذه الاغاثة اقدمت عليها السفن في ١٨ تشرين الاول نفسه لماحاول الجيش الالماني البالغ عدده ستين الفاً احتلال مدينة « نيابور » تحت قيادة « فون بيزيلر » . فالقائد الالماني وقد انتصر واخوانه في « انفرس » دفع جيشه الى احتلال تلك البلدة البحرية ، فاذا الدهش يستولي عليه وقد شاهد السفن الانكليزية ترمي جناحه الايمن بقذائفها. فحاول ان يقابلها بالمثل ولكنه اخفق. وهذه الهمة من السفن الانكليزية ساعدت على انقاذ « نيابور » من الاجتياح الالماني . ولو استولى عليها الالمان لهان عليهم امتلاك « دانكرك » و « كاله » واحراج سير الاتصال الفرنسي الانكليزي

والسفن الانكليزية كان يقودها امير البحر « هود »، وانضم اليها سفينتان فرنسيتان . ودام رمي القذائف عشرة ايام كاملة ، وامتد الى مرفأ « اوستيند »، واذا فيلق فرنسي يقبل من نهر « الايزر » يدفعه القائد « غروسيتي » فيما القائد الفرنسي « ديربال » ينظم جيشاً جديداً للعمل في بلجيكا بين البحر ونهر « ليس »

الالمان يتقدمون

والالمان وهم ذوو خطة معروفة ، خطة السرعة والوثوب ، اقبلوا بجيوشهم الجرارة يقودهم الدوق « ده ورتمبرغ »

وفي ٢٠ تشرين الاول واثبوا « ديكسمود » و « نيابور » معاً بتلك القوة القهارة المقوّضة ، غير انهم لم يفلحوا ، فاعادوا الكرة في اليومين التالبين وظهروا بمظهر المقتحم المشتاق الى الاكتساح والتدمير . ولما اعياهم الامر استعدوا للضربة القاضية ينزلونها في ٢٤ تشرين الاول بقوات الحلفاء المتحدة في الجبهة البلجيكية

وكان للجيش البلجيكي شأن يذكر في هذه المعركة ، معركة « الفلاندر »، فقاتل بعزم حديدي من البحر الى « ديكسمود » ، وخصوصاً في « لومبارتزيد » ، في الشمال الغربي من « نيابور » ، وفي « ترفايت » في الجنوب الشرقي منها. فابدي من الشجاعة والثبات ما كان منه في « لياج » و « انفرس » وفي معارك هجوم متعددة جرت في آب وايلول

الا ان هذا الجيش المستبسل لقي الخسائر المرهقة في معركة « الفلاندر » بين ١٧ و ٢٣ تشرين الاول ١٩١٤ ، ولولا ان تقبل القوات الفرنسية لرزح تحت العبء . ولكن الفرنسيين اقبلوا ينجدونه ، فنصروا فيلقه الثاني ثم فيلقه الاول ثم فيلقه الرابع

ففي ٢٣ نزلت في « فيرن » ثم في « نيابور » طلائع فيلق القائد « غروسيتي » الفرنسي . وفي ٢٤ اعلن الدوق ده ورتمبرغ الالماني الهجوم العام على طول الجبهة . وهو الهجوم الذي رغب الالمان في ان يكون الضربة القاضية

ولم يشأ القائد الالماني ان يتقهقر . فكلما ردته قوات الحلفاء عنها ازداد عنفاً في الهجوم عليها . وظل هذا شأنه حتى اوائل تشرين

اثاني ، فاحس عند ذاك ان الموقف يخونه ، وانه كلما اوشك ان ينجح فت في عضده

انتصار ثم انكسار

ففي ليل ٢٤ — ٢٥ تشرين الاول خرق الجيش الالماني خط الحلفاء في « شورك » وهي قرية تقع على ضفاف نهر « الايزر » ، وتكاد تكون على مسافة متعادلة بين « نيابور » و« ديكسمود » ، وخيل الى الجميع ان النصر بات بين ايدي الالمان وانهم فازوا ، وان قوات الحلفاء ستتراجع في صباح ٢٥ تشرين الاول

فالالمان هجموا على « ديكسمود » وحدها في ٢٣ و٢٤ تشرين الاول اربع عشرة مرة . وكل هجوم تمضده قوات الجبة . واطلقوا عليها في ٣٠ قذائفهم للمرة الاولى ، غير ان امير البحر « رونارش » الفرنسي ابى ان يغادر ورجاله مدينة « ديكسمود » احياء ، وناصره في مهمته فيلق بلجيكي للقائد « ميزر »

واعلن القائد البلجيكي انه يخضع في حركاته لامير البحر الفرنسي . فكان دفاع الفريقين عن « ديكسمود » رائعاً مجيداً

وفي ٢٤ عاد الالمان الى ضرب « ديكسمود » بعزيمة من فولاذ . فانصبت عليها مدافعهم تفتتها ولا تبقي منها حجراً ، ولكن دون ما جدوى . فالمقاومة استمرت عنيفة لا تهون

اجل ، لقد استطاع الالمان ان يخرقوا جبهة قوات الحلفاء وكادوا يزعزعونها ، ولكن الرغبة في المقاومة ظلت هي اياها . فالفرنسيون والبلجيكيون والانكليز ثبتوا في النضال ثبات اليائس المستميت . وفي ٢٨ وقد ضعضعتهم القوات الالمانية تراجعوا الى الخط الحديدي . تراجعوا وهم يقاومون !

حرب الماء بعد حرب النار !

وخطر للجيش البلجيكي خاطر ، فرأى ان يعمد الى هدم سدود نهر « الايزر » فتطغي المياه على جوانب النهر وتمنع الالمان من التقدم ، بل هو مال الى تحطيم سدود البحر ، فتغرق تلك الناحية من البلاد البلجيكية ويغرق فيها الالمان

والفكرة لرجل بلجيكي اسمه « كوج » . فهو الذي فكر في تحطيم سدود البحر والنهر . واطلع على فكرته القيادة البلجيكية فاقرتها ، واهدى اليه الملك وسام « ليوبول »

واعلن في ٢٥ تشرين الاول امر هدم السدود ، فتطغي المياه على ضفة نهر « الايزر » اليسرى ، بين النهر والخط الحديدي ، على جانب يمتد من « ديكسمود » الى « نيابور »

ودامت المعارك ثلاثة ايام اخرى والموقف لايزال مترجرجاً . فالطغيان لم يحقق ما انتظر الحلفاء منه . ومع ان ثمة نكبة هائلة تنقض على الجنوب الغربي من بلجيكا كما تنقض على الجيش الالماني فقد



شرذمة من الملاحين الفرنسيين

الذين تولوا الدفاع عن بلجيكا تحت قيادة امير البحر « رونارش »

صممت بلجيكا على القيام بهذه التضحية لتقضي بالخذلان على جيش الاعداء .

ولم يظهر اثر الطغيان في سوى اليوم الثامن والعشرين ، فتهدمت عند ذاك السدود تهدماً تاماً ، وتدفقت مياه البحر على السهول تكسوها . لقد تدفقت بجنون ، صاخبة مزبدة مجتاحة ، واحتلت الاماكن المطلوب منها احتلالها تصد الالمان عن كل خطو يحاولون

غليوم في الساحة

وفي ٢٨ تشرين الاول اقبل غليوم الثاني . وكان يعتقد ان وجوده في الميدان يدفع رجاله الى القيام بالعجائب . والالمان قاموا بالعجائب . ولكن ماذا يستطيعون حيال عدوين عنيدين ، حيال اعدائهم المستبسلين والماء الهائج الاعمى العابث بالنار ورؤوس الحراب ؟

وقضى غليوم على قواته بان تتقدم فتقدمت . قضى عليها بان تغالب الماء فغالبت الماء . واندفعت فيالق تلو فيالق في هذا البحر الراكض الى ابتلاع الارض ومن عليها ، وقصفت المدافع ، وزغردت الرشاشات دون ما انقطاع . واظهر الالمان كل بسالة وحماسة وبطولة . وغالبوا المحال . واستطاعوا ان يملكوا بلدة « رامسكابيل » . غير ان الفوز لم يطل امده . ففي اليوم التالي ، في هجوم الالمان على القوات



جسر على «الايزر»

يشيده الجيش الفرنسي في بلجيكا ليقيم الاتصال بين الضفتين

وفي الرسم يظهر الجنود يحملون الاخشاب ويسمرونها بالقوارب ليتسنى لجيوش الحلفاء الانتقال عليها من ضفة الى ضفة

الفرنسية البلجيكية ، لم يحسن الالمان الثبات في مواقعهم فتقهقروا ، ودفعهم اعداؤهم الى المياه المكتسحة يغرقونهم فيها . وجرفهم التيار ، فاستطاعت فئات منهم ان تنجو ، الا ان مؤخرات الجيش وقد تغلبت عليها المياه غرقت باجمعها

وفي ٣ تشرين الثاني وقف الالمان عن الهجوم وارتدوا مقهورين الى اماكن بعيدة . وجاء في بلاغ الجيش عن معركة « الفلاندر » ان المدافع الالمانية لا تزال غارقة في « رامسكابيل » في الوحل والجثث وقد غمرتها المياه الى نصفها

بأس الملاحين الفرنسيين

والبأس الذي ابداه الملاّحون الفرنسيون يقودهم امير البحر « رونارش » جدير بان يذكر

فان هؤلاء الملاّحين، ومعظمهم من ابناء ولاية « بريطانيا » الفرنسية ،ابدوا كل اخلاص لقائدهم. وعرفهم الالمان واعجبوا بهم كما ضحكوا منهم . فكانوا يدعونهم تارة « العصافير السود » ، وتارة « الرماة الزرق » ،وتارة «الآنسات ذوات الذوائب الحمر »

ولقد خاطبهم الامير « رونارش » بقوله : عليكم ان تدافعوا عن جناحنا الايسر حتى وصول النجدات .فاقدموا على كل تضحية. فمن الواجب ان تثبتوا اربعة ايام لا اكثر !»

***

وثبتوا حتى النهاية ، وقاتلوا كالجبابرة ، مع ان بينهم من حمل السلاح قبل الاوان

وفي اثناء الهجوم الالماني الراعب، في ٢٦ و ٢٥ تشرين الاول، دهم الاصفرار بعض هؤلاء الصغار ، على انهم لم يتراجعوا . فظلوا حيث رسخت اقدامهم . وظهر من بعضهم انهم في بطولة قادتهم .فكانوا ينطلقون الى الموت باسمين

بطولة الملاحين

وبلغ من شدة احد ضباطهم انه اصيب بجرح وابى ان يتداوى ما دام الالمان لا يتقهقرون . وبلغ من ضابط آخر يتولى امر بضعة مدافع رشاشة انه منع جنوده من اطلاق النار الا وقد بات منهم الالمان على ستين خطوة ، وكل قصده كما قال ان لا يجازف بما لديه من رصاص

واصيب بجرح فقال : كل ما يهمني ان تكون رصاصاتي اصابت!

وشكا احد الملاحين انه اضاع حربته فقال له الضابط « ده باليار » : ولماذا لا تقتدي بي؟... انطح برأسك !

المانيا تتراجع

غير ان الجيش الالماني مع كل ما لقي من صدمات وما بلي به من خسائر لم يشأ ان يكتب على نفسه الهزيمة . ففي ١٠ تشرين الثاني واثب مدينة « ديكسمود » واحتلها . ولم يكن قد بقي منها غير اطلال . فغاظ الملاحين الفرنسيين ان تفلت منهم هذه الاطلال فاستعادوها ثلاث مرات في معارك دامية . الا انهم اضطروا لدى المساء الى الانصراف عنها، واقاموا وراء متاريس من الاجساد البشرية، من جثث الالمان والفرنسيين معاً ،يطلقون النار على الجيش الالماني

بوانكاره يشكر الملاحين

وبعد شهرين كان رئيس الجمهورية الفرنسية السيد « رايمون

بوانكاره ، يهب لقوات امير البحر « روناوش » علماً نسجته المعامل الفرنسية لهذه القوات الباسلة. فكان اشبه بهدية رأس السنة .وجرت حفلة الهبة في ١١ كانون الثاني سنة ١٩١٥ في « دانكرك ». وخطب بوانكاره في الملاحين الاشداء ، بل في من بقي منهم حياً فقال :

— اصدقائي ، لقد سجلتم في كتاب الجيش الفرنسي الذهبي مصير الوطن والانسانية . فان حضارتنا وسمونا الفكري قائمان على الحروب التي تخوضونها. وصبركم ومقاومتكم وعزمكم لبضعة اشهر من الزمن تقرر اتجاه الغد .كما انكم بسيركم بهذا العلم الى النصر لا تنتقمون لامواتكم فحسب ، بل تدركون اعجاب العالم واعتراف الاجيال لكم بالفضل والاقدام

« لتحي الجمهورية ، ولتحي فرنسا !... »

في مضارب الانكليز

والصداقة بين الفرنسيين والانكليزوهم يخوضون معاً، جنباً الى جنب ، حرباً واحدة ، قضت على بوانكاره بان ينتقل في النهار نفسه الى مقر اركان الحرب الانكليزي العام ليقلد القائدين « دوغلاس هايغ » و « سميث دوريان » وسام جوقة الشرف . وقد لمع الاول امام مدينة « ايبر » و لمع الآخر حول « لاباسه »

معارك « لاميزون دي باسير »

وفي اواخر سنة ١٩١٤ وقعت على ضفاف نهر « الايزر » معارك طاحنة ، منها على ضفة النهر اليمنى معركة « لاميزون دي باسير » بين « ديكسمود » و « ايبر » ، وقد دامت شهراً طويلا

ومعارك « لاميزون دي باسير » شهيرة في تاريخ الحرب. فالالمان شيدوا هناك حصناً منيع الدعائم كالته الرشاشات.وهذا الحصن قام على مدخل جسر لم تشأ قوات الحلفاء هدمه على امل ان تحتاج اليه في احد الايام . وفكرت في امتلاك « لاميزون دي باسير » ، ولكن الطريق اليه صعب ،شديد المخاطرة. فهو بين مستنقعات تمتد على الضفة اليسرى من نهر « الايزر » ، ولن يتسع المجال للهجوم عليه من سوى طريق ضيق وعر

على ان قائد القوة الفرنسية في تلك الناحية صمم على احتلال المكان مهما يكن من الامر . فقد طال قتاله على مقربة من الحصن دون ما جدوى . واذاع في قواته نداء يعرض عليها فكرته ويدعو من شاء تحقيقها الى التطوع للقتال . فلبى نداءه الكثيرون بينهم ما لا يقل عن مئة جندي ينتسبون الى كتائب افريقيا . وبلغ عددهم اربعمئة . فاندفعوا الى الجسر يرومون الانتقال عليه الى الضفة الاخرى ، الا ان رشاشات الاعداء صبت عليهم نارها فقتلت منهم في لمحة لا اقل من اربعين.واستطاع اربعون جندياً اجتياز الجسر والوثوب



امير هندي

يتطوع للقتال في الحرب الاوربية بجانب انكلترا

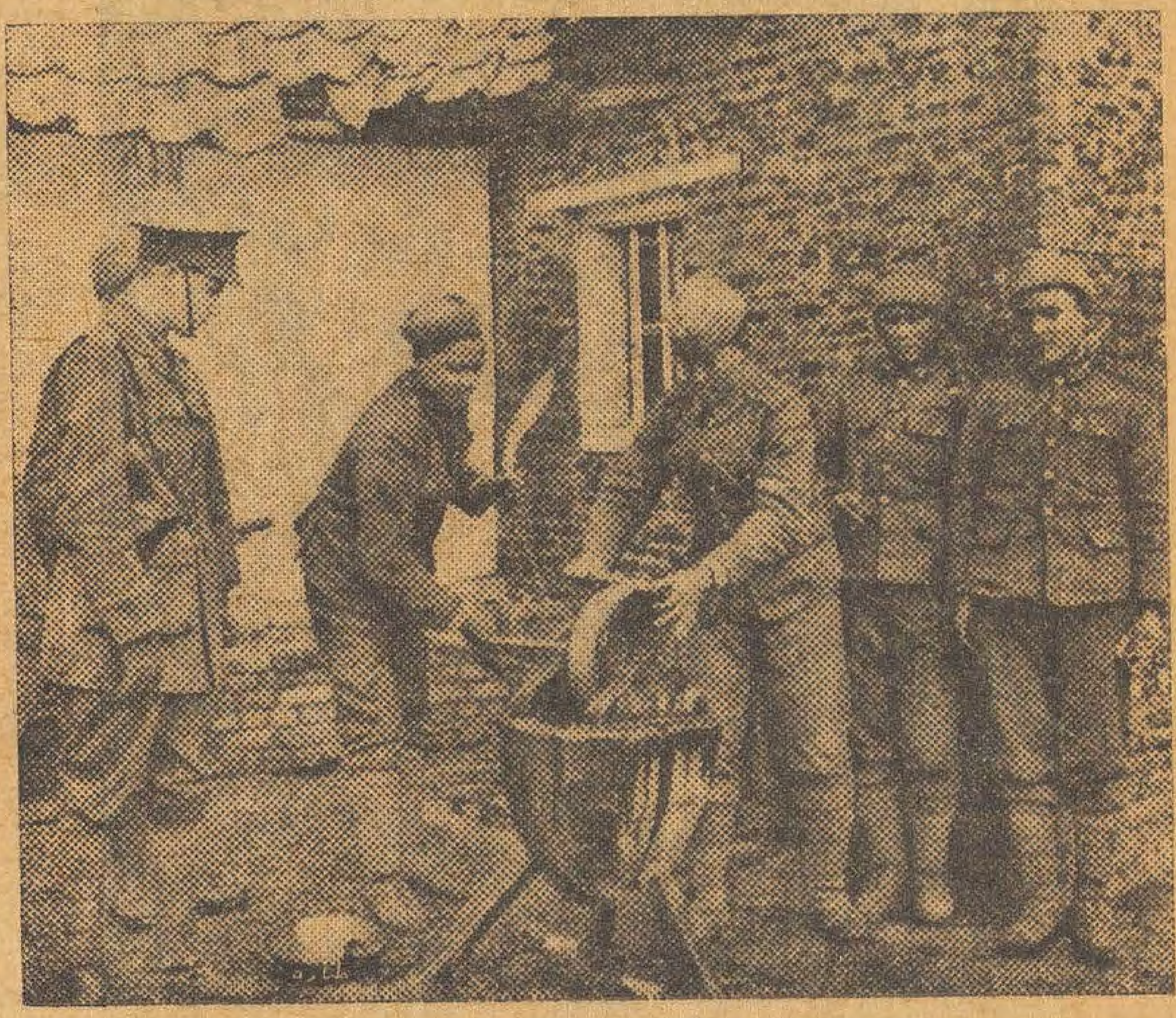
على المكان المطلوب احتلاله . ولحق بهم من نجا من نيران العدو . وكانت وثبتهم عجيبة من عجائب الزمن . فعمدوا الى كل وسيلة ممكنة لاقصاء الالمان عن تلك الناحية . فما احجموا عن الاستعانة بالحراب والخناجر والفؤوس . وبالفأس حطموا باب الحصن المعتصم بـه الالمان . وفي اسفل هذا الحصن دارت معركة ساحقة التحم فيها الجسد بالجسد . فما نجا من الالمان غير الذين استسلموا وقد خيل اليهم ان النجاة باتت من المحال

الاستيلاء على « سان جورج »

وما ابدى الجنود الفرنسيون من رجولة في الاستيلاء على الحصن الذي انشأه الالمان على رأس ذلك الجسر ابداه الفرنسيون والبلجيكيون في الاستيلاء على بلدة « سان جورج ». فالالمان حصنوا المدينة بحذقهم الحربي المعروف . فجعلوا من كل منزل حصناً . وخدمهم طغيان

المياه على ضفاف « الايزر » بدل ان يؤذيهم . على ان الملاحين الفرنسيين اقتحموا الطغيان واحتلو منازل البلدة الاولى

ومما يروى ان فئة من الملاحين الفرنسيين احتلت شطراً من منزل تحتله القوات الالمانية . وكانت ليلة عيد الميلاد . فعقد الفريقان هدنة بينهما كانوا يرون في اثنائها بعضهم بعضاً . وسكتت المدافع وهدأ القتال . الا ان الضابط الفرنسي ابى ان تدوم هذه الهدنة . فدعا في



فئة من جنود قبائل « الغوركا » الهندية
تشحذ في ساحات القتال خناجرها الراعبة

٢٨ كانون الاول ١٩١٤ الى الهجوم . واذا المدافع تقذف نيرانها . وشعر الالمان بما يهددهم من اخطار فركنوا الى الهرب . غير ان الهرب لم يكن لهم ذا فائدة والرصاص البلجيكي اصطادهم . ومن تسنى له الهرب منهم غرق في مياه « الايزر » الطاغية

فانتقم الالمان بان اطلقوا قذائفهم على بلدة « سان جورج » ، ولكن طغيان الماء ظفر بالالمان

تهديم مدينة « ايبر »

اما وقد عجزت القوات الالمانية عن اجتياح غربي بلجيكا والوصول الى شواطىء بحر الشمال ، ومن بحر الشمال تندفع الى بحر المانش وتحتل « كاله » ، فمالت الى طحن جيوش الحلفاء حول مدينة « ايبر » البلجيكية . وهي اذا طحنتهم اعادت الكرة ومهدت امامها طريق الشاطىء

وغليوم الثاني وقد شهد معركة نهر « الايزر » بنفسه ، وشهد طغيان المياه يقهر جيوشه ، انثنى عن « الايزر » ومال على مدينة « ايبر » يصليها النيران الآكلة

ومعارك « اراس » و « الايزر » و « ايبر » تقوم على دعامة واحدة وترمي الى هدف واحد ، هو الاندفاع الى البحر وامتلاك مفتاح شواطئه وتهديد انكلترا منه وتهديد فرنسا

واعتقد في ١٩ تشرين الاول ١٩١٤ المارشال « فرانش » الانكليزي ان فيلقه الاول الموكول امره الى القائد « دوغلاس هايغ » يستطيع الصعود من « ايبر » الى « بريج » ، فيعزل جيش القائد الالماني « فون بيزيلر » عمن حوله من الجيوش الالمانية ، ويدفع الالمان الى « غان » ، ويعد هجوماً على جانب قواتهم المعسكرة على ضفاف نهر « الاين »

بيد ان هذا العمل الجريء يحتاج الى قوة اشد تدريباً على القتال من القوات البريطانية ، ويحتاج الى قائد اشد حنكة من القائد « دوغلاس هايغ » الانكليزي . فالقائد « دوغلاس هايغ » مع كونه من الضباط الانكليز اللامعين ، ومع كونه يعرف المانيا كالالمان انفسهم ، واكثر من فئه محترمة منهم ، فلا يزال رطب العود في المعارك الخطيرة حيال قادة مجربين كقادة الامبراطور غليوم

ولم يلبث المارشال « فرانش » والقائد « دوغلاس هايغ » نفسه ان اعترفا بصعوبة ما ينويان . فليس القول كالعمل !

جمال مدينة « ايبر »

ومدينة « ايبر » البلجيكية كانت في الزمن القديم اجمل مدن الغرب . فلم تكن تعادلها في الجمال غير مدينة « غان » ومدينة « بيرج » ، والثلاث بلجيكية . ولقد حفلت بالمصانع وبالادمغة المفكرة . ولفرط شغف غليوم بها خطر له ان يعلن فيها انضمام بلجيكا الى المانيا

وبدأ الهجوم الالماني على مدينة « ايبر » في ٢٠ تشرين الاول سنة ١٩١٤

واضطر الفرنسيون والانكليز الى اعتماد خطة الدفاع . وعرفوا وهم يتولون هذه الخطة كل ضيق ومشقة

وفي ٢٥ ظهر الهجوم الالماني بعنفه وقسوته . ودام ثلاثة اسابيع . ولم ير القائد « جوفر » بداً من انجاد المارشال « فرانش » بفيلقين فرنسيين ، وفي ٢٦ كانت قوات الحلفاء لا تبرح معتصمة بمواقعها

قوات المحاربين

ولم يتوفر التعادل بين قوات الحلفاء وقوات الالمان . فالالمان ملكوا في بدء معركة « ايبر » خمسمئة الف مقاتل ، على حين ان الفرنسيين والانكليز لم يملكوا ما يزيد على مئة الف

وازدادت القوات الالمانية في آخر المعركة فبلغت مليوناً وكل

قصدها الاندفاع الى البحر والاستيلاء على مفاتيح انكلترا

هزيمة الحلفاء

وارسل القائد« جوفر » قوات متعددة الى ساحة « ايبر » كي يصون الموقف . الا ان كل قوة اوفدها لم تكن ذات نفع . فالالمان ظلوا متفوقين . ووضح له حرج الموقف. ويئس الحلفاء ثلاث مرات متوالية من الثبات امام الجحافل الالمانية، ذلك في ٣٠ و ٣١ تشرين الاول . فالامبراطور غليوم كان هناك يدعو رجاله الى القيام بكل تضحية ويثير هذه الامواج البشرية ويدفعها الى امتلاك الظفر

فتراجعت جبهة الحلفاء بكاملها ،وخصوصاً في الجنوب . وكادت مدينة « ايبر » تسقط بين ايدي الالمان

ودعي القائد الفرنسي« ده موسي » الى نجدة القائد«دوغلاس هايغ » في « كلاين زيلبيك » ، فجمع كل ما هناك من خدم وطهاة وامثالهم وسار بهم الى اغاثة القائد الانكليزي ... وكتب له النجاح

وفي اول تشرين الثاني اقبلت قوات فرنسية جديدة . فجاء من ضواحي « ارمانتيار » الفيلق السادس عشر وفيلق الفرسان للقائد « كونو »

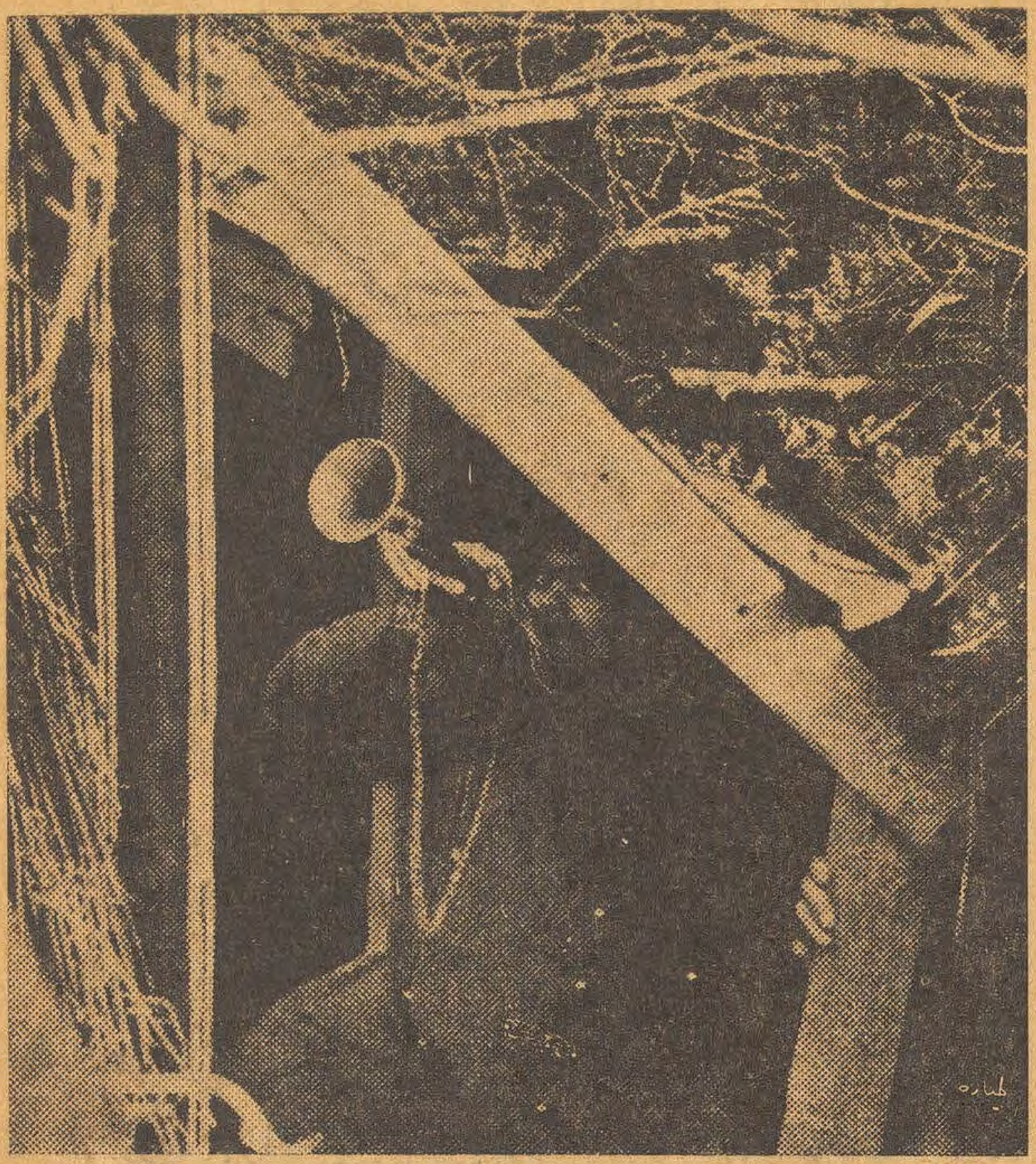
وفي اليوم التالي استعاد الحلفاء شطراً من ارض تقهقروا عنها وتكلمت المدافع . وقام الحلفاء بهجوم جريء

وتلت ذلك هدنة دامت حتى اليوم العاشر من تشرين الثاني . واذا الامواج الالمانية تزبد وتمضي في اجتياح ما تلقى امامها

الحرس الالماني يحتقر الموت

وكان هجوم الحرس الالماني الامبراطوري في اليوم الحادي عشر هجوم ابطال . فاحتقر الموت على مرأى من الامبراطور غليوم واندفع الى صفوف الحلفاء يبغي تهشيمها وكاد ينجح . فان وثبته كانت وثبة يائس يبغي الخلاص . الا ان الحلفاء وقفوا حائلا دون النجاح والخلاص . فصدوا القوات الالمانية الظافرة وقد تكاتفوا عليها . فانضمت فيالق القائد « ديبوى » الفرنسي الى فيالق القائد « دوغلاس هايغ » الانكليزي . واسعفتها كتائب القائد « بيدون » وفرسان القائد « ده ميتري » . وكان لهجوم فرقة « الزواف » شأن يذكر حول « بيكسشوت »

وفي ١٣ و ١٤ حاول الالمان ان يزعزعوا قوات الحلفاء فلم يوفقوا . وتضاءلت في اليوم الخامس عشر هجماتهم وقد رسخت اقدام الحلفاء في اماكنها. والتفت غليوم الثاني الى جيوشه فاذا خسارته تبلغ في هذا الوثوب الهائل مئة وعشرين الف رجل



جندي فرنسي ينفخ في البوق
لتحذير رفاقه من طيارة المانية تحلق في الجو

الانتقام!

فانتقم غليوم الثاني بان قضى بتهديم « ايبر »

وتجلى الانتقام في ١٠ تشرين الثاني . وتداعت مدينة « ايبر » الجميلة تحت القذائف الالمانية كما تداعت من قبلها « اراس » و« ريمس » و « سواسون »

وكتب الصحفي الايطالي « لويغي بارزيني » في جريدة « كورياره ده لاسيرا » فقال تحت عنوان : « لماذا، لماذا هذا التهشيم الفظيع ؟...»: «سيدعي الالمان وهم يهدمون مدينة « ايبر »ما ادعوا وهم يهدمون مدينة «ريمس »، فقد زعموا ان الابراج القائمة في المدينة تساعد الجيش على اتخاذها قاعدة لرصد حركات العدو. ولكن لماذا هدموا «الهال» ولم يهدموا قبب كنيسة « سان بيار » وهي لا تبعد عن « الهال » كثيراً ؟

« لا ، لقد ضربوا « الهال ليهدموه وهو اثر فني جميل . واذا استطعنا البقاء في عزلة تجاه الحرب العالمية فلا نستطيع الاحتفاظ بعزلتنا حيال تهديم المانيا لدار « الهال » في « ايبر »، وحيال تهديمها مكتبة « لوفان » ، وتهديم كاتدرائية ريمس !»

وزاد فقال : « استقرت جيوش الحلفاء امام مدينة « ايبر » . واضطر الالمان في تهديم المدينة الى اطلاق نيرانهم فوق خطوط الاعداء . فصانوا الجنود وهدموا الآثار . وهذا ما يبدو منهم ابداً كلما استطاعوا اليه سبيلا . فاذا بدت لهم مدينة وراء الجيش المندفع الى مقاتلتهم قضوا على هذه المدينة بالفناء . فما تعجز عنه قواتهم في الجيش يحاولونه في المنازل والاسر والامجاد الفنية »

على ان « ايبر » ظفرت كما ظفرت « ديكسمود » و « نيابور » وانصرف الالمان عنها غاضبين حاقدين

بسالة الهنود في « ايبر » وعلى « الايزر »

ولا بد من انصاف الهنود . فكانت لهم في مدينة « ايبر » وعلى ضفاف نهرها ، مثلهم على ضفاف نهر « الايزر » ، المواقف الرائعة . فدافعوا عن خطوط الحلفاء بحماسة وقوة حتى ان الملك جورج الخامس ما استطاع الا ان يحييهم في رسالة وجهها اليهم لما اقبل امراؤهم الى انكلترا يمثلون بين يديه

وظهرت جرأتهم بجانب « نيابور » . ووضحت بسالتهم في هجومهم على القوات الالمانية دون ما اكتراث للموت . وادهش حذق « الغوركا » في انتضاء خناجرهم ووثوبهم على الالمان يمثلون فيهم . فقد كان لهذه الخناجر في الحرب العامة شأن واي شأن ، فألقت الذعر في القلوب واضطربت لها النفوس

وفي ١١ تشرين الثاني اقبل لواءان هنديان من الفيلق الانكليزي الثاني ينصران في جنوبي « ايبر » القائد « اللنبي » قائد الفرسان الانكليز . ومع كل ما تحملاه من مشقات ، ومع كل ما بهما من ضنى ظهرا بمظهر يثير الاعجاب

الالمان يأبون الاعتراف بالهزيمة

وابى الالمان الاعتراف بهزيمتهم في تشرين الاول وتشرين الثاني فاطلقوا في ١٩ كانون الاول قوة منهم على جبهة الحلفاء في « ستينسترايت » ، شمالي مدينة « ايبر » ، يجسون بها النبض . فاخفقوا ، واستولى الحلفاء على خنادق كثيرة واربعة مدافع رشاشة

وفي ٢٥ كانون الثاني ١٩١٥ عادوا الى محاولتهم بشدتهم المعهودة . ولكن التوفيق خانهم شأنهم بالامس وخسروا في زمن قليل نحواً من ثلاثمئة قتيل

وقاموا في ١٩ و ٢٠ شباط بهجوم آخر على قرية « هيرنتاج » الواقعة شرقي « ايبر » على الطريق الممتد بين « ايبر » و « مينان » . وكانوا قد استعدوا لهذا الهجوم استعداداً رهيباً ، غير انهم لم يفلحوا والحلفاء صدوهم بمنتهى الشدة

وبلغت الخسائر الالمانية في هذا الهجوم اربعمئة قتيل ، وستمئة جريح . وخسر الفرنسيون ٥٠ قتيلا و ٨٠ جريحاً

وما تهاون الجيش الالماني في ضرب بلدة « فيرون » وقد امست مقر القيادة البلجيكية العليا بعد هزيمة الجيش البلجيكي في « انفرس » فالجيش البلجيكي بعد انصرافه عن « انفرس » لجأ الى « فيرن » ، وفيها انشأ الملك ألبر الاول مقر اركان حربه العام . غير ان الالمان ضربوها وهي تلك المدينة الصغرى الهاجعة ، الجميلة المباني والدور

حرب الغازات الخانقة

العودة الى مهاجمة مدينة « ايبر »

وفي ٢٢ نيسان ١٩١٥ عاد الالمان الى مهاجمة مدينة « ايبر » . غير انهم عادوا اليها بالغازات الخانقة . فما جاؤوها بالمدافع والقذائف بل بالمواد الكيمائية يحاولون بها هدّ حيل المدينة الوافرة الصلابة

واذاعت قيادة جيوش الحلفاء النبأ في بلاغ يقول :

« في مساء ٢٢ نيسان ، في شمالي مدينة « ايبر » في بلجيكا ، غلّف الالمان جيوشنا المعسكرة بين قناة « الايزر » وطريق « بويلكابل » بحجب كثيفة صفراء اللون مما اضطربت له انظار قواتنا وتولاها به الدهش ، فاكرهت على التراجع في ناحية القناة الغربية وناحية « ايبر » في الجنوب

« على اننا قابلنا الهجوم بمثله واستعدنا شطراً مما فقدنا

« وفي ٢٣ عاد الالمان الى الاستعانة بالغازات الخانقة وبقذائف تنبعث منها لدى انفجارها هذه الغازات . وقد امتد اثر الغازات الى خطنا الثاني

« وفي ليل ٢٣ و ٢٤ حاولوا الاستفادة من اثر الغازات وتسنى لهم لدى طلوع الفجر احتلال بلدة « ليزون » على الشاطىء الايسر من نهر « الايزر »

« ولكن هجوم قوات « الزواف » والرماة البلجيكيين اعاد الينا هذه القرية وما لبثنا ان جاوزناها . ثم عدونا القناة المشيدة امام « ليزون » الى الضفة اليمنى ، فكان تقدمنا محسوساً وما برحنا على اتصال تام بالجيش البلجيكي ، واشتبكت عن يميننا القوات الانكليزية في معركة تمّ لها بها حفظ مواقعها

« وفي ٢٥ صددنا هجمات الاعداء بمساعدة حلفائنا . ومع كل جهد ابداه العدو ، وقد حاول ان يعترض سبيلنا بفيلقين اطلقهما علينا ، استطعنا ان نتقدم من ضفة نهر « الايزر » اليمنى ، فما الجيش البريطاني يصد هجومين قام بهما الالمان في « باشيندايل » و « برودسند »

« وعلى اثر ما نال العدو من اخفاق عاد الى رشق « ايبر »



الفرسان الانكليز يشنون حول « ايبر » الغارة على الفرسان الالمان

قذائفه بشدة متناهية . وفي ٢٦ توطدت مواقعنا في شمالي « ايبر » ، على يسار جبهة القتال ، وتقدمنا تقدماً ذا شأن ، وانزلنا بالعدو خسائر فادحة .

« واستعان الالمان كما في السابق بالغازات الخانقة ، الا اننا عمدنا فوراً الى القناع الواقي فكان ذا فوائد جمة لنا ولحلفائنا البلجيكيين »

الهجوم الالماني يتضاءل

وفي ٢٧ نيسان تضاءل الهجوم الالماني . ومضى الفرنسيون في تقدمهم كما مضى الجيش البلجيكي . واستعادوا الاماكن التي فقدوها . ولكن المعارك وقد اعيدت واستعيدت لم تنته قبل ١٧ ايار . فاضطر الالمان الى التخلي عن ضفة نهر « الايزر » اليسرى ، وكانوا قد هزموا فيها في ٢٢ نيسان لواء من الجيش الفرنسي !

وهذه المعارك المتوالية أطلق عليها اسم معركة « ايبر » الثانية ، وعرفت فيها المدينة مرة اخرى اهوال القذائف الالمانية

وفي ٢٨ نيسان ضرب الالمان مدينة « دنكرك » واحرقوها وحامت الطيارات الالمانية في سمائها ترميها بقذائفها

ومما اشتهرت به معركة « ايبر » الثانية ذلك الاختراع الجهنمي المخيف ، اي الغازات الخانقة . فالمخيلة الالمانية الغنية في الاختراع لم تقف كليلة حيال فناء البشر بسلاح غير السيف والمدفع . فوقعت على الغازات . وكان اثر هذا الاختراع رهيباً ، فوقف امامه الحلفاء

مذعورين . وجهلوا في البدء بما يداوونه فتقهقروا امامه . غير انهم وقد اهتدوا الى القناع الواقي باتوا لا يحفلون به

جيش كندا توثر فيه الغازات الخانقة

وكان للغازات الخانقة تأثيرها البليغ في قوات كندا . فتعذبت به كل العذاب . ومن المعروف عن الغازات الخانقة انها ممنوعة قانوناً . فالمعاهدات الدولية تنكرها ، الا ان الحرب العالمية بلغت في اهوالها حداً قصياً اجازت فيه ما لا يجوز !

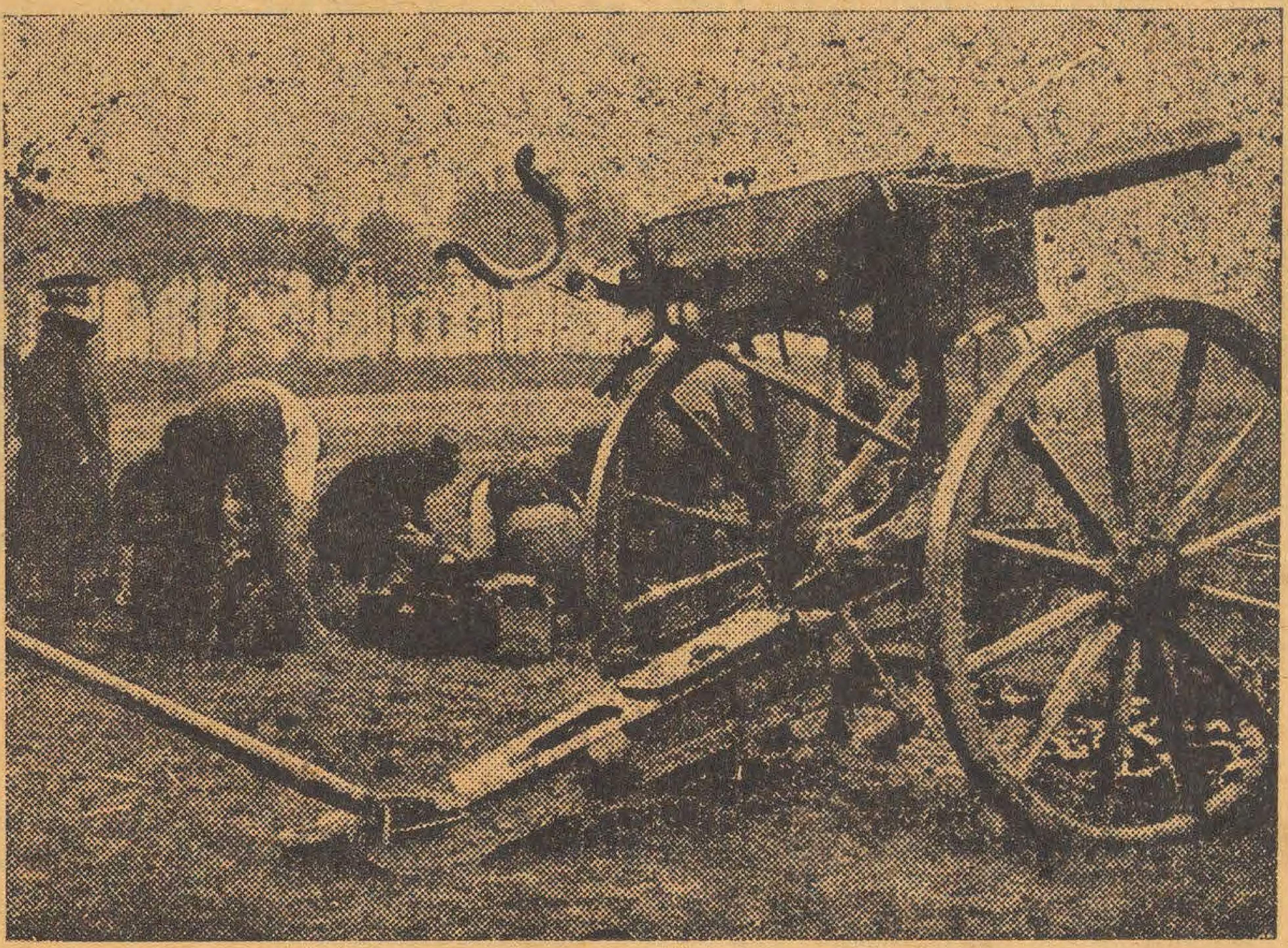
وشرح الطبيب « هالدان » ضحايا الجيش الكندي المصابة بالغازات الخانقة فوضح له ان الغازات احدثت في هذه الضحايا الموت بالاختناق . وظهرت في الرئة اعراض نزلة صدرية حادة

وروى ضابط كندي يدعى « برترام » انه ابصر في البدء دخاناً ابيض يرتفع من خنادق العدو الى ثلاث قامات ، وامام هذا الدخان بدت غمامة خضراء تصاعدت الى سبع قامات ، وما لبثت ان تدحرجت في الارض الى الخنادق الانكليزية . وبعد ربع ساعة من الزمن ، فيما القوات الكندية ترد هجوماً قام به الالمان ، لقي في مساحة صغيرة من الارض اربعة وعشرين جندياً كندياً ماتوا مختنقين

ووقعت في خنادق الحلفاء قذائف اخرى تحوي من المواد ما يؤذي من يستنشقها ، الا انها دون الغازات الخانقة ضرراً

والمعاهدة الدولية التي قضت بمنع الغازات الخانقة في الحرب هي معاهدة « الهاي » المعقودة في ٢٩ تموز ١٨٩٩ ، وفي هذه المعاهدة توقيع ممثل المانيا ، اي ممثل الامبراطور غليوم الثاني

ولكن الحرب — كما بدا منها — لم تحترم المعاهدات . فالحق بجانب السيف ، وما يرقمه الحبر على الورق يظل حبراً على ورق الى ابد الابيد . فالاحترام للقوة . والقوي هو السيد الوحيد !



مدفع اخترعه الانكليز لاسقاط الطيارات

المانيا لا تريد ان تتقهقر!

ولي عهد المانيا يعيد هجومه على حصون «فردون» للاخذ بالثأر

القائد ساراي لا يتراجع عن حصونه

القوات الالمانية تهجم على الارغون مستبسلة ولكن دون ادراك بغيتها

بدء حرب الالغام ...

وفي انحاء « الارغون » قامت جبهة فرنسية تتولى الدفاع عن « الارغون » وتحمي « الفوج »

ومهمة هذه الجبهة على اثر معركة « المارن » حماية ارض فرنسا من نهر «الاين » الى حدود سويسرا ووقف هجمات العدو، والرسوخ في الاماكن المحتلة باعتماد الهجوم المستمر

ولكن القيام بمثل هذه الاعمال يحتاج الى شجاعة وبطولة ، وجيوش « الارغون » و «الفوج» وفرت في ماتيها الشجاعة والبطولة واظهرت الاقدام العجيب

ولي عهد المانيا يحاول الاخذ بالثأر

وكان ولي عهد المانيا قد تقهقر في ١٥ ايلول سنة ١٩١٤ عن فردون ، الا انه وقف فجأة وقد تناول الامر بالوقوف . فالهجوم الفرنسي انتهى الى « بيكاردي » ونهر « الاين » وشمبانيا ، وبذلك بات الجناح الالماني الايمن بعيداً عن كل تهديد ، واستقر في اماكن منيعة في شمالي غابة « الارغون » ، بجانب « مونفوكون » ، واستند من الوراء الى موقع « متز » الحصين

وهذه الحالة اهابت بجيش ولي العهد الالماني الى العمل باطمئنان بكل ما تدعو اليه القيادة العليا . فهو معتصم بامنع مكان . ولم يكن يجهل اي قوات هي قوات العدو . فهو اكثر منها عدداً . وآلمه ان يتراجع بجيوشه المتفوقة في عددها امام جيش القائد ساراي ، وهو الجيش الفرنسي الثالث ، المؤلف من اربعة فيالق ، من الفيلق الثاني والخامس والسادس والخامس عشر، تدعمه بعض القوات الاحتياطية

وتجلت له هفوته في سيره الى « رافينيي » و « بار له ديك » . فلم يسر تواً الى مهاجمة « فردون » بالقوات المحتشدة حول « متز » . وهذه القوات بعد اجتيازها سهول « ويفر » اضحت لا تجرؤ على تسلق اعالي « الموز » . وترددها دعا القائد « ساراي » الى حشد قواته كلها على ضفة نهر « الموز » اليسرى

ولي العهد يريد التكفير

ومال ولي العهد الى التكفير عن هفواته كلها. فدعا اليه الفلد مارشال « فون هيزلر » البالغ الثمانين من العمر . على ان نفوذه العسكري كان يدعو الجيوش بكاملها الى احترامه وله عليها فضل تأليفها يوم كان يتولى القيادة في « متز »

واطاع « فون هيزلر » مشيئة ولي العهد. واقبل الى مقر اركان الحرب في « ستيناي» فيما القوات الالمانية في القلب والجناح الايمن تتأهب للقيام بعمل حازم تهدم به اثر معركة المارن ، فتخترق الخط الفرنسي وتمشي مرة اخرى الى باريس

فاعلن « فون هيزلر » ان من الواجب اعادة الهجوم على ضفتي نهر « الموز » . وتقرر ان يتخذ في البدء ولي العهد في ضواحي « مونفوكون » خطة الدفاع ليجذب اليه الشطر الاكبر من القوات الفرنسية، بينما يهاجم جيش « متز » اعالي نهر « الموز » يقوده القائد « فون سترانتز » احد الابطال الظافرين في موقعة « مورهانج »

وهكذا يمسي جيش القائد ساراي بين نارين . فيجتاز اليه

القائد « فون سترانتز » نهر « الموز » في جنوبي « فردون » ويقيم وراءه ، على حين ان قوات ولي العهد تضغطه بعزم فيمسي عصيراً

هذه هي الخطة التي تم الاتفاق عليها في اركان حرب ولي العهد الالماني، وهي خطة ترمي الى امتلاك « فردون» ووقوع شطر كبير من



قوة بلجيكية في خنادقها في « ايزر »
ترد هجمات الجيش الالماني

جيش القائد « ساراي » في الاسر، وقطع خطوط الاتصال المباشرة بين باريس ومنطقة اللورين

ولكن ...

ولكن خطة القائد « فون هيزلر » لم تنجح في سوى قسم منها، فكان يحمي اعالي « الموز » كتائب احتياطية لم يتفق لها ان خاضت المعارك قبل الان .وما استطاعت امام قوات القائد « فون سترانتز » الثبات

وفي ٢٠ ايلول استولى الالمان على مرتفعات « فيفيسال ليس هاتو نشاتل » المشرفة على سهول « ويفر » ، وبلغوا من منفذ «سبادا» نهر « الموز »

وفي بضعة ايام تهدم الحصن القائم في شبه جزيرة مضرب الرومانيين . وفي اليوم الخامس والعشرين دخلت قوات القائد «فون سترانتز » بلدة « سان ميهيال » وقطعت كل اتصال بين « فردون » و « تول »

القائد « ساراي » يحاول هدم الخطة الالمانية

على ان القائد « ساراي » ، وكان يستعد لمهاجمة «مونفو كون» ، وثب الى لقاء جيش « متز » وكل قصده هدم خطة القائد الالماني « فون هيزلر »

وخاض معارك شديدة القسوة استطاع على اثرها وقف التقدم الالماني في مرتفعات « الموز » وحال دون اجتياز الالمان النهر

وفي شمالي « تول » تسنى للفيلق الفرنسي الثامن، المفصول عن جيش اللورين ، ان يقف بالالمان على بضعة اميال من « سان ميهيال » في غابات « ابريمون » و « دايي »

ودامت المعارك مفجعة دامية حتى اواخر تشرين الثاني ، غير ان الفرنسيين وقد تمكنوا من احتلال منازل « شوفونكور» الاولى لم يفلحوا في استعادة « سان ميهيال»، على انهم حصروا الاجتياح الالماني بمساحة محدودة من الارض

ولي العهد ينصر « فون سترانتز »

واقبل ولي العهد، نزولا على الخطة المقررة، الى نصرة «فون سترانتز». فقام بهجوم وثاب ملك به بلدة « ده فوكوى » على ضفاف نهر «لير» واحتل غابة « غريري » الواقعة شمالي طريق « فارين » الممتد الى « فيان لافيل »

ولكن النجاح لم يكن حليفه في هجماته كلها . ففي ٣ تشرين الاول قهرت قواته ، ومنها الفيلق السادس عشر الشهير ، بجانب « لاهارازه »، واضطر الامير الى التراجع الى خطوطه التي كان قد انشأها من « بينارفيل » الى « مونفوكون »

واستقر الموقف على هذا الحال لا يتبدل على شهور طوال . فالمناوشات كانت تقع، الا ان الفوز الباهر لم يكن في جانب فريق من الفريقين

ما هي «الارغون» ؟

ولا بأس ان نتحدث عن « الارغون » ونحن نروي ما وقع فيها من معارك هدامة . فالارغون سلسلة من الجبال تكسوها الغابات. وهي سلسلة تمتد على طول ستين ميلاً ، وعرضها اثنا عشر ، يجري عن جانبيها نهر « الاين » ونهر « لير » ، وكانت ولم تبرح منذ عصور الحد الفاصل بين ولاية « شمبانيا » وولاية « اللورين »

وهذه السلسلة من الجبال ليست مرتفعة . فلا تعلو اربعمئة ذراع في ناحيتها الجنوبية ، وتنخفض بانتظام في ناحيتيها الشمالية والغربية ، وتشرف بغاباتها الكثيفة على ضفة نهر « لير » اليسرى . غير ان الارض ملأى بالمهاوي والحفر والبحيرات

والطرق قليلة في هذه الاماكن الموحشة

على حين ان باقي الجبهة المعسكرة فيها قوات ولي العهد الالماني والقائد « ساراي » الفرنسي لا تماثل جبال « الارغون » في وحشتها . فهناك



كيف حارب الفرنسيون الغازات الالمانية الخانقة ؟

فئة من الجنود الفرنسية في خنادقها يخفي وجهها القناع الواقي من الغازات الخانقة التي استعان بها الالمان في اثناء الحرب الكبرى

قرية « فو كوى» ووادي « الموز » وبلدة « فردون» القديمة بمنازلها، وفيها يقوم حصن قديم من عهد « الغول » ، وتمتد حولها حصونها فتمنطقها وتطوقها كالسوار وتخلع عليها منظراً كئيباً ، عابساً ، هو منظر القوة المعتزلة المتلفتة بازدراء الى كل ما حولها

وكل ما في تلك المنطقة جبال واودية وصخور وانهر . وهي بمجموعها حواجز طبيعية صعبة المنال . وليس بينها من منفذ سهل غير « روبت ده كراير » بين « تيو كور» و « فيفيال » و « سان ميهيال » .

الهجوم على "فردون"

ومع كل ما اصطدم به جيش ولي عهد المانيا ظل يفكر في مهاجمة « فردون »

فلم يحفل باخفاقه في ٣ تشرين الاول وقد ثبت امامه الجيش الفرنسي يمنعه من التقدم في « الارغون» ومن الوصول الى «فردون» الحصينة

ذلك ان الجيش الالماني الواثق بنفسه لا يريد الاعتقاد بان ثمة قوة تقف بوجهه ولا ان هناك من يعانده . فالعزم المتقد فيه ،والدم الحار الجاري في عروقه ، والدماغ الجبار المحتل رأسه ، هي في عرفه مواهب لا يزدان بها سواه

وبهذا الايمان الفولاذي شاء ان يعيد الكرة على « فردون ». فلا بد من امتلاكها

وزاد ولي العهد ثقة بنفسه وبتفوق قواته القائد « فون هيزلر » . فكان يدفعه ابداً الى النضال. واتفق الاثنان على ضرورة قطع خط « سانت مينيهولد » الحديدي الذي يربط مدينة « فردون » بسائر انحاء فرنسا

واحتلت القوات الالمانية خطاً يبتدىء من « فو كوي » ، ويمر بجانب « بوراي » ،ويبلغ طريق « شيفوشه »العلياء وينحدر الى غدير « لافيل مورت » في اطراف غابة « بولانت » الشرقية ، ثم يتجه الى الشمال

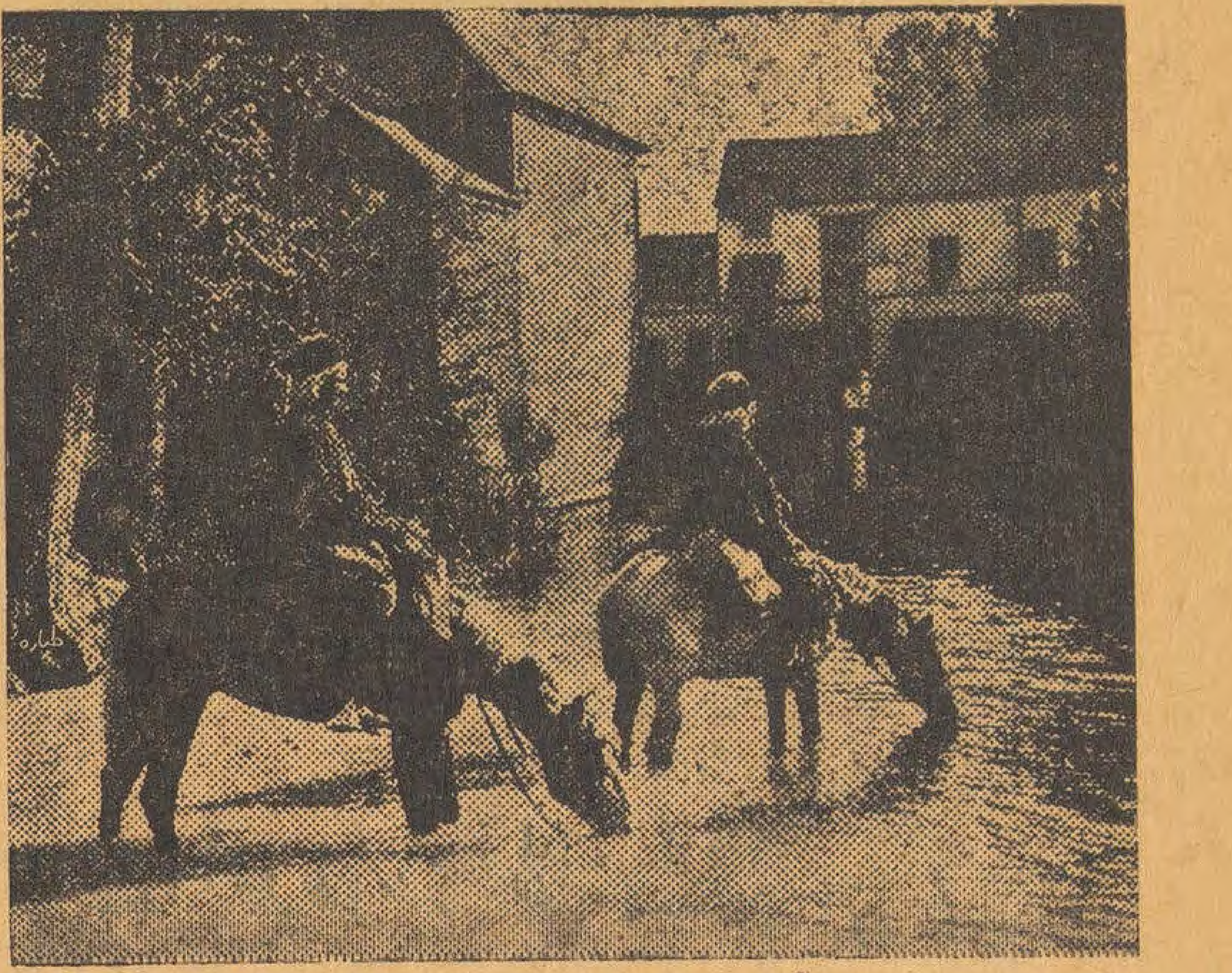
وهذا الخط احسن الالمان تحصينه ، وانشأوا فيه الخنادق على وعورته ، وذللوا كل عقبة في سبيل وصول المؤن والذخائر اليهم

ولم تكن القوات الفرنسية مجهزة للقتال في هذه الانحاء كالقوات الالمانية . فالفرنسيون اقبلوا من مختلف جهات القتال ، فلم يكونوا على خبرة واسعة بتلك الارجاء الصخرية ، الا ان جبال « الارغون» ضمنت لهم الاماكن الحصينة والتفوق بها على العدو

خطة الفرنسيين

واعتزم الفرنسيون خرق جبهة الالمان من ناحية « غرانبره »، وكل قصدهم ان يحموا الخط الحديدي بين « شالون » و « فردون » وان يقضوا على الالمان بالجمود

وبدل ان يسعوا على اثر معركة « المارن » لدفع اعدائهم الى



فارسان جزائريان

يجتازان بجواديهما نهر « الايبر » في بلجيكا

ما وراء غابات « الارغون » اكتفوا بان يقيموا خطوط دفاعهم في اطراف الغابة . وانشأوا امام الخنادق الالمانية خنادق فرنسية ، ولم يكن المجال بعيداً بين خنادق الفريقين. فالمسافة لم تكن تتجاوز احياناً ستين خطوة

وتولى الخط الحديدي الممتد الى « فردون » تموينهم. فكان يحمل اليهم ما هم بحاجة اليه من ذخائر ومؤن . وهناك طريق عام ممهد امام سيارات الشحن يوافيهم بما تضيق عنه القطر الحديدية

وعهد القائد ساراي بجبهة « الارغون » الى القائد « جيرار » واقام ينتظر بهدؤ هجمات ولي العهد الالماني عليه

بدء الهجوم

ولم يطل موعد هذه الهجمات

وكانت هجمات غريبة . فعلى الالمان ان يفاجئوا اعداءهم في خنادق لا تبعد عنهم ستين خطوة ، الا انها خنادق لا تظهر للعين وقد حجبتها الاشجار الظليلة المشتبكة غصونها بعضها ببعض

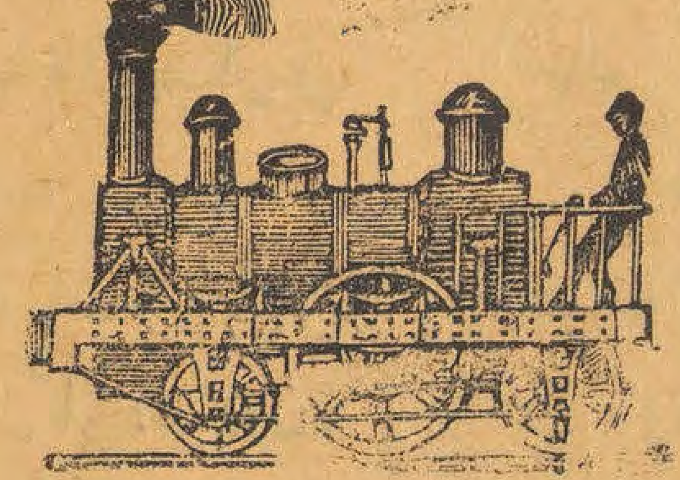
وتساءل الفرنسيون فيما بينهم عن الخطة التي سيستعين بها الالمان في هجومهم . والالمان انفسهم تساءلوا عنها . واذا القائد الالماني « فون مودرا » يهتدي اليها . فهو قائد فيلق « ميتز » السادس عشر. وكانت خطته ترمي الى تقويض مواقع العدو بالالغام . فهي الخطة الوحيدة الناجعة في جبال « الارغون »

حرب الالغام

واستطاع القائد « فون مودرا » اقناع ولي العهد والقائد « فون هيزلر » بان فكرته هي الفكرة الصائبة ، وبان الهجوم على غابات « الارغون » بقوات جرارة كالهجوم على باريس يعرض الجيش الالماني لخيبة اخرى

فاقتنع ولي العهد والقائد « هيزلر » بصواب رأيه واطلقا له يده في العمل . ومنذ ذلك الحين بات « فون مودرا » كأنه القائد الاول لجيش ولي العهد ، وربما لجيوش المانيا باسرها

ودعا اليه من « متز » قواته النسافة المقيمة في حصن تلك المدينة ، وفي ٣١ تشرين الاول سنة ١٩١٤ بدأ عمله دون ما انقطاع، وطال هذا العمل على مدى سنة ١٩١٥ بكاملها



الارض تتطاير في (الارغون)

الجنود الالمانية تفاجئ الخنادق الفرنسية وليس بايديها غير القذائف

عجائب القائد (فون مودرا) الالماني تحدث في القتال عهد أجهزة أو تعود به الى الوراء

سار أي يقابلهم بالمثل !

اول ما خطر للقائد « فون مودرا » ان يحتل غابة « غربري » بتمامها . فسعى لتقريب المسافة بين الخنادق الالمانية والخنادق الفرنسية بان حفر اليها نفقاً مكشوفاً ، الا ان هذا المسعى لم يكن بالكافي ، فالفرنسيون وقد اقاموا وراء الاسلاك الشائكة كانوا على استعداد لاطلاق النار على كل من يدنو منهم ممن يحفرون الارض . فتحصنوا وراءها بمدافعهم الرشاشة وبنادقهم السديدة الاطلاقة

اذاً لم يكن بد من حفر الدهاليز لتنظيم حرب الالغام . والامر مع كل ما يحتاج اليه من زمن وصبر طويل لم ير الالمان لهم عنه غنية. فاتفقوا على ثقب هذه الدهاليز والوصول بها الى ما تحت الخنادق الفرنسية وربط بعضها ببعض بخطوط كهربائية ، حتى اذا ما دقت الساعة اتصل المجرى الكهربائي بهذه الخيوط وتم النسف على اهون سبيل

كل هذا اعتمده القائد « فون مودرا » وعهد الى قواته بتحقيقه

وزيادة في الحيطة عهد قائد الفيلق الالماني السادس عشر الى القوات الالمانية في « الارغون » بان تطلق على الخنادق الفرنسية قذائف مدمرة تهدم خطوط الدفاع باسرها

وهذه القذائف تطلقها مدافع خاصة تحمل اسم « النسافات » وتحوي من المواد المتفجرة ما تهتز به الارض . وكان باستطاعته ان يعهد الى جنوده باطلاق هذه القذائف باليد ، ولكن الخنادق قريب بعضها من بعض ، فاذا انفجرت القذائف فقد تصيب الالمان كما تصيب الفرنسيين

الهجوم بعد النسف

وتقرر العمل في ٣١ تشرين الاول ١٩١٤

وفي الموعد المضروب اطلقت « النسافات » نارها ، وانفجرت الالغام ، وهجمت القوات الالمانية على الحصون الفرنسية هجمة الواثق بالظفر

وتطايرت الارض ، واشتعلت ، وفوجىء الفرنسيون بما لم يكن بالحسبان . فادركهم الذعر ، خصوصاً وكانوا يبصرون الجنود الالمان يهجمون عليهم دون ان يحملوا بايديهم البنادق . فما كانوا يحملون في معظمهم غير قذائف يرمون بها الفرنسيين

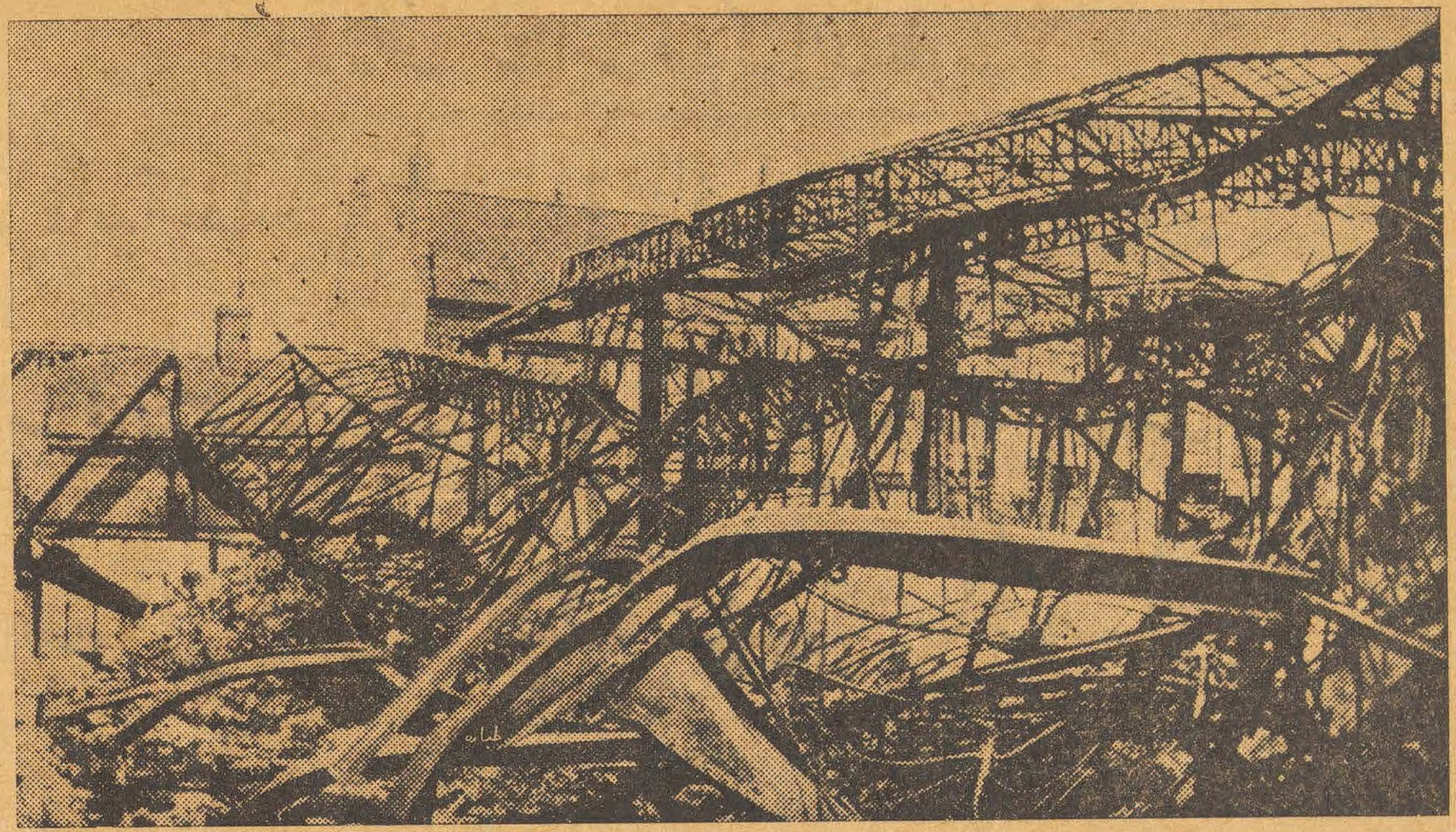
الفرنسيون ينهزمون من خنادقهم

وتجاه هذه المفاجأة لم يقو الفرنسيون على الاحتفاظ بمواقعهم. فانهزموا امام التيار الالماني وانصرفوا عن غابات « غربري » ومالوا عن ملتقى الطرق الحديدية في « فور ده باري » . وكادت تستقر هذه الطرق بين ايدي الالمان ، الا ان القادة الفرنسيين ابوا ان تصيبهم هذه الجائحة ودفعوا قواتهم الى استعادة اماكنها . وفي ٣ تشرين الثاني واثب الفرنسيون في الغابة الجيش الالماني ولم يعجزوا عن استعادة معظم الاماكن المنتقلة منهم الى الالمان ، فاندفعوا في هذه الغابة الى « فونتين مدام » ، مما قضى على نجاح القائد « فون مودرا » بان يكون قصير الامد

والحق يقال ان حرب الالغام ، وقد دعا اليها القائد « فون مودرا » ، لا يمكن ان تكون سريعة ، فهي تحتاج الى وقت طويل ، ثم ان اعداءه انفسهم يقوون على الاستعانة بها

الفرنسيون يميلون الى حرب الالغام

واستعان الفرنسيون بهذه الحرب . فجاؤوا بكل ما لديهم من ادواتها .



مصنع فرنسي في «ايبر» هدمته القذائف الالمانية

وعمدوا الى ما تحفظ المتاحف من المدافع القديمة رامية القذائف النسافة . وهي مدافع يعود عهدها الى ايام الملك « لويس فيليب »

وكل فرقة من الجنود حوت فئة من رماة هـذه القذائف . واختلفت في رميها عن الجنود الالمان

واقتدى الجيش الفرنسي في حفر الدهاليز تحت الارض بالقائد الالماني « فون مودرا » وبث القذائف تحت الخنادق الالمانية . واستطاع في بضعة اشهر ان يحفر نفقاً متشعباً طوله ثـلاثة اميال وان يلقي تحت الخنادق الالمانية ،بين نهر« لير » و« فور ده باري »،سبعة اطنان ونصف طن من المتفجرات

وهـذه الاساليب الجديـدة وقد اعتمدها الجيش الفرنسي الثالث تسنى له بها منذ شهر كانون الاول سنه ١٩١٤ التأهب لصد هجمات الالمان

فون مودرا يعود !

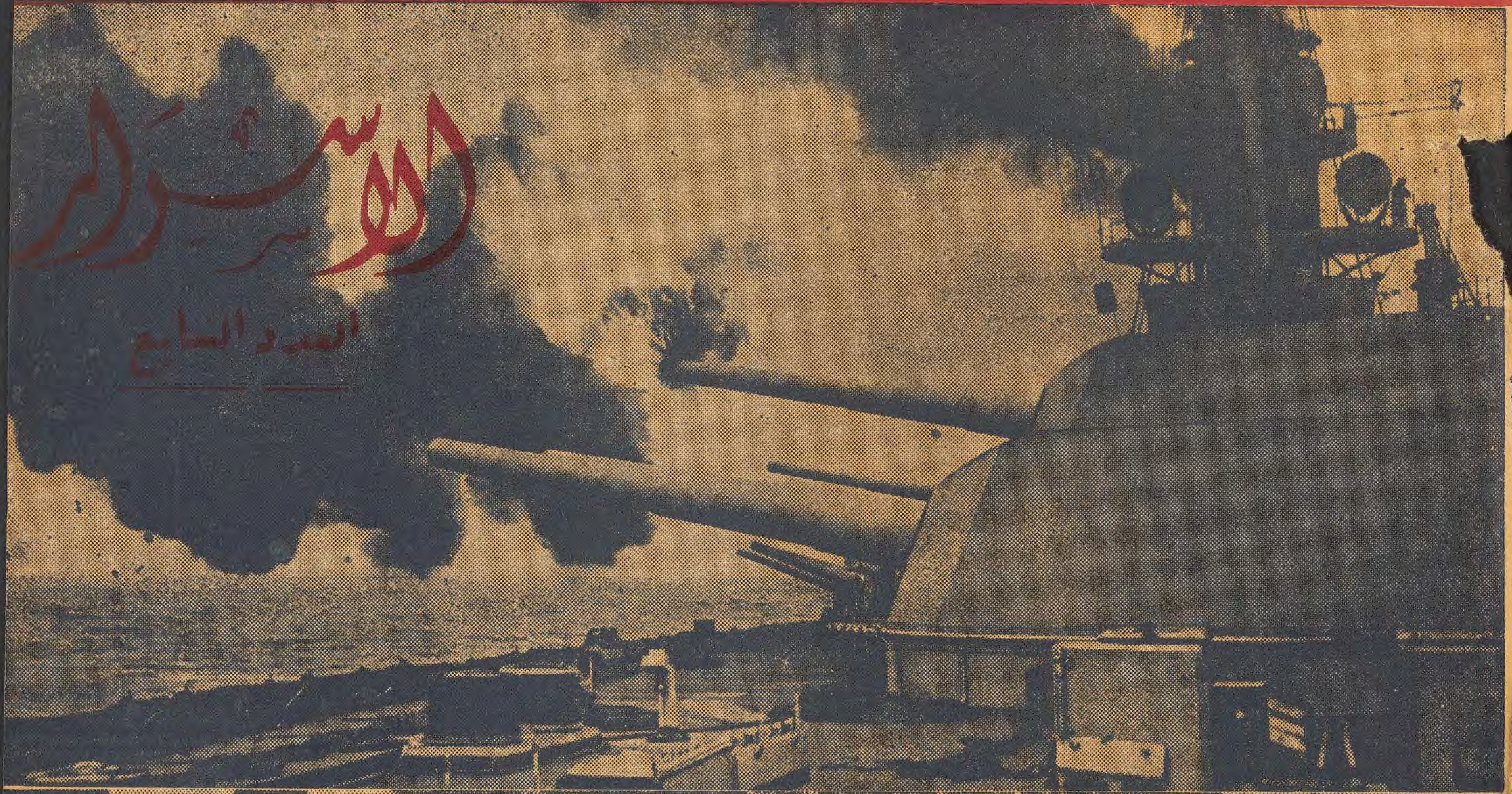
و«فون مودرا» ، وهو الشديد الصلابة كسائر بني قومه، عاد الى خطته الاولى والى هجماته . بيد ان الفوز التـام لم يكن في جانبه ، بلى ، لقد فاز في اوائل سنة ١٩١٤ وتقدمت قواته ، ولكن بعدما قام بتضحيات جسيمة . فتقدم في منطقة « شيفوشه » العليا دون ان يدرك النصر الطامع فيه

ولجأ الى الغازات الخانقة والى القذائف المنبعثة منها هذه الغازات ومضى في قتاله بقوة وجرأة ويقين بان الفوز الاخير سيكون له

وساعدته الذخائر الواردة ابداً على معسكره ، ولم تبخل عليه القيادة العليا بالقوات التي يحتاج اليها في تهديمه . فكان يندفع ابداً ، لا يتراجع ولا تفتر له همة . فهو يريد بلوغ الهدف ولو ضحى بما ضحى به . وهذا الهدف كان يبلغه احياناً الا ان الحلفاء لا يلبثون ان يبعدوه عنه .

فالحرب بينهم وبينه سجال . وظل هذا شأنه وشأنهم حتى شهر تمـوز ١٩١٥ ، فقـام يومذاك « فون مودرا » بهجوم منظم ، غير ان النصر لم يبسم له. فخاض معركة دموية تساقطت فيها الجثث بالالوف، فاحتمل الفرنسيون وقعها وصبروا عليها وكانوا الظافرين !

اسرار الجاسوسية والحرب الكبرى



بارجة انكليزية تضرب الدردنيل



منظر عام لمضيق الدردنيل

بدل النسخة
١ قرش صاغ

الأسرار

مجلة اسبوعية تاريخية تبحث في التاريخ وما اهمله التاريخ

اصحابها : انطون صادر ، كرم ملحم كرم ، فؤاد ميداني

رئيس الانشاء المسؤول: كرم ملحم كرم — منشىء القسم الشرقي: فؤاد ميداني

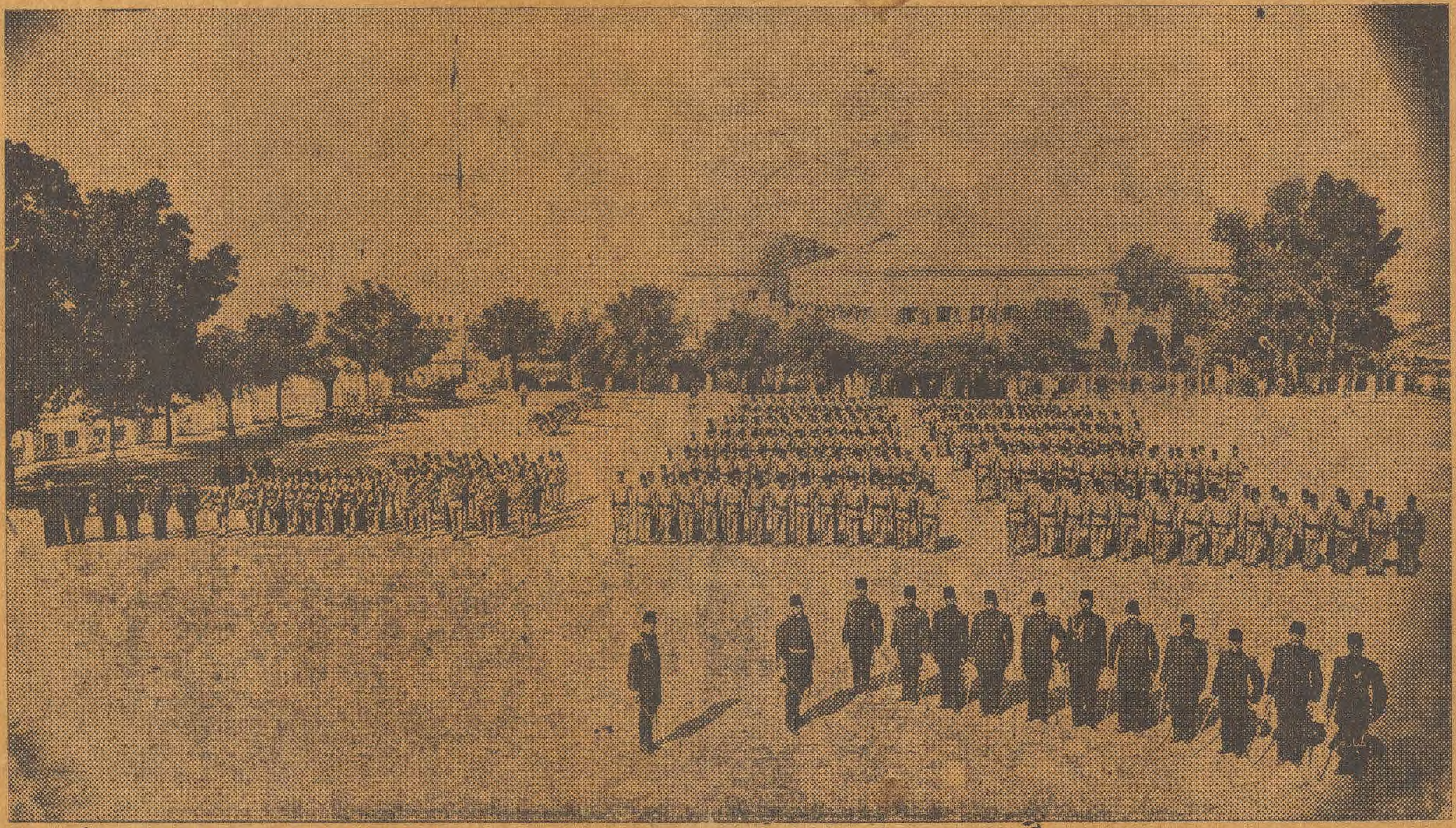
المكاتبات باسم مدير المجلة : انطون صادر

الادارة مكتبة صادر * شارع اللنبي * بيروت

العدد ٧ بيروت في ١٧ ايار سنة ١٩٣٨

اسرار الجاسوسية في القضية العربية

بقلم فؤاد ميداني



سـاحة المفوضية العليا القديمة في بيروت في العهد العثماني

منظر الساحة القائمة بين دار المفوضية العلياالفرنسية ودار العدل في سنة ١٩١٥ ،وترى فيها قوات الجند العثماني معموسيقاها واقفة لتحية جمال باشا ووراءها عدد من المدافع جيء بها لتحية القائد العثماني

كان الاحتفال باستقبال احمد جمال باشا في بيروت بالغاً منتهى الروعة لما جاء لاول مرة اليها بعد فشله في اختراق قناة السويس

وجمال باشا كان بين قومه كثير التواضع ، جم الادب ، وافر التهذيب ، اما هنا فقد انقلب تماماً . ووصفه فالح رفقي بك في مذكراته التي نشرها منذ ثلاث سنوات تحت عنوان « في جبل الطور » وصفاً حقيقياً حلل به نفسية الرجل

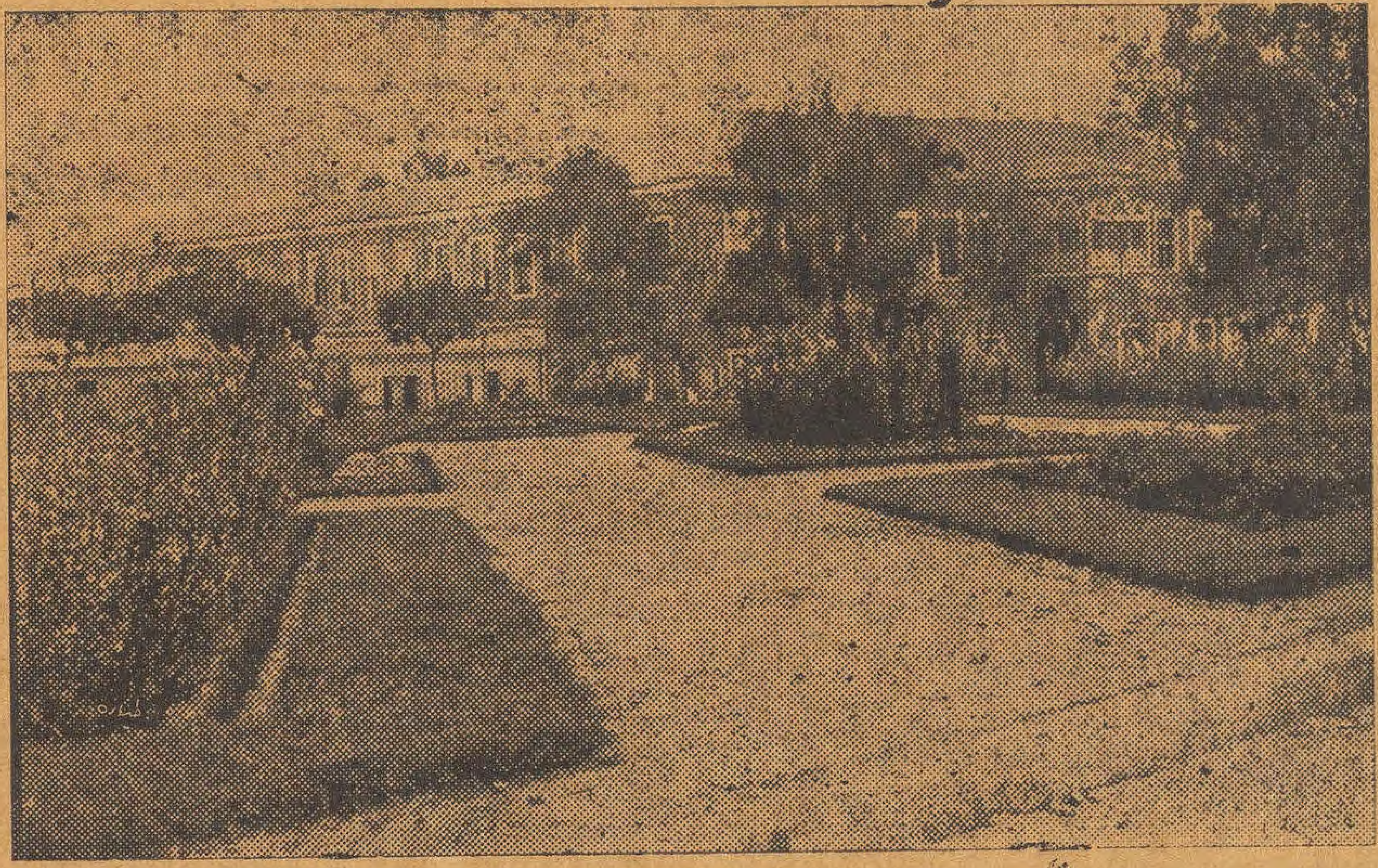
وفالح رفقي بك من ادباء الترك المعروفين ومن اعضاء جمعية « تورك اوجاغي » ، تلك الجمعية التي اسسها احمد جمال في استانبول

للنهوض بالشبيبة التركية . ولما اعلنت الحرب دعاه اليه احمد جمال باشا ليكون بجانبه . وتولى فالح رفقي بك عدة مناصب عسكرية لدى الانقلاب التركي ، فلازم كمال اتاتورك رئيس الجمهورية التركية ، وهو اليوم رئيس انشاء جريدة « اولوس » ومن نواب المجلس الوطني الكبير

ماذا يقول عن جمال ؟

قال فالح رفقي بك في مذكراته : « اعتدت مقابلة جمال ساعة

القاعة يؤلفون حلقة وراء جمال باشا وقد ظل يوليهم ظهره . ولما نبهته الى ذلك تظاهر بانه لم يسمع واخذ يحادثني احاديث لا معنى لها مدة من الزمن ، وبعد ذاك اشار بانه علم بدخول هؤلاء القوم عليه . فالتفت اليهم مقطب الجبين متفرساً فيهم ، فانحنوا امامه حتى الارض ، فرد التحية بانحناءة بسيطة ومشى امامهم الى صدر القاعة . وثمة مكتب فخم فجلس اليه جمال ووجه حديثه الى زائريه ، وقد علمنا انهم من العلماء والوجهاء في بيروت والملحقات ، وذلك دون ان يدعوهم الى الجلوس



☀ ساحة المفوضية العليا اليوم ☀

رأينا ان نأخذ هذا الرسم « للاسرار » ليقارن القراء بين حالة هذه الساحة اليوم وما كانت عليه في الماضي كما تبدو في رسمها القديم المنشور في من الصفحة الاولى هذه المجلة

اريد ، كما اعتاد جمال استقبال زائره بحفاوة وترحيب وايناس ، ولهذا دهشت للمنظر الذي شهدته لما جئت لزيارة الرجل في بيروت . فوقفت بجانبه على الشرفة المطلة على ساحة دار الحكومة . وبدت هناك شرذمة من الجند لتحيته مع موسيقاها ، وظهرت لنا دار قيادة الجند ودار العدل . واخذنا نتحدث عن استانبول وعن استعداده لحملة قناة السويس الثانية . ولما دق الباب ودخل مرافق احمد جمال يقول :

« — كلديلر افندم ! (اي جاؤوا ياسيدي !)

« قال جمال : ليدخلوا !

« وتلفظ بكلمته وهو لا يزال في موقفه يدير وجهه الى النافذة . ولما سمعت حركة ورائي التفت قليلا فاذا جمهور كبير من الاهلين يدخلون القاعة ، بعضهم معمم وبعضهم يرتدي الملابس الرسمية . ووقفوا عند باب

« وليس بامكاني سرد الحديث الذي دار في تلك الساعة ، الا انه من الراهن حديث تهديد ووعيد . وكان هؤلاء يصغون اليه خائفين وجلين

« ولست اكتم القراء اني تأثرت لهذه المعاملة القاسية وتعجبت من التبديل الذي اعترى الباشا ولم اكن اعرفه بهذه القساوة . وكدت اغادر القاعة لشدة تأثري لولا قيام جمال باشا عن مقعده واشارته الى زائريه بان موعد المحادثة قد انتهى

« ولما خرجوا التفت الي احمد جمال باشا وقال :

« — رأيتك تتعجب من طريقتي في مقابلة هؤلاء الناس !

« قلت : اجل ، فقد تبدلت كثيراً في استقبال زائريك

رأى جمال فى السوريين

« فاجاب: انت تجهل نفسية هؤلاء القوم. ضحكت في وجوههم لما اتيت الى بلادهم فظنوا بي ضعفاً وقاموا يحاربونني . وبلغ بهم الاستخفاف بي ان اخذوا يتغنون بعروبتهم وقوميتهم وانصرفوا الى تدبير المكايد لضرب قواتي من الوراء . عند ذاك ادركت ان ليس بالامكان امتلاك امرهم بسوى الشدة . فكلما ظهرت تجاههم قوياً بطاشاً رهبوا جانبك واحترموك !

« قلت: ولكن سياسة الشدة والبطش قد تضرّ بك في المستقبل !

« فقال : انت على خطأ . هؤلاء سيظلون يخافونني ما دمت قوياً او ما دمت اتظاهر بالقوة ، واذا رأوا مني ضعفاً ، ولو قليلا ، انقلبوا عليّ وكانت العاقبة غير محمودة !

« وقواتنا الان ضعيفة ، ولذلك علينا ان نعتمد هذه الخطة في ارهاب الجماعة !... »

***

قال فالح رفقي : ورأيت فيما بعد من سياسة احمد جمال باشا ما حقق ظنونه لبعض الحين . الا ان سياسته كتبت له في تاريخ البلاد السورية صفحة سوداء لا يزال يتحدث عنها ابناء تلك البلاد حتى يومنا هذا »

***

ذلك ما كتبه صحفي تركي معروف عن موقف احمد جمال من البلاد العربية . وما كتبه يدلنا على حقيقة روح الباشا في سياسته بلاد العرب بعد الفشل الذي منيت به قواته في معركة قناة السويس الاولى ، وبعد استعداد الحلفاء في ضواحي المضايق لضرب جناق قلعة وضواحيها .

واحمد جمال باشا في مذكراته التي نشرها بعد الحرب العالمية حاول ان يبرر موقفه من العرب والمعاملة الشاذة التي عاملهم بها فقال:

« حاولت ان استند الى العدل في سياسة البلاد العربية . ولذا عاملتهم عند قدومي الى دمشق معاملة حسنة واستمعت الى خطبائهم وهم يتغزلون بالنهضة العربية والوطنية العربية . وتكلمت فيهم معلناً ان النهضة العربية لا تتنافى والنهضة التركية ، وان في وسعهم اذا شاؤوا ينهضوا بامتهم وان يضعوا يدها بيد الشبيبة التركية لاسعاد السلطنة العثمانية

« ولكن هؤلاء الزعماء فسروا قولي بانه ضعف . واخذوا يرقبون فرصة انهاكي في تدبير حملة قناة السويس الاولى ليضربوني من الوراء وليحدثوا في البلاد ثورة تفسد علي المساعي التي قمت بها في سبيل الدفاع عن كيانهم »

ولكن من يقارن بين اقوال احمد جمال باشا واقوال فالح رفقي بك يجد فرقاً بعيداً . فالمعاملة القاسية التي يحدثنا عنها الصحفي التركي وقعت في بدء عام ١٩١٥ ، اي قبل الحوادث التي يريد احمد جمال باشا ان يتخذها حجة لتبرير موقفه من العرب

ومما لا ريب فيه ان احمد جمال باشا الذي كان في استانبول وديعا مرناً كما وصفه فالح رفقي بك انقلب تماماً لدى براحه اياها الى البلاد العربية وعلي فؤاد باشا يقول في مذكراته التي نشرها تحت عنوان « من باويس الى صحراء التيه » ان انقلاباً طرأ على شخصية جمال باشا. قال علي فؤاد :

« ما كاد جمال يركب القطار الى سوريا حتى انقلب من رجل مرن الى رجل متكبر طاغية . فالحفاوة التي جرت له منذ غادر استانبول الى سوريا جعلت منه رجلا آخر وحملته على الاعتقاد بانه الرجل المختار لافتتاح الاقطار الجديدة ، ولما تبددت احلامه لدى عودته من قناة السويس خائباً صب جام غضبه على ابناء البلاد العربية »

ماهي مضايق الدردنيل والبوسفور ؟ ...

الدولة العثمانية ظلت سيدة هذه المضايق حتى آخر الحرب الكبرى

المدرعتان الالمانيتان « غوبن » و « برسلو » في الدردنيل

الحرب في البحر الاسود

بدأت معارك جناق قلعة يوم استعد الاتراك لحملة قناة السويس الاولى . وقبل ان نتحدث عن هذه الحملة نعرض للقراء لمحة من تاريخ المضايق

للمضايق تاريخ قديم لا نرى من مجال لاثباته باجمعه في هذه السلسلة التاريخية من « الاسرار » ، الا اننا نشير الى بعضه

فالمعروف عن المضايق انها انتقلت الى القوات العثمانية لما احتل سنة ١٤٥٣ السلطان محمد الاول الملقب بالفاتح مدينة القسطنطينية . وظلت تحت سيطرة العثمانيين المطلقة الى سنة ١٨٤١ ، اي ما يقارب اربعمئة عام . والسر في ذلك ان العثمانيين ، وكانوا في ذلك العهد في اوج عزهم ومجدهم ، عمدوا الى احتلال البلاد المجاورة . وما كادت تحل سنة ١٤٧٥ ، اي بعد ٢٢ سنة على فتح استانبول ، حتى كانت البلاد الواقعة على اطراف البحر الاسود خاضعة بكاملها للسيطرة العثمانية . وبات هذا البحر معروفاً حتى سنة ١٦٦٩ باسم « البحيرة العثمانية » ، وفيها تمكن الروس ان يجدوا لهم منفذاً يطل على البحر الاسود ، فاحتلوا مدينة (آزاق) ، وحاربوا على اثر احتلالها العثمانيين واجبروهم في معاهدة « كارلوفشة » المنعقدة سنة ١٦٩٩ على ترك هذا المرفأ

وتبدل الموقف في معاهدات سنة ١٧١١ وسنة ١٧٣٩ وسنة ١٧٧٤ ، ونال الروس بهذه المعاهدات منافذ على البحر الاسود ، ومنذ ذلك الحين بدأ التنازع السياسي بين تركيا وروسيا في مضايق البوسفور والدردنيل

فتح المضايق

وفي سنة ١٨٢٩ امضيت معاهدة « ادرنة » وفيها اطلقت لاول مرة حرية السفن الاجنبية في اجتياز المضايق الى البحر الاسود .

وكانت السفن الروسية اول من اجتازها في اليوم العاشر من شهر تموز سنة ١٨٢٩ بعد ان ظلت السفن العثمانية وحدها صاحبة الحق في اجتياز المضايق مدة ٣٧٦ سنة كاملة .

الا ان معاهدة « ادرنه » حافظت على سيادة الدولة العثمانية من الوجهة الحربية ، ومنعت السفن الحربية الاجنبية من الانطلاق في المضايق . والمعاهدات التي عقدت في سنتي ١٨٤١ و ١٨٥٦ و ١٨٧١ حافظت على الموقف

معاهدتا باريس ولندن

فمعاهدة باريس الدولية التي امضيت في ٣٠ نيسان سنة ١٨٥٦ لبحث مصير السلطنة العثمانية اقرت احكام معاهدة سنة ١٨٤١ الخاصة بالمضايق ولم تحدث فيها تبديلا . ومعاهدة لندن المنعقدة في ١٣ اذار سنة ١٨٧١ تناولت المضايق ببعض التعديل وقد نصت احدى موادها على ان للسلطان العثماني الحق ، اذا اراد ، ان يجيز للقطع الحربية الاجنبية المرور في المضايق

في حالة الحرب

وهذه الاحكام تسري في المضايق في حالة السلام ، اما في حالة الحرب فمن حق السلطنة اتخاذ التدابير التي تراها موافقة لحماية بلادها ومنع القوات الاجنبية من العبث بها

وفي الحرب العالمية ...

وظلت احكام اتفاق لندن الاخير مرعية الاجراء حتى بدأت

الحرب الكبرى . فاقدم عند ذاك الاتراك على اقفال هـذه المضايق ومنعوا السفن الحربية الاجنبية من الدخول . وما اجازوا ذلك لسوى الدرعتين « غوبن » و « برسلو » الالمانيتين نزولا على اتفـاق سابق بينهم وبين الالمان . وكان دخول هـاتين المدرعتين المضايق سبباً في خوض السلطنة العثمانية الحرب العالمية

معارك الدردنيل

هذه هي لمحة تاريخية مختصرة عن المضايق اوردناها في «الاسرار» زيادة في الفائدة . وقضية المضايق مثلت دوراً مهما في المشاكل السياسية .



خريطة الدردنيل والبوسفور والبحر الاسود

وضعنا هذه الخارطة لتمثيل المضايق ومدن البحر الاسود التي اقـدم الاسطول العثماني على ضربها، كي يسهل على قراء « الاسرار » ان يتابعوا حركات الاساطيل في البحر الاسود وقد جرت فيه المعارك الحربية التي نتولى ايضاحها في هذه النشرة

احتلال المضايق

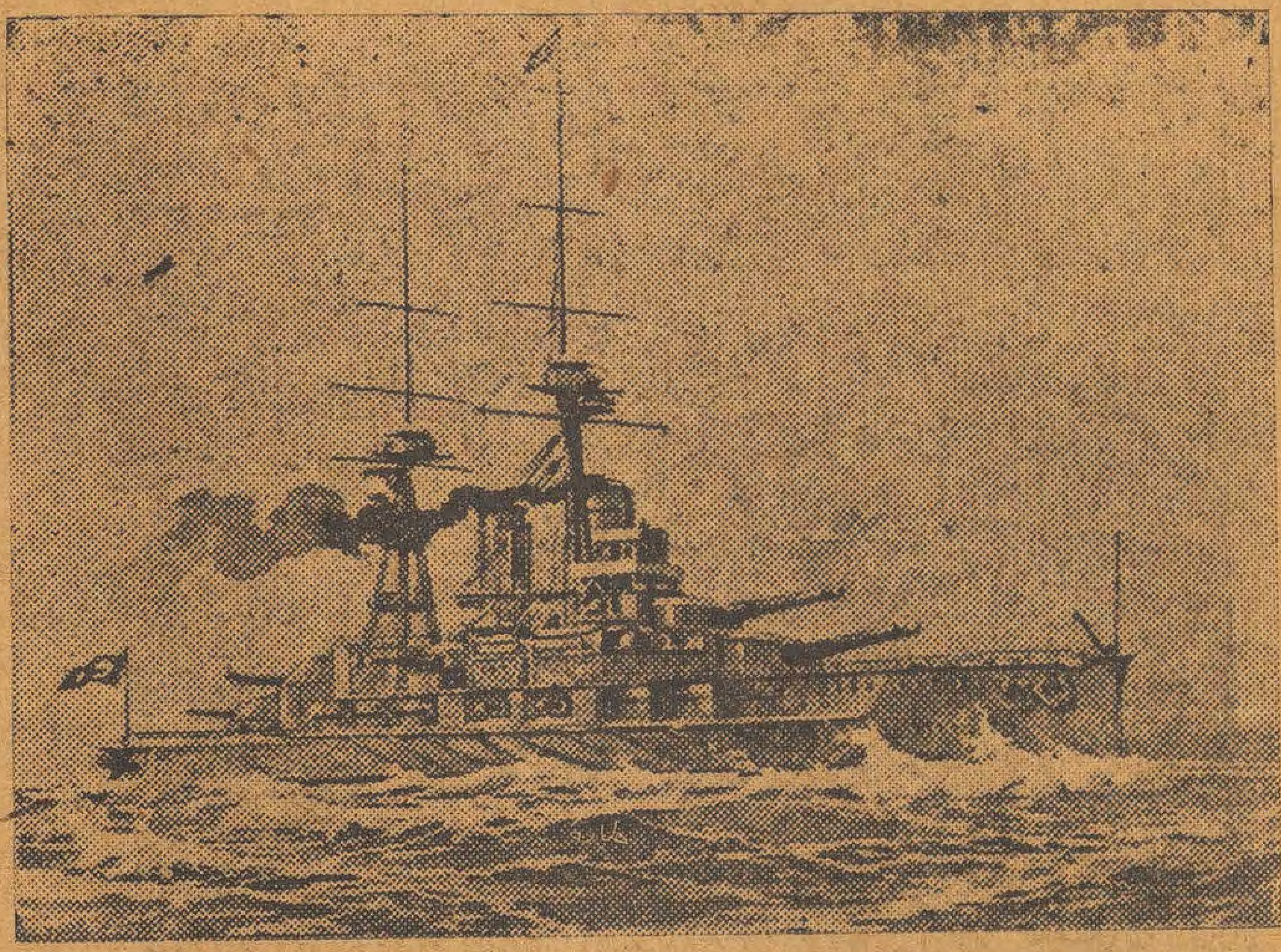
ومنذ سنة ١٤٥٣ لم تدخل سفن الحلفاء المضايق في سوى عام ١٩١٨، وذلك لاول مرة، عقب امضاء معاهدة « موندروس » التي اباحت للحلفاء احتلال استانبول وضواحيها . وظل هؤلاء احراراً فيها يديرون شؤونها كما يشاؤون حتى استتب الامر لاحرار الترك الكماليين وعقدوا معاهدة « لوزان »

اما كيف بدأت المعارك فالى القراء التفصيل :

المدرعتان الالمانيتان « غوبن » و « برسلو »

في بدء الحرب العـالمية اخـذ الاسطول الانكليزي يطـارد المدرعتين الالمـانيتين « غوبن » و « برسلو » المنطلقتين في البحر المتوسط . فـلم يكن منهما الا ان لجأتا الى الدردنيـل زاعمتين ان الحكومة العثمانية اشترتهما من المانيا . فحملت الاولى اسم المدرعة « ياووز » والاخرى اسم « مدللي »

ولما دخلنا المضايق ظلت وحدات اسطول الحلفاء في الخارج تراقبها حتى خاضت تركيا الحرب العالمية . وقبل ان يضرب الانكليز قلعة « الفاو » استعداداً لاحتلال البصرة عمدوا الى ضرب المضايق وذلك في اليوم الثالث من شهر تشرين الثاني ١٩١٤



رسم المدرعة « مدللي » في شكلها العثماني الدارعة « مدللي » بعدما تحولت من المانية الى عثمانية . وهذا رسمها بعد اجتيازها المضايق ورفعها العلم العثماني بدل العلم الالماني

قبل احتلال الشواطىء

فقد بدأ الحلفاء اخراج قواتهم العسكرية الى سواحل المضايق في شهر نيسان ١٩١٥ ، وبين هذا التاريخ و٣ تشرين الثاني سنة ١٩١٤ ، يوم بدئهم ضرب المضايق للمرة الاولى ، وقعت عدة حوادث خطيرة نرى من الضرورة تفصيلها على الصورة التالية :

لما ضرب الاسطول العثماني في اواخر تشرين الاول سنة ١٩١٤ الشواطىء الروسية في البحر الاسود عاد الى استانبول دون ان يحرك ساكناً . وظل في مياه العاصمة حتى ١٧ تشرين الثاني سنة ١٩١٤ اذ ورد عليه الامر القائل :

« عمدت تسع عشرة قطعة من الاسطول الروسي الى ضرب طربزون بالقذائف . فعلى الدرعتين ياووز ومدللي (اي غوبن وبرسلو الالمانيتين) الاحاطة بالاسطول الروسي يعاونهما الطراد حميديه والطراد سلطان عثمان وسائر القطع التي تحتاجان اليها »

***

وبعد ساعتين من هذا الامر خرج الاسطول العثماني من المضايق الى البحر الاسود ينساب كالافعى بين حفل الطوربيد المنثور في البحر ووجهته « سباستوبول » . وكان يسعى للوصول الى هذا المرفأ الحربي الروسي في اقرب وقت مستطاع ليتمكن من ضربه قبل عودة الاسطول الروسي من طربزون فيشتبك واياه في معركة فاصلة

السكون التام

وسار الاسطول العثماني في جو هادىء حتى اقترب من سباستوبول . وكان الليل قد انتصف والضباب الكثيف قد حجب هذه المنطقة .

وسارت « مدللي » في مقدمة الاسطول ، بل هي ابتعدت عنه كل البعد

ويظهر ان امير البحر « سوشون » الالماني ادرك خطورة الموقف فابرق باللاسلكي من المدرعة « ياووز » يقول :

« على مدللي ان تحافظ على نفسها ، فالضباب كثيف ، ومن الممكن ان يظهر العدو قريباً ويكون الخطر شديداً اذ لا يبقى في وسع المدرعة المحافظة على نفسها والعودة بامان »

ولكن مضت ساعات ولم يظهر اثر للعدو ، وبدأت طبقات الضباب ترتفع واصبح بمستطاع قائد « مدللي » ان يرى امامه ، ولكن لم يظهر اثر للعدو مما دعا الى الاعتقاد ان الاسطول الروسي انتقل الى جهة اخرى من السواحل العثمانية لضربها

واذا اصوات البحارة تتعالى . فكانوا يهتفون فرحين : ها هي ياووز ... ها هي ياووز !

واقبلت اليهم قطعة حربية سريعة السير ، واتجهت الى ناحية المدرعة « مدللي » مما دل البحارة على انها ليست مدرعة معادية بل صديقة وانها المدرعة « ياووز » نفسها

ولكن قائد المدرعة العثمانية ما لبث ان ادرك حقيقتها واعلن امره باطلاق النار

والمدرعة ، وكانت من المدرعات الروسية ، ذات ثلاث مداخن ، ولما بدت لها المدرعة « مدللي » تراجعت واخذت تتوارى بسرعة .

وانقشع وراءها الضباب وشوهدت سائر قطع الاسطول الروسي.
وكانت المسافة بين مدللي وقطع هذا الاسطول ٦٠ ميلا

معركة ١٨ تشرين الثاني

والمدرعة «باووز» ، وكانت في مؤخرة الاسطول العثماني ، شاهدت وحدات الروس تقترب من جهة «مدللي» فخشيت العاقبة وزادت في سرعتها لتتمكن من الوقوف بجانب «مدللي». وتم لها ما ارادت واشتركت واياها في ضرب الاسطول الروسي وقدحولتا معاً مدافعهما على هذا الاسطول وظهرتا شعلة من نار. فكانت مدافعهما باجمعها تتلظى وتضرب اسطول الروس ضربات هادمات

فقابلتها فوراً الوحدات الروسية بالمثل . وحصرت المدرعات الروسية «هابليغ كوستا جنديس» و«يوهانس كولدمونت» ، و«بانتاليامون» مجهودها بضرب المدرعة «ياووز» . وانصرفت الطرادات «روستسلانس» و«كاغول» و«بامباحا مرفورجاً» الروسية الى المدرعة «مدللي». ومالت القطع الباقية الى اطلاق قذائفها على سائر الوحدات العثمانية

الا ان الوحدات المحاربة لم تصب بأذى والقذائف كانت تسقط في البحر من الجانبين ، فترتفع المياه هنا وهناك بشكل هائل .

«ياووز» تخترق الخط

وهذه النتيجة لم ترق امير البحر العثماني «سوشون» وقد شاء القيام بمعركة فاصلة تؤمن له الفوز. فامر ربان مدرعته «ياووز» بمضاعفة السير والتقدم لاختراق منطقة الخطر . وشاهد المشرفون على هذه المعركة المدرعة «ياووز» تلقي قذيفة ضخمة من عيار ٢٨ على المدرعة «هابليغ جوستا جيناس» فتشتعل فيها النار

تراجع الاسطول الروسي

وتبعت «مدللي» وسائر قطع الاسطول العثماني المدرعة «ياووز» بجسارة جنونية وهي تواصل اطلاق قذائفها على الاسطول الروسي. فاحدثت فيه اضراراً جسيمة واضطرته الى الهزيمة بسرعة فائقة محاولا النجاة بالتجائه الى «سباستوبول»

وكان من امر هذه المعركة ان قتل من الروس ١٨٠ بحرياً ومن العثمانيين ٣٢

ولم تواصل الوحدات العثمانية مطاردتها للاسطول الروسي داخل «سباستوبول» بل اكتفت بهذه الضربة على اعتقاد منها انها كافية لارهاب الروس واقناعهم بعدم العودة الى ضرب الموانىء العثمانية على سواحل البحر الاسود .

دفن الضحايا

وبعد ذاك اعلن امير البحر العثماني امره في وحدات اسطوله



بحارة «غوبن» و«برسلو» يتطربشون
يمثل هذا الرسم امير البحر «سوشون» الالماني وقد وقف ورجال اركان حربه على متن المدرعة «ياووز» رافعين على رؤوسهم الطرابيش

بالسير وئيداً وخنق الاعلام حداداً على ضحايا المعركة ، ثم امر كل قطعة بعرض القتلى على متنها ، وبعدما اقيمت الصلوات القيت الجثث في البحر بين عزف الموسيقى المحزن واطلاقات المدافع المتقطعة

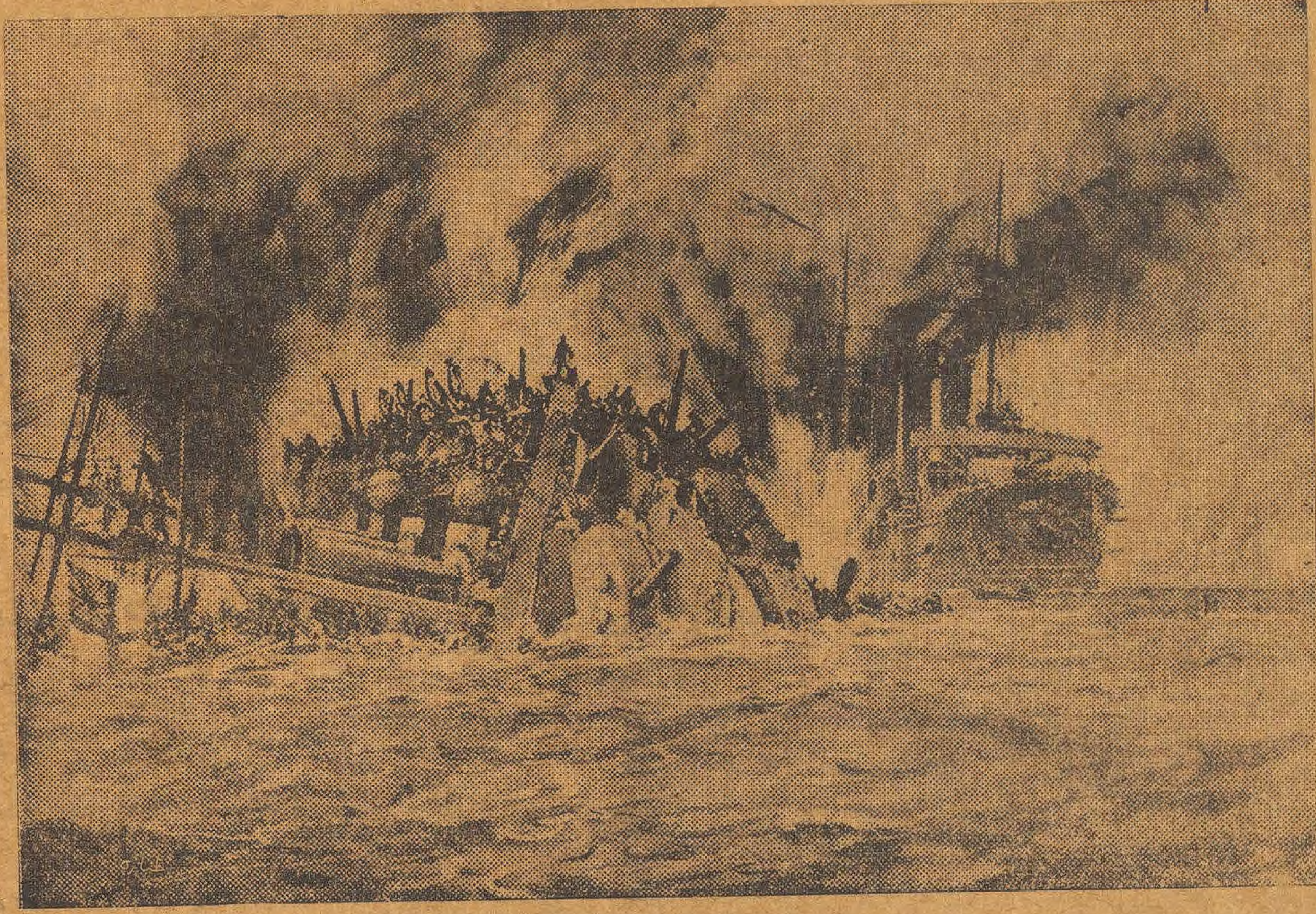
على سواحل البحر الابيض

اما الموقف الحربي في خلال شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٤ في البحر الابيض فكان هادئاً بعض الهدوء . فالوحدات الانكليزية كانت مرابطة في جوار شبه جزيرة غاليبولي تعمد بين حين وحين الى القاء قذائفها على المناطق العثمانية ، فتقابلها هذه بالمثل . وكانت

الاضرار طفيفة لسببين : الاول ان الانكليز كانوا يشاغلون العثمانيين في هذه الاعمال فقط ، والثاني ان العثمانيين لم يروا من الضرورة اخراج سفنهم الحربية الى منطقة القتال لاعتقادهم ان الموقف خطير وليس بامكان اسطولهم الضعيف مجابهة هذا العدد الكبير من قطع القوات الانكليزية

تخشى سطوة الاسطول الروسي مع كونه يفوقها قوة وعدداً

وظل الامر كذلك حتى صباح ٢٥ كانون الاول ١٩١٤، ففيها كانت المدرعة « مدللي » تحرس هذا البحر اذا بالضابط الرقيب يشير بان احدي مدرعات الاعداء تبدو لعينيه . فاستعدت المدرعة العثمانية للنضال ووقف رجال المدفعية امام مدافعهم بانتظار الامر باطلاق



المدرعة الروسية التي اغرقها العثمانيون في البحر الاسود

منظر مفجع للمدرعة الروسية « هيلنغ كوستا كينديس » وقد اصابتها القذائف العثمانية ، واخذت تغرق في البحر الاسود . والرسم مأخوذ ساعة الكارثة عن متن المدرعة العثمانية « مدللي »

الانكليز في جزر الارخبيل

والانكليز الذين احتلوا جزيرة « موندروس »، وهي احدى جزر الارخبيل، انشأوا فيها مقر القيادة ، ثم عادوا واحتلوا جزيرة « سيكروس » واتخذوها مقراً للقوات المقبلة من مصر وتونس والمعدة لهجمات المضايق البرية

واقام القائد الانكليزي «هاملتون » في « موندروس»، اما القائد « داماد » الفرنسي فاقبل في ما بعد واتخذ من الباخرة الفرنسية « بروفيدانس » مقراً له ولاركان حربه

وتجلت السيادة العثمانية على البحر الاسود بعد معركة تشرين الثاني ، وباتت وحدات الاسطول العثماني تجول في هذه المياه دون ان

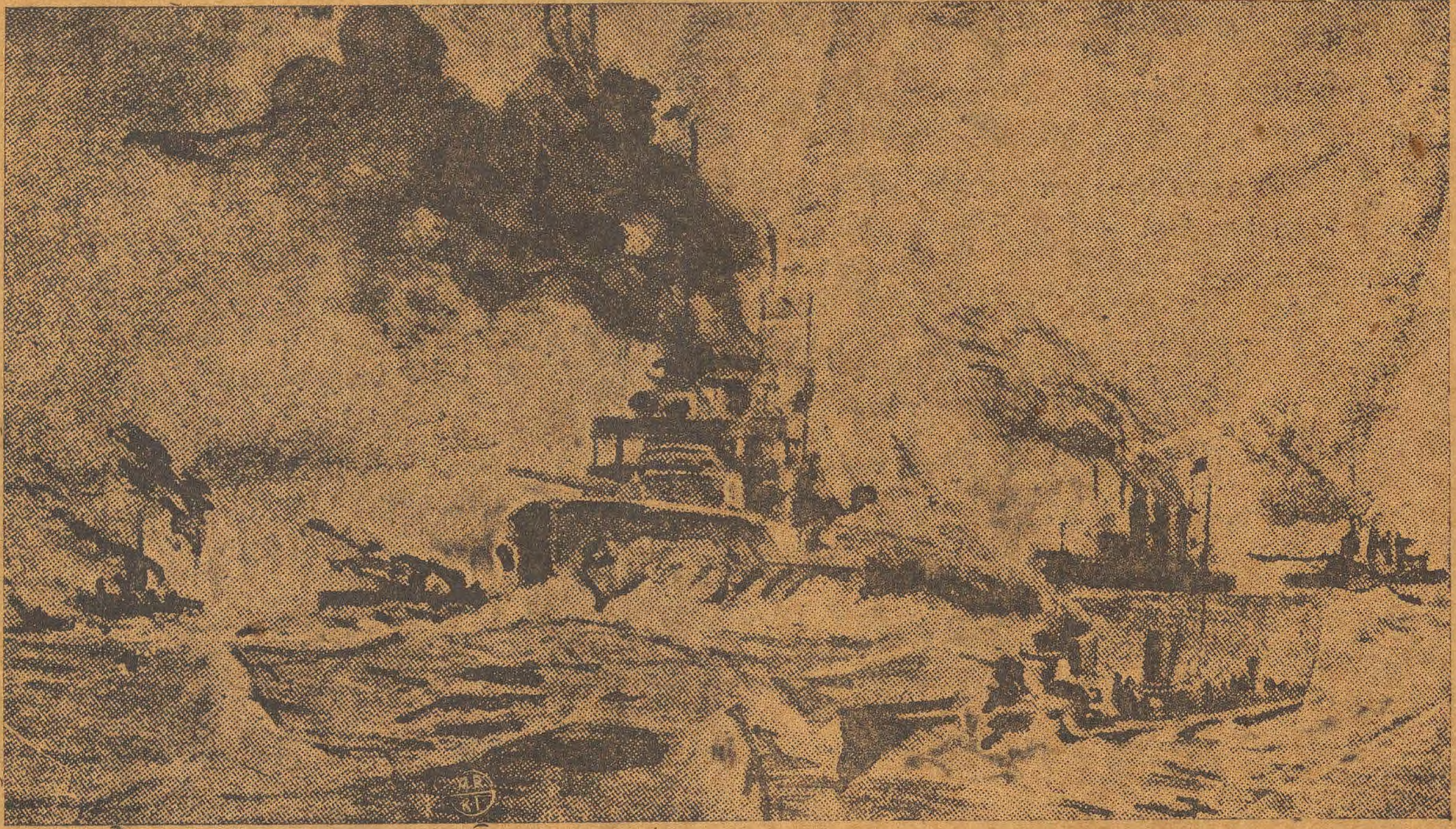
غرق مدرعة روسية

وبعد دقائق باتت المدرعة « هيلنغ كوستا كينديس » عند مرمى النيران .

وبعد دقائق غرقت المدرعة البادية للانظار ، فاذا هي « تروستلاف » وخاف القائد العثماني ان يكون وراء هذه المدرعة قطع اخرى فامر بمطاردتها قبل ان تصل النجدات اليها ، وما كاد يدعو الى اطلاق النار حتى دوت القذائف واصابت مرمى من المدرعة الروسية، وهي بدل ان تقابل عمل المدرعة العثمانية بالمثل اخذت تتراجع والنار تتقد فيها وتبدي الاشارات ، وبعد قليل اقبلت عدة قطع روسية تسير في اتجاه المدرعة « مدللي »

القذائف وقد حلت محل المدرعة «روستسلاف» التي تبين ان القذائف العثمانية احدثت فيها اضراراً فادحة اضطرت معها الى الانهزام الى جهات «سباستوبول»، على ان المدرعة الجديدة لم تتمكن من الثبات طويلا وقد اصابتها قذائف المدرعة «مدللي» واحدثت فيها عطلا امست به على وشك الغرق. فلم يكن من القائد العثماني الا ان

العثمانية تتبختر وحدها في البحر الاسود دون ان تلقى الاعداء . وعند ظهر ٢٧ كانون الاول شاهد ضابط المراقبة وسط الضباب اشباح قطع الاسطول الروسي مقبلة من الجنوب . وبعد دقائق تبين له ان هذا الاسطول مؤلف من مدرعتين كانتا في المقدمة واربعة طرادات وخمس مدمرات



الاسطول العثماني في البحر الاسود

﴿ الاسطول العثماني يسير الى محاربة الروس تتقدمه الدارعة «ياووز» استعداداً للمعركة الحربية الطاحنة ﴾

امر القائد الروسي بانزال قوارب النجاة وتسليم ما لديه من جنود. فصدع الربان الروسي بالامر وانزل جنوده في القوارب، وعادت «مدللي» وألقت ثلاث قذائف اخرى كانت كافية لاغراق المدرعة الروسية بعد نصف ساعة من الزمن

والتقط بحارة الدارعة «مدللي» زملاءهم الروس واخذوهم اسرى. واعترف هؤلاء بانهم كانوا موفدين لضرب مرفأ «زونغولداق» العثماني على ساحل البحر الاسود، الا ان المدرعة «مدللي» تمكنت من اصطيادهم واغراق مدرعتهم قبل ان تصيب المرفأ العثماني باذى

اسطول الروس يطل

ومضى اليوم الاول على غرق المدرعة الروسية والمدرعة «مدللي»

وهل تنفع الشجاعة مع الكثرة ؟

فايقن القائد العثماني ان موقفه خطر وليس بوسعه الدفاع وحده. غير انه لم يتراجع بل قرر المقاومة حتى النهاية خصوصاً والاسطول الروسي كان قد شاهد المدرعة العثمانية وتقدم منها بسرعة تامة

واحد ضد ١١

وما كاد الاسطول الروسي يبلغ منطقة النار حتى بادرته المدرعة «مدللي» باطلاق القذائف، فقابل هذه التحية بالمثل

واخطأ الروس بادىء بدء الهدف، الا انهم ما لبثوا ان تمكنوا من اصابته وانقضت قذائفهم على بعض جوانب المدرعة العثمانية. فتحرج الموقف وباتت المدرعة مدللي في خطر ولم يبق امامها الا

الفرار والا احاط بها الروس واغرقوها حتما

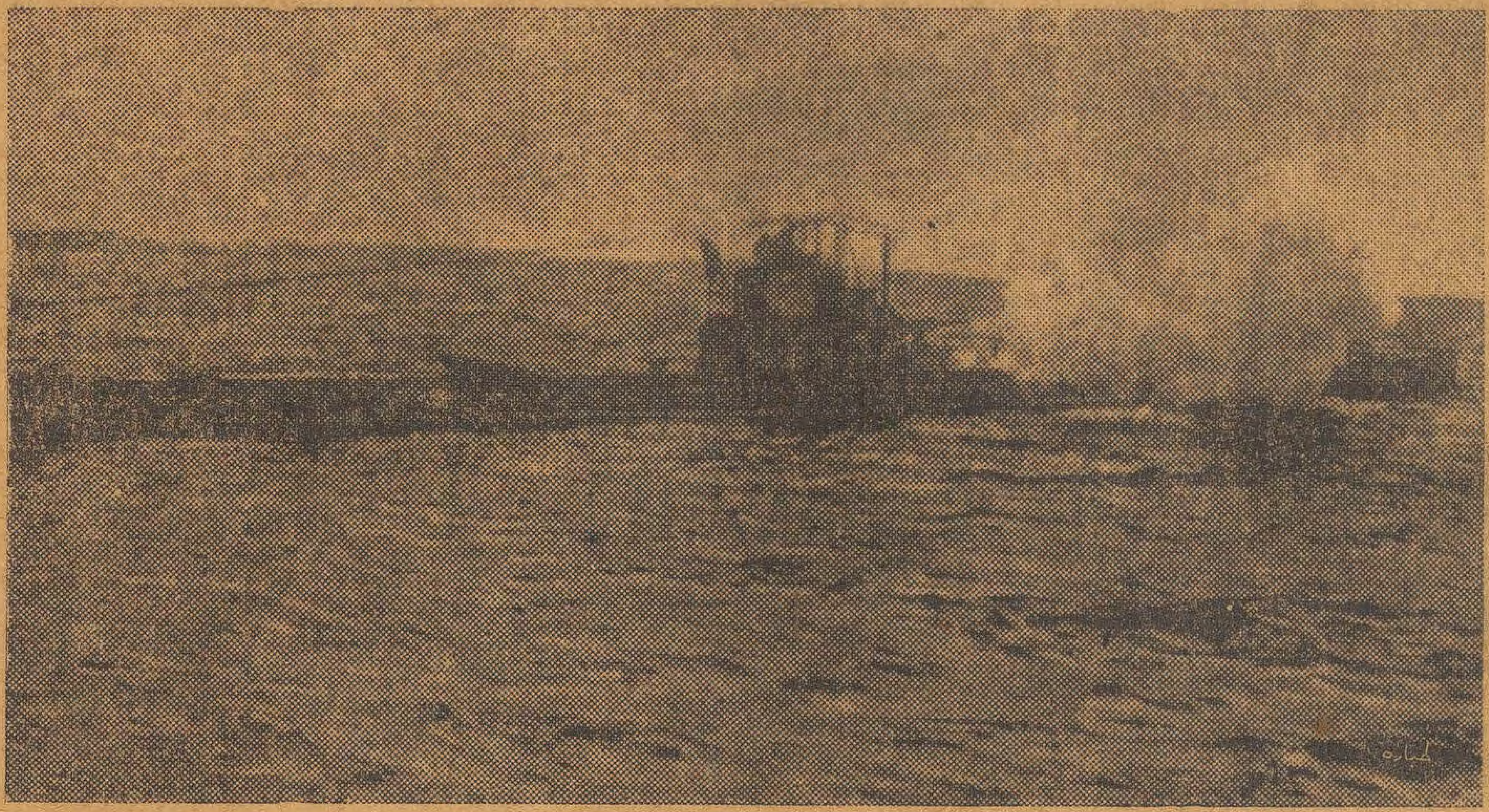
فاعلن القائد امره بمضاعفة السرعة وولى بالمدرعة « مدللي » الادبار متجهاً الى الشمال

موقف الروس

ولكن الروس مع ادراكهم الفوز لم يتقدموا بل تراجعت

غرق غواصة روسية

فلم ترق الروس هذه الخسارة من العثمانيين، ولم يكن منهم الا ان اوفدوا الغواصة « نيقولايوف » لمطاردة المدرعتين، الا ان قائد المدرعة « ياووز » شاهد هذه الغواصة تدفع طوربيلا الى المدرعة « مدللي » فتخطئها ، فانهال عليها بثلاث قذائف اصابت الغواصة الروسية، فعلا



الغواصة الروسية « نيقولايوف »

الغواصة الروسية « نيقولايوف » وهي تحاول ضرب الاسطول العثماني بقذائفها

وحداتهم ، ويظهر ان امير البحر الروسي لم يرقه هذا التراجع فعاد وامر الطرادات الروسية بمطاردة السفينة العثمانية . غير ان « مدللي » استطاعت النجاة وقد اغتنمت هذه الفرصة وابتعدت كثيراً عن مواقع الروس . وخاف هؤلاء مواصلة المطاردة لئلا يكون وراء « مدللي » وحدات عثمانية اخرى فعادوا ادراجهم

ضرب سباستوبول

من المعروف عن الروس انهم يحترمون جداً عيد الميلاد ويوم رأس السنة . ولذا لم يخرجوا ليلة رأس السنة من « سباستوبول » فانتهزت المدرعتان « مدللي » و « ياووز » الفرصة وتمكنتا من الوصول الى « سباستوبول » فضربتاها طوبيلا ، ولما خرج اليهما الاسطول الروسي تبادلتا واياه النار واضطرتاه الى الاحتماء بذلك المرفأ الحربي وانطلقتا الى عرض البحر

منها وهي تحت البحر انفجار هائل ، وبعد دقائق ابتلعتها اللجة دون ان يظهر على سطح الماء احد من رجالها

معركة في الظلام ... ولكن وهمية

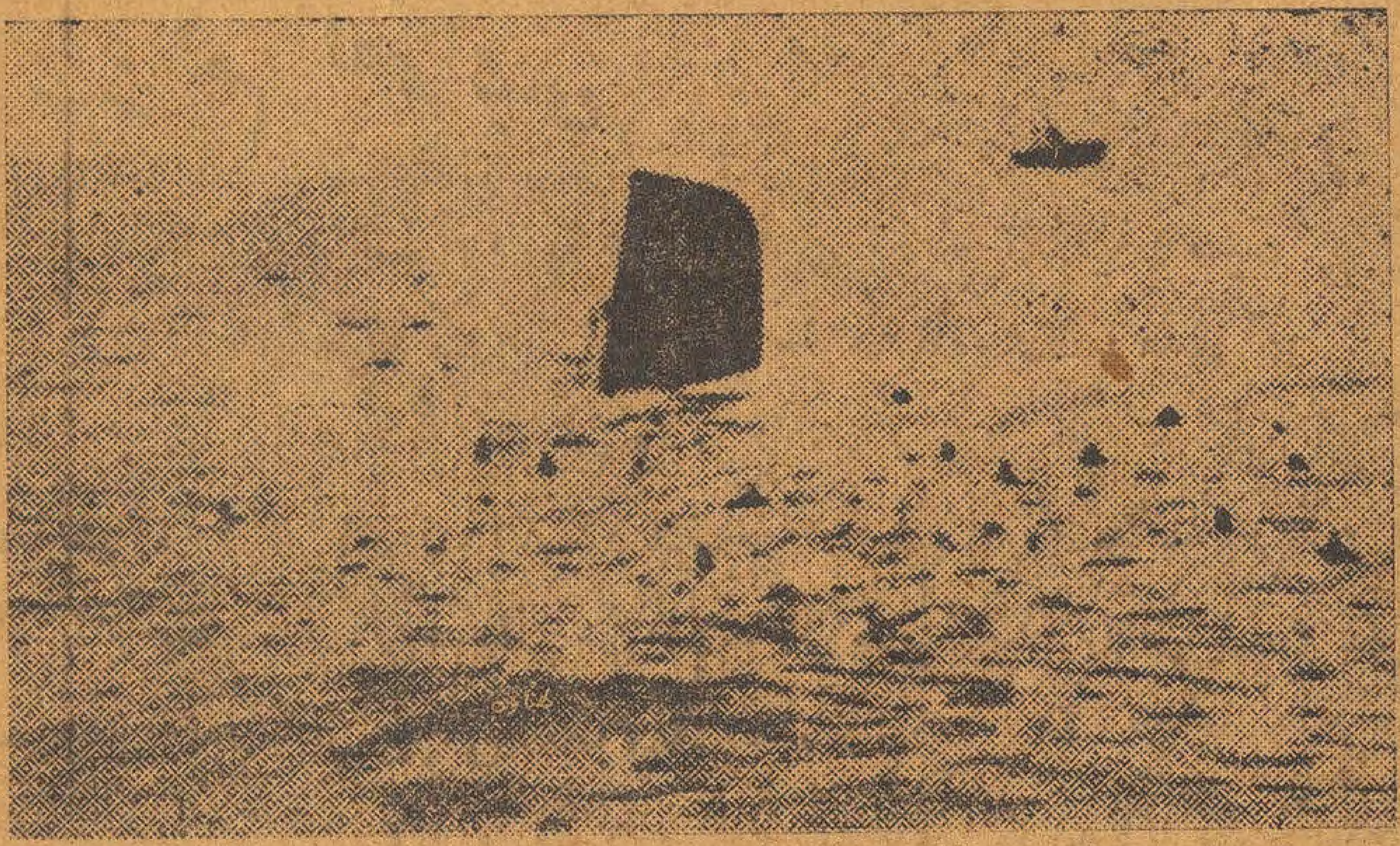
في اليوم التالي من شهر كانون الثاني ١٩١٥ كانت العاصفة شديدة في البحر الاسود . وتكاثف الضباب حتى بات الليل لا يُعرف من النهار .

وسارت وحدات الاسطول العثماني وئيداً في البحر الاسود بجانب الساحل الاناضولي . وفجأة دوى انفجار شديد هز المدرعة « مدللي » هزة عنيفة وتعالى فيها الصراخ ، صراخ البحارة والضباط ، ودون ان يفقد احدهم رشده لبوا نداء القائد بان يكونوا على استعداد وهم لا يدرون ما جرى

وانيرت فجأة الانوار الكشافة وتلفت القواد الى كل جانب فلم يشاهدوا سوى قذائف القطع العثمانية المنصبة الى بعيد وليس امامها

عدو يقاتلها . فدعا امير البحر الى الكف عن اطلاق النار ونظر في حالة المدرعة فاذا بها سليمة . واتضح له ان الطراد « برق سطوت » اصطدم بآلة التحري عن الطوربيد العائم ،ومس السلك فانفجر الطوربيد قبيل وصول المدرعة« مدللي »واحدث فيها هذا الارتجاج، فتابعت الوحدات العثمانية سيرها حتى اذا اجتازت منطقة الطوربيد

المعركة نصف ساعة ، واذا مدرعتان من نوع « كاغول » تبدوان وتشتركان مع المدمرتين في اطلاق القذائف. فثبتنا في موقع القتال مع ان مدرعتنا اصيبت بعطل غير قليل وبضحايا من الرجال ، الا اننا لم نتأخرفي حركاتنا الحربية.وقبل ان نتراجع ادر كتنا« برق سطوت» و « مجيدية » وقاومنا جميعاً الوحدات الروسية



الغواصة «نيقولايوف» وهي تغرق

الغواصة « نيقولايوف » وهي تغرق في البحر الاسود بعد ما ضربها العثمانيون

المعد لحماية مدخل المضايق من جهة البحر الاسود تفرقت في جهات مختلفة .

الحميدية في خطر

وفي الساعة الرابعة من صباح ٣ كانون الثاني سنة ١٩١٥ جاء مأمور اللاسلكي يقول : تعطى اشارات لاسلكية متعددة من القطع الروسية !

ولكن المأمور لم يعرف محتوياتها،غير انها دلته على ان العدو على مقربة تامة منه. ولم يوفر ضابط المراقبة الادلة على مقر هذه القطع ، فاين العدو ؟

وما لبث مأمور اللاسلكي ان عاد وبيده برقيـة من الطراد « حميديه » تقول :

« حالتنا تنذر بالخطر . نحن منذ ساعتين في حرب شديـدة مع مدرعتين روسيتين »

غرق الملكة كاترين

وبعد نصف ساعة تلقى قائد الاسطول العثماني برقية جاء فيها:

« في الساعة الثانية تماماً بينما كانت مدرعتنا« حميدية » تسير في الجهة الشمالية الشرقية نزولا على الاوامر الصادرة اليها شاهدت مدمرتين روسيتين بادرتاها بالقاء القذائف ، فقابلتها بالمثل . ودامت

« وفي الساعة الرابعة تماماً اي بعد معركة استمرت ساعتين، شوهدت النار تندلع في احدى المدرعات الروسية ورأيناها تنهزم من ميدان القتال ، فاخترقنا منطقة النار وتمكنا من ضرب المدمرة « الملكة كاترين»فانفجرت وغرقت . على اننا استطعنا انقاذ ٤٥ بحرياً من بحارتها ونقلناهم الى الطراد « برق سطوت » وتراجع العدو دون ان نطارده . بانتظار اوامركم »

الاسطول العثماني في باطوم

فاجاب امير البحر ببرقية يهنىء بها قائد المدرعة « حميديـه » للجسارة التي ابداها هو ورجاله ويدعوه للمسير بمدرعته والمدرعات الاخرى الى سواحل باطوم لضرب القوات الروسية الزاحفة من البر الى تلك الشواطىء وفيها تدور معارك شديدة بين القوات العثمانيـة والروسية (راجع العدد الخامس من « الاسرار »)

وابرق امير البحر الى المدرعة مدللي اللاجئة الى مرفأ «ريزة» تستريح فيه كي تتأهب للمسير الى باطوم بجانب المـدرعات الاخرى لضرب القوات الروسية

ولدى الساعة السادسة صباحاً كانت وحدات الاسطول العثماني على استعداد تام للزحف الى باطوم فسارت في المقدمة الدارعة«مدللي» وتبعتها « حميدية » فسائر القطع . وما كادت تسير نصف ساعة من الزمن حتى لقيت على بعد ٥ او ٦ اميال قطع الاسطول الروسي ، الا ان الضباب الكثيف المخيم على البحر حجب هذه الوحدات

تسديد القذائف اليها ، ومع ذلك اطلق ثلاثون مدفعاً من الوحدات العثمانية حممها دفعة واحدة على المدرعات الروسية

الا ان القذائف اخطأت الهدف والرماة العثمانيون لا يرون الاسطول الروسي ، على حين ان الروس اجادوا الرمي اكثر مما اجاده العثمانيون

انهزام العثمانيين

فكانت القذائف الروسية تمر من فوق القطع العثمانية وتصيب السواري . واذا قذيفة شديدة تنفجر في مقدمة المدرعة « مدللي » وتحدث اضراراً جسيمة . الا ان هذه الاضرار لم تؤخر حركات « مدللي » ولكنها زادت في عدد الضحايا . ورأى امير البحر العثماني ان بقاء اسطوله في مقره خطر على سلامة الاسطول فامر بالتراجع سريعاً والابتعاد عن مرمى اسطول الاعداء

معركة باطوم

وتابعت الوحدات الحربية العثمانية حركاتها وهاجمت في ٢١ كانون الثاني الشواطىء الروسية والقت قذائفها على عدة مراكز يحتلها الجيش الروسي فخربتها وهدمت بعض الجسور . وابصرت مفرزة من الجند الروسي تقبل لتعزيز حامية باطوم فرشقتها بالنار وانزلت بها خسائر جمة وعرقلت حركات سوق الجيش

وفي ٢٥ كانون الثاني سنة ١٩١٥ كانت الوحدات العثمانية تجاه باطوم فتبادلت وحاميتها اطلاق القذائف . وخرجت ست قطع حربية روسية ووقفت في ابعد حد وشاركت قلعة باطوم في مقاومة هجمات الاسطول العثماني

واستمرت هذه المعركة البحرية خمس ساعات كاملة تعطلت في اثنائها احدى بطاريات القلعة واضطرت احدى السفن الحربية الروسية الصغيرة الى التراجع الى الميناء وقد اصيبت بعطل جسيم

القتال في البر

والمعارك جاوزت البحر الى البر . فالقوات البرية العثمانية كانت قد توغلت في قلب ولاية « ارتوين » الروسية وتقدمت الى منطقة اجارا ووصلت الى ١٥ ميلا من قلعة باطوم المنصرفة الى مقاومة هجمات الوحدات العثمانية

وهذا اليوم من الايام العصيبة على الروس الذين اصيبوا بخسائر كبيرة في الارواح وتضعضعت مراكزهم الحربية وباتت في حالة خطرة جداً

ثورة الروس على العثمانيين

الا ان هذه الحالة لم ترق القيادة الروسية العليا التي قررت ضرب القوات البحرية العثمانية بشدة متناهية . فجمعت وحداتها في



الهاربون من ويلات الحرب

قافلة من السكان هدمت الحرب الطاحنة منازلهم فجمعوا ما تبقى لهم من رياش ولجأوا الى البراري اتقاء لخطر القذائف

البحر الاسود ودفعتها معاً لمطاردة العثمانيين والقضاء عليهم

وعند شروق فجر ٢٧ كانون الثاني خرجت المدرعة « مدللي » من مرفأ « سينوب » ووجهتها المضايق ، الا انها ما كادت تبتعد قليلا عن هذا المرفأ حتى شاهدت عن بعد وحدات الاسطول الروسي وكانت المسافة بعيدة بين الفريقين ، فرأى قائد « مدللي » ان

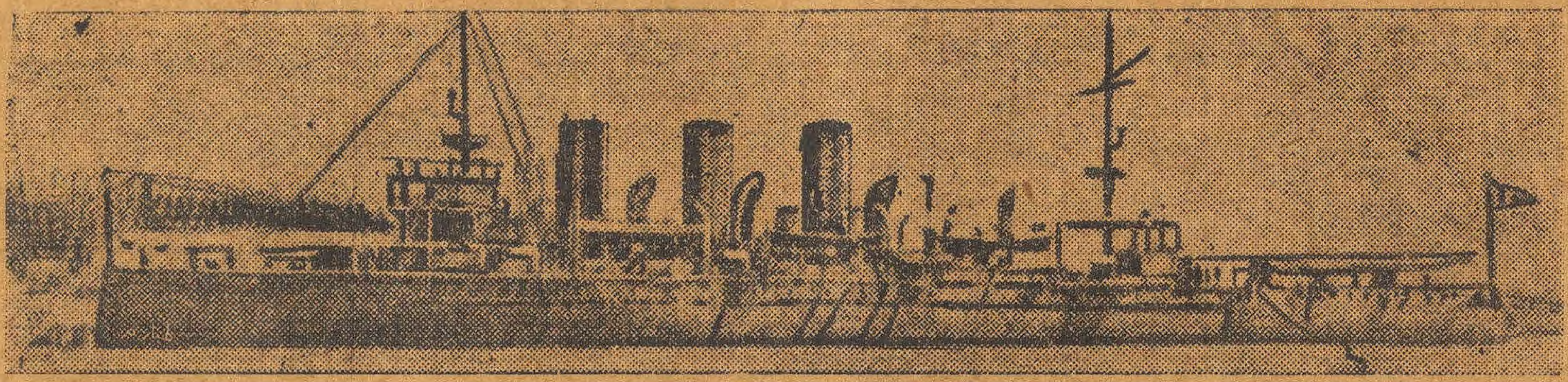
يضاعف سير مدرعته ليتمكن من ولوج المضايق قبل ان يدركه الاسطول ويعجز عن المقاومة

وعند ذلك ظهر في الافق الشمالي من البحر الطراد « حميديه» وكان ينطلق بسرعة ٢٧ ميلا بحرياً يبغي الفرار من الروس

وشاهدته الوحدات الروسية فاعتقدت ان ليس بامكانها اللحاق « بمدللي » وسددت مدافعها الى « حميديه » لتقطع عليها الطريق

و« مدللي » وهي تشرف على الحالة خففت من سرعتها واضحى مسيرها بمعدل سرعة « حميدية » ليكون لديها المجال الكافي للدفاع عنها اذا دعتها الى ذلك الحاجة

وفكر الربان العثماني في طريقة للنجاة فابلغ باللاسلكي المدرعة « حميدية » ان الانباء جاءته بان المدرعة « ياووز » وسائر وحدات الاسطول العثمانية مقبلة للنجدة فعليها ان تثبت في سرعتها وساعة النجاة



المدرعة العثمانية حميدية

اشتهرت هذه المدرعة لربانها احمد رؤوف بك باعمالها الخطيرة في اثناء الحرب الايطالية ، وقد زارت سنة ١٩١٢ مدينة بيروت ومثلت دوراً مهماً في الحوادث التي يطالعها القراء في هذا العدد من « الاسرار »

وتمنعها من ولوج المضايق والنجاة

وكانت الساعة الثامنة من صباح ٢٧ كانون الثاني سنة ١٩١٥، واذا مدرعتان كبيرتان من مدرعات الاسطول الروسي تنحرفان عن هذا الاسطول وتتجهان الى المدرعة « حميديه »

فادرك ربان المدرعة « مدللي » اي خطر يدهم المدرعة « حميديه» وحاول انقاذها بان يحل محلها . فارسلت مداخنها الدخان الكثيف وكل قصده وربانها ان يستر به « حميديه » عن انظار الروس

الا ان هذه الخطة لم تفد شيئاً . فما لبث الروس ان مروا من وراء الدخان المتصاعد ولاحت لهم « حميديه »

وكانت المسافة بينهم وبينها ١٨ ميلا فما استطاعوا ضربها وقذائفهم وهي من عيار ١٥ لا تبلغ الهدف

وواصلت المدرعة « حميديه » فرارها الى جهة الغرب على بعد ستة اميال من « مدللي »

مطاردة خطرة

ودامت هذه المطاردة الخطرة بين الوحدات البحرية العثمانية والروسية خمس ساعات كاملة كان الروس في اثنائها يقتربون بالتدريج من « حميدية » قد قربت

تراجع الاسطول الروسي

ويظهر ان الروس التقطوا هذه البرقية فانخدعوا بها ، وكانوا يعلمون انهم لا يستطيعون الثبات ازاء المدرعة « ياووز » وهي تفوقهم قوة وسرعة فاعلن ربان اسطولهم ضرورة التراجع . وهكذا نجحت حيلة الربان العثماني في خديعة الروس ونجت « حميدية » من خطر راهن كان بالامكان ان يؤدي الى القضاء ليس على « حميدية » فحسب بل على « مدللي » أيضاً ولم يكن في وسعها ابقاء « حميدية » في مكانها وولوج المضايق

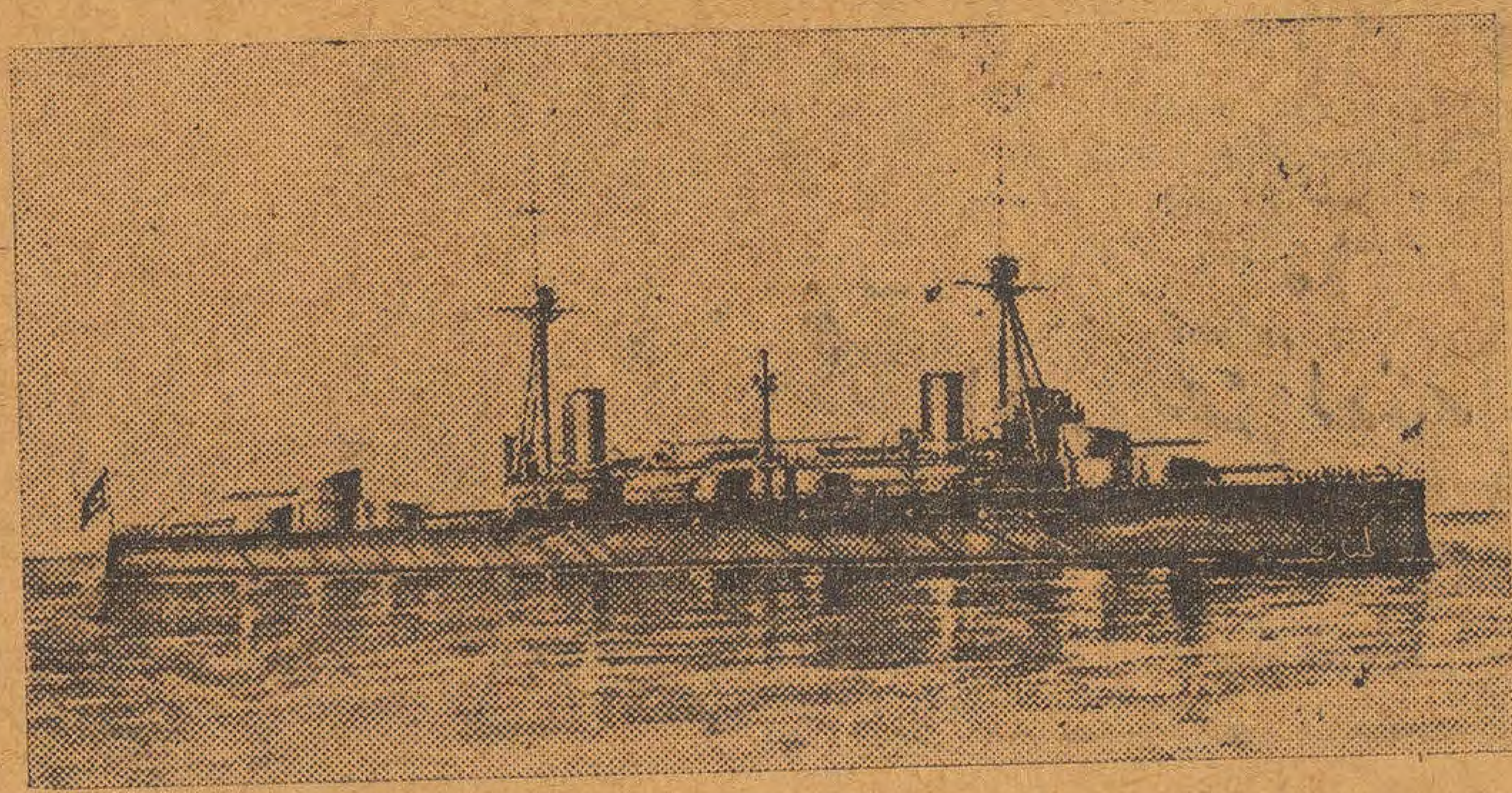
بين اوديسا وسباستوبول

ورأت القيادة العثمانية العليا ضرورة تبديل حركات الاسطول العثماني في البحر الاسود ، اذ ان اقدامه على ضرب الموانىء الروسية كان يقابل من الروس بالمثل . فيضرب اسطولهم المرافىء العثمانية . ولذلك اوعزت القيادة الى الاسطول العثماني بضرورة تعديل خطته وعرقلة اعمال الملاحة في السواحل الروسية ، خصوصاً سير السفن

التجارية والعسكرية بين اوديسا و « سباستوبول » . فقام الاسطول العثماني بالمهمة خير قيام

حوادث شباط

لم تقع في شباط حوادث مهمة في البحر الاسود . الا ان الاسطول العثماني الذي انصرف الى عرقلة الملاحة الروسية في هذه المنطقة تمكن من اغراق ثلاث بواخر تجارية صغيرة وبعض المراكب الشراعية فادخل الروع في قلوب الروس . وتجنب طول هذا الشهر الاتصال بالاسطول الروسي فلم تقع بينهما غير مناوشات لم تحدث اي ضرر كان



المدرعة سلطان عثمان

وهي احدى قطع الاسطول العثماني التي اشتركت في معارك البحر الاسود

حوادث اذار

وفي اوائل شهر اذار تلقى الاسطول العثماني امراً بمهاجمة سواحل شبه جزيرة القرم وتخريب القاعدة الحربية القائمة فيها لاصلاح سفن الحرب، فاسرع الاسطول اليها تتقدمه المدرعة «مدللي» وبقيت المدرعة « ياووز » في استانبول ترقب الحالة في المضايق .

وفي الساعة الثالثة من صباح ١٢ اذار كان الاسطول العثماني تجاه « اوديسا » في مكان قريب جداً من المدينة يتسنى له منه رؤيتها ورؤية الامكنة المطلوب منه ضربها. فلم يكن من قائد الاسطول الا ان اذاع امراً هذا نصه :

« عند شروق الشمس ولدى اول اشارة تبدو منا على المدفعية ان تقوم بما يلي :

اولا — على المدرعة « مدللي » ان تتولى اعطاء الاشارة بضرب حوض اصلاح السفن الحربية .

وعلى المدفعية كلها في المدرعة « مدللي » العمل وهدفها احواض اصلاح السفن حتى تتمكن من تخريبها وتخريب السفن الموجودة فيها

ثانياً — على الطراد « حميديه » ان يضرب ما هناك من معامل للذخيرة .

ثالثاً — على الطراد « سلطان عثمان » ضرب دار السلاح وضرب مستودعات الذخيرة لتفجيرها

رابعاً — على بقية قطع الاسطول حماية هذه الوحدات وهي تقوم بعملها ومساعدتها اذا وجدت دافعاً الى هذه المساعدة

ضرب اوديسا

وكان ذلك اليوم من الايام المفجعة في تاريخ مدينة « اوديسا »

وقد استيقظ القوم على انفجار القذائف وقد اطلقت المدرعة «مدللي» قذيفتها الاولى لدى شروق شمس ذلك اليوم وتبعتها « حميديه » « وسلطان عثمان » فتساقطت القذائف على المدينة بقرقعة تصم الاذان. وانهارت الابنية الضخمة والمعامل الكبيرة واستمر الضرب ساعة واحدة كانت كافية لتحويل مدينة « اوديسا » الى شعلة من نار

وكان لهذه الحادثة تأثير عظيم لدى الروس وما كانوا يعتقدون ان بوسع الاسطول العثماني الوصول الى هذه المدينة ، مما حملهم على ان يشيدوا فيها المعامل الكبرى والمستودعات الهائلة للذخيرة الحربية .

فكان ان هاجمها الاسطول العثماني وكانت نتيجة هذا الهجوم ان خربت اكثر المعامل وفجرت المواد الحربية وتهدم ربع هذه المدينة .

اما الضحايا في النفوس فكانت وافرة جسيمة

بعد المعركة

ولما تم للقيادة العثمانية ما تصبو اليه من فوز دعا القائد اسطوله الى التراجع قبل ان يدركه الاسطول الروسي في هذه المنطقة البعيدة عن المضايق ويحول دون تراجعه

وكان شعار الاسطول العثماني في البحر الاسود الهدم والتخريب

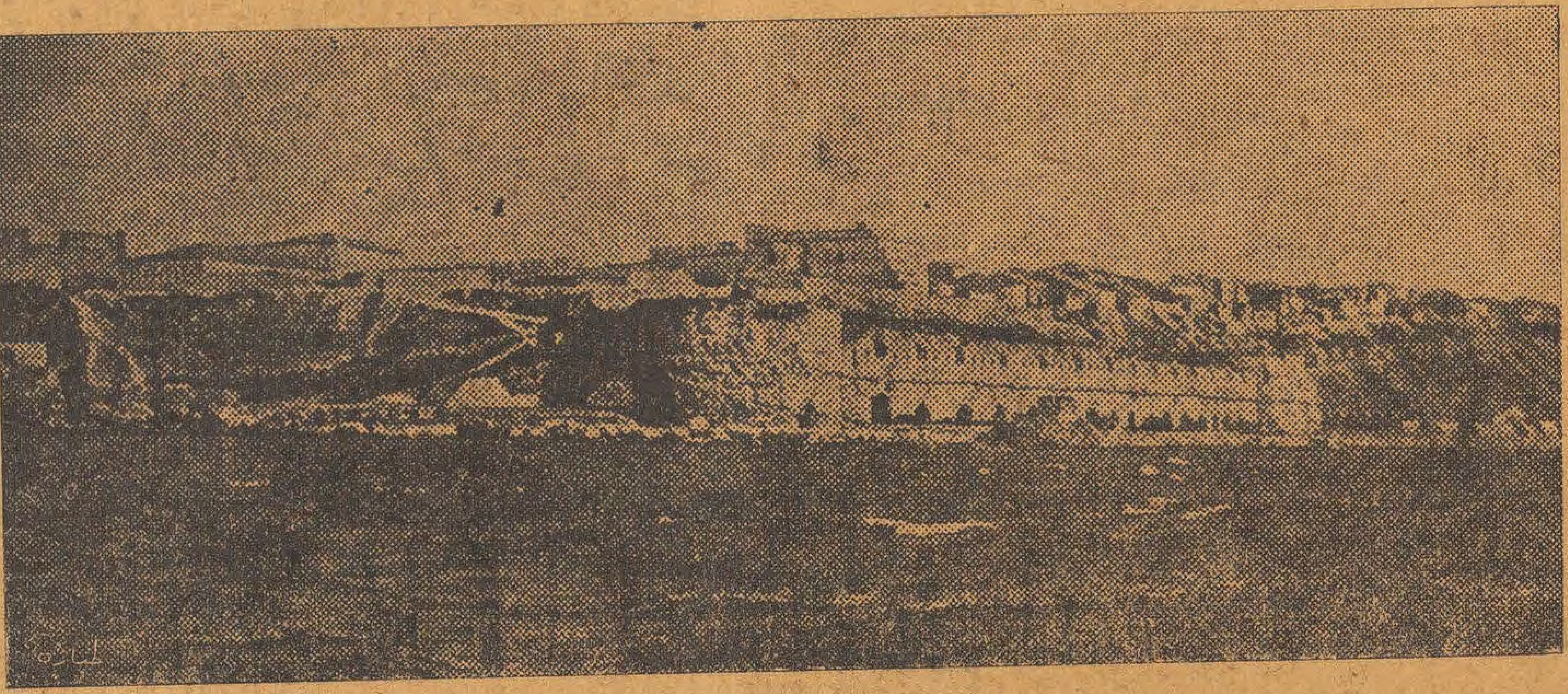
والحرق والتدمير على ان لا يقع بين ايدي الروس ولا يفقد سفينة واحدة من سفنه الحربية

موقف الروس

وقائد موقع « اوديسا » وقد بوغت بهذا الهجوم المفاجىء ابلغ الامر ربان الاسطول الروسي في سباستوبول. فدعا امير البحر وحدات باحثاً عن الوحدات العثمانية ورجاله يتقدمون حماسة ورغبة في ابادة الاسطول العثماني

فرار الاسطول العثماني

وكان الجو غير صاف والضباب كثيفاً فبات الاسطول الروسي بين طبقة كثيفة من الضباب حجبته عن انظار الاسطول العثماني .



حصن سد البحر على ضفاف الدردنيل

منظر حصن سد البحر وقد رمته المدرعات الانكليزية بوابل من القذائف واحدث فيه اضررا عظيمة كما يبدو في هذا الرسم وقد اخذ بعد ضرب الحصن

الاسطول الروسي في البحر الاسود الى الاستعداد لمهاجمة الاسطول العثماني . وما لبث ان اعلن امراً آخر جاء فيه :

هزأ العثمانيون بنا بصورة لم يبق في وسعنا احتمالها وحكومة صاحب الجلالة القيصر ترى انا مقصرون في واجبنا وقد فسحنا المجال امام الاسطول العثماني ، وهو اضعف اسطول في هذا البحر ، للهزء بنا فهاجمنا بصورة متوالية.

« الاخبار الواردة علينا اليوم تدل على انه هاجم « اوديسا » وانزل بها اضراراً عظيمة ، وعلى هذا بات من الواجب علينا العمل على ابادته .

« اني اعد من يفوز باغراق المدرعة « مدللي » بجائزة كبيرة تفوق ما يتصور كل منكم . والفشل في هذه المرة سيء العاقبة على الجميع »

***

ولدى الساعة الثامنة صباحاً ، اي بعد ضرب الاسطول العثماني لاوديسا بساعتين ، كان الاسطول الروسي يخرج بكامله من سباستوبول على حين كان الجو صافياً في الجهة التي يمخر الاسطول العثماني عبابها وخطر لربان الاسطول الروسي ان يعمد الى خطة مفاجئة ولكن الحقيقة دلت على انها خطة تهور . فامر مدافعه بان تصب نيرانها على الاسطول العثماني قبل وصوله الى منطقة يقوى بها على تسديد نيرانه الى هذا الاسطول . وكان ان البوارج العثمانية تنبهت للامر فاخذت تتراجع فيما الاسطول الروسي يتبعها ويطلق عليها نيرانه

كيف نجا الاسطول العثماني

واعتقد امير البحر الروسي ان الاسطول العثماني سيلجأ استانبول فاسرع باسطوله الى مدخل المضايق من جهة البحر الاسود ليقطع عليه طريقه

ولكن انتظاره ذهب سدى والربان العثماني ادرك ان الروس سيرقبونه لدى مدخل المضايق فحوّل مسيره الى الشواطىء الرومانية ليبتعد عن الاسطول الروسي حتى اذا ما اضله عاد الى ضرب الثغور

الروسية وعرقلة ملاحة روسيا في البحر الاسود

في مضايق جناق قلعة

والموقف في مضايق البحر الابيض كان على عكسه في جهات البحر الاسود . فالقيادة العثمانية انصرفت لتعزيز موقفها فيما القيادة الانكليزية والفرنسية تعدّ قواتها لمعركة البر الكبرى

وكان الموقف في كانون الاول سنة ١٩١٤ هادئاً وقيادة الحلفاء العليا تستعد للقيام بحملتها فابتعدت عن كل هجوم على المضايق

ولكن الحال تبدل في شهر شباط وقد عمدت الوحدات الانكليزية الى ضرب القلاع العثمانية

قلاع الدردنيل

وعلى مدخل الدردنيل من جهة البحر الابيض تقوم قلاع حربية قوية هي « اورخانيه » و « قوم قلعه » و « سد البحر » و « وارطو غرول »

وجهز الالمان هذه القلاع بمعدات الحرب الحديثة .

والحلفاء الذين رغبوا في احتلال سواحل المضايق عسكرياً شاؤوا ان يمهدوا العمل الى ذلك بان يسكتوا القلاع قبل كل شيء آخر . فبدأوا ذلك في ٣ تشرين الثاني سنة ١٩١٤ ، ثم في ١٩ شباط سنة ١٩١٥ وقد اشترك في عملهم الاخير عدد كبير من المدرعات والطرادات ، الا ان مصير هذه المعركة كان الفشل . فلم يتمكن الحلفاء في هذا الهجوم من ان يصيبوا القلاع العثمانية بضرر

المعارك المتفرقة

ولم تقف مساعي الحلفاء عند هذا الحد ، خصوصاً بعد ان ادركت قيادتهم العليا ان الهجوم العام لا يفيد ، فعدلت عنه وعمدت الى ضرب المواقع العثمانية بصورة منفردة لصرف العثمانيين عن معرفة مايقوم به الحلفاء من الاستعداد

وفي صباح الاثنين في ٢١ شباط وقفت عند مدخل الدردنيل بعض القطع الحربية وضربت الحصون الداخلية وحصرت مجهودها بان تلاشي حصن « دردانوس » القائم على الساحل الاسيوي وتقطع الطريق بين « قوم قلعة » و « سد البحر » كي تمنع العثمانيين من نجدة قواتهم المعتدى عليها، ولكن هذه الحركة لم تفد شيئاً والحصون العثمانية قد اجبرت اسطول الحلفاء على التراجع

وفي اليوم التالي ، في ٢٢ شباط، حاولت بوارج الحلفاء اجتياز اضيق مكان في الدردنيل وتمكنت من ضرب حصن « كليد البحر » و « جناق قلعة » واحدثت فيها اضراراً بليغة ، الا انها لم تستطع تعطيل مدافعها

وفي اليومين التاليين كانت العاصفة شديدة فما تسنى لوحدات اسطول الحلفاء ضرب الدردنيل

وفي ٢٥ شباط قامت اساطيل الحلفاء بحملات شديدة على المراكز العثمانية . فهاجمت الطرادات الانكليزية الحصون العثمانية رقم ٨ و ٩ و ١٠ وتبادلت واياها القذائف مدة طويلة

وفي الوقت نفسه هاجمت وحدات الاسطول الفرنسي خليج « ساروس » وتبادلت القذائف وحصن « قلعة سلطانية » فتمكنت من تخريبه واحراق ثكنة « قلعة نابوليون » وهدم جسر « تواق »

ويوم السبت في ٢٦ شباط لزم اسطول الحلفاء السكوت حتى الظهر ، وبعد الظهر عمدت القوات الانكليزية الى ضرب المضايق بشدة وتمكنت من احداث اضرار جسيمة في قلعة « سد البحر » وهي من اهم الحصون الاربعة التي يعتمد عليها العثمانيون في مقاومة الحلفاء وحماية مدخل الدردنيل

وهاجمت وحدات الاسطول الفرنسي مدينة « بولاير » وألقت على حصونها وابلا من القذائف فاحدثت فيها اضراراً بليغة

اشتداد الهجوم

وفي اليومين الاخيرين من شهر شباط ، وفي الاسبوع الاول من شهر اذار سنة ١٩١٥ ، قامت وحدات الاسطولين الفرنسي والانكليزي بهجمات شديدة على المراكز العثمانية فاتعبتها وهدمت بعض اجزائها عطلت مدافعها

وتجاه هذا الموقف الخطير وجد العثمانيون انفسهم في حالة خطرة فقرروا تعزيز قواتهم العسكرية وايجاد خط آخر وراء المضايق لحماية العاصمة اذا ما فاز الحلفاء بتعطيل الحصون العثمانية واحتلال شبه جزيرة « جناق قلعة »

اسرار الحرب الكبرى

بقلم كرم ملحم كرم

معارك دامية في قمم الجبال تكلف الالمان ثلاثين الف جندي

الجيشان يتنازعان الارض شبراً فشبراً

ينهزمون ثم يهجمون !

في اوائل ربيع سنة ١٩١٥ استولى الفرنسيون على قرية « فو كوي » وجبلها وقلعة « ايبارج »

وجبل « فو كوي » يقوم على الضفة اليمنى من نهر « لير » ، هناك حيث يتسع النهر قبل بلوغه بلدة « فارين ». وهو في موقع حربي من اول طراز ، يشرف على الوادي حتى اعماقه . وكان الالمان قد احتلوه مما ساعدهم على تسديد نيرانهم الى المضارب الفرنسية والى قوافل الاعاشة والذخيرة

وجعل الالمان من جبل « فو كوي » قلعة حصينة ، وانشأوا في القرية الدهاليز ومدوّها بين اعماق المنازل المحفورة في الصخر . وقام الفرنسيون بهجمات اقتربت بها خطوطهم الاولى من قرية « فو كوي » ، وفي ٢٨ شباط ورد على لواء المشاة العاشر الامر بمهاجمة « فو كوي » نفسها

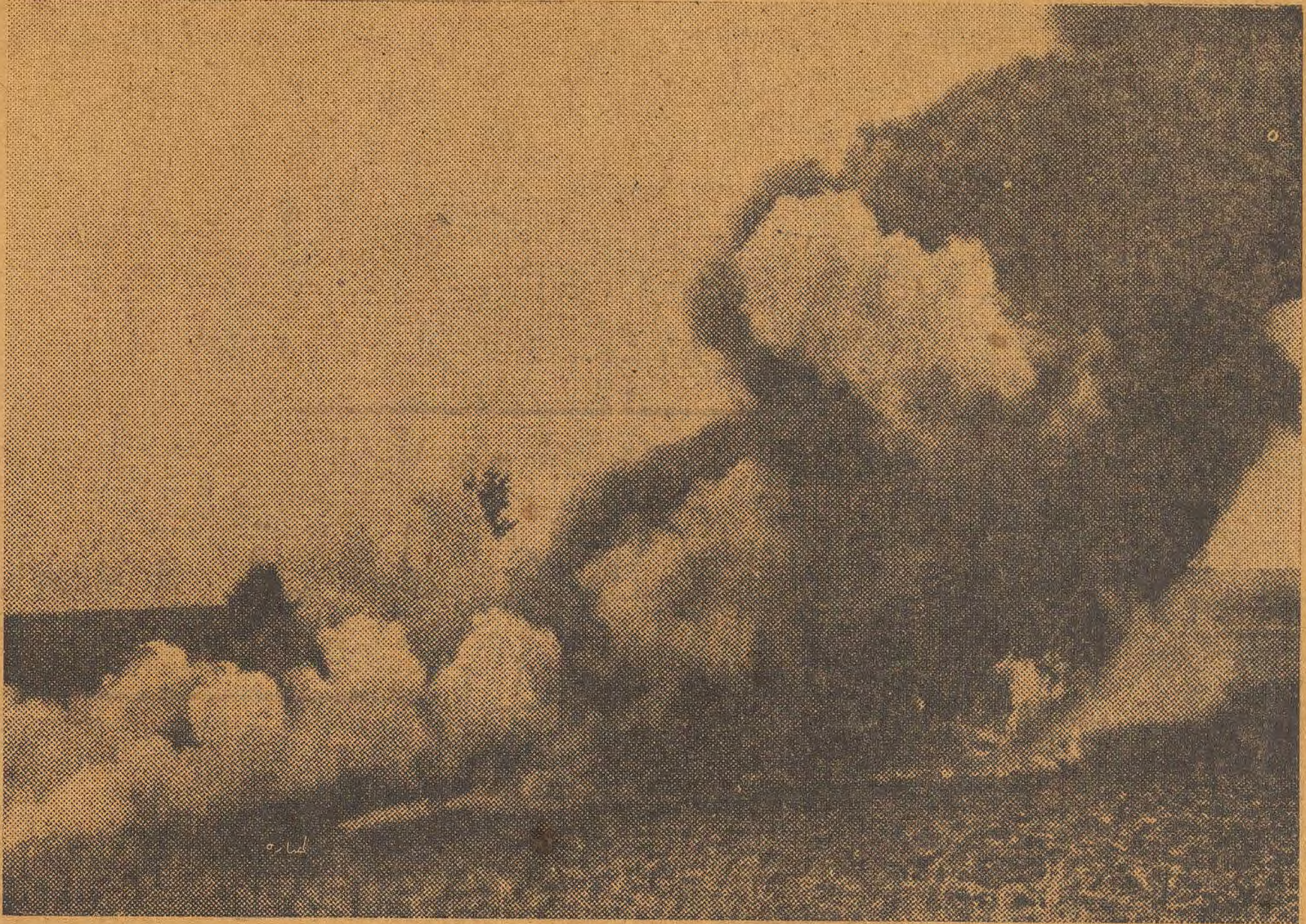


المدفع الالماني النسّاف

وهو المدفع الذي استعان به الالمان على نسف الخنادق الفرنسية

هجوم ينتهي بالانهزام

واشتركت في الهجوم مدفعية الفيلق الخامس ، فاطلقت على المضارب الالمانية النار المدمرة ، ولم يطل الزمن حتى امست المنازل التي يحتلها الالمان انقاضاً ، وحفرت القذائف الفرنسية الارض على دائرة عشرة امتار بعمق اربعة. ولدى الساعة الثانية بعد الظهر وثب



مشهد انفجار الغازات الخانقة في ميادين القتال

المشاة لاحتلال ما بقي من القرية

فتراجع الالمان ، على انهم ما لبثوا ان جمعوا صفوفهم يحاولون ردّ الهجوم الفرنسي . وساعدتهم في محاولتهم مدافعهم ورشاشاتهم فاكرهوا القوات الفرنسية على الانهزام

ولكن الفرنسيين لم يصبروا على الخذلان ، فعادوا بعد ساعة من الزمن الى الهجوم واحتلوا شطراً من القرية ، غير ان الالمان عاندوا وابوا ان يتقهقروا فوثبوا على الفرنسيين مرتين متواليتين ليقصوهم عن القرية فلم يفلحوا

فاستعانوا بمدافعهم وصبوا طول الليل نيرانها على الفرنسيين ، ففعلت النيران فيهم ، ووهنت عزائمهم بعد قتال دام ثماني ساعات فتراجعوا الى مواقعهم الاولى وقد نزلت بهم الخسائر الاليمة

الهزيمة لم تقتل العزيمة

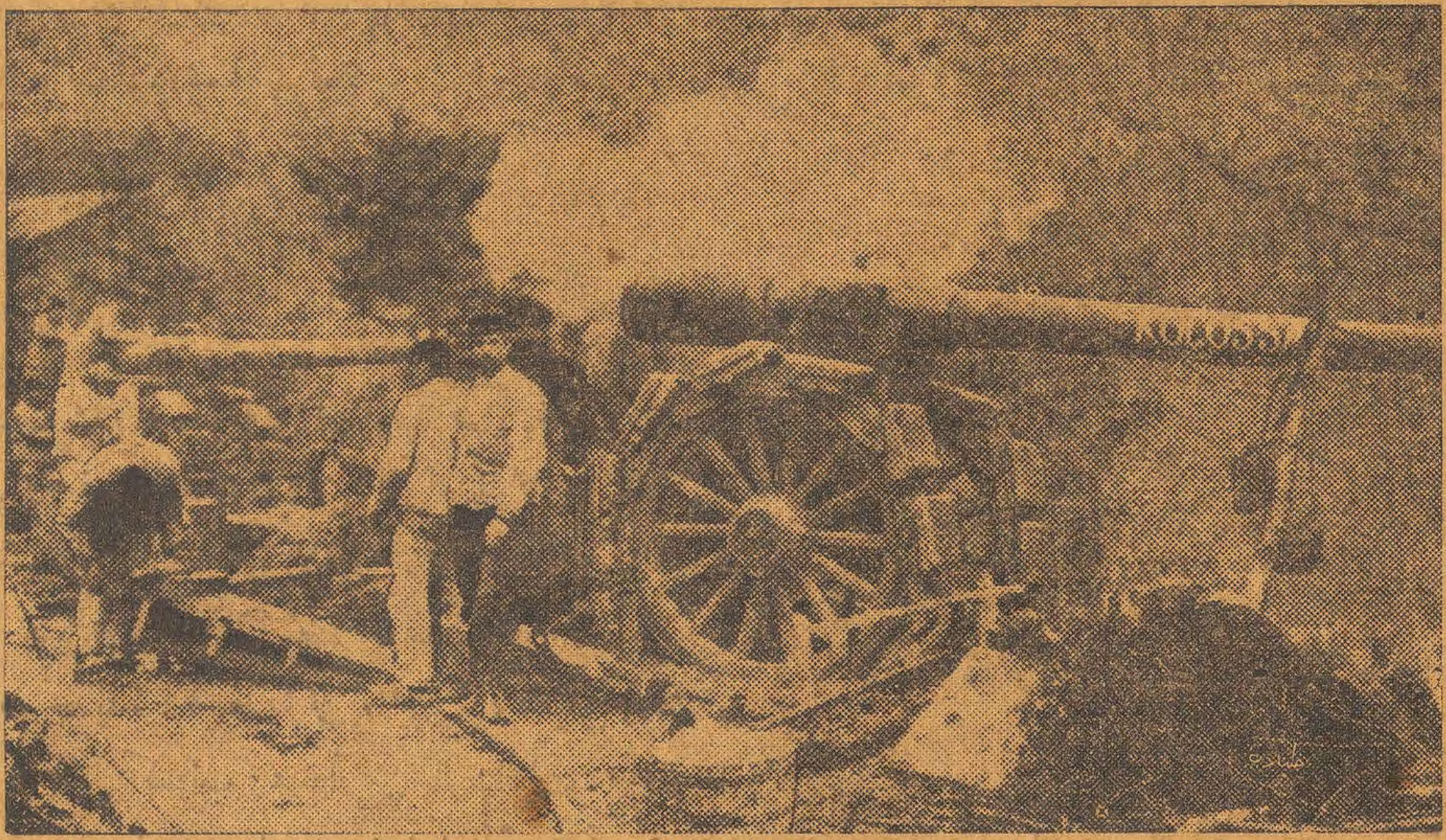
الا ان الهزيمة لم تقتل عزيمة الفرنسيين. فما برح الجنود في حماسة يرغبون في العودة الى الهجوم . وهذا الهجوم كان في اليوم التالي في في اول اذار. فالالمان مع امعانهم في اطلاق النار على المضارب الفرنسية وعلى قرية « فو كوى » شاهدوا القوات الفرنسية تبرح خنادقها مقبلة اليهم في طرق وعرة خضخضتها القذائف . وادهش ثبات الفرنسيين في هجومهم الجيش الالماني مع كل ما ينزل بهم من خسارة ومع كل ما يرمون به من نيران حاصدة. فقرّ رأي هذا الجيش على التراجع عن الخطوط الاولى والانزواء في القرية

الفرنسيون يلحقون بالالمان

فلحق بهم الفرنسيون ، ولدى الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والثلاثين كانت القوة الفرنسية تدخل مرة اخرى قرية « فو كوى ». والتقى العدوان فهجم بعضهما على بعض بالسلاح الابيض بين اطلال منازل القرية . وقاوم الالمان مقاومة تذكر ، على انهم ما استطاعوا صدّ الهجوم الفرنسي، فتخلوا عن قرية « فو كوى » وقد ابقوا فيها مئتي اسير

ولم يرضوا عن هذا الخذلان . فحاولوا ان يستردوا القرية ، وهاجموها في ٣ و ٤ اذار فحالت دون نجاحهم مدافع الفرنسيين. فاعتزموا ان لا يعودوا الى التفكير فيها وقد دفنوا في ارضها خيرة جنودهم

وسقوط « فو كوى » بين ايدي الفرنسيين ضمن للجيش الثالث سلامته ، ووفر له الاشراف على حركات جيش ولي العهد



بطارية المانية من عيار ١٥٥ قائمة على مرتفعات ستينباك

وقد تولت اطلاق قذائفها على الخنادق الفرنسية في سهل « سرناي »

الالماني، ومهد له الهجوم على « فارين » و « مونفوكون » وقد اعتصم بهما الالمان غربي نهر « الموز »

على قمة « ايبارج »

وما تبدو فيه قرية « فوكوي » من الخطورة لم تختلف به عنها قلعة « ايبـارج » المشرفة على سهول « ويفر » . فاذا افلح الالمـان بزحفهم الى « سان ميهيال » في احتلال القسم الجنوبي من مرتفعات « الموز » العليا و « فينيال ليس هاتونشاتل » وغابة « الجبل » ، فلم يكن لديهم في الجهة الشمالية سوى قمة « ايبـارج » ، وهي احدى قمم سلسلة من الجبال تقوم على ضفاف نهر « الموز »

وقمة « ايبارج » طولها ميل ونصف ميل ، وعلوهـا اربعمئة ذراع ، وهي ذات جوانب وعرة ملساء لزجة ، كأنها جبل من وحل ، تشرف على الاودية القريبة منها والطرق الممتدة امامها واليها . فاذا ملكها الالمان اطلوا منها على طريق «سان ميهيال» وعلى سهول «ويفر» ، واذا ملكها الفرنسيون كانت خطوتهم الاولى الى «تيو كور» واطمأنوا الى موقفهم في مرتفعات « الموز » العليا

والالمان وقد باتوا منذ ٢١ ايلول اسياد الموقف شيدوا على قمة الجبل حصناً وطيد الدعائم وانشأوا حوله الخنادق . وكان الفرنسيون في الوادي الفاصل بين قريتي « سان ريمي » و « ايبارج » ، تقوم خنادقهم على بعد نصف ميل من غربي الخطوط الالمانيـة . ومن الخطر الشديد محاولة الهجوم على منحدرات موحلة تملأها الاستحكامات. ولذا كان الاستعداد للهجوم الاول طويلا عنيفاً

ومنذ شهر تشرين الثاني حتى اواسط شباط استطاعت مقدمة الجيش الفرنسي ان تقترب قليلا من الالمان . وما توفر لها هذا التقدم الا بعد اعتمادها خطة النسف والتدمير

ولما اصبحت امام الخنادق الالمانية انشأت تحت هـذه الخنادق نفقاً اضرمت فيه النار . فحصل انفجار تطايرت به خنادق الالمان، وتلا الانفجار قصف المدافع الفرنسية فهدمت ما حصن الالمان هدماً مفجعاً . فاستولى الذعر على القوات الالمانية المنتمية الى اللواء البـافاري الاحتياطي الثالث والثلاثين ، وتسني للفرنسيين دون صعوبة احتلال الناحية الغربية بكاملها

غير ان الالمان..

غير ان الالمـان امسكوا عن الهزيمة . فشددوا من عزائمهم ورموا بقذائفهم الفرنسيين، فانصبت من مدافع من عيار ٢١٠ و١٥٠ ، وضايقوا الفرنسيين كل المضايقة، الا انهم لم يتمكنوا من ابعادهم عن الاماكن التي احتلوها . واعادوا الهجوم مرات على غير طائل

واتسعت الجبهة الفرنسية. واستطاع الفرنسيون بعد معركة شديدة

العنف امتلاك قسم من احدى الغابات في شرقي قمة « ايبارج ». وناضل الالمان يومين كاملين لاستعادة القمة منهم فخانهم التوفيق، واضطروا الى الاحتفاظ بالحصن الشرقي الباقي لهم من تلك القمة كلها

فظائع المعركة

والمعركة كانت شديدة دموية في ادوارها جمعاء. فخسر الالمان ثلاثة آلاف رجل ونصف اعتدتهم. وفني اللواء البافاري الثامن. غير ان اليأس لم يتسرب الى الافئدة الالمانية. فظلوا واثقين بالظفر، ودعوا الى انشاء جيش جديد والى تنظيم معداتهم. واستبدلوا من قواتهم التعبئة قوات جديدة. فاوفدوا الى « ايبارج » الفيلق العاشر، ودفعوا من « متز » خمس كتائب وعدداً من الرشاشات. وحفروا الارض وانشأوا الحجرات ليستريحوا فيها. وبنوا خطاً حديدياً ضيقاً. وانتظروا في هذه الحصون الساعة الحرجة بكل اطمئنان. فقد اعتزموا التضحية بكل شيء في سبيل الاحتفاظ بقمة « ايبارج »

وفي شهر اذار قام الفرنسيون بهجمات على الالمان، الا انهم استبقوا هجومهم القاضي ليوم ٥ نيسان. وفي هذا النهار، مع كون الجو ممطراً، والوحل لايجيز المخاطر، وثبت كتيبتان فرنسيتان الى خنادق الالمان القائمة في الناحية الغربية من القمة واقامتا فيها. ولم تضطرا الى هذه الاقامة لولا القذائف التي كانت ترميها بها الطيارات. فالطيارات دمرت تلك الخنادق تدميراً عجيباً وصدت عنها الفرنسيين. فعاد الالمان يستولون في صباح اليوم التالي عليها ويكرهون الفرنسيين على اعادة الكرة

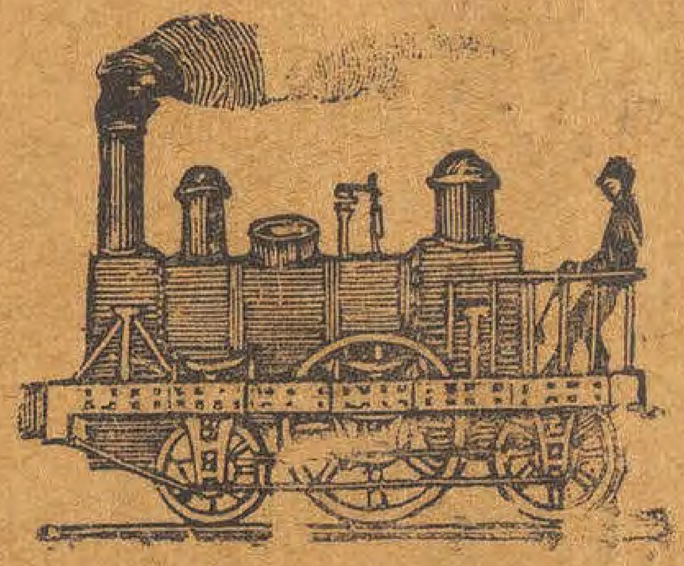
الا ان المطر يتوالى، ومع استمراره لم تثبط عزائم الفرنسيين، فاندفعوا الى الخنادق الالمانية يقصون اعداءهم عنها بقوة الحراب

وفي ٧ نيسان كانوا قد توغلوا في الخنادق الالمانية نحواً من نصف ميل واحتفظوا بما غنموا. فعظم الامر على الالمان وقاموا بالهجوم تلو الهجوم لاستعادة ما فقدوا. ولكن المدافع الفرنسية كانت تردهم على اعقابهم. وتلاشت عزائم الفريقين فانقضى الليل بهدؤ. ولدى الساعة التاسعة من صباح اليوم التالي ورد على كتيبتين فرنسيتين من المشاة وكتيبة من الفرسان الامر بالخلاص من الحالة المترجرجة. فانطلقت هذه القوة الى القتال بجهد المستميت. وفي ساعة واحدة احتلت برؤوس الحراب قمة الجبل وناحيته الغربية. وانقضى النهار في معارك هائلة. فكان ان امسى الفرنسيون لدى نصف الليل اسياد القمة في معظمها. فملكوا ميلا ونصف ميل من الخنادق. ولم يبق للالمان غير مثلث صغير من الناحية الشرقية

وفي ٩ نيسان كان الهجوم الاخير. ولدى الساعة العاشرة ليلا انتهى كل شيء. فباتت قمة « ايبارج » بكاملها للفرنسيين الذين امسوا يشرفون على سهول « ويفر » من جهاتها كافة

خسارة ٣٠ الف رجل

وفي شهرين بلغت في هذه الناحية خسارة الالمان في الرجال ثلاثين الفاً. ومع هذه الخسارة فاز الفرنسيون وتراجع الالمان. وهكذا بدأ الفرنسيون يستعيدون رويداً رويداً الاماكن التي خسروها



القتال على رؤوس الجبال

الالمان يواثبون الخطوط الفرنسية بحقد وغيظ ويعودون خاسرين

الحرب تستيقظ في الالزاس واللورين

الخنادق الالمانية تهدم تحت القذائف الفرنسية ولكن الالمان لا يقنطون

الحرب تحت الثلوج

بعد ما انهزم الالمان في « المارن » وفي الجبال المحيطة بمدينة « نانسي » وقفوا عن الهجوم في ولاية اللورين ، وجلوا عن « بون آموسون » و« نوميني » و« لونيفيل » و« بكارا » و « راون ليتاب » واضحت جبهتهم عند الحدود، وخصوصاً في منطقة « نانسي »

وتعب الجيشان الفرنسيان الاول والثاني للقائدين « ديباي » و« كاستلنو » من قتال مرهق دام ثلاثة اسابيع فما لحقا بالجيش الالماني يطاردانه وينتقمان منه . ولقد انتقل جيش القائد « كاستلنو » الى « بيكاردي » يوم انتقال جيش الامير « روبرخت » الالماني اليها . وظل القائد « ديباي » وحده في اللورين يدافع عنها

الحرب في اللورين

والحرب في اللورين اضحت بعد استقرار الالمان في « سان ميهيال » ترمي الى هدف معلوم ، وهو منع امتداد الاجتياح الالماني الى الجنوب ، من نهر « الموز » الى نهر « المورت » الى غابة «مونمار». على ان المعارك المهمة وقعت على ضفاف نهر « الموزيل » في ضواحي « بون آموسون » ، ومنها استيلاء الفرنسيين على غابة « ليبريتر »

فالقوات الفرنسية باقامتها في« بون آموسون» لم تكن تبعد عن « متز » ما يزيد على عشرين ميلا ، وبعدت عن « تيو كور » عشرة اميال ، و « تيو كور » مفتاح المواصلات بين« متز » و«سان ميهيال »

والالمان وقد شاؤوا منع تقدم الفرنسيين انشأوا في غابة«ليبريتر» الحصون المنيعة ، واشرفوا منها على غابة«هاي » في الغرب وعلى وادي نهر « الموزيل » في الشرق



اطلال قصر « كارليل » في فرنسا
وقد دمرته القذائف الالمانية

فهاجم الفرنسيون خنادق الالمان واستطاعوا ان يحتلوا ضواحي الغابة الجنوبية . وفي شهر تشرين الثاني ١٩١٤ صدوا عنهم هجمات الالمان . وسهلت لهم مدافعهم كل تقدم . فكانت قذائفهم تتساقط على المتاريس الالمانية فتهدمها وتقلقل الخنادق . وما اقبلت سنة ١٩١٥ حتى كانت الناحية الشرقية من الغابة بين ايدي الفرنسيين

وبقيت الزاوية الغربية وهي قمة ترتفع الى علو اربعمئة ذراع انشئت في صميمها الخنادق العميقة المحصنة بالرشاشات الصعبة الامتلاك. فهجم عليها الفرنسيون في ١٧ و١٨ و١٩ كانون الثاني وارتدوا خائبين. فاعادوا هجومهم في ١٦ و٢٨ شباط فذهبت اتعابهم سدى. فالالمان قاوموهم بشدة. وكانوا اذا نجحوا استطاعوا ان يتقدموا مئة خطوة ورصاص الالمان يحصدهم حصداً

على انهم لم يكلّوا. فاعادوا هجومهم. وفي ٣٠ اذار احتلوا شطراً من الخنادق الالمانية، وشعر الالمان برغبة الفرنسيين في احتلال الغابة وبامعانهم في الهجوم للاستيلاء عليها فتسلقوا القمة واعتزموا فيها المقاومة

وباتت الارض حفراً ومهاوي، وحُصدت الاشجار كأن الفؤوس تضرب في جذوعها. وتساقطت في شهر نيسان الامطار والثلوج والمعارك مستمرة

وفي ١٢ ايار صمم الفرنسيون على اقتحام القمة. فاصلوها النار الحامية على مدى ساعة من الزمن، وتسنى لهم احتلال الخنادق الالمانية بعد جهد راعب. وبلغوا القمة من ناحيتها الشمالية وما لبثوا ان اضحوا اسيادها

واطلق الالمان اسم غابة « الموت » على غابة « ليبريتر » لفرط ما عانوا من الشدائد فيها

الحرب في الالزاس

وان يكن الاستيلاء على غابة « ليبريتر » اعظم حادث جرى في ولاية اللورين فالاعمال الحربية في جبال « الفوج » لم تقل شأناً عن ذلك الحادث، بل هي اعظم خطورة من وجهتها الفكرية. وما جيش « الفوج » سوى جيش الالزاس

فالقوات الالمانية وقد قهرها في وادي « شيبوت » القائد « ديباي » عادت ادراجها الى الالزاس واللورين. ولم تكن تملك في ١٤ ايلول ١٩١٤ غير جزء ضئيل من الديار الفرنسية. فازوت من ناحية بين « سينون » و « لافالين » ومن ناحية اخرى بين « سال » و « سانت ماري اومين »

والقوة الباقية من جيش القائد « بو » استطاعت ان تحتفظ بشطر كبير مما غنمه في شهر آب قائدها العالي الهمة

والقائد « ديباي » مع تفوقه لم يخاطر بنفسه. فما اندفع الى احتلال « ملهوس » و « كولمار » بل اهتم بتحصين مواقعه في جبال « الفوج » السفلي فما قوات الالزاس الخاضعة لاوامر القائد « بوتز »، وقد تألف منها الجيش الفرنسي السابع، تقاوم هجمات الالمان الضعيفة المسددة اليها من القائد « غيد »

والمعارك وان لم تكن في ذلك الحين شديدة فقد حملت الفريقين على الاستعداد للشتاء المنذر بالقسوة. فالقتال في تلك الانحاء يجري على علو الف متر، بين غابات وصخور وانحاء موحشة، الطرق فيها قليلة، والخطوط الحديدية الكبرى مفقودة الاثر

وقوات الجيش الفرنسي المرابطة في « الفوج » كانت على قدر المهمة الموكولة اليها. فهي في معظمها من الجبليين. ومع كل ما في « الفوج » من المخاطر، مع كل ما هي عليه من الهول، فالقوات النازلة فيها لم تكن ترهبها وقد تعوّدت في مثلها الحياة

وصبت هذه القوات جهدها على تحصين الجبال المستقرة فيها. فانشأت الخنادق ومراكز الهاتف تربط الخنادق بعضها ببعض، ومهدت الطرق وذللت الثلوج لئلا ترميها بحصار يصعب عليها الخلاص منه

ومنذ تشرين الثاني استطاعت السيارات ان تجول في هذه الطرق المعبدة بعد ما كانت البغال لا تسلكها بسوى جهد

والسيارات حملت الى الخنادق مدافع من عيار ٦٥ كانت جزيلة الفائدة في تلك الجبال العالية القمم

على ان الشتاء كان هائلاً. فالثلوج سدت الطرق. فاستعان الجند بالزحافات واستطاع ان يؤمن اعاشة الجيش. وهذه الهمة منه اثارت اعجاب الجميع

على نشيد « المارسيلياز »

وفي ٢ كانون الاول ١٩١٤ استولت هذه القوات على قمة « تيت ده فو » بعد قتال دام ساعتين. وكانت جريئة كل الجرأة في استيلائها على هذه القمة. فاجتاحتها وهي تنشد « المارسيلياز »

وانقضى عام ١٩١٥ في معارك كادت تكون يومية. وخدم الحظ فيها الفرنسيين. فملكوا في شهر حزيران قمة جبل « هيلسنفيرست » وعلوه ١٢٧٠ متراً، وفي شهر تموز كانوا في « فونتينيل »، وفي شهر آب قبضوا على ناصية جبال « لينغيكوبف » و « باورتكوبف » و « شراتزمانيل » المشرف على وادي « مونستر »

ولمنع عودة الالمان الى احتلال هذه الاماكن قضت الضرورة بامتلاك سلسلة الجبال الواقعة على ضفاف نهر « تير » اليسرى، بين « سيرناي » و « بولويللر »، وخصوصاً قرية « ستينباك » وقمة « هارتمانسويللر »

والالمان كانوا اسياد « سيرناي » و « بولويللر » معاً، وامتدت سيطرتهم الى وادي « ويسيرلنغ » و « سان اماران »

والرغبة في امتلاك هذه الاماكن اهابت بالفريقين الى خوض



☀ قافلة فرنسية تحمل الاعتدة الى اعالي جبال الفوج ☀

☀ وقد غمرت الثلوج تلك الجبال العالية وبدت البغال تشد بالمدافع الى اعالي القمم ☀

معركة رهيبة . فهاجم الفرنسيون في ٢٦ كانون الاول ١٩١٤ بلدة « ستينباك » بعزيمة لا تقهر . وبعد معركة دامت ثلاثة ايام باتت حصون القرية الخارجية بين ايدي الرماة الفرنسيين . وفي ٣٠الشهر دخلوا القرية

غير ان الالمان لم يجلوا عنها. فكانوا لا يبرحون مواقعهم الا وقد ضاع منهم كل امل بها. فاضطر الفرنسيون الى احتلالها منزلا منزلا

وكان القتال يبعث على الدهش والاعجاب بالفريقين .فالقوى بذلت من الالمان ومن الفرنسيين معاً . وفي ٣١ كانون الاول١٩١٤ واول كانون الثاني ١٩١٥ تسنى للفرنسيين ان يحتلوا ثلاثة خطوط من المنازل المعتصم بها الالمان

ولكن الرشاشات الالمانية لم ترحم . فكان رصاصها يتساقط على الفرنسيين باستمرار . فتحرق وتدمر وتقتل دونما انقطاع .وتململ الفرنسيون . ورأوا الخلاص من مأزقهم الحرج ان يستعينوا بمدافعهم الضخمة . ودفعوا القناصة الى احتلال القرية . وفي كانون الثاني احتلوا حي الكنيسة والمقبرة . غير ان الالمان استعادوا في الليل شطراً مما اضاعوا

وقبل ان ينبثق الفجر دفع رجال القناصة الفرنسيون الهجوم الالماني وامتلكوا قرية «ستينباك» بكاملها،وتبسطوا في الناحية الشمالية الشرقية من البلدة والناحية الجنوبية الغربية منها،وانحدروا الى الطريق الممتد بين « سيرناي » و« تان ».فادرك الالمان اليأس ووقفوا عن الهجوم وابقوا بين ايدي الفرنسيين تلك البقعة الضامنة سلامة « تان » وهي من قواعد ولاية الالزاس

احتلال جبل « هارتمانسويللر »

وقضية جبل « هارتمانسويللر » اثارت الاهتمام . فالجبل يقوم بين القرية الحاملة اسمه ومدينة « غيبويللر » ، ويشرف على شطر وافر من سهل الالزاس . وهو كموقع حربي عظيم الشأن . ولقد احتله الفرنسيون منذ شهر ايلول ، الا انهم لم يحسنوا حراسته . فاكتفوا بان يشيدوا على قمته حصناً صغيراً تتولى امره قوة ضئيلة من الجند. واتصل الخبر بالالمان فمالوا الى احتلاله

وهزيمتهم في« ستينباك » ، ورغبتهم في تهديد « تان» من الشمال، مالتا بهم الى احتلال هذا الجبل . فهاجموه بقوات ضخمة وعزلوه عمن حوله من القوات الفرنسية . غير ان الحامية المعهود اليها بالدفاع عنه لم تتهاون في ما تولت من مهمة . فابدت الشدة في المقاومة واستعانت بالصبر . وارسلت تطلب النجدة من القوات الفرنسية القريبة منها

فلبى رجال القناصة النداء . ولكن الاقدام على اغاثة هؤلاء الراسخين في القمة ليس من السهولة في شيء . فلم تكن جوانب « هارتمانسويللر » غير صخور واشجار لا منفذ فيها . وتساقطت الثلوج ، وتكاثف الضباب فسدل على العيون غشاوة صفيقة . واضحى

النظر لا يمتد الى ما يزيد على عشر خطوات

الاسلاك الشائكة

وطوق الالمان الجبل بالاسلاك الشائكة. على ان الفرنسيين وقد صمموا على احتلال القمة ابوا ان يتراجعوا. ففي صباح ١٩ ايلول انطلقت فرقتان منهم تتسلقان الجبل، ولكن تقدمها كان بطيئاً. وحال الثلج واندفاع الالمان دون نجاحها. فنزلت بها خسائر فادحة وكاد ما بقي منهما لا يبلغ النصف

وتضعضعت حامية الجبل مع كل بسالة بدت منها، ورزحت في مساء ٢١ ايلول تحت القوة الالمانية الجائحة وتلاشت منها القوى

الالمان اسياد الموقف

فوقف الفرنسيون عن الهجوم وبات الالمان اسياد الموقف، الا ان القناصة الفرنسية ظلت على احتكاك بالخطوط الالمانية ومنعتها من كل انتقال. فالفرنسيون ما برحوا مصممين على امتلاك القمة

وليس بالامكان مهاجمة عدو اضحى في موقع حصين واتخذ للدفاع كل عدة. فاقام الخنادق، وحمته غابة كثيفة ومنحدرات تغطيها الثلوج. ومثل هذا الموقع لا يؤخذ بسوى حصار منظم تنشأ فيه الخنادق والطرق وتوطد المدافع. وما غفل الفرنسيون عما تدعوهم اليه الحالة فعمدوا فوراً الى هذا التنظيم. وفي ٢٤ شباط مالوا الى الهجوم واحتلال الجبل، فاسقط في ايديهم. فلم تكن مدفعيتهم مستوفية الشروط

هجوم تلو هجوم

وفي ٥ اذار عمدوا الى هجوم آخر نجح بعض النجاح، واسر رجال القناصة خمسين المانياً واستولوا على موقع حصين

وفي ٢٣ وردت على القوات الفرنسية النجدات فاطمأنت الى الفوز وهاجمت الجبل بعدما ذللت امامها المدفعية الصعاب

فالمدافع ظلت تهدم اربعاً وعشرين ساعة في الخنادق الالمانية، فقوضت قسما وافراً منها. ولم يكن من المشاة وقد بسم لهم الامل الا ان وثبوا على العدو واحتلوا خطين من خطوط دفاعه وحصناً صغيراً واسروا مئتين

على ان العمل لم ينته. فما زالت هناك خطوط اخرى بحاجة الى تدمير

وبدا للفرنسيين ان المغامرة لا تفيد. فاستقروا في اماكنهم ينظمون انفسهم. واباحوا لمدفعيتهم اطلاق نيرانها فردت كل محاولة سعى لها الالمان

وفي ٢٦ اذار استعدوا الاستعداد الكافي للهجوم. وهو استعداد دقيق استوفى كل تدبير. ولدى الساعة العاشرة صباحاً وقد بدت الشمس الضباب عمدت المدفعية الى ازالة العثرات امام القوات الفرنسية

وطال رشقها بالقذائف الجبهة المطلوب احتلالها. فتناثرت الاشجار الضخمة وامست الطرق في شبه فوضى. فهي ملأى بالثقوب والحفر وبالاشجار المحطمة والاغصان والخنادق المهدمة

ولدى الساعة الثالثة وثب المشاة الى القمة. واستطاع احد الافراد ان يتسلقها وان يلوّح لرجال المدفعية بلواء يحمله ان النجاح حليف الفرنسيين. فادار رجال المدفعية فوهات النار الى المنحدرات الشرقية يمطرونها القذائف

فاضطرب الالمان. واستسلمت منهم فرقة بكاملها دون ما قتال. وتحمس الفرسان فانحدروا في الناحية التالية من الجبل واقاموا في اماكن منيعة على بعد ثلاثمئة خطوة من الالمان

ووقف الالمان لا تبدر منهم حركة، وتمتع الفرنسيون بالنصر. فان جبل «هارتمانسويلر» ضمن لهم سيادة «فيكت» العليا و «ميتزرال»

الالمان يتحصنون والفرنسيون ...

على ان الالمان اذا وقفوا فالفرنسيون لا يقفون

فقد مال القائد «مودهوي» الى احتلال منطقة «ميتزرال» مع كل تحصين تولاه فيها الالمان

ونظم هجومه تنظيما وافياً

فجهز لواء من القناصة عهد به الى القائد «بويدراغان»، وانشأ ثلاثين ميلا من الطرق لتأمين اعاشة الجيش، وبنى الحصون والخنادق، ودعا قواته الى نسف مواقع العدو بالاعتماد على المتفجرات

وفي ١٥ حزيران اعلن الامر بالهجوم على انغام نشيد «سيدي ابراهيم»، فاستولى رجال القناصة على جبل «برونكوبف» واسروا فرقتين المانيتين

وفي اليوم التالي، مع كل مقاومة ابدى الالمان، اجبرهم الفرنسيون على الجلاء عن «ايخوالد». ولكن القوات الالمانية استقرت على الضفة اليمنى من نهر «غروستال»، في الغابات المكللة قمة «انلاس»

وعدت شرذمة من رجال القناصة الاسلاك الالمانية الشائكة، وابصرها الالمان فسددوا اليها مدافعهم، فحاولت هذه الشرذمة ان تحفر لها مكاناً تأوي اليه وتتقي فيه رصاص الاعداء. وصاح الالمان



معركة بالسلاح الابيض في «الفوج» انقضت فيها قوات الحلفاء على الالمان

برجالها : استسلموا !

فلم يجب احد . فمضت المدافع الرشاشة في اطلاق نارها . فقضت على شرذمة القناصة دون ما استثناء . ودنا الالمان من رجال الشرذمة لما خفت رصاصهم فاذا الجثث وراء متاريسها مصطفة بانتظام وبنادقها بايديها ولكنها خالية من الروح

الالمان يلينون

وفي ٢٠ حزيران، بعد قتال دام يومين كاملين ، دب اليأس الى قلوب الالمان فتخلوا عن خطوطهم، الا انهم لجأوا الى « ميزيرال » واستقروا في بضعة منازل منها نصبوا فيها مدافعهم الرشاشة واحرقوا القرية

وفي ٢١ هاجم افراد القناصة القرية وهي تشتعل وابعدوا الالمان عنها وطاردوهم الى الكروم والى المرتفعات الشرقية

واستمرت هزيمة الالمان وقد ابقوا بين ايدي الفرنسيين مئات من الاسرى ، وجلوا حتى عن « سوندرناك » للدفاع عن خط « فخت مونستر » وطريق « كولمان »

استعادة الالزاس

واستعيدت الالزاس ، غير ان مساحتها لم تكن مثلها اليوم ، ولم يبق فيها غير النساء والشيوخ والاطفال . وتولاها الفرنسيون وسهروا على شؤونها ، وانشأوا فيها المجالس وضمنوا اعاشتها . وتعهدت الحكومة الفرنسية العيال الالزاسية برفدها وانعشت الحياة الاقتصادية والزراعة والصناعة

وفي ربيع ١٩١٥ عادت بضعة مصانع الى العمل في «بيسرلينغ» و « ماسيفو » تساعدها الحكومة . وتنظمت شؤون الادارة والبريد وارتبطت المدن الالزاسية بفرنسا . وعين للولاية وكيل محافظ استقر موقتاً في « دانماري »

وانصرف اهتمام الفرنسيين الى تربية الناشئة الالزاسية تربية فرنسية . ومنذ بدء الشتاء قامت في كل قرية من قرى الالزاس مدرسة يتردد اليها عشرة آلاف فتاة وغلام . ونص منهاج التعليم على تدريس الالمانية والفرنسية

وامتد فصل التدريس الى ٨ آب ١٩١٥ ، واحتفل في هذا اليوم بمضي عام على احتلال الجيش الفرنسي للالزاس وجرى توزيع الجوائز على التلاميذ

خطاب القائد جوفر

وايقنت الالزاس انها اضحت فرنسية وستظل فرنسية . وكان القائد جوفر قد ارتاد في اواخر تشرين الثاني ١٩١٤ بلدة « تان » وخطب في ابنائها قائلا :

ـــ عودتنا اليكم لا بد منها . فانتم فرنسيون الى الابد . وفرنسا في مجيئها الى دياركم تحمل اليكم الحريات التي ما برحت تمثلها ، وتحترم حريتكم وتقاليدكم ، ومعتقداتكم ، وعاداتكم

«انا فرنسا وانتم الالزاس ، واني احمل اليكم قبلة فرنسا!...»

لكل خطاب جواب !

فاجاب احد الوجهاء بقوله :

ـــ لقد عانينا طول خمسين سنة النكد والهوان . فادمى الالمان قلوبنا وجرحونا في عواطفنا واذلونا بحجة انهم يعمدون الى تحضيرنا مع اننا كنا على يقين تام انهم يرهقوننا ويؤخرون سيرنا في طريق الحضارة !

ولما برح القائد جوفر هذه البلدة شيعه اهلوها هاتفين : لتحي فرنسا ، لتحي الالزاس واللورين !

بوانكاره في الالزاس

وهذه العواطف ازدادت جلاء لما اقبل السيد رايمون بونكاره ، رئيس الجمهورية الفرنسية ، الى الالزاس . فما كاد يبلغ القرية الاولى حتى ازدحم الاهلون في طريقه

وكل بلدة مرّ فيها اضطر الى الترجل والى اجتياز شوارع البلدة الكبرى والشيوخ والنساء والاطفال حوله يصيحون : لتحي فرنسا ، لتحي الالزاس واللورين !

وحدث شاهد عيان عما جرى في الالزاس وهي ترحب بالسيد بوانكاره فقال :

ـــ وقفت العجائز على ابواب منازلهن يمسحن دموعهن . واطلت الفتيات بثيابهن الالزاسية يلوّحن بمناديلهن . وارتفعت على الارصفة اصوات الغلمان تهتف لبوانكاره ولفرنسا . وخفقت الاعلام المثلثة الالوان على منازل كثيرة ، وهي اعلام تاريخية يعود امرها الى سنة ١٨٧٠ وقد ظلت راقدة في الزوايا نحواً من خمس واربعين سنة !

***

هذا ما روى شاهد عيان ، ومنه يستدل على ان الانتصار الفرنسي لقي في الالزاس واللورين المؤيدين والانصار !



المعارك في جبهة شمبانيا

النصر يوالي الالمان حيناً والفرنسيين احياناً ولا يستقر على حال
الجبروت الالماني يأبى ان يتحطم

السلاح الابيض سيد الميدان

في شهر تشرين الثاني ١٩١٤ رمى الالمان قرية « تراسي ليفال » بقذائف من عيار ٢١٠ ، وانقضوا على القرية فصدهم عنها « الزواف » الفرنسيون

وفي شرقي ريمس اطلقت المدفعية الفرنسية قذائفها على مستودع للذخائر الالمانية فعطلت ثلاثة مدافع . وفي شمالي « كراون » عطلت مدافع كثيرة وفجرت عدة مستودعات للذخائر

وفي شهر كانون الاول تقدم الالمان نصف ميل على مقربة من « بيري اوباك »

وتقدموا قليلا في ضواحي « برت » على جبهة طولها ميل ونصف ميل

وفي « مسنيل » تقدمو خمسمئة ذراع

وفي غربي « برت » هجم الالمان على المواقع التي انتزعها منهم الفرنسيون فما افلحوا في استعادتها

وفي ١٠ تشرين الثاني غنم الفرنسيون اربعمئة ذراع في « ماسيج » ومئتين وخمسين ذراعاً في « بوزيجور »

وهذا الايضاح في غنم الاذرع والخطوات دليل على ما كانت فيه الحرب من قسوة وشدة . فالنصر كان يحسب بالاصابع والاشبار !

وفي ٢٠ كانون الثاني ١٩١٥ هدم الالمان الخنادق الفرنسية في « بيري اوباك » واستقروا فيها . وما ملك الفرنسيون القوة على زحزحتهم عنها الا بعد معارك طاحنة دامت يومين كاملين

وبين ٥ و ١٥ كانون الثاني لقي الفرنسيون الهزيمة في « كروبي » وفي منطقة « سوسون »

معركة « كروبي »

وفي ٨ كانون الثاني هاجمت القوات الفرنسية بعنف الجبل المنتصب في الجهة الشمالية الشرقية من « سواسون » . وظلت نيران المدافع تنقض ستة ايام متوالية من الجانبين . فاستولى الفرنسيون على خطين من الخنادق هدمتها القذائف هدماً مفجعاً . وملكوا قمة « كروبي » ووقعت بين ايديهم رشاشات المانية واستسلم اليهم فريق من الجنود الالمان

وغلت الجبهة غلياناً . فالخط الاول كان يشتعل . وما تغلب الفرنسيون الا بعد شدة متناهية . وهذه الغلبة كان يفسدها في احيان متعددة على الفرنسيين الصلابة الالمانية وتفوق اعدائهم في معدات القتال

على ان فرقة من القناصة الفرنسية ذهبت في القتال بعيداً شاهرة السلاح الابيض، فضاع كل اتصال بينها وبين الخطوط الفرنسية وطوقها الالمان ودعوها الى الاستسلام . فرفضت باباء وشمم ، فما كان من الالمان الا ان اطلقوا عليها النار ونكبوها بالفناء

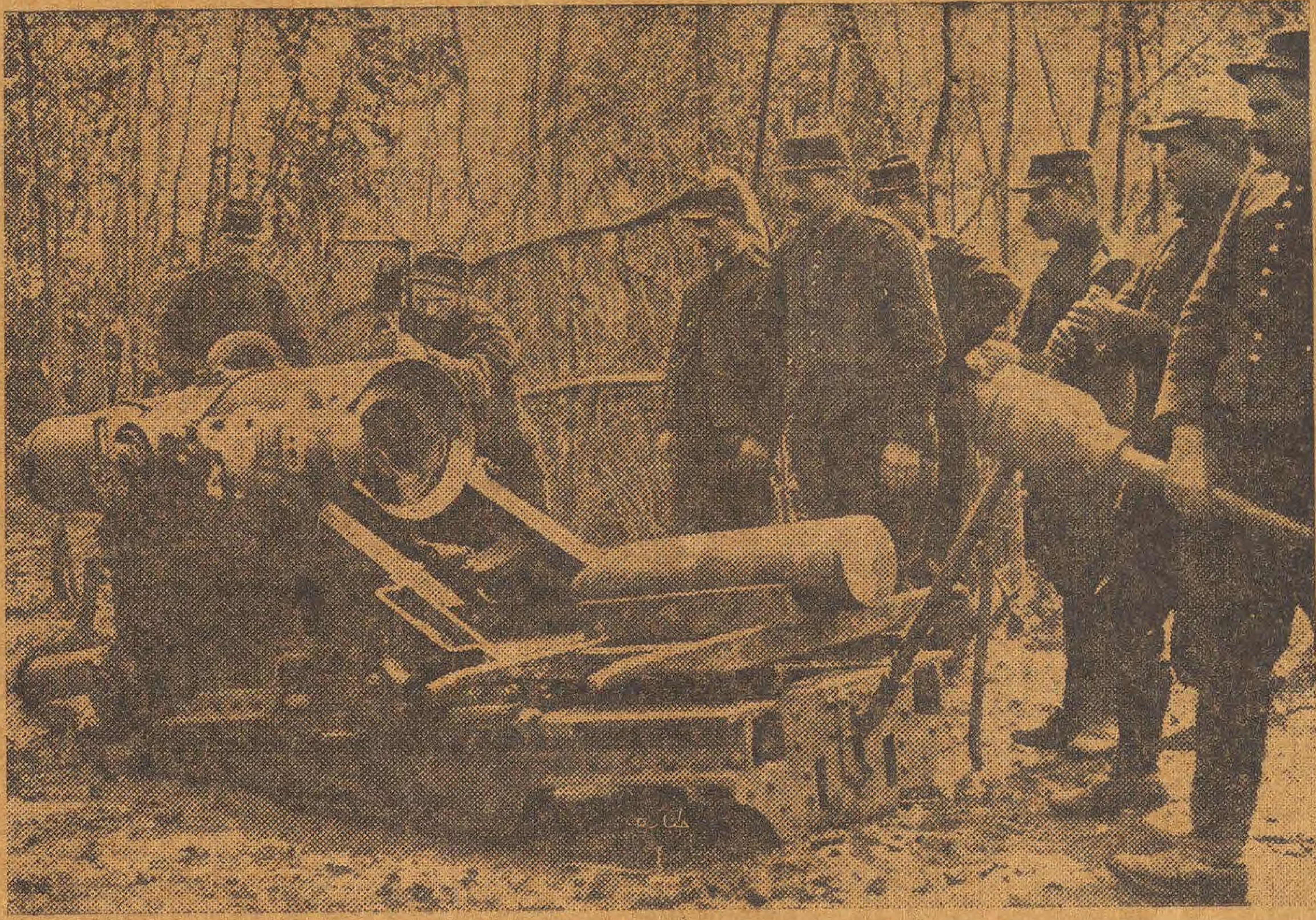
وتحت النيران المتأججة تهدمت بلدة « كروبي » كما تهدمت القرى المجاورة لها وهي « بوميه » ، « بوسي له لون » و « ميسي سيراين »

طغيان النهر يذهب بتضحيات الفرنسيين

على ان كل ما بذل الفرنسيون من تضحيات ذهب بلا جدوى . فقد طغى نهر « الاين » وهدم كل ما اقدم عليه الجيش الفرنسي من مجهود ، فقوض ثلاثة جسور كان لا غنى عنها للفرنسيين لتأمين مواصلاتهم

وفي ١٢ كانون الثاني قام الالمان بهجوم حازم فتقهقر امامهم الجيش الفرنسي وانتقل بمدفعيته الى ضفة نهر « الاين » اليمنى ، ما عدا مدفعين اضطر الى ابقائها تحت رحمة الالمان

ودامت المقاومة طول اليوم التالي . واستولى الالمان على خط



مدفع من عيار ٢٢٠ استعان به الفرنسيون في معارك شمبانيا

من الخنادق وعلى جماعة من الاسرى. وعجز الفرنسيون عن الالتواء الى ضفة نهر « الاين » اليسرى بنظام . فاصيبت قواتهم بالشلل وهم ازاء منحدرات ملساء ووحل كثير . وتأخرت عنهم النجدات بانهدام الجسور

ولم يبق لديهم غير جسر « فانيزال » والطريق الممتد اليه . ولكن الالمان ابعدوهم عن الطريق والجسر معاً ، فتراجعت الخطوط الفرنسية الى منعطف النهر تحمي بلدة « سواسون »

وبلغ تقهقر الفرنسيين في هذه المعركة ميلين على جبهة عرضها خمسة اميال . واحتفل الالمان بفوزهم احتفالا باهراً

وتابعوا في ١٤ كانون الثاني هجومهم ولكن ببطء . وفي ١٥ منه وقفوا عن كل هجوم

في مغاور «كريت»

وفي ٢٥ كانون الثاني ، على اثر ضرب المدافع الالمانية لخنادق الفرنسيين في « كريت » ، غربي « كراون » ، اطبقت مغارة على فرقتين فرنسيتين فدفنتهما تحت الانقاض. ودفع الالمان قواتهم الى مهاجمة خنادق الاعداء فاستولوا بعد هجوم رائع على معظم الخنادق الفرنسية وقد حلقت فوقها طياراتهم ترشقها بالقذائف فدمرتها

وسعى في الليل الفرنسيون لامتلاك ما فقدوا فلم يوفقوا لبغيتهم في سوى بعضها.. ولكن بعد تضحيات هائلة

حصن «بوزيجور»

وفي شهر شباط غنم الفرنسيون في ناحية « برت » خطين من خنادق الالمان . واستولت قوات المشاة الاستعمارية على حصن « بوزيجور »

و استولت عليه بجرأة . فاسعفتها المدافع في تعبيد الطريق.

وفي ٢٥ شباط بدأت الهجوم . فوثبت الفرق الاولى خط الخنادق الاول وظلت تقاتل فيه خمس عشرة ساعة وهي تغوص في الوحل ، واظهرت كل اقدام . فالعدو مع كونه اكثر منها عدداً لقي فيها الشدة والعزم

ولكن المدافع الرشاشة لم تفسح لها في بلوغ امنيتها . فردتها على اعقابها . الا انها لم تقف ذليلة. فعادت في اليوم السابع والعشرين الى هجومها شاهرة حرابها. وتولى هذا الهجوم لواءان . فوثب احدهما الى الخط الاول ووثب الآخر الى الخط الثاني واحتل شطراً من الثالث

وتجلت حدة القتال . فما بلغت في ناحية اخرى مثلها في هذه

الناحية. وتردد الالمان امام اكداس قتلاهم، غير ان الضباط اجبروهم على المضي في القتال يهددونهم بالمسدسات

وانطلقت القوات الاستعمارية الفرنسية الى الامام غير حافلة بما يرصدها. واكرهت الالمان على التراجع. فما رضي الالمان بالتقهقر وعادوا الى الهجوم. فاطلقوا على الفرنسيين مدافع من عيار ١٠٥ و١٥٠ و٢١٠، فاحتمل الفرنسيون هذه النيران بصبر وقوة وكانوا الظافرين. فالحصن بات بين ايديهم

الموقف في اول اذار ١٩١٥

كان موقف الفرنسيين في اول اذار ١٩١٥ في جبهة «شمبانيا» كما يلي:

احتل الفرنسيون الخنادق الالمانية في الشمال الغربي من «برت» حتى شمالي «بوزيجور»

وتقدموا في شمالي «سوان» و«مسنيل» ومنطقة «برت» يدفعون كل هجوم قام به الالمان لقهرهم وصدهم. واشترك في هذه المنطقة في الهجوم عليهم كتيبتان من رجال الحرس الامبراطوري، فوقعت منها فرقة اسيرة بين ايدي الفرنسيين واصيب الآخرون بالخسائر الجسيمة

واستولت القوات الفرنسية في القمة الشمالية الشرقية من «مسنيل» على حصن انشأه الالمان

في غابة القبقاب

وفي جبهة «شمبانيا» غابة يقال لها غابة «سابو»، اي غابة القبقاب، دعيت بهذا الاسم لكونها تشبه القبقاب بشكله، فهي تمتد بين «سوان» و«برت». وقد احتل فيها الالمان مكاناً عالياً محصناً تحميه الخنادق العميقة والرشاشات

وفي ٧ اذار ١٩١٥ هاجم الغابة لواءان فرنسيان بعد ما مهدت لها الطريق قوات المدفعية. فوثب الجنود الفرنسيون على الخطوط الالمانية مع كل ما قذفهم به الالمان من نيران

وملكوا الخط الاول واسروا بعض من تحصنوا فيه. وبلغوا الخط الثاني واحتلوه. ولكن الغضب الالماني وقف بهم عند هذا الحد. فما استطاعوا ان يتقدموا اكثر مما فعلوا

واستقر الفرنسيون في الخنادق التي غنموها وعمدوا الى اصلاحها. ففاجأهم الالمان بهجوم دام ليبعدوهم عنها، فصد الفرنسيون هذا الهجوم برؤوس الحراب وتقدموا مئتي خطوة. ومنذ ٩ الى ١٢ اذار ثبتت اقدام القوات الفرنسية في الاماكن التي بلغتها وشقت الطرق لتحمل منها الى المستشفيات جرحاها وتنتظر النجدات

ومشت الى احتلال خندق الماني بالسلاح الابيض، ولكن خندقاً آخر رماها بالحديد والنار وقضى عليها بالجمود. فانتظرت حتى جن الليل ووثبت على الخندقين فاحتلتهما معاً وباتت لها غابة القبقاب، ولكن بعدما هشمتها المدافع. فلم يبق اليوم من الغابة غير آثار ضئيلة تدل عليها

مزرعة «أَلجه»

وشاء الالمان في الشهر نفسه ان يستولوا على مزرعة «ألجه». وهي فندق يقوم على الطريق العام بين «ريمس» و«شالون»، اتخذها الفرنسيون درعاً يردون بها عنهم الطمع الالماني. وسعى الالمان منذ شهر ايلول للاستيلاء عليها، خصوصاً وهي بجانب حصن «لابومبيل»، فرشقوها بالقذائف من الارض والجو وشاقهم ان ينالوا منها منالا

وفي اول اذار، في المساء والليل، عمدت المدفعية الالمانية على جبهة «ريمس»، من «باتيناي» الى «بريناي»، الى اطلاق نارها بشدة غير مألوفة، فاجابتها المدافع الفرنسية. ولكن الالمان وقد رغبوا في الهجوم استهانوا بقذائف الفرنسيين. واندفعت فرقتان منهم الى «سيرناي» ووثبتا على الخنادق الفرنسية ودارت معركة حامية بين الفريقين. ولولا تدخل المدفعية الفرنسية لكان الفوز للالمان. الا ان المدافع وقفت بالهاجمين عن مبتغاهم فترددوا في متابعة الهجوم

وحاولت فرقة المانية اخرى ان تتقدم بين مزرعة «ألجه» و«بريناي» فشتتت المدافع الفرنسية شملها ومنعت عنها النجدات. فاقبلت في الصباح فرقتان اخريان تجددان الهجوم فوقعتا بين نارين مما دعاها الى الفرار وقد ابقتا الثلث من القتلى والجرحى والاسرى

الالغام تحت الارض

ولم ينجح الالمان تحت الارض. فما رقيهم فوقها اصابهم تحتها. فقد شعر بهم الفرنسيون يحفرون الدهاليز بجانب الخنادق الفرنسية. فادركوا ما يرومون. ولم يكن منهم الا ان حفروا حفرة عميقة على امل ان يتصلوا منها بالدهليز الذي تحفره السواعد الالمانية ويطيروه بالمتفجرات، فتسبق الهمة الفرنسية الشدة الالمانية. ولكن الفرنسيين لم يوفقوا. فما اهتدوا الى الدهليز. واذا ضابطان فرنسيان يقفان على سره وينسلان اليه حاملين المتفجرات. وبعد زمن قليل وقع الانفجار وُدفن الالمان تحت الانقاض

وفي شهر نيسان صبت القذائف الالمانية على حصن «بوزيجور»،

وفي ٨ قام الالمان بالهجوم فهشمتهم المدافع الفرنسية . وفي ٢٥ تطايرت خمسة ألغام المانية بجانب الخنادق الفرنسية فاحدثت فيها الاضرار

المعركة اثر المعركة

واقام الالمان حيال « فيل سير تورب » يصبون عليها نيرانهم . فمنذ شهر ايلول وهم يرشقونها بالقذائف والقرية لا تستسلم اليهم . واضحت انقاضاً في انقاض وهي تقاوم . ورغبة الالمان في امتلاكها تدل على خطورة موقعها

وخندق الفرنسيون في القمم المنطقة بها هذه الانحاء ، فبدأ في ١٥ ايار الالمان هجومهم وقد نسفوا الخطوط الفرنسية الاولى بعشرين الف طن من المتفجرات . فكان الانفجار هائلا وسد على الاحياء المقيمين في الخنادق سبل النجاة ، وبلغت دائرة الحفر التي احدثها الانفجار نحواً من مئة متر

وكان عدد الهاجمين من الالمان ثماني فرق . ونشبت المعارك الساحقة . واستولى الالمان على خطين من الخنادق الفرنسية في الناحية الشمالية . ولكن الفرنسيين ابوا ان يلقوا مذلة الخذلان . فجمعوا صفوفهم وقاتلوا الالمان بكل ما يملكون من وسيلة . بالرصاص والحراب والقذائف . واستطاعوا ان يظفروا بالهاجمين عليهم بعد كل هذا الجهد . فاسروا اربعمئة جندي الماني بينهم تسعة من الضباط وخسر الالمان في هذا الهجوم الجنوني الف قتيل

ومنذ شهر والقوات الالمانية تستعد لهذه المعركة ، فقد دعا اليها اركان الحرب الالماني . ووصف احد الضباط الالمان الاسرى المعركة بالجنون قائلا عن القادة الالمان انهم يدفعون الجنود الى القتل دون ما فائدة.

ومما يؤثر في هذه المعركة عن شاب فرنسي، يبلغ العشرين من العمر ، ان احدى القذائف اصابته بمئة وخمسين جرحاً واطارت رجله ، وقد قال لرفاقه بعد المعركة : لم يكن لي غير همّ واحد، وهو ان ابحث عن رجلي !

وهناك فلاح يبلغ الخمسين اصيب في يده فتحطمت وتدلت الى جنبه ، فما كان منه الا ان تناول مديته وقطع يده وهو على يقين تام انها امست عديمة النفع

على قمة « كينيفيار »

وانشأ الالمان على قمة « كينيفيار » بين نهر « الواز » ونهر « الاين » حصناً طوقوه بالخنادق ، ورأى الفرنسيون ان يملكوا هذا الحصن . فاطلقوا عليه النار من الارض والجو

وفي صباح ٦ حزيران دام رميهم اياه بالقذائف اربع ساعات كاملة . واخيراً تململ الفرنسيون فعمدوا الى السلاح الابيض وكانوا على بعد مئتي خطوة من الالمان

وتولى حراسة الحصن اربع فرق المانية من اللواء السادس والثمانين . وما مضى القليل حتى كانت القوات الفرنسية تثب الى الخنادق وتنفذ حرابها الى الصدور والقلوب . ففتكت بمن قاوم واسرت من استسلم اليها

فاوفد الالمان قوات احتياطية لصد الفرنسيين . فقطعت الرشاشات على هذه القوات مجال التقدم . وفي ٧ حزيران كانت قمة « كينيفيار » للفرنسيين وقد غنموا فيها ٢٠ مدفعاً رشاشاً و٣ مدافع من عيار ٧٧ و٢٥٠ اسيراً ، وفقدوا ٢٠٠ قتيلا و١٥٠٠ جريح ، وبلغت خسائر الالمان في الارواح ثلاثة آلاف قتيل



معركة يشهدها جوفر وقادته

التدمير في جبهة (شمبانيا) يقيم الارض ويقعدها ويطير بالارواح

جنون الالمان لا يتغلب على الجنون الفرنسي

منذ شهر من الزمن والالمان يلقون في الخنادق الفرنسية مناشير تقول : متى تبدأون هجومكم الخطير ؟.. نحن بانتظاركم !

فكان جواب هذه المناشير امراً اذاعه اركان الحرب العام في ٢٣ ايلول ١٩١٥ تحت رقم ٤٢ ، وقد خاطب فيه «جوفر» القائد الفرنسي الاعلى جنود الجمهورية الفرنسية ليطلعهم على ما كان من تغلب الفرنسيين على الالمان في مختلف الجبهات قائلا لهم ان من الضرورة المضي في القتال حتى تقبض فرنسا على ناصية الظفر التام

وقامت الجيوش الفرنسية بما دعاها اليه قائدها الاعلى . ففي صباح ٢٥ ايلول ١٩١٥ بدأ القتال في وسط الطريق الممتد بين « سوان » و « سومبي» بجانب مزرعة « نافاران». ووقف الفرنسيون امام قرية « تاهير » ، وهي قرية شدد الالمان في تحصينها

وامتدت الجبهة الفرنسية من جبل « مورونفيلليه » الى وادي « الاين » في ناحية « سرفون »

واهم موقع يملكه الالمان كان يتألف من خنادق منبسطة على خمسة خطوط في فسحة تجاوز نصف ميل . وانتصبت الاسلاك الشائكة حول هذه الخطوط . وقام موقع آخر نظمت فيه المقاومة الالمانية صفوفها في جنوبي وادي « بي » . والمسافة بين الموقعين تتفاوت بين ثلاثة واربعة اميال . واعدت الارض للمقاومة الشديدة تزحم فيها الاقدام بعضها بعضاً

عاصفة من القذائف

فاعتمد الفرنسيون ضرب الموقعين الالمانيين . وانهالت عليهما المدفعية الفرنسية بحديدها وفولاذها تجرف الاسلاك الشائكة جرفاً مخيفاً وتفصل بين الخنادق

ودام قصف المدافع سبعين ساعة كاملة . وكان الفرنسيون قد تفننوا في صنع مدافعهم وقذائفهم وامعنوا في تحسينها بما يضمن لهم التفوق بها . واضحت هذه المدافع تصيب الهدف بدقة متناهية مما روّع الالمان



في اعماق الخنادق

مركز للهاتف يتولاه جندي فرنسي

ومما اجاد صنعه الفرنسيون المدافع الضخمة . وهذه المدافع اشتركت في المعركة الرهيبة وكانت بعيدة المرمى . فتبلغ قذائفها الخطوط الحديدية والطرق والمحطات وتحول دون توفير الاعاشة للقوات الالمانية المحاربة

واعلن الهجوم بعد التهديم . وتولى « جوفر » القائد الاعلى هذا الهجوم يعاونه القائد « كاستلنو » رئيس اركان حربه والقادة « بيتان » و « لانغل ده كاري » و« مانجان » و« مارشان »

فهجمت القوات الفرنسية هجمة جائحة على الخنادق الالمانية لا تكترث لقذائف الالمان المتساقطة من كل جانب عليها . وبلغت في الجهة الغربية طاحون « سوان » ، وفي الوسط وقفت امام مزرعة « نافاران » واستقرت في الجهة الشرقية في غابات «سوان» و« تاهير »

واجتازت الحصون المعروفة باسم « بالاتينا » و «ماغدبورغ» والخنادق التي اطلق عليها الالمان اسماء قادتهم من « فون كلوك » الى امير البحر «فون تيربيتز» الى امبرطورهم غليوم الثاني ، وكان ان تقدمت ميلين

ووثبت القوات الافريقية الى طريق « سوان — تاهير » واستولت على الخطوط الحديدية . واستولت قوات اخرى على قوات « تروبريكو » واقامت في خندق « ديورك » بعد مسير اربعة اميال

واجتازت في شمالي « بوزيجور » على قمة « مسنيل » خمسة خطوط المانية مساحتها نصف ميل

وثبتت القوات الفرنسية في الاماكن التي استولت عليها

وتابعت في الايام التالية عملها مع كل ما رماها به القائدان الالمانيان « فون هيرنجن » و« فرن انيم » من القذائف ، ومع ما اصيب به القائد « مارشان » من جراح . فكان يقود قواته والدم ينزف من جرحه

فوز قوات ولي العهد الالماني

وعلى قمة « مان ده ماسيج » شاءت قوات ولي عهد المانيا الثبات مهما كلفها الامر . فجرت معركة هدّامة بلي فيها الفريقان بالخسائر الجسيمة . على ان الفوز كان في جانب الالمان . فهزموا الفرنسيين في قرية « تاهور » واحتلوها ، فالنجدات الفرنسية لم تصل في حينها . ودافع عن هذه القرية كولونل فرنسي مقدام يقود لواء مقداماً ، الا ان الالمان ظفروا به

وما استعاد الفرنسيون هذه القرية الا بعد ايام ، في ٦ تشرين الاول ١٩١٥ ، ولكنهم استعادوا اطلالا

وظل الالمان قابضين على القمة . فالفرنسيون ما استطاعوا صرفهم عنها

ويقول المؤرخون الفرنسيون ان غنيمتهم في معارك « شمبانيا » كانت بعد سنة التقدم ٤ اميال على جبهة طولها ٢٥ ميلا ، واسر ستة وعشرين الف الماني ، بينهم ٣٥٠ ضابطاً ، وغنم ١٥٠ مدفعاً واعتدة للحصار والقتال

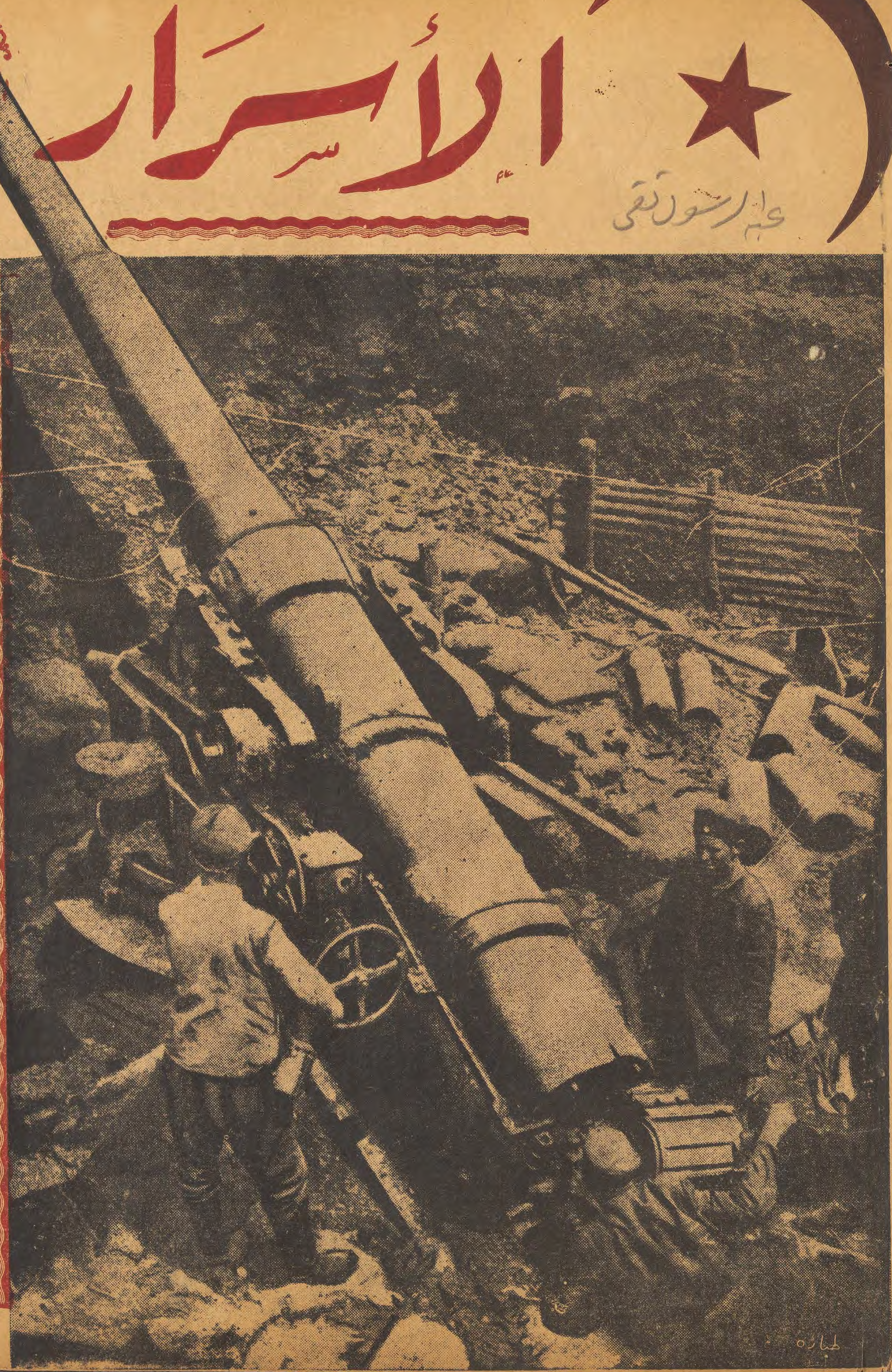
ويقولون ان الالمان جهزوا لهذه المعركة مئتي الف مقاتل ، فضاع منهم بعد سنة مئة واربعون الفاً بين قتيل وجريح واسير

وهكذا خان النصر الالمان بعدما والاهم . فما كانوا يرقبون وهم يعلنون الحرب ان ينتهوا الى هذا المصير !



الأسرار

العدد الثامن





الاسرار

اصحابها : انطون صادر ، كرم ملحم كرم ، فؤاد ميداني

رئيس الانشاء المسؤول: كرم ملحم كرم — منشىء القسم الشرقي: فؤاد ميداني

المكاتبات باسم مدير المجلة : انطون صادر

الادارة مكتبة صادر * شارع اللنبي * بيروت

مجلة اسبوعية تاريخية تبحث في التاريخ وما اهمله التاريخ   العدد ٨   بيروت في ٢٤ ايار سنة ١٩٣٨

اسرار الجاسوسية في القضية العربية

بقلم فؤاد ميداني

جمعية «العهد» تنشىء لها فرعاً في صيدا بهمة عبد الكريم الخليل

الصيداويون اول قافلة ارتادت ديوان عاليه العرفي

الشقيري يتهم وجمال يحقق!

بدأت سياسة الارهاب التي اتبعها احمد جمال باشا في البلاد العربية في مدينة صيدا ، تلك المدينة التاريخية القديمة الهادئة . فان رجالها اول من اعتقلهم ديوان الحرب العرفي في عاليه . وكان اعتقالهم سبباً في القبض على العشرات من رجال العرب ونبش وثائق القنصلية الفرنسية في بيروت ودمشق واعدام شهداء البلاد في القافلتين الاولى والثانية .

وقبل ان نأتي على سرد تلك الوقائع نرجع بقراء « الاسرار » الى الماضي القريب ليتمكنوا من الوقوف على الحقائق بتمامها

الاتحاد والترقي في صيدا

اعلنت الحرية العثمانية وقام انصار الاتحاديين يؤلفون في مختلف انحاء السلطنة فروعاً لحزبهم فانشأوا في صيدا فرعاً للحزب تحت رئاسة البنباشي صادق بك الركابي قائد بلوك المشاة الاول في صيدا ، وهو رجل دمشقي من اسرة الركابي المعروفة ، وكان من اعضاء الفرع اربعة من الضباط الاتراك وثلاثة من الصيداويين هم السادة : الحاج عمر ابو ظهر ، والحاج سعيد البزري ، وسليم صاصي .

وغاية هذه الجمعية العمل على توطيد العلاقات الودية بين العرب والاتراك شأن سائر فروع الحزب .

ولما بدأت الحركة العربية في البلاد بعد عام ١٩١١ قامت فئة من انصار حزب الحرية والائتلاف تعمل سراً ضد الاتحاديين في محلة اسيرية اليعفوري في صيدا . واتصلت هذه الهيئة باللاجنة اللامركزية في القاهرة وقامت تفاوضها وتعقد الاجتماعات حتى كانت مظاهرات بيروت سنة ١٩١٣ وقد انتهت بحل حزب الاصلاح السوري في بيروت .

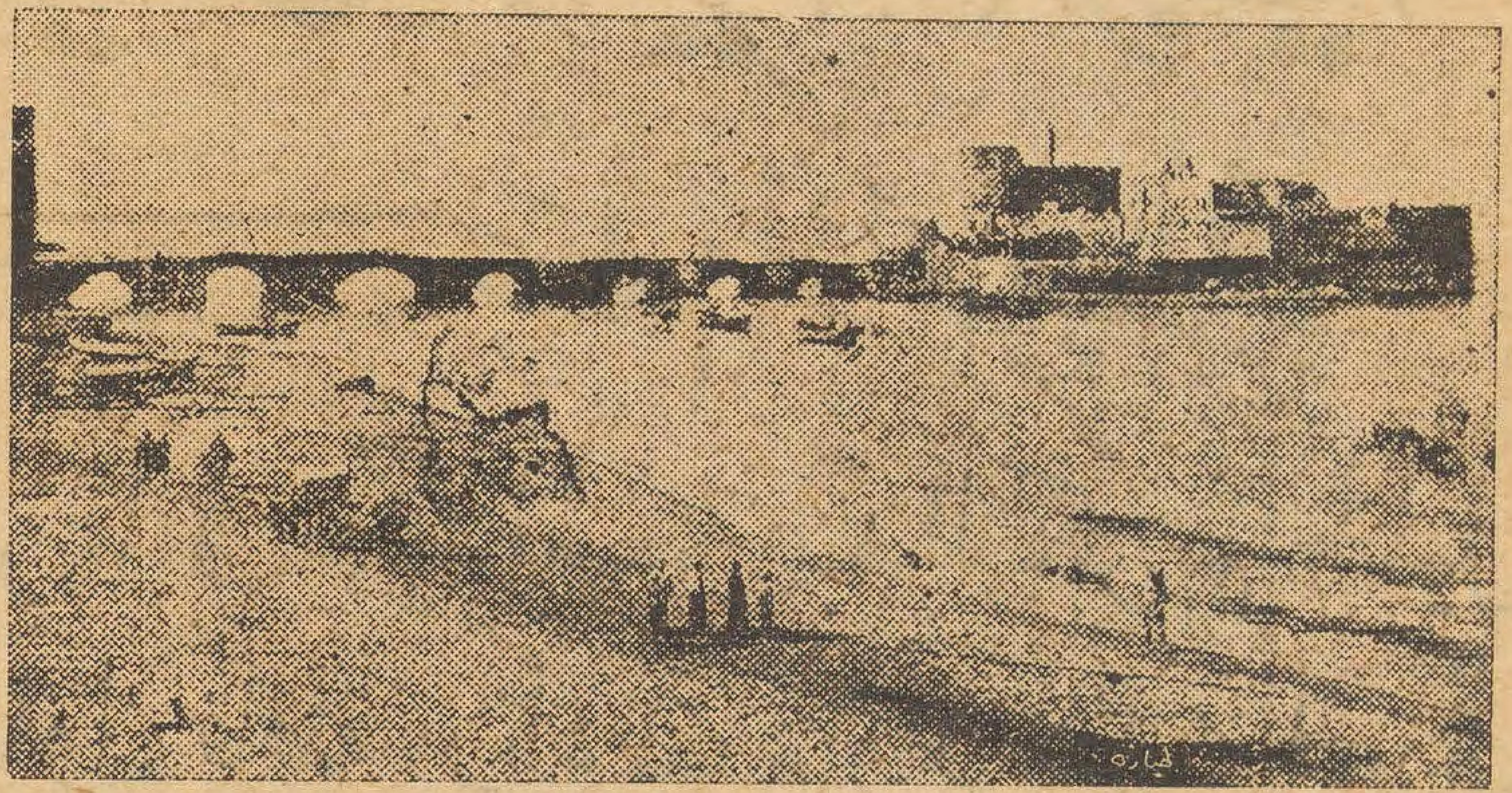
ودهم رجال الشرطة في صيدا نادي الحزب السري في الاسيرية واستولوا منه على بعض الاوراق واعتقلوا جماعة من اعضائه وفرّ الآخرون الى مصر ، واخلي سبيل المقبوض عليهم بعد اعلان العفو العام .

جمعية نشر العلم

واتهم يومئذ اعداء حزب الاتحاد والترقي فرع الحزب الاتحادي

في صيدا ، بانه يقاوم الحركة اللامركزية في صيدا وانه وشى باعضائها . والحق يقال ان الوشاية لم تقع بينما مقاومة اللامركزية كانت ظاهرة الاثر . ولما كان هؤلاء الاعضاء لا يرغبون في اعتزال السياسة مالوا الى العمل محتجبين وراء ستار نشر العلم .

والمنتسبون في صيدا الى جمعية العهد والحركة العربية قليلون جداً ومع هذا اندفعوا الى تنشيط الحركة الوطنية بمظهر وان كان ضعيفاً فهو باكورة طيبة . فاسسوا عام ١٩١٣ جمعية « نشر العلم » فقامت



بدعوات واسعة النطاق لنشر مبادىء العلوم بين الشبيبة ، على حين كانت تسعى في حقيقتها لاستمالة من تقوى على استمالته من وجهاء البلاد وابنائها الى حزب العهد وجمعية « الفتاة » .

وسارت اعمال الجمعية في جو هادىء بطيء ، فما تمكنت من تثقيف الناشئة ولا ملكت القوة على استمالة العدد الكافي من زعماء البلاد ووجهائها . غير ان اصحاب هذه الفكرة لم يقنطوا بل تابعوا جهادهم في سبيل القضية العربية .

عند اعلان الحرب

ولما اعلنت المانيا الحرب على فرنسا اوفدت الحكومة الفرنسية مدرعتها « لاتوش ترافيل » بمهمة رسمية الى الشواطىء السورية . وظلت المدرعة تجول في مياه سوريا ولبنان طول سنوات الحرب الطاحنة . واتفق ان رست قبل دخول الدولة العثمانية في الحرب العالمية في مياه صيدا ، فخرج لاستقبالها البنباشي عادل بك رئيس الميناء ، ورد القائد الزيارة للرئيس ولقائمقام صيدا ولجمال بك الالباني . فدعاه رئيس الميناء الى حفلة شهدها اعضاء حزب الاتحاد والترقي . وكان السيد سليم صاصي ترجمان الاحاديث التي تدور بين الربان ورئيس الميناء . وتعددت الزيارات وتوطدت الصداقة بين الثلاثة ، الا ان دخول تركيا الحرب العالمية قضى بينهم على كل صلة

بعد دخول تركيا الحرب

وفي اواخر عام ١٩١٤ اوفد البنباشي عادل بك احد رجاله الى دار السيد سليم صاصي يدعوه اليه . فلبى الدعوة وقد اعتاد ان يتلقى مثلها . ولما وقف بين يديه ، وكان مركز عادل بك في قلعة صيدا البحرية ، خاطبه بقوله :

قلعة صيدا البحرية التاريخية

يرجع تاريخ هذه القلعة الى القرون الخوالي وقد ظلت في العهد العثماني مركزاً لرئيس الميناء حتى اول الحرب . وكان بالامكان الوصول اليها على جسر حجري كما يبدو في هذا الرسم وقد اخذ لها سنة ١٩١٤ ، الا ان الجسر تهدم وباتت هذه القلعة اطلالا ، بل اثراً خاوياً من آثار الماضي البعيد

— ربان الباخرة « لاتوش ترافيل » يهدي اليك سلامه !

فبدا الاضطراب في محيا السيد صاصي وخشي هذا المقال ، خصوصاً ومن المشهور عنه انه صديق الفرنسيين مع انتمائه الى حزب الاتحاد والترقي

ومما زاد في قلقه ان رئيس الميناء تركي متطرف ، وسلام الربان الفرنسي يحمله اليه في ايام حرجة دقيقة هذا التركي المتطرف لايدعو الى الطمأنينة . فحاول السيد صاصي ان ينفي كل علاقة له بالربان ، واعلن اخلاصه للدولة العثمانية ، الا ان عادل بك وقد ادرك ماانتاب الرجل قال : أترى المدرعة « لاتوش ترافيل » ؟... هي قريبة منا ، تجول في الشاطىء ، ويلوح لي منها انها تبدي لنا الاشارات ، فاليك بالمنظار لعلك تبصر منها شيئاً !

ففعل السيد صاصي ، فما كان من عادل بك الا ان تناول علمين صغيرين واخذ يلوّح بهما بين يديه ، وشاهد السيد صاصي الربان يلوح له بعلمين آخرين من على متن المدرعة . فقال عادل بك :

— ابلغت الربان انك بجانبي فابلغني انه يحييك !

فتحفظ السيد صاصي بالجواب اذ قال : لا ادري كيف يجوز لك ان تكون على اتصال بالاعداء !

فاجاب : دولته عدوة لدولتي ، اما نحن فصديقان !

— بامكانك ان تكون صديقاً للربان وانت تركي لا خوف

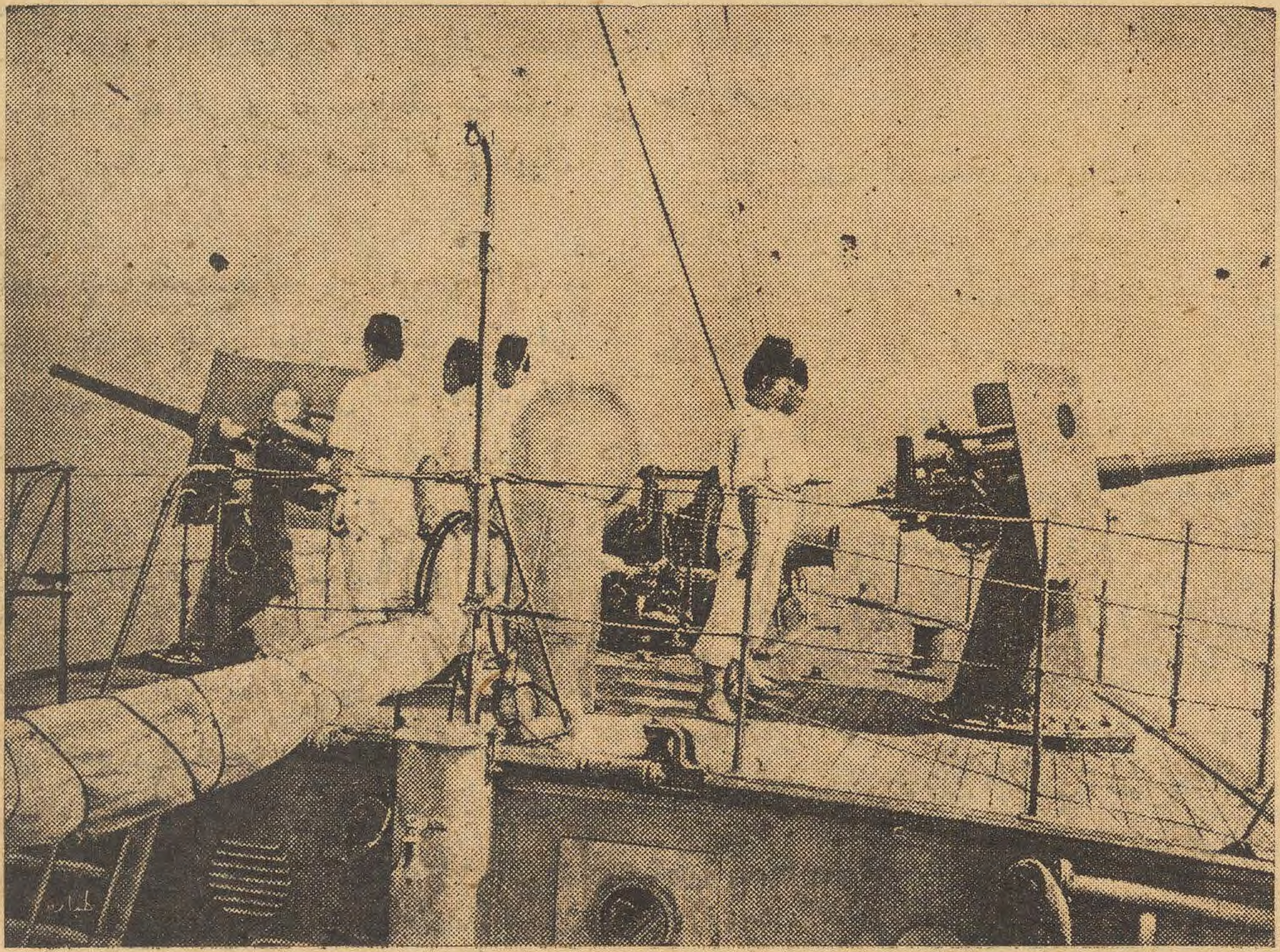
اوامر التحقيق

واحمد جمال باشا في مذكراته التي طبعها في برلين سنة ١٩٢٢ يقول «انه لدى انصرافه الى تنظيم حملة قناة السويس جاءه الشيخ اسعد الشقيري يصارحه بان عبد الكريم الخليل ورفاقه اغتنموا فرصة

الهيئة في صيدا

وحدثنا العلامة الشيخ احمد عارف الزين عما كان من هيئة التحقيق فقال :

ـ ابلغنا اخواننا في بيروت ان هيئة التحقيق شاخصة الى



رجال المدرعة العثمانية « حميديه » يقومون بالتمارين

نشر في هذه الصفحة رسوم رجال المدرعه العثمانية « حميديه » وهم يقومون بتمارينهم اليومية قبل اندفاعهم الى البحر الاسود للاشتراك في المعارك الحربية التي يطالع القراء تفصيلها في هذه النشرة من « الاسرار »

انهاكه في اعداد الحملة وانصرفوا الى بث الدعوة لاحداث ثورة تبدأ من صيدا وتنتهي في الاسكندرونه ، وان كامل بك الاسعد وقد دعاه اليه على أثر ما سمع من السفير اكد له الخبر . فابرق جمال الى فخري باشا ، وكيله في قيادة الجيش الرابع ، يطلعه على الموقف ويدعوه الى اجراء تحقيق سري»

فانتدب فخري باشا هيئة مؤلفة من ادهم بك رئيس ديوان الحرب العرفي في عاليه وفتحي بك المستنطق ، وصالح افندي شقير الترجمان للتحقيق في القضية

صيدا ، وكانوا على علم تام بدقائق الامور . فاذعنا الخبر في الاخوان ليحرقوا ما لديهم من اوراق ووثائق ، خصوصاً بطاقات الدخول في جمعية « الفتاة » ، واحرقت بنفسي كل ما لدي منها ، واقل وثيقة كانت تفرض على من يهتدى اليها عنده عقوبة الموت

« وفيما دخان هذه الاوراق يملأ جو مطبعتي احاط بالمطبعة من جهاتها كافة رجال الدرك يقودهم الضابط طلعت بك الكردي . فلم اهتم بالامر لاعتقادي ان الاوراق المهمة قد اتلفت باجمعها . فجلست الى مكتبي مطمئناً حتى دخل علي ادهم بك ورفاقه . فاستقبلتهم هادئاً .

قام ادهم بك رئيس محكمة صيدا البدائية ، وقد جاء برفقته ، ان يتحرى المطبعة ويستولي على ما فيها من اوراق مشبوهة . فما وقع على سوى كدسة من المناشير اذاعها علماء الشيعة في العراق يدعون فيها الى تلبية نداء الخليفة الى الجهاد . وكانوا وافوني بها لطبعها ، ووجودها في مطبعتي كان خير مساعد لي في النجاة من براثن ديوان الحرب بعد اعتقالي

«وكانت لدي في احدى زوايا المكتبة رقعة تدل على اشتراكنا في حزب « الفتاة » . ولكن الله اعمى على قلوبهم ولم تقع تحت متناول يدهم ، ولو وقعت لتبدل الموقف تبدلا ولكان محسوساً تاريخ ديوان الحرب غير ما تعرفون .

« وكنت ارقب نتيجة هذه التحريات بوجل ، حتى اذا انتهت الهيئة من تحري مطبعتي وداري امرت بوقفي واعتقلت سواي من رجالات هذا البلد وجبل عامل وساوت بنا الى عاليه وقد اقمنا فيها ٢٣ يوماً فكنا القافلة الاولى من المجرمين السياسيين الذين سيقوا الى ديوان الحرب العرفي . وعاد رجال الدرك فاعتقلوا افراد القافلة الثانية ، وكان بين اعضائها اولئك الذين عرفوا بانهم شهداء القافلة الاولى »

***

وعلمنا ان افراد هذه القافلة عوملوا في بادىء الامر معاملة حسنة ، فلم يعتقلوا في السجون بل اقاموا في الفنادق يأتون اليها ويذهبون منها احراراً ، الا انهم كانوا يمنعون من براح عاليه . وبعض هؤلاء السادة كان يملك رقاع الاشتراك في الحزب ، الا انه لم يشر الى هذه الرقاع . وهكذا ظل امر حزب او جمعية « الفتاة » مجهولا من ديوان الحرب ومن احمد جمال باشا واركان حربه طول ايام استيلائهم على هذه البلاد

المعتقلون

والذين اعتقلوا يومئذ وسيقوا الى عاليه هم في صيدا السادة:

رضا الصلح ، رياض الصلح ، توفيق الجوهري ، بهيج الجوهري ، حسين الجوهري ، الشيخ بهاء الدين الزين ، محمود الزين ، بديع الزين ، الشيخ منير عسيران ، محمود زنتوت ، الحاج حسن زنتوت ، حسني المجذوب ، بشاره نمور

وفي صور : الحاج عبدالله يحيى ، الحاج اسماعيل يحيى ، محمد شحاده

وفي مرجعيون : مراد غلميه ، الحاج نجيب بكار ، نصري عودة ، حسين اليوسف

وفي النبطيه : الشيخ احمد رضا ، الشيخ سليمان ضاهر ، محمد جابر ، عبد الكريم الزين ، يوسف الزين ، حسن رشيد

وهناك سواهم ممن سيأتي عنهم الحديث في سرد محاكمة افراد هذه القافلة لقراء « الاسرار »

ويمكننا القول ونحن نسجل الحقيقة للتاريخ ان بعض الموقوفين تطرفوا في احاديثهم لدى استجوابهم ، وساعد هذا التطرف ديون الحرب العرفي على التوسع في التحقيق واستجلاء الحقيقة

والتطرف في الحديث لم ينجم عن رغبة قائليه في خيانة المبدأ الوطني ، بل لان في صيدا وجبل عامل نكايات محلية او حزبية . وهذا النفور الحزبي اهاب بالبعض للكيد لخصومهم ، فقابلهم هؤلاء بالمثل ، وكان من جراء ذلك ان ألفت الخصومة المحلية هؤلاء بين يدي ديوان الحرب العرفي وقضت على الهدف السامي السائرين اليه لتحرير البلاد العربية

ومحاكمة اولئك السادة امام ديوان الحرب العرفي — وسننشرها بكاملها — تدل القراء على حقيقة ما اوضحنا

وهذا الايضاح لم يسبق لصحيفة عربية ان ألمت به قبل هذه المجلة ، ومنه تبدو حقيقة الموقف في سوريا ولبنان لدى انشاء ديوان الحرب العرفي في عاليه



اساطيل الحلفاء تهاجم مدينة ازمير

مدرعات الانكليز والفرنسيين تضرب الحصار على الدردنيل ولكن النسافة العثمانية «دمير حصار» تخرق الحصار

بطولة ربان عثماني

تحدثنا في الجزء السابع من «الاسرار» عن الحالة في المضايق حتى شهر شباط . وبات لدى القراء في النشرات السابقة سلسلة واضحة عن مختلف المعارك الحربية في الجبهات العثمانيـة حتى آخر نيسان . وسنوفر لهم فيما يلي حوادث المضايق الى هذا التاريخ

الحصار البحري

اهتم الحلفاء كل الاهتمام بمراقبة مداخل الدردنيل . فتناوبت اساطيلهم المتعددة في ضرب المضايق . واقدمت على الهجوم العام في ثلاث مرات، الاولى في ٣ تشرين الثاني ١٩١٤ ، والثانية في ١٩ شباط سنة ١٩١٥ ، والثالثة في ١٨ اذار ١٩١٥

وقصد الحلفاء من هذا التدبير دك الحصون العثمانية ، وتمهيـد السبيل لانزال القوات البرية في الشواطىء ، واحتـلال شبه جزيرة «جناق قلعه»

بعد الهجوم الثاني

وبعد الهجوم الثـاني الذي قام به في ١٩ شبـاط الاسطول الانكليزي اجمع الرأي على عرقلة اعمال الملاحة في داخل المضايق ، فعقد مجلس الحرب الاعلى جلسته تحت رئاسة اللورد كيتشنر ، المسيطر يومذاك على شؤون الحرب، ونظر في الخطة الواجب اعتمادها. فاستقرت الكلمة على تكليف القيادة ايفاد الغواصات الى قلب بحر «مرمره»، وراء الدردنيل، للقيام بهذا العمل. وتناول قائد الاسطول برقية هذا نصها :

«الى قائد اسطول البحر المتوسط

«قررنا استخدام الغواصات لاحراج قوات العثمانيين البحرية وحصر مواصلات الجيش العثماني لمنعه من اكمال نواقصه البرية



اللورد كيتشنر وزير حرب انكلترا
وهو الذي فكر في مهاجمة مضايق الدردنيل وامتلاكها واحتلال استانبول

«ارجو اتخاذ التدابير اللازمة وابلاغنا النتيجة في اقرب آن
وزير الحرب : اللورد كيتشنر»

فوافق قائـد الاسطول على هذا التدبير وانتدب الغواصة

« E . 1 » والغواصة « E . 12 » للقيام بهذه المهمة

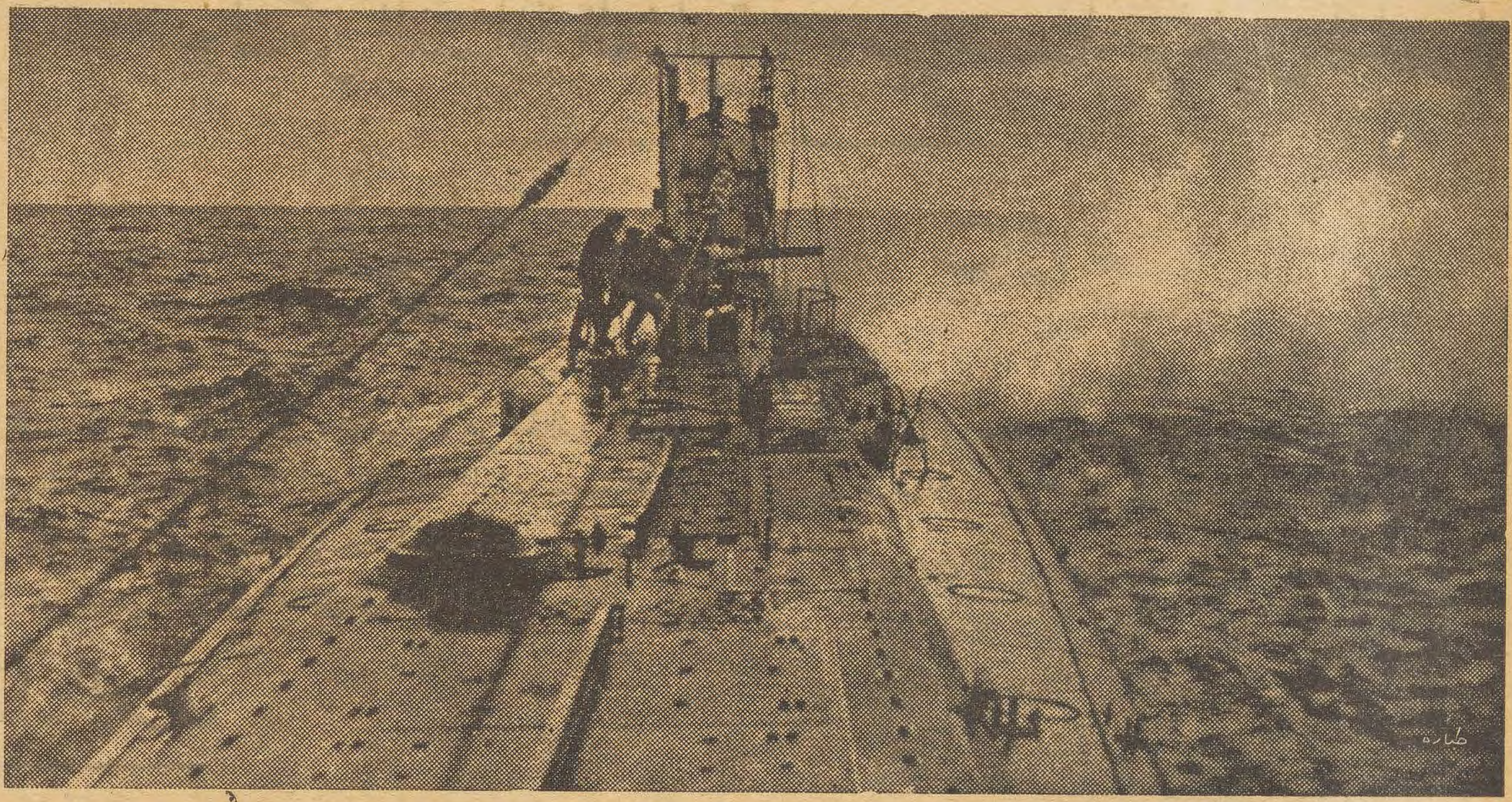
نجاح الانكليز

وفي اواخر شباط امتلأ حوض « مرمره » بالبواخر العثمانية

قلعه » مثلها من قبل

مخاطرة نسافة عثمانية

وعمد العثمانيون ايضاً الى المخاطرة لمقاومة الحلفاء . واعظم



الغواصة الانكليزية (E. 12) في بحر مرمره

وهي تضرب السفينة العثمانية التي اغرقتها في هذا البحر

ومعدات النقل البحرية . وتراءى للجميع ان ليس بوسع الحلفاء دخول « مرمره » والحصون العثمانية تحمي مدخله من جهة والاسطول العثماني يحمي جانبيه ، والالغام زرعت على طول مدخل المضايق وسدت المنافذ على الغواصات

ولكن الغواصة (E . 12) تمكنت مساء ٢٤ شباط سنة ١٩١٥ من دخول المضايق وضرب باخرة تجارية واغراقها . وفي اليوم التالي دخلت الغواصة الاخرى المضايق وضربت باخرتين

استعداد العثمانيين

فتململ العثمانيون كما تململ حلفاؤهم الالمان وقاوموا هذا الانسلال الى بحر « مرمره » بزيادة الالغام تحت البحر ، مما ساعد على احباط مساعي الحلفاء في عرقلة طرق النقل العثمانية البحرية . وعادت السفن التجارية الى نقل الجنود والاعتدة الى شبه جزيرة « جناق

مخاطرة جرت قبل معارك « جناق قلعة » انطلاق النسافة « دمير حصار » الى جزر بحر « ايجه »

فالقيادة العثمانية العليا رغبت في الوقوف على حركات العدو المسيطر على هذا البحر ، فدعت اليها قائد النسافة « دمير حصار » وخاطبته بقولها :

ــ نريد الاطلاع على حالة العدو . وهذا لا يتم بسوى مخاطرة فائقة ، ترى هل يتسنى لك الاقدام عليها ؟

فكان الجواب : انا جندي وعلي الطاعة التامة !

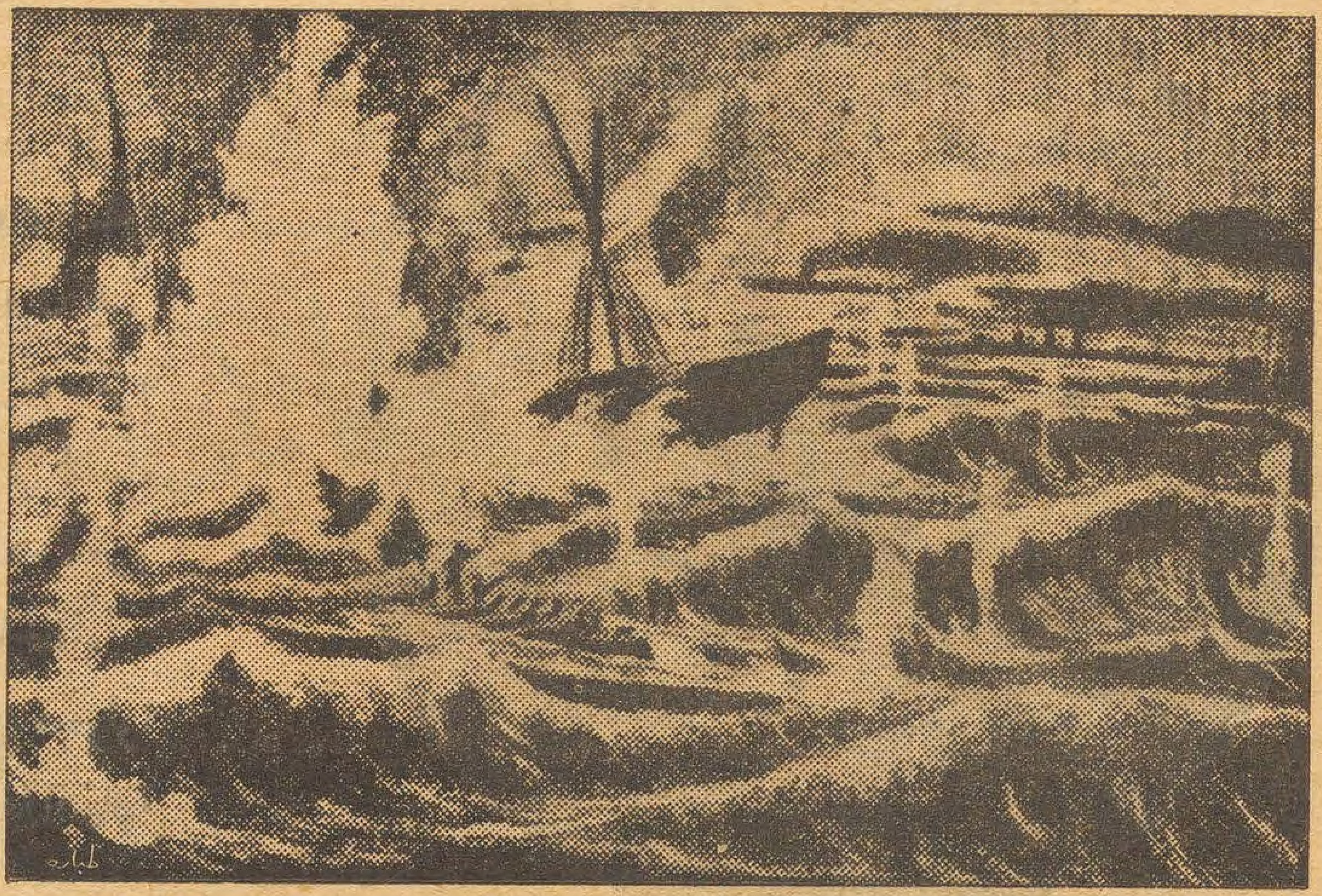
ــ يعمل القائد « داماد » قائد القوات الفرنسية في الباخرة « بروفيدانس » في جزيرة « لمني » ، ويقيم القائد « هاملتون » الانكليزي في جزيرة « موندروس » ، ونحن نميل الى معرفة ما يقومان به والى مطاردة جواسيسهما المنتشرين في شواطئنا ، ووقع اختيارنا عليكم للقيام بهذا العمل المزدوج !

فقال ربان النسافة : ومتى تأمرون بالرحيل ؟

ـــ على الفور . اطلعنا باللاسلكي على كل ما يتفق لك !

ـــ الامر امر سيدي !

ـــ واذا هددك الخطر فابذل مجهودك في النجاة !



الباخرة الانكليزية « ماتينو » وهي تغرق

رسم فريد يمثل الباخرة الانكليزية « ماتينو » ساعة اشرافها على الغرق بجانب سواحل الاناضول. وتبدو النسافة « دمير حصار » تبتعد الى جهة ازمير، كما يبدو البحارة الانكليز يتخبطون بين اللجج طلباً للنجاة

ـــ لست احفل بالخطر ما دمت اقوم بما يحتمه عليَّ واجبي الوطني !

نجاح "دمير حصار"

وفي ٢٧ شباط ١٩١٥ تمكنت النسافة « دمير حصار » من براح المضايق دون ان يشعر بها الحلفاء . وجالت في اساطيل مياه بحر « ايجه » فخدع بها الحلفاء وظنوها من اسطولهم . ولم يكن يدور في خلدهم ان قطعة حربية عثمانية صغيرة تجرؤ على هذه المغامرة

الى ازمير !

فتكلل مسعى « دمير حصار » بالفوز وتلقت الاوامر اللاسلكية من القيادة العليا بالانتقال الى ازمير والالتجاء اليها .

الا ان القيادة الانكليزية شعرت بحركة النسافة من الاشارات اللاسلكية الغريبة عنها فاخذت تتحرى اثارها

اغراق باخرة انكليزية

وادرك ربان النسافة « دمير حصار » انه بات لا يقوى على العودة الى استانبول بعدما تمادى في طوافه ، خصوصاً واساطيل الحلفاء بدأت تحتشد في تلك الجهات استعداداً لمعركة ١٨ اذار فقطعت الطرق البحرية . ولم يكن منه للنجاة الا ان عمل باشارة القيادة العليا وشخص الى ازمير . غير انه لقي في الطريق باخرة انكليزية صغيرة تحمل اسم « ماتينو » ، فرفعت الباخرة العلم الانكليزي لتحية النسافة اعتقاداً منها انها من اسطول الحلفاء . والنظام البحري ، وخصوصاً في ايام الحرب ، يفرض على ربان النسافة ان يرفع علم دولته، فرفع العلم العثماني ، واذا حركة غريبة تبدو في الباخرة الانكليزية. فالربان وقد وجد نفسه تجاه احدى سفن العدو الحربية خشي العاقبة وابلغ الاسطول الانكليزي الخبر وانزل الى البحر زوارق النجاة، ولم يبق لديه ريب في ان النسافة ستضرب الباخرة . وصدق ظنه ، فالقائد التركي ارسل ينذر الربان الانكليزي بضرورة انزال بحارته في الزوارق لرغبته في ضرب الباخرة . وهكذا كان . فتساقطت القذائف على الباخرة الانكليزية وتابعت النسافة العثمانية طريقها الى ازمير

وبعد نصف ساعة غرقت الباخرة « ماتينو » وظل بحارتها في الزوارق وحدهم في البحر

لماذا لم تنقذ البحارة ؟

والنسافة « دمير حصار » صغيرة الحجم ، محمولها ٩٧ طناً فقط ، وفيها ٣٥ بحاراً فلا تستطيع ان تحمل بحارة الباخرة كما تقضي به الاصول ، ولذا رأى قائدها ان يبقيهم في الزوارق دون ان يمسهم باذى اعتقاداً منه ان الحلفاء سيشعرون بهم وينقذونهم وسفن الحلفاء الحربية والتجارية تجوب البحار

مطاردة "دمير حصار"

الا ان الحظ العاثر ما لبث ان عاند النسافة « دمير حصار » ،

فالاسطول الانكليزي كان في ذلـك اليوم ، ٤ اذار سنة ١٩١٥ ، يضرب قلاع ازمير. وتلقى وهو في مياه ازمير اشارة لاسلكية من الباخرة « ماتينو » تشير الى اصطدامها بالنسافة التركية وانذارها اياها بالضرب، فانفصلت ثلاث قطع حربية عن الاسطول شاخصة الى نجدة الباخرة

اغراق النسافة العثمانية

وشاهد جلال بك ، قائد النسافة « دمير حصـار » ، السفن الانكليزية الثلاث قادمة اليه، فادرك انه في حالة خطرة جداً ، وان ليس بوسعه متابعة سيره الى ازمير ، فحوّل دفة السفينة الى جزيرة «ساقز» وهي احدى جزر « الدوديكانيز » التي احتلها الايطاليون في اثناء الحرب العثمانية الايطالية . وقد خيل اليه ان التجاءه الى هـذه الجزر وايطاليا لم تدخل بعد الحرب العالمية سيحميه من مطاردة الحلفاء

ويظهر ان قادة سفن الحلفاء ادركوا فكرة القائد العثماني فحولوا وجهة سيرهم الى جزيرة « ساقز » للحؤول دون وصول النسافة العثمانية الى تلك الشواطىء

فعاد الربان العثماني وحول دفة سفينته الى جزيرة « قالامتري » وهي من الجزر الصغيرة القائمة بالقرب من « ساقز » ، وقصد خليجاً لا يتسنى للسفن الحربية الانكليزية الكبرى الدخول اليه. فوقفت نسافته وامر بحارته الخمسة والثلاثين بالنزول الى البر وظل واقفاً على متن النسافة يراقب الموقف ، حتى اذا بلغ آخر بحري منهم البر ادار لولب السلم فارتفع . فالتفت عند ذاك الربان الى بحارته قائلا لهم :

— قمت بواجبي نحو وطني واتممت المهمة السامية التي انتدبني لها قائدي ، ولكن الحظ لم يساعدني على انقاذ النسافة كما يقضي بذلك الواجب، ولذا قررت الموت هنا على متن هذه النسافة، فاذهبوا الان، وعلى من ينجو منكم ان يرووا ما يشاهـدون !

وما اتم كلامه حتى انحدر عن ظهر النسافة الى داخلها . وشاهد البحريون النسافة تسير وحدها مسافة ميل باتجاه الطرادات الانكليزية الثلاثة . وهذه الطرادات سمعت قبل ان تضرب النسافة العثمانيـة دوياً هائلا عقبه تطاير المياه حول النسافة العثمانية، واذا بها تهوي الى قاع البحر

وهكـذا ذهب جلال بك ضحية بسالته واخلاصه لامته ووطنه

ضرب أزمير

اما القطع الحربية الانكليزية الثلاث فلم تندفع الى جزيرة « قالامتري » وقد توهمت ان النسافة غرقت بمن فيها . وهكذا انقذ الربان بحارته الذين تمكنوا فيما بعد من الوصول سالمين الى ازمير وانقذت المدرعات الانكليزية بحارة الباخرة « ماتينو » وعادت



كيف غرقت النسافة العثمانية « دمير حصار »

اخذ هذا الرسم من احدى المدرعات الانكليزية المقبلة لاغراق النسافة . وفيـه تبدو العاصفة البحرية التي احدثها انفجار النسافة العثمانية

الى ازمير تشترك في ضرب قلاع هذه المدينة

لماذا ضربت ازمير

والحلفاء لم يعمدوا الى ضرب ازمير لاحتلال هذه المنطقة بل لتحويـل قسم من القوات العثمانيـة المحتشدة في المضايق عن هذه الجبهة الى ازمير مما يساعد على تخفيف وطأة الدفاع التركي عن المضايق

وبدأ الاسطول الانكليزي ضرب حصون ازمـير في ٥ اذار سنة ١٩١٥ ، وفي ٨ منه اعلن الحلفـاء ببلاغ رسمي ان المدفعيـة الانكليزية تمكنت من تعطيل حصون ازمير . ولكن الحقيقة تختلف عن ذلك ، فالقوات البحرية الانكليزية لم تتمكن من الثبات طويلا تجاه حصون ازمير فاضطرت الى التراجع

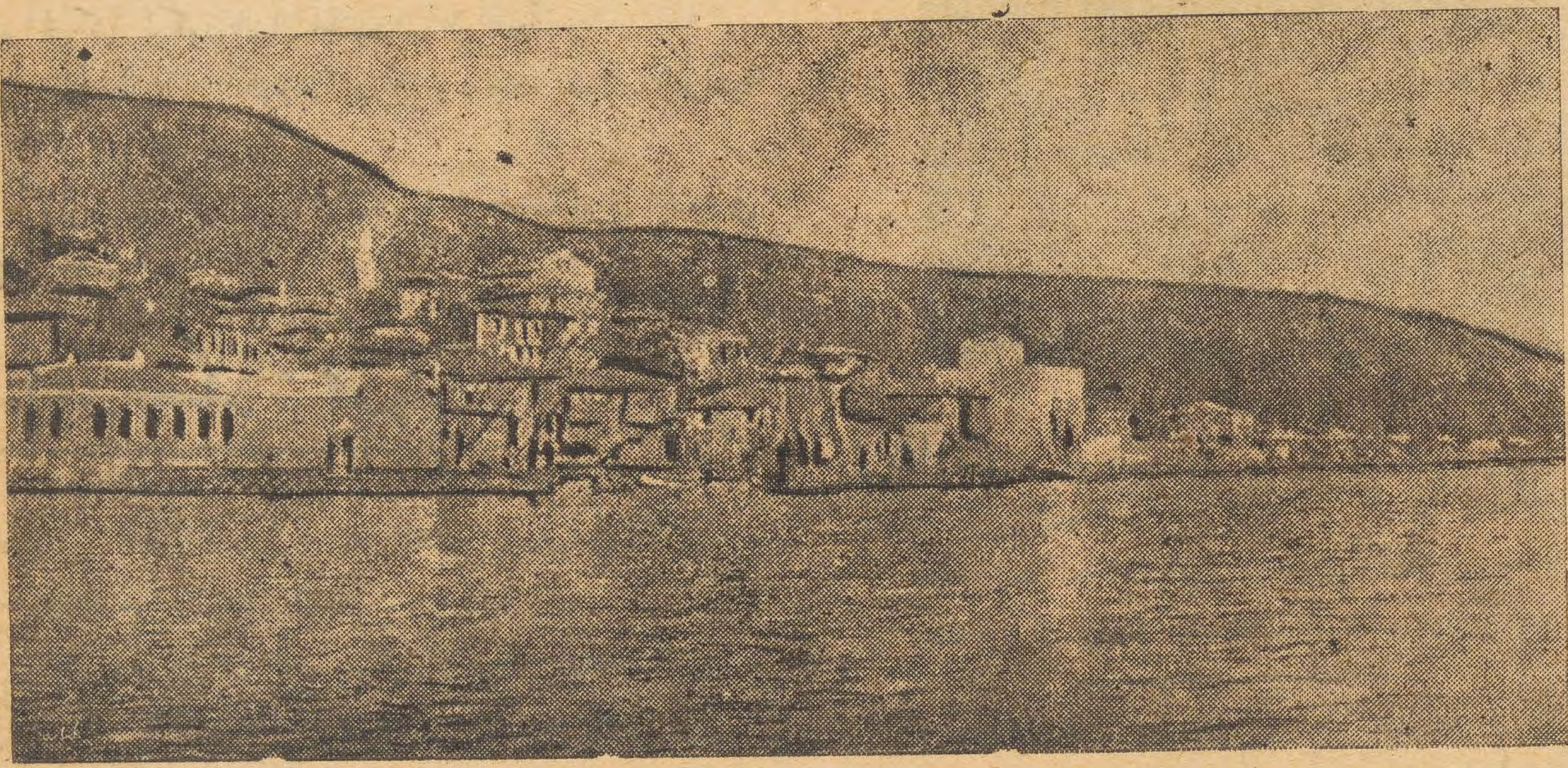
وعاد الحلفاء الى ضرب ازمير في ٢٠ اذار وفي ٢٧ منه بشدة، الا انهم اضطروا اخيراً الى العدول عن هذه المهمة

عشرة آلاف قذيفة في يوم...

الدردنيل يثور تحت نيران المدافع المنصبة عليه من البر والبحر

الحلفاء يعتمدون كل وسيلة للفوز

هفوة القائد الانكليزي



قلعة « كليد البحر » وهي من قلاع الدردنيل التي هاجمتها اساطيل الحلفاء

تقع قلعة « كليد البحر » في اضيق مكان من الدردنيل على الجانب الشمالي الاوربي ، وقد احدثت فيها المدرعات الانكليزيه اضراراً جمه

قرر الحلفاء احتلال شبه جزيرة « جناق قلعة » في اواخر نيسان سنة ١٩١٥ ، واستعدوا لذلك في جزر الارخبيل التي تحولت الى معسكر لفرط ما ضمت من قوات لجبة

وفي ٨ اذار سنة ١٩١٥ شاء الحلفاء ان يجسوا نبض الاتراك في المناطق الساحلية ، فاوفدوا باخرة انزلت قوة من الجند في شواطيء « قوم قلعه » و « كليد البحر » تحت حماية اسطولهم ، الا ان هذه الحملة لم تنجح في مساعيها ، فاضطرت بعد ساعة من نزولها الى البر الى التراجع وقد خسرت نصف قواتها

واذيع بلاغ قيل فيه « ان القوات المتحالفة قامت بحركات استكشاف على مراكز الاعداء لمعرفة مبلغ استعدادهم العسكري ،

فعادت وقد تركت في ساحة القتال جثث ضابط وعشرة جنود . وتمكنت المدفعية البحرية من حماية هؤلاء الجنود وانقاذهم من التهلكة »

الا ان البلاغات العثمانية قالت «ان الحلفاء في محاولاتهم هذه اصيبوا بخسائر فادحة ، فتركوا في الشاطىء العثماني جثث ١٢٠ جندياً من جنودهم »

مؤتمر الحلفاء

وعلى الاثر عقد قواد الحلفاء اجتماعا في « موندروس » تحت رئاسة القائد « هاملتون » بحثوا فيه الموقف واتخذوا المقررات التالية :

اولا — تعين يوم ٢٥ نيسان سنة ١٩١٥ موعداً لانزال القوات العسكرية في شبه جزيرة جناق قلعه

ثانياً — تتكاتف القوات الفرنسية والانكليزية معاً على القيام بهذه الحركة ليكون انزال الجنود الى البر عاماً

ثالثاً — يتولى الكولونل « روفين » قيادة القوات الفرنسية في ساحل « قوم قلعه »

رابعاً — تتولى القيادة الانكليزية حركة انزال الجنود في الجهات الاخرى

تدابير عسكرية بحرية

وبعد وضع هذه الخطط الحربية المفصلة عقد القادة الانكليز والفرنسيون اجتماعاً آخر في ١٦ اذار نظموا فيه حركة الهجوم البحري وقسموا الاسطول الى ثلاث وحدات

الاولى مؤلفة من المدرعات « آغا ممنون » « لورد نلسون » « كوين اليزابيت » ، « انفلكسيبل »

والثانية مؤلفة من المدرعات « اوسيان » ، « ايريزستيبل » « البيون » ، « فنجانس » ، « ماجستيك » ، « كانوبوس » ، « كورونواليس » ، « سوفي فيشورا » ، « تريومف » « برنس جورج »

والثالثة مؤلفة من المدرعات « سوفران » ، « بوفه » ، « غولوى » ، « شارلمان »

وخطة هذه الوحدات تتلخص بما يلي :

اولا — يعمد الاسطول الاول الى ضرب الاستحكامات القائمة عند مدخل الدردنيل ، ثم يدخل المضيق المظلم ويؤمن اتصال جناحيه بالاسطولين الثاني والثالث ويتقدم مسافة ١٤ ميلا في الساحل ويضرب بمدافعه الضخمة الحصون العثمانية القائمة على الضفتين قصد تخريبها .

ثانياً — لدى بلوغ هذه الخطوة تتقدم وحدات الاسطول الثالث على وحدات الاسطول الاول وتقف على بعد ثمانية اميال من الساحل وتلحق بها وحدات الاسطول الاول فتكون المسافة ميلين



القائد « هاملتون » الانكليزي

قائد قوات الحلفاء العام في الحملة على المضايق . والرسم يمثله يوم كان رئيس هذه الحملة في اواخر عام ١٩١٤

ويتولى الاسطول الثالث بالاتفاق مع الاسطول الاول تحطيم آخر حلقة من الدفاع التي يعتمد عليها العثمانيون في حركاتهم الحربية

ثالثاً — بعد حركات الاسطول هذا بخمس ساعات تتقدم وحدات الاسطول الثاني الى الامام وتحل مكان الاسطول الثالث يتولى هذا الاسطول اجتياز المضايق الى بحر مرمرة بعد تمهيد السبل امامه

***

هذه هي الخطة التي وضعتها القيادة البحرية العليا لمعركة ١٨ اذار بالاتفاق مع قادة البحر الفرنسيين في الاجتماع الذي عقد في جزيرة « ليمني » احدى جزر الارخبيل . وتقرر بالاتفاق مع القيادة البرية في ان تستعد القوات البرية للموقف وان تنتظر الاوامر ، فقد تدعو الحالة الى تقديم موعد الحملة

بيانات القيادة

وفي اليوم الثالث عشر من شهر اذار سنة ١٩١٥ ابلغ القائد « هاملتون » ، قائد القوات البرية العام ، اوامره للقادة والضباط في صدد حملة ١٨ اذار والخطط التي يجب عليهم اعتمادها



القائد « داماد » الفرنسي

قائد القوات الفرنسية الزاحفة الى المضايق . هذا الرسم يمثله في بدء عام ١٩١٥ لما اقبل الى القاهرة بطريقه الى الدردنيل

وفي اليوم نفسه دعاهم اليه، من انكليز وفرنسيين ، على مرأى من القائد « داماد » الفرنسي، والقى عليهم خطبة اشار فيها الى موقفهم الخطر قائلا :

— « ان بلادكم ترقب منكم في هذه الاثناء الحرجة البطولة. فامامكم احد امرين ، اما الانتصار والعودة الى آلكم وذويكم والنصر يكلل هاماتكم ، او الموت في هذه البلاد دفاعا عن مجد امتكم وبلادكم

« نحن نعرف فيكم البطولة والتضحية ، ونعتقد بان اقدامكم سترسخ في ارض الاعداء فلا تتراجع بل تسير الى النصر الذي يرقبكم !...»

منشور القيادة

وانصرف القائد العام لاعداد منشور يذيعه في الجنود. وقد اخطأ باذاعته علناً ، وقبل شهر من موعد الحملة . فالجواسيس العثمانيون تمكنوا من الاطلاع عليه ومعرفة حقيقة مرامي القيادة من حشد هذه القوات في جزر الارخبيل واسرعوا في نقله الى القوات العثمانية فتأهبت لرد الهجوم

واذيع هذا المنشور بحروف كبيرة في اكثر جزر الارخبيل باللغتين الفرنسية والانكليزية وهذا نصه :

« الى جنود الملك وجنود فرنسا

« سنخوض معركة حربية لم يرو التاريخ اشد هولا منها

« سندفع جنودنا الى البر لاحتلال مراكز العدو ونسجل في تاريخ البطولة والشجاعة اننا قادرون على احتلال هذه الارض التي زعم العدو ان اقدامنا لن تطأها

« هذا الاحتلال سيتم بمعونة الله ومساعدة رجال البحرية الابطال الذين سيهدمون ولا شك حصون الاعداء بكل قوة وبسالة .

« اننا نعتمد على الله وعلى سلاحنا ورجالنا

القائد العام	قائد القوات الفرنسي
الجنرال هاملتون	الجنرال داماد

***

واحتشد الجنود حول هذا المنشور يقرأونه وهم على اشد ما يكونون فرحاً. فما كان يدور في خلدهم ان هذه القوات الغفيرة ، السائرة تحت حماية اكبر اسطول بحري في العالم لاحتلال بقعة صغيرة من الارض ، ستقهقر وتلقى الخذلان

سير الجنود

وفي ١٦ اذار سنة ١٩١٦ امتلأت البواخر بالجنود والمدافع والاعتدة الحربية . وفي ١٧ غادرت ١٥٧ سفينة تجارية انكليزية و٨٢ باخرة فرنسية جزر الارخبيل قاصدة الى اقرب مكان من شبه جزيرة « جناق قلعه » تنتظر فيها اوامر القيادة العليا للاشتراك في المجزرة البشرية الهائلة . وكان منظر هذه القافلة من البواخر عظيما لم يرو التاريخ الحربي اروع منه

اليوم العصيب

كان صباح ١٨ اذار ساكن الهواء ، صافي الجو ، مشرق الشمس ، مما لا يتفق للبحر الابيض في سوى ايام الصيف . ووقف الجنود في مراكزهم ورقب الضباط اشارة امير البحر ليبدأ الاسطول هجومه المقرر .

وفي الساعة الثامنة والربع بدت في اعلى صاري امير البحر اشارة المسير الى الامام ، فتحركت وحدات الاسطول الاول تعمل

بهذه الاشارة

موقف الاتراك

والاتراك كانوا يعلمون بان اسطول الحلفاء يستعد لمهاجمتهم ، الا انهم كانوا يجهلون الوقت الذي سيبدأ فيه هذا الهجوم . ولما شاهدوا عند الصباح حركات الاسطول ادركوا ان الساعة قد حانت، فاذاعوا اوامرهم في رجال المدفعية بان يكونوا على استعداد

بدء المعركة

وبدأ الاسطول الاول عمله لما اقدمت المدرعة الفرنسية «تريومف» عند الساعة العاشرة والنصف تماماً على ضرب الحصون العثمانيه في الضفة الاناضولية، واقتربت المدرعة « برنس جورج » من ساحل الروملي وبدأت ضرب الحصون فيه ، وتقدمت وحدات الاسطول الاول بكاملها ووقفت في المواقف المعينة واخذت في ضرب الحصون العثمانية .

وقابلت المدفعية العثمانية الاسطول بالمثل ، الا ان المسافة كانت بعيدة فلم تؤثر المدافع العثمانية في هذه الوحدات ، بعكس مدفعية اسطول الحلفاء ، فكانت تدك الصخور والمباني والجبال

والبحر المائج بعشرات السفن الحربية كان في هياج واضطراب. فالسفن تشقه والقذائف العثمانية تنفجر فيه فتندفع مياهه هائجة مزبدة عالية كالتلال

***

ان يوم ١٨ اذار لمن الايام الرهيبة . واستمرت الوحدات البحرية الحربية خمس ساعات في رشق المراكز العثمانية بقذائفها . ويؤكد الخبيرون انها اطلقت اكثر من عشرة الاف قذيفة لو جمعت بعضها فوق بعض لشيدت جبلا صغيراً من القذائف الطاحنة

وبعد نصف ساعة كان افراد هذه القافلة ، وعددهم ٢٦٠ جندياً ، صرعى وجرحى ليس بينهم من يقوى على النهوض

اوامر اسعد باشا

وجاء امير اللواء اسعد باشا ، قائد الفيلق الثالث ، المولج الدفاع عن المضايق الى هذه الجبهة ليتخذ ما تقضي به الحالة من تدابير

وخشي اسعد باشا ان تكون حركات اسطول الحلفاء العمومية مقدمة لانزال جنود الاعداء في شبه جزيرة « جناق قلعة » فاذاع في الحصون العثمانية الستة، الواقعة عن مدخل الدردنيل، الاوامر المشددة كي تستعين بكل ما لديها من مجهود لصد هجمات الاسطول الانكليزي الفرنسي .

وابرق الى امير البحر « سوشون » قائد الاسطول العثماني كي يوفد المدرعة « ياووز » وسواها من القطع البحرية الراسية في استانبول الى مداخل الدردنيل المؤدية الى بحر « مرمره » لمقاومة اسطول الحلفاء اذا نجح الحلفاء في اختراق المضايق نزولا على الخطة التي يعتمدونها

خط الدفاع الاخير

والوثائق الموفورة لدينا تشير الى ان العثمانيين كانوا معتزمين اغراق عدد كبير من السفن التجارية في الجهة الخلفية من المضيق ليسدوا على اسطول الحلفاء الطريق الى استانبول من بحر مرمره لدى فوزه بافتتاح حصون الدردنيل

ويوم مشى اسطول الحلفاء الى المضايق مخرت « ياووز » الى حيث تقررت اقامتها ووراءها عدد من السفن التجارية

الا ان الحوادث دعت الى الاستغناء عن هذا التدبير والاسطول الانكليزي الفرنسي لم يتمكن من الفوز في الدردنيل

اسرار الحرب الكبرى

بقلم كرم ملحم كرم

القائد فوش يهاجم في الشمال جيش الامير «روبرخت» البافاري

الالمان يقيمون في (ارتوى) الحصون المنيعة

ولكن الفوز للفرنسيين !

لم يكن موقف قوات الحلفاء بالموقف الراهن في شمالي فرنسا . فالحالة تدعو الى توطيده وانشاء جبهة ثابتة الدعائم .وهذا ما فكر فيه القائد فوش قائد قوات الشمال

ولكن توطيد الموقف يحتاج الى معركة قاهرة يفرض فيها الغالب مشيئته فرضاً على المغلوب . وهذه المعركة ضمن القائد فوش نجاحها والفوز فيها . ولكن اين يقوم بالهجوم ، أيقوم به في بلجيكا ام يتولاه في ولاية « ارتوى » الفرنسية ؟

وقرّ رأي القائد الحازم على ضرورة القيام بهذا الهجوم في ولاية « ارتوى » نفسها . واستعد له . وجهز الجيش الفرنسي العاشر ، الذي فوض امره الى القائد « دربال »، بما يحتاج اليه من نجدات واعتدة . واحتشدت وراء « اراس » مدفعية ضخمة . على ان القوات الانكليزية لم تكن تقوى على الاشتراك في هذا الهجوم وقد نزلت بها الخسائر وهدّ حيلها التعب . فهي في هجومها العنيف في شهر اذار ١٩١٥ على « نوف شابيل » واستعادتها هذه البلدة من الجيش الالماني ،وفي اصطدامها بالالمان في معركة « ايبر » الثانية، باتت بحاجة الى الراحة



القتال بين الاسلاك الشائكة

وقد اوضح المارشال فرانش حالة هذه القوات للقائد فوش وطلب منه ان ينفرد بالقتال . وما كتم عنه ان الاعتدة الانكليزية نفدت ، فليس لدى الجيش شيء منها

فاضطر القائد فوش الى العمل وحيداً . وكل ما كان يخشاه ان يسبقه الالمان الى الهجوم . اجل ، لقد شُغل الالمان عن حدودهم



قافلة من الاسرى الالمان تقع بين أيدي الفرنسيين في معارك ارتوى

الغربية بحدودهم الشرقية . فهم يقاتلون الان الروس . ولكن أليس من المجازفة الاصطدام بجيش الامير « روبرخت » الباڤاري وهو يحتل الاماكن المنيعة ؟

فالالمان جعلوا في ربيع ١٩١٥ من المنطقة القائمة بين « اراس » و « لان » حصن المقاومة الالمانية . فانشأوا في اواخر تشرين الاول ١٩١٤ الخنادق والحصون واستقرت فيها قوات الامير « روبرخت » بين القوات الانكليزية والجيش الفرنسي العاشر تمنع كل اتصال بين الفريقين

الموقع المنيع

ومن حق الامير « روبرخت » ان يقول انه في امنع مكان . فقد اشتغلت جيوشه ستة اشهر متوالية في تحصين هذه البقعة مما جعل منها قلعة حصينة لا مثيل لها بين سائر الجبهات الالمانية . خصوصاً وقد دعمتها استحكامات جبل « لوريت » وتلال « كارنسي » و « ابلان سان نازير » و « نافيل سان فاست » وخنادق « فون ده بيفال » و « لابيرانت »

واظهر الالمان من الدقة والحذق في انشاء هذه الحصون ما جعلها وطيدة الركن تكاد لا تقهر

جبل « نوتردام ده لوريت »

وجبل « نوتردام ده لوريت » يمتد على تسعة اميال بين « برياي » و « سوشه » ، وفي طرفه الشرقي يقوم جبل « لوريت » نفسه وفيه كنيسة العذراء المعروفة بهذا الاسم

وارض هذا الجبل من التراب الجاف في الصيف والموحل في الشتاء . فهو ابيض قاحل . ومن الصعب جداً ان يتسنى سلوكه في الايام الماطرة ، فلا الارجل ولا الدواليب يهون عليها اجتيازه

وفي اثناء هجوم قام به في شهر اذار الفرنسيون خسر الالمان شطراً من الجبل ، الا انهم ظلوا مستقرين في الشطر الاخر . وهذا الشطر امعنوا في تحصينه . فجهزوه بخنادق تمتد على ستة خطوط . وفي كل خندق ثقوب يتسنى منها للجندي ان يسدد ناره الى الهاجمين عليه . ولدى كل عشرين خطوة مقر للحارس يقيه الامطار والقذائف

والخنادق ضيقة ، على ان في اعماقها انابيب للمياه يستقي منها الجند ساعة يشاؤون . وقامت بين هذه الخنادق حجرات فسيحة يرقد فيها الجنود في اسرة شدت الى الجدران طوابق طوابق ، بعضها فوق بعض . وفي داخل الخنادق حواجز للدفاع ، حتى اذا ما فوجىء الالماني في قلب هذه الخنادق تسنى له ان يدافع عن نفسه بما انشأ من عقبات تحول دون وصول عدوه فوراً اليه

ومن هذه الحواجز الاسلاك الشائكة . وهي تمتد امام الخنادق على خمس عشرة خطوة . وليس من حق الجنود ان يقيموا خارج الخنادق ساعة ضرب القذائف . فذلك من حق الحراس دون سواهم . وعلى سائر الجنود ان يلجأوا الى الخنادق نفسها وفيها يكونون بمأمن من الاذى

والحواجز القائمة حول الخنادق مسلحة بالمدافع الرشاشة وتحميها الحصون



ساعة الهجوم

مشهد من مشاهد الهجوم في معارك «ارتوى»، وقد وثبت فيه القوات الفرنسية على الخنادق الالمانية

ومظهر الهجوم يشير الى العنف الذي استعان به المقاتلون في الانتصار بعضهم على بعض

الحصون في «كارنسي»

وفي كل مكان عسكرت فيه قوات الامير «روبرخت» البافاري شيدت الحصون المنيعة، في جبل «نوتردام ده لوريت» وسواه. والاستحكامات التي انشئت في قريتي «كارنسي» و «ألبان سان نازير» دلت على انها لا تلين لطامع

فالهمة التي بذلها الالمان في تحصينها تدعو الى الاعجاب

وقرية «كارنسي» ترتفع بين الجبال والاودية. وشق في كرومها الالمان طريقاً لمدافعهم. وبنوا حولها اربعة خطوط من الخنادق اشبه بالخنادق القائمة حول «لوريت»

ولم يبق منزل في القرية الا حصنه الالمان. ولقد حصنوا حتى الشوارع والطرق. وثقبوا اعماق المنازل واقاموا بينها خطوط اتصال

وبعد هاتين القريتين ظهرت الخطوط الالمانية بمظهر جبار. فكل تلة امست قلعة، وكل زاوية اضحت كميناً. فالطريق الذي يصل بين «آراس» و «باتين» وتلال «تارجيت» بلغ فيه التحصين منتهاه، وبات بامكانه صد هجوم الاعداء او القضاء عليه بالتأخر. اما في «نافيل سان فاست» فالحالة دلت على عظمة الدفاع الالماني. فكل هجوم يقوم به الفرنسيون يصعب عليه النجاح

ما هي بلدة نافيل ؟...

بلدة «نافيل» تمتد على مسافة ميلين ونصف ميل على طريق «اراس — جيفنشي ان غوهيل — ليافان». ومنازلها قديمة العهد، وسطوحها اشبه بالابراج. وقد تحولت اعماقها الى خنادق تتلألأ فيها المدافع الرشاشة والقذافات

وحفر الالمان تحت اعماق المنازل الممرات والمعابر. ومنها يستطيعون ان يفاجئوا القوات الهاجمة عليهم واتقاء ضرب المدافع

وطوقت اربعة خطوط من الخنادق ضواحي البلدة. واستند الالمان الى حصن دعاه الفرنسيون «لابيرانت»، وقد احتشدت فيه المدافع على اختلاف انواعها ووسائل الدفاع على اطلاقها. وانشىء طريق محصن بقوداليه طوله ميلان. واذا ما شاء المرء التوغل في هذا الحصن احتاج الى دليل والا ضاع فيه. وهو من امنع المواقع الالمانية في شمالي «اراس»

هجوم ٩ ايار ١٩١٥

ومثل هذه المراكز الحربية ليس من السهل مهاجمتها، بل ان مهاجمتها مخاطرة قد تكون سيئة النتيجة، مفجعة الاثر

ولم يكن الامير «روبرخت» البافاري يعتقد ان الفرنسيين يقدمون على هذا الجنون. قال: من المحال ان يفعلوا. فاذا خطر لهم ان يهاجموني في حصوني حلت بهم الاهوال!

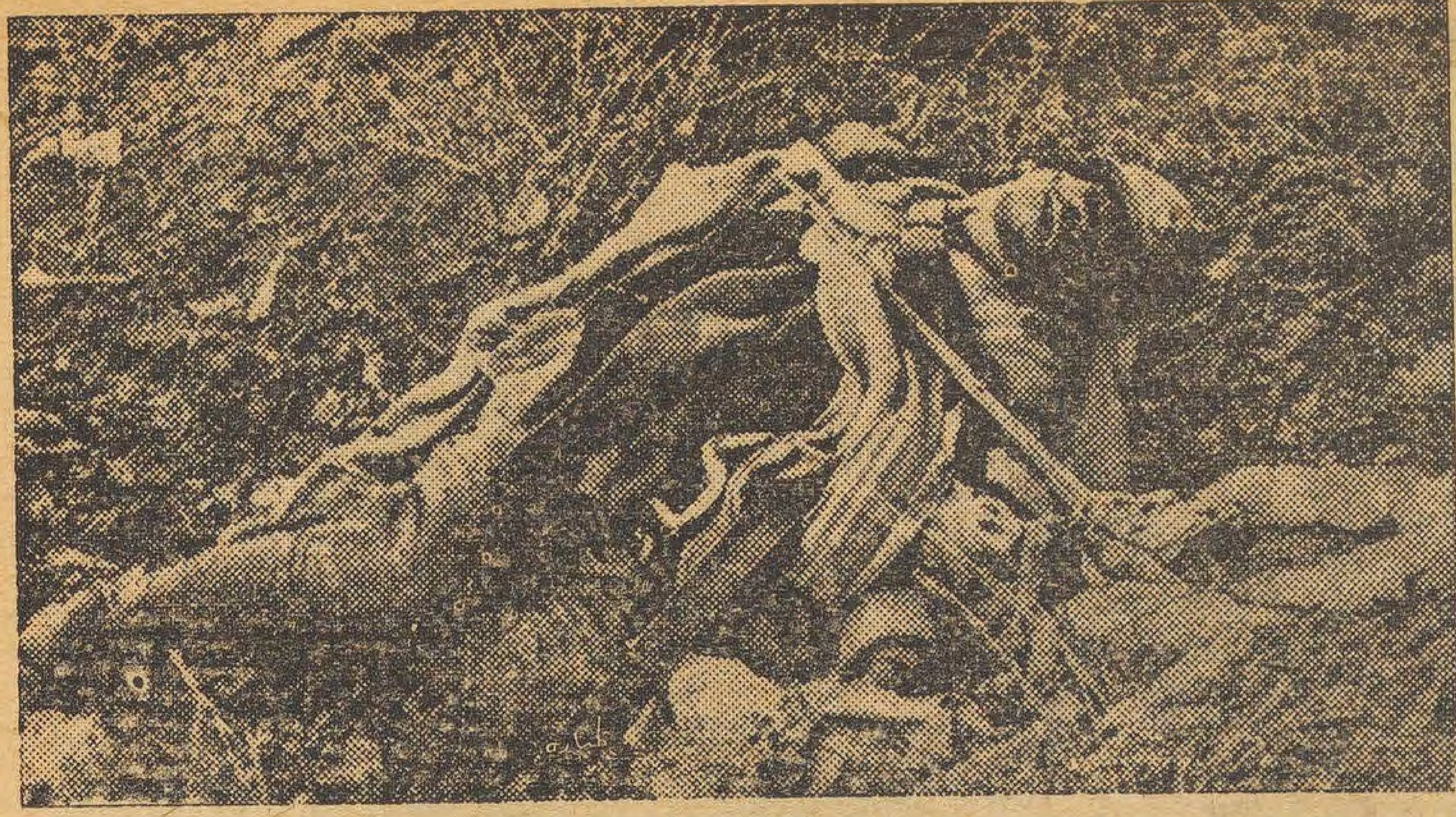
وضحك ممن يعلل منهم النفس بهذا الامل الواهي. قال: سنؤدبهم تأديباً فظيعاً ان يعمدوا الى التحرش بنا!

غير ان الفرنسيين استعدوا لهذا التحرش. وفي اواخر شهر نيسان ١٩١٥ اتصل النبأ بالالمان. فرحبوا به وايقنوا انهم سيكونون الظافرين، وان ما خسروه في «المارن» سيعوضونه في ولاية «ارتوى»

الاستعداد الفرنسي

ومما اقدم عليه الفرنسيون من تدابير انهم حشدوا قوات طائلة وراء «اراس»، وخصوصاً الفيلق التاسع الباسل لوليه القائد «كيره»

اهوال الحرب



جندي الماني قتيل امام احد الخنادق في جبهة « ارتوى »

والمشهد يدل على بعض اهوال الحرب ، وهي اهوال لم يسبق للتاريخ ان روى مثلها وما الحرب غير نزوة من نزوات الطمع يذهب في سبيلها الالوف ومئات الالوف لتحقيق مشيئة فرد . فما ارخص الناس عند بعض الناس !...

والفيلق العاشر للقائد « فيربال » ، والفيلق العشرين للقائد « بالفوريه » ودعي الحفارون الى الاتصال بالخطوط الالمانية ونسفها . فحفرت الدهاليز واضحت على مقربة من المعسكر الالماني

ثقة الامير بجيشه

على ان الامير « روبرخت » كان عظيم الثقة بقواته . فانتظر الهجوم الفرنسي بهدوء ، وربما بازدراء . فلم يحفل به ولا اكترث لامره . فكان على يقين انه سيرفع على رأسه في ولاية « ارتوى » اكاليل الغار التي ضفرت له في « مورهانج »

والحق يقال ان القائد « فوش » استعد للهجوم بعزم ودقة وحذر فاعلن موعده مرتين واضطر الى تبديل هذا الموعد

واخيراً قرّ رأيه على بدء الهجوم في صباح ٩ ايار ١٩١٥

واوضح خطته فقال ان الهجوم يجب ان يرمي الى هدفين ، الاول في الشمال ، فيتم احتلال جبل « لوريت » وضواحيه كقرية « كارنسي » و « ابلان » ، والاخر في الجنوب ، فيستولي الجيش الفرنسي على « تارجيت » و « نافيل »

وعهد بالهجوم الاول الى الفيلق الثالث والثلاثين يتولى امره القائد « بيتان » ، وتسلم المهمة الاخرى الفيلق العشرون

مهمة القائد « بيتان »

ومهمة القائد « بيتان » شاقة . فكان على فيلقه المؤلف من ابناء اللورين وابناء باريس ان يستولي على الجبهتين الشمالية والشرقية من « كارنسي » كي يطوق القرية ويمتد من ناحية اخرى الى جبل « لوريت » في ناحية « لاشابيل » ، ولقد قام الفيلق بما دعي اليه حق قيام . وقص احد المقاتلين حكاية هذا الهجوم فقال :

وصف المعركة

« نحن في يوم الاحد . طلع الصباح يكسوه الضباب ، الا انه لم يلبث ان تلاشى . واشرقت الشمس بهيجة الالوان . ووصلت الى اذاننا دقات الاجراس كما وقع فيها من بعيد زفير القطار . ووقف كل منا في المكان الموكولة اليه حراسته . وازدحمت في الافواه الدعابات . وحانت الساعة . هل تتأخر عن الهجوم ، هل تقرر بدء الهجوم في هذا النهار ؟

« ودقت الساعة السادسة . وورد علينا الامر بالهجوم وتبلغه الجميع . وبدأت المدافع تطلق قذائفها وتبلغ رجالنا الخبر . وتساقطت على الخطوط الالمانية قذائف من عيار ٧٥ و ١٢٠ و ١٥٥ و ٢٢٠

« وتأهب الجند للانطلاق الى معسكر العدو . وتهدمت وسائل الدفاع . فتطايرت في كل ناحية الاسلاك الشائكة واعمدتها ، كما تهدمت سطوح الخنادق الالمانية واضحت الخنادق نفسها غير آمنة وقد اخذت تنهار

« واذا الارض تهتز ، وتناثرت قطعة من الجبل بضجة رائعة . فقد انفجر فيها احد الالغام . وتوالى اهتزاز الارض بشدة ، فانفجر سبعة عشر لغما حوى بعضها ثلاثة اطنان من المتفجرات . وبتنا كأننا في زلزال دام نحواً من عشرين دقيقة يثير حوله الرعب والموت

« وتتابع سقوط القذائف على الالمان بدقة . وبات القادة الالمانيون لا يدرون شيئاً . فتقطعت اسلاك الهاتف ، وتبعثرت الخنادق . ومن نجا منها امسى لا يقوى على العودة اليها . وقابلت المدفعية الالمانية هذه الشدة بضعف . فهي قلقة

« وفي اثناء هذا الجحيم الراعب علا صفير الضباط يدعو كلاً من الجنود الى الثبات في موقفه . واذا السكوت يسود ميدان القتال ،

فما العمل؟.. واقبلت القوات الاحتياطية الالمانية فكانت طعاماً للمدافع وقد اشتد قصفها فاستولى بها على الالمان الذعر

« واقام الفرنسيون يرقبون الامر بالهجوم . فقيل لهم ان الهجوم لن يبدأ الا بعد اربع ساعات تنقض فيها القذائف على المضارب الالمانية

« ودقت الساعة العاشرة والمدافع لا تزال ماضية في عنفها .



الجنود يستريحون بعد الهجوم

واطل الجنود الفرنسيون من خنادقهم ووثبوا وثبة واحدة على خطوط الاعداء . فاطلق عليهم الالمان النار من فوهات البنادق وبعض المدافع الرشاشة، فاكرهوها على السكوت

« ومن بقي حياً من الالمان هوت عليهم القذائف اليدوية . فلم يكن منهم الا ان رفعوا ايديهم يعلنون الاستسلام . وبعضهم بكى ، ومنهم من اصيب بالارتجاف ، وكثيرون اصيبوا بجراح أليمة . وامتلأت الخنادق باشلاء الضحايا

« وتابع المشاة الفرنسيون تقدمهم وبايديهم الاعلام يلوّحون بها لرجال المدفعية كي يمهدوا امامهم الطريق للاستمرار في وثبتهم

« واندفع احد عمال الهاتف يجر وراءه الاسلاك ليظل اخوانه على اتصال بالقيادة العامة . وتساقط الرصاص عليه من كل ناحية فنجا من الخطر

« وتوغل حملة الرشاشات في مضارب الاعداء وذخائرهم ورشاشاتهم على ظهورهم . واجتازوا خطوط الاعداء واخذوا يرمون الالمان برصاصهم دون ما انقطاع . وطاردوهم يطلقون عليهم النار في فرارهم

« ووثب الى مطاردة الالمان اولئك الذين يلغمون الارض . فشاطروا رفاقهم الهجوم وقطعوا خطوط الهاتف وفتائل الالغام . وانحدروا في الدهاليز التي انشأها الالمان وقبضوا فيها على فريق من الاسرى وقد استسلموا اليهم بلا مقاومة راضين عن النجاة من الموت »

***

هذه رواية شاهد عيان . والحق يقال ان الفرنسيين ابلوا البلاء الحسن ، الا ان هذا الفوز كلفهم عدداً لا يستهان به من الضحايا

فكانوا يتسلقون التلال والآكام هازئين بالموت . كانوا يركضون ركضاً الى الخنادق كأنهم يشعرون بانهم سيلقون فيها النصر والامان

مقتل قائد فرنسي

وممن خسره الفرنسيون القائد « ستيرن» وهو من تولى امر اللواء القائم بالهجوم. على ان ما نالوا يعادل هذه التضحيات . فما دقت الساعة الحادية عشرة والنصف حتى كانوا قد اجتازوا اربعة اميال

بيد ان الالمان لم يتقهقروا بكاملهم . فظلت هناك فئة منهم تدافع بعزيمة صادقة . فالجناح الايمن لم يبرح قوياً . وعلى الفرنسيين ان يبذلوا مجهوداً عنيفاً كي يملكوا تلك الاماكن باجمعها ويحتلوا « كارنسي »

وهذا المجهود رأت القيادة الفرنسية ان تبديه في اليوم التالي فتقدمت فرق من القناصة تذلل العقبات بشجاعة وعزم وتستقر في طريق « كارنسي ــ سوشه » . على ان حامية « كارنسي » الالمانية ظلت على اتصال بالجيش الالماني

وفي ١١ ايار استولت القوات الفرنسية على غابة في شرقي « كارنسي » وجلا الالمان عن طريق « ابلان »

وفي ١٢ بعد الظهر اعلن الامر بضرورة انجاز التطويق . فمشت كتيبتان فرنسيتان احداهما من الغرب والاخرى من الشرق . وما استطاعتا الاتصال بعضهما ببعض الا بعد معارك طاحنة دامت ساعتين . وعند ذاك تم تطويق « كارنسي »

الجلاء الالماني يتوالى

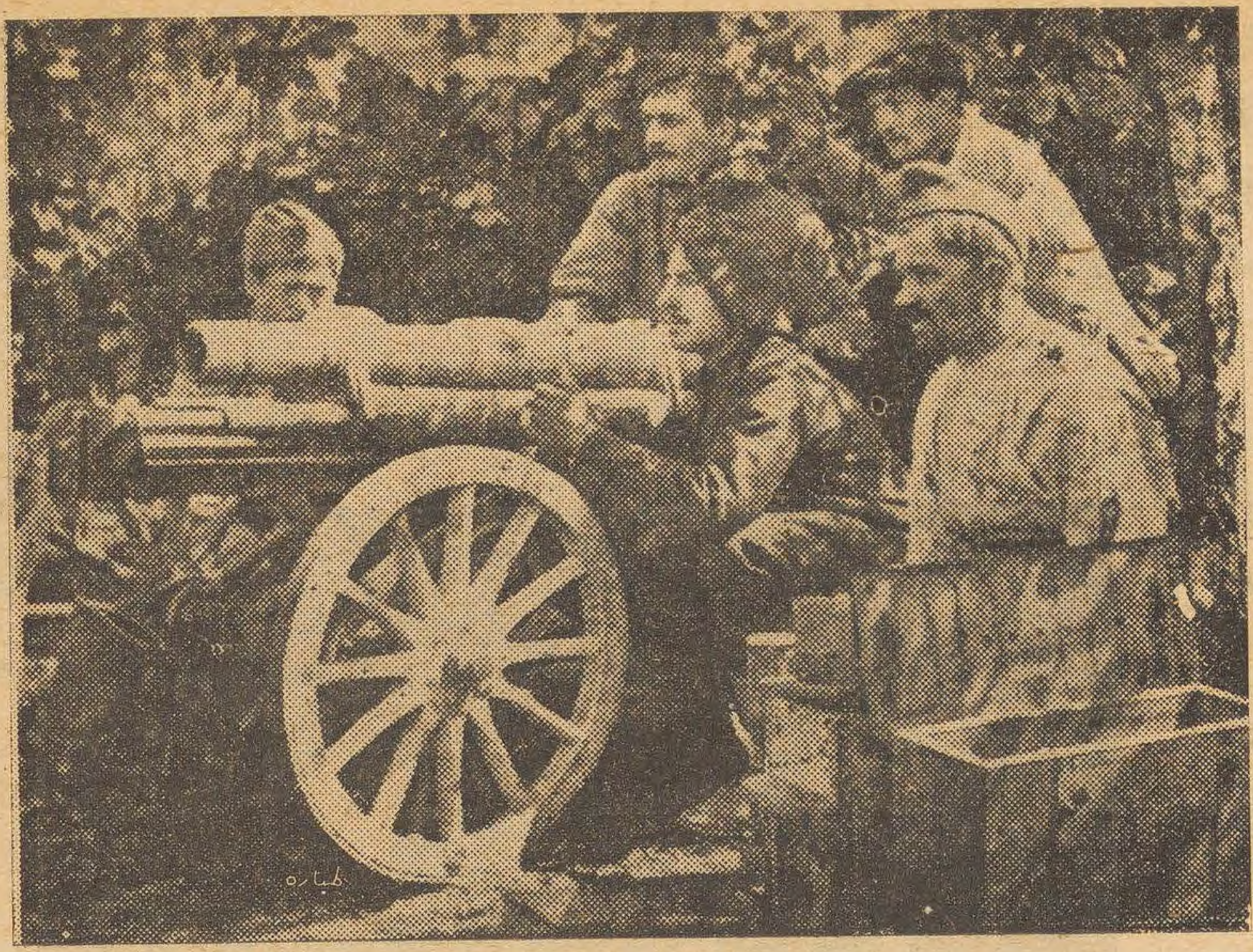
فيئس الالمان من المقاومة وقد وضح لهم ان دوامها من المحال . وكانت الساعة الخامسة والنصف بعد الظهر . فرفعوا مناديلهم يلوّحون

من آلات التدمير

في الحرب الكبرى

مدفع جديد فرنسي استعان به الفرنسيون في معارك شمبانيا وارتوى

ويرجع اختراعه الى اوائل الحرب فقد شعر الفرنسيون بما تبذل المانيا من جهد في تحسين مدفعيتها فاخترعوه !



بها ويعلنون الاستسلام وهم يصيحون : ايها الرفاق !

وبلغ عددهم نحواً من ألف بينهم كثيرون من الضباط احدهم برتبة « كولونل »

واقبل الليل ، على ان الفرنسيين ابوا الوقوف . فصمموا على المضي في احراز النصر ، وتابعوا هجومهم على « ابلانسان نازير » فاحتلوها في معظمها بعد قتال ساعتين . والمنازل التي بقيت للالمان انتزعت منهم في ٢٨و٢٩ ايار

٢٠٠٠ اسير

وهكذا انتهت المعارك الثانية في ولاية «ارتوى» بفوز الفرنسيين، فاسروا ألفي الماني واستولوا على ذخائر كثيرة وعلى الخطوط الالمانية

الهجوم على « لوريت »

والهجوم على « نوترامده لوريت » لقي من النجاح ما لقي احتلال « كارنسي »

فما دقت الساعة العاشرة صباحاً حتى كان المشاة الفرنسيون يبرحون خنادقهم ويهجمون بفارغ صبر على القوات الالمانية . فبلغوا الخندق الالماني الاول في وثبة واحدة دون ان يقوى الالمان على الثبات امامهم . فكان الفرنسيون يقتلونهم او يأسرونهم . وما نجا منهم حتى اولئك الذين لجأوا الى اعماق الدهاليز

وما احتلت القوات الفرنسية الخط الاول حتى وثبت الى الخط الثاني واحتلته بكامله . ولم تقف عنده بل جاوزته الى الخط الثالث .

ففر الالمان ، فلحق بهم الجيش الفرنسي واجتاز نحواً من ثلاثة اميال في مدة لا تزيد على الساعة

غير ان الخط الالماني الرابع ابدى المقاومة

فالالمان انشأوا هناك حصناً دعا الفرنسيين الى الوقوف امام بلدة « لاشابيل » لا يملكون القوة على التقدم . فالحواجز كانت منيعة وقد اعترضت سبيل الهاجمين اكياس ملأى تراباً ، ومدافع رشاشة

وتكلمت المدفعية الالمانية بعد سكوتها ، وحالت دون كل اندفاع يبدر من الاعداء

وجال القتال الدامي جولته ، وبلغت الخسائر ارقاماً هائلة في الجانبين . فسقط عدد كبير من الضباط وصفوف الضباط

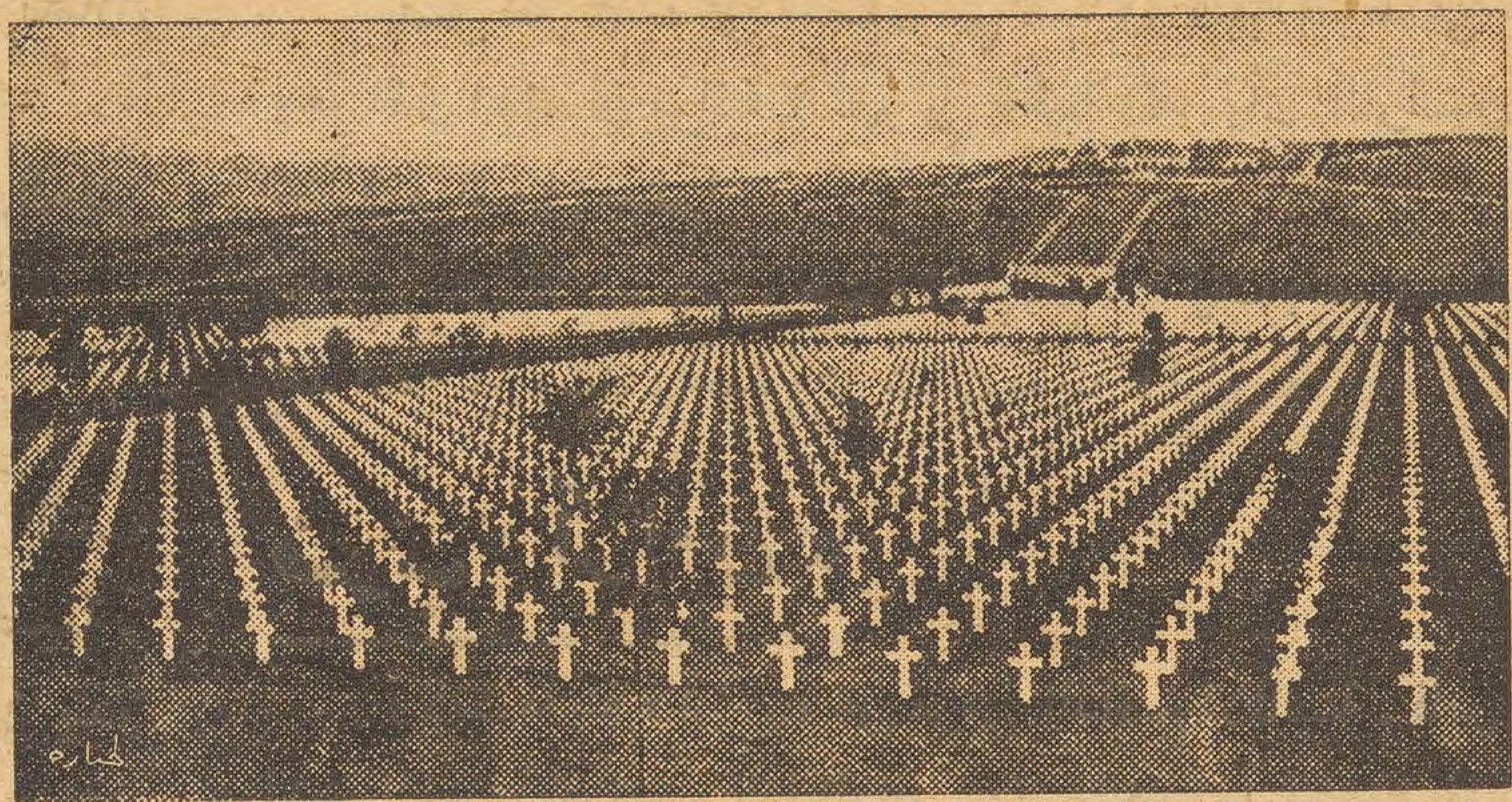
واضطر الفرنسيون الى البحث عن مكان يلجأون اليه ويدفعون فيه عنهم الغضبة الالمانية . واهتدوا الى هذا المكان ، ونظموا فيه صفوفهم وانشأوا خطوط الهاتف . فما انقضى عليهم يومان حتى كانوا في موقعهم الجديد كما يرومون

الحر ورائحة الجثث

وبلغ الحر اشده . وكانت القذائف قد بعثرت جثث قتلى الشتاء فانتشرت الروائح الكريهة تملأ الانوف

وفي ١٢ ايار عاد القتال الى ما كان فيه من شدة ، فزحف رجال القناصة الفرنسيون الى خط الالمان ودفعوا الاكياس التي تسد الطريق وفسحوا المجال للقوات الفرنسية

وانسل الجند الفرنسي من هذا المنفذ الى حصن « لاشابيل ».



مصير كل حي!

مشهد مقابر الجنود المقاتلين في سبيل الاوطان !

للعبرة والذكرى !...

ودارت المعارك بالسلاح الابيض وجهاً لوجه. فنشبت في داخل الحصن. وبلغت قوات اخرى بلدة «لاشابيل» وقد امست اطلالا . ومشت منها الى الجبل . فقاوم الالمان بالصلابة المأثورة عنهم . واطلقت رشاشاتهم احشاءها تمنع الفرنسيين من ان يتقدموا خطوة واحدة

فلم يجد الفرنسيون بدأ من الوقوف ومن المحافظة على اماكنهم. وحفروا الخنادق في جبل «بلانش فوى» تحت نيران الاعداء . فالالمان ما برحوا يرمونهم بالنار من «انفر» و «ليافان»

وفي ٢١ انجز كل تدبير . وبعد الظهر هاجم الفرنسيون جبل «بلانش فوى» من انحاء ثلاث . فلم يكن من الالمان الذين يتولون الدفاع عنه الا ان اعلنوا استسلامهم . وحاولت في صباح ٢٢ القوات الالمانية ابعاد الفرنسيين عن هذا الجبل فلم توفق . وهذه المحاولة آخر جهد ابداه الالمان فامتنعوا بعد ذلك من الهجوم وقد اكتفوا بما عانوا وكابدوا . فالمكان الذي قضوا ستة اشهر في تحصينه افلت من ايديهم وكانوا يعتقدون ان مناعته تصد عنه كل هجوم وانهم اسياد المكان ما شاؤوا

وقد جاهد الفرنسيون ثلاثة عشر يوماً لاستعادة «لوريت» . وبلغ جهادهم منتهى العنف والغليان

مهمة الفيلق العشرين

واظهر الفيلق العشرون الفرنسي من المقدرة والشدة ما لم يختلف فيه عن الفيلق الثالث والثلاثين . ففوض اليه استعادة «تارجيت» و «نافيل سان فاست» و «اللابيرانت» وهو عدة حصون ضُرب عليها سور مجهول المنفذ

والمهمة صعبة التحقيق لا يمكن ان يتولاها غير الابطال . على ان الفيلق العشرين لم يعدم هؤلاء الابطال وقد اظهرت قواته امام «نانسي» و «ايبر» كل اقدام وردت الهجوم الالماني مرتين متواليتين

وعين يوم ٩ ايار موعداً للهجوم . وخطة الهجوم تقررت هنا مثلها في سائر الاماكن . فبدأت المدفعية اطلاق نيرانها على الخطوط الالمانية . ودام ذلك من الساعة السادسة الى العاشرة صباحاً

واحتشد المشاة في الخنادق وقد اسكرهم قصف المدافع . وكلهم على يقين ان الهجوم سيبدأ لدى الساعة العاشرة . ولدى الساعة العاشرة برح الفرنسيون خنادقهم دون ان تبدر منهم كلمة ولا اشارة

وكل ما قام به الالمان من تحصين هدّته المدافع الفرنسية . فلم يبق من الاسلاك الشائكة اثر . واندفعت القوات الفرنسية دون ما جهد يذكر الى الخنادق الالمانية واستولت على حصن امام «تارجيت» واحتلت القرية ومشت الى «نافيل»

وبلغت مقبرة القرية . وفي المقبرة نشبت معركة دامية . فابى الالمان التراجع وابى الفرنسيون الا ان يحتلوا المكان. فجازف الفريقان بكل ما يملكان من قوى . فامتلك الفرنسيون المقبرة مرتين فاستعادها الالمان مرتين

فوقف التقدم الفرنسي ، على انه كان قد جاوز خمسة خطوط المانية ، ولكن هذا الفوز بحاجة الى دعامة تضمنه لئلا يفلت من ايدي مالكيه. وادرك الفرنسيون هذه الحقيقة واقاموا الليل بطوله يشتغلون بترسيخ اقدامهم في تلك الناحية

فالغبار كساهم والتعب ارهقهم وظلوا ماضين في عملهم غير مكترثين للموت

العودة الى القتال

وفي اليوم التالي عادوا الى القتال . واحتلوا منازل القرية منزلا منزلا . وكل منزل كان اشبه بحصن حصين. وما استطاع الفرنسيون احتلال «نافيل» الا وهي اطلال في اطلال

وتوالى القتال عند اطراف الغابة ، في الجنوب والشرق .ومع

رصاص الالمان المستمر لم يعجز الفرنسيون في ١١ ايار عن احتلال مقبرة القرية والاحتفاظ بها

وتساقطت حصون « نافيل» بكاملها ، ووقع بين ايدي الجيش الفرنسي الفا أسير

... والحصن المجهول المنفذ لا يبرح يقاوم!

وظل « اللابيرانت » وحده يقاوم . فان هذه الحصون الملتفة بسور مجهول المنفذ قاومت الفرنسيين بشدة ورمتهم بالخسائر الجسيمة . فوقفوا حيالها عاجزين ، ولكن فوزهم في ولاية « ارتوى » لا يبدو كاملا اذا لم يملكوا « اللابيرانت» . واعتزموا التضحية . فعليهم ان يدخلوه مهما كلفهم من جهد ورجال ، عليهم ان يستولوا عليه ولو اضطروا الى انتزاع ارضه خطوة خطوة

ولكن للاستيلاء على « اللابيرانت » يجب ان يدخلوه . والصعوبة كل الصعوبة في دخوله . فالالمان حشدوا فيه مدافع من كل عيار ، حتى من عيار ٣٠٥ ، وكل قصدهم ان يحولوا دون الاستيلاء عليه

الخط الاول يلين

وفي ٣٠ ايار قامت ثلاث كتائب فرنسية بالهجوم فاستولت على الخط الاول وعلى بعض حصون صغيرة . وبدأ قتال الحفر فدام تسعة عشر يوماً قهر فيه الفرنسيون الالمان واقاموا اكياس التراب امام متاريسهم. وبلغ الحر اشده فاضطر المتقاتلون الى خلع معاطفهم وخوض المعركة بالقمصان

ولعب العطش بالافواه ونفدت الذخيرة فجيء بالماء والاعتدة ، وحفرت الارض لاستخراج الالغام منها ولبث الالغام

وهو جهد عظيم من الجانبين . على ان الالمان لم يثبتوا وقد انتابهم التقهقر ، فاحتل الفرنسيون خط « فون كلوك » ثم خط « ايلنبوروغ » ثم موقع « قاعة الاحياء »

وفي ١٩ حزيران انتهى كل شيء

وقضي القضاء المبرم على الفرقة المئة والحادية والستين من قوات المشاة البروسيانية وكانت تحرس المكان

الخسائر الفرنسية فادحة

وخسرت القوات الفرنسية الخسائر الهائلة ، على انها احتلت « اللابيرانت » كما احتلت قسما من خط الدفاع الالماني الذي تفانى الالمان في تشييده وتحصينه

فتألم الامير « روبرخت » ومن حقه ان يتألم

فكل امل عقده على الحصون التي تعب في تشييدها تداعى . وهو الذي اعتقد ان مواقعه لا تقهر بلي بالخيبة وقد رأى الفرنسيين يحتلون مراقبه في معظمها

وطاب للامير « روبرخت » ان ينتقم . وكيف ينتقم ؟... لم يجد امامه غير وسيلة واحدة وهي ضرب مدينة « اراس »

ضرب « آراس »

وكانت مدينة « آراس » على مرمى المدافع الالمانية . فأمر الامير البافاري بان تصب عليها المدافع . وتم ما قضى به الامير . ففي كل يوم، منذ منتصف شهر ايار ، والقذائف تنقض على المدينة فهدمتها واحرقتها . ومن المباني المتهدمة صرح الحكومة ودير « سان فاست » ، وبناؤهما يعود الى عهد لويس الخامس عشر ، والمكتبة ، والمتحف ، ودار الاسقفية ، والكاتدرائية ، وكنائس « سان جيري » و« سان جان باتيست و « سان نيكولا »

واضطر الاهلون الى الانصراف عن المدينة تجاه هذه المحنة النازلة بها

وغادرها المحافظ واستقر في بلدة « بولونيا » ، ولجأ الاسقف الى « سان اومير »

ونقلت منها المستشفيات كما نقل مأوى العميان

العميان البائسون

ووصف احد المنشئين حالة العميان في انتقالهم من مدينة « آراس » فقال فيهم :

« كانوا يسيرون في موكب رهيب بعيونهم الفارغة وايديهم الممسكة بمعاطف من يتقدمونهم ، فتتعثر اقدامهم باغصان الاشجار التي قصفتها الرشاشات

« ولم يتلفظوا بكلمة وقد زموا شفاههم . ومن ابصرهم ايقن انهم مالوا بكليتهم الى هدف واحد ، وهو ان ينطلقوا سريعاً دون ان يقعوا

« ومن حين الى آخر كان يرتفع صوت راهبة في هذا الخط الطويل يحض بعضهم على المسير . ومما خاطبهم به قوله: شارل، لا بأس عليك ان تبذل جهداً آخر . وانت يا تيريز لا تفلتي ثوب « سالين » والا وقعت!

« فتلفتوا الى من تكلمت واجابوا : سمعاً وطاعة يا اختي الراهبة !

« وسألت فتاة عمياء : متى نصل بعد طول هذا المسير ؟.. »

وهكذا اضطر العميان الى اجتناب المدافع الالمانية فبرحوا مقرهم تائهين في القفار للبحث عن ملجأ آمن

وظلت المدافع تصب احشاءها على مدينة « آراس » لا تعفو عنها ولا تنثني عن تدميرها ما استطاعت الى ذلك من سبيل

الاستيلاء على «سوشه»

على ان الفرنسيين مع امتلاكهم كل تلك المواقع ما استطاعوا ان ينفذوا الى بلدة « سوشه » مما دل على خطورتها . فما تمكنوا منها الا بعد اربعة اشهر من جهاد شاق

ففي ٣١ ايار واول حزيران استولى الفرنسيون على طاحون « مالون » ومعمل السكر في « سوشه » . وهو معمل طوله مئتان وخمسون ذراعاً لم يبق منه غير انقاض

وانقضى حزيران وتموز وآب والقتال حول « سوشه » مستمر . وضرب الالمان الفرنسيين بكل ما لديهم من وسائل التقتيل والتقطيع ليمنعوهم من التقدم . فرشقوهم بالقذائف من كل عيار ، وبالغازات الخانقة ، وبالرصاص

على ان الفرنسيين تقدموا وجراحهم دامية . وفي ١٥ حزيران استولوا على مقبرة « سوشه » ، على انهم ما لبثوا ان خسروها والالمان جاهدوا بكل قواهم لاقصائهم عنها

واقتربوا من حدائق قصر « كارليك » بعد معركة جارفة اطلق فيها الالمان احدى عشرة كتيبة وألقى فيها الفرنسيون ثلاثمئة الف قذيفة

وفي ١٨ ايلول تخلى الالمان عن « فون ده بيفال » وما برح الفرنسيون يقاتلون فيها منذ ٩ ايار

وشمل الهجوم الخطوط الالمانية كلها . فكان الفرنسيون يستولون عليها ثم يجلون عنها . واستمروا في هذه الحال اياماً طويلة حتى ٢٥ ايلول وهو موعد الهجوم الفرنسي في « ارتوى » و « شمبانيا »

الهجوم العام

وكان الهجوم العام

فبدأ في ٢٥ ايلول ١٩١٥ لدى الساعة الثانية عشرة والربع بعد استعداد دام خمسة ايام متوالية شقت في اثنائها المدفعية الطريق امام القوات المهاجمة

وبلدة « سوشه » كانت هدف الفرنسيين . وتدفقت الامطار ، وتزحلقت الاقدام في الارض الموحلة اللزجة . ولكن الفرنسيين احتملوا كل مشقة ووثبوا على قصر « كارليل » يحتلونه ويحتلون حدائقه . وما لبثوا ان ملكوا المقبرة . فناوأهم الالمان وانتزعوها منهم وقد رشقوهم بكل ما لديهم من مواد متفجرة

فالمدافع الالمانية وقد توطدت في « انغر » و « ليافان » و « جيفنشي » لم تنقطع عن رشق الفرنسيين بالنيران الحامية

وفي هذه الاثناء كان الجناح الفرنسي الايسر ينحدر في سفح جبل « نوتردام ده لوريت » ويبلغ الطرف الشرقي من غابة « الفأس »

ومع كل مجهود الالمان في صد الفرنسيين تسنى للقوة الفرنسية بلوغ نهر « سوشه » وامتلاك نصف القرية . وفي صباح ٢٦ ايلول صممت القيادة على انتهاج خطة جريئة تخترق بها جبهة « سوشه » وتطغي على الالمان

ونجحت الخطة . ولم يجد الالمان بدأ من براح القرية . وما حل المساء حتى كانت « سوشه » بين ايدي الفرنسيين . فالالمان نزحوا عنها وقد ابقوا بعدهم ١٣٧٨ اسيراً بينهم ولد لا يجاوز الرابعة عشرة

وهذا الفوز على جسامته لا يعد فوزاً نهائياً . فما برح امام الفرنسيين مجهود عظيم لاقصاء الالمان عن الارض الفرنسية ، بل هم اذا شاؤوا الوصول الى سهل « دويه » الفسيح عليهم ان يبدوا من التفاني اكثر مما ابدوا ، فلا تزال البراثن الالمانية ناشبة في جسم فرنسا ، على ان ما لقي الجيش الالماني من صدمات بعد معركة المارن زعزعت جبهته ورمته بالذهول . فما اعتمد على الاطلاق ان طريقه الى باريس محفوف بكل تلك العراقيل !

الانكليز يقاتلون

وفيما الفرنسيون يقاتلون في « نافيل » وشمالي « سوشه » هاجمت الجيوش البريطانية الخطوط الالمانية في « لان » و « لاباسه » . وامتدت الخنادق الانكليزية من « غانشي » الى « ريتوار » و « غريناي » و « لافوس كالون » . وقام بعضها على مئة خطوة من الخنادق الالمانية

وتولى الانكليز الهجوم على هذه الخنادق في ٢٥ ايلول بعدما دكت مدافعهم الحصون الالمانية وحامت عليها طياراتهم ترميها بالقذائف كما رمت كل مكان احتشد فيه الجيش الالماني

ومشت القوات الانكليزية من « فرميل سير هولوش » و « غريناي سيرلو » واجتاحت بوثبتها الخط الالماني بكامله

والخط الالماني وطيد ، راسخ ، قوي التحصين ، يتحده حصنان ، احدهما حصن « هوهنزوللرن » والآخر حصن « القيصر غليوم » . على ان هذين الحصنين لم يقفا حيال الهجوم الانكليزي وقد تداعى امامه مجهود

الالمان باسره

وما حان مساء ٢٥ ايلول حتى كان الانكليز قد بلغوا بجناحهم الايسر اطراف « هولوش » وامسى جناحهم الايمن امام ضواحي « لان »

لا ينامون على الضيم

فلم ينم الالمان على ضيم. ورجعوا الى الانكليز يبطشون بهم . ودارت المعارك القاصمة حول الاماكن التي احتلها الجيش الانكليزي. ودامت هذه المعارك حتى اوائل تشرين الاول

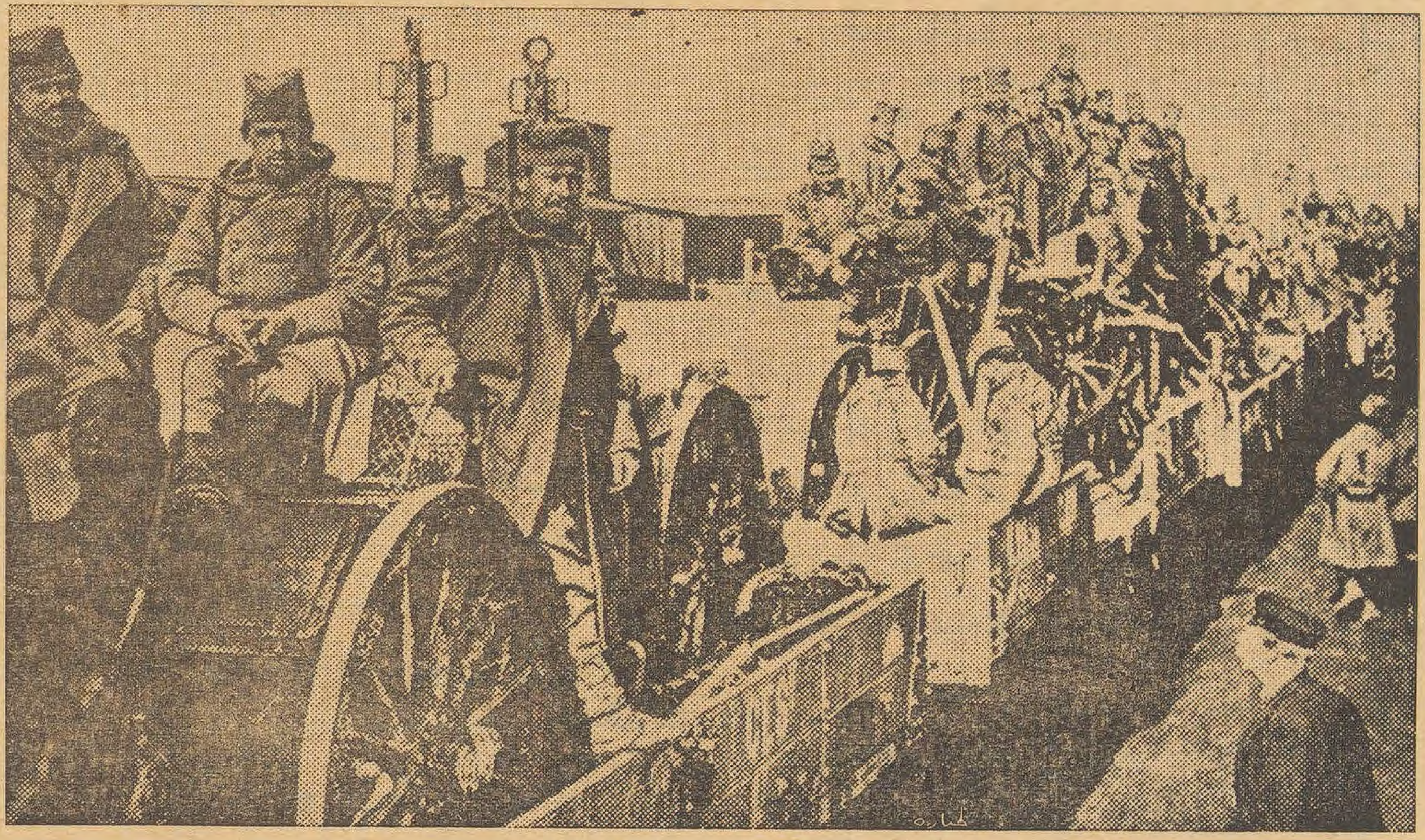
فانتهى الامر بفوز الانكليز

وفي ٣٠ ايلول بلغ عدد الاسرى الالمان الذين وقعوا بين ايدي القوات الانكليزية ثلاثة الاف اسير عدا المدافع والرشاشات

وكان للقائد الفرنسي « هيلي دواسل » يد تذكر في نجدة القوات الانكليزية ، وهذه اليد اعترف له بها قائد الجيش الانكليزي المارشال « فرانش » نفسه

وانقضت سنة ١٩١٥ على الفرنسيين ، مثلها على الانكليز ، في معارك شديدة تقدم فيها الجيشان تقدماً محسوساً ، وما تقهقروا عن الاماكن التي غنموها في سوى بعض الانحاء

على ان الفريقين، من المان وحلفاء ، اظهرا الشدة المتناهية والجرأة النادرة ، والبراعة التي اثارت كل اعجاب



المدفعية الصربية في مسيرها الى مقاتلة النمسيين

مشهد رائع من مشاهد بدء القتال في الحرب العالمية . وقد ظهر فيه رجال المدفعية الصرب تجرهم القطر الحديدية كما تجر مدافعهم الى ساحات القتال . والصرب شعب باسل مشى الى مقاتلة الجيش النمسي بشجاعة ورباطة جاش ، مع يقينه انه صائر حتما الى الموت وعدوه اعظم منه عدداً وعدة وقوة تساعده على الاستمرار في القتال ، وتمهد له طريق الفوز

كيف بدأت الحرب الكبرى ؟

لماذا تشدد النمسا في اعلان الحرب على صربيا واجتياحها ؟...

« فينا » تريد ان تحل محل استانبول

مأساة غرام في البلاط !...

الحرب الكبرى بدأت في صربيا . هذا مما ليس فيه جدال ! ولقد اشتعلت في صربيا على اثر مكيدة « سيراجيفو » . ومكيدة « سيراجيفو » يرجع امرها الى ضم النمسا للبوسنه والهرسك الولايتين الصقلبيتين وقد ادغمتها بها . ولما كان السواد الاعظم ممن يقطنونها ينتمي الى الجنس الصقلبي شاء ان ينضم الى صربيا وطالب بهذا الانضمام . فرفضت النمسا . والرفض ادى الى مكيدة « سيراجيفو » علة الحرب الكبرى

وروسيا اول من انتصر لصربيا . وروسيا صقلبية . وانتصار روسيا جر الى الميدان فرنسا فانكلترا . وهكذا اتسعت قطرة الزيت فشملت العالم

وصربيا لا يزيد عدد سكانها على اربعة ملايين . فناوأتها النمسا تريد معاقبتها بتهمة تدبير مكيدة « سيراجيفو » ، فهي في اعتقاد النمسا المهيبة بالطالب « برنسيب » الى قتل الارشيدوق « فرنسوى فردينان » ولي عهد النمسا . ولكن دول التحالف الثلاثي لم تنم عن هذا العدوان وقد لمست فيه خطراً عليها ، فهبت الى درء الخطر بقوة السلاح والنار

هل من فخ منصوب ؟..

وثمة فريق من رجال السياسة يقول ان مكيدة « سيراجفو » جاءت تدعم سياسة المانيا . فلو لم تقع لخلقها غليوم الثاني . فهو يريد الحرب وقد تراءى له ان موعد سيطرته على العالم قد حان

ولما لاح له من « فرنسوى جوزف » ، امبراطور النمسا ، انه يوشك ان يلين على اثر مفاوضات الصلح في « بطرسبرج » عاب عليه هذا اللين وحرضه على الصلابة . والكتاب الاحمر الذي نشرته في شهر شباط ١٩١٥ حكومة النمسا والمجر يقول ان النمسا فكرت في ان تباحث انكلترا في قضية التوفيق بينها وبين صربيا

على ان هذا التفكير لم يظهر الى ميدان العمل . فظل فكرة في الادمغة او كلاماً تداولته الالسن في « فينا » وبرلين وخنقته في المهد . فالحرب باتت حاجة لا غنية عنها ، بل شهوة ملحة لا بد من اروائها !

صربيا خطر على النمسا

وصربيا الدولة الناشئة ، المحررة من النير العثماني ، الظافرة في الحرب البلقانية والطامعة في احتلال مكانها تحت الشمس ، بدت في عين النمسا خطراً مهدداً . فمالت « فينا » الى تقليم اظفار هذا الوليد قبل ان يستفحل امره . ولذا طاب لها تأديبه في مكيدة « سيراجيفو » ، فاتهمته بها ليتسع امامها المجال الى هذا التأديب

وخوف النمسا من صربيا قديم العهد ، فهو يرجع الى يوم تحرر ذلك البلد من القيد العثماني

تاريخ الدولة الصربية

وفي السنة الـ ١٩١٣ فكرت النمسا في مهاجمة صربيا . وهذا امر معروف . ولم تكن مكيدة « سيراجيفو » وقعت يومذاك . واذا لم تمض النمسا في تحقيق رغبتها فذلك لاعراض ايطاليا عن تأييدها في محاولتها . والنمسا دعت بلغاريا الى مهاجمة الصرب على اثر فوزهم في الحرب البلقانية الاولى ، على انهم فازوا في الحرب البلقانية الثانية



مدينة «سيراجيفو» وفيها قتل ولي عهد النمسا

وقهروا بلغاريا مما زاد في اثارة احقاد النمسا

خمسة قرون من التاريخ

وصربيا رغبت منذ سنة ١٨٠٤ في الخلاص من النير التركي. ومنذ ذلك الحين نقمت عليها النمسا. واول من هز هذا النير تاجر الانعام «قره جورج»، فحرض بني قومه على الاتراك وقد ملكوا صربيا سنة ١٣٨٩ وما برحوا فيها. ملكوها في معركة «كوسوفو» وقضوا عليها. ولكن النخوة الوطنية استيقظت في قلوب الصرب بعد كل ما عانوا من عذاب واضطهاد وثاروا. وقادهم في ثورتهم «قره جورج» وقهر الاتراك. فتغلب عليهم بعد سنتين كاملتين من قتال شديد الوطأة، قاس، صليب

لقد هزمهم في ١٣ آب ١٨٠٦ في موقعة «ميشار». وهذه المعركة دشنت استقلال صربيا. فرفع الصرب رؤوسهم ولفتوا انظار النمسا جارتهم فوقفت منهم على حذر

وفي ذلك الحين قال «ماترنيخ» الداهية السياسي النمسي كلمته المأثورة: «على البلد الصربي ان يكون اما عثمانياً او نمسياً!...»

ووقعت عين النمسا على صربيا تشتهيها. فحاولت ان تميل بها من السلطان العثماني الى السلطان النمسي. وكانت هذه سياستها يوم اعلان استقلال صربيا سنة ١٨٣٠ مع بقائها تحت سيطرة الباب العالي في استانبول، ويوم المناداة باستقلالها سنة ١٨٦٧

وما برحت صربيا في السنة الـ ١٨٦٧ تصدر عن رأي الباب العالي وقد ظل الهلال يلمع بجانب العلم الصربي المثلث الالوان، ولكن السلطة النافذة كانت سلطة الصرب دون سواها. وما موقف الباب العالي غير موقف الواهي، الشاعر بقوته تتضاءل، الا انه يأبى الخيبة والكسوف

***

فتململت النمسا. وخافت ان يؤدي استقلال صربيا الى مطالبتها بما تملك من ولايات يقطنها العنصر الصقلبي كما كانت عليه الحال سنة ١٣٨٩ قبل معركة «كوسوفو». فالدولة الصربية قامت يومذاك على دعائم وطيدة، واتسعت جنباتها، وامتدت الى شطر من بلاد المجر. فاذا ما حاولت بعد استقلالها الحديث العودة الى ماضيها البهيج زعزعت كيان الامبراطورية النمسية

وللحؤول دون هذا الخطر المقلق يجب القضاء على صربيا. وكيف يقضى عليها؟... بوقف نموها وازدهارها كدولة تنهد الى الاستقلال. والطريق الى وقف النمو والازدهار بسط الحماية النمسية على البلاد

الصربية ، وقد ينتهي بسط الحماية الى ضم صربيا الى النمسا عنوة واقتداراً

والخطوة الاولى الى تحقيق هذه السياسة كانت سلخ ولايتي البوسنه والهرسك من تركيا سلخاً نهائياً وادغامها بالنمسا. والولايتان صقلبيتان تحنان الى صربيا الدولة الصقلبية ، ولكن النمسا تأبى الا ان تكونا لها

ورأت صربيا في استئثار النمسا بالولايتين الصقلبيتين غبناً عليها خصوصاً وحدودها باتت واهية من ناحية النمسا ،فلم يكن للنمسيين الا ان يجتازوا من الغرب نهر « درينا » ومن الشمال نهر الدانوب ليمسوا في قلب البلد الصربي

وظهر امتعاض الصربيين قبل الضم النهائي. فالولايتان الصقلبيتان خضعتا في البدء للاشراف النمسي ثم اصبحتا نمسيتين خالصتين . والاشراف النمسي نفذ فيهما في سنة ١٨٧٨ ، فعهد مؤتمر برلين الى النمسا بان تتولى شؤونهما وهما تتظلمان من السيطرة العثمانية ، على ان يظل للباب العالي رأيه فيهما ، ولكن النمسا عبثت في السنة الـ ١٩٠٨ بمشيئة مؤتمر برلين واقصت يد الباب العالي عن الولايتين وملكتهما غير حافلة بكل احتجاج واعتراض

صربيا احتجت واعترضت ...

صربيا احتجت واعترضت وابت ان تنحني امام الجبروت النمسي . فهي لا ترضى عن هذا الضم وهو يحرمها وحدتها . فكانت تنظر الى البوسنه والهرسك مثلها الى جزء منها لا تقوى على الحياة اذا بليت فيه بالحرمان. فالولايتان ضروريتان لها كاليد للانسان ، كالنور للعين . فهما قطعة حية منها ، وفي فقدها تبيت كالمصاب بالشلل ، فلا يتسنى لها ان تحيا بامان

على ان الدول وهي تعلم ان المانيا تناصر النمسا سكتت عما ألمّ بصربيا من حيف . فلم تكن اوربا باجمعها تفكر يومذاك في الحرب

الامير الصربي الاول في عهد الاستقلال

واول امير صربي تولى الامر في صربيا بعد اعلان استقلالها سنة ١٨٦٧ هو الامير « ميلان اوبرينوفيتش». فقد سيطر عليها منذ سنة ١٨٦٨ حتى سنة ١٨٨٩

وكان محبوباً في بلاده، غير انه اخطأ في سياسته . وخطاه زاد في آمال النمسا بامتلاك الدولة الصربية في احد الايام

فالامير ، وقد امسى ملكاً ، خيل اليه ان مصادقة النمسا خير من مصادقة روسيا . وهذا الرأي اثار حوله الاعداء . فالشعب لم يكن من رأي مليكه ، حتى ان امرأته الملكة « ناتالي » لم تكن من هذا الرأي . فهي تميل الى روسيا كسائر ابناء الشعب ، ولكن الملك وقد اعلن كلمته ابى الرجوع عنها . فاصر على موالاة النمسا ليقينه ان من الخير لصربيا ان تحالف النمسيين

وتعصبه لرأيه فصل عنه شعبه. واشتد الخلاف بينه وبين امرأته وبلغ منتهى ما يبلغه كل خلاف . فكان الطلاق . على ان هذا الطلاق زاد في نقمة القوم على الملك «ميلان» فاشتعلت صربيا بالثورة . وخشي الملك ان تتفاقم الحالة وادرك خطأه ، فتنازل عن العرش لابنه الامير اسكندر وابتعد عن مملكته الى باريس يعتزل فيها

على انه وهو يعلن تنازله اشترط على من يتولون الوصاية على ابنه ان لا يجيزوا للملكة « ناتالي »، امرأته المطلقة ، ان تبصر ولدها ملك في الثالثة عشرة من العمر

والامير اسكندر في الثالثة عشرة من العمر . فكان لا بد له من اوصياء يتولون شؤون المملكة ويسهرون عليه . الا ان هؤلاء الاوصياء لم يحسنوا السهر على الملك القاصر ، فما اهتموا بتربيته كما يجب ان ينشأ فتى ينتظره العرش. فترعرع في بيئة تحوطه فيها المكايد. وانجز اوصياؤه وعدهم لابيه فلم يجمعوا بين الفتى وامه . والفتى كان يميل الى الاثنين، الى الاب والام معاً . وساءه ان يعيش في بيئة فاسدة. وانتظر ساعة يخلع فيه عنها الوصاية المرهقة . وحان الحين . فالملك بلغ سن الرشد . ولم يكن منه الا ان دعا ذات ليلة الى مائدته مجلس الوصاية . وفيما يتناولون الطعام نهض الملك الفتى وخاطب رجال المجلس بقوله :

— ايها السادة ، الجيش يعلن الساعة بلوغي سن الرشد ، ومنذ الساعة اصبحت السيد المطلق في هذه المملكة !

فحاول الاوصياء ان يتكلموا فمنعهم من كل كلام . وايدت الامة الصربية ملكها ، فالامم تكره الاوصياء

عودة الاب والام

واول ما بدر من الملك الفتى انه دعا اليه اباه وامه ووفق بينهما. وعين اباه قائداً للجيش . واتجهت النيات الى تزويج الملك . وحدثه بعضهم عن اميرة المانية يقترن بها ويتوطد بهذا القران نفوذه . ولكن الملك مال عن هذا الزواج . فهو يعشق ارملة صغيرة السن ، بهية الطلعة ، تدعى « دراغا ماشين » حام حولها الكثيرون من المعجبين

ولم تسلم المسكينة من اقاويل الناس . فوصفوها بالخروج عن عفافها زاعمين انها كثيرة العشاق ، الا ان هناك من ينفي كل تهمة



القوات الصربية تهاجم النمسيين في المعارك الاولى

عنها ويقول فيها انها قضت ايامها عفيفة طاهرة ، فما اباحت نفسها لسوى الملك

كيف تعرف الملك اليها

و« دراغا ماشين » لم تكن غير وصيفة للملكة « ناتالي » الام. فاعجب الملك بمحاسنها وراقه الجلوس اليها . على ان هذا الاعجاب انقلب الى افتتان ، والافتتان كان حباً مبرحاً . فهام الملك كل الهيام بوصيفة امه . وجهلت الام ما بينهما من صلات. فما وضحت لها الحقيقة الا وقد وقع بين يديها كتاب من « دراغا » الى الملك اسكندر . فتجلى للملكة الامر وطردت « دراغا » من خدمتها . الا ان حب الملك لها لم يتبدل . فظل يهواها . وتسنى له الاتصال بها وامست له خليلة

المفاجأة الراعبة

وفيما الملك ميلان يبحث لابنه عن اميرة المانية ، وفيما يطوف في « كارلسباد » لهذا القصد ، اذاع الملك اسكندر منشوراً اعلن فيه انه سيتزوج « دراغا » في اقرب آن . فكانت مفاجأة راعبة رمت صربيا بالذهول . على ان هذا الذهول ما لبث ان اضحى نقمة . فهاجت صربيا من اقصاها حتى اقصاها . واستفاقت الاقاويل . فردد الناس ما شاع عن « دراغا » من حكايات ووشايات . وما تناولت من رسائل غرام وما كتبت من هذه الرسائل الى محبيها . ومما قال الصربيون انهم راضون عن ان تكون « دراغا » خليلة ملكهم ، اما ان تركب العرش فذلك مما يعارضون فيه كل المعارضة

الوزراء يعزلون !

وكانت صربيا ترقب من مليكها ان يتزوج احدى اميرات البيوت المالكة في اوربا . وعقدت على هذا الزواج آمالها ليقينها انه يزيد في شأن البلد الصربي وستربطه روابط المصاهرة ببيت مالك رفيع العماد . غير ان ما لاح للصربيين من الملك اسكندر رماهم بالخيبة ، فانتفضوا وتشددوا في الحؤول دون هذا الزواج . ووقف الوزراء في صف الشعب يطلبون من الملك ان يميل عن هذه الرغبة السيئة المغبة . فلم يكن من الملك الا ان عزل وزراءه اجمعين

مكيدة لخلع الملك

وازاء هذا الاصرار على الاقتران بفتاة من ابناء الشعب ، بفتاة ليست نقية السمعة ، اتفق رجال البلاط فيما بينهم على خلع الملك عن العرش وانقاذ صربيا من هذا العار . ولكن الملك درى بالمكيدة فعاقب من نظمها واشترك فيها بشدة وقسوة

وردد العالم هذه الانباء . ونظر الجميع بدهش وفضول الى هذه المشكلة . وشعر الملك اسكندر بانه يتخبط في المصاعب . ونظر الى من حوله يلتمس الانقاذ . واستنجد بقيصر روسيا . فما غفل عنه

القيصر ورضي بان يكون شاهده في الزواج

الشعب في كل مكان

على ان الملكة «دراغا» لم تهنأ بزواجها، ولا الملك اسكندر لقي الهناء. فقاومهما الشعب بكره ومقت. ولم يلبث الملك «ميلان» ان مات في «فينا» حزيناً خائباً وقد فجعه ابنه باحلامه في هذا الزواج المنكود

ولمس الملك اسكندر النقمة عليه، نقمة الجميع على اختلاف الطبقات. ومما زاد في النقمة ان الملك قضى بوقف الدستور وحارب زعماء الحزب الراديكالي وامعن في اضطهادهم

وتفاقم الحرج بما شاع يومذاك عن الملكة «دراغا»، فقد قيل انها حاولت ان تتبنى — وهي العاقر — ابناً لاختها توهم به الصربيين انه ابنها وان من حقه ان يرث العرش

وربما كانت هذه الاشاعة كاذبة، على ان الناس آمنوا بها واشتد السخط على الملك والملكة، وهذا السخط شمل رجال الجيش وقد رأوا في الامر اساءة الى العرش، ودفعهم الى اعلان هذا السخط ما لاح لهم من نصرة «دراغا» لشقيقيها وقد رفعتهما الى مراتب سامية في الجيش الصربي ليسا من ذوي الحق فيها

دولتان تتصارعان

ولو وقف الامر عند الصربيين وحدهم لهان ولكان بالمستطاع التفاهم وتوطيد الحال. بيد ان القضية وجدت من يهتم بها من ارباب المصالح الغرباء عن صربيا. فالنفوذ الاجنبي رأى فيها وسيلة للتزاحم والنضال. فالملك اسكندر، وكان يميل في البدء الى النمسا شأن ابيه، عاد فمال الى روسيا وقد رضي القيصر بان يكون له شاهداً في زواجه

فاهتزت النمسا وهي ترى صربيا تفلت منها. فنشرت ذهبها واستعانت بكل وسيلة لديها للوقوف بالملك اسكندر عن ميله الى روسيا، ونجحت في مساعيها. واضطربت صربيا بين مؤيدة للنمسا ومؤيدة لروسيا. واشتد النزاع بين السياستين. وعمدت روسيا الى مقاومة الملك بعدما كانت تتشدد في نصرته

واخيراً!...

وتضايق رجال الجيش. فالحالة لا ترضيهم

وعقدوا مجلساً للنظر في الموقف والخلاص من القلق

وفي هذا المجلس اتفقوا على النيل من الملك والملكة معاً.

فيذهب اثنان وتسلم صربيا!

وكان عددهم ستة وثمانين ضابطاً. فاقسموا على قتل كل من يخون منهم، ومشى في طليعتهم الكولونل «ماشين» وهو شقيق زوج «دراغا» الاول. ومن المعروف عنه انه يكرهها كل الكره

ومما ساعد على جمع هذا العدد من الضباط ان فريقاً منهم يحقد على شقيقي «دراغا» لارتقائهما في الجيش الى مراتب عالية دون ما استحقاق، ومنهم من لقي العزل وقد جاهر باستيائه من عقد قران الملك على امرأة ليست تليق بالعرش. ولا ريب ان هناك من غضب للموقف المخزي وشاء الانتقام لوطنه الجريح دون ما هوى آخر

وعرفت هذه القوة من الضباط كيف تنظم شؤونها في طي الكتمان. وكانوا على يقين ان الغفلة تقودهم الى الموت

واعتمدوا على قوة من الجند شديدة الاخلاص وطلبوا منها ان تطوق القصر، حتى اذا ما فعلت دخلوا على الملك والملكة في سريرهما وقتلوهما معاً

كيف وقعت المأساة؟...

وفي احدى ليالي حزيران ١٩٠٢ دعا الملك والملكة نفراً من المقربين اليهما الى العشاء. وكانا يقيمان في الصرح التركي القديم. وما انتهى العشاء حتى عزفت الموسيقى العسكرية فاصغى اليها الجميع. ولدى نصف الليل انصرف المدعوون واخذت الملكة تنظر في ما يحوي صندوق من الملابس ورد عليها اخيراً من باريس

وما لبثت ان انصرفت الى مخدعها. ولدى الساعة الثانية بعد نصف الليل استيقظت كما استيقظ الملك على انفجار رصاصة امام باب القصر. فحاولا انارة المصابيح فما اضيئت المصابيح والاسلاك الكهربائية مقطوعة. فملكتها الرهبة وقد بدا لهما القصر في ظلام دامس. واطلا من النوافذ فلاحت لهما قوة من الجند حول القصر. وسمعا اطلاق الرصاص، ووقعت في اذانهما صيحات وشتائم واوامر عسكرية جازمة وانفجار مسدسات وحركة مجيء وذهاب في اروقة القصر، فهناك رجال يتنقلون من حجرة الى حجرة. فادركا ما يرقبهما من مصير مظلم وعمدا الى الاختباء في منفذ سري في مخدعهما يخفيه باب حديدي لونه كلون الجدار وليس من يشتبه به

والضباط ارباب المكيدة لم يبلغوا الجنود ما يميلون اليه. فاوهموهم ان عليهم القيام بمهمة سرية ومن واجبهم وهم يحيطون بالقصر ان يعملوا بمشيئة الكولونل «ماشين» دون ما جدال. فالكولونل يعلن فيهم اوامره باسم الملك وليس لهم ان يهتموا بما يجري حولهم من شؤون

رجال الشرطة يدرون ... ولكن ...

وابصر احد رجال الشرطة قوات الجند تسلك ناحية القصر فاطلع بالهاتف رئيسه على ما شهدت عيناه . وكان الرئيس في منزله فلم يكلف نفسه براحه ، بل هو انتهر الشرطي لازعاجه اياه وامره بان يبلغ مخفر المركز ما يجري . ففعل الشرطي . وكان الفوض الموكول اليه امر مخفر المركز غائباً ، فلم يجد الشرطي غير الكاتب . وحار الكاتب في الامر فجهل ما يصنع . ولو شاءت الاقدار ان تستيقظ قوات الشرطة لتبدلت الحال

الاستيلاء على المفاتيح

ولما امسى الجنود امام ابواب القصر دنا نفر من الضباط من احد الابواب كانوا قد اسكروا حارسه واستولوا منه على المفاتيح . ففتحوا ودخلوا . فهب بعض الحراس لمقاتلتهم فقتلوا صف ضباط وجرحوا « بتروفتش » مرافق الملك في ساعده

واصبحوا امام الباب الداخلي ، ومما تواطأوا عليه والضابط حارس هذا الباب ان يفتح لهم حين تبدو منهم الاشارة المتفق عليها . ولكن الضابط كان قد اعماه السكر ، فما اجابهم الى مبتغاهم ، ففقد صبرهم وخافوا ان يتصل الامر بجنود الملك فيلتوي القصد ، فحطموا الباب برصاص الديناميت . وعلا الانفجار فقطع المجرى الكهربائي وايقظ الاهلين فاسرعت جماهير منهم الى القصر . واستفاق الحارس السكران وهو يسمع الانفجار فصرعه ضابط برصاصة من مسدسه ارداه بها وقد اصابته في رأسه

رجال الدرك ينتصرون للملك

وشاء فريق من رجال الدرك ان يتعرضوا للضباط فاشتبكوا والجنود الذين يطوقون القصر في معركة دامية ونالهم الخذلان

ودخل الضباط مخدع الملك فما وجدوه فيه . فايقنوا انه في مكمن سري . فعمدوا الى قرع الجدران كي يهتدوا الى هذا المكمن فاسقط في ايديهم . فاضاؤوا الشموع ومالوا الى تفتيش القصر حجرة حجرة . وجرّوا اليهم المرافق « بتروفتش » وقد اوثقوه وامعنوا في ضربه بحد السيف طالبين منه ان يرشدهم الى مقر مولاه

فابى « بتروفتش » ان يفضح الملك ، بيد انه تظاهر بانه لا يمانع في تلبية النداء . وزعم ان مولاه في القصر الجديد ، ولكن الكولونل « ماشين » ادرك ان في الامر مخادعة فدعا الى قتل المرافق

وعاد الضباط الى مخدع الملك يبحثون عن طريدتهم . ومال احدهم الى اطلاق الرصاص على الجدران للاهتداء الى المنفذ السري . وكان ان اخترقت رصاصة الباب واصابت « دراغا » ، فما استطاعت اخفاء ألمها . وسمعها الضباط تئن فاهتدوا اليها . ففتح لهم الملك وكان والملكة في ثياب النوم

اما التنازل واما دراغا ...

وقيل ان الكولونيل « ماشين » عرض على الملك رقعة يطلب منه فيها التنازل عن العرش او نفي امرأته « دراغا » . فاجابه الملك باطلاق النار عليه . فثار الضباط وقتلوا الملك اسكندر ، ثم اتجهت فوهات مسدساتهم الى « دراغا » يطلقون عليها الرصاص في اماكن من جسمها غير المقاتل ليتلذذوا بتعذيبها . فكانت تصيح مستنجدة وهي في ذعر وألم هائلين حتى قضي عليها

وقيل ان الملك وقد برح مكمنه دنا من الضباط يسألهم عما يريدون وعما فعلوا بيمين الاخلاص التي اقسموها له . فكان ان اطلق عليه احدهم الرصاص وجاراه الآخرون ، فنزعوا من الملك والملكة انفاسهما ، وما اكتفوا ، فمثلوا فيهما اشنع تمثيل ، وحملوهما الى النافذة وطرحوا الجثتين في باحة القصر . ومنعوا اياً كان من الدنو منهما . ولو لم يقبل بعد ساعات معتمد روسيا لظلت الجثتان مطروحتين في الارض . على ان معتمد روسيا تدخل ، ودُفن الملكان بمظهر حقير تعلوه الشتيمة والاهانة . وابى الكولونل « ماشين » ان يدفنا في قبر واحد

وشخص الضباط الثائرون الى دور المقربين الى الملك والى دار رئيس الوزارة والى شقيقي الملكة وسواهم من كبار رجال المناصب وقتلوهم

فاهتز العالم حيال هذه المأساة الرهيبة . ودعت الدول ممثليها من بلغراد ، عاصمة صربيا ، تأبى ان تكون على صلات المودة بدولة تقع فيها مثل هذه الجريمة الفظيعة !



اسرار الجاسوسية والحرب الكبرى

الأسرار

العدد التاسع





الحلفاء يهاجمون الدردنيل برا و

الاسرار

اصحابها : انطون صادر ، كرم ملحم كرم ، فؤاد ميداني

رئيس الانشاء المسؤول: كرم ملحم كرم — منشىء القسم الشرقي: فؤاد ميداني

المكاتبات باسم مدير المجلة : انطون صادر

الادارة مكتبة صادر * شارع اللنبي * بيروت

مجلة اسبوعية تاريخية تبحث في التاريخ وما اهمله التاريخ

العدد ٩ — بيروت في ٣١ ايار سنة ١٩٣٨

اسرار الجاسوسية في القضية العربية

بقلم فؤاد ميداني

الدولة العثمانية تشهر الحرب على لبنان يوم شهرته على الحلفاء

احتلال عاليه يتم بالحيلة والمراوغة

كارثة ضهور الشوير

اخترق العثمانيون ،في اثناء الحرب العالمية ،حرمة استقلال جبل لبنان مرتين قبل ان يقرروا الغاء امتيازات الجبل المعترف بها في الاتفاقات الدولية. فالنظام الدولي النافذ في متصرفية جبل لبنان يمنع العثمانيين حتى من الانتقال بقواتهم في الارض اللبنانية ، غير انهم ما كادوا يعلنون النفير العام في شهر آب ١٩١٤ حتى قاموا يعملون على هدم امتيازات الجبل بكل وسيلة ممكنة

اول قوة عثمانية في عاليه

ولما كانت الدول الضامنة استقلال جبل لبنان قد اشتبكت في الحرب الكبرى ، وكان بعضها يحاول استمالة الدولة العثمانية ، لم تظهر دولة من الدول اهتماماً بالامر يوم اوفد العثمانيون مفرزة من جنودهم الى عاليه

واحتل الجند العثماني بلدة عاليه ،وقام اللبنانيون يحتجون بلهجة وان لم تكن مصبوغة بالشدة المأثورة عنهم فقد احتجوا في كل حال.

ولكن ذكي باشا قائد الجيش الرابع ، وهو الراغب في تسوية الامور بالحسنى ، ما لبث ان وافى متصرفية جبل لبنان بمذكرة مطولة يبدي فيها اللين والرفق والوعد المطاط

ومما اورد قائد الجيش الرابع في مذكرته هذه المؤرخة في ايلول ١٩١٤ قوله :

« ارسال هذه المفرزة الصغيرة الى عاليه لا يقصد منه مس الامتيازات التي يتمتع بها الجبل . فالتدابير العسكرية الحاضرة توجب حماية خطوط السكك الحديدية. ولما كانت عاليه من المدن التي يعتمد الجيش على محطتها في سوق القوات العسكرية فان مهمة المفرزة تنحصر بحماية خطوط السكك الحديدية دون سواها، وليس لها علاقة بسيادة الجبل ، عدا ان مهمتها ستكون موقتة »

* * *

هذه هي خلاصة المذكرة التي بعث بها ذكي باشا قائد الجيش

الرابع الى متصرف جبل لبنان . والحق يقال ان اعمال المفرزة ظلت بضعة ايام لا تتجاوز حماية المحطة ، الا ان القيادة ما لبثت ان زادت المفرزة فامست بلوكا استقر في عاليه وتولى قيادته البنباشي تحسين بك



انور باشا وتحسين بك

تحسين بك من القادة العثمانيين المقتدرين الذين ساعدوا حزب الاتحاد والترقي على النهوض . وهو صديق مخلص لانور باشا الذي اعتمده في هدم استقلال لبنان . وهذا الرسم يرينا تحسين بك واقفاً الى يمين صديقه انور باشا

قائد القوات العثمانية في لبنان

وبعد ايام معدودة خاطبت قيادة الجيش الرابع البنباشي تحسين بك باسم « قائد الحملة العثمانية في جبل لبنان » ، فاحتج مجلس ادارة المتصرفية على هذا الاسم وفيه خرق لحرمة امتيازات لبنان ، الا ان القيادة لم تهتم بهذا الاحتجاج وعادت في تشرين الثاني سنة ١٩١٤ ، على اثر دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية ، وامرت قيادة فرقة بعلبك بايفاد الآلاي ٦٧ لاحتلال بعض المواقع اللبنانية ، وهذا نص الامر :

« الى قيادة الفرقة

« على افراد الآلاي ٦٧ ان يغادروا مراكزهم الحالية في الساعة الرابعة من صباح ١٤ تشرين الثاني سنة ١٩١٤ الى زحله . وتبدأ الرحلة الثانية الى ضهور الشوير في صباح ١٥ منه ، ويقتضي وصول القوة الى هذه الناحية في مساء اليوم نفسه »

* * *

وفي ذلك اليوم تلقت متصرفية جبل لبنان الامر بضرورة اخلاء منازل ضهور الشوير واعدادها باجمعها للجنود الذين تقررت اقامتهم في تلك الجهة

ونفذت في اليوم نفسه الاوامر ، فغادر الآلاي ٦٧ بعلبك قاصداً زحله وكان مؤلفاً من اربعة آلاف جندي هم افراد الطوابير الاول والثاني والثالث يقودهم البنباشي علي رضا بك ، وهو دمشقي الاصل ، وترافقهم بطارية من المدفعية الجبلية ومفرزة من المكارين وقافلة طبية يتولاها الدكتور يعقوب افندي اللبان من طرابلس

وكان قد شخص الى ضهور الشوير الامير امين ابي اللمع قائد درك المتن لابلاغ السكان قرار الحكومة بضرورة اخلاء منازلهم ، ففعلوا على الفور ولم يبقوا فيها غير رياش قليل مما يحتاج اليه الجنود. وفي المساء سلموا مفاتيح دورهم الى الامير امين وغادروا الضهور الى الشوير وهم على اتم ما يكون من الهدوء والسكينة

يوم عاصف

واطل يوم ١٥ تشرين الثاني سنة ١٩١٤ عاصفاً ، شديد الامطار والرعود ، كثيف الضباب ، يصعب فيه على المرء براح منزله . فاقبل فريق من وجهاء زحله ينصحون القائد بالعدول عن رحلته المقررة. فالطريق بين زحله والضهور ، المارة بضهر الحرف فعنطورة ، فالمتين ، صعبة المسالك ، غير معبدة ، قد تدفع الجنود الى المهالك . فما اصغى علي رضا بك الى هذه النصيحة. فاشاروا عليه بان يسلك طريق ضهر البيدر ، صوفر ، بيروت ، ومنها يتسلق الضهور

ولكن القائد رفض هذه النصيحة ايضاً قائلا :

ـــ انا جندي ، والاوامر صريحة تحتم علي الوصول الى ضهور الشوير في هذا المساء ، ولن احيد عن الخطة المرسومة مهما كانت العاقبة !

رحلة غير موفقة

وسارت جنود الآلاي ٦٧ بانتظام من صوفر ، وكانوا لا يزالون يرتدون الملابس الصيفية وينتعلون الاحذية القديمة البالية مما لا يناسب تلك الطريق الوعرة وفي مثل ذلك الجو الصاخب

وتابع الجنود مسيرهم الى ضهر الحرف فدهمهم الضباب وتساقطت عليهم امطار غزيرة تلتها الثلوج فتضعضعت صفوف الجند وبات كل

منهم لا يبصر طريقه ، فدبت الفوضى الى الصفوف وتشتتت هنا وهناك ، وتعالى الصراخ ممن لا يبصرون امامهم وقد سقطوا في الاودية والحفر وقضي عليهم ، وكثيرون منهم اقعدهم البرد عن متابعة المسير فظلوا على قارعة الطريق حتى وافاهم الاجل المحتوم

عودة البطارية

وبلوك المدفعية الجبلية وقد تمكن من الوصول الى ضهر الحرف شعر قائده بانه عاجز عن متابعة السير ، فاعاد البطارية الى زحله دون ان يستأذن قائد الالاي في الامر وقد وضح له ان المضي في المسير على ذلك الشكل يؤدي حتما الى الخلل في ادوات المدفعية ، ولذا آثر ان يعود الى زحله متحملا كل تبعة على ان تبلى المدافع التي يتولى امرها بالتعطيل

والدكتور يعقوب اللبان طبيب الالاي خاف على نفسه في هذا الجو العاصف فقرر العودة مع المدفعية

اما القوات الاخرى فما انثنت عن متابعة الطريق وقد ادركها التعب ونهكت قواها ، وكلما تقدمت ازدادت عليها المصائب والويلات وفقدت في الطريق ما لديها من زاد

السنديانة التاريخية

واجتاح الجيش المناطق اللبنانية بحالة يرثى لها ، وتفرق افراده بين القرى بحالة مؤسفة . ورأى قائده ان يعسكر على مقربة من الشوير ريثما يلتئم شمل قواته . وكتب الى مدير ناحية الشوير يطلب منه النجدة

وجلس علي رضا بك تحت سنديانة المروج يرقب جمع صفوفه وهذه السنديانة ذات شهرة تاريخية ، ففي ظلها استراح منذ نحو من قرن ابراهيم باشا الفاتح المصري المعروف يحيط به قادته ، الا ان الفرق عظيم بين الرجلين ، فقد جاء ابراهيم باشا ليبني ، وجاء علي رضا بك ليهدم . وكان ان اصيب بما حمله على التماس النجدات

مؤتمر لبناني

وتناول مدير ناحية الشوير السيد جميل حبيقه كتاب القائد يقول له فيه:

«الى مدير الشوير

«الجيش في حالة يرثى لها . نحن بحاجة الى طعام ومؤونة ووسائل لنقل المرضى — علي رضا»

فاجتمع المدير بزميله رشيد طعمه مدير ناحية القاطع — وكانت قاعدة هذه المديرية بكفيا — وتحدثا عن الموقف فقر رأيهما على الاستقالة اذ ليس بوسعهما نجدة الجيش وارهاق الاهلين

واتصل الخبر بوجهاء الشوير فجاء بعضهم الى المدير وبينهم الدكتور فؤاد غصن الذي تكلم فقال :

— استقالتكما بهذا الشكل ليست في موضعها ، فانتما من موظفي الادارة ، وفراركما من تلبية طلب القائد معناه خروجكما على اوامر الحكومة . وهكذا تفسحان المجال للعثمانيين لاتهامكما بالخيانة ومعاقبتكما !

فقال مدير الشوير : ولكننا لسنا عثمانيين لنتهم بالخيانة !

قال الدكتور غصن : ألسنا في حالة حرب ؟.. وقوفكما عن اجابة الامر يدعو العثمانيين الى نفيكما مهما تسامحوا حيالكما !

— وماذا يجب ان نفعل ؟

— عليكما دعوة المختارين ووجهاء المنطقة والنظر في الامر ، فما تتفق عليه الكلمة ابلغاه القائد العثماني !

***

وهذا ما تم . فغادر رشيد بك طعمه الشوير الى بكفيا ، وارسل جميل بك حبيقه يدعو مختاري الشوير الثلاثة

وفي المساء عقد الاجتماع وتكلم فيه الدكتور غصن قائلا :

— القوات العثمانية قادمة حتما الى ضهور الشوير ، سواء رضينا او لم نرض . وقد باتت على ابواب المنطقة . فاري ان نقدم لها منذ الان ما تحتاج اليه لتدخل بلدتنا راضية لا غاضبة ، وفي الغضب ما فيه من خطر علينا !

— ولكن الجند يحتاج الى زاد ، وكيف يتسنى ان نوفر الطعام لمثل هذا العدد الكبير ؟

فاجاب الدكتور غصن :

— انا لا اقول ان على الشوير وحدها اطعام هذا الجيش ، بل على المتن كله ، فكل منا يقدم شيئاً . هذا يقدم عشرة ارغفة ، وذاك كمية من الزيتون ، والاخر عدداً من البيض ، فيتوفر لنا من المأكول ما يساعدنا على ارضاء الجيش !

فوافق الجميع على هذا الاقتراح الوجيه ، واوفدوا الرسل في الليلة نفسها الى بتغرين وبكفيا وبيت شباب والخنشارة والشوير . وقرعت اجراس الكنائس في هذه الاماكن وفي المزارع المجاورة لها . واحتشد السكان فابلغهم الرسل ما كان ، فاسرعوا الى تلبية نداء الشويريين وحملت كل بلدة الى الشوير ما جمعت من مؤونة وزاد

٨٦ حملا للجند

وانصرفت نساء الشوير الى المواقد طول تلك الليلة لا فرق بين الفقيرة والغنية وقد اعتزمن استقبال الجنود غير جياع . فاشعلن النيران ونصبن فوقها القدور واخذن في سلق البطاطا والبيض واعداد الخبز للجنود . وفي الصباح كان لدى الاهلين ٨٦ بغلا وعجلة تحمل



الجند العثماني يحتل لبنان

شرذمة من الجنود العثمانية في لبنان واقفة في خنادقها وقد حفرتها على مرتفعات ضهور الشوير بعد خطوتها الاولى في احتلال الجبل اللبناني

الطعام الى بلدة المروج ، البعيدة خمسة اميال عن الشوير ، لتقدم للجنود ما جاء به ابناء المتن ولتنقل مرضاهم الى الشوير

واذا به يبدو ..

واستعدت القافلة للسير ، وتصدر المدير جميل بك حبيقه مركبة جلس بجانبه فيها الدكتور فؤاد غصن . وما كادت الدواليب تتحرك حتى شوهد خيالان يقبلان على جواديهما احدهما الجاويش اللبناني السيد خليل ابو طقه والآخر يرتدي البزة العثمانية . فترجل المدير والطبيب ودنا منهما السيد ابو طقه ، وعرّفهما الى رفيقه ، فاذا هو قائد الالاي ٦٧ علي رضا بك

وابلغهما القائد انه مقبل لتطيير برقية الى القيادة عن مصير الحملة . فاوضحا له ان ليس في الشوير مركز للبرق ، فعليه ان يتجه الى برمانا لهذا القصد

وكان القائد في حالة مؤسفة من التعب والعياء ، فلا يتسنى له بلوغ برمانا على متن جواده ، فعرض عليه المدير مركبته وتطوع الدكتور غصن لمرافقته . فاتجها الى برمانا وسار المدير مع القافلة الى المروج ليقدم للجند ما جمع من زاد

وفي الطريق لقي مدير الشوير مدير القاطع وقد جاء بقافلة اخرى تحمل المؤن . وهكذا انقذ اللبنانيون البقية الباقية من افراد الالاي وكانوا قد ذاقوا الامرين في مجازفتهم غير المحمودة

شكره للبنانيين

وصل القائد علي رضا بك الى برمانا وسار تواً الى دار البرق وطير منها برقية الى تحسين بك في عاليه يعلمه ما توقع له في هذه الرحلة الشاقة . وما نسي ان يشكر اللبنانيين للمساعدة الشائقة التي ابدوها له ولجنوده ، وطلب ان ترفع برقية الشكر هذه الى القيادة العليا . وما كاد يخرج من قيادة البرق حتى لقي بانتظاره امامها عدد من وجهاء المنطقة الذين رحبوا به ترحيباً فائقاً ، ودعاه احدهم ابراهيم بك الاسود الى الغداء عنده

وتمكن الجنود من الوصول الى ضهور الشوير في اليوم الخامس والعشرين من شهر تشرين الثاني ١٩١٤ . وكان قد تفرق اكثرهم في مختلف الجهات بحالة أليمة . واجرت القيادة احصاء تبين منه ان الحملة فقدت في هذه الرحلة ما لا تفقده عادة في المعارك الحربية . فالذين ذهبت البرد بارواحهم ، والذين سقطوا في المهاوي والاودية ، بلغوا ٣٢٧ جندياً عدا العشرات ممن اضطروا الى ملازمة الفراش مدة طويلة .

القائد مسؤول عن الضحايا

واعتبرت القيادة العليا قائد الالاي علي رضا بك مسؤولا عن هذه الضحايا ، وامرت بكف يده عن العمل واحالته الى الديوان العرفي العسكري ، فحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات وباسقاطه من رتبه العسكرية

وكانت هذه المغامرة المحاولة العثمانية الثانية لاحتلال لبنان بقوة الجند الشاهاني

اوهانس باشا يستنجد بالجند العثماني لمنع فتنة مسيحية درزيه
ولكن مجلس لبنان الاداري يرفض النجدة

حديث القائد سليمان شفيق كمالي باشا عما لقي من مصاعب في اقناع المجلس

وانتهى الامر بسلام!

ونذكر بهذه المناسبة ان العثمانيين حاولوا قبل الحرب العالمية مس امتيازات جبل لبنان، ذلك يوم قيادة سليمان شفيق كمالي باشا قائد القوات العثمانية في سوريا وفلسطين ولبنان.

من هو سليمان باشا

وسليمان شفيق كمالي باشا من القادة العثمانيين اللامعين، تولى القيادة في انحاء كثيرة من البلاد العربية. وشملت قيادته قبل الحرب العالمية سوريا ولبنان وفلسطين. فظل فيها حتى اول عام ١٩١٤، وفي اول هذا العام انتقل الى استانبول، وعين بعده ذكي باشا، فاحمد جمال باشا

ولما ارتقى السلطان وحيد الدين الى العرش العثماني تولى لديه سليمان شفيق كمالي باشا وزارة الحرب، وظل في هذا المنصب في وزارة الداماد فريد باشا. ولما انقرضت السلطنة العثمانية جاء الى بيروت وهو مقيم الان فيها

حديث سليمان شفيق باشا

وتحدثنا الى معالي سليمان شفيق كمالي باشا عما اتفق له في صدد امتيازات جبل لبنان فقال:

— عهد الي بقيادة الجيش العثماني في اول نيسان سنة ١٩١٣، وكانت المنطقة التي اتولاها تمتد من حدود مصر الى حدود العراق والحجاز فولاية اطنه. وفي ١٢ نيسان سنة ١٩١٣ غادرت استانبول بالقطار الى قونيه، فاطنه، فرسين، ومن هذه المدينة ركبت الباخرة الى بيروت فوصلتها في ١٧ منه، وكان في استقبالي الوالي حازم بك، وقائد الموقع ناجي بك، وجمهور من الاعيان. فمكثت بضعة ايام في بيروت درست في خلالها الموقف واجبت دعوة اوهانس باشا متصرف الجبل ونظرت واياه في حالة لبنان فباتت لدي معلومات ابتدائية تساعدني على معرفة حقيقة الحالة في البلاد، وعلى الاثر قصدت الى دمشق



✵ سليمان شفيق كمالي باشا ✵

وهو من القواد اللامعين، كانت له مواقف مشهودة في بلاد العرب، وهذا رسمه لما كان على رأس القيادة في سوريا

الجند العثماني يحتل

وبعد ان روى لنا معالي الوزير العثماني الامور المهمة التي اتفقت له في اثناء قيادته في هذه البلاد، وسننشرها في عدد اخر من «الاسرار»، انتقل بنا الى حادث احتلال الجند العثماني للبنان فقال:

— تلقيت برقية من اوهانس باشا بتاريخ ٤ آب سنة ١٩١٣ يقول فيها ان احد الموارنة اقدم على قتل رجل درزي، وان القاتل لجأ الى احد الاديار مما اثار الدروز فاحتشدوا مسلحين في سوق الغرب، وانه يخشى وقوع مذبحة جديدة بين الطائفتين، ولما كانت قوات آلاي الخيالة الموجودة لديه ضعيفة جداً فهو يرجو تعزيزها بحامية جديدة.

وكانت الحالة يومذاك حرجة، فالدولة العثمانية تقاتل دول البلقان، فاقبلت من دمشق الى بيروت وارسلت امراً الى القائد ناجي باشا اطلب منه فيه تجهيز قوة من ٢٥٠ جندياً من خيرة رجاله يعهد بامرها الى عدد كاف من الضباط ووكلاء الضباط الذين يحسنون اللغتين العربية والفرنسية، وعلى هذه القوة ان تستعد للعمل ساعة ترد عليها اوامري

«وغادرت بيروت الى بيت الدين — مقر المتصرفين في ايام الصيف — لمقابلة المتصرف اوهانس باشا بعد ان ابرقت اليه اعلنه زيارتي له.

بين القائد والمتصرف

«ونظام جبل لبنان نص على ضرورة ابقاء آلاي من الخيالة العثمانيين في الجبل، وهذا الالاي كان ضعيفاً بعدده في ذلك الوقت، فطلب اوهانس باشا قوة من الخيالة لتعزيزه، فاعلمته ان آلاي الخيالة الموجود لدينا اتجه الى استانبول للاشتراك في الحرب البلقانية، وان ليس لدينا قوات خيالة كافية، ومع هذا فنحن على استعداد لتزويده بقوة من المشاة.

«فاعترض اوهانس باشا على ذلك قائلا: هذا حسن، ولكن نظام الجبل يمنع دخول قوات غير قوات الفرسان الى لبنان، وليس بامكاني الجزم بهذه القضية، وارى ان اجمعكم بمجلس ادارة المتصرفية لتعرضوا عليه الامر!

«فوافقت على هذا الاقتراح، وفي اليوم التالي قصدت مقر مجلس الادارة واوضحت له حقيقة الموقف، فاعترض رئيس مجلس الادارة بشدة على ما اوضحت معلناً ان المجلس لا يملك الحق في مخالفة قانون الجبل، وان عليّ اذا شئت تحقيق ذلك ان انتظر ريثما يستفتى اللبنانيون في الامر!

«فرأيت ان مباحثة اعضاء المجلس في القضية لا جدوى فيها، وعدت الى نظام الجبل الدولي فاذا احدى مواده تقول: «لامير الجبل اذا وجد قوات الخيالة غير كافية الحق في الاستعانة بالجيش وتزويده بالقوات الكافية من المشاة»

«فوقعت في هذه المادة على ما يؤيد رأيي. وقابلت اوهانس باشا وعرضت عليه نص المادة فحاول في بادىء الامر ان يفسرها على غير ما اردت، الا انه عاد اخيراً واقتنع بها وقبل ان يبرق اليّ طالباً قوة من المشاة

«فدعوت مرافقي الخاص وامليت عليه نص برقية الى ناجي باشا ادعوه فيها كي يجمع القوات المحتشدة لديه في القطار ويدفعها الى سوق الغرب وصوفر. وبعد ساعة من تطيير البرقية ورد عليّ الى بيت الدين جواب من ناجي باشا يعلمني فيه تنفيذه اوامري. فاكتفيت بما كان ودخلت حجرتي في ضيافة المتصرف ورقدت فيها مستريحاً ليقيني اني اتخذت كل حيطة لمنع مذبحة مروّعة بين طائفتين تؤلفان الكثرة الغالبة في لبنان

في بعقلين

«وفي الصباح الباكر غادرت بيت الدين الى بعقلين فاستقبلني فيها الرؤساء الروحيون والوجهاء والاعيان والقوا امامي الخطب واعلنوا استنكارهم لهذه الحوادث وايمانهم بعدل الحكومة. فالقيت ما يجب ابداؤه من نصح وغادرت بعقلين الى بعبدا وفيها اجتمعت ببعض زعماء الموارنة فاظهروا امامي العواطف التي اظهرها الدروز. وعند هذا الحد انتهت القضية وهدأت الضجة. وبعد الحادث باسبوع دعوت الى بيروت القوات التي اوفدتها الى سوق الغرب وصوفر»

***

هذا هو الحديث الذي ادلى الينا به معالي سليمان شفيق كمالي باشا رأينا ان نثبته لايضاح ما كان يبديه اللبنانيون من حرص على امتيازاتهم. ولنقول انهم لم يكونوا راضين في الباطن عن احتلال القوات العثمانية في بدء الحرب لجبلهم اللبناني

الحلفاء يخفقون في البحر فيعمدون الى البر

انور باشا يعهد بالدفاع عن الدردنيل الى «ليمان فون ساندرس»

القائد الالماني يميل الى تبديل الخطط

مصطفى كمال يظهر!

لم يتمكن الحلفاء من اختراق المضايق بحراً والوصول الى بحر مرمره كما كانوا يرجون . فاضطروا الى التراجع وبدأوا ينزلون جنودهم الى البر

وقبل ان نأتي على تفاصيل الحملة البرية ننقل الى قراء «الاسرار» اللائحة الرسمية بخسائر الفريقين في الحملة البحرية

خسائر العثمانيين

عطل مدفع من عيار ٢٤ في حصن «حميديه» الاناضولي وهدمت الشكنة

وتفجرت مستودعات الذخيرة في موقع «شيمنلك» واتلف فيه مدفع من عيار ٢٤

وفي حصن «حميديه» الروملي الاول اتلف مدفع من عيار ٣٥ ونصف وتخرب مدفع آخر

وفي الحصن حميديه «الروملي» الثاني تخربت اربعة مدافع ودك الحصن حتى بات كليلا لا يصلح للدفاع

واتلف ودمر موقع «نمازكاه» وكان عليه مدفعان من عيار ٢١ و٢٤

وفي «خليل ايلي» نسفت مستودعات الذخيرة وعطلت مدفعية هذه المضبة

واتلفت في سائر الحصون بعض المنازل والشكنات ، الا ان هذه الخسائر لم تؤثر في الحصون التي تمكنت من متابعة حركاتها الحربية بامان

ما صرف العثمانيون من قذائف

ولقد اطلقت الحصون والمدفعية العثمانية في اثناء هذه الحركات البحرية ١٩٣٨ قذيفة ، منها ٧٩ قذيفة من حصون حميديه الاناضوليه، و١١٥ من حصون «دردانوس» ، و١٠٨٩ من «مسعوديه» ، و٣٣ من «نمازكاه» ، و٩٣ من حميديه الروملي ، والاخرى من بطاريات «اوتوبوس» الطوابير الاربعة

الخسائر العثمانية في الارواح

والمصادر الموثوقة تشير الى ان خسائر العثمانيين في الارواح بلغت في الضباط ثلاثة قتلى وجريحين ، وفي الجند و ٢٤ قتيلا و ٦٨ جريحاً

خسائر الحلفاء

فالخسائر التي نكب بها العثمانيون في الهجوم البحري الذي قام به الحلفاء كانت قليلة جداً ، على حين ان خسائر الحلفاء كانت جسيمة. فقد غرق للحلفاء في هذه المعركة ثلاث مدرعات حربية هي «بوفه» و «اوسيان» و «ايريزيستيبل» ، واصيبت اربع سفن بخسائر اضطرتها الى التراجع من مواقع القتال، وهي «انفلكسيبل» و«غولوى» و «سوفران» و «اغاممنون»

ومدافع السفن الثلاث التي غرقت هي ١٠ مدافع من عيار ٣٠ ونصف ، ومدفعان من عيار ٢٧ ونصف، و٢٤ مدفعاً من عيار ١٥، و ٨ مدافع من عيار ١٠

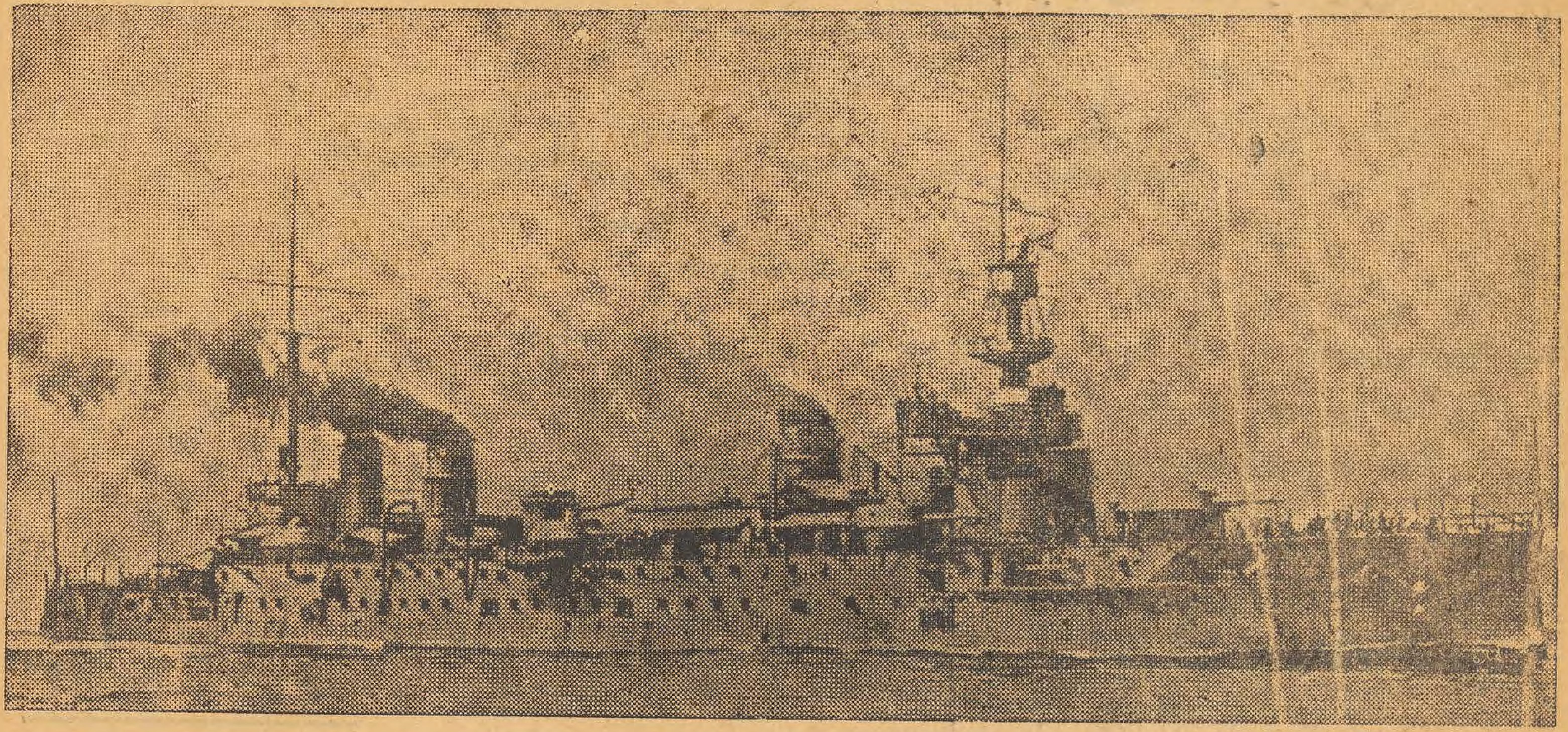
اما الخسائر في الارواح فهي ، كما دل عليها الاحصاء الرسمي الذي نشر بعد الحرب العالمية، ما بين ٨٥٠ و ٩٠٠ نفس

المعركة البرية

لما قرر اللورد كيتشنر الشروع في الهجوم على المضايق ابلغ القائد « هاملتون » ان يقيم جانباً ريثما تظهر له بوادر الفشل في الحملة البحرية، وعند ذاك يبدأ العمل في البر

الاستعداد العثماني

يوم اعلان النفير العام حشد انور باشا ، وكيل القائد العام ، حول العاصمة العثمانية سبعة فيالق ، على حين انه لم ينجد قائد الموقع في « جناق قلعة » بسوى فرقة واحدة هي الفرقة التاسعة التي عهد اليها



المدرعة « بوفه » احدى ضحايا معارك الدردنيل

مدرعة من وحدات الاسطول الفرنسي وقد غرقت في معركة الدردنيل يوم ١٨ اذار سنة ١٩١٥ ، وحمولها ١٢٤١٦ طناً ، وسلاحها اربعة مدافع من عيار ٦ بوصه و ٧ و١٦ مدفعاً من عيار ٤ بوصه و ٦

والقوات التي جهزها الجنرال « هاملتون » مؤلفة من ٨٠ الف جندي مقسمة كما يلي :

اولا ــ فيلق « الانزاك » وهو من جنود اوستراليا و « نيوزيلاندا » ومؤلف من ٢٥ الف جندي

ثانياً ــ الفرقة البحرية الانكليزية العاشرة وعددها عشرة الاف جندي

ثالثاً ــ الفرقة ٢٩ من المستعمرات الانكليزية وعددها ١٧ الف جندي

رابعاً ــ القوات الهندية وعددها ثمانية الاف

خامساً ــ القوات الفرنسية واكثرها من قوات المستعمرات وعددها ٢٠ الف جندي

بالدفاع عن المناطق البرية .

وعسكرت هذه الفرقة مع اركان حربها في « غاليبولي » وضواحيها مما يدل على ان العثمانيين ما كانوا يعتقدون ان بالامكان مهاجمتهم براً في ناحية « جناق قلعة » ، بل في الحدود الروسية والبلقان

وظل الموقف العسكري في هذه الجبهة على هذه الحالة اربعة اشهر كاملة حتى الى ما بعد ضرب اسطول الحلفاء للمضايق في ٣ تشرين الثاني سنة ١٩١٤

وفي ٣٠ تشرين الثاني سنة ١٩١٤ اضيفت الى هذه القوات فرقة ثانية هي الفرقة السابعة من الفيلق الثالث. فجاءت الى غاليبولي وتقدمت قوات الفرقة التاسعة الى « مايدوس »

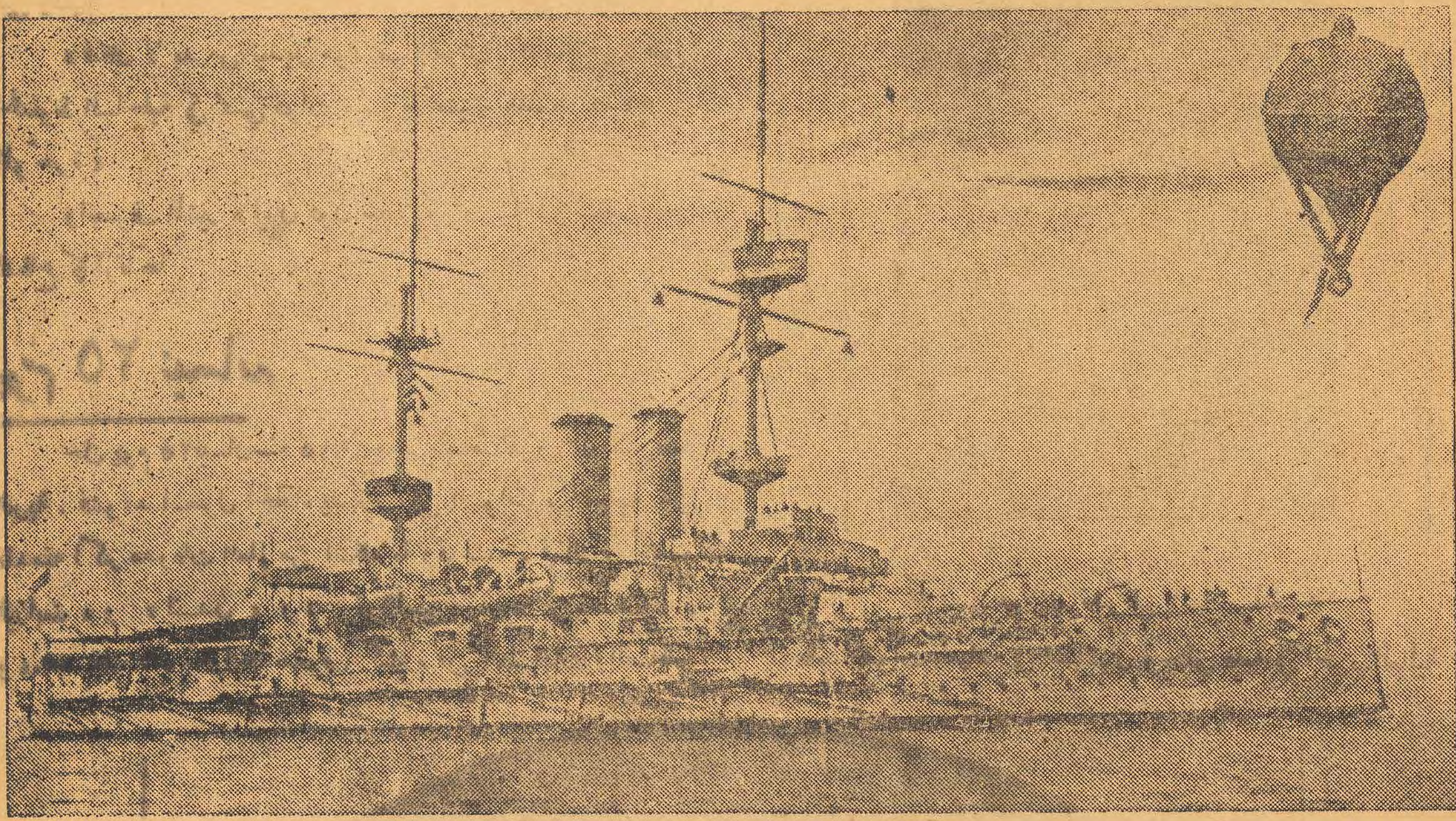
وفي ٣ كانون الاول ١٩١٤ عهد الى قائد الفيلق الثالث بالدفاع

عن المنطقة البرية ، وجاء قائد الفيلق الى غاليبولي وانصرف الى تعزيز وسائل الدفاع البري .

وفي ٢١ كانون الثاني ١٩١٥ انشئت الفرقة ١٩ ونقلت الى « مايدوس » ثم الحقت بها الفرقة الحادية عشرة

عزمه على تأليف الجيش الخامس ورغبته في ان يعهد به اليه للدفاع عن شبه جزيرة جناق قلعه

فوافق القائد الالماني ، البروسياني الاصل ، على رأي انور وانصرف الى اعداد العدة للعمل. وفي ٢٥ اذار شخص الى جناق



المدرعة « اوسيان » وهي من المدرعات الهاوية في الدردنيل

المدرعة « اوسيان » من السفن الانكليزية ، ومعنى اسمها « الاوقيانوس » ، ومحمولها ١٢٩٥٠ طناً ، وسلاحها ٤ مدافع من عيار ١٢ بوصه ، و ١٢ مدفعاً من عيار ٦ بوصات . ويبدو احد الالغام في زاوية الرسم العليا ، ويقال ان المدرعة اصطدمت به فاغرقها

بعد معركة ١٨ اذار البحرية

ولما هاجم اسطول الحلفاء المضايق كانت القوات العثمانية مؤلفة من اربع فرق ، وهي قوة لا شأن لها ازاء الاستعداد الهائل الذي يقوم به الحلفاء لاحتلال المضايق .

ليمان فون ساندرس باشا

والقيادة العثمانية وقد نمي اليها ما يقوم بـه الحلفاء من تدابير ادركت ان القوات الموجودة في المضايق لا تكفي لمقاومة الاعداء ، فدعا انور باشا اليه القائد الالماني « ليمان فون ساندرس » باشا وابلغه

قلعه يرافقه رئيس اركان حربه. فدرسا الموقف العسكري درساً دقيقاً وبحثا في المراكز الصالحة للدفاع وفي المراكز التي يمكن الحلفاء ان يستفيدوا من مواقعها لانزال جنودهم الى البر .

واول ما قام به القائد الالماني ان عارض في التدابير المتخذة وعمد الى تبديلها ، ومما نصت عليه مذكراته في هذا الصدد قوله :

الموقف بقلم المشير « ليمان »

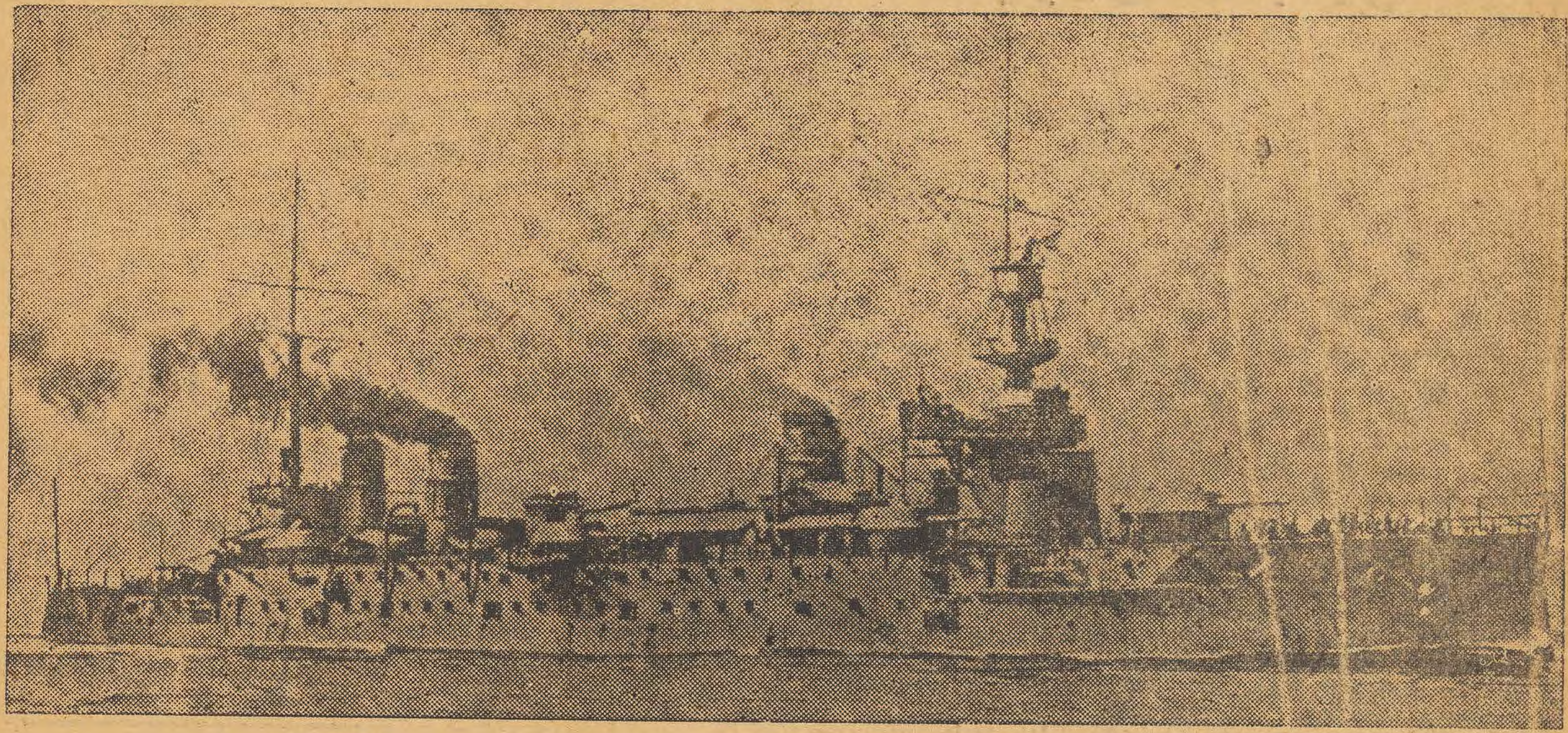
«قضت الحالة التي شاهدتها يوم ٢٦ اذار سنة ١٩١٥ ، حين وصولي الى جناق قلعة ، بتبديل تنظيم الفرق الخمس المعسكرة هناك. ذلك ان تنظيمها لا يتفق وما يقتضيه الموقف العسكري . فكانت

المعركة البرية

لما قرر اللورد كيتشنر الشروع في الهجوم على المضايق ابلغ القائد « هاملتون » ان يقيم جانباً ريثما تظهر له بوادر الفشل في الحملة البحرية، وعند ذاك يبدأ العمل في البر

الاستعداد العثماني

يوم اعلان النفير العام حشد انور باشا ، وكيل القائد العام ، حول العاصمة العثمانية سبعة فيالق ، على حين انه لم ينجد قائد الموقع في « جناق قلعة » بسوى فرقة واحدة هي الفرقة التاسعة التي عهد اليها



المدرعة « بوفه » احدى ضحايا معارك الدردنيل

مدرعة من وحدات الاسطول الفرنسي وقد غرقت في معركة الدردنيل يوم ١٨ اذار سنة ١٩١٥ ، وحمولها ١٢٤١٦ طناً ، وسلاحها اربعة مدافع من عيار ٦ بوصه و ٧ و١٦ مدفعاً من عيار ٤ بوصه و ٦

والقوات التي جهزها الجنرال « هاملتون » مؤلفة من ٨٠ الف جندي مقسمة كما يلي :

اولا — فيلق « الانزاك » وهو من جنود اوستراليا و« نيوزيلاندا » ومؤلف من ٢٥ الف جندي

ثانياً — الفرقة البحرية الانكليزية العاشرة وعددها عشرة الاف جندي

ثالثاً — الفرقة ٢٩ من المستعمرات الانكليزية وعددها ١٧ الف جندي

رابعاً — القوات الهندية وعددها ثمانية الاف

خامساً — القوات الفرنسية واكثرها من قوات المستعمرات وعددها ٢٠ الف جندي

بالدفاع عن المناطق البرية .

وعسكرت هذه الفرقة مع اركان حربها في « غاليبولي » وضواحيها مما يدل على ان العثمانيين ما كانوا يعتقدون ان بالامكان مهاجمتهم براً في ناحية « جناق قلعة » ، بل في الحدود الروسية والبلقان

وظل الموقف العسكري في هذه الجبهة على هذه الحالة اربعة اشهر كاملة حتى الى ما بعد ضرب اسطول الحلفاء للمضايق في ٣ تشرين الثاني سنة ١٩١٤

وفي ٣٠ تشرين الثاني سنة ١٩١٤ اضيفت الى هذه القوات فرقة ثانية هي الفرقة السابعة من الفيلق الثالث. فجاءت الى غاليبولي وتقدمت قوات الفرقة التاسعة الى « مايدوس »

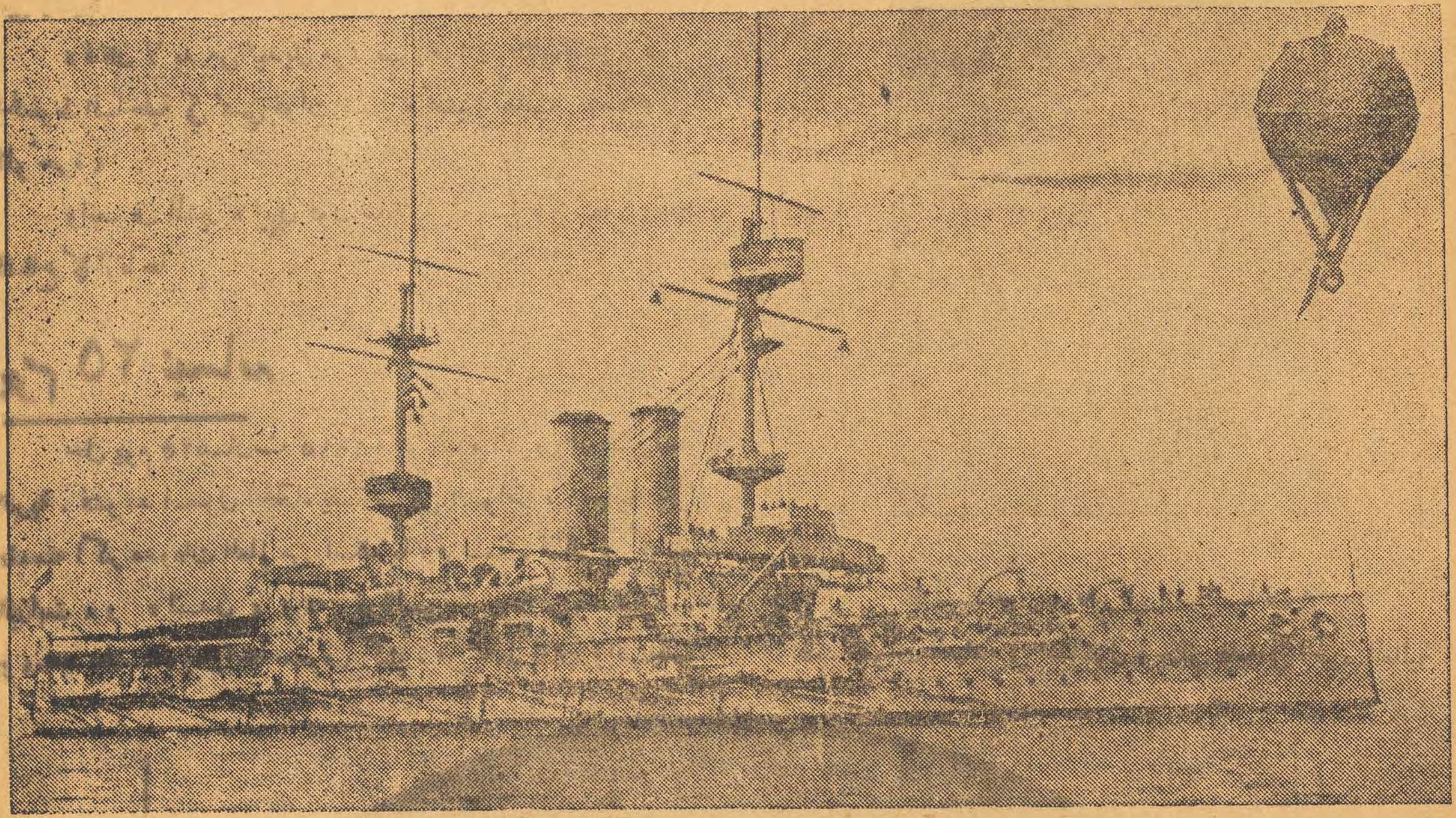
وفي ٣ كانون الاول ١٩١٤ عهد الى قائد الفيلق الثالث بالدفاع

عن المنطقة البرية ، وجاء قائد الفيلق الى غاليبولي وانصرف الى تعزيز وسائل الدفاع البري .

وفي ٢١ كانون الثاني ١٩١٥ انشئت الفرقة ١٩ ونقلت الى « مايدوس » ثم الحقت بها الفرقة الحادية عشرة

عزمه على تأليف الجيش الخامس ورغبته في ان يعهد به اليه للدفاع عن شبه جزيرة جناق قلعه

فوافق القائد الالماني ، البروسياني الاصل ، على رأي انور وانصرف الى اعداد العدة للعمل. وفي ٢٥ اذار شخص الى جناق



المدرعة « اوسيان » وهي من المدرعات الهاوية في الدردنيل

المدرعة « اوسيان » من السفن الانكليزية ، ومعنى اسمها « الاوقيانوس » ، ومحمولها ١٢٩٥٠ طناً ، وسلاحها ٤ مدافع من عيار ١٢ بوصه ، و ١٢ مدفعاً من عيار ٦ بوصات . ويبدو احد الالغام في زاوية الرسم العليا ويقال ان المدرعة اصطدمت به فاغرقها

بعد معركة ١٨ اذار البحرية

ولما هاجم اسطول الحلفاء المضايق كانت القوات العثمانية مؤلفة من اربع فرق ، وهي قوة لا شأن لها ازاء الاستعداد الهائل الذي يقوم به الحلفاء لاحتلال المضايق .

ليمان فون ساندرس باشا

والقيادة العثمانية وقد نمي اليها ما يقوم بـه الحلفاء من تدابير ادركت ان القوات الموجودة في المضايق لا تكفي لمقاومة الاعداء ، فدعا انور باشا اليه القائد الالماني « ليمان فون ساندرس » باشا وابلغه

قلعه يرافقه رئيس اركان حربه. فدرسا الموقف العسكري درساً دقيقاً وبحثا في المراكز الصالحة للدفاع وفي المراكز التي يمكن الحلفاء ان يستفيدوا من مواقعها لانزال جنودهم الى البر .

واول ما قام به القائد الالماني ان عارض في التدابير المتخذة وعمد الى تبديلها ، ومما نصت عليه مذكراته في هذا الصدد قوله :

الموقف بقلم المشير « لمتان »

«قضت الحالة التي شاهدتها يوم ٢٦ اذار سنة ١٩١٥ ، حين وصولي الى جناق قلعة ، بتبديل تنظيم الفرق الخمس المعسكرة هناك. ذلك ان تنظيمها لا يتفق وما يقتضيه الموقف العسكري . فكانت

مقسمة على طول الساحل ومستندة الى اصول التنظيم القديم مما يطلق للعدو حريته في حركاته . فهو اذا لم يجد المقاومة الكافية استطاع التقدم . ولما كانت الخطة الموضوعة لا تؤمن انشاء جبهة في مؤخرة الجيش . فالحلفاء سيقوون على بلوغ هدفهم دون ان تملك القوة الكافية على وقفهم

« فكان لا بد من تبديل موقف القوات الثابتة على طول الخطوط الساحلية كي تمسي قوات سيارة تحميها خطوط للدفاع في المؤخرة »

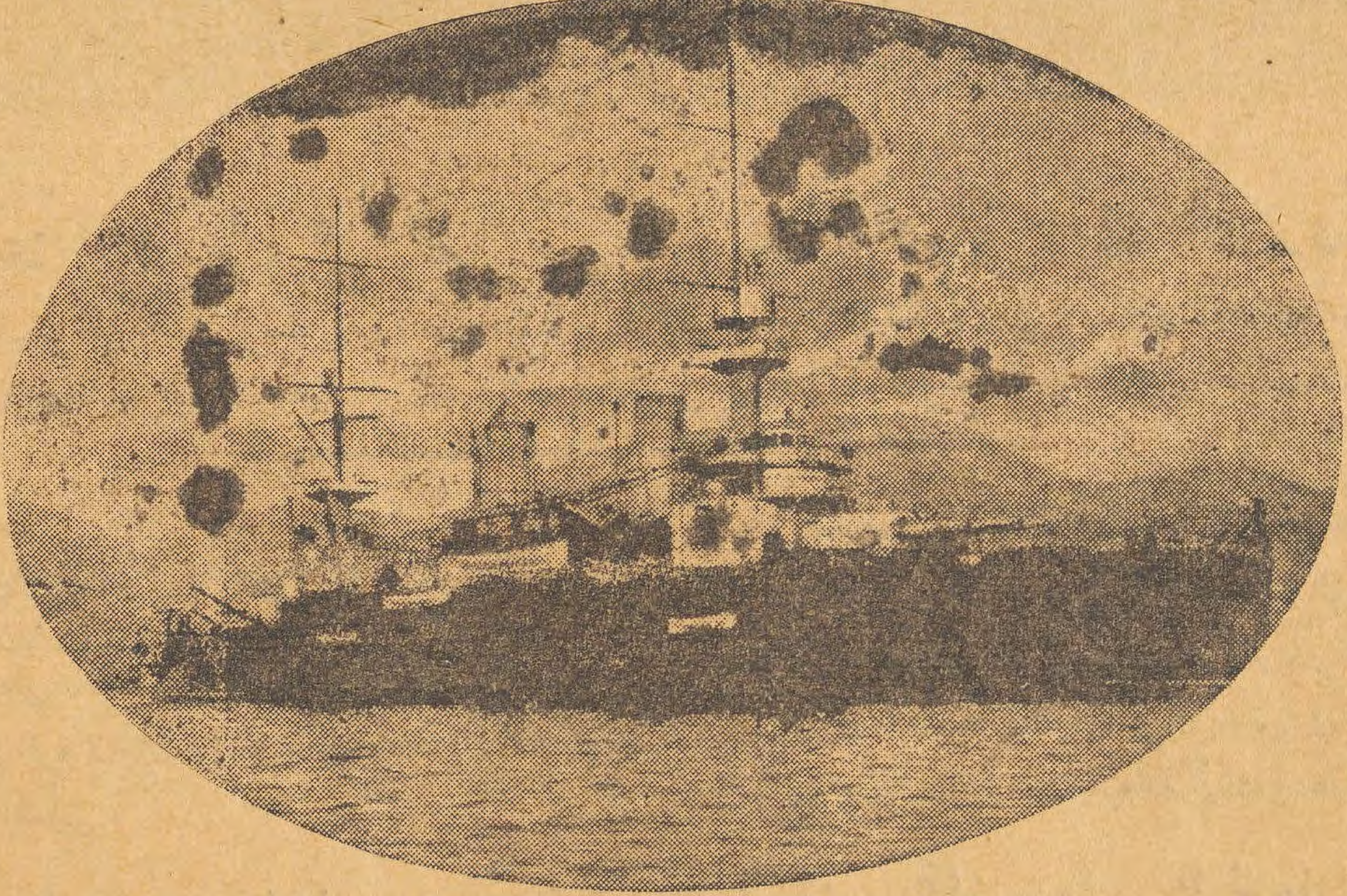
وانصرف المشير « ليمان فون ساندرس » باشا الى تنظيم خطة الدفاع كما ارتآها

يوم ٢٥ نيسان

حل يوم ٢٥ نيسان سنة ١٩١٥ وهو اليوم المقرر لحملة جناق قلعة البرية . فشوهد اسطول الحلفاء يقترب من الشواطىء العثمانية وفي مقدمته اكبر مدرعات العالم من انكليزية وفرنسية . فهناك « كوينغ اليزابت » و « لندن » و « برتوفاليس » و « تريومف » ، و « ماجستيك » ، ووراءها صفوف كثيرة من الطرادات والنسافات



✵ ليمان فون ساندرس باشا الالماني ✵
قائد القوات العثمانية في استانبول وجناق قلعه في الحرب العالمية



المدرعة « غولوى » الفرنسية وقد اشتركت في حرب المضايق

اصيبت المدرعة « غولوى » الفرنسية باضرار جمة في اثناء معركة ١٨ اذار سنة ١٩١٥
وقد حاول فيها الحلفاء اختراق مضيق الدردنيل ولهذه المدرعة شأن في انزال الجنود الى البر

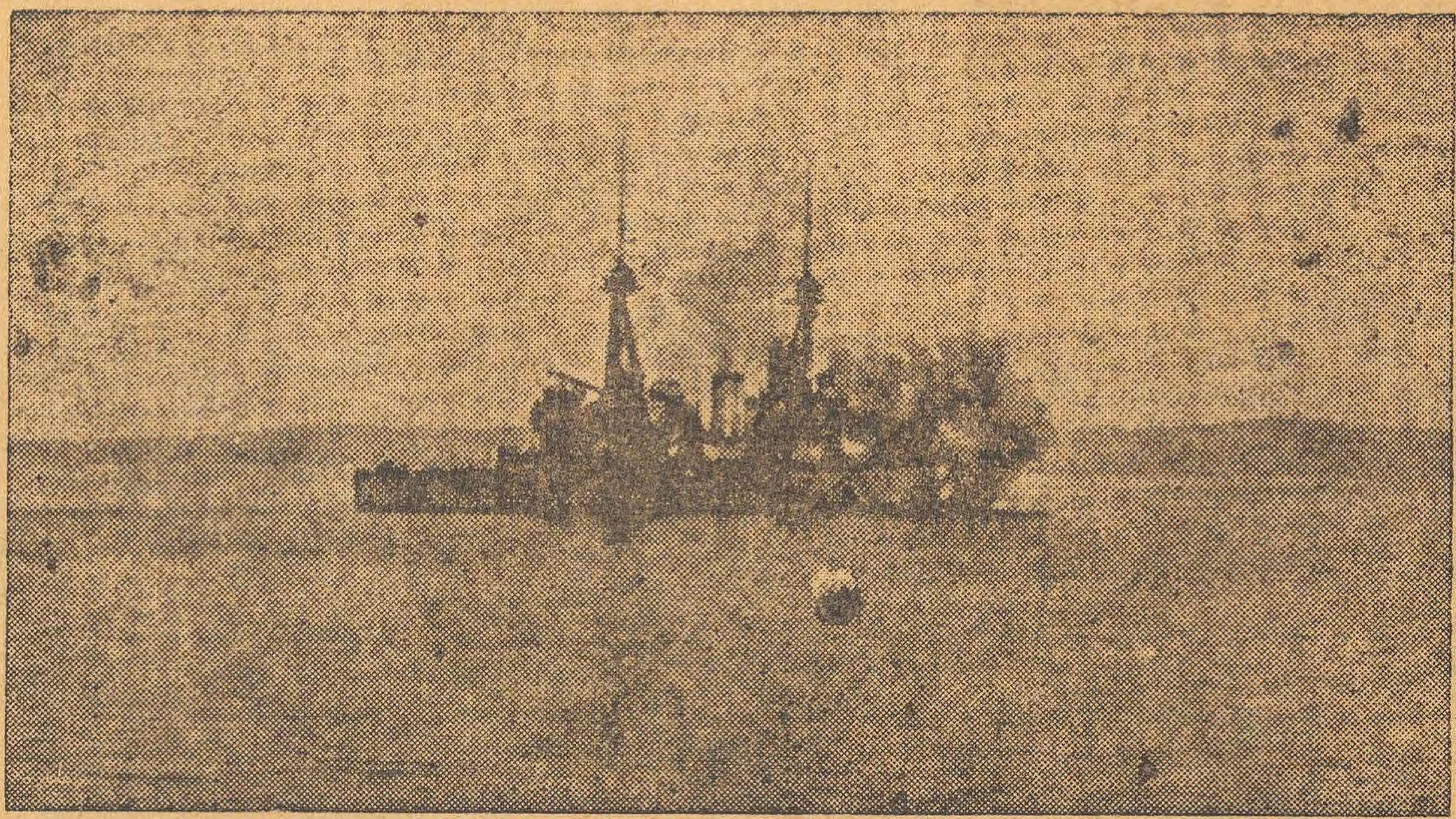
والمدمرات ، ومئات من السفن التي تقل جنود الحملة — وهم ٨٠ الفاً كما قلنا — وكانت تقترب من الساحل .

وشاهد الحراس العثمانيون الذين يتولون مراقبة الساحل هذه المئات من السفن التجارية والحربية تقترب قبل شروق شمس ٢٥ نيسان من الساحل فابدوا اشارة الى المعسكر العثماني يقولون بها :

وشب حريق هائل في « اري بروني » و « سد البحر » وهما هدف الحلفاء الاول في احتلال شبة جزيرة جناق قلعة

الانباء الرسمية

وفي الساعة الخامسة صباحاً ، اي بعد قيام الاسطول بحركاته



المدرعة « انفلكسيبل » من قطع الاسطول الانكليزي في الدردنيل

وهي من المدرعات التي تضررت في معركة الدردنيل الكبرى ، وقد اخذ لها هذا الرسم وهي تلقي قذائفها على المركز العثماني

— جاء العدو !

فملك العثمانيون في هذه المرة نفوسهم ولم يعمدوا الى اطلاق رصاصة او قذيفة على العدو وقد اخذ يقترب منهم بجحافله الجرارة والحلفاء ، وكانت مدرعاتهم تستعد للمقاومة ، وابهم هذا السكون الشامل ، فظنوا في بادىء الامر ان شبه جزيرة جناق قلعه المترامية الاطراف خالية من السكان والجند ، ولذا اقتربت منها السفن بهدوء تام

بدء المعركة

وفي الساعة الرابعة والنصف من صباح ٢٥ نيسان بدأت المدرعة « تريومف » الفرنسية تمهد الطريق للهجوم العام باطلاقها مدافعها على المواقع العثمانية. وكانت هذه الطلقات اشارة لسائر قطع الاسطول باطلاق نيرانها . فانفجر على شبه جزيرة جناق قلعه ما هو شبه بالبركان . فلم تكن هناك غير قذائف تتطاير وتنفجر بدوي يصم الاذان .

الحربية بنصف ساعة ، كانت الانباء الواردة على القيادة العثمانية تقول:

« شوهدت سفن الاعداء في جوار « بشيغه » على الساحل الاناضولي ، ولم يتم حتى الان ازال جنود في هذه المنطقة. فالعدو انزل جنوده في موقع واحد من مركز « قوم قلعه » ، وانزلت قوات انكليزية كبيرة العدد في شبه جزيرة غاليبولي في مواقع سد البحر ، و« تكه بروني » ، ومصب بحيرة « صفين دره » ، ومرفأ « مورتور »

«ان جميع الاقسام الساحلية والمرتفعات المحيطة بها تضربها بصورة مستمرة المدرعات الانكليزية

« وانزلت قوات كافية من الجنود شمالي « قبه تبه» وفي ضواحي « اري بروني»

***

وبعد نصف ساعة من هذه الانباء ورد على القيادة نبأ يقول ان اساطيل الحلفاء اصطفت بشكل نصف حلقة حول شبه جزيرة غاليبولي لتوسيع نطاقها في ضرب شبه الجزيرة من اطرافها الثلاثة

وشوهدت قطع حربية وبواخر من ناقلات الجنود تقترب من

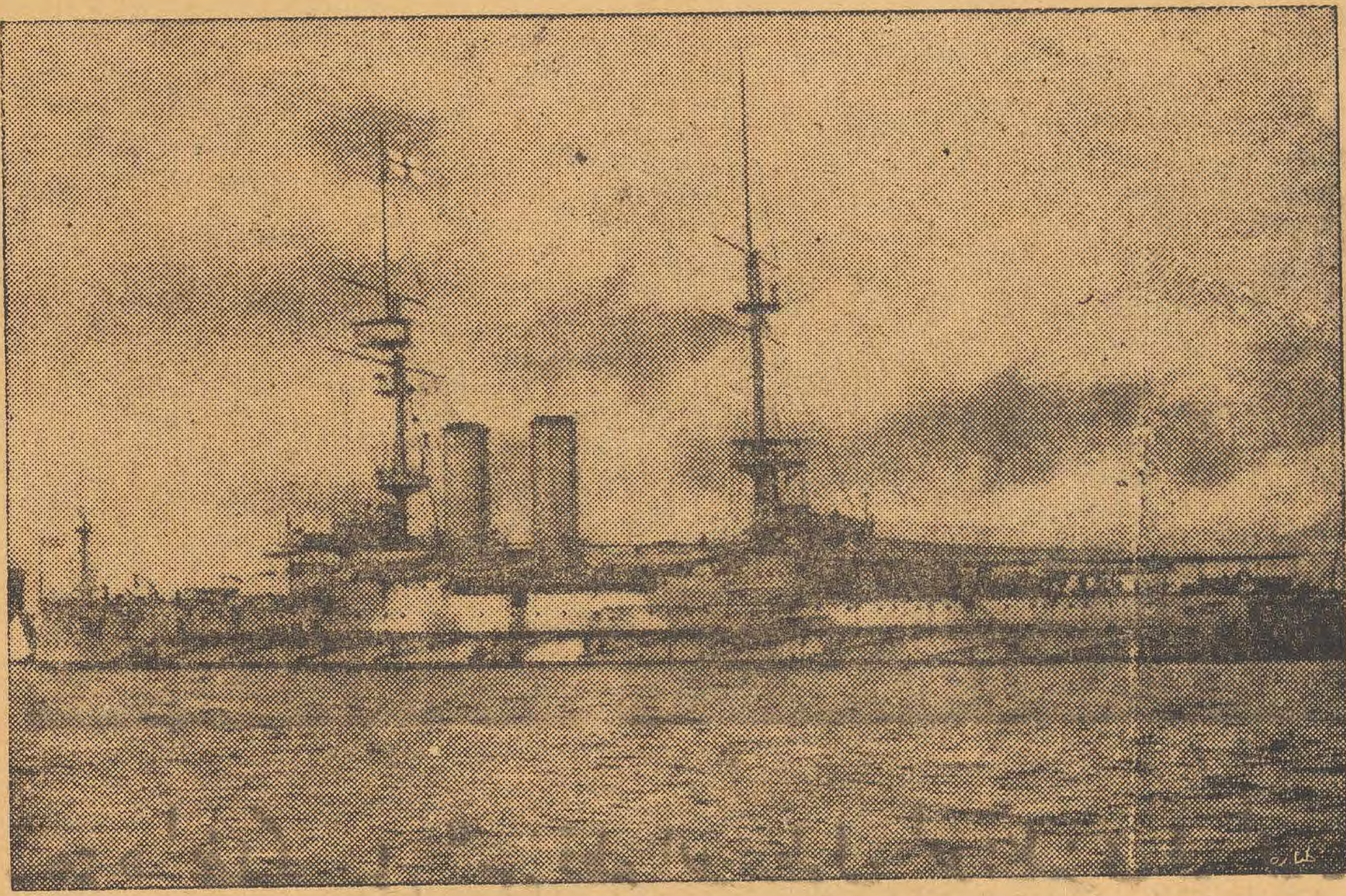
خليج «ساروس» وهو اقرب موقع للقيادة العثمانية في ميدان الحرب الجديد

خوف القائد الالماني

وهذه الانباء اقلقت القائد «ليمان فون ساندرس» باشا فاضطرب

الرابع من الطابور الثاني التابع للالاي ٢٧ يقودها اليوزباشي فائق وروى لنا اليوزباشي فائق الحادث فقال :

ــ كانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل لما جاءني الخفيران الكشافان ادريس وجميل يعلمان انهما شاهدا سفن الاعداء عن بعد، فقمت الى المنظار اتبين الافق فلاحت لي سفن كثيرة مقبلة الينا،



المدرعة «ايريزستيبل» من ضحايا معارك الدردنيل

هي مدرعة انكليزية والضحية الثالثة من اسطول الحلفاء في معارك المضيق العثماني ، وقد غرقت ظهر ١٨ اذار سنة ١٩١٥

حيال هذه الحركة الواسعة التي قام بها الحلفاء وهو لم يكن يظن ان حركة الحلفاء ستتعدى خليج « ساروس » ، فحشد قواته الرئيسية في تلك الجهات معتقداً ان محاولات الحلفاء في انزال الجنود في « آري بروني » وضواحيها لم تكن لسوى الخدعة ، فتمسك بقوته الرئيسية وراء جبهة « ساروس » تمسكا دل به على جهل مطبق سيقف قراء « الاسرار » على حقيقته الراهنة في التفاصيل التي سننقلها اليهم عن حوادث انزال الجند في مختلف جبهات القتال في هذه المنطقة

كيف احتل الحلفاء جناق قلعه ؟

لما انزل الانكليز القوات الاولى من حملتهم الى ساحل « آري بروني » كان عدد هذه القوات اربعة آلاف جندي من فيلق « الانزاك » الاوسترالي النيوزيلاندي ، ولم يكن تجاههم في منطقة يبلغ اتساعها اربعة اميال غير قوة صغيرة من العثمانيين من افراد البلوك

فابلغت النبأ بالهاتف الى عصمت بك قائد الطابور المقيم في «قبة تبه»، الا انه خفف من تأثري قائلا :

« ـــ لا تخف ، اذا شاء الاعداء انزال جنودهم الى البر فلن يحرجوك في منطقتك بل ينزلونهم في منطقتي هنا في « قبه تبه ». فعليك بالهدوء وبمراقبة حركات هذه السفن !

« وعدت ارصد السفن فاذا بها تقترب وقد ظهر لي منها ان وجهتها مناطقنا الساحلية ، فابلغت الامر قائد الطابور فقال :

«ـــ كم هو عدد المدرعات وعدد البواخر ؟

«ـــ ليس في امكاننا معرفتها تماماً وهي كثيرة !

«وفي الساعة الثالثة حجب الضباب عنا نور القمر فساد الافق ظلمة قاتمة لم اتمكن فيها من رؤية البحر نحواً من ساعة كاملة .

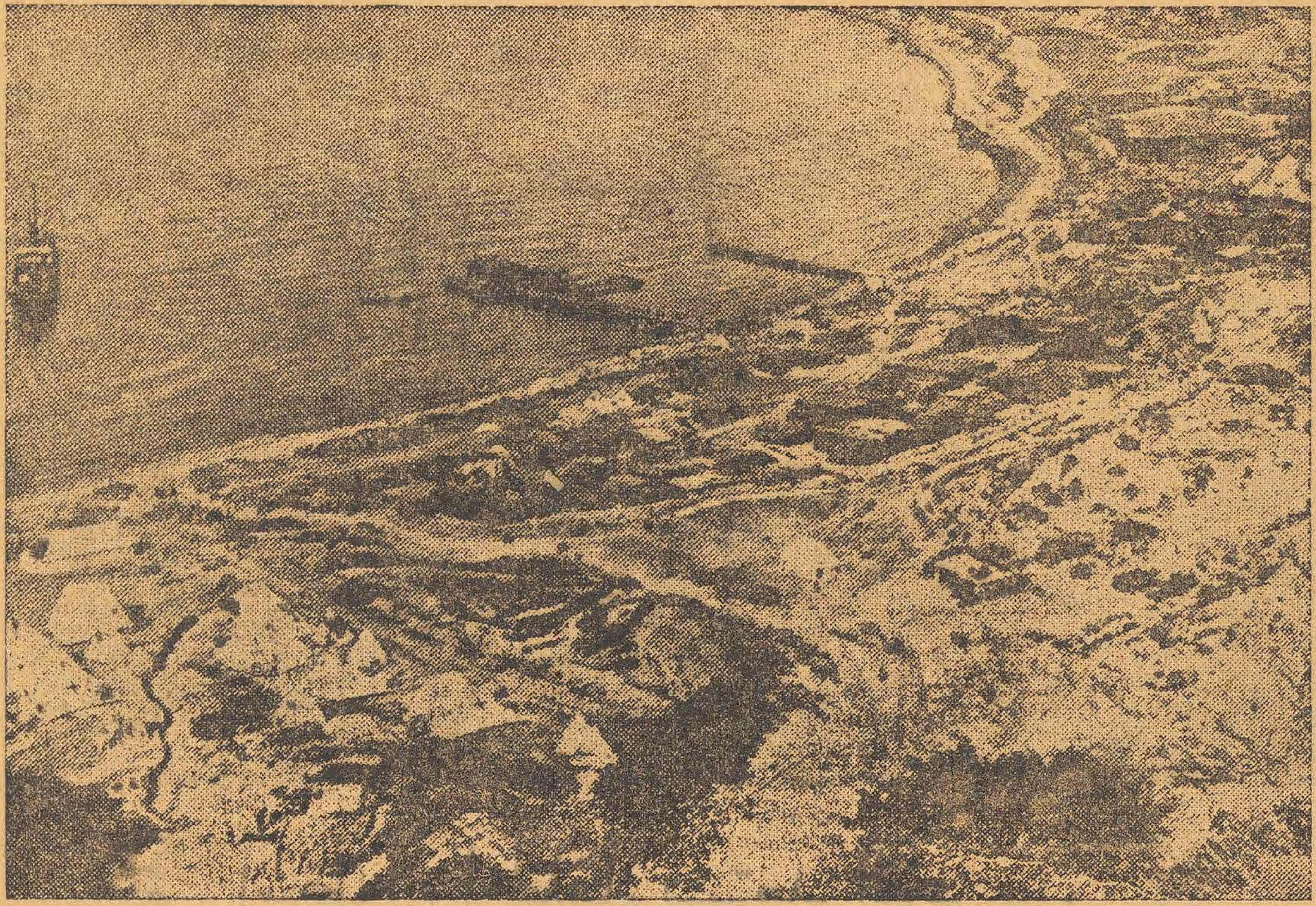
« واذا العدو يباغتنا بقصف المدافع وقد بدأ اطلاق قذائفه على

مراكزنا الامامية . وسمعت من جهة الشاطىء الممتد شمالي « اري بروني » ازيز الرصاص . ذلك ان القطع الحربية الصغيرة اقتربت جداً من الساحل واخذت تمطر مراكزنا بوابل من مدافعها الرشاشة، فبتنا تجاه رصاص الرشاشات وقذائف الاسطول وكانت تمر فوق رؤوسنا فتهلع لها اشد القلوب صلابة

« واول ما قمت بـه السير بقواتي الاحتياطية الى المرتفعات

خصوصاً وليس لدينا مدفع واحد ولا رشاش . ومع هـذا فما كدت ارى جنود الحلفاء يتقدمون في الشاطىء حتى امرت مفرزة احمد جاويش باطلاق النار

« واخذت ارى بعض جنود الاعداء يسقطون اما في الشاطىء واما في البحر وفي الزوارق ، مما دلني على ان جنودي عرفوا كيف يصيبون الهدف .



ساحل « اري بروني » وقد نزلت به قوات الحلفاء في جناق قلعه

ساحل « اري بروني» وهو اول مكان اعتمده الحلفاء لانزال جنودهم واحتلال شبه جزيرة جناق قلعه . وقد دارت في هذه الجبهة معارك شديدة يرى القراء تفاصيلها في هذا العدد من « الاسرار »

المسيطرة على « اري بروني» واتخذتها استحكامات واقية . واوليت قيادة هذه القوة احمد جاويش وابلغت ذلك قائد الطابور وتوليت بنفسي قيادة القوات الاخرى .

«وكان المنظر البادي لنا مدهشاً حقاً. فقد استقرت بجانب الشاطىء اساطيل الحلفاء وبينها عشرات من الزوارق تنقل الجنود بسرعة الى الشاطىء ، وكانت تقف عند الرمال ويثب منها الجنود الى البر وتحميها القطع الحربية الصغيرة بضرب السواحل بمدافعها الرشاشة .

« وكنا نشاهد هذه البادرة ولا نحرك ساكناً . ومن الصعب علينا اطلاق الرصاص والمسافة بيننا بعيدة لا يتسنى لنا بها اصابة الهدف،

تراجع العثمانيين

« ولكن هذه الحالة لم تدم طويلا . فالقوات الانكليزية اللجبة ما لبثت ان احتلت المراكز الامامية وبات البلوك الرابع في حالة مؤسفة وقد اوشكت ذخيرته ان تنفد، ولم يبق له اتصال بالمؤخرة . فاغتنم الانكليز الفرصة وتقدموا فاحتلوا المرتفعات التي كان يشغلها البلوك الرابع وتوالى تقدمهم من ناحية « قوجه جشمه » وتراجعت القوات العثمانية .

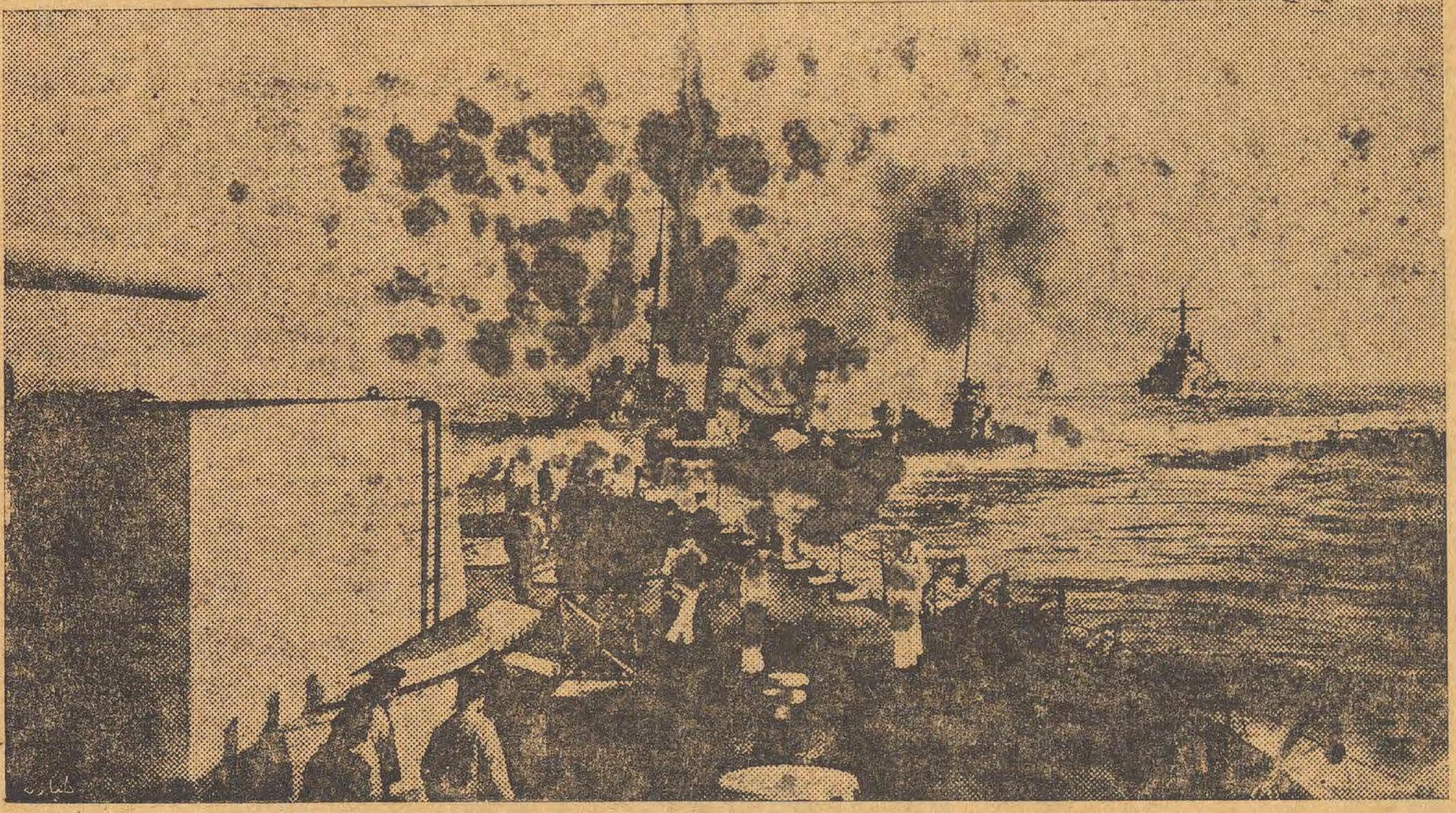
اول ضابط قتيل

« وكان مصير البلوك الثاني اسوأ مما آل اليه امر البلوك الرابع وقواته اقرب الى الساحل. فانصب عليه رصاص الرشاشات من القطع البحرية عن مسافة خمسمئة ذراع . واقبلت قوات الاحتلال وحاصرته من الجهة البحرية ، واندفعت اليه قوة اخرى من ساحل «كل تبه»

العثمانية . وعهدت القيادة الانكليزية بهذه المهمة الى ١٥ الف جندي تتألف منهم الآلايات الاول والثاني والثالث والرابع والخامس ، ووضع خطة العمل القائد « بريدفورد » قائد فيلق « الانزاك »

كيف نزل جنود الحلفاء الى البر ؟

« واول فرقة نزلت الى الساحل عددها اربعة آلاف جندي تؤلف ثلاثة طوابير من الجنود الاوسترالية يقودها امير آلالاي



اسطول الحلفاء يستعد للحرب

منظر وحدات الاسطول الانكليزي والفرنسي تشق عباب البحر ووجهتها شبه جزيرة جناق قلعة استعداداً لضرب المراكز العثمانية كي تمهد الطريق لانزال الجنود في البر

فامسى بين ثلاث نيران وتساقط افراده صرعى. وكان قائده اليوزباشي اسماعيل حقي بك اول ضحايا الضباط في هذه المعركة البرية ، ولم ينج من افراد هذا البلوك البائس غير عدد قليل جداً»

خطة الانكليز

وتبين لنا من الاوامر التي وردت على فيلق « الانزاك » الانكليزي انها قضت عليه في ذلك اليوم ببلوغ مرتفعات « قبه تبه » وتأمين وصول جناحه الايسر الى المرتفعات الممتدة حتى « اري بروني » ، ثم السير الى الامام لقطع خطوط المواصلات العثمانية ، ثم السعي للاتصال بالقوات التي نزلت في سد البحر وتطهير هذه المنطقة الواسعة من القوات

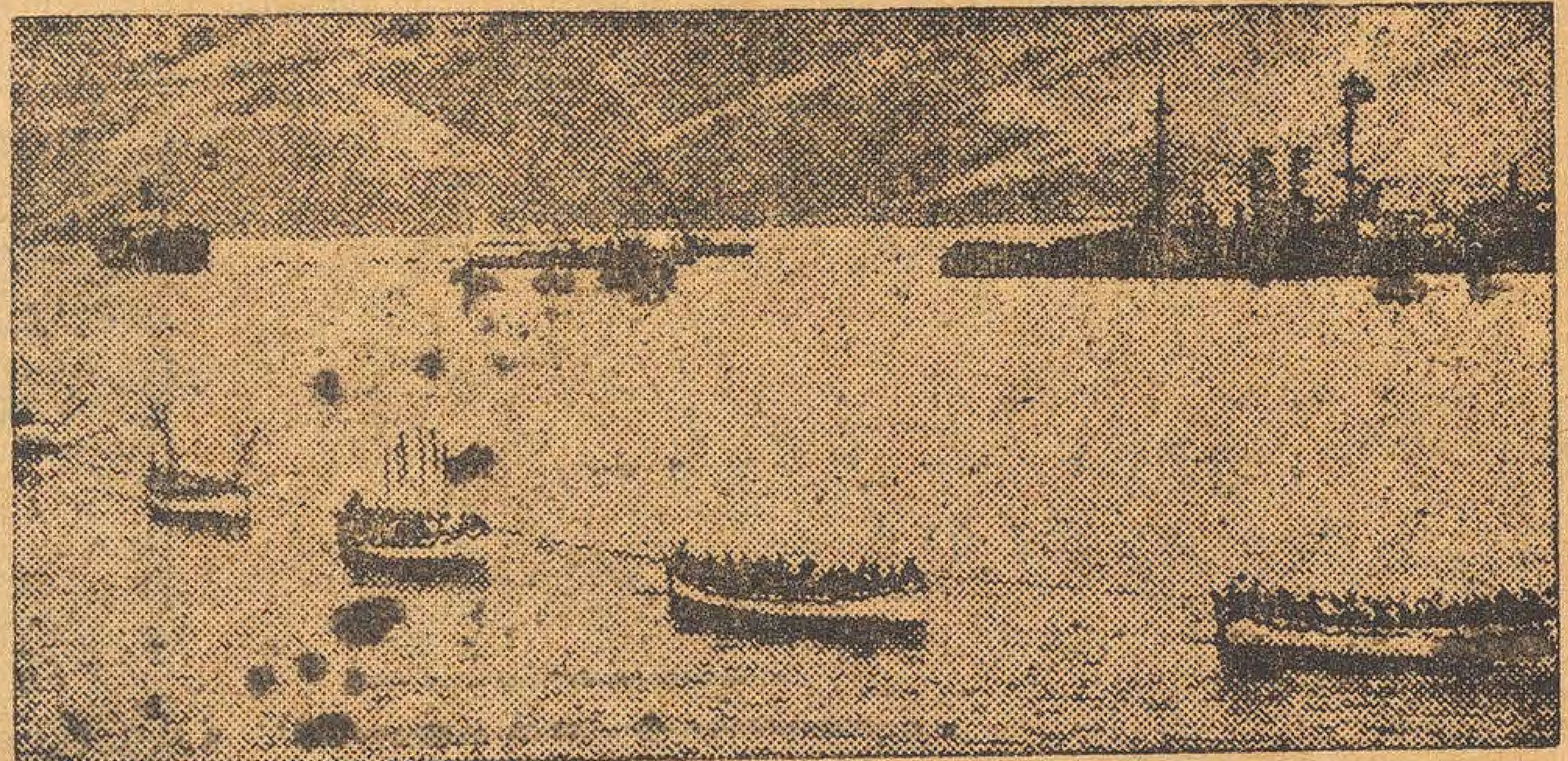
« ماك لاغان » . وقد نزلت الى البر القافلة الاولى منها وعددها ١٥٠٠ جندي تحت حماية المدرعات « ماجستيك » و « تريومف » و «ياجينت» . فاقتربت على مسافة ميلين من الساحل وانزلت الجنود في اثني عشر زورقاً ودفعتهم الى البر

وكانت القافلة الثانية وراء هذه المدرعات تقلها ١٢ باخرة . والقافلة الثالثة وراءها على ٨ بواخر . فوطئت الشاطىء الحملة الاولى من القافلة الاولى ، وما لبث في النهار نفسه ان ارتاد الشاطىء سائر افراد الحملة ، وتم في ٢٥ نيسان سنة ١٩١٥ انزال الخمسة عشر الف جندي من فيلق « الانزاك » وهم الذين دشنوا القتال في البر في الجبهة الممتدة من « اري بروني » الى سد البحر . وهي الحملة الاولى التي

اجتاحت في ذلك اليوم شبه جزيرة جناق قلعه

سير القوات الانكليزية

وتقدمت هذه القوة بعد تمزيقها شمل القوات العثمانية الامامية. واضحت لا تجد امامها غير قوات ضعيفة . وباتت على مسافة ميل واحد من مرتفعات «جونك باير» ، وعلى ميلين ونصف ميل من



«قبه تبه» ، وليس في هذين الموقعين غير عدد قليل من القوات العثمانية ، واقام الطابوران الاول والثاني من الالاي ٢٧ العثماني على بعد تسعة اميال من هذه المنطقة

والمفروض على هذين الطابورين السير بسرعة الى ميدان الحرب، الا ان القائد العام ابى الاسراع وفسح المجال الكافي للحلفاء كي يتقدموا

ولماذا؟...

والقائمقام شفيق بك ، قائد الالاي ٢٧ ، اوضح لنا ذلك فقال :

ـــ تعودنا سماع انفجار القذائف في جهة المضايق ، الا اننا في فجر ٢٥ نيسان نهضنا من رقادنا مذعورين وقصف المدافع طرق اذاننا من ناحية «قبه تبه» ، فادركت اننا تجاه حدث جديد واسرعت الى الهاتف لمحادثة قائد الفرقة . واستوضحت مخاطبي الامر فقال :

«ـــ انزل الحلفاء جنوداً في ساحل اري بروني !

«ـــ وفي «قبه تبه» هل من جديد ؟

ـــ لا شيء حتى الان !

«ولكن هذا الجواب لم يحملني على الاطمئنان والاخبار التي وردت علينا فيما بعد دلتني على ان افراد الطابور الثاني من الالاي الذي اتولاه اشتبك والحلفاء في القتال . وكنت على يقين ان الاعداء سيعمدون الى خوض المعارك في هذه المنطقة . فعدت الى مخاطبة قائد الجيش فاجابني خلوصي بك رئيس اركان حربه . قلت : العدو انزل جنوداً في «اري بروني» ، وقد اعددت افراد الالاي وباتوا على استعداد لخوض المعركة . بم تأمرون ؟

«فقال : انتظر الاوامر ولا تأت بحركة !

«فاذعنت للامر واقمت ارقب الفرص، الا ان اخبار الساحل اشارت الى ان الموقف شديد الخطورة . فعدت الى الهاتف اخاطب خلوصي بك واوضحت له الامر قائلا ان رفاقنا باتوا تحت رحمة الاعداء .

❋ الحلفاء ينزلون قواتهم في جناق قلعة ❋

عدد من زوارق الحلفاء مملوءة جنوداً يساقون الى سواحل «اري بروني» و «سد البحر» تحت حماية الاسطول البادية بعض قطعه في صدر هذا الرسم

فاجابني بقوله : انك لجوج يا شفيق بك . كيف يمكننا معرفة نيات الاعداء . قد يكون عملهم هذا مداورة . ليس بامكاننا القيام بعمل في هذه الجبهة قبل الوقوف على مرامي الاعداء الحقيقية !

«فما تمالكت ان صحت : ارجو الاسراع بمعرفة هذه المرامي لنتمكن من مقاومة الاعداء قبل ان يذوب رفاقنا ونذوب معهم !...»

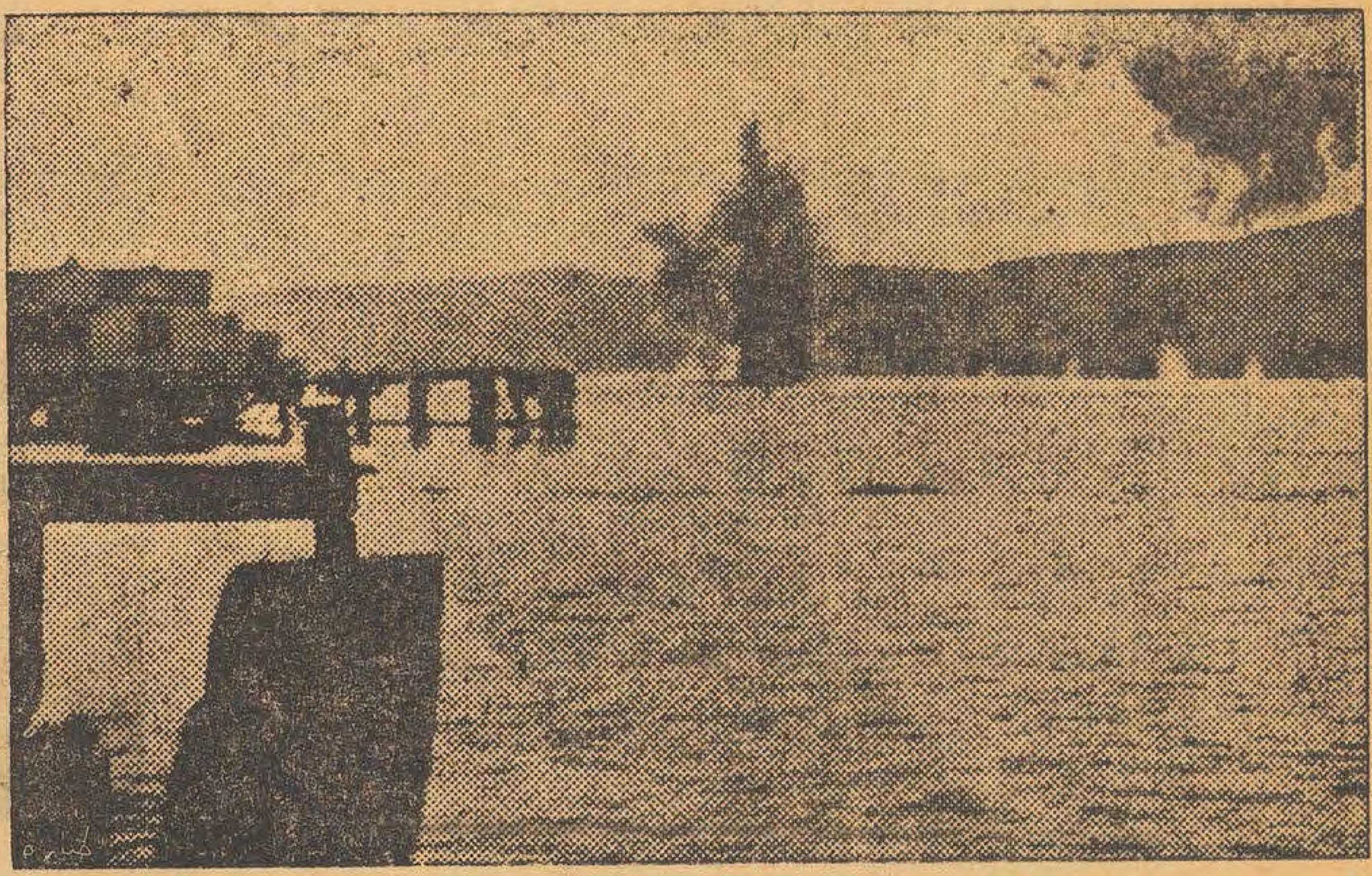
الامر بالزحف

«واخيراً تلقى الالاي الامر بالزحف . وذلك عند الساعة الخامسة والدقيقة ٤٥ ، وتلقت بطارية من المدفعية الامر بالالتحاق به . وسار الالاي الى الجبهة في طريق «مايدوس ـــ كليد البحر» وزحف في منطقة خطرة عرضة لنيران الاسطول ، الا ان الحظ ساعده على الوصول الى «مايدوس» ، غير انه ما كاد يمر بالوادي الفاصل «مايدوس» عن «كليد البحر» حتى بدأت قذائف الاسطول تنهال عليه وقد ابصره الحلفاء في زحفه فاصلوه النار . على ان قذائف الاسطول وقعت في الاماكن المجاورة فما اصابت الهدف . وظلت قوات الالاي في التقدم حتى وصلت الى مرتفعات «اري بروني» المعروفة باسم «مرتفعات المدفعية» ، وهناك باتت في منطقة الخطر

ولقي قائد الالاي بعض الجنود العثمانية الجرحى فاعلنوه ان الحلفاء وصلوا الى المرتفعات المجاورة. فوقف لينظر في الحالة وقواته المؤلفة من ثلاثة آلاف جندي مضطرة الى مجابهة ٢٦ الفاً من

قوات العدو . واوفد مفرزة من الكشافة وكتب تقريراً الى القيادة العليا يقول فيه :

« احتل العدو مرتفعات « اري بروني » وانزل في خلال الساعات الاربع التي انقضت على حركاته الحربية ١٣ الف جندي الى البر على اقل تقدير . وليس بوسعي مجابهته بقواتي القليلة . اني



استطيع الثبات حتى وصول قوات الفرقة ١٩ ومنع تقدم الانكليز والمحافظة على الخط الممتد من « قوجه جشمه » الى « قبة تبه » او المحافظة على قلب هذا الخط وشماليه على الاقل »

وعاد محمد شفيق بك قائد الالاي ٢٧ الى جنوده بعد كتابة هذا التقرير واثار في نفوسهم الحماسة ودعاهم الى التضحية في الدفاع عن الوطن ومنع العدو من المسير الى الامام

بشرى !

ثم امرهم بان يبقوا في اماكنهم ما يحملون على ظهورهم ليتمكنوا من القيام بالحركات الحربية بسهولة وهم يجابهون العدو

و قبل ان يتحرك هؤلاء تناول محمد شفيق برقية هذا نصها :

« الى قائد الالاي ٢٧

« صدرت الاوامر الى الالاي ٥٧ من المشاة التابع لفرقتنا والى بطارية من المدفعية الجبلية لنجدتكم ، وهما يتقدمان بسرعة لتعزيز جناحكم الايمن — قائد الفرقة ١٩ : مصطفى كمال »

وقد سرت هذه البشرى محمد شفيق بك وابلغها فوراً الى جنوده لتشديد عزيمتهم

بدء القتال

وتفرقت القوات العثمانية . وما كادت تصل الى المرتفعات الاولى المطلة على مراكز الحلفاء حتى نشبت المعركة بينها وبين الحلفاء . ووصف القائمقام شفيق بك هذه المعركة فقال : ضعضعت هجمات العدو قواتنا وقد بدأت ضرب جناحنا الايمن . وازداد الموقف خطورة لدى الساعة العاشرة اذ باتت قواتنا عاجزة عن الثبات تجاه الاعداء . ولم يبق امامنا الا التراجع . ولكن تراجعنا خطر عظيم علينا .

فاذا اعتمدناه كان نصيب قواتنا الاضمحلال . ولذا حاولنا ان نستمد من الضعف قوة . فجالدنا نصف ساعة اخرى ، واذا الالاي ٥٧ يصل الى الجبهة وينصر جناحنا الايمن وينقذ الموقف »

❋ ضرب سواحل جناق قلعه ❋

منظر فريد لضرب سواحل « اري بروني » في جناق قلعه

والرسم مأخوذ من ساحل « قوم قلعه » وفيه تبدو القذائف وهي تتساقط على المراكز العثمانية

مصطفى كمال يظهر ويفوز

وفي الساعة ١٢ وصل آلاي آخر يتولى امره قائد الفرقة ١٩ مصطفى كمال بك (رئيس جمهورية تركيا اليوم) ، فاشترك مع هذه القوات في هجوم عنيف على المراكز الانكليزية في موقع « قانلي صرت » ودحر الانكليز واستولى على هضبتين كانتا بين ايديهم

ورأى القائمقام محمد شفيق بك ان يختبر موقف الانكليز بنفسه فتسلق هضبة على بعد مئة خطوة من الجبهة يرافقه الضابط الاحتياطي احسان والاونباشي حسين . وبجسارة فائقة تلفتوا الى العدو فاذا به ينحدر من المضبة الثانية استعداداً لبلوغ الهضبة التي وقفوا عليها . فادرك محمد شفيق بك ان الموقف شديد الخطورة وان من الواجب نقل قواته الى هذه المضبة قبل وصول الانكليز اليها ، والا فتكوا بقواته كلها .

فاوفد الاونباشي حسين لتحقيق الامر ، وبعد دقائق كانت القوات العثمانية في اعلى الهضبة . فوصلت اليها قبل الانكليز وكانوا يتسلقونها . ففاجأهم العثمانيون بوابل من الرصاص ، وقبل ان يتمكن الانكليز من المقابلة بالمثل كانوا يتساقطون الواحد تلو الآخر

اسرار الحرب الكبرى

بقلم كرم ملحم كرم

النمسا تحاول ابداً قهر صربيا للخلاص من شبحها الرهيب ولكن الحرب دلتها ان صربيا اقوى واشد

الجيش النمسي يفوز ثم يتحطم !



بطرس الاول ملك صربيا

يوم الاحتفال بتتويجه ملكا

اجل ، لقد قاطعت اوربا قتلة الملك اسكندر والملكة « دراغا » ، على ان القتلة لم يرهبوا هذه القطيعة . فبحثوا عن امير يعهدون اليه بالحكم ، ووقع اختيارهم على الامير « بطرس كارا جيور جيفيتش » ، حفيد البطل الصربي « كارا جورج » الذي هز النير العثماني وضمن سنة ١٨٠٦ لصربيا استقلالها

نبذة من حياة الامير بطرس

والامير بطرس ولد سنة ١٨٤٦ ، ودرس في فرنسا في مدرسة « سان سير » ، وخدم في حرب ١٨٧٠ في صفوف الجيش الفرنسي

على ان الامير وهو ينتمي الى اسرة نبيلة غير الاسرة المالكة في صربيا نفي من وطنه . واحتمل طول خمس وثلاثين سنة في باريس مشقات النفي . ولم يكن شاباً لما اجتمع سنة ١٩٠٣ في بلغراد مجلس « السكوبتشينا » ونادى به ملكا على صربيا

والامير شديد الاخلاص لفرنسا وروسيا . واول ما رغب فيه انقاذ وطنه من الاستبداد النمسي . ومع كونه تسلم الصولجان في ايام حرجة ، ومع كون الدول قاومته ولا سيما النمسا ، فقد عرف كيف يهدأ على عرش صربيا ويحمل الدول على الاعتراف به وبدولته

بطلا المأساة الصربية المنشورة في العدد الفائت من «الاسرار»



الملك اسكندر اوبرينوفيتش
ملك صربيا



الملكة دراغا ماشين
زوجة الملك اسكندر

غير ان النمسا ابت اعلان رضاها عنه". وبلغ "من حقدها عليه"



الملك ميلان اوبرينوفيتش

ملك صربيا الاول بعد تحرير الصرب من النير التركي. وقد تنازل عن العرش لابنه الملك اسكندر المنشور رسمه في اعلى هذه الصفحة

بل على الدولة المالك فيها، انها اتهمته بقتل الملك اسكندر اوبرينوفيتش والملكة «دراغا»، فقالت انه دعا الى هذه الجريمة كي يستفيد وينتهي اليه العرش

ومما زاد في قلق النمسا ان الامير صهر الملك نقولا سيد الجبل الاسود. فاقامت في طريقه العراقيل وشاءت ان تضربه ضربة قاضية، الا ان الملك الجديد ابدى من الحكمة ما اتقى به مكيدة النمسيين. فدعم حزب الاستقلال ومنع صربيا من السقوط في كل شرك منصوب لها. وحكمته اثارت غيظ الدولة النمسية ففكرت في اجتياح صربيا وضمها اليها

فالحلم الذي ساد مخيلة «ماترنيخ» اتى من يعمد الى تحقيقه. فالمستشار «ديرنتال» فكر فيه بجد وسعى له باهتمام. الا ان «ديرنتال» مات سنة ١٩١٢ دون ان يتمتع بثمار مجهوده، فجاء بعده «برختولد» وشن الغارة على صربيا وعلى الملك بطرس الاول، واذا مكيدة «سيراجيفو» تأتيه ببصيص نور، وليست مكيدة «سيراجيفو» سوى مفتاح الحرب الكبرى

هل كانت صربيا على استعداد للحرب؟...

ومع ان مكيدة «سيراجيفو» وقعت في ارض نمسية فقد

اتهمت بها النمسا الدولة الصربية، فكأنها هي الرامية الى ضم هذه الدولة اليها شاءت ان تدعوها الى حرب تغنمها بها كيفما كان الامر . وهذه الحرب وقعت . وقعت مع كل ما ابدت صربيا من حسن نية



القائد ستيبانوفيتش

وهو احد القائدين الصربيين اللذين قهرا الجناح النمسي الايسر في معركة « رودنيك »

في قبول انذار النمسا . ولم يكن الصرب يرقبون الحرب بكل هذه السرعة وجراحهم لا تزال دامية . فلم يكن عهدهم بحروب البلقان بعيداً وهي حروب خاضوها مرتين

فالدولة الصربية كانت متعبة مفلسة لما شهرت عليها النمسا الحرب . فهي تقاتل منذ سنتين . قاتلت الاتراك ثم قاتلت البلغار . والنمسا هي التي دفعت بلغاريا الى مقاتلة صربيا لترهقها وتهدم كل عزيمة فيها

فالحرب البلقانية في اساسها حرب خاضتها دول البلقان لتقليم اظفار تركيا وانتزاع ولاياتها الاوربية منها . ولما تم لها الامر شاءت ان تستريح . على ان هذه الراحة ابتها النمسا على صربيا وهي تلمس ابداً الخطر الصربي عليها ، خصوصاً بعد انتصار الصرب على تركيا وتمتعهم بالغنيمة . فحرضت بلغاريا على اعتقاد منها ان البلغار يقهرون هذه الدولة الفتية الشامخة بانفها ويذلونها، فيتسنى عندذاك للنمسا ان تنال منها ما تريد . بيد ان الصرب كانوا اقوى من البلغار فهزموهم وفرضوا عليهم اثقالا باهظة . فاشتد حنق النمسا ورأت ان تؤدب بنفسها البلد

الصربي الجموح

كوني على حذر!..

وعقدت سنة ١٩١٣ معاهدة « بخارست » . وهي المعاهدة التي تنظمت بها حالة البلقان بعد انتصار الصرب على البلغار . الا ان صربيا لم تستطع ان تهدأ وقد ورد عليها من روسيا نبأ يقول ان النمسا ازدادت حقداً على الدولة الصربية بعد فوزها الاخير . فليكن الجيش الصربي ابداً على استعداد !

وتيقظ الصرب وباتوا على حذر . وما خرجوا من الحرب الا ليستعدوا للحرب ، فانصرف اركان حرب الجيش الصربي الى قواته يزيدها ويجهزها بالذخائر والاعتدة

ومن المأثور عن الشعب الصربي انه يضحي لاجل وطنه بكل عزيز . فما اعلن الحرب على تركيا حتى جاد بكل ما عنده ، بالمال والروح . ووقعت الوقيعه بينه وبين بلغاريا فازداد تضحية واقداماً حتى ادهش بحميته ونخوته العالم اجمع

ولما دعاه اركان حرب الجيش الى حمل السلاح لرد البطش النمسي ظل تحت السلاح على اهبة للطوارىء . ومما فكر فيه اركان حرب الجيش ان يدعو الى حمل السلاح ابناء الولايات التي غنمتها صربيا في الحربين الاخيرتين . فقد استولت على « نوفي بازار » و « مناستير » وصربيا القديمة . وكل رجل قادر على حمل السلاح دعي الى الجيش . فامسى لدى صربيا لا اقل من ثلاثمئة الف مقاتل . على ان هذا الجيش ظل بحاجة الى الضباط والمدافع

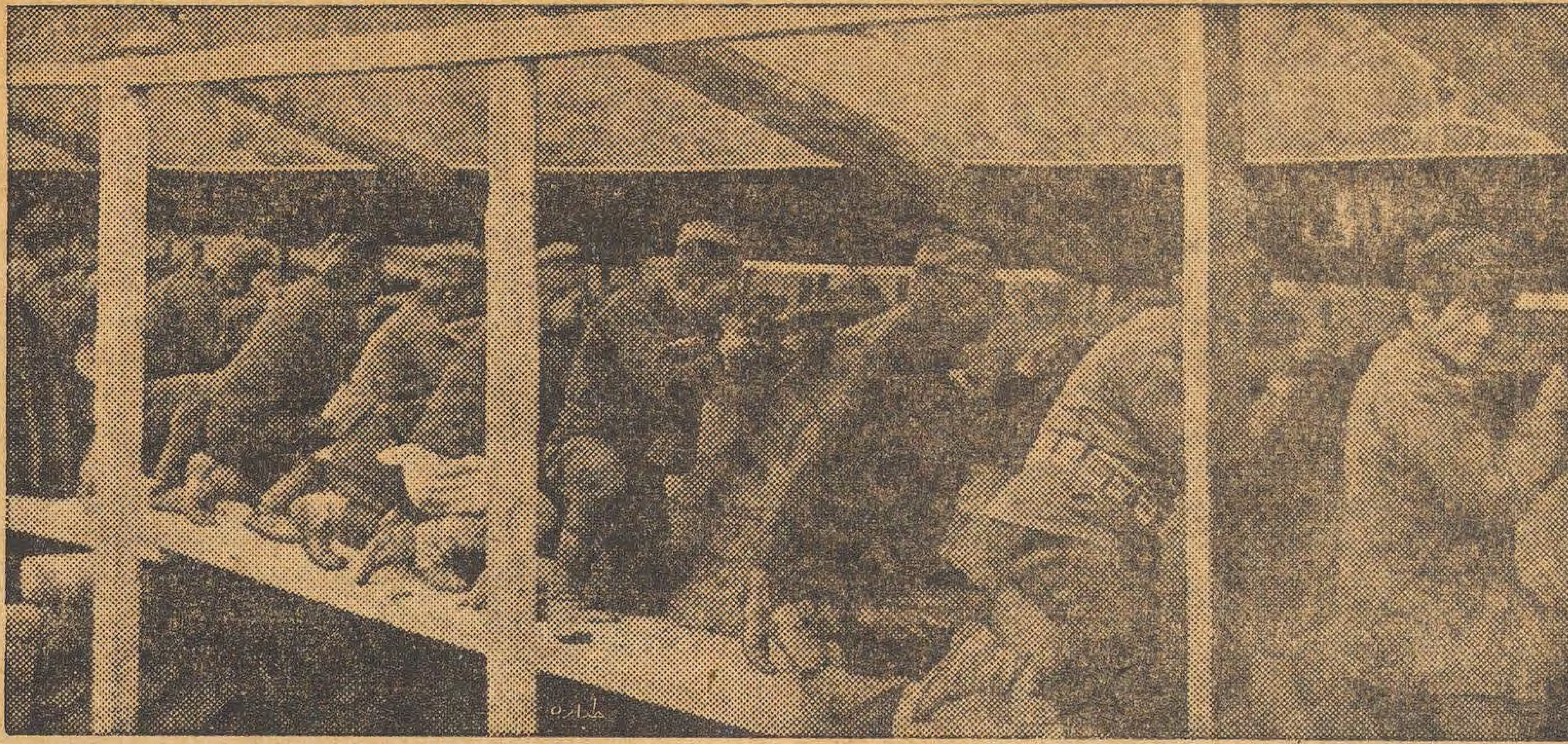
وقسمه اركان الحرب الى اربعة جيوش . الاول جيش الدانوب وقاعدته « بلانكا » . والثاني جيش الشرق وقاعدته « نيش » . والثالث جيش الغرب وقاعدته « اوشتزا » . والرابع جيش الجنوب وقاعدته « اسكوب »

وتولى عشرون الف جندي حراسة الحدود ، واقام اثنا عشر الفاً في الحاميات

احتمال وقوع حربين

وتقسيم الجيش الصربي بهذا الشكل دعا اليه امران ، الاول الخوف من عودة البلغار الى القتال ، فيمسي جيش الشرق هدف الاعداء ، ويشاطره جيش الدانوب مهمته وهو على يمينه ، وجيش الجنوب وهو على يساره ، ويظل جيش الشرق للساعة الحرجة

والامر الاخر الخشية من الاصطدام بالنمسا . فيحاول الجيش النمسي اجتياز نهر الدانوب لاجتياح البلد الصربي ، فيصدمه جيش الدانوب ويساعده جيش الغرب . وهذا الجيش



مركب على نهر «درينا» اتخذته القوات الصربية متراساً تقاتل منه النمسيين

تدعمه قوات الجبل الاسود وعددها اربعون الف مقاتل وتحمي ميسرته . والملك نقولا سيد الجبل الاسود عاهد بملء رضاه على نصرة الصرب

٣٤٠ الف رجل تحت السلاح

وكل جيش من الجيوش الصربية مؤلف من اربع فرق . والفرقة تشمل لوائين من المشاة عدد افراد كل منها ستة الاف ، وتنضم اليها بطاريتان من المدفعية تعتمد كل بطارية على ستمئة رجل واثني عشر مدفعاً

وهناك كتيبة من الفرسان وما يحتاج اليه الجيش من مهندسين وسواهم ، مما يجعل عدد افراد كل فرقة خمسة عشر الف مقاتل

والحق بكل جيش قوة من الفرسان عددها الفا فارس ، كما الحق به من تدعو اليهم الاعمال الحربية من مهندسين فاصبح بهم كل خمسة وستين الفاً

واذا اضيفت الى هذه الجيوش قوات حراس الحدود وهي عشرون الفاً ، وقوة الحاميات وهي ١٢ الفاً ، كان الجيش الصربي ٢٩٢ الفاً

على ان اركان الجيش قدر القوات التي تحتشد لديه في اثناء الحرب بثلاثمئة واربعين ألفاً ، على ان اربعين الفاً من هؤلاء يظلون بحاجه الى تمرين

يوم اعلنت الحرب

وقد تراءى للنمسا يوم اعلنت الحرب على صربيا ان بلغاريا ستكون بجانبها ، فيمسي الصرب بين نارين ولا تلبث الهزيمة ان تدب الى صفوفهم

وهذا الاعتقاد بنته النمسا على شواهد محسوسة. فان بلغاريا وقد قهرها الصرب ما برحت تفكر في الانتقام. ومما اعلنت على اثر هزيمتها ان قبولها الصلح هو لديها اشبه بالهدنة. وابت الاعتراف بالخذلان. فزعمت ان انكسارها ليس بالدليل على تفوق اعدائها ، الصرب واليونان ، في القتال بل على خيانة تركيا ورومانيا لها . فالاتراك اهملوها ، ورومانيا ماطلت في مساعدتها لها ، فما قامت تنجدها كما عاهدتها . والجيوش الرومانية لم تتعب في ميادين القتال . وهي هي التي دعت ممالك البلقان الى عقد الصلح والا شهرت عليها الحرب . فالصلح فرضته رومانيا فرضاً وجرى عقده في عاصمتها

اذاً فالدولة البلغارية ناقمة على ما كان . وهي ترقب الفرصة للانقضاض على صربيا ويونان . وهذه الفرصة اقبلت . فالنمسا تعلن الحرب على الدولة الصربية . أتنصر بلغاريا النمسيين ؟...

لا . هي لن تنصرهم لخوفها من رومانيا . ففي رومانيا نصف مليون مقاتل . وقد اذاعت حكومتها انها تسهر بنفسها على السلام في البلقان ، وانها تحارب كل دولة تعبث به . وهذا التهديد وعاه الجميع . وخافت بلغاريا اذا نصرت النمسا ان تغزوها رومانيا وتظاهرها صربيا . فآثرت الانتظار على العمل ، حتى اذا انتصرت النمسا كان لها في الموقف رأيها الاعلى

ثم ان بلغاريا بعد خروجها من الحربين البلقانيتين الاخيرتين شعرت بالنضوب في خزائنها . فهي بحاجة الى المال ، وشعبها لا طاقة له على الضرائب ، عدا ان لا سلاح لديها وقد خسرت في هاتين الحربين

ثلاثمئة مدفع فضلا عن البنادق . ومن يوفر لها ما تحتاج اليه من سلاح ؟... اتفعل ذلك النمسا وهي بحاجة الى السلاح كبلغاريا نفسها ؟... أتجده في المانيا والمانيا يهمها باديء بدء تجهيز جيشها ؟
حيال هذه العقبات الثلاث رأت بلغاريا ان تعتمد سياسة الانتظار !

خطة النمسا في اجتياح صربيا

مع خوف النمسا من اشتداد ساعد صربيا ظل النمسيون ينظرون الى الشعب الصربي نظرة الجبار الى من هو دونه . فما اكترثوا له كل الاكتراث ليقينهم انهم اشد قوة وامضى عزما . فهما يكن من امر الصرب فلن يقووا على النيل من الجيش النمسي

واول ما خطر لهم وهم يجبهون الحكومة الصربية بالحرب ان يدفعوا اليها اربعة فيالق من قواتهم للقيام بحركة تطويق تنتهي الى بلدة « نيش » . فيجتاز فيلقان نهر « الدانوب » في ناحية « باسياش » وبلغراد ، ويجتاز فيلق نهر « الساف » على مقربة من « شابتس » ، وينطلق الفيلق الرابع من « سيراجفو » ووجهته « فيزوغراد » و « اوشتزا » ويجتاح « نوفي بازار » للفصل بين الجبل الاسود وصربيا . وفي هذه الاثناء يندفع جيش آخر من « كتارو » ليشغل الجبليين عن نصرة الجيش الصربي

هذه هي خطة النمسيين وهي خطة صالحة للعمل ، الا ان البطء رافقها . فما حسب النمسيون حساباً للسرعة التي اعتمدها الصرب في تعبئة قواتهم ، ولم تنظر القيادة النمسية في ما يعترض قواتها من صعوبة وهي تهم باجتياز نهر الدانوب

فمشى الجيش النمسي الى القتال على مهل وهو واثق بالنصر ، على حين ان القوات الصربية تأهبت للقتال بكل سرعة مستطاعة . ودفع الجبليون فرقة من قواتهم لترصد حركات النمسيين في « كتارو » ، وزحفت فرقة اخرى الى « فيزوغراد » تهددها

فشعر النمسيون بزحف هذه الفرقة فصدموها بقوة منهم ليحولوا دون قصدها ويمنعوا اتصالها بالقوات الصربية

الجلاء عن بلغراد

واقترب الجيش النمسي من بلغراد عاصمة صربيا ، واطلق عليها مدافعه . فلم تجد الحكومة الصربية بداً من الجلاء عنها ، بل ان الجيش الصربي بكامله جلا عنها وقد ارهقته القذائف النمسية . ولقد تظاهر بانه يتراجع من « بلانكا » الى « نيش » ، على انه ارتد الى « شابتس » واوفد قوة منه الى آخر الحدود الصربية في الناحية الشمالية الغربية منها ، وفيها يلتقي نهر « الساف » بنهر « درينا »

محاولة اجتياز الدانوب

وانقضى الاسبوع الاول من شهر آب والنمسيون يبذلون قواهم في اجتياز نهر « الدانوب » ونهر « الساف » وحرس الحدود



الملك نقولا

سيد الجبل الاسود وحليف الصرب

الصربي يصدهم عن مبتغاهم وتؤيده في حركته قوات من جيش الدانوب وطلائع من الجيش الغربي . وبلغت قوات النمسيين خمسة فيالق . ولما اعياها الامر ولم تفلح في عبور النهرين فكرت في اجتياح صربيا من ناحية « اورسوفا » الشرقية . واوفدت طلائعها وعددها ثلاثة آلاف واربعمئة جندي لتمهد امامها الطريق ، فلم يكن من الصرب الا ان قادوها الى كمين ابادوها فيه . فما نجا من القوة بكاملها مايزيد على خمسة وعشرين رجلا وقعوا في الاسر

وكان لهذا الفوز أثره العالي في نفوس الصربيين وقد اضطروا الى براح عاصمتهم مغلوبين على امرهم . وبعدما استحكم منهم اليأس عادوا فاستبشروا اخيراً . ووثقوا بانفسهم وبقادتهم واشتدت منهم العزائم والقوى

اجتياز نهر « درينا »

وآلم الجيش النمسي ان يصاب بالتقهقر فلا يدرك بغيته من



الملك بطرس الاول في أثناء براحه عاصمته بلغراد

ووراءه رئيس وزارته السيد « باشيتش » ، وقد برحا العاصمة على اثر تهديد النمسيين بضربها

الجيش الصربي الضئيل . ورأى ان ينقلب الى نهر « درينا » ينفذ منه الى صربيا بعدما اسقط في يده وهو يحاول اجتياز نهر الدانوب

فاوفد قوة لا يستهان بها الى ذلك النهر ، وهو حد صربيا الغربي، الا ان التوفيق لم يحالفه . فما تسنى له اجتياز النهر. وعاد في ١١ آب ١٩١٤ وحاول المحاولة نفسها تنجده الطيارات . وما ابقى ناحية من النواحي الصربية على ضفاف النهر الا سعى لحرقها والنفاذ منها الى صربيا دون ما جدوى

وهو لو ملك القوة على النفاذ لامست صربيا باجمعها في خطر . فليست القوات الصربية تعادل الجيش النمسي في كثرتها، عدا ان النمسيين يهددون حينذاك جناحيها ويقهرونها حتماً

التراجع الصربي

وشعر الصربيون بان النمسيين اشد منهم فاعتزموا ان لا يتصلبوا امامهم بما يؤذيهم . وتراجعوا بعض التراجع وكل قصدهم ان ترسخ اقدامهم في الاماكن التي يتراجعون اليها ، وان يستدرجوا النمسيين اليهم ويدحروهم

وفي ١٢ آب تسنى لحرس الطلائع النمسية عبور نهر « درينا » والتقدم شرقاً ، واجتازت قوة من الفيلق النمسي الرابع نهر «الساف»

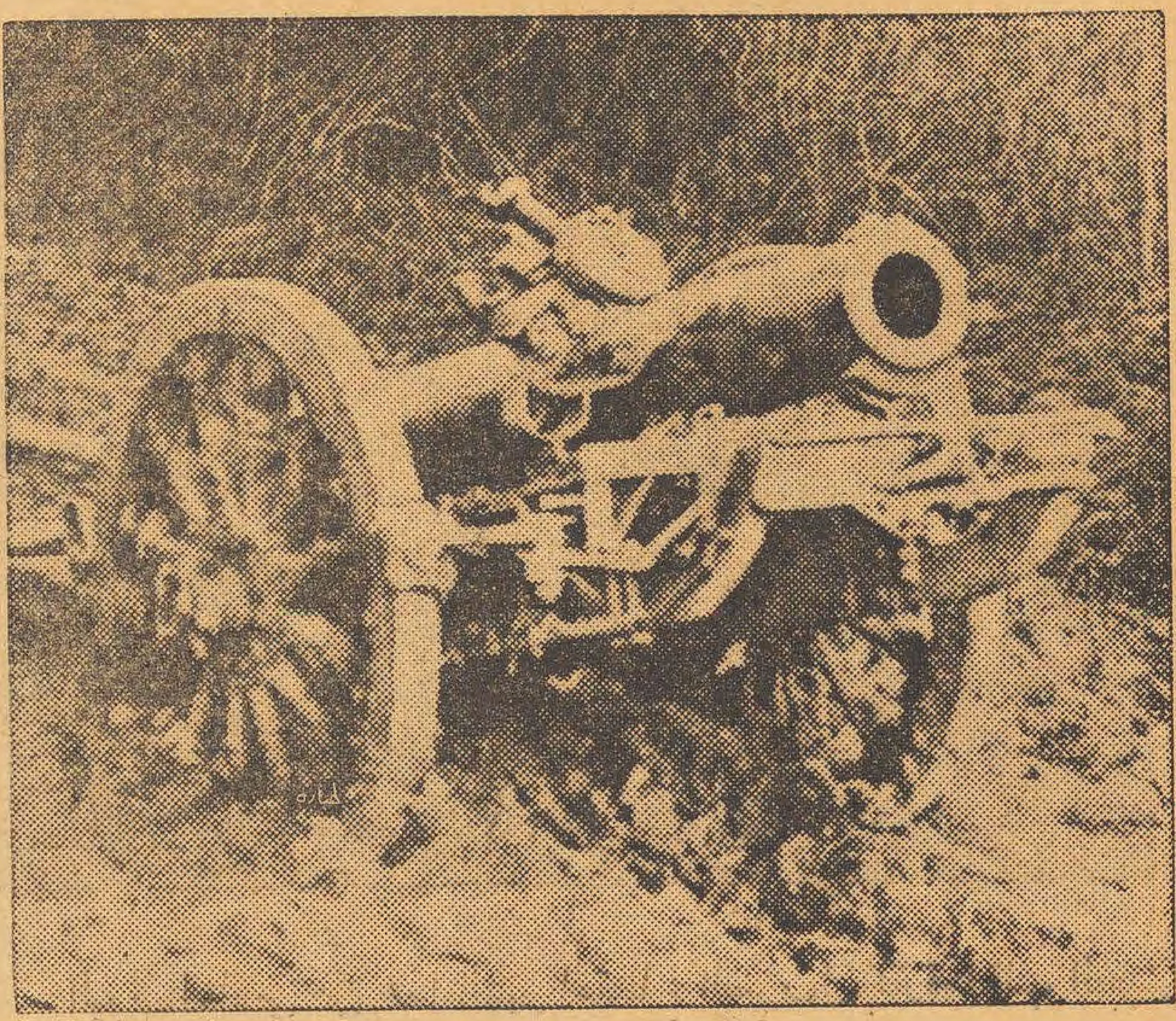
على مقربة من « سباتش » . وفي اليوم الثالث شيدت قوات الهندسة الجسور على القوارب في اماكن متعددة من النهر وتدفق النمسيون في الارض الصربية بشدة وكثرة . واستقر في « سباتش » الفيلقان الرابع والتاسع ، واقام الثامن يحمي ميمنتها، واجتاز الفيلق الثالث عشر نهر « درينا » بجانب « لوسنتا » تلحق به مدفعية الجبال وقد انجده بها الفيلق الخامس عشر

بدء الزحف النمسي

وفي ١٤ آب بدأ الزحف النمسي . فاندفع الفيلق الثامن الى « تسر » والفيلق الثالث عشر الى وادي نهر « غادار » . وهدد النمسيون جناح الجيش الصربي . ولما نمي الى الصرب ان الجيش النمسي غزا ديارهم ، وان الفيلقين الرابع والتاسع في « سباتش » يناوشان فيها القوة الصربية، اوفدوا في ١٥ آب النجدات الى قواتهم يدعونها الى تطويق الجناح النمسي الايسر

وظل الصربيون يومين كاملين ، في ١٥ و١٦ آب ، يقاومون في وادي « غادار » هجمات الفيلق النمسي الثالث عشر . ولم يبرحوا خنادقهم الا وقد طوقتهم فيها فرقة نمسية . فبرحوا هذه الخنادق ليلا واعتصموا قرب « زفلاكا » بآخر خط انشأوه للدفاع

وارسلوا في طلب النجدات ، فاقبلت اليهم بسرعة غريبة . وتوالت على ثلاثة ايام تسعى لاحباط حركة النمسيين وتطويق الجيش النمسي فيما يسعى هذا الجيش لتطويق الصرب



مدفع نمسي ضخم

وهو من المدافع التي استولى عليها الصرب في قهرهم القوات النمسية

النمسيون يحاولون اختراق الصفوف الصربية

وهاجمت القوات النمسية مرة بعد مرة الصربيين وحاولت اختراق صفوفهم والالتفاف عليهم. ولكنهم صدوها عنهم وشتتوها. واستطاعوا في مساء ١٨ آب ان يرموها بالاخفاق. فهدتها الخسائر وما استطاع الفيلقان الرابع والتاسع انجادها . وفي ١٩ آب لمست القوات النمسية بايديها الاخفاق التام وقيض للصربيين اختراق الصفوف النمسية . فلم يجد النمسيون امامهم غير الفرار وقد امسوا بين نهر « درينا » والجيش الصربي . والجيش الصربي طوقهم من كل ناحية عدا ناحية النهر. فاضطروا الى التراجع في بلاد وعرة المسالك ليس بالهين اجتيازها. وانقطاع المدد عنهم قضى عليهم بالجوع

وطاردهم الصربيون ناقمين هائجين . وامعنوا في مطاردتهم حتى نهر « درينا » ، وعبرت هذا النهر البقية الباقية من الفيلقين الثالث عشر والثامن النمسيين

خسائر النمسيين

وكانت خسائر النمسيين عظيمة . فالذين قطعوا النهر في بدء القتال بلغ عددهم ١٣٠ الفاً ، فقتل النمسيون منهم وجرحوا ٢٠ الفاً واسروا خمسة آلاف ، ومات عدد كبير بتأثير الجوع والبرد والتعب. ومنهم من فرّ الى وطنه غير حافل بنظام الجيش . وغنم الصربيون ستين مدفعاً وذخائر متعددة

الفوز يحالف الصرب

وتمكنت في هذه الاثناء القوة الصربية المقاتلة في « شباتس » من منع الفيلقين النمسيين الرابع والتاسع من الانضمام الى القوات النمسية الاخرى . فحصرتها في اماكنها . ولما وضح لها ان الهزيمة النمسية اضحت تامة رامت تطويق الفيلقين ، على ان القائد النمسي عرف كيف يداور الصرب وينجو بقواته . فتظاهر بانه يبغي مهاجمة القوات الصربية، على حين امر جيشه بالتقهقر ، فدعاه الى اجتياز النهر ، وخدمه الحظ فتوفر لمعظم هذين الفيلقين الخلاص الى الضفة الاخرى . وقد اصيب الذين تظاهروا بالهجوم بخسائر فادحة ، ولم يسلم من الاسر من بقي منهم حياً لولا حسن بلاء مدفعيتهم الراسية في نهر « درينا »

آخر جندي نمسي

وما اقبل يوم ٢٤ آب حتى كان قد اجتاز نهر « درينا » آخر جندي نمسي . فنجت منهم صربيا وقضت القضاء المبرم على حملة التأديب النمسية. وجُرح التشامخ النمسي في صميمه . ولم يبق في الميدان الصربي غير فيلق نمسي واحد يحسب له بعض حساب . وهذا الفيلق استدعته النمسا يوم غزو الروس غاليسيا ، الا ان معركة « سباتس » ارغمته على العودة الى مقره . فاصطدم في اوائل ايلول بالصربيين عند « سملين » و ما لبث ان تراجع مقهوراً

وفي اقل من شهر هزم الصرب الجيش النمسي المعتد بقوته ومقامه بين جيوش العالم . وكانت معركة « سباتش » اول معركة فاصلة في تاريخ الحرب الكبرى. فادرك بعدها النمسيون ان لا امل لهم بالتغلب على الصرب

القلق في فينا وبرلين

وقلق ولاة الامر في فينا وبرلين لهذا المصير الفاحم ، واضطروا الى اعادة النظر في خططهم الحربية . ودعت النمسا فيلقين من فيالقها من الالزاس كانت قد انتدبتها لمساعدة الالمان . وامرت قواتها الاحتياطية الموفدة لمقاتلة الروس في غاليسيا بالعودة الى الناحية

الجنوبية . وعرف البلقان قدر صربيا. ووقف اعداء الصرب موقف الحذر . فما اعتقدت دولة من الدول ان صربيا تقوى على النجاة من كيد النمسيين

النساء الصربيات في الميدان

فئة من النساء الصربيات يمارسن اطلاق النار للاشتراك عند الحاجة في المعارك المتقدة بين الصرب والنمسيين

وهو مشهد يدلنا على مبلغ اخلاص الشعب الصربي، رجالا ونساء ، لوطنه وشدة حرصه على انقاذه من الطامعين في اذلاله واستعباده

ما جاء في نشرة الجيوش

وفي ٩ كانون الاول ١٩١٤ اذاعت نشرة الجيوش الفرنسية بياناً يقول :

« تباهى النمسيون بقهر الجيش الصربي في اقرب آن وتأديبه تأديباً وافياً . ولكنهم اخطأوا ، ففي مهاجمتهم جيش الملك بطرس من ناحيتين ، على نهر « الساف » في الشمال ، وعلى نهر « درينا » في الغرب ، اصيبوا بهزيمة خطيرة بعد معركة دامت خمسة عشر يوماً وانتهت في ٢٣ آب

« وبعد ايام كانت الجيوش الصربية تجتاز نهر « الساف » ونهر « درينا » وتستولي على « سملين » وتقترب وقوات الجبل الاسود من « سيراجيفو » عاصمة البوسنه. وفي هذه المرحلة الاولى قاتل الفلدمارشال « بوتيوريك » الجيوش الصربية الثلاثة بخمسة فيالق نمسية

« وعلى اثر هذه الصدمة تضاءل الهجوم النمسي ، وما عاد الى شدته في سوى اوائل تشرين الثاني . ولقد عاد بعزم اشد وبقوات اوفر عدداً جاء بها من الحدود الايطالية ومن المضارب الالمانية . وخطة المعارك المنتظرة اقرّها اركان حرب الجيش الالماني . فدفع جيشاً نمسياً يبلغ عدده اربعمئة الف مقاتل لمحاربة الصرب وخرق صفوفهم والاجتهاد في الانضمام الى الاتراك بالاعتماد على البلغار

« وحيال هذه القوة الكبرى اضطر حلفاؤنا الصرب في الاسبوعين الاخيرين الى التراجع والتحصين في اماكن حربية اوفى منعة . وفي نيتهم العودة الى الهجوم لدى السانحة الاولى »

صدقت نشرة الجيوش . فالصرب عادوا الى الهجوم . عادوا اليه في ٦ كانون الاول قبل اذاعة النشرة الفرنسية بايام ثلاثة . ففي



اليوم السادس من هذا الشهر استطاع الصرب ان يخترقوا قلب الجيش النمسي العرمرم وجناحه الايمن

وتولى الجيش الصربي الذي اقدم على هذه البطولة القائد « ميشيتش » . وسحق الجناح النمسي الايسر القائدان « بوريتشيتش » و« ستيبانوفيتش » . فقد وثبا عليه وثبة رهيبة زعزعته بكامله

وفي ١٣ كانون الاول كان النمسيون ينهزمون مثلهم في المرة الاولى .

العودة الى بلغراد

وفي اليوم الخامس عشر من الشهر نفسه عاد الملك بطرس الاول الى عاصمته بلغراد وكان قد اباحها قبل ثلاثة عشر يوماً للنمسيين

وهذه المعركة الظافرة دلت على مقدرة القيادة الصربية وعلى الاخلاص الوطني الصربي . وهي المعركة المعروفة بموقعة « رودنيك » وقد بدأت في ٣ كانون الاول بين جبل « رودنيك » ومنحدرات « سوبوفور » شمالي نهر « دراغا » الاعلى

وصف المعركة

ووصف في نشرة الجيوش الفرنسية مؤرخ عسكري معركة ٦ كانون الاول ١٩١٤ فقال في النمسيين انهم كانوا يطرحون اسلحتهم وحوائجهم في الطريق ويندفعون في معابر كستها الثلوج . وقال في المعركة انها فاجعة نمسية هائلة



الامير اسكندر

ولي عهد صربيا

يمثل هذا الرسم ولي عهد صربيا الامير اسكندر ، وهو صاحب النظارات البادي الى اليسار ، وقد وقف يخاطب احد امراء البحر الانكليز

والامير اسكندر ابن الملك بطرس الاول ارتقى فيما بعد الى العرش الصربي وقتله احد الفوضويين في مرسيليا وهو يرتاد فرنسا

ولم تكن الايام التالية تختلف عن يوم ٦ كانون الاول . فالمواقع التي جرت بين نهر الدانوب ونهر « ليغ » اشبه بموقعة « رودنيك » نفسها

خسارة الجيش النمسى

وبعد ما كان القائد النمسي الفلدمارشال « بوتيوريك » يعلل النفس بقهر الصربيين ويدعي انه سينطلق الى مدينة « نيش » — واليها لجأت حكومة بلغراد والملك بطرس الاول — ويستولي عليها ، اصيبت قواته بخسائر موجعة . فبلغ ما ابقى من الاسرى الصربيين ستين الفاً ، وترك في ساحة القتال مئتي مدفع ، و٥٠٠ صندوقاً من صناديق الذخيرة ، و٩٠ مدفعاً رشاشاً ، وستين الف بندقية ، وألفي جواد ، والف ثور ، واربعة اعلام . اما الخسائر في الارواح فبلغت كما قدرتها نشرة الجيوش الفرنسية ٢٠ الفاً بين قتيل وجريح

الامبراطور يعزل القائد

فغاظ الامبراطور « فرنسوي جوزف » ما كان من الفلدمارشال « بوتيوريك » وعزله من منصبه . على ان العزل لم يضمن للنمسا الفوز . فايقن الجيش النمسي انه قاصر عن قهر صربيا ، وان معركة « رودنيك » اشبه بالمعركة الفاصلة . ولم يخطر في ما بقي من سنة ١٩١٤

للنمسيين ان يعودوا الى تهديد صربيا بقواتهم ، فاهملوها خوفاً منها لا استخفافاً بها ، واستطاع الشعب الصربي الجبلي الشديد التعصب لوطنه ان يقضي الاشهر الطويلة براحة لا كدرة فيها

القائد الصربي « بوتنيك » يضع خطة القتال

الملك بطرس يطلق خمسين رصاصة

ولا ندحة عن كلمة انصاف تقال في صدد الحرب الصربية النمسية . فالقائد الصربي صاحب خطة الهجوم على النمسيين هو القائد « بوتنيك » ، من القادة الصربيين القدماء . فكان له الفضل الاكبر على تدريب الجيش الصربي . وكان للوزير الاول السيد « باشيتش » يد تذكر في تشديد العزائم والتحريض على الثبات في النضال . ويجب ان لا ينسى التاريخ الامير اسكندر ولي العهد ، وهو ثاني انجال الملك بطرس ، والملك بطرس نفسه . فالملك مع كونه مريضاً ، ومع كونه اضطر قبل نشوب الحرب الى الابتعاد عن شؤون الملك واطلاق يد نجله الامير اسكندر في شؤون المملكة ، لم يرَ بداً من الظهور في جبهة القتال في اشد المواقف حرجاً . ودعا الجند الى ابداء الحزم والايمان بالنصر والاستشهاد . حتى انه تناول بندقية واطلق منها خمسين رصاصة على الاعداء ليحقق بالعمل ما تفوه به من مقال . ومما يذكر عن الملك بطرس الاول انه لما دخل بلغراد كان لا يزال علم نمسي يخفق على ثكنة عسكرية ، فانتزعه احد

الضباط وطرحه عند قدمي الملك وهو يدخل عاصمته ، فمشى الملك عليه في طريقه الى البلاط

من هو ولي العهد؟

والامير اسكندر، ولي عهد صربيا ووكيل ابيه في شؤون العرش ، بلغ يومذاك السادسة والعشرين من العمر. وذاعت شهرته في الحرب البلقانية الثانية وقد قاد فيها الجيش الاول. وفي السنة الـ ١٩١٤ تولى القيادة العامة . ومن حسن حظه انه وجد حوله رجلين خطيرين خدماه باخلاص . الاول القائد « بوتنيك » وكان له من العمر سبع وستون سنة لدى اعلان الحرب الكبرى ، والاخر رئيس الوزارة السيد « باشيتش »

ومما قال عارفو القائد « بوتنيك » في الرجل انه قنوع ، متواضع حتى الخجل، عدو الدسائس والدساسين . وقيل في السيد « باشيتش » انه خير ممثل للوطنية الصربية، فان صربيا مدينة له بتنظيمها العسكري وبموقفها النبيل من النمسا

انتقام النمسيين

وانتقم النمسيون بشدة من الصربيين . فنهبوا البلاط وعدة منازل . على ان النهب ليس شيئاً مذكوراً حيال فظائعهم ففي كل مكان مروا فيه ابقوا بعدهم آثاراً دامية تشير اليهم . فانهالوا على النساء والاولاد والشيوخ والاسرى يفشون فيهم حلقهم . وهدموا المدن والقرى الخالية من وسائل الدفاع

وقادتهم انفسهم حملوهم على هذه القسوة . فالقائد النمسي « هورستين »، ولي امر الفيلق التاسع ، اذاع في جنوده منشوراً تحت عنوان : « موقفنا من الشعب الصربي » ملأه تحريضاً على ارهاق الصرب واذلالهم. ومما جاء في المنشور :

« تقودنا حركات القتال الى بلد من بلدان العدو يتقد في صدور ذويه الحقد علينا ، ويسود حب الجريمة كل طبقة فيه حتى الطبقات العالية

« ومثل هذا الشعب لا تجوز فيه الرحمة ، فلا تبقوا في افئدتكم حياله عاطفة من العواطف الانسانية »

الجنود المطيعون

والجنود عملوا بما دعاهم اليه قائدهم ، فقضوا على عدد وافر من الاهلين . واعتقلوا من الوجهاء من استطاعوا اعتقاله ، وعذبوا كل من طاب لهم تعذيبه ، وشوهوا من قاومهم ، واحرقوا المنازل والمزروعات ، واجتاحوا سهل « ماتشفا » الخصب ولم يبقوا فيه بقية من حياة

وبلغ من ضغطهم انهم اطلقوا النار في « الوسنيتزا » و«ليخنيتزا»



غلام صربي في ميدان الحرب

مما ادهش به الصرب الناظرين اليهم في الحرب العالمية الكبرى انه اندفعوا باجمعهم الى القتال حتى الغلمان منهم . وهذا غلام في الثانية عشرة من العمر يحمل البندقية ويخوض القتال بجرأة عجيبة كأنه رضع حب المخاطر والبطولة مع الحليب . وفي الرسم ما يدعو الى التأمل والاعجاب !

على اولاد في العاشرة من العمر ، واوثقوا في احد الشوارع تسعة عشر قروياً صربياً واطلقوا عليهم النار

ويقول السيد « رايس » وهو استاذ في لوزان انه فتح حفرة القى فيها النمسيون مئة وتسع رهائن تتفاوت اعمارها بين عشر سنوات واثنتين وثمانين سنة. وقد تدحرجت هذه الرهائن في الحفرة بينما النمسيون يطلقون عليها النار. ومنها من سقط حياً ومنها من وقع ميتاً .

ويقول الاستاذ « رايس » ان نصف هذه الضحايا مات مختنقاً. وقد اقبل النمسيون وهم يرونها تتدحرج في الحفرة يسدون عليها الفوهة الهاوية منها

وما عفا النمسيون عن النساء والاولاد ، فكانوا يقتلونهم رمياً بالرصاص قصد الانتقام

فما بليت به بلجيكا بليت به صربيا . فالعدو في اكتساحه اياها امعن في تدميرها دون ما شفقة على الاطلاق

الوثبة الروسية تصدمها معركة «تاننبرغ»

روسيا تبدأ الحرب بانتصار باهر طنان تجتاح به بروسيا الشرقية

غليوم يجزع ويخشى وصول الروس الى برلين

ولكن هناك هندنبرغ!



القيصر نقولا الثاني امبراطور روسيا

حاولت روسيا جهدها منع الحرب العالمية. وابدت في هذا المضمار من الهمة ما بدا أثره لكل عين. فالايام التي انقضت بين ٢٤ تموز سنة ١٩١٤ واول آب سعت فيها روسيا بكل ما تملك من قوى للتوفيق بين النمسا وصربيا

وابرق في ذلك القيصر نقولا الثاني الى الامبراطور غليوم. وما ابرق مرة واحدة بل مراراً. وهذه البرقيات حفلت بالروح الطيبة والنية السليمة. ولكنها لم تفعل فعلها في نفس امبراطور المانيا وهو يريد الحرب

فالدولة الالمانية نقمت على روسيا كما نقمت النمسا على صربيا. فالامبراطور غليوم الثاني شاء قهرها وقهر فرنسا معاً والخلاص من هاتين الحليفتين القائمتين عن يمينه وعن يساره. فمال في البدء الى هدم فرنسا، حتى اذا ما انتهى منها في خمسة عشر يوماً ارتد الى روسيا

على ان المانيا اخطأت في اعتقادها ان ثلاثمئة الف جندي من جنودها تكفي في اثناء شهر وبعض الشهر لرد الروس عن اقتحام حدودها الشرقية. اجل، هناك النمسا، وهي كفيلة بان تستدرج اليها العدد الاكبر من الجيش الروسي. ولكن ما لدى النمسا من قوات لا يصدم جيشاً بلغ عدده في بدء الحرب مليوناً وثمانمئة الف، ويتسنى له في العاجل الوشيك ان يجاوز هذا العدد اضعافاً مضاعفة

على ان النمسا والمانيا...

على ان النمسا والمانيا كانتا مقتنعتين بانهما تقويان على صد الروس بما لديهما من جيوش. واركان حرب الجيش النمسي المجري شاطر هذا الرأي القادة الالمان امثال «ده مولتك»، و«فالكنهاين»، وهندنبورغ وسواهم

واقتنع به الامبراطور فرنسوى جوزف نفسه وايقن بالنجاح كالامبراطور غليوم الثاني . الا ان الخيبة ما لبثت ان اعترت الجميع وقد اجتاح في ١٥ آب بروسيا الشرقية جيشان روسيان ،يقودالاول « رينكامب » ، والاخر « سامسونوف »

و الالمان والنمسيون قهروا في اواخر آب واوائل ايلول هذا الهجوم ، الا ان الروس ادركوا وطرهم . فبلغوا بسرعتهم وجرأتهم ما يريدون . وما يريدون هو ان يخففوا عن الجبهة الفرنسية الضغط الالماني ، فيضطر الالمان الى سلخ قوات كبيرة منهم ليمنعوا بها الاجتياح الروسي في الشرق . وهكذا يتسنى لفرنسا ان تتنفس وتفوز

والهدف بلغه الجيش الروسي . و كان الموقف في الحرب اليد البيضاء على حلفائه في الغرب ، على الفرنسيين والبلجيكيين والانكليز

بدء القتال فى الجبهة الروسية

من هما القائدان « رينكامب » و سامسونوف ؟

والحديث عن القائدين « رينكامب » و « سامسونوف » يجر حتما الى الحديث عن قائد الجيش الروسي الاعلى الغراندوق نقولا نقولايفيتش . فالغراندوق ابن عم لحّ للقيصر اسكندر الثالث ،وعم القيصر نقولا الثاني ، ولد في السنة الـ ١٨٥٦ ، ولم يكن عمره في بدء الحرب العالمية يزيد على الثامنة والخمسين

فقضى حياته في الجيش وتدرج في مختلف الرتب حتى بلغ قيادة الحرس الامبراطوري ،ثم تولى حاكمية بطرسبرج العسكرية . وكان لدى اعلان الحرب على رأس هذا المنصب . وقبل ان يدعوه الامبراطور الى قيادة الجيوش الروسية في النضال العام تلفتت اليه الانظار تختاره لهذه المهمة كأنه وليها الاوحد

ولم يكن الغراندوق نقولا من المدلسين ، ولا من الرجال العصريين ، فهو جندي خشن ، ومجاهد لا يكل . وفي شهر ايلول سنة ١٩١٥ عينه القصر نائباً له في القفقاس وقائداً للجيش الروسي المشتبك في القتال وقوات الاتراك

هذا هو القائد الروسي العام في بدء حرب ١٩١٤ ، واختيار هذا القائد وقع على « رينكامب » و « سامسونوف » ليتوليا الجيشين الروسيين القويين في مقاتلة الالمان والنمسيين

والقائدان « رينكامب » و « سامسونوف » اشتهرا في الحرب الروسية اليابانية المضطرمة في السنتين الـ ١٩٠٤ والـ ١٩٠٥ ، وقد اظهرا فيها كل اقدام ومهارة وعزم

وتألف جيش القائد « رينكامب » من مئتين وخمسين الف مقاتل ، وهو المعروف باسم جيش « نيامن » والغني بقوات الفرسان. ولقد اتجه الى الشمال الشرقي من الناحية الغربية، اي الى «كانيغسبرغ» و « دانتزيغ »

اما جيش القائد « سامسونوف » . . .

اما جيش القائد « سامسونوف » فقد تألف من ثلاثمئة الف مقاتل اقبلوا من فارسوفيا-عاصمة بولونيا اليوم- ومن «برست ليتوفسك» . واتخذ وجهة مسيره الشمال الغربي واعتزم بلوغ « آلنشتاين » والاتصال بجيش « رينكامب »

على ان المسافة لاتصال الجيشين بعضهما ببعض بعيدة شاسعة ، وكان على القائد « سامسونوف » ان يدير حركة قواته في منطقة تملأها الغابات والبحيرات ومستنقعات نهر « نارو » ونهر « مازيري »

ومع كل ما يعترض طريقه من صعاب لم يحفل بالصعاب . فاجتاز الحدود كما اجتازها « رينكامب » ، وفيما رينكامب نفسه يخوض في ١٧ آب معركة دامت خمسة ايام وانتهت بفوزه الباهر ، وهي معركة « غامبينن » ، وفيما يستولي على « انستربورغ » ويوشك ان يحتل « كانيغسبرغ » ، كان « سامسونوف » يثب وثباً الى لقائه ونجدته

وطرب الحلفاء وهذه الانباء ترد عليهم . وتراءى للكثيرين ان الروس لن يقفوا في اندفاعهم ، وانهم سيبلغون في شهر ايلول عاصمة المانيا ، وطير السيد « فيفياني » رئيس حكومة فرنسا الى الغراندوق نقولا قائد الجيش الروسي العام برقية حماسية يقول له فيها : « انتصارنا في « غامبينن » يجيز لنا تدشين سحق الظلم السائد اوربا »

برقية غليوم الى برلين

وابرق الامبراطور غليوم الى برلين على أثر اخفاق قواته في بروسيا الشرقية يقول :

« هذه الفاجعة النازلة بولاياتي المخلصة في بروسيا الشرقية باجتياح العدو لها تملأ نفسي حزناً ، انا اعرف شجاعة قومي في بروسيا الشرقية حق المعرفة، ولست ارتاب في بسالتهم واقدامهم على التضحية باموالهم وراحتهم في سبيل عظمة المانيا »

ابرقية يتلوها العمل

وما اكتفى غليوم بهذه البرقية يطيرها الى برلين بل عمد فوراً الى العمل الحازم ، فعهد بقواته على الحدود الروسية الى قائد محنك قدير من كبار القادة العالميين ، الى « فون هندنبورغ » ، هذا المقاتل الداهية العنيد



القيصر نقولا الثاني والغراندوق نقولا نيقولايفتش في عرض عسكري

وهندنبورغ اظهر مقدرته الحربية دون ما ابطاء . فتجلت على الفور مواهبه الراجحة وقد استفاد من البعد الشاسع بين الجيشين لروسيين وهزم الواحد تلو الآخر

وساعدته مدافعه الضخمة في القتال . فانقض بادىء بدء على « سامسونوف » . واصيب القائد الروسي بالذهول والالمان يفاجئونه بالهجوم ، وما استطاع ان يحمي جانبيه من تطويق فولاذي رماه به هندنبورغ ، فتحطمت جبهته ، وبلي بهزيمة مروعة تلاشت بها عزائم الروس

مقتل القائد سامسونوف

ودامت المعركة ثلاثة ايام كاملة من ٢٦ آب الى ٢٩ منه . ولا نكير في ان الروس ابدوا كل شجاعة كقائدهم نفسه ، ولكن هندنبورغ كان اقوى منهم ساعداً واوسع حيلة في تدبير الخطط الحربية ، فطوقهم واكرههم على التقهقر ، حتى ان التقهقر ما انقذهم منه . فابقوا بين يديه ثمانين الف اسير وانهزموا دون ما نظام يرتدون الى ضفاف نهر « نارو » اليمني

واصيب القائد « سامسونوف » في اثناء المعركة فقضى نحبه

رينكامب يسرع الى نجدة زميله ... ولكن ...

وبلغ الامر القائد « رينكامب » فارتد الى « انستربورغ » يرغب في انقاذ جيش « سامسونوف » ، الا انه لم يفلح في هدم خطة خصمه . واصطدما في ٧ ايلول فظفر هندنبورغ بالجناح الروسي الايسر وقذفه الى نهر « نيامن » . وجلا الروس عن بروسيا الشرقية وفتحوا ابواب بولونيا الروسية التي يصعب الدفاع عنها من الخطر النمسي الالماني ، والنمسا والمانيا تغمرانها من الشمال والغرب والجنوب

حالة الجيش الروسي

ووصف المؤرخون العسكريون حالة الجيش الروسي منذ بدء الحرب الكبرى فقالوا ان التعبئة الروسية وان تكن قد بدأت في ٢٥ تموز فهي لم تنته في سوى اليوم الخامس والعشرين من شهر آب ، اي انها دامت شهراً كاملا . على ان حشد القوات بكاملها على الحدود الروسية الاوروبية لم يكن قد تم حتى ذلك الحين

والباعث على التأخر في حشدها ان روسيا دولة مترامية الاطراف . فهي وحدها نصف اوربا . ومثل هذه الدولة ، وأساليب النقل متقهقرة فيها ، لا تقوى على جمع قواتها في موعد قريب . فلا غنية لها عن السير الى هدفها بالتدريج

ومما كان يزيد في تأخرها اعتقادها ان الالمان لن يرتدوا الى روسيا الا بعد ما ينهزم امامهم الجيش الفرنسي وتصبح فرنسا بين

ايديهم ، عندذاك ينصرفون الى محاربة روسيا

غيران الحوادث...

غير ان وقوف بلجيكا في طريق القوات الالمانية دفع الروس



القائد هندنبورغ الالماني

قاهر الروس في بروسيا الشرقية

الى الاسراع في تجهيز ما لديهم من قوات كيفما كان الامر . فما دامت بلجيكا اعترضت سبيل التيار الالماني فعليهم ان يناصروها في محاولتها وان يقذفوا المانيا والنمسا بما تيسر لديهم من جيوش ليميلوا بالالمان عن الاندفاع بقواتهم كافة الى مناوأة فرنسا

وهكذا كان . ونظروا في ما عندهم من قوات فاذا هناك جيش ضخم . فان ثلثي جيشهم الاوربي يعسكران في ضواحي موسكو . وثمة فيالق على استعداد تام للحرب . فحشدوا المليون والثمانمئة لالف من الجنود وشاؤوا الوثوب الى قلب النمسا والمانيا ليحدثوا فيها امراً

وتم ما ارادوا . فانتقلوا من نصر الى نصر حتى امست لهم بروسيا الشرقية بتمامها كما سبق القول

على ان « رننكامب » وان يكن قد اجتاح بروسيا الشرقية وماج النصر تحت لوائه فالراهن ان موقفه لم يكن وطيداً ، فهو لم يشب هذه الوثبة في البلاد الروسية لسوى ارهاب الالمان وصدهم عن الجبهة الغربية وفيها يقاتلون فرنسا وانكلترا وبلجيكا . وهذه البغية لم تحمله على تثبيت قدمه في الاماكن المندفع اليها . فانطلق فاتحاً غازياً دون ان يحصن مؤخرته . وتراءى له بعد معركة « غامبينن » ان النصر سيبتسم له كيفما اتجه ، فلا بأس عليه في الاندفاع ابداً ما دام لا يلقى من الالمان مقاومة ذات شأن

على ان الالمان استعدوا..

على ان الالمان استعدوا . ورأوا ان المضي في التقهقر يعرض المانيا بكاملها للاكتساح الروسي . فاجمعت الكلمة على الهجوم . واقبلت اليهم النجدات من الجيوش المعتصمة بحصن « كانيغسبرغ » . فدفعوا هذه القوات الى حصن « دانتزيغ » والى ضفاف نهر « الفستيل » الاسفل . ومالوا الى استعادة بروسيا الشرقية بكل حزم ولو اضطروا الى اي تضحية كانت

القائد هندنبورغ في التاريخ

واقبل القائد هندنبورغ ، وكان صاحب اليد الطولى في النصر الالماني في بروسيا الشرقية . وقد اوضحنا مقام القائد الحربي ، على اننا لم نتبسط في سرد تاريخ حياته

فالقائد « هندنبورغ » ممن قاتلوا فرنسا في حرب السبعين ، وظل يترقى في صفوف الجيش حتى بلغ رتبة قائد . وكان ان تولى سنوات طويلة القيادة في بروسيا الشرقية فبات يعرف البلاد معرفة حقيقية . وفي كل مداورة قام بها الجيش الالماني للتمرس باساليب القتال كان الفوز للقائد هندنبورغ لوقوفه على اسرار هذه البلاد ومخابئها واماكن الخطر فيها

ولما احيل الى التقاعد استقر في بروسيا الشرقية . وجال في غاباتها وجبالها يقف على حالتها بالتدقيق . وشاقه في طوافه ان يجر وراءه مدفعاً كبيراً من مدافع الميدان يستعين به على التجارب الحربية . واتضح له في هذه التجارب اي مستنقعات يستطيع ان يجر فيها المدفع دون ان يغوص هذا المدفع في ارض المستنقعات . ومما قال في هذه البقعة من الارض انها حصون طبيعية ترد عن المانيا الاجتياح الروسي واي عدوان آخر يحاوله الناقمون عليها في يوم من الايام

ولما طاب لفريق من رجال الحكم في المانيا تجفيف البحيرات وقطع الغابات وردم المستنقعات وتنظيم الري في بروسيا الشرقية كي تبيت بلداً زاهراً عارض هندنبورغ هذه الفكرة بشدة . ولم يكن منه الا ان شخص



جماعة من فرسان «القوزاق» الروس في طريقهم الى القتال

الى برلين ومثل بين يدي الامبراطور غليوم الثاني وطلب اليه ان يرد المشروع قائلا ان تحقيقه خسارة لا تعوض . فان المانيا تمسي به سهلة المنال لا يصعب على اعدائها الشرقيين احتلالها ساعة يرومون احتلالها

فعمل الامبراطور برأيه ورد المشروع . ولما دقت الساعة اختاره الامبراطور غليوم لاقصاء الروس عن بروسيا الشرقية، فساعدت طبيعة الارض القائد الالماني كل المساعدة وكانت عند حسن ظنه بها

كيف قهر هندنبورغ الروس ؟

وما كاد هندنبورغ يتولى قيادة الجيش الالماني في بروسيا الشرقية حتى اخذ في حشد قواته حول « اوستردد » و« تاننبرغ » و« هوهنشتين » ، وهي قرى صغيرة في بقعة البحيرات تمتد على الخط الحديدي الاكبر المار في « طورن » و « غرودنس » مجتازاً نهر الفيستيل الى « ألينشتين »

وجاء بالمدافع الضخمة والنجدات من حاميات « فيستيل » تحملها اليه سكة الحديد والسيارات . واقام في موقع صد به هجوم « رينكامب » على « الينشتين » ، ولم يكن الموقع الذي رسخ فيه بالموقف الحربي . فخدع به القائد الروسي وقد توهم ان هندنبورغ استقر في تلك الناحية لقربها من الخط الحديدي

ولكن القائد هندنبورغ يدرك قدر هذا الموقع وقد خبره بنفسه . فشاء ان يقاتل عدوه في مكان يجره منه الى المستنقعات ، وهي ارض سهلة لينة كثيرة الوحول لا يدل مظهرها على حقيقتها . فمن يبصرها يحسبها ارضاً يابسة لا خطر في سلوكها ، مع ان لا سبيل الى اندفاع جيش عرمرم فيها وجر مدافعه الضخمة وما لديه من مركبات النقل عليها

نصف مليون يقاتلون

وجرت معركة « تاننبرغ » . ودامت ثلاثة ايام تقاتل فيها نصف مليون من البشر . فالالمان يملكون ربع مليون والروس يملكون مثل هذا العدد . على ان الجيش الالماني لم يظفر في البدء بهذه القوة . فكان دون الجيش الروسي . فدعا هندنبورغ اليه النجدات فوافاه بها الخط الحديدي . ومما زاده قوة على الروس ان مدافعه اوفر واوفى . فجاء بكل ما في حصون « فيستيل » من المدافع حتى ملأ بها الميدان فباتت اشداقاً تنثر الموت على طول خطوط القتال .



فرنسوى جوزف امبراطور النمسا وملك المجر

ولقد قال فيها احد الضباط الروس انها طفت بعددها على افواه البنادق ونسفت هذه المدافع في اليومين الاولين الجبهة الروسية . غير ان الروس ظفروا في هجماتهم واستولوا على القرى الالمانية بقوة الحراب ، ولكن المدافع الالمانية اكرهتهم على التقهقر والجلاء

من الدفاع الى الهجوم

ولم يشأ القائد هندنبورغ ان يعمد في البدء الى الهجوم ، فاكتفى بالدفاع كي يفت في عضد الروس ثم يعمد الى القضاء عليهم . وشعر الروس بموقفهم الحرج فمالوا الى تطويق الجناح الالماني الايمن ، الا ان هندنبورغ درى بما ينوون فعمد الى هدم خطتهم بان دفع اليهم قوة من جيشه انبثت بين البحيرات والمستنقعات واستعد من ناحية اخرى الى تقويض الجناح الروسي الايمن فيما يراه منقضاً على جناحه الايسر

الروس يكشفونه

وطار طيار روسي فوق الغابات فلاح له مشهد حمله على انعام النظر فيه . فالسيارات والمركبات كانت تنقل المشاة الالمان من القلب الى الجناح الايسر . فابلغ الامر القيادة الروسية فاجتهدت في تعزيز ميمنتها . وما حان ظهر اليوم التالي حتى بدأت المعركة بين الجناح الالماني الايسر والجناح الروسي الايمن

ودامت المعركة طول الليل . وفي صباح اليوم الثالث تقهقر الروس امام الجيش الالماني وقد جرهم هندنبورغ الى المستنقعات وباتوا لا يقوون على الخلاص منها . فدحرهم وارتد الى جيش « رينتكامب » يهزمه وقد اقبل لنصرة قوات « سامسونوف »

وفي هذه المعركة الهائلة ، بل في هاتين المعركتين ، سقط القائد الروسي « سامسونوف » كما سقط القائدان « بستنش » « ومارتوش » . واذاعت المصادر الالمانية انها اهلكت ثلاثة فيالق ونصف فيلق من الفيالق الخمسة المؤلف منها الجيش الروسي

وهذا النصر في بروسيا الشرقية اعظم فوز ادركه في اوائل الحرب الكبرى الالمان . وكان الفضل فيه فضل القائد « هندنبورغ » في جره الروس الى مستنقعات « تاننبرغ » . ولكن مر اسبوعان قبل ان تذيع انباء هذه المعركة . وسكت الروس عنها فما اعلنوها قبل انقضاء زمن طويل عليها . وقالت الصحف الالمانية ان الروس اصيبوا بخذلان رائع فما صدقها الفرنسيون ولا الانكليز ، بل قالوا في ما ترويه انها تنشر الاكاذيب

غير ان الحقيقة لم تلبث ان تظهر ، وكانت الهزيمة الفادحة وبالاً لا على الروس فحسب ، بل على الحلفاء اجمعين !

الأسرار

العدد العاشر



بدل النسخة

١ قرش صاغ

مسجد السلطان احمد ومسجد اياصوفيا وهما من اروع مساجد استانبول

فى هذا العدد: الاتراك يفكرون في نقل عاصمتهم من استانبول الى قونية او بروسة — مصطفى كمال يقهر الحلفاء في الدردنيل — رأي عبد الحميد في سياسة انور ورفاقه — الروس يهزمون النمسيين في غاليسيا الشرقية

الاسرار

اصحابها : انطون صادر ، كرم ملحم كرم ، فؤاد ميداني

رئيس الانشاء المسؤول: كرم ملحم كرم — منشىء القسم الشرقي: فؤاد ميداني

المكاتبات باسم مدير المجلة : انطون صادر

الادارة مكتبة صادر * شارع اللنبي * بيروت

مجلة اسبوعية تاريخية تبحث في التاريخ وما اهمله التاريخ — العدد ١٠ — بيروت في ٧ حزيران سنة ١٩٣٨

اسرار الجاسوسية في القضية العربية

بقلم فؤاد ميداني

الحكم على جندي عربي بالموت لانتقامه من ضابط تركي اهانه

القضاء على الجندي يذهب بحياة الام والزوجة

لم تنصب المشانق في بلاد العرب الا بعد انشاء ديوان الحرب العرفي

وكانت العادة المتبعة ان يرمى بالرصاص من تحكم عليه المحاكم العسكرية بالموت

والعثمانيون اعدموا رمياً بالرصاص للمرة الاولى في بيروت المرحوم مصطفى عبد السلام البيروتي ، وذلك في اليوم الاول من عام ١٩١٥ في المدفن القائم فيه اليوم «الرستوران الفرنسي».

وقد لقي هذا الشاب البائس الويلات حين اعدامه . فاطلق عليه الجند الرصاص واصابوا الحبال التي كان مربوطاً بها . فانقطعت وسقط الى الارض بجانب الخشبة التي تدلى بها ولم يكن قد مات. فاقترب منه جنديان واطلقا عليه الرصاص فقتلاه بعد ما لقي العذاب الطويل



اول ضحية من ضحايا جمال باشا

منظر رائع لاعدام مصطفى عبد السلام البيروتي . وهو رسم اخذ خلسة للشاب يوم نفذ فيه حكم الموت

ماذا اقترف ؟

ويهمنا ان نحدث القراء عن جريمة مصطفى عبد السلام البيروتي

لما دخلت القوات العثمانية « ضهور الشوير » تثبت فيها خطوة العثمانيين الاولى في احتلال جبل لبنان كان الجندي مصطفى عبد

السلام البيروتي بين هؤلاء الجنود الذين كتبت لهم السلامة من افراد الالاي ٦٧

وشاء هذا الجندي ان يقبل الى بيروت لرؤية ذويه وقد مضت عليه شهور طوال لم يبصرهم فيها . فغادر ضهور الشوير دون ان يستأذن في ذلك قائده ، وبعد ان شاهد ذويه ابى عليه واجبه الوطني البقاء لديهم فعاد ادراجه الى مقر اخوانه الجنود

على ان رئيسه الملازم برهان الدين لم يغفر له هذه الهفوة ، فابى الا معاملته بشدة وقساوة ، فاهانه بكلام جارح اثار غضب الجندي ، ومما زاد في غيظه ان يتناول رئيسه السوط ويضربه به ويكيل له ولامته العبارات الاليمة ويتهمها بالخيانة والغدر . فما كان من مصطفى عبد السلام وقد اعماه الغضب الا ان سدد بندقيته الى الضابط واطلق منها عليه رصاصة كانت كافية للقضاء على حياته

ولم يفر مصطفى بعد ارتكابه هذه الجريمة بل استسلم الى رفاقه مستشهداً بعضهم على ما اهاب به الى ارتكاب الجرم ، ومع ان هؤلاء ، وجلهم ليسوا من العرب ، انصفوه في شهادتهم امام المحكمة العسكرية فلم يكن من هذه المحكمة الا ان حكمت عليه بالموت . واقرّ احمد جمال هذا الحكم ، وكان اول حكم بالموت على عربي يصدقه جمال باشا ، ونفذ في اليوم الاول من سنة ١٩١٥ على تلك الصورة المحزنة .

ولم تكتف قيادة موقع بيروت باعدامه بذلك الشكل الفظيع بل ربطته بالخشبة التي رفع عليها وعرضته على الانظار مدة ساعتين ، مع ان النظام العسكري يمنع مثل هذا التشهير في المحكوم عليهم رمياً بالرصاص

فاجعة تجر فاجعة

ومصطفى كان رب عيلة لا معين لها سواه ، وعيلته مؤلفة من والدة عجوز وزوجة اقترن بها في ذلك العام

وهاتان المرأتان وقد احبهما كثيراً هما سبب براحه المعسكر والمجيء الى بيروت لرؤيتهما وكانتا تقطنان محلة الدركة

والوالدة البائسة وقد عرفت ما اصاب ولدها سقطت الى الارض فاقدة الرشد وما لبثت ان اصيبت بسكتة قلبية اماتتها ودفنت يوم دفن ابنها

اما الزوجة وهي من اسرة بيروتية معروفة ، وقد رضيت عن مصطفى زوجاً لحبها اياه دون موافقة اهلها ، فاصيبت بعارض جنوني اشفق منه اهلها عليها فنقلوها الى مستشفى العصفورية وظلت فيه الى سنة ١٩٢١ وبرحته جثة هامدة

* * *

هذا اول حادث من حوادث الاعدام رمياً بالرصاص يقع في بيروت في بدء الحرب العالمية . وتبعته عدة حوادث اعدم فيها عشرات من العرب سنأتي على ايضاحها



عبد الحميد يبدي رأيه في احتلال المضايق

السلطان المخلوع يقول ان الحلفاء عاجزون عن احتلال استانبول

خوف انور وجماعته في غير موضعه

عبد الحميد يروي اخباره!

لما بدأ اسطول الحلفاء مهاجمة المضايق في ٣ تشرين الثاني سنة ١٩١٤، وذلك للمرة الاولى، خاف القابضون على ناصية الامر من بقاء السلطان عبد الحميد في العاصمة العثمانية واعتزموا نقله الى بروسه او قونيه، الا انهم لم يتخذوا قراراً نهائياً في الامر

واتصلت هذه الانباء بالسلطان عبد الحميد فكتب في مذكراته بتاريخ ١٥ كانون الثاني سنة ١٩١٥ يقول:

« لا تستقر الجماعة على رأي في مصيري . ففي كل يوم يحملون اليّ خبراً جديداً عن نياتها ازائي .

« ولكن ما هي الحكمة في نقلي من العاصمة الى جهة اخرى؟ اذا احتل العدو استانبول فماذا يفعل بي ولم يبق مني غير هيكل لا يصلح لسوى العرض في دار الاثار ؟... لماذا كل هذا الخوف ولست ارى العدو ؟

« أيظنون ان بوسع الحلفاء اختراق المضايق بسهولة ؟... انور وجماعته يخشون دخول الانكليز الى استانبول ، وفاتهم ان الروس لا يمكنونهم من دخول عاصمتنا حتى ولو فازوا في الحرب ، كما ان الانكليز لا يبيحون للروس احتلال العاصمة. وهكذا يمسي دخول الحلفاء استانبول من المحال . ولو فرض وتم المحال فان استانبول تظل بين ايدي العثمانيين بعدما يحوّلها الحلفاء الى مرفأ تجاري حر .

« واكبر دليل على صحة رأيي ما يجري في مصر . فالانكليز احتلوا القطر المصري فماذا فعلوا ؟... عزلوا الخديوي عباس حلمي باشا وولوا السيادة الامير حسين نجل الخديوي اسماعيل باشا من سلالة محمد علي

« ولذا لست ارى مجالا للخوف على مستقبل السلطنة العثمانية، فان سيادتها باقية لا يمكن ان تزول بتبديل الاشخاص »

عبد الحميد بين انكلترا وروسيا

وتتبع السلطان عبد الحميد الموقف الحربي في البحر الابيض وفي البحر الاسود . وفي ٢١ شباط سنة ١٩١٥ كتب في مذكراته ما يلي :

« قام اول من امس، في ١٩ شباط، اسطول الحلفاء بهجوم قوي على المضايق، فبلي بالفشل التام، مما يؤيد رأيي في ان ليس بامكان الحلفاء اختراق المضايق ولا احتلال شبه جزيرة « جناق قلعه » . ومما يسيؤني موقف الصحافة في هذه البلاد ، فلست ادري الحكمة من اطلاق حرية ، الصحف بهذا المقدار !

رأيه في الصحف

« فكم هي مؤلمة الكلمات التي يرمي بها الصحفيون الحلفاء . ايعتقدون انهم يقوون بمثل هذه الكلمات البذيئة على قهر الحلفاء ؟... ان يكن هذا اعتقادهم فهو ضلال . فمن واجب الصحافة ان تعتمد الاعتدال والسكينة في مواقفها كافة ، اما ان تتهور ويدفع تهورها الشعب الى المخاطر فذلك مما لا يغفر لها

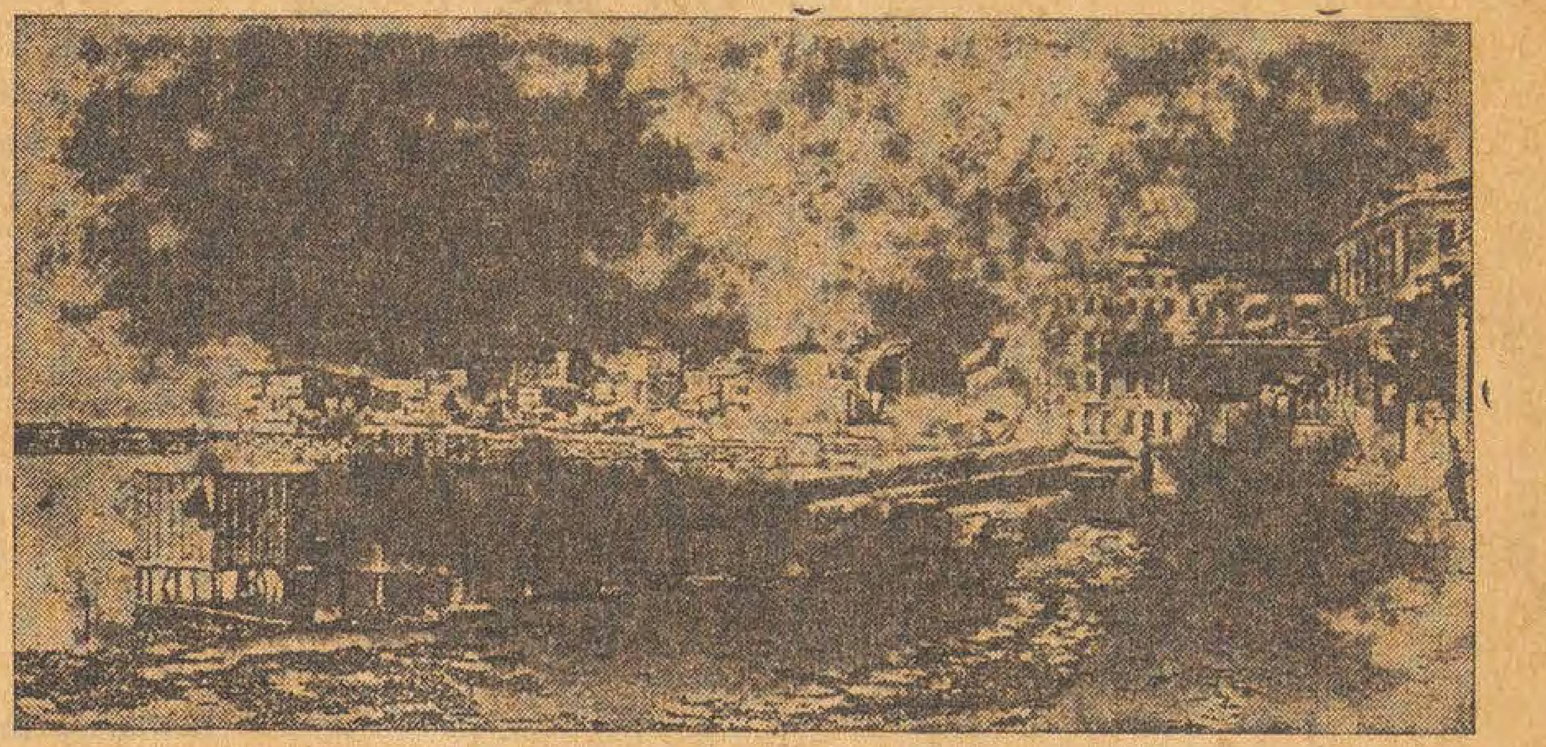
« كانت الصحافة في عهدي ضعيفة ، ولكن هذا الضعف افضل من الحرية المتمتعة بها اليوم . كنت ارغب في ان تكون الصحف صادقة في اخبارها ، بعيدة عن اثارة الشعب عفواً

« وقعت في عهدي حادثة اشد خطورة من الحوادث الطارئة في هذه الاثناء على السلطنة العثمانية ، فلو كانت هناك صحف تتكلم باللهجة التي تتكلم بها صحف هذا العهد لبات من الصعب علينا

انقاذ الموقف »

كيف انقذ عبد الحميد الموقف ؟ ...

والحالة التي اشار اليها السلطان عبد الحميد في مذكراته ترجع الى الحرب الروسية العثمانية . فقد روينا في الجزء السابع من «الاسرار» ،



* محلة « اياستفانوس » في استانبول *

احد احياء استانبول وقد احتلته القوات الروسية في عهد عبد الحميد كما اشار الى ذلك السلطان نفسه في مذكراته، ومن غرائب الاتفاق ان المكيدة المدبرة لخلع السلطان عبد الحميد تمت في هذه المحلة كما اوضحنا ذلك في العدد الاول من « الاسرار »

في سردنا تاريخ الدردنيل، ان الروس بعدما غلبوا العثمانيين واصبحوا على ابواب استانبول اندفع الاسطول الانكليزي من المضايق الى العاصمة العثمانية . وقد اوضح ذلك عبد الحميد في مذكراته بقوله :

« لما بات الروس على مقربة من العاصمة اجتمع مجلس الوزراء دون مشيئتي وقرر دعوة الاسطول الانكليزي الى الدفاع عن استانبول، الا ان هذا الاسطول ما كاد يدخل المضايق حتى تقدم الروس واحتلوا «اياستفانوس» احد احياء استانبول النائية .

« فما اطلعت على حقيقة الامر حتى دعوت الوزراء الى جلسة استثنائية وخاطبتهم بقولي :

— لم اعرف الحكمة من دعوتكم الاسطول الانكليزي الى استانبول . ألا ترون انكم في عملكم هذا ملكيون اكثر من الملك؟..

« دخول الاسطول الى استانبول زاد الموقف خطورة ، وما عليكم سوى ابعاده عن العاصمة كما جئتم به اليها !

« فباحث الصدر الاعظم صفوت باشا الانكليز في الامر ،فكان جوابهم ان الاسطول الانكليزي سيظل مكانه ما دامت القوات الروسية على ابواب استانبول

« وكان الموقف خطراً كادت تتحول به استانبول الى ساحة قتال دامية . فالانكليز يهددون الروس بقذائف اسطولهم ان هم لم يتراجعوا ، والروس يهددون الانكليز باحتلال استانبول نفسها اذا رشقوهم بالقذائف

« فتفاقمت الحالة ، واذا الصدر الاعظم صفوت يقبل اليّ باكياً مسترحماً طالباً مني ان ارشده الى ما يجب اعتماده من تدابير . فوبخته بعنف للتهور البادي منه . وبعدما سالت دموعه طويلا لاطفته وقلت: سأجد حلا موافقاً لهذه المعضلة !...

دهاء السلطان عبد الحميد

« والقوات الروسية لم تكن في ذلك الحين تقاتل جيوش السلطنة العثمانية بل كانت في موقف هدنة . والمحادثات تدور بين مندوبي الدول لحل القضية . واقام الجيش الروسي على بعد خمسة عشر ميلا من استانبول ، الا انه بعد دخول اسطول الانكليز المضايق تقدم الى « اياستفانوس» ومكث فيها

وعبد الحميد ادرك خطورة الموقف بعد مقابلة رئيس وزرائه صفوت باشا ، ففكر في الامر وانقذه . وتحدث في مذكراته عن الحادث فقال :

« ارسلت الى الغراندوق نقولا القائد العام للقوات الروسية المقيم في « اياستفانوس » ادعوه الى القصر ، واستقبلته بحفاوة زائدة تتفق مع زهوه ، واقمت له في السراي حفلة شائقة . ولما خلوت به طلبت اليه ان يبعد قواته عن استانبول وقلت :

« — ارجو ابلاغ مطلبي صديقي العزيز جلالة القيصر . فاني اخشى اذا استمرت الحالة كما نرى ان لا يبقى في وسعنا تلافي ما قد يقع بينكم وبين الانكليز من فواجع ، وعندذاك لا يسعني احتمال اي تبعة كانت !

« والغراندوق نقولا كان رجلا كل الرجل . فطلب امهاله بضعة ايام . قال :وبعد ذاك أؤكد لجلالتكم اني احول دون كل ما من شأنه ازعاجكم !

« وانصرف الغراندوق لمخاطبة مولاه القيصر. وفي اليوم التالي دعوت اليّ السير « ليارد » سفير انكلترا في العاصمة واوضحت له حرج الموقف وضرورة تراجع الاسطول الانكليزي عن مياه العاصمة . وكان السفير صديقاً حميماً لي، فاصغى الى مقالي بهدوء وسكينة واجاب:

« — انت على حق ياصاحب الجلالة .ولكن على القوات الروسية ان تتراجع اولا وانا اعد جلالتكم بابراح الاسطول الانكليزي فوراً مياه استانبول !

كيف تم التوفيق ؟

« ولا ارى مجالا لايضاح ما قمت به من المحادثات . على اني تمكنت من اقناع الفريقين بصحة رأيي . وفي يوم واحد تراجعت

11 Mart 331
24 » 915

Çanakkalede düşmana karşı kazanılan yeni muvaffakıyet, Abdülhamidi sürur içinde bıraktı. Mütemadiyen elile gazetelere vuruyor, ve:

— Gördünüz mü bizim koca aslanları. Düşmanın tam beş tane zırhlısını batırmışlar. Gazetelerin rivayetine bakılırsa, tekrar geleceklermiş. Pekâlâ.. Gelecekleri varsa görecekleri de var. Bu sefer de inşallah birkaç zırhlı daha batırırlar, onların da aklı başına gelir... Yalnız, canı-

مذكرات السلطان عبد الحميد

نشر ابناء السلطان عبد الحميد مذكراته عن الحوادث التي مرت به .

وهذه القطعة سلخناها من القسم الذى ترجمناه في هذه النشرة ليتثبت قراء « الاسرار » من صحة ما يطالعون

القوات الروسية من « اياستفانوس » كما غادرت وحدات الاسطول الانكليزي مياه العاصمة الى خارج المضايق

« رويت هذا لكون الموقف الحاضر قد يكرر حوادث الماضي ، ولذا ارى في حملات الصحف خطأ فادحاً ، وخصوصاً في مثل هذه الاحوال الحرجة . فعلى الصحافة واجب يقضي باعتدال لهجتها حتى في مخاطبة اعدائها . فمن الضرورة ان لا تعدو في ابحاثها نطاق العدل والانصاف

« انا على ثقة تامة بان الحرب الحاضرة لن تجيز لروسيا احتلال استانبول والانكليز لا يريدون ذلك ، والانكليز انفسهم لن يقووا على هذا الاحتلال ما دامت روسيا لا تريد ! »

الانتقال الى بروسه او...

ولم يكن في البدء التفكير جدياً في نقل العاصمة من استانبول . اما والحلفاء تقدموا في المضايق فقد رأت الحكومة العثمانية ان لا بد من تقرير هذا الانتقال . وخطر لها ان تكون قاعدتها بروسه او قونيه واتخذت بعض التدابير استعداداً لمثل هذا الامر ، فنقلت السجلات والاوراق الى بروسه . ورقب الجميع حالة المضايق حتى اذا باتت استانبول تحت الخطر انتقل فوراً منها السلطان واركان الحكومة الى بروسه . وتحدث عن ذلك السلطان عبد الحميد في مذكراته المؤرخة في ٥ اذار سنة ١٩١٥ فقال :

« اني شديد الخوف من الحالة الحاضرة ، وارى المستقبل حالك الظلام ، ويؤلمني جداً ان ارى الحلفاء يتابعون ضرب المضايق . على ان ما يدعو الى المسرة فوز وحداتنا باغراق بعض مدرعات الاعداء . انا موقن بان الحلفاء اذا لم يقدموا على تضحية عدد كبير من جنودهم واساطيلهم فلن يستطيعوا بوجه من الوجوه اختراق المضايق والوصول الى استانبول . ولكن من يعرف الانكليز يحكم معي بانهم لا يضحون بعشرات الالوف من جنودهم في سبيل النصر . فان للانكليز والفرنسيين مستعمرات واسعة يأتون منها بالجيوش ويسيرونها الى المضايق . ولكن لهذه التضحيات حداً ليس لهم ان يتعدوه . فاذا امعنوا في التضحية اثاروا نقمة ابناء المستعمرات عليهم . ولما كان احتلال استانبول يكلف من التضحيات ما لا طاقة لهم عليه فاني اجد صعوبة عظيمة عليهم في احتلال عاصمتنا بقوة السلاح

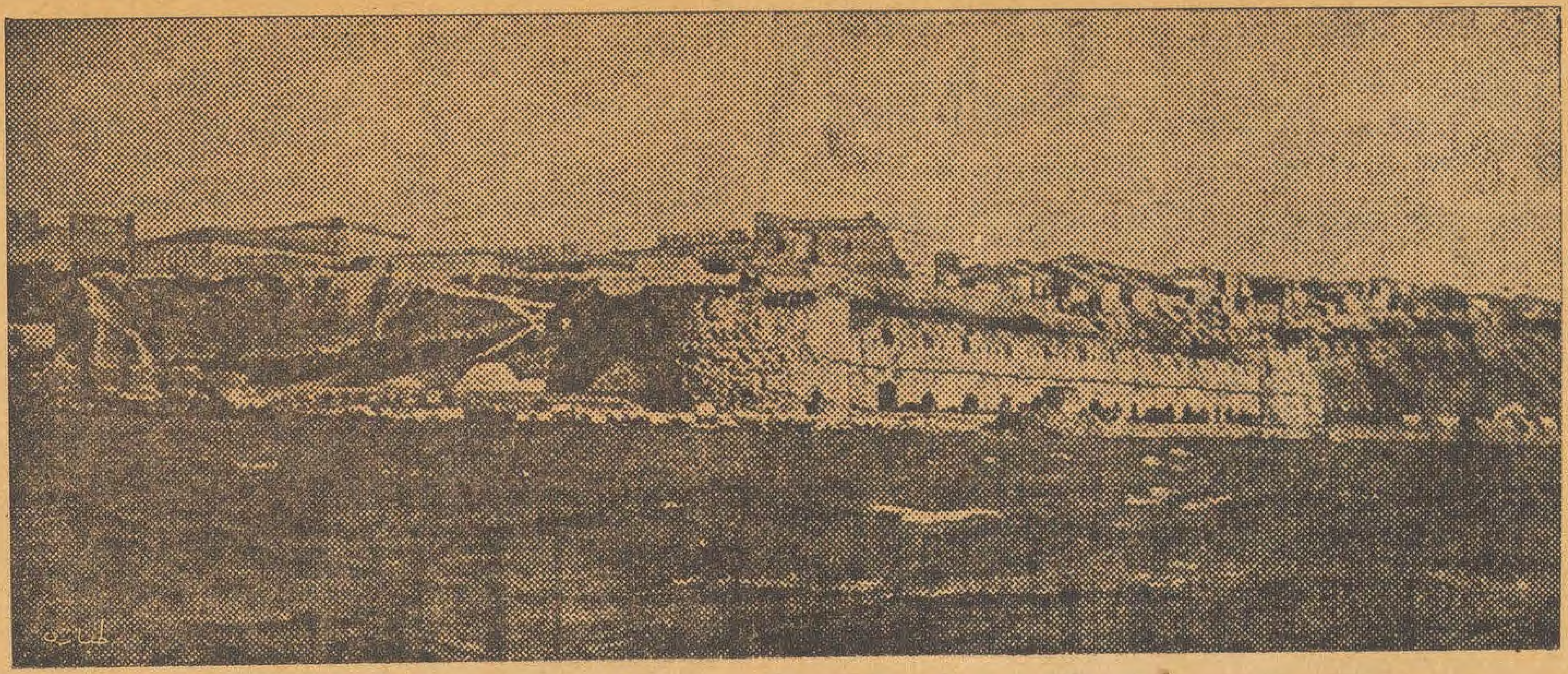
« هذه حقائق واهنة يجب على حكومتنا ادراكها . ولكن يبدو لي مما يجري ان الحكومة لم تدرك هذه الامور كل الادراك . فهي تظهر خوفاً شديداً وتفكر في نقل العاصمة الى بروسه او قونيه تشبهاً بالفرنسيين الذين نقلوا عاصمتهم من باريس الى بوردو .

« ان موقفنا يختلف كثيراً عن موقف الفرنسيين . فهؤلاء وجدوا عاصمتهم مهددة من الالمان وقد سبق لهؤلاء ان دخلوها ظافرين وليس في طريقهم اليها حصون جبارة تمنعهم من احتلالها . اما نحن فلدينا المضايق وهي تدفع عنا كل خطر

« ان الواجب يحتم علينا البقاء في العاصمة حتى ولو بات العدو على ابوابها ، اذ ليس بوسعه على الاطلاق ولوج هذا الباب !... »

تأييد رأى عبد الحميد

والايام ايدت رأي السلطان عبد الحميد . فاللورد « اسكويث » القى بياناً في مجلس العموم الانكليزي قال فيه : « ان الحكومة



«سد البحر» التي حاول احتلالها الحلفاء

دارت معارك شديدة في منطقة سد البحر في ٢٥ نيسان عندما حاول الحلفاء انزال جنودهم فيها كما يطالع تفصيل ذلك قراء «الإسرار» في هذا العدد

الانكليزية ستقرر فيما بعد مصير استانبول» . فاتخذ السلطان عبد الحميد من هذا البيان حجة تدعم رأيه وقد كتب في مذكراته بتاريخ ١٤ اذار ١٩١٥ قائلا:

«تصريحات اللورد اسكويث في مجلس العموم الانكليزي بصدد موقف انكلترا من استانبول ، كما نقلتها الى الصحف اليوم ، تؤيد نظري وتدل بصراحة على اختلاف القادة الانكليز

« وقلت مراراً ان من المحال اتفاق الانكليز على مصير استانبول. فليس بوسعهم لا اليوم ولا غداً ولا بعد زمن طويل ان يعهدوا باستانبول الى سوانا « ليتأمل قراء « الاسرار » بعد نظر السلطان» لانهم لا يرون سوانا ضامناً لسيادتهم في هذه البحار . واذا عمدوا الان الى مهاجمة المضايق بحراً فكل قصدهم ان يضعفوا من مركز الالمان لاسلبنا عاصمتنا

« ارى الحالة اليوم احسن منها من قبل . فالحلفاء وقفوا عن ضرب المضايق وقد ثبتت استحكاماتها امامهم

«وكنت قد عهدت الى آصف باشا بتحسين المضايق،وهو وان يكن رجلا لا قدر علمي وعسكري له ، فلا ريب في انه رجل مستقيم ومخلص جداً . ولقد اجاد التحصين . وطلب مني ان اجيء بمدافع جديدة لحصني « الروملي» و«اناضول» على مدخل المضايق. فرفضت. ولو عملت بنصيحته لكان موقفنا الآن غيره بالامس . ومع هذا فلست اخاف على مصير المضايق وانا على اعتقاد تام ان العدو سيرتد عنها حتماً !

بعد معركة البحر

وفي ١٩ اذار قام اسطول الحلفاء بهجومه الثالث على المضايق وفيه بذل كل قواه لهدم الحصون العثمانية كما تبين في الجزئين الاخيرين من « الاسرار »

ويظهر ان هذه الانباء سرت السلطان عبد الحميد فكتب في مذكراته بتاريخ ٢٤ اذار سنة ١٩١٥ عبارات يبدي فيها ارتياحه لفوز الحصون العثمانية العظيم بشلّ حركة اسطول الحلفاء في هذه المعركة الطاحنة ، الى ان قال :

« يتمرد الانكليز على حقيقة الحالة ويرغبون في اظهار قوتهم البحرية . ولكن الفشل الثالث الذي اصابهم في محاولاتهم اختراق المضايق سيكون لهم درساً رهيباً في المستقبل ويحول دون عودتهم مرة اخرى الى الاصطدام بالمضايق . اني لواثق بان هذه المحاولة ستكون آخر محاولاتهم ولن يقدموا على اختراق المضايق بعد الان !..»

نظر عبد الحميد الثاقب

وهذه الفقرات من مذكرات السلطان عبد الحميد تدل القراء على نظر السلطان الثاقب . وعبد الحميد لو بقي في تلك الايام العصيبة على رأس الحكم لكانت السلطنة العثمانية غير ما انتهت اليه

كيف تنفس العثمانيون في الدردنيل

الجيش العثماني ينهزم والحلفاء يفوزون ويحتلون الشواطىء غير ان مصطفى كمال اقبل وتبدلت الحال

ادعوكم الى الموت !...

لم تكن البلاغات المنشورة في ايام الحرب عن المعارك المضطرمة في مختلف الجبهات ، ولا سيما في الجبهات العثمانية ، تخرج عن حد « لا جديد في الجبهة الغربية » ، مع ان ثمة الوفاً من الضحايا وتخريب مئات من المنازل والقرى .

والعثمانيون انفسهم اعتمدوا هذه الخطة في نشر البلاغات الرسمية ، فاذا ضرب الحلفاء معسكراً قالوا ان مئات القذائف التي اطلقت جاءت برداً وسلاماً ولم تقتل الا رجلا ولم تجرح الا عنزة او جملا او حماراً .

والانكليز الذين كانوا يسيطرون على مصر وعلى قسم من البلاد العربية عمدوا الى اذاعة البلاغات الرسمية من القاهرة وفيها كانوا يقلدون العثمانيين في بلاغاتهم فلا تخرج عن ادعائهم الفوز حتى في الدردنيل . فوضعوا عدة بلاغات بعد معركة ١٩ اذار البحرية، وقبل انزال الجنود الى البر، انكروا فيها ما منيت به وحدات اسطول الحلفاء في معركة ١٩ اذار من خيبة وفشل، واكتفوا باذاعة بلاغ رسمي قالوا فيه ان « المناورات التي قام بها اسطول الحلفاء ادت الى فوزه في تدمير بعض التكنات العثمانية، وان الحلفاء يواصلون اطلاق المدافع على الدردنيل »

ثم عادوا واعلنوا في ١٢ نيسان ان بواخر الاسطول تعمل على تطهير مداخل الدردنيل من الالغام

وفي ١٣ منه اعلنوا ان بوارج الحلفاء تمكنت من الوصول الى خليج « ساروس » واخذت تضرب منه حصون الدردنيل

وفي ١٦ اعلنوا ان مدمرة انكليزية تمكنت من اقتحام مضيق الدردنيل مسافة عشرة اميال ثم عادت بسلام بعد ان ضربت الحصون العثمانية واحدثت فيها اضراراً جسيمة »

في معركة البر

وفي ٢٦ نيسان ، اي في اليوم التالي لحملة شبه جزيرة « جناق قلعه »، اذاع الحلفاء بلاغاً رسمياً هذا نصه :

«باشرت الحملة البرية عملها لاحتلال شبه جزيرة جناق قلعه . وقد بدأت الحملة بضرب الاسطول الانكليزي للحصون والتكنات العثمانية مدة ساعتين ، ثم انزلت الجنود الى البر فجلت القوات العثمانية عن اماكنها واحتلت فوراً القوات الانكليزية، هذه الاماكن»

وفي اليوم التالي صدر بلاغ رسمي آخر يقول: « ان القوات الانكليزية التي اجتاحت السواحل العثمانية تمكنت من التوغل في قلب البلاد وباتت مسيطرة على مقدرات الامور في هذه المنطقة »

غير انه الحقيقة ..

هذا شيء من البلاغات الرسمية التي نشرها الحلفاء في مصر ورددت صداها البلاد العربية. وقد حاولوا فيها ان يثبتوا قوة اسطولهم ويستروا خيبتهم في ميادين القتال العثمانية

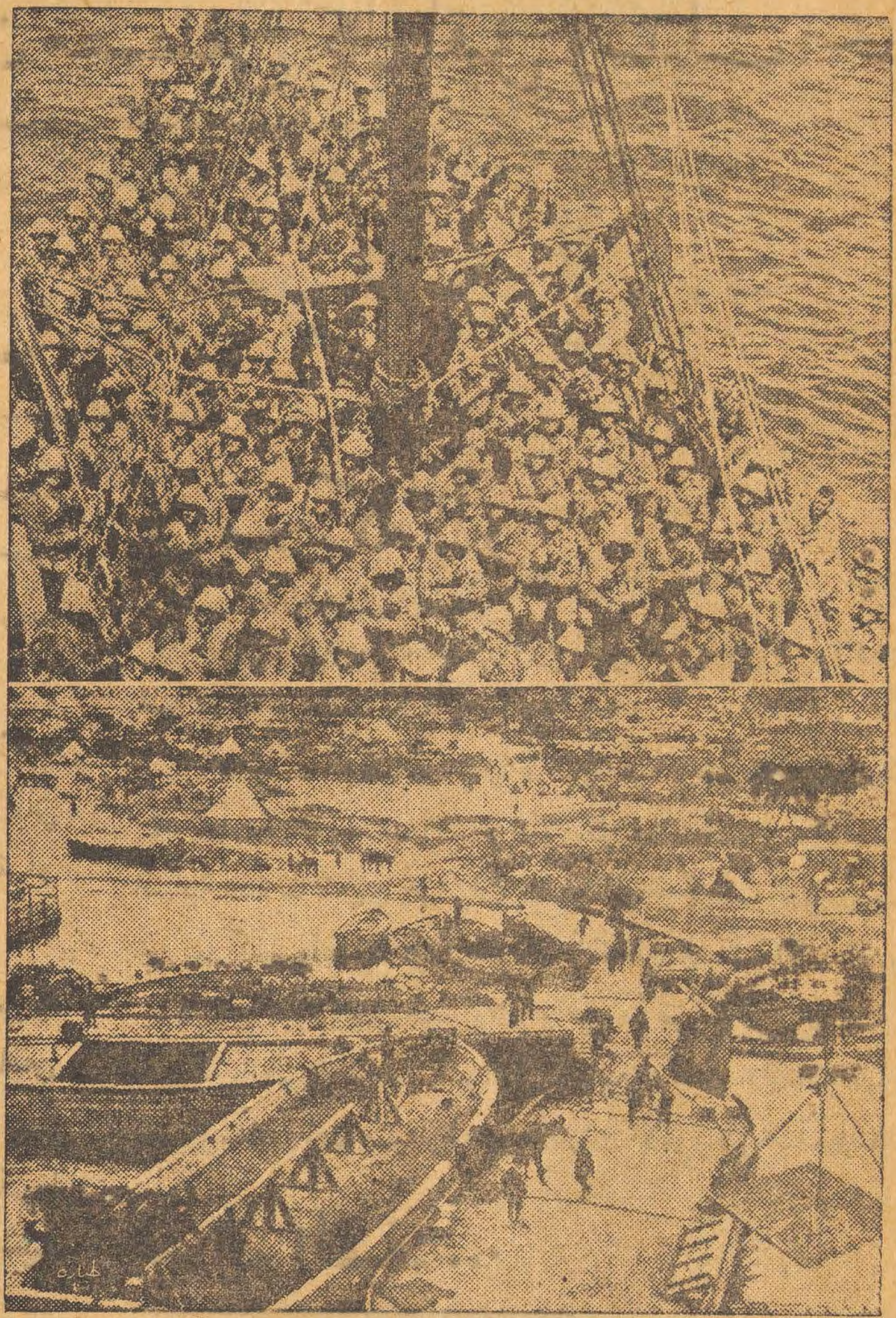
اما الحقيقة عن المعارك التي دارت رحاها في جبهة « جناق قلعه » ، فاننا ننقلها الى قراء « الاسرار » بوضوح تام ، وهي مما لم ينشر حتى الان بلغة من اللغات. وهذه هي :

القتال في جناق قلعه

جاء قائد الالاي ٢٧ الى الجبهة التي يدافع عنها الطابور الثالث

حول مرتفعات « اري بروني » ، وبعد ان تفقد الموقف ادرك ان الحالة خطرة جداً وان هذا الطابور الذي تغلب على المفرزة الاولى من الاعداء وابادها ليس بامكانه الثبات حتى النهاية . فاستدعى قائد الطابور وخاطبه بقوله :

— عليك ان تحافظ على المراكز المعسكر فيها دون ان تتراجع



الانكليز في طريقهم الى احتلال شبه جزيرة جناق قلعة
القوات الانكليزية تنتقل في العوامات من البواخر الى الساحل « في الجهة العليا » وهذه العوامات ترسو في الجهات الساحلية بعد ان انزلت حمولتها « في الجهة السفلى » وقد اخذ هذا المنظر خلال تلك الساعات العصيبة

خطوة واحدة حتى ولو سقط في الميدان آخر جندي من جنودك ، وسأجتهد في تعزيز مراكزك في اقرب آن !

اعلن قائد الالاي ما اعلن وتراجع عن هذه الجبهة تاركا قائد الطابور في موقف متناهي الخطورة

تقدم الانكليز

الا ان الفوز الجزئي المتمتع به العثمانيون في ساحل « اري بروني » لم يدم طويلا بعدما استمرت بواخر الحلفاء في نقل القوات الانكليزية الى الساحل . وكان ان باتت هناك قوات غفيرة اخذت تتسلق الهضبات . وكالكير الذي يصهر الحديد اذابت هذه القوات شراذم الجنود العثمانية المنتشرة امامها ، وتمكنت من الارتقاء الى سلسلة من الهضبات حتى بلغت مرتفعات « جونك باير » وهنـاك وقعت معركة شديدة بينها وبين القوات العثمانية التابعة للبلوكين الاول والثاني فدحرتها ووطدت على تلك المرتفعات مواقعها

انتصار الحلفاء يتوالى

ورأت القيادة الانكليزية ان لا تقف عند هذا الحد بل عليها ان تتابع تقدمها الى اعالي الجبال المشرفة على موقع قيادة الآلاي في « قوجه جشمه » ، فاذا تمكنت من الوصول اليها تأمن شر القوات العثمانية الباقية للدفاع عن هذه المرتفعات في هذه الجبهة ، كما تأمن شر المواقع الاخرى المشرفة على سد البحر

وبدأت المدفعية الانكليزية تمهيد الطريق لهذه الحملة بضرب القذائف . فاستطاعت بذلك القضاء على المدفعية العثمانية . واذ ذاك وردت الاوامر على القوات الانكليزية بالتقدم فعملت بها ، الا انها لقيت في البدء المقاومة . ولكن المدفعية عادت الى عملها وقضت على آخر محاولة من محاولات العثمانيين الذين اضطروا الى التقهقر بعد ان نزلت بهم خسائر فادحة ، مما ساعد الحلفاء على احتلال « قوجه جشمه » وبلوغ الهدف المعين في منهاج ذلك اليوم

وهذا النصر الذي ادركه الحلفاء في معارك ٢٥ نيسان اهاب بالقيادة الانكليزية العليا الى الاعتقاد ان الموقف تطور بصورة موافقة ، وانه اذا استمر على هذه الحالة اياماً اخرى كان المجال فسيحاً لاحتلال استانبول بعد اسبوع من الزمن على الاكثر

مصطفى كمال في الميدان

وشاء القدر ان يتمرد يومذاك قائد شاب على اوامر « ليمان

فون ساندرس » باشا الالماني ، القائد العام للقوات العثمانية في هذه الجبهة ، وهذا القائد الشاب هو القائمقام مصطفى كمال بك قائد الفرقة ١٩

وكان معسكر الفرقة في قرية « بيغالي » الواقعة على بعد سبعة

وباتت قوات الفرقة التاسعة في حالة خطرة بعد ما امسى الالاي ٢٧ في نطاق من القوات الانكليزية، وبعدما تفرقت قوات الالايين الاخيرين في الجبهة الساحلية وعجزت عن الدفاع

فابرق قائد الفرقة التاسعة الى اسعد باشا ، قائد الفيلق الثالث ،



القائمقام مصطفى كمال واركان حربه في الدردنيل

وسم تاريخي نادر لمصطفى كمال — رئيس جمهورية تركيا اليوم — اخذ له مع اركان حربه يوم وقعت الحوادث التي نرويها للقراء في هذه النشرة من « الاسرار » . وليس في تركيا كلها نسخة اخرى من هذا الرسم . وقد وافى به مجلة « الاسرار » احد مساعدي القائد العظيم

اميال من « مايدوس ».ولم يكن هناك سوى قائد الفيلق واركان حربه وجنود الالاي . وسمع قائد هذه الفرقة منذ الصباح الباكر ، صباح ٢٥ نيسان سنة ١٩١٥،دوي مدافع اساطيل الحلفاء في « اري بروني» فاثار الامر اهتمامه . وكان على خلاف في الرأي وقائده المشير الالماني وقائد الفرقة التاسعة ليقينه ان الانكليز لن يبدأوا انزال جنودهم الى البر في سوى شواطىء « اري بروني » دون سواها . على حين ان القائدين الالماني والعثماني يعارضانه في هذا الاعتقاد ، وكان ان تراجعت القوات العثمانية الى جهات البر وظلت المنطقة المشرفة على ساحل « اري بروني »خالية ،او شبه خالية،من القوات العثمانية مما اتسع به المجال الكافي للقوات الانكليزية كي تهزم العثمانيين وتمشي الى احتلال تلك المرتفعات المنيعة

يطلب تعزيز موقفه بطابورين من الفرقة التاسعة عشرة ليتمكن بهما من تعزيز قوات القلب وقوات الجناح الايمن المهدد بالقوات الانكليزية الزاحفة الى مرتفعات الهضبة ٢٦١

فلبى اسعد باشا النداء وابلغ قائد الفرقة ١٩ ، وكان يومئذ القائمقام مصطفى كمال (غازي تركيا اليوم) ،ضرورة ايفاد النجدة في اقرب فرصة ممكنة

الا ان مصطفى كمال بك رأى من العبث مقاومة قوات الحلفاء الوافرة العدد بقوات صغيرة متقطعة ، لاعتقاده ان هذه القوات ستذوب حتما في زحفها الى نجدة الفرقة التاسعة . ورأى الفائدة كل الفائدة في زحفه الى الامام بمجموع قواته للتغلب على العدو

وخالف مصطفى كمال بك اوامر رئيسه وقد ادرك ان هذه المخالفة ضرورية جداً ما دامت تؤدي، على اعتقاده، الى اضمحلال الجيش العثماني . وابى الا ان يحقق رأيه ، فدعا قواته الى الزحف على الصورة التالية :

اولا ــ تسير في المقدمة قوات الطابور الثاني وتتبعها قوات الطابور الاول ، ثم بطارية المدفعية الجبلية ، فقوات الطابور الثالث ، فبلوك المدفعية الرشاشة

ثانياً ــ تسير هذه القوات في قلب وادي « بيغالي » . وقد اختار مصطفى كمال بك هذا الوادي بالرغم من خطورة السير فيه وهو اقرب طريق ينفذ منه الى مرتفعات « قوجه جشمه » قبل وصول القوات الانكليزية اليها

وسار قائد الفرقة بنفسه في مقدمة هذه القوات ليختبر الطريق ويسبق القوات الانكليزية

والحق يقال ان هذه القوات لقيت مشقات عظيمة في بلوغ ضواحي الهضبة المشرفة على « قوجه جشمه » . ولم تشعر هناك بحركة للاعداء فاستدلت على ان الانكليز لم يصلوا بعد . فامر القائد العثماني قواته باحتلال هذه المرتفعات والاقامة وراء الاستحكامات المعينة لها والسيطرة على الجبهة البحرية التي سيقبل منها العدو لاحتلال الهضبة

القائد لا يعرف الراحة

وابقى مصطفى كمال بك قواته في الاستحكامات على مرتفعات « قوجه جشمه » ليأخذوا قسطاً من الراحة قبل ان يخوضوا المعركة الحاسمة ، واتجه الى الامام وبرفقته ضابط المعية الخاص وضابط الارتباط وقائد المدفعية . فشخصوا الى « جونك باير » وتحملوا في هذه الرحلة مخاطر شديدة حتى بلوغ الهدف . وروى هذه المخاطر مصطفى كمال بنفسه فقال :

ــ فوجئنا في هذه المرتفعات بمشهد مروع دلنا على حقيقة الموقف . فلما بلغنا اعالي « جونك باير » لقينا المفرزة المخندقة في الهضبة ٢٦١ ، والموكول اليها حماية هذه الهضبة ، ورصد حركات العدو في المنطقة الساحلية ، تتراجع مذعورة . فادركنا انها تفر من امام العدو . ودعوت احد الجنود الفارين الى الوقوف وسألته :

« ــ لماذا تفرون ؟

« ولكن الجندي تابع مسيره وهو يقول :

« ــ مولاي ، العدو !

« فنظرت اليه بشدة وسألته : واين العدو ؟

« فوقف الجندي وقد آلمه ان يفر امام قائده واجاب : بات على الهضبة التي كنا نحميها يا مولاي !

« وألقيت نظرة على الهضبة فاذا الاعداء يطوقونها ويمشون الى قمتها باطمئنان . فتجلت لي الحالة الراهنة وايقنت ان العدو بات اشد قرباً الى قواتي مني . فرأيت ان اتذرع بالشدة وصحت بالقوات المتراجعة :

« ــ قفوا هنا . لا يجوز للجندي العثماني ان يتراجع امام اعدائه !

« فاجابني قائد المفرزة : لم تبق لدينا الذخيرة الكافية لمقاومة الاعداء !

« على ان هذا الجواب لم يثبط عزيمتي فقلت : ضع حربتك في رأس بندقيتك وقاوم العدو بالسلاح الابيض !

« فلم يكن من الجنود وقد سمعوا ما ادعو ، اليه وانا رئيسهم ، الا ان دفعوا عنهم كل خوف وتناولوا بحركة واحدة حرابهم من وسطهم ورفعوها في رؤوس بنادقهم وانبطحوا في الارض يستعدون لمقاومة العدو

« والاعداء كانوا يطاردونهم ، الا انهم لما شاهدوا حركات جنودنا اعتقدوا ان وراءهم قوة كبيرة من جيوشنا فانبطحوا مثلهم في الارض واستعدوا لمقاومتنا بالمثل . »

***

هذا ما روى مصطفى كمال . وفي هذه الساعة بدأت كفة النصر تميل الى جانب العثمانيين في معارك الدردنيل البرية . لقد مالت الى جانبهم في الساعة التي تمكن فيها مصطفى كمال من السيطرة على هذه القبضة من الجند وحملها على وقف تقدم الانكليز الزاحفين الى مطاردتها بحماسة وبأس

حركة التفاف على الانكليز

وهذه الحركة التي قام بها الجنود المنهزمون من الهضبة رقم ٢٦١ فسحت لمصطفى كمال المجال كي يبلغ قواته المعسكرة في مرتفعات « قوجه جشمه » ضرورة الاستعداد للقتال . فامر الطابور الثاني من الالاي ٥٧ للفرقة ١٩ بالزحف من الجهة الشرقية الى الهضبة رقم ٢٦١ وان يعمد الى الاحاطة بها ، وامر الطابور الاول من الالاي نفسه ان يلحق به .

ومشت قوات الطابور الثاني يقودها اليوزباشي عطا بك الى الامام ، وسار وراءها الطابور الاول تحت قيادة اليوزباشي زكي بك (هو اليوم برتبة جنرال ونائب ارضروم في المجلس الوطني الكبير) وسارت وراء هذين الطابورين سائر قوات الالاي تحت قيادة البنباشي عوني بك تؤلف جبهة الدفاع الخلفية

نداء مصطفى كمال

واذاع مصطفى كمال في قادة هذه القوات امراً قال فيه :

« انا لا ادعوكم الى الهجوم على الاعـداء للاستيلاء على مراكزهم ، بل ادعوكم الى الموت في ساحة الشرف. والوقت الذي ينقضي لنموت فيه جميعاً يكفي لتحـل محلنا قوات اخرى وقـواد آخرون »

وهذه الاوامر ألهبت الحماسة في القلوب . فاندفـع الجميـع الى مقاتلة الانكليز بشدة وبسالة

وصف المعركة

تسيطر مرتفعات « قوجه جنمه » على الهضبات والطرق التي دونها انخفاضاً في الجهات المطلة على المناطق الساحلية . ولما كانت هذه المرتفعات مكسوة بالاشجار الكثيفة لم يتمكن الانكليز من دو بحراً ، على ان الطابور الثاني ما كاد يسير الى الهدف المعين له شعر به الحلفاء وبدأت مدفعيتهم البحرية تضربه بقذائفها الجهنمية

وتحوّلت هذه الساحة الى براكين متفجرة لما شعر الا بالقوات التركية وبدأ الفريقان اطلاق العيارات النارية



هضبة « جونك باير » في مضيق الدردنيل

ليس ادل من هذا المنظر على فظاعة الحرب . فان هذا الرسم النادر اخذ ساعة تساقطت قذائف اسطول الحلفاء على المرتفعات العثمانية في هضبة « جونك باير » التي احتلها مصطفى كمال

ومصطفى كمال قائد الفرقة ١٩ كان على مقربة من خ النار يراقب سير المعركة . ووصف لنا مرافقه الموقف فقال :

ـــ اشتدت المعركة بين قوات المشاة وبات الفريقان على مئتي خطوة بعضهما من بعض . ووقف مصطفى كمال على وبيده منظاره يشاهد سير القتال . ومع ان الموقف خطر ، ومع كنا نضطر في مجيئنا اليه لنطلعه على الحالة الى الزحف على بط فالقـائد لم يحفل بالخطر المحيط به بل ظـل منتصباً في مرتفع للاشراف على ساحة القتال ومراقبة حركات الا في الجهة ا

وكانت ساحة الحرب قد انتقلت الى الجهة المقابلة للشاطىء ، فاغتنم الاسطول الفرصة واطلق قذائفه على ميادين القتال الى ان قرب المسافة بين القوتين طاش به عن الهدف ، فكان يرمي بقذائفه وهي تذهب سدى . فلم تؤثر في موقف الجنود العثمانيين الذين وجدوا انفسهم بين نارين ، نار الاسطول من



الوراء ، ورصاص الجنود من الامام . ولقد اضطربوا في بادىء الامر ، الا انهم ما لبثوا ان ملكوا اعصابهم ورأوا في التقدم خير وسيلة لنجاتهم ، فضاعفوا هجماتهم على المراكز الانكليزية . وما لبثت النتيجة ان ظهرت جلية للعيان ، فتراجع الانكليز عن هذه المنطقة واحتلتها القوات العثمانية »

تقرير قائد الفرقة

واستمرت هذه المعركة ساعتين ارسل في ختامها قائد الفرقة ١٩ الى رئيسه البرقية التالية :

« الى قيادة الفيلق الثالث

« تمكنت قوات المشاة التي انزلها العدو الى الساحل من احتلال المرتفعات القائمة بين « اري بروني » و « قبه تبه » وانشاء جبهة مساحتها ميل ونصف ميل

« تشغل قوات الالاي ٢٧ في الجبهة الشرقية من هذا الخط مساحة طولها ٨٠٠ متر . ولقد بدأت بمهاجمة جناح العدو الايسر على مساحة ٦٠٠ متر

« يمكنني تقدير قوة المشاة التي يحاربنا بها الاعداء بالاي كامل

« القتال مستمر ، واري الاعداء الذين احتلوا الهضبة ٢٦١ يتراجعون عنها . الموقف يدل على تقدم قواتنا — قائد الفرقة ١٩ : القائمقام مصطفى كمال »

✻ المضارب العثمانية في قوجه جشمه ✻

باتت مرتفعات « قوجه جشمه » عرضة لنيران الحلفاء . ولقد احترقت فيها مضارب مؤخرة الجيش العثماني المعدة لايواء الجنود فلم يبق من مئات الخيام المضروبة غير اربع كما يبدو في هذا الرسم

وبعد ان وافى قائد الفرقة ١٩ بهذا البيان قائد الفيلق عاد واذاع في قوات المؤخرة امراً هذا نصه :

« اولا — على القائمقام عز الدين بك قائد الالاي ٧٢ ان يظل في مركزه وان لا يزحف بقواته الى « مال تبه » . (وعز الدين بك هو اليوم برتبة جنرال ويتولى منصب المفتش العام للقوات التركية)

« ثانياً — على بلوك الصحية ان يتقدم الى « قوجه دره » ويتخذ فيها الاستعداد اللازم لمساعدة جرحى الحرب

« ثالثاً — على الالاي ٧٧ ان يتقرب من « قوجه دره » ويتخذ مقره في الجبهة الشرقية منها

« رابعاً — تبلغ هذه الاوامر على سبيل المعلومات الى قائد الفيلق »

تراجع الانكليز

تابعت القوات العثمانية تقدمها الى جهة الهضبة ٢٦١ بصورة مفزعة ، فان اقتراب الجيشين بعضهما من بعض اهاب بالقيادة الانكليزية

الى دعوة السفن الحربية للانقطاع عن القاء قذائفها . وهذا الانقطاع ساعد العثمانيين فتغلبوا على اعدائهم وتمكنوا من دحرهم وحملهم على التراجع بشكل مفجع وقد باتوا عاجزين عن كل دفاع . فاصيبوا في صفوفهم باضرار عظيمة وظلوا يتراجعون مسافة طويلة وقد ابقوا

الموقف امر جنوده بالتراجع بصورة تدريجية بعد ان امر المدفعية بتسديد قذائفها الى المواقع الانكليزية . وبذلك تمكن من تأمين الرجعة ، على ان ٢٠ بالمئة من القوات التي حاولت اجتياز وادي الحوف فقدت في هذه المجزرة



الحلفاء ينزلون جنودهم فى ساحل «آرى برونى»

يمثل هذا الرسم نقالات للحلفاء تقل الجنود الى الساحل تحت حماية الاسطول . وفي زاوية الرسم اليمنى ثلاث وحدات من الاسطول المهاجم «جناق قلعه»

بعدهم المئات من الضحايا

معركة «قورقودره»

«قورقودره» او وادي الحوف كما يدل اسمه عليه يعد من اخطر اودية تلك الانحاء . فالمرور فيه محفوف بالمخاطر . والقوات العثمانية التي تعقبت الانكليز الى هذا الوادي ، وقد ضم في جوفه العدد العديد من ضحايا الفريقين ، قوبلت برصاص البنادق والرشاشات . ذلك ان قوة مؤلفة من الفي جندي انكليزي كانت متمركزة في الجبهة الخلفية من هذه الهضبة لا تحرك ساكناً ، حتى اذا اقتربت منها القوات العثمانية اصلتها وابلا من الرصاص . فوقف عند ذاك العثمانيون عن تقدمهم وتراجعوا وبات الجيشان بعيدين بعضهما عن بعض ، يفصل بينهما وادي الحوف او «قورقودره» كما ورد اسمه في لغة الاتراك

وكان وقع المباغتة على العثمانيين شديد الوطأة . فلم يتمكنوا في بادىء الامر من المحافظة على المقدمة . فسقط افراد الفوج الاول صرعى تحت رصاص الانكليز . الا ان القائد العثماني وقد تبين خطورة

الخطر يشتد على العثمانيين

فاشتد الخطر على العثمانيين . والقوات العثمانية التي ... الموقع كانت مؤلفة من الالاي ٥٧ على حين ان القوات ... مؤلفة من القوات التالية :

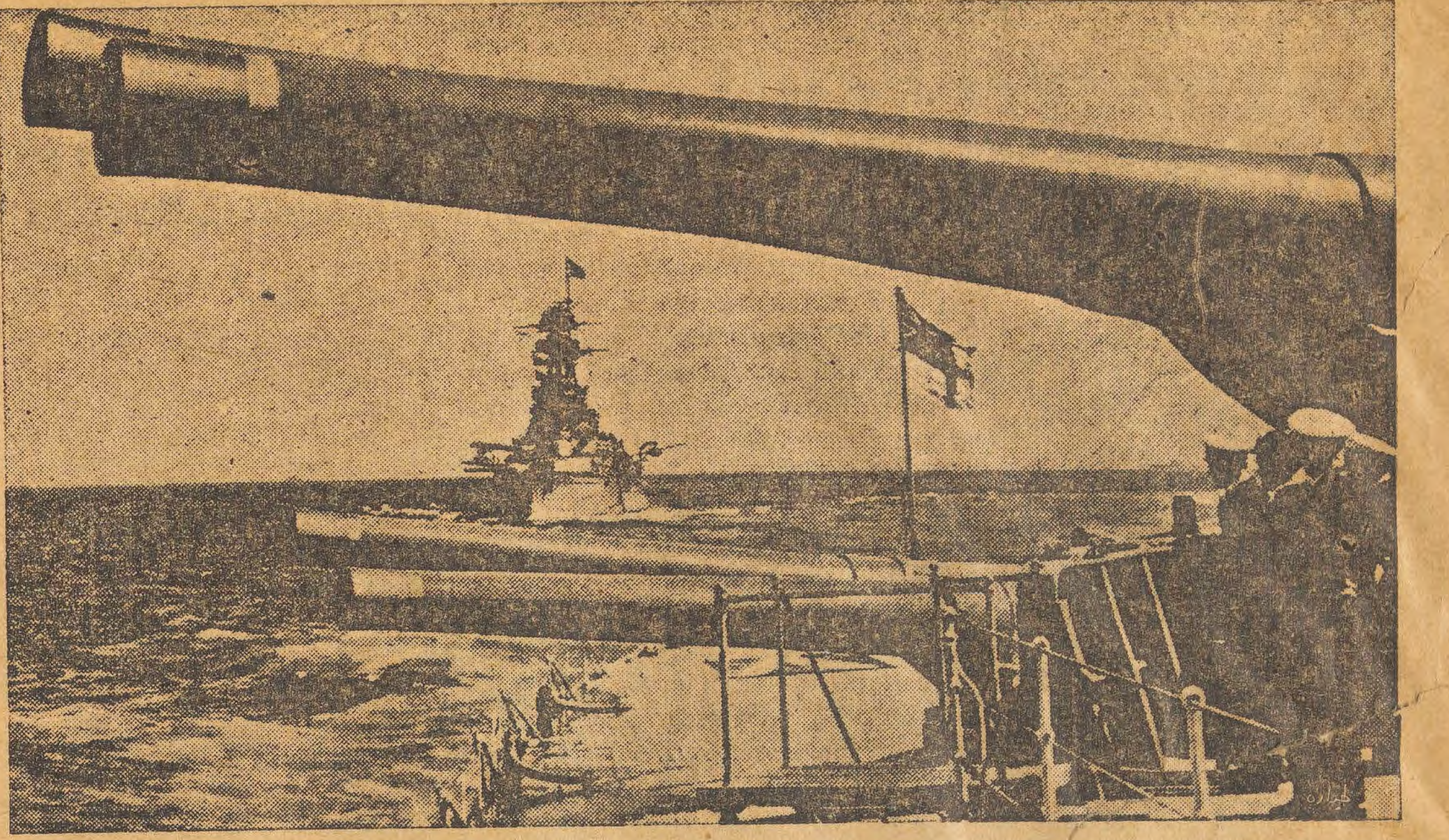
اولا — ثلاثة طوابير من الآلاي الاول من الفرقة ...

ثانياً — طابوران من آلاي الانزاك

ثالثاً — طابور من الآلاي الهندي

اما المدفعية العثمانية المؤلفة من اربعة مدافع فقط ... تملك الفرقة ١٩ ، وكانت مضطرة الى مجابهة ١٥ سفينة ... ١٥٠ مدفعاً

على ان الحوادث اثبتت ان بوسع هذه المدافع ... انزال الجنود الانكليز من جديد الى الساحل ، كما ... والخمسين مدفعاً التي يملكها الاسطول عاجزة عن حماية ... وتعطيل المدافع العثمانية الاربعة



جبروت الاسطول الانكليزي في المضايق العثمانية

القاء نظرة واحدة على هذا الرسم يدل على اهوال حرب الدردنيل التي اهلكت ألوف الارواح . فالرسم اخذ من المدارعة الانكليزية « كوينغ اليزابيت » وهي تصوب مدافعها الى المراكز العثمانية في جناق قلعه . وانه لمنظر رهيب ترتعد له الفرائص . ولكن من يثير الحرب لا يحفل بعواقبها الغاشمة والغاية عنده تبرر الواسطة !

قوات غير كافية

والقيادة الانكليزية العليا لما وضعت خطة الهجوم على المضايق واحتلال شبه جزيرة « جناق قلعه » عهدت الى لواء واحد من جنودها بالارتقاء الى الهضبات والآكام ، على ان تستعد الحملات الاخرى على الشاطىء وتمشي في اثر هذا اللواء في حركاته الحربية الا ان الموقف دل القيادة الانكليزية على ان ارتقاء الهضبات يكفيه لواء واحد فضمت اليه لواء آخر وباتت القوة مؤلفة من لوائين .

حركة الجنود الانكليزية

وفي هذه الخطة العسكرية التي دبرها الجنرال « برد فود » ارتكب قواد الحملة اخطاء عظيمة . فاللواء الاول وهدفه الجبهة اليسرى المؤدية الى « قوجه جشمه » لم يسر الى هدفه بل اندفع الى الجبهة اليمنى المؤدية الى « قاني هدرت »

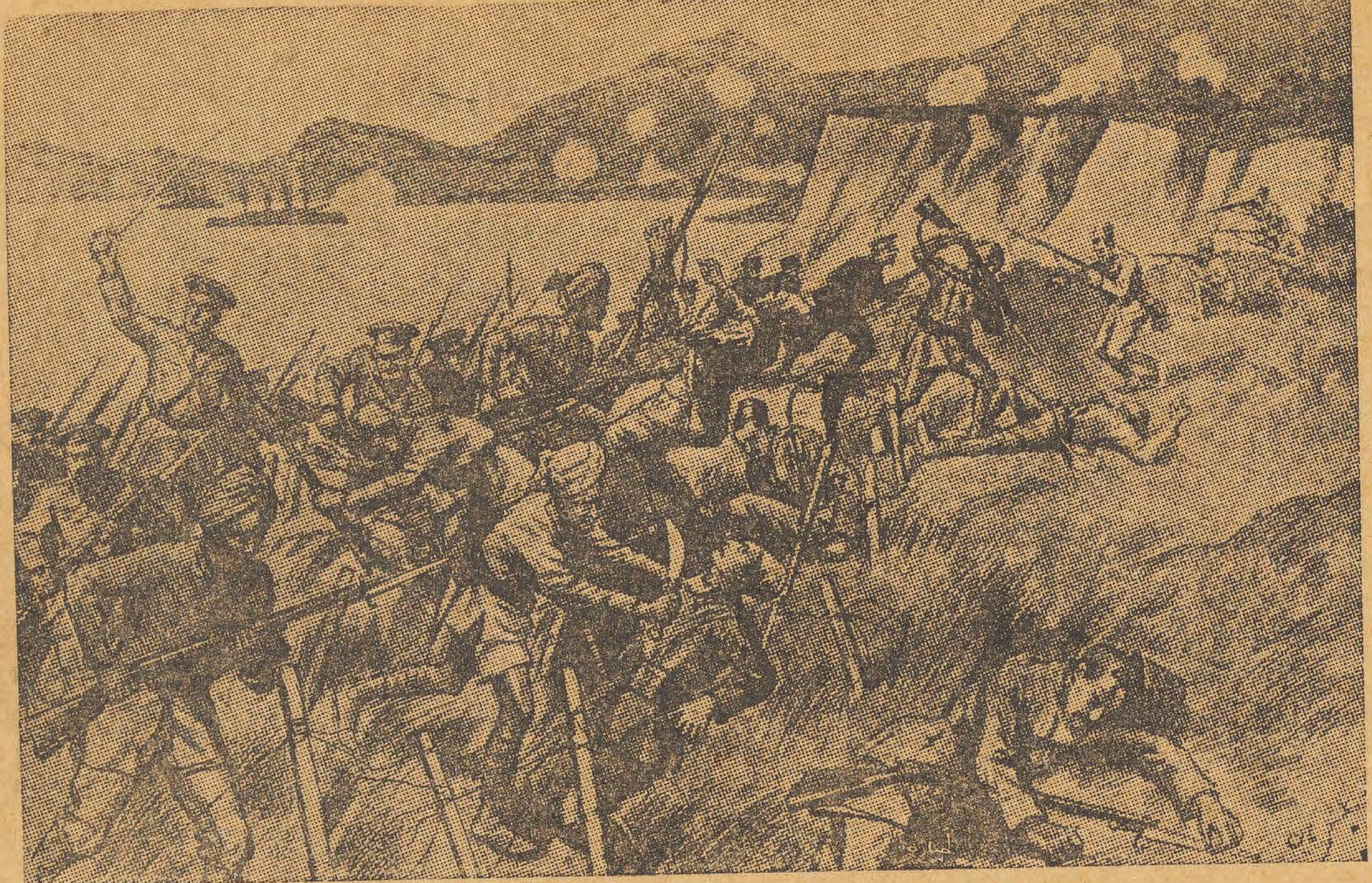
اما اللواء الثاني الذي عهد اليه بالبقاء في الجبهة الخلفية لتأمين حاجة القيادة وتعزيز مراكز اللواء الاول فلم يجد امامه احداً من العثمانيين وهو يتقدم . فظل في تقدمه السريع حتى التقى بقوات الآلاي ٥٧ العثماني فنشبت بينهما المعركة التي اثبتناها في الفصول المتقدمة

بعد هزيمة الانكليز

وعند الظهر نزل الجنرال « بردفود » قائد فيلق الانزاك الى البر في جهة « اري بروني » . ولما علم بما كان من المعركة التي دارت رحاها عند الهضبة ٢٦١ وانهزام قواته امام العثمانيين اوفد طابورين من القوات الاحتياطية لتعزيز الجناح الايسر . وطلب من القائد العام انجاده بقوات اخرى

الارواح باتت رخيصة

وشاهدت المدافع الاربعة التي تملكها الفرقة ١٩ النقالات البحرية تبتعد عن البواخر ووجهتها الساحل فصوبت اليها قذائفها . على ان النقالة الاولى تمكنت من الوصول الى جهة الشاطىء ، غير ان قذيفة اصابت الباخرة الصغيرة التي تقودها فحطمتها ، فتعالى منها



✵ القوات الانكليزية والهندية تفاجىء العثمانيين في الدردنيل ✵

مشهد مخيف لمعركة طاحنة جرت في شواطىء الدردنيل بين القوات الانكليزية والهندية والقوات العثمانية . ويبدو من الانكليز والهنود انهم يبطشون بالعثمانيين . ويظهر في الرسم جندي من الهنود يذبح جندياً عثمانياً . فيا للفظاعة !

الدخان وغرقت . واصابت القذيفة الثانية النقالة القائمة بجانبها فحطمتها ايضاً وسقط الجنود الذين كانوا فيها الى البحر بين اموات واحياء .

ويظهر ان الجنود المتهادية بهم النقالات الاخرى ، وعددها ١٢ نقالة ، خافوا شر القذائف المتساقطة في البحر فنجوا بانفسهم بان تغاطسوا في الماء طلباً للنجاة .

فاستحال على القيادة الانكليزية ازاء الموقف الحرج انزال قوات اخرى في هذا الساحل ، وبات المجال فسيحاً لدى الفرقة ١٩ وفلول الفرقة التاسعة للكر على القوات الانكليزية ومنع النجدات التي اوفدها القائد « بردفود » من الوصول الى الشاطىء سالمة .

في الجهات الاخرى

هذه هي الحوادث التي جرت في منطقة « اري بروني » يوم ٢٥ نيسان سنة ١٩١٥ والتي تبين منها لقراء (الاسرار) ان الحركة التي قام بها الانكليز في هذا الساحل من شبه جزيرة « جناق قلعه » كانت فاشلة . فالقوات الانكليزية التي تمكنت في هذه الجبهة من ارتقاء المرتفعات لم تتمكن من تأمين الفوز الذي انتظرته القيادة العليا منها .

وكان من عاقبة هذه الحملة ان قتل من الانكليز ٨٥٠ جندياً وجرح اكثر من هذا العدد .

اما خسائر القوات العثمانية فقد كانت حسب الاحصاء الرسمي ٤٥٠ قتيلا ومثل هذا العدد من الجرحى

في منطقة قوم تبه

وفيما تجري هذه الاعمال الحربية في منطقة « اري بروني » ورد بيان من قائد الفرقة التاسعة على قائد الفيلق الثالث يقول : بدأ العدو بانزال جنوده في منطقة « قوم تبه »

فارسل قائد الفيلق امراً الى مصطفى كمال بك قائد الفرقة ١٩ يبلغه الحادث ويدعوه الى ايفاد القوات اللازمة الى تلك المنطقة ويعلمه انه لاحق به اليها

ما هو شأن « قوم تبه »

تقع « قوم تبه » بين مصب نهر « صغين دره » وقبه تبه . فمن الخطر اذاً على سائر المناطق العثمانية انزال قوات الحلفاء في هذه المنطقة ، اذ ان الحلفاء في اعتمادهم هذه الخطة يقطعون خط الرجعة

على القوات العثمانية في سد البحر ويساعدون قواتهم على احتلال كليد البحر بسهولة تامة .

وهكذا يرى القراء ان اعظم خطر يهدد القوات العثمانية قائم في هذه الساحة من ساحات القتال في جناق قلعه . فاذا عمد الحلفاء حقاً الى انزال قواتهم فيها فلن يجدوا امامهم غير الآلاي ٧٧ والالاي ٧٢ المعسكرين في جوار قرية قوجه دره وقد اوفدها مصطفى كمال بك فوراً الى قوم تبه ولحق بها ليدير بنفسه الحركات الحربية

الا انه ما كاد يصل الى مال تبه حتى لقي اسعد باشا قائد الفيلق يسبقه اليها . فادرك القائدان ان النبأ الوارد عليهما من قائد الفرقة التاسعة غير صحيح، فالانكليز لم يعمدوا الى انزال جنودهم في تلك الناحية

ولقد فاز بذلك رأي مصطفى كمال الذي كان يردد ابداً ان الانكليز لن ينزلوا ثمة قواتهم . وابلغ اسعد باشا ان الاعداء سيعبئون قواتهم على مركز اري بروني ، فعليه ان ينجد قواته في هذه الجبهة

فلم يكن من اسعد باشا الا ان وافق على هذا التدبير

الحالة في « اري برونى »

والمعارك التي دارت رحاها في منطقة اري بروني كانت خطرة جداً . فالقوات الانكليزية التي تحارب في هذه الجهة بلغت عند الساعة الثانية من بعد ظهر ٢٥ نيسان سنة ١٩١٥ اثني عشر الفاً . وليس امامها غير الالايين من الجنود العثمانية ، هما الالاي ٢٧ والالاي ٥٧ ، وكان عدد هذين الالايين قد نزل الى النصف والشطر الاخر منها سقط تحت رصاص الانكليز

ومصطفى كمال بك في دفعه افراد الالايين ٧٢ و ٧٧ الى المعركة كان على حق . فقد ظهر له ان استمرار القتال على هذه الصورة سيفضي حتماً بافراد الالايين ٢٧ و ٥٧ الى الموت ، وانه اذا انتظر في القتال حتى اليوم التالي فقد يقضي على بقية هذين الالايين، ولهذا قرر مواصلة القتال في الليل ايضاً لئلا يترك للقوات الانكليزية مجالا للراحة . فاوفد الالاي ٧٧ لنجدة قوات الالاي ٢٧ ، واوفد الالاي ٧٢ لتعزيز الالاي ٥٧

وتحدث الملازم حسني افندي قائد البلوك التاسع من الالاي ٧٢ عن هذه المعركة فقال :

— اذن العصر لما اقتربنا من خطوط القتال . فتابعنا سيرنا الى الامام بهدوء . حتى اذا بدأت الشمس تغيب كنا في كسيك دره نتسلم من القوات الاخرى مراكزها وقد تراجعت التماساً للراحة

« وكانت الخطة المرسومة ان نحتل مرتفعات يومبا ستيري القريبة من تلك المراكز وان نضمن وسائل الارتباط بالقوات الاخرى ثم نمضي في تقدمنا . وبدت الطرق غاصة بجثث القتلى ، فسلكناها الى هدفنا وبدأنا ارسال مفرزات الارتباط . واذا الرصاص ينهال علينا ويذهب بالقافلة الاولى من الشهداء الذين قضوا في هذه المعركة الطاحنة . ولم يتسع امامنا المجال لدفن القتلى وكنا قد صممنا على متابعة تقدمنا

جنون ضابط انكليزى

« ولقي جنودي ثلاثة من جنود الاعداء ، احدهم برتبة يوزباشي ، والاخر برتبة ملازم اول ، والاخر برتبة باش جاويش ، فاحاطوا بهم وساقوهم الي"

«وكان اليوزباشي والباش جاويش قد سلما سلاحها الى الجنود لاعتقادهما ان ليس في المقاومة فائدة ، بعكس الملازم الذي رفض ان يسلم سلاحه . فابلغته ان مقاومته تذهب عبثاً فتظاهر بالاذعان واخرج مسدسه ، الا انه بدل ان يسلمنا اياه حوّل فوهته الى صدري، وقبل ان يطلق عليّ منه الرصاص ادركه احد الجنود ورماه برصاصة اصابته في يده فسقط المسدس منها . فامرت شرذمة من الجنود بان تسير بهؤلاء الاسرى الثلاثة الى مقر الفرقة . وتابعنا تقدمنا حتى باتت خطوطنا مواجهة للاعداء

معركة تستمر طول الليل

«واستمر تبادل الرصاص بيننا وبين القوات الانكليزية طول الليل . وكانت المسافة قريبة ، فنسمع صراخ الجنود الجرحى من الانكليز كما كانوا يسمعون صراخ جرحانا . فان ليلة ٢٦ نيسان من الليالي التاريخية المهمة في منطقة اري بروني ، فلم يغمض لنا فيها جفن وقد مضينا في اطلاق الرصاص بلا انقطاع !...»

اسرار الحرب الكبرى

بقلم كرم ملحم كرم

روسيا تخاف في الحرب الكبرى البولونيين فتسعى لخطب ودهم
الغراندوق نقولا يعاهد بولونيا على استقلالها

يا ابناء بولونيا !...

بولونيا المفتوحة الابواب للجيش الالماني والنمسي تقاسمتها دول ثلاث ، روسيا والمانيا والنمسا

على ان بولونيا كانت تطمع في وحدتها واستقلالها وتحن الى عزها القديم

فان هذا الحلم ما برح يساورها منذ تضعضعت واجتاحها جيرانها. على ان هؤلاء الجيران وهم يخشون ظهورها الى الوجود مانعوا في احيائها . حتى ان نابوليون الاول وهو من المعجبين بالدولة البولونية وممن يرون فيها قوة تعضدهم ، وجسراً الى روسيا ، وقف عن اجابة البولونيين الى مطلبهم يوم مثلوا بين يديه يلتمسون منه اعادة بولونيا الى مكانتها الاولى

وتوالت الايام بعد نابوليون الاول والبولونيون يحاولون لدى كل سانحة جمع شملهم المبدد واستعادة نفوذهم المسلوب في القرن الثامن عشر، الا ان الضغط الروسي والالماني والنمسي كان يحول دون بلوغ بولونيا امانيها . فالروس اعملوا فيها السيف، ونظروا اليها نظرة العدو الى العدو ، واضمروا لها الشر وقد عانوا منها في الماضي كل هول ، فكانت عقبة في طريقهم وشوكة في عيونهم ، فاذا ما اغمضوا اجفانهم وبولونيا مرفوعة اللواء اغمضوها على قذى !

على انه الحرب الكبرى ...

وانتقم الالمان والنمسيون من البولونيين كما انتقم منهم الروس، فالدول الثلاث كانت حاقدة عليهم . وشعرت بولونيا بالكابوس الراعب فحاولت مراراً ان تدفعه عنها وان تنجو من وطأته ، ولكن دون ما جدوى !

على ان نشوب الحرب الكبرى احيا في نفوس البولونيين الامال . فلمسوا في الحرب العالمية منقذاً لهم مما يلقون من اضطهاد وظلم . فالدول الثلاث الممزقة شملهم بحاجة اليهم . روسيا والنمسا والمانيا . ومن حقهم ان يتدللوا وقد فسح لهم الدهر مجال الدلال!

روسيا تتغالى في الوعود

وروسيا ، وهي تعرف مطامع الشعب البولوني ، وتدرك كل الادراك انه لا يسير بجانبها اذا لم تلوح له ببعض ما يرجو ، رأت النهزة موفورة لاستمالة البولونيين اليها. فالالمان اذا وثبوا الى بولونيا في مطاردتهم القوات الروسية قد يجدون في الشعب البولوني خير دعامة لاقلاق روسيا واحراجها. والرغبة في درء هذا الخطر ، و

الى مناصرة البولونيين ، اهابا بقيصر روسيا الى التفكير في انصاف هذا الشعب القوي الحي

والبولونيون المسيطرة عليهم روسيا مالوا الى جانب روسيا في الحرب الكبرى وعاهدوا على تأييدها ومحاربة اعدائها مع كل ما ثار بينهم وبينها ، ومع اختلافهم واياها في السياسة والدين . وحيال هذه العاطفة ، وحيال الحاجة الماسة ، لم ير القيصر، نقولا الثاني، بدأ من استهواء البولونيين . فاتفق وقائد الجيوش الروسية العام، الغراندوق « نقولا نقولايفيتش »، على تعليلهم بالاستقلال ،لا استقلال الناجز ، فالسيطرة الروسية يجب ان لا تنجلي عن بولونيا !

وهذا الاستقلال يناله البولونيون على اثر فوز الحلفاء في الحرب الكبرى ، وهو لا يقف عند الولايات البولونية المدغمة بروسيا فحسب بل يشمل كل قطر بولوني ، اي ما تملكه المانيا والنمسا من اجزاء بولونيا ...

يا ابناء بولونيا!

ودعي الغراندوق « نقولا نقولايفيتش » الى اعلان هذا الوعد. فاعلنه القائد الروسي العام في ١٦ آب سنة ١٩١٤، وقد اذاع منشوراً في الشعب البولوني طافحاً بالوعود يقول فيه :

« يا ابناء بولونيا ، دقت الساعة التي تحقق احلام ابائكم واجدادكم . فمنذ قرن ونصف قرن وبولونيا تعيش ممزقة ، مقطعة الاوصال . على ان نفسها لم تمت ، فهي تعيش بالامل ليقينها ان يوم بعث الشعب البولوني وتفاهمه وروسيا يوم قريب . وها هي الجيوش الروسية تحمل اليكم نبأ هذا البعث كما تحمل اليكم بشرى التفاهم

« على الشعب البولوني ان يتحد تحت لواء قيصر روسيا . فان هذا اللواء سيحيي بولونيا حرة في دينها ولغتها واستقلالها . ولن تطلب منكم روسيا سوى احترام حقوق الشعوب التي يربطكم بها التاريخ

« ان روسيا تقبل اليكم مفتوحة القلب، مبسوطة اليد. والخنجر الذي اغمد على مقربة من « غرينوالد » في صدور الاعداء ما علاه حتى الآن الصدأ . فالجيوش الروسية تتدفق من شواطىء المحيط الباسيفيكي حتى بحار الشمال

« لقد انبثق امامكم فجر حياة جديدة . فلتسطع في هذا الفجر اشارة الصليب ، ورمز الالم ونهضة الشعوب ! ... »

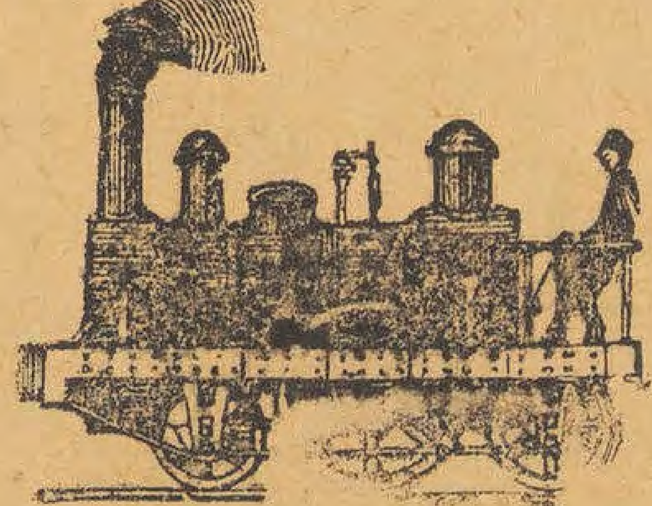
استقلال بولونيا في مجلس « الدوما »

والوعد باستقلال بولونيا التمهيدي اعلن في مجلس النواب الروسي « الدوما » . ففي ٢ آب ١٩١٥ وقف الوزير الروسي الاول السيد «غوريمكين» واعلن باسم القيصر ان هذا الاستقلال في طريق التنفيذ ، قال :

— كلفني جلالة الامبراطور ان اصارحكم بانه امر مجلس الوزراء باعداد مشروع يمنح ، بعد الحرب ، بولونيا حق تنظيم حياتها الوطنية والاجتماعية والاقتصادية ،على اساس ما يجيزه لها الاستقلال الاداري من حرية !

فصفق مجلس « الدوما » لهذا التصريح . ورأى فيه رجال السياسة في روسيا خير ضمان لمسايرة البولونيين وخطب ودهم، واثارة الخاضعين منهم للنمسا والمانيا،وحضهم على خلع النير الجرماني

واصابت سياسة روسيا الهدف ، فلقيت في البولونيين خير دعامة تستند اليها في محاربتها الالمان والنمسيين



الروس ينتقمون بالنمسا من المانيا

القوات الروسية تنسل الى غاليسيا الشرقية وتحتل عاصمتها

البلادة النمسية التاريخية تأبى الا ان تتجلى

النمسا تتمزق بحراب الروس!

فيما القائد «سامسونوف» ينهزم امام القوات الالمانية في «تاننبرغ» ويلاقي حتفه، وفيما قوات «رينتكامب» تتقهقر بفرسانها «القوزاق» البسلاء امام مدافع القائد «هندنبورغ» الضخمة، عمد جيشان روسيان في غاليسيا الى الاخذ بثأر بني قومهما المهزومين في بروسيا الشرقية

فالنمسا لم تكن في الحرب الكبرى عند حسن ظن المانيا بها. فقد دعا اركان حرب الجيش الالماني الجيش النمسي الى القيام بهجوم سريع في جنوبي بولونيا. ولكن هذا الهجوم بدل ان يقوم به القادة النمسيون على الفور ارجأوا امره الى ٢٠و٢٥ آب. وكتب احد المنشئين العسكريين في هذا البطء الهائل فقال: «يريد قادة الامبراطور فرنسوى جوزف ان يثبتوا صحة ما يرمون به من بلادة وكسل. فقد شاع ذلك عنهم في حرب السنوات السبع وابوا ان يدحضوه في الحرب الكبرى!...»

ثلاثة جيوش في الساحة

اطلق النمسيون ثلاثة جيوش من جيوشهم الى مقاتلة الروس. قدفعوها الى الشمال بين نهر «فيستيل» ونهر «بوغ»، ومن هذه الجيوش الثلاثة لم يفلح غير جيش واحد في ازعاج الروسيين، وهو جيش القائد «دانكل». فقد استطاع لبعض الزمن احراج موقف الروس في بولونيا. فهدد بقواته مدينة «ليبلان» يروم احتلالها

هذا هو الجيش الايسر. اما الجيش الايمن وكان يتولاه القائد «اوفنبرغ» فقد اجتاز الحدود النمسية وادرك بعض النجاح، الا انه لم يلبث ان وقف وقد صدمته القوات الروسية

واقبل بعده الجيش الثالث يقوده الارشيدوق «جوزف فرديناند»، فدعم في بعض النواحي الجيش الثاني. واذا جيشان روسيان يقبلان



القائد روسكي

قاهر الجيش النمسي في غاليسيا

من «كياف» و«اوديسا»، يدير الاول القائد «روسكي» وهو جيش اليمين، والاخر القائد «بروسيلوف» وهو جيش اليسار

القتال بين الروس والنمسيين

واسرع الجيشان الى «لامبرغ» يقاتلان بعنف القوات النمسية

الموكول اليها حماية هذه المدينة. و«لامبرغ» عاصمة «غاليسيا» الشرقية، فتم لها الفوز وسحقا هذه القوات

ولم يسرع جيشا القائد « دانكل » و « اوفنبرغ » الى نصرتها وهما في الشمال بعيدان عنها. فكان ان بلغت في هذه المعركة خسائر النمسيين اربعين الفاً بين قتيل وجريح، عدا الاسرى، وهم عشرون الفاً بكل ما لديهم من ذخائر ومؤن

الروس في عاصمة غاليسيا

وفي ٣ ايلول احتل « روسكي » مدينة « لامبرغ » احتلالا رائعاً، على حين عمد « بروسيلوف » الى مطاردة المهزومين. فلحق بهم الى « غروديك ». وما اكتفى « روسكي » الجبار باحتلال «لامبرغ» وهو الشديد الظمأ الى القتال فمشى الى لقاء القائدين النمسيين «دانكل» و « اوفنبرغ » المقبلين اليه من الشمال وقد اتصل بهما ما حل بمدينة « لامبرغ ». فان هذه المدينة ركن من اركان الدفاع في « غاليسيا »

٣.... الف اسير

واصطدمت القوتان بعضها ببعض، ودار القتال وطال امده حتى ١٢ ايلول وانتهى في « راوى روسكا ». فكان نصيب النمسيين هزيمة اخرى، وكان ان ابقوا بين ايدي الروس ثلاثين الف اسير ومئة مدفع، واضحت « غاليسيا » الشرقية للروس بامها وابيها

اما والامر يحتاج الى ايضاح ...

فجزع الالمان لهزيمة النمسيين المستمرة. ومن حقهم ان يجزعوا. فالالمان اعتمدوا على النمسيين في الميدان الشرقي، وخيل اليهم ان النمسا ستكفيهم شر روسيا. فاذا الامر على غير ما اعتقدوا، مما دعاهم الى الجزع الشديد

فالخطة الحربية الكبرى المنظمة في « بوتسدام » ترمي الى هدفين. الاول قهر فرنسا. وقد رأت المانيا انها تحتاج الى ثلاثة ملايين رجل لبلوغ هذا الهدف. فجهزتهم. ولم يبق لديها غير مليون واحد اقامته بوجه روسيا، وهو في معظمه من القوات غير الوافرة الحنكة والتجربة، على انها اعتمدت كل الاعتماد على النمسا، ودعتها الى فتح بولونيا الروسية. وهذا المنهاج كان الهدف الآخر من خطتها الحربية

وحشدت النمسا مليون رجل لتحقيق ما دعيت اليه، ولكن الروس وقد تجلت لهم خطة المانيا افسدوها بما اقدموا عليه من مفاجآت. وان هجومهم على بروسيا الشرقية مفاجأة حالوا بها دون نصرة الالمان النمسيين. فالالمان وقد بوغتوا بالجيش الروسي يهددهم في «كانيغسبرغ» ويوشك ان يجتاح المانيا، لا بروسيا الشرقية وحدها، شغلوا بانفسهم عن النمسيين. وبعدما اندفعوا الى مساعدة الجيوش النمسية في بولونيا الروسية، وكانوا قد احتلوا منها مدينة « لودز » في وثوبهم الى « فارسوفيا »، تراجعوا الى بروسيا الشرقية يصدون عنها هجمات « سامسونوف » و « رينشكامب » القائدين الروسيين

وهذا التراجع!

وهذا التراجع ابقى الجيوش النمسية وحدها عرضة لفتكات الروس في الجنوب. الا ان القادة النمسيين وثقوا بانفسهم وخيل اليهم ان النصر حليفهم ولديهم ٢٥٠٠ مدفع ومليون جندي تحت السلاح. واستهانوا بقوة روسيا، خصوصاً والفوز بسم لهم في البدء. فتقدموا على جبهة طولها ثمانون ميلا واحتلوا مسافات شاسعة من روسيا

ومما حمل النمسيين وحلفاءهم الالمان على الاستهانة بروسيا ان اليابانيين قهروها في حرب ١٩٠٥، فكيف تقهر اليابان روسيا ولا تقهرها المانيا والنمسا معاً ؟

وهذا الوهم دعاهم الى الاستخفاف باعدائهم، فما اندفعوا الى ساحات القتال بحذر من يحسب لعدوه حساباً، بل بغرور الواثق بنفسه، المتهاون في ما قد يعترضه من صعاب

فالالمان والنمسيون ما كانوا يعتقدون على الاطلاق ان روسيا تقوى على تعبئة قواتها سريعاً. فغلب عليهم الظن انها مضطرة الى الانتظار شهراً من الزمن لانجاز حشد الجيوش. ولكن الروس عمدوا الى السرعة واتخذوها قاعدة لهم في معاركهم. وهذه السرعة ضمنت لهم قهر النمسا، وكادوا يقهرون بها المانيا

السرعة ... السرعة ابداً!

ومما اتفقت عليه كلمة القائد الروسي العام « نقولا نقولايفتش » ورئيس اركان حربه القائد « سخوملينوف » ان الجندي الروسي قوي العضل، مفتول الساعد، فلا يضيره ان يجتاز المسافات الطوال وان يشتبك في المعارك الطاحنة. وهذا الاعتقاد زاد القادة الروس تمسكاً بتأييد خطة السرعة في القتال، غير حافلين بما وراء السرعة من مضار. فالجيش في اندفاعه الوثاب الى عدوه يهمل توطيد مؤخرته وتحصينها. فاذا ما لقي المزيمة لا يجد وراءه اماكن محصنة يلجأ اليها ويتقي فيها شر العدو

على ان ما تراه القيادة العليا صواباً هو الصواب. ونزولا على هذا المبدأ انطلق جيش القائد « بروسيلوف » الروسي الى « غاليسيا » الشرقية. فانسل اليها من شمالي رومانيا، واتجه جيش القائد

« روسكي » الى بولونيا يبغي نجدة جيش « بروسيلوف » الاول اذا مادعت الحاجة. على انه تظاهر بان لا صلة بينه وبين قوات القائد « بروسيلوف »، فهو في ناحية والجيش الاخر في ناحية. فخدع بموقفه النمسيين على مدى اسبوعين

على انهما اتصلا اخيراً بعضهما ببعض ، واوفدا قوة من الفرسان « القوزاق » يشغلان بها النمسيين في مناوشات غير مثمرة ، وكل قصدهما من هذه المناوشات اخفاء خططهما ، فلا يشعر بهما النمسيون الا وقد اصبحا امامهم

الحرب خدعة !

فالحرب خدعة . وهذه الخدعة عمد اليها القائدان الروسيان في مقاتلة النمسيين . فظلا يوهمانهم ان ليس هناك من خطر عليهم

وجازت الخدعة في القوات النمسية وقد عرفت في بدء القتال النصر ، الا ان قائد حامية « لامبرغ » ارتاب اخيراً في الامر واوفد الى « بودوليا » قوة لا يجاوز عددها ألفي رجل لاستطلاع حركات الروس ذلك في الاسبوع الثالث من شهر آب . ووصلت هذه القوة الى بلدة « غروديك » . ودرى بها الروس . فرأوا ان لا يفاجئوها بما لديهم من جيوش لجبة ، فاذا فعلوا استيقظت القوات النمسية وفطنت لامرهم وقضي على خطتهم

واقام في بلدة « غروديك » تسعمئة فارس من القوزاق الروس . وهذه القوة لا يسعها مغالبة الفي نمسي ، فانجدتها القيادة بقوات منها الا انها ضئيلة العدد . وكان باستطاعتها ايفاد قوات كبيرة ، غير ان حرصها في خطتها على التخفي دعاها الى الاكتفاء بالعدد القليل

النمسيون في كمين

ودعيت قوات القوزاق في « غروديك » نفسها الى الاحتجاب . فاعتصمت بغابة وراء البلدة لا تظهر فيها . ولما اقبل النمسيون دفعت اليهم خمسين فارساً تظاهروا بانهم فوجئوا بها دون ان يكونوا لها على استعداد . وزادوا في الخدعة انهم ما ابصروها حتى ارتدوا الى الغابة مذعورين

وجازت الحيلة في النمسيين فاندفعوا الى مطاردة هؤلاء الفرسان وتوغلوا في الغابة . وفي الغابة نصب لهم الروس كميناً فوقعوا فيه . وبلغت ضحاياهم الف قتيل . فارتاع النمسيون حيال هذه الفاجعة وركنوا الى الفرار . فطاردهم فرسان القوزاق . واندفع وراءهم جيش القائد « بروسيلوف » الضخم العديد



الغراندوق نقولا نقولا يفتش

قائد الجيوش الروسية العام في الحرب الكبرى ومعلن استقلال بولونيا



جنود نمسيون يستسلمون لشرذمة روسية

سر في تفوق الروس

ومما لا ريب فيه ان القادة الروس ابدوا في غاليسيا من البراعة والمهارة والتفوق ما لا يبديه غير المالك ناصية فنه، الا ان القدر ساعدهم بما لا يقل عما يملكون من موهبة

فالجيشان الروسيان الزاحفان الى النمسا يزيد عددهما، اذا اجتمعا، على الجيوش النمسية الثلاثة السائرة لمقاتلتهما. ولكن المسافة بعيدة بينهما. فلا يتسنى لهما اللقاء بسهولة. فالاثنان زاحفان الى «لامبرغ»، بروسيلوف من الشرق و«روسكي» من الشمال. فلو فاجأ النمسيون كل جيش منهما على حدة فماذا كان يحل بهما ؟...

فكل جيش منهما بمفرده اضعف من النمسيين مجتمعين. فلا قوة لهما على الجيوش النمسية الثلاثة الا اذا اتصل احدهما بالآخر. على ان الاتصال صعب كما قلنا. ومع ذلك تحقق وفاز الجيشان وجهل النمسيون امرهما. فما انبأهم جواسيسهم بحركات الجيشين مع وفر هؤلاء الجواسيس ودقتهم في الوقوف على الاخبار

اذاً ان للقدر يده في هذا النصر كما ان للموهبة يدها فيه. لا نكير ان القائد «بروسيلوف» ابدى كل حنكة وقد استولى على شطر كبير من «غاليسيا» قبل انضمام القائد «روسكي» اليه، ولكن القدر ساعده فضمن له الفوز، وكان الاثنان عوناً بعضهما لبعض !

وهناك سر آخر !

وهناك سر آخر نجح به الروس في خطة الكتمان والتخفي. فالاهلون في غاليسيا الشرقية يميلون اليهم ويؤثرونهم على النمسيين، بل هم يريدونهم ويرون في الروسي اخاً لهم في الدين واللغة. فما غاليسيا الشرقية غير ولاية روسية انتزعتها النمسا من القيصر، وبات الحنين اليها ومنها متبادلا بينها وبين روسيا. فهي صقلبية في قلبها وقالبها. وروسيا ام الصقالبة. فدفعها مذهبها الديني وعنصرها الى مساعدة الجيش الروسي الزاحف اليها. ولقد ساعدته بكل ما تملك من ايمان وقوة. فكل قرية يتصل بها ان الروس مقبلون اليها تخرج الى لقائهم بصلبانها وراياتها ووجهائها واعيانها وكهنتها ونسائها واطفالها. وهذا الميل المتأصل فيهم دعاهم الى التكتم في امر الزحف الروسي

في القتال خطتان..

قلنا ان للبطء النمسي شأناً عظيماً في قهر النمسيين. وهذا صحيح. فالقوات النمسية تباطأت في هجومها ففاجأها الروس قبل ان تفاجئهم. وكان عليها ان تعمل بمشورة اركان الحرب الالماني فتفاجىء بولونيا الروسية وتحتلها. وتتغدى الروس قبل ان يتعشوها. وقلنا ان النمسيين مشهورون ببلادتهم. فهي عندهم من التقاليد الموروثة. على ان ما يجب اعلانه ان في القتال خطتين، خطة السرعة وخطة الانتظار. فالروس عملوا بالخطة الاولى والنمسيون اعتمدوا الاخرى

ولكل من الخطتين حسناتها وسيئاتها. فمن حسنات الاولى مباغتة العدو، ومن سيئاتها انها لا تحمي ظهرها. ومن حسنات الثانية انها تصدم العدو بقضها وقضيضها، وفيما تحاربه تعمد الى تطويقه وخضد شوكته وقهره. وهذه الخطة — وهي خطة القائد «ده مولتك» الالماني — استند اليها النمسيون في مقاتلة الروس. فكان ان تغلب عليهم الروس بالخطة الاولى، خطة السرعة — وهي خطة نابوليون الاول — ودفعوا عنهم الاذى

حرب الحيلة

واستعان الروس في هجومهم على النمسيين بكل ما لديهم من دهاء وحيلة . والروس قوم واسعو الحيل ، مدهشون في الدهاء . ولقد روّعوا الجيش النمسي بما اقدموا عليه من ضروب الخدعة في مناوشاتهم الاولى فكانوا اذا ما اشتبكوا في معركة والقوات النمسية تظاهروا بانهم غلبوا على امرهم وبان لم يبق احد منهم حياً ، لا الفرسان ولا الجياد . ويؤمن النمسيون بما ترى عيونهم ويندفعون الى ميدان القتال ليروا اثر فوزهم فيه . غير انهم لا يدنون من هؤلاء الروس الهاوين في الارض اكداساً حتى تدب في الروس الحياة وتهجم قواتهم على النمسيين تعمل فيهم فتكا وتقتيلا

على ان هذه الصدمات لم تضعضع النمسيين . فظلوا واثقين بالفوز . وما ساور الخوف قلوبهم الا يوم ابصروا اعداءهم يقتربون من « لامبرغ » وجيش القائد « بروسيلوف » يجتاز نهر « ليبا » . فايقنوا عندذاك ان الخطر ادنى اليهم مما يظنون ، وان عليهم ان يثبتوا اقدامهم في مواقع النضال

الهجوم على « لامبرغ »

ولقد اقام النمسيون ثلاثة فيالق للدفاع عن « لامبرغ » . الا ان هذه الفيالق باتت لا تكفي ، الجيشان الروسيان قد اتصل احدهما بالآخر . فاطلق النمسيون على قوات القائد « روسكي » فيلقين آخرين وزادوا في عدد قواتهم المجابهة للقائد « بروسيلوف » حتى اصبح لديهم حول هذه المدينة وفيها ما يعدّ بثلاثمئة الف جندي

غير ان انضمام الجيشين الروسيين بعضهما الى بعض جعلهما في منعة . فالقوات النمسية اضحت عاجزة عنهما . وهذا الانضمام تم على بعد اربعين ميلا من مدينة « لامبرغ » وتوحدت به القيادة الروسية في غاليسيا ، فتولاها القائد « روسكي »

وتساوى الفريقان عدداً او كادا يتساويان . ولكن الروس جهزوا انفسهم بمدافع تفوقوا بها على المدافع النمسية . فالنمسيون عهدوا بمدافعهم الكبرى ، الحديثة الطراز ، الى الجيش الالماني كي يقاتل بها الفرنسيين ، وابقوا لديهم اعتدة رمتهم بالخيبة وهم يستنجدون بها في محاربة الروس

روسكي يقطع خط الرجعة

ومما زاد في اخفاقهم ان القائد « روسكي » عرف كيف ينظم خطة الهجوم على « لامبرغ » ، فعزل الجيوش النمسية عن النجدات المعتمدة عليها . وكان يقيم في جنوبي « زلو كزوف » فيلقان نمسيان لنجدة الجيش المقاتل في جنوبي « لامبرغ » ، فدفع اليهما القائد « روسكي » قواته وهزمهما واحتل اكمة تشرف على المدينة . وفي هذه الاثناء كان « بروسيلوف » يطوق « لامبرغ » من الجنوب ، فاصطدم بالجيش النمسي الجنوبي المعتصم بمدينة « هاليكز » . وحاول هذا الجيش الحؤول دون وثبة القائد « بروسيلوف » بكل ما لديه من قوات ثم تطويقه ، ولكن القائد « بروسيلوف » اتقى المحاولة . فصد هجوم النمسيين على جناحه في الجنوب ، وتولى القائد « ديمتريف » دحر طلائع النمسيين

من هو القائد ديمتريف ؟

والقائد « ديميتريف » ليس روسياً بل بلغارياً . هو من ابطال البلغار المشهورين . فقد انتصر على الاتراك في « قرق كليسه » يوم تقاتلت بلغاريا وتركيا في الحرب البلقانية الاولى . غير انه وقد لمس في بني قومه البلغار تأييداً لالمانيا ونفوراً من روسيا استقال من الجيش العربي وطلب التطوع في الجيش الروسي

ولقي في روسيا كل اكرام ، وعهد اليه الغراندوق نقولا ، قائد الجيش العام ، بفيلق يتولاه ويدير حركاته . فالقائد « ديميتريف » صقلبي ، ويريد الانتصار لروسيا أم الصقالبة وحاميتهم

الهجوم على النمسيين

ولم يكن الهجوم على النمسيين سهلا وقد انشأوا حول « هاليكز » ثلاثين حصناً واستقروا في اماكن منيعة . وحال بينهم وبين اعدائهم نهر فسيح من الصعب اجتيازه . غير ان الروس وقد وثبوا وثبتهم ابوا الا ان يمضوا فيها . فاجتازوا النهر وامتلكوا الخنادق بقوة الحراب وذللوا كل عقبة . وساعدتهم المدافع وشقت لهم طريقاً الى النمسيين وقد هدمت حصونهم

وعمد الروس الى السلاح الابيض لدى اقترابهم من النمسيين ، فقاتلوهم وجهاً لوجه . ومن الانصاف القول ان النمسيين وقفوا في المعركة وقفة البسلاء الابطال . فما اضطربوا حيال السيل الروسي الجارف وحرابه المسنونة . فقابلوا الضربة بالضربة . الا ان التيار الروسي طغى عليهم . فكل بطولة ظهرت منهم ذهبت ضياعاً

معركة يوم كامل

والمعركة دامت يوماً كاملا . فبدأت في ٣١ آب ، وقد استطاع في ختامها الروس هدم خطوط النمسيين والنفاذ منها الى طريق « لامبرغ » .



قوة من المدفعية الروسية تجتاز احد الانهر

تبدو في هذا الرسم قوة من المدفعية الروسية تجتاز نهراً في « غاليسيا » الشرقية وهي تجر وراءها المدافع في وسط المياه في اثناء هجوم الروس على النمسا

على ان دفاع النمسيين كان عجيباً. فالقذائف الروسية تحصدهم، والرصاص الروسي يتساقط عليهم، والحراب الروسية تنفذ الى صدورهم وهم في موقف المقاتل المستميت. فلا الجثث المرتفعة اكداساً امامهم روعتهم، ولا خسائرهم فتت في عزيمتهم، فظلوا يقاومون ببسالة ويأبون على الروس احتلال « لامبرغ »، الا ان حماستهم بلغت حداً وقفت عنده، فالتقدم الروسي لم يشأ الوقوف فاكرههم على التقهقر، فتقهقروا وفي النفس لوعات وحرقات !

احتلال « لامبرغ »

ومشت الجيوش الروسية في طريقها الى « لامبرغ » بجرأة وشدة وهي تدفع النمسيين المهزومين امامها وقد حرمتهم عشرين الف مقاتل بين قتيل وجريح

ودعي جيش القائد « روسكي » الى الهجوم فلبى النداء واجتاز المسافة الفاصلة بينه وبين « لامبرغ ». والمسافة اربعون ميلا، وهذه الاميال طواها الروس بسرعة. فكانوا يجتاحون الديار النمسية بسهولة وصعوبة معاً. فاستولوا على ما في طريقهم من حصون ومرتفعات. على انهم لدى اقترابهم من « لامبرغ » شعروا بان النمسيين لن يسخوا بالمدينة وهي المدينة الرابعة في الامبراطورية النمسية

فالدفاع النمسي كان يشتد. وبيعت الارواح رخيصة في الدفاع عن « لامبرغ ». الا ان الاقدام الروسي حطم كل همة نمسية. فالقائد « روسكي » مشى الى « لامبرغ » منصوراً يدفع امامه القوات النمسية المهزومة وقد لجأت الى « لامبرغ » تحتمي فيها، وفاز القائد « بروسيلوف » في « هاليكز » فوزاً طناناً. على ان النمسيين لم يستسلموا، فظلوا يقاومون بشدة وانفة ورغبة في التضحية. فالفوز الروسي احرق قلوبهم.

ودامت المعركة يومين على ابواب « لامبرغ ». واتسع المجال امام المدافع الروسية فهدمت الحصون النمسية بزهو وجبروت، غير ان المدافع النمسية ابت ان تسكت. فظلت تطلق نيرانها وكل قصدها ان تنهض النمسا من كبوتها، الا ان القوى قصرت عن النهوض، فالروس اذابوها. واضطرت اخيراً حصون متعددة الى السكوت

قهراً . فدعا الروس قوات المشاة الى احتلال المدينة، مع ان ثمة حصوناً لم يبرح المدفع يتكلم فيها . فهجم الروس عليها وملكوها . ومشوا الى الاستحكامات فاحتلوا الخط الاول منها . فقاومهم النمسيون بصلابة اليائس ، وانزلوا بهم الخسائر في الارواح ، غير ان المدافع الروسية قضت على كل مقاومة . فالقت الروع في قلوب النمسيين وعطلت مدافعهم . وايقن النمسيون ان كل امل تلاشى فتراجعوا عن مراكزهم يتنادون الى الهزيمة . فما انتظروا ان يهجم عليهم الروس بالسلاح الابيض ، بل تقهقروا ليقينهم ان لا فائدة من المقاومة . فالنصر الذي احرزه الروس ليس بالامكان استرداده

الصقالبة بين النمسيين والمجريين

وبين القوات النمسية جنود من الصقالبة ومن البولونيين . وهؤلاء الجنود لم يكن الجيش النمسي يثق بهم . فانشأ منهم قوة يتقدمها النمسيون ويسير وراءها المجريون ، حتى اذا ما بدرت منها الخيانة اطلق عليها المجريون النار من الوراء وارتد اليها النمسيون يصلونها النار من الامام ، فتبيت طعم الفناء

وهذه القوة انطلق بها النمسيون الى « لامبرغ » . ودرى بامرها الروس فسعوا لانقاذها . ولجأوا الى خطة محكمة في الانقاذ . فكانت مدافعهم تصب قذائفها على النمسيين وعلى المجريين وتصون الصقالبة والبولونيين ، وذلك بان تنطلق القذائف من فوق رؤوسهم في انقضاضها على المجريين

وحكمة الروس في اعتماد هذه الخطة زادت في تضعضع النمسيين . فدوَّخهم الجيش الروسي وكان قد هجم على « لامبرغ » من الشمال والشرق والجنوب واحتل الاستحكامات الاخيرة . وتدفق في شوارع المدينة وقد امست له بكاملها في ٣ ايلول ١٩١٤

وحاولت شراذم من النمسيين في اسواق « لامبرغ » ان تقاومه فاسرها . واذا الصقالبة من سكان المدينة يقبلون اليه بالاهازيج والزغاريد ويرحبون به اجمل ترحيب، ويطلقون عليه نعوت « المنقذ» و « المخلص » « والمحرر » . ومشت منهم وفود الى القائد « روسكي » تبدي له الطاعة وتعلن رغبتها في الانضمام الى روسيا . فشكر لهم القائد هذه العاطفة ودعاهم الى انتظار تحقيق الامال

موقف الروس الشريف

وكان موقف الجنود الروس شريفاً . فما امتدت ايديهم الى ما في المدينة من روائع وتحف . فالنهب والسلب منعهم عنهما قادتهم . ولم يفرضوا على المدينة غرامة حربية . وكل ما استولوا عليه ذخائر الجيش النمسي وحوائجه . وهي حوائج وافرة جمعها النمسيون في « لامبرغ» من سائر انحاء « غاليسيا »

وبعد هذا الفوز زحفت قوات القائد روسكي الى الشمال ، وظل القائدان « بروسيلوف » و « ديمتريف » حول مدينة «لامبرغ» لصد غارات الجيش النمسي المهزوم . فقد بلغهما ان هذا الجيش يستعد لانتزاع المدينة من الروس ، وان الالمان وافوه بقوات كبيرة من جيوشهم كي تنجده وتمحو ما نزل به من صدمات

والنبأ صحيح . فالالمان لم يروا لهم غنية عن نجدة النمسيين بعد الهزيمة الكبرى في غاليسيا الشرقية . فاذا نامو عن حلفائهم اصيبوا هم انفسهم بشر مستطير !



الروس ظافرون في المانيا والنمسا

القائد هندنبورغ يلقى الهزيمة في روسيا ثلاث مرات متوالية

الجيش الروسي يعود الى احتلال المانيا

الحرب بين بزاة وصقور!

ما برح الروس يعقدون الامل على القائد « رينتكامب » حتى بعد هزيمته في معركة « تاننبرغ » . فهم يرجون ، بل يوقنون ، ان هذا القائد لن ينكب طويلا بالهزيمة . فلا بد له من الانتقام لنفسه وبني قومه . وكانوا في ذلك صادقين !

فالقائد الالماني « هندنبورغ » بعد قهره الروس في « تاننبرغ » وتغلبه عليهم طاردهم الى الحدود الروسية، وجاوز في مطاردتهم هذه الحدود . غير ان « رينتكامب» ثبت في ارض وطنه، على مقربة من الحدود نفسها ، وقاوم الهجوم الالماني وتمتع بحلاوة النصر. فدحر في معركة «اوغستوفو» القوات الالمانية المندفعة الى تهشيمه بعد قتال دام اربعة ايام، من أول تشرين الاول حتى اليوم الرابع منه

ففي معركة « اوغستوفو » استطاع الروس على ضفاف نهر « نيامن» تبديد شمل الالمان، فانتقموا من هزيمتهم في « تاننبرغ » وهدّوا العزائم الالمانية ، فملكها اليأس زمناً غير قليل!

برقية القائد الروسي العام

وهذا الفوز اثار الطرب في قلوب الروس بعد الكمد والتجهم. وابرق الغراندوق نقولا نقولايفتش ، قائد الجيش الروسي العام ، الى وزير الحرب في بتروغراد يقول :

« اجتاح الجيش الالماني المقبل من بروسيا الشرقية الارض الروسية ، فبلغ ناحية « دروسكانيكي » على ضفاف نهر « نيامن » كما بلغ ناحية « اوسوياتز » . فلقي الهزيمة التامة بعد معارك طاحنة وابقى في ركونه الى الفرار عدداً كبيراً من الجرحى والذخائر والمدافع . فان خسائره فادحة . وقد تحررت ولاية « سوفالكي » وولاية « لومجا » من جيوش الاعداء التي تمعن في مطاردتها »

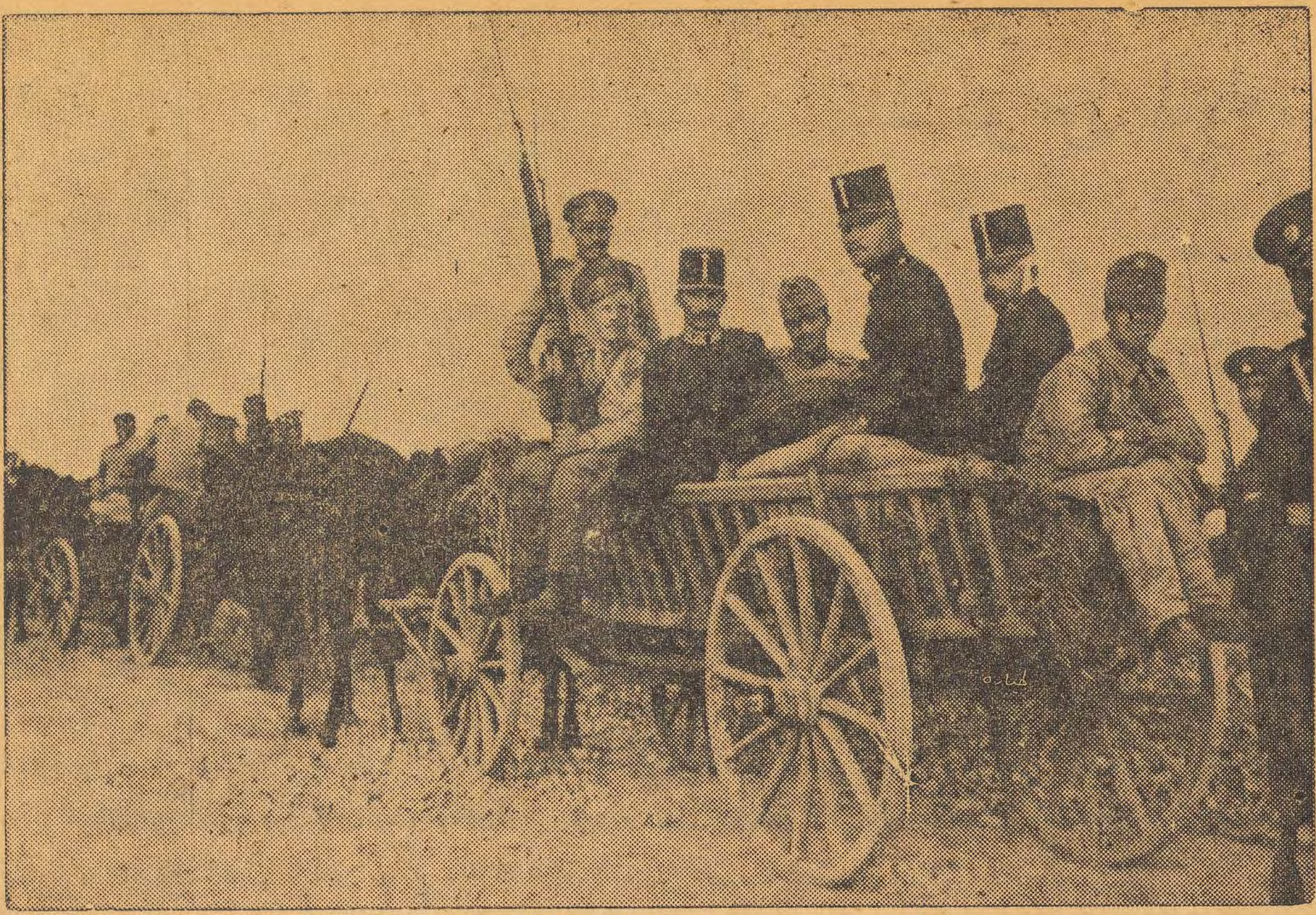
هندنبورغ يعبر نهر « نيامن »

واضطر « هندنبورغ » الى عبور نهر « نيامن » وهو يتراجع. واستطاع « رينتكامب » ان يوطد موقف جيوشه وراء هذا النهر وان ينشىء الخنادق المنيعة . ومن هذه الاستحكامات اطلق قواته ، وقد استعادت بأسها ، الى مقاتلة جيش القائد « فون شوبير » الالماني . فالقائد « هندنبورغ » كلف « فون شوبير » تسيير الجيوش في تلك المنطقة الروسية الحافلة بالغابات الفسيحة والبحيرات

وكتبت يومذاك جريدة « فيغارو » الفرنسية مقالا تصف به غابة « اوغستوفو »، وقد جرت فيها المعركة المتقدم بها الروس من الالمان ،فقالت : « غابة اوغستوفو لا تقل في كثافتها عن غابة « تيتوبورغ » . فهي تمتد الى غابات « مارغرابو » الكبرى ، هذه الغابات القائمة في الارض الالمانية ،المقبل اليها في كل عام الامبراطور غليوم الثاني للصيد والقنص . وقد بدأ تشييد قصر فخم في وسطها . الا ان الفلاحين البولونيين تكهنوا بان هذا القصر لن يتم تشييده ولن يأتي اليه من يسكنه ويعيش فيه »

هندنبورغ قائد عام

واذا لم يقم القائد « هندنبورغ » بنفسه بتنظيم المعارك على نهر « نيامن »،وعهد بشؤون الجيش الى « فون شوبير » ، فذلك لكون القيصر غليوم الثاني رفعه الى رتبة قائد عام للجيوش الالمانية على الحدود الروسية ، ومنحه لقب « فلد مارشال » . ورأى الامبراطور « فرنسوى جوزف » ان يوليه قيادة الجيوش النمسية والمجرية، مع كل ما في هذا الايلاء من صدمة لاركان حرب الجيش النمسي



ضباط وجنود من النمسيين وقعوا في الاسر الروسي

جماعة من الضباط والجنود النمسيين اسرهم الروس حول « لامبرغ » تقودهم المركبات الى مضارب الاسرى

ومن عار

الى فارسوفيا !...

واتجهت انظار هندنبورغ الى احتلال فارسوفيا(عاصمة بولونيا اليوم) . واعتزم اعداد هجوم عام للاستيلاء عليها . الا ان اخفاق القائد « فون شوبير » على ضفاف نهر « نيامن » مال بالقائد الالماني الاعلى الى التردد في تحقيق خطته

على انه اذا تردد فيها فلم يمتنع من الاستعداد لها . فظلت هدفه الاول . ولقد دفع « فون شوبير » ليشغل الروس على ضفاف «نيامن» بينما يفاجئهم هو من ناحية اخرى. وفاجأهم على ضفاف نهر « فيستيل » الاوسط بمرارة وغيظ

ولم يهتم الغراندوق نقولا ، قائد الجيش الروسي العام ، بسوى القائد هندنبورغ . فاهمل الجبهات الاخرى لينصرف الى اتقاء هجمات هذا القائد . فايقن انه امام رجل محنك لا يلين له عود ولا تغمز له قناة . والمانيا باجمعها لقيت في« هندنبورغ » معبودهـا . فاتجهت اليه الابصار كأنها حيال منقذ يملك بين يديه الحياة

وبلغ من يقظة الغراندوق نقولا انه استهان ببعض ما ادركت جيوشه من نصر في غاليسيا ليحصر اهتمامه بحركات هندنبورغ . فدعا من الجبهات التي اشرق فيها لجيوشه النصر قوات وافرة حشدها في منطقة « نوفو جيورجيفسك »،«فارسوفيا» ، « ايفانفورود » ، وتحصن وراء نهر « فيستيل » ونهر «سان» ، واقام يرقب ظهور جيش القائد هندنبورغ

وكل ما يرمي اليه الغراندوق نقولا ان يستفيد من اي هفوة كانت تبدر من عدوه ليحطمه بها

هزيمة هندنبورغ

ولاح للقائد الروسي العام الجناح الايسر من الجيشين الالمانيين المندفعين الى فارسوفيا يتقدم في اودية نهر «بسورا» ونهر «بيليتزا» فانقض عليه من كل ناحية، من «فارسوفيا» و« ايفانفورود». وكان في انقضاضه اشبه بالصاعقة. وساعدته الخطوط الحديدية الممتدة على ضفاف نهر «فيستيل»

المتطوعون البولونيون

قوة من المتطوعين البولونيين في صفوف الجيش الروسي تمشي الى ساحة القتال احتراماً لعهد بولونيا للقيصر نقولا الثاني. وعدها القيصر باعلان استقلالها على اثر الحرب الكبرى فعاهدته على القتال بجانبه والاخلاص له على ان يحقق هذا الوعد

وقد اظهر البولونيون في نصرة الروس كل همة واقدام



اليمنى على نقل جيوشه سريعاً الى حيث يفاجيء اعداءه ، فصدم الالمان صدمة تطاير منها الشرر المحرق . وفيما روسيا وانكلترا وفرنسا ترتجف وتجزع لمصير « فارسوفيا » اذا النصر يوالي الغراندوق نقولا . ولم يكن هندنبورغ يتوقع هذه المفاجأة فتقهقرت جيوشه الى الغرب في ٢٠ تشرين الاول ١٩١٤

المعركة على طول ٥٠٠ ميل

وفي ايام قلائل نجت بولونيا الغربية من قبضة الالمان . وقد امتدت ساحة القتال على جبهة واسعة طولها خمسمئة ميل ، تبدأ في « فارسوفيا » وتنتهي في « برزميسل »

وطارد الروس اعداءهم الى مدينة « لودز » واحتلوها . وبعد يومين كانوا في « رادوم » . وقاوم الالمان في « رادوم » مقاومة تذكر. فابوا ان يتخلوا عن شبر واحد من الارض . ولكن الروس دفعوهم بشدة عن اماكنهم ، وظلت قوات من القوزاق تطاردهم حتى الى « بوسنانيا »

والتوت في غاليسيا القوات النمسية مرة اخرى تفسح المجال للتيار الروسي . وحوصرت « برزميسل » للمرة الثانية ، وما اقبل يوم ١٣ تشرين الثاني حتى كانت المدينة المنيعة بين ايدي الروس

برقيات التهنئة بين قائدين!

وكان الغراندوق نقولا قد ابلغ في تشرين الثاني القائد «جوفر» الفرنسي نبأ النصر الحاسم . فاجاب القائد الفرنسي العام ببرقية هنأ بها صاحب السمو الامبراطوري من صميم قلبه . ومما قال : « ونحن ايضاً وقفنا دون الهجمات الالمانية الهائلة . فان حالتنا حسنة . واعتقد ان مجهودنا المشترك يقود الى النصر الاخير »

وفيما القائد « جوفر » يطير هذه البرقية كان الالمان ينطلقون في الجبهة الغربية الى البحر لاحتلال مدينة « كاله » ، ومنها يسهل عليهم تهديد كل اتصال فرنسي انكليزي ، وربما تهديد انكلترا نفسها

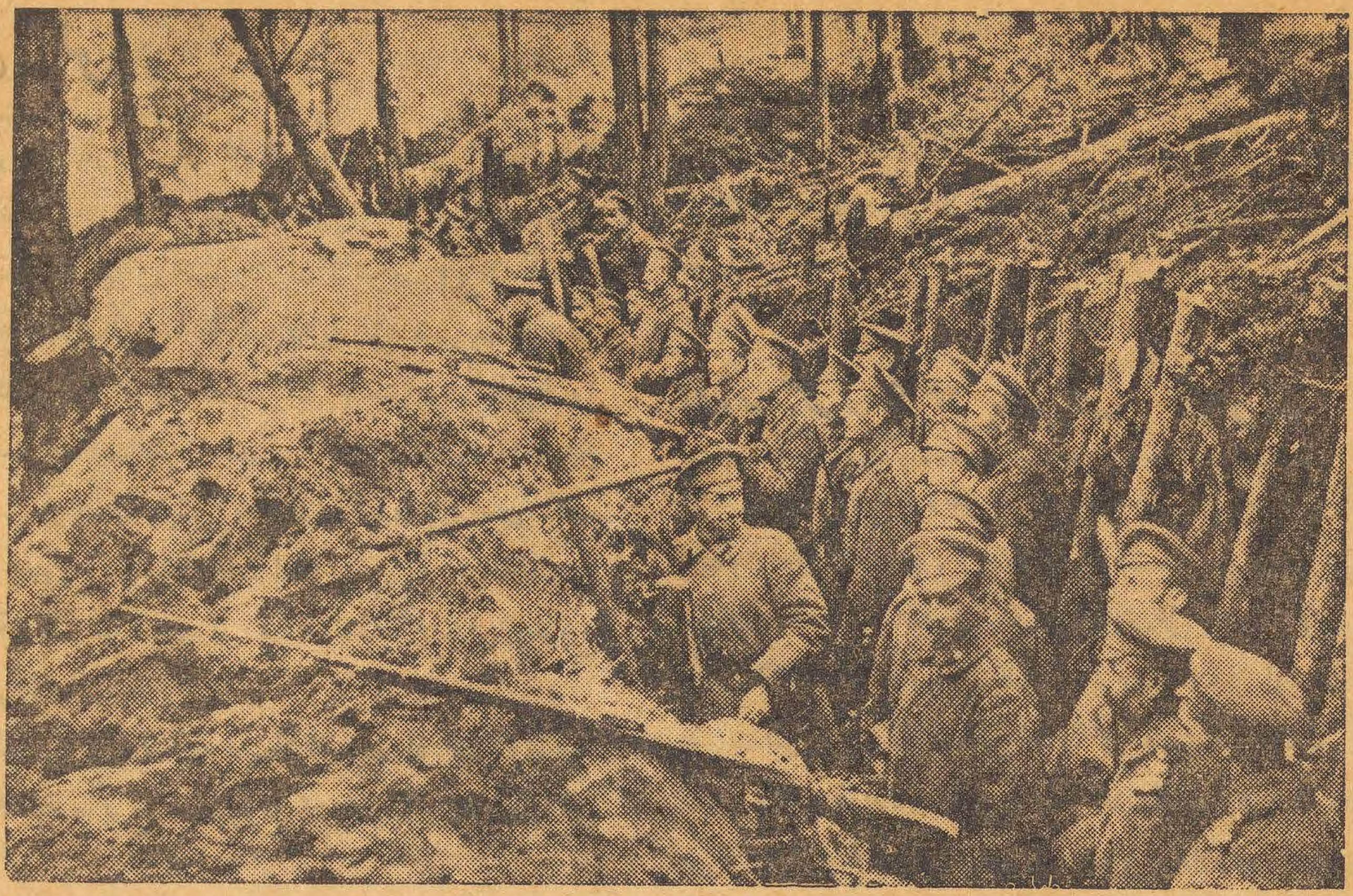
الالمان يعودون الى مهاجمة الروس

ولم يتأ الالمان ان يسجلوا على انفسهم الخيبة . فعادوا في اواسط شهر تشرين الثاني الى التفكير في احتلال فارسوفيا

فالروس قهروهم ، اجل ، الا ان هؤلاء الروس لم يحطموا جيوش هندنبورغ تحطيماً لا يقوم له به قائمة . فبذل القائد الالماني والنمسي العام مجهوداً عجيباً في تنظيم صفوفه وفي الاستعداد لاحتلال فارسوفيا . وحشد على الحدود الروسية معظم قواته . والخطوط الحديدية وفرت له سريعاً هذا الحشد في « تورن » ، على ضفاف نهر « فيستيل » الادنى ، في الشمال الغربي من عاصمة بولونيا . ولقي في « سيليزيا » و « بوسنانيا » ما يحتاج اليه من نجدات

خطة هندنبورغ الجديدة

فقسم هندنبورغ قواته الى ثلاثة جيوش ، كل جيش منها لا يقل عدده عن مئتي الف مقاتل . ودعمته مدفعية قوية هدامة . واذا به يثب على بولونيا وقد طرده منها الروس في اواخر الشهر المنسلخ . ولكن هندنبورغ يريد بولونيا باجمعها لالمانيا ، يريد ان يطرحها بين



قوة مهجيش المشاة الروس في الخنادق

لما نشبت معركة « اوغستوفو » وانتصر فيها القائد الروسي « رينتكامب » على القائد هندنبورغ اعتصم الروس بغابات « اوغستوفو » التاريخية واستطاعوا ان يدحروا فيها الالمان . وهذا الرسم يمثلهم في خنادقهم في الغابات نفسها وقد اقتطعوا الاشجار وحفروا الخنادق واستقروا فيها لصد التيار الجرماني عن روسيا البيضاء

يدي مولاه الامبراطور غليوم

وفوجىء الروس بهذا الهجوم وما كانوا يرقبونه . فان سرعته ابت عليهم حتى تنظيم خطط الدفاع

ظهور القائد ماكنزن

ودعي القائد « ماكنزن » الى خرق قلب الجيش الروسي على مقربة من « لودز » . والقائد « فون ماكنزن » يتولى قيادة الجيش الالماني التاسع . فدفع قواته الى العمل بالامر الوارد عليه و كان له ما شاء . فنفذ فيلقان المانيان الى قلب الجيش الروسي بوثبة رهيبة .وقال يومذاك الجميع : باتت بولونيا للالمان !

ولكن لا ...

ولكن هذا الهجوم الظافر كان مقدمة لخيبة أليمة لا لفوز باهر.

فالروس ملكوا روعهم حيال الخطر الجامح وعمدوا الى وقف الالمان مهما يكن من الامر . فقذفوا الجيش الالماني بقوات بكر لا يستولي عليها التعب ولم تفل عزيمتها اهوال القتال . وهذه القوات وقفت امام الجيش الالماني كالسور المنيع وسدت الثلمة المفتوحة في قلب الصفوف الروسية . وطوقت الفيلقين الالمانيين من كل ناحية وعددها خمسة واربعون الفاً

وشاع امر هذين الفيلقين. وذاع في كل مكان انهما سيضطران الى الاستسلام ، وانهما باتا لقمة سهلة الازدراد . وطرب الحلفاء .وخيل اليهم ان هذين الفيلقين اصبحا بين ايديهم . ولكن القائد « فون ماكنزن » لم ينم وقد هاله ان يبلى بهذا الاخفاق وان يخسر الفيلقين الباسلين.وابدى الفيلقان الجرأة المتناهية . فعز عليهما الوقوع بين ايدي الروس وفي صدور رجالهما قلوب تخفق فيها الحياة . وصمما على المقاومة حتى آخر نسمة . فكوفئت شجاعتهما بان هدما احدى نواحي السور الروسي المضروب عليهما وتوفرت لهما النجاة

الجلاء عن « لودز »

وبعد قليل شعر الروس بان الموقف يدعوهم الى الجلاء عن مدينة « لودز » اذا شاؤوا الثبات امام الالمان

وهذه المقدرة العجيبة في الالمان اثارت الاعجاب في كل ناحية. فليس بالسهل النجاة من تلك الحلقة الفولاذية التي ضربها الروس عليهم . اجل ، كلفهم هذا الجهد تضحيات جسيمة ، الا انهم لسوا الفائدة ، فما ضاعت تضحياتهم سدى . فالمعارك دامت ثلاثة ايام بلياليها . وقد خسر في اثنائها جيش « فون ماكنزن » اربعين الف جندي بين قتيل وجريح وعشرين الف اسير

هي فاجعة ولا ريب ، غير ان البسالة الالمانية تجلت فيها بوضوح وخففت جداً من وقع النكبة

واضطر الروس الى التراجع قليلا لترسيخ اقدامهم وتوطيد جبهتهم . وهذه الجبهة ما برح هندنبورغ يحلم بخرقها والنفاذ منها الى فارسوفيا

شتاء سنة ١٩١٥

واقترب شتاء ١٩١٥ بزمهريره وثلوجه. وخاف القائد هندنبورغ ان تحول الثلوج دون بلوغه الهدف . ففكر في ان يقدم بولونيا لمولاه غليوم الثاني هدية في عيد الميلاد . فالشتاء رهيب في روسيا والروس يحتملونه اكثر مما يحتمله الالمان ، بل هو لهم ذو نفع ، فكأنه لجيوشهم حصن منيع لا سبيل الى مهاجمته والظفر به ، اذاً على هندنبورغ ان يبدأ عمله قبل ان تتراكم الثلوج وتسد المعابر والطرق

وانطلق هندنبورغ الى الاصطدام بالروس ومهاجمتهم في كل سبيل لادراك وطره . فما عف عن الجبهة بكاملها . كل موقع روسي واثبته القوات الالمانية والنمسية ، سواء على نهر « بسورا » او نهر « روفسكا » او نهر « بيليتزا » او نهر « نيدا »

معركة الانهر الاربعة

فنشبت المعارك على ضفاف هذه الأنهر الاربعة . وكان قد حل شهر كانون الثاني من السنة الـ ١٩١٥ ، الا ان الزهو الجرماني ظل جريحاً في صميمه . فما اندملت كلومه . فالروس ظلوا المسيطرين . وحيال هذه النكبات المتعاقبة ، وامام البرد والمطر والثلج ، اضطر الالمان والنمسيون الى الاختباء في الخنادق يرقبون الفرص لشفاء ما في قلوبهم من روسيا

هندنبورغ لا يعرف الكلال

وهندنبورغ ، وهو من الجبابرة الذين لا يعرفون الكلال ولا يطيقون عار الاخفاق ، لم ينتظر نهاية الشتاء حتى يهجم على فارسوفيا ويحتلها . فاعتزم مغالبة كل عقبة والوثوب الى عاصمة بولونيا بين الثلوج وتحت الامطار ورصاص القوات الروسية . وفي اواسط شباط كان يضرب الروس بستة جيوش اطلقها الى فارسوفيا كالسهم

فحشد قوات هائلة في بروسيا الشرقية ، وعلى الحدود البولونية، من « كانيغسبرغ » على يساره الى جنوبي « ملاوى » عن يمينه. وهدد « كوفنو» ، وما نجت من تهديده « نوفو جيورجيفسك » حتى و« فارسوفيا» . ولكن هذا الهجوم الثالث ، ويمكن القول انه الهجوم الرابع ، لم يكلل بالنجاح . فلقي ما لقي كل هجوم تقدمه من خيبة وخذلان

فالجناح الالماني الايسر اصيب بالشلل امام « اوسوياتز ». فالمدينة قاومت بكبرياء ومانعت في الاستسلام . وبلي الجناح الايمن بالهزيمة والخسران امام « برازنيخ » على مقربة من « ملاوى »

خسارة مئتي الف رجل

اجل ، انتصر هندنبورغ في « تاننبرغ » ، وضجت المانيا باجمها لانتصاره ضجيج الغبطة والارتياح وقد استدرج القائد الالماني الروس الى بحيرات « مازوري » وبدد شملهم ، الا ان فوزه في هذه البحيرات لا يعادل خيبته في روسيا وانهزامه منها . فبلغت خسارة جيوشه في هذه الهزيمة مئتي الف رجل . وطارده الروس ، وعادوا فدخلوا بروسيا الشرقية . واندفعوا في هجومهم اندفاعاً واسع المدى احتلوا به مدينة « ممل » على شواطىء بحر البلطيك

الروس يهاجمون « برزميسل »

الحصن النمسي ناضل بعزم وردعنه الجحافل الروسية مرتين واخيراً سقط... وكان سقوطه عظيماً

من هم القوزاق الروس؟

في شهر تشرين الثاني ١٩١٤ حاصر الروس في غاليسيا مدينة « برزميسل » . و« برزميسل » تعد نحواً من خمسين الفاً من السكان، وانها لمدينة خطيرة الشأن في مقامها الحربي وموقعها والطرق الحديدية وغير الحديدية تلتقي فيها

فالمدينة قائمة شمالي جبال « الكاربات » على ضفاف نهر « سان » . وقد شيدت فيها النمسا منذ عشرين سنة الحصون المتعددة وجعلتها موقعاً حربياً من اول طراز

١٥٠ الف جندي

وفي شهر تشرين الثاني ١٩١٤ احتشد في « برزميسل » مئة وخمسون الف جندي يتولى امرها القائد « كوسمانيك » فاجأها الروس بمئة الف رجل يقودها « سالفانوف »

ومثل هذا العدد لا يقوى على امتلاك مدينة محصنة يدافع عنها مئة وخمسون الفاً من الجنود

عدا ان القائد الروسي « ساليفانوف » لا يملك مدفعية ضخمة تهد الحصون. فالمدافع المزود بها جيشه مدافع صغيرة لا تضمن له في اقرب آنا فتتاح « برزميسل »

على ان القيادة الروسية تريد احتلال المدينة في العاجل القريب. فمن الضرورة الاستيلاء عليها قبل انتهاء فصل الخريف . فان جبال « الكاربات » عالية والثلوج تتراكم فيها وتصون المدينة عن كل هجوم. فالمدافع لا تجري في الثلوج العالية الاكداس. واذا جرت فيها غرقت وهذا ما كان يتحاماه الروس

والقوات المحتشدة في « برزميسل » ليست من النمسيين وحدهم. فالالمان شاطروهم مهمة الدفاع عنها ، بل ان الجيش النمسي والالماني بات واحداً بعد ما تولى القائد هندنبورغ في الجبهة الغربية القيادة العليا

وواثب القائد « ساليفانوف » المدينة بقواته فما استطاع ان يلوي عودها . فالالمان والنمسيون صدوه عنها ، فاعاد الكرة فبلي بالاخفاق

غير ان الفراندوق نقولا يريد امتلاك « برزميسل » . فجهز لها جيشاً قوياً رام به افتتاحها . وسار هذا الجيش اليها يقاتل تحت اسوارها . فوالاه النصر واقتحمها في ٢٢ اذار سنة ١٩١٥

الفوز الجسيم

وانتصار الروس في « برزميسل » كان عظيماً. فوقع بين ايدي القوات الروسية المحتلة المدينة مئة الف اسير وتسعة من كبار القادة وذخائر لا تحصى

على ان حامية المدينة مانعت في الاستسلام . ومضت في المقاومة . فكان ان كلفتها مقاومتها اثني عشر الف جندي بين قتيل وجريح دون ان تلقى فائدة

ومن « برزميسل » اجتهد الروس في احتلال جبال « الكاربات » الا ان الاعتدة لم تكن موفورة لديهم . فان هذا النبع الفوّار من الرجال لا يملك الاسلحة الكافية لتجهيز قواته جمعاء وتهديم التنظيم العسكري الالماني المخيف!

والمعامل الحربية في روسيا مع كثرتها عجزت عن توفير السلاح المطلوب . فقامت بمهمتها ببطء ، على حين ان الموقف يدعو الى السرعة والقتال يجول جولته ، والفائز من كان على استعداد

ثم ان السكك الحديدية لم تكن ممتدة الى الانحاء الروسية

كافة لتحمل الجيوش الى الجبهة بانتظام . فكل ما كانت تملك روسيا نفس وثابة ، وموهبة فائقة ، و جرأة غريبة . واظهر فرسانها القوزاق من البطولة والاقدام ما ذاع عنهم في الاساطير ، وابدى مشاتها كل كفاية ، سواء في الهجوم بالسلاح الابيض او اطلاق النار . فكانوا يهجمون بالسلاح الابيض على القوات الالمانية والنمسية ولا يبالون ما ترشقهم به من رصاص فتاك

رواية ضابط روسي

وتحدث ضابط روسي من ضباط القوزاق عن اجتياح رجاله جبال الكاربات في شهر تشرين الاول سنة ١٩١٤ فقال :

ـ ذات يوم وقفنا عند مهواة يتصاعد منها هدير ساقية . والصخور ملساء لا تسلكها حتى الشاة . وابصرنا النمسيين نحاول ان نتسلق هذه الصخور اليهم . وكانوا فوقنا فسددوا الينا النار . ومع كل ما انتابنا من خسارة ايقنوا ان لا بد لنا من الارتقاء اليهم . ويقينهم بصلابتنا حملهم على التراجع دون ان يهيب بهم تفوقهم علينا الى الثبات في مواقفهم . وتسلقنا الصخور الى حيث شئنا . ولو تابع النمسيون اطلاق رصاصهم علينا لبقي منا عدد ضئيل !

من هم القوزاق ؟...

وورد في نشرة الجيوش الفرنسية عن القوزاق الروس وصف بليغ . قالت النشرة بتاريخ ٢ ايلول ١٩١٤ :

« اسمهم وحده يلقي الذعر في النفوس . فهم مفطورون على حب القتال ، متمرسون باساليبه ، تتقد فيهم الجرأة ويغلي في دمهم النشاط الدائم »

على حين ان هؤلاء الفرسان ، ومعظمهم من تركستان وسيبيريا والقفقاس ، يمسون في ايام السلم رعاة يقظين او فلاحين اشداء صابرين

ولقد بلغ في اثناء الحرب الكبرى عددهم مئتي الف رجل يجيدون الطعن بالسيف والرمح وتسديد نار البندقية . وهم يخدمون في الجيش من ابن ثماني عشرة الى ابن اربعين ، ويشترون ثيابهم باموالهم

هؤلاء هم القوزاق الروس !

اما المشاة !

اما المشاة فقد وصفهم كاتب في مجلة « الايلستراسيون » فقال فيهم انهم يجتازون مسافات واسعة لا يقوى اي محارب كان على اجتيازها

فالجندي الروسي يقطع في الليل من ٢٠ الى ٢٥ ميلا ، على حين ان الجندي الالماني من جيش القائد هندنبورغ كان يقطع ١٥ ميلا

ومعظم المشاة من الفلاحين يحتملون الالم والمشقات ويمشون في الوحل والغبار والنار . ويتقدمون ، يتقدمون ابداً ، لا تصدهم عن مبتغاهم المدافع والرشاشات ولا صلابة الجيوش الالمانية ولا مواهب القادة الالمان الحربية . فهم جيش مقدام يندفع الى الموت غير هياب !



رسم الغلا

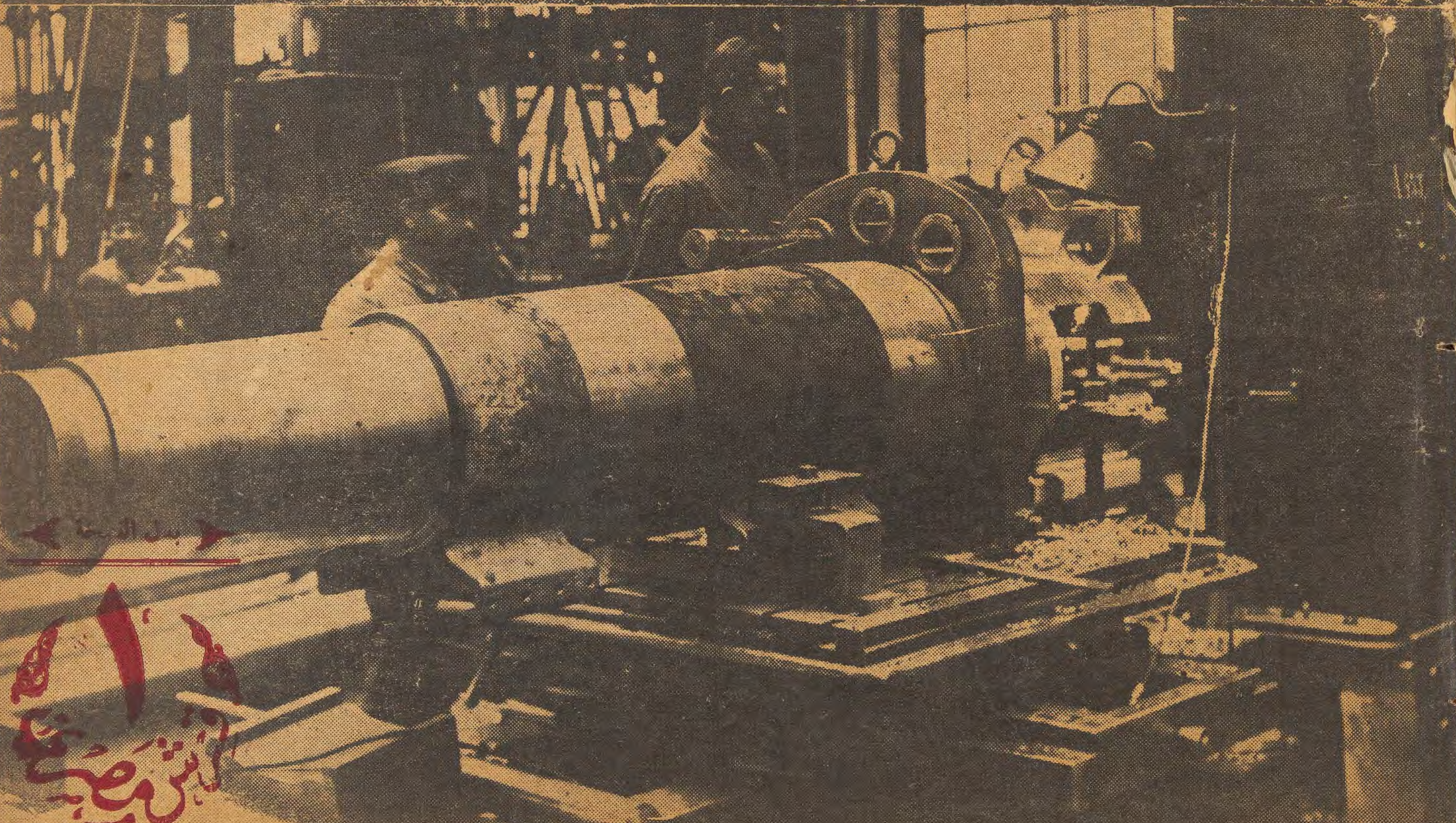
— في الشطر الاعلى
المدافع الالمانية في الج
الروسية

— في الشطر الادنى
مدفع الماني ضخم في مصنع

الأسرار

العدد الحادي عشر





بدل النسخة

١

الاسرار

مجلة اسبوعية تاريخية تبحث في التاريخ وما اهمله التاريخ

اصحابها : انطون صادر ، كرم ملحم كرم ، فؤاد ميداني

رئيس الانشاء المسؤول : كرم ملحم كرم — منشىء القسم الشرقي : فؤاد ميداني

المكاتبات باسم مدير المجلة : انطون صادر

الادارة مكتبة صادر * شارع اللنبي * بيروت

العدد ١١ — بيروت في ١٤ حزيران سنة ١٩٣٨

اسرار الجاسوسية في القضية العربية

بقلم فؤاد ميداني

تركيا خدعت العرب بالوعود الجوفاء قبل الحرب العالمية وبعدها

طلعت وانور يغرران بالامير علي الجزائري ويدفعانه الى احتلال تونس والجزائر

السنوسي لا يلمس في الاتراك المساعدة فينام عنهم !



* شفيق بك المؤيد العظم *
من زعماء الحركة العربية
ومن ضحايا جمال باشا

في اواخر عام ١٩١٣ ، لما اشتدت الحركة الوطنية في بلاد العرب ، اقبل شكري بك العسلي الى مقام المشيرية في دمشق ودعا الفريق سليمان شفيق كمالي باشا لحضور حفلة وطنية تقرر احياؤها في نادي دمشق .

وهي اول حفلة وطنية عربية يدعى اليها قائد عثماني ، مع ان دعاة الوحدة العربية والاستقلال العربي ما كانوا يدعون احداً من الحكام الاتراك ، الا انهم في هذه المرة جاوزوا الخطة ودعوا الفريق التركي اليهم

وحدثنا سليمان شفيق كمالي باشا عن ذكرياته هذه فقال :

— لبيت الدعوة وسرت الى النادي فاذا فيه المستر « دوفي » قنصل انكلترا في دمشق ، والسادة : شكري العسلي ، شفيق المؤيد ، فارس الخوري ، محمد كرد علي وسواهم من اعيان دمشق . فرحبوا بي شاكرين لي جهدي في سبيل البلاد العربية . وما لبثنا ان دخلنا القاعة نتناول فيها العشاء .

« وعلى المائدة تكلم الكثيرون يشيدون في خطبهم جميعاً بعظمة العرب ومدنية العرب ووحدة العرب واستقلالهم . وقوطعت هذه الخطب بالتصفيق الحاد . وشاركت القوم قلبياً في حماستهم ، ولما انتهى الخطباء من كلامهم دعيت الى الخطابة فقلت :

خلاصة خطاب القائد العثماني

— استمعت بسرور الى خطبكم المملوءة بحب الوطن والتمسك بالحرية . وهو شعور صادق يملك كل نفس . حتى ان البلابل مع كل ما تلقى من الرفق في اقفاصها الذهبية تتململ في هذه الاقفاص وترقب الفرصة للفرار الى الادغال وفيها الحرية المعبودة .

« ليس بامكان احد ان ينكر ذكاء العرب والمستعربين ،

واذا اضفنا الى هذا الذكاء الفطري الذي يتمتعون به العلم والمعرفة للذين اقتبسوها ادركنا مبلغ الشعور الفياض الذي لمسناه في هذا الاحتفال .

« ولكن المؤسف ان ما نشهده هنا من علم ومعرفة لا يسري على البلاد العربية جمعاء ، بل يشمل جزءاً من العالم العربي ، اذ ان الكثرة لا تزال في طور البداوة والجهل

« ولذا ارى الضعف يساور مجهودكم ، ومن الواجب لادراك مشتهاكم نبذ الشقاق الطائفي وتوحيد ثقافتكم

« الشقاق هو موت الامة ، وليس لامة حياة الا اذا اتحدت وامست جسداً واحداً

« ان البلاد العثمانية ، والعربية السورية منها بوجه خاص ، بحاجة ماسة الى الاصلاح . والدولة العثمانية تفكر في هذا الاصلاح وتتباحث فيه ، وستحققه في نهاية هذه الحرب ، الحرب البلقانية ! »

المرض عرفناه ، ولكن الدواء ! ...

« وهذه الخلاصة من خطابي تدلكم على اننا كنا نعرف حقيقة الداء الذي تشكوه الامة العربية . فكنت ورجال الحكومة مقتنعين ان السوريين لا يطلبون سلخ البلاد السورية من الدولة العثمانية ، بل يميلون الى السلطة الواسعة في ادارة شؤونهم مع بقاء سيادة الدولة العثمانية في بلادهم . والسوريون على حق في مطالبهم ، فان اقل حادث في شؤونهم الداخلية كان يحتاج الى سلسلة طويلة من المفاوضات والمراجعات . وكل مراجعة تمر من غرفة الى غرفة وتقتضي الوقت الطويل ، مما اهاب بالسوريين الى الشكوى

« والمثقفون العرب يعلمون ان الولايات العربية لا تستطيع في شكلها الجغرافي انشاء سلطنة عربية مستقلة ، لا لكون الدولة العثمانية تعارض الفكرة فحسب ، بل لكون الدول الاجنبية نفسها تقاومها بشدة .

نيات الاتراك الحسنة

« وولاة امور الدولة العثمانية في استانبول كانوا على اعتقاد تام ان العرب على صواب في الشكوى ، فعمدوا الى سن قوانين خاصة بالبلاد العربية وعدوا بتنفيذها بعد نهاية الحرب البلقانية .

« واعتقدت بصحة نياتهم فعاهدت زعماء العرب على اجابتهم الى مطالبهم ، ولكن المؤسف — وهو ما ارويه لقراء « الاسرار » وللحقيقة والتاريخ — اني اخطأت في الايمان بسلامة طوية القابضين على ناصية الامر في السلطنة العثمانية . فخدعوني وانا قائد كبير من قادتهم كما خدعوا زعماء البلاد العربية . وكان من عاقبة هذه السياسة العوجاء ان اضاعوا نفوذهم في البلاد العربية واخيراً اضاعوا البلاد العربية نفسها ! ... »

* * *

هذه هي التصريحات التي ادلى بها صاحب الدولة سليمان شفيق كمالي باشا

وهذا الحديث يدلنا بصراحة على ان الاتراك القابضين على زمام الامر في السلطنة العثمانية ظلوا يخدعون العرب في ما يلقون في اذانهم من وعود حتى الى ما بعد دخول تركيا الحرب العالمية .



شكري بك العسلي
من شهداء البلاد العربية

وهذا دليل صريح :

الامير علي باشا

في ٢٠ نيسان ١٩١٥ نشرت جريدة « المقتبس » الدمشقية تحت عنوان « المجاهد الكبير علي باشا الجزائري في دمشق » ما يلي :

« عاد امس من برلين عطوفة المجاهد الكبير علي باشا الجزائري ، الرئيس الثاني لمجلس المبعوثان العثماني ، بعد ان مكث فيها مدة كان في خلالها على اتصال بالهيئات الالمانية للعمل على نشر الدعوات العربية ، وذلك بوضع نشرات تولت الطيارات الالمانية القاءها على جنود الجزائر وتونس ومراكش المحاربة في الجيش الفرنسي . وبلغنا انه سيعود بعد ايام الى ميدان الجهاد في العراق »

والامير علي باشا كان قد سافر الى المانيا على اثر خوض الدولة العثمانية الحرب العالمية ليحرض ، وهو في صفوف الالمان ، الجنود الفرنسية والجزائرية والمراكشية على جفاء الفرنسيين والانتقاض عليهم . وقام بهذه المهمة حق قيام ، وانهاها في اول كانون الاول سنة ١٩١٤ وعاد الى استانبول

مؤتمر عربي

ولدى وصول الامير الى استانبول كانت دار الاستخبارات العربية قد انشئت في السلطنة العثمانية كما روينا ذلك في « الاسرار » . فعقد اجتماع في هذه الدار تحت رئاسة بهاء الدين شاكر بك ، وليّ امرها ، تناولت ابحاثه الموقف والتدابير الواجب اتخاذها للاستفادة من مكانة الامير واخلاصه . فتقرر تكليف اركان الحكومة هذا الامر على ان تتولاه مصلحة الجاسوسية غير مباشرة

ودعي الامير الى مقابلة خليل بك رئيس مجلس المبعوثان العثماني فلبي الدعوة. فشكر له خليل بك باسم حزب الاتحاد والترقي الاعمال المجيدة التي قام بها في سبيل السلطنة العثمانية ثم قال:



طلعت باشا

وزير الداخلية في الدولة العثمانية. يطالع عنه القراء في هذه النشرة انه حاول توحيد المغاربة للعمل في صفوف العثمانيين

ــ انتم تعلمون ان الدولة العثمانية تستعد اليوم لتجهيز حملة على قناة السويس، وهي تبذل جهداً عظيماً لاقناع السنوسيين بالانضمام اليها وتحاول استمالة المراكشيين والتونسيين والجزائريين

« وموقفنا يوجب علينا تأمين مساعدة السنوسيين لنا، حتى اذا تمكنت قواتنا من اختراق قناة السويس واحتلال مصر كان لدينا المجال الكافي لتجهيز جيش قوي نزحف به الى الامام لاستعادة طرابلس الغرب والجزائر وتونس ومراكش. والحكومة العثمانية التي تعتمد على مساعدتكم ترى من واجبها مصارحتكم انها على استعداد لمؤازرتكم بما تشاؤون لاجل استعادة نفوذكم في الجزائر!

مطامع الامير الجزائري

والامير علي باشا، وهو الرئيس الثاني لمجلس المبعوثان العثماني، كان يطمع في ان يعود الى الجزائر ويسيطر على شؤونها. وخليل بك يعرف فيه هذه المطامع فوعده بان الحكومة العثمانية تنصبه اميراً على الجزائر اذا فازت ببغيتها وتساعده على اثارة الفتن في تونس ومراكش، حتى اذا التهبت فيها الثورة مهدت له تركيا السبيل الى امتلاك الامر في المغرب الاقصى باجمعه

وهذه الخطة من الروايات الخيالية، على ان الامير اعتقدها ممكنة التحقيق وهو الواثق بمقدرة الالمان وبعطفهم عليه وبمساعدته على امتلاك الامر في الجزائر. فوعد خليل بك بالعمل بما تطلب منه الدولة العثمانية. ومما اعلن انه لا يهتم بنفسه كاهتمامه بمستقبل السلطنة العثمانية وخيرها

اجتماع ثلاثي

ورأى خليل بك كي يزيد في ثقة الامير به ان يحدثه عن رغبة طلعت باشا في مقابلته ليخاطبه في الموضوع نفسه ويوفر له من الضمان ما يشاء

وبعد نصف ساعة كان طلعت وخليل وعلي باشا يعقدون جلسة ثلاثية في قاعة وزارة الداخلية، وكان طلعت يومئذ يقبض على زمام هذا المنصب، وبعد ما رحب طلعت بضيفيه بمرونته المعهودة قال:

ــ ترى الحكومة ان الوقت قد حان لاثارة الشعوب الاسلامية الرازحة تحت نير الاستعمار الاجنبي. والسلطنة العثمانية لم تخض غمار هذه الحرب الطاحنة الا لتملك حريتها وسيادتها المطلقة من جهة ولتعمل على تحرير سائر الشعوب الاسلامية التي ارغمت على قبول الاستعمار الاجنبي من جهة اخرى

« ونحن لا نرى في دولة الامير غير عثماني مخلص يجتهد في تحرير بلاده الجزائرية من مستعمريها واستعادة مجدها. ولهذا قررنا تجهيز حملة للاستيلاء على طرابلس الغرب والجزائر ورأينا ان تكون على رأس الحركة.

« ولما كانت الاعمال الجارية تستوجب السير خطوة فخطوة نرى ان تبدأوا ببث الدعوة في بلاد المغرب لتهيئة الافكار فيها لهذه الثورة، وبعد ذلك تنظمون الاستعداد الحربي في المنطقة السنوسية!

فقال الامير علي باشا: اوضحت لصديقي خليل بك استعدادي لكل عمل ترونه مناسباً. وساقوم بنشر الدعوة بصورة جدية في تلك البلاد!

فقال طلعت: امر هذه الدعوات ضروري. وبامكانكم الاعتماد في ذلك على بهاء الدين شاكر بك، رئيس مصلحة الجاسوسية العام، فسيكون طوع يدكم ليقدم لكم كل مساعدة تحتاجون اليها. والمهم لدينا الان تنظيم بث الدعوة بصورة جدية وتسيير حركات السنوسيين. وقد اوعزنا الى فئة من زعماء السنوسية المقيمين اليوم في العاصمة لعقد اجتماع للنظر في الموقف وتقرير التدابير الضرورية. ورأينا ان نطلعكم على الامر قبل عقد هذا الاجتماع ليقيننا انكم تؤيدونه كل

التأييد !

فوعده الامير علي باشا بالعمل بما يراه موافقاً



بهاء الدين شاكر

رئيس مصلحة الجاسوسية في بلاد العرب ومن الزعماء البارزين في حزب الاتحاد والترقي

في ديوان انور باشا

وفي اليوم التاسع عشر من شهر كانون الاول سنة ١٩١٤ عقدت هذه الجلسة في دار وزير الحربية انور باشا وحضرها من الاتراك : انور وطلعت وخليل بك وبهاء الدين شاكر بك ، كما حضرها الامير علي باشا الجزائري . وحضرها من القادة السنوسيين : الشيخ محمد الشريف السنوسي القائد العام للقوات السنوسية وشقيق المجاهد الاكبر الشيخ احمد الشريف السنوسي ، والشيخ بشير تواتي . وحضرها يوسف بك شتوان من زعماء طرابلس الغرب واحد رؤساء مصلحة الاستخبارات العثمانية في البلاد العربية . وتقرر في هذا الاجتماع :

اولا — الشروع في العمل لتحريض العالم الاسلامي على الحلفاء ، وذلك باذاعة نشرات وحض الشعب على مقاومة اعمال الحلفاء الحربية .

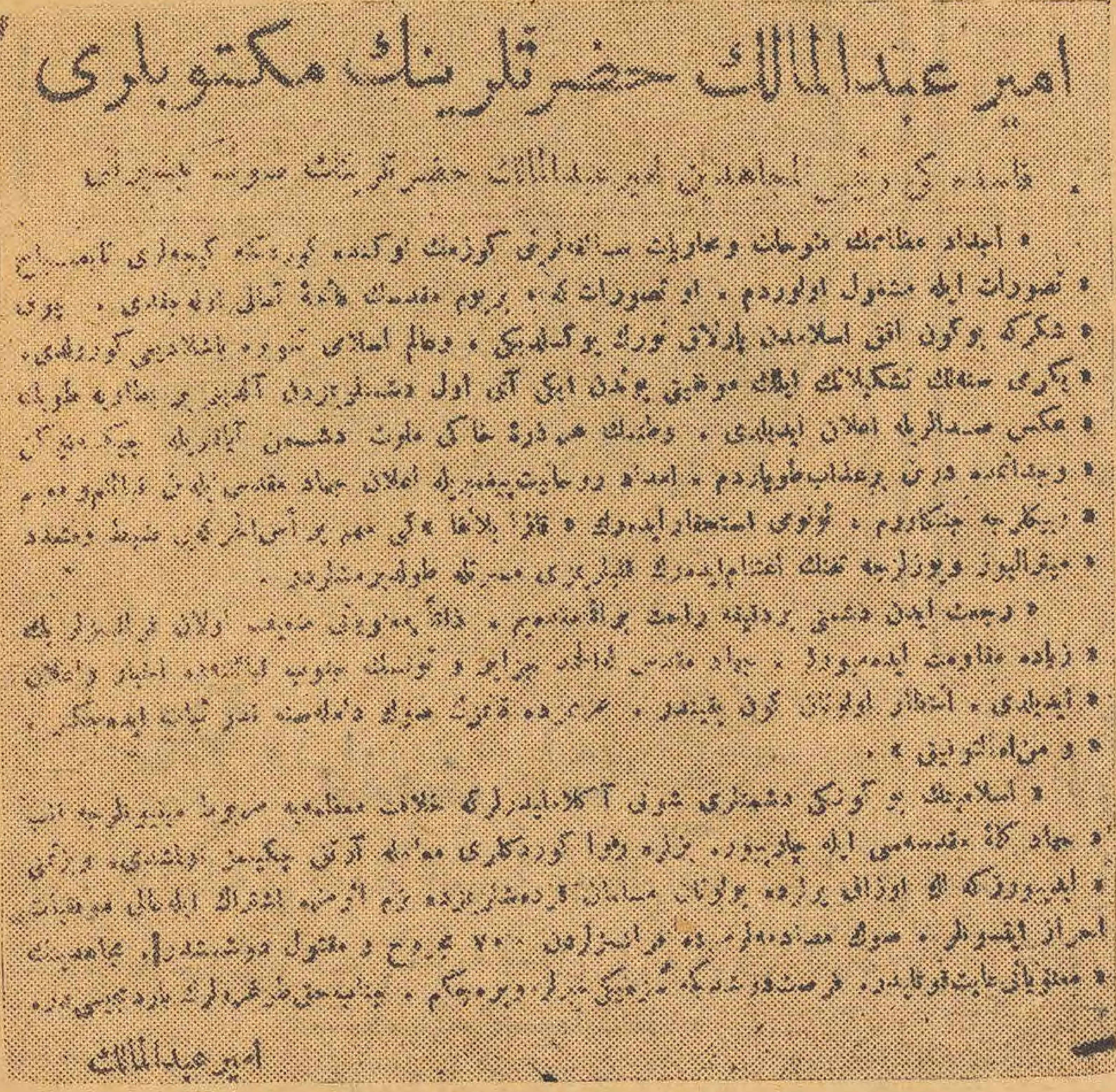
ثانياً — دعوة ابناء تونس والجزائر ومراكش الى تأليف العصابات في المنطقة السنوسية استعداداً للزحف الى بلادهم واستعادتها وانقاذها من الايطاليين والفرنسيين

ثالثاً — ايجاد الوسائل الضامنة لتوسيع نطاق الثورة في طرابلس الغرب وبلاد المغرب

رابعاً — تأمين وصول المساعدات المالية والسلاح والمتطوعين الى ساحة الحرب السنوسية

خامساً — اتجاه كل من الزعماء السنوسيين الى الناحية الواجب عليه العمل فيها

ورأى انور باشا ضرورة التأثير سريعاً في موقف الجنود المغاربة المحاربين في صفوف الفرنسيين . فاوعز الى الامير علي باشا بكتابة منشور وزع في مطلع عام ١٩١٥ على القوات المغربية بالطيارات وهذه صورته بالزنكوغراف :



امير عبدالمالك حضرتلرينك مكتوبلرى

[illegible]

امير عبدالمالك

وهذا المنشور الذي يطالع قراء « الاسرار » نصه اعلاه يشير الى قيام الامير عبد المالك نجل الامير عبد القادر الجزائري الكبير بتلبية داعي الجهاد والى ما كان لدعوة الجهاد من تاثير في العالم الاسلامي . وهو في جوهره لا يخرج عن حد الدعوة التي كانت تنشرها كل دولة لاستمالة من تريد استمالتهم اليها

وشاء واضعو هذا المنشور ان يثبتوا حقيقة الثورة في « فاس » فالحقوه بكتاب قيل انه ورد على الامير علي باشا من اخيه الامير عبد المالك وهو المدرج في نهاية هذا المنشور . والى القراء ترجمته الحرفية نثبتها للتاريخ :

مكتوب الامير عبد المالك

« لما كنت اتمثل حروب اجدادي العظام وفتوحاتهم كنت اقضي الليالي احلم بانبثاق فجر اليوم المقدس . والحمد لله ان نوراً وهاجاً قد سطع من افق الاسلام وبدأ يشع على العالم الاسلامي .



انور باشا

ننشر رسمه بمناسبة الاجتماع المنشورة اخباره في هذا العدد من « الاسرار » والمعقود تحت رئاسته لتقرير الثورة والفتن في البلاد المغربية .

ولقد جنينا اول فوز للتدابير التي نقوم بها منذ ٢٠ عاماً في الانتصار الذي احرزناه منذ شهرين بامتلاكنا اول مدفعية للاعداء

« كنت اشعر بعذاب وجداني عميق لرؤيتي ارض ابائي واجدادي تلوث باقدام الاعداء . اما الآن وقد اعلن الجهاد المقدس فقد قام رجالي الابطال وقبائلنا الباسلة مستخفين بالموت وهاجموا الدار البيضاء« كازابلانكا» وهي مقر الحركة الفرنسية في مراكش واحتلوها بعد ما غنموا من الاعداء مئات من البنادق وعدداً من الرشاشات .

«ولم اترك للعدو المتقهقر وهو يتراجع دقيقة واحدة للراحة. فتتبعت آثاره وبات الفرنسيون في حالة يعجزون بها عن المقاومة .

« ان الجهاد المقدس اعلن ولله الحمد في تونس والجزائر حتى بين قبائل الجنوب . واليوم المنتظر من الجميع بات قريباً . وسنثبت في نضالنا حتى آخر نسمة من حياتنا ومن الله التوفيق !

« على اعداء المسلمين في يومنا هذا ان يعلموا ان قلوب الملايين من المسلمين تخفق اليوم بكلمة الجهاد المقدسة .

«فان المظالم والاضطهادات التي عاملونا بها باتت لا تحتمل . ونحن نتمنى على اخواننا المسلمين في البلاد البعيدة ان يقتدوا بنا لاحراز الفوز الباهر على اعدائنا

« في المعارك الاخيرة التي وقعت بيننا وبين الفرنسيين فقد هؤلاء ٧٠٠ رجل بين قتيل وجريح. وحالة المجاهدين الروحية نشيطة جداً. وسأوافيكم باخباري في كل فرصة والله معين لكل من يسير على الحق !...»

منشور آخر

وعقب هذا المنشور منشور آخر اذيع تحت عنوان:«جهاد الامير خالد ـــ زحف المجاهدين الى مصر » جاء فيه ان الامير خالد المقيم في الجزائر والذي عهد اليه الفرنسيون، ليقينهم باخلاصه وتضحيته، بدعوة الجزائريين للانضمام الى الجيش الفرنسي ، خدع هؤلاء بما تظاهر لهم به من الولاء وجمع ابناء القبائل الجزائرية وجهزها بما تحتاج اليه من سلاح وعتاد حربي وغادر واياها الجزائر الى طرابلس الغرب للالتحاق بالقوات السنوسية الزاحفة الى مصر . وعدد القوة التي جمعها سبعة آلاف مقاتل

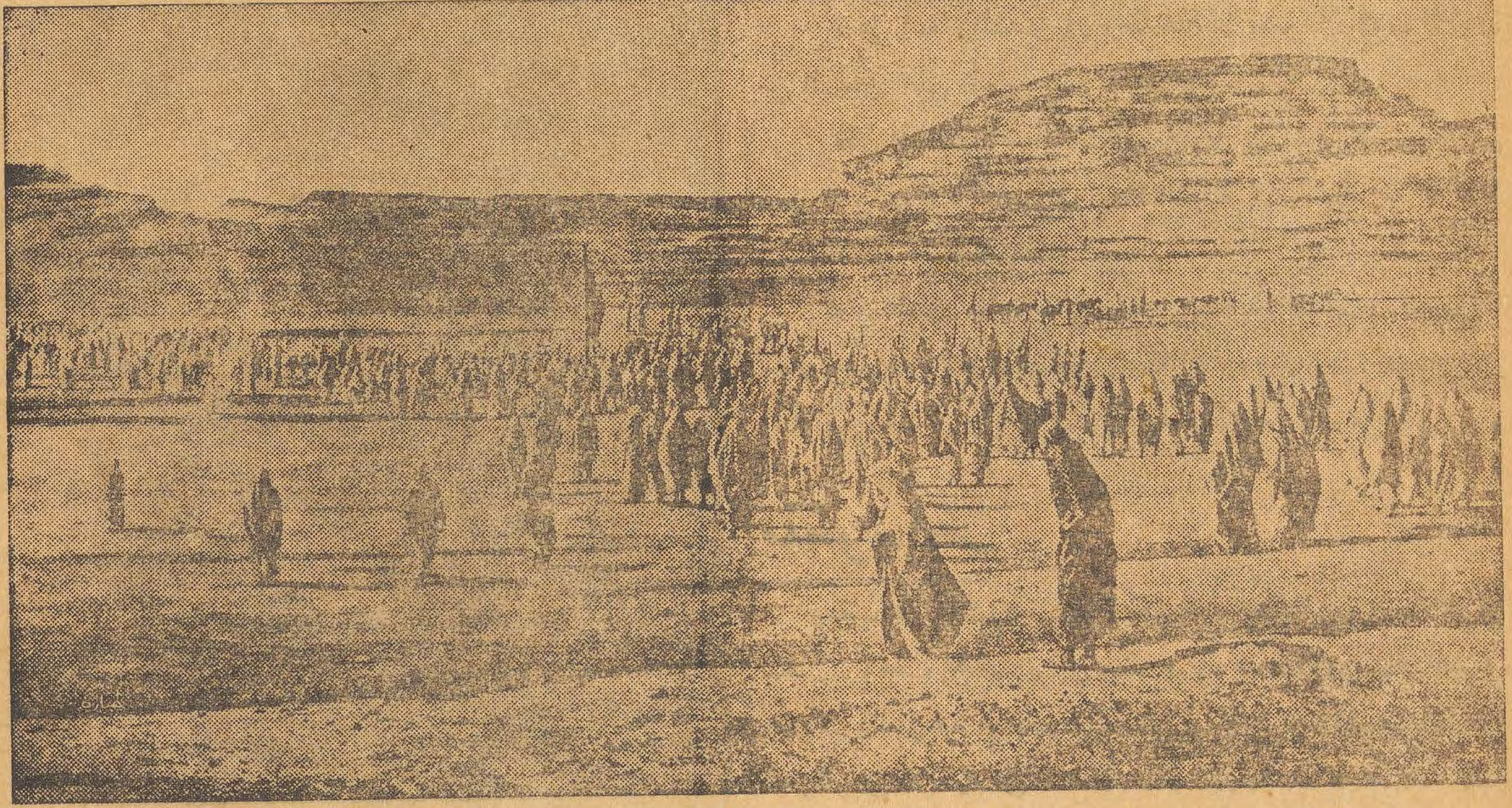
تأثير هذه الدعوات

وهكذا استعان العثمانيون في اثناء الحرب العالمية بكل وسيلة من وسائل الدعوة التي تراءى لهم انها تمهد السبيل لتحقيق مآربهم . ولكن هذه الدعوات لم تؤثر بوجه من الوجوه في الجنود الاسلامية التي كانت تحارب في صفوف الحلفاء .

والاتراك انفسهم الذين بذلوا كل ما لديهم من قوة ومقدرة لاستغلال امراء العرب كانوا على اعتقاد وطيد ان هذه المساعدات وهمية ، وان العرب اذا اقدموا على مساعدة الاتراك فانما يساعدونهم لا رغبة منهم في مماشاتهم حتى النهاية بل للعمل على تحقيق مطامعهم في الاستقلال والحرية . ووضحت لنا هذه الحقيقة في الموقف المحايد الذي وقفه امراء جزيرة العرب تجاه الترك والحلفاء . فما اقدم امير عربي على محاربة الحلفاء طول الحرب العالمية، بل رأيناهم يتملصون

الواحد تلو الاخر من صداقة الدولة العثمانية . واذا كان هناك من عمد الى مساعدة الاتراك فهو السيد احمد الشريف السنوسي دون سواه. فحارب في بدء الحرب عملا بالعهود التي تبادلها وحكومة استانبول ونشرناها في الجزء الثاني من « الاسرار »

في اول ايار ١٩١٥ من « ان وفداً من زعماء السنوسيين جاء الى القاهرة لتهنئة عظمة السلطان بنجاته من المؤامرة التي دبرت ضده (راجع الجزء السادس من الاسرار) وان هذا الوفد قدم في الوقت نفسه ولاء السيد السنوسي ورغبته الاكيدة في البقاء على الحياد التام



قوات السنوسيين فى صحراء طرابلس الغرب

يمثل هذا الرسم عدداً كبيراً من المحاربين السنوسيين في صحراء مرسي مطروح يستعدون لمهاجمة القوات الانكليزية المصرية على حدود مصر الغربية

اضمحلال مقاومة السنوسى

ومقاومة السيد احمد الشريف السنوسي للحلفاء لم تستمر طويلا. فان دخول ايطاليا الحرب العالمية بجانب الحلفاء اتعب السيد احمد ودعاه الى التخلي عن القتال وكانت فائدته للدولة العثمانية ضئيلة النفع وبالامكان الجهر بان مساعدة السيد احمد الشريف السنوسي للدولة العثمانية لم تخرج عن حد المقاومات البسيطة التي ناوشت بها جماعته الحدود . وانتهى به الامر للاستسلام الى الحلفاء

مصادر مصرية تؤيدنا

واكبر دليل على ما نقول البلاغات الرسمية المصرية التي اعلنت

واحترامه حدود مصر »

وقد طبلت يومذاك الصحافة المصرية للامر — ولم تكن هناك غير صحف مشتراة من الانكليز — واعتبرت ما بدر من السنوسي طعناً على كرامة العثمانيين ودليلا على ان معظم المسلمين انشقوا عن السلطة العثمانية

معركة « سيدى برانى »

وانقطاع المواصلات بين استانبول والمنطقة السنوسية من الاسباب الرئيسية لضعف همة السنوسيين وقد شعروا بانهم في حالة لا تساعدهم على متابعة القتال بشدة . الا ان الوفد الذي اشارت اليه البلاغات المصرية لم يكن في الحقيقة موفداً من قبل السيد احمد

الشريف السنوسي نفسه بل من بعض المنتسبين الى الاسرة السنوسية المنشقين عليه ، الذين تمكن الانكليز من استمالتهم الى صفوفهم . وقد حاولوا بذلك الادعاء ان السنوسيين باتوا ناقمين على الدولة العثمانية .

الا ان نوري باشا — شقيق انور — ساءته هذه الدعوات ومالبث ان جهز قوة كبيرة من رجاله زحف بها الى « مرسى مطروح » وتمكن من مجابهة المراكز المصرية بشدة والوصول الى « سيدي براني » وهناك نشبت معركة شديدة انتهت بفوز السنوسيين واحتلال المراكز المصرية والقضاء على حاميتها

وتطور الموقف بعد ذلك فوقعت معارك اخرى فاز فيها جميعها السنوسيون

ولكن الحكومة المصرية ..

ولكن هذه الاخبار وقد تناقلتها مصر لم ترق القيادة الانكليزية . فعمدت الى اذاعة بلاغ رسمي باسم الحكومة المصرية قالت فيه :

« يلازم السيد احمد الشريف السنوسي واتباعه خطة الولاء والوفاء والاخلاص لحكومتنا وللحكومة البريطانية ، وليس لهم شأن مع العربان والبدو غير التابعين لسيادته الذين شايعوا جواسيس الاعداء ورسلهم الدساسين المبثوثين في الصحراء ، فاشتروهم بالذهب الوهاج واغروهم على مناوأة الحكومة المصرية والتعدي على العربان التابعين لها وعلى حدود هذا القطر بلا مسوغ .

« وانه ليسرنا ان نرى اولئك العربان السذج قد نالوا ما يستحقون من الجزاء في اعتدائهم على حامية القطر المرابطة في « مرسي مطروح » ، فانهم انهزموا اولا وثانياً وثالثاً وكانوا يتحملون في كل مرة خسارة فادحة ويعانون اضراراً لا يستهان بها تربي كثيراً على قيمة ما رشاهم به الالمان واتباع انور باشا »

بلاغ آخر عن السنوسيين

ولما تطورت الحوادث عادت الحكومة المصرية واذاعت في آخر شباط ١٩١٥ بلاغاً آخر هذا نصه :

« لا يزال السيد احمد الشريف السنوسي ملازماً خطة الولاء المحض والمحبة الاكيدة نحو الحكومة المصرية . ولكن بعض الدساسين استطاعوا بما بثوه من الدسائس ان يحملوا بعض العربان من النواحي الغربية على ارتكاب افعال عدائية لا اهمية لها ضد مواقعنا على الحدود وضد بعض الافراد من الاهالي

« وعملا بالخطة السياسية التي سارت عليها الحكومة ، وهي اجتناب كل حادث من شأنه ان يحدث اضطراباً او يؤدي الى اصطدام ، جمعت القوات الصغيرة في تلك المواقع ، كالسلوم ، وسيدي براني ، في ثغر « مرسي مطروح » المقيمة فيه الان قوة كافية مستعدة تماماً لحماية العربان التابعين للحكومة المصرية ضد اي اعتداء من ذلك القبيل »

وهذا البلاغ الذي اعترفت فيه الحكومة ضمناً بسقوط السلوم وسيدي براني بين ايدي القوات السنوسية احدث تأثيراً سيئاً في القطر المصري ، وقد دل المصريين على ان القوات السنوسية كانت متغلبة عليهم في تلك الجهات

وهذا ايضاً بلاغ

ولكن الحكومة المصرية عادت ونشرت بلاغاً ثالثاً حاولت به تهدئة الافكار قالت فيه :

« علمنا ان السيد احمد الشريف السنوسي الكبير سخط على بعض العرب الذين كدروا صفاء الامن في حدود السلوم سخطاً شديداً فأمر بالقبض عليهم وسجنهم »

* * *

هذا ما كان عليه الموقف في المنطقة السنوسية حتى اول ايار ١٩١٥ ، وهو يدلنا على ان القوات السنوسية كانت لا تزال مخلصة للدولة العثمانية

ووصلت الى طرابلس الغرب الوفود التي غادرت استانبول تحت رئاسة الامير علي باشا الجزائري ، الا ان الامير ظل في دمشق ليساعد احمد جمال باشا في اعداد الحملة على قناة السويس

ووقعت في المنطقة السنوسية وفي بلاد الجزائر ومراكش وتونس عدة حوادث مهمة كان لدار الجاسوسية العثمانية في بلاد العرب يد فيها ، مما سنوضحه تباعاً في « الاسرار »

المعارك البحرية تشتد في البحر الاسود

الاسطول العثماني يفر للمرة الاولى امام الاسطول الروسي

الروس يرقبون اصطياد اسطول العثمانيين والمنية ينجيهم منه مدخل البوسفور

الطراد « مجيديه » يغرق في طريقه الى ضرب « اوديسا »

لم تنقطع المعارك في البحر الاسود بين الاسطولين العثماني والروسي ، بل زادت شدة في اواخر اذار واول نيسان . فالاسطول العثماني بعد ضربه « اوديسا » وانزاله تلك الاضرار الشديدة بالمعسكرات ودور الحرب البرية والبحرية الروسية تراجع الى الشواطيء الرومانية وقام بمطاردة البواخر التجارية الروسية محاولا عرقلة الملاحة بين البلدين

وهذه الخطة ساعدت العثمانيين كثيراً . فالروس كانوا بحاجة الى السكر والمواد الغذائية الضرورية يشترونها من رومانيا

وفي ٣ نيسان سنه ١٩١٥ تلقى الاسطول العثماني من اميرالبحر « سوشون » الالماني المشرف على امر هذا الاسطول برقية تشير عليه بالعودة سريعاً الى مياه استانبول واجتناب لقاء الاسطول الروسي ، اذ ان حاجة الدولة الى هذا الاسطول بانت ماسة بعد ضرب الحلفاء في ١٩ اذار سنة ١٩١٥ مضايق الدردنيل

عودة الاسطول

غادر الاسطول العثماني السواحل الرومانية ووجهته مضايق البوسفور ساعياً لولوجها والوصول الى بحر مرمره قبل ان يلتقي به الاسطول الروسي ، الا انه ما كاد يقترب من المضايق حتى تناول خبراً من موقع الترصد البحري يقول :« تتقدم في وجهتكم ثلاث قطع حربية روسية . وتدل الانباء على ان سائر الوحدات الروسية وراءها »

فرأت قيادة القطع العثمانية ان تعقد مجلساً حربياً لبحث الموقف . والمجالس الحربية البحرية في مثل هذه الاحوال دائمة الانعقاد . واستشار القائد ضباط اركان حربه في الامر فقر رأيهم على ضرورة تبديل سير الاسطول والعودة الى الجهة التي اقبلوا منها . ولكن هناك عثرة دون تحقيق الخطة . فالوقود اوشكت ان تنتهي وليس لدى الاسطول منها ما يساعده على الرجوع

والتقدم شديد الخطورة . فالاسطول الروسي زوع في مدخل البوسفور الالغام ووقف في الجهة الاخرى بالمرصاد

فحار القادة العثمانيون في امرهم وباتوا لا يدرون ما يصنعون . فاذا رجعوا الى عرض البحر تعذر عليهم بلوغ مرفأ العاصمة وقد امسوا بلا وقود ، واذا تقدموا كانوا عرضة لهجمات العدو وللالغام المالئة البحر

و كان القائد وحده مالكاً رشده . فما كاد يرى حيرة معاونيه حتى التفت اليهم وهو يقهقه شديداً وقال :

ــ لماذا الحيرة ؟... أتخافون الموت ؟... اذا كنتم حقاً تخافونه فليس امامكم الا طريق واحد اليه وهو السير الى الامام !

« نحن تجاه العدوا كيفما سرنا . ولكن لنا املا واحداً بالنجاة اذا تقدمنا . فاما ان تتحقق ظنونكم فنموت بين قذائف الاسطول الروسي وألغامه ، واما ان نتمكن من النجاة والوصول الى المضايق ، فماذا تختارون ؟

فصاحوا باجمعهم : الموت كما يريد القائد !

ــ اذاً الى الامام مهما كانت العاقبة . فاما ان نفوز فنصل سالمين واما ان نموت حيث كتب ذلك لنا !

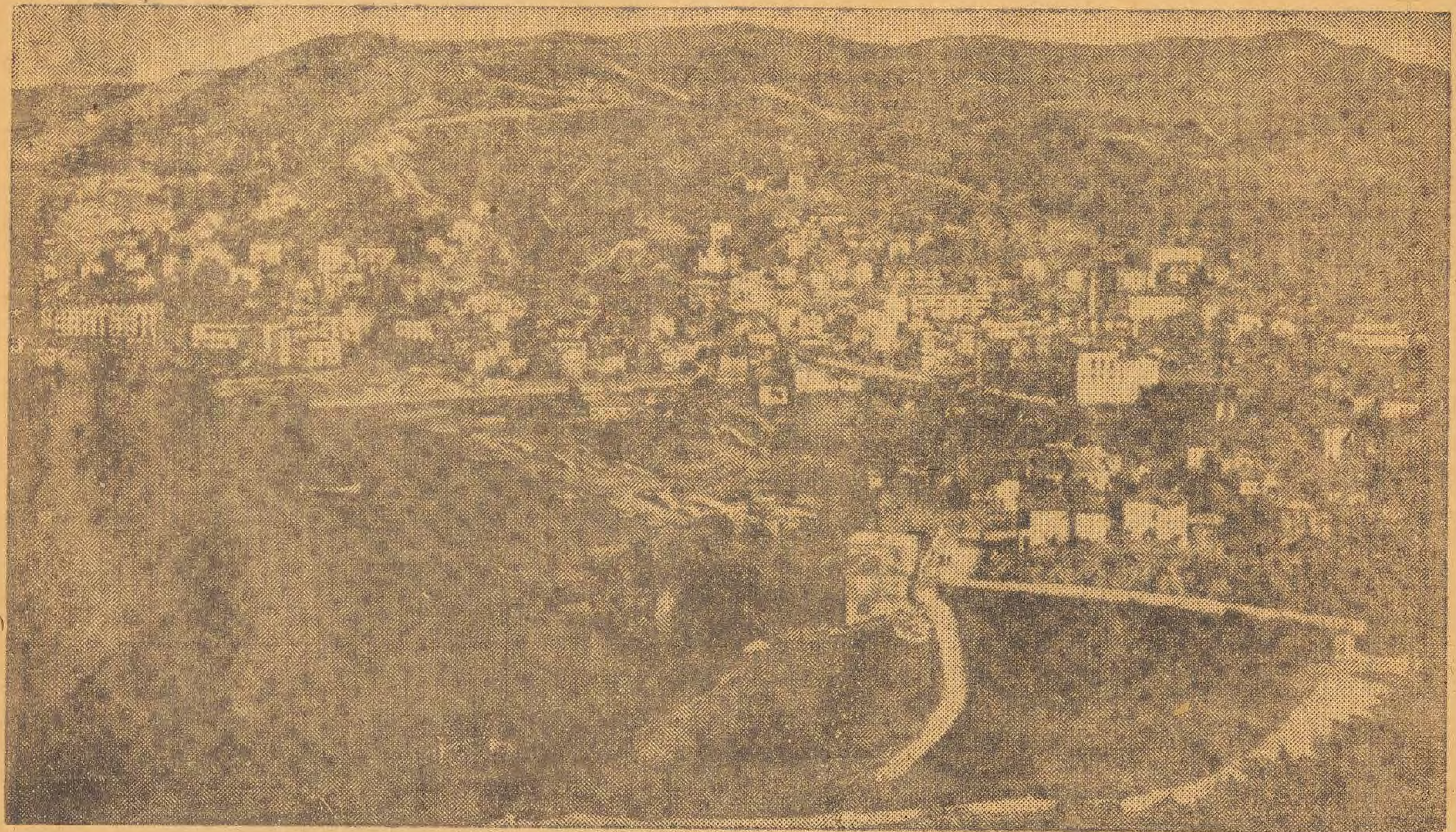
ووصف لنا احد ضباط المدرعة مدللي موقفه عند ذاك فقال :

ــ لم يكن بوسعنا الرجوع الى الوراء وليس لدينا الفحم الكافي ، فتابعنا سيرنا الى الامام وكل منا يرقب اصطدام المدرعة بالالغام وموته على الاثر . وكنا في حالة من الاضطراب امسينا معها لا نملك رشدنا . وظهر لنا المضيق وانواره فازداد خفقان قلوبنا

ولكن الخطر لم يدم طويلا، فالمدرعة دخلت بنا المضيق ونجونا !

« ونجاتنا لا تستند الى الجرأة التي ابداها قائد الاسطول بل الى طالعنا الحسن. فهو منقذنا من المخاطر التي كانت تهددنا !... »

وقعت هذه الحوادث فيما القوات العثمانية تستعد لمهاجمة الروس في جبهة باطوم . فالجيش العثماني كان معسكراً في جوار طربزون بانتظار البواخر المعدة لنقله . على ان الاسطول الروسي وقد ضرب



مدينة (زونغلداق) وهي من المرافئ العثمانية في البحر الاسود

ننشر رسمها في صدد الحديث عنها في هذه النشرة وقد دمر الاسطول الروسي جانباً منها

والاسطول الروسي الذي كان يرقب الوحدات العثمانية في الجهة الاخرى من المضيق ظل ينتظر عبثاً . وما لبث ان علم ان الاسطول العثماني تمكن من النجاة واصبح في المضايق بمأمن من الخطر

ضرب طربزون وزونغلداق

ساء الروس ان ينجو الاسطول العثماني وخصوصاً المدرعة « مدللي » وقد اتعبتهم كثيراً . ورغبوا في الانتقام من العثمانيين فحولوا وحدات اسطولهم الى مرفأي « طربزون » و « زونغلداق »، فضربوهما بشدة واحدثوا فيها اضراراً مادية جسيمة وقتلوا ٢٥ شخصاً من الاهلين . وتتبعوا حركات القوات الزاحفة الى « آرتوين » و « باطوم » وهدموا طرق المواصلات في تلك الجهات وعرقلوا سير القوات العثمانية في السواحل الروسية

المرفأين العثمانيين اثر جداً في نقل الجنود بحراً . فاضطرت القيادة الى ايفادهم براً مما اخر في وصول النجدات العثمانية الى جوار باطوم .

ويستدل من تقرير كمال خلوصي بك قائد القوات في تلك الجبهة ان تأخر النجدات العثمانية ساعد الروس على القيام بحركة التفاف معاكسة على القوات العثمانية اجبروها بها على التراجع بعد ما نزلت بها خسائر تزيد على ٥٠٠ قتيل وجريح

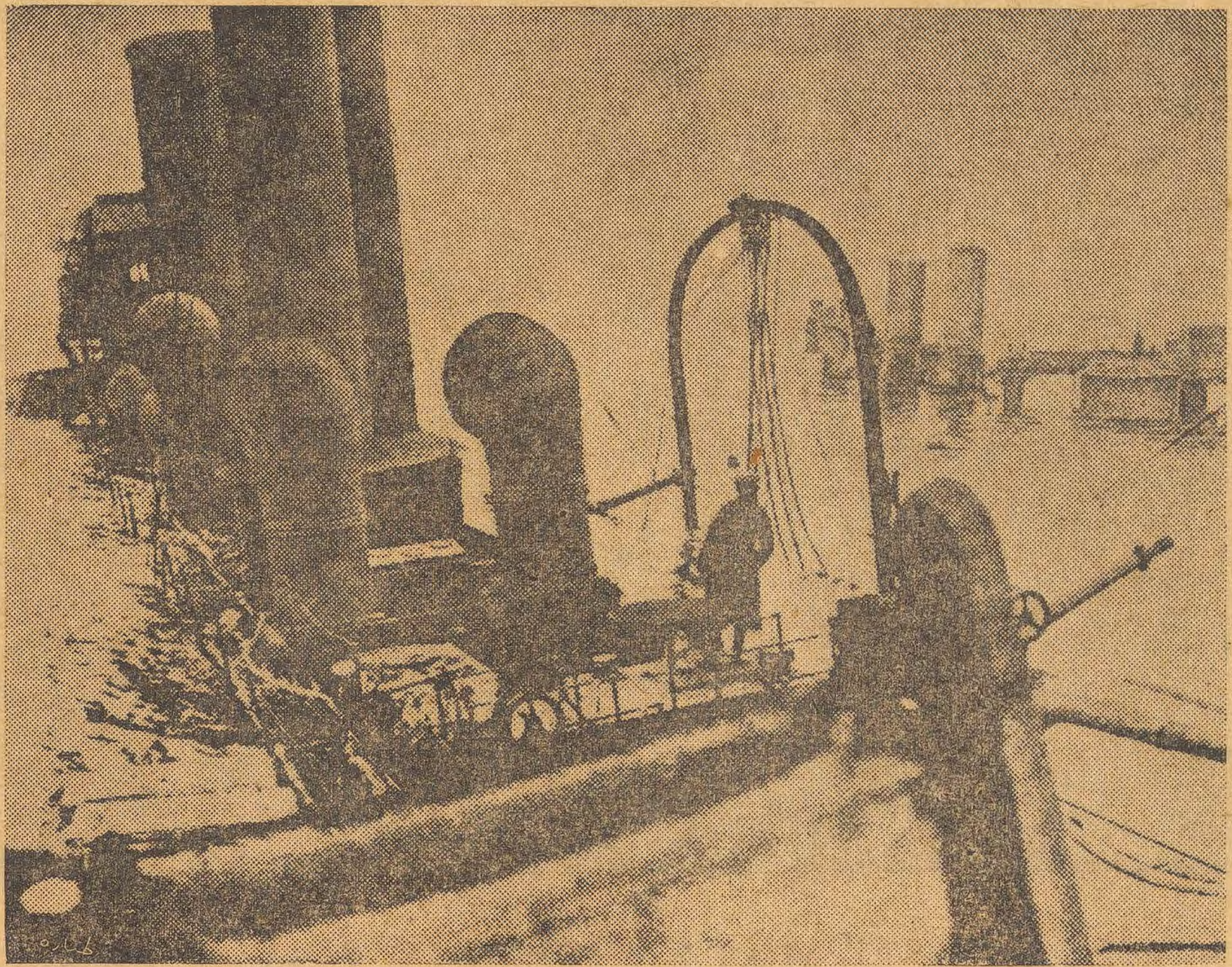
ولم يقف الامر عند هذا الحد بل عمد الاسطول الروسي الى مهاجمة « زونغلداق » مرة اخرى . فقابلته الحصون العثمانية بقذائفها وكان ان اصيبت احدى المدرعات الروسية باضرار جسيمة دعت الى اصلاحها . ولكن القوارب الروسية البحرية انتقمت لها انتقاماً شديداً

ورسم مدينة زونغلداق المنشور في هذه الصفحة يدلنا على ان الحصون العثمانية تقوم في المرتفعات ، اي ان الخسائر التي تصيب هذه

المدينة بوقوعها بين نارين يجب ان تكون فادحة وهذا ما كان . فالانباء الرسمية التي نشرت يومذاك دلت على ان مدينة زونغلداق نكبت في الهجوم البحري الثاني باضرار عظيمة، فتهدم ثلث ابنيتها وذهبت عشرات الارواح في تضحية لا مسوغ لها

ودعا في آخر بيانه رجال الاسطول الى مكافحة الروس حتى ولو اضطروا الى التضحية بآخر قطرة من دمائهم

وسأل المراصد البحرية عن حركات الاسطول الروسي فورد عليه الجواب ان الاسطول غادر الموانىء العثمانية الى جهة روسيا لاعتقاده



الباخرتان الروسيتان «سوكمينوف» و«بروفيدانس» وهما تغرقان

رسم فريد للباخرتين الروسيتين «سوكمينوف» و «بروفيدانس» وهما تسقطان في قعر البحر . وقد وقف ربان الباخرة «سوكمينوف» يشاهد غرق باخرته وهو يغرق عليها كما اثبتنا ذلك في هذه النشرة من «الاسرار»

ووكيل القائد العام انور باشا غاظه ما كان من حملات الاسطول الروسي العنيفة على سواحل البحر الاسود وعرقلة مساعي العثمانيين في احتلال باطوم فكتب الى امير البحر «سوشون» الالماني ، وهو قائد الاسطول العثماني العام ، يلومه على ما كان من الاسطول الروسي، على حين ان الاسطول العثماني محصور في بحر مرمره ، مع ان الواجب يحتم عليه ضرب الروس بشدة وارهابهم لمنعهم مما اقدموا عليه

«وامير البحر «سوشون» نفسه لم يكن اقل نقمة من انور باشا على الروس . فاذاع بياناً في وحدات الاسطول العثماني يقول فيه «ان من واجب الاسطول ان يلقي على الروس درساً قاسياً يمنعهم به من الاعتداء مرة اخرى على السواحل العثمانية»

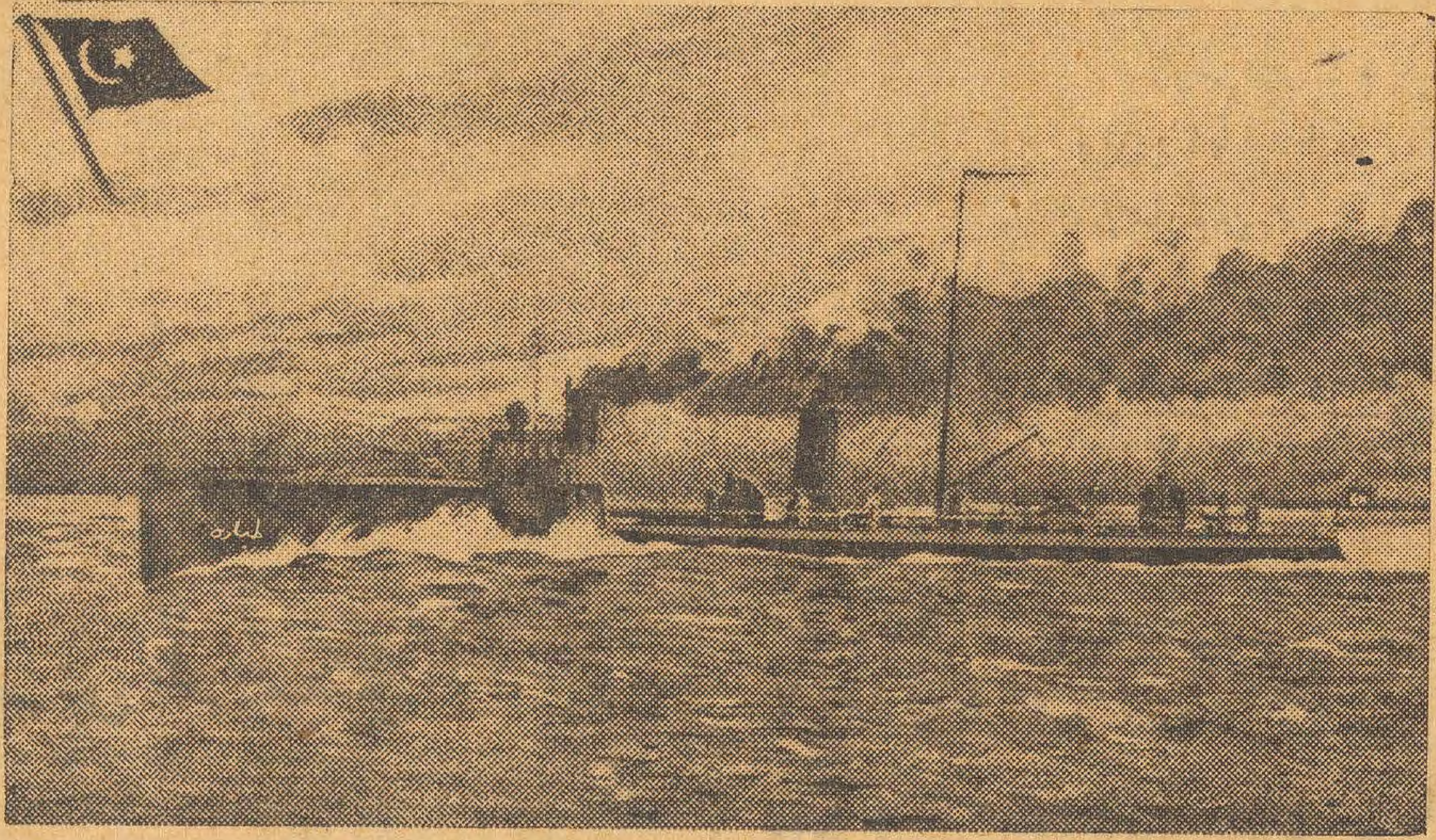
ان هناك وحدات اخرى من الاسطول العثماني تجول على مقربة من شواطىء الروس. فاغتنم اميرالبحر هذه الفرصة بابتعاد الاسطول الروسي عن المضايق واوعز الى الاسطول العثماني بمغادرة بحر مرمره الى مضيق البوسفور ومنه الى البحر الاسود لضرب سباستوبول مرة اخرى

فسار الاسطول العثماني الى الشمال بهدوء تام ومر عليه اليوم الاول دون ان يلتقي باي قطعة من قطع الروس ، حتى اذا اطل صباح اليوم التالي كان هذا الاسطول امام سواحل بلاد «القرم» الروسية. وشاهد عن بعد لدى بزوغ الفجر وحدات الاعداء ،وكان في مقدمته مدرعتان كبيرتان ووراءهما ثلاث مدمرات وفي المؤخرة ظهرت خطوط سائر وحدات الاسطول

فشعر ضباط الاسطول العثماني بالاضطراب وهم يبصرون للمرة الاولى انفسهم في البحر الاسود تجاه وحدات الاسطول الروسي باجمعها . ومع ان المسافة التي تفصل الاسطولين بعضهما عن بعض بعيدة

فدعا المدرعة « ياووز » الى ضرب احداهما والمدرعة « مدللي » الى ضرب الاخرى

على انه شاء انذار الباخرتين قبل ضربهما. فدعاهما الى الوقوف



الطراد «مجيدية» ضحية الالغام فى البحر الاسود

رسم الطراد « مجيدية » وهو في بحر مرمرة قبل اندفاعه الى البحر الاسود لضرب ميناء « اوديسا » وقد اصطدم هناك بالالغام

اشتد اضطراب العثمانيين والاسطول الروسي يدنو من الاسطول العثماني . وادرك القائد العثماني ان الروس يريدون الاحاطة باسطوله دفعة واحدة

تراجع العثمانيين بسرعة

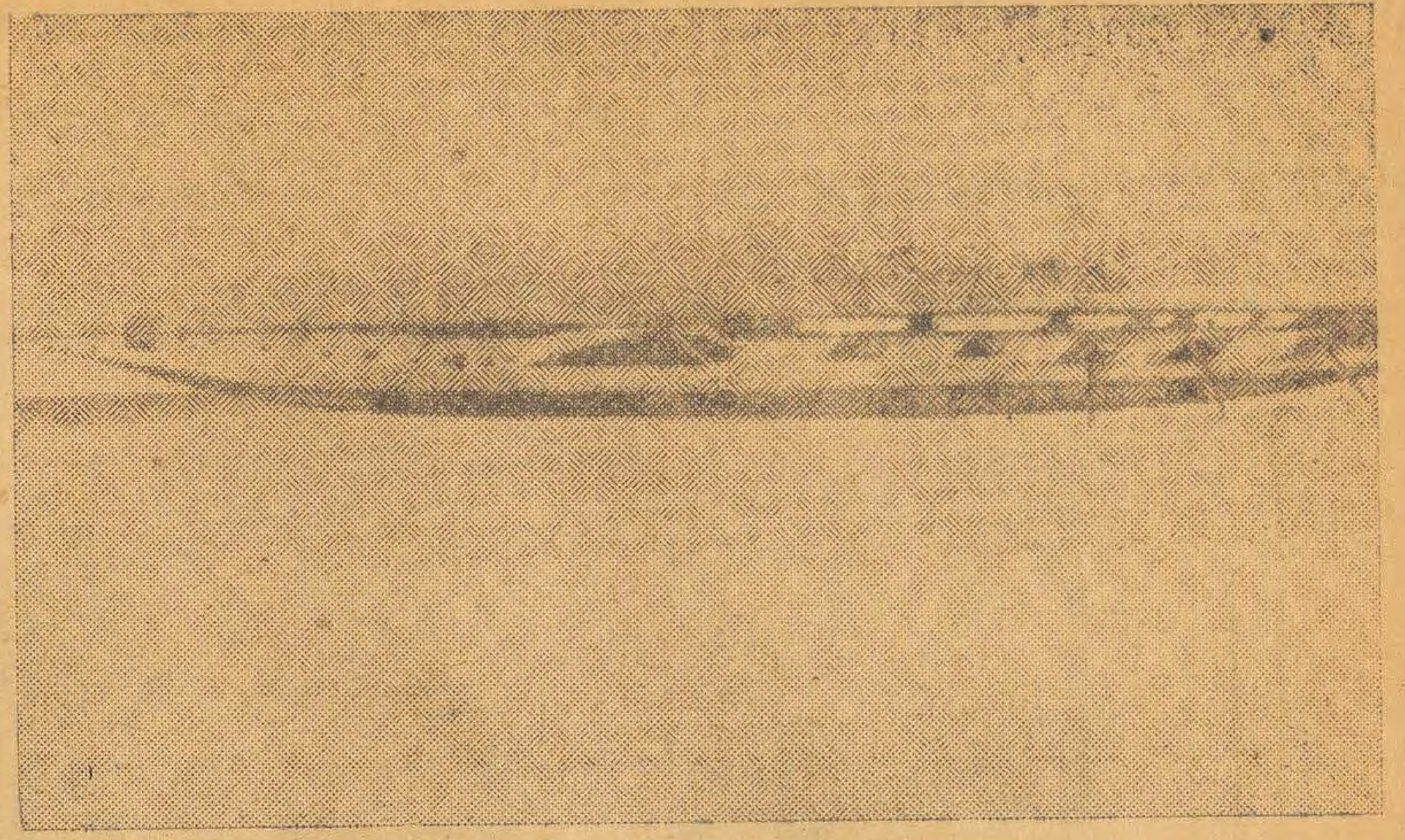
والوقوف او متابعة السير الى الامام خطر شديد . فاعلن القائد امره بالرجوع . وسارت المدرعة « ياووز » في المقدمة تتبعها سائر وحدات الاسطول بسرعة متناهية . وشاهد من يتولى رصد حركات اسطول الاعداء دخاناً كثيفاً ابيض فاعتقد ان هناك وحدات اخرى من الاسطول الروسي . وابلغ الامر قائده فملكت القائد الحيرة . فهو اذاً محاط بالاعداء من كل جهة . على انه ابى التراجع وتابع مسيره... ولكن بخوف !

الا ان هذا الخوف لم يستمر طويلا . فالدخان ما لبث ان تبدد وانجلى عن باخرتين روسيتين تجاريتين . فوضح السرور في محيا القائد العثماني ، ولقي في هاتين الباخرتين صيداً يجب ان لا يهمله ،

والا رشقهما بالقذائف. وليحول دون فرارهما دفع اليهما « ياووز » تسد عليهما الطريق . فادركتا انهما في موقف خطر واذعنتا للقوة بان رفعتا علماً ابيض دليل الاستسلام . فامرهما القائد العثماني بانزال البحارة في الزوارق استعداداً لضربهما

واعتقد الضباط الروس ان استسلامهم كاف للابقاء على الباخرتين غير انهم ما كادوا يتلقون انذار القائد العثماني بانزال بحارة الباخرتين معاً، حتى ادركوا حقيقة الموقف . وشاؤوا كسب الوقت فابلغوا قائد الاسطول الروسي الامر فاجابهم انه مقبل بوحداته اليهم ، وان عليهم التأخر ما استطاعوا في انزال الجنود الى الزوارق .

ولكن مصلحة المراقبة في المدرعة « ياووز » التقطت الاشارات البرقية ، ومع انها تجهل سر هذه الاشارات ، وقصر الوقت لا يساعدها على حل رموزها ، ادركت بداهة ان رجال الباخرتين يخاطبون الاسطول الروسي . وللحؤول دون ما تحمد عقباه عادوا وانذروا من في الباخرتين بضرورة انزال البحارة والا اغرقوهما بمن فيهما .



الطراد « مجيدية » بعد غرقه

وسم الطراد « مجيدية » وهو يغرق امام « اوديسا » في البحر الاسود . والمنظر مأخوذ من على متن الطراد « حميدية » . ولم يظهر من الطراد الغريق غير بقية باقية تعلو سطح الماء

اغراق الباخرتين الروسيتين

وبعد خمس عشرة دقيقة كان البحارة الروس على متن احدى السفن الحربية العثمانية. وعمدت على الاثر المدرعتان « ياووز » و« مدللي » الى ضرب الباخرتين فاغرقتهما

وتبين ان احداهما الباخرة « بروفيدانس » — هي غير الباخرة بروفيدانس الفرنسية — والاخرى « سو كمينوف » وكانتا تحملان اكياس السكر

غرق الربان نقولاييف

والربان « ديمتري نقولاييف » من رجال البحر المعروفين في روسيا . اشتهر باخلاصه للقيصر وبمواقفه المجيدة في عدة حوادث قام بها . وهو من اشراف الروس . وقد ساءه ان يفاجئه العثمانيون هذه المفاجأة فانزل بحارة باخرته « سو كمينوف » وظل على متنها، ضربتها المدرعة « ياووز » ولم تغرق فلم يبرح مكانه

وشاهده رجال الاسطول العثماني واقفاً بجسارة يرقب موته وقد ألقى احدى يديه في جيب سترته كالقائد المشرف على حالة جيشه . فراموا انقاذه بوسائل شتى فرفض وقد آثر الغرق مع سفينته على النجاة واحتمال عار الاسر .

والعثمانيون الذين يقدرون الشجاعة وقفوا تجاه هذا الربان الشجاع باحترام ، حتى اذا ابتلعته اللجة خنقوا علم المدرعة « ياووز » نحواً من خمس دقائق حداداً على هذا البطل المقدام .

والرسم المنشور في هذه الصفحة التقطته البارجة « ياووز » ، وهو من الرسوم النادرة . وقد منعت الحكومة العثمانية نشره في اثناء الحرب العالمية لكونه يشير الى جرأة الروس واستبسالهم . وهو مما لا يروق في ايام الحرب نشره عن الاعداء

الطيارات الروسية فوق الاسطول

وهذا الحادث قضى على الاسطول العثماني بالتأخر قليلا . وكان ان اقتربت منه وحدات الاسطول الروسي وبات عند مرمى المدافع

ولاول مرة في البحر الاسود سمع العثمانيون ازيز الطيارات الحربية الروسية .

الا ان هذه الطيارات لم تكن تجرؤ على الاقتراب من الاسطول العثماني بل كانت تحوم حيث غرقت الباخرتان الروسيتان .

ولم يكن لدى العثمانيين مدفعية خاصة برمي الطيارات فما اهتموا باطلاق النار عليها . وشاهدت الطيارات ما وقع للباخرتين وعادت الى الاسطول الروسي تبلغ قائده ان العثمانيين اغرقوهما

ضرب مصب « دنياستر »

وكان الطرادان العثمانيان « حميديه » و« مجيديه » والمدمرتان « برقسطوت » و « سلطان عثمان » قد انفصلت عن سائر قطع الاسطول العثماني لضرب المراكز الروسية عند مصب نهر « دنياستر » فقامت بمهمتها خير قيام

وانهماك الاسطول الروسي بمطاردة « ياووز » و مدللي » وباقي الوحدات العثمانية فسح لها مجال العمل . فهدمت الاستحكامات الروسية عند مصب النهر وانزلت بالقوات الروسية خسائر فادحة ثم عادت وضربت القاعدة الحربية البحرية التي اقامها الروس عند مصب النهر وقطعت خطوط المواصلات النهرية

العثمانية في منطقة « آرتوين » المراكز التي فقدتها .

غرق الطراد مجيدية

وهذا الفوز اهاب بالقائد العثماني الى التقدم نحو « اوديسا » وقد علم ان الاسطول الروسي بعيد عن هذه المنطقة ، وان بوسعه الاستفادة من الموقف وضرب المرفأ الحربي الروسي . الا ان الروس وقد خافوا تعدد هجمات الاسطول العثماني على مرافئهم نثروا الالغام عند مدخل الموانىء ، وخصوصاً عند مدخل ميناء «اوديسا ». وفيما الطراد « مجيديه » يندفع في مقدمة القطع الثلاث الاخرى الى اوديسا اصطدم على بعد خمسة اميال من الشاطىء بالالغام البحرية . فعلا دوي هائل تطاير منه اللهيب، وادرك قائد الطراد ان سفينته غارقة لا محالة ، فاسرع وانزل الزوارق وانقذ رجاله

وما كاد ذلك يتم ، وقد استغرق نصف ساعة من الزمن ، وما كاد البحارة يصبحون على متن القطع الاخرى ، حتى كانت المياه تبتلع الطراد « مجيديه » وتواريه في طياتها .

***

وقعت هذه المفاجأة فاثارت حيرة قائد الطراد « مجيديه » ولم يكن قد شعر بالالغام . ولما ادرك الحقيقة، على اثر اهتزاز الطراد بعد الاصطدام باللغم ، تمالك رشده وامر رجاله بالاسراع الى زوارق النجاة .

وظل على متن الطراد يشرف على الموقف ، حتى اذا امسى الجنود في الزوارق تفقدهم فاذا ١٨ منهم قتلوا وهم ممن كانوا في اعماق الطراد



الالغام البحرية في البحر الاسود

في القسم الاعلى من هذا الرسم البواخر الخاصة بنزع الالغام من مدخل المدن والمضايق . وفي القسم الادنى منه بعض الالغام السابحة في البحر

وهذا المسعى من العثمانيين خطوة جريئة عرقلت الحركات الحربية الروسية. فالاضرار التي نزلت بالعثمانيين في ضرب زونغلداق وطربزون ليست شيئاً مذكوراً حيال ما اصاب الروس. فان عرقلة طرق المواصلات النهرية احدثت اضراراً جسيمة في خطوط الدفاع الروسية في جهة « باطوم » . وكان من اثر ذلك ان استردت القوات

انتحار القائد

وخيل الى القائد برهان صلاح الدين ان التبعة عليه في هذه الكارثة ولم يحسن الوقوف على اسرار الالغام . فكان من واجبه ان يمنع سفينته من ان تذهب رخيصة بكل هذا القدار . ولذا رفض براحها . ولما اشرفت على الغرق تناول مسدسه من وسطه وافرغ رصاصة في صدغه سقط على اثرها في ارض السفينة التي ابتلعتها اللجة كما ابتلعته

فوقف ضباط سائر السفن العثمانية حيارى تجاه الحادث ، وقبل ان يقرروا الخطة الواجب اعتمادها شاهدوا ثلاث قطع حربية روسية تخرج من اوديسا ، فايقنوا انهم باتوا في خطر وعادوا ادراجهم الى حيث استقرت « ياووز » ورفيقاتها

بلاغ الحلفاء

وقعت هذه الحادثة في اليوم السادس من شهر نيسان سنة ١٩١٥ ، وفي اليوم التالي ، اذيع في مصر بلاغ رسمي يقول : « غرق الطراد مجيديه في البحر الاسود بمسه لغما وهو يحاول الالتجاء الى البوسفور . اما المدرعتان « غوبن » و « برسلو » فقد تمكنتا من الالتجاء الى المضايق »

هذا نص البلاغ الذي نشرته قيادة القوات الانكليزية في مصر يوم ٧ نيسان ١٩١٥ ، وهو وان كان يدل على حقيقة الحادث بان الطراد غرق بمسه امام « اوديسا » احد الالغام فالنقص ظاهر في قسمه الاخير ، اذ ان حوادث مهمة وقعت بعد ذلك في البحر الاسود بين الاسطولين الروسي والعثماني . فالجبهة الحربية العثمانية وقد انشطرت الى شطرين اهابت بالروس الى مضاعفة قواتهم . فوردت على وحدات الاسطول الروسي الاوامر بان تهاجم الاسطول العثماني وتقضي عليه قبل ان يتمكن من النجاة

وشوهدت وحدات الاسطول الروسي الاحتياطية بكاملها تغادر « اوديسا » و « سباستوبول » و « باطوم » لتلتحق بوحدات الاسطول الرئيسي والاشتراك في مطاردة الاسطول العثماني

موقف العثمانيين

ولم يكن قائد القوات العثمانية المقيم على متن المدرعة « ياووز » يعرف شيئاً عن غرق الطراد « مجيديه » ، الا ان ربان الطراد « حميديه » اطلعه على النبأ . فامره قائد الاسطول بان يعود اليه فوراً ترافقه المدمرتان اللاحقتان به ، ففعل . وما كاد يصل قرب « ياووز » حتى بدأت المدمرات الروسية ضرب الاسطول العثماني بمدافعها ، وهي من عيار ١٠ سنتيمتر ونصف ، فقابلتها مدافع العثمانيين بالمثل . وكان ان اقتربت المدرعات الروسية الاخرى من ميدان القتال واشتركت فيه

وانطلقت القذائف ترسل صفيراً حاداً يصم الاذان . فباتت الوحدات العثمانية في مأزق حرج والوحدات الروسية ، وهي تفوقها عدداً ، تقترب منها وتحاول تطويقها . فشعر القائد العثماني ان الموقف بات خطيراً وان امامه خطة واحدة للنجاة وهي التراجع

فامر اسطوله بالعمل بهذه الخطة . فادارت الوحدات العثمانية مقدمتها الى ناحية المضايق واتجهت اليها بسرعة وتولت المدرعة « ياووز » حماية المؤخرة بنفسها

مطاردة خطرة

وقامت مطاردة رهيبة . فالعثمانيون كانوا يسيرون بسرعة زائدة قصد النجاة والروس يطاردونهم . وكلما تقدموا قربت المسافة بين الفريقين . فعمد الروس عند ذاك الى الاستعانة بمدافعهم الضخمة من عيار ٣٠ سنتيمتراً ونصف . الا ان العثمانيين بدلوا وجهة سيرهم . فكانوا يندفعون في فرارهم على خط مستقيم لاعتقادهم ان هذا السير لا تؤثر فيه قذائف المدافع الصغيرة ، اما والروس يرمونهم بقذائف المدافع الضخمة فساروا في خطة منعرجة واخذت قذائف الروس تتساقط في البحر دون ان تصيب الهدف

وخف بذلك معدل سير السفن الروسية وابتعدت القذائف عن السفن العثمانية فامر القائد الروسي بالكف عن اطلاق النار

وتوالت المطاردة مدة اخرى ، حتى اذا رأى القائد الروسي انه اقترب من الشواطىء التركية دعا القسم الاكبر من وحداته الى الوقوف واستبقى المدرعات الكبرى وثلاثة طرادات لمتابعة اللحاق بالوحدات العثمانية

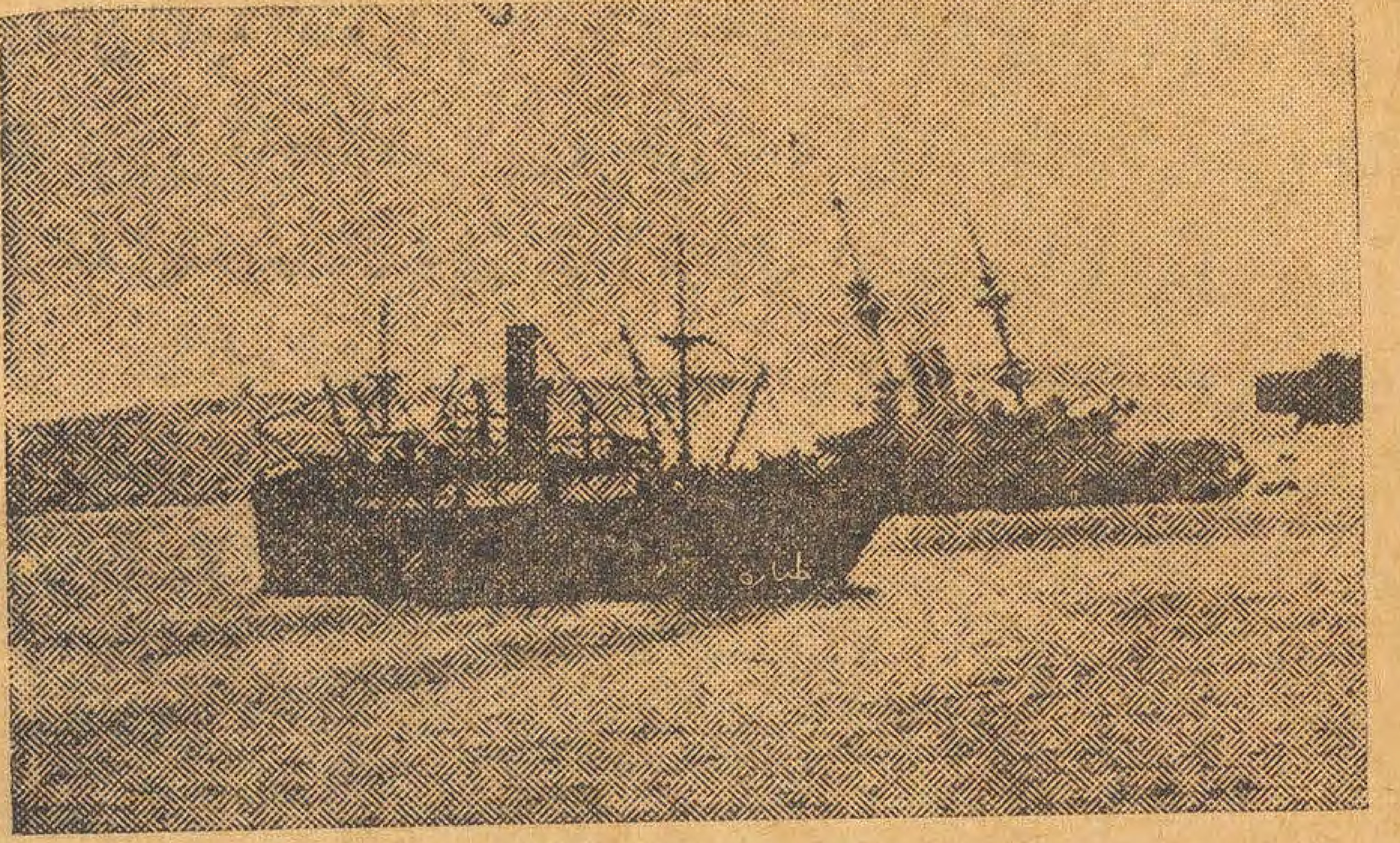
معركة في الليل

وكانت الساعة السادسة من مساء ٧ شباط سنة ١٩١٥ لما قربت المسافة بين الاسطولين . وبذل الروس كل ما لديهم من قوة للحؤول دون افلات الوحدات العثمانية في الظلام منهم

ووصف القائد عثمان بك الموقف في تلك الليلة فقال :

— كان الظلام شديد الحلكة وليس بوسعنا متابعة السرعة بذلك الشكل الخطر ولا التخفيف منها وقوات الاعداء تقترب منا

«وتبين لنا ان الروس كانوا يرقبون طلوع القمر ليضربوا اسطولنا . فرأينا ان نكون السابقين والاسطول الروسي اصبح على مرمى مدافعنا ، وشاء قائد اسطولنا ان يغتنم الفرصة فأمر مدفعية



الباخرة العثمانية «بيروت»

رسم الباخرة العثمانية «بيروت» لما دعاها الروس الى الوقوف ثم اغرقوها

الاسطول بان تكون على استعداد ، كما امر بتسديد الانوار الكشافة الى جهة الروس

«وتسلطت هذه الانوار بشدة على الاسطول الروسي ودوت المدفعية العثمانية ترشق بقذائفها الروس الذين كانوا يسيرون في خط واحد ، مما دعانا الى الاعتقاد انهم ما كانوا يرقبون منا مثل هذه المباغتة

«وابصرنا تحت اشعة الانوار الكشافة قذائفنا تصيب الهدف. فالقذائف الاولى انصبت على المدمرة القائمة في مقدمة الاسطول. والقذائف الاخرى انصبت على المدمرة الثانية .وساء المدرعات الكبرى ان نباغت المدمرات فعمدت الى اختراق خط القتال والاقتراب منا تصوب قذائفها الى « مدللي » ، فرمتها بالقذائف واحدثت فيها اضراراً جسيمة بان قطعت سواريها وهشمت مدخنتها، على ان «مدللي» ظلت تقاوم بشدة

« واخيراً تمكنت من الابتعاد عن خط القتال فانتهزنا الفرصة ولم نجد بدأ من الفرار الا ان الخطر ظل بادياً . فان ابتعاد « مدللي » عن هدف الاسطول الروسي امال بالخطر الى سائر قطع الاسطول العثماني ، وهي دون « مدللي » قوة . وعندذاك اقدمت « ياووز » على آخر محاولة لانقاذ الاسطول العثماني . فخاطر قائدها واقترب بها من الاسطول الروسي ، واغتنم فرصة انهماك هذا الاسطول بضرب « مدللي » واللحاق بها واصاب هدفاً من احدى السفن الضخمة ، فحطم مدخنتها ومقر القيادة فيها .

ولم يكن من قائد الاسطول العثماني وقد توفرت له السانحة الا ان امر اسطوله بان يتراجع الى مدخل البوسفور . فامتثلت وحدات الاسطول وتراجعت دفعة واحدة. ولم نقف الا وقد امسينا عند مدخل المضايق وذلك لدى الساعة الحادية عشرة ليلا . والتفتنا الى الوراء فلم نجد اثراً للاعداء وكانوا قد تراجعوا . وهكذا دخلنا مضيق البوسفور وهي المرة الاولى التي نفر فيها من اعدائنا !...»

هذا ما رواه القائد عثمان بك عن المعركة التي تراجعت فيها وحدات الاسطول العثماني الى بحر مرمره . وهي المرة الثانية التي يفر بها الاسطول العثماني من الروس وليست المرة الاولى كما يقول القائد العثماني

ووقوف الاسطول الروسي عن مطاردة الاسطول العثماني يعود الى وفرة الالغام التى بثها العثمانيون في تلك الجهات . فخشي الروس الاقتراب من الالغام وقد رمتهم بخسائر فادحة

معركة الغواصات

وعودة الاسطول العثماني بهذا الشكل الى المضايق اهاب بالاسطول الروسي الى متابعة الاعتداء على السواحل العثمانية. فضرب « اركلي » و « طربزون » و « زونغلداق » واحدث فيها اضراراً جمة

ولم يكفه ذلك فشاء احراج الملاحة العثمانية والانتقام للباخرتين اللتين اغرقهما الاسطول العثماني . على ان العثمانيين لا يملكون بواخر كبيرة مماثلة للباخرتين الغريقتين، الا ان لديهم فئة من البواخر الصغيرة، فتعمد الروس انزال الضرر بها لشل حركة الملاحة العثمانية ومنعها من نقل مؤن الجيش العثماني المحارب على الحدود الروسية . واوفدوا لهذا القصد اسطول الغواصات في البحر الاسود وسلطوه على هذه السفن الصغيرة . ووفق هذا الاسطول في الاسبوع الثالث من شهر ايار سنة ١٩١٥ لاغراق اربع سفن صغيرة للعثمانيين وقضى على حركة الملاحة في المناطق العثمانية واهاب بالقيادة الى اعادة سفنها الحربية الى البحر الاسود لمقاومة الوحدات الروسية .

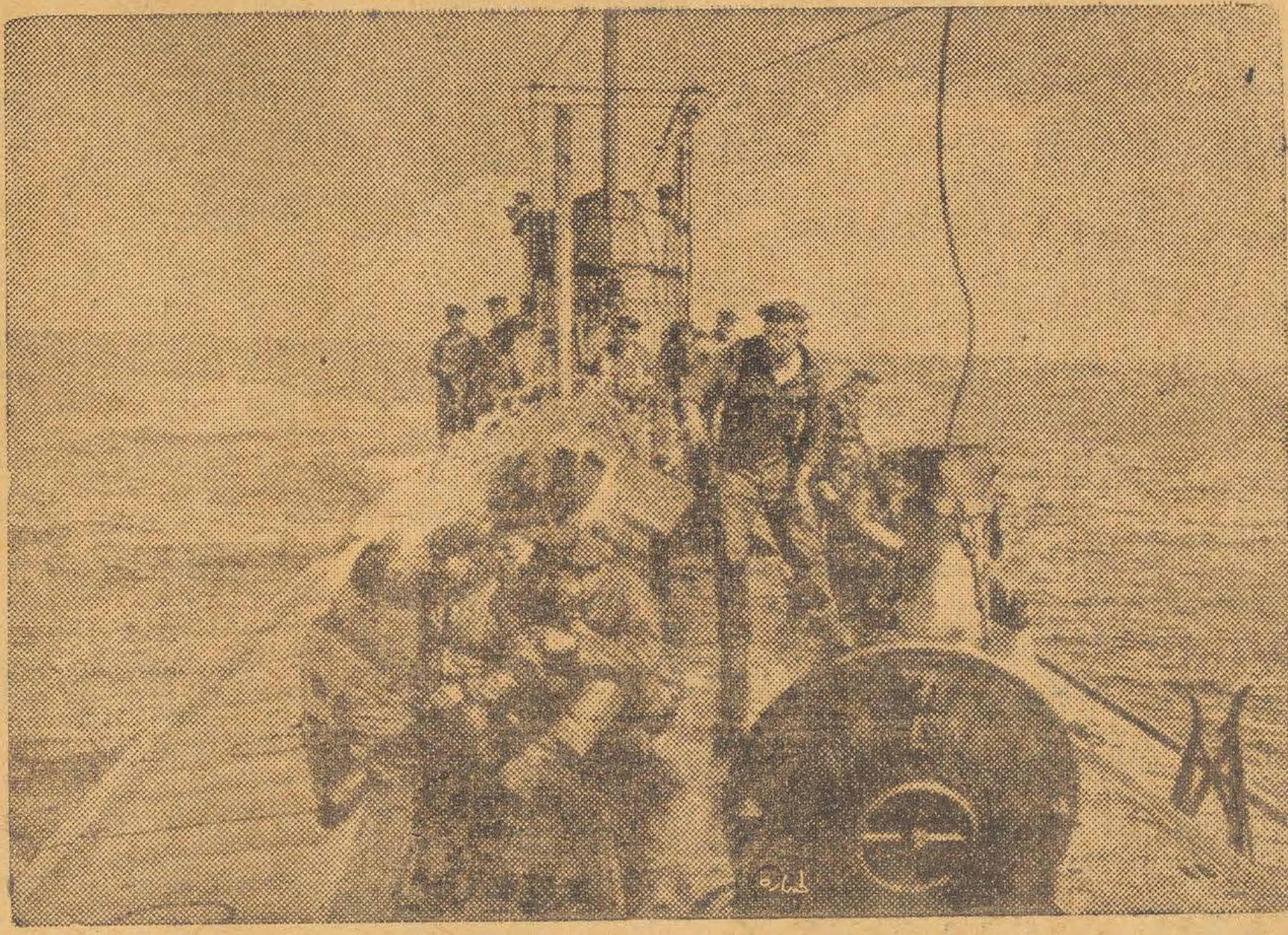
وجرت في الايام الثلاثة بين ١٩ و ٢١ ايار بعض مناوشات الا انها سليمة في عواقبها لم تنزل الضرر باسطول من الاسطولين .

وفي ٢٢ ايار لقيت الغواصة الروسية « نقولا الاول » النسافة العثمانية « برق سطوت » ، فرمتها بقذيفة من قذائفها الا ان النسافة شعرت بحركة الغواصة فحادت عن طريقها ورمتها بقذائفها ، فلم تصب الهدف ، فعادت الغواصة ورمتها بقذيفة اخرى اصابت مؤخرتها

وكادت النسافة العثمانية تقع غنيمة باردة تحت قذائف الغواصة الروسية لو لم يشاهد ربان الغواصة سفن العثمانيين الحربية تقترب منه. فخاف العاقبة وليس بوسعه مجابهة هذه الوحدات باجمعها وادار دفة غواصته الى الموانىء الروسية وتوارى عن الانظار

غرق الباخرة (بيروت)

والباخرة العثمانية بيروت من البواخر الصغيرة التي اعدت لنقل المؤن العسكرية بين «اركلي» و«زونغلداق»، وانهاك الاسطول الروسي بمطاردة الاسطول العثماني دفع القيادة الى نقل ٥٠٠ جندي على متن هذه الباخرة الى «بولاير» لتعزيز جهة جناق قلعه. ولكن القوة القاهرة ابت ان تنجح هذه الباخرة في مهمتها. فما كادت تقترب من ساحل «بولاير» حتى بانت من الاسطول الروسي وجها لوجه. فامرها بالوقوف. ولما علم قائد الاسطول انها تحمل جنوداً ضربها بقذائفه فقتل نصف من تحملهم من الجنود واسر الروس الباقين



الغواصة الروسية «نقولا الاول»

وسم الغواصة «نقولا الاول» لدى ظهورها للمرة الاولى على سطح الماء في البحر الاسود وبحارتها على متنها يراقبون حركات السفن الحربية العثمانية

اسرار الحرب الكبرى

بقلم كرم ملحم كرم

الظفر الروسي العظيم يضمحل كالهباء و يحل محله التقهقر الاعظم

مليون رجل يسقطون في ميادين القتال

ماكنزن يبدد الروس !

لما احتل الروس مدينة « برزميسل » ، وقهروا في « غاليسيا » الشرقية الالمان والنمسيين ، خيل الى الدول جمعاء ان جيشاً من جيوش الغراندوق نقولا لن يلبث ان يحتل « كراكوفيا » . و « كراكوفيا » وان تكن لا تضم من السكان ما تضم مدينة « لامبرغ » — وفي هذه مئتان وخمسون الفاً وفي تلك مئة وخمسون الفاً ليس غير — فان « كراكوفيا » من الناحية الفكرية والادبية عاصمة « غاليسيا » بلا جدال

فالمدينة تقع على نهر « فيستيل » ، حوت في الماضي جامعة شهيرة ، واستقر فيها ملوك بولونيا . وفيها ترقد ذكريات التاريخ البولوني . ففي كاتدرائيتها اضرحة ابطال البولونيين من امثال « سوبياسكي » و « كوسيوزكو » و « بونياتوفسكي »

وهذه المدينة التاريخية الخطيرة كانت ترقب الدول من القوات الروسية ان تحتلها وان تدفع الى السهول المجرية جيوشاً ضخمة العديد تتواثب الى « بودابست » عاصمة المجر وتكتسحها وتلقي الرعب في قلب « فينا » عاصمة النمسا

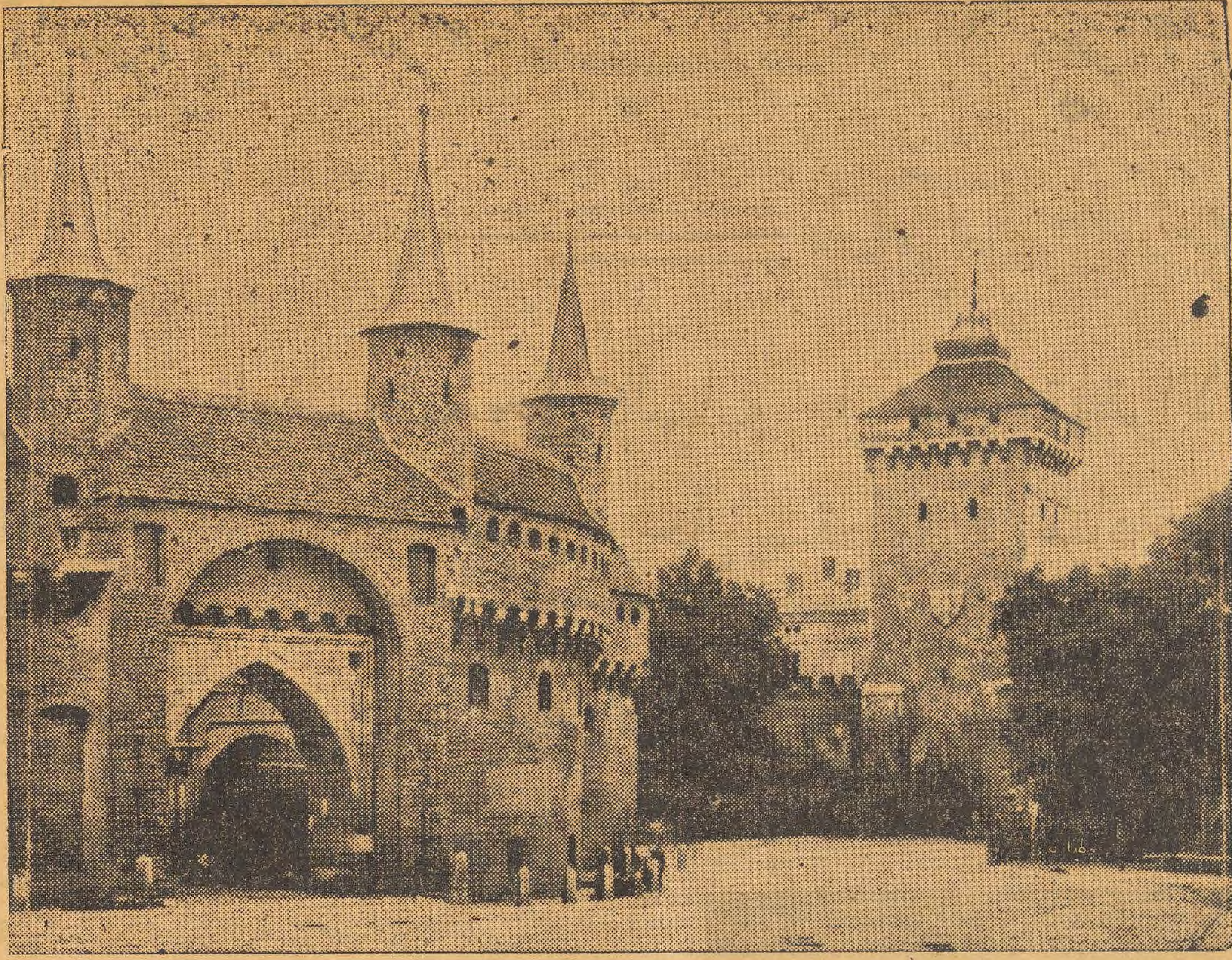


القائد الالماني فون ماكنزن

وهو من كبار القادة الالمان . حطم التقدم الروسي في النمسا واستعاد « لامبرغ » و « برزميسل »

مخاوف النمسا

وخشيت النمسا ما كان يرقبه العالم اجمع . واهتزت بلاد المجر حيال السيل الروسي المتدفق وحيال ما ادركه من ظفر . وراعها ما ترى من تقدمه في جبال « الكاربات »



سجن (الباستيل) في مدينة (كراكوفيا) عاصمة غاليسيا

مـدينة « كراكوفيا » كان يعقد الحلفاء الامل على احتلال الروس اياها . فهي قاعدة « غاليسيا » . وكانت في الماضي عاصمة بولونيا . وقد استقر فيهـا الملوك البولونيون . ودفن الشعب البولوني في كاتدرائيتها ابطـاله . والرسم يشير الى سجنها الرهيب وهو صنو لسجن الباستيل في فرنسا الذي حطمته ثورة ١٧٨٩

فمنذ اشهر وهو يتقدم في هذه الجبال. اجل، كان تقدمه بطيئاً، الا انه راسخ حازم . وقيل ان فصل الربيع سيزيد في تبسطه ويمهـد امامه السبل . فالثلوج تزول عن المعابر والقمم وتمسي تلك المعاقل الطبيعية الحصينة في قبضة الروس

والاستيلاء على جبال « الكاربات » معناه الاستيلاء على عاصمة المجر . وعاصمة المجر مدينة تجارية صناعية عسكرية . وهي مدينتـان ادغمتا بعضهما ببعض . واحداهما « بود » انشأها شقيق « اتيـلا »، وهي ليست بعيدة عن جبال « الكاربات » الجنوبية . فاذا ما انسل اليها جيش من الجيوش بين اودية معروفة في هذه الجبال احتلها في ايام قلائل

على ان الاجتياح الروسي بات مهدداً بالخطر . فلم ترض المانيا عن تقدم الروس المخيف، فرمته بقوة زعزعت اركانه . وكان النصر لها لا للنمسـا . فالنمسا ادركت انها عاجزة عن قهر الروس فاستغاثت بالمانيا . واهتم القيصر غليوم الثـاني بالامر كل الاهتمام فاطلق الى مساعدة النمسيين قوات هائلة في عددها وعددها . فدفع الى الميدان جيشاً لجباً ومدافع ضخمة وطرد الروس من معظم « غاليسيا » واجتاح بولونيا ، واستولى في هذه المرة على عاصمتها « فارسوفيا »، واحتـل « كورلاندا »، وهزم القوات الروسية هزيمة لم يكن الروس يعتقدون انهم سينكبون بها

معارك جبال « الكاربات »

بدأت معارك جبال « الكاربات » في آخر ايلول ١٩١٤ بفوز

باهر للجيوش الروسية بعد انتصار القائد « روسكي » في « راوى روسكا » بزمن قليل . على ان هذا الفوز تولاه في شهر تشرين الاول الجود لما جلا الغراندوق نقولا عن ضفاف نهر « فيستيل » العليا وضفاف نهر « سان » ليحشد قواته في بولونيا رغبة منه في مقاومة هجوم هندنبورغ الاول

على ان هذا الهجوم ما كاد يبلى بالاخفاق حتى استعاد الروس في شهر تشرين الثاني ١٩١٤ تقدمهم في جبال « الكاربات » . ومضوا فيه حتى شهر أيار ١٩١٥ ، اي حتى يوم جلا فيه الجناح الروسي الايسر عن « الكاربات » مخافة ان يطوقه في الشمال جيش الماني يبلغ عدده نصف مليون رجل ويتولى قيادته « فون ماكنزن » ، ومخافة ان تلتف عليه في الجنوب فيالق من القوات النمسية والالمانية كانت ضفاف نهر « دنياستر » قاعدة اعمالها الحربية . ولقد بدأ الجلاء في اليوم الخامس عشر من شهر ايار

الموقف في شهر شباط

وكانت الحالة في منتصف شهر شباط في جبال « الكاربات » الشرقية مما يحمل الجيش الروسي على الابتهاج . واذاعت يومذاك القيادة الروسية العامة بلاغاً يقول :

« حطمت قواتنا بجانب « تيزولا بورتش » مقاومة العدو، ووقع بين ايدينا عدد غفير من الاسرى . وفي وادي نهر « سان » العلياء شمالي وادي « ايجوك » اضطر العدو الى الهزيمة . وجيوش الاعداء التي اجتازت اودية « تورهوكلا » و « بسكيد » تقهقرت بعد ما نزلت بها الخسائر الفادحة »

والاعداء ليسوا النمسيين فحسب بل الالمان ايضاً . واصيب النمسيون بهزيمة ممضة في اودية « لوبكوف » و « دوكلا » على نبع « ويسلوكا » الذي يصب في الناحية الشرقية من نهر « فيستيل »

وفي وادي « دوكلا » ظهر الضغط الروسي . وفي شهر اذار امتد الى الغرب نحو وادي « تارنوف » وتبسط في ضواحي مدينة « بارتفيلد » ونشبت معارك عنيفة حول هذه المدينة اشار اليها بلاغ الحكومة الروسية وهو يذيع بشرى استسلام « برزميسل »

اكاليل بعد اكاليل!

وعقد الحلفاء الامال على احتلال هذه المدينة القوية الحصون وانتظروا من الروس ان يضيفوا الى اكاليل الغار التي ضفروها لانفسهم اكاليل اخرى . ولم يخيب الروس امال الحلفاء بهم ، فتابعوا تقدمهم . اجل ، لقد تابعوه ببطء الا انهم مضوا فيه واحرجوا موقف المجر.

وظلت البلاغات العسكرية الروسية تتحدث شهراً بكامله عن تغلب الجيش الروسي على النمسيين واحتلاله الاودية والقمم . وهي في ما ابدت على صواب . فالنمسيون ما برحوا يتقهقرون في ضواحي « بارتفيلد » وفي « ايجوك » « ولوبكوف » ويقعون بين ايدي القوزاق الروس المدافع والاسرى . واجتهدوا في ايفاد النجدات والاستعانة بها على غير جدوى . فالروس كانوا يهزمونهم ويرمونهم بالخسائر الكبرى

والبلاغ المنشور في ١٤ نيسان ١٩١٥ يوضح بجلاء هزيمة الجيش النمسي . فالروس هم الظافرون !

غير ان النمسيين ابدوا في اواخر شهر نيسان الصلابة والعزم فاستطاعوا الوقوف امام الهجوم الروسي وصده احياناً . فالهجوم الالماني المنتظر في « غاليسيا » شدد من عزائم النمسا ورأت ان لا تتراجع سريعاً عن اماكن القتال

وهذا الهجوم وضعت قواعده القيادة الالمانية . فنظمته في شهر نيسان لتبدأه في شهر ايار باشارة القائد الاعلى المارشال هندنبورغ

ولم تكن مدينة « كراكوفيا » قد سقطت بين ايدي الروس . فالهجوم الالماني تنظم تحت اسوارها ، تنظم لانقاذ النمسا من الاجتياح الروسي واصوات الاستجارة من هذا الاجتياح الرهيب ملأت المانيا . فالت القيادة الالمانية الى سحق روسيا وقهر جيوشها وتحرير النمسا من الضغط الصقلبي وقد كاد يطحنها

الجلاء عن برزميسل ولامبرغ

ونجاح الهجوم الالماني في شهر ايار ١٩١٥ ساعدت فيه المدافع الضخمة والمدافع الخفيفة اكثر مما ساعد عليه عدد القوات . فالجيوش الالمانية والنمسية بلغ عددها مليوناً ونصف مليون رجل . ومثل هذا العدد تملكه روسيا وتستطيع ان تجابه به اعداءها ، بل هي تزيد عليهم في عدد الجيوش ولديها الملايين ، الا ان القذائف المتساقطة على قواتها بلا انقطاع كأنها المطر المدرار ، المتفجرة كأن الجبهة بطولها براكين ثائرة ، لم تفسح لها المجال في البقاء ، فتراجعت عن اماكنها متضعضعة لا تلوي على شيء

٢٥٠٠ مدفع

وسبعمئة الف قذيفة في النهار

وجيش القائد « فون ماكنزن » وحده كان يملك الفاً واربعمئة مدفع من مدافع الصحراء وما يزيد على الف مدفع من المدافع الضخمة .



الفرسان الروس في شوارع (برزميسل)

اما الذخائر فلا تعد ولا تحصى

وكتب في جريدة « بلد فرنسا » المؤرخ العسكري الفرنسي « بوفيه ده لاموت » يصف مدفعية جيش « فون ماكنزن » فقال :

« لوحظ مراراً ان هذه المدافع الممتدة على طول جبهة القتال، والقريبة بعضها من بعض حتى تكاد تتلامس ، قذفت في يوم واحد اعداءها الروس بسبعمئة الف قذيفة»

يوم اجتياز نهر «سان»

ويوم تسنى لجيش القائد « ماكنزن » ان يجتاز في ١٩ ايار نهر « سان » ، شمالي « برزميسل » ، اطلقت مدافعه الضخمة ستمئة الف قذيفة

واذا اضيف الى جيش « ماكنزن » او جيش الشمال ــ وهو اوفر عدداً في الرجال واغنى بالمدافع ــ جيش القلب وعدده اربعمئة الف رجل ، ووليه القائد « بويهم ارمولي » ، وجيش اليمين وعدده ثلاثمئة الف رجل وقائده « فون لينسنجن »، واضيف الى كل هذه القوات جيشان يقومان على جوانبها ، احدهما في الميمنة القصوى والاخرى في الميسرة القصوى ، يتولى الاولى الارشيدوق جوزف وعدد رجاله خمسون الفاً ، ويتولى الثاني القائد « بفلانزر » وقواته مئة وخمسون الفاً ، ظهرت لنا القوة الهائلة التي استنجدت بها المانيا والنمسا لقهر الروس

والقيت زمام القيادة العليا بين يدي رجل لا يشفق ولا يرحم هو المارشال هندنبورغ

خسارة مليون رجل

وميدان القتال، الممتد على ضفاف نهر « فيستيل » العليا وضفاف نهر « سان » ومنطقة نهر « دنياستر » العليا ونهر « ستريج » ، شهد معارك طاحنة ساحقة سقط فيها لا اقل من مليون رجل بين قتيل وجريح

والخسارة تناولت الفريقين مناصفة . فما نكب به الروس في الارواح نكب به الالمان والنمسيون

فخسر « فون ماكنزن » على ضفاف نهر «سان » مئة وخمسين الف رجل ، وخسر « بويهم ارمولي » على ضفاف دنياستر مثل هذا العدد ، وبلغت خسارة« لينسنجن » على ضفاف « ستريج » ما لا يقل عن مئة الف مقاتل ، واكمل الجيشان اللذان يؤلفان جناحي هـذه القوات الكمية الباقية الخسارة نصف المليون . وقابلتها من الجانب الروسي الخسارة نفسها. فبلغ المجموع مليون رجل بين قتيل وجريح

فكأن بـلاد « غاليسيا » في تلك الاسابيع الستة مسلخ بشري تتدفق فيه الدماء زاخرة كالامواج

اين بدأ القتال ؟...

وبدأ القتال على ضفاف « دوناجك » وهـو نهر يصب في نهر فيستيل الكبير . وظفرت القوات الالمانية في هجومها فتابعت مسيرها الى نهر آخر يصب ايضاً في « فيستيل » . هـذا نهر « ويسلوكا » . واندفعت منه الى نهر«ويسلوك »المنحدرة مياهه الى نهر « سان » ، ثم انتقل الميدان الحربي الى نهر «سان» نفسه ومياهه تجتاز مدينة «برزميسل» وتلتقي بنهر « فيستيل » في الشمال الغربي من هذا الموقع الحصين ، تحت بلدة « ساندومير »

ماكنزن في برزميسل

وفي ١٩ ايار ، بعد ما اندفع القائد الالماني « فون ماكنزن » في قتال بطاش دام يوماً بكامله، اجتازت القوات الالمانية نهر«سان» وفي ٣ حزيران كانت تحتل « برزميسل »

ولم تكن حصون هذا الموقع المنيع في حالة تساعد الجيش الروسي على الثبات، فالمدافع الروسية هدتها في البدء، ثم اجهزت عليها المدافع النمسية فيما النمسيون يخلونها، واقبل الالمان يضربونها الضربة القاضية ويحتلونها

وذهب لاستعادة « برزميسل » في العالم صدى طنان ، فـكان لها في النفوس اثر بليغ لم يقل عن مثله يوم استيلاء الروس عليها

وكتبت الصحف الالمانية المقالات الطوال تفاخر بهذا الظفر، فاجابتها الصحف الفرنسية ان استعادة « برزميسل » لا تعادل استيلاء الروس عليها. فالروس دخلوها وهي في منعتها ،الا ان الالمان والنمسيين استعادوها ولم يبق منها غير انقاض . ثم ان الروس برحوها دون ان يقع منهم بين ايدي الاعداء اسير، حتى ولا شيء من الذخيرة. فاستطاعوا في انصرافهم عنها ان يحملوا منها كل ما لديهم من اعتدة ومؤن ورجال ، على حين ان النمسيين بقوا فيها جيشاً كاملا عدا الذخائر ومؤونة الجيوش

الامعان في الدفاع عن الروس

وامعنت الصحف الفرنسية في دفاعها عن الروس فقالت : لم تر القيادة الروسية من فائدة في اعتصامها ببرزميسل بعد جلائها عن « الكاربات » . وابت ان تقـاوم مقاومة قد تكلفها القضاء على جيش بكامله شأن القوات النمسية التي اسرها الروس في المدينة نفسها

ومما يساعد على هلاك الجيش الروسي لو بقي في « برزميسل » كون المدينة باتت سهلة الاقتحام على من يرغب في اقتحامها وبعد تداعي حصونها . ولذا اكتفت القيادة الروسية العليا ببراحهـا وهي تجتهد في ان تحمي تراجعهـا بمؤخرة ترد عنها هجمات العدو بقـدر المستطاع

وهذه المؤخرة قامت بالمهمة الموكولة اليها بشجاعة واقدام . فقاومت العدو بكل جهد وشدة . ولم تستسلم مدفعيتها الا بعدما فقدت منها ذخيرتها . وهذا الاستسلام تم بعد معارك اصطدمت فيها الاجساد بالاجساد وفوهات المدافع بفوهات المدافع، وقد تلاصقت حتى لم يكن يفصل بعضها عن بعض غير اشبار

في اودية (دنياستر)

والحالة في اودية «دنياستر» لم تختلف عن مثلها في اودية «فيستيل» وعلى ضفاف نهر « سان »

فاظهر في البدء الجيش الروسي الحزم والبأس ،ووقف في شهر حزيران من القوات الالمانية وقفة مجيدة ، الا ان وقفته هذه لم تمنع « فون ماكنزن » من التقدم نحو الشمال لاحتلال ضفاف الانهر المندفعة الى نهر « سان » وقهر الروس

ولكن الجيش الالماني العامل في الجنوب ليس جيش « فون ماكنزن » بل جيش القائد« فون لينسنجن » . وهو جيش مؤلف من القوات البافارية الالمانية ومن النمسيين . وقد افتتح القتـال في ١٩ ايار ، ولم يكن في البدء فوزه تاماً . فما خاض من معارك بين ١٩ و٢٢ ايار لم يوفر له ما شاء من غلبة . على انه في ٢٥ ايار احتل مدينة « ستريج » المترامية اطرافها على نهر ستريج نفسه ، ولقد احتل هذه المدينة بعد معركة هائلة تحطم فيها القلب الروسي تحت وثبات الالمان المخيفة وقذائفهم الحاصدة

في الطريق الى «لامبرغ»

ومشت القوات الالمانية والنمسية الى « لامبرغ » عاصمة «غاليسيا»



القوات الروسية في دخولها مدينة (برزميسل)

يشير هذا الرسم الى احتلال مدينة « برزميسل » النمسية المحصنة بالقلاع العامرة . وقد استطاع الروس اذلالها ودخولها . ويبدو وراءهم جرحى نمسيون تقلهم احدى مركبات الاسعاف

الشرقية . فالقائد الروسي « روسكي » احتل في ٣ ايلول ١٩١٤ هذه المدينة التجارية الرفيعة المقام في صناعتها وموقعها وعدد سكانها . ولم يكن يفصل بين القائد « لينسنجن » وبينها غير حاجز طبيعي الا انه منيع ، هو نهر « دنياستر »

فالروس المقهورون تراجعوا الى ضفاف هذا النهر بعد معارك تمزقوا فيها . على انهم صمموا وهم يتحصنون على تلك الضفاف ان يمنعوا الالمان والنمسيين من اجتيازها مهما كلف الامر

وموقع الارض يساعد على الدفاع . فهناك حواجز من العليق والغابات تحول دون قيام المدفعية بمهمتها . فالتفوق فيها للشجاعة والاقدام لا للقذائف المدمرة . واتسع المجال امام الروس للسلاح الابيض — وهم فيه من اللامعين — فاندفعوا الى صفوف الاعداء يمزقونها برؤوس حرابهم . وربما لم يلمعوا في السلاح الابيض مثلهم في هذه المعركة الرهيبة وقد استمرت ثلاثة ايام من ٩ الى ١١ حزيران

الجيش الالماني النمسي يتحطم

وكان الجيش الالماني النمسي قد نجح في ٨ حزيران في التقدم ستة اميال على الضفة اليسرى من نهر « دنياستر » ، عند ملتقى « دنياستر » ونهر « ستريج » . غير ان الروس دفعوا في اليوم التالي العدو الى الضفة الاخرى ، على اثر مذبحة تولت امرها في صفوفه الحراب الروسية

وفي هذه المعركة غنم الروس ١٧ مدفعاً ، و٤٠ رشاشاً ، وستة آلاف اسير

وفي ١٠ و ١١ ساءت حال الالمان . فخسروا الالوف من القتلى والجرحى عدا ستة عشر الف اسير

فالفاجعة لا تعوض . على ان الالمان والنمسيين ابوا الا التعويض . فدفعهم قادتهم مرة اخرى على ضفاف نهر « دنياستر »



قوة من المشاة الروس في اثناء التقهقر الاكبر

وفي ١٤ حزيران وثبوا على هذه الضفاف بجانب « جيرافنو » يحاولون اجتيازهـا . ولكنهم ما فعلوا حتى اقدم الروس على صدهم عنها . فقتلوا منهم عشرين الف رجل، واسروا ثمانية آلاف وخمسمئة، وغنموا الذخائر الوافرة

على ان ماكنزن ...

على ان الجيوش الالمانية النمسية اذا لم تقوَ متحدة على استعادة مدينة « لامبرغ » فهناك القائد « ماكنزن » الالماني يريد الاستيلاء عليها بجيشه الالماني الصرف دون سواه

فالمدينة هدفه في معاركه . فهو ينهد اليها . ومن سوء حظ الروس ان فوزهم على ضفاف « دنياستر » لم يحطم فوز الالمان على ضفاف نهر « سان » وهناك جيوش يقودها «ماكنزن» ويملك زمامها هندنبورغ

التهشيم بالسيوف

و« ماكنزن» لقي بعض الاخفاق . ففاجأ الروس بضع كتائب من جيشه. وعلى هذه الكتائب انقض الفرسان القوزاق انقضاضاً عجيباً بين« راوى روسكا » و« ليبكازوف » وهشموها بطعنات السيوف . وما نجا منها سوى كل ذي عمر طويل

وبدرت من الروس هذه البادرة الرائعة بعدما اصيبوا ليوم خلا بالهزيمة في « ليبكازوف » واخـذوا يتراجعون في طريقهم الى « راوى روسكا »

على ان المدافع الالمانية الضخمة قصفت . وقصفهـا قضى على الروس . فاضطروا الى الوقوف في دفاعهم عن « لامبرغ » ، فدخلها القائد « ماكنزن » في ٢٢ حزيران ١٩١٥ ، اي بعد تسعة عشر يوماً من دخوله « برزميسل »

على ضفاف نهر نيامن

وجرى هجوم على ضفاف نهر « نيامن » ، وهو وان لم يكن بقوة هجوم « ماكنزن » على ضفاف نهر سان فان ما اسفر عنه راجح الوزن . فالمعارك وقعت بين نهرين ، نهر «نيامن» ونهر «دينا» فيما المعارك تدور في ايار وحزيران في سائر الجبهة الروسية الجرمانية

فان نهر « نيامن » الماني الطرف وروسي الوجه ، يجتاز في روسيا ولاية « ليتوانيا » ، احدى الولايات البولونية القديمة ، واشهر

مدنها « فيلنا » و « غرودنو »

وولاية « ليتوانيا » فقيرة ، لا يقطنها عدد كبير من السكان . وارضها صخرية ، الا ان الغابات الفاتنة تكسوها . ومدينة « فيلنا » فيها احدى القواعد العسكرية الروسية السبع . والقواعد الست الاخرى هي بتروغراد ، فرسوفيا ، كياف ، اوديسا ، موسكو ، كازان

الزحف الى براغا

والمنطقة التي يجتازها نهر « دينا » تكسوها الغابات ايضاً وتكثر فيها المستنقعات والبحيرات . وارضها ملساء ، ذات مستوى واحد . وهي تشمل ولايات « فيتبسك » و « ليفوني » ، و « كورلاندا » . وفي احد مرافىء ولاية « كورلاندا » ، الجاثمة على شواطىء نهر البلطيك ، لقي الهجوم الالماني نجاحه الاول المفيد

فاطلقت القذائف الالمانية على مرفأ « ليبو » ، وهو مرفأ حربي قديم . وبعد زمن قليل احتله الالمان . وذلك في ١٠ ايار ١٩١٥

وفي اوائل حزيران قامت في خليج « ريغا » تظاهرات بحرية . كأن الالمان شاؤوا احتلال هذه المدينة البالغ عدد سكانها ثلاثمئة الف نفس

اخفاق الالمان

ومشوا الى احتلالها . فاستولوا وهم في طريقهم اليها على بلدة « ميتو » وعدد سكانها خمسة وثلاثون الفاً ، وهي عاصمة « كورلندا » ، غير ان القوات الالمانية ما بلغت منطقة « شافلي » في قلب هذه الولاية ، حتى اضطرت الى الوقوف ثم الى التقهقر . وعبثاً اطلقت قذائفها على المنطقة فلم تفلح في اكتساحها . فالروس في « كورلندا » عرفوا كيف يصدون الالمان فيها القائد « ماكنزن » يهزمهم في « لامبرغ » ويحتلها



القوات الالمانية والنمسية تندفع الى بولونيا

«ماكنزن» يحتل فرسوفيا كما احتل من قبل لامبرغ وبرزميسل

خيبة الحلفاء تتجلى في اقوالهم ووجوههم

القيصر نقولا الثاني قائد عام

الالمان فازوا . هذا مما لا ريب فيه . فازوا ودحروا الروس . الا ان هذا الفوز لن يكون تاماً ، صحيحاً ، وطيد الركن ، اذا لم تحتل القوات الالمانية بولونيا

وما سها الالمان عن ضرورة احتلال بولونيا . فان هذا الاحتلال وسموا خطته منذ قاموا بالهجوم على روسيا . فهم يريدون فارسوفيا . ولقد ارتدوا عنها ثلاث مرات بل اربع مرات ، أيرتدون عنها في المرة الخامسة؟

جيوشهم تملك النصر . وهي جيوش قوية في عددها ومعداتها . فقد بلغت في عددها مليونين . وتمتعت بحالة روحية شائقة . فالنصر زادها قوة على قوة وحماسة على حماسة

مليونان في ثلاثة جيوش

وهذان المليونان انقسما الى ثلاثة جيوش ، وكل جيش شُطر الى شطرين . فتولى القائدان « فون ماكنزن » و « فون وارخ » امر الجيش الجنوبي الشرقي . ووقف بينهما جيش نمسي صرف يقوده الارشيدوق « جوزف فرديناند » ، واقامت في الناحية الجنوبية الشرقية جيوش القادة « بوهم ارمولي » و« لينسنجن » و« بفلانزر » ، وجيش القائد « بفلانزر » نمسي صرف ايضاً

وجهة هذه الجيوش

وعلى هذه الجيوش ان تسلك وجهة معلومة . فالجيش الذي يقوده « فون ماكنزن » يندفع في « غاليسيا » الشمالية الى نهر « بيغ » المرتمي في نهر « فيستيل » شمالي « فرسوفيا »

وتتجه قوات الارشيدوق الى « ليبلان » باجتيازها نهر « ويبرز » وهو يصب ايضاً في « الفيستيل »

ويسير جيش القائد « وارخ » الى الشمال في ناحية « ليبلان » سالكا وادي نهر « ويزنيكا » ، وهو نهر صغير ينتهي كالنهرين السابقين الى نهر « فيستيل » الكبير

اما الجيوش الاخرى فعليها ان تقوم باعمالها الحربية على ضفاف نهر « دنياستر » . وبدا لها ، حتى وهي في شهر حزيران ، ان من الصعب عليها اجتياز هذا النهر

القتال على نهر دنياستر

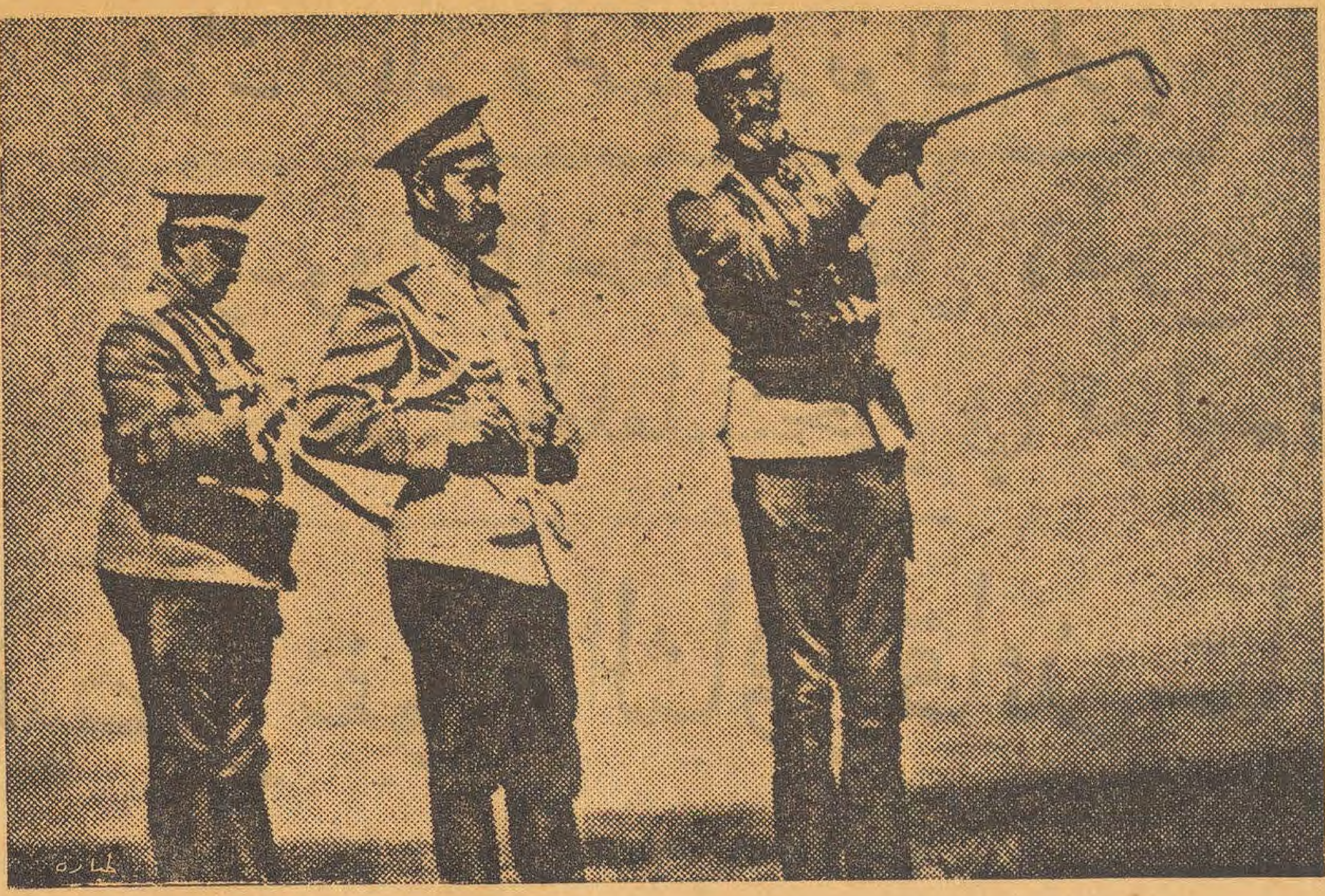
وما برح جيش « بفلانزر » يقاتل بين نهر « دنياستر » ونهر « بريث » الجاري في « سزرنوفيتز » عاصمة « بيكوفين » . ونهر بريث يصب في نهر « الدانوب » على مقربة من بسارابيا ورومانيا

ومدينة « سزرنوفيتز » اشتهرت بما ذاع عنها في بلاغات بتروغراد من انباء الجيش الروسي . فحيناً كانت هذه الانباء تشير الى التقدم وحيناً الى التأخر . والمدينة تقوم في منطقة نمسية حافلة بالجبال ، ويقطنها شعب ينتمي اما الى الصقالبة واما الى الرومانيين

وفي بدء تموز اضطر الروس الى الجلاء عن مواقعهم على ضفاف نهر « دنياستر » ، وتراجعوا الى ضفاف الانهر المنصبة في ذلك النهر الكبير ، على انهم ما برحوا في غاليسيا

الوثوب الى بولونيا

وفي اواخر شهر حزيران وثب المارشال « ماكنزن » الى بولونيا بسرعة البرق الخاطف . فهو يؤلف الجناح الايمن من الجيش الاول ،



القيصر نقولا الثاني في ساحة القتال

يبدو في هذا الرسم الغراندوق «نقولا نقولايفتش» القائد العام للقوات الروسية، وبعده الامبراطور نقولا الثاني قيصر روسيا . والغراندوق يدل القيصر على الاماكن التي فاز فيها الروس في ساحة الحرب

ويقول المؤرخ العسكري « بوفيه ده لاموت » ان سرعته في الزحف الى بولونيا زادت على سرعة التيار الالماني في زحفه في ٢٤ آب ١٩١٤ الى فرنسا

ويجب ان لا ننسى تفوق المارشال « ماكنزن » في مدفعيته الضخمة وفي وفر ذخائره . فكان يملك من هذه الذخائر ما يشاء ، بينما قوات الغراندوق نقولا لا تجد لديها الذخيرة الكافية ، مما قضى عليها بالهزيمة مع كل بطولتها واستعدادها للتضحيات

وخطتها لم تخرج عن كونها خطة تراجع منظمة . فهي تتقهقر مخافة ان يطوقها العدو او ان يحطمها في احدى المعارك الكبرى . وعهدت الى مؤخراتها بمحاربة الاعداء على قدر مجهودها ، فتحاول ان تؤخره عن تقدمه ما استطاعت الى ذلك سبيلا ، سائرة على نهجها في « لامبرغ » . فتنهزم بنظام امام عدو ليست تجهل قوته وبأسه وقد بات لا يُغلب !

ماذا يريد ماكنزن

والمارشال « ماكنزن » يريد تطويق الجيش الروسي وتحطيمه . وهذا ما دعاه الى السرعة في الوثوب . على ان الغراندوق نقولا كان يعلم حق العلم ان الهجوم الجرماني باضطرار الى كبح جماحه وهو في السهول البولونية الفسيحة . فليس يملك في هذه السهول الطرق الجميلة المعبدة مثله في غاليسيا ، وليس لديه من الانهر ما كان لديه هناك . فعليه ان يجتاز خمسة وعشرين ميلا لا سكك حديدية فيها

وتراءى للغراندوق نقولا ان يستفيد من هذه العقبة . واستفاد . وذات يوم انقلب على اعدائه وهزمهم . لقد انقلب لا على جيش القائد « ماكنزن » ، ولا على الالمان ، بل على النمسيين الذين يقودهم الارشيدوق جوزف فردينان . وقهرهم على نهر « ويزنيكا »

ودامت المعركة من ٧ الى ٩ تموز ١٩١٥ ، وجرت على مقربة من « كراسنيك » . فصد المشاة الروس القوات النمسية بجرأة وعنف . وشاطرهم النصر القوزاق الميامين . فخسر النمسيون خمسة عشر الف قتيل وجريح ، وعشرة آلاف اسير ، ونحواً من عشرين مدفعاً

غير ان هذا الفوز لم يؤثر في سير الحملة على روسيا . مع ان ثمة من زعم ان مصير هذه الحملة سيتبدل . ولكن لا . فلم يكن هذا الفوز الموقوت غير بسمة مفاجئة في غفلة من الزمن

البلاغات المتناقضة في روسيا

وطرب الروس لهذا الفوز . على ان طربهم كان لبعض الحين . واذاعت بتروغراد البلاغات الطويلة عن هذا النصر . ومما قالت بتاريخ ١٤ تموز :

«في الاسبوع الواقع بين ١١٩٤ الجاري اسر الجيش الروسي بعد قتال مجيد ٢٩٧ ضابطاً واثنين وعشرين الفاً واربعمئة واربعة وستين جندياً»

على ان هذا البلاغ نفسه قال: «ولقد اجتاز العدو في ١٢ منه نهر «نارو» واحتل في اليوم التالي ضفته الاخرى»

ونهر «نارو» يصب في نهر «بيغ» بجانب «فرسوفيا» في الجبهة الشمالية الشرقية منها، اي ان الالمان والنمسيين باتوا على مقربة من عاصمة بولونيا بعدما حاولوا الاستيلاء عليها ثلاث مرات وتولاهم الخذلان . اما في هذه المرة — وهي المرة الرابعة حتى والخامسة — فربما ادركهم التوفيق، بل ان التوفيق مضمون . فالحالة الروحية السائدة الجيش الالماني، ومعدات هذا الجيش، دلت على ان «فرسوفيا» اضحت على وشك السقوط بين ايدي الالمان

فرسوفيا في خطر!

ظل الحلفاء يتساءلون على اسابيع ثلاثة، في انكلترا وفرنسا



القائد فون بيلوف

وهو القائد الالماني صاحب المواقف المشهورة على حدود فرنسا وحدود روسيا

وروسيا، أتنجو مدينة فرسوفيا من الاجتياح الالماني؟... أينشب فيها الالمان والنمسيون براثنهم ام يرتدون عنها مقهورين؟

وتوالت الانباء من سارة ومؤلمة . واصغى الجميع الى بلاغات الغراندوق نقولا . والتهمت العيون الصحف والخرائط للوقوف على حركات الجيوش . فالالمان والنمسيون يحاولون تطويق المدينة بالاسوار البشرية، والروس يمعنون في هدم هذه الاسوار وفي منع التطويق او عرقلته على الاقل

وما خلا الموقف من ساعات اطمئنان عرفها الحلفاء . فكانت ترد عليهم انباء تقول ان الجيش الروسي استطاع حصر قوات الارشيدوق جوزف فردينان النمسي على نهر «ويبرز»، وان المارشال «ماكنزن» اصطدم في اثناء تقدمه في اودية نهر «بيغ» بمقاومة صلبة اكرهته على الجمود، وان الجيش الالماني المالك زمامه في بروسيا الشرقية القائد «فون بيلوف» ليدعم في منطقة بحيرات «مازووري» القوات المحاربة على ضفاف نهر «نارو» لقي الهزيمة

هذه الانباء كانت ترد على الحلفاء فتنتعش في صدورهم الامال ويخيل اليهم ان فرسوفيا نجت من الوقوع في القبضة الجرمانية

ماذا تقول البلاغات؟

وزاد في انتعاش الآمال ما ورد في انباء نشرة الجيش الروسي.

فقد اذاعت بلاغاً جاء فيه: «تابع العدو هجماته على الجبهة يحاول دفعنا عن مواقعنا في ضفاف نهر «بيزي»، ولكن دون ما جدوى ....»

وقال بلاغ آخر: «تسنى لنا ان نصد العدو عن ضفة نهر «فيستيل» اليسرى»

وكتبت في ١٨ تموز جريدة «الفيغارو» تقول: «اي مجازر هائلة ستقع، على ان يملك الروس كمية وافرة من القذائف . فالالمان لا بد ان يكونوا استهلكوا ما لديهم من ذخيرة !...»

ولكن .. سقطت فرسوفيا

ولكن ما انقضت ثلاثة او اربعة ايام حتى وردت انباء تعلن هزيمة قوات الروس بين نهر «فيستيل» ونهر «بيغ»، فقد انهزمت هذه القوات القائمة بالدفاع عن المنطقة الممتدة بين «ايفانغورود» و «فرسوفيا»

ومعنى هزيمة الروس في هذه المنطقة ان فرسوفيا سقطت بين ايدي القوات الجرمانية . فقطع الحلفاء كل امل . وحرقتهم حملتهم على التماس العزاء بالكلام الناصل اللون . بكلام المغلوب على امره لتخفيف وقع هزيمته وستر خيبته . فكتب الكولونل الانكليزي «رابينغتون» في جريدة «التيمس» يقول: «قد يحتل الالمان والنمسيون فرسوفيا، اجل، على ان احتلالهم اياها لن يبدد شمل الجيش الروسي، مما يجعل نصرهم اجوف !»

بمثل هذه الاقوال استعد الحلفاء لسماع نبأ سقوط فرسوفيا . فشاؤوا ان يزحزحوا عنهم اثره الممض بالترهات . غير ان الصدمة قوية .



الامبراطور غليوم في مواقفه الخمسة المشهورة

نعيد نشر هذا الرسم بمناسبه الفوز الالماني في روسيا واشراف الامبراطور غليوم بنفسه على ساحة القتال

فكل مخدر لا يذهب بوقعها الاليم . وفي ٦ آب ١٩١٥ طيرت برلين الى انحاء العالم برقية تقول : « احتل الالمان فرسوفيا !...»

واحتلال فرسوفيا ليس بالامر البسيط . فهو يدل على ان روسيا تلاشت او انها باتت على وشك التلاشي ، ويدل على انه ليس للحلفاء ان يعتمدوا على حليفتهم الكبرى . فقد تضعضعت والتوى عودها

فان فرسوفيا ركن ركين في الدولة الروسية . وقد قيل عنها انها سور نهر «فيستيل ». اما الان فماذا بقي من هذا السور والالمان استولوا عليه ؟...

قال الكولونيل « وابينغتون » ان الظفر الالماني ظفر اجوف. ورددت صحف الحلفاء ، ولا سيما صحف فرنسا ، من بعده هذا المقال . ولكن اين يبدو هذا النصر الاجوف وفرسوفيا من القواعد العسكرية الروسية السبع ؟... وكيف يصح هذا الوصف في نصر باهر حطم به الالمان والنمسيون السلسلة الروسية المتماسكة الحلقات ؟

وهناك من زعم ان احتلال فرسوفيا هو نصر واضح جلي زاد في قدر الالمان والنمسيين ، الا انه ناقص من وجهته الحربية والهدف الذي يرمي اليه الجرمان بتحطيم القوات الروسية لم يدركوه. فالجيش الروسي تقهقر بنظام . على ان هذا الزعم دحضته الصحف الالمانية وقالت انه مما لا يجوز التلفظ به . فلو كان بوسع الروس ان يقاوموا لفعلوا وثبتوا في الميدان . وهم في كل معركة استطاعوا فيها الثبات عمدوا الى ترسيخ اقدامهم فيها والى مغالبة اعدائهم ومحاولة قهرهم ، بيد ان قواهم خارت فستروا وهنها بمثل هذا الادعاء !

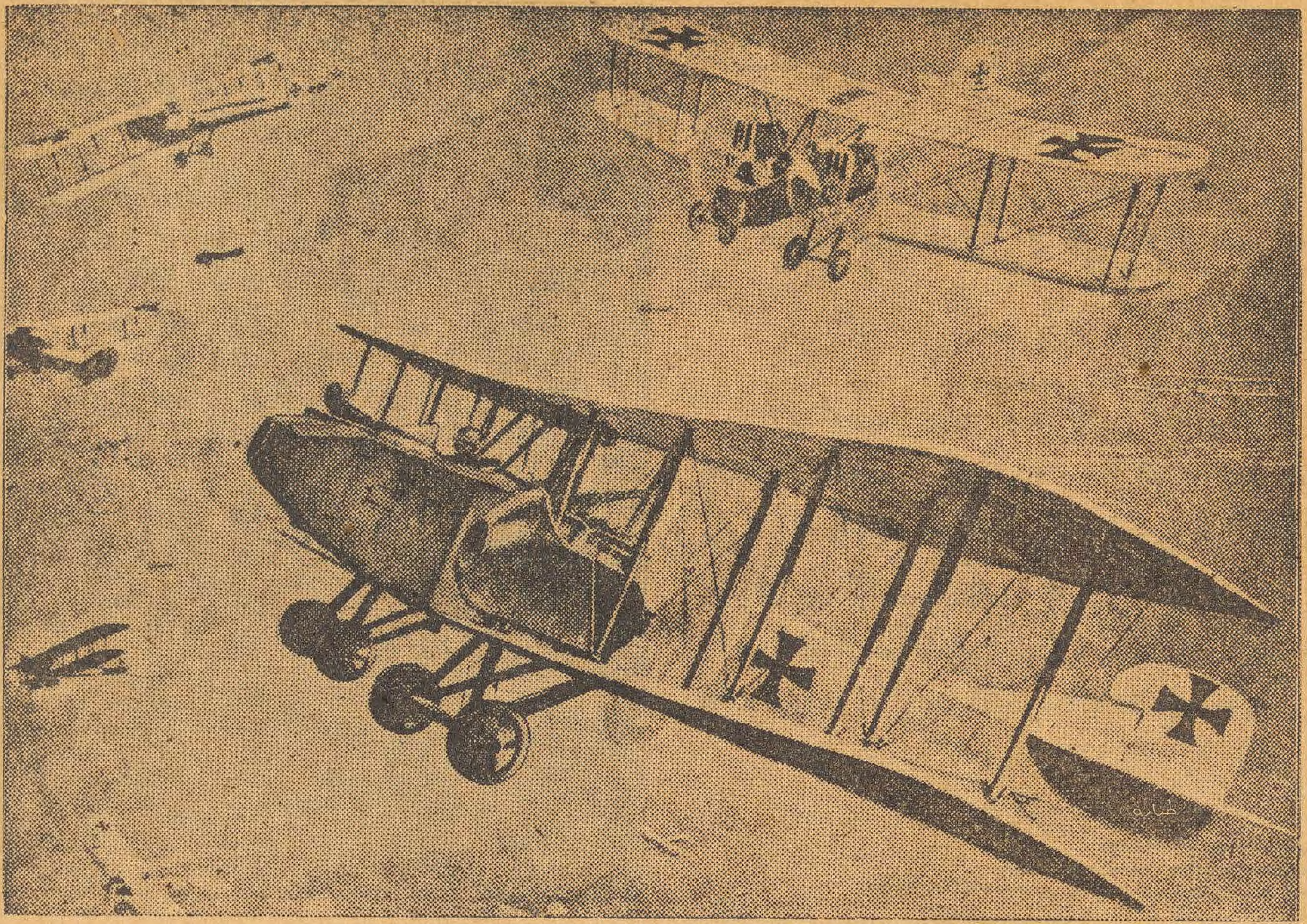
ماذا قالت الطان ؟...

وتكلمت جريدة « الطان » الفرنسية فقالت : « ليس للحلفاء ان يتأسفوا على سقوط فرسوفيا بين ايدي الالمان والنمسيين الا اذا استطاع هؤلاء ان يتقدموا نحو الشرق ويجاوزوا في تقدمهم الظافر مدينة برست ليتوفسك ! »

وهذا الكلام اعلنته جريدة « الطان » في ٩ آب ١٩١٥ وفيه ما يدل على نظر ثاقب . فان مدينة « برست ليتوفسك » اشبه بقلعة من قلاع روسيا . وموقعها على نهر « بيغ » . والالمان في احتلالهم فرسوفيا فكروا في احتلال « برست ليتوفسك » . فالمنهاج الذي اقروه يقضي باحتلال هذه القلعة المكينة . وبعد ثلاثة اسابيع كان لهم منها ما شاؤوا

احتلال مدينة « كوفنو »

ولكن قبل احتلال « برست ليتوفسك » يجب احتلال مدينة « كوفنو » ، وهي مدينة روسية حصينة . فنالت منها المدافع الالمانية منالها في ١٧ آب ، فحاصرتها وسحقتها وقد نفذت اليها من نهر



الطيارات الالمانية تكشف مواقع الروس في بولونيا

استعان الالمان بكل وسيلة للفوز في بولونيا . فحاربوا الروس في البر والبحر والجو . وهذا مشهد من طياراتهم السابحة في جو بولونيا

« نيامن »

وفي ١٩ احتل الالمان مدينة « نوفوجيورجيفسك » ، وهي مدينة قوية، غير انها لم تثبت حيال المدافع الالمانية الضخمة ، السريعة التهديم .

وبعد « كوفنو » و « نوفوجيورجيفسك » سقطت مدينة « اوسوياتز » ، وهي من المدن الروسية الحافلة بالحصون . تقوم على نهر « بوبرا » . ومن المعروف عن « اوسوياتز » انها قاومت في شهر اذار الفائت كل هجمة شنها اعداؤها عليها . ولم تبرحها حاميتها في ٢٣ و ٢٤ ا ب الا بعد هدمها الحصون والخنادق برمتها

وفي ٢٦ كان سقوط « برست ليتوفسك » . سقطت بعد مقاومة قصيرة ، الا انها جريئة قاسية ، انزلت فيها مؤخرة الجيش الروسي بالقوات الالمانية خسائر فاحشة

برقية الامبراطور غليوم الثاني

الى قائد الجيوش الالمانية والنمسية العام

وفي ١٩ ا ب ١٩١٥ كان الامبراطور غليوم الثاني يطير الى المارشال هندنبورغ برقية شكر وحث على المضي في الظفر يقول له فيها :

« تداعى بسقوط « كوفنو » اول واقوى سور من خطوط الدفاع في داخل روسيا . فالوطن، عدا شكره لابنائه بسالتهم ، مدين بهذا الانتصار الباهر لخطتك الفائزة بهدفها . ابدي لفخامتك ارتياحي العظيم . انعمت على القائد « فون انجوون » بوسام الاستحقاق لكونه اقدم على تسيير قواته بحذر ، وانعمت بوسام اوراق السنديان على القائد « فون ويتزمان » وقد ضمنت تدابيره على اطول جبهة القتال النصر التام »



بوانكاره في روسيا

والى يمينه القيصر نقولا الثاني

قبل نشوب الحرب العالمية باسابيع كان السيد بوانكاره رئيس جمهورية فرنسا ضيف روسيا . فزارها يرافقه رئيس الوزارة السيد « فيفياني » والقائد « جوفر » رئيس اركان حرب الجيش الفرنسي وسواهما من كبار رجال الدولة الفرنسية

وهذا الرسم التاريخي يمثل الرئيس بوانكاره في بطرسبرج يعرض الجيش الروسي والى يمينه القيصر نقولا الثاني امبراطور روسيا

غليوم في الساحة الشرقية

ولم يكن من القيصر بعد سقوط مدينة « برست ليتوفسك » الا ان اقبل بنفسه الى ساحة القتال يهنىء القائد « فون بيزيلر » لاجادته تسيير المدفعية وتوفير كل مساعدة للقوات المندفعة في الهجوم

الانهزام الروسي يتوالى

وفي اواخر شهر آب واول ايلول توالت الهزيمة الروسية في عرض تلك الامبراطورية الواسعة . واتساع الامبراطورية صان الجيش الروسي عن التحطيم . فاستطاع ان يلجأ الى اماكن حصينة بعيدة عن متناول القوات الجرمانية

بولونيا في قبضة المانيا

وفي خريف ١٩١٥ امست بولونيا بكاملها في قبضة المانيا . واول ما فكر فيه الالمان ان يسيطروا على هذا البلد المحتل سيطرة عسكرية ، بل هم شاؤوا ان يحلوا من العنصر البولوني عنصراً المانياً كي يمحوا طابع هذه المملكة القديمة العهد ، الممزقة الشمل بامر فريدريك الثاني البروسي الكبير بين سنوات ١٧٧٢ و١٧٩٥ ، كما يقول فريق من المؤرخين . فهناك من ينفي أن تكون روسيا صاحبة فكرة تقسيم بولونيا ، فينسب الفكرة الى الملك فريدريك الثاني نفسه ملك بروسيا فهو الذي اشار — في اعتقاد هذا الفريق — على امبراطورة روسيا كاترين الثانية وعلى ماري تيريز امبراطورة النمسا بضرورة التذليل والتقسيم

ومع ان « ماري تيريز » النمسية تكره فريدريك الثاني الداهية فقد عرض عليها بما فطر علية من مرونة وحيلة تقسيم بولونيا بينه وبينها وبين روسيا ، وكان قد اتفق على ذلك و كاترين الثانية امبراطورة الروس . الا ان « ماري تيريز » وهي الناقمة على الملك فريدريك مانعت كل الممانعة وابت النزول على مطلبه منها . ولكنها اضطرت اخيراً الى قبول ما يقترح عليها مخافة ان يعبث بممانعتها ويستقل وكاترين الثانية باقتسام الغنيمة

وبعد مئة وثلاثين سنة

وبعد مئة وثلاثين سنة شاء غليوم الثاني ان يقوم بما لم يتفق للملك فريدريك الثاني القيام به ، فاستولى على بولونيا في معظمها وشاء اكراهها على الخضوع للانظمة الالمانية دونما قيد ولا شرط . واذا هو ابقى شطراً منها للنمسا فما ابقى هذا الشطر عن طيب خاطر ، بل على كره منه ، فما ان تنتهي الحرب حتى يكون قد ضمه اليه

على ان هذا الحلم جال في مخيلة النمسيين كما جال في مخيلة الامبراطور غليوم الثاني . فهم ايضاً شاؤوا الاستئثار ببولونيا . فالبلد البولوني في اعتقادهم يجب ان تشمله السيادة النمسية دون سواها . فما بولونيا غير قطعة من غاليسيا ، وكما سيطرت النمسا على غاليسيا باجمعها يجب ان تسيطر على بولونيا

والحليفتان انتظرتا انتهاء الحرب لتحقيق ذلك الحلم الجميل !

من خليج ريغا الى دنياستر

لم يحترم الروس اثراً من الاثار في تراجعهم . بل نظموا خطتهم في هذا التقهقر على قواعد موزونة صحيحة . فهدموا وراءهم كل ما يجد فيه العدو فائدة من الفوائد . واحرقوا المدن والقرى . وفازوا في تدميرهم ديارهم فوزاً ازعج الالمان والنمسيين

ولم يكن تراجعهم خالياً من فوز محسوس . فاستطاعوا في مواقع متعددة ان يتغلبوا على الالمان والنمسيين . ففي ٧ ايلول صدوا فرقتين المانيتين على ضفاف نهر « دنياستر » بجانب مدينة « تارنوبول » ، وقهروا فرقة من الفرسان النمسيين . واستولوا على ثلاثين مدفعاً وثمانية آلاف اسير ومئتي ضابط

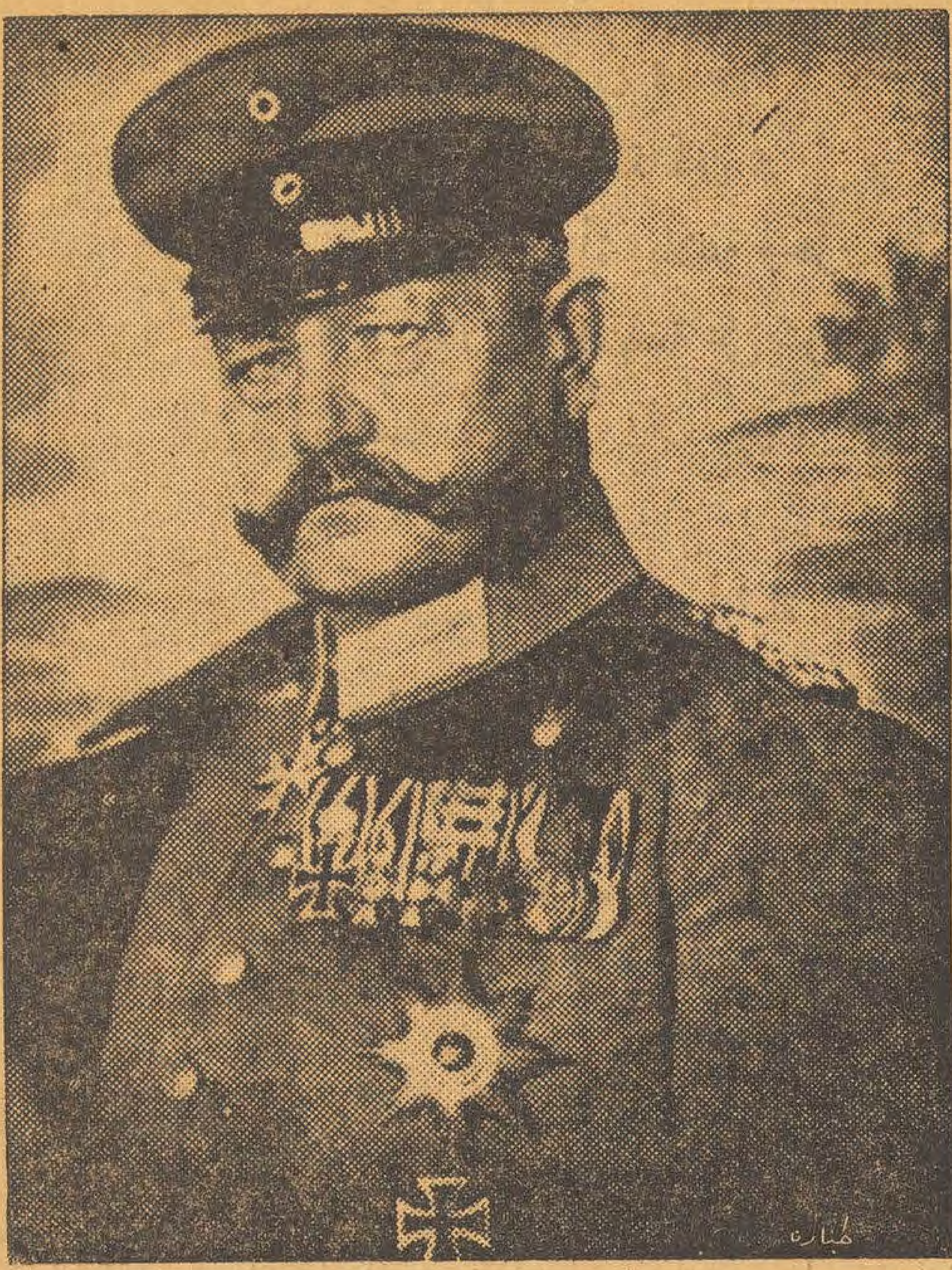
وثمة مواقع اخرى فاز فيها الروس ، الا ان هذه الانتصارات لم تكن ناجعة في سير المعارك الكبرى . ومن هذه المواقع معركة بحرية في خليج « ريغا » دحر فيها الاسطول الروسي الاسطول الالماني ، على ان الفضل في هذا النصر فضل الغواصات الانكليزية وقد انسلت الى ذلك الخليج تضعضع فيه الاسطول الالماني

نقولا الثاني وتدابير الانقاذ

والمهم في كل ما اقدمت عليه روسيا على اثر هزيمتها ما عمد اليه القيصر نقولا الثاني من تدابير الانقاذ الوطني ، وما اقدم عليه وزير الحرب القائد « بوليفانوف » على اثر مباحثات المجلس العنيفة ، البليغة الاثر ، البعيدة الصدى

فالشعب الروسي ارتعش وهو يبصر الاجتياح الالماني النمسي يمتد في الديار الروسية . فلم يكن منه الا ان نهض نهضة واحدة ومال الى تحطيم كل تلك الاصنام القابضة في روسيا على اعنة الحكم ، مال الى هدم ارباب المناصب باجمعهم الساعين من وراء ستار للاجهاز على الدولة الروسية بسياساتهم العقيمة المتضاربة ، المتعددة الميول والاهواء

فهم ليسوا على رأي واحد ولا على مبدأ واحد . فكل منهم يؤيد فكرته ويريد القضاء على خصمه ولو اضطر الامر الى القضاء على روسيا باجمعها



المارشال هندنبورغ

قائد الجيوش الالمانية والنمسية العام في الجبهة الروسية ، نعيد نشر رسمه على اثر برقية الشكر والاعجاب الواردة عليه من الامبراطور غليوم بعد احتلال بولونيا

ودرى الشعب بما يبيّت له ارباب المناصب فنقم عليهم اشد نقمة واندفع ينادي : اليوم يومي ، انا ادافع عن نفسي بنفسي ، دقت ساعتي ، عليّ ان انتقم من اعدائي ، فاني املك من القوى ما يساعدني على انقاذ بلادي من مغتصبيها . حطموا الاصنام الفارضة علينا مشيئتها ، هذه دمامل في جسم الوطن يجب بضعها . اني اعتمد على القيصر ، على القيصر دون سواه . اطلقوا يد القيصر في شؤون بلاده وانقذوه من كل تلك الوجوه الكالحة في صروح الحكم !

القيصر قائد الجيش العام

وهذه الصيحات المتعالية من صدر الشعب الروسي ، هذه الصيحات المشتعلة حنقاً وألماً كان لها صداها في مجلس النواب . وما تمالكت فئة من هؤلاء النواب ان اتهمت كبار رجال المناصب في الدولة الروسية بخدمة مصالحهم الخاصة والنوم عن مصالح الشعب . وعزت التقهقر في الجبهة الروسية الى هؤلاء المتربعين في مقاعد الحكم لخدمة انفسهم لا لخدمة الوطن

فلماذا لم تتم التعبئة العامة في اوانها ؟
ولماذا لم تتوفر الذخيرة للجيش المحارب ؟
ولماذا لم تنطلق النجدات الى اسعاف المقاتلين ؟

كل هذا قيل في مجلس « الدوما » بجرأة وبلاغة وحزم. فالنواب الاحرار اعلنوا ان روسيا لا تثق بالكتلة القابضة على شؤونها . وهي تطلب الى القيصر ان يتولى بنفسه الامور وان يقبض على اعنة الجيش

واظهرت روسيا في ذلك اليوم انها جديرة بالحياة النيابية . فلم تعدم فئة من ذوي الاقدام ترفع صوتها في صدر المجلس غير حافلة بكل اولئك المستأثرين بالمناصب العليا ، مع ان الحياة النيابية حديثة العهد في روسيا ، فلم يكن ينتظر من النواب كل هذا الحزم والمجالس النيابية كانت منذ عشر سنوات ضائعة الاثر في البلاد الروسية

من هم المتكلمون ؟ ...

ومن الخطباء المتكلمين « دوروف » و « ادجوموف » و « ماكلاكوف » وسواهم . فاظهروا ان خلاص روسيا وطحن المانيا يقومان لا على تعبئة روسيا الصناعية فحسب — ولم يحسن ولاة الامر تنظيمها — بل على احداث تبديل في المناصب العالية باجمعها من عسكرية ومدنية . فتقوم في روسيا وجوه جديدة مخلصة وتضمحل الوجوه المبطنة بالخداع والمكر

واصغى القيصر الى الخطباء المتكلمين . وتولى بنفسه قيادة الجيوش الروسية العامة سواء في البر او البحر . وما نسي ما ادى الغراندوق نقولا لروسيا من الخدم، فاعترف له بها وبمواهبه العالية وعهد اليه بتمثيله في القفقاس . ووجه اليه خطاباً يقول فيه :

« ازدياد اجتياح الاعداء لديارنا يوماً عند يوم يقضي بحصر السلطات المدنية والعسكرية بقبضة واحدة، وتوحيد القيادة ومضاعفة المجهود العام في عناصر الحكومة كافة »

وهذا الخطاب يشير بجلاء الى ان القيصر اعلن نفسه قائداً عاماً، والى ان الامة الروسية اجمعت على ضرورة تبديل الوجوه الطافحة بالغدر والكيد لتسير الشؤون الروسية في جو جديد

ومن الضرورة القول ان الغراندوق نقولا ، هذا القائد الموهوب ، ذهب ضحية سياسة الكيد في روسيا ، هذه السياسة العرجاء الاثيمة القاضية على الكرامة العسكرية في وطنها بالهوان !



١ قرش مصري

الأسرار

العدد الثاني عشر

في هذا العدد :

ايطاليا تشهر الحرب على النمسا



- الى جانب هذا الكلام -

ملك ايطاليا فكتور عمانوئيل الثالث **وأركان حربه** يراقبون حركات القتال على ضفاف نهر « ازونزو »



المدافع الايطالية في جبهة القتال

الاسرار

اصحابها : انطون صادر ، كرم ملحم كرم ، فؤاد ميداني

رئيس الانشاء المسؤول: كرم ملحم كرم — منشىء القسم الشرقي: فؤاد ميداني

المكاتبات باسم مدير المجلة : انطون صادر

الادارة مكتبة صادر * شارع اللنبي * بيروت

مجلة اسبوعية تاريخية تبحث في التاريخ وما اهمله التاريخ — العدد ١٢ — بيروت في ٢١ حزيران سنة ١٩٣٨

اسرار الجاسوسية في القضية العربية

بقلم فؤاد ميداني

القائد عزت باشا يحاول عزل لبنان عن سائر الولايات العثمانية

الاتراك يخشون اضطرام الفتنة في سوريا ولبنان ويرون في اللبنانيين مثيريها

لبنان يشكو الدولة العثمانية الى مؤتمر السفراء

لما اشتدت حركات الاصلاحيين، اي حزب الاصلاح السوري، في عام ١٩١٣ بعث عزت باشا وكيل القائد العام للقوات العثمانية بمذكرة الى وزير الحربية محمود شوكت باشا يقول فيها :

«لم يبق بامكاننا الاعتماد على اللبنانيين وهؤلاء يسعون في ديارهم للنيل من سيادتنا ونفوذنا . والمذكرة الاخيرة التي وافوا بها مؤتمر السفراء المنعقد في الاشهر الاخيرة في استانبول تدل على عدائهم لنا . ولذا ارى من الواجب تحقيق المشروع الذي وضعناه قبلا لعزل حلب وحماه ودمشق عن المتصرفية اللبنانية»

ووزارة الحربية في ذلك الحين كانت منفصلة عن وكالة القيادة العليا ، ولم يجمع هذين المنصبين في شخص واحد الا انور باشا بعد مقتل محمود شوكت باشا وقد اراد بذلك حصر السيادة الحربية بيديه

ما معنى هذا؟

والوثائق الموجودة لدينا لا تشير الى مرمى هذه البرقية ، والى مقصد عزت باشا من عزل لبنان عن دمشق وحلب وحماه . ولبنان قبل الحرب العالمية كان متمتعاً بالسيادة التامة ومنفصلا كل الانفصال عن المقاطعات الاخرى . فما معنى البرقية اذاً ؟

ذلك ما اوضحه لمجلة « الاسرار » صاحب الدولة سليمان شفيق كمالي باشا وزير الحربية العثمانية بعد الحرب العامة وقائد القوات العثمانية في سوريا ولبنان في سنة ١٩١٣ ، قال :

— عزت باشا ، وكيل القائد العام ، ممن لا يثقون بابناء سوريا ولبنان . فهو يعتقد ان ابناء هذين البلدين ينظمون بكل قواهم مكيدة واسعة النطاق، ترمي في الموعد المضروب لها الى اضرام ثورة عربية شاملة، يعمل فيها اللبناني بجانب السوري ، بعد ما يضمن الاول لنفسه مساعدة فرنسا وسفراء الدول الاجنبية في استانبول العاملين على هدم السيادة العثمانية في سوريا ولبنان

« ولما كان نظام لبنان يمنع القيادة العثمانية من تسيير جنودها في الجبل ، وكان من المنتظر لدى وقوع ثورة يشترك فيها اللبنانيون والسوريون هدم النفوذ العثماني العسكري في الديار السورية واللبنانية،

رأى عزت باشا ضرورة انشاء حاجز عسكري بفصل سوريا عن لبنان فصلا تاماً . ومذكرته الى وزير الحربية تشير الى هذا الحاجز نفسه

اقناع محمود شوكت باشا

«وفكرة عزت باشا في انشاء هذا الحاجز انبثقت — كما قال هو



سليمان شفيق كمالي باشا

نعيد نشر رسمه بمناسبة تصريحاته السابقة المنشورة في هذا العدد من « الاسرار »

نفسه — من مذكرة اللبنانيين الى مؤتمر السفراء المنعقد في شهر ايار ١٩١٢

«وحاول يومئذ اقناع الاتحاديين بانشاء الحاجز المطلوب، بيد انهم لم يوفقوا في سوى عام ١٩١٣ وفيه اشتدت دعوة حزب اللامركزية في مصر وانصاره في بيروت ودمشق ولبنان

«ولما كانت البلاد في حالة حرب مع دول البلقان خشي وكيل القائد العام ان يغتنم السوريون واللبنانيون الفرصة لاضرام الثورة. فعاد وكرر طلبه السابق وتمكن من اقناع محمود شوكت باشا بصحة رأيه واستمالته الى تأييده في ذلك

طريقة انشاء الحاجز

«وفي اوائل سنة ١٩١٣ ابرمت معاهدة الصلح بين الامام يحيى حميد الدين والدولة العثمانية. فاعترفت فيها الدولة العثمانية بسيادة الامام وقررت سحب قواتها الاحتياطية من اليمن

« ولما كانت الدولة في حالة حرب مع دول البلقان ، وكان من الصعب عليها اعادة قواتها بطريق البحر الابيض الى الاناضول ، قررت نقل هذه القوات براً ، من صنعاء الى الحديدة ، ثم نقلها في البواخر الى العقبة، ومنها الى معان، فتحملها القطر الحديدية الحجازية الى دمشق فحلب

«وتراءى لعزت باشا ان المجال اتسع لتحقيق فكرته ، فقابل محمود شوكت باشا قائلا له :

« — معظم هذه القوات من الاتراك والارناؤوط ، اي ممن يسعنا الاعتماد عليهم في انشاء الحاجز لفصل سوريا عن لبنان . وعندي ابقاء هذه القوات في بعلبك . فان اقامتها هناك لا يمكن ان تلفت الانظار لسببين : الاول كون هذه القوات قادمة من اليمن ، فما اوفدت الى بعلبك عمداً لتثير خوف السوريين واللبنانيين . والآخر انها قادمة الى بعلبك بصورة موقتة ! »

« ويظهر ان محمود شوكت باشا اقتنع بصحة رأي عزت باشا ، فارسل اليّ برقية بتاريخ ١٠ حزيران سنة ١٩١٣ هذا نصها :

« الى قائد الفيلق الثامن

« تقرر ابقاء القطعات العسكرية العائدة من اليمن بطريق العقبة في بعلبك وتنظيم فرقة عسكرية هناك منها

« عين غالب باشا لقيادة هذه الفرقة واوفد لادارة اعمالها . وينتظر منكم اتخاذ التدابير اللازمة بالاتفاق معه لتنظيم الفرقة والمحافظة على الامن

الصدر الاعظم ووزير الحربية
محمود شوكت

« وهذه القوات القادمة الى منطقتي والمطلوب تأليف فرقة منها تعد ثمانية آلاف جندي، وقد توهموا انها كافية ، اذا وقعت الثورة السورية اللبنانية ، للمحافظة على النظام والامن العام . مع اني لم اكن من هذا الرأي . واجبت ببرقية بتاريخ ١٢ حزيران ١٩١٣ تقول :

« الى الوزارة الحربية الجليلة

« ليس بامكان الفرقة التي سنؤلفها في بعلبك اخماد الثورة اذا اندلعت نيرانها في سوريا

« ومع هذا كونوا على ثقة تامة بان ليس في بال احد ايقاد مثل هذه الثورة في البلاد السورية

« ومما اراه ان اقامة مثل هذه الفرقة في بعلبك يثير ريبة الاهلين، فيساورهم الاعتقاد ان الدولة لا تركن اليهم ، عدا اننا نثير في نفوسهم اموراً لم يكن ليفكروا فيها . وان تكن هناك قذيفة كامنة تحت الرماد

فتكون بمحاولتنا كمن اشعل الفتيل لانفجار القذيفة . لذلك لا ارضى عن بقاء جندي واحد في المنطقة السورية من الجنود المقبلة من اليمن . ثم ان امركم لي بالاشتغال مع غالب باشا يشطر القيادة الى شطرين ، مما لا يساعدني على متابعة العمل واحتمال التبعة . ارجو عدولكم عن ذلك سيدي »

قائد الفيلق الهمايوني الثامن
سليمان شفيق كمالي

« ومحمود شوكت باشا رجل حكيم ذكي يدرك حقيقة الامور . وكان يطالع بنفسه التقارير والانباء الواردة عليه . فما لبث في اليوم التالي ان ردّ على برقيتي ببرقية هذا نصها :

« الى قائد الفيلق الثامن

« اعيد غالب باشا الى العاصمة . من المناسب متابعة نقل القوات العثمانية القادمة من اليمن الى الاناضول . نحن واثقون بغيرتكم وحنكتكم في تسيير الامور

الصدر الاعظم ووزير الحربية
محمود شوكت

***

هذا ما افضى به الى مجلة « الاسرار » صاحب الدولة سليمان شفيق كمالي باشا . وتصريحاته تدل بجلاء على ان العثمانيين كانوا يخشون منذ ذلك الحين نشوب ثورة في البلاد العربية

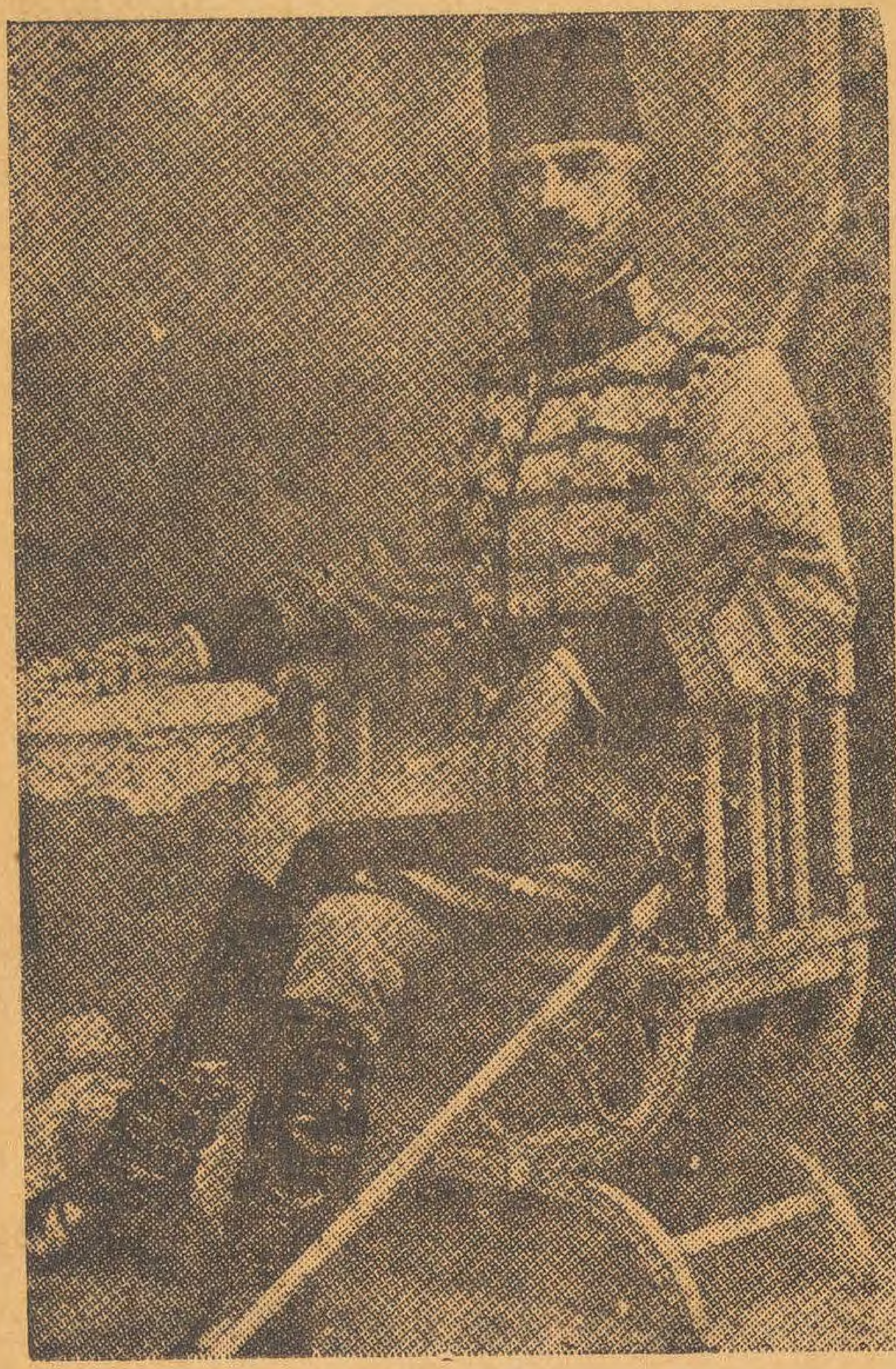
بواعث هذا الخوف

واول ما كانوا يخشونه في هذه الثورة اتفاق اللبنانيين والسوريين . فالمذكرة التي رفعها اللبنانيون الى مؤتمر سفراء الدول المنعقد في استانبول لبحث مختلف المسائل اللبنانية كانت من البواعث على خوف الاتراك وحملهم على مثل ذلك القرار . وهو لو نفذ لاحدث تطوراً خطيراً في البلاد ، على ان سليمان شفيق كمالي باشا حال دون تنفيذه

المذكرة اللبنانية

والمذكرة اللبنانية هذه تعد من اهم الوثائق السياسية السرية التي لم تنشر حتى الان باللغة العربية . فقد وضعتها « الجمعية اللبنانية » سنة ١٩١٢ ورفعتها سراً باللغة الفرنسية الى مؤتمر السفراء . وتمكنا بطريقة خاصة من الحصول عليها واذاعتها في « الاسرار » ، وهي تستهل ابحاثها بفصول مسهبة عن امتيازات لبنان . قالت :

« الغى العثمانيون الاحكام العدلية التي اقرها نظام لبنان واقاموا مقامها عدالة لا يعرف شكلها جعلوها اداة لمصالحهم الخاصة واهوائهم . وادعى بعضهم ان سكوت القناصل تأييد لهذا العمل المجرم ، مع ان سلامة البلاد وطمأنينتها لا يمكن ضمانها الا اذا كانت العدلية مستقلة . وهذا الاستقلال لن يحقق ان لم يكن متفقاً واحكام النظام المقرر . ولقد ألحت الدول في هذا النظام بضرورة احترام ذلك البند الخطير ، الا انها لم تطلب الاسراع في تحقيقه ، مما دعا الحكام



القائد العثماني غالب باشا

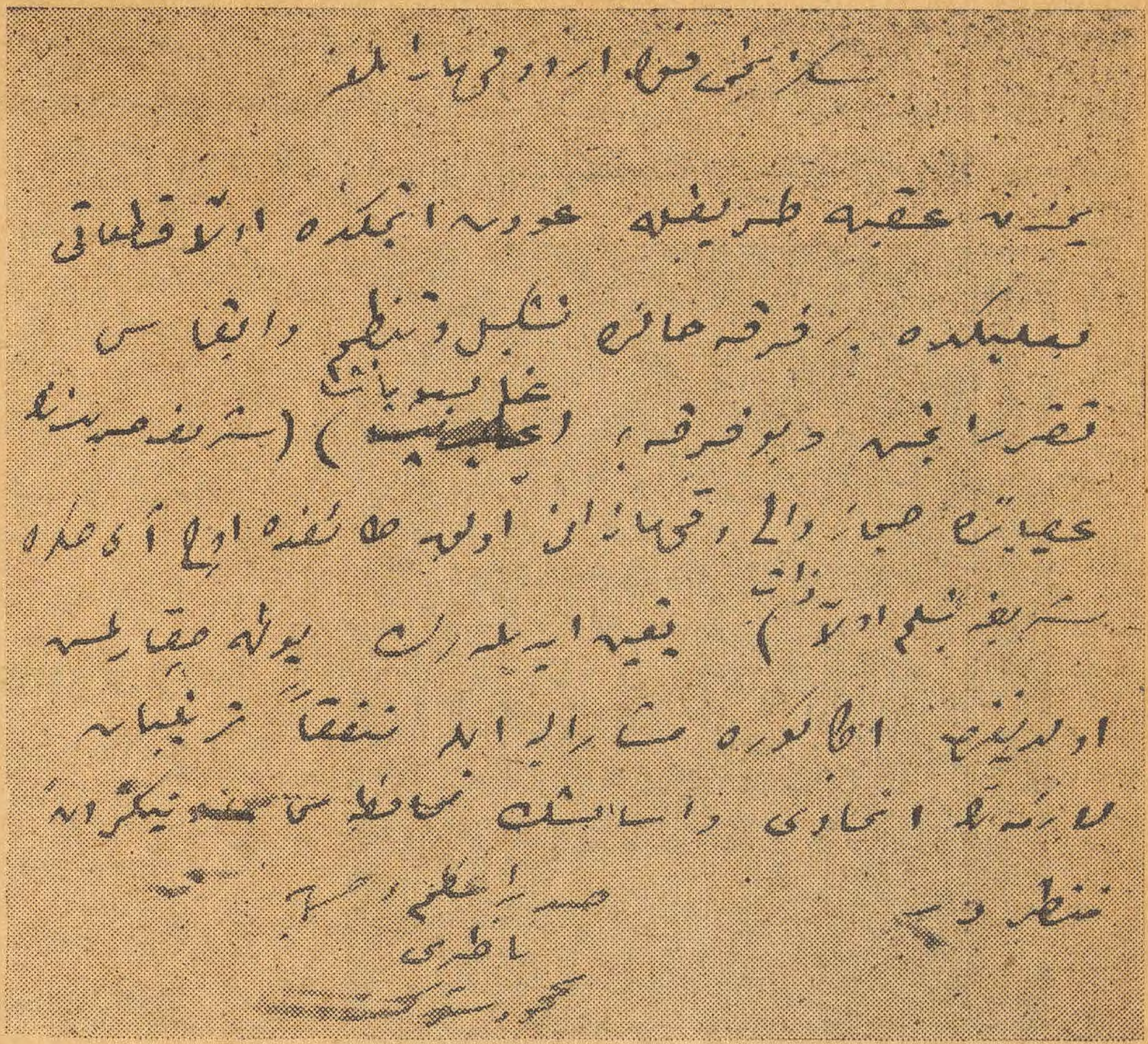
رسم القائد العثماني غالب باشا وهو برتبة اميرالاي . وقد مثل دوراً مهماً في البلاد العربية . فكان اخر قائد عثماني في الحجاز . وفي عهده اندلعت نيران الثورة العربية التي سيطالع قراء « الاسرار » تفصيلها في اجزائنا التالية

الى النيل من استقلال محاكمنا وحرياتها . فالاحكام لا تصدر بسوى ايحاء منهم »

مطالب اللبنانيين

وبعد ان فصلت المذكرة في مقدمتها الموقف وما يتوالى على البلاد من عدوان ، قالت :

« ان الاعتداء على حقوق لبنان يتوالى ويتعاظم . فالحقوق التي ادركناها كبلاد مستقلة استقلالاً تاماً او استقلالاً ادارياً يريد العثمانيون



برقية شوكت باشا

الى قائد الجيش العثماني في سوريا

وهي البرقية التي يدعو فيها الصدر الاعظم ووزير الحربية محمود شوكت القائد سليمان شفيق كمالي باشا الى انشاء فرقة في بعلبك لعزل لبنان عن سائر الولايات العثمانية . وقد رأينا اثباتها تأييداً لما نشرناه عنها في هذا العدد من « الاسرار »

ان يحرمونا اياها بمزاعم تنافي الصواب. ونحن نعرض في ما يلي ما نالنا به الحرمان :

«اولا — البرق والبريد. فان تركيا تستثمرها لحسابها الخاص ونفوذ ممثلها .

ثانيا — المرافيء والجمارك التي يحرموننا اياها ظلماً ويستثمرونها عنوة بحجة ان لبنان يجب الا يتمتع بها لئلا يضر بتجارة بيروت وطرابلس ، مع ان لبنان مستقل استقلالا اداريا وله حق التمتع بمياه سواحله . والمنطق والشرائع الانسانية تقضي بالا يخنق شعب له حق بالحياة والوجود والتمتع بحقوقه التي لا يمكن انكارها . تلك الحقوق المعروفة له منذ قرون . ومن الطبيعي ان يعطى لبنان احد مرافئه الطبيعية بيروت او طرابلس

«ثالثاً — ان اراضي المعيصره ، وعشر القرى القائمة في الشمال المدعوة « برر »، وحقوق لبنان في غربي البقاع ، كل هذه الاراضي على الحالة الموصوفة في الاتفاقات الدولية المتعلقة بلبنان انتزعت من لبنان ، في حين ان ضرائبها ما برحت مقيدة في موازنة الجبل

« هـذا ايضاح ما اصاب نظام لبنان الاساسي من خرق وما نال حقوق لبنان الطبيعيـة من حيف . ولا تزال الجهود ترمي الى النيل من استقلال لبنان . فان تركيا لاتبرح ساعية بالاعتماد على بعض مناصريها ، بدهاء ومن وراء ستار ، لتعيين نواب لبنانيين في مجلس

المبعوثان العثماني . فهي تريد ولا ريب ان تزيد في خرقها لنظام لبنان بالغاء استقلاله الاداري . وقد اعلن المتصرف الحـالي بقرار وزاري من استانبول ان لبنان في حالة حرب مع ايطاليا . ذلـك ليسهل عند الاقتضاء دخول الجيوش التركية الى لبنان . مع ان تركيـا والدول الست لا تملك واحدة منها ، دون موافقة الجميع ، حق اصدار قرار يتعلق بلبنان . والاتراك لا يزالون يفرضون علينا تذاكر النفوس مصدقـة من الحكومة التركية بحجة منح اللبناني حق الدخول بحرية وسهولة الى الديار التركية . على ان هذه التذاكر الضارة بامتيازاتنا لا يجوز تطبيقها في لبنـان . وما هي الا طليعة مقررات كثيرة يتمم بعضهـا بعضاً من شأنها هدم نظام لبنان واستقلاله الاداري »

وهذه الفقرة من المذكرة تدل على حقيقة المساعي التي بذلهـا ابناء لبنان قبل الحرب العالمية لتوسيع نطاق متصرفيتهم ، فيشمل لبنان البقاع وبيروت ، كما تدل على ما بذل الاتراك من جهة اخرى لالغاء الامتيازات اللبنانية . فهم بحملهم متصرف جبل لبنان على اعـلان « كون لبنان في حالة حرب مع ايطاليا » ارادوا ان تزول عن لبنان مزاياه في الاستقلال عن سائر الولايات العثمانية . وفي ذلك كل الدليل على ان رغبتهم في الغاء امتيازات الجبل واحتلاله عسكرياً كانت تجول في مخيلتهم قبل نشوب الحرب العالمية .

على ان اللبنانيين فطنوا للامر كما تشير الى ذلك مذكرتهم وقد

ماذا يطلب اللبنانيون ؟

وبعد ما اظهر اللبنانيون في مذكرتهم ما نزل بهم من حيف وما اصاب امتيازاتهم من انتهاك اوضحوا مطالبهم بجلاء ، وهذه هي :

«اولا — وقف كل احصاء متوقع ومسح للاراضي مادامت الحكومة غير مؤلفة وفقاً للنظام

ثانياً — دعوة حكومة لبنان الى التقيد بنظامي ١٨٦١، ١٨٦٤ اللذين ليسا الا نظاماً واحداً . الغاء كل ما من شأنه مس عدالتها ، خصوصاً القضاء الحالي ينبوع كل المصائب . وتأليف القضاء المنصوص عليه في النظام .

ثالثاً — الغاء الضرائب والرسوم الجائرة غير القانونية التي لا تتفق ومقدرة البلاد، وكل الشرائع العثمانية التي ادخلت لبنان بصورة مخالفة للقانون . ولدى حاجة لبنان الى اسباب العيش فعليه ان ينقض اتفاقاته الضارة مع شركات الاحتكار ويعزز المشاريع المفيدة الضرورية للبلاد .

رابعاً — تأمين حق البلاد في التشريع وفقاً لنظامها الدولي . وكيف تدير حكومة بلادها ان لم تملك هذا الحق الاساسي ؟ ...
ان في لبنان مجالس بلدية لا قانون لها يحدد تنظيمها وسلطتها . اجل ، ان المجلس الا يضع لها بعض قواعد ، ولكنه يبدل منها غيرها ساعة يشاء وهي قواعد لا تحقق النظام بل تنشر البلبلة والفوضى

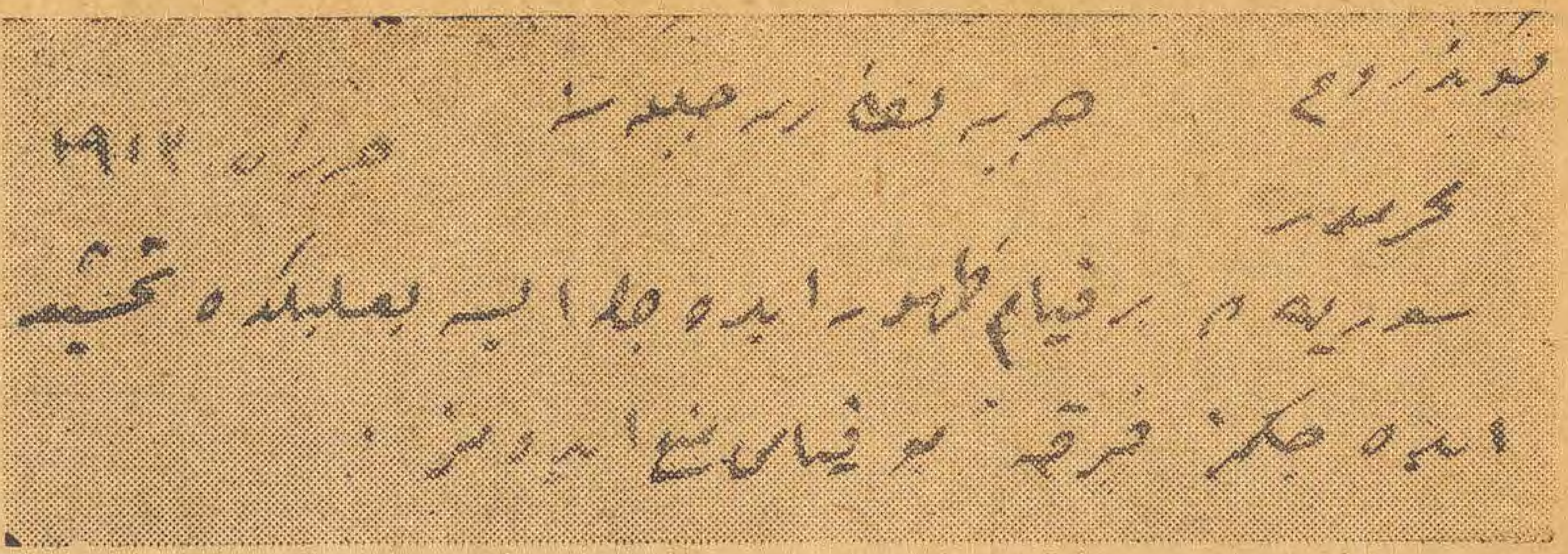
خامساً — اعلان حرية مرافقنا وجماركنا

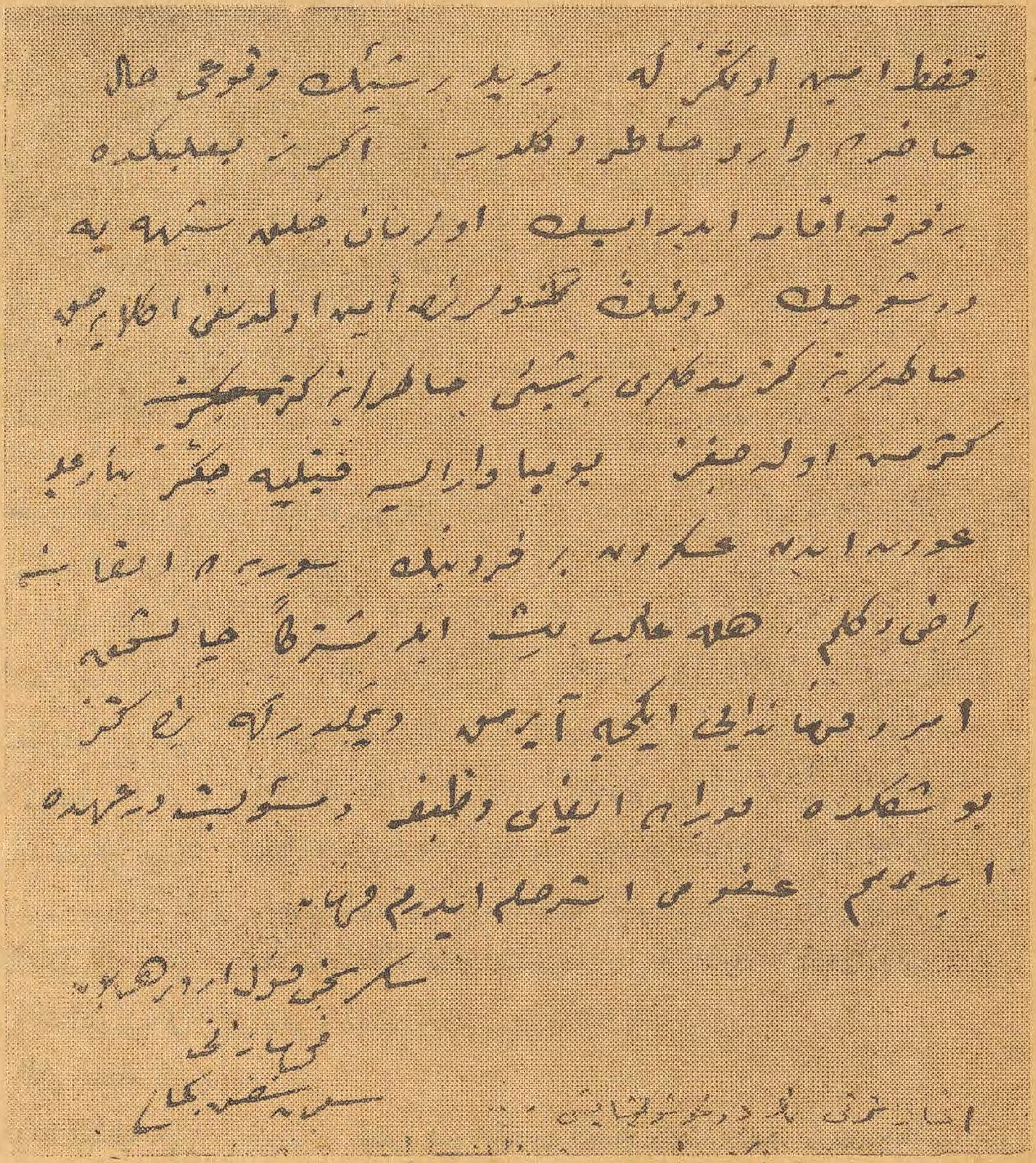
سادساً — انشاء محكمة تجارية في لبنان

سابعاً — عودة الاراضي التي انتزعت عنوة من لبنان

ثامناً — انشاء ادارة بريد وبرق في لبنان

تاسعاً — تحديد حقوق لبنان المستقل استقلالا ادارياً وحقوق تركيا ، تحامياً لارتباك الامور . ان الحكومة الحالية اخضعت لبنان لقضاء المجلس الحربي في بيروت كأن لبنان وهذه المدينة في حالة حصار . وشاءت اخيراً حكومة بيروت ان تجرم صحافياً من زحله « لبنان»





برقية قائد الفيلق الثامن الى الصدر الاعظم

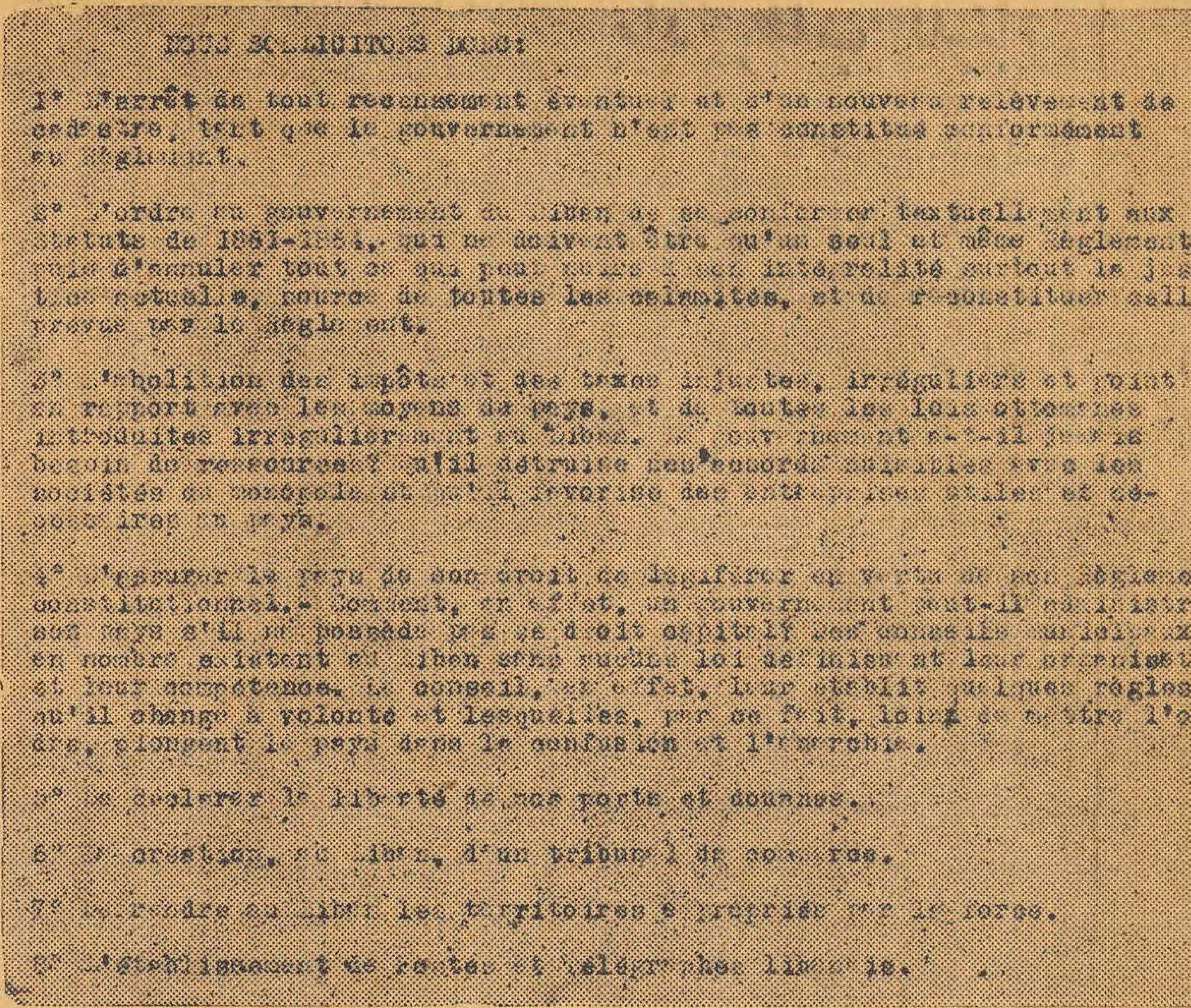
دافع سليمان شفيق كمالي باشا، قائد الفيلق العثماني الثامن ، عن السوريين واللبنانيين . وهذا الرسم المأخوذ بالزنكوغراف يشير الى البرقية التي طيرها الى الصدر الاعظم واثبتنا نصها في هذه النشرة وفيها يقاوم انشاء حاجز عسكري بين سوريا ولبنان

وضعوها في آخر عام ١٩١٢ ، وفيها ما يعلن خوفهم مما تبيته لهم الدولة العثمانية .

مذكرة اللبنانيين

الى مؤتمر السفراء

في سنة ١٩١٢ رفع الاستاذ شكري يزبك باسم الجمعية اللبنانية ، وهو رئيسها ، مذكرة اللبنانيين الى مؤتمر السفراء . والرسم الذي بجانبه الزنكوغراف بجانب هذا الكلام مأخوذ عن النسخة الاصلية الموضوعة باللغة الفرنسية . وقد تولينا في هذا العدد ترجمتها بالحرف



NOUS SOLLICITONS DONC:

1° L'arrêt de tout recensement éventuel et d'un nouveau relèvement de cadastre, tant que le gouvernement n'est pas constitué conformément au Règlement.

2° L'ordre au gouvernement du Liban de se conformer textuellement aux Statuts de 1861-1864, qui ne doivent être qu'un seul et même Règlement, et d'annuler tout ce qui peut nuire à son intégralité surtout la justice actuelle, source de toutes les calamités, et de reconstituer celle prévue par le Règlement.

3° L'abolition des impôts et des taxes injustes, irréguliers et point en rapport avec les moyens du pays, et de toutes les lois ottomanes introduites irrégulièrement au Liban. Le gouvernement a-t-il jamais besoin de ressources? qu'il détruise ses accords nuisibles avec les sociétés en monopole et qu'il favorise des entreprises utiles et économiques au pays.

4° D'assurer le pays de son droit de légiférer en vertu de son Règlement constitutionnel.- Comment, en effet, un gouvernement peut-il administrer son pays s'il ne possède pas ce droit capital? les conseils municipaux en nombre existant au Liban sont sans aucune loi les définissant et leur organisation et leur compétence. Le conseil, en effet, leur établit quelques règles qu'il change à volonté et lesquelles, par ce fait, loin de mettre l'ordre, plongent le pays dans la confusion et l'anarchie.

5° De déclarer la liberté de nos ports et douanes.

6° La création, au Liban, d'un tribunal de commerce.

7° De rendre au Liban les territoires s'appropriés par la force.

8° L'établissement de postes et télégraphes libanais.

فابت حكومة لبنان طلبها دون تردد . واصدر المجلس الحربي في بيروت مذكرة توقيف بحق صحافي من الحدث « لبنان » ولم ينج هذا الصحافي الا بتدخل اصحاب النفوذ لدى هذا المجلس ، لان حاكم لبنان اراد تسليمه الى المجلس الحربي مهما كلف الامر . على اننا رأينا في البلاغات الدولية التي نشرت على اثر وضع النظام ان حقوق السيطرة الاسمية التي تبقى لتركيا تنحصر بتعيين الحاكم فقط .

وقد احتجت الدول على خرق الانظمة ولكنها لم تلح في طلب الغاء هذا الخرق

وهناك امر مدهش ، وهو ان حكومة لبنان لا تأذن لاحد من رعاياها بان يباشر مشروعاً من المشاريع دون اذن من استانبول . في حين ان النظام لا يجيز هذا الاذن الا اذا كان بيت المال السلطاني يساعد نفسه في نفقات المشروع ، او ان تكون الحكومة اللبنانية هي صاحبة المشروع . اما الشعب فيجب ان يكون حراً مطلقاً ، واذا احتاج الى اذن فمن الحكومة اللبنانية لا غيرها

والخلاصة : تبين بوضوح ان لبنان المستقل ادارياً بضمان الدول لا يمكنه ان يتقيد بشؤونه بادنى قضاء تركي ، مع ان كل شؤونه التجارية يتعلق النظر فيها بمحكمة بيروت التجارية بسبب اقفال مرافئنا وجمارکنا ، واقامة قناصل الدول في بيروت

ثم ان حكومة لبنان يجب ان تقيم اقامة دائمة في دير القمر العاصمة المعينة في النظام

هذه هي وسائل العيش التي يستطيع اللبنانيون ان يجنوها من انعام الاستقلال الاداري ، وقد قضي عليها بان تحتكرها بيروت وطرابلس

***

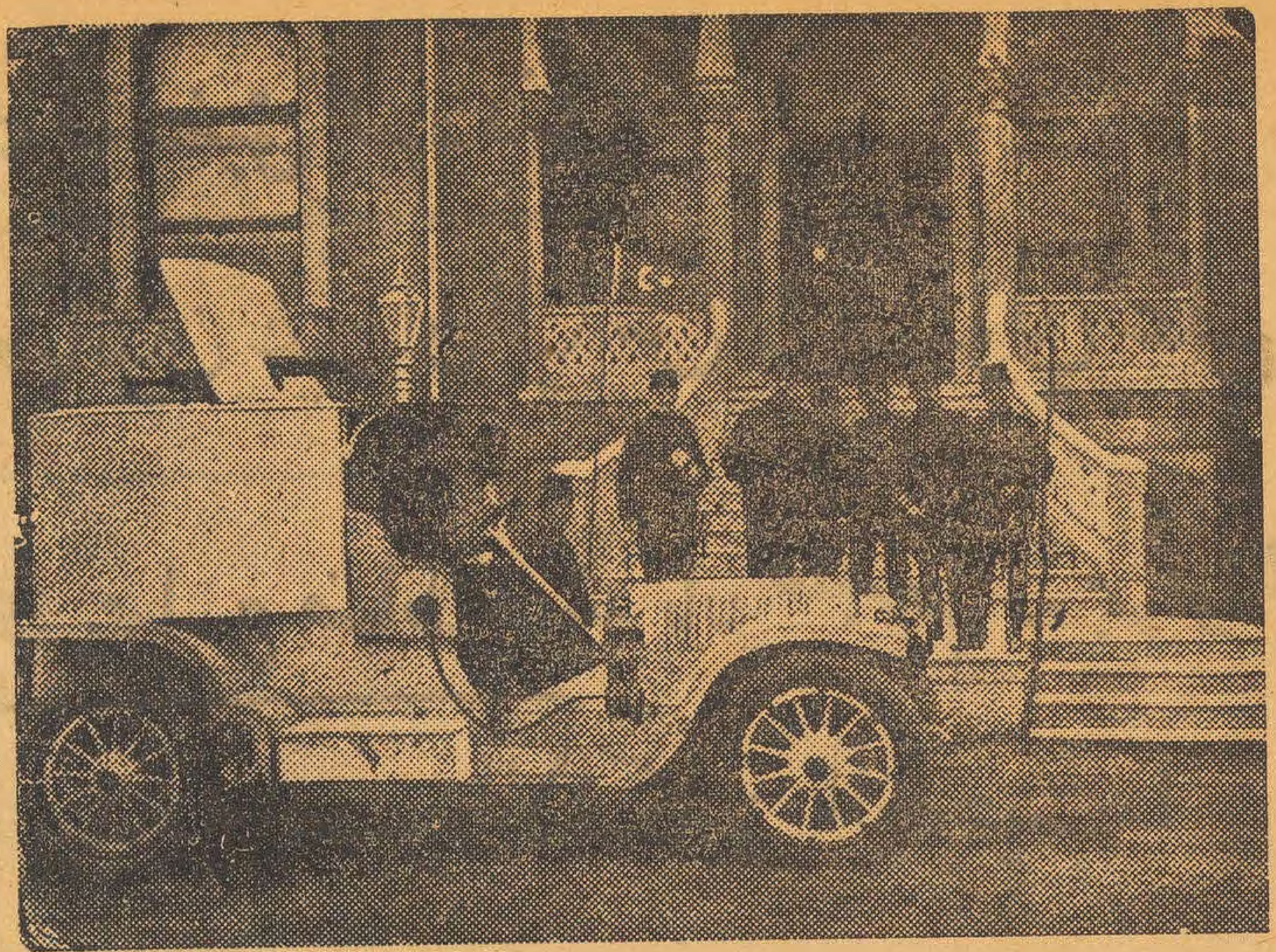
ان حاكم لبنان مسؤول ، وفقاً للمادة الاولى ، عن كل اعماله . ومن البديهي ان هذه التبعة لا يمكن ان تكون الا تجاه مجلس الادارة . فمن الضروري اذاً ان يقسم الحاكم وكل الموظفين يمين الاخلاص للدستور اللبناني . وهذا امر غير ممكن تحقيقه ما دام المجلس الاداري غير منتخب بالتصويت العام كما يقضي به روح النظام ومنطقه ، فالحكام لا يبرحون لدى انتخاب المجلس الاداري يستعينون بنفوذ منصبهم وبضغطهم لانتخاب انصارهم

***

كثيرة هي مخالفات النظام وامور خرقه كما اوضحنا . فيجب اذاً لاراحة الدول من هذه الاحوال المزعجة فرض الدواء الآتي :

اولا — ان تتنازل الدول وترفع في نظام لبنان عدد النواب الى اربعة اضعاف ما هو عليه ، ليكون لهذه المؤسسة الوطنية قوة اكبر وقيمة اعظم ، وان تمنح قضاء دير القمر حق الاشتراك في المجلس الاداري وقد حرمت دير القمر هذا الحق دون سبب ، مع انها كانت في كل زمن عاصمة لبنان .

ثانياً — ان تجري الانتخابات بالتصويت العام ، والا يكون لشيوخ القرى من دور غير ان يضعوا امام لجنة الانتخابات لائحة اصوات قريتهم التي يجب ان تحمل امضاء كل ناخب . والاكثرية



محمود شوكت باشا

وار كان حربه

يبدو في هذا الرسم ، الى اليسار ، محمود شوكت باشا الصدر الاعظم وقد وقف امام درج وزارة الحربية ، والى يمينه انور باشا وكان برتبة بنباشي وعن شماله ضباط اركان الحرب.

وفي الرسم تبدو سيارة مصفحة تدلنا على حالة السيارات المصفحة منذ ربع قرن

المكتسبة من هذه اللوائح تقرر تسمية الناخب

ثالثاً ـ ان يعاد مجلس الستة وفقاً لنظام ١٨٦١ وسلطته كسلطة مجلس عسكري ومجلس وزارة . على ان يزاد عدده الى ثلثي مجلس الادارة الكبير وان يحافظ على طريقة الانتخاب التي ينص عليها نظام ١٨٦١

رابعاً ـ ان يحرم الحاكم بعد تعيينه في لبنان كل منصب في تركيا ، فيمكنه حينئذ ان يكون وطنياً لبنانياً ، ويشغل مناصب عالية في لبنان ، او يحال الى التقاعد

خامساً ـ ان لا يعلن الحاكم بعد وصوله الى لبنان الفرمان السلطاني فقط ، بل يعلن ايضاً بروتوكول الدول الحامية ، وبعد ذلك يجب عليه ان يقسم ، امام المجلس ، يمين الاخلاص لنظام لبنان وألا يمكنه ابداً ان يكون رئيساً لفرقة من الغرف ، على انه يمكن ان يحوز حق التولية شأن كل حاكم دستوري

فعلى هذه الاسس العادلة الضرورية لحياة الشعب يمكن الحاكم والمجالس المسؤولة القانونية ان يديروا بحكمة بلادهم ، ويحققوا الاصلاحات الضرورية

اجل ، هنالك كثير من الامور الضرورية لحسن الادارة كزيادة عدد المحاكم البدائية ، وانشاء محاكم صلحية في القرى ومجالس اقضية وفقاً لنظام ١٨٦١ وغير ذلك ، ولكن هذا من حق حكومة قانونية مسؤولة

واخيراً نتمنى ان يدرك الحاكم المقبل ان العدالة والتجرد هما اساس كل سلطة والضمان الوحيد للسلطة العثمانية على هذه البلاد الممتازة»

***

هذه هي المذكرة التي لم تنشر بلغة من اللغات حتى الان والتي تنفرد « الاسرار » باذاعتها خدمة للتاريخ ، وهي تدل بصراحة تامة على موقف اللبنانيين قبل الحرب العالمية من قضيتهم حيال العثمانيين

المعارك في مضيق الدردنيل

الانكليز يتقهقرون امام العثمانيين غير ان اليأس لا يستولي عليهم

القائد « هاملتون » الانكليزي يصارح ضباط جيشه بان عليهم ان يموتوا !

مجهود العثمانيين الجبار يهدمه صبر الانكليز العجيب !

لم يوفق الانكليز في المعارك الحربية التي قاموا بها صباح ٢٥ نيسان في ساحل « آري بروني » و « سد البحر » وقد تمادى بهم الفشل حتى المساء ، واظهرت لهم المعارك التي خاضوا غمارها انهم لا يملكون المقدرة على اختراق هذه الجبهة

وعلى الاثر عقد الجنرال « بردفورد » قائد قوات «الازاك» الانكليزية اجتماعاً مع ضباط اركان حربه وتباحثوا في الموقف بدقة فعرضوا المعارك التي جرت وظهر لهم ان الخيبة كانت نصيبهم وان ليس بالامكان المضي في القتال اذا بقي الامر على هذا المنوال .

وارسل القائد تقريراً باللاسلكي الى الجنرال « هاملتون » القائد العام المقيم على متن المدرعة « كوينغ اليزابيت » يقول فيه :

« بدأت قواتنا الزحف الى الامام ووجهتها «قانلي سرت» دون ان تلقى مقاومة تذكر ، حتى اذا اصبحت على مقربة من المرتفعات التي يكمن وراءها الاعداء امطروها فجأة بالرصاص . وكان عدد العثمانيين يزيد على ١٦٠٠ جندي فانزلوا بقواتنا خسائر عظيمة في الارواح وضعضع هذا الهجوم صفوفنا واخذنا نتراجع

و « خسرنا في هذا التراجع المعيب كثيراً من القتلى مما دعاني الى تعزيز قواتي بقوات احتياطية اخرى تمكنت من الثبات تجاه الاعداء مدة من الزمن ، غير انها اضطرت في النهاية الى التراجع

« وحاولنا في هذا اليوم اتيان المستحيل والتقدم حتماً واحتلال المرتفعات ، الا ان العدو اكرهنا على التراجع مع كل جهد ابديناه

خلاصة الموقف الحربي

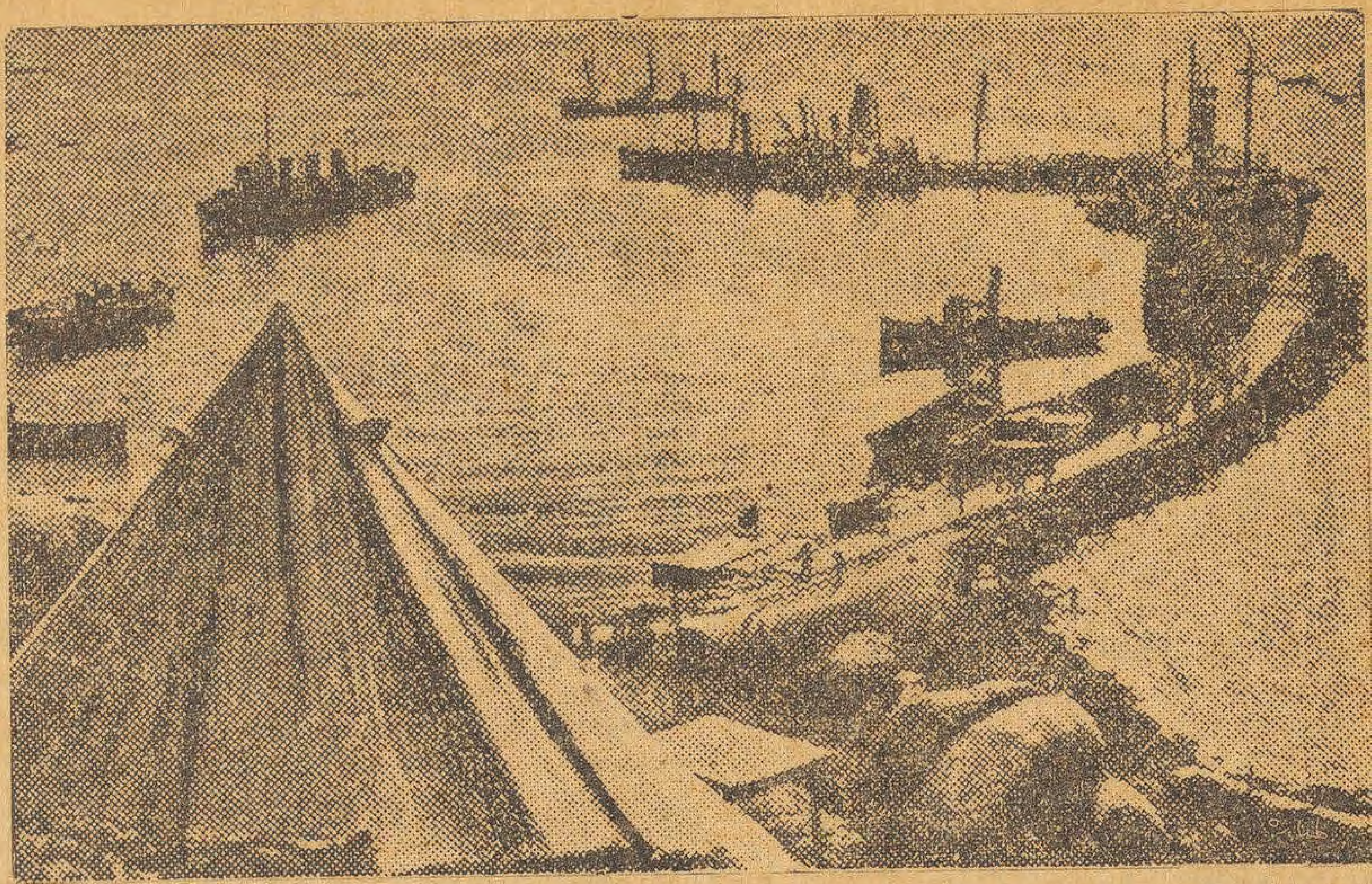
« فلم نكن في هذا النهار من الموفقين . فان قواتنا التي تمكنت من النزول الى الساحل بصعوبة لم تتمكن من التقدم كثيراً ، ولم يملك قوة السيطرة على الهضبات المطلة على البحر ، مع ان الاسطول يحميها !

« واری من الصعوبة احتلال المرتفعات الاخرى اذا بقينا في



الجنرال « هاملتون » الانكليزي

القائد العام لقوات الحلفاء في الدردنيل ، وقد ألقى على عاتقه مسؤولية الحملة على شبه جزيرة جناق قلعه



احتلال ساحل قوم قلعة

يرينا هذا الرسم سواحل « قوم قلعة » التي احتلتها القوات الفرنسية صباح ٢٥ نيسان وفيه نصبت خيامها . وتبدو في الصدر وحدات من الاسطول الانكليزي الفرنسي

هذه الجبهة على ما نحن عليه
« فمن الواجب علينا :
« اولا — تعزيز قوات منطقة « آري بروني » بفيلق جديد
« ثانياً — ايجاد جبهة جديدة قريبة من منطقة « آري بروني » تساعد على تخفيف وطأة الضغط العثماني
« ثالثاً — ايفاد وحدات جديدة من القوات الانكليزية البحرية للاحاطة بهذه الجبهة وتعطيل المدفعية العثمانية التي تزعج مراكزنا
« رابعاً — لدى صعوبة تحقيق هذه الاهداف فمن الضرورة دعوة القوات الانكليزية المسكرة في هذا الساحل الى المؤخرة وذلك في اقرب فرصة ممكنة »

***

هذا هو تقرير القائد « بردفورد » الى الجنرال « هاملتون » القائد العام لقوات الحلفاء في الدردنيل

مؤتمر حربي انكليزي

وما كاد القائد العام « هاملتون » يتلقى هذا التقرير باللاسلكي وهو على متن المدرعة « كوينغ اليزابت » حتى اقترب بالمدرعة من ساحل « قبة تبه » وعقد على متنها مجلساً حربياً حضره الجنرال « بردفورد » وامير البحر وضباط اركان حربه وضابط اركان حرب القائد العام ، وبحثوا الموقف الحربي في منطقة « اري بروني » وخطورته . وكان رأي معظم هؤلاء القادة يرمي الى دعوة القوات من « اري بروني » ، خصوصاً وليس في دعوتها ما يناقض اوامر اللورد كيتشنر القائلة باجتناب التضحية بقوات غفيرة والاكتفاء بانشاء خطوط مواصلات على الشواطىء البحرية

عليكم ان تموتوا !...

والتفت القائد « هاملتون » الى امير البحر « نورسيه » قائد الاسطول وسأله قائلا :

— كم يلزمنا من الوقت لسحب هذه القوات من مراكزها ؟

فاجاب امير البحر : نحتاج الى يومين على اقل تقدير !

فخرج القائد العام « هاملتون » عن طبعه السكسوني البارد وخاطب الجنرال « بردفورد » قائد قوات الاحتلال الاوسترالية بقوله :

— ما دامت الحالة كما ذكر امير البحر فعليكم اما ان تموتوا هنا مع قواتكم او ان تجدوا لكم منفذاً للخلاص باندفاعكم الى الامام !

وما تلفظ الجنرال « هاملتون » بكلامه هذا حتى اعلن انفضاض المجلس ، وبذلك تقررت متابعة السير في الحملة حتى النهاية .

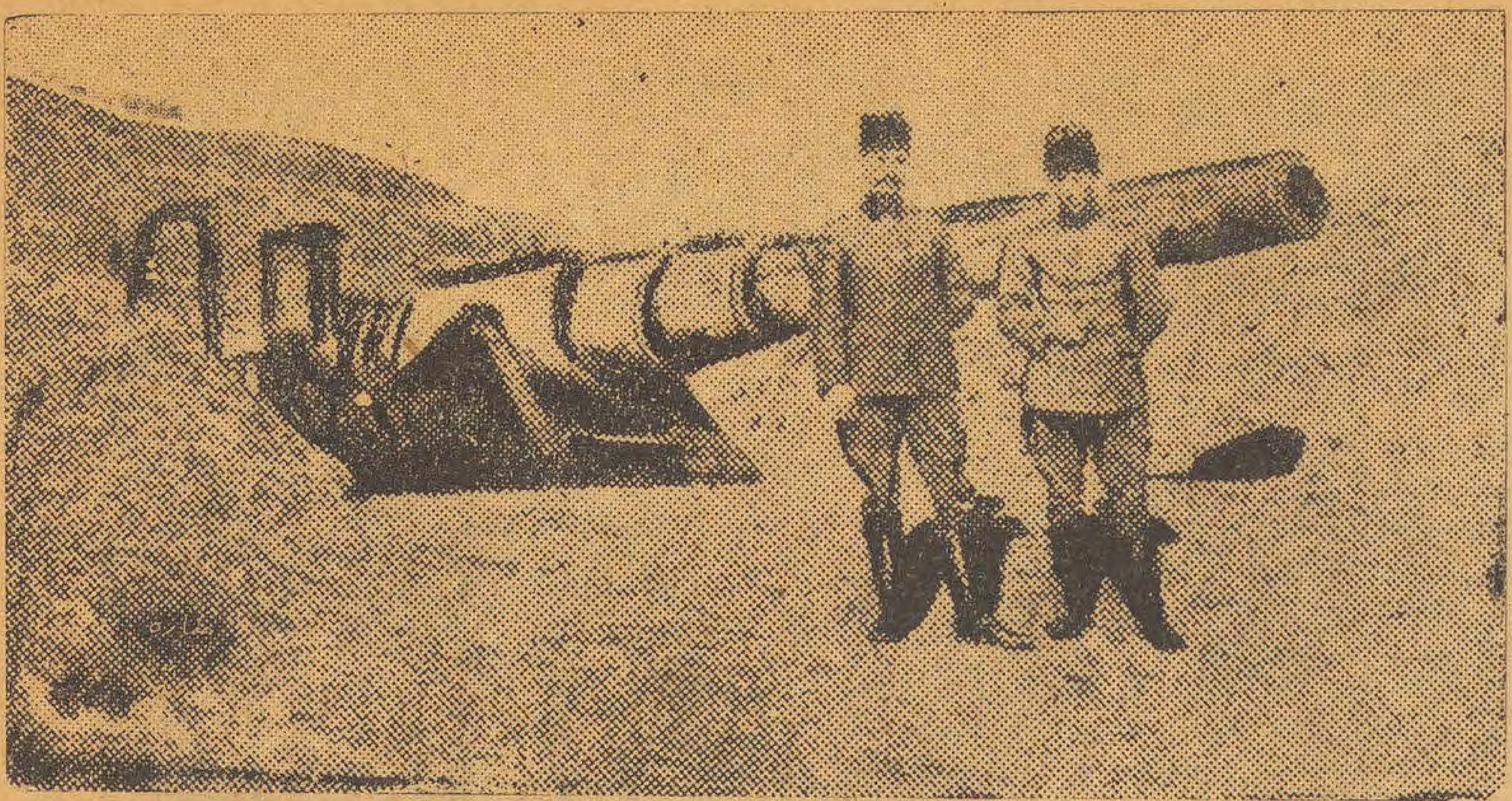
في جبهة سد البحر

هذا ما جرى في منطقة « اري بروني » في خلال الاربع والعشرين الساعة الاخيرة . والآن ننتقل بالقراء الى جبهة « سد البحر » وقد اعتمد الانكليز اتخاذها جبهة ثانية

شاهد حراس هذه المنطقة الاتراك اساطيل الحلفاء تتقدم نحوهم كما شوهدت هذه الاساطيل في الوقت نفسه تندفع الى مرفأ « تكه بروني » في جبهة « اري بروني » عينها . وبدأت الاساطيل ضرب المراكز العثمانية منذ الساعة الخامسة صباحاً . وهذه الاساطيل مؤلفة من ست مدمرات تمشي في المقدمة ووراءها المدرعات « فنجانس » و « واغاممنون »

مدفعية ارطغرل العثمانية

احد المدفعين العثمانيين على مرتفعات « ارطغرل » اللذين تمكنا من صد الهجوم الانكليزي ، وامامه قائد المدفعية حلمي بك وعلى مقربة منه مساعده الملازم الاول فخري افندي



و « جوليات » ، « و كرونواليس » و « ولورياليس » ، « و ألبيون » ، فامطرت بقذائفها المواقع العثمانية بشدة متناهية

رواية شاهد عيان

ووصف لنا اليوزباشي ادهم بك المعركة فقال :

ــ حجب عنا الدخان المنبعث من قذائف اسطول الاعداء منظر البحر . وساعده على ذلك الضباب المنتشر في تلك الانحاء . وضعضعتنا القذائف المنصبة على منطقتنا دون ما انقطاع ، وبتنا كأننا في يوم الحشر لا نرى ولا نسمع غير دوي اقلق مسامعنا

« وقابلنا في البدء هذا الاعتداء بسكون الموت ، الا ان احدى المدفعيات العثمانية ما لبثت ان اجابت بالمثل ، غير انها لم تدرك الهدف وهي لا تري شيئاً امامها .

« واستمر الاعداء في اطلاق قذائفهم نصف ساعة من الزمن وقفوا بعدها قليلا . وتمكنا عند ذاك من مشاهدة عوّامات كثيرة ملأى بالجنود تندفع الى الساحل

« وتساقطت قذائف الاسطول بكثرة فائقة على المنطقة المتوسطة لاستحكامات « تكه بروني » و « سد البحر » . فنالتنا في هذه المواقع الاضرار الجسيمة وانهارت معظم الاستحكامات العثمانية . واشترك في المعركة مدفعان من مدافع العثمانيين على مرتفعات « ارطغرل » ، اما الجنود فظلوا في استحكاماتهم لا يحركون ساكناً بل يرقبون الموقف وايديهم تشد على بنادقهم استعداداً لمقاومة الانكليز

الحرب في الجبهة الثانية

« وشوهدت العوامات تحمل ثلاث كتائب من الجنود الانكليزية وتقترب من ساحل قرية « ارطغرل » بهدوء تام . ولما باتت على بعد

ميل من الساحل اخذ الجنود يلوّحون بقبعاتهم لابداء السرور وقد اعتقدوا ان المدفعية انقذتهم من العثمانيين وانهم سيحتلون الساحل دون اقل مقاومة . ولكن ما وصلوا الى بعد مئتي متر من الساحل حتى باغتهم الجنود العثمانيون باطلاق الرصاص . واطلق المدفعان الباقيان على مرتفعات ارطغرل قذائفهما على هذه العوامات . واذا نصفها ــ وهي اربع وعشرون عوامة ــ ينقلب دفعة واحدة في البحر ويتعالى صراخ الغرقى في التماسهم النجاة

« ولكن هذه الكارثة وقد ذهبت بنصف الجنود لم تحملهم على العودة من حيث اتوا بل زادت في جرأتهم ورغبتهم في الانتقام لرفاقهم ، فاندفعوا الى الامام بشدة .

والاسطول ، وكان قد وقف عن اطلاق مدافعه على المراكز العثمانية لاعتقاده ان ما قام به كاف لهدم الدفاع العثماني ، ما كاد يرى ما حل بقوانه حتى عاد يمطر الاستحكامات العثمانية في مرتفات « ارطغرل » بقوة متناهية

الا ان هذه الحركة المتأخرة لم تفد قوات الاحتلال شيئاً وهي في موقف شديد الخطورة وعلى مرمى من رصاص العثمانيين الذين بطشوا بهذه الكتائب ، فلم يصل منها الى الساحل ما يزيد على ٢٥٠ جندياً ، فاتخذوا صخور الشاطىء متاريس لهم ترد عنهم رصاص الاستحكامات العثمانية

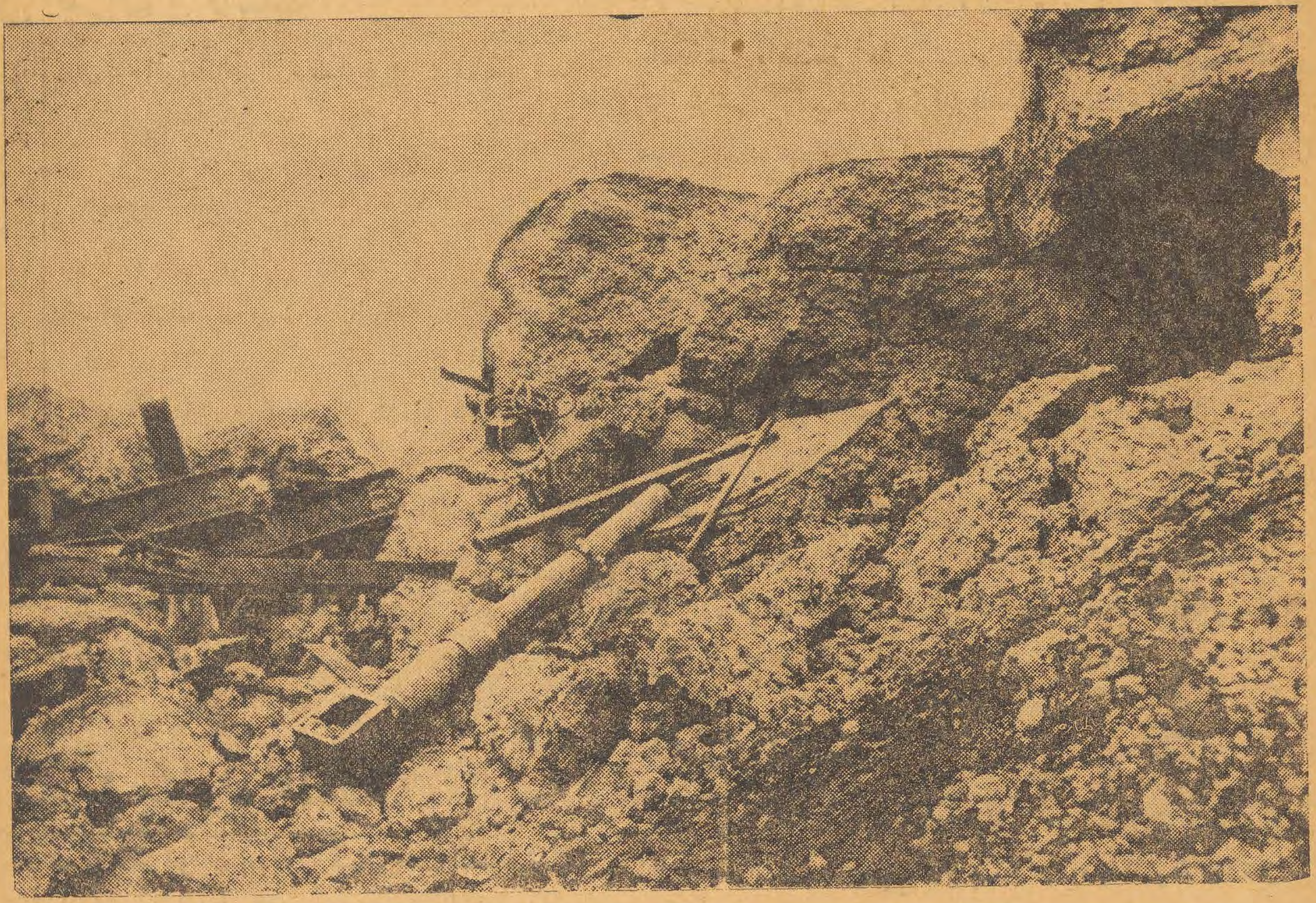
وكان ان وفق الالاي ٢٦ ، المدافع عن هذه الجبهة ، لشل حركة انزال الجنود الانكليزية دون ان يصاب باضرار تذكر في الارواح

محاولة انكليزية ثانية

وشعرت القيادة الانكليزية بهذا الفشل المروّع النازل بالقافلة الاولى من قواتها فما لبثت ان حولت دفة الباخرة « ريفركلايد » الى

الجهة الشمالية لتنزل فيها الفي جندي من آلاي « هامشير »
واقتربت هذه الباخرة من الساحل بسرعة جنونية والجنود على متنها يتقلدون سلاحهم ، بمادل القيادة العثمانية على ان هذه المحاولة الخطرة ترمي الى انزال الجنود منها وأساً الى الساحل بلا عوامات .

ورأت القيادة الانكليزية جنودها يتساقطون قتلى دون ان يتمكنوا من المقاومة فحولت ثلاث مدمرات الى الجهة القريبة من الباخرة اخذت تمطر الاستحكامات العثمانية بوابل من القذائف . ودام ذلك نحواً من نصف ساعة ، وكان كافياً لتحويل مرتفعات



مدفعية ارطغرل المعطلة في جناق قلعه

مجرد نظرة على هذا الرسم يمكن القارئ ان يقدر هول معارك جناق قلعه التي هدمت الصخور وخربت المدفعيه والرسم يشير الى حصن « ارطغرل » بعد تعطيل مدفعيته

وهذا ما حصل . فالباخرة ظلت مندفعة الى الشواطىء بسرعة الا ان هذه الحركة لم تفد الانكليز والباخرة لم تزل بعيدة عن هدفها . وما تجلت للعثمانيين نياتها حتى امطروها رصاصهم
وهذه المحاولة الفاشلة من لدن القيادة الانكليزية افقدتها الباخرة وكل من عليها من جنود. فان هؤلاء وهم محصورون على متن الباخرة لم يتمكنوا من المقاومة ، فسقطوا صرعى تحت رصاص العثمانيين ، ولم ينج منهم الا العدد القليل الذي تمكن من الاختفاء في العنابر

الساحل الى سهول منبطحة، ودفعت تحت حماية هذه القذائف الجهنمية ثلاثة الاف من الجنود بقيادة الجنرال « نابيار » قائد آلاي « هامشير » لمقاومة حركات الجنود العثمانية وانقاذ البقية الباقية من جنود الباخرة « ريفر كلايد » والسير بهم الى الشاطىء

معركة هائلة

وهذه القوات ، وهي تزيد على ثلاثة الاف مقاتل ، لم تتمكن

من الاقتراب اكثر من نصف ميل من الساحل. فالقوات العثمانية المؤلفة من بلوكين فقط والمالكة بضعة رشاشات وثلاثة مدافع جابهت القوات الزاحفة اليها وانزلت بها خسائر فادحة، تساعدها في مهمتها المرتفعات المنيعة المخندقة فيها

مقتل الجنرال « نابيار »

واصيب في هذه الموقعة الجنرال « نابيار » بثلاث رصاصات وهو بجانب الهضبة المطلة على البحر يدير حركة انزال الجند. فقضي عليه على الفور مع ضابط من اركان حربه.

ومقتل هذا القائد الانكليزي ضعضع الصفوف الانكليزية المحتشدة في الساحل فاخذت تتراجع الى البحر.

وعادت مدفعية الاسطول الى ضرب المنطقة بشدة لم يعرف التاريخ الحربي اشد هولا منها.

وتمكن الجنود الانكليز في اثناء ذلك من نقل جثة قائدهم الصريع الى احدى المدرعات الحربية.

والجنرال « نابيار » اول قائد كبير ذهب ضحية معارك جناق قلعه.

اما خسائر القوات الانكليزية في هذه الحملة الخطرة فكانت منذ الساعة الخامسة الى التاسعة صباحاً نحواً من الفين بين قتيل وجريح

الانكليز يحتلون المنطقة

غير ان الانكليز ابوا ان يعودوا بالخيبة. فصب اسطولهم قذائفه على تلة « ارطغرل » وما لبث ان اتلف ما تحوي من المدافع، مما مهد للانكليز السبيل الى احتلال هذه المنطقة وقد اضطر افراد البلوكين ١٠ و ١١ من الآلاي ٢٦ العثماني، وهما اللذان يتوليان الدفاع عن هذا الساحل، الى التراجع قليلاً.

ومع كل ما ابدى الانكليز من جهد لم تتمكن قواتهم من التقدم اكثر من ميل واحد في ذلك اليوم

في جبهة « تكه بروني »

ومنطقة « تكه بروني » منطقة ساحلية قليلة الصخور، تمتد على طول خمسمئة ذراع بعرض ستين ذراعاً. وقد حملت اليها جنود الاحتلال المدرعة « اولوريالس »

ولكن هؤلاء الجنود بلغوا الشاطىء على عوامات قسمت الى ثمانية صفوف، كل صف منها مؤلف من اربع عوامات، وقد جرّت باخرة صغيرة كل صف منها الى الساحل لدى الساعة السادسة من صباح ٢٥ نيسان سنة ١٩١٥، وما كادت هذه العوامات تقترب من الساحل حتى قابلها العثمانيون برصاص البنادق والرشاشات وقذائف المدفعية، فانقلب بعضها الا ان البقية ابت الوقوف وتابعت تقدمها عملا بالخطة المرسومة لها

وساعد الحظ هذه القوات فبلغت هدفها. وكانت المدرعة «انفلكسيبل» الانكليزية قد تمكنت من الوصول الى بعد نصف ميل من الشاطىء واخذت تمطر المراكز العثمانية بقذائفها مما ساعد القوات على الوصول الى الشط واكره القوات العثمانية على التراجع

اشتداد القتال

واتصل النبأ بقائد الطابور الثالث فاوفد في الحال البلوك التاسع الاحتياطي لتعزيز الجبهة الامامية. على ان هذا الطابور ما كاد يصل الى مرتفعات « قره جه اوغلو » المشرفة على « تكه بروني » حتى اصطدم بقوات الانكليز الزاحفة الى الامام، واشتبك واياها في معركة شديدة لم تمكنه من الثبات طويلا والنجدات تتوالى على الانكليز من البحر، فتم لهم احتلال المراكز الساحلية في منطقة « تكه بروني » وهي المنطقة الثانية التي احتلها الحلفاء في جناق قلعه

الجبهة الثالثة

وتقدمت القوات الثالثة من ساحل ميناء « مورتو » في الساعة السادسة والنصف من صباح ٢٥ نيسان تحت حماية المدرعة الانكليزية « كرونواليس »، فقابلتها المدفعية العثمانية باطلاق المدافع واغرقت بعض العوامات المقلة الجنود

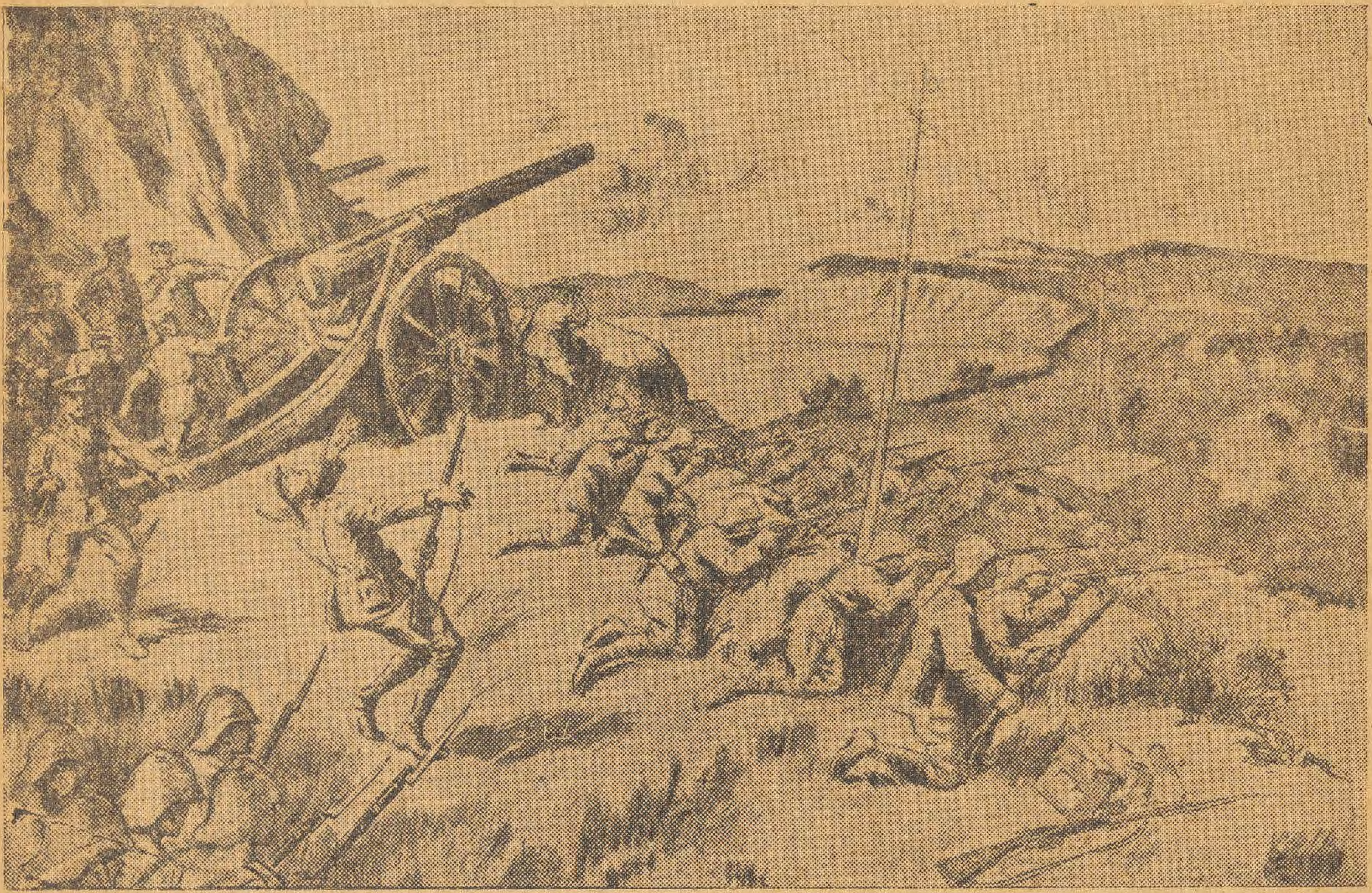
الا ان المدرعتين « اغاممنون » و « اللورد نلسون » ما لبثتا ان اسرعتا الى منطقة القتال وشقتا المدفعية العثمانية بقذائفهما فاسكتتاها، وتمكنتا من حماية القوات التي نزلت في الشاطىء وجاوزت في ذلك اليوم الخطة المرسومة لها، فتقدمت مسافة طويلة احتلت بها مصب نهر « جيراويزدرة » ثم مرتفعات « حصار لغي »

وكانت المدفعية الانكليزية قد قطعت اسلاك الهاتف العثمانية فما استطاع قائد الالاي ٢٦ المشرف على هذه الجبهة معرفة الحقيقة الا بعد ساعة من الزمن، فاوفد الى المنطقة قواته الاحتياطية الاخيرة ولكن دون ما جدوى. فالانكليز كانوا قد تمركزوا بصورة نهائية وباتوا مسيطرين على هذه البقعة من الساحل العثماني وانصرفوا الى تهيئة المعدات للقيام بالهجوم المقرر على المرتفعات الامامية

جبهة جديدة

وفيها القوات الانكليزية تحاول احتلال الزوايا المثلثة من قرى «سد البحر»،وفيها حشدت قوات الدفاع العثمانية ،عمدت قيادة الحلفاء القوات الانكليزية في هذه الحركة معناه الاحاطة بجناح القوات العثمانية الايمن ، والقضاء عليه ثانياً ، واجبار القوات العثمانية الاحتياطية جميعاً على خوض قلب المعركة

واقتربت القوات الانكليزية من هذا الساحل دون اقل مقاومة



اول مركز للانكليز في جناق قلعة

بعد ما احتل الانكليز مرتفعات « باقوم صاليغ » المشرفة على كيرته نصبوا هناك مدفعيتهم وقاموا لمقاتلة الجنود العثمانية وهذه اول مرة ينصبون فيها مدافعهم في هذه الجبهة

في الدردنيل الى انشاء جبهة جديدة في الشمال الاقصى من رأس « تكه بروني » في منطقة « باقوم صاليغ » المجاورة لبلدة «كيريه»

فاقبلت الى هذه الجهة مدمرتان تتقدمها المدرعة الفرنسية « جوليان » وعليها طابور من قوات « كنغ سوفن » الاسكوتشية وطابور من الاي « بيلمون » البحري

وخطر انزال هذه القوات شديد على الجبهة العثمانية ، وهي في نزولها هذه المنطقه تستطيع الزحف على « كيرته » في اقرب آن وقطع خط الرجعة على القوات العثمانية . وبصورة اوضح ان فوز

ودون خسارة جندي من جنودها ، ومشت الى المرتفعات المسيطرة على الساحل بلا مقاومة . فالفرزة العثمانية المقيمة في هذه المرتفعات حاولت في البدء المقاومة الا انها لم تستطع الثبات في اماكنها تجاه القوات الغفيرة التي هاجمتها . فاضطرت الى التراجع بعدما فقدت في هذه المعارك عدداً كبيراً يزيد على نصفها . واطلعت على امرها قائد الالاي ٢٦

وكانت القوات الرئيسية للالاي ٢٦ في ساحة الحرب ، ولم يكن لديه من القوات الاحتياطية سوى افراد البلوك الخامس من الطابور

الثاني ، فاوفد هذا البلوك لمقاومة حركة انزال الجنود في الشواطيء

نشوب المعركة

وبذل الكولونل « كوئه » قائد القوات الاسكوتشية دهاءه العسكري لتنفيذ الخطة التي رسمها له الجنرال « هاملتون » في الاحاطة بجناح القوات العثمانية الايمن ، الا ان المقاومة العنيفة التي لقيها منعته من التقدم خطوة واحدة . ودارت في ذلك اليوم ، ٢٥ نيسان ١٩١٥ ، معركة شديدة بين الفريقين استمرت خمس ساعات متوالية تراجعت في نهايتها القوات الانكليزية الى الساحل ، وفيه تولت حمايتها الوحدات الحربية البحرية

بيان الموقف

ويتبين للقراء من هذا الايضاح ان اعمال الانكليز في احتلال جبهتي سد البحر و « ارني بروني » اخفقت تماماً

فالانكليز في كل هذه المحاولات رجعوا فاشلين ولم يتمكنوا من التقدم وقد تولتهم الخيبة . فاضطروا الى البقاء في المناطق الساحلية واحياناً كانوا يعودون ادراجهم .

اما الفرنسيون !

هذه هي الحالة الحربية في الجبهة التي حاول الانكليز ان يسيطروا عليها ، اما الموقف في الجبهة المخصصة بالقوات الفرنسية فكانت كما يلي:

بدأت القوات الفرنسية عملها بضرب جناق قلعه في منطقة « قوم قلعة » . والاجتماع الذي عقد في مقر قيادة الحلفاء العليا في الدردنيل قسم الاعمال الحربية في هذه الجهات التي تمتد على طول ١٥٠ ميلا مربعاً الى مناطق انكليزية ومناطق فرنسية

ويتضح من الوثائق التاريخية الموجودة لدينا ان الجنرال هاملتون القائد العام لقوات الحلفاء ، كان يرمي من وراء احتلال الساحل الاناضولي لمنطقة « قوم قلعة » الى حماية جبهة القوات الانكليزية في « سد البحر » ومرفأ « مورتو »

ولتحقيق هذا الهدف قرر احتلال اللسان الممتد بين نهر « موندروس » والساحل البحري

ولم يقرر القائد العام في خطته هذه التقدم اكثر من ذلك ، بل هو دعا القوات الموجودة في هذه المنطقة الى التراجع اذا لقيت مقاومة تذكر ، مما يدل على ان الحركات الحربية كانت محدودة والمنطقة التي كانت ميداناً لهذه الحركات ارض منبطحة بطول تمتد الى قلعة « قوم قلعة » القديمة . وعهد بهذه الحملة الى الكولونل « رويته » قائد الاي المستعمرات السادس يعاونه بطاريه صحراء من عيار ٧ سنتيمتر ونصف وبلوك استحكامات

واقترب الجنرال « داماد » من هذه الجبهة لادارة الحركات الحربية على المدرعة « لوري جيري » ، وعهد الى المدرعات « هنري كاتر » و « وجان دارك » و « لوري جيري » الفرنسية والمدرعتين « برنس جورج » الانكليزية و « اسكولت » الروسية بالسهر على انزال الجنود في هذه المنطقة

القوات العثمانية

والقوات العثمانية المكلفة الدفاع عن هذه المنطقة مؤلفة من الفرقة الثالثة ومن بلوك احتياطي موزع بين « قوم قلعه » و « يني شهر » ، اما بقية قوات حامية المرفأ فقد تراجعت الى المؤخرة ولم يكن هناك عدد كاف من القوات العثمانية

بدء الحركات

وفي الساعة الرابعة والدقيقة ١٥ من صباح ٢٥ نيسان ١٩١٥ وصلت وحدات الاسطول الى جوار « قوم قلعه » والقت مراسيها عند مدخل المضيق المطل عليها

وهناك نظم الجنرال « داماد » المشرف على هذه الحركات اعمال الاسطول . وفي الساعة الرابعة والدقيقة ٤٥ بدأت مدفعية الاسطول ضرب المراكز العثمانية . اما قوات الجيش ، وكان من الواجب وصولها الى هدفها في الساعة السادسة ، فقد تأخرت الى الساعة السابعة والدقيقة ١٥ واحتلت السواحل المجاورة « لقوم قلعه »

وحاول الملازم علي افندي مقاومة هذه القوات الغفيرة بالبلوك الوحيد الذي كان يملكه ، الا انه لم يتمكن من الثبات طويلا تجاه الهجمات العنيفة فاضطر الى التراجع بقواته الى « يني شهر » بعد ان خسر في المعركة نصف قواته

معركة شديدة

على ان تقدم القوات الفرنسية لم يطل امده في هذه الجهة وقائد الفرقة العثمانية الثالثة تمكن في الساعة العاشرة من ذلك الصباح من ارسال الطابور الاول ومهاجمة القوات الفرنسية. فردته على اعقابه . فاستنجد بالطابورين الآخرين الموجودين لديه فجرت في ذلك النهار اربع معارك بين الفرنسيين والعثمانيين كان الفوز فيها بجانب



قوات الدفاع العثمانية تجاه الفرنسيين

قائد الفرقة العثمانية الثانية يتقدم مشرفاً بنفسه على الحركات الحربية ويتطلع بمنظاره الى الجبهة وبجانبه ضابطان من اركان حربه وامامهم المدافع الرشاشة المكلفة مقاومة زحف الفرنسيين

الفرنسيين الذين صدوا في الهجمات الاربع القوات العثمانية واكرهوها على التراجع بعد ان انزلوا بها خسائر فادحة في الارواح . وخسائر الفرنسيين انفسهم لم تكن مما يستهان به

اول معركة بالسلاح الابيض

وهذا الفشل الذي منيت به القوات العثمانية اهاب بقائد الفرقة الثالثة الى متابعة الهجوم ليلا ، فجمع في المساء قواته الاحتياطية كافة وخطب فيها يعلمها ان عليها مطاردة العدو ، فأما ان تجليه عن هذه المواقع نهائياً واما ان تفنى على بكرة ابيها

وفي الساعة السابعة مساء أبدت القوات العثمانية هجومها على القوات الفرنسية

ودافعت القوات الفرنسية دفاعاً مجيداً الا انها اضطرت في النهاية الى التراجع الى قرية « قوم قلعة » وفيها نشبت معركة شديدة بالسلاح الابيض بين الفريقين

ووصف لنا اليوزباشي برهان الدين بك الموقف فقال :

ــ لما تراجعت القوات الفرنسية الى قرية « قوم قلعة » لم يكن يدور في خلدها ان قواتنا ستلحق بها الى هذه القرية ، كما ان قيادتنا لم تكن ترغب في زج الجنود في هذا الاتون. ولكن هناك دوافع تمنع الناس في بعض الاحوال من ان يملكوا اعصابهم ، ولهذا اندفع جنودنا الى الامام ولم يشعروا الاوهم في قلب القرية يقاتلون الاعداء بالسلاح الابيض

« وتحولت القرية في طرقها الضيقة ومنازلها المتهدمة الى مسلخ بشري هائل

« وزاد في خطورة موقفنا من السفن الحربية الراسية بالقرب من مرفأ « قوم قلعة » ان هذه السفن كانت تسلط انوارها الكاشفة على القرية فتمكنت من تفريق قواتنا واصلاء الموجودين بالقرب منها ناراً حامية من رصاص الرشاشات ، وضربت مدفعيتها مؤخرتنا بشدة متناهية . فلم يبق عند ذاك امامنا الا التراجع بعد ان بلينا بالخسارة الفاحشة ! »

ولما تراجعت القوات العثمانية عن هذه المنطقة انسحبت القوات الفرنسية الى منطقة سد البحر، اذ لم يكن هدفها احتلال هذه المنطقة بل القيام بمداورة حربية لجس نبض العثمانيين، على انها فقدت في هذه الحركة ٨٠٠ جندي من ٢٨٠٠ جندي هم مجموع الحملة

انزال الجند في بشيغه

واتماماً للفائدة عما وقع في ٢٥ نيسان سنة ١٩١٥ من معارك في شبه جزيرة « جناق قلعة » ننقل الى قراء « الاسرار » محاولتين اخريين قامت بهما جنود الحلفاء في منطقتي « بشيغة » وخليج « ساروس »

جري انزال الجنود في « بشيغه » من خمس سفن نقالة تحت حماية ثلاثة طرادات والمدرعة « جان دارك » ، وقد شوهدت هذه القطع لدي الفجر عند الساحل واخذت تضرب المواقع والاستحكامات العثمانية حتى الساعة الحادية عشرة تماماً ، ثم انزلت فئات من الجنود، وبعد ان ناوشت القوات العثمانية واخرت حركتها في الجهات الاخرى عادت بعد الظهر فسحبت من البر هذه القوات

في بولاير

اما المداورات التي قامت بها قوات الحلفاء في « بولاير » على خليج « ساروس » فكانت اشد من الاولى .

فركب في سبع سفن انكليزية عدد كبير من بحارة الحلفاء وصحبت هذه البواخر مدرعة وطرادان ومدمرتان تتولى حمايتها

واقتربت السفن لدي طلوع الفجر من الساحل وبدأت ضرب المراكز العثمانية بشدة ، وعمدت بعض السفن الصغيرة الى جمع الالغام المنثورة عند مدخل خليج « ساروس »

ولدى المساء حاول الحلفاء خدعة العثمانيين فتظاهروا بانهم يحاولون انزال قوات من جنودهم في هذه المنطقة . وانزلوا ١٢٠٠ جندي اركبوهم في النقالات البحرية واقبلت الزوارق تجرهم الى الساحل

وفي الساعة التاسعة والنصف من مساء ٢٥ نيسان انزل الحلفاء قسما من قواتهم الى هذه المنطقة، ثم عادوا بعد ساعة وسحبوها دون ان يفكروا في ان يتقدموا خطوة واحدة

فائدة هذه الحركة

واستفاد الحلفاء من التظاهر بمحاولة احتلال هذه الشواطىء فائدة كبيرة وقد تمكنوا من خديعة ليمان فون ساندرس باشا قائد القوات العثمانية العام

فالمشير الالماني وقد توهم ان بوسعه صد قوات الحلفاء كان على اعتقاد تام ان الحلفاء لن يعمدوا الى احتلال شبه جزيرة «جناق قلعة» من سوى خليج « ساروس » و«بشيغه» . ولذا احتفظ بقواته الرئيسية في هذه المنطقة طول ذلك اليوم يأبى التفريط فيها

ولو لم يقيض القدر لمصطفى كمال بك قائد الفرقة ١٩ العبث باوامر القائد الالماني والاسراع الى « آري بروني » للدفاع عن تلك الجبهة لاحتل الحلفاء المراكز الاولى التي يرغبون في احتلالها ولاسقط في يد الجيش العثماني في الدفاع عن تلك الانحاء

وليمان فون ساندرس باشا ادرك في اليوم التالي خطأه وقد تجلت له الحقيقة ، واعترف بالامر الواقع ، وهنأ مصطفى كمال باشا بما ادرك من فوز وكلفه معالجة الموقف وصيانة الجبهة من احتلال الحلفاء لها

حوادث ٢٥ نيسان

يتبين لقراء « الاسرار » مما بسطناه آنفاً ان اعمال يوم ٢٥ نيسان التي قامت بها القوات الانكليزية والفرنسية كانت معارك بحرية في الدرجة الاولى ومعارك برية في المناطق الساحلية . على ان الحلفاء في كل هذه الحركات لم يتعدوا حدود المناطق الساحلية . ومن حاول منهم التقدم فشل واضطر الى التراجع الى الساحل تحت ضغط القوات العثمانية

بعد حوادث ٢٥ نيسان

وليس من شك في ان اهم مواقف الحرب في منطقتي « سد البحر » و« اري بروني » كانت بين صباح ٢٦ نيسان ، وفيه احتل الحلفاء السواحل ، صباح ٢٧ منه وقد وصلت فيه النجدات العثمانية . والحلفاء الذين تمكنوا في حوادث ٢٥ نيسان من معرفة عدد القوات العثمانية وقوتها عمدوا في ليل ٢٥ — ٢٦ نيسان الى انزال جميع قواتهم الى الساحل ، وظلت القوات العثمانية المؤلفة من بقايا الفرقتين التاسعة والتاسعة عشرة بلا اسعاف مدة ٢٤ ساعة

وحاول القائمقام مصطفى كمال بك بكل قواه المحافظة على موقفه . ومحاولته هذه خطرة وهو تجاه قوات تفوق قواته اضعافاً مضاعفة . ووقعت يوم ٢٦ نيسان معارك شديدة بين الفريقين تمكنت في خلالها قوات الفرقة التاسعة عشرة من الثبات في مراكزها مانعة القوات الانكليزية من السير الى الامام وفاسحة المجال للقوات العثمانية الخلفية في التقدم يوم ٢٧ نيسان وحماية مؤخرة الجبهة العثمانية

وفي الايام الاربعة الاخرى التي انتهى بها شهر نيسان لم تقع معارك جديدة في جبهة جناق قلعة وكل من الفريقين انصرف الى تعزيز مواقفه في هذه الجبهة استعداداً للمعركة الكبرى التي وقعت في اول ايار سنة ١٩١٥

اسرار الحرب الكبرى

بقلم كرم ملحم كرم

ايطاليا تبدي [illegible] ال النمسا والمانيا كل يقظة لئلا تنكب بالخيبة

فرنسوى جوزف يلتمس من ايطاليا المساعدة فيجيبه فكتور عمانوئيل انها تريد السلم

غليوم في تهديد ووعيد!

لما فكر الامبراطور فرنسوى جوزف في تعبئة جيوشه ابرق الى املك ايطاليا فكتور عمانوئيل الثالث يبلغه ارتياح النمسا لاعتمادها على حليفتها ايطاليا . وفي ٢ آب اجاب ملك ايطاليا انه تناول برقية صاحب الجلالة امبراطور النمسا . وعالنه في جوابه ان ايطاليا بذلت كل مجهود لضمان السلام ، وانها لن تتردد في بذل كل مجهود تقوى به على اقرار الهدؤ في اوربا . وموقفها تجاه حليفتها موقف ودي لا يتبدل . فالاركان التي قام عليها الائتلاف الثلاثي لا يزال قائماً عليها ، والشعب الايطالي يجتهد في حماية المصالح الكبرى الموكول اليه الشح بها

الرأى العام الايطالى

ولم يكن الرأي العام الايطالي يميل الى خوض الحرب بجانب النمسا . فالانظار اتجهت في ايطاليا الى امر واحد وهو استعادة « ترانت » و« تريستا » . وتساءل الجميع عن الطريق الواجب سلوكه لامتلاك هاتين المدينتين ، أتنضم ايطاليا الى الحلفاء للحصول على هذه الامنية ام تقاتل بجانب النمسا والمانيا ؟

وتساءل الرأي العام الايطالي ايضاً عن العزلة ، أليست افضل نهج تنهجه ايطاليا لادراك وطرها ؟

وتدابير الحكومة الايطالية في شهر آب حملت النمسا على الارتياب في حليفتها . فالحاميات الايطالية المقيمة على الحدود الفرنسية انتقلت الى « التيرول » ، وانتقلت ثلاثة ألوية مع مدفعيتها من ولاية « لومبارديا » الى ولاية « فاناسيا »

ودعيت الجيوش الى القيام بمناورات حربية . وفيالق الشمال الثلاثة في « ميلانو » والبندقية « و بولونا » انتقلت الى الحدود النمسية والسويسرانية . فخافت النمسا وهي ترى في ديار حليفتها سبعمئة الف جندي تحت السلاح لا يهبون الى نصرتها

سياسة العزلة

وكان قد وقع اختيار ايطاليا على سياسة العزلة . فما شهرت النمسا الحرب على صربيا حتى نادت رومه بان ايطاليا لا تخوض الحرب وهي تناصر السلم . فاكبر الحلفاء هذه العاطفة فيها . وفي مساء ٢ آب سنة ١٩١٤ حيت باريس العلم الايطالي كما حيت العلمين الانكليزي والبلجيكي . وفي جلسة ٤ آب التاريخية في المجلس النيابي الفرنسي صفق النواب لرئيس الحكومة الفرنسية السيد «فيفياني» وهو يعلن ان الدولتين اللاتينيتين الشقيقتين — وهو يريد فرنسا وايطاليا — لن



فكتور عمانوئيل الثالث ملك ايطاليا والملكة هيلانه امرأته واولادهما

تقفا موقف الخصومة بعضهما من بعض

وايطاليا وهي الساعية لضمان مصلحتها قبل كل مصلحة رأت في العزلة تحقيق ما تصبو اليه،فكأنها على يقين ان المانيا والنمسا ستلقيان الخيبة،وفي خيبتهما لها الهوان ، وفي فوزهما لن تظفر بحصة الاسد

عدا ان الجيش الايطالي لقي في حرب طرابلس الغرب الشدائد، فما برح يحتاج الى تجهيز وتنظيم . وموقف ايطاليا نفسها من الائتلاف الثلاثي يقضي عليها اذا شاءت دخول الحرب الى جانب الحلفاء ان تتريث لئلا تتهمها حليفتاها المانيا والنمسا بالخيانة .فلا سبيل الى الخروج عليهما بسوى الانتظار ، حتى اذا ما توفرت لديها الحجة مالت عن الائتلاف وعضدت الحلفاء في الجزورة الكبرى

كيف تقوض الائتلاف الثلاثي

والائتلاف الثلاثي بدأ يتقوض في السنة ال ١٨٩٨ ، يوم امضى الاقتصادي الايطالي الشهير السيد « لوزاتي » باسم الحكومة الايطالية معاهدة تجارية بين ايطاليا وفرنسا . فالوقيعة وقعت منذ ذلك الحين،

وشعرت المانيا والنمسا بان حليفتهما ايطاليا ذات موقف مترجر
وانها تتقرب الى فرنسا وهي لاتينية مثلها.وفي السنة الـ١٩٠٣ لما
الملك فكتور عمانوئيل والملكة هيلانه مدينة باريس لقيا في
استقبالا شائقاً . ولم يزعج هذا الاستقبال الدولة الالمانية في الظاه
فكانت واثقة بنفسها ، موقنة ان نظرة واحدة منها تهيب بايطاليا
الجمود والامتثال لمشيئة برلين

على ان النفور ازداد شدة بين الدولتين الجرمانيتين والحـ
اللاتينية . فالمصالح متضاربة وللنمسا ولايطاليا في بحر الادريا
من الاهواء المتناقضة والميول المتباينة في القصد والهدف ما يد
حتما الى فسخ التحالف . ولما شهرت ايطاليا الحرب على تر
وهاجمتها في طرابلس الغرب انتصبت النمسا للدفاع عن تركيا وصار
ايطاليا بانها تمنعها من القيام بعمل حازم . فتفاقم الخلاف . وكا
النمسا تفاجىء الحدود الايطالية . وذلك ما اوضحته ايطاليـ
مذكرة رفعتها الى الدول يوم طاب لها خوض الحرب الكبرى . فـ
« تأهب اركان حرب النمسا في سنة ١٩١١ الى مهاجمة ايطاليا .فالحـ
العسكري رمى الى هذا الهدف . والجيوش التي احتشدت على ا

حفدة غاريبالدي

في بدء الحرب الكبرى

آل « غاريبالدي » في ايطاليا مدينون بسمعتهم ومقامهم للقائد « غاريبالدي » البطل الايطالي العظيم . فهو مشيد الوحدة الايطالية سنة ١٨٦٠ ، وقد عانى في سبيل ذلك الاهوال . فهاجم كل دولة تأبى الانضمام الى ايطاليا . وكان للحبر الاعظم في رومه نصيب من هجمات القائد الايطالي عليه، فاغتصب منه رومه ونادى بسيطرة آل « سافوى » عليها

والرسم البادي الى جنب هذا الكلام يمثل حفدة البطل العظيم في بدء الحرب الكبرى، وقد سقط من الجالسين من الصف الاول اثنان في ساحات القتال الفرنسية



الايطالية دلت على رغبة النمسا في اجتياح الديار الايطالية ... »

حجة ايطاليا على العزلة

ومما تذرعت به ايطاليا في انتهاج سياسة العزلة ان النمسا لما جابهت صربيا بذلك الانذار القاسي اللهجة لم تعمد الى استشارة ايطاليا في الامر ، كأن ايطاليا وهي حليفتها لا شأن لها في المعضلة ، فما اتصل بها النبأ الا وقد حملته اسلاك البرق الى الجميع . ومثل هذا الاستخفاف لا يدل على حسن النية . فالنمسا تعلم حق العلم ان ايطاليا لا تمهد لها الطريق الى السيطرة في البلقان

والسيد « جيوليتي » السياسي الايطالي الشهير اعلن ذلك في ٥ كانون الاول ١٩١٤ في المجلس النيابي الايطالي قائلا ان النمسا طلبت من ايطاليا في شهر آب ١٩١٣ تأييدها في غزو صربيا ، فكان جواب رومه ان ايطاليا ترى وجود صربيا في البلقان امراً لا ندحة عنه لتوطيد التوازن البلقاني ، وهي لا ترى بوجه من الوجوه ان يصاب هذا التوازن بالاختلال

وهذا الجواب من ايطاليا حال دون اهتمام النمسا باطلاعها في سنة ١٩١٤ على ما تنويه في صربيا . ومع انتهاج النمسا هذه السياسة ، سياسة [illegible] ، طلبت من ايطاليا ان تعضدها في حرب ١٩١٤ ، فاجابت ايطاليا انها لا تخرج عن موقفها الودي من النمسا ، ولكنها لا تستطيع ان تحمل السلاح لتعكير السلام

وفي شهر تموز ١٩١٤ عمد المركيز ده سان جيليانو ، وزير الشؤون الخارجية في حكومة ايطاليا ، الى تحذير النمسا من سماع تحريض حكومة برلين لها على محاربة صربيا ، قائلا ان شرارة البلقان تحرق اوربا ، وان لا بد لانكلترا من التدخل [illegible] ذلك . على ان برلين كانت ابلغ اثراً في « فينا » [illegible]

ضمان يصبح قيداً

وكتب المنشئ الفرنسي السيد « ألبر بنغو » في كتاب تحت عنوان « ايطاليا منذ ١٨٧٠ » قال : « بحثت ايطاليا عن ضمان لسلامتها في ميثاق التحالف الثلاثي المعقود سنة ١٨٨٢ ، فاذا الضمان يمسي قيداً . وهذا القيد شاءت ايطاليا الخلاص منه ، خصوصاً وقد شعرت بان في وسعها التحرر من كل ضغط واستبداد . فان ازدهار تجارتها وصناعتها ، وتبسطها الاستعماري ، ونهضتها الفكرية تساعدها على بلوغ ما تطمع فيه من سيادة مطلقة بالاعتماد على ساعدها . فليست بحاجة الى العضد الجرماني كي تأخذ مكانها تحت الشمس

قلنا ان ايطاليا ابت خوض الحرب الكبرى الى جانب النمسا والمانيا ، واوضحنا ما يهيب بها الى الوقوف عن نصرة حليفتيها . فهـ

...نها نية حسنة حيالها . وفي ٢٥ تموز ١٩١٤ رأت ان تميط ... موقفها . فاعلنت ان مطالب النمسا من صربيا مهينة لايطاليا. ... ٢٧ و ٢٨ سألت حليفتيها هل تعيدان اليها الولايات الايطالية المسيطرة عليها النمسا اذا رغبت في ان تخوض الحرب الى جنبها ؟

وعالن السيد « سونينو » وزير الشؤون الخارجية الايطالية ، الكونت « برختولد » مستشار النمسا ان المادة السابعة من معاهدة الائتلاف الثلاثي تفرض على النمسا التعويض لدى احتلالها بعض المناطق حتى لزمن موقوت . فحاولت النمسا في البدء ان تميل عن هذا المبدأ . وقلقت المانيا لجمود الدولة الايطالية فاوفدت الى رومه الامير « ده بيلوف » مستشار الامبراطورية الالمانية السابق ، للتهديد والوعيد. فوصل « ده بيلوف » في ٢٠ كانون الاول ١٩١٤ الى رومه مزوداً بسلطة واسعة . وكان سخياً في مفاوضاته الايطاليين ، فجاد عليهم بالوعود بلا حساب حتى اثار استخفافهم بما يسمعون منه

ماذا عرضت النمسا على ايطاليا ؟

وفي ١٨ كانون الثاني ١٩١٥ رأت النمسا ان تحقق مطلب ايطاليا في التعويض نزولا على منطوق المادة السابعة من ميثاق التحالف ، فماذا عرضت عليها ؟... عرضت عليها ولاية « نيس » وولاية « سافوى » الفرنسيتين ، فاجابت ايطاليا بلسان وزير خارجيتها السيد « سونينو » انها ليست تجهل حقها في هاتين الولايتين ، ولكنها تطالب بهذا الحق ساعة تشاء ، فليست بحاجة الى من يلفت نظرها اليه

وكان قد حل السيد « بوريان » في منصب المستشار النمسي الاول محل الكونت « برختولد » . فعرض على ايطاليا بعد رفضها ولايتي « نيس » و « سافوى » امتلاك جزر « الدوديكانيز » واحتلال مرفأ « فالونا » الالباني ، فاجابت ايطاليا ان ما تعرض عليها النمسا لا يصح اتخاذه قاعدة في ما يجري بينهما من مفاوضات

فاخذت النمسا في المماطلة ، فابدت ايطاليا نفاد الصبر قائلة انها تريد الجزم بالامور ، فهي بحاجة الى اطلاق يدها في العمل كما يقضي بذلك ميثاق التحالف نفسه

وتدخلت المانيا فدعت النمسا الى الاسراع في ارضاء ايطاليا . فطلبت النمسا مهلة اسبوعين لتمنح ايطاليا ما تشاء من الديار ، الا انها اقامت العثرات في الطريق ، فابت ان تعطي ما رضيت باعطائه اياه الا ... وقد انتهت الحرب . وضمنت المانيا هذا العطاء ، فما كان من ايطاليا الا ان صارحتها بانها لا تحترم قولها وتوقيعها

واخيراً طلب مستشار النمسا من وزير الشؤون الخارجية في ايطاليا ، السيد « سونينو » ان يوضح رغائبه . فلبى الوزير الايطالي الطلب ووضع مذكرة تحوي احدى عشرة مادة جا فيها :

مطالب ايطاليا من النمسا

اولا — على النمسا والمجر ان تمنحا ايطاليا ولاية « ترانتان » وما بلغت في سنة ١٩١١ في تلك النواحي حدود المملكة الايطالية

ثانياً — ان يعاد النظر لمصلحة ايطاليا في الحدود الشرقية وان يشمل ذلك « غراديسكا » و « غوريتز »

ثالثاً — ان ينشأ استقلال اداري في مدينة « تريستا » وضواحيها

رابعاً — ان تمنح النمسا والمجر ايطاليا الجزر الواقعة على شواطئ « دالماسيا » في بحر الادرياتيك ، تجاه ايطاليا

خامساً — ان تسيطر ايطاليا سيطرة مطلقة على مرفأ « فالونا » الالباني وخليجه

سادساً — ان تمتنع النمسا والمجر من الاهتمام بالبانيا

وهناك خمسة مطالب اخرى . وفي مقابل هذه المطالب لا تخوض ايطاليا الحرب الى جانب المانيا والنمسا بل تحتفظ بعزلتها

ففكرت الحكومة النمسية في الامر ووعدت بان تهب قطعة من ولاية « ترانتان » بعد ابرام عقد الصلح . ورفضت تصحيح الحدود على نهر « ايزونزو » وترددت في ان تعاهد ايطاليا على اجابة مطالبها في البانيا

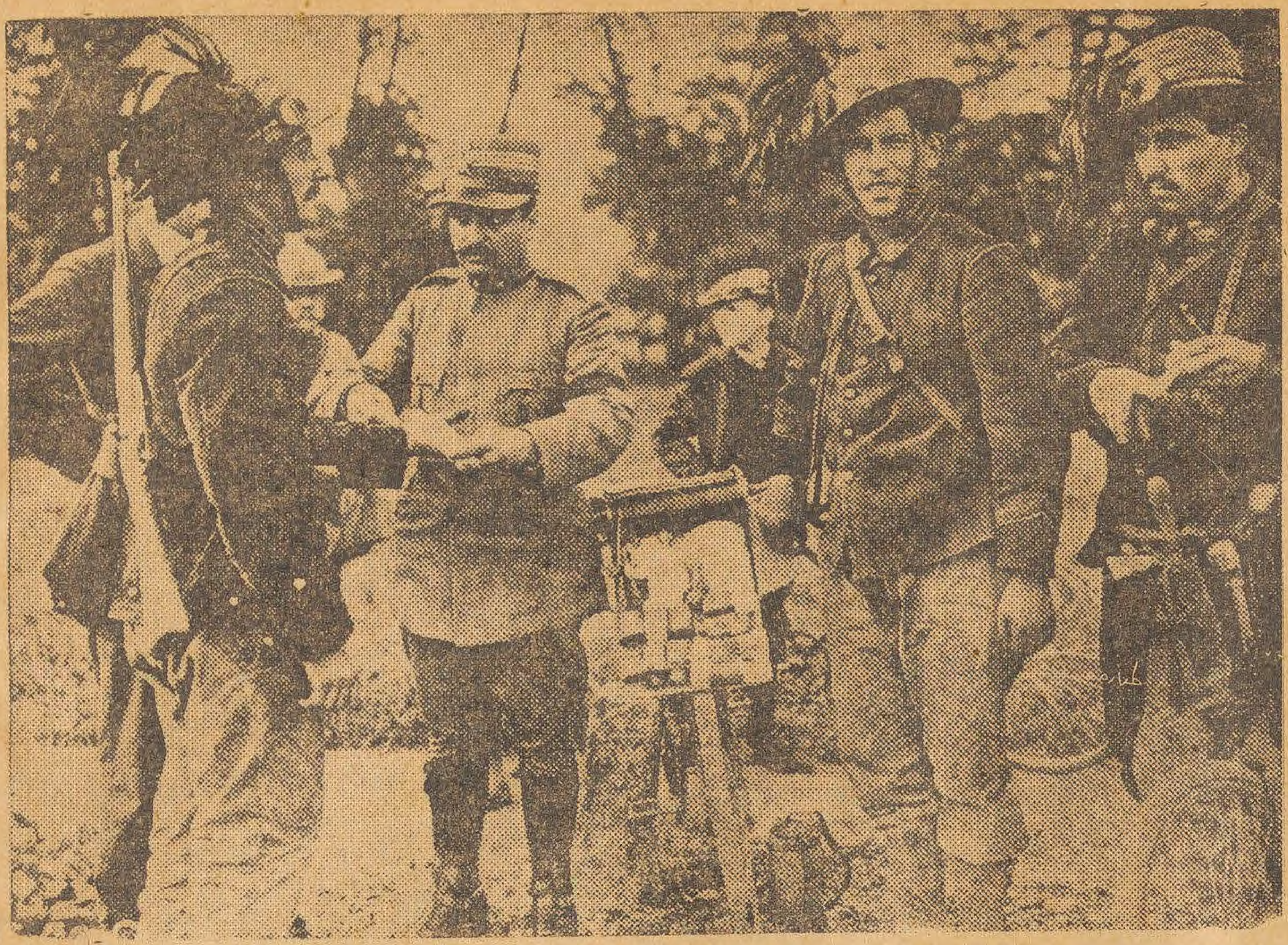
وهذا الجواب جهرت به النمسا في ١٦ نيسان ١٩١٥ ، فما كان من ايطاليا الا ان اعلنت يأسها من نجاح المفاوضات . وفي ٣ ايار ابلغت حكومة النمسا ان اقتراحاتها باتت في حكم اللغو ، فهي لا ترضى بان تجري المفاوضة باقتراحات تنظر اليها النمسا نظرة لا تتخللها النية الحسنة .

وكان الحلفاء قد اصغوا الى مطالب ايطاليا ووعدوها بتحقيقها وكتبوا لها بذلك عهداً في معاهدة لندن المعقودة في ٢٦ نيسان ١٩١٥ . الا انهم ترددوا في ان يهبوا لها « فيوم » وكانوا قد وعدوا بها صربيا

فرضيت ايطاليا واسترجعت مذكرتها من النمسا وهي تصرح بانها استغنت عن كل ما اقترحت في مقابل عزلتها

النمسا تستعد للحرب

ومعنى استغناء ايطاليا عن اقتراحاتها والغائها انها قضت على كل وئام بينها وبين النمسا . والنمسا رقبت اضطراب الموقف فحشدت قواتها في ولايتي « ترانتان » و « تريستا » تأهباً للطوارئ . على ان...



الجنود الايطالية على اختلاف اشكالها في الحرب العالمية الكبرى

لم تقطع كل امل ، فما برحت ترجو الاتفاق وايطاليا . ولكن ايطاليا وقد ملت سياسة المماطلة رغبت في الوصول الى حل حاسم ، فان لم تصل اليه فهي تصر على امتلاك حريتها لتنظر في شؤونها كما تقضي به مصلحتها

حماسة الشعب الايطالي

وهذه السياسة المطاطلة المندفعة فيها النمسا حيال ايطاليا اهابت بالشعب الايطالي الى التظاهر في سبيل فرنسا

فذكر مواقف فرنسا منه في سنة ١٨٦٠ وقد ساعدته على جمع شمله وضمان استقلال ايطاليا تحت لواء واحد ، وذكر ما كان من اندفاع بنيه الى تأييدها في حرب ١٩١٤ نفسها. فان عدداً ليس بالقليل من الايطاليين حمل السلاح تحت اللواء الفرنسي . ومن هؤلاء حفدة « غاريبالدي » بطل ايطاليا العظيم وموطد اركان الاستقلال الايطالي

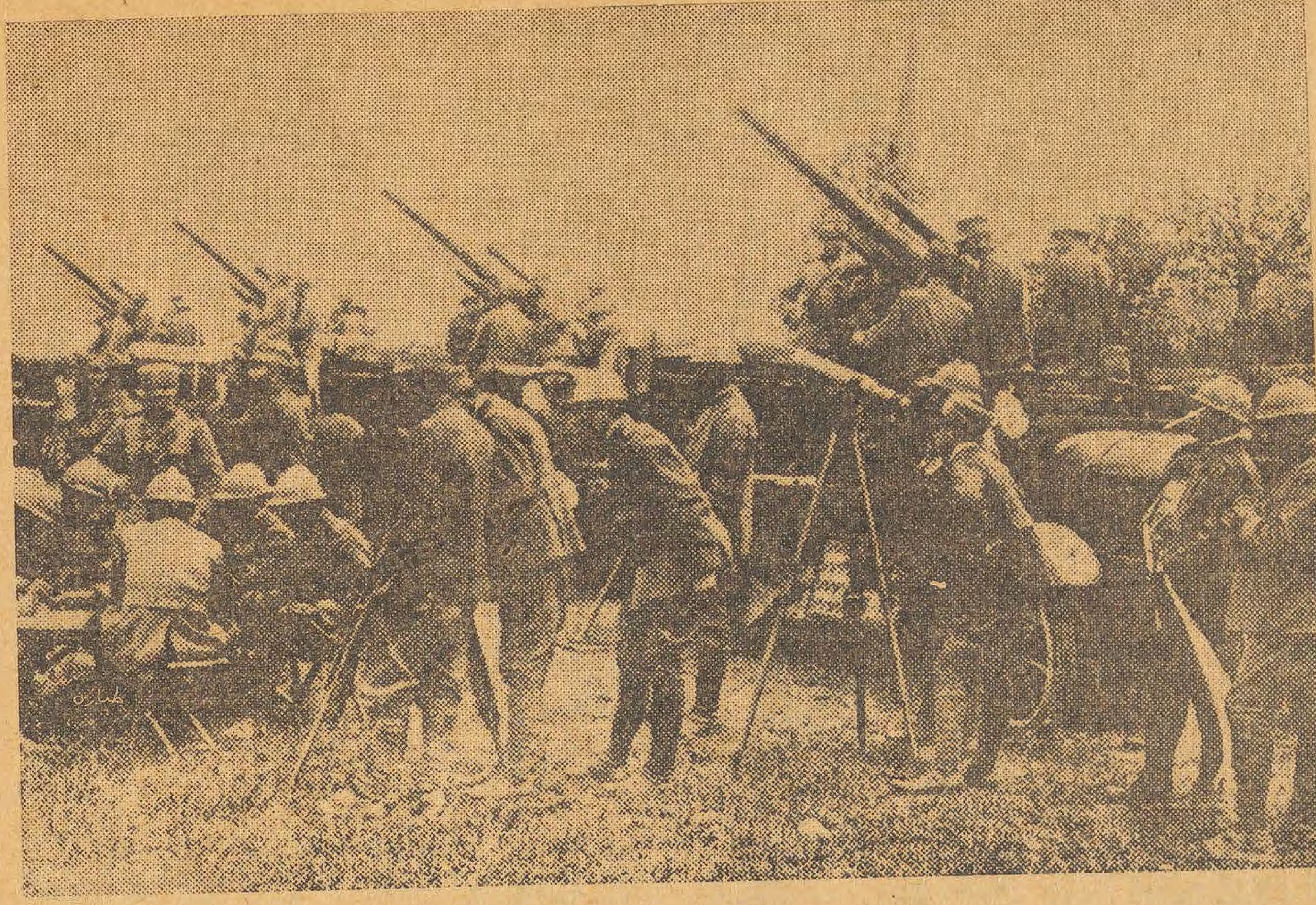
وزاد الصلات الفرنسية الايطالية شدة وقوة استشهاد حفيدين من حفدة غاريبالدي في ميدان القتال الفرنسي . فالاثنان سقطا في معارك « الارغون » . الاول وهو الضابط « برينو غاريبالدي » قتل في ٢٦ كانون الاول ١٩١٤ ، والاخر وهو شقيقه قسطنطين ، قتل في ٦ كانون الثاني ١٩١٥

وفي ٥ ايار سنة ١٩١٥ جرى في « الكوارتو » [...] « الالف » ، اي الابطال الالف الذين جاهدوا [...] البطل الايطالي العظيم « غاريبالدي » في سبيل وحدة [...] و « الكوارتو » بلدة احتشدت فيها سنة ١٨٦٠ حملة [...] لاجتياح جزيرة « سيسيليا » في البحر المتوسط ، فوائبت [...] واحتلتها وتمت بها الوحدة الايطالية . وفي حفلة التدشين [...] ١٩١٥ وقف شاعر ايطاليا البعيد الصيت « غبريال دانونزيو » [...] خطاباً يدعو به الايطاليين الى نصرة الحلفاء . وذكر حفدة [...] المنضوين تحت لواء فرنسا ، وذكر استشهاد اخوين منهم ، [...] ايطاليا وقد ساعدتها فرنسا في السنة الـ ١٨٦٠ على تكوين [...] ان لا تنسى فضل ذوي الفضل عليها :

اثر خطاب دانونزيو

وكان للخطاب شأنه العالي ، فاهتزت به نفوس [...] وهتفوا لفرنسا

ورأى ملك ايطاليا في البدء ان يشهد بنفسه حفلة « ال[...] ليخلع عليها صبغة وطنية ، بيد انه تردد في الدقيقة الاخيرة ،



الجيش الايطالي يستعد لمعركة نهر « الايزونزو » الاولى

اشتهر نهر « الايزونزو » في بدء الحرب الايطالية النمسية باربع معارك شديدة جرت فيه . وهذا الرسم يمثل الجيش الايطالي في استعداده للمعركة الاولى

اعلان الحرب . وملكت القيادة الايطالية العليا على الحدود نفسها ٢٨٠ كتيبة كما يقول النمسيون، و٣٦٤ كتيبة كما يقول الايطاليون

وتولى قيادة الجيش الايطالي في « فاناسيا » الشرقية وفي « فريول » الدوق « داوست ». فقد احتشد لديه الفيالق السابع والحادي عشر والسادس ، وفرقتان من الفرسان هما الفرقة الثانية والثالثة ، ومن كل هذه القوات تألف الجيش الايطالي الثالث الموكول اليه الهجوم على مدينة « غوريزيا » النمسية وعدد سكانها ثلاثون الف نفس

وفي ناحية الشمال ، على ضفاف نهر « الايزونزو »، احتشد الجيش الايطالي الثاني يقبض على زمامه القائد « فريغوني » ، وقوامه الفيلق الثاني ، والرابع، والعاشر ، وفرقة الفرسان الاولى ، والقوات المعهود اليها بان تتسلق الجبال

واقام الجيش الرابع في منطقة ينابيع نهر « بيافه » يديره القائد « نافا » وتألف من الفيلق الاول والتاسع ، وانحصرت مهمته بالقتال في الشرق والجنوب من « التيرول »، على ان يتصل بالجيش الاول للقائد « بروزاتي » ، وهو جيش قام على سواعد الفيلقين الخامس والثالث، واجتمع في لومبارديا »، يتولى العمل على حدود « التيرول » الغربية

وبقي لدى اركان حرب الجيش الفيلق الثامن والثالث والحادي عشر ، وفرقة الفرسان الرابعة . ومنها تتألف القوات الاحتياطية

خطة الهجوم الايطالية

وضع سنة ١٨٨٢ القائد « كوزنز » الخطة الحربية الاولى التي اقرتها ايطاليا في محاربة النمسا. ومن غرائب الاتفاق ان ايطاليا ابرمت في هذه السنة نفسها معاهدة الائتلاف الثلاثي وقد حالفت بها النمسا والمانيا!

والخطة لا تجاوز الدفاع . فينشىء الايطاليون قواعدهم الحربية على ضفاف نهر « بيافه » لرد الهجوم النمسي . على ان القائد « بوليو » فكر في سنة ١٩١٢ ان يعدو نهر « بيافه » . فيقيم الجيش الثالث على ضفاف نهر « تاغليامنتو » ليمنع الاعداء من قطعه، ويستقر الجيش الثاني في جبال الالب في ولاية « كارنتي » فيحول دون تدفق النمسيين الى ايطاليا

ولكن الموقف تبدل بعد ذاك . فالقائد « كادورنا » وقد حل في شهر تموز ١٩١٤ محل القائد « بوليو » طلب انشاء خط هجوم لا

خط دفاع . وهذا الهجوم يقوم به الجيشان الثاني والثالث عن يمين القوات الاخرى ، فيدركان خط نهر « الايزونزو » ثم خط نهر «الساف » بين « كرانبورغ » و « ليباخ »

وتندفع الى اليسار ، على جبهة قم الالب في ولاية « كارنتي » ، قوة تهاجم ميمنتها حصون « مالبورغيتو » و« بليزو » و « بريديل » وتتخذ ميسرتها موقف الدفاع في وادي « تاغليامنتو » الاعلى

ويفاجىء حدود ولاية « ترانتان » جيشان . ويقوم الجيش الرابع بالهجوم في الجبهة الشرقية من جبل « بارالبا » الى وادي « سيسمون » ويبلغ نهر « بوستاريا » .وفي الجبهة الغربية تنحصر مهمة الجيش الاول بالدفاع

وما حان يوم ٢٤ ايار ١٩١٥ حتى كانت طلائع الجيوش الايطالية تتخطى الحدود تلحق بها القوات الاخرى

الايطاليون يتقدمون

وهذه القوات ماستولت في الميسرة ، في جبهة« التيرول » ، على مناطق جلا عنها النمسيون . واحتلت في الغرب وادي « تونال » واندفعت الى وادي « جيوديكاريا » . وفي الجنوب ، في منطقة بحيرة «ده غارد »احتلت « جبل بالدو » وهددت « روفيريدو » على نهر « الاديج » . وفي الشرق بلغت «بورغو »وجبل«بازوبيو» .وملكت في جبال الالب « كورتينا دامبيزو » و « كروسه »

على ان جبهة « كارنتي » ، وهي جبهة مكينة ، تحركت قليلا . فان ساحة القتال الاولى هي الجبهة الشرقية من جبل« نيرو »المتدة الى البحر . وكان على الجيشين الثاني والثالث ان يستوليا على « تولمينو » و « غوريزيا » . فيحتل جناح الجيش الثاني الايسر « تولمينو » ويجتاز جناح الجيش الثالث الايمن نهر « الايزونزو » في ناحيته السفلى ، وتفاجىء قوات القلب « بلافا » و « غوريزيا »

بيد ان هذه الاهداف لم يبلغها الجيش الايطالي . فتسلق الجناح الايسر من الجيش الرابع قمة جبل « نيرو »،وفي القلب تقدم الفيلق الثاني في ناحية« بلافا »، وتزعزع في هاتين المنطقتين الخط النمسي . واجتاز جناح الفيلق السابع الايمن نهر « الايزونزو » واحتل « مونفالكونه » ، واصطدم بالمواقع النمسية بعد هذه الناحية فما استطاع امتلاكها ، واقبل الفيلق العاشر يعضد الفيلق السابع في مهمته

وفي ١٦ حزيران اضحى الايطاليون على اتصال بالخطوط المنظمة . وحلت المعارك البعيدة الاهداف والمطامع محل المعارك المحدودة المدى. وهذا الطور، وهو الطور الثاني من الحرب الايطالية النمسية ، بدأ في ٢٣ حزيران ١٩١٥ ، وشمل اربع معارك عُرفت بمعارك « الايزونزو »



ايطاليا تفاجىء الحدود النمسية

القائد (كادورنا) يضع خطة الهجوم ولكن قواته تعجز عنها

الايطاليون يهاجمون المواقع النمسية ولكنهم لا يثبتون فيها غير ساعات قلائل

الحرب الحائرة !

اول ما رمى اليه الايطاليون في معركة « الايزونزو » الاولى ان يخترقوا « غوريزيا » وان ينفذوا منهـا الى « تريستا » . وكان على الجيش الثالث ان يستقر في جبل « دوبردو » فيما الجيش الثاني يجتاز نهر « غوريزيا ». وهي مهمة تولاها فيلقه الثاني

ويقول النمسيون ان الجيوش الايطالية تفوقت عليهم في العدد تفوقاً عظيما . ومما رووه عن الايطاليين انهم كانوا واهمين كل الوهم. فخيل اليهم ان على قمة جبل « كارست » حصوناً واستحكامات منيعة كما حدثهم بذلك الطيارون الكشافون ، على حين ان ليس ثمة غير اكواخ بناها الرعاة ليقيموا فيها او اسوار شيدها الفلاحون ليمنعوا القطعان من قضم زرعهم

اجل ، لقد انشأ الجيش النمسي الاستحكامات في قمة جبل « كارست » ، الا انها استحكامات ضعيفـة . فان قوة المشاة المعهود اليها بالدفاع عن هـذه القمة لا يزيد ما لديها من اسلحة على اربعة آلاف واربعمئة بندقية في فسحة طولها ثمانية اميال

واعظم ما لمعت به معركة « الايزونزو » الاولى بـين ٢٣ حزيران و ٧ تموز هجوم الجيش الايطالي الثـاني على معسـكر « غوريزيا » النمسي وانتصاره في هذا الهجوم . وقام الجيش الثالث بعمل ثنوي في الجنوب . وظهرت حركة من هذا الطراز في الشمال في منطقة « تولمينو » . والعمل الباهر ما قام به الجيش الثالث على قمة جبل « كارسو »

معركة جبل كارسو

طوقت في ٢٣ حزيران ١٩١٥ المدفعية الايطالية جبل « كارسو » في شبه نصف دائرة ، واخذت ترميه بقذائفها بلا انقطاع . وبلغ عدد القذائف المتساقطة على ناحية « بودغورا » وحدها ، من الظهر حتى المساء ، ما لا يقل عن اربعة آلاف قـذيفة . وما انقض على ناحية « دوبردو » من الصباح حتى الليل اثني عشر الف قذيفة

وتولت فرقتان ايطاليتـان جس النبض . فاستطاعت احـداهما الاستيلاء على ممر من نهر « الايزونزو » الى « ساغرادو » والتحصن على ضافية النهر اليسرى

وفي ٢٤ ازدادت النيران الايطالية شدة . فاصيبت ناحيـة « دوبردو » بعشرين الف قذيفة . وتوالى في ٢٥ اطلاق النار . وقام المشاة بهجمات صغيرة وتسنى للايطاليين ان يقذفوا الى « ساغرادو » لواء نمسياً بكامله . وفي ٢٦ هزموا لواء آخر وبلغوا منحـدرات « كاستيللو نيافو » ، وفي ٢٧ استقروا فيها . وملكوا رأس جسر يمتد طرفه الايسر الى « سدروسينا »

وظل اطلاق النار لتمهيد سبل التقدم امام المشاة مستمراً الى ٢٩ حزيران . وفي الساعة الرابعة من صباح ٣٠ منه ازداد عنفاً . فامتد من نهر « كورادا » الى البحر وباتت قمة جبل « دوبردو » اشبه بالجحيم . واشتركت الطبيعة في هذه الغضبة البشرية وقد هبت عاصفة زادت بروقها ورعودها في قسوة البركان الهائج . وتساقطت الامطار فحجبت الاشياء . واغتنم المشاة الايطاليون الفرصة فوثبوا على قوات « بوغ » و « لوكاخيخ » النمسية يريدون قهرها

وتهدم الخط النمسي في الطرف الشمالي من المعركة ، على قمة « راديبوغليا » ، في الناحية الغربية من جبل « دوبردو » ، على ان كتيبتين ونصف كتيبة من القوات الاحتياطية اقبلت الى النجدة واعادت الخط الى ما كان عليه



القوات الايطالية في استعدادها للهجوم على جبل (كارسو)

من الاهداف التي رمت اليها القوات الايطالية في مهاجمتها الحدود النمسية الاستيلاء على جبل « كارسو » ليتسنى لها منه الاشراف على المواقع النمسية المحصنة . والمشهد البادي في الرسم يدل على ما يقوم به الجيش الايطالي من استعداد للفوز بامانيه الجسام

ولدى الساعة السادسة مساء تغلب النمسيون على الايطاليين واقصوهم عن الخطوط النمسية. وفي الجنوب، في منطقة «فرميغليانو»، شن الايطاليون الغارة مرتين متواليتين على المواقع النمسية في جبل « كوزيخ » دون ما جدوى

وامتلأت الارض بالجثث . وسدت هذه الجثث الطرق وطفت على الاسلاك الشائكة . الا ان الايطاليين تغلبوا في الجنوب الاقصى ودخلوا في ناحية «سلز » المواقع النمسية وقد هدمتها مدافعهم . ولكن القوات النمسية عادت فنظمت نفسها واستطاعت ان تدفع الايطاليين الى « سلز » . وما انتهى ذلك اليوم حتى استعاد النمسيون الموقف بتمامه وقد جابهوا ست فرق من قوات الاعداء

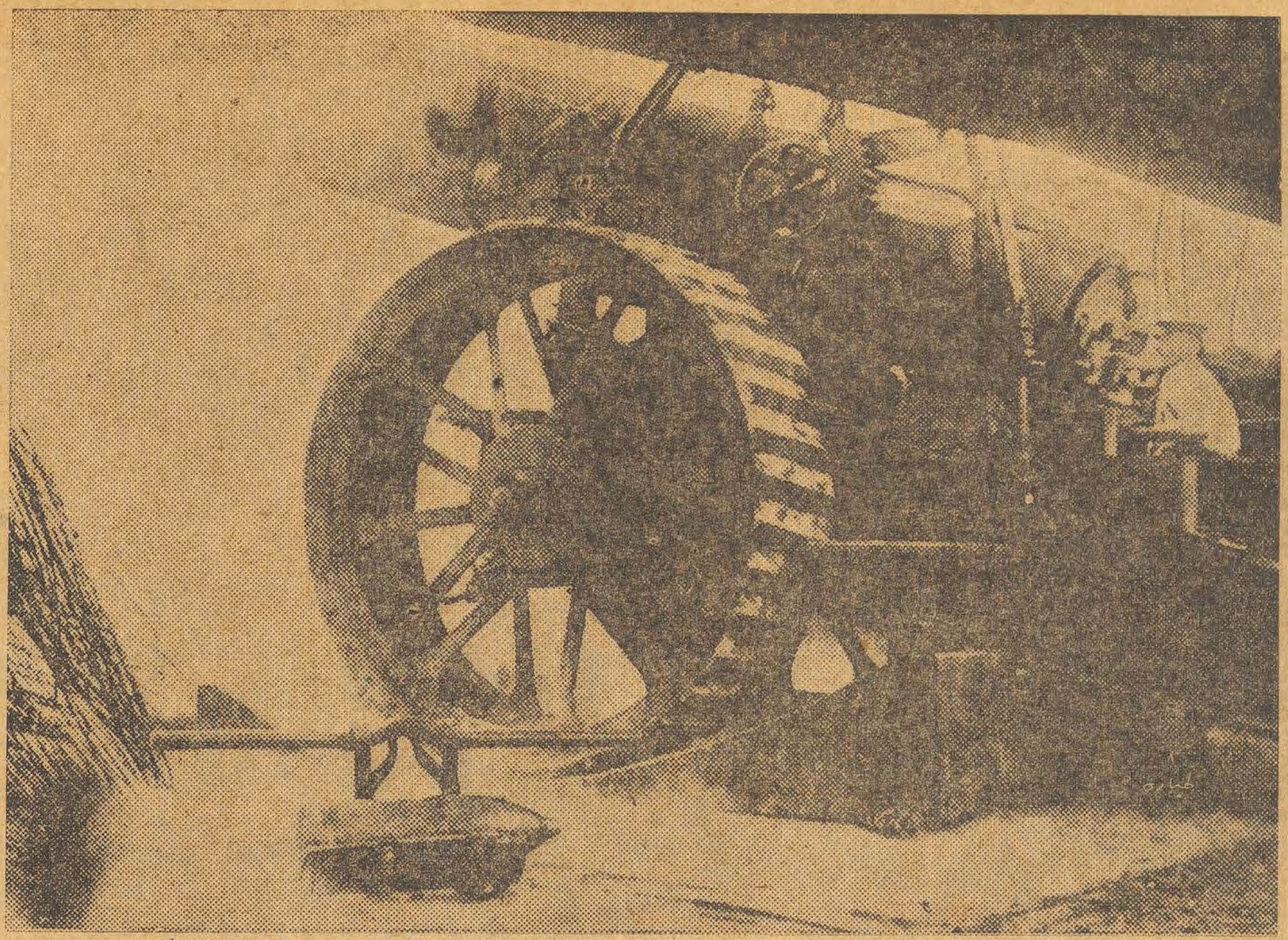
وفي الليل اطلق الايطاليون نار البنادق وسددوا عيارات متفرقة من مدافعهم الى مضارب الاعداء . وفي صباح اول تموز ثارت حمم مدفعيتهم تعضدها مدفعية اربع سفن حربية في خليج « بازانو »

ولدى الساعة الحادية عشرة صباحاً قام الفيلق التاسع بهجوم اخفق فيه . ولدى الساعة الثانية بعد الظهر هجم الفيلق العاشر على ناحية « راديوغليا » بجانب «بولازو » . وعنف القذائف اكره النمسيين على الجلاء عن مراكزهم فاحتلها الايطاليون . ولكنهم لم يثبتوا فيها طويلا . فما حانت الساعة الخامسة حتى فاجأتهم كتيبتان واقصتاهم عنها

فعمدت المدفعية الايطالية الى قذف نيرانها . وبعد ساعة من الزمن عاد الايطاليون الى الهجوم ، ولكن النمسيين امطروهم النار الحامية فما تسنى لهم بلوغ الهدف . ولدى الساعة الثامنة مساء كان الهجوم قد تلاشى .

النمسيون في شدة

وساد القلق الليلة بطولها. وفي صباح اليوم التالي تجددت الحوادث



مدفع من مدافع الجبال الايطالية في الجبهة النمسية

وهو مما استعان به الجيش الايطالي في معارك «الايزونزو»

نفسها . فهجم الايطاليون في الميسرة دون ما جدوى ، وهجموا على «راديبوغليا» فاحتلوا المنطقة بكاملها ، الا ان النمسيين لم يلبثوا ان هزموهم من هذه الاماكن . فاعادوا الكرة واوفدوا فرقتين لاحتلال «راديبوغليا» و «سلز» فلم يوفقوا . فحاولوا ذلك للمرة الثالثة واستعادوا الخنادق النمسية في «راديبوغليا» وكانت قد افلتت من ايديهم وتلاشت قوى النمسيين . على ان الفيلق السابع اسرع الى نجدتهم

وفي صباح ٣ تموز ، بين الساعة الخامسة والسادسة ، اخذت المدفعية الايطالية في اطلاق نار رهيبة لتمنع القوات النمسية الاحتياطية من تسلق جبل «راديبوغليا» . وتهدمت مواقع الدفاع ، وفتحت فيها ثلمة مساحتها نصف ميل حالت دون اتصال قوات «بوغ» بقوات «لوكاخيخ» . وهاجمت اربعة ألوية ايطالية على عشرة صفوف هذه الناحية الحساسة . واجتازت الميسرة الثلمة . واحتلت الميمنة احدى القمم . على ان احدى كتائب الفرسان النمسية صدمت الايطاليين في ميسرتهم ، وانضمت اليها كتيبتان فاستعادت القمة . ولدى الساعة السابعة مساء اعيد تنظيم الجبهة النمسية ولقي الايطاليون الخيبة فعادوا الى صفوفهم . غير ان خسائر النمسيين في ذلك النهار بلغت مستوى فاحشاً

المدافع الايطالية لا تهدأ

وانقضى الليل بهدوء . على ان صباح ٤ تموز كان قاصفاً . فعادت المدافع الايطالية الى ضرب «فرميغليانو — كوزيخ» وهاجم المشاة ناحية «سلز» متجهين الى «سلز» نفسها . واعادوا هجومهم لدى الساعة السابعة والساعة التاسعة على غير طائل. وتنظم هجوم آخر على «فرميغليانو» فسحقه النمسيون سحقاً ، بينما الهجوم الركين يتجه الى الشمال ، من «راديبوغليا» الى «سدروسينا» ، يسحق الجناح الايمن من قوات «لوكاخيخ»

ولدى الساعة التاسعة اندفعت النيران من الجبهة الايطالية الممتدة من جبل «ساي بوزي» في الجنوب الى جبل «سان ميشال» في الشمال . ودام قذف النار حتى الساعة الحادية عشرة والنصف . وعند ذلك قام المشاة بهجوم دحروا فيه

فما انثنت المدفعية الايطالية بل عادت الى قذف نيرانها بعنف



فئة مختلفة من افراد الجيش الايطالي في ايام الحرب

﴿ ويبدو بجانب هؤلاء الجنود المختلفي الازياء فلاح من ابناء المناطق المحتلة يشاطرهم طعامهم ﴾

قصي . فما تمكن النمسيون من الثبات حيال هـذه الشدة فتراجعوا على جبهة طولها ميل ونصف ميل وعرضها ربع ميل . وشاء الايطاليون ان يستغلوا فوزهم فدفعوا لدى الساعة الواحدة بعد الظهر قواتهم الى الامعان في احتلال المواقع النمسية . ولم تعجز في البدء هذه القوات عن احتلال مواقع النمسيين ، ولكنها على عادتها لم تثبت ، ففاجأهـا عند المساء الجيش النمسي بقوات غفيرة واقصاها عما انتزعت منه

وانتهى النهار وما انتهت المعارك . فدامت طول الليل

وفاز الايطاليون في ناحية اخرى من الجبهة ، في موقع « سان مارتينو دل كارسو» . وتقدمت جبهتهم . الا ان ما تعودوه من التقهقر لم يخرجوا عنه . فردتهم القوات النمسية ، بيد انهم ظلوا متمسكين بالخط النمسي الاول

وتجددت معركة « سلز » لدى الساعة الرابعة . وقام فيها الايطاليون بهجوم صدته القذائف النمسية . على ان الايطاليين ربحوا في يوم ٤ تموز ١٩١٥ ، ففي هجومهم الكبير على ناحية « بولازو » احتلوا احدى القمم وتسنى لهم ان يشرفوا منها على النمسيين

وتراءى للقيادة الايطالية العليا ان موعد الهجوم العام حانت ساعته . ففوضت الى الجيشين الثاني والثالث بدء هذا الهجوم في ٥ تموز شاخصين الى « تريستا »

مهمة الجيش الايطالي الثاني

ولبى الجيش الثاني النداء . وقضى جناحه المقيم في الجنوب الايام الاولى من الهجوم العام في رشق المواقع النمسية بالقذائف . فاكتسح جبل « بودغورا » وهشم ما يعلو تلك القمم من غابات . ومدينة « بودغورا » نفسها تهدمت بانفجار القذائف فيها ، كما تقوضت اعالي « بفيا » و « اوسلافيجا »

ومن حين الى حين كان المشاة الايطاليون يجسون نبض النمسيين ليروا هل آن لهم ان يهجموا ؟ ... على ان النمسيين ادركوا ما يرقبهم . فشعروا بان الايطاليين يستعدون لهجوم واسع النطاق متين الدعامة . وبلغ التعب من الفرقة الثامنة والخمسين النمسية مبلغاً قصياً ، حتى ان القائد « بوروويافيك » فكر في الاستعانة باخر قوة لديه ، وهي الفرقة الثامنة والاربعون الاحتياطية ، فيدعو شطراً منها الى الدفاع عن رأس جسر « غوريزيا » ويدعو الشطر الآخر الى الدفاع عن جبل « كارسو » بالاستناد الى الفرقة الثالثة والتسعين

وكان ما فكر فيه . ففي ٤ تموز تنفذت هذه التدابير



مدفع ايطالي في حصن على حدود ولاية (التيرول) النمسية

﴿ وهو من المدافع البعيدة المرمى . وقد ملك منه الايطاليون عدداً غير قليل ﴾

ورأى الجيش الايطالي الثاني ان يقوم بالهجوم على طول جبهته حتى جبل « نيرو » ليحمل الجناح الشمالي من الجيش النمسي الخامس على البقاء مكانه فيمنعه من ايفاد النجدات الى « غوريزيا »

ونزولا على هذه الخطة هاجم رأس جسر « تولمينو » وقد جس نبضه في ٣ تموز وفاجأه في اليوم التالي في شمالي « كوزارسه »

على ان ما قام به الجيش الايطالي الثاني في هذه الاثناء لم يكن غير مقدمة للمسعى الاكبر

فالهجوم العام بدأ والحق يقال في اليوم الخامس من شهر تموز، فوثب الجيش الايطالي الثاني الى رأس جسر « غوريزيا » تعضده الفرقة الرابعة في الشمال — وقد هاجمت جبل « سابوتينو » ، و « اوستافيجا » و « بفما » — ويسنده الفيلق الثالث في « بودغورا » ، وتؤمن سيره الفرقة التاسعة والعشرون من الدرك السيار على طول الطريق الكبير في الناحية الجنوبية من رأس الجسر

ولدى طلوع الصباح اطلقت المدفعية النار على طول الخط ، وخصوصاً ما بين « بفما » وجبل « بودغورا » وقد اصلته مدافع جبل « فورتان » نارها المذيبة

تفاصيل المعركة

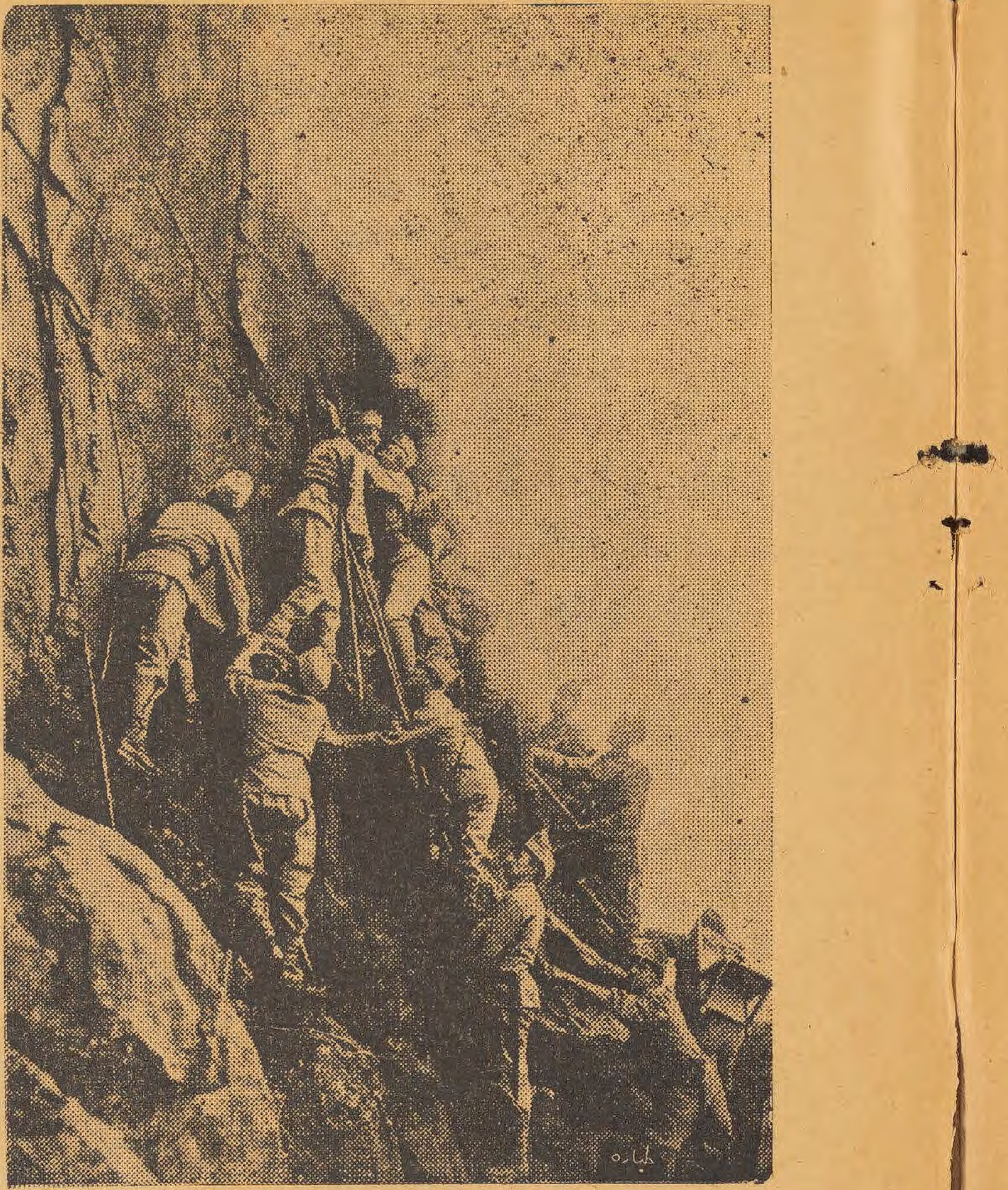
ولدى الساعة الحادية عشرة صباحاً قام لواء ايطالي بهجمة على « أوسلاجيفا » فعاد بالخيبة . وهاجمت قوات اخرى دونه عدداً شمالي رأس الجسر

وتجلت بعد الظهر شدة هجوم المشاة . فالفرقة الايطالية الرابعة احتلت مرتين متواليتين امام « بفما » المواقع النمسية، وهاجمت النمسيين بالسلاح الابيض دون ان تقوى على الثبات

وفي « بودغورا » تسنى للفيلق الايطالي السادس ان يذلل العقبات ، غير ان عودة اللوائين النمسيين الثالث والعشرين والسابع والثلاثين الى الهجوم ، تعضدهما كتيبة من اللواء التاسع والستين، ارجعت الايطاليين القهقرى

وفي الجنوب ، في منطقة الفرقة التاسعة والعشرين ، هاجمت فرقة الفرسان تحت لواء القائد « بارنجيا » القوات النمسية بشجاعة وجرأة . فوثب لواؤها المئة والتاسع والعشرون على « لوشينيكا » ، ولواؤها المئة والثلاثون على « موشيتا » . فقاومها النمسيون بقوة متناهية حتى ان المهاجمين اضطروا الى الاختباء في ما احدثته القذائف من حفر

واختبأ بعض هؤلاء الجنود بين الزرع حتى اليوم التالي دون ان يشعر بهم النمسيون . وعند الساعة الرابعة بعد الظهر خاطر احد الضباط الايطاليين بنفسه ومشى الى الحواجز التي ضربتها القوات النمسية عليها تحتمي بها واطلق المتفجرات فكان ان كلفته جرأته حياته



فرقة جبال الالب

في ايطاليا تتسلق الجبال

جبال الالب الشاهقة تمتد في الناحية الشمالية والشمالية الشرقية من ايطاليا . ومن الصعب اجتياز هذه القمم العالية لا في اثناء الحرب وحدها بل حتى وفي اثناء السلم، على ان ايطاليا انشأت فرقة خاصة من الجند تتسلق هذه الجبال مهما بلغ ارتفاعها . وها هي شرذمة منها تبدو في احد المرتفعات تتمسك بالحبال وقد ربط بها بعضها بعضاً . وهو عمل شاق يحتاج الى جرأة وتمرين . وقد كانت فرقة ارتقاء الجبال ذات نفع عميم للجيش الايطالي في اثناء الحرب الكبرى فساعدته على كشف مواقع العدو وعلى احتلال القمم الشاهقة واطلاق النيران من اعاليها على الاعداء وترويعهم من حيث كانوا يعتقدون ان ليس من قوة تتمكن من النفاذ اليهم

وايقن الايطاليون ان المجال لا يتسع لهجوم آخر فالتووا في الليل الى « موشيتا » و « لوشينيكا »

وهكذا اخفقت هجمات القائد « فريغوني » باجمعها . ويقول النمسيون فيها انها خلت من حسن التدبير

موقف الجيش الثالث

وفي هذه الاثناء حاول الجيش الايطالي الثالث، وقد استقر في جنوبي الجيش الثاني ، ان يبذل كل ما يملك من مجهود للاستيلاء على جبل « دوبردو »

وما كاد يشرق الصباح حتى صبت ثلاثمئة مدفع نيرانها على المواقع النمسية . والايطاليون كانوا يرجون ان تنشب في منطقة « راديبوغليا » المعركة الحاسمة

وفي الليل انجدوا الفيلق العاشر بفرقة الفرسان لقائدها « فيرارا » ، وقد جيء بها من الفيلق الحادي عشر . وهاجمت بقية الفيلق الحادي عشر قوات « فون بوغ » في منطقة « سدروسينا »

وعند الساعة التاسعة صباحاً قام الجيش الثالث بهجومه الاول على « راديبوغليا » . فبلغ الايطاليون مواقع النمسيين الا انهم تقهقروا عنها كالمعتاد

وبعد الظهر اعاد الدوق « داوست » الهجوم بعنف نادر المثال . فظلت المدفعية الايطالية تلقي طول الليل قذائفها على المناطق النمسية . وقام المشاة هنا وهناك بالهجوم دون ان يتقدموا . وفي اليوم التالي سكتت افواه المدافع عن اطلاق النار

وهذا الجمود من الايطاليين ادهش النمسيين ، وكانوا قد طلبوا النجدات فاقبلت اليهم . ولقد وصلت الفرقة العشرون بين ٦ و ٩ تموز ومشت الى الجبهة الشمالية في « كارسو » و « بيتيانو » و « بولازو » . ووصل من « بولا » لواءان ونزلا في « نابرازينا » على شواطئ بحر الادرياتيك في الجنوبي الاقصى من الجبهة

ودعيت من الجبهة البلقانية الفرقة الحادية والاربعون فنزلت في وادي « ويباخ » ، واتجه لواءان منها الى رأس جسر « غوريزيا »

وحلا محل الفرقة الحادية عشرة ، ودعمت الفرقة الحادية والستون جبهة « كارسو ـ بولازو ـ كوزيخ » وجاءت الفرقة السابعة والخمسون ترسخ قدمها في الجنوبي الاقصى من الجبهة نفسها ، اي من جبل « كوزيخ » الى « ستيانا »

ودعيت الفرقة السابعة عشرة من جبهة « كارنتي » وتولى قيادة منطقة « كارسو » الارشيدوق جوزف قائد الجيش النمسي السابع

خسائر المعركة

وقد بلغت خسائر الايطاليين في معركة « ايزونزو » الاولى نحواً من عشرين الف رجل ، على حين ان النمسيين لم يخسروا مايزيد على عشرة الاف جندي

المعركة الثانية

ولم تكن الايام التي تلت معركة « الايزونزو » الاولى هادئة بتمامها . فالمدفعية الايطالية قل ان تقف عن اطلاق النار . ولقد صبت قذائفها على مدينة « غوريزيا » . وكانت تنشب هنا وهناك المعارك ، او ان المشاة يرمون برصاصهم النمسيين

ومما لم يغب عن الجميع ان الايطاليين كانوا يفكرون في اعادة الهجوم قبل ان يتمكن النمسيون من تنظيم صفوفهم وادراك الراحة التي يحتاجون اليها

وما اقبل يوم ١٨ تموز حتى كانت المعركة الثانية تبدأ على ضفاف نهر « ايزونزو » . وتلاها هجوم الجيش الايطالي الرابع على الجبهة الشرقية من « التيرول » في ناحية « بوستر تال » ، فدل على اقصى ما يبلغ اليه الجهد الايطالي

وكان على الجيش الثالث في الهجوم الثاني ان يوائب جبل « دوبردو » ، وعلى الجيش الثاني ان يهاجم في الشمال رأس جسر « غوريزيا » ، كما ان على الجناح الشمالي من هذا الجيش ان ينتهي من احتلال جبل « نيرو »

وفي اواسط تموز اقبل الفيلق الثالث عشر يسند مؤخرة الجيش الثالث . وكان هذا الجيش يملك من الجنوب الى الشمال الفيلق السابع ، وفيلق الفرسان لقائده الكونت « ده تيران » وقد امتد من البحر الى « رونشي » ، والفيلق العاشر في منطقة « راديبوغليا » ـ بولازو » . واقام الفيلق الحادي عشر على يسار هذا الجيش في الجبهة الشمالية من جبل « نيرو » . ومجموع هذه القوات تسع فرق من المشاة وفرقتان من الفرسان . على حين ان القوات النمسية لم تكن تزيد على ثلث هذه القوات

فكان لدى ايطاليا في هذه المعركة ١٠٩ كتائب من المشاة ، ولدى النمسا ٣٨ كتيبة ، ولدى ايطاليا ٦٠ بطارية من مدافع الصحراء ولدى النمسا ٣٤

بدء الهجوم الثاني

واجتهد العدوان في الظفر بعضهما ببعض . فجادا بكل ما لديهما من وسيلة . وفي ١٥ تموز تساقطت القذائف الايطالية بشكل رهيب على جبل « كارسو » ، وخصوصاً ما بين « سدروسينا » و « بولازو » . وفي الليل اختبرت بضع كتائب الموقف . وانقضى يوم ١٦ بهدوء . وعادت المدافع في اليوم السابع عشر الى اطلاق قذائفها على معظم الجبهة . وزمجرت احدى العواصف فانتهزتها قوات الجبال الايطالية وفاجأت الخنادق النمسية . على ان النمسيين دروا بها فرشقوها بالرصاص . وقصف الرعد فاصيب عدد غير قليل من الايطاليين بالغشيان ، وبعضهم اصيب بالعمى ، ولكن ذلك لم يطل اكثر من بضع دقائق

وفي صباح اليوم الثامن عشر ضربت المدفعية الايطالية بشدتها المعهودة مواقع الفيلقين النمسيين السابع والسادس عشر ، من « سان جيوفاني » الى « بقما »

وبعد ساعة من الزمن ، في منطقة « بالافا » ، اخذت ست بطاريات ترمي النمسيين بقذائفها . فاجاب النمسيون بالمثل ، وما انتهى تبادل القذائف الا بعد الظهر

الى جبل « كارسو »

وبعد الظهر تجدد الهجوم . وكانت وجهته جبل « كارسو » . فقذفت المدفعية الايطالية بكل ما في احشائها من حمم ومدمرات ، حتى ان الفسحة الصغيرة القائمة بين جبل « سان ميشال » وجبل آخر سقطت فيها الفان وخمسمئة قذيفة من القذائف الضخمة

وكان قد استطاع الكشافون الايطاليون تسلق الجبل وتسيير المدافع . فعانى النمسيون الاهوال والقذائف محكمة التسديد اليهم . وجاوزتهم القذائف الى مؤخرتهم تمنع عنهم وصول النجدات

واحتشد في الصباح المشاة الايطاليون للقيام بالهجوم المنتظر . فيثب الفيلق الحادي عشر على منطقة « سدروسينا ـ كاستيلو نيوفو » ويهجم الفيلق العاشر على « بولازو » و « راديبوغليا »

ووقع الهجوم بعد الظهر ، وبلغ الايطاليون المواقع النمسية . غير انهم لم يفوزوا في تثبيت اقدامهم في معظم النواحي . بلى ، تمكنوا من الوقوف امام كتيبتين نمسيتين على مسافة ستمئة خطوة من مواقعهم ، في الشمال الغربي من كنيسة « سان مرتينو »

الأسرار



فى هذ
الرسم
قاد
فرنس
وانكلت
واميرك
في الميدان
الغربي
في فرنسا وق
جمعهم رس
واحد



فى
هذا
الرسم:
جندى
انكليزي
يسقط
صريعاً
في مضيق
الدردنا

الاسرار

اصحابها : انطون صادر ، كرم ملحم كرم ، فؤاد ميداني

رئيس الانشاء المسؤول : كرم ملحم كرم — منشىء القسم الشرقي : فؤاد ميداني

المكاتبات باسم مدير المجلة : انطون صادر

الادارة مكتبة صادر * شارع اللنبي * بيروت

مجلة اسبوعية تاريخية تبحث في التاريخ وما اهمله التاريخ — العدد ١٣ — بيروت في ٢٨ حزيران سنة ١٩٣٨

اسرار الجاسوسية في القضية العربية

بقلم فؤاد ميداني

الحلفاء في بدء الحرب ينزلون جنودهم في شواطىء الدامور وجبيل

محاكمة ٤٠٠ داموري واحالة الضابط نجيب المعلوف الى الديوان العرفي

ضرب مستودعات الكاز في جونية وجبيل وطرابلس

احتل الحلفاء السواحل اللبنانية ثلاث مرات ، الاولى والثانية في بدء الحرب العالمية ، والثالثة لما تراجعت القوات العثمانية عن هذه البلاد . ولكن الفرق كان عظيماً بين احتلال واحتلال . ففي المرتين الاولى والثانية اساء الحلفاء الى اللبنانيين ودفعوهم الى الشقاء ، وفي المرة الثالثة ساعدوا على استقلال لبنان

مطاردة السفن الشراعية

على اثر فشل القوات العثمانية في اختراق قناة السويس عمد الحلفاء الى التضييق على السواحل العثمانية . فانتدبوا لهذا القصد المدرعة الفرنسية « لاتوش ترافيل » ، فقامت بمطاردة المراكب الشراعية بين سواحل صحراء سينا وغزه ويافا وحيفا وعكا

واقدمت على ضرب غزه وعكا كما ذكرنا في الجزء الثالث من « الاسرار »

غير ان الحلفاء دعوا في اول اذار سنة ١٩١٥ هذه المدرعة الى ... وجاؤوا بالمدرعة الروسية « اسكولت » ذات المداخن الستة لتقوم مقامها . ولقد شاهدها ابناء البلاد تجوب في كل يوم هذه السواحل

والمدرعة « اسكولت » مثلت في حياة لبنان في بدء الحرب دوراً خطيراً

قوة عسكرية في الدامور

والاتراك الذين مهدوا لاحتلال لبنان عدة طرق ، كاحتلال محطة عاليه ، واحتلال ضهور الشوير ، رأوا من الضرورة حماية السواحل ، فعمدوا بعدما شاهدوا من ارتياد سفن الحلفاء الشواطىء اللبنانية الى تعزيز حاميتهم في المناطق الساحلية . فانشأوا بلوكا من ٢٥٠ جندياً في الدامور ولجوه حماية السواحل من حدود بيروت الى حدود صيداء ، وانشأوا قوة اخرى على سواحل لبنان الشمالية ولوا قيادتها ذكي بك فاتخذ من جونية مقراً له .

وذكي بك من الضباط الاتراك الذين خدموا هذه البلاد بنزاهة واخلاص ، فكان الصلة القوية بين قادته والبطريركية المارونية

وابناء كسروان ، وكانت له يد قوية نافذة في سياسة لبنان وفي تخفيف وطأة المجاعة عن ابناء المنطقة التي يتولى شؤونها . وقام بمطاردة جواسيس الفرنسيين بشدة ، هؤلاء الجواسيس الذين كانوا يرتادون شواطىء كسروان ولبنان الشمالي مما ستبسط فيه في الآتي



ذكي بك قائد بلوك جونية

يمثل هذا الرسم ذكي بك بعد انتصار الكماليين ، فاشترك في حروبهم الوطنية . ولم نعثر له على رسم وهو في بلادنا يدير منطقة الشمال الساحلية . ولهذا نشرنا له هذا الرسم

احتلال الدامور

وفي صباح اليوم السابع من شهر اذار ١٩١٥ بينما كانت شرذمة من خفر الساحل تحرس الشاطىء بدت لها المدرعة « اسكولت » راسية على مقربة من شاطىء الدامور تنزل الى البحر بعض زوارقها. فاسرعت فوراً الى القائد تعلمه الامر

فظهر للقائد ان ما لديه من قوات لا يكفي لصد هجمات العدو اذا حاول احتلال الساحل، فابرق الى تحسين بك، قائد الحملة العثمانية في لبنان والمقيم في عاليه ، يبلغه الامر فكان الجواب :

« عليك ان تتراجع بقواتك حتى آخر الخطوط ولا تشتبك مع الاعداء في اي معركة كانت ، فاذا ثبت لديك ان الحلفاء يرغبون في احتلال هذه السواحل ابلغنا ذلك على الفور »

وابرق تحسين بك الى امير اللواء فخر الدين باشا يعلمه ما وقع، فدعا امير اللواء القوات المعسكرة في بيروت الى الاقامة على استعداد، فان يعمد الحلفاء الى انزال جنودهم حقاً الى الشواطىء اللبنانية زحفت هذه القوات لصدهم

مقصد الحلفاء

وفيما اسلاك الهاتف والبرق تتناقل هذا النبأ من قائد عثماني الى قائد عثماني كانت زوارق الباخرة « اسكولت » تندفع بجنود المدرعة الى البر

ولم يكن القائد المشرف على شؤون المدرعة ، وهو فرنسي ، يفكر في احتلال شواطىء الدامور بل رغب في سبر غور المياه في هذا الساحل والوقوف على الحالة في البلاد وما اقدم عليه الاتراك من تدابير عسكرية وشراء بعض ما يحتاج اليه الجنود .

وابناء الدامور وقد شاهدوا ما كان من المدرعة وابصروا القوات العثمانية تجلو عن الدامور وتقيم في الخطوط المتأخرة اسرعوا الى الشاطىء لمعرفة القصد من وقوف المدرعة امام بلدتهم ولابلاغها ان الجند العثماني جلا عن الدامور لئلا تنالهم باذى

ولذا ما كاد جنود المدرعة يصبحون على الشاطىء حتى وجدوا انفسهم بين اصدقاء يرحبون بهم ويبيعونهم ما هم بحاجة اليه من حبوب وماشية .

حكمة مختار الدامور

واقبل الشيخ يوسف فرحات الغريب مختار الدامور يسألهم عما يريدون. فأبلغوه انهم قادمون لسبر غور المياه لا لامر آخر

والشيخ يوسف وقد ادرك العاقبة السيئة طلب الى قائد الحملة بكلمات رقيقة ان يعود فوراً بجنوده الى المدرعة ما دام لا يبغي الاحتلال لئلا يعرض الدامور وساكنيها لنقمة الاتراك

نجيب الحداد

وبين الضباط الذين ارتادوا الساحل ضابط لبناني يتولى الترجمة هو السيد نجيب الحداد من عبيه . وسر هذا الضابط ان يشاهد ارض وطنه ويدوسها فمال على احد الداموريين وسلم اليه كتاباً طلب منه ان يدفعه الى والدته في عبيه

فقبل الرجل المهمة وتسلم الكتاب . وانصرف السيد نجيب الحداد وسائر افراد الحملة الى الزوارق تعود بهم الى المدرعة التي

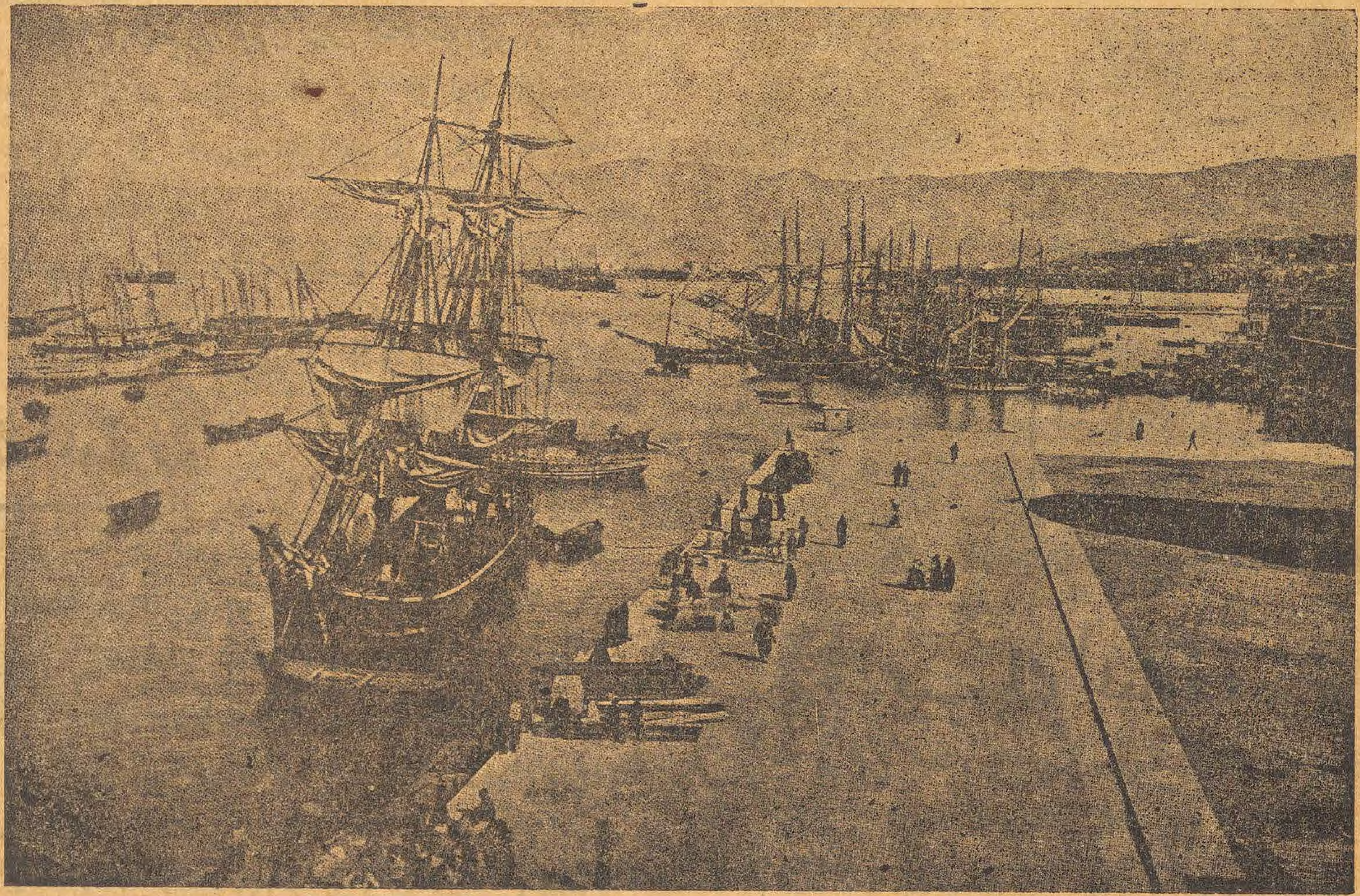
تابعت جولاتها في الشواطىء

عاقبة الامر

وما كادت المدرعة تبتعد حتى عاد الجنود الى الدامور، ومنها ابلغ

الاناضول ، وابقى القسم الآخر تحت الضغط والشدة .

وُحرمت الدامور طول الحرب العالمية الحبوب والموادالغذائية، على حين كانت تتمتع بها قرى اخرى، مما زاد الفاقة على سكان البلدة وامات العـدد الكبير من نسائها وشيوخها وشبانهـا واطفالها جوعاً ،



بيروت في خلال ايام الحرب العالمية

لم يكن مرفأ بيروت خلال ايام الحرب يفرق عن مرفأ صيدا اليوم . فلست ترى فيه الا مراكب وزوارق قديمةوقد خيم عليه سكون موحش

ومن هذا الرسم التاريخي تبدو لنا الحالة السائدة يومذاك وهي تدل على الكآبة والجمود

قائدها المراجع الاخرى ما اتفق له ، فورد عليه الامر باعتقال كل من اندفعوا الى الساحل وتحريهم

فاعتقل الجند الداموريين بفظاظة وشراسة متناهيتين . وبلغ عـدد المعتقلين نحواً من ٤٠٠ شخص احيلوا الى ديوان الحرب . وكان بين هؤلاء حامل رسالة السيد حداد الى والدته . ودهم الجند بلدة عبيه واستولوا على ما في دار آل الحداد كما اعتقلوا انسباء الضابط واقاربه .

وهذه الحادثة ، ولم يكن من شأن للداموريين فيها ، كانت من بواعث نقمة جمال باشا على الدامور وساكنيها ، فنفى قسما منهم الى

مع ان الداموريين لم يكن لهم ضلع في الحـادث كما اسلفنا القول ، فلا فاوضوا الحلفاء لاحتلال الدامور ولا تفاهموا واياهم على مساعدتهم اذا تم هذا الاحتلال كما نمي الى القيادة العثمانية في دمشق

***

ويؤسفنا القول ان الخصومات المحلية زادت في نكبة الدامور. فالخصوم وشى بعضهم ببعض واساؤوا لمـا استفحل الامر الى بني قومهم والى انفسهم

وفي الاسبوع التالي رست المدرعـة « اسكولت » نفسها امام شاطىء جبيل وعمدت الى انزال بعض الضباط والجنود في الزوارق .

ولم يكن من سكان جبيل حيال هذا المشهد الا ان اندفعوا الى القلعة التاريخية القائمة على شواطئ مدينتهم ليشرفوا من سطحها على ما يبدو من المدرعة

موقف الحكومة

والشيخ قبلان الخازن مدير جبيل خاف العاقبة ، فهو من آل الخازن المعروفين بولائهم للفرنسيين . فاذا سار الى لقاء القادمين كان مجرماً في عرف الاتراك . وجرمه هذا قد يؤدي الى اعتقاله وانزال الضرر الشديد به وبذويه

فرفض الظهور في الساحل وغادر جبيل الى الاعالي بعد ان ابلغ قائد الدرك في تلك الناحية الامر ليقابل بنفسه جنود المدرعة

نجيب بك المعلوف

واليوزباشي نجيب بك المعلوف كان قائد درك جبيل . ولم يكن يملك في ذلك الحين ما يزيد على عشرة جنود ليس بوسعهم ان يفعلوا شيئاً في صد جنود الحلفاء . ومع هذا سار بهم الى الشاطئ وقد وثبت اليه القوة المقبلة من المدرعة وانتصب امام الضابط اللبناني وجنوده ثلاثة من الضباط يحملون بايديهم المسدسات ووراءهم قوة من الجند شاهرة السلاح

فالتفت نجيب بك الى القلعة فاذا هي مزدحمة بالناس ، فخاف سوء المغبة اذا اقدم على العنف وبدا له من الحكمة ان يوفد جنوده الى ابعاد الاهلين عن القلعة . وتناول مسدسه واقترب من الضباط الثلاثة يسألهم عما يريدون. ولحق به بعض الاهالي وفي مقدمتهم الشيخ عبدالله الحسامي مفتي جبيل

وكان احد هؤلاء الضباط يتكلم اللغة العربية . وهو نجيب الحداد نفسه. ولم تكن له معرفة سابقة بسميه المعلوف . فانتهره وقد اقبل ومسدسه بيده لمقابلة الضباط . قال :

— اطرح هذا المسدس جانباً . ألا تعلم انك وانت تشهره في مجيئك الينا كأنك تسدده الى صدور الحلفاء وكل من هؤلاء يمثل دولة خطيرة !

فاجاب الضابط اللبناني : اعلم ذلك ، وانا امثل دولة ، ومن واجبي ان أسألك عن الدافع الى ارتيادكم هذه الديار !

— يدفعنا الى ارتياد الشاطئ سبر غور الماء ومعرفة عدد القوات العثمانية !

— اما الامر الاول فقد عرفتموه ، واما الآخر فليس في امكانكم معرفته ، واذا عمدتم الى ضرب هذه المنطقة بقذائفكم ستجدون في المؤخرة جبهة تحميها !



نجيب بك المعلوف

معاون قائد بلوك الساحل الشمالي ومن ضباط الدرك البارزين في لبنان

فحاول نجيب الحداد ان يهدد الضابط المعلوف مرة اخرى ولكن دون جدوى . ويظهر ان ضباط الحلفاء اكتفوا بما لقوا وعادوا الى الزوارق يلحق بهم الجند. ولما ابتعدوا قليلا شاهدوا زورقاً يحمل ثلاثة من بحارة جبيل فدعوه الى الوقوف ، وسأل نجيب الحداد البحريين عن اسم قائد درك جبيل فابلغوه انه نجيب بك المعلوف

اما نجيب المعلوف فاتجه بعد هذا الحادث الى مقر البرق واعلن ذكي بك قائد البلوك ما كان . وقائد البلوك ابلغ قيادة الفرقة ٤٣ الحادث وكانت قد تأسست في عاليه

وفي اليوم التالي تلقى نجيب بك برقية من قائد الفرقة ٤٣ يشكر له فيها موقفه النبيل ويعلنه باسم القيادة العليا عزمه على منحه وسام الحرب جزاء بسالته ولحؤوله دون اختلاط الاهلين بالاعداء ومنع هؤلاء من القيام باعمال مماثلة لعملهم في الدامور

اعتقال المعلوف

وفيما نجيب بك المعلوف يرقب المكافأة على مسعاه الحميد اقبل

احمد جمال باشا الى بيروت وشهد الحفلة التي اقامها له المرحوم يوسف بك سرسق. وفي هذه الحفلة خاطب اوهانس باشا متصرف جبل لبنان جمال باشا في امر المعلوف فاجاب بغطرسة : امرت اليوم باعتقال الرجل واحالته الى ديوان الحرب !

ـــ وكيف ذلك وقد قام بنفسه بمجابهة العدو ؟

ـــ بل هو اقبل لتحية الاعداء وتزويدهم بما يحتاجون اليه من ايضاح، ولديّ على ذلك الادلة !

فحاول اوهانس باشا اقناع جمال باشا بفساد هذا الزعم، الا ان القائد العثماني كلما رأى اوهانس باشا يعطف على المعلوف ازداد رغبة في النيل منه واحالته الى ديوان الحرب

والحق يقال ان جمالا كان يكره اوهانس باشا كرهاً شديداً لعطفه على العرب واللبنانيين . وما لبث ان دعا في الليلة نفسها ادهم بك رئيس ديوان الحرب وامره باعتقال نجيب بك المعلوف وسوقه فوراً الى الديوان العرفي في عاليه

فنفذ الامر دون ما ابطاء . وفي صباح اليوم التالي كان نجيب بك المعلوف معتقلا في الديوان العرفي في عاليه

الشدة في التحقيق

والمحقق كامل بك شدد كل التشديد في استجواب نجيب المعلوف . فحاول، مع كل ما لديه من ادلة على براءة الضابط اللبناني، ان ينسب اليه تهمة الخيانة والاتفاق مع الحلفاء

الا ان الحقيقة ما لبثت ان ظهرت بجلاء وتبرأ الضابط اللبناني مما وجه اليه بعد مكوثه في سجن الديوان العرفي في عاليه شهراً كاملا . وقد عوضت عليه الحكومة على اثر ذلك بالوسام الحربي

حركة تجارب

وهذان الحادثان اللذان قامت بهما المدرعة الروسية عقبتها محاولات اخرى ليس في السواحل اللبنانية السورية فحسب بل في سواها من المناطق العثمانية. ولم يكن من الحلفاء بعد ذلك الا ان استدعوا المدرعة الروسية من البحر المتوسط وعهدوا بمهمتها الى المدرعة الفرنسية « ارنست رينان » ، كما عهدوا الى فئة من البواخر ـــ وقد جهزوها بالسلاح ـــ بالقيام بجولات في السواحل واقلاق الملاحة في السواحل العثمانية . ووردت على المدرعة « ارنست رينان » وما يليها من البواخر المسلحة الاوامر بضرب الشواطئ السورية واللبنانية والفلسطينية كما وردت على المدرعة « غوليات » ومدمرتين فرنسيتين اخريين بضرب سواحل ازمير

كيف نفذ الامر ؟

وفي صباح ١٦ ايار سنة ١٩١٥ اقبلت المدرعة « ارنست رينان » الى ساحل غزة وألقت اثنتي عشرة قذيفة على المواقع العثمانية فيها فاحدثت تضعضعاً عظيما في استحكاماتها . وكانت القيادة العثمانية منصرفة في ذلك الحين الى تعزيز جبهة غزة وفي نيتها ان تحولها الى جبهة خلفية اذا فشلت حملة قناة السويس الثانية وقد اخذ احمد جمال باشا يستعد لها

واغرقت المدرعة الفرنسية ثلاثة مراكب شراعية رست في مياه غزه . وقتل في الحادث ثلاثة من الجنود العثمانيين وجرح في الاستحكامات عشرة . وانتقلت المدرعة من غزه الى يافا فالقت على مينائها خمس قذائف لم تحدث اضراراً تذكر . وشاهدت في ضواحي مياه يافا المركب الشراعي « فرج الله » وكان فيه اربعة من البحارة فامرتهم بالنزول في احد القوارب ففعلوا ، فنقلتهم الى الباخرة التي ترافقها وضربت هذا المركب فاغرقته وتابعت سيرها الى الامام

ولاحت لها قافلة من الجنود تقطع جسر الناعمه الفاصل بين عكا وحيفا فاقدمت على ضرب ذلك الجسر . الا ان الجنود كانوا قد ابتعدوا عن منطقة الخطر لما شاهدوا المدرعة تقترب من الساحل فلم تصبهم باذى ، وكل ما فعلت انها هدمت الجسر

المدرعة في بيروت

وفي الصباح الباكر من يوم ٢٠ ايار ١٩١٥ شوهدت هذه المدرعة تجوب سواحل بيروت . وفي الساعة الثامنة صباحاً اطلقت منها طائرة حربية حامت حول بيروت واتجهت الى المنطقة الساحلية للجبل اللبناني

وكان قصدها كشف الاستحكامات العثمانية وقد قال عنها جواسيس الحلفاء انها تشيد على المرتفعات اللبنانية

واستمرت رحلة الطائرة مدة من الزمن ثم عادت الى المدرعة دون ان تقوم في بيروت بعمل عدائي

ضرب جونيه وطرابلس

وكانت الوقود في مقدمة ما يعتمد عليه العثمانيون في ذلك الحين . وخطر للحلفاء ان ينكبوهم بها فقرروا ضرب مستودعات الكاز في جونيه وجبيل وطرابلس

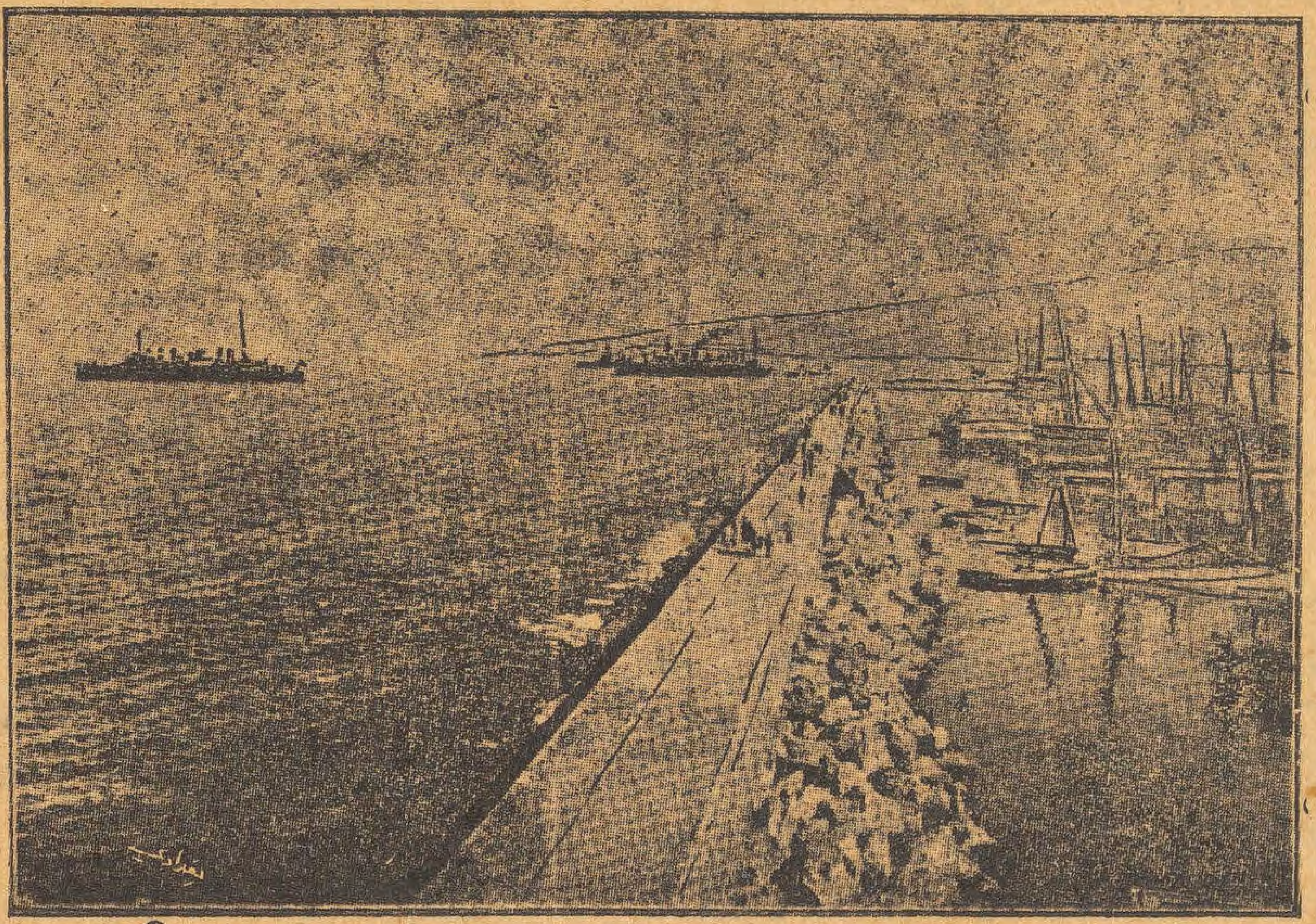
وهذا ما قامت به المدرعة « ارنست رينان » بعد جولتها في شواطئ بيروت . فاندفعت الى جونيه وجبيل وطرابلس وضربت

مستودعات الكاز في هذه المرافىء الثلاثة

وقيل يومئذ ان الحلفاء لم يعمدوا الى ضرب المستودعات الا بعدما علموا ان العثمانيين اتخذوها لتموين الغواصات والطيارات الالمانية بالزيوت ، على حين لم يكن يومذاك للالمان غواصات او طيارات في

« وردت برقية من حضرة صاحب الدولة احمد جمال باشا ناظر البحرية وقائد الجيش الرابع لمقام ولاية بيروت الجليلة هذه ترجمتها :

« في صباح اليوم الـ ٢٠ من شهر مايس سنة ١٣٣١ جاءت المدرعة « ارنست رينان » مع طيارة بحرية الى طرابلس واطلقتا قذائفهما على



الاسطول الفرنسي في بيروت

وهذا رسم آخر الى مرفأ بيروت وقد ظهرت فيه المدرعة « ارنست رينان » ووراءها احدى البواخر المساعدة للاسطول الحربي.

سواحل سوريا ولبنان

والحق يقال ان الحلفاء استفادوا من هذه الحركة وقد تمكنوا بها من اظهار سطوتهم ونفوذهم في البحار

البلاغات الرسمية

وفي اليوم التالي لهذا الحادث طلبت السلطة البريطانية الى الصحف العربية في مصر نشر بيان هذا نصه :

« روى (جورنال دهكير) ان قطع الاسطول الفرنسي دمرت مستودعات الكاز في جونيه وفي الكورة »

ولم يزد البيان على ما تقدم حرفاً واحداً . حتى انه لم يشر الى ارتياد السفن شواطىء بيروت وضربها مستودع الكاز في طرابلس

اما احمد جمال باشا فقد اوعز الى والي بيروت باذاعة البلاغ التالي :

الكازخانه وجسر السكة الحديدية .

قائد الجيش الهمايوني الرابع وناظر البحرية

احمد جمال »

وهذا اول واخر بلاغ اذاعه احمد جمال باشا في هذا الصدد .

و كان القصد من اذاعته اياه ان يهدىء من روع الاهلين الذين اضطربوا حيال تكرار جولات الاسطول الفرنسي في السواحل السورية اللبنانية

في منطقة ازمير

والمحاولات نفسها قام بها الحلفاء في شواطىء ازمير . وهم يرمون بها كما سبق واوضحنا الى درس الموقف العسكري في المناطق العثمانية وسبر غور المياه في تلك الشواطىء

الا ان المعاملة القاسية التي عامل بها الاتراك ابناء الدامور

والمناطق التي مر فيها الاسطول لم يعاملوا بها ابناء قومهم في منطقة ازمير . مما يدلنا على انهم كانوا يفرقون حقاً بين العرب والاتراك

فالبارجة « غولوات » الفرنسية وقفت في ٢١ ايار ١٩١٥ في مياه ازمير وبجانبها مدمرتان وتبادلت مع الحصون العثمانية اطلاق القذائف ، وعادت دون ان تصاب باذى فلجأت الى الشواطىء الاخرى وقامت بمحاولة انزال الجنود لمعرفة مقر سفن الاتراك

بلاغ رسمي عن الحادث

وفي اليوم التالي نشر العثمانيون بلاغاً عن الحادث قالوا فيه :

« حاول امس طراد فرنسي انزال ستين جندياً في ميناء صارصاك غربي « مكري » في الساحل الجنوبي من ازمير ، فتصدى لهم جنودنا المحافظون ففروا جميعهم الى البحر .

« وحاول العدو تحت حماية طراد اخر ان ينزل ما ينيف على مائة جندي في ميناء « صوفان » غربي « فنيكه » فادركهم جيشنا في تلك الانحاء فلم يمكنهم من العودة الى الطراد الا بعد ما تركوا عشرة بين قتيل وجريح

« وبينما كان طرادان للعدو يجولان امام استحكامات ازمير اطلقت بطارياتنا عليها النار فتعطل مقدم احدها وابتعدا على الفور »

هذا هو البلاغ الرسمي الذي اذاعه العثمانيون ، الا ان الحقيقة الراهنة هي ان ضحايا الفرنسيين في هذا الحادث لم تتجاوز جندياً واحداً . وقد اصيب من العثمانيين سبعة اشخاص قتلتهم قذائف الاسطول

والحلفاء في بلاغهم الذي نشروه بعد حادث ازمير اشاروا الى انهم عطلوا احد المدافع العثمانية في حصون ازمير . ولكنهم لم يذكروا المحاولات التي قاموا بها لانزال الجنود في هذه المنطقة

حادث بيروت

ونرى من الواجب الاشارة الى حادث جرى لما ارتادت المدرعة « ارنست رينان » شواطئ بيروت

فالحكومة العثمانية وقد لاحت لها سفن الحلفاء تجوب الشواطئ السورية اللبنانية منعت اياً كان من القيام بحركة من شأنها اثارة الرأي العام او تمهيد السبيل امام الحلفاء للتدخل في الشؤون المحلية

وفيما المدرعة « ارنست رينان » في شواطئ بيروت والطيارة الفرنسية تحوم فوق هذه الشواطئ وقع خلاف بين سليمان بن حسن الجوني من اهل الشياح وبين انطون كنعان المفتش في شركة القطار الكهربائي . والحادث بسيط لا يزيد على كون احد الاشخاص حاول الركوب في القطار دون ان يدفع الرسم المقرر واقدم المفتش على انزاله

غير ان انطون اقدم على صفع سليمان ، فما تحمل سليمان الاهانة وشهر مسدسه ولحق بانطون ففر هذا من امامه الى حانوت بائع التبغ السيد نقولا خرما، وهناك اطلق عليه سليمان عدة عيارات نارية اصابت الرجلين فجرحتهما . وتكاثر رجال الامن على الرجل فاعتقلوه وقادوه الى دائرة الشرطة

سياسة الارهاب

فهاجت الاعصاب حيال الحادث وقد وقع في محلة الجميزة واثار اشاعات مختلفة

واحمد جمال باشا وهو يكره سياسة الطائفية ويعتقد فيها الاذى للسيادة الوطنية رأى في ما اقدم عليه سليمان ما يخل بالنظام اذ يعيد الى الاذهان حوادث التطاحن الطائفي، وقد شاع امرها قبل اعلان الدستور ، ويفسح المجال للحلفاء كي يقوموا بما من شأنه انزال الضرر بمدينة بيروت ، خصوصاً والطيار الفرنسي كان يحوم فوق المدينة ، وبامكانه الاعتقاد ان ثمة حركة للنيل منه . ولذا امر جمال باشا باحالة الرجل الى ديوان الحرب وباذاعة بلاغ لتهدئة الافكار

وفي اليوم التالي اذاع والي بيروت بلاغاً قال فيه :

« الى اهالي بيروت ولبنان ما أخذت امس الطيارة بالارتفاع في الجو حتى تجرأ المدعو سليمان بن حسن الجوني المتوالي من قرية الشياح في جبل لبنان على جرح احد سواقي الترام واخر من الاهالي فاعطي الامر الى مأموري الضبط بان يسلموا المرقوم حالا الى ديوان الحرب العرفي . وحكم الديوان العرفي سينفذ حالا

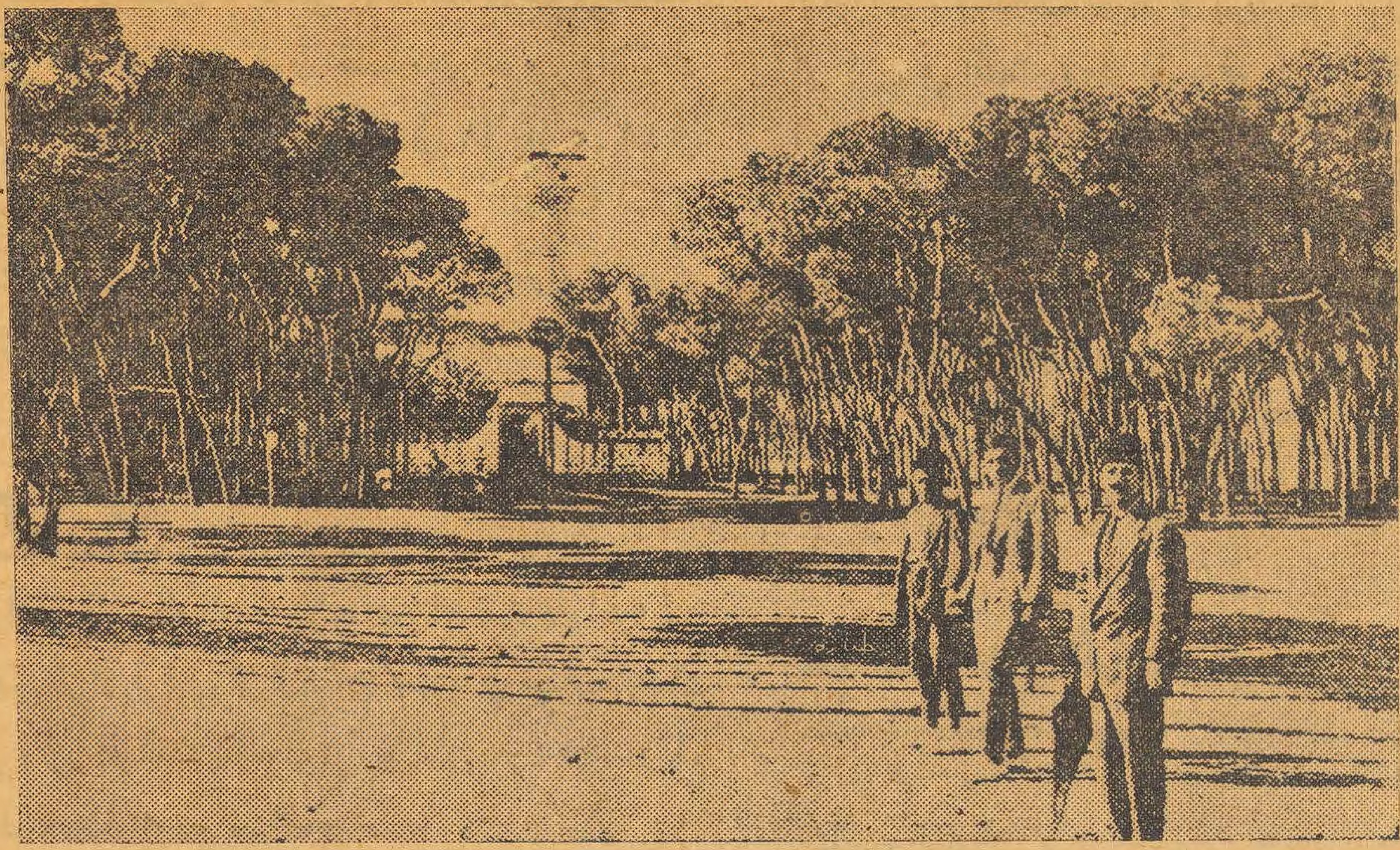
« وعليه فمن يخل بالامن الداخلي في البلاد مقدار ذرة يعتبر خائناً وينكل به حالا بالقوة المسلحة .

و« لكي يطلع على ذلك الجميع اذعنا هذا البلاغ بناء على امر قيادة الجيش في ٢٠ مايس سنة ١٣٣١

والي بيروت

بكر سامي

والبيروتيون الذين ما كانوا ليعتقدوا بالحكومة مثل هذه الشدة، وعهد الارهاب لم يبدأ بعد خافوا شر العاقبة وهدأت الاعصاب ورقب الجميع بفارغ صبر مصير سليمان الذي في سيق اليوم نفسه الى ديوان الحرب العرفي



حرش بيروت اثناء الحرب العظمى

يبدو في هذا الرسم مسجد الحرش وهو البناء الوحيد الذي كان في ذلك الوقت . ويعلم اهالي بيروت ان هذه الاشجار التي يشاهدونها في هذا الرسم قد ذالت عن بكرة ابيها وحلت مكانها بنايات عديدة تشغلها اليوم كلية المقاصد الخيرية الاسلامية . وهذا الرسم من الرسوم النادرة حاليا

الحكم باعدام الجوني

والتحقيق مع سليمان لم يستغرق الا يوماً واحداً ، اذا ان هيئة التحقيق اكتفت بتقرير رجال الشرطة وباعترافات سليمان بانه اطلق فعلا الرصاص . وما اعارت الدفاع جانباً من الاهتمام اذ ان الاوامر الواردة من القيادة كانت صريحة جداً ، وهي توجب الحكم بالموت على الرجل مهما كانت الاسباب لاطلاقه الرصاص

وعملا بهذه الاوامر عقد ديوان الحرب العرفي جلسته في اليوم الثاني والعشرين من شهر ايار سنة ١٩١٥ برئاسة ادهم بك ، وبعد محاكمة الظنين في مدة لا تجاوز الساعتين حكم عليه بالاعدام. ورفعت الاوراق الى احمد جمال باشا فاقر الحكم في ٢٣ منه وعين صباح ٢٤ ايار ١٩١٥ موعداً للتنفيذ

تنفيذ حكم الموت

ولم يسبق لقضية من القضايا التي عرضت على المحاكم العثمانية ان جزم فيها بمثل هذه السرعة . فمرت على المتهم والاهلين كما يمر الشريط السينمائي . ما بدأت حتى انتهت . وقد نقل الرجل في مساء ٢٣ ايار الى السجن . وفي صباح اليوم الثاني سيق باكراً الى الموت في ساحة البرج . وفيها علق على اعواد المشانق ، وعلقت على صدره رقعة بيضاء كتب عليها ما نصه :

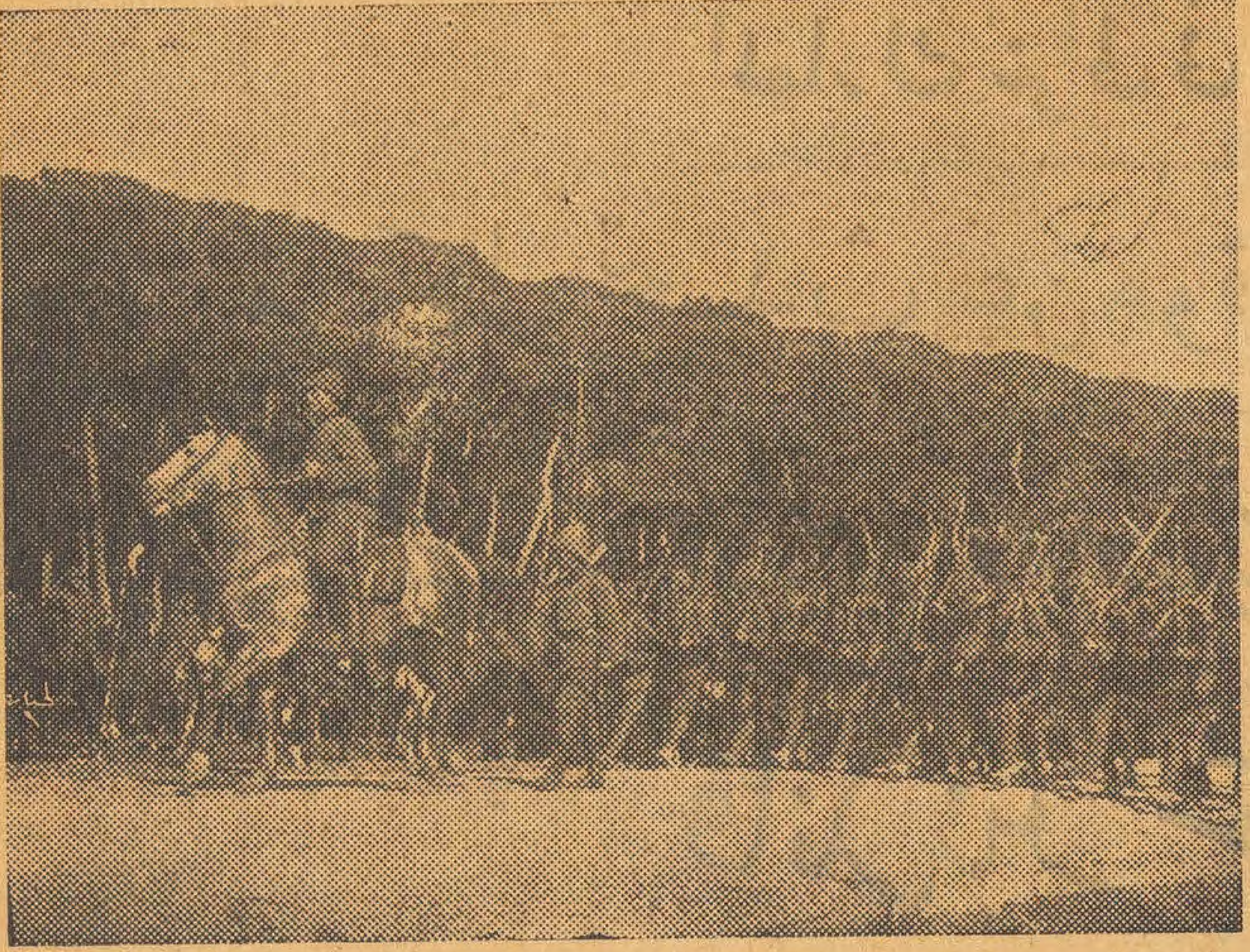
« سليمان حسين الجوني

« بينما كانت سفن الاعداء الحربية والنقالة تجول امام ميناء بيروت والطيارة تحلق في سمائها تجاسر سليمان بن حسين الجوني من الشياح (لبنان) على ارتكاب جرم جرح مفتش الترامواي انطون كنعان وبائع التبغ نقولا خرما، وذلك باطلاق الرصاص عليهما ثلاث مرات في طريق النهر خلافاً لتنبيهات الحكومة على الاهالي بالتزام السكينة . ولما كان فعله هذا يعد جناية حربية وخدمة للعدو بقصد اثارة القلق في المدينة فقد تقرر بناء على ذلك وعملا بالشطر الاخيرة من الفقرة العاشرة للمادة الرابعة عشرة من قانون افشاء الاسرار العسكرية وارتكاب جرم الجاسوسية ، تصديق حكم الاعدام الصادر بحق المرحوم من محكمة ديوان الحربي العرفي في بيروت ولبنان وصدر الامر بتنفيذه»

وظل جثمان الجوني البائس معلقاً الى الساعة الثامنة صباحاً في ساحة البرج .

عرض القوات العثمانية في الحرج

في اواخر شهر نوار ١٩١٥ وقف احمد جمال باشا امام حرج بيروت ور كز قبالته مركز القيادة العليا يعرض الجيش ويبدو في هذا الرسم القائد فخر الدين باشا ووراءه الجيش العثماني امام حرج بيروت، وقد تحولت اشجار الحرج الباسقة الظاهرة في الرسم الى ناد لسباق الخيل



بلاغ رسمي

وفي اليوم نفسه اذاعت الحكومة بلاغاً هذا نصه :

« نفذ في الساعة الخامسة زوالية من صباح اليوم حكم الاعدام شنقاً في سليمان بن حسين الجوني من اهالي قرية الشياح التابعة لجبل لبنان الذي تعرض لمفتش الترام وأحد الباعة وقد لقي جزاء خيانته وغدره . . »

تهديد احمد جمال

وتململ احمد جمال باشا من كل ما يرى . فقد غاظه :

اولا — المؤامرة التي اكتشفت في صيدا والتي نقلنا في الجزء الثامن من «الاسرار» تفاصيلها وقد دلته على ان هناك مكايد سرية يحوكها ابناء البلاد والحلفاء، ولاسيما الفرنسيون، للنيل منه

ثانياً — تعدد زيارة الوحدات الحربية لشواطىء سوريا ولبنان وفشلها في اختراق قناة السويس مما روّج اشاعات تقول بقرب احتلال الحلفاء للسواحل اللبنانية والسورية وبضعف الحامية العثمانية

ولدحض هذه المزاعم رأى القائد العثماني ان يقيم حفلة عسكرية شائقة يعرض فيها القوات العثمانية ليرهب الاهلين وليظهر لجواسيس الحلفاء المنتشرين في البلاد قوته ومقدرته

عرض الجيش العثماني

وفي اواخر شهر نوار حوّل القوات العثمانية المعسكرة في لبنان الى فرقة سماها الفرقة ٤٣ وقام في محلة الحرج (شارع سبق الخيل اليوم) بعرض عسكري دعا اليه العدد الكبير من اهالي لبنان وبيروت ووجهائها

واجتهد احمد جمال باشا في ان تكون الحفلة فخمة وتم له ما اراد، كما تم له منع الوحدات البحرية الفرنسية من التردد مرة اخرى الى السواحل رأفة منها بابناء البلاد

وقد اشترك في حفلة العرض قوات الفرقة ٤٣ والقوات العسكرية الاخرى الموضوعة تحت قيادة اللواء فخر الدين باشا، مما جعل الحفلة في روعة متناهية دلت القيادة على ان بوسعها اعتماد هذه المداورات في اي ساعة تشاء .

المعارك تتوالى في مضيق جناق قلعه

مصطفى كمال يتحدث عن موقف القوات العثمانية من الحلفاء

الانكليز يحاولون بكل قواهم ان يثبتوا في مضيق الدردنيل

فاندنبرغ جريح

لما قرر قائد القوات العثمانية في منطقة « آري برونى » القيام في اول ايار سنة ١٩١٥ بالهجوم العام على مراكز الحلفاء اضطر الى قسم القوات الموجودة لديه الى ثلاثة اقسام :

الاول — قوات القلب تحت قيادة القائمقام علي بك وكانت مؤلفة من الالايين الـ ١٤ والـ ١٥ ، وهي قوات لم تكن قد خاضت غمرات القتال

الثاني — الجناح الايمن يقوده البنباشي عوني بك وهو مؤلف من الالايين الـ ٥٧ والـ ٦٤ ، وطابور من كل من الالايين ٧٢ و٧٣

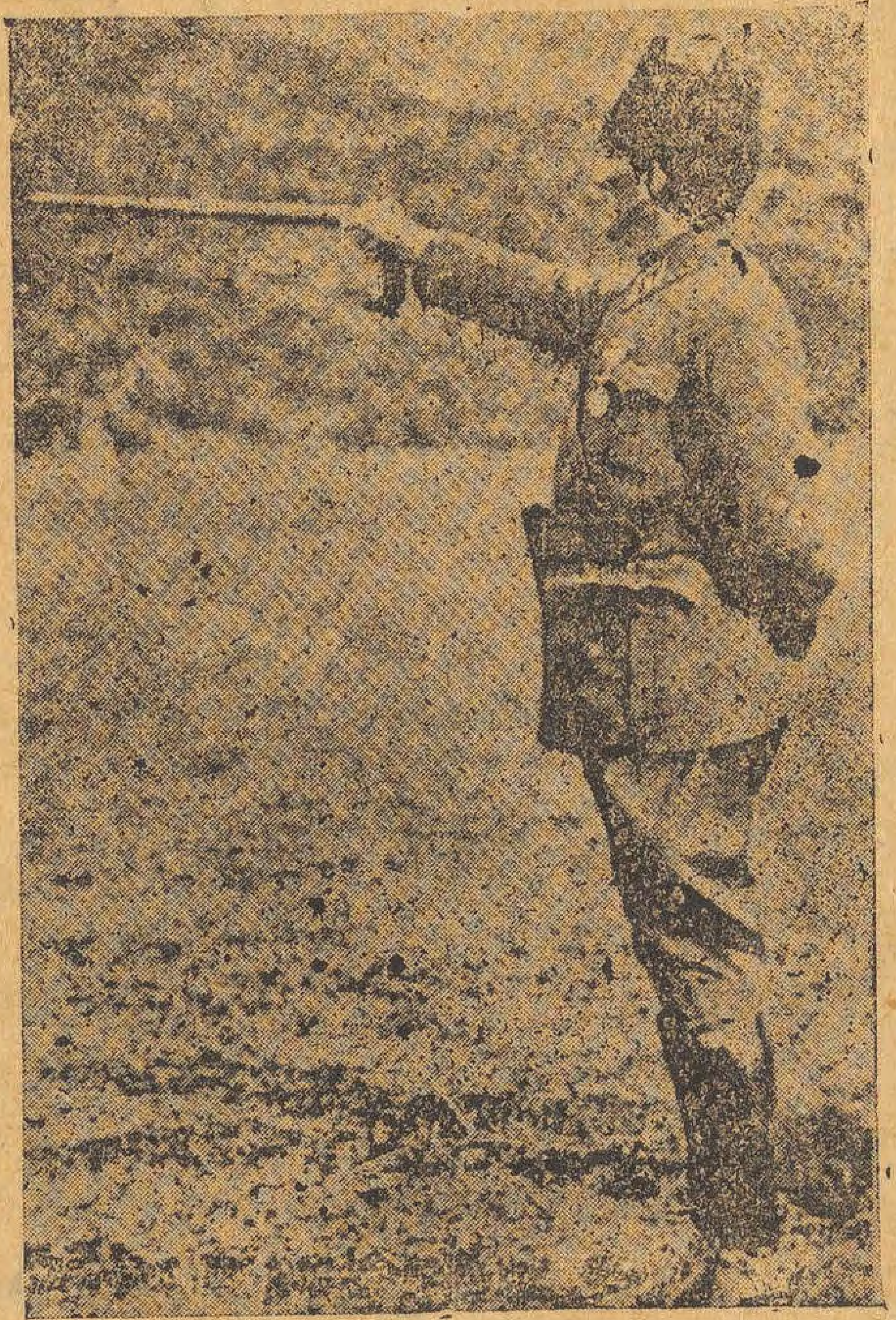
الثالث — الجناح الايسر يتولاه القائمقام شفيق بك وهو مؤلف من الالايين الـ ٢٧ والـ ٣٣ وقسم من الالاي ٧٢

ويتبين لنا من هذه التدابير ان الضربة الشديدة التي تريد القيادة تسديدها الى الحلفاء ستبدر من جهات القلب ، اذ ان الجناحين الايمن والايسر في هذه الجبهة يتوليان حفظ للموقف فلا يمكن الاستعانة بهما وهما عرضة لقذائف الاسطول . والدليل تجربة ٣٠ نيسان

مجزرة هائلة

ففي يوم ٣٠ نيسان حاول بلوكان من اقصى جناح الالاي ٥٧ ان ينطلقا لاحتلال المرتفعات المطلة على الجبهة الساحلية ، الا ان هذه المخاطرة التي قاما بها عرضتها لقذائف الاسطول فمزقتها بفظاعة ، والذين نجوا من الكارثة عاشوا مشوهين

وهذه الكارثة ، وقد كلفت القيادة العثمانية افراد هذين البلوكين ، دلت بصراحة تامة على ان الاعتماد في هذه الجبهة يجب ان يستقر على



مصطفى كمال باشا

رسم تاريخي نادر لكمال اتاتورك ، رئيس جمهورية تركيا اليوم ، اخذ له وهو قائد منطقة « اري برونى » ، والرسم اهداه الينا احد مساعدي القائد الرئيس

قوات القلب وحدها ، اذ ليس بامكان الاسطول الاهتداء الى مقرها وهي بين « بومبا صرتي » وخط « مركزتبه » . ولقد اقام الالاي



خريطة «الاسرار» عن معارك جناق قلعه

تشير هذه الخريطة الى شبه جزيرة جناق قلعة وتوضح لقراء «الاسرار» المراكز التي نزلت فيها حملات الحلفاء في يوم ٢٥ نيسان والايام التالية

١٤ في هذا الخط والالاي ١٥ على يساره وتولى الالاي ١٣ حماية المؤخرة .

مصطفى كمال يوضح الموقف

وفي مساء ٣٠ نيسان سنة ١٩١٥ عقد ضباط الجيش اجتماعاً ترأسه القائمقام مصطفى كمال بك (رئيس جمهورية تركيا اليوم) قائد القوات المدافعة عن « آري بروني » وفيه بسط القائد الموقف قائلا :

ـــ بذل العدو مجهوداً قويا منذ ستة ايام في سبيل اقتحام مراكزنا واحتلالها ، الا ان مساعيه ذهبت سدى واصيب بخسائر فادحة تزيد مجموعها على فرقتين .

« والموقف في سد البحر وقوم قلعه هو نفسه في هذه الجبهة

« اننا جميعاً على اعتقاد وطيد وعزم اكيد على انزال اكبر ضربة بالاعداء نلاشيهم بها

« موقفنا بالنسبة الى العدو ليس ضعيفاً . فالعدو فقد تقريباً قواه المعنوية ، ولذا رأيناه يعدل عن مهاجمتنا منصرفاً الى اقامة الاستحكامات ليجد فيها ملجأ يقيه رصاصنا . وقد رأيتم امس كيف فرّ جنوده من هذه الاستحكامات لما اصيبت ببعض القذائف التي رشقناها بها . ولم يبق علينا سوى متابعة اعمالنا لنصل الى هدفنا بابعاد اعدائنا عن هذه المناطق نهائياً .

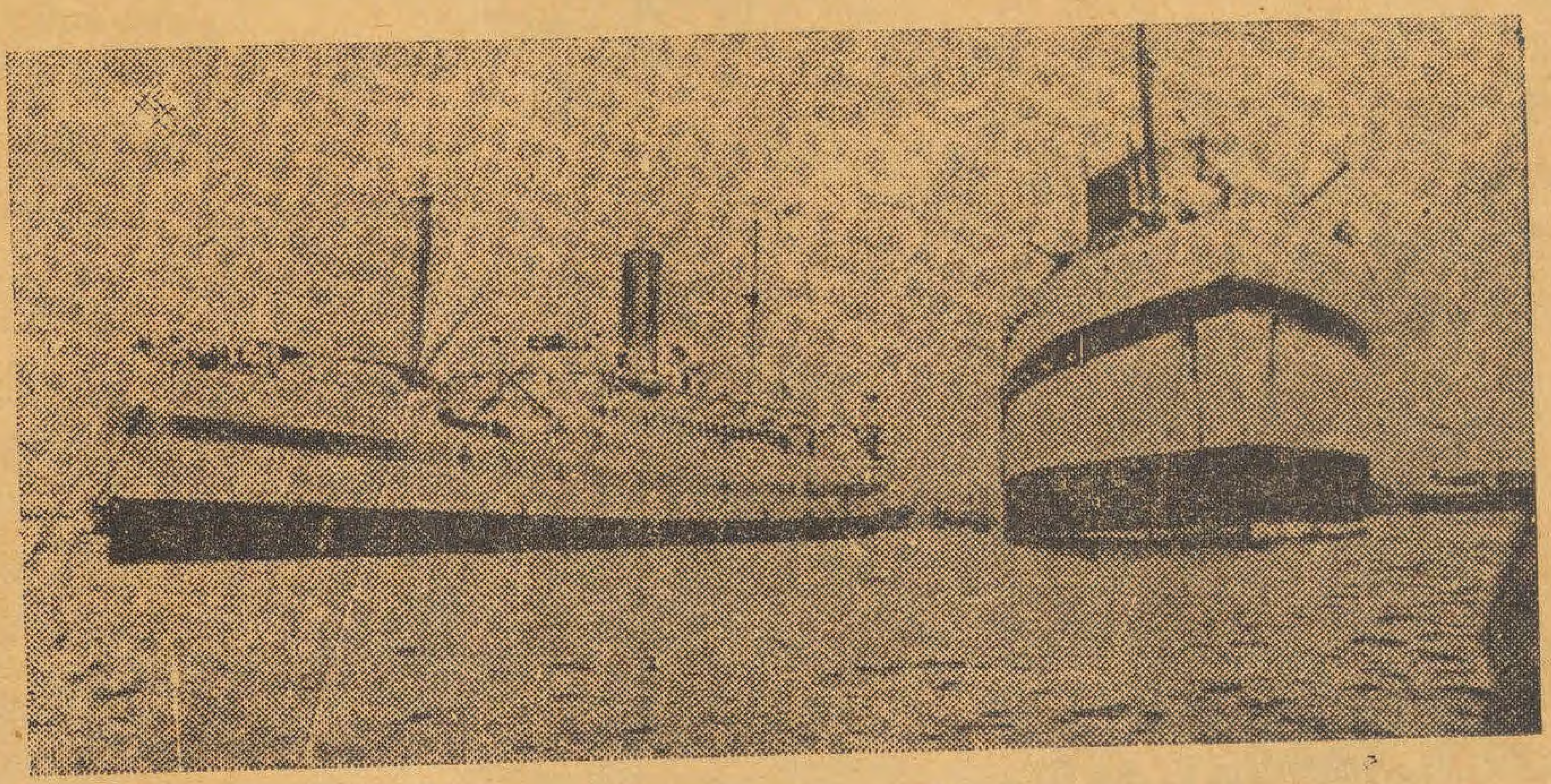
« ليس بوسعي ان اتصور وجود من يهاب الموت فينا . فاذا كان بيننا من يؤثر عار الذل والهزيمة على الموت فانا مستعد لقتله بمسدسي هذا ، كما اطلب منكم قتل كل من تحدثه نفسه بارتكاب مثل هذا العار . علينا ان نتابع السير في خطتنا لنحرز الفوز الابدي ! »

معركة اول ايار

وفي الساعة الخامسة من صباح اول ايار بدأت المدفعية الجبلية العثمانية اطلاق قذائفها بشدة على الاستحكامات الانكليزية الجديدة لهدمها ، وزحف افراد الآلاي ١٤ الى الامام لاحتلال منطقة « مركز تبه »

فقابلت مدفعية الحلفاء المدفعية العثمانية بالمثل ، اما وهي ضعيفة في البر فلم تؤثر في جبهة القلب العثمانية . فلم يكن لها غنية عن نجدة الاسطول . واقبلت وحدات الاسطول وامطرت بقذائفها المنطقة التي

يمتد منها الجناحان الايمن والايسر العثمانيان ، فاثرت في موقف هذه القوات الا انها لم تحل دون تقدم القلب وقد اخذت قواته تسير الى هدفها بالتدريج،حتى اذا اقتربت من المرتفعات بدأت قوات الحلفاء المنهوكة وتابع القتال بعزم وجسارة . وحصر ميدان القتال في مساحة عرضها لا يزيد على ميلين.وباتت القوات المتحاربة وجهاً لوجه .وبلغ قسم كبير من الجنود العثمانيين خنادق الاعداء



سفن المستشفيات الفرنسية

في حرب المضايق لجأ الحلفاء الى السفن التجارية يقيمون فيها مستشفيات لنقل الجرحى من المضايق الى مصر،وطلوها باللون الابيض تمييزاً لها عن سواها قصد منع عدوان الغواصات عليها . والرسم يشير الى سفينتين من هذه السفن المعدة لخدمة الانسانية

المشاة تقابلها بالمدفعية الرشاشة ورصاص البنادق ، فاجابها العثمانيون بالمثل ، وفي الساعة الثامنة والنصف صباحاً بدأ التضعضع في جناح الانكليز الايسر

وفي الساعة العاشرة والدقيقة ٤٥ اضطرت القوات الانكليزية الى الالتجاء الى الاستحكامات ، وارسل قائدها الجنرال «بردفورد» يطلب من الاسطول النجدة

وبعد ساعة بدأ الحلفاء انزال قوات جديدة الى « قبه تبه »

الاتراك يقفون على مضمون البرقية

ودار اللاسلكي في الموقع العثماني في الدردنيل التقطت البرقيات المتبادلة بين القائد « بردفورد » والقيادة العامة . وردت من جواب القائد العام انه عازم على ايفاد النجدات،فابلغت ذلك فوراً الى مصطفى كمال بك، وكان من المقرر لديه وقف القتال عند الظهر

ولكنه بعد الانباء الواردة عليه رأى المضي في القتال لئلا يفسح للحلفاء المجال في تعزيز مراكزهم الجديدة . وعمد الى تبديلات سريعة في المراكز الامامية فاستبدل القوات الاحتياطية بالقوات

معركة اشبه بالمجزرة

ووصف كمال اتاتورك هذه الحادثة فقال :

— لما قربت المسافة بين قواتنا والاعداء امرت الجنود بالانبطاح فاخذوا يتبادلون والاعداء الرصاص من مسافات قريبة . وفجأة وثب الجنود من مراكزهم الى الامام وامسوا في الاستحكامات والاعداء وجهاً لوجه . وجرت مجزرة هائلة تساقطت فيها ضحايا الفريقين بكثرة هائلة

«ومع خطورة الموقف،ومع الضحايا الكثيرة التي سقطت منا،ظلت جنودنا تواصل القتال حتى المساء ، وعندذاك تمكنت من دفع القوات الانكليزية عن مراكزها في ذلك الموقع وسجلت لها فوزاً باهراً »

***

وكان لمعركة اول ايار تأثير عظيم لدى الحلفاء وقد نزلت بهم خسائر فادحة تقدر بين ٢٥٠٠ و ٣٥٠٠ قتيل وجريح

وحاول العثمانيون في ٣ ايار ارسال قوات كشفية تمكنت في

بادىء الامر من الوصول الى قرب الاستحكامات الانكليزيـة ، الا انهـا اضطرت في النهاية الى التراجع بعدما بليت بخسائر فادحة اذ لم يبق ١٠ بالمئة من هذه القوات



معارك القتال في جناق قلعه

وسم رمزي نشر في خلال الحرب العالمية يدل على مقدار ما بذل الانكليز من مجهود في نقل مدفع ضخم الى المرتفعات في خطوط القتال الامامية

خمس هجمات في يوم واحد

وقامت القوات العثمانية بخمس هجمات متوالية على مراكز الحلفاء في هذه الجبهة لم يستفد في خلالها احد من الفريقين شيئاً ، فما تقدما خطوة عن مواقعهما مع خوضهما معارك شديدة

على ان الجنود العثمانيين تمكنوا في الهجوم الرابع من تهديـد جناح الفرنسيين الايسر مما اكره الجنرال « فاندنبرغ » على ايفـاد كتيبة من جنود المستعمرات لتعزيز هذه الجبهة . فما افادت النجدة شيئاً وقد اضطرت هذه القوات الى التراجع بصورة غير منظمة احدثت تبلبلا بين الجنود السينيغاليين الذين عادوا وتراجعوا الى ميناء « مورتو »

جرح القائد فاندنبرغ

ومساء ٤ ايار ١٩١٥ شاء قائد القوات الفرنسية الجنرال «فاندنبرغ» — وهو القائد الذي عين حاكماً على لبنان قبل السيد كايلا — ان يقوم بهجوم عام على المراكز العثمانيـة ، فرغب في الاستيلاء على حصن « آي تبه » لخطورته العسكرية . واوفد لهذا القصد بلوكين من جنوده تحت حماية الاسطول

وتمكنت هذه القوات من الفتك بحامية المرتفع ، الا ان فئة من رجال هذه الحامية تسنى لها الالتجاء الى اطراف المرتفع والتحصن فيهـا .

فرمى القائد « فاندنبرغ » بكتيبة اخرى من قواته لمحاصرتها ، على ان القوات العثمانية الصغيرة استطاعت حيـال مناعة المرتفع الثبات في اماكنها حتى وصول نجدات جديدة من القوات العثمانيـة ، فقامت اذ ذاك بحركة التفاف على قوات الاعداء وبينها الالاي ١٧٥

الافريقي، ودارت رحى معركة شديدة قتل فيها قائد الالاي ١٧٥ الفرنسي وجرح قائد الحملة جرحاً بليغاً

جراءة الجنرال فاندنبرغ

والجنرال « فاندنبرغ » وقد اصيب بجراح بالغـة لم يسقط الى الارض ، وهو يعلم ان سقوطه يضعف روح الجنود ، فظل واقفاً يسنده احد ضباط اركان حربه ويضغط جرحه بنفسه حتى اذا انتهت مهمته وتمكن من ادارة الحركة وانقاذ البقية الباقية من افراد الالاي ١٧٥ الافريقي ، الذي لقي في هذه المعركة الخسائر الجسيمة ، شعر بانه امسى لا يتحمل آلام جراحه ولم يمانع في ان ينقل الى احدى سفن البحر الفرنسية المختصة باسعاف الجرحى

سفن الجرحى

وكان الحلفاء قد استخدموا عدداً من البواخر كمستشفيات وطلوها باللون الابيض ووسموا عليها الصليب الاحمر منعاً من اعتداء الغواصات الالمانية

والحق يقال ان الجميع احترموا هذه البواخر فما مسوها بسوء

انزال الجنود على الساحل

والحركات التي قام بها الحلفاء بين ٢٥ نيسان والاسبوع الاول من شهر ايار ١٩١٥ ساعدت قواتهم على انشاء جبهة حربية في المناطق الساحلية انصرفت بقوة واهتمام الى تقرير مراكزها الحربية . ولبلوغ هذا الهدف تقرر :

اولا — اقامة التحصينات في مناطق الحدود الساحلية

ثانياً — اقامة الاستحكامات الامامية

ثالثاً — الاستيلاء على الهضبات المطلة على المناطق الساحلية

رابعاً — القيام بحركات حربية للاستيلاء بالتدريج على المراكز العثمانية في الداخل واختراق شبه جزيرة « جناق قلعه » والوصول الى العاصمة العثمانية

حركة انزال الجند

وتم للحلفاء انزال جنودهم في هذه المنطقة بعد التجارب الدامية التي بدأت في ٢٥ نيسان. ولقد تم ذلك كما يلي :

اولا — نقل الفرقة ٢٩ الهندية الى سواحل سد البحر وابقاؤها على ساحله في اليوم الاول من شهر ايار ١٩١٥

ثانياً — الابتداء منذ ٣٠ نيسان بنقل الفرقة ٤٢ للمحافظين الانكليز من مصر الى جناق قلعه وانزال آخر جندي من جنودها في ٨ ايار .

ثالثاً — انزال القوات الفرنسية في ٦ ايار



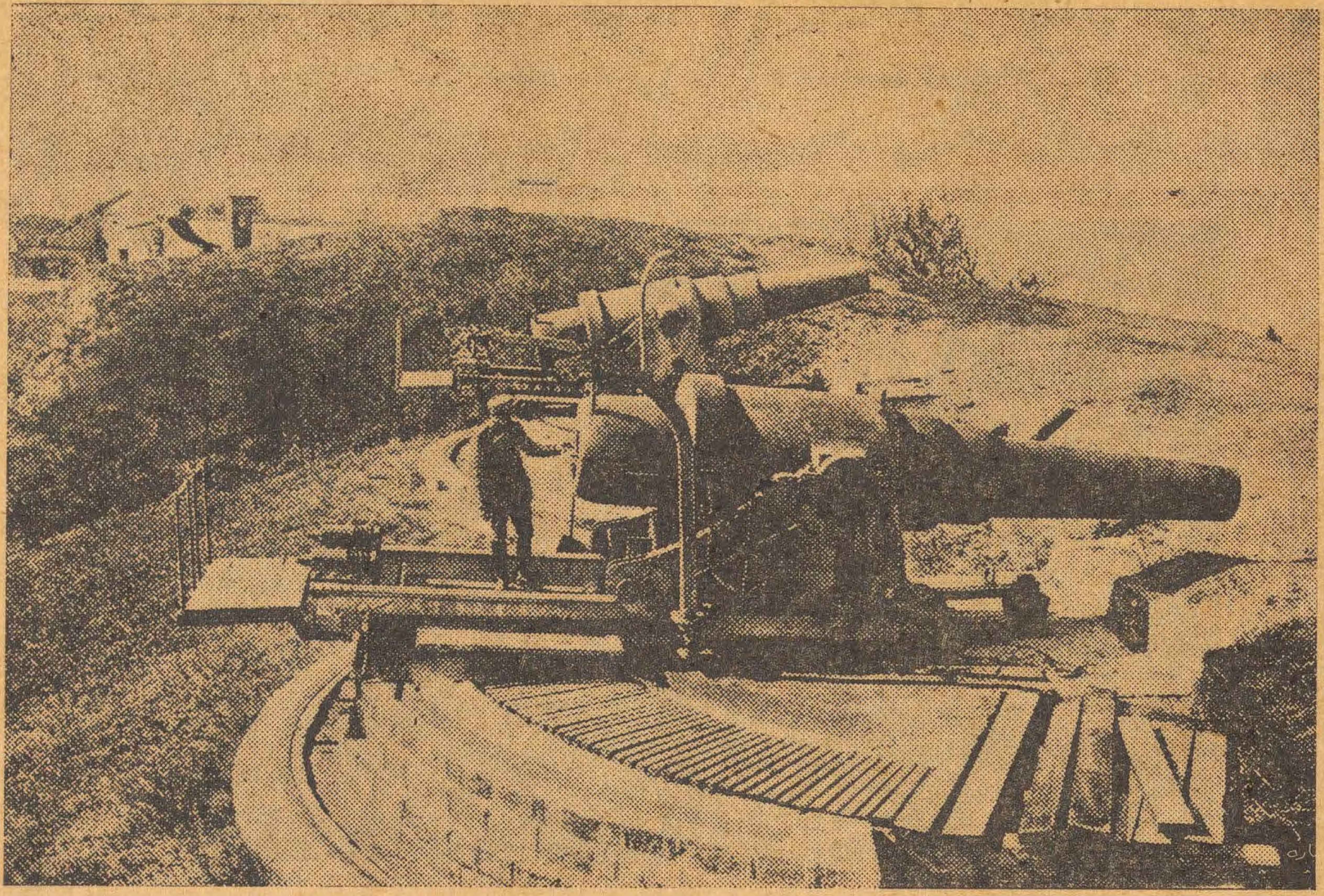
اسعد باشا في جناق قلعه

رسم نادر لامير اللواء اسعد باشا قائد القوات العثمانية في جناق قلعه وقد وقف وراءه ضابط من ضباط اركان حربه

موقف الجيش العثماني

وتجاه هذا التدبير المحكم الذي اتخذه الحلفاء رأت القيادة العثمانية ضرورة تعزيز قواتها . فحولت الفرق المدافعة عن الجبهات الى فيالق وعهدت الى الجنرال « فيبر » الالماني بقيادة « سد البحر » واطلقت على قواته اسم «قوات الجنوب»، وعهدت الى قائد الفيلق الثالث اسعد باشا بقيادة منطقة « اري بروني » ولقبته باسم قائد القوات الشمالية

وفي صباح ١٧ ايار تسلم القائدان الاعمال في هذه المنطقة وانقطعت صلات مصطفى كمال بك بها وقد انتقل الى قيادة الفرقة في « انافورطه »



المدفعية الثقيلة في اعالي جناق قلعه

لما اشتد القتال في جناق قلعه نصب المان مدافع ضخمة على مرتفعات جناق قلعة المطلة على الساحل . وكان لهذه المدافع الفضل الكبير في صد هجمات الحلفاء . والرسم يدل على بعض هذه المدافع وقد وقف امام احدها ضابط نمسوي

الهجوم العام

وبعد تحويل الفرقتين التاسعة والتاسعة عشرة الى فيلقين قررت القيادة العليا القيام بهجوم عام على القوات الانكليزيـة ووضعت له المنهاج التالي :

اولا ــ يبدأ الهجوم العام على قوات الحلفاء في الساعة الثالثة والنصف من قبل شروق شمس ١٩ ايار

ثانياً ــ تحتشد لتحقيق هذا الهدف وحدات الفرقة الثانيـة مساء ١٨ ايار في « جقتلك صاراشيم » وتؤلف قوة القلب . وتؤخذ قوة الجناحين الايمن والايسر من الاي من الفرقة ١٦ وتحتشد في منطقة « قانلي صرت » وفيها تتصل بميمنة الالاي ٢٧ وبسائر قوات الفيلق

ويوم اتخاذ هذه التدابير ، وكان ذلك في اليوم الثامن عشر من شهر ايار ، شرعت المدفعية العثمانية بضرب المراكز الانكليزية بمدافعها ، الا ان الضعف تجلى في هذا العمل فلم يؤثر في مراكز الحلفاء .

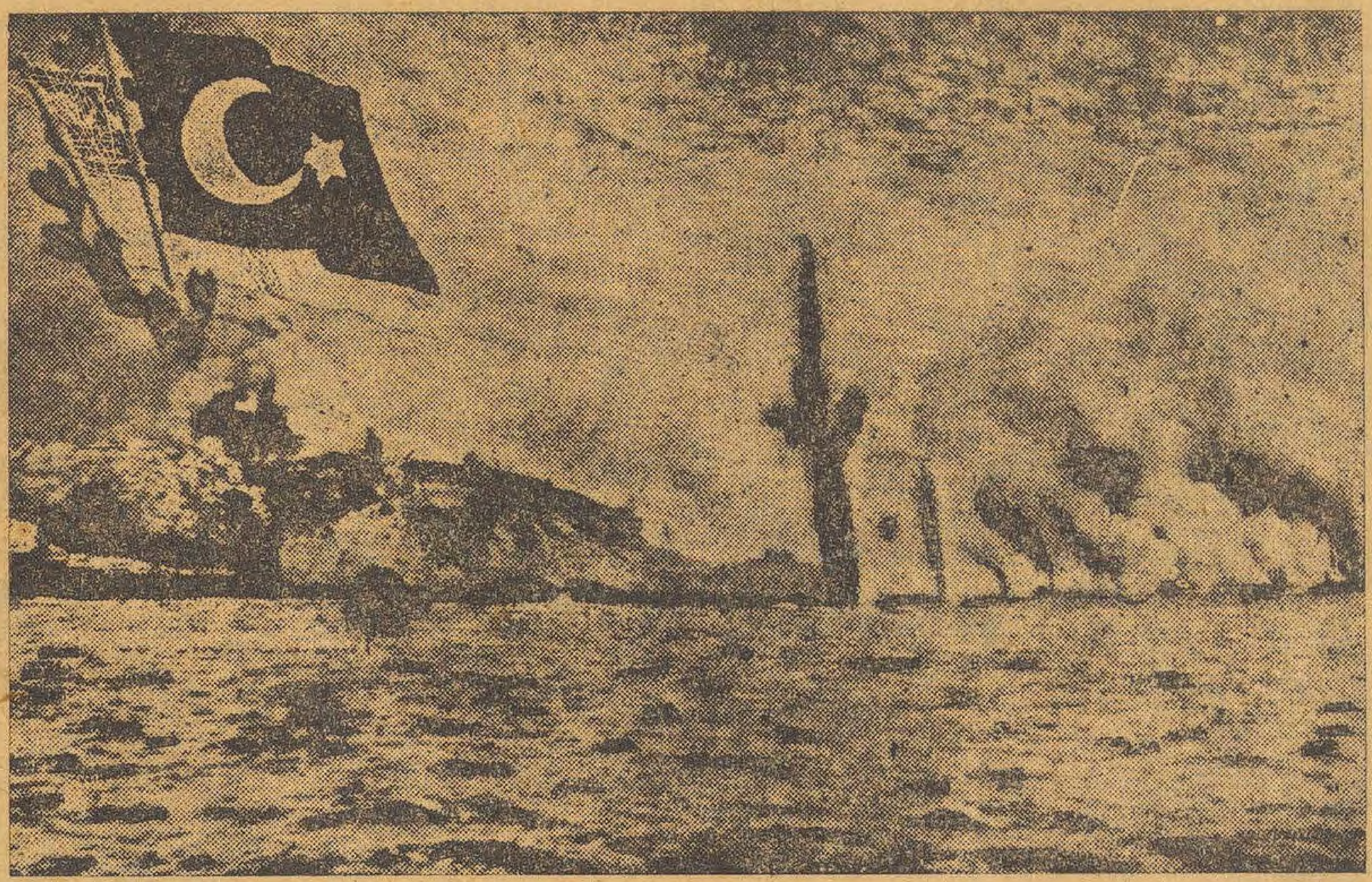
بدء الهجوم العام

وفي الساعة الثالثة والنصف من صباح ١٩ ايار ، اليوم المعين للهجوم ، بدأت القوات العثمانية زحفها الى الامام وفي طليعتها الالاي ٥٧ وقد تمكنت قواته الاساسية من احتلال مراكز الحلفاء الامامية ، الا ان الطابور الاول المؤلف من الجناح الايسر لم يتقدم ازاء المقاومة العنيفة التي لقيها من الانكليز خطوة واحدة

الدم و النار

وقوات الالاي ١٤ ، التابع للفرقـة الخامسة القائمة على يسار الفرقة ٥٧ ، تقدمت بعد ربع ساعة بجسارة فائقة ، الا ان تأخرهـا في الهجوم كان سبباً في يقظة الحلفاء . فاستقبلوا هذه القوات بوابل من رصاص البنادق والرشاشات ورموها بخسائر فاحشة ومنعوا وصولها الى الاستحكامات الانكليزية

وهذا الفشل كان نصيب الفرقة الثانية وهي المعول عليها في هذا الهجوم . فقد بدأت هجومها في الساعة الثالثة والدقيقة ٤٥ واضطرت عند الساعة الخامسة والدقيقة العاشرة الى العودة الى مناً يراقب الحالة وليس امامه غير امل واحد بالنجاة وهو اختراق جبهة العدو والاستيلاء على مراكزه لوضع حد لهذه المجزرة الراعبة « ولم يكن منظر البحر يقل روعة عن منظر البر . فالقذائف



معارك جناق قلعه الرهيبة

اخذ هذا الرسم ابان اشتداد معارك القتال في جناق قلعه ، واضيف اليه العلم العثماني ونشرت منه رسوم متعددة اتخذها العثمانيون في ذلك الحين وسيلة لاظهار مناعة مراكزهم

استحكاماتها وحل لديها الدفاع محل الهجوم ، وقد ردتها القوات الانكليزية على اعقابها بعدما قضت عليها بخسائر جمة

ولكن هذا الفشل لم يرق قائد الفيلق العثماني الثامن فاذاع اوامره بمجابهة القوات الانكليزية لاسترداد ما خسره العثمانيون منها

وبدأت المدفعية العثمانية القاء قذائفها بقوة مدهشة على المراكز الانكليزية . فتتساقط على الشاطىء وعلى السفن الحربية بما لم يسبق له مثيل

ووصف لنا احد الضباط الاتراك الذين شهدوا في ذلك اليوم المعركة فقال :

ــ تحول البر والبحر معاً الى شعلة متأججة . فالقذائف المتساقطة على مراكزنا وحصوننا كانت تنفجر بدوي يصم الاذان . ويمكنني القول ان عشرة بالمئة من جنودنا الذين نجوا من الكارثة اصيبوا بالصمم . ورأينا الجثث تتطاير في الجو مع شظايا القذائف وكل العثمانية المتساقطة حول الاسطول كانت تضرب الاسماك الكبيرة فترفعها عن سطح الماء الى علو شاهق حتى تكاد تختلط بسحب الدخان المعقودة في الجو من طلقات المدافع . واصابت قذائفنا النقالات المملوءة بجنود الحلفاء فشطرتها الى شطرين وهوى الجنود البائسون في الماء بين قتلى وجرحى . فان ذلك اليوم اشد ايام الحرب هولا في جناق قلعه ، فلا نقوى على نسيانه وقد حوى كل رهيب !..»

هذا ما وصف به احد الضباط الاتراك يوم ١٩ ايار ١٩١٥ في جناق قلعه

وحاولت احدى فرق الدفاع العثماني مهاجمة القوات الانكليزية في الساعة الثالثة بعد الظهر ، وتمكنت في البدء من ادراك هدفها هذا والاستيلاء على الاستحكامات الشرقية ، الا انها اضطرت اخيراً الى التراجع وقد اصيبت بخسائر فادحة

اسرار الحرب الكبرى

بقلم كرم ملحم كرم

ايطاليا تجر النمسيين على نهر (الايزونزو) الى اربع معارك طاحنة

وهذه المعارك على هولها لا تنتهي الى فوز كامل

أيوم نصر ويوم أخفاق!



القائد «كادورنا» قائد الجيش الايطالي

حاول الايطاليون في معركة «الايزونزو» الثانية ان لا ينكبوا بما نكبوا به في المعركة الاولى. واعتمد قادتهم خطة السرعة وخطة الهجوم المتوالي لئلا يجد النمسيون فرصة يقوون بها على مغالبة التيار الزاحف اليهم

ولما ايقنوا ان هجومهم الاول في المعركة الثانية لم يوفر لهم ما ينشدون من تقدم عمدوا الى هجوم آخر في مساء ١٨ تموز نفسه. ودام القتال الليل بطوله. وكثيراً ما تناحر الفريقان بالسلاح الابيض. وكان هدف المعركة جبل «سابي بوزي». وفي صباح اليوم التاسع عشر استطاعت الفرقة الايطالية التاسعة عشرة بلوغ هذا الجبل، الا ان القوات النمسية اقصتها عنه

فتململ الايطاليون حيال هذه الخيبة، ولم يكن منهم الا ان تنادوا الى هجوم عام يقوم به الجيش بكامله

وفيما الفرقة التاسعة عشرة تعيد هجومها على «سابي بوزي» كان الفيلق السابع تعضده الفرقة السابعة والعشرون يهاجم من الجانبين الطريق الممتد من «سلز» الى «دوبردو»

وتقدم الايطاليون لدى الساعة السادسة صباحاً في ذلك الطريق. وشعرت الفرقة النمسية الحادية والستون بانها باتت في مأزق حرج في الشمال الشرقي من «فرميغليانو». فلم يكن من قائدها «فون

وتيكلر » الا ان دفع الى المعركة كل ما بقي لديه من قوات ، وانجدته كتيبة من فرقة الجبال السادسة المحاربة في الناحية المجاورة ، فانتعش اذ ذاك الموقف ، على ان الايطاليين امعنوا في التقدم لدى الساعة الثامنة

بين اخذ و رد

وكانت المدفعية الايطالية قد اطلقت نيرانها على الفرقة النمسية العشرين . فوافاها النمسيون بالنجدات كي تثبت في نضالها . واوفد القائد « بوروياڤيك » ، قائد الجيش النمسي ، الى الارشيدوق جوزف الفرقة الثالثة والتسعين

واعتصم ليلا الايطاليون بما غنموا في ليل ١٨ تموز من خنادق ، فنظم النمسيون غارة يردون بها الهجوم الايطالي ، غير ان المدفعية شعرت بهم وسحقت اللوائين القائمين بالهجوم . ولدى الساعة الرابعة بعد الظهر تابع الايطاليون هجومهم . فاتجهت قوة من « سدروسينا » الى قمة تجاهها ، بيد ان النمسيين ردوها خاسرة . وتنظم هجوم آخر على « ساغرادو » ففاز فيه الايطاليون ، الا ان النجدات المقبلة على النمسيين اعادت الموقف الى ما كان فيه ، واستقرت القوات الايطالية في خندق بجانب اطلال « ساغرادو »

هجومان ينتهيان الى الاخفاق

ووقف الفيلق الايطالي السابع لا يتحرك بعد ما لقي في الصباح من اخفاق . فدفعه الدوق « داوست » مرة اخرى الى الهجوم على جبل « كوزيخ » ، وكان ذلك لدى الساعة الخامسة مساء ، ثم رمى به لدى الساعة السادسة والسابعة على جانبي طريق « سلز — دوبردو » ، فانتهى الهجومان الى الاخفاق

وفي الليل قام الايطاليون بالهجوم ، على انهم في صباح اليوم العشرين خارت عزائمهم ، فتراجعوا الى خطوطهم على طول جبهة الفرقة الحادية والستين

النمسيون يهاجمون

وشمل الهدوء جبهة الفرقة العشرين النمسية في ليل ١٩ — ٢٠ تموز . وفي صباح اليوم العشرين رأى النمسيون ان يعتمدوا خطة الهجوم في استعادة ما خسروا من خنادق في الشمال الغربي من « سان مرتينو » . وبلغوا هذه الخنادق ، واذا المدفعية الايطالية تتلظى ، وعلى الأثر تماوجت القوات الايطالية في شرقي الطريق القائم بين « سدروسينا » و « سان مرتينو » . فهي مقبلة لنجدة اخوانها يديرها القائد « أليساندريا » ، وكانت قد انجدت في النهار نفسه الفيلق الحادي عشر . ولم يجد النمسيون حيال الصدمة بدأ من التقهقر ، فتراجعوا خمسمئة خطوة

هجوم بعد هجوم

وقام بعد الظهر الايطاليون بهجومين ، احدهما غربي طريق « سدروسينا — سان مرتينو » قصده النمسيون ، والآخر تولاه القائد « ريجينا » على جبل « سان ميشال » فشعر النمسيون بالضغط ينتابهم . وكانوا لا يزالون منذ ثلاثة ايام في قتال دام يردون به عنهم الهجمات الايطالية . واصلاهم الايطاليون النار وحصروهم في صحراء من صخور جرداء يشويهم القيظ وتحيط بهم الجثث المنبعثة منها الروائح الكريهة . ولم يكن بوسعهم ورود الماء الا وقد خيم الليل

في مثل هذه الحالة بات النمسيون . واقامت قواتهم الاحتياطية في شرقي « دوبردو » في اعماق وادي « فالونه » فما استطاعت ان تهب لنجدتهم . وامتد القتال على الخط بطوله ، في « سان ميشال » و « سان مرتينو » وخرائب « ساغرادو » . وقام بالهجوم الفيلقان العاشر والحادي عشر تعضدهما فرقة القائد « أليساندريا »

وفي الجنوب ، على طريق « سلز — دوبردو » ، هاجمت بين الساعة الخامسة والسادسة مساء الفرقة السابعة والعشرون الايطالية السيارة فرقة الجبال النمسية ، فلم يوفق الايطاليون مثلهم في خرائب « ساغرادو » . على ان النمسيين فقدوا قمة جبل « سان ميشال » واستقرت فيها لدى الساعة السادسة مساء فرقة القائد « ريجينا »

فشدد النمسيون من عزائمهم وحاولوا استعادة القمة . وكانت نجداتهم تقيم في وادي « فالونه » ، فما اكتفوا بها بل جاؤوا من « التيرول » بلواء القناصة الرابع وبلواء الرماة الاول ، واستدعوا من الجبهة البلقانية الفرقة التاسعة والخمسين ، واللوائين التاسع والثامن عشر . وعزز اركان الحرب الايطالي الفيلق الحادي عشر بالفرقة الثامنة والعشرين السيارة

وفي صباح اليوم الحادي والعشرين هاجمت في الجنوب الفرقة الثالثة والتسعون لقائدها « فون بوغ » جبل « سان ميشال » ، فدفعت اليه كتائبها الاربع ، فيما اللواء الثاني عشر يهاجمه من الشرق تحت قيادة الامير « شوارتزنبرغ » . فالتوت القوات الايطالية حيال هذا الهجوم وجلت عن القمة

لا كفة راجحة ..

وتبسط النمسيون في هجومهم على جبهة واسعة على امل ان



ايطاليا تحتفل في «الكوارتو» بتمثال الالف

وشاعرها «غبريال دانونزيو» يلقي خطاباً سياسياً عامراً يشيد به بذكرى البطل الايطالي الاكبر «غاريبالدي» ويحث الايطاليين على الانضمام في الحرب العالمية الكبرى الى جانب الحلفاء

يقصوا الايطاليين عن الجبل بكامله ، ولكن هؤلاء تحصنوا واقبلت اليهم النجدات . فما كان من القائد «فون بوغ» الا ان وقف بهجومه في منتصف الطريق

وانقضى ما بقي من يوم ٢١ تموز باستقرار الايطاليين في الخطوط الجديدة التي غنموها من النمسيين يعانون فيها مشقات النيران المتساقطة عليهم . وفي اليوم التالي عاد «فون بوغ» الى اطلاق النار استعداداً للهجوم . وبلغ النمسيون المواقع التي كانوا يحتلونها بجانب القمة قبل معركة «الايزونزو» الاولى . ولكنهم ما استطاعوا الثبات في هذه الخنادق وقد دفع اليهم الايطاليون سبعة ألوية ، فرجعوا الى اماكنهم

وثوب والتواء !

وما نجت الميسرة النمسية ولا القلب النمسي من هجوم الايطاليين عليهما . ففي اليوم الحادي والعشرين نفسه هاجم الفيلق الايطالي العاشر الفرقة الجبلية النمسية الرابعة عشرة . وبعد الظهر واثب الفيلق السابع والفرقة السيارة السابعة والعشرون الفرقة الجبلية النمسية السادسة عشرة . ودار القتال على طول الجبهة ، من «سابي بوزي» الى جبل «كوزيخ» . ودام الهجوم الايطالي الليل بطوله . وكان شديداً . على ان الايطاليين اضطروا الى الالتواء الى مواقعهم الاولى واستعيدت في النهار الهجمات . وفي صباح ٢٣ بذل الايطاليون على طريق «سلز — دوبردو» مجهودهم فدحروا لواء من الفرقة الثالثة والتسعين ، وجرّ هذا اللواء المدحور كتيبة نمسية بتقهقره . وخيل الى الجميع ان الجبهة النمسية تزعزعت . ولكن اللوائين الجبليين الثاني والسادس النمسيين اسرعا الى نجدة اخوانهما واهابا بالايطاليين الى الوقوف ، وكانوا قد ملكوا احدى القمم . وعبثاً حاول اللواء الجبلي السادس عشر ان يبعدهم عنها

فوز ثم هزيمة

وفي النهار نفسه هاجمت الفرقة العشرون من الفيلق الايطالي



بطلا ايطاليا

موسوليني ودانونزيو

يمثل هذا الرسم « شاعر ايطاليا غبريال دانونزيو » وقد جلس الى جانب موسوليني يحدثه عن احتلال «فيوم» والرسم وان يكن يرجع في حقيقته الى مابعد الحرب الكبرى فلا نرى بدأ من نشره لاتصاله بحوادث ايطاليا في محاربة النمسا . فالشاعر دانونزيو ممن اهابوا بالدولة الايطالية الى خوض الحرب بجانب الحلفاء وكان له ما اراد . وخطابه في حفلة نصب تمثال « الالف » لايزال الدليل الاكبر على ماكانت تتقد به نفس الشاعر من تحمس لاصدقائه الحلفاء

العاشر، يعضدها لواء القائد « بينيارولو »، الجبهة المنبطة بين «بولازو» و « سابي بوزي » ، فاستطاع القائد « بينيارولو » احتلال المواقع النمسية في « راديبوغليا » ، ولكن النجدات النمسية اقبلت لدى نصف الليل وهزمت الايطاليين في معركة بالسلاح الابيض هائلة مخيفة

وفي ليل ٢٤ اطلق الايطاليون نيران مدافعهم وبنادقهم على الطريق الممتد من « سدروسينا » الى « سان مرتينو » وعلى احدى القمم المجاورة ، وبعد ساعة من تمهيد السبيل بالقذائف والرصاص وثبت اربعة ألوية على المواقع النمسية فاصطدمت بالهزيمة

وفيما الجيش الايطالي الثالث يقوم بهذه الهجمات القاسية على جبل « كارسو » هاجم الجيش الثاني رأس جسر « غوريزيا » . واتجهت الهجمات على جبل « بودغورا » المتساقطة عليه النيران . فهاجمه في ظهر ١٩ تموز اربعة ألوية من الفيلق السادس . على ان النمسيين صدوا بعد اربع ساعات الهجوم الايطالي وابعدوا الالوية الرابعة الى ما وراء الاسلاك الشائكة

فابى الايطاليون ان يتقهقروا ، فاستعدوا لهجوم آخر قاموا به بعد ساعة من الزمن ، ولكنهم لم يثبتوا . فالهزيمة كانت نصيبهم بعد ساعتين . وظلت قوات منهم ممسكة على ما غنمت من الارض ، فواثبها النمسيون وابعدوها لدى الساعة العاشرة والنصف ليلا

المدفعية لا تسكت

وفي صباح ٢٠ تموز اخذت المدفعية تتكلم . وتجدد الهجوم الايطالي . واحتشد الفيلق السادس امام جنوبي « بودغورا » ، ووقف الفيلق الثاني في الشمال حيال جبل « سابوتينو » ، على حين ان منطقة « بفما — اوسلافيجا » لم تجد قوات غفيرة على اهبة لموائبتها

ولم يكن من المدفعية النمسية الا ان فاجأت الايطاليين في جبل « سابوتينو » . بينما الفرقة الايطالية الثانية عشرة تستولي في جبل « بودغورا » على التلة المشرفة على « لوشينيكا »

واستمر القتال طول النهار على القمة المطلة على مدينة « بودغورا » ، وكان العنف فيه ملموساً . وكل وثبة من الرماة الايطاليين كانت تساعد من وراءهم على التقدم . ولدى الساعة الثامنة ليلا امست القمة بين ايدي الايطاليين . غير ان خمس كتائب من لواء الرماة النمسي السابع والثلاثين اعادت القمة الى ذويها

الاخفاق الايطالي

وفي ٢١ تموز عادت المدفعية الى النطق . وكلامها القذائف . ولقد بكرت في عملها . وعلى الاثر هاجم الفيلق الثاني جبل « سابوتينو » فما لقي النجاح ، مع ان النجدات وردت عليه ، فاسرعت اليه الفرقة الثانية والثلاثون وفرقة القائد « سيبزنا »

وواثب الفيلق الايطالي السادس ثلاث مرات جبل « بودغورا » واستولى على شطر منه ، على ان كتيبة من القناصة الدلماسيين ، من اللواء الثالث والعشرين ، استعاده في معظمه . ولم يستبق للايطاليين منه غير الناحية الجنوبية الغربية

موسوليني في الجيش

«دكتاتور ايطاليا في ثوب «كابورال»»

لما نشبت الحرب الكبرى كان موسوليني من رجال الصحافة يكتب فيها متحمساً للحلفاء طالباً من ايطاليا ان لا تناصر المانيا والنمسا وفي مناصرتها لها الخذلان

ولم يكن من موسوليني الا ان هجر القلم وتطوع في صفوف الجيش يحارب في سبيل مجد ايطاليا ونصرتها وابى الا ان يكون جندياً بسيطاً. وهذا الرسم يمثله وهو في ثوب «كابورال»



وفي ليل ٢٣ — ٢٤ تموز صدهم النمسيون عن الجبل بكامله. فرأوا ان ينتقموا في اليوم التالي باطلاق النار على «غووريزيا». غير ان معركة «ايزونزو» الثانية كانت قد انتهت دون ما توفيق للجيش الايطالي

ولكن الجيش الثالث ...

ولكن حالة الجيش الايطالي الثالث اختلفت عن حالة الجيش الثاني. فالدوق «داوست» قائد الجيش الثالث بذل جهداً جاهداً في الاستيلاء على جبل «كارسو». ففي اليومين الاولين ، ٢٥ و٢٦ تموز ، كانت المعركة ملتهبة ، واضطر الفيلق النمسي السابع الى التراجع في منطقة «سان مرتينو» ومنطقة «ساغرادو» ومنطقة «بولازور — راديبوغليا» ، وهناك رسخت اقدام الايطاليين منذ معركة «الايزونزو» الاولى . على ان اروع فوز للايطاليين كان في احتلالهم جبل «سابي بوزي» ، الا انه احتلال قصير الامد

خسارة ٨٩ الف رجل

ولا ريب ان الايطاليين في تقدمهم حول جبل «كارسو» وتطويقهم سفوحه نزلوا في ارض يتسنى لهم منها القيام بهجوم آخر. على ان مفتاح جبل «كارسو» باجمعه هو جبل «سابي بوزي» ، فانه ليتسع للمدفعية ، ويشرف على جبل «سان ميشال» وجبل «كوزيخ» وفيهما تحصن النمسيون . وكانت البلاغات الايطالية قد اذاعت ان الجيش الايطالي احتل قمة «سان بوزي» ، غير انه لم يلبث ان اضاعه وبقيت لدى الدوق «داوست» قوات سليمة لم تندفع في ساحة القتال . وانجدته القيادة العليا بمدفعية بعيدة المرمى . وفي ٢٧ قام بهجوم آخر على الجبل . ودامت المعارك حتى اليوم الثالث من شهر آب وقد جرى فيه هجوم اخير تحت الامطار والضباب . ولكن النمسيين دحروا القوات الايطالية وارغموها على الالتواء الى الناحية الغربية

وكان الايطاليون قد تسلقوا قمة جبل «سان ميشال» من الناحية الشمالية فاصلاهم النمسيون النار الحامية ، ومع ان المدفعية الايطالية لم ترحم الصفوف النمسية فقد التوت قوات الدوق «داوست» حتى اطراف الغابات المنحدرة الى نهر «ايزونزو»

وبلغت في معركة «الايزونزو» الثانية خسائر الايطاليين اثنين واربعين الف رجل ، وخسائر النمسيين سبعة واربعين الف رجل ، بين قتيل وجريح

معركة "الايزونزو" الثالثة

والمعركة الرابعة الاخيرة في سنة ١٩١٥

وقفت المعارك على الجبهة الايطالية النمسية منذ منتصف شهر آب حتى منتصف شهر تشرين الاول . فاعاد الايطاليون تنظيم صفوفهم وزادوا مدفعيتهم . وبعد ما اضحت قواتهم جاهزة للقتال قر رأي القيادة العليا على المضي في الهجوم . وبدأ هذا الهجوم في ١٨ تشرين الاول ١٩١٥ ، ودام حتى ٤ تشرين الثاني من السنة نفسها

وتولى المهمة الكبرى في المعارك المنتظرة الجيشان الثاني والثالث كالمعتاد . وفي منتصف تشرين الاول كان لدى الجيش الثاني من



القوات الايطالية الجبلية تبنى استحكاماتها فى سفوح الالب

القوات،على خط يبدأ من « بلازو » وينتهي في « بودغورا »،بمئة وثلاث وستون كتيبة وستمئة وخمسة واربعون مدفعاً

وكان لدى الجيش الثالث من « بودغورا » الى البحر الفيلق الرابع عشر وقد اقام على اليسار ، والفيلق العاشر في القلب ،والفيلق السابع عن اليمين . واحتفظ اركان الحرب بالفيلقين الحادي عشر والثالث عشر كقوات احتياطية

اما النمسيون

اما الجيش النمسي فقد عزز مدفعيته بمئة واحد عشر مدفعاً . وحشد على الجبهة المنبسطة من « بلازو » الى جبل « نيرو » الفرقة الرابعة والاربعون ، وعلى الجبهة القائمة بين جبل نيرو والبحر الجيش الخامس . واحتفظ بفرقتين كقوات احتياطية

هدف الايطاليين

وهدف الايطاليين ظاهر . فهو الاستيلاء على غوريزيا . وتقرر ان يتم هذا الاستيلاء بتطويق المدينة من الجانبين ،ثم بالهجوم عليها من القلب باجتياز نهر « ايزونزو »

وعملا بهذه الخطة جرت المعركة. فبدأت المدفعية اطلاق نارها، ودام ذلك من ١٨ تشرين الاول حتى اليوم الواحد والعشرين منه . ومنذ اليوم الحادي والعشرين اخذ الايطاليون في تطويق الجناحين القائمين بحماية جانبي المدينة

وعمد الجيش الثاني الايطالي الى تطويق الجناح النمسي الايسر ، فقام بهجوم من « بلافا » الى « زاغورا » وجبل كوك

وهاجم الجيش الثالث الجناح الايمن واثباً على جبل « كارسو » بين سان ميشال و« كوزيخ »،فاحتل الفيلق الرابع عشر «بيتيانو » والقمة المشرفة عليها ، ثم استولى على القمة الرابعة من جبل سان ميشال وما لبثت ان افلتت منه

وبدا النجاح في المناطق الاخرى ضعيفاً. فما فاز الجيش الايطالي الثاني بما فاز به الجيش الثالث

الهجوم على القلب

وبدأ الهجوم على القلب في ٢٨ تشرين الاول وانتهى في ٤ تشرين الثاني . فاحتل الفيلق السادس اوسلافيا ثم خسرها . وتسنى للجيش الثاني احتلال زاغورا . وعاد الفيلق الرابع عشر فاحتل القمة الرابعة من جبل سان ميشال،ولم يطل به الاجل حتى ضاعت منه



الرماة الايطاليون

في موقف الاستراحة

شرذمة من الرماة الايطاليين في موقف الاستراحة بعد احتلالها بلدة « اوسلافيا » النمسية وهذه البلدة احتلها الايطاليون مرتين متواليتين ، وفي المرتين تسنى للنمسيين ان يقصوهم عنها ويستردوها

فالحرب بين النمسيين والايطاليين كانت سجالا ، مما يبعث على القول ان القوتين متكافئتان . فلم يعرف الايطاليون الظفر في كل موقعة خاضوها

وتقدم الفيلق العاشر في الجنوب الغربي من سان مرتينو وبدأ هجوم رابع في ١٠ تشرين الثاني ودام حتى اليوم الثاني من شهر كانون الاول . واتسع من سابوتينو مترامياً الى جنوبي سابي بوزي . وتسنى للفيلق السادس بين العاشر والرابع عشر من شهر تشرين الثاني ان يستعيد اوسلافيا ، غير انه لم يقو على الاحتفاظ بها مثله في البدء . والفيلق الثالث عشر احتل خنادق « ديليفراشه » و« دابي ريزي » في جبل كارسو

وبعد معارك طاحنة دامت يومين استولى الايطاليون في اليوم العشرين على قمة شمالي « اوسلافيا » ، فملكها الفيلق الثاني ، وفي الجنوب اعتلى الفيلق السادس جبل « كالماريو » . وملك الفيلق الحادي عشر في منطقة « سان ميشال » شطراً من الجبل . واتسع الميدان في الشمال على جبهة « بلازو » و « تولمينو » . وفي تولمينو بلغ الايطاليون خنادق قمة « مرزلي » وباتت بين ايديهم . وغنم الجناح الايسر من الفيلق الثامن بعض الارض على مرتفعات « سانت ماري »

معركة منظمة تنتهي بلا تنظيم

ويمكن القول عن هذه المعركة انها بدأت بتنظيم حربي تام وانتهت باعمال لا تنظيم فيها . فالخطة تفسخت بعدما كانت في مجموعها كتلة واحدة

فتعددت فيها المناوشات دون ان يتسنى لها تهديم خطوط النمسيين . واهم ما لمعت به المعركة وقف الايطاليين لقوات نمسية مجرية بلغت في ١٥ تشرين الثاني عشرين فرقة ، اي ثلاثمئة كتيبة

ولقد قال اركان الحرب الايطالي في حديثه عن هذه المعارك انها اظهرت للناس مقدرة الجيش الايطالي على خوض غمرات القتال

انشاء الخنادق

وكان قد اقبل الشتاء . وجبهة القتال تمتد على فسحة تتفاوت بين ميلين وثلاثة اميال . ولم يكن بالامكان الاحتفاظ فيها بالقوات بكاملها . فاستدعت القيادة الايطالية العليا ست فرق ، ولوائين مستقلين ، واربع كتائب من المشاة

واقدمت القوات الباقية على حفر الارض وانشاء الخنادق فيها لاتقاء زمهرير الشتاء . وللحؤول دون الرطوبة ورشح الماء تكردست على الخنادق اكياس التراب . وثمة خنادق كست جدرانها الحصر والاخشاب ورصفت ارضها بالحجارة فباتت كالارصفة

ونام الجند على القش ، وقامت في صدر الخنادق المواقد لتدفئة الجنود . وفي جبل نيرو وفي مناطق اخرى انشئت الخنادق في الثلج. واتخذ الجند في بعض الانحاء مقراً لهم في الصخور . ووزعت على الجميع ثياب الجوخ الثقيلة لمحاربة البرد . وفي قمم الجبال اضطر الجنود الى الاحتفاظ في جيوبهم باكياس مملوءة بالماء الساخن ، وحملوا بايديهم العصي ، وضربوا على عيونهم النظارات ، وانتعلوا الزحافات ، وتمنطقوا بالحبال لمحاربة الطبيعة القاهرة . وزادت القيادة في كمية الخبز المقررة لكل جندي كي يقوى على مغالبة المشقات الطارئة

***

تلك كانت حالة الجيش الايطالي في اواخر سنة ١٩١٥ وتبدلت الجبهة ، فانتقلت من حدودها القديمة الى جبل « ليستينو » ، مجتازة اودية « داونه » و « ليدرو » و « تيرانيولو » وجبل

فولغاريا ، ثم ترجع الى الحدود ، وتمتد من مونفالكونه فتبلغ البحر

موقف الايطاليين

وبات موقف الايطاليين كما يلي : طوّق الجيش الاول زاوية « تزانتان » يعاونه الفيلق الثالث في اليسار وفرقة القائد « لا غارينا » في القلب والفيلق الخامس في اليمين بين « بازوبيو » ووادي « سوغانا »

وتلاه الجيش الرابع فاحتل جبهة « كادوره » يساعده في ذلك الفيلق التاسع في اليمين والاول في اليسار وقد فصل بعضها عن بعض وادي « فالزاريغو »

واستقرت قوة القائد « ده كارني » على الحدود بين بارالبا وجبل كانان

واتخذ الجيش الثاني مكانه بين جبل كانان وبودغورا على ضفاف نهر الايزونزو الاعلى والاوسط ، وكان مؤلفاً من الفيلق الرابع والثامن والثاني والسادس

ورسا على ضفاف الايزونزو السفلي وفي جبل كارسو وامتد شواطىء البحر الجيش الثالث وقوامه الفيلق الحادي عشر والثالث والسابع

وبقي الفيلقان العاشر والرابع عشر لدى اوكان الحرب كقوة احتياطية مقرها في السهل بين « كودروابو » و « بالمانوفا »

وبلغت خسارة الايطاليين في هذه المعركة مئتين وخمسين الف رجل

وبها انتهت معركة الايزونزو الرابعة

الصلات بين فرنسا وايطاليا

اعلان التحالف الرباعي في اوربا

وتوثقت الصلات بين ايطاليا والحلفاء بعد خوض ايطاليا الحرب الكبرى الى جانبهم . واقبل في ٣ ايلول ١٩١٥ القائد جوفر ، قائد القوات الفرنسية العام ، لزيارة القائد كادورنا قائد القوات الايطالية العام

ولم يكن القائد جوفر بالرجل الفرنسي الاول الذي ارتاد رومه لتحية الشعب الايطالي لانتصاره للحلفاء ، فهناك الكثيرون من رجال الحلفاء قاموا بهذه الزيارة . واعلن التحالف الاوربي الرابع بعد التحالف الثلاثي . فاضحت ايطاليا في كفة الحلفاء الدولة الرابعة . وفي ٢١ آب سنة ١٩١٥ شهرت ايطاليا الحرب على تركيا ، وفي ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٥ وقعت ميثاقاً تعاهد فيه على انها لا توقع على الاطلاق صلحاً منفرداً ، بل تنتظر ما يكون من امر الحلفاء فتجري واياهم في المضمار



انكلترا والمانيا تتسابقان في البحار

الامبراطور غليوم الثاني يريد انتزاع السيادة من ابناء عمه الانكليز ولكن انكلترا تفطن للمكيدة وتحاربه بسلاحه

اساطيل الدول في بدء الحرب



الاميرال « جاليكو »
قائد الاسطول الانكليزي العام
في حرب ١٩١٤

لم تظهر عظمة الاساطيل البحرية في حرب من الحروب مثلها في حرب ١٩١٤ فالاساطيل بدت في الحرب العالمية الكبرى هائلة السلطان، جبارة القوى، رهيبة الأثر. فنالت من الفضل ما خلعته البطولة على المتقاتلين في البر. فالحرب في البحر لم تقل خطورة عن حرب الحصون والخنادق. فالتطاحن على سطح الماء وفي قلب الماء بلغ حداً راعباً امسى به اليم براكين مستعرة الاحشاء

ولو ملك غليوم الثاني اسطولا كافياً يصدم به الاسطول الانكليزي ويتغلب عليه لطالت حرب ١٩١٤ او لتبدل وجهها، غير ان الاسطول الالماني مع كل جهد في تضخيمه ورفع مستواه ظل دون اسطول انكلترا، وذلك مما احرق قلب الامبراطور غليوم

مجهود الامبراطور

فالامبراطور غليوم الثاني مع كل مجهوده في تنظيم جيشه لم يتردد في صرف عنايته الى تعمير اسطوله البحري. ففي سنوات السلم الست والعشرين التي قضاها غليوم الثاني على عرش المانيا، اي منذ سنة ١٨٨٨ — وفيها ارتقى الى العرش — حتى سنة ١٩١٤ لم تتبدل سياسته البحرية. قد تكون سياسته العامة تبدلت في مختلف النواحي، اما في المضمار البحري فما اعتراها تبديل، فقد رمى غليوم في هذه السياسة الى اعلاء شأن اسطوله حتى ارفع مستوى، وهو اذا تسنى له ان يبلغ به اسمى مقام في الصولة والقوة فلن يحجم عن امتلاك سيادة البحار.

لدى ركوب العرش

واول ما فكر فيه غليوم الثاني لدى ركوب العرش اعلان منهاج يقضي بتشييد السفن لتوطيد قوة المانيا الاقتصادية في البحار جمعاء. ودعا الى فتح قناة « كيال » وتوسيعها كي يتسنى للاسطول الالماني ان يتخذها قاعدة بحرية وان يجتاز منها بحر الشمال الى بحر البلطيك. وتمت في سنة ١٨٩٥ للامبراطور غليوم هذه الامنية الغالية، فماذا بقي عليه ؟... بقي عليه ان ينشىء البوارج الحربية الكبرى لينتزع من انكلترا سيادة الماء

مستقبلنا في البحار

واتفق والعصبة الالمانية البحرية على انشاء البوارج الضخمة. فوقف في شعبه خطيباً يقول: مستقبلنا في البحار!

واقنع الرأي العام الالماني ان مستقبل المانيا حقاً في الماء. ولما كان يحتاج الى المال لانشاء هذه البوارج دعا المجلس النيابي الى تصديق ما يقتضيه المشروع من نفقات، فاجابه المجلس الى رغبته، وصدق الاعتمادات في موازنة الدولة، وتوالى هذا التصديق على

اربع سنوات ، من سنة ١٨٩٦ حتى سنة ١٩٠٠ ، وفي هذه الاثناء وضعت المانيا ثلاثة مناهج لانشاء اسطولها الحربي دعمها بيت المال بكل ما تحتاج اليه من اموال

اسطول المانيا في سنة ١٨٨٨

فلما ارتقى الامبراطور غليوم الثاني سنة ١٨٨٨ الى العرش ، كانت الامبراطورية الالمانية تملك اثنتي عشرة مدرعة ، محمول الواحدة منها خمسة الاف طن ، على حين ان الاسطول الانكليزي يملك ستاً وخمسين مدرعة، منها اربع عشرة محمول الواحدة منها عشرة الاف طن

ولكن الامبراطور غليوم ...

ولكن ما انقضت السنة على ركوب الامبراطور غليوم الثاني العرش حتى دفع في اول نيسان ١٨٨٩ المجلس النيابي الالماني الى تقرير انشاء اسطول من ١٩ مدرعة، و٤ مدرعات لحماية الشواطىء ، و١٢ طراداً كبيراً، و٣٠ طراداً صغيراً

ولما نشبت حرب الترنسفال بين انكلترا « والبوير » خطب غليوم يدعو الى تعزيز الاسطول الالماني . فما كان من المجلس النيابي في شهر حزيران سنة ١٩٠٠ الا ان وافق على قانون ضاعف به قوة الاسطول . فقضى بان يبلغ الاسطول الالماني ٣٨ مدرعة و١٤ طراداً كبيراً ، و٣٨ طراداً صغيراً ، على ان يتم بناؤها سنة ١٩٢٠

النار تحت الرماد

واضيفت الى القانون مذكرة توضح مبادىء المانيا في سياستها البحرية . وهذه المذكرة تقول في احدى فقراتها :

« هناك وسيلة واحدة لحماية تجارة المانيا البحرية ومستعمراتها، وهي ان تقبض الامبراطورية الالمانية على اسطول قوي يتغلب على اعظم دولة بحرية ويهدم نفوذها العالمي . وليس من الضرورة ان يساوي هذا الاسطول قوة اكبر دولة في البحار ، بل عليه ان يكون وافي التجهيز ،مكيناً . فان اكبر دولة في البحار لا تستطيع حشد قواتها جميعاً لمقاتلتنا . وعلى افتراض تسنى لها حشد اسطول ضخم يتفوق على الاسطول الماني فلن يضمحل اسطولنا الا وقد ذهب بالشطر الاكبر من اسطول الاعداء وقوض دعائمه ، فيخرج به عن مقامه الاول بين اساطيل العالم ... »

الاميرال فون تيربتز

واختار الامبراطور لتحقيق فكرته وابرازها الى النور امير البحر « فون تيربتز » ،فعهد اليه بوزارة البحر يتولى شؤونها ويبدي كل ما يملك من قوة وعزم في رفع مستوى الاسطول الالماني .فعاهد « فون تيربتز » على انه يتفوق في مدى عشرين سنة على اعظم اسطول في العالم ، اي على اسطول انكلترا

وامير البحر « فون تيربتز » من اكابر رجال البحر في العالم اقداماً وعلماً وحنكة وفناً. عدا ان حديدي العزم، فكأنه خلق للعمل بجد ونشاط ، فلا ينام ولا يجيز لسواه ان ينام . فهو ابداً في جد وحركة ، ساهر العين ، يقظ الفؤاد

انكلترا تسهو

وفي سنة ١٩٠٦ ، لدى ارتقاء حزب الاحرار الى مقاعد الحكم في انكلترا، مال هذا الحزب الى اقرار سياسته الخاصة، وهي سياسة تقضي في بنودها الاولى بالوقوف عن الانفاق في سبيل تعمير الاسطول الانكليزي . فالقمة التي تسلقها الاسطول تكفي وتزيد

ولمس الامبراطور غليوم الوهن في سياسة انكلترا البحرية ، وتراءى له ان يغتنم الفرصة ، فدفع رجاله الى الامعان في بناء السفن. وطلبت منه انكلترا ان يرضى بتحديد دولي عام للاساطيل البحرية فرفض . اجل ،اعلن الوعود المطاطة، الا انه مال عن الوفاء . فتجلى له في الموقف خير مساعد له على انجاح خطته . ولقد اوفدت اليه انكلترا اللورد « هالدان » ليباحثه في الامر فلم يرجع من لدنه بسوى الوعود

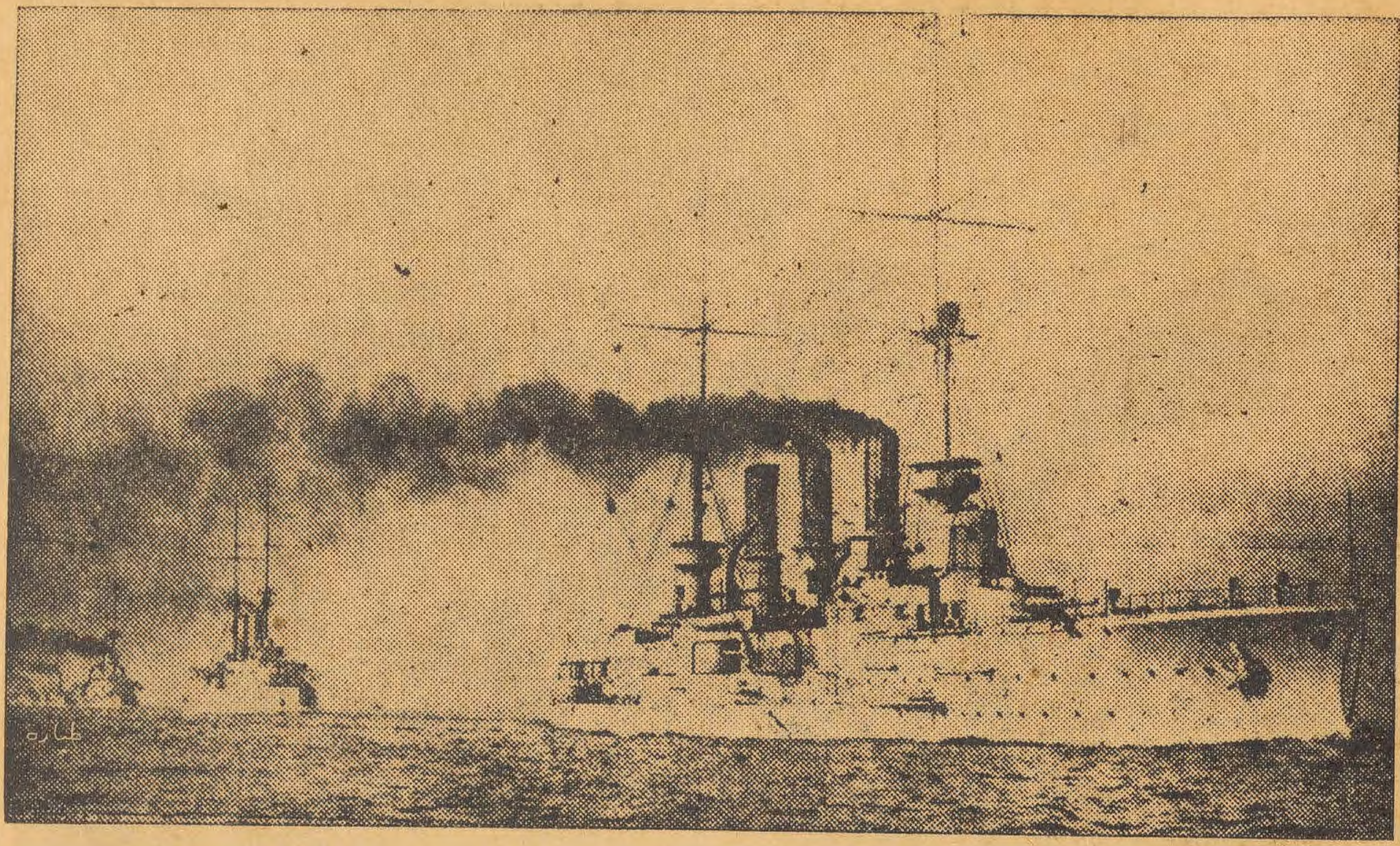
وفيما يسخو بهذه الوعود كان رجاله يشتغلون ليل نهار في مرفأ « كيال » ليسبقوا انكلترا اشواطاً في مضمار التسليح البحري، واعلن المتحمسون منهم ان المانيا يجب ان تملك في سنة ١٩٢٠ ثمانين مدرعة قوة كل طراد منها عشرون الف طن

المانيا سنة ١٩١٤

ولم تملك المانيا في سنة ١٩١٤ مثل هذا العدد من السفن . فكان لديها اثنتا عشرة مدرعة محمول كل واحدة منها خمسة وعشرون الف طن ، مسلحة بمدافع من عيار ٣٠٥ ، وباستطاعتها ان تجتاز في الساعة ٢٢ عقدة ، والعقدة اربعون ميلا

وكان لديها اربع شبه مدرعات تكاد لا تفرق في شيء جسيم عن المدرعات الكبرى . وستة طرادات ، وهي وان لم تكن مجهزة بالسلاح نفسه فالسرعة فيها اوفى

وباستطاعة المانيا ان تحشد في الصف الثاني من اسطولها عشرين مدرعة ، وتسعة طرادات كبيرة ،واربعين طراداً صغيراً ، و١٥٠٠ نسافة



الاسطول الالماني يحتشد في قناة «كيال»

منظر للاسطول الالماني الضخم وقد احتشد صفاً طويلا في قناة مرفأ «كيال» الحصين

و ٥٠ غواصة

وهذا الاسطول ينعم بملجأ آمن هو قناة «كيال» وقد اعيد انشاؤها مرة اخرى، وتم فيه التجديد في شهر تموز ١٩١٤

ففي قناة «كيال» احد عشر حوضاً وسدود وحصون مما يضمن لكل اسطول يلجأ اليها السلامة والامان

انكلترا تستفيق

على ان هذا الاسطول لم يكن في مستوى الاسطول الانكليزي. فلما لقيت انكلترا من الامبراطور غليوم التدفق بالوعود على غير طائل، والاعراض عن عقد مؤتمر دولي لتحديد السلاح البحري، فكرت في موقفها ووضح لها الخطر على سيادتها البحرية. فمالت عن المدنة في انشاء السفن واتقد فيها عزمها الاول الناهد بها الى البقاء على رأس الدول في البحار مهما كلفها الامر

وعهدت بهذه المهمة الى اثنين من رجالها، احدهما «ونستون تشرشل» والآخر اللورد «فيشر»، فعمدا فوراً الى العمل، واقدم الانكليز على بناء بوارجهم مثلهم من قبل، وشيدوا مرفأ حربياً جديداً هو مرفأ «روزيت» بجانب «ادنبورغ». وابى الاسطول الانكليزي ان تسد عليه منافذ البحار وان يرضى بهذه الاهانة فاجتاز بحر «المانش» الى بحر الشمال على مرأى من اسطول المانيا

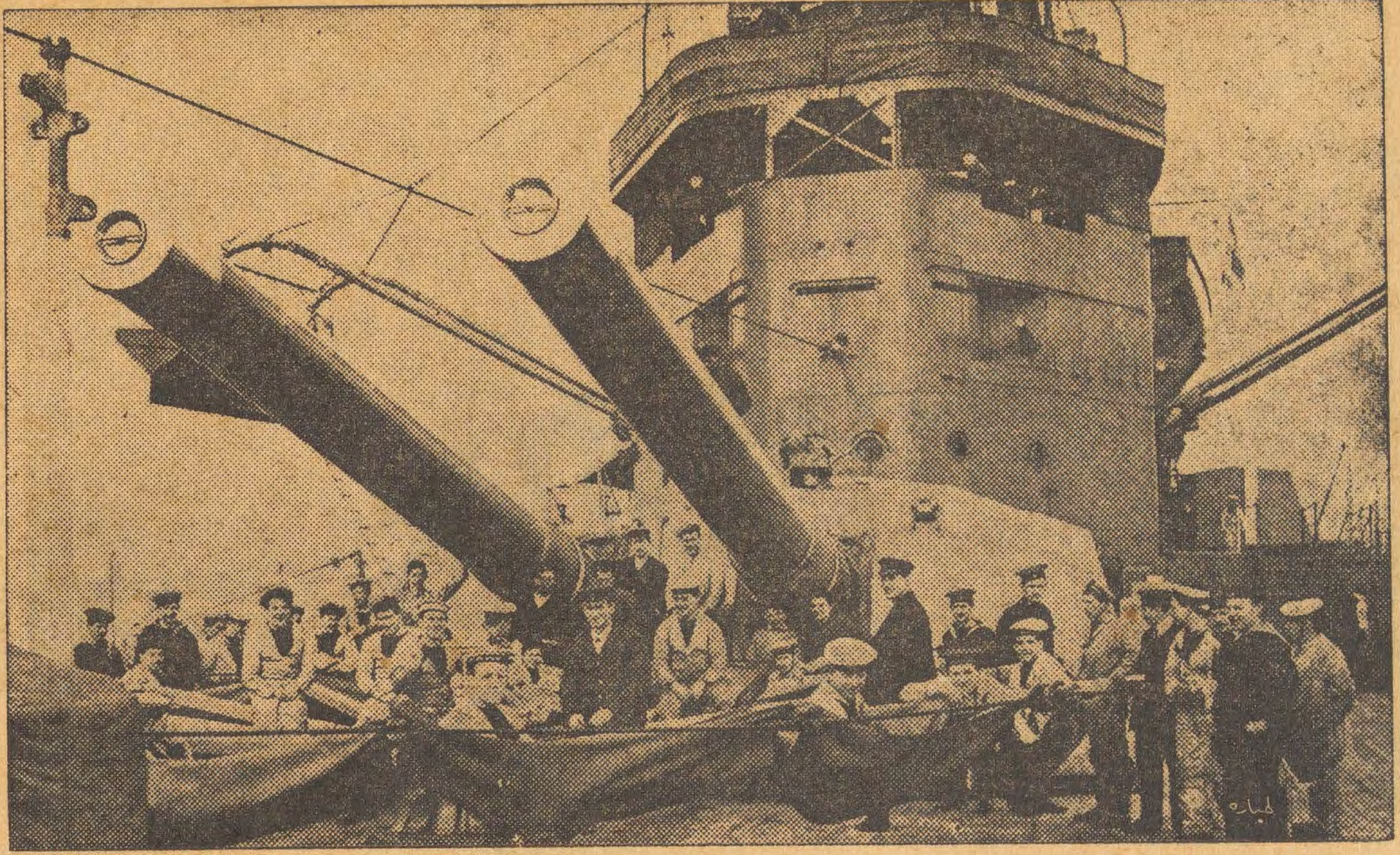
اسطول انكلترا في بدء الحرب

وفي اواخر تموز ١٩١٤ بلغ الاسطول الانكليزي ٢٤ مدرعة يتفاوت محمول كل مدرعة منها بين ثمانية عشر الف طن وثمانية وعشرين الفاً، وقد تسلحت بمدافع من عيار ٣٠٠ او ٣٤٠ وعشرة طرادات حربية سريعة، و٤٠ طراداً قديمة الطراز، و٣٤ مدمرة، و٩٦ طراداً صغيراً، و٣١٠ نسافات، و٨٠ غواصة

مما يدل على ان الاسطول الانكليزي يتفوق على اسطول الامبراطور غليوم تفوقاً محسوساً. والبناء ما برح متواصلا في انكلترا.

والدول الاخرى

وبجانب الاسطولين المتنافسين قامت اساطيل اخرى صاحبة شان في البحار. فهناك الاسطول الروسي في بحر البلطيك. فالاسطول الالماني وان يكن سيد هذا البحر فهو باضطرار الى الوقوف على حذر من الاسطول الروسي المؤلف من اربع مدرعات، واثني عشر طراداً، وخمس وتسعين نسافة وعشرين غواصة



رجال الاسطول الانكليزي في زمن السلم

فئة من رجال الاسطول الانكليزي على متن احدى المدرعات الضخمة تهنأ بايام الطمأنينة قبل اشتباكها في معارك الحرب الكبرى

وملكت النمسا ثلاث مدرعات كبيرة وتسعة طرادات ، عدا الطرادات الصغيرة والغواصات . وهذا الاسطول لم يكن يقوى على براح بحر « الادرياتيك » وقد ابقى بين يدي فرنسا سيادة البحر المتوسط .

الاسطول الفرنسي في طولون

ومنذ سنة ١٩١١ والاسطول الفرنسي يحشد قواته في « طولون » . وقد تولى امر هذا الاسطول امير البحر « بوبه ده لابارار » . وكان لديه اربع مدرعات هي « جان بار » و « كوربه » و « فرانس » و « باريس » ولما اعلنت الحرب الكبرى ما برحت المدرعتان الاخيرتان في عالم البنيان . ومحمول كل مدرعة من هذه المدرعات ثلاثة وعشرون الف طن ، وهي مسلحة باثني عشر مدفعاً من عيار ٣٠٠

وستة طرادات قريبة الشبه بالمدرعات الكبرى هي : « دانتون » و « كوندورسه » و « فرنيو » و « فولتير » و « ديدرو » . ومحمول كل منها ثمانية عشر الف طن ، على ان لا تناسب بينها في التسليح . بعضها حوي مدافع من عيار ٣٠٠ وبعضها من عيار ٢٤٠

وهناك خمسة طرادات قديمة الطراز محمول كل منها عشرة الاف طن ، وعشرة طرادات اخرى دونها . وخمس عشرة مدمرة ، وطرادات متناهية في القدم ، وما يزيد على مئة نسافة وستين غواصة

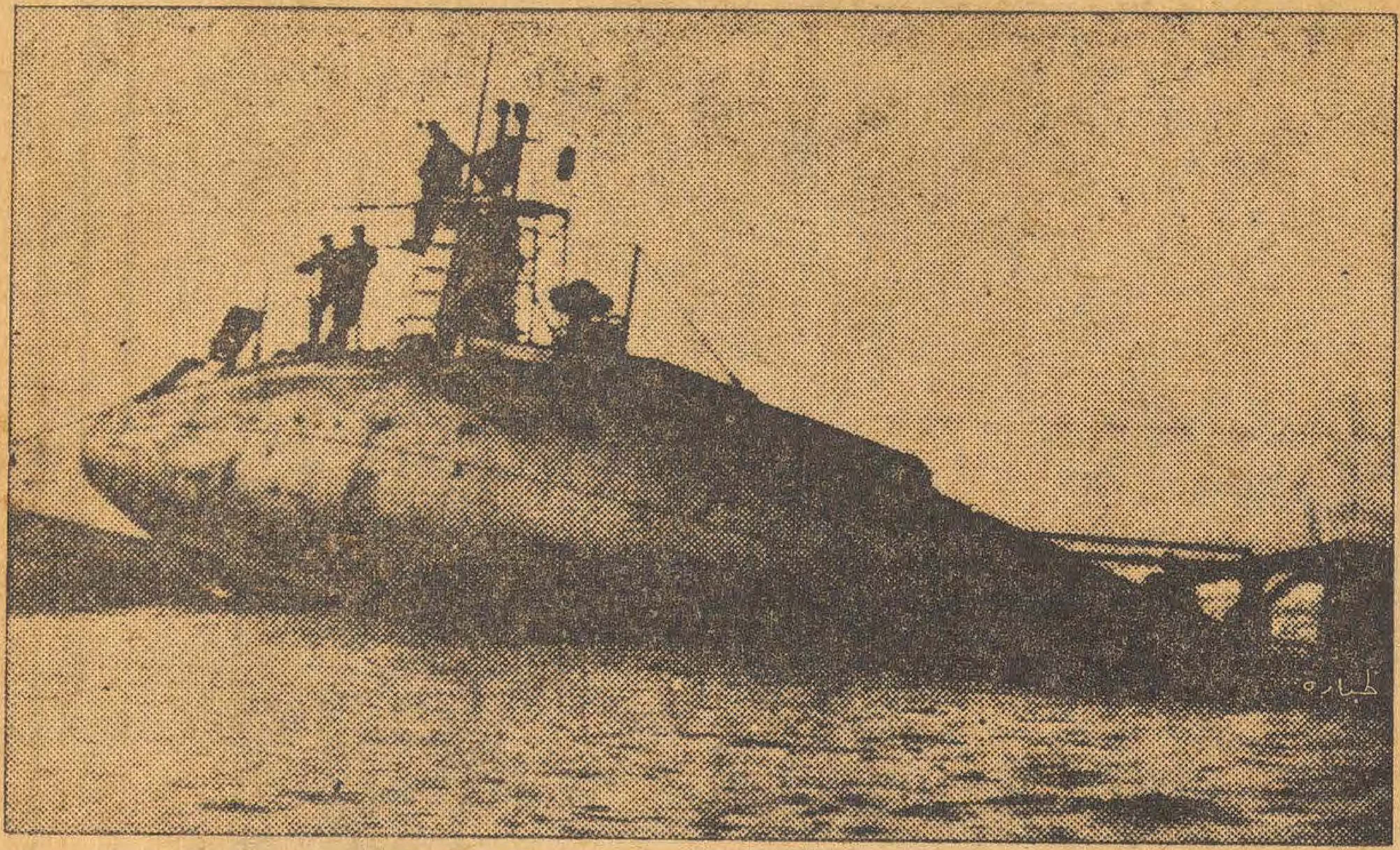
اسطول ايطاليا وتركيا

وملكت ايطاليا ست مدرعات كبيرة . وثمانية طرادات ، عدا المدمرات والنسافات والغواصات . وحفل الاسطول التركي بثلاثة طرادات قديمة وطرادين المانيين اعتصما في بدء الحرب بمضايق الدردنيل

هذه هي اساطيل الدول المتحاربة في بدء الحرب الكبرى ، وهو احصاء يشير الى ان انكلترا مالكة زمام البحار في العالم اجمع . ومع هذا لم يحجم الامبراطور غليوم عن الاصطدام بها غير حافل بما في الاصطدام بها من اذى بليغ

غليوم صاحب فضل على المانيا

ولسنا نقول ان الامبراطور غليوم الثاني لم يرفع من شأن المانيا



غواصة فرنسية

على استعداد لشق قلب اليم

يمثل هذا الرسم غواصة فرنسية على وشك ان تندفع في الماء لاصطياد السفن الكبرى والغواصة ، وهي اشبه بالسمكة ، كانت ذات نفع عظيم للدول المتحاربة في قهر اعدائها واكثر الدول استفادة منها كانت المانيا وقد استطاعت بها ازعاج الحلفاء في معظم البحار

ولم يشد بها الى قمة العز والمجد . فما قام به الامبراطور غليوم في سبيل وطنه مجهود جبار . هذا مما لا ريب فيه . فكان اعظم ملوك اوربا جهداً ونشاطاً وحسن تدبير ، ولو لم يقترن هذا التدبير برغبته في خوض حرب هائلة لرفع المانيا الى ما لم تكن تحلم به دولة من الدول .

الا ان مطامعه اساءت الى ما بني ووطد . فكل ما تولى تشييده انهار او امسى على وشك ان ينهار . ويكفي للدلالة على ما قام به الامبراطور غليوم الثاني من جهد ان نشير الى همته في رفع مستوى الاسطول التجاري البحري في المانيا . فان محمول السفن التجارية الالمانية كان لدى ارتقاء غليوم الى العرش مليوناً وثلاثمئة الف طن ، فزادها في اربع وعشرين سنة الى ثلاثة ملايين وثلاثمئة واثنين وخمسين الف طن

كانت المانيا الخامسة بين دول العالم في محمول سفنها التجارية، فدفعها غليوم الثاني بكل قواه الى احتلال المقام الثاني . فظلت تزاحمها في الميدان انكلترا . فالانكليز بلغ مجموع محمول سفنهم التجارية في سنة ١٩١٢ اربعة عشر مليون طن ، اي ان المانيا كانت ازاءهم بنسبة ١ الى ٤، فلم يبلغ الاسطول التجاري الالماني ما يزيد على ربع الاسطول الانكليزي مع كل ما ضحى به غليوم الثاني من وقت ومال

مخاوف انكلترا

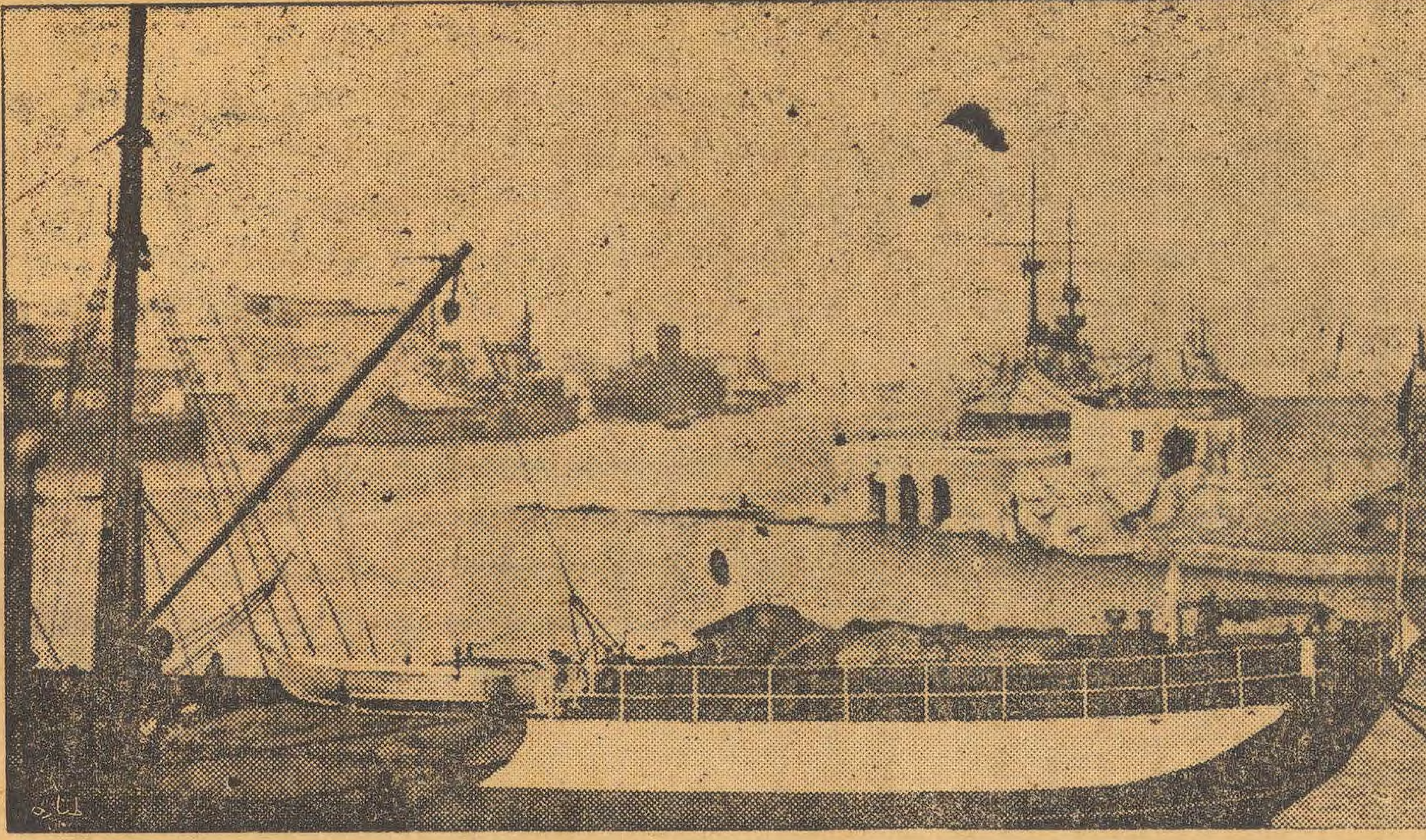
ومع كل هذا التفاوت العظيم بين انكلترا والمانيا في عدد البواخر فقد حسب الانكليز لاهتمام المانيا بانشاء اسطولها التجاري البحري كل حساب . فراعهم منها هذا التقدم المستمر الذي لا يعرف الهدنة ولا تغمض له عين وهو المتزايد ليل نهار . وخافوا منه على تجارتهم واسطولهم . فلا حياة لانكلترا بسوى اطلاق يدها في البحار والسيطرة على سائر الدول في القوى البحرية وفي التجارة ، فاذا اعترضت سبيلها دولة اخرى وتسنى لها ان تزاحمها اساءت اليها اساءة ممضة تشعر انكلترا فوراً بعواقبها

فمن المعروف عن انكلترا ان تجارتها تقوم على شراء المواد الاولية من مستعمراتها واعادة هذه المواد الى المستعمرات نفسها نسيجاً خالصاً او مصنوعات اخرى . فاذا لم تملك اساطيلها الحربية القوة على تأمين طرق انكلترا الى هذه المستعمرات ، وطريق المستعمرات الى انكلترا ، اصيبت التجارة الانكليزية بالشلل ووقفت الايدي العاملة وبليت المصانع بخسائر جمة

وهناك الزاد والمؤونة

وثمة الزاد والمؤونة . فان انكلترا لا تقوى على تموين نفسها بنفسها . فالحراثة والزرع من الامور المتضائلة فيها عاماً عن عام . فالفلاح هجر الارض والمحراث ولجأ الى المعمل ، كما ان المعامل المشيدة في انكلترا تحتاج الى مساحات واسعة من الارض. وميل الفلاح عن الزراعة، وحاجة المعامل الى السهول الرحبة ، حرما انكلترا موسم الزراعة وجعلاها تحت رحمة مستعمراتها في ما تحتاج اليه من مؤونة وزاد . وانها لتؤدي في العام الواحد بدل هذه المؤونة ٢٨٠ مليون جنيه، فاذا سدت عليها الطرق واستطاعت احدى الدول ان تضرب عليها حصاراً بحرياً ، او شبه حصار بحري ، انزلت بها الضرر البليغ . فلا بد اذاً من انشاء اسطول حربي قوي يصون الاسطول التجاري عن كل عثرة يتفق لاعداء انكلترا ان يقيموها في الطريق

والخوف من سد الطريق ومن اقامة العثرات حمل انكلترا على



المدرعات الانكليزية والفرنسية في مالطه

باتت جزيرة مالطة في الحرب العالمية الكبرى محطة لاساطيل الحلفاء . والرسم المنشور في اعلى هذا الكلام يشير الى المدرعات الفرنسية والانكليزية وقد رست في مرفأ « لافاليت » في الجزيرة نفسها

اطلاق اسطولها في بحار العالم اجمع وعلى امتلاك ابواب المضايق في معظمها. فكل مضيق رغبت في احتلاله مثلها في جبل طارق وقناة السويس وباب المندب . ولو لم تر الاسطول الالماني في بحر الشمال يموج ويتعاظم فيضانه لظلت اساطيلها منشورة في بحار العالم بلا استثناء شأنها من قبل ، غير ان حركات المانيا دعتها الى جمع اسطولها وحشد الفئة الكبرى منه حول شواطئها ، وخصوصاً في بحر الشمال وبحر المانش للحؤول دون كل عدوان تبيّته لها المانيا

اسطول انكلترا في شواطىء المستعمرات

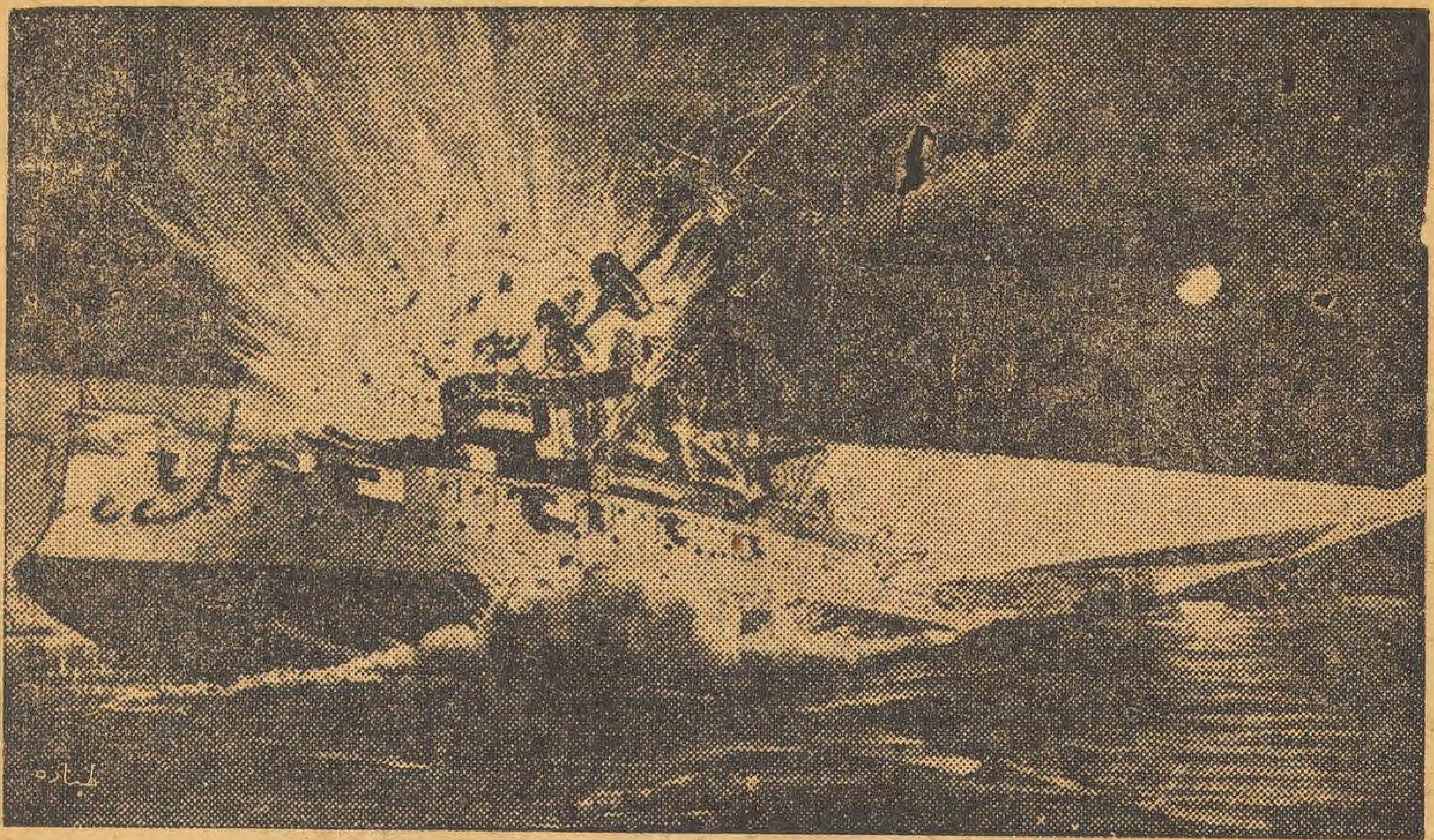
والاسطول الذي بثته انكلترا قبيل الحرب في شواطىء مستعمراتها ليس بالقليل. فكانت تملك في شواطىء جزر الهند الشرقية مدرعة قديمة وطرادين خفيفين ، وفي الشرق الاقصى مدرعة قديمة وطرادين مدرعين وطرادين خفيفين وثماني نسافات . وفي الكاب في جنوبي افريقيا ثلاثة طرادات خفيفة ، غير انها بطيئة لا تصلح لحرب حديثة . وفي المحيط الهادىء «الباسفيك»، بجانب الشواطىء الاميركية، مدرعتين صغيرتين قديمتين . وفي المحيط الاتلانتيكي، في جنوبي اميركا، طراداً خفيفاً . وفي شماليها مدرعة واربعة طرادات وطراداً خفيفاً ، وفي ساحل افريقيا الغربي مدرعة واحدة

لدى اعلان الحرب

وما لمست انكلترا الخطر العاصف بها في بدء الحرب الكبرى حتى دعت اليها معظم هذه القوات، ولم تتردد مستعمراتها في ان توفد اليها ما تستغني عنه من قواتها البحرية . فالاسطول الاوسترالي يشمل مدرعة وطرادين خفيفين وطرادين قديمين وفئة من سفن خفر السواحل وثلاث نسافات وغواصتين ، فانطلق في قسمه الاكبر الى انكلترا

واشترت كندا مدرعتين قديمتين لتدريب ضباطها البحريين، فما اعلنت الحرب حتى كانتا تنضمان الى الاسطول الانكليزي. واضطرت لحفظ شواطئها الى شراء غواصتين كانت تبنيهما جمهورية « تشيلي » في مرفأ « سان فرنسيسكو »

وتسلمت انكلترا من « زيلندا » الجديدة ثلاثة طرادات قديمة. وكان الاسطول الانكليزي قد اهدى الى هذه البقعة البريطانية — وهي من جزر اوقيانوسيا ، واحدى ممتلكات التاج البريطاني — مدرعة تستقر في مياه الشرق الاقصى ، بيد ان حاجته في بدء الحرب الى حفظ مكانته وردّ غارات الاسطول الالماني عنه حمله على استرداد الهدية



اهوال الغواصات

مما رهبت جانبه الدول في البحار ، وهي مشتبكة في الحرب العالمية الكبرى ، شر الغواصات . فكانت تغطس في قلب البحار وتقوض المدرعات والطرادات بسرعة وقسوة . والمشهد البادي الى جانب هذا الكلام يدل على انفجار في احدى المدرعات احدثته غواصة انسلت تحت المدرعة وشقتها بقذيفة قضت بها عليها — رحم الله الابرياء ! ...

ملك انكلترا يعرض الاسطول

ولا ريب ان انكلترا شعرت بان الحرب الكبرى ستقع . وان لم تكن واثقة بوقوعها فمن الراهن انها استعدت لها لئلا تؤخذ على غفلة

فدعت اساطيلها الى الاحتشاد في « سبتهد » للقيام بمداورات حربية . فلبت الاساطيل الدعوة واسرعت الى ذلك المرفأ الحربي الفسيح . وذاع في انكلترا باجمعها نبأ هذه المداورات . وضُرب الموعد ، فهو يوم ١٨ تموز ١٩١٤ ، وقيل ان الملك سيعرض الاسطول

وكانت شرارة البلقان حديثة العهد . فالارشيدوق فرنسوي فرديناند ، ولي عهد النمسا ، لم يجف دمه « في سيراجيفو » ، على ان الناس لم يجدوا اي صلة كانت بين مقتل ولي العهد وحشد الاسطول الانكليزي في مرفأ « سبتهد »

ولقد احتشد في ذلك المرفأ ٢٣٢ بارجة وغواصة حفلت بسبعين الف بحري ، عدا ثلاثين طيارة ومنطادين

واصطفت السفن في خط طوله اربعون ميلا . وفي صباح ٢٠ تموز عرض الملك هذه الاساطيل . وفي اليوم الرابع والعشرين تفرقت . وسار الاسطولان الاول والثاني الى « بورتلاند » ليأوي كل منهما الى موانئه وقد رقب ضباطهما وملاحوهما ان يتمتعوا بالاجازات وينصرفوا الى ذويهم ، غير ان الاوامر العليا قضت ببقاء الاسطولين في « بورتلاند » وبمنع الاجازات عن طالبيها

امير البحر « جاليكو »

وتولى امير البحر السر « جون جاليكو » القيادة البحرية العامة في الاساطيل الانكليزية . والرجل يبلغ الخامسة والخمسين من العمر ، كان ضابطاً بسيطاً في المدرعة « اجنكور » في سنة ١٨٨٢ لدى نشوب الفتنة العربية في مصر . ولما اصطدمت سنة ١٨٩٣ المدرعتان الانكليزيتان « فكتوريا » و « كمبردون » بعضهما ببعض ، تجاه مدينة طرابلس ، كان الضابط « جاليكو » بين ملاحي المدرعة الاولى وقد اغرقتها الصدمة ، على ان النجاة كتبت له فدفع عنه الخطر

ومن غرائب الاقدار !

ومن غرائب الاقدار ان انكلترا لما فوجئت بالحرب كانت تتأهب للاحتفال بمرور مئة سنة على آخر معركة بحرية خاضت غمارها . اجل ، لقد انقضت على الاسطول البحري الانكليزي مئة سنة لم يضطر في اثنائها الى الاندفاع في حرب بحرية ينقذ بها سيادة انكلترا في البحار شأنه في موقفه من فيليب الثاني ملك اسبانيا ، ومن نابوليون الاول في « ترافلغار »

فكانت حروبه البحرية لا تزيد على قضاء وقت وسلوى . فاما يخمد ثورة في مستعمراته واما ينجد دولة اخرى من مصلحته انجادها . اما ان يحارب للدفاع عن سيادته فذلك مما لم يتفق له طول هذه السنوات المديدة . وآخر حرب خاضها ، وشعر فيها بالرهبة ، وبذل في سبيل الفوز فيها كل ما يملك من قوى ، حرب الاستقلال الاميركية وقد بدأت سنة ١٨١٢ وانتهت سنة ١٨١٤

وذكرى هذه الحرب همّ الاسطول الانكليزي بالاحتفال بها . فهو منذ مئة عام في سلم او في شبه سلم . فانفق منذ معركة « ترافلغار » على التجديد في وحداته نحواً من مليار ونصف مليار جنيه دون ما اضطرار اليها . ولكن رغبته في الوقوف ابداً على اهبة وفي مجاراة العصر الحديث حملته على هذا الانفاق الباهظ . فكان يتسلم قطعه

الحربية من حيث يتم انشاؤها ، حتى اذا ما انقضى عليها الاجل وقضت زمنها في العمل وظهر شكل جديد في السفن لا سبيل معه الى بقاء القديم بيعت الى دولة اخرى، ادنى شأناً او بيعت وقوداً للنار وكان نصيبها التدمير والتحطيم

فتنشأ السفينة وتفنى ولا تضطر الى اطلاق مدفع من مدافعها . ورضيت انكلترا بذلك كل الرضى ، ومما قال احد رجالها اللورد « روزبري » ان اعظم النفقات التي يدعو اليها التسليح لا تعادل في شيء نفقات اصغر حرب اوربية

وفيما الاسطول الانكليزي يستعد للحفلة الكبرى ، لحفلة السلام، لذكرى مئة عام انقضت في اطمئنان ، اذا البركان يحمحم ويثور ، واذا الحرب تكشر عن انيابها ، واذا السلم يمسي في افواه المدافع

اين الاساطيل الانكليزية ؟

والاساطيل الانكليزية وقد بلغها ان الحرب على وشك الاضطرام وان لا بد لها من خوضها اتجهت فوراً الى الاماكن المقررة لها . ولم يعلم احد اين امست . فالجميع تساءلوا عن مقر هذه الاساطيل دون ما جدوى . فقد اختفت. على ان المطلعين على دقائق الامور علموا حق العلم ان الاساطيل الانكليزية تولت قطع المواصلات الالمانية. فاعترضت سبل السفن الالمانية في بحر المانش، وفي البحر الشمالي . وكتب لها التوفيق في مهمتها . فباتت السفن الالمانية من حربية وتجارية عاجزة عن براح البحر الشمالي او دخوله . واذا خاطرت واقتحمت هذا البحر تعرضت للاصطدام بالاساطيل الانكليزية

قد تكون هناك سفن اجتازت هذا البحر خفية ، دون ان تبصر بها اساطيل انكلترا ، الا ان مجموع الاسطول الالماني بات في حصار . والسفن التي ظلت بعيدة عن المانيا يوم اعلان الحرب اضطرت اما الى الوقوع في الاسر او الى الاعتصام بمرفأ دولة تلتزم العزلة

وكثيرة هي البواخر الالمانية التي وقعت في اسر الانكليز وهي تحاول اجتياز المانش او البحر الشمالي . ولو لم تبلغ المانيا سفنها في البحار كافة ان الحرب على وشك الاحتدام وان على هذه السفن ان تكون على حذر وتتجنب الوقوع في قبضة الحلفاء لكان الاسطول الانكليزي غنم بواخر المانية لا تحصى . ولكن المانيا فطنت الى الامر قبل وقوعه وانقذت من الشرك معظم بواخرها التجارية

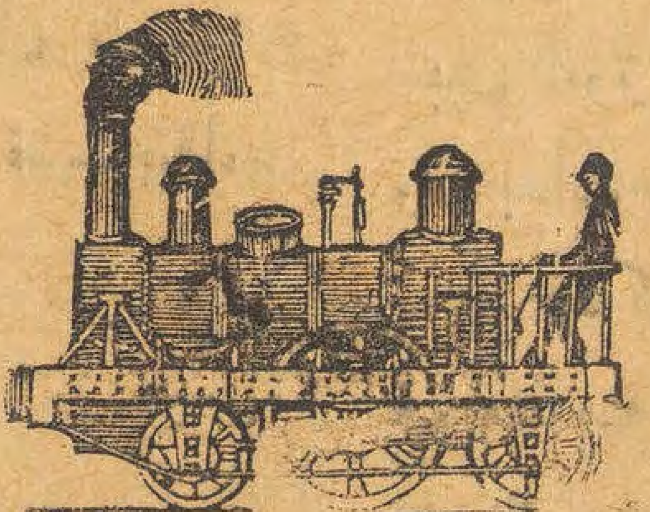
ولقد امتلأ مرفأ نيويورك في الولايات المتحدة الاميركية بعدد كبير من سفن الالمان . وكان ذلك قبيل اعلان الحرب ، مما دل على ان المانيا كانت على استعداد

والشيء بالشيء يذكر

ومن لطيف ما يروى في هذا الصدد ان احدى بواخر شركة « نورديتشر » الالمانية برحت قبل اعلان الحرب ميناء نيويورك وعليها مليونا جنيه تحملها الى لندن وباريس . وما بلغت عرض البحر حتى وردت عليها برقية تنبئها باعلان الحرب . فحارت في امرها. على انها رأت ان تتابع طريقها ، ولما ايقنت ان الطريق محفوف بالمصاعب وانها عرضة للوقوع في قبضة الحلفاء عادت ادراجها الى مرفأ نيويورك تختبىء فيه . وكان عليها فريق من ارباب الاموال الاميركيين ، فعرضوا على ربانها ان يشتروها منه وان يرفع العلم الاميركي عليها ، فرفض كل الرفض وآثر ان يخاطر بنفسه وبباخرته على ان يظهر بمظهر الجبان

اما السفن الانكليزية

اما السفن الانكليزية التجارية فلم تتعرض لمثل هذا الخطر ، ذلك ان الحظ خدمها من حيث لا تدري ، بل من حيث تعتقد انه اساء اليها . فقد اعلن المهندسون فيها اعتصابهم لخلاف بينهم وبين ارباب العمل ، فكان ان بقيت البواخر في موانئها ، ولما اعلنت الحرب لم تكن قد برحت الشواطىء الانكليزية فنجت من اسر الالمان



الأسرار



هذا الرسم
يمثل المارشا
هندنبورغ
وهو يحتفل
بين اسرته
ببلوغه السبع
وقد جلس
عن اليسا
صهره ومرافق
«فون بنز
ثم ابنته فامرأ
فالمارشال
فابنته الاخرى

العدد الرابع عشر



الامبراطور
غليوم
الثانى
واركان
حربه فى
ساحة
القتال
في
فرنسا

الأسرار

مجلة اسبوعية تاريخية تبحث في التاريخ وما اهمله التاريخ

اصحابها : انطون صادر ، كرم ملحم كرم ، فؤاد ميداني

رئيس الانشاء المسؤول: كرم ملحم كرم — منشىء القسم الشرقي: فؤاد ميداني

المكاتبات باسم مدير المجلة : انطون صادر

الادارة مكتبة صادر * شارع اللنبي * بيروت

العدد ١٤ بيروت في ٥ تموز سنة ١٩٣٨

اسرار الجاسوسية في القضية العربية

بقلم فؤاد ميداني

جمال باشا يعمد في القدس الى انشاء كلية يزاحم بها الازهر

اختيار الشيخ عبدالعزيز جاويش لرئاسة الكلية

بيان الشيخ جاويش

لما فشلت حملة قناة السويس الاولى وعاد احمد جمال باشا الى القدس في شهر شباط ١٩١٥ عمد الى الاستعداد لحملة قناة السويس الثانية من جهة، والى العمل على استمالة امراء العرب وزعمائهم من جهة اخرى ، وما غاب عنه التفكير في استمالة ابناء البلاد اليه وقد وضح له ان العرب باتوا شديدي النقمة ، ليس عليه وهو لم يقم حتى الساعة بعمل يثير نقمتهم كما تراءى لهم ، بل على الاتحاديين الذين اساؤوا الى العناصر العربية بمختلف الطرق السياسية التي اتبعوها

خطة جمال في استمالة العرب

واعتقد احمد جمال باشا كل الاعتقاد ان الدعوة التي بثتها معاهد البعثات الاجنبية في مقدمة الحوافز الى تنفير العرب من الاتراك وتقريبهم من الاجانب ، ولهذا مال ساعة تولى دفة الامور في سوريا ولبنان الى مقاومة المعاهد الاجنبية بانشاء معاهد شبه تركية تعمل على احلال الثقافة التركية محل الثقافة الفرنجية

وهذا المشروع وان يكن تنفيذه بدأ في سنة ١٩١٦ فقد وضعت اسسه قبل هذا التاريخ

واول ما اعتزم جمال باشا في هذا الصدد انشاء معهد كبير في القدس. وباحث في ذلك الاستاذ عبدالعزيز جاويش، وكان في المانيا ، فدعاه الى القدس لمفاوضته بالامر

كلية صلاح الدين الايوبي

وجاء الشيخ عبد العزيز جاويش الى القدس وفاتحه جمال باشا في امر المعهد فوافق وقال :

— علينا ان نختار للمعهد اسماً تاريخياً ، فيكون « كلية صلاح الدين الايوبي » ، فنحيي بهذا الاسم ذكرى البطل العربي ونستميل ابناء العرب في مختلف الجهات ، ويتسنى لنا اتقاء الدعوة التي تبثها في الخفاء معاهد البعثات الاجنبية زاعمة ان مقصد صاحب الدولة من مشروعه تتريك العناصر العربية !

فايد احمد جمال باشا هذا الاقتراح وفوض الى الشيخ عبدالعزيز

افتتاح كلية صلاح الدين الايوبي



رسم تاريخي نادر لاحمد جمال باشا يوم افتتاح كلية صلاح الدين الايوبي . وقد وقف في مقدمة الصف وبجانبه قادة الجيش ومتصرف القدس ووراءهم جمهور من المدعوين

جاويش تحقيق الفكرة ووضع منهاج الكلية واختيار اساتذتها العرب

هدف الكلية

وفي اواخر حزيران ١٩١٥ احتفل في القدس بافتتاح هذه الكلية واذيع بشأنها بلاغ يقول :

« ان صلاح الدين الايوبي ، الذي استرد القدس الشريف من ايدي الصليبيين،زاد في شهرته الخالدة في هذه المدينة الباركة الشاخصة اليها انظار العالم ، تأسيسه مدرسة وتكية ومستشفى . وهذه المدرسة ظلت مهملة بمرور الزمان لكونها انشئت في مسقط رأس ام يسوع ، وكانت في البدء كنيسة ينظر اليها المسيحيون باهتمام

« على ان الفرنسيين،وقد سبقوا الجميع الى نيل الامتيازات من العثمانيين فور رجوعهم الى سياستهم الدينية ، وكانوا قد مالوا عنها بعد ثورتهم الكبرى ، سعوا لامتلاك المعهد الديني القديم في الشرق القابض على ناصيته الارثوذكس، فادى الامر الى اثارة قضية الاماكن المقدسة ونشوب حرب القرم . ولما كان الفرنسيون قد خاضوا هذه الحرب بجانب العثمانيين استرحموا نيل اجازة بانشاء كنيسة تقوم مقام المدرسة، وبدا للاتراك ان هذه المدرسة في حالة خراب ودمار وليس من يهتم بشؤونها فاحسنوا بها الى الفرنسيين

« اما والتخلي عن املاك الوقف الشرعي لا يجوز بلا مسوغ، اما واسترداد هذه الاملاك لزام على ولاة الامر ، اما واعلان الجهاد الديني المقدس يدعو المسلمين الى استعادة حرياتهم واملاكهم المغصوبة، فقد نهض حضرة احمد جمال باشا قائد الجيش الرابع ، ووزير البحرية المبجل الذي نرقب منه فتح مصر ، الى انشاء كلية عظيمة تحل محل الكنيسة وتقبل الطلاب من اربعة اقطار المعمور ، وايد الفكرة واستحسنها حضرة صاحب المقام الرفيع خيري افندي شيخ الاسلام ، مما ساعد على ظهور هذه الكلية الاسلامية الى عالم الوجود .

«هذه الكلية تحتوي الآن عشرة صفوف ، سبعة منها ابتدائية وثلاثة ثنوية. ففي صفوفها الابتدائية يتم تدريس العلوم الشرعية والعلوم والفنون بمستوى المكاتب السلطانية

«وفي صفوفها الثنوية العليا تدرس العلوم الشرعية والحقوقية فقط .

« ومأذونو هذه الكلية مع كونهم يستطيعون ان يترقوا الى منصب القاضي والمفتي والمدرس والمعلم سيحصلون من العلم كل ما يحتاجون اليه ليكونوا مرشدين ومبشرين على طراز من التربية يؤهلهم للجمع بين العلم والعمل

« ويحتمل انشاء جامعة اختصاص اعلى من الصفوف الحاضرة لاعداد الفقهاء والمحدثين ،خصوصاً والشريعة الاسلامية المطهرة دين مبين علوي يجمع الاسس الاجتماعية الاخيرة ويأمر باستقصاء انواع الرقي كافة

« يدعي بعض علماء النصرانية المالك نفوسهم الغرض وسؤ النية ان هذا الدين المبين مانع للترقي.ويستندون في ذلك الى موقف بعض رفاقنا في الدين الذين درسوا العلوم العصرية دون تدقيق منهم في غوامض الشريعة العليا،والى موقف بعض علمائنا في الدين الذين لا تتساوى معارفهم الدينية والعلوم العصرية ، غير اننا نحيل هؤلاء الى أئمة الدين والمجتهدين الذين رسخت اسماءهم في بطون التاريخ وكان

وقوفهم الحقيقي على العلوم والفتوى في عصرهم حافزاً الى تفوقهم في الاحكام الشرعية والاحاطة بها عن معرفة تامة وسعة اطلاع نادرة المثيل .

« ان هدف هذه المؤسسة اعداد رجال ينتسبون الى العلم، واقفين على الفتوى العصرية، مقتدرين على ادراك الاحكام الشرعية وموافقتها للاسس الدينية والرقي العصري

« ونحن اذا فكرنا في الامة الاسلامية المنتشرة في اطراف المعمور ، وايقظناها من نومها العميق، ونبهناها من رقدة الجهل والغفلة، واتخذنا من قدر لهم سلوك طريق الحق رائداً للفوز والهدى لينهضوا بها ويعيدوا اليها مجدها، ادركنا الاجر والشرف الساميين

« هذه الكلية اسسها ورعاها بعنايته حضرة جمال باشا الذي لا تقل افكاره ومعارفه عن عزمه وهمته الشماء، ولن يألو جهداً في متابعة اعمالها بنفسه .

« ان المادة الخامسة والثلاثين من نظام المدرسة تنص على قبول الف تلميذ مجاني داخلي من الولايات العثمانية كافة ، وقد شرع في قبولهم وبدأ التدريس »

حياة المعهد

هذا هو البلاغ الذي اذيع في ذلك الحين . والحق يقال ان احمد جمال باشا وزميله انور باشا كانا يقصدان بحركتهما هذه نشر الدعوة الاسلامية في بلاد العرب وايجاد معهد في القدس ينافس معهد الازهر في مصر ، ولذا عهدا الى الشيخ عبد العزيز جاويش بادارة هذا المعهد كما طلبا من بعض الاساتذة المعروفين من ابناء البلاد العربية التدريس فيه

وكانت حفلة الافتتاح فخمة جداً ، ولكن المعهد لم يعش طويلا والاحوال السيئة التي مرت بالبلاد الفلسطينية بعد افتتاح المعهد حالت دون نجاحه واكرهت اخيراً الحكومة على قفله، فقام مقامه معهد آخر من تلك المعاهد التركية التي انشئت في خلال سنة ١٩١٦ وقد حاول الاتحاديون استبدالها من معاهد البعثات الاجنبية ، رامين الى تتريك الناشئة وتطبيق النظام الذي اقره احمد جمال باشا لما اسس اندية « تورك اوجاغي » في استانبول لتتريك العناصر العثمانية جمعاء

المؤسسات الدينية في منطقة الجيش الرابع

ونذكر بهذه المناسبة ان الاحصاء الذي وضعه احمد جمال باشا في نهاية عام ١٩١٤ دل على ان عدد الرهبان والراهبات من الطوائف الغربية يبلغ في القدس وحدها ٨٦٠ راهباً و٤٢٠ راهبة، وعدد الطلاب الذين تضمهم مدارس هذه البعثات ٢٤٠٠ من الذكور و٢٨٠٠ من الاناث

وعدد الايتام الذين تضمهم دور الايتام في القدس ٣٦٠ من الذكور و٤٣٠ من الاناث

اما رهبان الفرنسيسكان فان لهم في القدس حسب ذلك الاحصاء ستة اديار ومأوى، كما ان لهم ٢٠ ديراً ومأوى في مختلف جهات منطقة الجيش الرابع ، منها دير في بيت لحم ، وثان في عين كرم ، وثالث في طبريا ، ورابع في جبل الطور ، وخامس في الناصره ، وسادس في قانا . هذا في منطقة فسلطين ، والبقية منتشرة في لبنان وسوريا ومنطقة الاناضول التابعة للجيش الرابع

ولرهبان الكرمل ثلاثة اديار ، في جبل الكرمل في حيفا ، وفي طرابلس ، وفي قرية القبيات التابعة لعكار . ومع ان ليس من عادة الاباء الكرمليين الاشتغال في التعليم فكان لهم مدرسة في بشري

ولراهبات اخوة « سان جوزيف » والراهبات اليوسفيات ٣٠ مؤسسة في فلسطين .

ولهن فيها ثلاثة مستشفيات قائمة في القدس ويافا والناصرة ، وثلاث دور ايتام تضم ١٨٠ يتيما ، ومدرستان نهاريتان وخمسة معاهد دينية تضم الف طالبة

ولهن عدا هذه مدرسة ليلية ونهارية في بيروت ، ومدرسة نهارية ودير في صيدا ، ومدرسة ودير في دير القمر ، ومدرستان ليليتان ومستشفى ودير في حلب ، ومدرسة ودير في الاسكندرون

راهبات الناصرة — ومقرهن الناصرة، ولهن اربع مدارس في حيفا وشفا عمر وعكا وبيروت، ودير كبير قائم بجانب مدرسة بيروت

والراهبات الكرمليات ومركزهن روما ولهن دير كبير في اعلى جبل الزيتون بالقدس ، ولهن اديار في بيت لحم وجبل الكرمل في حيفا ، وهناك عدد كبير من الرهبان والراهبات يملكون الاديار الواسعة والمعاهد الكثيرة

الروس اسياد البحر الاسود

القوات الروسية تقهر الجيش العثماني وتكرهه على الجلاء عن «وان»

على ان العثمانيين يفوزون على الروس في جبهة اخرى

المجازر في القفقاس

هدأت الحالة في شهر ايار في البحر الاسود بعد غرق الطراد العثماني « مجيديه » . فان انهماك العثمانيين في الحروب الهائلة ، التي بدأت في ٢٥ نيسان سنة ١٩١٥ في شبه جزيرة جناق قلعه ، اهاب بالقيادة الى استدعاء وحداتها البحرية من البحر الاسود وحشدها في بحر مرمرة ومدخل الدردنيل ، مما اعاد السيادة في البحر الاسود الى الاسطول الروسي الذي شدد في ضرب نطاق الحصار على السواحل العثمانية واخذ يواصل هجماته على موانئها

اغراق ٤ بواخر

ومساء ٨ ايار شاهد الاسطول الروسي الباخرة التركية « اورخانيه » في طريقها من « زونغلداق » الى طربزون فرماها بقذائفه وكانت مملوءة بالمواد الغذائية وفيها ٣٤ بحاراً

ولجأ الروس الى طريقة فظيعة في مهاجمة هذه الباخرة . فعمدوا الى ضربها دون انذار بحارتها بمغادرتها كما يقضي بذلك العرف الدولي ، فكان ان قتل ٢٩ من بحارتها ولم ينج منهم الا خمسة

وفي اليوم التاسع صدموا الباخرة « بروسه » وهي من البواخر الكبرى التي اعتمد العثمانيون عليها في نقل بضائعهم ، واحتشد عليها ٤٣ بحاراً عاملهم الروس كما عاملوا بحارة الباخرة الاولى ، فضربوا « بروسه » دون سابق انذار وقتلوا من افرادها ٢٣ ونجا الباقون

وفي ١٠ ايار هاجمت السفن الحربية الروسية مرفأ طربزون وضربته واغرقت فيه الباخرة « استانبول » ولم يكن فيها الا خمسة من البحارة قتلوا جميعاً . ورمت بقذائفها بعض المراكب الشراعية الراسية في الميناء فاتلفتها

وفي صباح ١١ ايار اتجهت هذه السفن الى مرفأ « زونغلداق » ورمته بالقذائف واغرقت فيه باخرة رابعة فذهبت بارواح ثلاثة من بحارتها

وفي ١٤ ايار اذيع في القاهرة بلاغ عن هذه الحوادث جاء فيه :

« اغرق الروس اربع نقالات عثمانية في البحر الاسود وذلك بين ٩ و ١١ ايار الحالي »

الهدوء يسود البحر الاسود

وبعد ذلك ساد البحر الاسود سكون استمر حتى نهاية عام ١٩١٥ ، فلم تعد الوحدات البحرية الروسية المسيطرة على هذا البحر الى ضرب السواحل ، بل اكتفت بارهاب العثمانيين الذين امتنعوا من تسيير سفنهم التجارية في تلك المياه

المعارك في البر

اما الحالة في الجبهة البرية العثمانية الروسية فكانت شديدة الوطأة . فالقوات الروسية التي تقدمت من جهة في قلب الولايات الشرقية ووصلت الى ضفاف بحيرة « وان » مضت في تقدمها محاولة توسيع منطقة هذه الجبهة والامتداد بها الى الجهات الساحلية . وفازت بمحاولتها وتمكنت في منتصف شهر ايار ١٩١٥ من الوصول الى هدفها. وجاء في البلاغات التي اذاعها يومذاك الحلفاء في القاهرة ان القوات الروسية اخذت تتقدم بخطوات واسعة ، فاحتلت يوم ١٢ ايار اكثر المدن المجاورة لقاعدة ولاية ارضروم ، وفي ١٤ منه احتلت سواحل «ميديا »

في منطقة القفقاس

وفيما الروس يدركون الفوز في الولايات الشرقية العثمانية كانت القوات العثمانية، التي اجتازت حدود بلاد القفقاس من جهات ارزنجان، قد اشتبكت والقوات الروسية في منطقة « اولتي » في معركة شديدة. في صباح ١٢ ايار قام الروس بهجوم عنيف على المراكز العثمانية تمكنوا في بدئه من احتلال المراكز العثمانية المسيطر عليها الالاي ٢٧. فاخترقوا جناحيه الايمن والايسر، الا ان قوات القلب جابهتهم حتى وصول نجدات جديدة من الطابور الرابع ولواء الفرسان الخمس عشر، فخاض الفريقان معركة حامية انتهت بتراجع الوحدات الروسية وقد نزلت بها الخسائر الجمة، فبلغ عدد ضحاياها ١٥٠٠ جندي بين قتيل وجريح، اما العثمانيون فخسروا ٨٥٠ بين قتيل وجريح ايضاً. واخيراً احاطت الوحدات العثمانية بالهضبات القائمة حول « اولتي » واصلتها ناراً حامية تمكن في نهايتها جناح القوات العثمانية الايسر من الاحاطة بالروس، فنشبت عندذاك معركة شديدة بين الفريقين استعملت فيها الحراب ودامت ثلاث ساعات متوالية، وقد انتهت باحتلال العثمانيين للمراكز الروسية جمعاء

بلاغ العثمانيين

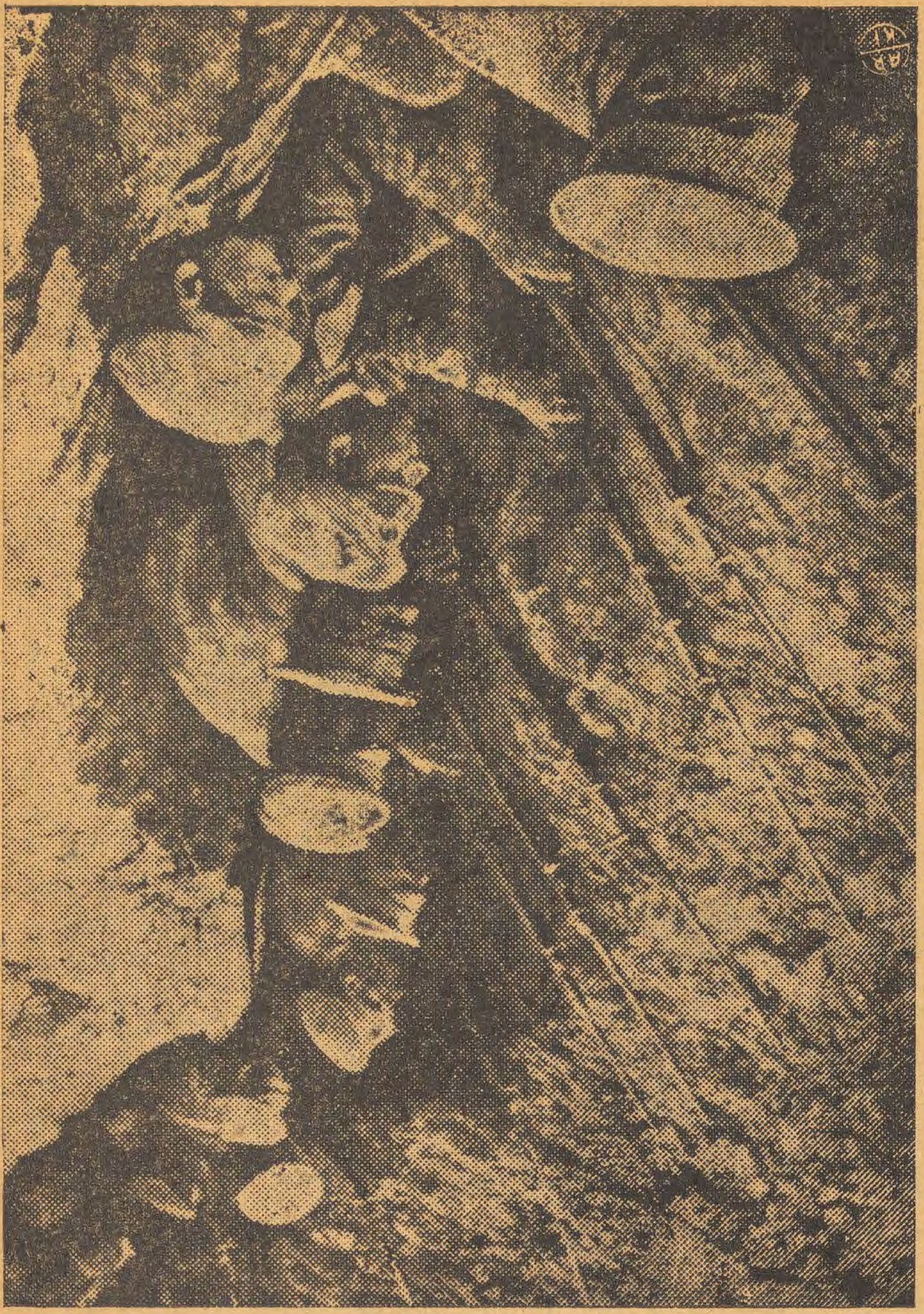
وعلى اثر هذه المعركة اذاعت القيادة العثمانية بلاغاً يقول:

« رددنا تماماً الهجوم الذي قام به منذ بضعة ايام العدو على طلائعنا الامامية، وذلك في القوقاس حول « اولتي »، وقد استولينا بهجماتنا على الروابي المشرفة على تلك الجوار »

الا ان القيادة العثمانية ـ كما يتبين من هذا البلاغ ـ لم تشر الى الخسائر الفادحة التي نزلت في هذه المعركة بالعثمانيين وقد انتهت بسقوط اكثر من ٢٠٠٠ قتيل وجريح.

وهذا الفشل الذي منيت به القوات الروسية دعاها الى وقف حركات القتال في قلب الولايات الشرقية واستدعاء بعض القوات المقيمة في ولايتي « وان » و « ارضروم » الى ناحية « اولتي » وفيها تدور رحى المعارك الشديدة

وفي ١٤ ايار حاولت القوات الروسية القيام بهجوم جديد على المراكز العثمانية ففشلت، واستمر هذا الفشل حتى ٢٠ ايار، فكانت القوات الروسية تدحر في كل معركة تقوم في هذه المناطق. وفي ٢١ منه اقدم فيلق روسي على مهاجمة موقعي « نارمان » و « قلعه بوغازي » دفعة واحدة، فبدأ الهجوم عليهما من الساعة الثالثة من صباح ذلك اليوم.



القوات الروسية في خنادقها

اتخذت حرب الخنادق دوراً مهماً في المعارك الروسية العثمانية، وفي هذا الرسم منظر بعض الروس يترقبون العثمانيين في احد الخنادق

وتمكن في البدء الروس من اختراق المراكز العثمانية الاولى واحتلال الهضبات المخندق الجيش العثماني فيها

الا ان الالاي ٢٧ والالاي ٢١ تمكنا اخيراً من الوصول الى « قاغزمان » والاحاطة بمؤخرة القوات الروسية التي اصبحت بين نارين، ولم تستطع الثبات في موقفها طويلاً، فتراجعت مدحورة بعد ان تركت في ساحة القتال عدداً كبيراً من الضحايا

بلاغ العثمانيين

وفي ٢٣ ايار اذاع الترك عن هذه المعركة بلاغاً ورد فيه:



مدينة اركلي على البحر الاسود

منظر مدينة « اركلي » الواقعة على ساحل البحر الاسود ، وقد ضربها الروس واحتلوها كما ورد في هذه النشرة من « الاسرار »

الكافي للقوات العثمانية كي تنظم نفسها وتمنعهم من ولوجه ، فقاموا بحركة سريعة للبطش بهذه القوات قبل دخول المضيق واصلوها وابلا من القذائف مكنهم في النهاية من دحرها وقد ملأت المضيق بجثث الضحايا ، فمشى عليها الروس في اندفاعهم الى الامام

احتلال وان

وهذه الضربات المتوالية التي انزلها الروس بالقوات العثمانية ضعضعت العثمانيين وباتوا لا يقوون على الثبات حيال الروس الزاحفين اليهم . وعند ذاك اعلنت الاوامر بجلاء القوات العثمانية عن مدينة « وان » لئلا يعمد الروس الى ضربها .

وتقول بعض المصادر العثمانية ان العصابات الارمنية التي تألفت في ذلك الحين هي التي ضعضعت العثمانيين بمهاجمتها مؤخرة الجيش العثماني بشدة متناهية ، فاتعبتها واضطرتها الى التراجع بشكل فظيع

وكان ان اضطرت القوات العثمانية الى اخلاء « وان » ، وقد دخلتها العصابات الارمنية وفتكت بكثير من الاتراك وهدمت منازلهم ونهبت ما فيها

بلاغ للحلفاء

وفي ٢٦ ايار اعلن الحلفاء في القاهرة في بلاغ رسمي نبأ هزيمة القوات العثمانية في جهة الولايات الشرقية جاء فيه :

« وفي ٢٤ ايار اعلن الروس انهم احتلوا مرتفعات « شاكر بابا » و « كجوت » ومضيق « كوشكول » ومدينة « وان » ، وانهم انزلوا قواتهم العسكرية في اركلي بعد ان دمرت المدفعية الروسية الاستحكامات العثمانية فيها »

اما مرفأ « اركلي » ، الذي يقول الحلفاء ان الروس احتلوه بعد ضربه ، فالاخبار الراهنة تدل على ان الاسطول الروسي عمد فعلا الى ضرب الحصن العثماني ، الا ان القوات الروسية ما كادت تنزل الى الشاطىء حتى لقيت مقاومة شديدة ، فرمتها القوات العثمانية الاحتياطية المقيمة على المرتفعات بوابل من قذائفها ، ثم هاجمتها قوات المشاة ، وبصعوبة تامة تمكن الاسطول من استعادة هذه القوات الى متن مدرعاته . ويستدل من الانباء الصحيحة ان خسائر الروس في هذه الحملة زادت على الف وخمسمئة قتيل وجريح

الموقف الراهن في الدردنيل

القيادة الفرنسية تعزل القائد داماد وتعين غورو
القائد داماد ينفي تبعة الاخفاق عن نفسه

الحلفاء يخسرون ثلاث مدرعات

تحدثنا في الجزء الاخير عن الفشل الرائع الذي اصيبت بـه القوات العثمانية في مقاتلة الفرنسيين في شبه جزيرة جناق قلعه ، ولقد اعتمد العثمانيون على تدابير حازمة لاستعادة الموقف وقهر الفرنسيين الا ان هذه التدابير لم تسعف العثمانيين . فما كادوا ينطلقون من استحكاماتهم حتى اخذوا يتساقطون صرعى تحت وابل الرصاص، وبلغت ضحايا احدى الفرق وحدها في هذه المجزرة البشريـة الفي قتيل ، فباتت الفرقة عاجزة عن العمل لا تقوى على الاتيان بحركة

ولم يكن منها في النهاية الا ان اضطرت الى اخلاء الاستحكامات الامامية والتراجع

اما قوات الفرقة ١٦ فقد تمكنت لبعـد المسافة بينها وبين الوحدات الانكليزية من التقدم قليـلا ، وما كادت تشرق الشمس حتى وجدت نفسها في موقف صعب يمنعها من التقـدم فاضطرت الى الوقوف في اماكنها .

عناد القائد

ولكن وقف الحلفاء لهجوم القوات العثمانية في مدة قصيرة لم يرق قائد الفيلق الذي عاد لدى الساعة الثامنة صباحـاً وامر هذه الفرقة بمتابعة الهجوم غير حافل بالموقف العسكري

على ان هذا الهجوم لم يتم لان الحلفاء ما لبثوا ان سبقوا اليه في الجبهة التي تدافع عنها الفرقة ١٩ فتحول القتال الى مجزرة بشرية هائلة اشترك فيها الجيشان بالسلاح الابيض

وحاول الفيلق الخامس ان يتابع هجومه الا انه لم يظفر بذلك واضطر الى العودة ثانياً الى استحكاماته وانشاء استحكامات خلفية

واستمرت المجزرة البشرية حتى الساعة الحادية عشرة قبـل ظهر ١٩ ايار ، اي ما يقارب ثماني ساعـات ونصف ساعة ، وكانت نتيجتها الفشل في كل معركة خاضتها القوات العثمانية

واخيراً ادرك قائد الفيلق ان المكابرة لا تفيد وانه اذا واصـل هجومه سيفقد ضحايا كثيرة ولذا اعلن وقف الهجوم

هذه بشر وليست مواشي

والبلاغات الرسمية التي اذيعت بعد هـذه المعركة عن خسائر العثمانيين تقول ان خسائرهم في هذا الهجوم لم تتجاوز ٥٠٠ بين قتيل وجريح ، مع ان الانباء الراهنة الواردة على القيادة العليا عن الخسائر الحقيقية التي اصابت القوات العثمانية دلت على ان هذا الهجوم الفاشل نكب العثمانيين بخسائر تبلغ ٣١٨٣ قتيلا و ٦٥٩١ جريحاً

واذا عرض القراء هذه الارقام امامهم تجلت لهم فظاعة الحروب وما تجره على البشرية من ويلات

خسائر الحلفاء

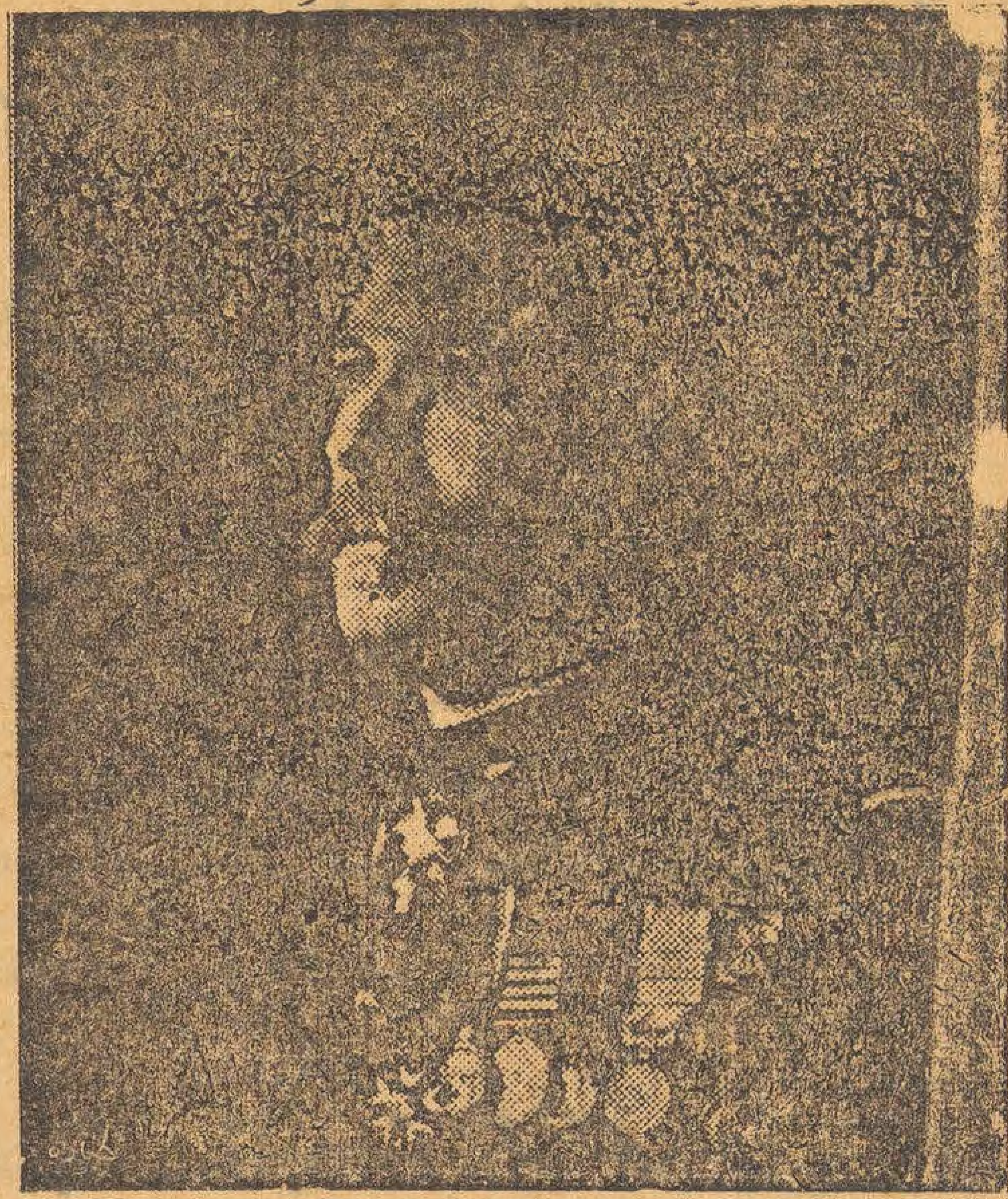
وخسائر الحلفاء لم تكن قليلة . فالاحصاء الذي اذاعه الحلفاء بعد نهاية الحرب دل على انهم خسروا في هذه المعركة ٢٤١٧ قتيلا و ٤٠٥٠ جريحاً

الهدنة

وملأت جثث الضحايا ساحة القتال، مما حمل الجنرال «هاملتون» قائد قوات الحلفاء على السعي لعقد هدنة موقتة يتمكن بها للفريقين دفن ضحاياهما . وخاطب في ذلك المارشال ليمان فون ساندرس باشا القائد

العام للقوات العثمانية

فوافق المارشال العثماني على هذا الطلب وعقدت هدنة شفوية حتى مساء ٢٣ ايار انصرف في خلالها الفريقان الى جمع الضحايا ، وسادت الجبهة في هذه الاثناء سكينة ، الا انها سكينة ممزوجة بالمرارة بعد الفاجعة الرهيبة



الجنرال داماد

اصيب الجنرال داماد في قيادة القوات الفرنسية في جناق قلعه بفشل شديد اضطر القيادة العليا الفرنسية الى استبداله ، فحلّ مكانه الجنرال غورو ، وفي هذه النشرة رسالة من القائد يوضح فيها موقفه في معارك الدردنيل

ضحايا معارك الدردنيل

ونذكر في هذه المناسبة ان الاحصاء الحقيقي الذي نشر بعد هذه الحرب الطاحنة دل على ان خسائر المعارك التي بدأت في فجر ٢٥ نيسان وانتهت في ١٩ ايار سنة ١٩١٥ كانت كما يلي :

اولا — بلغت خسائر القوات الانكليزية ٦٨٣ ضابطاً و ١٦١٥٠ جندياً

ثانياً — جاوزت خسائر الفرنسيين ٣٢٤ ضابطاً و٢٢١٠٧ جنود

ثالثاً — لم تزد خسائر العثمانيين على ١٩٩ ضابطاً و ١٣٩٩٥ جندياً بين قتلى وجرحى

عزل داماد وتعيين غورو

فاستنكرت القيادة العليا الفرنسية هذا الفشل الذي اصاب قواتها في معارك « جناق قلعه » ، وراعتها كثرة الضحايا ، فاعتبرت الجنرال « داماد » مسؤولا وامرت في ٢٠ ايار بعزله عن قيادة الجيش الفرنسي في الدردنيل ، وذلك على اثر فشل الهجوم الذي قام به هذا الجيش ، وعينت مكانه الجنرال غورو وهو من تولى المفوضية العليا وقيادة القوات الفرنسية في سوريا ولبنان في بدء سنوات الانتداب. ولتبرير الموقف في ذلك الحين قيل ان انحرافاً طرأ على صحة الجنرال داماد دعا الى اعفائه من الخدمه في منطقة « جناق قلعه »، وصدر يومذاك بلاغ في القاهرة هذا نصه :

بلاغ رسمي

« اصيب حضرة الجنرال داماد بمرض اضطره الى اعتزال قيادة القوات الفرنسية في شبه جزيرة جناق قلعه

« وصدرت الاوامر في ٢٢ ايار الحالي بتعيين الجنرال غورو مكانه في القيادة نفسها »

وفي ٢٩ ايار صدر بلاغ آخر يقول : « وصل الجنرال غورو قائد القوات الفرنسية العام في شبه جزيرة جناق قلعه وتسلم اعمال منصبه بدلا من الجنرال داماد »

داماد يدافع عن نفسه

والجنرال داماد لم يحتج يومذاك على نقله ، الا انه في كتاب ارسله الى احد اصدقائه في مرسيليا قال : « لم اتأسف ولم اتألم لعزلي هذا لاني كجندي اطعت الامر وانا شديد الايمان والثقة باني قمت بواجبي خير قيام، دون ان يثير قرار العزل في نفسي حقداً او ضغينة على احد من الناس

«بيد ان الخطأ في فشل الحملة لم يكن مني وقد عرضت على القيادة خطة لم توافقني عليها ، فطلبت ان تكون حركة انزال الجند من جهة « بشيكه »، وهناك يتسع المجال للاسطول كي يتولى حماية قواتنا من جهة « بوزجه اطه » ، الا ان القائد العام رفض هذا الاقتراح وكان ان فشلت مساعينا في الوصول الى استانبول، واعتبرت مسؤولا عن هذه الخيبة التي افضت الى عزلي من القيادة »

هذا ما دافع به الجنرال داماد عن نفسه ، الا ان بعض القادة في حديثهم عنه يقولون :

«كان الجنرال داماد رجلا عسكرياً شريفاً ، مستقيما ،ذا رأي صائب ، ومقدرة عسكرية فائقة ، إلا انه كان حاد الطباع ، ارستوقراطياً ، فلم يتمكن من استمالة ضباطه اليه ، وكانوا يشعرون بان هناك فاصلا يفصلهم عنه ، فعجز عن بسط سلطانه على رجاله وان



الجنرال غورو

« قائد قوات الشرق الفرنسية في جناق قلعة »

يجعل منهم قوة تلتف حوله ،مما ساعد على نقله ولم يكن ثمة من يدافع عنه

الجنرال غورو

اما الجنرال غورو فلما وصل الى « جناق قلعه » اتخذ من قرية « سد البحر » قاعدة لقيادته واطلق عليها يومئذ «قيادة جيوش الشرق» فاستقبله العثمانيون باطلاق قذائفهم على موقعه فقتلوا ٢١ جندياً وعدداً من الخيول .

وفي اليوم التالي طاف الجنرال غورو مع اركان حربه في المعسكرات الفرنسية وتفقد الحصون والجنود ، واجرى في الادارة العسكرية تبديلات مهمة

جرأة نادرة

وفيما تقع هذه المعارك الدامية في شبه جزيرة « جناق قلعة » ، وفيما البحر المحيط بها يموج بمئات السفن الحربية والتجارية المقلة الجنود ، قامت السفن الحربية العثمانية بمخاطرة جنونية انتهت باغراق غواصة فرنسية ومدرعة انكليزية ، فادهشت الحلفاء الذين ما كانوا ليعتقدوا ان الجرأة تبلغ بالعثمانيين هذا المبلغ

اغراق الغواصة الفرنسية

ذلك ان غواصات الحلفاء تتبعت العثمانيين ، وبعض هذه الغواصات تمكن من ولوج المضايق وعرقلة اعمال الملاحة العثمانية والنقليات العسكرية كما اشرنا الى ذلك في جزء سابق من « الاسرار »

فرأت القيادة العليا العثمانية ان من الضرورة اتخاذ تدابير شديدة من شأنها تخفيف وطأة اسطول الحلفاء ، فاستدعت فئة من الغواصات الالمانية لازعاج الاعداء

واول عمل قامت به هذه الغواصات ضرب الغواصة الفرنسية « غولوى » في مساء ١٣ ايار سنة ١٩١٥ عند مدخل الدردنيل ، فاغرقتها . والاخبار الراهنة التي اذيعت يومذاك دلت على انه لم ينج احد ممن كانوا في هذه الغواصة الفرنسية

مخاطرة فائقة

وفي هذه الاثناء قامت سفينة حربية عثمانية صغيرة بمخاطرة عظيمة . فالنسافة العثمانية «معاونت مليه» هاجمت المدرعة الانكليزية « غوليات » واغرقتها . والى قراء « الاسرار » تفصيل الحادث :

مقاومة الحلفاء

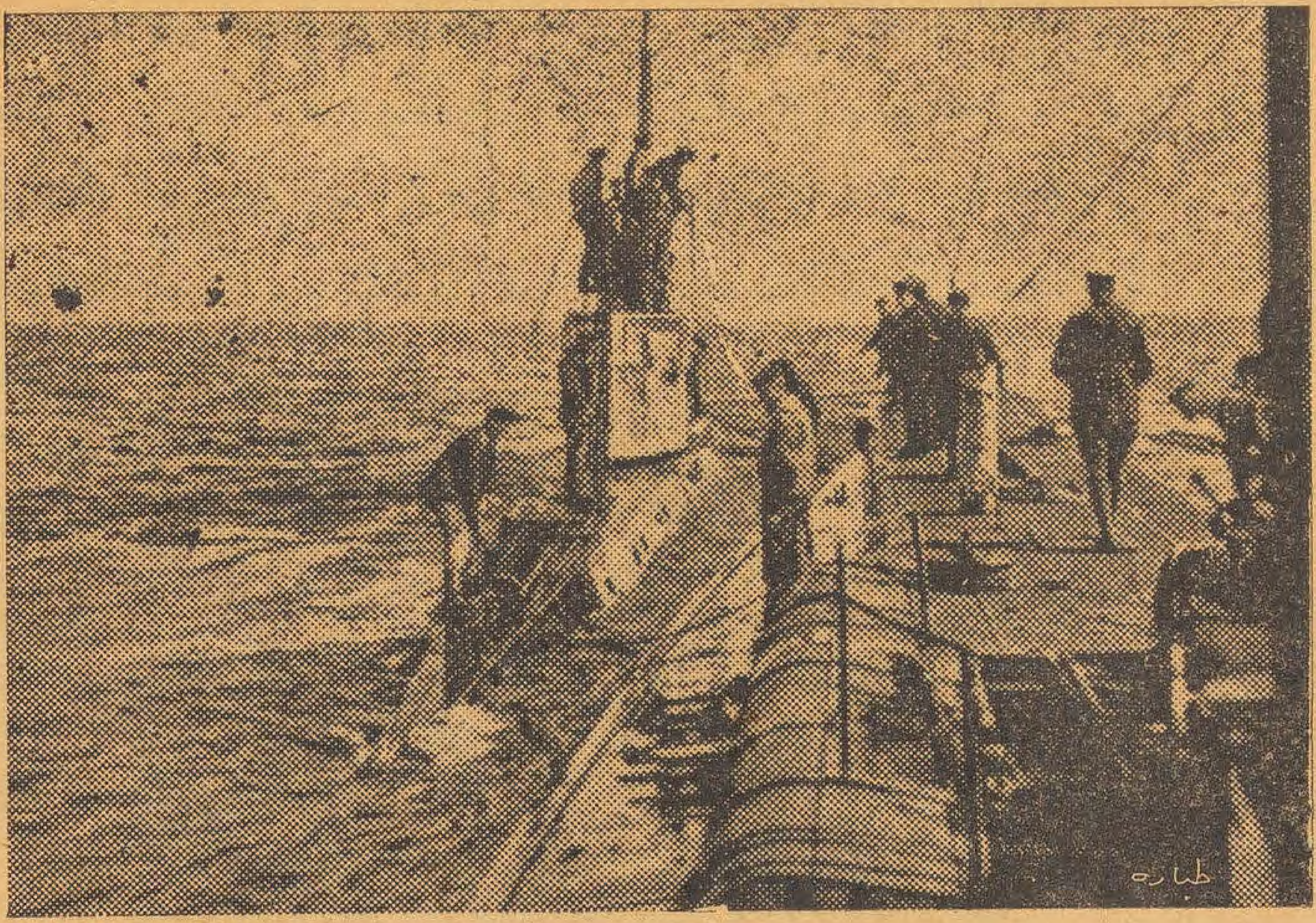
ظهر للقيادة العثمانية ان الفوز الذي تحرزه القوات العثمانية في معارك الليل في شبه جزيرة « جناق قلعه » يتلاشى نهاراً ، لان الاسطول المحيق باطراف الجبهة الثلاثة لا يلبث ان يرمي بقذائفه العثمانيين ويجبرهم على التراجع عن مراكزهم . ووضح عجز المدفعية العثمانية عن انزال الضرر بالاسطول او منعه من متابعة حركاته

فعمدت القيادة الى الاستعانة بالغواصات الالمانية ، الا ان هذه لم تكن تقوم بعمل من الاعمال المجيدة . فاعتزمت القيادة القيام

الغواصات الالمانية

في الدردنيل

في شهر ايار سنة ١٩١٥ ظهرت الغواصات الالمانية في خارج الدردنيل. وهذا رسم بعض الغواصات في اوقات الراحة



بمخاطرة رائعة بالاعتماد على النسافة «معاونت مليه»، فدعا القائد ربان النسافة وهو اليوزباشي احمد بك (نائب استانبول اليوم في المجلس الوطني الكبير في انقره) وخاطبه قائلا: نريد منك مخاطرة جسيمة:

فاجاب: انا على استعداد لكل ما تأمرون به!

ــ عليك بالخروج بنسافتك الحربية الصغيرة الى ما وراء المضايق لازعاج اسطول الحلفاء!

ــ امرك!

ــ لا ترجع الينا الا وقد اقدمت على عمل مجيد او ...

ــ او ان اموت في ميدان القتال!

ــ اجل!

المغامرة

فانطلقت النسافة «معاونت مليه» من بحر مرمره وكل من فيها يعتقدون انهم ذاهبون الى الموت. فما خيل الى احد من رجالها ان بوسعه النجاة من مئات السفن الحربية المحيطة بتلك الجهات

وتلك الليلة، على خلاف الليالي الماضية، كانت شديدة الظلام، يكتنفها ضباب كثيف. وهذه الحالة دعت قائد الاسطول الى اليقظة، فامر قواد مدرعاته وبواخره بان يكونوا ساهرين. وخلافاً للمعتاد انشئت بين الوحدات البحرية دوريات ارتباط، واقامت ثلاث قطع صغيرة على مدخل المضيق لمراقبة حركات السفن الحربية العثمانية ومنعها من براح المضايق.

ومع هذه المراقبة الشديدة خرجت «معاونت مليه» من المضايق. فان قائدها احمد بك استفاد من خلو المراقبة على ساحل الروملي ومن الظلام الدامس وخرج من تلك الجهة دون ان يشعر به احد، مع ان الطريق كان شديد الخطر، لكثرة الصخور المنتشرة على سواحله وربما ادى الى اصطدام من يسلكه بالصخور واغراقه.

في ميناء «مورتو»

وقائد الاسطول الفرنسي الانكليزي، امير البحر «دوريك»، لما بحث في الاسباب التي قضت بفشل قوات الحلفاء في اختراق شبه جزيرة «جناق قلعه» قرر ان ينزل بالعثمانيين ضربة شديدة، خصوصاً بعد ما بلغه ان الالمان اوفدوا غواصاتهم لازعاج اسطول الحلفاء

فدعا القوات الفرنسية الى احتلال مواقع «كيره ويزدوه»: فاذا تم لها الامر استطاعت ان تحيط بالقوات العثمانية وتسجل فوزاً للحلفاء باهراً. ولتحقيق هذا الهدف اوفد الى مرفأ «مورتو» المدرعتين «غوليات» و«كرونواليس» لتساعدا بقذائفهما القوات الفرنسية على انزال الضربة الاخيرة بالقوات العثمانية.

وفي مساء اليوم نفسه الذي رست فيه هاتان المدرعتان في مرفأ «مورتو» غادرت «معاونت مليه» بحر مرمره لتقوم بمخاطرتها التي اشرنا اليها

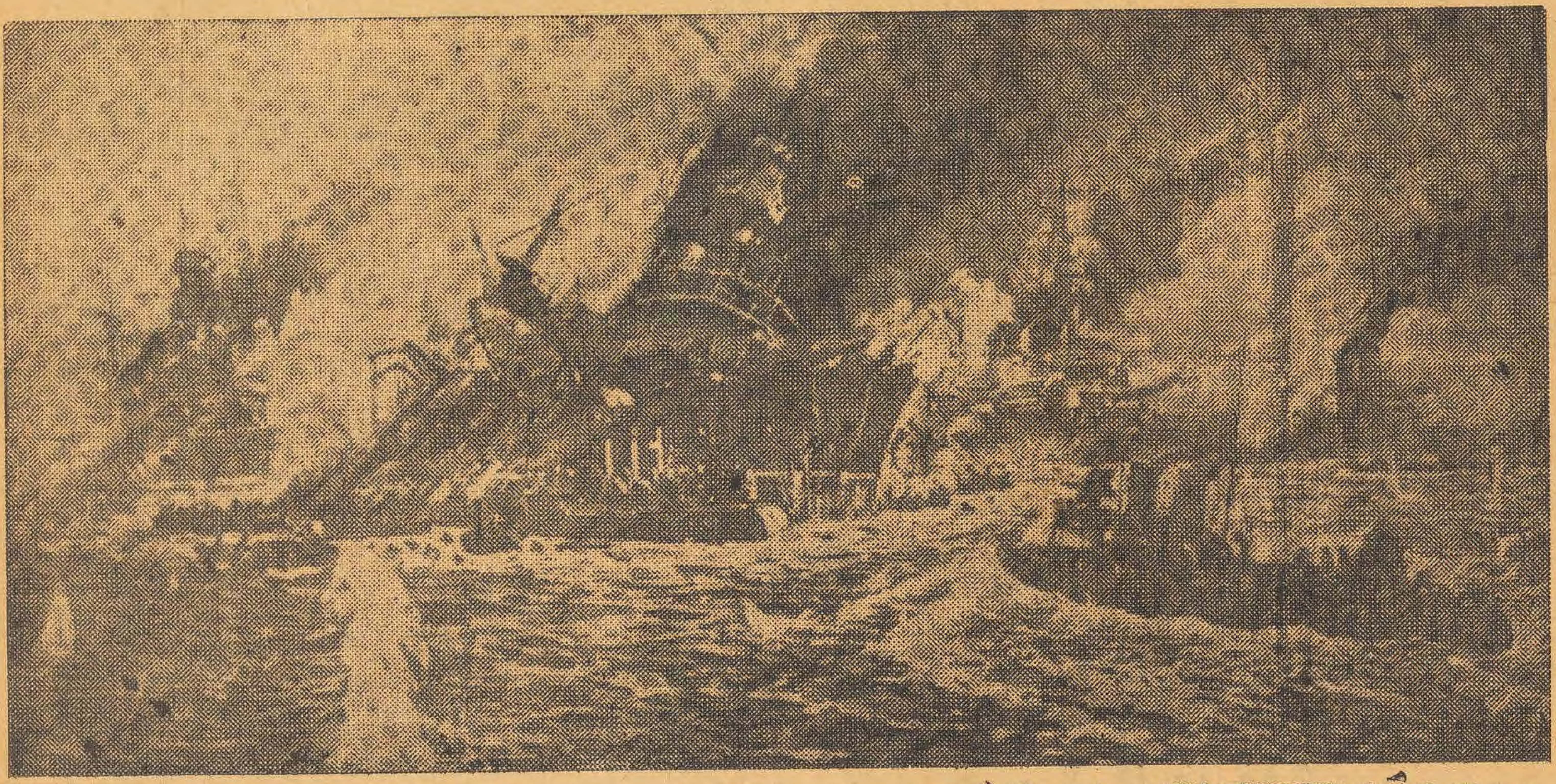
كيف وقعت الكارثة

كانت الساعة الثالثة صباحاً لما شعر الضابط الراصد على متن البارجة «غوليات» بالقطعة العثمانية الصغيرة. فأنار مصباح الاشارة، ويظهر انه جهل هوية القطعة فاخذ في مخاطبتها لمعرفة اسمها.

ولكن اليوزباشي احمد بك لم يفسح له في تكرار الاستفهام، فاطلق من نسافته ثلاثة الغام دفعة واحدة اصابت كلها الهدف، فانفجرت في المدرعة التي تعالى مقدمها في الهواء وما لبثت ان اندلعت فيها النيران،

وبعد نصف ساعة كانت المدرعة العظيمة في قاع اللجة .

اما النسافة العثمانية فتمكنت من النجاة دون ان يستطيع احد اعتراض سبيلها . فالمفاجأة اقلقت الانكليز فسددوا انوارهم الكاشفة الى مرفأ « مورتو » يراقبون الموقف ليعلموا سبب الانفجار دون ان السفن الانكليزية الاخرى صوابهم اذا المدرعة ترتفع الى الجو وقد شطرت شطرين وتبتلعها اللجة وتتوارى عن الانظار . فتراءى لقيادة الحلفاء ان المدرعة اصطدمت باحد الالغام السابحة وغرقت ، مع انها ذهبت ضحية الغواصات الالمانية التي كانت قد غطست في ذلك الاسبوع



غرق المدرعة الانكليزية «غوليات»

رسم نشرته الصحف التركية يومئذ ، وهو يدلنا على مقدار جسارة النسافة العثمانية الصغيرة « معاونت مليه » بمهاجمتها هذه المدرعة الانكليزية الجبارة

يهتموا بالقطعة العثمانية الصغيرة التي غابت عن البصر

والمذكرات التي كتبها المؤلفون الانكليز والفرنسيس اكدت انه لم يخطر لاحد في بال ان العثمانيين جديرون بمثل هـذه الجرأة ، فتقدم قطعة صغيرة من أسطولهم على اقتحام مئات السفن وتعمد الى ضرب احدى سفنهم الكبرى

غرق المدرعة « تريومف »

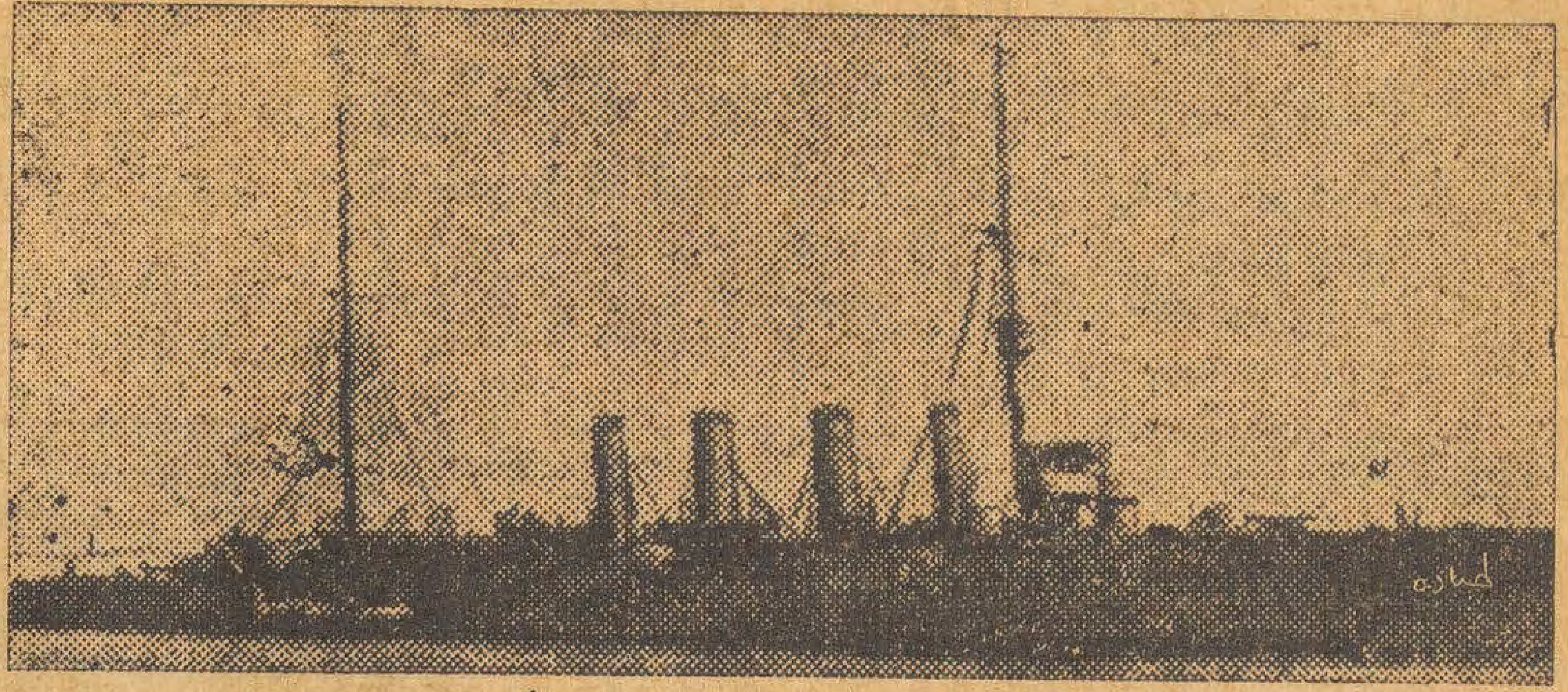
وبعد هذا الحادث بخمسة ايام، لدى الساعة الثانية عشرة والنصف بعد الظهر، بينما كانت المدرعة الانكليزية « تريومف » جاثمة في البحر ازاء ساحل « سد البحر » وهي تطلق قذائفها على المراكز العثمانية في مرتفعات « آري بروني » وتصيب الاهداف بمهارة، وتحدث اضراراً في الجبهة العثمانية اذا انفجار شديد يقع فيها، وقبل ان يملك من عليها وعلى في البحر . فالمدرعة « تريومف » ضحية الغواصة الالمانية رقم ٢١

وقد نشر قائد هذه الغواصة في مذكراته تفصيل هذا الحادث فقال :

« جسارة قائد « معاونت مليه » اهابت بنا الى المغامرة

« فالنسافة العثمانية قامت بمخاطرتها بعد منتصف الليل وسجلت لنفسها الفوز الباهر . اما نحن فشئنا أن نضرب الاعداء في وضح النهار ولم تكن لنا خطة معينة في مقاومة الحلفاء، ولذا خرجنا من المضايق ونحن نترقب صيداً جديداً . وطفنا حول الاماكن الجاثمة فيها سفن الحلفاء الحربية فرأينا المدرعة « تريومف » تطلق قذائفها على المراكز العثمانية ، ورأينا في هذه المدرعة صيدة ثمينة وكل من فيها على اطمئنان وافكارهم متجهة الى ضرب الحصون العثمانية البرية

« عند ذاك امرت بانزال الغواصة الى ادنى مستوى من قاع البحر ، وسرت الى جهة المدرعة حتى اذا اصبحت على مقربة منها



المدرعة الانكليزية تريومف

رسم المدرعة الانكليزية « تريومف » راسية في مياه سد البحر في شواطىء شبه جزيرة « جناق قلعه » ، وهي المدرعة التي اغرقتها في الدردنيل احدى الغواصات الالمانية

سلطت عليها لغمين الواحد اثر الاخر وابتعدت بسرعة عن نقطة الخطر.

« ومع ابتعادنا شعرت برجة شديدة في غواصتي مما دلني على انني اصبت الهدف .

«وبعد وصولي الى الدردنيل علمت ان المدرعة « تريومف » وهي التي نسفناها فيما كانت تحسب نفسها في مأمن من الخطر قد غرقت»

غرق المدرعة « ماجستيك »

وهذا الفوز الذي احرزته القيادة العثمانية في اغراق مدرعتين من اكبر مدرعات الاسطول الانكليزي، في مدة اسبوع واحد، زاد في نشاط الغواصات الالمانية

وعند ظهر ٢٧ ايار ١٩١٥ شوهد الانفجار نفسه في المدرعة الانكليزية « ماجستيك »، والمدرعة ماجستيك كانت في مستوى غير عميق، فلم تغرق في اللجة كالمدرعتين السابقتين، بل مالت الى جانبها في البحر، وظلت في موقفها هذا حتى نهاية الحرب العالمية . وقد عمدت القيادة العثمانية منذ سنوات قريبة الى تحطيمها لتأمين سير الملاحة في تلك الجهات

فائدة غرق السفن

وغرق هذه السفن الحربية افاد القيادة العثمانية فائدة كبيرة وقد اراح الحصون العثمانية لمدة من الزمن من مهاجمات الاسطول واقدامه على ضرب المواقع العثمانية

وفي الوقت نفسه منع وحدات الجيش الانكليزي الفرنسي من التقدم كثيراً

موقف الالمان

واتخذت الصحافة الالمانية من هذه الحوادث دليلا على فوز الغواصات الالمانية، محاولة ان تقيم منه الحجة على تفوق الالمان في حروب الدردنيل وعلى ان غواصاتهم احرزت من النصر في معارك الدفاع عن جناق قلعه ما لم تحرزه القوات العثمانية

ولقد نشرت هذه الصحف بحروف بارزة برقيات التهنئة التي بعث بها الامبراطور غليوم الى قيادة الاسطول على اثر الفوز الباهر الذي نالته القيادة الالمانية في الدردنيل

والمؤسف ان يعمد الالمان الى مثل هذا التدبير وان يهملوا القطعة الحربية العثمانية الصغيرة التي قامت بتلك المخاطرة العظيمة

العثمانيون في البلاغات

واعلن العثمانيون في البلاغات التي اذاعوها على اثر تلك الحوادث ان البلاد حفلت بالزينات ابتهاجاً بهذا النصر الذي ادركه الجيش العثماني بالاتفاق وحلفاءه . فالقيادة العثمانية لم تبخل على الالمان بحقهم في التقدير بينما هم اهملوا الاعتراف بفضل الجيش العثماني كل الاهمال

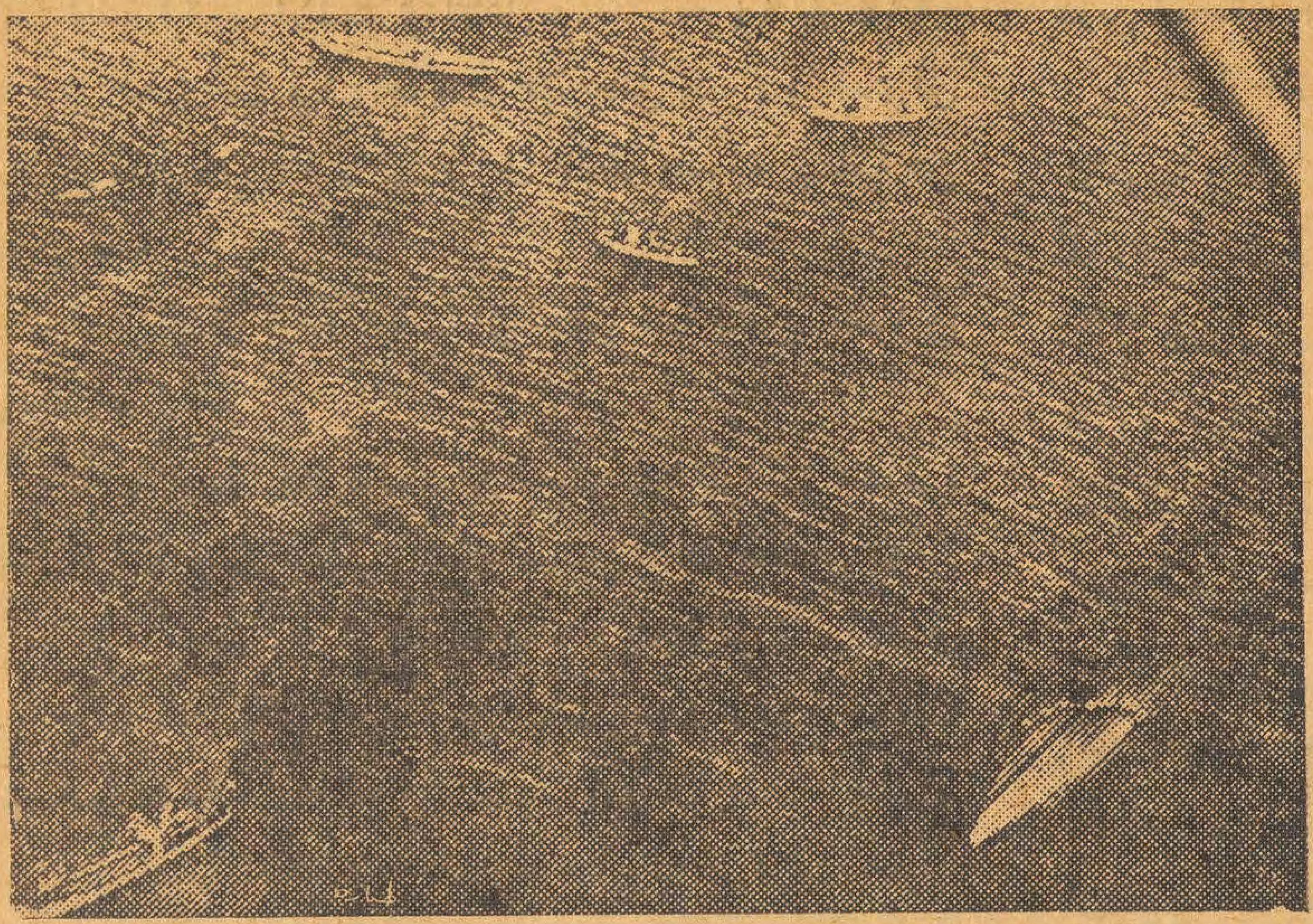
الحلفاء وبلاغاتهم

والحلفاء في البلاغات التي اذاعوها يومئذ في مصر اعترفوا بوقوع هذه الحوادث. ولقد اعلنوا في بلاغ نشروه في ٢١ ايار ١٩١٥ ان المدرعة الانكليزية « غوليات » غرقت في ساحل شبه جزيرة « جناق قلعه » بمسها الالغام

وكانوا يعتقدون في ذلك الحين ان هذه المدرعة غرقت حقاً بمسها احد الالغام، بيد انهم لما عرفوا الحقيقة ابوا ان يعلنوا ان نسافة عثمانية صغيرة اغرقت هذه المدرعة الكبرى

وفي ٢٨ ايار ١٩١٥ عادوا واذاعوا بلاغاً آخر اعلنوا فيه غرق المدرعة « تريومف » بينما كانت تعاون الجيش الاوسترالي في شبه جزيرة « غاليبولي »

واعلن الانكليز في بلاغ اذاعوه يوم ٢٩ ايار « ان غواصة



غرق المدرعة ماجستيك

رسم للمدرعة « ماجستيك » وهي تغوص في قاع البحر والسفن الحربية الانكليزية محدقة بها من بعيد

وقد روينا في هذه النشرة من « الاسرار » كيف تم للعثمانيين والالمان اغراق ثلاث مدرعات كبيرة من مدرعات الحلفاء في الدردنيل ، وهذه احداها

عثمانية ضربت المدرعة ماجستيك فيما كانت تعاون القوات البرية في شبه جزيرة غاليبولي فاغرقتها »

ثم اذاعوا بلاغاً آخر يقولون فيه ان الباخرة « برنسس ايرن » نسفت عند ساحل سد البحر

وفي هذا البلاغ الاخير ارادوا ان يقولوا ان العثمانيين هم الذين اغرقوا « ماجستيك » كي لا يدخلوا في روع المصريين ان الالمان تمكنوا من اختراق جبل طارق والوصول بغواصاتهم الى سواحل جناق قلعه

غرق « برنسس ايرن »

اما الباخرة الانكليزية « البرنسيس ايرن » فكانت من السفن المعاونة للاسطول ، المعدة لتزويده بالمواد الغذائية والجنود . وفي اليوم الذي وقعت فيه حادثة غرق المدرعة « ماجستيك » التقت الغواصة الالمانية بالباخرة « البرنسيس ايرن » فرمتها بقذيفة كانت كافية لاغراقها

***

هذا هو الموقف الحربي في جناق قلعة منذ بدء انزال الجنود الانكليزية ــ الفرنسية في ٢٥ نيسان سنه ١٩١٥ حتى نهاية ايار من السنة نفسها . وهو يدل قراء « الاسرار » على ان قوات الحلفاء لم تفز بشيء في هذه المعارك سوى خسارتها الالوف المؤلفة من جنودها وفئة من المدرعات الحربية والبواخر التجارية .

والحلفاء في التاريخ الرسمي الذي وضعوه بعد الحرب العالمية اعترفوا بان حملة جناق قلعه كانت مخاطرة بليغة الضرر لم تأت بفائدة على الاطلاق

تأثير هذه المعارك في انكلترا

ولقد اثارت معارك جناق قلعه مخاوف بعض الوزراء الانكليز فرأوا من الضرورة ان يزيدوا في مناعة جبهة الدردنيل بما لا تضعف به سائر الجبهات في فرنسا وسواها من جبهات الحلفاء ، حتى ان بعض الوزراء الانكليز ذهبوا في اواخر ايار ١٩١٥ الى ابعد من ذلك ، فطلبوا الاستغناء عن حملة جناق قلعة بصورة نهائية

اقوال المصادر الانكليزية

ويقول التاريخ الانكليزي للحرب العالمية في هذا الصدد ما نصه :

« كان اركان الوزارة الانكليزية على اقتناع وطيد بان محاولة انزال قوات الحلفاء في المضايق في ٢٥ نيسان سنة ١٩١٥ ستنتهي بالفوز التام . فما ان تنقضي ثلاثة ايام لا اكثر على نزول هذه القوات الى البر حتى تتمكن من احتلال « آلشي بابا » و « قوجه جشمه » ، ومن هناك تسير الى « كليد البحر » فتحتل اضيق مكان من مداخل الدردنيل وتؤمن طريق الاسطول الذي يبلغ في اليوم الرابع مرفأ استانبول »

الا ان الحقيقة دلت على ان هذه الآمال تلاشت ، ومرت الايام والاسابيع والحلفاء لا يزالون في المناطق الساحلية.

ولذا عاد مجلس الحرب الانكليزي الاعلى وعقد يوم ١٤ ايار ١٩١٥ جلسة فوق العادة بحث فيها في موقف حملة جناق قلعه، واهتدى الى ثلاث طرق للحل، هي : اولا — صرف النظر بصورة نهائية عن حملة جناق قلعة

ثانياً — ارسال قوات عظيمة الى جناق قلعة لتأمين الفوز في اقرب وقت مستطاع

ثالثاً — ارسال فيلق واحد من الجيش لملء المراكز الشاغرة والمحافظة على الموقف الحاضر واشغال العثمانيين بذلك مدة من الزمن

والمجلس العسكري في جلسته هذه لم يتخذ اي قرار كان في صدد الوجهات الثلاث التى عرضها على بساط البحث، الا انه وقف عند الوجهة الثانية من هذه المقترحات ورأى ان يسأل الجنرال هاملتون عن قيمتها العملية وعن مقدار ما يحتاج اليه من قوات لتحقيقها

حيرة هاملتون

فوقف الجنرال هاملتون حائراً تجاه هذا الاقتراح، خصوصاً ولم تعلمه الحكومة انها على استعداد لتوفير القوات التي يحتاج اليها في تنفيذ هذه الخطة . وزاده حيرة اعتقاده ان دولته لن تنجده بما تقتضي الخطة من جيوش . فلم يكن منه الا ان ابرق الى اللورد كيتشنر بتاريخ ١٧ ايار سنة ١٩٣٥ يقول :

« اذا عمدت الحكومة الروسية الى تجهيز فيلق من الجيش لاحتلال السواحل العثمانية على البحر الاسود، او اذا تمكن الحلفاء من استمالة بلغاريا او الدولة اليونانية الى صفوف الحلفاء، وحملوا احداها على محاربة الدولة العثمانية، فان باستطاعتي الاكتفاء بنجدة لا تزيد قواتها على فيلقين للقيام بالمهمة المعهودة الي واحتلال شبه جزيرة جناق قلعة بصورة موافقة لاماني مجلس الحرب الاعلى . وان يكن تحقيق ما ابدي من المحال فاني لفي حاجة الى نجدة تبلغ اربعة فيالق بتمامها »

وزارة لويد جورج

ولدى ورود هذه البرقية كانت وزارة اللورد « اسكويث » قد استقالت وتألفت مكانها وزارة المستر لويد جورج، وتألفت بجانبها هيئة اطلق عليها اسم « لجنة شؤون جناق قلعة »، ومهمة هذه اللجنة درس الوسائل اللازمة لانجاح حملة جناق قلعه .

الا ان احوال انكلترا السياسية بعد التطور الحربي في الجهات الاوربية والمشاكل الداخلية لم تفسح المجال لوزارة لويد جورج ولا لهذه اللجنة للبحث في شؤون الحرب في جناق قلعه .

فعاد الجنرال « هاملتون » وابرق بتاريخ ٢ حزيران الى اللورد كيتشنر يذكره ببرقيته الاولى التي ظلت بلا جواب. ومما قال ان الاتراك قد جهزوا لمحاربة الحملة ٢٥٠ الفاً من الجنود، كما انهم يجهزون قوات اخرى في منطقة الروملي والاناضول، وهذه القوات تسلك طريقها الى جبهة القتال، وهو يرى تجاه هذا الاستعداد العظيم الذي يقوم به العثمانيون ان ليس بامكانه المحافظة على الموقف الحربي الحاضر، ويخشى اذا ظلت الحملة في موقفها هذا ان يؤدي الامر الى نتيجة خطرة جداً على قوات الحلفاء في الدردنيل »

مخاوف القائد الانكليزي مبالغ فيها

والجنرال هاملتون قدر القوات العثمانية في الجبهة اكثر مما كانت عليه في ذلك الوقت . والاحصاء الرسمي التركي الموجود لدينا يدل على ان القوات العثمانية لم تكن ٢٥٠ الفاً، كما ذكر الجنرال هاملتون في تقريره الى اللورد كيتشنر، بل كانت ١٢٥ الفاً بين جنود ومحاربين وقوات احتياطية . وهناك استعداد، في ما وراء الجبهة، لحشد ٢٠ الفاً، فاذا اضيفت الى القوات المقيمة في الجبهة تسنى بها للعثمانيين ان يملكوا جيشاً في الدردنيل قوته مئة وخمسون الف جندي على ابعد تقدير

اهمال اللورد كيتشنر

واللورد كيتشنر، وهو المسؤول الاول عن كارثة جناق قلعة، كان بادي الامر شديد الاهتمام بحوادث الدردنيل، الا انه اهمل الرد على القائد هاملتون لدى ورود البرقية الاولى عليه والبرقية الثانية، اذ ان الموقف الحربي في اوربا كان يشغله عن كل امر

والرسائل التي اذيعت بعد الحرب العالمية دلت بصراحة على ان هذه المحادثات بين الجنرال هاملتون و اللورد كيتشنر استغرقت وقتاً طويلا جداً وقعت في اثنائه في شبه جزيرة جناق قلعة معارك ومجازر هائلة سنعود الى سردها في جزء آخر من « الاسرار »

اسرار الحرب الكبرى

بقلم كرم ملحم كرم

المانيا تهدد بواخر الحلفاء وتسد عليهن الطرق
باخرة انكليزية وباخرة فرنسية تجوان باعجوبة
(الامبراطور غليوم الكبير) يعامل اسراه برفق!

قلقت بواخر الحلفاء التجارية على مصيرها في بدء الحرب العالمية مع كون الحلفاء اسياد البحار. ومصدر هذا القلق ان الالمان اطلقوا فئة من طراداتهم في البحار لاصطياد البواخر الانكليزية ومنعها من بلوغ شواطىء انكلترا. وهذه الطرادات كانت بعيدة عن مرفأ «كيال» لدى اعلان الحرب، وبعضها استطاع الانسلال بين الاساطيل الانكليزية والوقوف في عرض المحيط الاتلانتيكي لعرقلة ملاحة الحلفاء، وخصوصاً الملاحة الانكليزية

ارتفاع بدل التأمين

وهذا الخوف على السفن اهاب بشركات التأمين في لندن الى رفع اسعارها. فبلغ ما تطلبه ٧٥ بالمئة. على ان الحكومة تداركت الامر بهمة وزير المال السيد لويد جورج ورضيت بان تشاطر شركات الضمان خسارتهن

وعهدت الى اساطيلها بحماية البواخر، فانعش مسعاها الآمال واهاب بالبواخر التجارية الى استعادة نشاطها. فاخذت تجول في البحار كأن ليس هناك حرب. على ان المانيا ظلت مفتوحة العين، وكان طرادها «درسدن» يجتاز عرض المحيط الاتلانتيكي مهدداً. وبصر في مياه اميركا الجنوبية بالباخرتين الانكليزيتين «ونستر» و«هيادس» فاغرقهما. ولم يكن لانكلترا في تلك المياه غير الطراد



امير البحر «بويه ده لابايرار»
قائد الاسطول الفرنسي العام في بدء الحرب الكبرى

«غلاسكو»، فكل ما استطاعه في نجدة الباخرتين انه انقذ ملاحيهما من الغرق بان دعاهم الى متنه

وشاع امر الطراد «درسدن» بين بواخر الحلفاء فعمدت الى الى اتقاء شره. على ان بعضها لم يكترث لامره كأن وجوده

وعدمه سواء . وممن لم يكترث له الباخرة « لوزيتانيا » ، فهي من أكبر البواخر الانكليزية واوفرها سرعة . وقد جهزتها وزارة البحر بالمدافع لتجعل منها طراداً لدى حاجتها اليها

و« لوزيتانيا » عند اعلان الحرب كانت راسية في مياه نيويورك على استعداد للعودة الى انكلترا ، وبلغها ان طرادين المانيين يتجسسان عليها للايقاع بها . والطرادان هما « ستراسبورغ » و« كارلسروه »

ولقد اتصل بها هذا النبأ من الاسطول الانكليزي نفسه ، فدعاها الى الحذر ، بل هو عرض عليها المساعدة بان كلف طراداً منه حمايتها. فرفض ربانها . وحجته في الرفض ان سرعة الباخرة تكفيها وتنقذها من كل شر ، وليس بين قطع الاسطول قطعة تجاريها في سرعة المسير واندفع بها ربانها يبغي المجازفة . وكان على يقين بالنجاح . فبرحت الباخرة في ليل ٥ آب مرفأ نيويورك وقد اطفأت انوارها . ولم تسلك الطريق المألوف كي تضيع عن ابصار الطراد الالماني . غير ان الطراد ابصرها وجدّ في اثرها . وطال امر المطاردة، وبذلت الباخرة كل ما تملك من قوة للنجاة من الخطر الداهم . واسعفتها سرعتها فتمت لها النجاة بسهولة . وفيما تتمتع بالخلاص من مطاردة الطراد الالماني اذا عطل يطرأ عليها ويكرهها على المسير ببطء . ومن حسن حظها ان الطراد، وقد ادرك عجزه عن اللحاق بها، وقف عن مطاردتها، ولولا ذاك لتم له فيها ما شاء بعد تعطيل محركاتها . على انها بلغت المرافىء الانكليزية بامان لا تشكو الضيم والاذى

والباخرة « لورين » الفرنسية

والباخرة « لورين » الفرنسية بليت بما بليت به الباخرة « لوزيتانيا » الانكليزية . وهي مثلها كانت في نيويورك لدى اعلان الحرب الكبرى ، وقد استقر فيها اربعمئة وخمسون جندياً فرنسياً من المدعوين الى حمل السلاح في ميدان القتال . وحاولت ان ترفع مراسيها وان تجتاز عرض المحيط الى فرنسا ، الا ان الانباء وردت عليها تبلغها ان المانيا سدت طريق المحيط الاتلانتيكي

ولكن الباخرة بحاجة الى بلوغ شواطىء فرنسا . فالموقف يدعوها الى الاسراع في العودة . وتردد الربان في الاستقرار على حال ورأى ان يعقد مجلساً عاماً لاستشارته في الامر

وعُقد هذا المجلس . وسأل الربان ضباطه وسائر رجاله أتوافقون على الرحيل ام تؤثرون البقاء ؟ ... فاجابوا بصوت واحد : بل نريد الرحيل !

وكان ما قالوا . فاندفعت الباخرة « لورين » تطوي مياه الاتلانتيك الى فرنسا . واتفق انها برحت مرفأ نيويورك بعد اثنتي عشرة ساعة من رحيل الباخرة « لوزيتانيا » . ولاح لها الطراد الالماني « درسدن » ، فحثت المسير بكل ما تستطيع للابتعاد عنه. ولم يقو الطراد على ادراكها فنجت منه بخفة . فما كان منه الا ان ملأ المحيط برقيات يدعو بها الطرادات الالمانية الاخرى الى ادراك الباخرة والاستيلاء عليها. فاقامت الطرادات الالمانية الشبكة في طريق الباخرة الفرنسية ، الا ان الضباب ساعدها على الخلاص من الاسر . فسلكت طريقاً غابت فيه عن انظار الالمان وبلغت مرفأ « الهافر » بامان

وعلى الاثر اتخذ الحلفاء كل تدبير حازم لاتقاء خطر الطرادات الالمانية . فاطلقت انكلترا وفرنسا قوة كافية من طراداتهما للحؤول دون التهديد الالماني . وتسنى للبواخر التجارية ان تتابع جولاتها كالمعتاد ، خصوصاً والطرادات الالمانية لم تكن تجاوز في المحيط الاتلانتيكي الخمسة ، على حين ان انكلترا دفعت اليه اربعة وعشرين

باخرة القيصر غليوم الكبير

وللالمان باخرة كبيرة في الاتلانتيك محمولها ١٤٣٢٩ طناً وسرعتها في الساعة اثنان وعشرون ميلا ونصف ميل . وهذه الباخرة انشأتها سنة ١٨٩٧ شركة « نورديتشر » الالمانية . ولما اعلنت الحرب كانت راسية في مرفأ نيويورك . وما كادت تتبلغ النبأ حتى صممت على التواري عن العيان . فدعت ركابها الى العودة الى البر وانسلت في المحيط الى حيث لا يعلم احد

وحاولت العودة الى المانيا فما افلحت والطريق مسدود، فاعتزمت القتال وانزال الضرر بالحلفاء ، واول ما بدا منها انها اسرت على مقربة من جزيرة « ايسلندا » مركب صيد انكليزياً . ولم تلبث ان شخصت الى الشواطىء الافريقية .

وفي ١٤ آب ظهرت عند شواطىء جزر « كناري » الاسبانية الباخرة الانكليزية « غاليشيان » ، فريكن من الباخرة الالمانية ، وهي تحمل اسم « الامبراطور غليوم الكبير »، الا ان ترصدتها وجرت في اثرها تحاول امتلاكها . ولم يدر ربان الباخرة « غاليشيان » انه عرضة للخطر الالماني الا وقد امست الباخرة الكبرى على مقربة منه

فشعر عندذاك بالمباغتة، وابرق الى الطرادات الانكليزية يبلغها الموقف ، على انه لم يكد يطير الكلمات الاولى من برقيته حتى ورد عليه من الباخرة الالمانية نبأ يقول : « اذا مضيت في تطيير برقيتك ابتلعتك وابتلعت باخرتك اعماق اليم ! ... »

فاضطر الى الامتثال ، وما هي دقائق حتى اسرع الى باخرته قارب الماني يتلف ما فيها من آلات لاسلكية . ونظر في حالة ملاحيها فاذا اثنان منهم من الجنود المدعوين الى انكلترا فاسرهما

اما سائر المقيمين في الباخرة فلسوا كل اكرام من جانب الباخرة الالمانية « الامبراطور غليوم الكبير »، فاحسنت معاملتهم ولم تمسهم باذى ولا استولت على شيء مما في الباخرة الانكليزية . وعرض رجال هـذه الباخرة على الالمان لفائف التبغ فرفضوا بشدة وعادوا الى باخرتهم يدعون الباخرة الاسيرة الى اللحاق بهم



امير البحر « لاكاز »

من مشاهير قـادة الاسطول الفرنسي في الحرب الكبرى

الانكليز يسألون عن باخرتهم

واستمرت هذه الحال شطراً من الليل . واجتنبت البـاخرة الالمانية الطرق المعروفة وجارتها في ذلك الباخرة الانكليزية . ولدى نصف الليل تبلغ الربان الانكليزي الامر بمغادرة باخرته والالتجاء الى الزوارق يرافقـه رجاله . فـا خفي القصد من هـذه الدعوة . فالالمان يميلون الى نسف الباخرة وابقاء رجالها في اليم تحت رحمة الاقدار

ولم يكن بد من العمل بهذا الامر . فاستعد له رجال الباخرة الانكليزية . غير ان الالمان ما لبثوا ان عـدلوا عنه وعادوا فابلغوا رجال الباخرة الانكليزية انهم احرار . وابتعدوا عنهم وتواروا عن الابصار . وتابعت الباخرة الانكليزية طريقها سالمة . اما ما حمل الباخرة الالمانية على اخلاء سبيلها والانصراف عنها ممعنة في الهرب فذلك يعود الى يقظة طرادين انكليزيين اتصلت بهما الكلمات الاولى من برقية الاستغاثة التي طيرتها الباخرة « غاليشيان » ومنعتها الباخرة الالمانية من المضي فيها . فايقن الطرادان ان هناك سفينة انكليزية في خطر ، وابرقا اليها يعلمانها انهما سائران لنجدتها ، وتناولت الباخرة الالمانيـة البرقيات وخافت شر الطرادين فاخلت سبيل « غاليشيان » وبحثت عن مكان آمن تلجأ اليه

اغراق الباخرة « كايبارا »

ولم تشأ الباخرة الالمانية « الامبراطور غليوم الكبير » الاعتصام بالهدوء . فقد صممت على انزال الضرر بالملاحة الانكليزية كيفما اتفق ذلك لها . وفي ١٦ اب ١٩١٤ ابصرت باخرة انكليزية بجانب جزر « كاناري » هي الباخرة « كايبارا » ، فدعتها الى الوقوف ، فحاولت الاستجارة بالطرادات الانكليزية المنتشرة في تلك النواحي ، غير ان الباخرة الالمانية انذرتها باغراقها بمن فيها ان هي طلبت النجدة . فلم يكن من الباخرة الانكليزية الا ان امتثلت لمشيئة الالمان ، فاندفع اليها زورق من الباخرة « الامبراطور غليوم الكبير » يحطم الالة اللاسلكية فيها ويلقي في اعماقها المتفجرات ويأمر رجالها بمغادرتها الى الباخرة الالمانية . وما هي دقائق معدودة حتى كان الانفجار يشق الباخرة ، وعمد الالمان الى اطلاق ثلاثة وخمسين مدفعاً عليها ، غير انهم ما اساؤوا على الاطلاق الى رجالها بل فتحوا لهم الصدور ، واعتذروا عن اغراق الباخرة قائلين انهم مضطرون الى العمل بما ورد عليهم من اوامر

اغراق بعد اغراق

وبعـد ساعات قلائل اصطدموا في طريقهم بالباخرة « نياغا » فنالها ما نال الباخرة « كايبارا » نفسها . ولجأت « الامبراطور غليوم الكبير » الى خليج « ريود لورو » على شاطىء افريقيا الغربي تبحث عن غنيمة فلم تظفر بامنيتها . وظلت اسبوعاً تجوب البحار للوقوع على طريدة ولكن دون ما جدوى . وفي ٢٧ اب فيما تعرج على الخليج نفسه لتأخذ مؤونتها من الفحم لقيها طراد انكليزي فلم يرحمها والطراد هو « هاي فلاير » ، فاندفع من فيهـا من الاسرى الى الزوارق ، واطلق عليها الطراد قذائفه فقابلته بالمثل . ومما ساعد الطراد عليها ان قذائفه كانت تنال منها ، على حين ان قذائفها لم تكن تبلغ الطراد ومدافعها قصيرة المدى

وغرقت الباخرة « الامبراطور غليوم الكبير » ، وبغرقها نزلت اسعار التأمين على البواخر في انكلترا ٢٥ بالمئة

الالغام في عرض البحار

المانيا تثبت الالغام في البحر الشمالي
فيعمد الاسطول الانكليزي الى نزعها

طراد تحطمه الالغام الالمانية

لما اشتبكت روسيا واليابان في حرب ١٩٠٤ — ١٩٠٥ جهزت اليابان نفسها باسطول من النسافات هاجمت به الاسطول الروسي في مرفأ « بور ارثور » . وتجلت لالمانيا فائدة النسافات فانشات منها عدداً ضخماً لمفاجأة الاسطول الانكليزي اذا ما اشتبكت واياه في احد الايام في حرب من الحروب

وهذه الحرب كانت ترقبها المانيا وهي الساعية لامتلاك سيادة البر والبحر . واهتمامها بامتلاك المقام الاول في البحار يدعوها حتما الى محاربة انكلترا

وشعرت انكلترا بالخطر فاستعدت له . واذاع ديوان امير البحر العام قبل نشوب الحرب الكونية بنصف سنة بلاغاً يقول فيه : « على كل سفينة بحرية في المياه الانكليزية ان تكون في شهر تموز على استعداد ... »

فلما ظهر لالمانيا ان انكلترا على اهبة للطوارىء عمدت الى خطة اخرى في مقاومة الاسطول الانكليزي . فاعتزمت بث الالغام في بحر الشمال والحرب لديها هي الحرب. وهذه الالغام كانت قد استعانت بها في حرب ١٨٧٠ بينها وبين فرنسا على انها لم تنثرها في البحار بكاملها بل في الشواطىء الالمانية. وهكذا منعت الاسطول الفرنسي من الاقتراب من هذه الشواطىء وكان لها بذلك فائدة جسيمة فردت عنها اسطول فرنسا مع ان هذا الاسطول اقوى جداً من اسطولها

في الحرب الروسية اليابانية

والالغام السريعة الانفجار استعانت بها في البدء روسيا فيما كانت في سنة ١٩٠٤ تحارب اليابان . فملأت بهذه الالغام عرض البحر تجاه « بور ارثور » لتحول دون مفاجأة الاسطول الياباني لهذا المرفأ الخطير . ورأى اليابانيون ان يقتدوا في ذلك بروسيا فجاؤوا بالغام لا تختلف عن الالغام الروسية في سرعة انفجارها ، الا انهم لم ينثروها في عرض البحر كالروس انفسهم بل في ما يسلك الاسطول الروسي من طرق اذا ما حاول خرق نطاق الحصار الياباني المضروب عليه

وكانت للالغام فائدة عميمة شعرت بها اليابان واستطاعت ان تقهر الاسطول الروسي وهي دون روسيا مقاماً وبسطة سلطان

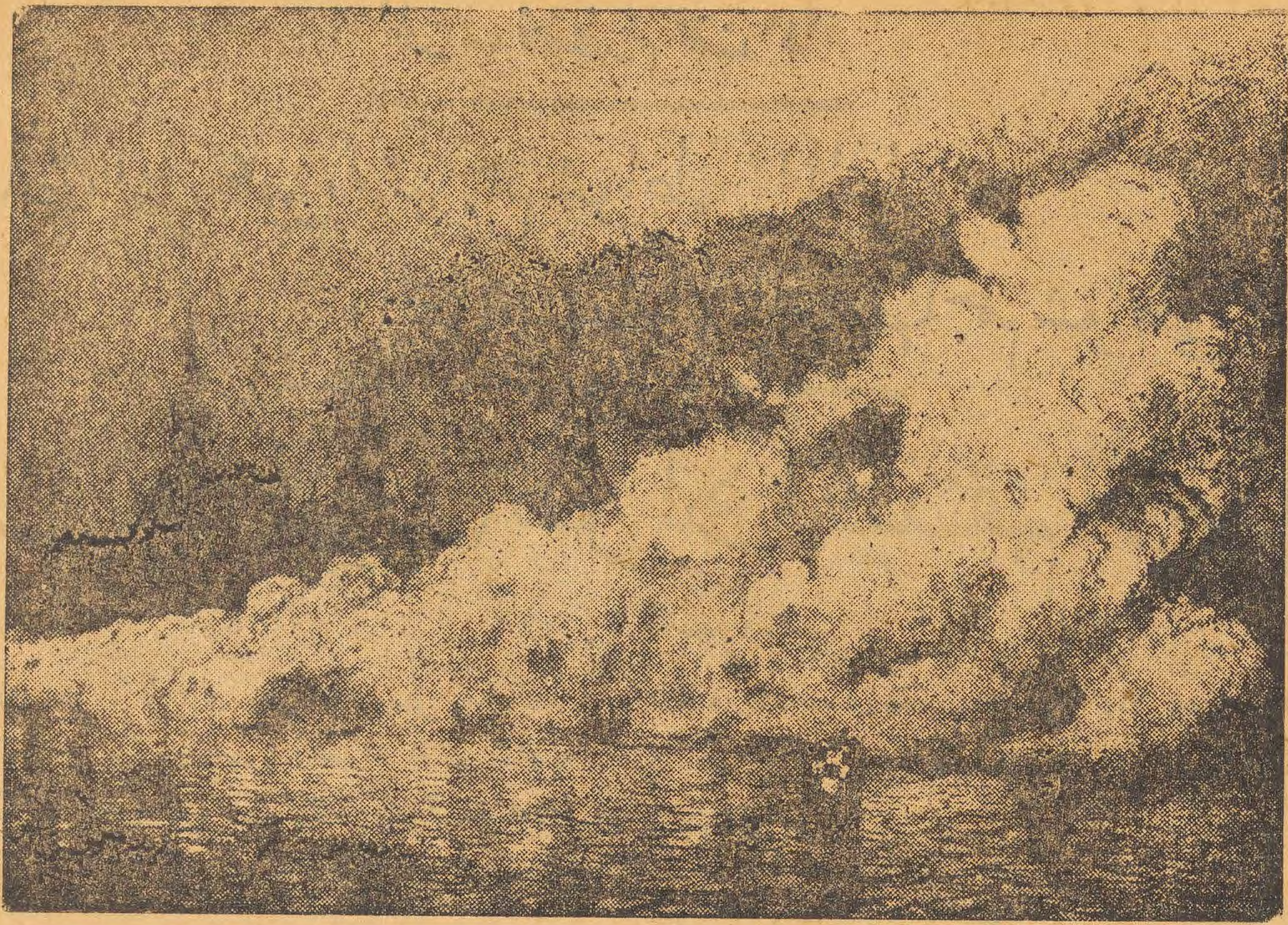
سلاح غير شريف .. ولكنه سلاح واقٍ !

وتراءى لالمانيا ان تستعين بسلاح الالغام بعد ما لمست نفعه في الحرب الروسية اليابانية. فانشأت في سنة ١٩٠٥ سفينتين لنثر الالغام واحكامها في اعماق المياه . وما لبثت انكلترا ان اقتدت بها . والدول مع اعترافها بان سلاح الالغام سلاح غير شريف ما استطاعت الا الاستعانة به لاتقاء خطر الدول الاخرى

وحاولت انكلترا في المؤتمرات البحرية ومؤتمرات نزع السلاح منع الالغام فلم توفق . وكلفت مندوبها في مؤتمر « لاهاي » الثاني المعقود سنة ١٩٠٧ المطالبة بالحاح في منع الالغام ، ولا سيما الالغام السريعة الانفجار ، فكان جواب ممثل المانيا ان الدول ليست بحاجة الى اقتباس فروض المدنية من احد

وظهر للانكليز ميل الالمان الى الاستنجاد بالالغام فاقاموا على حذر . وفي ٥ آب ١٩١٤ اوفدوا الى البحر الشمالي اسطول النسافات الثالث للتفتيش عما بثّ الالمان في هذا البحر من الغام

فاتجه الاسطول يقوده الربان « فوكس » . وكان مؤلفاً من ١٨ نسافة وطراد صغير اقام فيه الربان نفسه . وفيما يقوم الاسطول



الطراد الانكليزي (امفيون) لدى اصطدامه بالالغام

بهمته لقي مركباً للصيد علم منه ان سفينة المانية كانت تجول منذ ساعات قلائل في عرض البحر وتطرح منها ما يدعو الى الاشتباه بامرها.

فانطلق الاسطول يبحث عنها . وشاهدها من بعيد وعرفها . فهي باخرة سريعة من البواخر الالمانية تتجه الى شواطىء المانيا بعدما نثرت الالغام على مقربة من الشواطىء الانكليزية . فلم يكن من اسطول النسافات الا ان دعاها الى الوقوف فابت وامعنت في بلوغ هدفها . على انها مع كل سرعة فيها ليست تقوى على مجاراة النسافات. فاطلق ربان الاسطول الانكليزي في اثرها اربعاً من نسافاته فادركنها ورمينها بالقذائف فاغرقنها . وكانت تضم ١٣٠ ملاحاً فعمدت النسافات الى انقاذ خمسين منهم . اما الربان فابى على رجاله ان يستسلموا الى الانكليز ، ودعاهم الى الموت شرفاء ، وهدد كل من يستسلم منهم بالقتل ، على ان الانكليز قبضوا عليه واودعوه الاسر

والطراد المقيم فيه الربان « فوكس » هو الطراد « امفيون »، وقد احتشد على متنه معظم الاسرى وسوادهم الاكبر جرحى . وتابع الاسطول طريقه في عرض البحر يبحث عن الالغام . واتفق له في اليوم التالي ان دنا من منطقة الخطر، وهي المنطقة المبثوثة الالغام فيها.

ورأى الطراد « امفيون » ان يميل عن الطريق المألوف ، واذا به يمس احد الالغام ويعلو الانفجار . وهال الربان « فوكس » ما يرى فتخاذل وسقط الى الارض . على انه ما لبث ان ملك روعه ونهض الى المحركات يريد وقفها ، الا ان النار كانت قد لعبت بمقدم الطراد، ولم يكن بالامكان منع مستودعات الذخيرة من الانفجار والنار تحول دون هذا القصد . وبدأ الطراد يغرق . واحاطت به النسافات لانقاذه فلم يتوفر ذلك لها والخطر ملموس . فلم يبق امام النسافات الا ان تنقذ النوتيين وخصوصاً الجرحى منهم . وعمدت الى ذلك بهمة وجرأة . وبعد عشرين دقيقة كانت قد انتشلت الجميع

وبعد دقائق ثلاث من براح الربان الطراد وقع انفجار اخر في مقدم الطراد نفسه . فقد مس لغماً آخر ذهب بمستودعات الذخيرة فتطايرت الشظايا وبلغ بعضها ارتفاعاً هائلاً وهوى قسم منها على قوارب النجاة . واتفق ان قذيفة من قذائف الطراد تطايرت من مستودعات الذخيرة وسقطت على متن احدى النسافات فقتلت اثنين من الملاحين واودت باسير الماني فر من الموت في الطراد فلقي الموت على متن النسافة، وبعد ربع ساعة من الزمن توارى الطراد عن الابصار

وبلغ عدد الضحايا في هذا الانفجار ٤٨ ملاحاً و٢٠ اسيرا المانياً.

الحرب تضطرم تحت الماء

الغواصات الانكليزية تهاجم شواطئ المانيا والغواصات الالمانية تهاجم شواطئ انكلترا

الالمان يغرقون طرادا فينتقم الانكليز

قبل اعلان الحرب الكبرى بزمن قليل نهض امير البحر الانكليزي السر « برسي سكوت » يقول : اختراع السفن الغاطسة في الماء قضى على السفن الجارية على سطح الماء . فالغواصة تساعدها الطيارة الهوائية والطيارة المائية هي سلاح الحروب البحرية في المستقبل !

فذهب لقوله صدى بعيد . وزاد في قدر مقاله انه ممن زادوا في قوة مدافع المدرعات فبلغت منتهى الجودة ، سواء في بعد طلقاتها او اصابتها الهدف

والحق يقال ان الغواصة اقلقت الاساطيل الكبرى ، فهي فتح جديد ، ولم يكن يعيبها الا انها لا تجيد الرماية ، وسلاحها لا يعادل قوة سلاح البوارج . وهذا النقص ود رجال البحر لو يستطيعون اتمامه . فاجتهدوا في ذلك وهم يرومون الكمال في معداتهم الحربية

المانيا في الغواصات

والمانيا لدى اعلان الحرب الكبرى كانت تملك من الغواصات عدداً ليس بالقليل ، حتى انها تعادلت وانكلترا في الغواصات الحديثة الطراز ، هذه تملك ٢٥ وتلك خمساً وعشرين ، وما تفوقت انكلترا في سوى الغواصات القديمة ، فكان لديها منها ٣٠ والمانيا عشر او اثنتا عشرة غواصة . ولم تتفوق في المضمار غير فرنسا كما سبق لنا اعلانه . فكان لديها من الغواصات سبع وسبعون ، ولدى انكلترا ٥٥ ولدى المانيا ٣٨

ولقد رفع ضابط الماني في سنة ١٩١٤ الى امير البحر « فون تيربتز » مذكرة يقول له : فيها باستطاعة انكلترا ضرب الحصار البحري على انكلترا اذا ملكت ثمانية واربعين موقعاً على الشواطئ الانكليزية . بيد ان هذه المواقع الثمانية والاربعين بحاجة الى مئتين واثنتين وعشرين غواصة ولم تكن تملكها في سنة ١٩١٤ المانيا

فوائد الغواصات في بدء الحرب

ووقوف الغواصات في عملها عند حد محدود اهاب بالدول الى الاستعانة بها في ثلاثة امور . فخصصتها بمنع الاساطيل من التشديد في محاصرة المرافئ او ضربها ، وبمهاجمة السفن الجامدة او البطيئة في مسيرها ، وكشف الشواطئ

والغواصة تستطيع البقاء خمسة ايام في البحر دون ان تحتاج الى بلوغ الساحل لتموين نفسها ، وتستطيع البقاء تحت الماء ثلاثة ايام متوالية . ورجالها يبلغون عادة ثمانية وعشرين . وسرعتها لا تقل عن سبعة عشر ميلا في الساعة

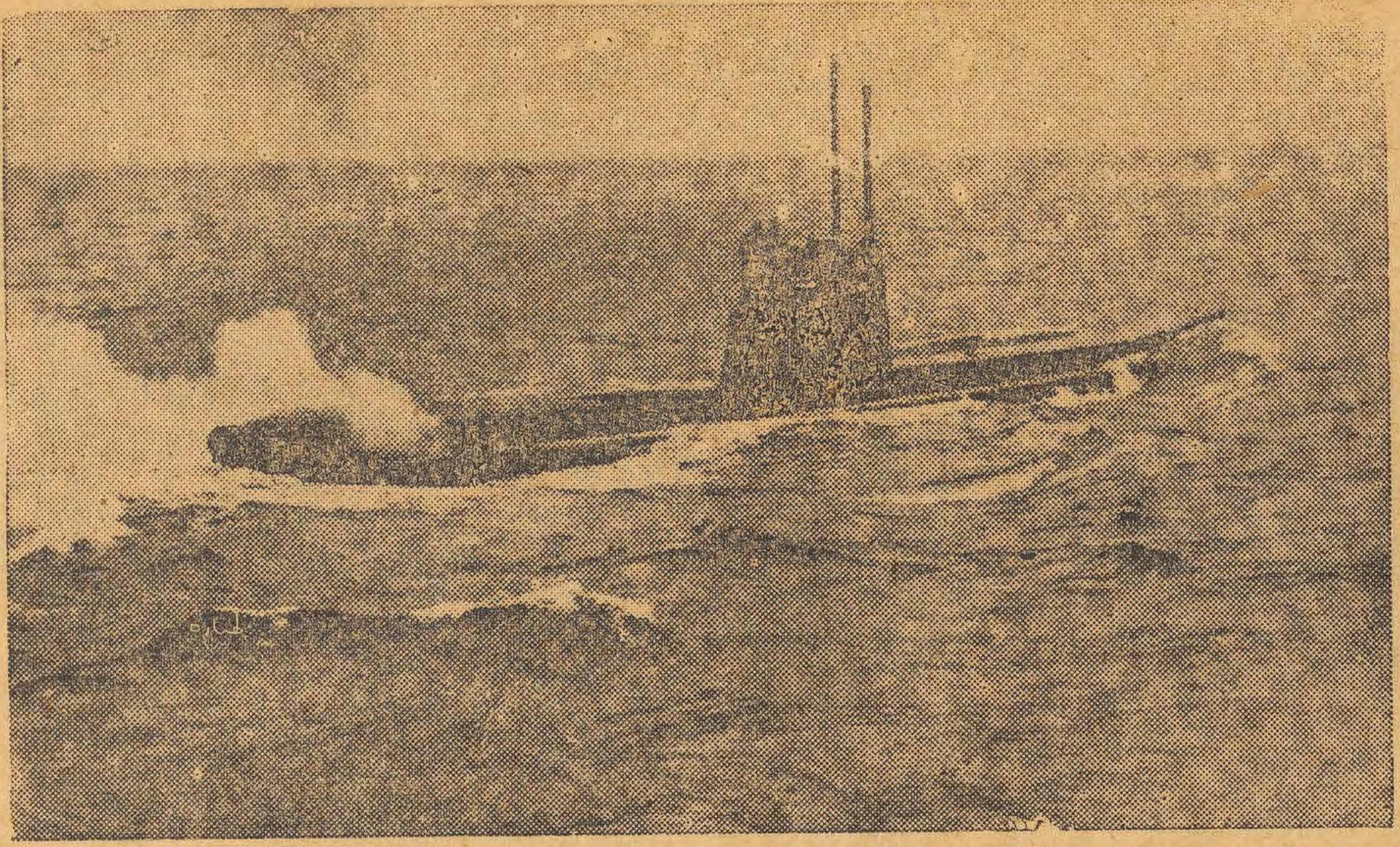
وعيبها انها اذا غطست في الماء باتت عمياء لا ترى شيئاً ، غير ان ثمة حجرة مظلمة ينعكس عليها كل ما يبدو على سطح المياه ، مما يساعد الغواصة على التنقل كيفما شاءت ، ولكن ببعض الحذر

بعد اعلان الحرب بثلاث ساعات

وبعد اعلان الحرب بساعات ثلاث اندفعت من مرفأ «هارتش» غواصتان انكليزيتان للوقوف على حالة الاسطول الالماني في خليج « هيلغولند » . وتسنى لهاتين الغواصتين بلوغ الخليج الالماني ومعرفة ما ينطوي عليه من سفن والغام . ورجعتا الى انكلترا توضحان الموقف بجلاء

هجوم الغواصات الالمانية

وبعد ثلاثة ايام اخذ الطراد « برمنغهام » الانكليزي يدنو



الغواصة الالمانية التي اغرقت الطراد (باثفايندر) الانكليزي

في الشواطئ الالمانية

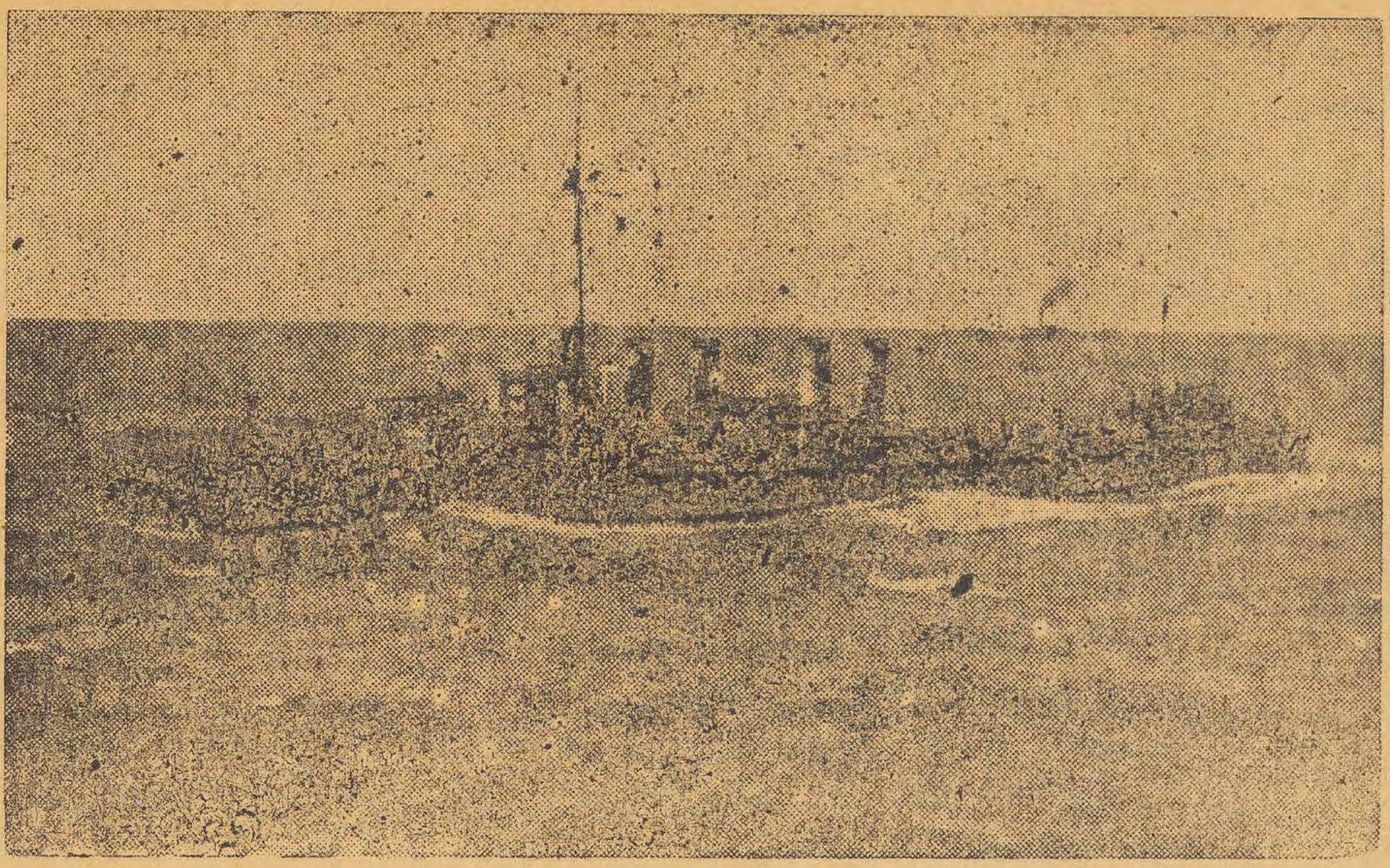
ولما صممت انكلترا على ايفاد قواتها الى فرنسا تخوض بها غمار الحرب الى جانب حليفتها دفعت الى الشواطئ الالمانية نسافتين لحقت بهما سبع عشرة غواصة . فالانكليز خافوا ان يفاجئ الاسطول الالماني الاكبر هذه القوات وهي تجتاز بحر المانش الى الشواطئ الفرنسية فعمدوا الى هذه الحيطة

واقامت النسافتان والغواصات السبع عشرة في اماكن تقوى بها على انزال الضرر بالاسطول الالماني اذا ما خطر له ان يتجه الى بحر المانش ليحول دون وصول البواخر المحتشدة فيها الجنود الى الساحل الفرنسي . ولم تتحرك هذه القوة من اماكنها حتى تم نقل الجيش الانكليزي بكامله ، بل هي ظلت الى ما بعد وصول الجيش الانكليزي الى البر ، وقامت بجولات في المياه الالمانية لا تخشى ما تتعرض له من المخاطر . وبلغت الجرأة بالغواصات انها دخلت المرافىء الالمانية نفسها تروم صيداً . غير ان الالمان استعانوا بكل حيطة لانقاذ مدرعاتهم من مفاجأة الغواصات . فاقاموا هذه المدرعات وراء سدود من الخشب والسلاسل ونثروا امامها الالغام . وثمة مرافىء جاءت بما لديها من سفن قديمة وجعلت منها درعاً للاسطول الالماني . ولكن الغواصات الانكليزية لم تتراجع ، فظلت تفاجيء السواحل الالمانية وتتساقط عليها القذائف فتنجو من شرها

غواصة المانية تغرق طراداً انكليزياً

والغواصات الالمانية مثلت الدور نفسه . فكانت تبرح السواحل الالمانية وتطوف في الشواطئ الانكليزية بجرأة واقدام . وفي ٥ ايلول ١٩١٥ شاهدت غواصة المانية عند مصب نهر « فورث » في « اسكوتلندا » الطراد الانكليزي « باثفايندر » . فدنت منه تحاول

من الشواطىء الالمانية للوقوف على الحالة فيها . وسارت وراءه سبعة طرادات خفيفة. وامست على مسافة من الشاطيء الالماني لا تزيد على مئة وستين ميلا . وكانت عشر غواصات المانية قد برحت في ٦ آب خليج « هيلغولند » . فابصرت احداها ، الغواصة « اي — ١٥ » ، ثلاث مدرعات انكليزية ، فاطلقت لغما على المدرعة « مونارش » ، الا ان الاسطول الانكليزي هاجم هذه الغواصات. ولاحت فيه للراصد عينا غواصة متجهة الى الطراد « برمنغهام » ، فاذاع النبأ ، فعمد الطراد على الفور الى تبديل وجهة سيره لئلا يستهدف للغواصة . واستعد للدفاع عن نفسه . واقام رجاله بجانب مدافعهم طول الليل ساهرين. واذا الاشارة تعلن فقصفت المدافع وتساقطت القذائف على الغواصة البادية منها عيناها . وهجم الطراد عليها فشقها وغرق كل من فيها وعددهم ثلاثة وعشرون المانياً . ولقد تبين انها الغواصة « اي — ١٥ » نفسها



المدمرة الفرنسية « بويسون » تقوم بحماية باخرة تنقل قوات من الجند الى اماكن القتال

ان ترميه باحدى قذائفها . وكانت الساعة الرابعة بعد الظهر . فشعر الطراد ورجاله بحركة غريبة ، وتلفتوا الى ما حولهم فشاهدوا عيني غواصة . فدار الطراد على نفسه كي يواجه الغواصة ويتقي خطرها ، الا ان الغواصة كانت اسرع منه ، فبادرته بقذيفة نسفت مقدمه ، واصابت مستودع الذخيرة فانفجر . وكان انفجاره عظيما، فقد اهتز من مقدمه حتى مؤخره ، واحاط به سور من دخان . وتساقطت شظاياه على ضباطه وملاحيه المقيمين على متنه فقتلت منهم عدداً ليس بالقليل، واصيب فريق بالاغماء لهول الانفجار وسقطوا الى متن الطراد وقد سال الدم من جراحهم

على ان من بقي حياً من رجال الطراد تذرعوا بالشجاعة وامسكو على ما يملكون من صواب،وطرحوا في البحر كل مالديهم من رياش ليقووا به على النجاة . خصوصاً وقاربا الانقاذ في الطراد تحطما . واعلنت اشارة النجاة: « لننقذ انفسنا !.. » ، فوثب الملاحون الى الرياش يمتطونه فيما الطراد يغرق

وذهب للانفجار صدى بعيد . واسرعت الزوارق القريبة منه الى انقاذ من تقوى على انقاذه ، فالتقطت ٥٨ رجلا بينهم فريق من الضباط ، على ان اربعة منهم نزل بهم الموت قبل بلوغهم اليابسة وقد اصيبوا بجراح بليغة . فكان عدد الذين قتلوا في هذه الفاجعة ٢٤٦ رجلا بين ضابط وملاح

ماذا قال الانكليز ؟...

والطراد « باثفايندر » اول سفينة حربية اغرقتها غواصة . ولقد اذاعت يومذاك الحكومة الانكليزية بلاغاً تقول فيه ان الطراد غرق بمسه احد الالغام . على ان قصد الحكومة الانكليزية من مثل هذا الادعاء ان تتجاهل الامر لتقبض على الغواصة الالمانية وتدمرها . ولكن الغواصة استطاعت النجاة من الاسطول الانكليزي مع كل اهتمامه بتحطيمها. فسد عليها الطرق،بيد انها استطاعت النجاة.وذاع في لندن انها غرقت ، على ان هذه الاشاعة ظلت تفتقر الى اثبات

الانكليز ينتقمون

الا ان الانكليز ما لبثوا ان انتقموا . فما انقضى اسبوع واحد على غرق الطراد الانكليز « باثفايندر » حتى كانت احدى الغواصات الانكليزية تفاجيء الطراد الالماني « هيلا » وتطلق عليه قذيفتين فاغرقته بهما . وكانت هناك سفن المانية فبحثت عن الغواصة فما اهتدت اليها

تردد انكلترا في الحرب يدفع اسطول المانيا الى مضيق "كاله"

ولكن انكلترا تظهر في الميدان فيعود اسطول غليوم الى «كيال»

المانيا تعلن في البحر خطة الدفاع لا الهجوم

بحار تلتهمها النيران !

في مساء ٣ آب ١٩١٤ شهرت المانيا الحرب على فرنسا ، وفي ٤ آب صباحاً كان الطرادان الالمانيان « غوبن » و « برسلو » يجوبان البحر المتوسط ويرميان بقذائفهما سواحل الجزائر ، تلك المستعمرة الفرنسية الواسعة ، وذهب ضحية قذائفهما مرفأ « بون » ومرفأ « فيليفيل » . والقصد من تدمير هذين المرفأين الجزائريين اثارة العرب على فرنسا

غير ان الاسطول الفرنسي وقد بلغه النبأ عمد الى مطاردة السفينتين الالمانيتين، وكانتا قد برحتا منذ اشهر طويلة مرفأ « كيال»، مما يدل على ان وجودهما في البحر المتوسط كان عمداً ، خصوصاً وهما فيه اسرع من كل مدرعة انكليزية او فرنسية

وامام مطاردة الاسطول الفرنسي لم تجد المدرعتان الالمانيتان بداً من الفرار ، فلجأتا الى مرفأ « مسينا » ، على ان الحكومة الايطالية ابت عليهما البقاء في هذا المرفأ ، فانذرتهما بضرورة براحه بعد اربع وعشرين ساعة

الاسطولان بالمرصاد

ووقف الاسطول الفرنسي والانكليزي بالمرصاد يحاولان سد الطريق على المدرعتين الالمانيتين وامتلاكهما ، وبات الاسطول الانكليزي على يقين انها باتتا في قبضته وطرق البحار باجمعها بين يديه ، فلا سبيل لهما الى النجاة غير الدردنيل ، على ان معاهدة باريس المعقودة سنة ١٨٥٦ ، ومعاهدة لندن المعقودة سنة ١٨٧١، تمنعان البوارج الحربية من دخول الدردنيل اذا لم يسمح لها بذلك السلطان نفسه

والاسطول الانكليزي كان يعلم حق العلم ان هاتين المدرعتين لا تحملان اذناً من السلطان باجتياز مضيق الدردنيل ، اذاً لا سبيل الى نجاتهما من قبضة يده، والمدرعتان شعرتا بالارتباك. ايطاليا تدعوهما الى الانصراف من مرافئها ، والحصار البحري مضروب عليهما . فما العمل للخلاص ؟

وفيما الحيرة تستولي على رجالهما اذا بقائدهما امير البحر «سوشون» يتناول من الامبراطور غليوم الثاني الامر باختراق نطاق الحصار مهما تكن العاقبة والاتجاه الى الدردنيل . وكان يوم عيد في المدرعتين وهذا الامر يرد عليهما . فاندفعتا في البحر المتوسط تحاولان اختراق الحصار . وكان الحظ في خدمتهما . وطاردهما الاسطول الانكليزي ببطء . فلم يكن يحفل بفرارهما وهما تحت رحمته كما كان يقول . واطلق في اثرهما احدى السفن الكشافة تنبئه بحركاتهما

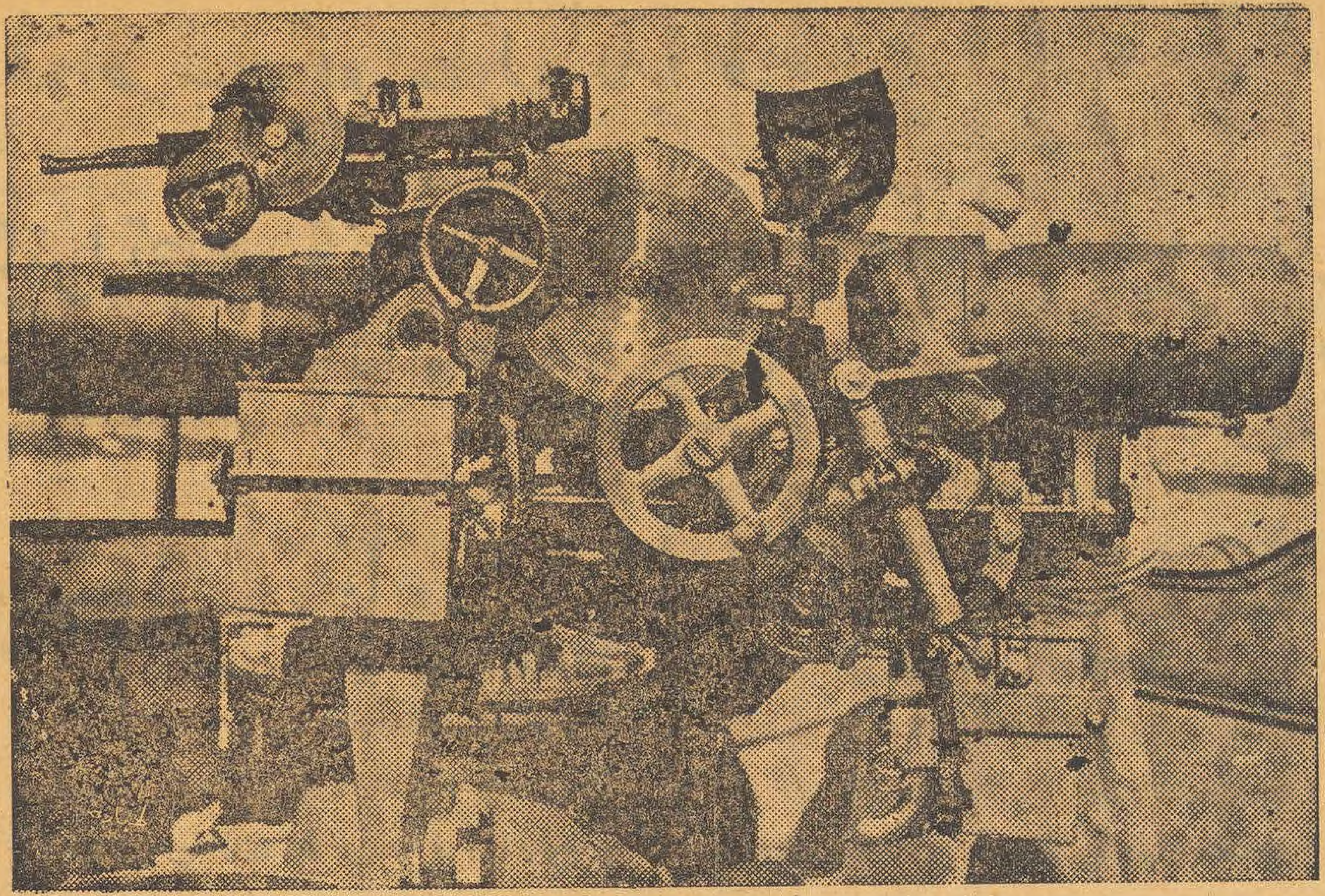
الى الدردنيل !

واذا المدرعتان تتجهان الى الدردنيل. وتناولتا وهما في مدخل الدردنيل رسالة من البارون « فون ونغنهايم»، سفير المانيا في استانبول، يدعوهما فيها الى دخول المضيق على ان ترفعا العلم العثماني . وهكذا كان . وفي رفعهما العلم العثماني اعلنتا انهما اصبحتا عثمانيتين ، وعلى الفور اتخذت « غوبن » اسم « سلطان سليم»، وحملت المدرعة «برسلو» اسم « مدللي »

فوقف الحلفاء مدهوشين حيال ما رأوا وظهر لهم سوء النية

موقف انكلترا

غير ان معارك البحر المتوسط لم تكن مما يخشى شره بقدر ما يخشى



مدفع كبير في مدرعة انكليزية من طراز « دريدنوط »

يشير هذا الرسم الى مدفع في مدرعة انكليزية يسدده الملاحون الى سفينة من سفن الاعداء لاطلاق قذائفه عليها

شر المعارك الممكن اضطرامها في البحر الشمالي وبحر المانش . فالحكومة الانكليزية لم تكن قد اتخذت في ذلك الحين موقفها الراهن من الحرب . أتخوضها ام لا تخوضها . وحيال هذا الجمود كان الاسطول الالماني قد برح مرافئه تحت قيادة امير البحر «انجيموهل»، ووقف امام الشواطئ الهولندية والبلجيكية يرقب اشارة واحدة لاجتياح مضيق « كاله » ، وقد تولى صده عن هذا الهجوم الاسطول الفرنسي لامير البحر « رويه » ، ولكن هذا الاسطول ضعيف ، فمن الثابت ان الاسطول الالماني يتغلب عليه ويفاجئ الشواطئ الفرنسية بقذائفه ، فيحتل مرفأ « موروله » على ساحل ولاية بريطانيا الفرنسية ، ويرمي بناره الفيالق الاحتياطية المحتشدة عند مصب نهر « إلبا » ومصب نهر « ويزر »

ولكن انكلترا انضمت في مساء ٤ آب الى فرنسا ، ولم يكن من امير البحر الالماني « انجيموهل » الا ان لجأ فوراً الى قناة « كيال » يحتمي بها

قلق المانيا

وبعد ما ملك القلق فرنسا عاد فاستولى على المانيا . فماذا يكون من موقف الاسطول الانكليزي ؟... اي تدابير يعمد اليها امير البحر « جاليكو » قائد الاساطيل الانكليزية العام ؟

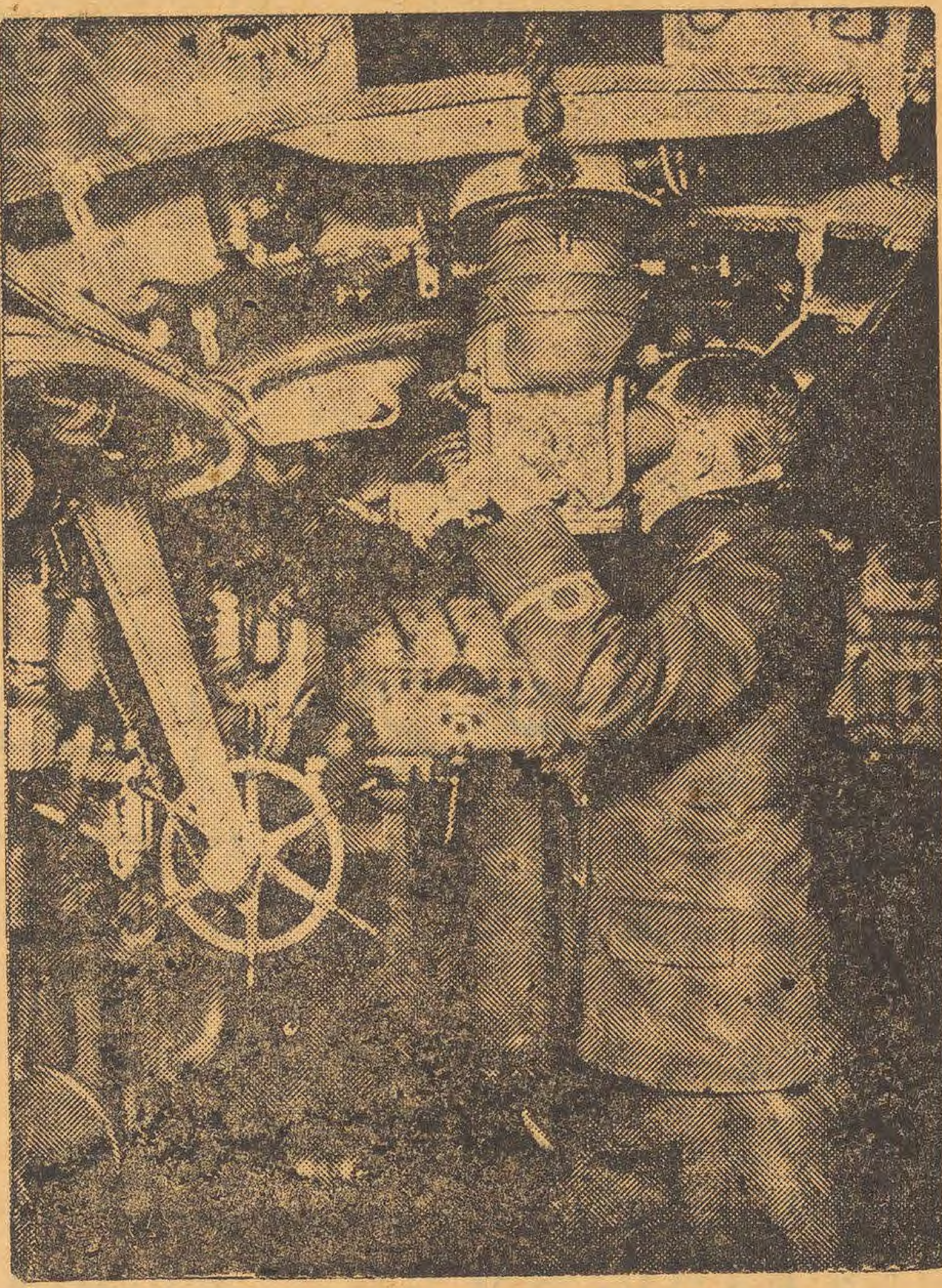
لقد تراءى لامارة البحر الانكليزية ان المانيا اذا اشتبكت في حرب بحرية وبريطانيا العظمى تعمد الى احد امرين : اما انها تقاوم الاسطول الانكليزي مقاومة شريفة منظمة تقف منه فيها وجهاً لوجه ، واما تحاول ستر ضعفها بحرب تتعمد فيها الحيلة والخدعة ، فتنثر في طريق الاسطول الانكليزي الالغام وتحاربه بالغواصات حتى يرمّ لها فيه بعض التوازن واساطيل اعدائها

خطة الاسطول الانكليزي

ولم يفكر الاسطول الانكليزي في مهاجمة الشواطئ الالمانية وهو يعلم ان هذه الشواطئ ممتلئة بالالغام ، فلا سبيل الى الهجوم عليها ، عدا ان هناك حواجز طبيعية تحميها هي جزر « فريز » و« سلسفيغ » ، فالتفكير في الاندفاع الى ضربها جنون

ولذا اعتمد امير البحر « جاليكو » الانتظار ، فاذا خطر لامير البحر الالماني « انجيموهل » ان يبرح قناة « كيال » حطمه « جاليكو » في معركة واحدة

ولقد اختلفت خطط القتال الحديث عن مثلها في القرن الثامن العشر . فالاساطيل كانت تندفع في ذلك الحين الى شواطىء الاعداء تضربها ، اما اليوم فتحول الاساليب الجديدة دون هذه المخاطرة وثمة غواصات والغام . فالمجازفة في غير موضعها . ولذا قرّ رأي قائد



قائد غواصة يسدد أنظاره الى سطح البحر

منظر قائد غواصة انحدرت الى قعر اليمّ يسدد قائدها بصره الى سطح البحر للوقوف على ما فيه من مدرعات

الاسطول الانكليزي العام على البقاء في الشواطئ الانكليزية . ولم يدفع الى الشواطىء الالمانية غير السفن الحربية القديمة يعضدها عدد قليل من الطرادات. وهذه السفن في معظمها من المدمرات ، فتفاجئ السواحل ، وتسد الطريق على السفن المنفردة وتهاجمها ، وتبلغ الاسطول ما وضح لها في رحلاتها

الاسطول الالماني لا يملك الجرأة

وما افترضت قيادة البحر الانكليزية تمّ في اتجاه سياسة المانيا البحرية. فلم تملك المانيا في بدء الحرب الجرأة على مهاجمة الحلفاء، ولا سيما انكلترا، فتجنبت الاندفاع في حرب بحرية قد تجني بها على نفسها ، بل من الراهن انها ستجني بها على نفسها وهي دون اعدائها قوة . فاجمعت كلمة قادة البحر فيها على ضرورة الاكتفاء بخطة الدفاع ، على ان يكون دفاعاً قوياً منظماً . ومن هؤلاء القادة الذين ايدوا هذا الرأي « تربيتز » و « انجيموهل » ، والامير « هنري ده بروسيا » شقيق القيصر غليوم

الشعب الالماني لا يرضى

وكان على الاسطول الالماني ان يبقى في قناة « كيال » حفظاً له من التدمير . الا ان الشعب الالماني لا يرضى عن بقاء اسطوله في احواض « كيال » بعد مجهود بذلته المانيا على مدى عشرين سنة للنهوض بهذا الاسطول الى ارفع مستوى

اذاً الى العمل . من واجب المانيا ان تظهر قوتها البحرية . ذلك ما لا غنية عنه . فالاسطول الالماني يجب ان يبرح قناة « كيال » ويظهر في عرض البحر ، ولكن للدفاع عن نفسه ، ولا بأس ان يخرج احياناً عن خطة الدفاع ويقوم بالهجوم . فان المدرعات الضخمة الاثنتي عشرة ، وهي من نوع « دريدنوط » والركن الاقوى في الاسطول الالماني ، لا تتحرك لمفاجأة الشواطىء الانكليزية وضربها والخسارة مقررة لها . أفلا يجوز ان تقوم بهذا العمل الطرادات فتضرب الشواطىء وتعرقل سير الملاحة الانكليزية ؟

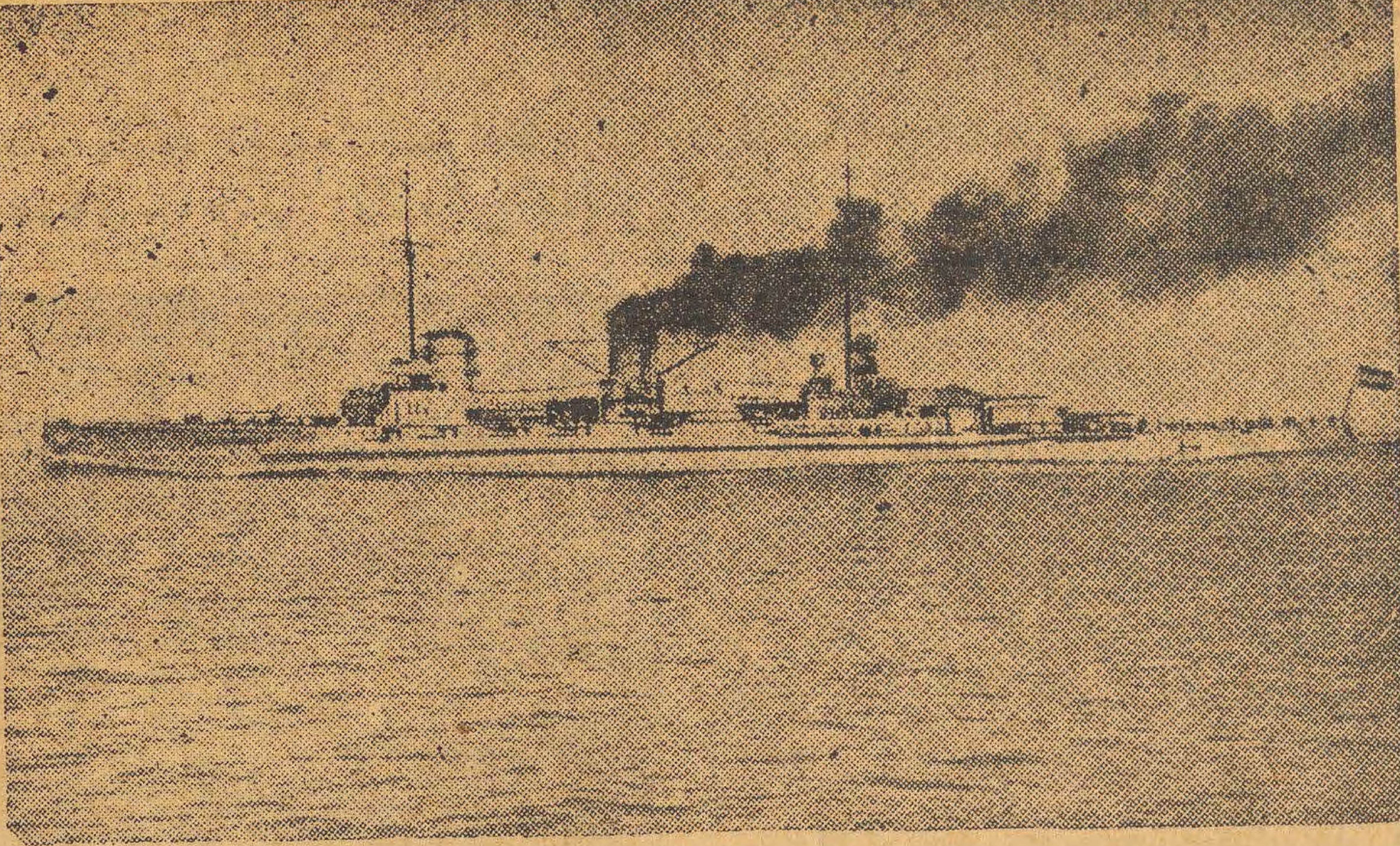
أ تعجز الغواصات عن مثل هذا المسعى ، والالغام أليست المساعد الاكبر على ارهاق الانكليز ؟

غليوم يوافق

ووضع قادة الاسطول الالماني خطتهم ووافقهم عليها الامبراطور غليوم فيما كانت الجيوش الالمانية تنقض على باريس . فما تحركت القطع الكبرى في اسطوله ، بل لزمت الجمود ، واجاز للغواصات والطرادات وناثرات الالغام ان تبرز الى النضال

وكان في ٧ آب غرق السفينة « كونيغن لويز » الالمانية وهي التي نثرت الالغام في البحر الشمالي ولحق بها اسطول الربان « فوكس » على متن طراده « امفيون » ، على ان الطراد « امفيون » نفسه غرق في اليوم التالي بمسه احد الالغام كما سبق لنا ايضاحه . وكانت في ١٨ آب تلك المعركة في خليج « هيلغولند » وقد غرقت فيها الغواصة الالمانية « اي — ١٥ » مما تقدم الحديث عنه باسهاب

وفي اواخر شهر آب ١٩١٤ بدا لامير البحر « جاليكو » ان الموقف يدعو الى الحزم ، وان الاسطول الانكليزي يجب ان يدنو



المدرعة الالمانية الكبرى (مولتكه) تجتاز البحر الشمالي

من الشواطىء الالمانية والا طال الجمود على سطح البحار . فدفع في ٢٨ آب اساطيل من النسافات والطرادات الخفيفة تحت قيادة امير البحر الشاب الحازم السير « دافيد بيتي » ، فدنا هـذا الاسطول من خليج « هيلغولند » وفاجأ ثلاثة طرادات المانية صغيرة هي « مانز » و « كولن » و « اريادن » واغرقها ونجا من كل اذى ، الا ان عدده كان يزيد اضعاف الاضعاف على الطرادات الالمانية الثلاثة

ولكن الالمان ...

ولم يرض الالمان بهذه الصدمة ، فعمدوا الى الانتقام. وفي ٢٢ ايلول اقبلت الغواصة الالمانية « فك » يقودها الضابط الشاب « اوتو واديغن » واغرقت على شواطىء هولندا ثلاثة طرادات انكليزية هي « هوغ » و « ابو قير » و « كراسي » . فقد ظهر لها منها انها تسير الهوينا . وتجتاز عرض البحر ببطء غريب. فاسرعت الى الطراد « ابو قير » واطلقت عليه قذيفة واحدة فغرق في خمس وعشرين دقيقة، واقتربت من الطراد « هوغ » فرمته بقذيفتين فغرق في دقائق عشر، ومالت على الطراد « كراسي » فنالت منالها منه في ربع ساعة من الزمن

وكان مجموع الخسارة في الارواح ٦٢ ضابطاً و١٠٧٣ ملاحاً

وذاعت شهرة الضابط « واديغن » على اثر هـذا الاقدام العجيب ، فملأ صيته المانيا بكاملها بل العالم اجمع . وفي ١٥ تشرين الاول لم يكن منه الا ان اغرق الطراد الانكليزي الكبير « هوك » ، ولكن ببعض الصعوبة .

ونسفت الغواصة « اي ــ ١٧ » الباخرة التجارية « غليترا ». وبدا لامير البحر « جاليكو » ان اسطوله ليس بامان في « سكابافلو »، فقاده الى « لوسبلي » في شمالي ارلندا . وما كاد يبلغ هدفه حتى مست المدرعة « اوداشيوس » لغما من الالغام وسقطت في اعماق اليم . والمدرعة « اوداشيوس » من احدث المدرعات الانكليزية ومن اجملها

الحرب الاقتصادية

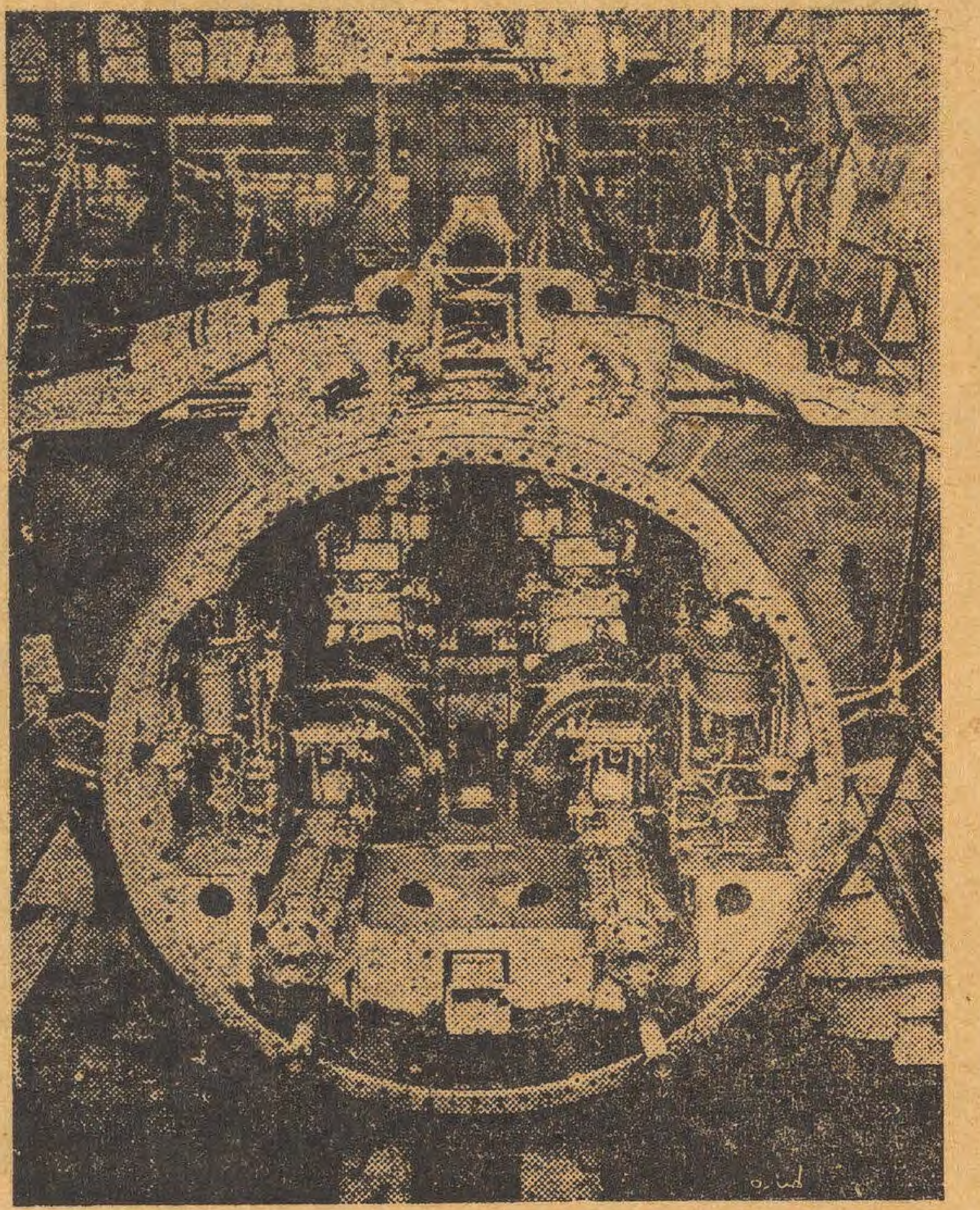
وفي ٧ تشرين الثاني ١٩١٤ اقترحت قيادة الاسطول الالماني على مستشار الدولة الانتقام من الفرنسيين والانكليز بمحاربة تجارتهم في البحر . وحجتها ان انكلترا تحاول الاستعانة بكل وسيلة للقضاء على المانيا اقتصادياً ، فعلى المانيا ان تلجأ الى وسائل اشد عنفاً في محاربة تجارة اعدائها . وقيادة الاسطول ترى ان ضرب الحصار على الشواطىء البحرية مستطاع باعتماد الغواصات

ونية انكلترا في محاصرة المانيا بحرياً لم تكن تحتاج الى ايضاح. فهي ترمي الى تجويعها . على ان المانيا تمردت على هذه الخطة واعلنت ان باستطاعتها تجويع انكلترا اذا شاءت

تصريحات «فون تربيتز»

وفي ٢٢ كانون الاول ١٩١٤ صرح امير البحر الالماني «فون تربيتز» لصحفي اميركي بقوله :

— خيل اليهم على ضفاف نهر «التاميز» ان باستطاعتهم النيل



غواصة المانية في اثناء انشائها

يبدو في هذا الرسم صدر غواصة المانية في مرفأ «كيال» فيما المهندسون يوشكون ان ينتهوا من تشييدها

منا بالتهويل علينا بالمجاعة ، ولكننا نحن الالمان نقوى اذا شئنا على تمثيل الدور نفسه ، فنطوق انكلترا ونحرمها القسم الاكبر مما تستورد من مؤن . فلا تنقضي عليها بضعة اسابيع حتى تئن من وطأة الجوع !

الغواصات الالمانية في شواطىء بلجيكا

لما احتل الالمان في شهر تشرين الاول سنة ١٩١٤ شواطىء بلجيكا الشمالية انشأوا فيها قاعدة بحرية استقرت فيها غواصاتهم . ومنذ ذلك الحين ازداد القتال البحري شدة وعنفاً . ففي ٢٦ من الشهر نفسه نسفت الغواصة «اي — ٢٤» الباخرة الفرنسية «الاميرال غانتوم» وكانت تحمل ٢٥٠٠ لاجىء بلجيكي

والغواصة نفسها جالت طول يوم ٣١ كانون الاول بين الاسطول الانكليزي دون ان يشعر بها . ولم يكن منها اخيراً الا ان نسفت في الليل المدرعة «فورميدابل»

وقد بلغت ضحايا النسافات الالمانية منذ اعلان الحرب ، اي منذ ٢ آب ١٩١٤ ، حتى آخر سنة ١٩١٤ ، مدرعة واربعة طرادات ونقالة طيارات ونسافة وغواصة واحدى عشرة باخرة تجارية

اهانة انكلترا

وما ادرك الالمان من فوز في البحار حملهم على مفاجأة الشواطىء الانكليزية دون ما انقطاع . وقد لاح في ذلك للانكليز اهانة فظيعة . فمنذ قرون طوال والشواطىء الانكليزية سليمة ، فما تجرأت على ضربها امة من الامم

ولكن الالمان تجرأوا . وفي ٣ تشرين الثاني ١٩١٤ اطل امير البحر الالماني «هيبر» على الساحل البريطاني على مقربة من «يرموث» وهو يقود اليها اربعة طرادات واربع نسافات سريعة . فاطلق بضع اطلاقات من مدافعه وانصرف

على انه عاد في ١٦ كانون الاول ١٩١٤ وقد ساعده الضباب ، واطلق نيرانه على ثلاثة مرافىء انكليزية لا تتمتع بحماية كافية ، هي مرافىء «سكاربوروغ» و«هارتلبول» و«هيتبي» . فهدم الدور الكثيرة وذهب بعدد من الضحايا لا يقل عن ٦٧١ بينها ١٢٢ قتيلا

وصفق الالمان لامير البحر «هيبر» وقد تسنى له ان ينال من سيادة انكلترا التقليدية في البحار

انكلترا تعمد الى الانتقام

وحيال هذه الصدمات رأت انكلترا ان تثبت وجودها . ففي صباح ٢٤ كانون الثاني ١٩١٥ لاح لامير البحر الانكليزي «داڤيد بيتي» اسطول امير البحر الالماني «هيبر» في ضواحي «دوغربانك» في وسط بحر الشمال . ولا بد من القول ان الاسطول الالماني كان دون الاسطول الانكليزي عدداً وعدة ، فحاول الفرار لاجئاً الى مرافئه . ولكن امير البحر «بيتي» وهو اعظم منه سرعة لحق به . ولدى الساعة التاسعة صباحاً كانت سفينة «ليون» المستقر فيها قائد الاسطول الانكليزي ، امير البحر «بيتي» ، ترمي بقذائفها السفينة الالمانية «بلوخر» وهي في مؤخرة الاسطول الالماني

ونشبت معركة حامية شملت الاسطولين بكاملهما ، واصيبت المدرعات الالمانية بكاملها ، كما اصيبت الدرعة «ليون» بعطل فيها اضطرها الى الابتعاد عن مرمى القذائف

وحصرت سائر المدرعات الانكليزية نيرانها بنسف المدرعة « بلوخر » فاحدثت فيها عطلا جسيما حال دون لحاقها بالسفن الالمانية الاخرى الراكنة الى الفرار . وازداد سقوط القذائف عليها فشبت فيها النار

انفجار مستمر

وتحدث شاهد عيان عما جرى فيها فقال ان الانفجار كان يتوالى ، فامسى متن الباخرة مجموعة قضبان حديدية . وجمع الضباط الاحياء من رجالهم، وبعدما ودعوا السفينة اجازوا لهم النجاة. ولقد نجا منهم مئتان ، وما لبثت السفينة ان غاصت في قاع اليم

ومعركة « دوغربانك » ليست من المعارك الكبرى في تاريخ المعارك البحرية ، الا انها دلت على تفوق الاسطول الانكليزي على اسطول الامبراطور غليوم الثاني . فالخطة الحكيمة التي اعتمدتها قيادة البحر البريطانية ضمنت لانكلترا السيادة المطلقة في بحر الشمال

محاصرة المانيا

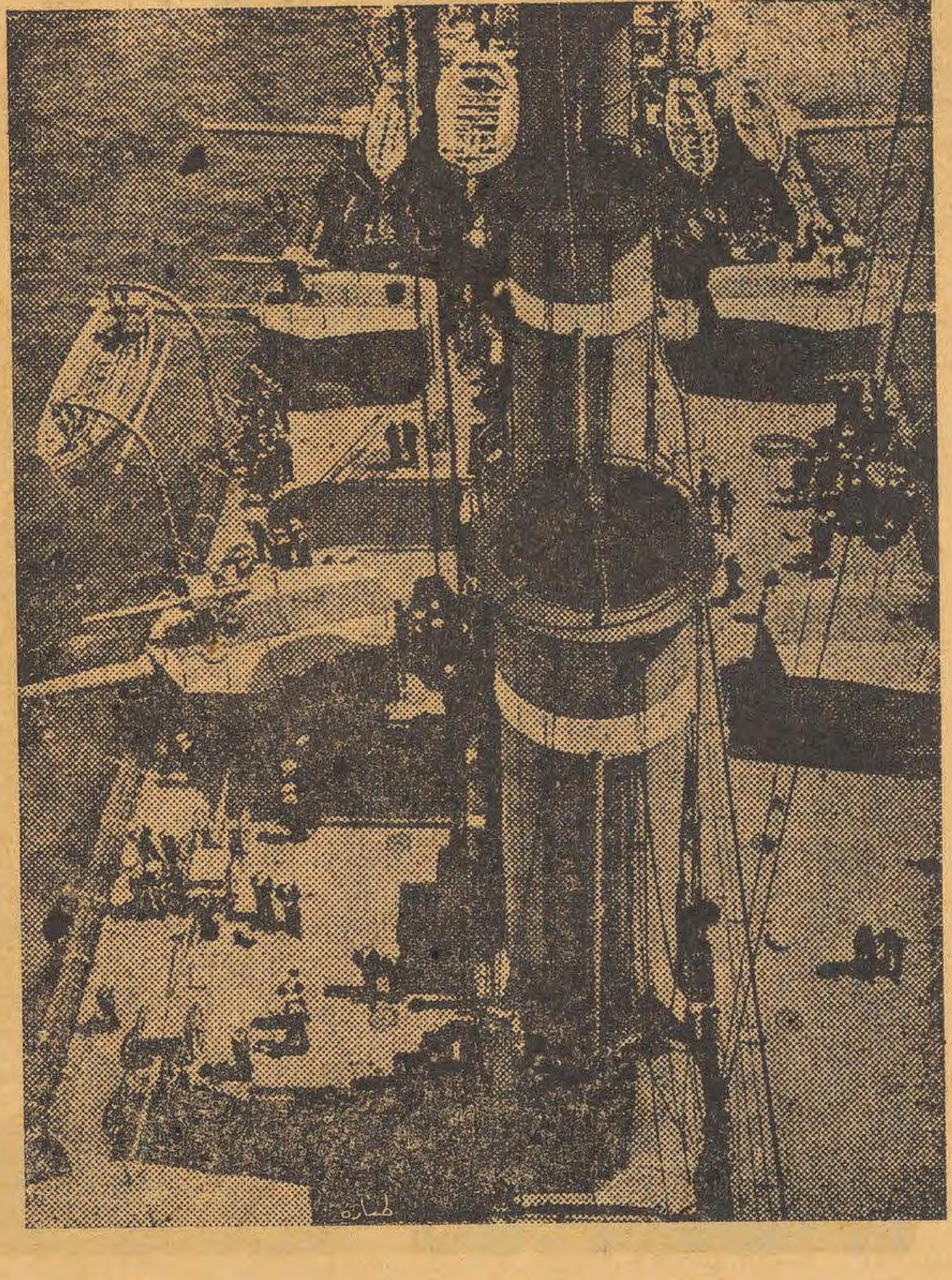
والحصار الذي اشار اليه امير البحر الالماني « فون تربيتز » اعلنته انكلترا في ٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٤ ، فاذاعت بلاغاً تقول فيه ان البحر الشمالي امسى منطقة حربية . فعلى بواخر الدول الملتزمة العزلة ان تسلك فيه طريقاً معلوماً شرقي السواحل الانكليزية . وعلى هذه البواخر وهي تجتاز ذلك البحر ان تحمل مواد يجوز لها ان تحملها. والا اكرهها الاسطول الانكليزي على الوقوف وهناك مواد يجب ان لا تنقلها في البحر الشمالي . وكانت هذه المواد من شهر ايلول حتى شهر كانون الاول ١٩١٤ الحديد والنحاس والرصاص والمطاط والمعادن ، الا ان المنع جاوزها في شهر اذار ١٩١٥ الى الصوف ، فاضحى من المواد الممنوعة ، ثم منع في شهر آب ١٩١٥ القطن ، ثم كل مادة ينتفع بها في الملبس والمأكل

وتألفت في البلدان المعتصمة بعزلتها نقابات من شانها الاشراف على هذه المواد ، حتى ان انكلترا منعت المعاملة مع محلات الاعداء في الصين والعجم وليبيريا . وظهر جدول ابيض باسماء المحلات التي يجوز عقد معاملات تجارية واياها ، كما ظهر جدول اسود باسماء المحلات الممنوع عقد هذه المعاملات واربابها

واقدمت فرنسا على تنظيم مثل هاتين اللائحتين. وعرقل الحلفاء سبل التجارة بين المانيا ورومانيا . فطلبوا الى رومانيا ان تمتنع من بيع الالمان محصول القمح وسائر الحبوب . ولم تكن البلدان الشمالية تبيع المانيا البضائع في سوى مقابل ما تحتاج اليه من البضائع الالمانية

امتداد التضييق على المانيا

وامتد التضييق على المانيا الى حد قصي . فسعى الحلفاء لضم الدول المعتصمة بعزلتها اليهم . فتضايقت المانيا في زراعتها وصناعتها .



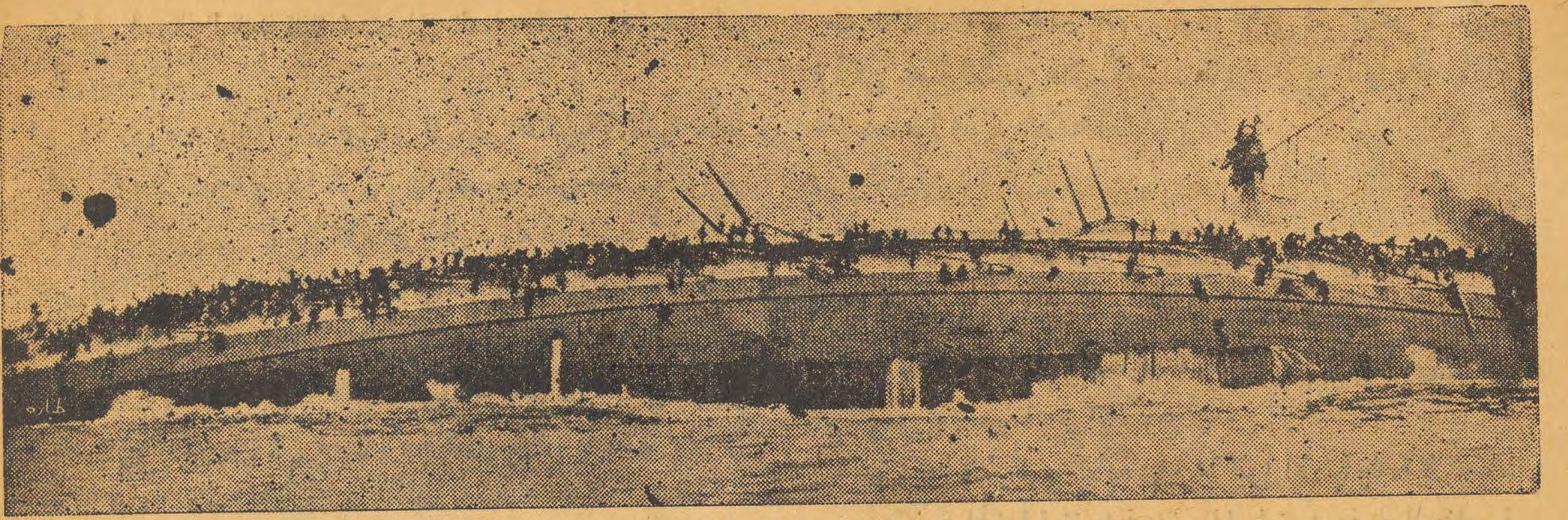
متن المدرعة الانكليزية (شانون)

وهي من اكبر مدرعات الاسطول الانكليزي ، والمداخن تبدو فيها كالاعمدة . وقد اخذ لها هذا الرسم من اعلى ساريها . وكان لهذه المدرعة شأن خطير في الحرب الكبرى

فهي غنية في الفحم والحديد ، ولكنها خالية من المواد الاخرى ، كالمواد التي تحتاج اليها لتقوية الفولاذ مثلا

وصناعة الحياكة باتت لديها في خطر . فكانت تستورد ٩٥ بالمئة من مواد هذه الصناعة الاولية مما وراء البحار . وكذلك صناعة الجلد . فالخطر هددها . واذا وجدت الصناعة الكيمائية قسما كبيراً من موادها في المانيا نفسها فهي تحتاج الى عناصر اخرى لصنع المواد الحربية منها وليس لها في المانيا وجود ، كالكبريت والمطاط والزيوت

اجل، لقد حوت المستودعات الالمانية ما يكفيها من هذه المواد لشتاء



المدرعة الالمانية (بلوخر) يغرقها الاسطول الانكليزي

يطالع قراء «الاسرار» في هذه النشرة تفاصيل معركة «دوغربانك» بين الاسطولين الالماني والانكليزي. ولقد كان الظفر بجانب الاسطول الانكليزي، فصبّ قواه على المدرعة الالمانية «بلوخر» واغرقها. والرسم يشير الى المدرعة وقد تحطمت مداخنها وسواريها وامست على وشك الغرق

١٩١٥، ولكن اذا طالت الحرب الى ما يزيد على سنتين لقيت المانيا النكبة الموجعة

في ربيع ١٩١٥

وعمدت المانيا الى خطة تضمن بها توفير هذه المواد. فنمت التفريط فيها. وفي ربيع سنة ١٩١٥ شعرت بان الحرب ستطول، وان الاسراف في ما ينقصها من مواد يسيء اليها. فكلفت ضباطها تنظيم خطة تصل بها الى كفاية نفسها. فتقرر تخفيض حاجات الاهلين من المواد الحالية منها المانيا، وتخفيض ما تحتاج اليه الصناعة من المواد غير الموفورة في البلد الالماني دون ما اساءة الى نوع البضاعة التي تخرجها

على ان رومانيا ظلت تبيع المانيا وحلفاءها الزيوت، ووفرت لهم اسوج المعادن. وبذل الالمان مجهود الجبابرة في استغلال ارضهم والبحث عن المعادن فيها. فاهتدوا الى مناجم جديدة من النحاس زادت في كميات هذا المعدن، وتعاظمت حاجة المانيا اليه فاشترته من نروج، ثم من صربيا وقد احتلها النمسيون، ثم من بلغاريا. وقد جاء في تاريخ الحرب الالماني الذي وضعته الدولة الالمانية نفسها ان المناطق المحتلة جادت على المانيا بما شاءت من المواد الاولية

الدماغ الالماني المخترع

ولم يعجز الدماغ الالماني عن الاختراع وهو العظيم التوليد.

فاستغنى عن مواد كثيرة بمواد سواها، فحل لديه عنصر محل آخر. وكان ان استخرج «الغليسيرين» من السكر والكحول

ودرس تركيب المطاط الاصطناعي كما عمد الى تركيب الكافور.

واهتم بالاقمشة فزاد في زراعة الكتان والقنب، وصنع الحبال من القصب، ودعا الى حياكة الحرير الصناعي

وتسنى للجميع ان يشاهدوا في المانيا على اثر اعلان الحرب اقمشة من الورق وقبات من الخشب

لا خوف عَلَى المواد الغذائية

ولم تكن المانيا في خشية على موادها الغذائية وهي توفر ٩٠ بالمئة من غذائها. ولكن الفضل في هذا الانتاج للسماد الكيمائي الاجنبي الوارد عليها. فاذا حُرمت هذا المورد تناقص الانتاج الى ٨٠و٧٥ بالمئة مما تستهلك المانيا

المانيا بحاجة الى القمح

ونظرت المانيا الى ما تستهلك من خبز فاذا الكمية هائلة. ونظرت الى ما في مستودعاتها من الطحين فتراءى لها ان ما في هذه المستودعات ينفد في ربيع سنة ١٩١٥، ففكرت في الامر بجد واهتمام ونمة حياتها. ولم يكن منها الا ان قضت بمزج الذره بالقمح بكمية اوفر، وقضت بان تمزج البطاطا بالقمح ايضاً، واما امست

كميات الذرة والبطاطا قليلة عمدت الى الشعير والرز ، وفيما بعد الى اللوبياء والحمص

وفي ٢٥ كانون الثاني ١٩١٥ اذاعت الحكومة الالمانية بلاغاً تقول فيه ان الدولة بنفسها تتولى توزيع القمح. وانشىء مكتب التوزيع وكان عليه ان يتولى تموين الاهلين بالخبز ، وله ان يخصص كل فرد من الافراد بما يحتاج اليه . فملك في هذا الصدد السلطة الواسعة

واتخذت الحكومة تدابير نظمت بها بيع اللحوم والبطاطا والسكر . وارتفعت اسعار المعيشة ارتفاعاً مقلقاً . ولم تكن المواسم بقدر ما عقد عليها من آمال . فجاءت دون ما كانت عليه في سنة ١٩١٣

فالنقص في الذرة كان ١٦ بالمئة

وكان في القمح ٢٥ بالمئة

وفي الشعير ٢١ بالمئة

وعلف المواشي اعتوره النقص . فاضطرت المانيا الى تغذية حيواناتها باوراق الاشجار وقشورها

ولم يظهر الاقبال في سوى موسم البطاطا . فجاء يبشر بما عقد عليه من رجاء

واستمرت الدولة تعطي في اليوم كل فرد من الاهلين ٢٢٥ غراماً من الدقيق . ولكن المؤونة بدأت في الشتاء تنفد وارتفعت اسعار المواد الغذائية ارتفاعاً فاحشاً

حياة التقتير عامة

ومثل التقتير دوره

ففي ٤ تشرين الثاني اعلن الامر بالتقتير في بيع لحم الخنزير ، على ان هذا اللحم ما لبث ان زال اثره من الاسواق

فلم تشعر المانيا بهول الحصار البحري الذي ضربه الحلفاء عليها ، ولا سيما انكلترا ، الا وقد اوشكت سنة ١٩١٥ أن تنتهي . عند ذلك تحقق الالمان ان تصريحات قائد اسطولهم الاعلى امير البحر «تربيتز» لم تكن جامعة للمنطق . فالانكليز استطاعوا تجويع المانيا ، اما الالمان فما استطاعوا تجويع انكلترا

النساء والاولاد امام مخازن فارغة

ولشدة الضيق خرجت النساء من المنازل ولحق بهن الاولاد الى الشوارع يقفون امام المخازن الخالية يطلبون زاداً

وتفاقم الضيق في النمسا بان امتنع الجزارون فيها من ذبح المواشي في ايام معلومة من الاسبوع

ولم يكن موسم النمسا لعام ١٩١٥ مما يجوز الارتياح له . فكان نصف موسم . وكادت المجاعة تستفحل في النمسا لو لم تعمد «فينا» الى مفاوضة رومانيا بامر القمح ، فاباحت رومانيا طريق الحبوب الى النمسا بعد مباحثات طويلة انتهت في اواخر سنة ١٩١٥ بالرضى والقبول

اسطول ولكن لا فائدة منه!

هذا ما كان من اثر الحصار البحري في المانيا والنمسا . ولقد سهر على المانيا اسطول ضخم ولكن لا فائدة منه . فاستقر في قاعدة « ويلهلمسهافن » في بحر الشمال ، وفي قاعدة « كيال » في بحر البلطيك . والقاعدتان مرتبطتان بقناة تجمع بين البحرين هي قناة الامبراطور غليوم . ولكن بحر الشمال مسدود بالاسطول الانكليزي . واقام الاسطول الروسي في بحر البلطيك يزعج الالمان . الا ان الطرادين « اوغسبورغ » و « ماغدبورغ » وقفا امام « ليبو » و « هانتو » ، واندفع الطراد « ماغدبورغ » الى شواطىء « فنلندا » فمس في ٢٧ آب ١٩١٤ لغماً من الالغام فسقط في أعماق اليم

وفي ١١ تشرين الاول ١٩١٤ نسفت الغواصة « اي ـ ٢٦ » الدرعة الروسية « بالادا » ، وعلى الاثر اكتفى الروس بالوقوف وراء صف الالغام التي نثروها في خليج « فنلندا » ، واتخذت مواصلاتهم مع الحلفاء طريق البحر المتجمد ، وظل الالمان اسياد بحر البلطيك يتصلون منه باسوج

الاسرار

البد
في
العراق
يبصرو
الطيارات
الانكليزية
تحلق
فوق
رؤوس
فيحسبونها
ويدعونه
البعير
الطيار

طالعوا
تفاصيل
ذلك
في هذه
النشرة
من
الاسرار

المعارك في العراق

العدد الخامس عشر



الاسرار

مجلة اسبوعية تاريخية تبحث في التاريخ وما اهمله التاريخ

اصحابها : انطون صادر ، كرم ملحم كرم ، فؤاد ميداني

رئيس الانشاء المسؤول: كرم ملحم كرم — منشىء القسم الشرقي: فؤاد ميداني

المكاتبات باسم مدير المجلة : انطون صادر

الادارة مكتبة صادر * شارع اللنبي * بيروت

العدد ١٥ — بيروت في ١٢ تموز سنة ١٩٣٨

اسرار الجاسوسية في القضية العربية

بقلم فؤاد ميداني

السلطان عبد الحميد يحلم بانه رأى التاج يتدحرج عن رأس اخيه

انور ورفاقه اخطأوا في الاعتماد على الالمان

راي عبد الحميد في العراق

لما احتلت القوات الانكليزية البصرة، وتقدمت في شهر نيسان سنة ١٩١٥ في طريقها الى الشعيبه، كتب السلطان عبد الحميد في مذكراته بتاريخ ٢٠ نيسان يقول :

« العراق في مقدمة الاقطار العربية التي كنت اعتمد عليها، فاني لعلى ثقة وطيدة بان بلاد العرب سياج السلطنة العثمانية . فاذا تخطى العدو هذا السياج تصدعت السلطنة وانهارت . ولذا كنت ابذل كل ما لدي من مجهود وقوة لاحياء البلاد العربية ومنع الاجانب وخصوصاً الانكليز من التدخل في شؤونها

« في سنة ١٨٩٨ حاول بعض المقربين في يلديز ان يوغروا صدري على علماء العراق بحجة أنهم يثيرون الشعب على المشروع الذي طلب الي امبراطور المانيا تحقيقه، وبه يربط العراق بسكة حديدية تتصل باستانبول فاوربا، الا اني لم اصغ الى هذه الوشايات وايدت العلماء في آرائهم وقاومت بكل قواي هذا المشروع

اراء عبد الحميد تتحقق اليوم

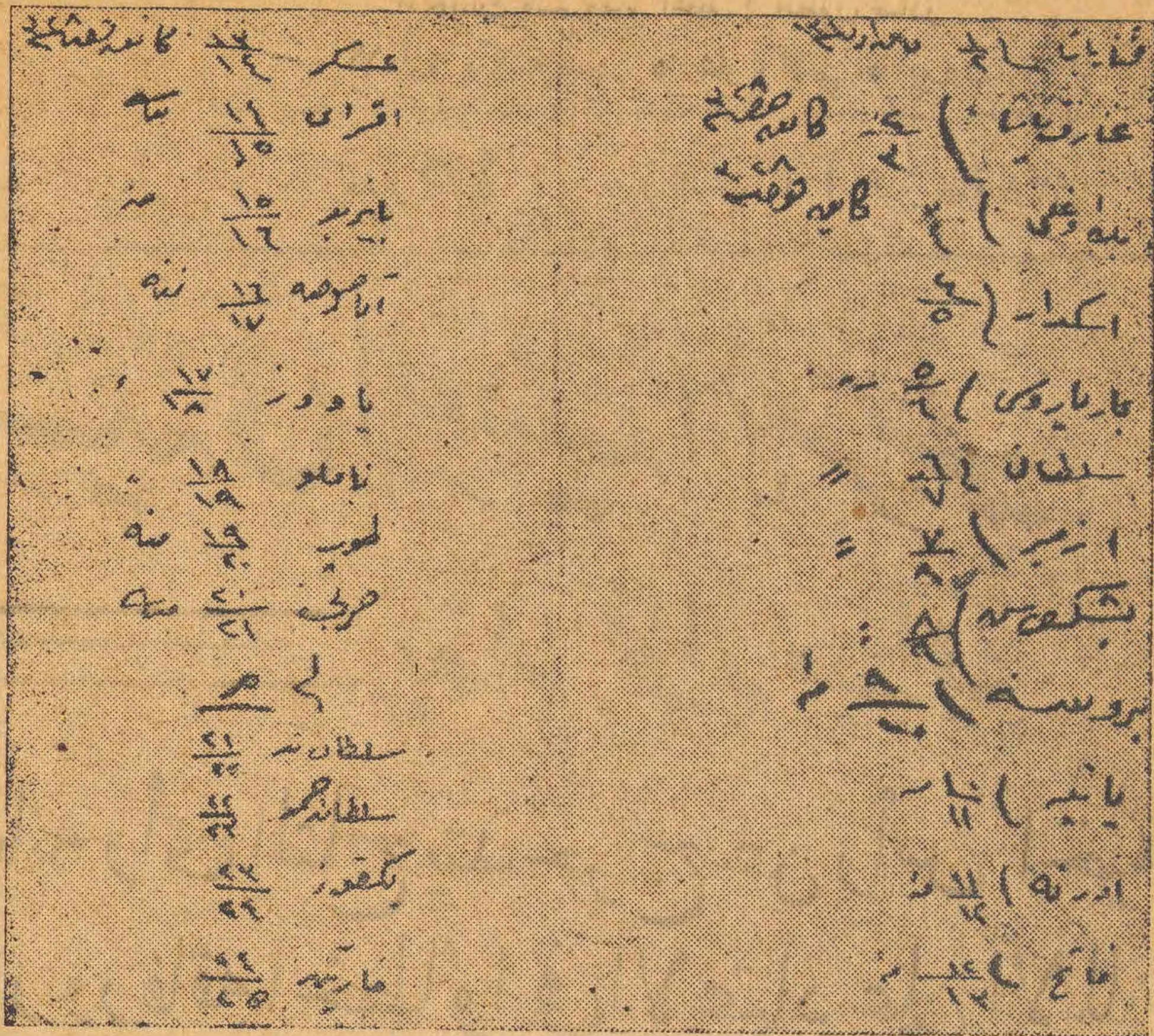
« ولم يكن قصدي من معاكسة الامبراطور الالماني في تحقيق مشروعه الابتعاد عن اصلاح البلاد العربية بل ليقيني ان فيه خطراً يهدد استقلال هذه البلاد ووسيلة سريعة لبسط النفوذ الاجنبي عليها.

« فليس مشروع سكة حديد بغداد غير مكيدة صهيونية قام بها البارون « هرتزل » النمساوي يريد بها تحقيق الوطن القومي اليهودي في فلسطين .

« ولما قاومت هذه الرغبة انتقل هرتزل باموال اليهود الى المانيا لدعم الفكرة التى سعى لاجلها في « فينا » وكان ان اخفقت لمعارضتي فيها معارضة شديدة

« وهذه المعارضة لم تكن لمجرد درء الخطر الصهيوني فحسب بل لانقاذ العراق من مزاحمة خطرة قد تفضي الى حرب بين المانيا وانكلترا ، فالاولى تطمع في بسط نفوذها على العراق لتصبح ذات سيادة على الخليج الفارسي وممر الهند ، والاخرى تريد ان تؤمن طريق الهند بالاستيلاء على العراق .

« واذا احتل اليوم الانكليز البصرة سيحتلون غداً سائر انحاء العراق لان خطتهم تقضي بهذا الاحتلال



كلمات السر

للدخول على عبد الحميد

كانت التدابير المتخذة لحماية السلطان عبد الحميد في معتقله بقصر « بكلربكي » شديدة اذ يضطر رئيس الحراس في كل مساء لاستبدال كلمة السر التي لا يجوز لسوى عارفيها دخول القصر والخروج منه

والرسم المنشور بجانب هذا الكلام يتضمن لائحة من الاسماء التي استعملت كل يوم ككلمة سر ، وبجانب كل كلمة تاريخ اليوم الذي استعملت فيه. والرسم اخذ عن دفتر رئيس حراس السلطان

« انا على يقين ان احتلال الالمان للبلاد العراقية خطر عظيم طالما دعوت انور ورفاقه الى اجتنابه ، غير انهم يعتقدون بقوة المانيا على الدفاع عن كيانهم ، مع ان الخطر كل الخطر عندي في السيطرة الالمانية على رجال الحكومة العثمانية المغرورين .

« لو اتبع انور ورفاقه نصيحتي ولم يخرجوا عن سياسة العزلة لما فقدوا شبراً واحداً من البلاد العربية ولحفظوا للسلطنة العثمانية سيادتها

« ان احتلال الانكليز للبصرة وتقدمهم في البلاد العربية العراقية خطر عظيم يهدد بزوال السلطنة، وهو مما لست ارجو وقوعه وانا في قيد الحياة »

رؤيا عبد الحميد

ثم عاد السلطان عبد الحميد وكتب في مذكراته بتاريخ ٣٠ نيسان ١٩١٥ فقال :

« بدت لي رؤيا افزعتني كثيراً ، ولعلها ناجمة عن كثرة تفكيري في مصير العراق . فقد رأيت نفسي جالساً في قصر يلدز بجانب اخي رشاد ، وكان يلقي الى رأسه تاجاً مرصعاً بعدة جواهر كبيرة وصغيرة . والغريب ان هذا التاج كان اشبه بخريطة للبلاد العثمانية . ورأيت طائراً اسود ، ضخم الهيكل ، له منقار هائل ينقض على رأس اخي وينقد جواهر التاج ، وكان ان استل الجوهرة العراقية ثم الجوهرة التالية . وعبثاً حاولت ايقاظ اخي ، فظل جامداً في مكانه كأنه مائت . ولما هممت بالنهوض جفل الطير وضرب بجناحيه التاج فتدحرج عن رأس اخي الى الارض وتحطم ، فاستفقت عند ذاك من رقادي مذعوراً متأثراً ، ولا ازال شديد التأثر وانا اخط هذه السطور

« لقد افزعتني الرؤيا ، واخاف ان تكون نذيراً بسقوط السلطنة العثمانية التي حافظت عليها جهد الطاقة

« وزاد في خوفي ما بلغني اليوم من مرافقي الخاص المكلف مراقبتي في سجني . فقد اطلعني على نبأ اندحار قواتنا في العراق وانتحار قائدنا سليمان بك العسكري، وارجو ان تكون هذه الحوادث تفسيراً للمنام الهائل الذي بدا لي ، وان لا تتكرر الحوادث التي مرت بالعراق ! »

***

هذا ما رواه السلطان عبد الحميد عن العراق لدى احتلال البصره ، وله في مذكراته هذه فصول اخرى عن العراق سننشرها في مواعدها

الا ان من يطالع الفقرات التي ننشرها في « الاسرار » من مذكرات السلطان ، وهي مؤيدة بوثائق خطية ، تدل على بعد نظر عبد الحميد وصدق رأيه في الامور ، فالحوادث اثبتت بعد ٢٣ سنة انه كان في ما ابدى جد مصيب

ولما كان الشيء بالشيء يذكر نقول ان برقية وردت يومذاك من بغداد تشير الى مكيدة دبرت في بغداد لاعلان الثورة على الحكومة العثمانية ، فتحدث عنها السلطان عبد الحميد في مذكراته قائلا :

«لا اعتقد ان العراقيين يتفقون مع الانكليز للنيل من سلامة الوطن العثماني . واذا كانت الاخبار التي نشرتها الصحف صحيحة، فاني لعلى ثقة وطيدة بان مدبري المكيدة ليسوا من العراقيين بل من الغرباء الذين اشتراهم الانكليز باموالهم

«كان العراق نور العلم والعرفان في سلطنتي، ولم يسبق لاحد من العراقيين ان قام باي مكيدة كانت للاساءة الي، واذا صح امر هذه المكيدة فالحكومة تكون علة احراج العراقيين وحملهم على هذا الموقف الذي لا ارضاه ! ...»

الولايات العراقية

ذلك ما اعلن عبد الحميد، والاحصاء الرسمي الذي اعدته المملكة العراقية سنة ١٩٣٧ يدل على ان سكان العراق يبلغون خمسة ملايين. اما قبل الحرب العالمية فلم يكن لدى الحكومة العثمانية بيان راهن عن حالة العراق، الا ان السلطان عبد الحميد في تعليله هذه الحوادث جاء بايضاح وارقام رأينا ان ننقلها الى قراء « الاسرار » ليتخذوها كوثائق تاريخية تدلهم على الفرق العظيم بين العراق قبل ربع قرن وبينه في الوقت الحاضر . قال المغفور له السلطان عبد الحميد :

«لم يكن لدينا بيان راهن عن حالة البلاد العربية . ولذا انشأت سنة ١٩٠٧ لجنة لوضع بيان مفصل عن تلك البلاد ، فنظمت هذا البيان ومنه اتضح لنا ان حدود ولاية بغداد كانت شمالا ولاية الموصل، وشرقاً بلاد ايران، وجنوباً ولاية البصره ، وغرباً صحراء سوريا ومتصرفية دير الزور، وعدد نفوسها ثمانمائة الف بما فيهم العشائر.

« و تجري في هذه الولاية انهر دجله والفرات والديالا وبعض الانهر الصغيرة

« وليس في هذه الولاية من الجبال ذوات الشأن سوى جبال ضمرين المتاخمة لحدود ولاية الموصل ، وليس فيها من الاحراج ما يكفيها حتى لوقودها الخاصة . وارضها خصبة ، تنتج المحاصيل ، وفي خراسان وخانقين ومندلي بساتين كثيرة تنبت الفاكهة والثمار الحمضية والتمر

« وولاية بغداد تقسم الى ثلاث متصرفيات : متصرفية بغداد وتقسم الى عشر قائمقاميات هي : خراسان ومركزها يعقوبه ، وخانقين ، ومندلي ، و كوت العمارة، وسامراء، وعينه، وكاظمية ، ودليم ومركزها قلعة الزماره ، وعزيزيه ومركزها قلعة الشمر، والجزيرة ومتصرفية الحلة ومركزها الديوانية ، وتتبعها قائمقاميتا سماوه، وشامية ، ومركز الاخيرة ام البعرور

ومتصرفية كربلا وتتبعها قائمقاميات هنديه ومركزها طوويريخ ، ونجف ومركزها مشهد علي ، وزراوه وبدره

ولاية البصرة

والبصرة تحدها شمالا ولاية بغداد، وشرقاً بلاد ايران ، وجنوباً خليج البصرة وامامة مسقط ، وغرباً بادية العرب ، ويبلغ عدد سكانها ٢٥٠ الفاً

وولاية البصرة ذات جو رديء، تنتشر فيها الحميات والامراض السارية

وليس في البصرة مراكز جبلية بل ارض زرع فيها التمر بكثرة

وفي العمارة تقوم عدة ممالح . ومع وجود الجص والكلس فليس من يهتم بهما

والبصرة تقسم الى اربع متصرفيات ، هي متصرفية البصرة وفيها قائمقاميتا قرنه والكويت ، ومتصرفية المنتفك ومركزها الناصرية ، وتلحق بها قائمقاميات سوق الشيوخ ، حي ، شاطرة ، ومتصرفية العماره وتلحق بها قائمقاميات دويريج ، شطرة ، زبير ، ومتصرفية نجد ومركزها الهفوف وتلحق بها قائمقاميتا قطيف وقطرة

ولاية الموصل

ويحد ولاية الموصل شمالا ولايات وان وبتليس وديار بكر ، وشرقاً ايران ، وجنوباً بغداد ، وغرباً متصرفية دير الزور . ارضها حسنة وفيها الحبوب والفاكهة وصناعات الاقمشة وهي مورد الولاية الرئيسي .

والموصل تؤلف من ثلاث متصرفيات ، هي متصرفية الموصل وتلحق بها قائمقاميات عقره ، زيبار ، دهوك ، زاخو ، سنجار ، عماديه . ومتصرفية شهروز ، ومركزها كركوك ، وتلحق بها قائمقاميات رواندوز ، اربيل . كوي سنجاق ، صلاحية ، رانيه . ومتصرفية السليمانية وتلحق بها قائمقاميات عنبر ، بازيان ، شهربازار ، معمورة الحمير »

***

هذا ما اورد السلطان عبد الحميد في مذكراته عن العراق ، ومنه يتبين ان رجال ذلك العهد كانوا يجهلون البلاد وثروة تلك البلاد الحقيقية من البترول . وهي ثروة طائلة لم يحسنوا استثمارها وقد جهلوا وجودها . وكان عدد السكان في هذه الولايات الثلاث يبلغ يومذاك ١،٥٥٠،٠٠٠ مع انهم يزيدون اليوم على خمسة ملايين ، ويجب ان لا ننسى ان عدة انحاء سلخت من العراق ، كالكويت وبعض مناطق نجد الواردة في مذكرات السلطان عبد الحميد

الانكليز في العراق يتقدمون ابداً

القائد «طاوسهند» يحتل ثلاثة حصون عثمانية بسهولة لم يكن يرقبها

ضابط عثماني يقتدي بشمشون الجبار

جبهة مفككة الحلقات

حدثنا قراء «الاسرار» عن المعارك التي دارت في الجبهة العراقية. وكان آخر ما حدثناهم عنه المعارك التي وقعت في الشعيبة في خلال شهر نيسان سنة ١٩١٥ وقد انتهت باندحار القوات العثمانية وانتحار قائدها سليمان بك العسكري، وبايلاء القائد علي بك القيادة بالوكالة ثم بتعيين اللواء نور الدين باشا واستيلائه على زمام الامور في العراق منذ ٢٢ ايار سنة ١٩١٥

مطامع الانكليز

والفوز الذي ادركته القوات الانكليزية في هذه المنطقة اهاب بها الى الاستعداد للقيام بحركات واسعة النطاق تساعدها على احتلال انحاء ولاية البصرة كافة، اعتقاداً منها ان الفشل الذي اصاب القوات العثمانية في الحروب الاخيرة يساعدها على تأمين الفوز في المناطق الاخرى.

والجنرال «طاوسهند» الانكليزي هو الذي اقترح على قائد الحملة الانكليزية في العراق، السر «جون نكسون»، اقصاء القوات العثمانية عن متصرفية «البصرة». وهذا الاقتراح قدمه خطياً، فوافق عليه القائد العام وانصرف الجنرال طاوسهند الى اتخاذ التدابير العسكرية لاعداد القوات الكافية للقيام بهذه المهمة

حركات جس النبض

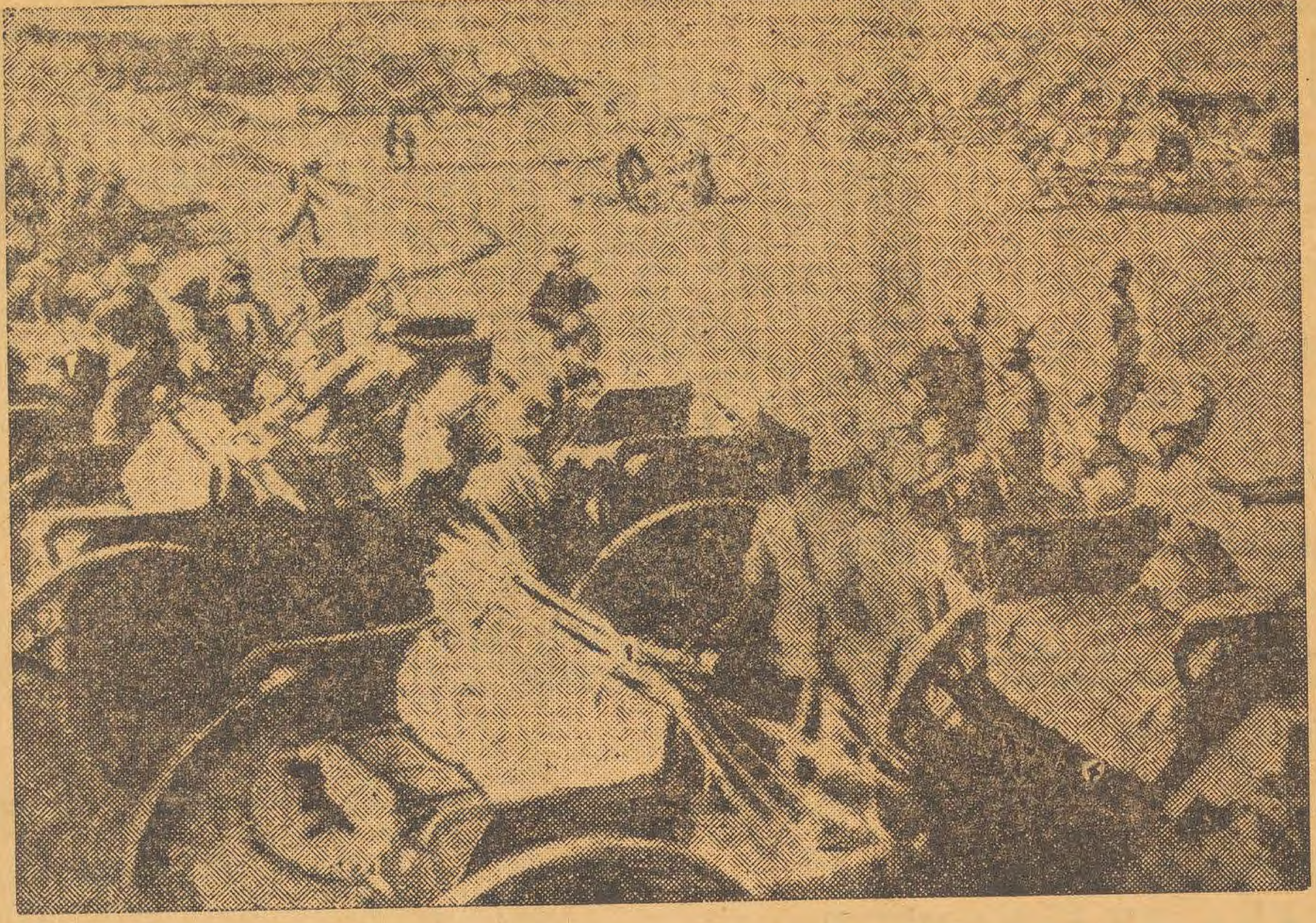
وقامت القوات الانكليزية وهي تستعد لهذه الحملة بهجمات صغيرة تحاول بها جس النبض ومعرفة قوة العثمانيين في الاماكن المعتصمة بها

واول هذه الهجمات تجهيز الباخرة «شوشن» الانكليزية، وهي من البواخر الصغيرة، وحشد ٣٠ جندياً فيها الى «الهوار» لسبر



نور الدين باشا

القائد العام للقوات العثمانية في العراق وقد تسلم مقدرات هذه الجبهة بعد انتحار القائد سليمان بك العسكري في ٢٢ ايار سنة ١٩١٥



موؤخرة الجبهة العثمانية

اخذ الترك يستعدون في القرنه استعداداً كبيراً لمجابهة الحملة الانكليزية . وهذا الرسم يرينا المدفعية العثمانية في مؤخرة الجبهة تستعد للزحف الى الامام لمشاركة القوات العثمانية في دفاعها عن الاهواز

غوره . فتمكنت هذه الباخرة من دخول النهر وبدا لها ان عرضه ١٢ قدماً ، الا ان ضفتيه حجبها عنها القصب . وفيما بحارتها يتولون عملهم دون ان يروا ما وراء القصب الكثيف اذا الموالون للقوات العثمانية يفاجئونهم بالرصاص ، فاضطر من في الباخرة الى التغاطس في مياه النهر طلباً للنجاة ، وكان ان قتل منهم خمسة وجرح ثمانية . وبين الجرحى الملازم « كوكسن » قائد هذه المفرزة ، وكانت جراحه خطرة جداً

وعلى الاثر اضطرت القيادة الانكليزية الى ايفاد قوة اخرى لانقاذ الباخرة والعودة بها

ومع ان هذه التجربة كلفت القيادة الانكليزية ١٨ قتيلا و ١١ جريحاً فقد افادتها في الحصول على ما تحتاج اليه من معرفة امر النهر

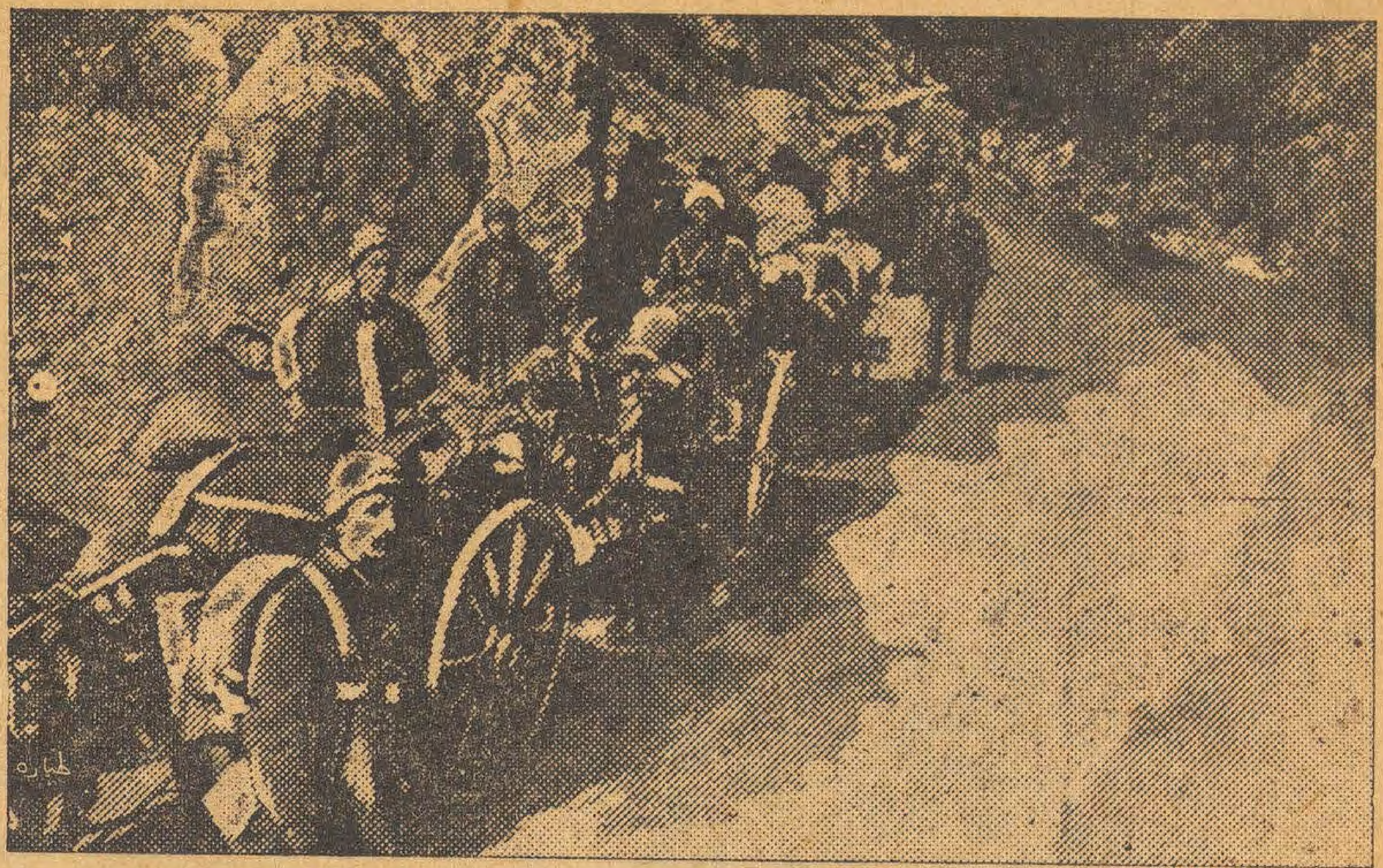
تجربة المدافع

وفي ١٠ ايار قامت القيادة الانكليزية بتجربة ثانية حاولت ان تتعرف بها الى مبلغ جودة مدافع العثمانيين في موقعي « تل الشجرة الواحدة » و « تل البرج » . فبدأت المدفعية الانكليزية اطلاق قذائفها على هذين الموقعين لدى الساعة العاشرة صباحاً . فقابلها العثمانيون من « تل الشجرة الواحدة » وتمكنوا من التأثير في المواقع الانكليزية . الا ان الحالة في تل البرج اختلفت عنها في تل الشجرة الواحدة . فالانكليز احدثوا في هذا الموقع اضراراً جمة . وقد استطاعوا بهذه الحركة ان يتداركوا ما نالهم من وهن ليتمكنوا من الغلبة .

مناوشات اخرى

وجرت بعدئذ عدة مناوشات بين الفريقين لا تخرج عن حد الاستطلاع والاستكشاف ، اذ ان كلا من الفريقين العثماني والانكليزي كان يستعد للمحافظة على موقفه ومجابهة اعدائه بشدة . ولما انتهت القيادة الانكليزية العليا من استعدادها للقتال ، وذلك في الاسبوع الاخير من شهر ايار سنة ١٩١٥ ، تقرر في اجتماع عام عقد تحت رئاسة قائد الحملة العراقية في ٣١ ايار تنفيذ مشروع الهجوم العام على المراكز العثمانية

ولا بأس ان نطلع قراء « الاسرار » نقلا عن المصادر الانكليزية على ما قام به الانكليز من استعداد وما اذاعوه من بيانات قبل هذه الموقعة التي عرفت باسم « موقعة القرنه » ونحن لا نعتمد في نقل هذه الفصول على المذكرات والمؤلفات التي وضعها القواد والتي يحاول كل منهم ان



القوات العثمانية

بطريق الجبهة

استعد العثمانيون استعداداً كبيراً لمقاومة القوات الزاحفة الى العراق واستدعوا لذلك نجدات من الاناضول

وهذا الرسم يشير الى مفرزة من النجدات العثمانيه بطريقها من بغداد الى القرنه وكانت قوية نشيطة

يستغلها لتبرير موقفه والدفاع عن خطته التي انتقد فيها ، بل على الاوامر العسكرية التي اذيعت في ذلك الحين

توزيع القوات

والقسم الاول من هذه الاوامر خاص بتوزيع القوات ، وهو ينص على ان القوات الانكليزية يجب ان توزع كما يلي :

اولا ــ قوات المقدمة ، وهي مؤلفة من لواء المشاة السابع عشر تحت قيادة امير اللواء « دوبي »

ثانياً ــ قوات الطليعة الاولى ، وهي مؤلفة من لواء المشاة السادس عشر يقوده امير اللواء « ديلامين »

ثالثاً ــ القوات الاحتياطية العامة يتولاها قائد الفرقة نفسه ، وهي مؤلفة من كتيبة مشاة « نورفوك » الثانية ، والكتيبة ٢٨

رابعاً ــ قوات المدفعية لقائدها امير اللواء « سميث » وهي مؤلفه من بطاريات مدفعية الصحراء والمدفعية الثقيله والمدفعية الخفيفه .

خامساً ــ قوات اخرى مؤلفة من حملة ذخائر المدفعية وقوات الصليب الاحمر ومنشئي الجسور

سادساً ــ رتل الاعاشة الذي يتولى تأمين اعاشة القوات المتحاربة

ونصت هذه الاوامر على ألوان الاعلام التي يجب ان تحملها كل هيئة من هذه الهيئات العسكرية للتفريق بينها

اوامر القوات بالزحف

اما الاوامر التي اعلنتها القيادة الانكليزية العامة لزحف هذه القوات فكانت كما يلي :

اولا ــ لواء المشاة السابع عشر يسير الى القرنة براً

والمقدمة الاولى تسير في السفن بعيداً عن المزيرعة الى مصب شط العرب

والمقدمة الثانية تسير بعد المقدمة الاولى في جهات مصب نهر السويب

والمقدمة الثالثة تسير في السفن جنوبي القرنة في نهر الفرات وشرقي معسكر القرنة في الدجله على موازاة رصيف القرية

اما المقدمة الرابعة فتسير بعد المقدمة الثانية

ثالثاً ــ يعين قائد الاسطول مواقع الاسطول والمراكب الحربية ويخصص مركباً بامر الحراسة غربي المقدمة الثالثة في الفرات، ومركباً آخر بالحراسة وراء المقدمة الرابعة ، ويأمر المركبين اللذين ينظفان النهر من الالغام بالاستعداد ، ويعين الوقت الذي يرفع فيه جسر القوارب والشبكة والحاجز النهري

ثالثاً ــ يركب قائد الفرقه المركب الحربي « اسبيكل »

الحركات العسكرية الانكليزية

وفي ٢٨ ايار سنة ١٩١٥ ، اي قبل الشروع بمعركة القرنه ، اذاع القائد العام للقوات الانكليزية الاوامر التالية :

« اولا ــ الموقف العام : لم يطرأ تغيير يذكر على موقع العدو في ضفتي دجله شمالي القرنة

« ان مواقع العدو المهمة هي : بحران ، روطه ، المزيبلة ، صخريجة . والاماكن المتقدمة روطه ، على الهلال ، الرملية ، والمواقع المتقدمة بحران في تل نورفوك ، وتل الشجرة الواحدة ، وتل البرج الواحد ، وتل المدفع ، وهذه محمية من بحران والمسافة بينها دون خمسة

الاف يرد .

« وتحمي المدفعية موقع بحران من روطه والمزيبله ، اما صخريجه فهي على مسافة اربعة الاف وخمسمائة يرد من المزيبله

« ويحتمل ان يكون العدو بث الالغام في دجله شمالي الحاجز التركي . وقد جاء في تقارير دار استخباراتنا ان القوة التركية تتألف من خمسة افواج على وجه التقريب ، ولديها عشرة مدافع ، وستمئة بدوي ، والمركب النهري التركي

« وربما اقدمت هذه القوة على القيام بهجوم معاكس لصد زحف مشاتنا ازاء ضفة دجله الغربية

« اما مدافع العدو فقد تم تنظيمها على الوجه التالي :

« مدفع في الرملة ، في البطائح الواقعة غرباً ، ومدفعان على « تل المدفع » ، ومدفع على « تل البرج الواحد » ، ومدفع في بحران عند البرج الشرقي ، ومدفع في روطه .

« ووصلت اربعة مدافع جديدة نصبها الاتراك في بحران وروطه

« ان فيضان المياه الذي غمر الارض قد يجعل هذا الموقع حصيناً ، ولذلك يجب القيام بحركات منظمة في ادوار متوالية ، ويجب بذل كل ما في الطاقة لصب نيران القوات المقيمة على جانب دجله الغربي ، والاسطول النهري ، والقوة المعسكرة على جانب النهر الشرقي ، على مواقع العدو .

خطة الهجوم

« ثانياً — الهدف العام مهاجمة العدو في ٣١ ايار من الجبهة والجناح على الصورة التالية :

« تهاجم الطليعة هجوماً فاصلا بان تزحف على مواقع العدو على ضفة النهر الغربية ، وتعضدها في هذا الهجوم المدفعية والاسطول النهري ، وتعاونها القوة التي تهاجم الجناح على ضفة دجله الشرقية .

« اعد معسكر الجيش قوة من البدو الموالين لنا . وتعضد هذه القوة مراكب حربية للقيام بمظاهرات في اعالي نهري السويب والهور وذلك لمشاغلة البدو المقيمين على جناحي المواقع التركية

« ثالثاً — اوامر الهجوم: تشرع المدفعية البرية في رشق مواقع العدو بقذائفها لدى الساعة الخامسة من صباح ٣١ ايار ، وتزحف القوة التي تهاجم الجناح من مكان حشدها غربي حصن سنايب ، الساعة ٦ صباحاً . وتكون اهدافها تل نورفوك ، تل البرج الواحد ، تل المدفع .

« وعلى الآمر ان يعنى بحماية ميسرة القرنة في اثناء هذا الزحف .

« تزحف القوة التي تهاجم الجناح من مراكزها في الساعة الواحدة صباحاً وهدفها تل الشجرة الواحدة . وعلى القائد ان ينظم



الجنرال طاوسهند

قائد الحملة الانكليزية في منطقه الاهواز في العراق والتفاصيل التي يطالعها قراء « الاسرار » في هذا العدد تدلنا على جهد هذا القائد ومقدرته

حركته على حركة المدفعية ، وان يوفد مفرزة تفجر بنار البنادق الالغام المبثوثة بالقرب من ضفة النهر »

***

هذا بيان يدل قراء « الاسرار » على الاستعداد العسكري الذي قامت بها القوات الانكليزية قبل الشروع في معركة القرنه

استعداد الاتراك

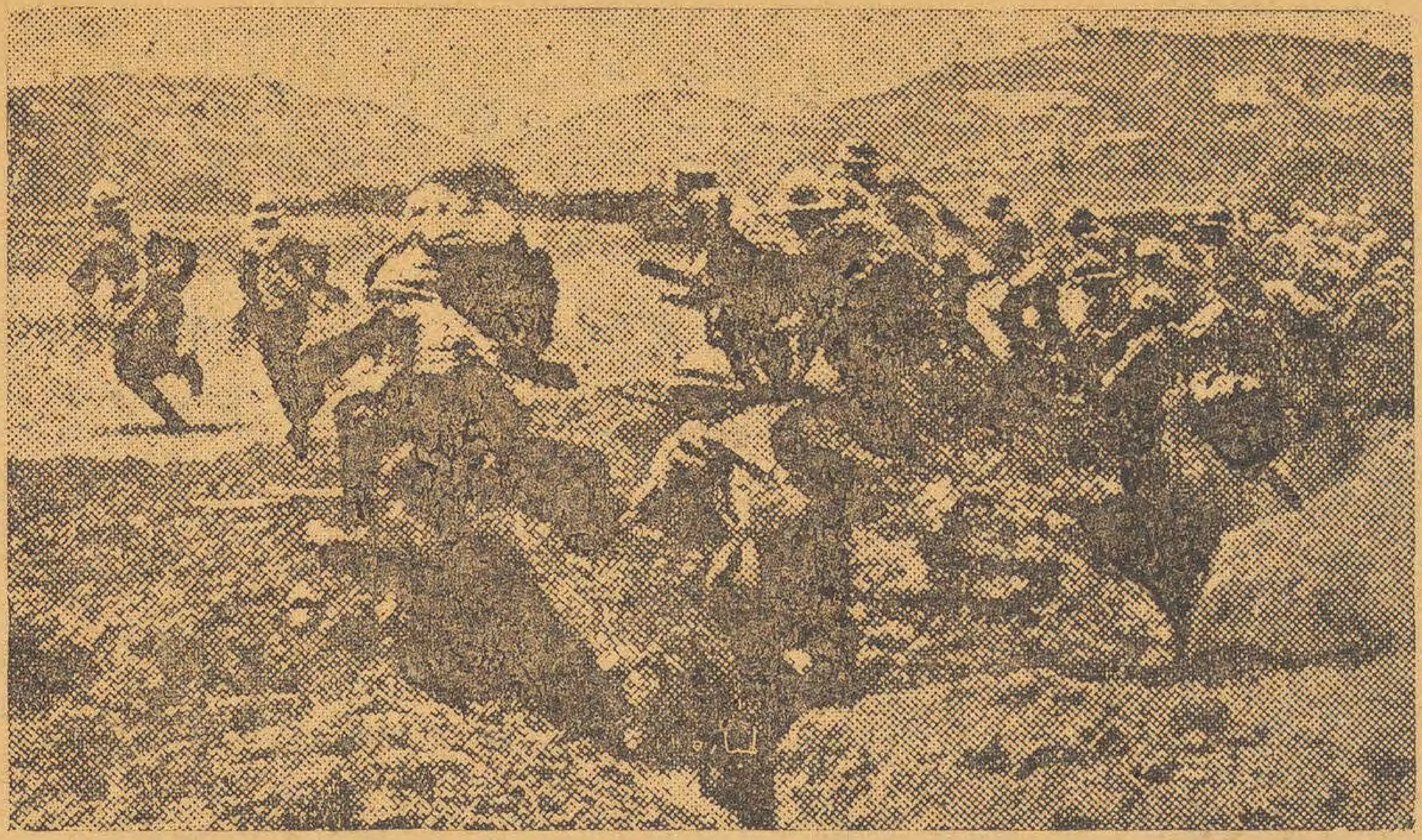
والاتراك كانوا في تعب وضنك شديدين بعد المعركة الطاحنة التي قاموا بها في الشعيبه وقد ضعضعت قواتهم ، ولذا كان استعدادهم للقتال محصوراً بتعزيز مراكزهم في ابو عرات ، المزيبله ، الروطه ،

زحف الانكليز

الى الامام

على اثر سقوط الحصون العثمانية في المنطقة العراقية امر الجنرال طاوسهند قواته بالنزول من البواخر النهرية والزحف الى الامام للاحاطه بالقوات العثمانيه

وفي الرسم يبدو ذلك الهجوم استعداداً لاحتلال تل المدفعين



هو ، الاخيضر ، وغربي برنج . وقواتهم كانت ضعيفة جداً بالنسبة الى القوات الانكليزية ، واستعدادهم كاد يكون لا شيء حيال مايقوم به الانكليز

ابتداء معركة القرنة

وفي الساعة الخامسة تماماً من صباح ٣١ ايار سنة ١٩١٥ هب العثمانيون على انفجار القذائف المنصبة على مراكزهم الامامية وعلى حصونهم الخلفية

وفي الوقت نفسه زحفت القوات الانكليزية الى الامام حسب الخطة الموضوعة لها

وفي الساعة السادسة صباحاً ركب قائد هذه القوات العام الفريق « طاوسهند » الطراد « سبيكل » تتقدمه القطعتان الحربيتان « الشيطان » و« لويس بيلي » لجمع الالغام وتسير بجانبها سائر العوامات التي تقل الجنود

اشتداد نيران الحرب

وفي الساعة التاسعة صباحاً كانت الجبهة الحربية في هذه المنطقة شعلة من نار . وزحفت قوات الفوج البنجابي للاحاطة بالمواقع العثمانية في تل نورفوك ، وزحف جنود « بلويس جونسون » الى تل الشجرة الواحدة

ودارت على بعد نصف ميل من موقع تل الشجرة الواحدة معركة شديدة بين البدو التي تعاون شرذمة صغيرة من الجنود العثمانية غير النظامية والقوات الانكليزية ، فانتهت بعد ساعة باحتلال الانكليز لهذا الموقع الحصين بعد ان قتل منهم ١٥٠ جندياً وفني الجند العثماني ورجال البدو الذين تولوا الدفاع عن هذا الموقع على بكرة ابيهم

معركة تل نورفوك

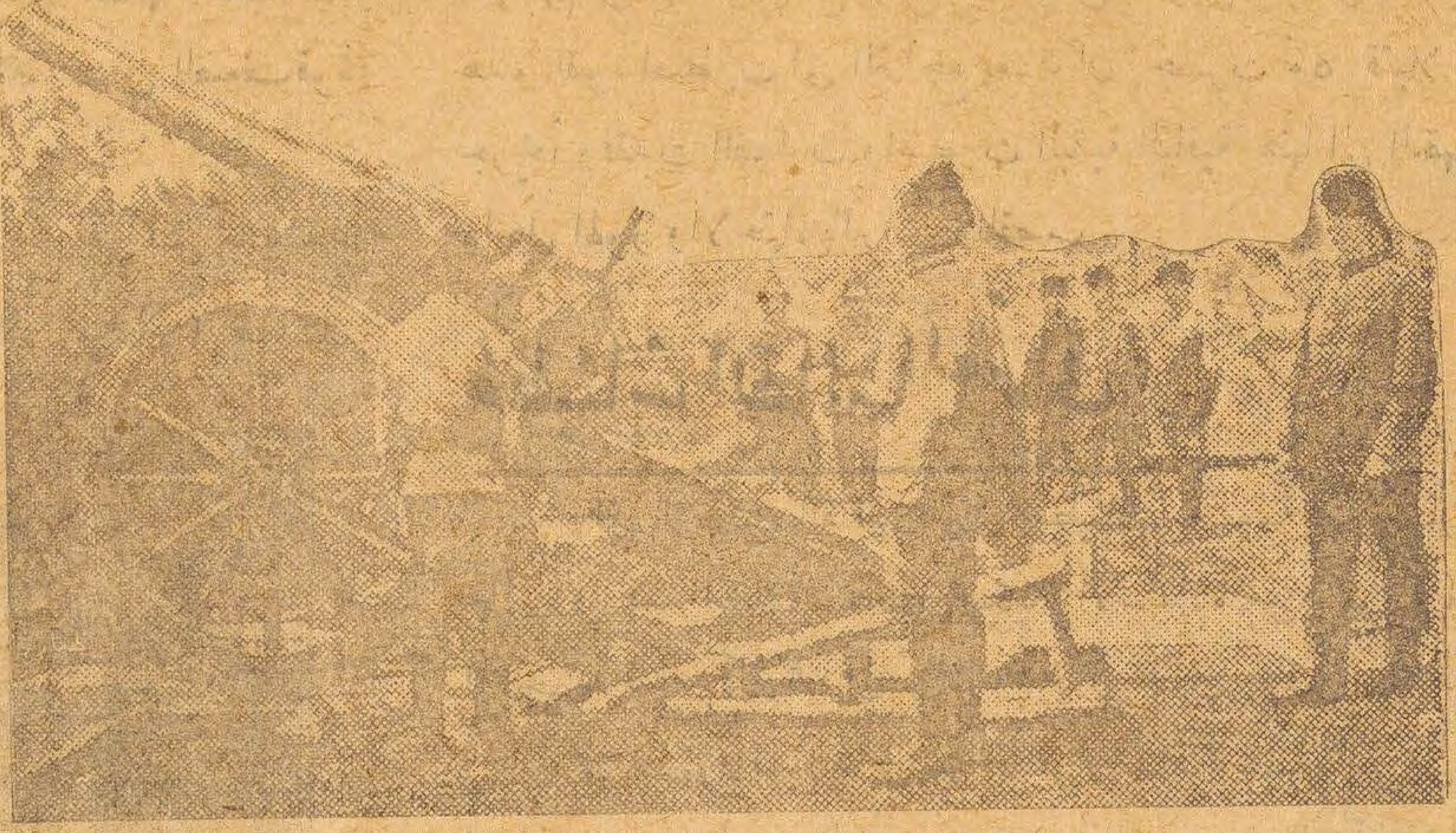
وبعد فوز القوات الانكليزية باحتلال هذا الموقع وصلت قوات فوج البنجاب الثاني والعشرين الى الجهة القريبة من تل نورفوك، ولما ابتعدت عن مرمى القذائف هاجمتها القوات العثمانية بشدة ، وكانت تحاول ارتقاء هذا المرتفع فحملتها على التراجع بعد ان قتل قائدها القائمقام « بروك » وقتل نصف افرادها

ولما شاهد الجنرال « طاوسهند » ما اصاب قواته امر المدفعية المسيطرة على سائر المراكز العثمانية بتحويل مدافعها على تل نورفوك وحوّل قسما كبيراً من جنوده الى هذه المنطقة فدارت معركة حامية بين الفريقين انتهت باشتباك الفريقين في معركة بالسلاح الابيض

الاستيلاء على الحصن

ودافعت القوات العثمانية الضعيفة بعددها دفاع الابطال عن هذا الموقع ، إلا ان القوات الغفيرة التي هاجمتها منعتها من مواصلة القتال حتى النهاية ، فاضطرت البقية الباقية منها الى الاستسلام بعد ان نزلت بها خسائر فادحة . ويمكن القول ان كل جندي عثماني دافع في هذا المعقل عنه حتى آخر نسمة من الحياة

وتقول التقارير العثمانية التي اذيعت بعد الحرب العالمية ان الثلاثمئة جندي الذين دافعوا عن هذا الحصن قتلوا وجرحوا ، وان القوات الانكليزية لما دخلته لم تجد امامها من القوات العثمانية ما يزيد على ٢٤ جندياً لم يبق في وسعهم المقاومة



حصن تل البرج الواحد

يمثل هذا المدفع القديم البالي اراد العثمانيون الدفاع عن حصونهم. وهو احد مدافع حصن «تل برج الواحد»، وقد وقف بجانبه قائده الضابط رضوان بك قبل ان يسقط الحصن ويعمد الى نسفه ثم الانتحار فيه كما يطالع قراء «الاسرار» تفصيل ذلك في هذا العدد

احتلال تل المدفعين

وحصن «تل المدفعين» دافع في البدء دفاعاً مجيداً ولم تؤثر فيه المدفعية البرية. وكان قد تمكن في الماضي من صد عدة هجمات حاولت القيام بها القوات الانكليزية المشاة للاستيلاء عليه فردها بخسائر جمة. ولكن القطع الحربية الانكليزية تسنى لها التقدم في النهر بعد سقوط الحصنين الذين سبق الحديث عنهما، تمكنت من رشق الحصن بقذائفها فاحرجته وكان قد بات بين نارين

واغتنمت القيادة الانكليزية الفرصة وارسلت قوات غفيرة من الجنود للاحاطة بالحصن واحتلاله

وشعرت القوات العثمانية المقيمة في الحصن بضعفها وعجزها عن الدفاع. فالقذائف هدت الاماكن المحصنة واشتعلت النار في مستودع الذخيرة وقضت على المدفعية العثمانية بالسكوت. وعند ذلك لم ير القائد العثماني بداً من الاستسلام، فرفع علما ابيض وانقذ البقية الباقية من جنوده وكانت في حالة مؤسفة جداً

احتلال تل البرج الواحد

اما قائد تل البرج الواحد فقد دعا قواته الى التراجع بعد ما ظهر له ما حل باخوانه. فقد ايقن ان قواته الضعيفة لا تقوى على المضي في القتال فصانها عن الهلاك. على انه وهو قائدها ابى ان يتراجع وظل واقفاً وراء مدفع قديم من طراز «كروب» يدافع عن الحصن مطلقاً القذيفة اثر القذيفة على القوات المهاجمة

ولما باتت القوات الانكليزية على باب الحصن دهشت لعدم رؤيتها احد من الجنود بينما احد المدافع في الجهة العليا يصب عليها ناره

انتحار القائد

ولما حاولت هذه القوات الارتقاء الى ناحية المدفع شاهدت الضابط امامها يصيح بها بالانكليزية قائلا:

— لا حاجة بكم الى مثل هذا العمل، فالبرج خال من الجنود، وسيذهب في هذه اللحظة بما ومن فيه!

فلما سمع الجند هذا الانذار ظنوا ان القائد يهدد ودعوه الى الاستسلام والا اطلقوا عليه الرصاص

ولكنه قبل ان يجيبهم عن انذارهم وقع الانفجار، لان الضابط كان قد وضع لغماً في مستودع الذخيرة فانفجر وقتل الضابط الباسل الذي مثل شمشون «علي وعلى اعدائي يا رب!...»، فدك الحصن وقتل معه ٤٦ جندياً من جنود الانكليز

بيد ان الانكليز فازوا

واحتلال هذه الحصون الاربعة تم عند ظهر ٣١ ايار تماماً، وبذلك بلغت القوات الانكليزية هدفها الاول، فاحتلت هذه الحصون بخسارة دون ما كان يقدره قائد الحملة الجنرال «طاوسهند» وفي وقت اقرب مما كان يظن

وعند ذلك برحت سائر القوات الانكليزية المقيمة على العوامات النهرية مقرها ووثبت الى البر تعسكر فيه

فى المنطقة التركية

والموقف في الجبهة التركية كان شديد الضعف. فالفلول

العثمانية التي تراجعت من مناطق العراق المكتسحة ملكها التعب فما استطاعت ان تتابع مقاتلة الانكليز ،على انها استمدت من الضعف قوة ورأت ان تتجهز للقتال

ولما كانت القوات الانكليزية المقبلة من البحر هي كل ما يعتمد عليه الحلفاء دعيت المدفعية العثمانية المسيطرة على « عران » الى رمي



اسرى العرب بين ايدي الانكليز

ثلاثة من العرب من مؤيدي القوات العثمانية يقعون اسرى بين ايدي الانكليز ويبدو في الرسم جندي انكليزي يحرسهم

البواخر الحربية والعوامات العسكرية بالقذائف عندما تبيت عند مدخل نهير برباخ. فنجحت الحركة ووقف قليلا تقدم الانكليز

احتلال برباخ

ورست البارجة « سبيكل » بالقرب من شاطىء برباخ واخذت تضرب المراكز العثمانية ، ثم انزلت قواتها الى البر فسارت هذه القوات الى المواقع الخلفية تحت نيران المدافع الحامية فاحتلتها واستولت على مدفعين صحراويين

والغريب ان القوات العثمانية المدافعة عن هذه المنطقة لم تتلق من قائد الفرقة امراً يشير الى التدابير الواجب اتخاذها ، كما ان العشائر المقيمة في الاهوار لم تتلق بذلك امراً ، غير ان احد القواد العثمانيين شاء القيام بما يفرض عليه واجبه فجمع قوة من المحاربين سار بهم الى مهاجمة جناح الانكليز الايمن بطريق البحر . غير ان هذه القوة اضطرت الى التراجع بعد ان خسرت ٥٠ قتيلا و١٢٠ جريحاً وفقدت القوارب واضطرت البقية الباقية منها الى التقهقر الى داخل الهور والاحتماء بالبردي والقصب .

خطيئات القائد العثماني

ولقد ارتكب القائد العثماني خطيئات جسيمة في المعارك التي جرت في هذه المنطقة . فكان بامكانه الاستفادة من قوات العشائر الموجودة لديه بكثرة وهي تملك وسائل النقل والقوارب الخفيفة ، وافرادها يحسنون تسييرها في نهر الاهوار بلباقة عجيبة وليس من سواها ادوات للنقل ولحرب المناوشات والاستطلاع . ولو لم يكن للقوارب هذه القيمة الحربية الكبرى لاستغنى الانكليز عنها ، بيد انهم صنعوا الكثير منها واستعملوها في ميدان القتال

الا ان القيادة العثمانية اهملت هذه الناحية كل الاهمال ، فلم تعرف كيف تستفيد من هذه القوارب

والوثائق التي نشرت بعد ذلك دلت على ان القوات العثمانية في هذه الجبهة ما كانت تعرف شيئاً عن الهجوم الانكليزي ، ولم تتثبت منه الا بعد ما سمعت قصف المدافع الثقيلة ، وكان الانكليز قد بلغوا سراً قلب الجبهة ، ولم يبق لدى القوات العثمانية الوقت الكافي للدفاع عن اماكنها

سكوت في الجبهة

وبعد ان تم للانكليز ما ارادوا من احتلال برباخ وحصون المقدمة الاولى عمدوا الى وقف القتال في هذه الجبهة وانصرفوا الى الاستعداد للمعركة الفاصلة الكبرى

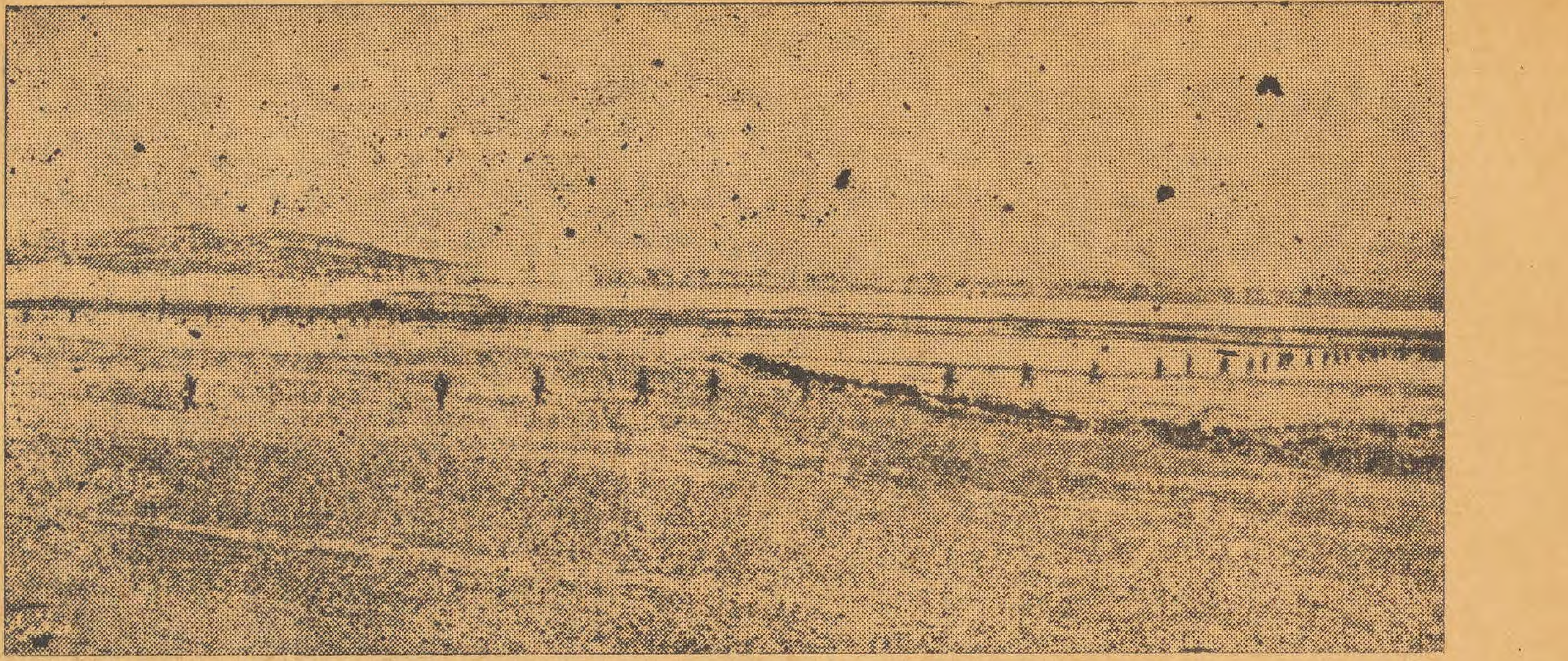
اما القيادة العثمانية فكانت في ذلك اليوم في حالة تضعضع شديد لا تعرف ما تعمل في سبيل الدفاع عن هذه المنطقة

الاستعداد لمعركة اول حزيران

وفي المساء عقد اركان حرب الجيش البريطاني اجتماعاً وضعت فيه خطة الهجوم الجديد ، وهي الزحف على « عران » . وتقرر في هذا الاجتماع ما يلي :

اولا — متابعة الخطة الاولى في السير الى الامام ، على ان يتولى اللواء السابع عشر الانكليزي ادارة هذه الحركات الحربية

ثانياً — يتولى اللواء الـ ٢٢ من قوات البنجاب تعزيز اللواء



جبهة القتال العراقية في الاهواز

منظر فريد نادر للقوات الانكليزية وهي تطارد القوات العثمانية على خط الاهواز . وتبدو في هذا الرسم قذائف الانكليز تتساقط على مقدمة الجبهة لحماية القوات الزاحفة السائرة على خط مستقيم

السابع عشر الذكور .

ثالثاً — تبدأ معارك الصباح باطلاق القذائف من البر والبحر لهدم الحصون العثمانية القائمة على مرتفعات عران لتأمين سير قوات المشاة وبلوغها هدفها

المدفعية الانكليزية تبدأ عملها

وقبل شروق شمس اول حزيران بدأت المدفعية الانكليزية من البر والنهر اطلاق قذائفها بشدة على المراكز العثمانية ،فكانت خطراً شديداً على هذه الجبهة

وشلت هذه المفاجاة الجديدة حركات العثمانيين الذين باتوا في موقف لا يقوون معه على الثبات تحت نيران هذه المدفعية

والاخبار الراهنة تؤكد ان المدفعية العثمانية في هذه المراكز كانت في حالة لا تساعدها على مقابلة المدفعية الانكليزية . ولذا لم يصب الهدف . واضطرت اخيراً الى السكوت

تضعضع العثمانيين

وكتب احد الضباط العثمانيين عن هذه المعركة يقول :

« ثارت مدافع العدو — اي الانكليز — صباح اول حزيران ١٩١٥ ثورة هائلة . فكانت شديدة الوطأة واحدثت اضراراً جسيمة لم تفسح المجال لثبات المدافعين في اماكنهم الضيقة والمحاطة بمياه الهور ، فاضطروا الى التقهقر وقد ركب بعضهم السفن الشراعية والقوارت والبواخر ، وسار الآخرون مشياً على ضفتي دجله جاهلين ما يعترضهم في الطريق من المياه والمستنقعات والعقبات الاخرى التي قد تؤدي الى ضياعهم وهلاكهم »

الطائرات في المعركة

ولم تشترك الطائرات الحربية في معارك العراق قبل هذا التاريخ. ولم يسبق للعشائر العربية التي اشتركت مع القوات العثمانية في معارك العراق أن رأت هذه الطائرات تسبح في الجو

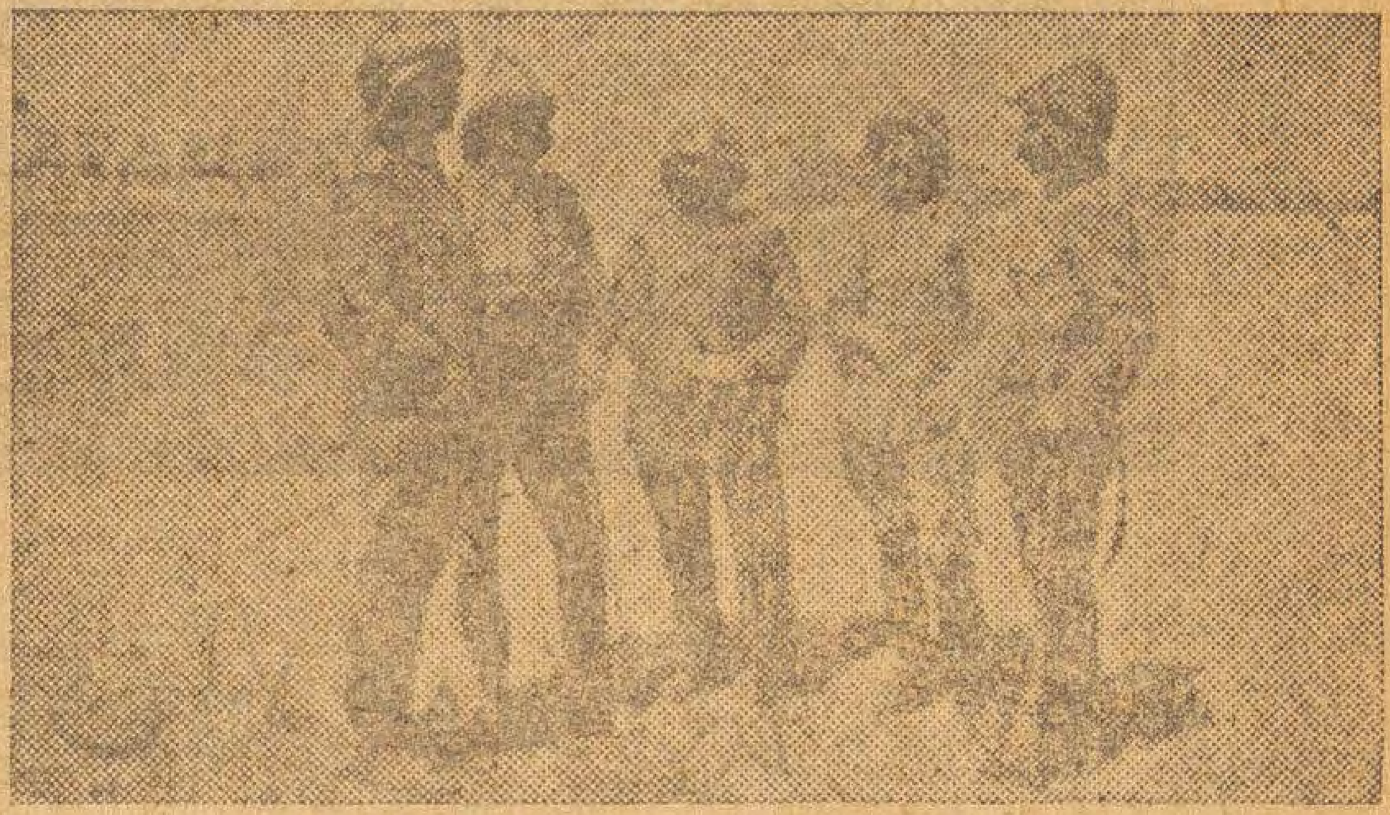
وفي صباح اول حزيران اوفدت القيادة الانكليزية ثلاث طائرات من البصرة للاشراف على سير القتال والاطلاع على حركات الجنود العثمانية

فدهشت القوات العربية لدى رؤيتها هذه الطائرات واخذت تحدق الى هذا الطائر العجيب وقد سمته يومئذ « البعير الطا‍ ان عجبها هذا ما لبث ان زال وحل محله الخوف لما

الطيار » يلقي قذائفه عليها . فتشتت عند ذاك شمل هذه القوات بهلع رائع . ويمكن القول ان ظهور الطائرات الانكليزية ساعد كثيراً في هدم الجبهة العثمانية في العراق وضعضع القوات العثمانية دون ان تبدي مقاومة

هزيمة العثمانيين

وقائد الفرقة حليم بك كان مخطئاً في ادارة الجهات الحربية



قواد الحملة العثمانية في العراق

القائد حليم بك المسؤول الاكبر عن الفشل الرائع الذي اصاب القوات العثمانية في العراق وقد وقف في المقدمة عن اليمين وبجانبه ضباط اركان حربه

في هذه الجبهة ، كما سبق ايضاحه . وزاد على ذلك خطيئة او بالاحرى خيانة جديدة اذ انه امر قوات الفرقة الرئيسية بالانسحاب الى الشمال واخلاء بلدة عران . وقبل ان يؤمن تراجع هذه القوات بصورة منظمة كما يقتضي بذلك واجبه ، بصفة كونه قائداً مسؤولا عن هذه القوات ، استقل زورقاً بخاريا واندفع به الى « العمارة » . اما قواته ، وكانت لديها مدافع ثقيلة كافية ومعدات حربية وافرة ، فقد ركبت البواخر والزوارق من عران الى العمارة وسارت في النهر ببطء شديد

مطاردة الانكليز

وما زالت القوات الانكليزية حتى ذلك الحين في تقدمها البطيء ، وقد جاءها ان القوات العثمانية في المنطقة كثيرة العدد ، ولم تكن تعتقد ان مجرد رمي هذه الجبهة بالقذائف يكفي لقهر العثمانيين .

ولقد دهشت القيادة لما ابلغتها احدى الطائرات ان القوات العثمانية تقهقرت بذلك الشكل الزري . وتبدلت خطة القيادة الانكليزية

وتبدل الموقف اذ لم يبق من حاجة لتنفيذ خطة الهجوم التي وضعتها القيادة ، بل امسى يكفي مطاردة القوات المتراجعة قبل ان تتجمع في جهة اخرى . وعلى اثر ذلك اذيعت الاوامر السريعة بالشروع في هذه المطاردة العنيفة .

احتلال عران

وتقدمت القوات الانكليزية دون مقاومة تذكر واحتلت « عران » فاذا هي خالية تماماً من السكان . ويمكننا ان نؤكد ان القوات الانكليزية في اعمالها هذه ، التي بدأت قبل شروق الشمس وانتهت بعد الظهر ، لم تفقد جندياً واحداً

بعد فوز الانكليز

وبعد ان تم الفوز بهذه الصورة للقوات الانكليزية اذاع القائد الانكليزي امراً هذا نصه :

اولا — على قائد الفرقة السادسة ان يسير الى قبر عزرا في العزيز

ثانياً — على اللواء السادس عشر ان ينزل على الفور من السفن حاملا معه الامتعة والخيام والارزاق التي تكفيه لمدة عشرة ايام

ثالثاً — على آمر اللواء السادس عشر ان يوفد اليوم فوجاً الى المزرعة ، واما باقي اللواء فيظل في عران . وسيرسل في طلبه عندما يتيسر ذلك للسفن في « قبر عزرا — العزيز — سفود » التي تنقل اللواء السابع عشر الى عران

رابعاً — تظل البطارية الجبلية الثلاثون في عران تحت امر قائد اللواء السادس عشر

خامساً — على اللواء السابع عشر وعلى نصف السرية النسافة ٢٢ ان يركبا المراكب الثلاثة حاملين باقي الارزاق ، وذلك عند نزول اللواء السادس عشر من هذه المراكب

سادساً — على كتيبة مشاة « تل نورفوك » ان تركب السفينة وترافق اللواء السابع عشر .

سابعاً — على المدفعية النهرية ، ما عدا المدفع عيار ١٨ الذي يجب بقاؤه موقتاً في عران ، ان ترافق اللواء السابع عشر ، وتلتحق ببطارية الميدان ٦٣ باللواء السابع عشر

ثامناً — على قائد اللواء السابع عشر ان ينظم هذا الانتقال

قائد الفرقة السادسة
طاوسهند



الهلال الاحمر في جبهة العراق

لم يكن لدى العثمانيين سيارات ومركبات لنقل الجرحى في الجبهة العراقية ، فكانوا يستخدمون الجمال لنقل جرحاهم. وهذا المنظر اخذ في عران وهو يمثل مفرزة الهلال الاحمر يقودها الضابط الطبيب احسان بك وقد رفع على رأسه قبعة من الفلين

وعلى اثر هذا الامر العسكري المعلن في « برباخ » ابرق « طاوسهند » الى السير جون نكسون، القائد العام للحملة الانكليزية في العراق ، يعلمه ما توقع له . واستقل الباخرة الحربية « سبيكل » ووجهته « عران » ليشرف على تنفيذ اوامره الى قواد فرقته

ولدى وصوله الى عران وصل القائد العام وعقد فوراً مجلساً عسكرياً بحث فيه التدابير الواجب اتخاذها لمتابعة حركات الحملة لاحتلال العمارة

قوات العشائر

اما قوات العشائر الموالية للعثمانيين والمقيمة على ضفة الهور فقد روى قائدها كيف تراجع فقال :

ــ لما رأيت ان لا فائدة ترجى من بقائي مع العشائر التي اتولى امرها في الهور بعد انخذال الجيش النظامي العثماني هذا الانخذال الشائن ، امرتها بالتقهقر الى العزيز على امل ان استطيع نجدة الفلول المتراجعة وتثبيتها في محل موافق للدفاع. فتراجعنا في زوارقنا سالكين طريق الهور حتى وصلنا عند الاصيل الى العزيز ، فاذا فلول الجيش والمجاهدين من العشائر تتراجع نهراً وبراً في حالة يرثى لها من التعب والهوان والاسطول الانكليزي يطاردها بشدة ويصليها ناراً حامية

« ورأينا الباخرة التركية « مريس » شعلة من نار ، فان ربانها رأى مياه (دجلة) لاتسعف باخرته لضخامتها فاضطر الى احراقها واقامها وسط النهر ليحول بها دون تقدم الاسطول النهري البريطاني ولو لبعض الزمن

« اما نحن ، اي انا والعشائر ، فقد بتنا ليلتنا في «المجر الكبير» عند الشيخ مجيد الخليفه من رؤساء عشائر ابي محمد التي اتولى الامر فيها»

***

هذا هو موقف القوات العثمانية في مساء اول حزيران ، وفي ذلك اليوم زحفت القوات الانكليزية لمطاردة القوات العثمانية واحتلال العمارة .

ووقعت بعد هذه الحوادث معارك دموية شديدة في المنطقة العراقية سنعود الى تفصيلها في جزء آخر من « الاسرار »

الموقف بعد الفشل

والمؤسف ان القيادة العثمانية العليا كانت جاهلة جهلا تاماً

حقيقة الامور في البلاد

اجل ، لقد حكم العثمانيون العراق سنوات طويلة الا انهم والحق يقال لم يكونوا يعرفون القطر العراقي معرفة تامة . وهذا الجهل في



ضحايا المجازر البشرية

منظر فئة من القتلى بعد جمعها في جبهة القتال استعداداً لدفنها

حقيقة البلاد ونفسية الشعب مما دعا الى خذلانهم في المعارك التي خاضوا في العراق غمارها

اخلاص العرب

والمؤلفات التي وضعها الترك والانكليز اثبتت بصراحة ان القبائل العربية في لواء الموصل التفت باجمعها حول القوات العثمانية وقامت بمقاتلة الانكليز . وكان بالامكان الاستفادة من هذه القوات لو احسن

قادتها ادارتها ، غير ان القواد العثمانيين القابضين على ناصية الامر في الجبهة العراقية كانوا في حالة من الضعف لا تساعدهم على تسيير حركات قواتهم ولذا فشلت هذه الحملة ذلك الفشل الرائع الذي اوضحناه

يتلاعبون بالاعاشة

والمذكرات التي نشرها القائد عثمان خلوصي بك باللغة التركية عن هذه المعركة تبين لنا ناحية غامضة من اسباب فشل العثمانيين في هذه المعركة والمعارك الاخرى التي سننقلها في حينها الى قراء «الاسرار» .

قال خلوصي بك :

— امير آلالاي حليم بك رجل اناني يعتقد انه لم يوفد الى العراق ، ذلك البلد البعيد ، الا ليؤمن لنفسه مستقبلا باهراً . ولكن

ليس بالدفاع المجيد عن الوطن وادراك الفوز بل بالخيانة. ولهذا رأيناه منذ تولى مقدرات الفرقة في الجبهة يعمل على مطاردة القبائل بضغط وشدة للحصول على الحبوب. ومن المؤسف ، وهو ما نرويه للحقيقة والتاريخ ، ان هذا القائد لم يكن يحاول تأمين حاجات الجيش بل المتاجرة بالحبوب وجمع ثروة طائلة .

«ولقد نجح في ذلك». واكدت لنا الاخبار الراهنة انه ارسل مع قريب له ٢٠ الفاً من الليرات الذهبية في شهر اذار، ثم عاد وارسل مثلها في نيسان . وهذه الاموال هي نواة الثروة الفاحشة التي يتمتع بها الرجل في الوقت الحاضر

« ولم تقف مساعي هذا القائد عند هذا الحد بل عمد الى الاتفاق سراً مع القائد الانكليزي « طاوسهند » على الخيانة . فتناول مبلغاً من المال يقال انه زاد على ٢٠ الفاً من الليرات الذهبية في مقابل تدبير خطة التراجع التي وقعت في صفوف العثمانيين . وقد رأينا من نتيجة هذه الخيانة ما كان في معارك الاهواز ثم في استلام حليم بك نفسه معمئات من جنوده الى القائد طاوسهند ، على حين لم يكن لدى طاوسهند غير عدد قليل من الجنود »

هذا ما كتبه القائد التركي في مذكراته التي نشرها سنة ١٩٣٥، وفي ما رواه تهم خطيرة لم يسبق لمؤلف ممن وصفوا تلك المعارك ان اشار اليها بمثل هذه الصراحة

المجاعة في الجيش

وهناك حقيقة راهنة تؤيد اقوال هذا الضابط التركي وهي حالة الجيوش التي خاضت معارك القتال . فالمذكرات التي نشرها الجنرال « نكسون » دلت على ان القوات التي وقعت في الاسر بعد هذه المعارك كانت في حالة مؤسفة

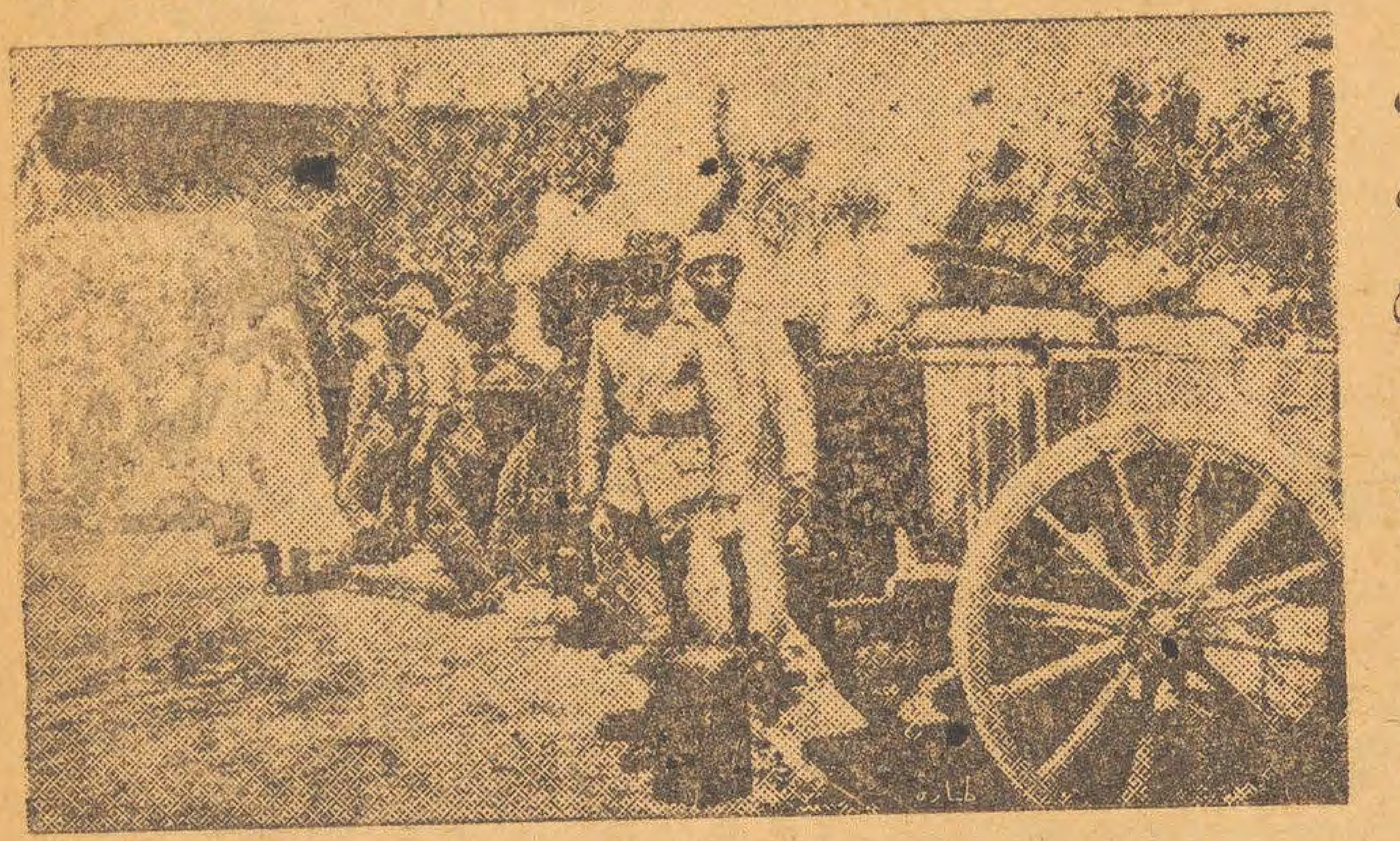
وقد صرح الكثيرون بانهم لم يتناولوا منذ ثلاثة ايام خبزاً

وهذا الايضاح الذي اورده القائد الانكليزي جاء ما يعاكسه في تقارير نور الدين باشا القائد العام للقوات العثمانية العراقية. فالقائد العثماني يؤكد ان القوات كانت تتلقى اعاشتها زيادة على ما كانت تتناول سائر القوات . فاين امست هذه المواد ؟

ألا تؤيد تقارير القائد العثماني قول خلوصي بك من ان قائد الفرقة تلاعب باعاشة الجنود قصد شل حركتهم والقاء العراق بين ايدي الانكليز ؟

خديعة الشعب

واذا كان حليم بك قد خان وسلم البلاد الى الاعداء فان اركان الحكومة خدعوا الشعب بالبلاغات الرسمية التي اذاعوها في اثناء الحرب . اجل ، كان الحلفاء يذيعون في ايام الحرب بلاغات يحاولون بها ان يخففوا من تأثير الانكسار الذي يصيبهم ؛ الا انهم على كل حال ما كانوا يقلبون الحقيقة ويشيرون الى انتصارهم في معارك خذلوا فيها



✻مطابخ للجنود العثمانية في الجبهة✻

يمثل هذا الرسم مطابخ العثمانيين في مؤخرة الجبهات الحربية في العراق

وجميع ما لدينا من بلاغات اذاعها في القاهرة الحلفاء عن حوادث الحرب العالمية اكبر دليل على ما نقول

البلاغات العثمانية

لقد حاول العثمانيون في البلاغات الرسمية التي اذاعوها تشويه الحقائق كثيراً . وقراء « الاسرار » الذين طالعوا في ما تقدم الاخبار الحقيقية عن معارك القرنة والاهواز يهمهم ان يطالعوا البلاغات العثمانية المنشورة في ذلك الحين وهي من الوثائق التاريخية النادرة، وهذا هو البلاغ الاول منها :

« وردت برقية من قائد القوات العثمانية المظفرة في الجبهة العراقية تدل على ان القوات الانكليزية حاولت مراراً متعددة احتلال مراكزنا الامامية الا انها فشلت نهائياً وردت على اعقابها »

واذاعت في اليوم نفسه بلاغاً اخر لا يقل غرابة عن الاول وقد جاء فيه:

« حاولت احدى مدفعيات العدو ان تقترب من احد سدود الفرات غربي القرنه . فاقصتها عنها نيران جنودنا المحافظة

« وفي صباح اليوم التالي حاول العدو بمعاونة مدفعياته في النهر ان يقوم بهجوم من البر ، فقابلته جنودنا بعنف اضطره الى

التقهقر، على ان خسائر العدو لم تعلم حتى الان، ولكن يظن انها كثيرة جداً»

ومن نص هذين البلاغين وقد نشرا بعد معركة القرنه بثلاثة ايام يبدو لقراء «الاسرار» انهما لا يحملان شيئاً من الحقيقة، بل هما محشوان اخباراً متناقضة. ويظهر ان القيادة ادركت خطأها في اذاعة هذين البلاغين فعادت الى اقناع الاهلين بحقيقة فوزها فنشرت بلاغاً ثالثاً جعلته تفسيراً للبلاغين الاولين قالت فيه:

« ان العدو الذي دحرناه ورددناه بنجاح في غربي القرنه في جوار قلعة النجم، كما ورد في بلاغ امس، جاء بنجدات اخرى وابتدأ في الساعة العاشرة ليلا بالهجوم على مراكزنا. واستمرت المعركة حامية الوطيس حتى الساعة الثانية بعد الظهر وانتهت بانكسار العدو وتشتيته، وخصوصاً عند جناحنا الايمن

« كان العدو قد شحن جنوداً ومدافع ورشاشات في الزوارق التي تقوى على الانتقال في المجاري المسماة «اهواراً» والتي تصب في الفرات شرقي قلعة النجم. واندس خلف جناحنا الايمن محاولا الاحاطة بنا، الا ان ما اظهره جنودنا ومجاهدونا في هذا الجناح من الثبات اضطر العدو الى الانهزام التام وتراجع مشتتاً مقهوراً، حتى ان الانكليز الذين لم يتمكنوا من العودة الى الزوارق فروا تاركين في النهر سلاحهم ومدفعين رشاشين

« وقد نزل بالعدو في هذه المعركة خسارة تزيد على الف قتيل وجريح، وبين القتلى قائد انكليزي برتبة ميجر وضابطان »

بلاغ رابع

وفي اليوم نفسه اذيع بلاغ آخر هذا نصه:

« تقدمت فصيلة من جنودنا الظافرة من معسكر الجناح الايسر في المنتفك وكمنت للعدو، فنجحت وانتهى الكمين بمصادمة تحولت الى معركة استمرت من نصف الليل حتى الى ما بعد ظهر اليوم التالي

« ورغماً من نيران مدفعية العدو الشديدة دحرنا طلائع العدو وانزلنا به خسائر فادحة. وعددنا قتلاه الذين تركهم في ساحة اشجار البلح ولم يقو على نقلهم فبلغوا خمسمائة قتيل بينهم ضابط انكليزي. وعدا ذلك فالعدو شحن باخرتين بقتلاه وجرحاه وهرب بهم. اما خسائرنا ولله الحمد فهي استشهاد ملازم وخمسة جنود وجرح واحد وعشرين جندياً فقط

« وكان العدو يطلق مدافعه الضخمة على نقطة واحدة من مواقعنا.

« ومما يستحق الذكر انه اطلق ٢٠٠ قذيفة وجرح جندياً منا جرحاً خفيفاً »

البلاغ الخامس

وبعد يومين عاد العثمانيون واذاعوا بلاغاً آخر قالوا فيه:

« حاول العدو بعد مرور ثلاث ساعات على المعركة التي وقعت في قلعة النجم ان يهجم بما بقي لديه من القوة على جناحنا الايسر فدحرناه بعد ان قتل منه قائمقام مدفعية وغرق اربعة مراكب هي مستودعات ملأى بالذخائر والارزاق

« اما في جناحنا الايمن فقد ترك العدو نحواً من مئتي قتيل تحت رابية كان يحتلها بلوك واحد فقط من جنودنا البسلاء »

البلاغ السادس

«هجم مجاهدونا وطلائع الجيش على جناح العدو الايمن المقيم شرقي قلعة النجم

«وقد دامت المعركة اربع ساعات اضطر العدو في نهايتها الى التراجع بجناحه

« واغرقت نيران مدفعيتنا باخرة للعدو ملأى بالارزاق »

***

هذه هي البلاغات الرسمية التي اذيعت في ذلك الوقت، وليتأملها قراء «الاسرار» وليقارنوا بينها وبين الحقيقة التي اثبتناها اعتماداً على اوثق المصادر الرسمية

اسرار الحرب الكبرى

بقلم كرم ملحم كرم

بطولة الالمان في البحار تظهر بقوة رهيبة تقلق اساطيل الحلفاء
طراد الماني واحد يغرق عشرات السفن

الرئيس ولسون يحتج

لم ينتشر الاسطول الالماني في المحيط الاتلانتيكي والبحر المتوسط فحسب ، بل جاوزهما الى البحار الاخرى . فشق صدر المحيط الهندي والمحيط الهادىء ، وجال بين جزر اوقيانوسيا . ولما اعلنت الحرب الكبرى كان اسطول امير البحر الالماني « فون سبي » في جزيرة « ياب » ، بين جزائر « الفيليبين » وجزائر « ماريان »

وهذا الاسطول مؤلف من طرادين كبيرين هما « شارنهورست » و « جنايسينو » ، ومحمول كل واحد منها احد عشر الفاً وستمئة طن ، ومن الطرادات الصغيرة « امدن » و « ليبزيغ » و « نيرنبرغ » ، كما ان هناك سبع نسافات انتشرت في شواطىء الصين وانهرها الكبرى ، وجالت نسافتان في مياه افريقيا الغربية هما « ايبر » و « بانتر » ، وانطلق الطراد الصغير « كانيغسبرغ » في الشواطىء الشرقية ، اما الطرادات « بريمن » و « درسدن » و « كارلسروه » فقد ارتادت سواحل اميركا

في اميركا الجنوبية

ولما اتصل بامير البحر « فون سبي » نبأ الحرب الكبرى اتجه الى اميركا الجنوبية ليجمع القطع البحرية الالمانية المنتشرة في المحيط الهادىء ، وينسف ما يلقى في طريقه من قطع الاعداء . وفي ٣١ تشرين الاول ١٩١٤ كان على شاطىء « شيلي » امام مدينة « فالباريزو »

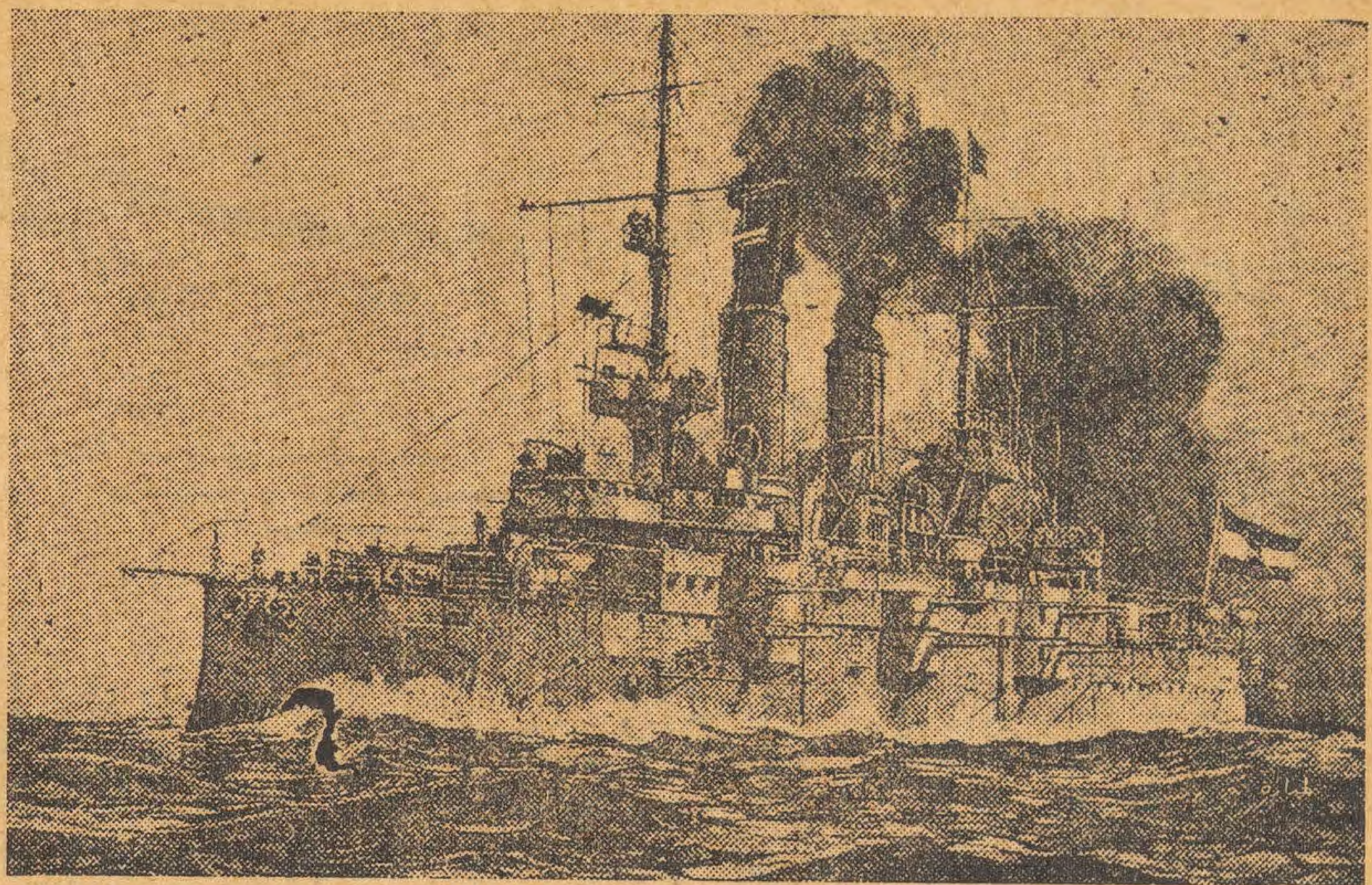
ومعه خمس سفن هي « شارنهورست » و « جنايسينو » و « درسدن » و « ليبزيغ » و « نورنبرغ » وفي نيته ان يهاجم الاسطول الانكليزي المعقود اللواء لامير البحر « كرادوك » وقد اخذ يحتشد في « سانتا ماريا »

معركة في مياه « شيلي »

والاسطول الانكليزي كان مؤلفاً من طرادين كبيرين « غودهوب » ومحموله اربعة عشر الفاً وثلاثمئة وثلاثون طناً ، و « مونموث » ومحموله تسعة آلاف وتسعمئة وستون طناً ، ومن طراد صغير « غلاسكو » ومحموله اربعة آلاف وتسعمئة طن ، ومن طراد آخر « اوترانتو » ــ وهو في اصله باخرة تجارية ــ ويزيد محموله على اثني عشر الف طن

وهذا الاسطول كان بانتظار الطراد « كانوبيس » وقد اتجه الى اطراف اميركا الجنوبية

وفي اول تشرين الثاني ١٩١٤ بدأ الاسطول الالماني هجومه عند رأس « كورونل » ، وبعد ساعة من الزمن ربح الالمان المعركة وقد ابلت فيها مدافعهم البلاء الحسن . فغرق الطرادان « غودهوب » و « مونموث » الانكليزيان ، وما نجا الطرادان الآخران لولا ظلمات الليل



المدرعة النمسية

« هابسبورغ »

جاء في هذه النشرة من « الاسرار » ان الاسطول النمسي ظل في بحر الادرياتيك لا يبرحه منذ اعلان الحرب الكبرى . والمدرعة البادية في هذا الرسم احدى قطع اسطول النمسا. فهي المدرعة « هابسبورغ » من اجمل المدرعات النمسية وافخمها ، وقد استولت عليها حكومة ايطاليا

انكلترا تغضب

وساء انكلترا ان تلقى هذه الصدمة. فحشدت في المياه الاميركية كل ما لديها من قوات بحرية جاهزة للقتال . وعضدها في ذلك اسطول ياباني واسطول اوسترالي . واقام الاسطول الانكليزي عند جزر « فالكلاند » شرقي مضيق « ماجيلان » . فكانت هناك الطرادات « انفنسيبل » و « انفلكسيبل » ومحمول كل منهما عشرون الف طن ، والطراد « كانوبيس » ومحموله ثلاثة عشر الفاً وخمسمئة طن ، والطرادات المصفحة « كارنافون » ومحموله احد عشر الف طن ، و « كورنوول » و « كنت » ومحمول كل منهما عشرة آلاف طن ، والطرادان الصغيران « بريستول » و « غلاسكو » ومحمول كل منهما اربعة آلاف وتسعمئة طن

موقف الاسطول الالماني

ورفض امير البحر الالماني « فون سبي » ان يشتت سفنه . فظل يحشدها ككتلة واحدة . ولقد نجا في المحيط الهادىء من الاسطولين الياباني والاسترالي ، واجتاز رأس اميركا الجنوبية وبلغ شرقي جزر « فالكلاند » . وفي ٨ كانون الاول ١٩١٤ لقي الطراد الالماني « نيرنبرغ » في مدخل خليج « بور وليم » الطرادين الانكليزيين « كنت » و « غلاسكو » ، فاعتزم امير البحر « فون سبي » مهاجمتهما وما اطلق مدافعه الاولى عليها حتى اقبل الاسطول الانكليزي باجمعه. والاسطول الانكليزي كان اعظم قوة من الاسطول الالماني .

فكتب له النصر واغرق اربع سفن المانية

السفن الالمانية المفقودة

وهذه السفن الاربع هي : « شارنهورست » وقد غرقت بكل من فيها ، حتى بقائد الاسطول امير البحر « فون سبي » ، و « جنايسينو » غرقت ولم ينج من رجالها غير ١٨٥ رجلا ، و « نيرنبرغ » وما نجا منها غير سبعة ، و « ليبزيغ » وقد نجا منها ١٨

واستطاع الطراد « درسدن » وحده بلوغ سواحل « شيلي » ، فهاجمه في ١٣ اذار ١٩١٥ الاسطول الانكليزي ، ولما امسى عاجزاً عن المقاومة اغرقه ربانه ولجأ رجاله الى « شيلي » نفسها

بطولة الالمان في البحار

ومع كل ما بلي به الالمان من نكبات في البحار شهد لهم الجميع بالمقدرة والبسالة ، حتى الحلفاء انفسهم. فان مغامرة امير البحر « فون سبي » مما يستحق كل اعجاب . فالحزم البادي من هذا القائد الصلب العود دل على الجبروت الالمان القهار. ولما اتصل بمسامع الحلفاء نبأ تغلب الاسطول الانكليزي على الاسطول الالماني في المياه الاميركية قال السيد « ونستون تشرشل » وهو من كبار رجال السياسة الانكليزية : « ان معركة « فالكلاند » انقذت بحار العالم من الاسطول الالماني !... »

ولكنه في الزوايا بقايا !

على ان اسطول امير البحر « فون سبي » ابقى بعده من عرف

كيف يتابع خطته ويكتب لالمانيا صفحات المجد خالدة على ممر الدهر

فقد بقيت هناك سفينتان تنجوا من البطش الانكليزي هما الطراد « كانيغسبرغ » والطراد « امدن »

فالاول جال جولات موفقة في المحيط الهندي وازعج الحلفاء كل الازعاج، الا انه اضطر اخيراً الى الالتجاء الى نهر افريقي، فدرى به اعداوه وحبسوه فيه في ٣٠ تشرين الاول ١٩١٤ ، وقد ظل بامان حتى ١١ تموز ١٩١٥ ،وعندذاك هدمه الحلفاء

عجائب الطراد « امدن »

غير ان ما قام به الطراد « امدن » لم يسبق لطراد آخر ان قام به . كانت حياته دون حياة الطراد « كانيغسبرغ » الا انها اوفر خصباً باعمال البطولة . فالطراد محموله ثلاثة الاف وستمئة طن ، يقوده الربان الباسل « فون موللر » ، فانطلق في ٤ آب من مرفأ « تسين تساو » الصيني واسر مركباً روسياً حوله الى طراد معاون . ووقف امام خليج « بنغال » ليراقب حركات التجارة الواسعة في ضواحي « كالكيتا » في الهند

وكان يلتقط الانباء اللاسلكية ويقف على مضمونها. فتصل به انباء البواخر المقبلة الى ذلك المرفأ الفسيح . وتسنى له في ثمانية ايام ان يأسر تسع بواخر . الا انه لم يحتفظ بها بل اغرقها بعد انقاذ ركابها

وفي ٢٢ ايلول ظهر امام « مادراس » واطلق قذائفه عليها. غير ان البواخر شعرت به فاقامت منه على حذر وصعب عليه الاستيلاء على واحدة منها . فانتقل الى بحر « اومان » . وفي ثلاثة ايام توفر له ان يأسر ست بواخر . على انه شعر بحاجته الى الفحم . فاندفع بجرأة متناهية الى الجزيرة الانكليزية « دياغو غارسيا » وكانت لا تزال تجهل نبأ اعلان الحرب . فلقي فيها كل ترحيب . وفي اواسط تشرين الاول بدأ حملاته في مياه « سيلان » واسر سبع بواخر بينها باخرة تحمل فحماً جاءته بما يحتاج اليه من مؤونة

اضطراب الانكليز

فاضطرب الرأي العام الانكليزي وقد كلف الطراد « امدن » التجارة الانكليزية خمسين مليون فرنك ذهباً . فاعتزمت قيادة البحر العامة في لندن ان تطارده بعزم . وانطلقت في اثره طرادات متعددة تنتمي الى مختلف الدول ، الى روسيا واليابان وفرنسا وانكلترا

ولكن الطراد « امدن » تنكر في ٢٨ تشرين الاول ١٩١٨ بمظهر انكليزي ودنا من الطراد الروسي « جونستشوغ » الراسي في « بولوبينانغ » بالقرب من « مالاكا » ورشقه بالقذائف. وفي اليوم نفسه هاجم النسافة الفرنسية « موسكه » واغرقها مع كل ما ابدت من مقاومة باسلة . فضاق به الحلفاء ذرعاً. وفي ٢ تشرين الاول هاجمه في جزائر « كوكو » الطراد الاوسترالي « سيدناي » في الجنوب الشرقي من « جاوى » . وما اطلق عليه بضع قذائف حتى اشتعل وتوغل في رمال الشاطىء . وايقن ربانه « فون موللر » بان الهزيمة نصيبه فرفع العلم الابيض

واعجب الملاحون الاستراليون بانفسهم وقد اسروه ، لم يكن منهم الا ان احسنوا معاملته . وبالطراد تواري « امدن » اعظم الخطر على سفن الحلفاء في البحار

اسطول فرنسا

بعدما خاضت انكلترا الحرب الى جانب فرنسا اطمأن الاسطول الفرنسي كل الاطمئنان، وعهد الى انكلترا بشؤون المحيط الاتلانتيكي وانسل معظمه الى مياه البحر المتوسط يؤمن انتقال الجند من مستعمرات فرنسا الى مرسيليا والشواطىء الفرنسية الاخرى . وساعدته في هذه المهمة طرادات انكليزية . وما لبث بعدها ان شطر الى شطرين ، الشطر الاول اقام بالقرب من « تينيدوس » للاشراف على حالة تركيا اللاعبة بها المانيا، والشطر الاخر — وهو الاقوى — اتجه الى « مالطه » يسد على الاسطول النمسي الجاثم في بحر الادرياتيك فوهة هذا البحر

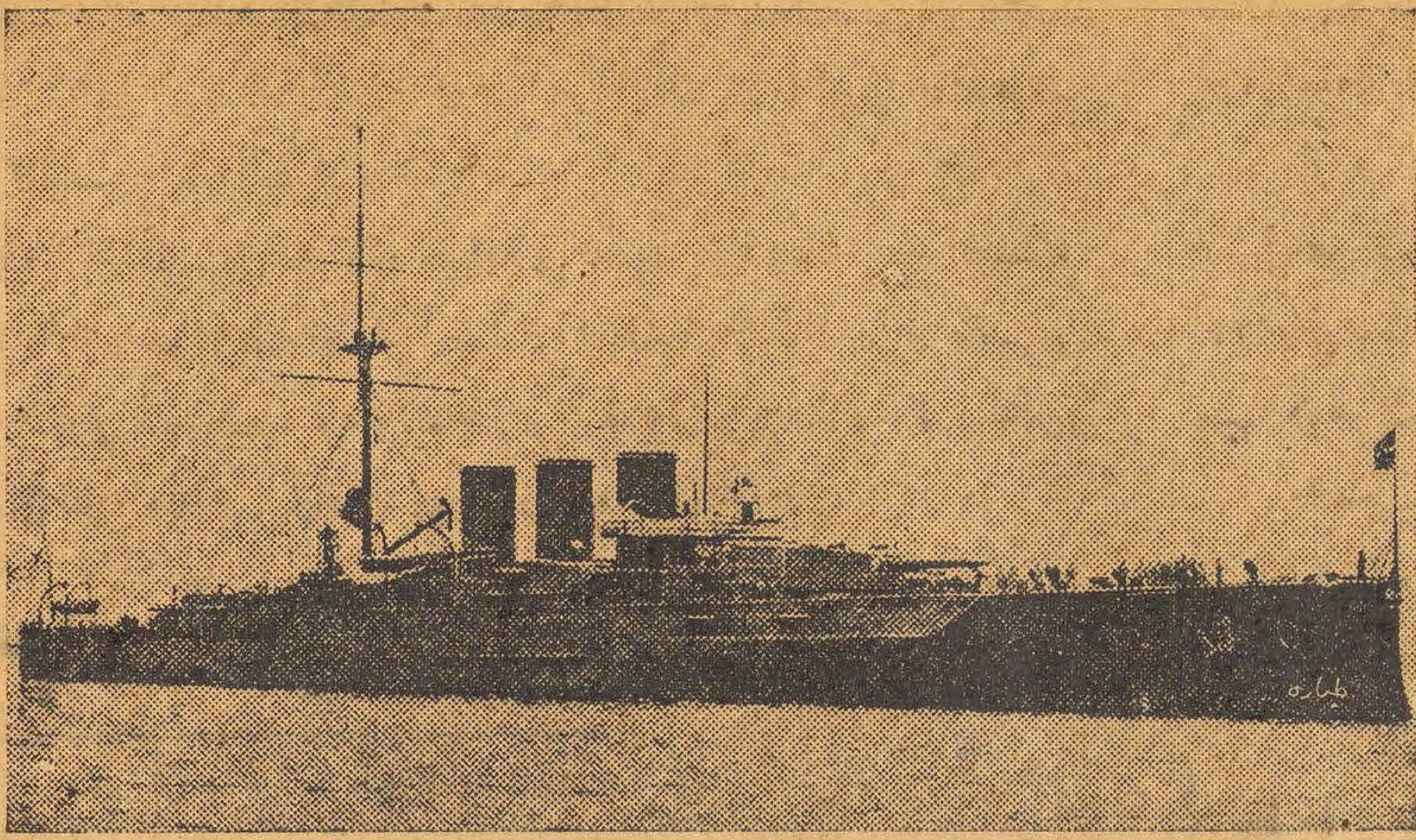
اسطول النمسا لا يجازف

واسطول النمسا نفسه لم يكن يميل الى المجازفة . فان امير البحر « ليفلر » ، قائد هذا الاسطول ، لم يكن يميل الى المجازفة باسطوله والخروج به من مقره . وما حاول قائد الاسطول الفرنسي، امير البحر « بويه ده لا بايرار » ، القيام بهجوم يحتاج الى جرأة واقدام ومغامرة ، فالاسطول النمسي سيد بحر الادرياتيك ، وهناك جزر « دالماسيا » تحميه

على ان الاسطول الفرنسي استطاع ان يفاجىء امام « انتيفاري » طراداً نمسياً صغيراً هو الطراد « زنتا»، فاغرقه، ورغب في نسف السفن الكبرى في مرفأ « بولا » فما تسنى ذلك له مع انه حاوله مراراً وعاد من محاولاته مغبون الصفقة. فالنمسيون هدموا منه بعض سفنه. فقذفوا المدرعة « جان بار » بقذائفهم . ولم تبق هذه المدرعة على سطح اليم لولا رباطة جأش الملاحين الفرنسيين وحسن تدبيرهم

وفي ٢٦ نيسان ١٩١٥ اغرقوا المدرعة « ليون غامبيتا »

الطراد الروسي روريك



كان على روسيا ان تدافع عن نفسها في اثناء الحرب الكبرى من نواح ثلاث، في بحر البلطيك، والبحر الاسود، وشواطىء سيبيريا ولذا تفرق اسطولها. فكان لديها ثلاثة اساطيل احدثت في الحرب الكبرى اثراً لا بأس به. ولكن انفصال روسيا في سنة ١٩١٧ عن الحلفاء ضعضعها. والطراد «روريك» البادي في هذا الرسم احدى قطع الاساطيل الروسية

وغرق فيها معظم رجالها

بعد دخول ايطاليا الحرب

ولما دخلت ايطاليا الحرب تعضد الحلفاء تولى الاسطول الايطالي لقائده «دوق ابرز» مهمة السهر على بحر الادرياتيك ومنع الاسطول النمسي من براحه. واطلق للاسطولين الفرنسي والانكليزي ايديهما في البحر المتوسط

فقام الاسطول الايطالي بالمهمة الشاقة، الا ان النمسيين استطاعوا التأثير في هذا الاسطول. فاغرقوا المدرعة الايطالية «غاريبالدي» والمدرعة «امالفي»، ولكن سيادة بحر الادرياتيك انتقلت من ايديهم وامست للحلفاء. والحلفاء استطاعوا بالاعتماد على هذه السيادة ان ينقلوا في شهر كانون الاول ١٩١٥ من «ديرازو» الى جزيرة «كورفو» الجيش الصربي المنهزم

مبلغ خسارة المانيا في تجارتها البحرية

قلنا ان المانيا امست في حصار بحري رهيب ضربته عليها انكلترا وسائر الحلفاء، واوضحنا ما عانت المانيا وهذا الحصار يُضرب عليها. غير اننا لم نأت على بيان مقدار الخسارة التي نكبت بها الدولة الالمانية وقد اضطرت اضطراراً الى الامتناع لدى وقوع الحرب من مواصلة تجارتها البحرية

فالبواخر الالمانية التي اسرها الحلفاء في مرافئهم على اثر اعلان الحرب الكبرى، بلغت ٢٧٠ باخرة محمولها خمسمئة الف طن، والتي اسروها في عرض البحار بلغت ثمانين باخرة محمولها ثلاثمئة وخمسون الف طن، عدا البواخر اللاجئة الى مرافىء الدول المعتصمة بعزلتها وعدد هذه البواخر ستمئة. وقد بلغ مجموعها ما يزيد على ثلث الاسطول التجاري الالماني

وهذه الخسارة قضت بالخراب على شركات البواخر في المانيا جمعاء وعلى المرافىء الالمانية بكاملها. ففي اواخر سنة ١٩١٤ كان مرفأ «هامبورغ» الالماني العظيم الشأن، كئيب المنظر وقد خلت ارصفته من الناس وسكنت احواضه

غير ان المانيا ...

غير ان المانيا كانت ترقب هذه العاقبة. فما ارتاعت وهي تبلى بها. ذلك انها كانت ترجو ان تدرك مبتغاها دونما ازعاج. فليس لها الا تلجأ الى البلدان القائمة بالعزلة. ولكنها اخطأت في هذا الحسبان. وقد ظهر خطأها في التدابير التي اتخذها الحلفاء لمنع كل باخرة تحمل مواد يرونها ممنوعة من ارتياد الشواطىء الالمانية، حتى وشواطىء الدول المعتصمة بعزلتها

وتناول هذا المنع حتى آخر عام ١٩١٤ سبعمئة وخمساً وسبعين باخرة انطلقت من الولايات المتحدة الى مرافىء اوربا التي تشملها العزلة. ومن هذه البواخر كلها امسك الحلفاء ثماني بواخر واعلنوا ان محمول ٤٥ باخرة يدعو الى الاشتباه به فمنعوها من المرور

احتجاج الرئيس ولسون

وفي ٣١ كانون الاول ١٩١٤ خطر لرئيس الولايات المتحدة الاميركية السيد «ولسون» ان يبدي ملحوظاته على ما يزعج به الحلفاء تجارة اميركا. فاجاب وزير الشؤون الخارجية في انكلترا السير «ادوار غراي» ان التجارة الاميركية في الستة الاشهر الاخيرة زادت في بلاد اسوج ونروج عشرة اضعاف، وفي هولندا ثلاثة، وفي ايطاليا ضعفين

فاقتنع الرئيس « ولسون » بصحة ما ابدى الوزير الانكليزي ولم يكن منه وقد شاهد ما يبدو من المانيا في حرب الغواصات ،وهي حرب بليغة الضرر كما قال ، الا ان احتج عليها . ففي ١٢ شباط ١٩١٥ سلم مذكرة الى الكونت « برنستورف » سفير المانيا في واشنطون ، يعلن فيها امتعاضه مما اقدمت عليه الحكومة الالمانية من خروج على العرف العام في حرب الغواصات، ودعاها الى تبديل سياستها . ولكن المانيا لم تسمع ، بل هي اجابت الرئيس ولسون ان الحصار الانكليزي يدعوها الى خدمة مصالحها كيفما اتفق لها ان تخدمها

وفي ١٧و١٨ شباط ازداد نشاط الغواصات الالمانية . فاغرقت في بحر المانش وبحر الشمال كل ما لقيت في طريقها من سفن. وبلغت خسارة الحلفاء في سنة ١٩١٥ بتأثير الغواصات ثلاثمئة سفينة تجارية للحلفاء ،و ٩٢ سفينة تجارية للدول السالكة طريق العزلة ، على حين ان لدى فرنسا وانكلترا ثلاثة عشر الف باخرة تجارية

اغراق الباخرة "لوزيتانيا"

قلنا في حديثنا عن المعارك البحرية ان الباخرة « لوزيتانيا » الانكليزية كانت في بدء الحرب الكبرى في ميناء نيويورك ، وقد وقف لها في المحيط الاتلانتيكي الطراد الالماني « درسدن » يسد عليها الطريق ويحاول اسرها ، غير انها نجت منه بمغامرة عجيبة ساعدتها عليها سرعتها وهي من اشد البواخر الانكليزية سرعة واوفرها ضخامة .

والباخرة « لوزيتانيا » بعد ما وصلت سالمة الى الشواطىء الانكليزية عادت فقامت برحلة الى ميناء نيويورك وهي على ما ترجو من الاطمئنان . فالاسطول الانكليزي ضمن لها سلامة البحار ، الا ان الاسطول الانكليزي لا يستطيع ان يضمن سلامة ما في اعماق البحار . فهو لا يبصر الغواصات حين تشق جوف الماء

ففي ٧ ايار ١٩١٥ ، لدى الساعة الثانية والنصف بعد الظهر ، فيما الباخرة « لوزيتانيا » تبرح ميناء نيويورك في اتجاهها الى « ليفربول » حاملة على متنها ١٣١٣ راكباً من مختلف الامم ، بينهم اميركيون ، وانكليز ، وفرنسيون، وهولنديون، ويونانيون وسواهم على اختلاف الطبقات والاجناس ، فاجأتها غواصة المانية ازاء شواطىء ارلندا ورمتها بقذيفة قضت عليها بعد ربع ساعة من الزمن ، فغرقت وذهب فيها لا اقل من الف نفس

ولم يكد هذا النبأ الرهيب يذيع في اوربا حتى ضج العالم بصيحتين ، صيحة طرب في المانيا وصيحة امتعاض في ديار الحلفاء.

وكان من صدى صيحة الطرب في المانيا ان الامبراطور غليوم امر بانشاء نوط يسجل هذا الفوز

وبين غرقى الباخرة « لوزيتانيا » مئة اميركي . واقد ذهب من الاميركيين ضحايا اخرى قضت عليها الغواصات الالمانية . ففي ٢٨ اذار ١٩١٥ اغرق الالمان الباخرة « فالابا » وقد حوت عدداً من الاميركيين ، وفي اول ايار غرقت الباخرة « غولفلايت » ولم يكن الاميركيون فيها بالعدد القليل

احتجاج رئيس جمهورية اميركا

فاحتج الرئيس ولسون لدى الحكومة الالمانية على ما بدر من غواصاتها . ومما قال في احتجاجه ان هذه الغواصات لا ترعى حرمة لارواح رعايا الدول المقيمة في عزلة ولا لاموالهم ، مع ان الحق الدولي يضمن اموالهم وارواحهم معاً

فتبادلت الحكومتان الاميركية والالمانية المذكرات . وكان مستشار الدولة الالمانية يبدي الشدة حيناً واللين حيناً كما يقضي بذلك الموقف . على ان الغواصات لم تقف عن عملها . فما برحت تنزل الاذى ببواخر الحلفاء حيث يتفق لها ان تقع على هذه البواخر

ضحايا الغواصات

وليست البواخر التي ذهبت ضحايا الغواصات الالمانية بالعدد القليل ، فهي تجاوز العشرات . الا ان اهمها هي هذه :

لوزيتانيا ، نيبراسكان وهي باخرة اميركية ، ارمنان غرقت في ٢٨ حزيران ١٩١٥ ، « ارابيك » في ١٩ آب ، « هسبيريان » في ٥ ايلول ، و« انكونا » في ٨ تشرين الثاني وهي باخرة ايطالية كانت تنقل في البحر المتوسط جماعة من المهاجرين وقد بلغ عدد ضحاياها الثلاثمئة بالاولاد والنساء

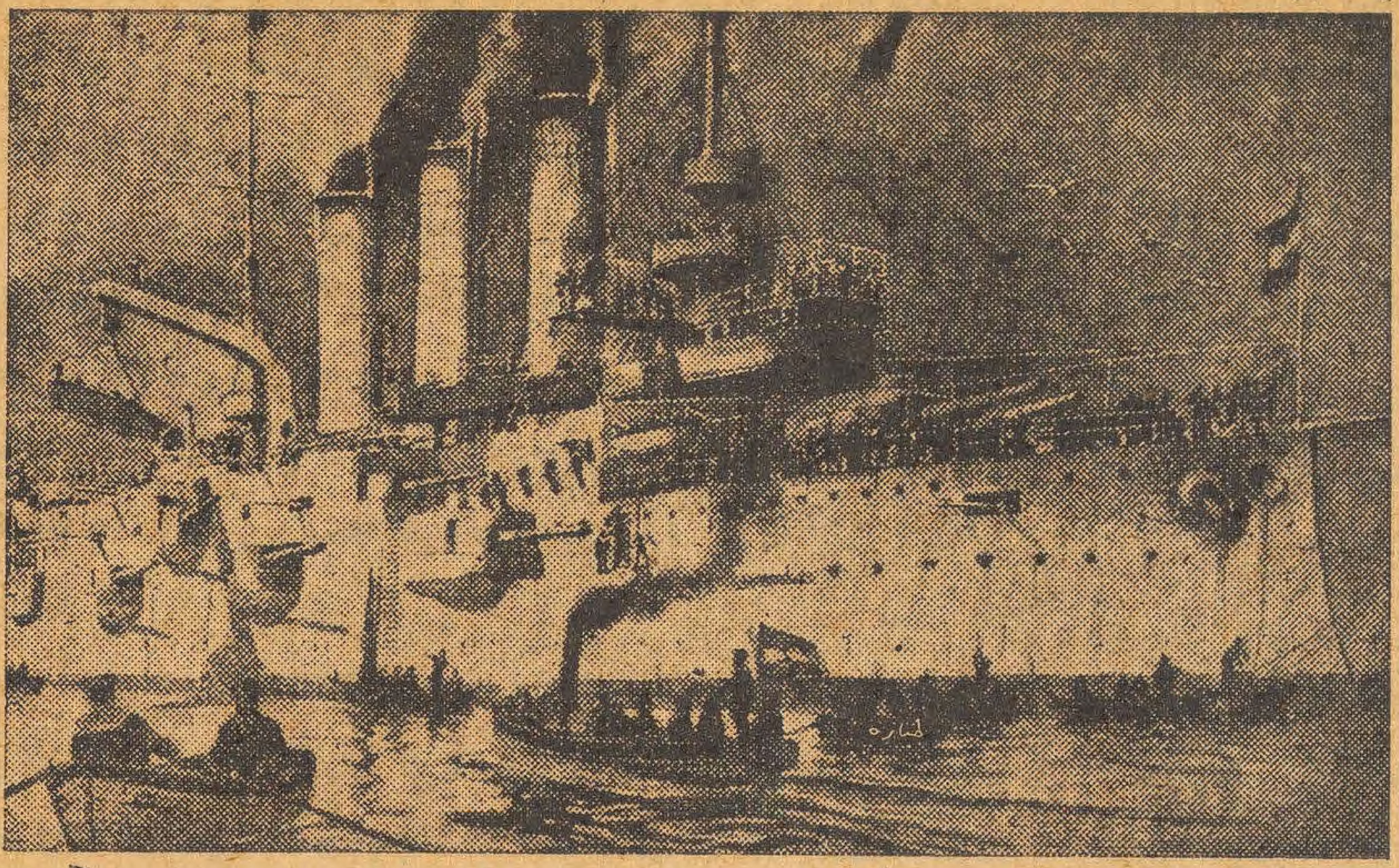
هذا في سنة ١٩١٥ ، اما ضحايا سنة ١٩١٦ فكانت التالية :

في شهر كانون الثاني غرقت « جلانجيل » ، و« فاناكامارو » ، و« كنكوكامارو » اليابانيتان

وفي شهر شباط الباخرة « بروفنس الثانية »

وفي شهر اذار الباخرة « لويزيان » والمركب « سيليوس » النروجي، والباخرتان « تيبانتيان» و« بالامبانغ » والاثنتان هولنديتان، والباخرة « سوسكس » وقد كاد يذهب فيها الفيلسوف الاميركي الشهير « جيمس مارك بلدوين »

فما كان من الرئيس ولسون ازاء هذه النكبات المتوالية الا ان اعلن وقف المفاوضات بين حكومته والحكومة الالمانية واعتزم العمل الحازم الجريء



المدرعة «هرزوغ كارل»

النمسية

والمدرعة « هرزوغ كارل » من المدرعات التي لم تبرح بحر « الادرياتيك » على ضخامتها . فالاسطول الفرنسي والانكليزي سدا عليها الطريق . وما لبث ان تولى الاسطول الايطالي عنها هذه المهمة . وقد صار امر هذه المدرعة الى الايطاليين . فملكوها واضافوها الى اسطولهم في البحر المتوسط

اميركا تتدخل باسم الانسانية

فرأت الولايات المتحدة الاميركية ان تكفي العالم شرور الغواصات بعد كل ما انزلت من بلايا دون ان تحسب لاحد حساباً ، فالصديق والعدو لديها سواء

وكان قد انقضى على المفاوضات الاميركية الالمانية في هذا الصدد سنة كاملة دون ان تصغي المانيا الى اميركا كل الاصغاء . فكانت تعد ولا تفي . والوعد بلا وفاء عداء . وغرق الباخرة « سوسكس » دعا اميركا الى الخروج عن لهجة التودد . فعمدت الى التهديد . والتهديد معناه اعلان الحرب

والمانيا بعد كل ما ابصرت حولها من اعداء ودت ان لا تصطدم بالولايات المتحدة الاميركية . فمالت الى ارضائها . ولقد كانت ترضيها بالوقوف عن حرب الغواصات ، الا ان الرأي العام الالماني لم يكن بأجمعه من هذا الرأي . فهو يريد في سواده الاعظم متابعة حرب الغواصات مهما يكن من الامر

ولقد اجابت المانيا عما بادرها به الرئيس ولسون من عدوان ان لا تبعة عليها في غرق الباخرة « سوسكس » ، فلم تنسفها غواصة المانية . بيد ان الحكومة الفرنسية جاءت بالادلة الراهنة على ان الباخرة غرقت على أثر قذيفة اصابتها بها غواصة من غواصات المانيا . فلم يكن من الرئيس ولسون الا ان وافى وكيل الشؤون الخارجية في برلين « فون جاكوف » بمذكرة حملها اليه في ٢٠ نيسان ١٩١٥ سفير اميركا في برلين . والمذكرة شديدة اللهجة . وقد ختمها الرئيس ولسون بقوله :

« اذا صممت الحكومة الالمانية على متابعة حرب الغواصات دون ما شفقة ولا تمييز بين السفن التجارية ، ودون ما احترام لما تراه حكومة الولايات المتحدة تدابير مقدسة مصونة في الحق الدولي ، ومبادىء الانسانية معترفاً بها من الجميع ، اضطرت اخيراً الولايات المتحدة الى سلوك طريق معروف ، الا اذا اعلنت المانيا على الفور انها تخلت عن اساليبها في مهاجمة الغواصات للبواخر الملأى بالركاب والبضائع . وهذا الطريق الذي تسلكه الولايات المتحدة هو قطع كل صلة سياسية لها بالمانيا »

المانيا لا تريد قطع صلاتها باميركا

ولقد ارتبكت المانيا حيال هذا التهديد . وشعرت بان اميركا تحاول النيل من الجبروت الالماني . ولكن أينحني هذا الجبروت امام مشيئة الولايات المتحدة الاميركية ؟ ..

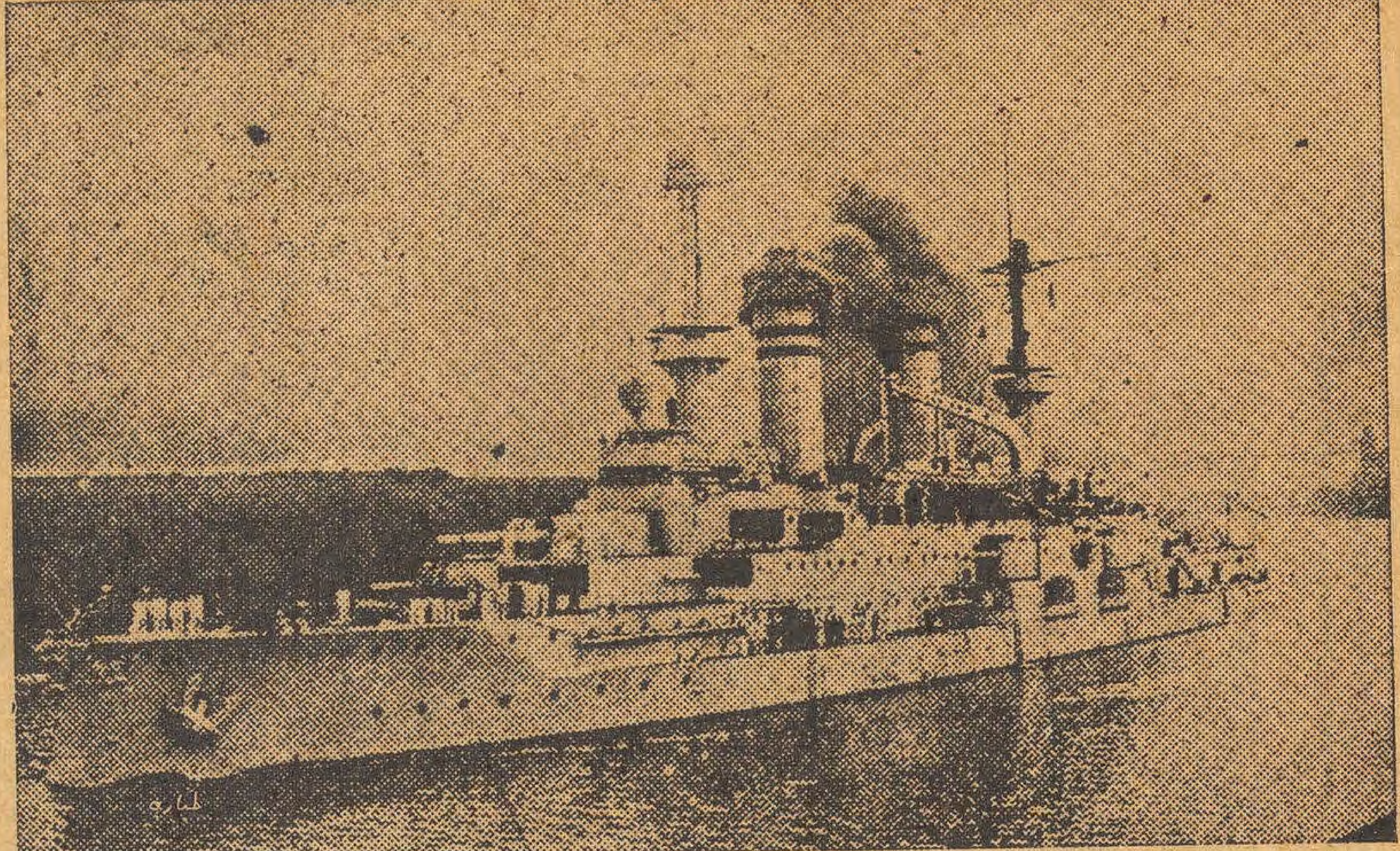
ذلك ما طال فيه الاخذ والرد بين رجال الحكومة الالمانية . ودعي السيد « جيرار » سفير اميركا الى مقر اركان الحرب الالماني لمباحثته في الموضوع . وظل ولاة الامر الالمان يتناقشون في صيغة الجواب اسبوعين كاملين . وبعد اسبوعين تسلم سفير اميركا هذا الرد المسبوك في قالب مضطرب . على ان غليوم الثاني ابى المخاصمة . فاعلن انه لا يمانع في ان يجيب اميركا الى مطلبها . على انه يجيبها الى ما تبغي بشرط ، وهو ان تطلب من انكلترا وحلفائها رفع الحصار البحري المضروب على المانيا

ولقد جاء في ختام مذكرة « فون جاكوف » الى اميركا ما يلي :

« اذا لم تبلغ مساعي الحكومة الاميركية الهدف المنشود ، وهو احترام الحقوق الانسانية بين الدول المتحاربة ، رأت المانيا نفسها مضطرة الى الاحتفاظ بحريتها التامة في العمل »

جواب الرئيس ولسون

فكان جواب الرئيس ولسون سريعاً وموجعاً . ففي ٨ ايار



الطراد الالماني
« زهرنجن »

يمثل هذا الرسم الطراد الالماني «زهرنجن» وهو يجتاز قناة « كيال »
وهو من الطرادات الالمانية التي انتهى امرها الى الحلفاء . وكان له في تاريخ الحرب مواقف لا بأس بها
على ان هزيمة المانيا جعلته من نصيب اعدائها

سلم « فون جاغوف » مذكرة تقول : « لما كانت الحكومة الاميركية تبغي اجتناب كل سؤ تفاهم فهي تبلغ الحكومة الالمانية انها لا ترضى على الاطلاق ان يكون حفظ حقوق الرعايا الاميركيين في البحار من لدن السلطات الالمانية البحرية موقوفاً على مسلك اي حكومة كانت . فالتبعة فردية لا عامة ، ومطلقة لا سبيل الى التناقش فيها »

فلم يسع المانيا الا الانحناء امام مشيئة اميركا،ووقفت عن حرب الغواصات زمناً غير قليل

من اغرق الباخرة «لوزيتانيا»

لقد بدأت حرب الغواصات في ١٨ شباط ١٩١٥ ، وحرض عليها امير البحر « فون بوهل » احد قادة اساطيل المانيا . ففيما كان الامبراطور غليوم الثاني يجتاز مرفأ « ويلهلمسهافن» انتزع منه «فون بوهل » الامر ببدء حرب الغواصات . فكل سفينة تلقاها الغواصات الالمانية حول الجزر البريطانية يجب نسفها حتى ولو كانت تنتمي الى احدى الدول المتمسكة بالعزلة . ولم يرحم امر الامبراطور غليوم غير ثلاثين ميلا على الشواطىء الهولندية . وبدء حرب الغواصات بهذا الشكل القاطع معناه محاصرة انكلترا

ولقد اجابت انكلترا الامبراطور غليوم بقولها : « ان الامر يعيد عهد القرصنة . فليس من مبادىء الحضارة اغراق باخرة بركابها وهم ليسوا من المجرمين ... »

اربع غواصات تبدأ الهجوم

وبدأت الهجوم اربع غواصات المانية . ولقد اتخذ الحلفاء كل حيطة للدفاع عن انفسهم . فنصبوا الشباك ، ونثروا الالغام ، واطلقوا السفن الكشافة . وفي ١٤ اذار ١٩١٥ برحت الغواصة الالمانية « اي — ٨ » مرفأ « زيبريج »،فابصرها الانكليز واصطادوها في الشبكة. وفي ١٨ اذار لم يكن من « اوتو وادينغن » ، الضابط الالماني البحري الشهير،المتربع في عنفوان الشباب،وقائد الغواصة« اي — ٩» صاحبة المآتي العجيبة في اغراق الطرادات الانكليزية ،الا ان قدم على نسف المدرعة « نبتين »فاخطأها.وابصرته السفينة قبل ان ينطس في الماء فانقضت على غواصته وسحقتها سحقاً مروعاً

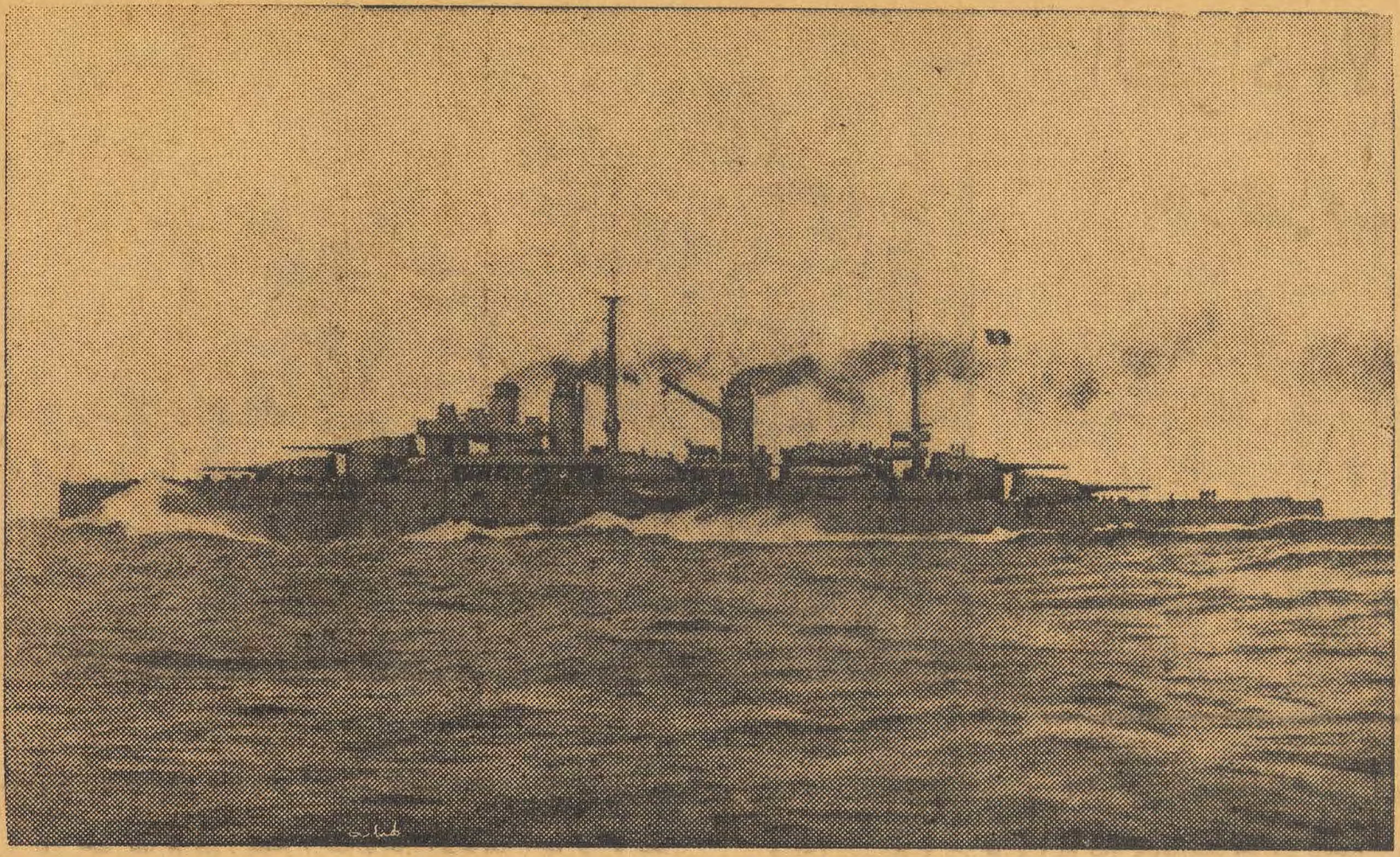
اميركا تريد الخير!

وكانت الولايات المتحدة الاميركية قد بليت بمركبين اغرقتهما الغواصات الالمانية ، وهما مركب « فراي » ومركب « ميديا » ،على انها سكتت عن امرها ونامت على الضيم ، بل هي انكرت على انكلترا ان ترفع علم العزلة . وما ساءها من المانيا الا ان تكون صممت على اغراق كل سفينة في المنطقة الانكليزية ، سواء كانت حربية او غير حربية ، سواء كانت من سفن الاعداء او من سفن المعتصمين بالعزلة.

ورأى الكولونل « هوس » مستشار الرئيس ولسون ان يتوسط لحل المشكلة ، فيمنع المانيا من الاستعانة بالغواصات للتهديم والتخريب وازعاج البحار ، ويدعو انكلترا الى رفع الحصار البحري عن المانيا وهكذا تمسي البحار حرة،وتظل الذخائر والاسلحة وحدها من مواد الحرب الممنوعة . وتسهر على تأمين حرية البحار عصبة تتولى معاقبة كل دولة تخرج على هذا المبدأ

«هوس» في اوربا

واقبل « هوس » الى اوربا للتبشير بهذه التعاليم . وفي ٧ ايار



المدرعة الفرنسية الكبرى « جان بار »

وهي المدرعة التي كاد يغرقها الاسطول النمسي في بحر الادرياتيك

١٩٥١ استقبله ملك انكلترا جورج الخامس . وفي المساء ، فيما يتمشى في دار السفارة الاميركية ، وردت على السفارة برقية تقول : « نسفت الباخرة « لوزيتانيا » ازاء شواطىء اولندا الجنوبية »

فلم يبق من سبيل للتبشير بمبادىء السلم . ولقد شعر بذلك الكولونل « هوس » . فرأى ان يعود الى اميركا دون ان يهتم بتحقيق ما اقبل لاجله . واعلن في ٣٠ ايار وهو يعود الى الولايات المتحدة الاميركية قوله : « اصبحت على يقين ان الحرب بين اميركا والمانيا اضحت مما لا بد منه ! ... »

اما من اغرق الباخرة « لوزيتانيا » فهو الضابط « شويغر » قائد الغواصة « اي ـــ ٢٠ » ، و « شويغر » شاب اشقر ، ازرق العينين ، خلاب ، كريم المحتد . وكان في احشاء اليم لما سمع فوقه حركة سفينة حربية . فظهر على سطح الماء وابصر باخرة مقبلة اليه . فغطس واستعد لنسفها . واطلق عليها عن بعد نصف ميل لغماً وما لبث ان سمع انفجارين غرق على اثرهما في البحر مركب عظيم

واستطاع « شويغر » من خلال نظارته ان يعرف المركب . فهو « لوزيتانيا » . وما درى اي حقد اثار على المانيا ولا اي فاجعة كان بطلها الا وهو يقرأ الصحف . فقد اثار على وطنه حقد اميركا !



المانيا نهب مقسم على رؤوس الحراب

الحلفاء يسلخون من المانيا مستعمراتها في افريقيا واسيا واوقيانوسيا

اليابان وانكلترا وفرنسا وبلجيكا تقاتل الالمان في هذه المستعمرات ولا تفلح

قادة ألمان يتابعون القتال في بعض المستعمرات حتى آخر الحرب

ما كاد الحصار البحري يضرب على المانيا حتى بليت بضياع مستعمراتها . فالحلفاء انتزعوها منها وهذه المستعمرات تجري عليها الحماية الالمانية . وكانت مساحتها في سنة ١٩٠٨ مليونين وخمسمئة وستة وتسعين الف ميل مربع، وسكانها اثني عشر مليوناً من الوطنيين. اما هي فقسمان ، قسم في المحيط الهادىء وهو «الغينية » الالمانية الجديدة وما يحيط بها من الجزر ، مع جزيرتي « مارشال » و« ساموى » في الشرق ، وعدد سكانها جميعاً اربعمئة وثلاثة وخمسون الف نفس

والقسم الآخر في افريقيا وهو افريقيا الشرقية الالمانية وعدد سكانها سبعة ملايين ، وافريقيا الجنوبية الغربية وعدد سكانها مئتا الف، مع ان مساحتها لا تقل عن مساحة افريقيا الشرقية ، الا ان دخلها ثلاثة وعشرون مليون مارك ، اي ما يزيد الثلث على دخل افريقيا الشرقية نفسها

التوغو والكامرون

وهناك « توغو » و« كامرون » وما برح منذ سنة ١٨٨٤ العلم الالماني يخفق عليها، وسكان الاولى مليون نفس ، والاخرى ثلاثة ملايين ونصف مليون، اي ان مستعمرات المانيا في افريقيا كانت تعد احد عشر مليوناً وسبعمئة الف من الوطنيين

وفي سنة ١٩١١ !

وفي سنة ١٩١١ تخلت فرنسا لالمانيا عن شطر من « الكونغو » في افريقيا وقد حمل اسم « كامرون الجديدة». وكان في نية المانيا ان تنشىء من هذا الشطر المستولية عليه من فرنسا مستعمرة كبيرة تتسع بها وتدعوها افريقيا الالمانية الوسطى ، فتمتد من البحر الى البحر ومن الصحراء الى « كالاهاري»

ويجب ان تضاف الى الممتلكات الالمانية المنطقة التي استأجرتها المانيا في « كياوتشاوو » لتسع وتسعين سنة وهي واقعة في شبه جزيرة « شان تونغ » ومساحتها ٥٠٠ ميل مربع ، على ان سكانها مئة وعشرون الف نفس ، اي ٢٤٠ نفساً في كل ميل مربع

اليابان تطالب بالمنطقة

ومنذ ١٥ آب ١٩١٤ ارسلت اليابان الى المانيا تدعوها الى التخلي دون ما قيد ولا شرط عن منطقة « كياوتشاوو » والجلاء عن البحار الاسيوية . فرفض حاكم المنطقة وهو القائد « ماير والديك » الاذعان ، وكان ان اعلنت في ١٣ آب الحرب بين اليابان والمانيا

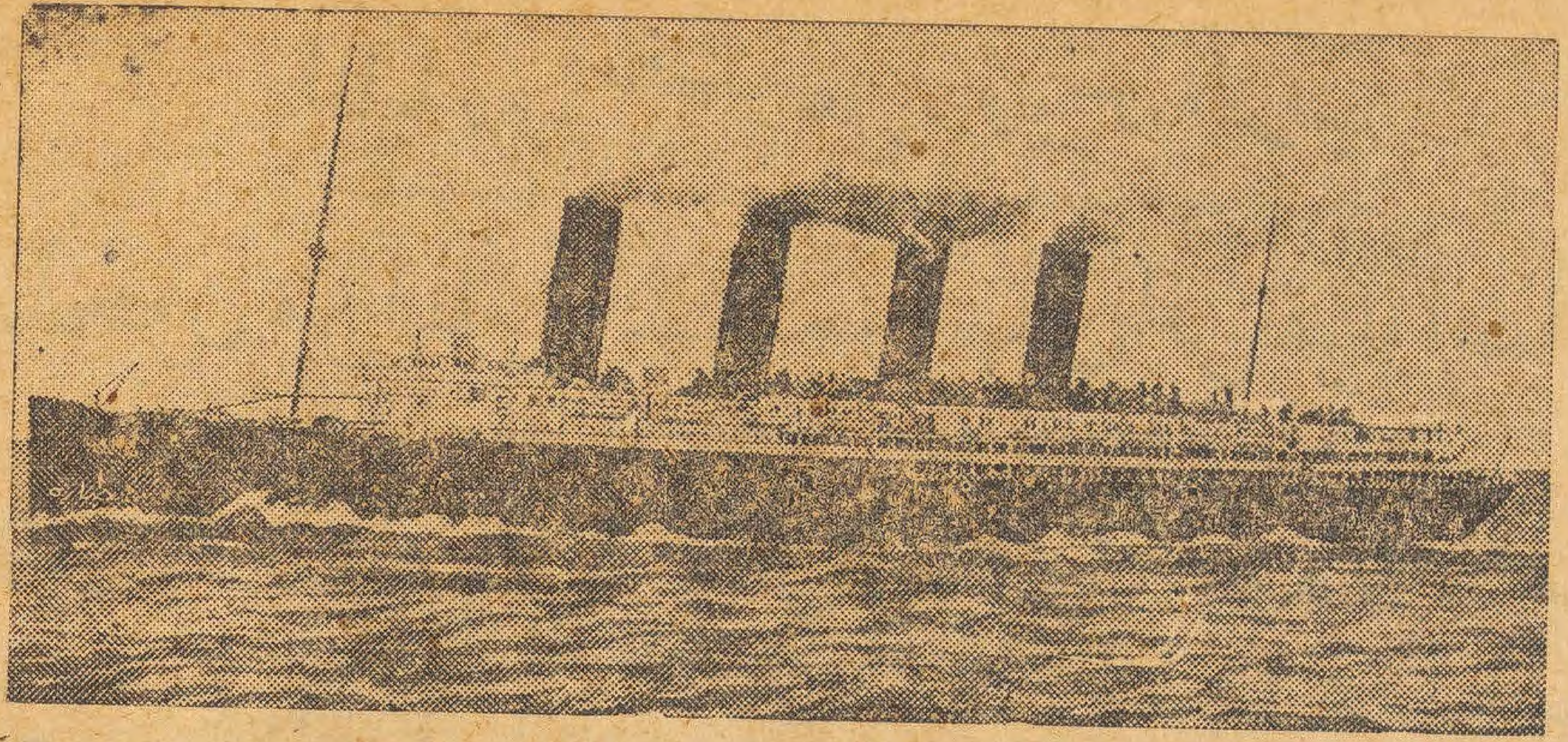
وكان للالمان في تلك البقعة ٤٨٠٠ رجل ، وخمس مدمرات وطراد نمسي قديم . فجردوا هذه السفن من اسلحتها، ما عدا مدمرة ونسافة ، واستعانوا بها على المقاومة في البر . واقاموا خط دفاعهم على بعد خمسة اميال من شرقي المدينة

وفي ٧ ايلول كان اليابانيون ينزلون في « كياو تشاوو » ثلاثة وعشرين الف جندي من جنودهم و١٤٢ مدفعاً ، ووراء هذه القوة سارت كتيبة انكليزية تعد ١٣٥٠ رجلا . وسد البحر اسطول انكليزي ياباني في عداده سفن محمولها اثنا عشر الف طن

على ان النسافة الالمانية استطاعت في ليل ٢٧ ايلول ان تخرق الحصار وان تضرب طراداً يابانياً صغيراً وتغرقه ، بيد انها تحطمت على الشواطىء الصينية

الحرب في البر

وبدأت في ٢٦ ايلول الحرب في البر ، فاكره اليابانيون الحامية الالمانية على التراجع الى المدينة ، واضطرت هذه الحامية في اول تشرين



الباخرة «لوزيتانيا» التي اغرقتها احدى الغواصات الالمانية

﴿ وهي باخرة انكليزية من ارفع طراز غرق فيها مئة اميركي واثار غرقها الخلاف الشديد بين اميركا والمانيا ﴾

الثاني الى اعلان استسلامها . ويقول الالمان انها خسرت ثمانمئة رجل وان الانكليز واليابانيين خسروا مايزيد على خمسة الاف

احتلال مستعمرات المحيط الهادىء

وتم احتلال المستعمرات الالمانية في المحيط الهادىء دون ما قتال . ففي اواخر آب احتل الانكليز جزائر « ساموى » ، وفي شهر ايلول احتلوا « الغينه » الجديدة . اما اليابانيون فامتلكوا جزر « كارولين » و« ماريان » و« مارشال » ،فلم يكن من الضابط الالماني « ديتزنر » الا ان اعتصم بالغابات يقاتل فيها حتى عقد الصلح

احتلال « التوغو » و« الكامرون »

وفي افريقيا احتل الفرنسيون والانكليز المستعمرات الالمانية . وكان في « التوغو » اربعمئة شرطي . فجرى في اواخر آب ١٩١٤ احتلال هذه البقعة ،على حين ان الكولونل « زمرمان » الالماني قاوم في الكامرون وكان لديه من الجند الف من البيض وستمئة من الوطنيين. وطالت مقاومته وكانت عنيفة. فجاءت انكلترا بالنجدات من «نيجاريا» ومن الهند، وجاءت بها فرنسا من السودان والغابون، والبلجيكيون من الكونغو . وهذه القوات اقصت الالمان عن الساحل ، فلجأوا الى الجبال والغابات في الداخل ونظموا حرب العصابات . واتفق ان هذه الحرب خاضتها القبائل الوطنية بعضها يقاتل بعضاً . فئة منها انتصرت للالمان وفئة ايدت الحلفاء . وفي اواخر سنة ١٩١٥ تسنى للحلفاء ان يضايقوا الالمان بين « ساناغا » و« نيونغ » و« جونده » على ان الفئة الكبرى من هذه القوات اتجهت الى الجنوب ،ولم يبق في الميدان سوى بضع مئات انطلقت الى الحدود الاسبانية في « ريوميني » تحتمي بها . فلم يكن من الاسبانيين الا ان دفعوا السود الى « فرناند بو »، اما الالمان فساروا بهم الى المانيا

واستطاعت قوة يقودها الكابيتن « فون رابن » البقاء في الشمال في « مورا » حتى ١٨ شباط ١٩١٦ ، ونفدت منها الذخيرة فاعلنت استسلامها

في افريقيا الجنوبية الغربية

وافريقيا الجنوبية الغربية تحدها من الشرق الصحراء ،ومن الشمال مستعمرة بورتغالية ، ومن الجنوب نهر « اورانج » وانحاء افريقيا الجنوبية احدى ممتلكات التاج البريطاني

وكان في نية الانكليز احتلالها فوراً ، الا ان البوير ثاروا في الترانسفال فاكرهوا الانكليز على التأخر حتى ربيع ١٩١٥ في اكتساح تلك المنطقة

اجل ان حملة اجتازت نهر « اورانج » منذ شهر ايلول ١٩١٤ يقودها «غرانت» ،ولكن قهرها في ٢٥ ايلول في «ساندفونتين» الكولونل « فون هايد بريك »

عدد القوات الالمانية

وقوات « هايدبريك » بلغت نحواً من خمسة آلاف رجل بما فيها قوتها الاحتياطية . على ان « هايدبريك » مات في ٢ تشرين الثاني . وقد اضطر خلفه الضابط « فرنك » الى الاتجاه نحو الشمال لوقف البورتغاليين. فاجتاز المستعمرة بكاملها وقهرهم في ١٨ كانون

الاول في « نوليلا » ولم يكن لديه ما يزيد على ثلاثمئة وخمسين رجلا

وجهز الانكليز حملتين تحت قيادة « بوتا » . فاقبلت الحملة الاولى من الجنوب وقطعت نهر « اورانج » ولحقت في « كيتمانشوب » بقوة نزلت في خليج « ليداريتز » وسارت واياها في وجهة « وندهوك » ، واقبلت الحملة الاخرى من الغرب ومشت في ناحية جناح الالمان الايمن . فاضطر الالمان في ١٢ ايار الى الجلاء عن « وندهوك » والتووا الى الشمال في جهة « اوتاوي » . وفي هذه الناحية طوقهم الانكليز ، ونفدت منهم الذخائر والمؤن فاستسلموا في ٩ تموز ١٩١٥ وكان عددهم ثلاثة آلاف وخمسمئة رجل

في افريقيا الشرقية

افريقيا الشرقية منطقة فسيحة ملأى بالسكان . وقد تولى في بدء الحرب حمايتها ٢٦٠ ضابطاً وصف ضابط من الالمان ، وانضم اليهم من الوطنيين ٢٥٠٠ جندي هم في معظمهم من رجال الامن . على ان التجنيد ساره سيره القوي ، فتعاظمت القوة حتى بلغت في بدء سنه ١٩١٦ اثني عشر الفاً ، وزاد عددها بالملاحين الثلاثمئة من رجال الطراد « كانيغسبرغ » الذي تحطم هناك في شهر تموز ١٩١٥ ، وكان يقود هذه القوات باجمعها الكولونل « ليتوف فوربك »

ولقد اجتهدت المانيا منذ بدء الحرب في السعي لاعلان عزلة حوض الكونغو بما فيه افريقيا الالمانية الشرقية . فلم ترفض فرنسا وبلجيكا ، على ان انكلترا تمسكت بالرفض . وفي ٨ آب اطلق مركبان انكليزيان قذائفهما على دار السلام . وفي ١٥ آب اكتسحت فصيلة المانية حدود المنطقة الانكليزية واحتلت « تافيتا »

وحاولت في شهر تشرين الثاني قوات انكليزية هندية النزول في تلك السواحل فصدها الالمان بعد معركة دامت ثلاثة ايام

وفي شهر كانون الثاني من سنة ١٩١٥ اندفعت قوات المانية الى الحدود الشمالية وقطعت خط « اوغاندا » . ووقعت معارك على الحدود الغربية ، الا ان المعارك الكبرى لم تبدأ في سوى شهر اذار ١٩١٦

مئة الف جندي بريطاني

فالقائد « سمطس » جهز مئة الف رجل نظمها في مختلف النواحي لاحتلال الخط الحديدي الممتد بين « تابورا » ودار السلام ، وحصر الالمان في الجنوب الشرقي من تلك المستعمرة . وتم تنفيذ هذه الخطة . وفي شهر تشرين الثاني لم يكن « ليتوف فوربك » يقيم في سوى شطر من المستعمرة . وساعده على البقاء ان البورتغاليين وقفوا عن الهجوم ، وان القوات التي نزلت في السواحل وراء الالمان لم تتقدم

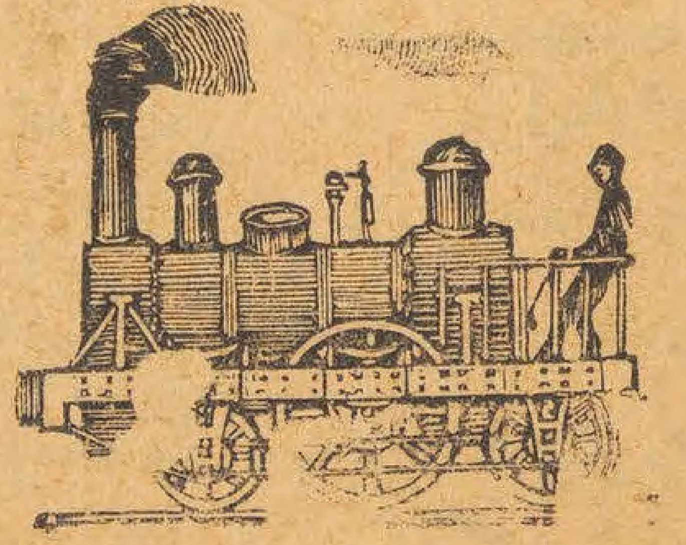
وانقضى الشتاء دون معارك مهمة . على ان الانكليز ضغطوا في شهر تشرين الاول ١٩١٧ الالمان من كل ناحية فاضطر هؤلاء الى التراجع الى « ماكوندا » يعتصمون بها . ورأى « ليتوف فوربك » ان الجمود اشد خطراً عليه من العمل فصمم على التراجع الى الحدود البورتغالية يقيم فيها . فجمع ما بقي لديه من رجال واجتاز نهر « روفوما » ودخل المنطقة البورتغالية ومعه الفا جندي — منهم ٢٧٨ المانياً — واربعة الاف ممن جهزهم لمساعدته في القتال

وفقد كل اتصال بقوات الكابيتن « تافل » فاضطرت هذه القوات الى الاستسلام في ٢٨ تشرين الثاني ١٩١٧ الى الانكليز ، وكان عددها ١١٠ من الالمان و١٢٠ من الوطنيين

مقاومة عشرة شهور

وظل « ليتوف فوربك » يقاوم عشرة شهور كاملة في المنطقة البورتغالية ، في ارض مقفرة دون ان يتسنى للانكليز وحلفائهم قهره . وفي ٢٨ ايلول ١٩١٨ عاد الى المستعمرة الالمانية واحتل « روديزيا » في المنطقة الانكليزية ، وفيها اتصل به نبأ اعلان الهدنة . وكان لا يزال لديه ثلاثون ضابطاً المانياً و١٢٥ صف ضابط وجندياً المانياً ، و١١٦٩ من الجنود الوطنيين ، و١٥٢٢ ممن انضموا الى الجيش من ابناء البلاد على اثر اعلان الحرب

وانتقل الالمان باسلحتهم الى دار السلام ، ومنها الى المانيا



حرب الجو بعد حرب البحر والبر

المناطيد الالمانية تحلق فوق باريس ولندن فتذهب بالمنازل والارواح

من هو «زبلين» مخترع المنطاد الالماني ؟..

عقبان الفولاذ تنشر الموت!

يوم الاحد ، في ٣٠ آب ١٩١٤ ، وهو اليوم السابع والعشرون للحرب الكبرى ، فيما الشعب الباريسي يسير الى نزهته صامتاً قلقاً وكل يصغي باذنيه الاثنتين الى ضجيج الحرب وان يكن لا يسمع هذا الضجيج ، اطلقت في العاصمة الفرنسية ثلاث قذائف انذرت القوم بان ما يجري جد خطير . فرفع الجميع رؤوسهم يريدون معرفة الخبر ، فلاحت لهم بين الغيوم ذبابة تطير ، بل هي طيارة المانية حلقت على علو ثلاثة الاف ذراع في سماء باريس

حرب الجو تبدأ

انها لنذير ببدء حرب الجو. ولم تقع القذائف في باريس على محطة الشرق ، وقد تكون هذه المحطة هدف الطيارة الالمانية ، بل سقطت في شارع « فيناغريه » ، وشارع « ريكوله » ورصيف « فالمي » . فثقبت فرناً ، ومطبعة ، ومأوى للمجلس البلدي، وقتلت امرأة طاعنة في السن

وفي حي اخر ، في شارع «ديزودريات » ، رمى الطيار شريطاً بلون العلم الالماني يحمل رسالة منه هو الضابط « فون هيدسن » يدعو بها باريس الى الاستسلام. فكان ان اسر الفرنسيون في ٤ شباط ١٩١٥ هذا الطيار

وفي اليوم التالي ، ٣١ آب ، حامت طيارة المانية اخرى حول باريس والقت القذائف على شوارع «هانوفر» و« كوليز» و«دي ماي» ، على ان الطيار وقع اسيراً بين ايدي الفرنسيين في « اوري لافيل » ، ولدى استنطاقه اجاب انه كان محاسباً في شارع « سانتيه » في باريس، وانه كان يرقص في عيد ١٤ تموز ، عيد الجمهورية الفرنسية ، في مرقص شعبي عام

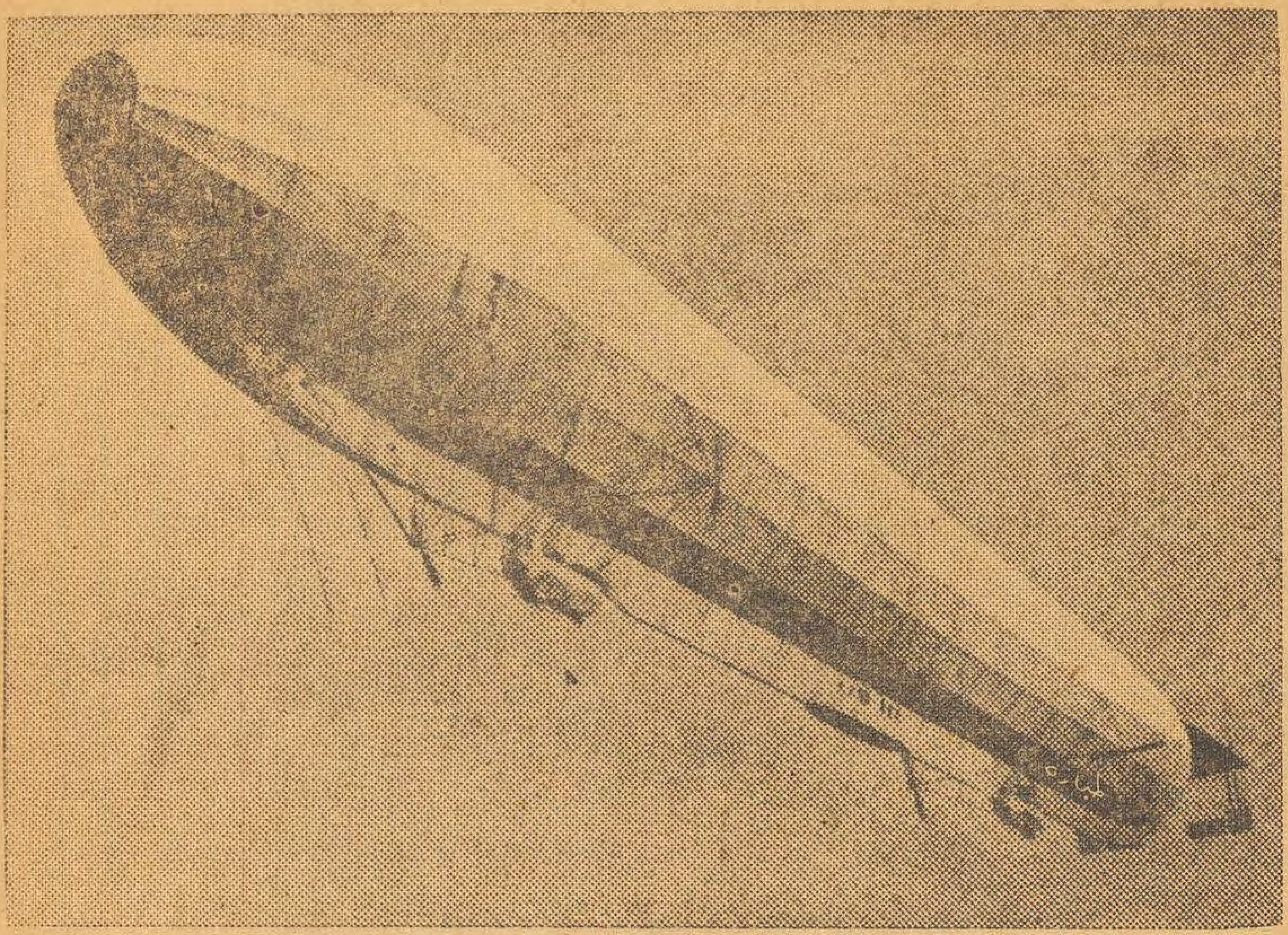


الكونت زبلين

مخترع المنطاد الالماني المعروف باسمه

مطاردة الطيارات الالمانية

وفي اوائل ايلول ١٩١٤ اقبلت ايضاً طيارتان ألمانيتان ترميان باريس بقذائفهما . فطاردتهما الطيارات الفرنسية واسقطت احداهما في ضواحي « شامبيني » . وامتنعت الطيارات الالمانية اياماً من تهديد عاصمة فرنسا . الا انها عادت في ٢٦ ايلول تلقي القذائف على جادة « تروكاديرو » ، فجرحت كاتب العدل « هاكه » وحطمت ساق فتاة صغيرة . وما سلمت من قذائفها شوارع « مارينيان » و« فيناز »



المنطاد زبلين

هذا هو المنطاد « زبلين» الالماني الذي اقلق الحلفاء في الحرب الكبرى وقد هجمت اسراب منه على باريس ولندن تطلق عليهما القذائف . وكان على لندن اكثر غارة منه على باريس . ذلك ان الالمان ناقمون كل النقمة على انكلترا لنصرتها فرنسا وروسيا

وكان لمنطاد « زبلين » ضحايا لا تعد سواء في الاموال او الارواح مما يطالعه القراء في هذه النشرة من « الاسرار »

و« سيفين »

ورشق برج « ايفل » بمدافعه الطيارة فنابت عن الابصار . وبعد خمسة عشر يوماً رمت طيارتان بقذائفهما شوارع اخرى في عاصمة فرنسا . وسقطت قذيفة على كاتدرائية « نوتردام » . واصيب سبعة عشر شخصاً بينهم ثلاثة من القتلى

المنطاد « زبلين » في الميدان

من هو « زبلين » ؟ . . .

على ان هذه الطيارات وقد ظهر لها ان ليس بالامكان اقلاق باريس توارت من الميدان وفسحت المجال لمناطيد « زبلين » الضخمة

والكونت « زبلين » هو مخترع هذه المناطيد . وكان قد اخترع آلات لتدمير المدن . وبلغ في المانيا شهرة عامة لم يلحق به اليها غير امير البحر « فون تربيتز »

والرجلان ، الكونت زبلين وامير البحر فون تربيتز ، كانا يظهران ابداً الى جانب الامبراطور غليوم الثاني . هذا عن يمينه وذاك عن يساره . فهما ساعداه البطاشان المكلفان طحن الاعداء . والكونت « زبلين » جندي خدم في الجيش . ولقد درس في معهد « ستوتغارت » الحربي وشهد الحرب الاميركية سنة ١٨٦٣ ، فكان من اركان حرب الجيش الاميركي

وهام بالطيران وخاض حرب ١٨٦٦ يقاتل النمسا . وفي سنة ١٨٧٠ ترقى الى رتبة كولونيل ورصع صدره على اثر الحرب الفرنسية الالمانية بوسام صليب الحرب . وبلغ في سنة ١٨٩١ رتبة قائد فاحيل على التقاعد واخذ يهتم بالمناطيد

على ان خططه الاولى لم تلق النجاح . فعرضها على الامبراطور غليوم الثاني فكان جوابه ان الاقتراح لا يمكن وضعه موضع العمل

وبحث « زبلين » عن رأس مال يحقق به خطته فلم يجد المال لا في المانيا ولا في اميركا . وبات اسمه بين اسماء المخترعين السخفاء

على ان ملك « ورتمبرغ » اصغى اخيراً اليه وانشأ له شركة رأس مالها مئتان وخمسون الف مارك . واول منطاد « زبلين » تم انشاؤه على ضفاف بحيرة « كونستانس » ، فطار على علو خمسمئة ذراع واجتاز مسافة ستة اميال . بيد انه تحطم كما تحطم المنطاد الذي تلاه . فاوجع المانيا ان لا ينجح المشروع ، وبعد ما كانت تعرض عنه اذا بها تهتم به وعلى رأسها الامبراطور غليوم

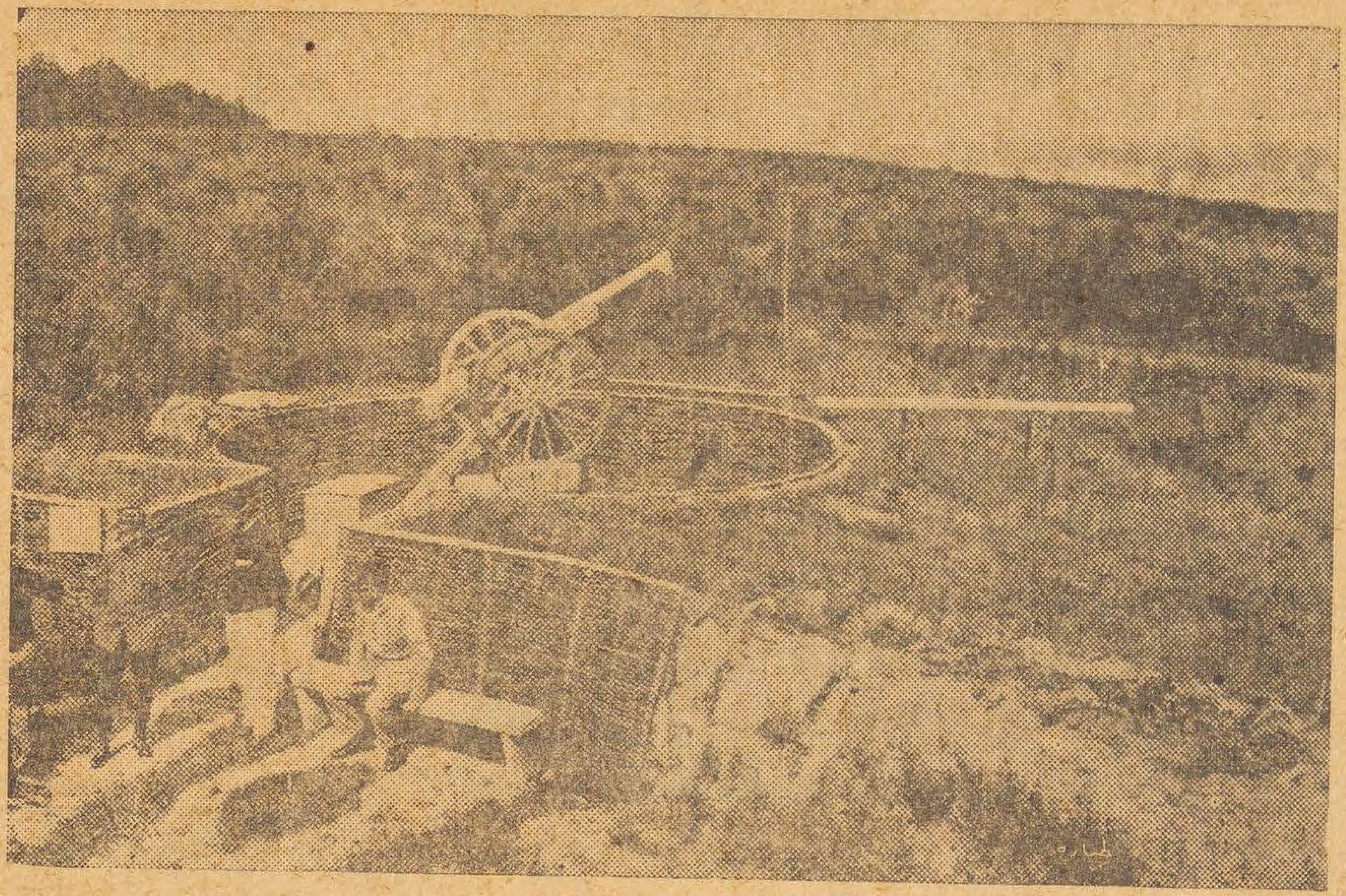
المناطيد والطيارات في بدء الحرب

ولدى اعلان الحرب كانت تملك المانيا سبعة عشر منطاداً ، على حين ان انكلترا كانت تملك سبعة مناطيد ، وفرنسا احد عشر ، والنمسا ثلاثة ، اما روسيا فما ملكت منها شيئاً

وفي الطيارات تساوت فرنسا والمانيا . فتجهز لدى كل دولة خمسمئة طيارة . وكان لدى انكلترا ٢٥٠ وروسيا ٢٤

ولم تكن المناطيد الالمانية باجمعها من نوع « زبلين » ، فهناك انواع اخرى من فئة « شوت لانز » و « برسيفال » و « ليب م . » على ان « زبلين » بلغ ارفع مستوى الشهرة في المانيا

وظل الفرنسيون يجهلونه . فمنهم من نظر اليه بارتياع ، ومنهم من هزأ به ، على انهم كانوا يضطرون في الليل الى اطفاء الانوار في منازلهم اتقاء لخطر المنطاد الرهيب



مدفع نصبته باريس فى ضواحيها لاسقاط طيارات الالمانيه

باريس فى ظلام

وباريس عاشت في الظلام زمناً غير قليل . فالمصابيح الكبرى المتلألئة فيها بالانوار امست اشبه بالسراج ضئيلة النور . والمركبات جرت في شوارعها بقلق . وامتنع الكثيرون من سكان العاصمة من براح منازلهم ليلا . واذا اقبل المنطاد « زبلين» اندفع رجال المطافيء في الشوارع يقرعون الاجراس انذاراً بالخطر . وعند ذاك يبرح الناس دورهم مذعورين او انهم يختبئون في الاعماق ، تحت الارض، ومنهم من كان يقف الى النوافذ ليشاهد ما يجري

. وتنطلق الاشعة الكشافة من الحصون ومن برج « ايفل » . وتتسلق الطيارات الفلك لمقاتلة المنطاد فتبدو كالنجوم السيارة المتنقلة من جانب الى جانب

اربعة مناطيد معاً

وفي ليل ٢١ اذار ١٩١٥ هجمت على باريس اربعة مناطيد اضطر اثنان منها الى الرجوع وهما في منتصف الطريق ، احدهما في « ايكوان » والاخر في«مانت» ، اما الاخران فبلغا العاصمة الفرنسية وضواحيها . وظهرا بين اشباح الليل والانوار الكشافة قاتمين حيناً وهاجين احياناً . لا يقل طول الواحد منها عن مئتي ذراع ،فيشقان الهواء كما تشق الحيتان الماء

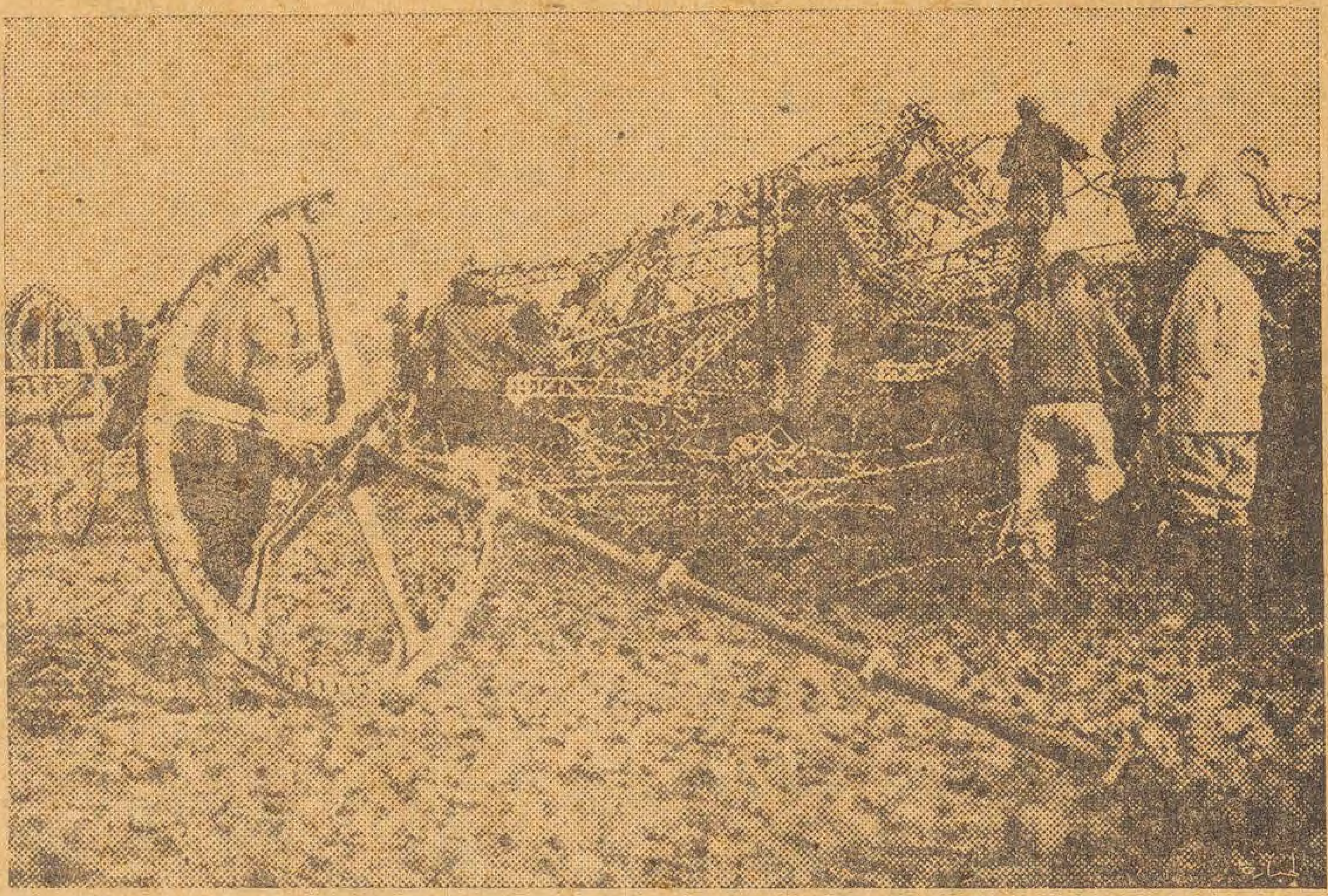
واطلقا قذائفهما على عدة شوارع وقرى ، وهدما عدة منازل وجرحا كثيرين

عودة بعد انقطاع

ووقف المنطاد « زبلين » عن هجماته حتى ٢٩ كانون الثاني ١٩١٦ ، فعاد يومذاك يهاجم سالكا وادي المارن ورمى حيين من احياء باريس هما « بيليفيل » و « مانيلموتان» بعشر قذائف اصاب بها جندياً وحارسين ، وبلغ عدد ضحاياه ٢٤ قتيلا و٢٨ جريحاً من شيوخ ورجال ونساء واولاد

«زبلين» فى انكلترا

وتألبت المناطيد والطيارات الالمانية على انكلترا .فبلغت هجماتها منذ ١٩ كانون الثاني ١٩١٥ حتى ٤ ايار ١٩١٦ ستاً وثلاثين هجمة. ويجب الاقرار بان المانيا حقدت على انكلترا اكثر منها على اي دولة اخرى . وظهر حقدها في استهزاء الامبراطور غليوم بجيش القائد « فرنش » المندفع الى فرنسا وبلجيكا لتأييد حلفاء انكلترا ، وفي



بقايا منطاد زبلين

✻ أسقطته الطيارات الفرنسية ✻

في اثناء هجمات المناطيد الالمانية على باريس لم تقف الطيارات الفرنسية ساكنة بل هاجمت هذه المناطيد بعنف وظفرت ببعضها - ومما ظفرت به هذا المنطاد الذي تحطم في « رافيني » . وتبدو في الرسم بقاياه وهي تشير الى عظمة تلك المناطيد وما يكلف بناؤها من وقت ومال

الاساءة الى الاسرى الانكليز ،وفي نقش كلمات : « لعن الله انكلترا » او « عاقب الله انكلترا !... » على كل ما تصنع المانيا

وهجمات مناطيد « زبلين » على انكلترا تعود في اساسها الى هذا الحقد المالك افئدة الالمان . فقد ساء المانيا ان لا تقوى على اذلال انكلترا في البحر فعمدت الى اذلالها في الجو . وساعد الضباب الكثيف المنتشر في جو البحر الشمالي المناطيد الالمانية على الانسلال الى انكلترا مع كل حيطة اعتمدتها لدرء هذا الخطر

ستة مناطيد تهدد دفعة واحدة

وفي ١٩ كانون الثاني ١٩١٥ ، لدى الساعة الثامنة والنصف مساء ، بلغت انكلترا ستة مناطيد مقبلة من « كو كسهافن » في المانيا. فرمت بقذائفها مرفأ « يرموث » على شواطىء « نورفولك » ، كما رمت بهذه القذائف « ساندرينغام » المقر الملكي ، و « كينس هين » عند مصب نهر « الاوز » ، فهدمت المنازل وجرحت عشرين شخصاً وقتلت اربعة

وفي ١٥ و ١٦ نيسان ١٩١٥ جرت محاولتان جريئتان في اجواء انكلترا القت فيها المناطيد الالمانية القذائف على مدن متعددة ، فاحرقت المنازل والدور ،اما في الارواح فلم تكن ضحاياها جسيمة

وفي ٢٩ نيسان اعيدت الكرة واحرقت المناطيد الالمانية عشرة اماكن في « ايسبويتش » و « بوري سانت ادموندس »

وفي ١٠ ايار انقضت ١٤٠ قذيفة دفعة واحدة على « اسكس » و « سوثاند » و « ويستكليف » . و « سوثاند » على بعد سبعين ميلا من لندن

وفي ٢٦ ايار جرى هجوم آخر على « سوثاند » ، فاطلقت المناطيد الالمانية اربعين قذيفة احرقت عدة اماكن وقتلت ثلاث نساء

وفي ٣١ ايار انقضت قذائف المناطيد على ضواحي لندن ، فاصيبت بمئة قذيفة وتهدمت منازل كثيرة وقتلت الشظايا رجلا وامرأتين واربعة اولاد

في سماء لندن

وما رُوّعت لندن مثلها في يومي ١٣ تشرين الاول ١٩١٥ و ٣١ كانون الثاني ١٩١٦ ، فالمناطيد الالمانية وثبت عليها وذهبت في اليوم الاول باربعة وخمسين قتيلا و ١١٤ جريحاً ، وكانت ضحاياها في اليوم الاخر ٥٩ قتيلا ومئة جريح

وفي ٢٠ شباط اقبلت الطيارات الالمانية على الشواطئ الانكليزية، لا المناطيد ،واطلقت القذائف على انحاء متعددة ،وبلغ ما انزلت من خسائر في الارواح ١٢ قتيلا و ٣٣ جريحاً

وفي ٢١ اذار فوجئت ناحية « كنت » بهجوم جوي ذهب بخمسة ارواح وجرح ١٢ ولداً كانوا يسيرون الى المدرسة . وسقطت طيارة المانية امام « ديل » هاجمها الطيار « بون » الانكليزي وقضى عليها بالهلاك

وفي ٣١ اذار اطلق سرب من الطيارات على انكلترا ٧٦ قذيفة فقتل ٤٣ شخصاً وجرح ٦٦ ،على ان الانكليز قاوموا هذه الهجمات واصابوا المنطاد زبلين « ل — ١٩ » فاحترق وهوى في بحر الشمال . وابصره ربان احدى البواخر فقص عنه الحديث التالي :

« بدا المنطاد من بعيد كأنه غيمة بيضاء هوت على سطح الماء. ولم اعرف انه منطاد الماني الا وقد دنوت منه . وكان المقيمون فيه

يرتدون جلود الوحوش كأنهم مقبلون من القطب الشمالي . فصحت بهم : ماذا ؟

« فقال احدهم : اعطنا قارباً وخذ منا ١٢٥ فرنكا ذهباً !

« وعرفت من ازرار مخاطبي انه قائد المنطاد

« وقد بدا لي منه انه وافر التهذيب ، وكان يتكلم الانكليزية الفصحى . وفكرت قليلا واجبت : لو لم يكن عددكم كبيراً لحملتكم في باخرتي ، ثم ان الموقف يدعو الى التفكير !

« — الى اي تفكير ؟

« — على افتراض اني حملتكم في مركبي أفلا يجوز ان تطرحوني وتطرحوا رجالي في البحر وتندفعوا الى شواطىء المانيا ؟ .. انكم اذا فعلتم وضع صدوركم الوسام وبتنا سخرية لديكم !

« — اقسم لك على اننا لن ننهج هذا النهج !

« الا اني لم اطمئن الى هذا التصريح ، بل فكرت في هؤلاء القوم المسلحين وفينا نحن الذين لا سلاح لدينا، فلم تكن معنا غدارة. وتذكرت ما اقدم عليه الالمان وما يمكن ان يقدموا عليه

« وشاهدت ثلاثة صلبان مرسومة على المنطاد ، اثنين على طرفيه والصليب الاخر في وسطه، وتراءى لي ان هذه الصلبان مكافأة للمنطاد على ما قام به من مجهود

« وابتعدنا عنه لدى الساعة التاسعة والنصف صباحاً وقد اشرف على الغرق . واخذ فريق من رجاله يصيحون : « الرحمة ، الرحمة ، انقذونا !.. »

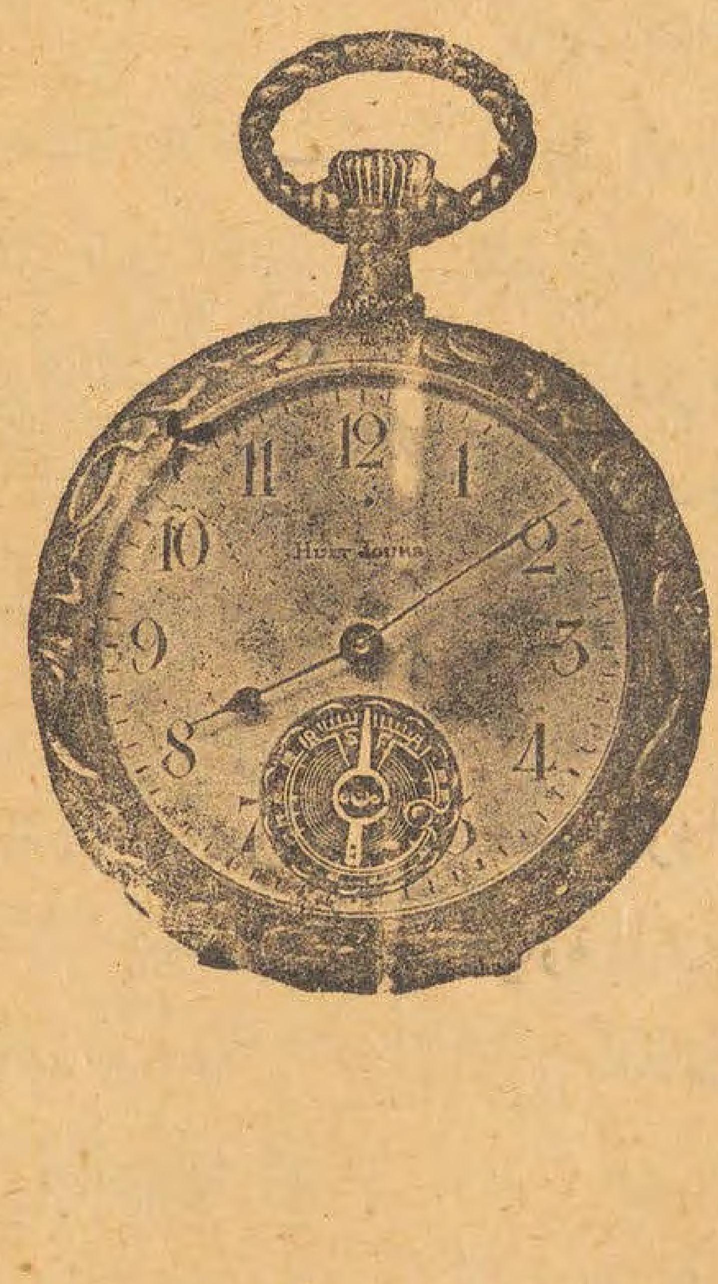
« ولما بدا لهم اننا لن نجيبهم الى التماسهم هددونا بقبضات ايديهم

« فسرت ابحث عن مدمرة او سفينة اخرى لنجدة المنكوبين دفعة واحدة . اما نحن فلو عمدنا الى انقاذهم لكان علينا ان نقوم بالمهمة دفعتين ! ... »

ويقول مؤرخو الحلفاء ان ربان هذه الباخرة كان يستطيع انقاذ هؤلاء الالمان ، ولكنه لم يفعل مخافة ان يتغلبوا عليه ويعتقلوه . وينتهي المؤرخون الى القول انما ابدى الالمان من عنف ومن خروج على المبادىء الانسانية حمل الناس على نزع ثقتهم منهم

ولقد اعلن احد رجال الكنيسة الانغليكانية في حديثه عن المانيا قوله : المانيا قتلت روح النبل والفروسية في الحروب !

على حين ان الالمان يبدون غير هذا الرأي . فهم يقولون ان الحلفاء يريدون قتلنا جوعاً، ولكن الانسانية تتبرأ من مثل هذه الاساليب الشائنة . فعلينا للخلاص ان نستعين بكل وسيلة مستطاعة . فالعنف لا يستأصله غير العنف !



الشرارة الاولى في معركة «السوم» الكبرى

القائد فوش يضع خطط القتال ثم يضطر الى تعديلها برمتها

«دوغلاس هايغ» الانكليزي يمعن في التأجيل

مفاجأة خطرة !

يوم قام الالمان بهجومهم على فردون كان الحلفاء قد انتهوا الى تقرير هجوم فرنسي انكليزي عام وضعوا خططه الكبرى . وفي اثناء مهاجمة الالمان لحصون فردون شاء الانكليز ان يمدوا يد المساعدة للفرنسيين فرفض هؤلاء هذه المساعدة شاكرين

واوضح ذلك قائد الجيوش الانكليزية العام «السير دوغلاس هايغ» في تقرير وضعه في ١٩ ايار ١٩١٦ قال فيه انه عرض المساعدة على القيادة الفرنسية فرفضتها . مع ان اتفاق «شانتيي» نص في احدى مواده على ان من حق القيادة الفرنسية الاستعانة عندما تشاء بقوات الحلفاء الاخرى ، بيد ان القيادة الفرنسية لم تلجأ الى ممارسة هذا الحق. وكل ما فعلت انها طلبت من القائد «دوغلاس هايغ» ان يأتي بقوة من جيشه تحل محل الجيش الفرنسي العاشر ففعل

وهذا دليل على ان القوات الفرنسية قامت وحدها بالدفاع عن فردون ، الا ان قيامها بهذا الدفاع منفردة وفوزها فيه لم يحولا دون اتفاقها والقيادة الانكليزية على القيام في جبهة «السوم» بهجوم عام مشترك

من جوفر الى هايغ

وفي ٣ اذار ١٩١٦ كتب القائد جوفر ، القائد الفرنسي العام ، الى القائد «هايغ» الانكليزي يقول له : «علينا حيال اندفاع العدو بحزم الى مقاتلتنا ان نبذل جهدنا في اتقاء هجماته علينا !..»

وفي ٢٧ اذار ، فيما الالمان يهاجمون في منطقة فردون القمة رقم ٣٠٤ وجبل «مورهوم» ، كتب القائد جوفر الى السير «دوغلاس هايغ» يقول له : «ليس للهجوم العنيف المنطلق به الالمان الى فردون ان يحول دون تنفيذ الخطة التي قررناها معاً . فكل ما نميل اليه ان نقهر ابداً عدونا بخرق جبهته من «هابيترن» الى «لاسيني»

مشروع القائد فوش

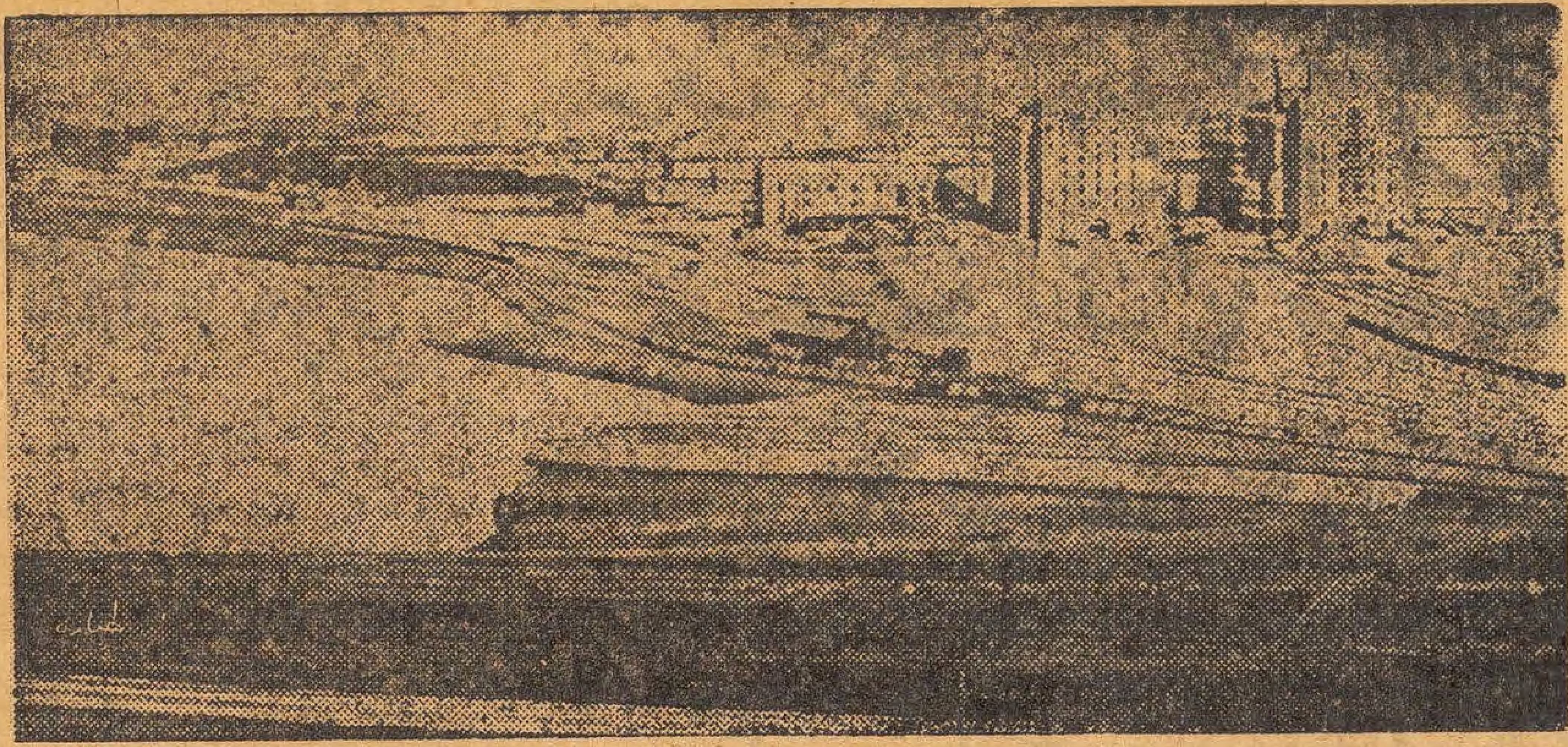
وكان القائد فوش قد وضع في ١٨ شباط ١٩١٦ اساس مشروع تصدق في ١٦ اذار طلب فيه ان يمتد الهجوم الى «هامل»

وفي ٢٦ نيسان كتب القائد جوفر الى القائد فوش يقول له : «لا تزال نياتي هي اياها ، على اني لا استطيع ان اوفر لك ما تحتاج اليه من قوات وقد استنفدت معارك فردون الشطر الاكبر منها . وهذه الحال تفرض عليك تعديل مشروعك الاول ، على ان تظل على اتصال بالجبهة الانكليزية ...»

وفي اوائل ايار هاجم الالمان بشدة حصون فردون ، واحتاج الجيش الفرنسي الثاني الى قوات وافرة فجاءت بها القيادة من الجيش الاحتياطي في قوات القاب

وفي ٢٠ ايار تبلغ القائد فوش ان كل ما يمكن القيادة العليا ان توفر له من القوات لا يزيد على ست وعشرين فرقة وسبعمئة مدفع ضخم . وفي ٢٢ ايار كتب القائد جوفر الى القائد الانكليزي «دوغلاس هايغ» يعلمه انه مضطر الى تعديل مهمة الفرنسيين في الهجوم المشترك . قال : «دعي القائد فوش الى تبديل خطته الاساسية برمتها ، وسيكتفي بهجوم يقوم به الجيش السادس على نهر «السوم» بالاتفاق والجيش الانكليزي في الاندفاع الى «ماريكور» . وهذا الهجوم سيحده في الجنوب طريق اميان — بيرون»

وتقرر ان تقوم بهذا الهجوم ثلاثة فيالق ، احدها ينطلق الى شمالي «السوم» ، والآخران الى الجنوب



مدينة قسطنجة الرومانية

على شواطىء البحر الاسود

وهي من المدن الرومانية الكبرى التي استولت عليها القوات الالمانية النمسية في اثناء اجتياحها رومانيا

موعد الهجوم

واعلن السير « دوغلاس هايغ » في تقرير وضعه في شهر كانون الاول ١٩١٦ ان الاستعداد للهجوم جرى بهمة ، الا ان الموعد لم يقرر . وجاء في هذا التقرير : « ازدادت القوات البريطانية في عددها ومعداتها . وهناك قوات وافرة من الجند والضباط لا تبرح في حالة التجهيز ، فكلما تأخر الهجوم بدت منها الفائدة »

وفي ٨ ايار طلب « دوغلاس هايغ » تأجيل موعد الهجوم . ومن رأيه ان التأخر يزيد في استعداده . فهو ينتظر في ١٥ آب ورود خمسئة مدفع ضخم عليه

على حين ان القائد « بيتان » الفرنسي حاول في ٧ ايار تقرير موعد الهجوم لانقاذ فردون ، ولكن القائد الانكليزي رفض . فعاد « بيتان » في ١١ حزيران الى مفاوضته بذلك . واذا القائد فوش نفسه يطلب في ٢٣ حزيران التأجيل . وفي ٢٤ ، بعد استيلاء الالمان على « فلاري » واستحكامات « تيومون » ، ألحت الوزارة الفرنسية في ضرورة القيام بهذا الهجوم ، ولفتت انظار القيادة العليا الى ما يلحق تأخر الهجوم الانكليزي بقوات الحلفاء من الاذى

وثمة اسباب متعددة قضت بالاسراع في هذا الهجوم ، منها حالة الجيش الايطالي في ولاية « ترانتان » . فان هذا الجيش وقد فوجىء في ١٩ ايار بالهجوم النمسي طلب مساعدة الروس . فلبى الروس الطلب بان قدموا موعد هجومهم . فمينوه في ٤ حزيران . وجاء في اتفاق « شانتيي » ان الهجوم الفرنسي الانكليزي يجب ان يتلو الهجوم الروسي بمدة لا تجاوز خمسة عشر يوماً

وفي ٢٦ ايار ، في مؤتمر عقد في « بوكين » ، اوضح القائد جوفر للقائد « هايغ » الانكليزي نيات القائد « اليكسيف » الروسي . فاجاب هايغ ان القضية يجب ان ينظر اليها كما لو كان ثمة جيش واحد على الجبهة الفرنسية الانكليزية ، وان الجيشين يجب ان يقوما بالهجوم معاً . ورضي بان يكون بدء هذا الهجوم في اول تموز ١٩١٦

وفي ٢٠ حزيران ، في مؤتمر آخر عقد في « بورييير » ، قر الرأي على تقديم هجوم المشاة ، فيقع في ٢٩ حزيران ، على ان تبدأ المدفعية في ٢٤ حزيران عملها . ولكن الجو لم يساعد على القيام بما اجمعت الكلمة عليه ، فارجىء موعد الهجوم الى اول تموز

موقف الالمان

والحلفاء كانوا يرمون الى اختراق جبهة الجيش الالماني الثاني . وكتب في ذلك القائد « فون بيلوف » الالماني فقال : « منذ شهر شباط ١٩١٦ والطيارون الالمان يشيرون الى بناء المآوي للجنود على جانبي نهر « انكر » امام جناح جيشنا الايمن . ولم تلبث القوات الانكليزية ان ازدادت عند شمالي نهر السوم . وفي اواخر نيسان بلغ عدد الفرق الانكليزية في تلك الناحية اثنتي عشرة فرقة لم يكن امامها سوى اربع فرق المانية »

ففكر مقام اركان الحرب الالماني في درء الهجوم المقرر بهجوم مثله ، الا انه ما لبث ان عدل عن هذه الفكرة والوسائل غير موفورة لديه . وفي نيسان اضاف الى قوات الجيش الثاني فرقة اخرى اتجهت الى شمالي نهر « انكر » وقد احتشدت في ذلك المكان قوات انكليزية متفوقة في عددها

غير ان القيادة الالمانية احتاجت الى الجيوش في فردون . فاضطرت الى استدعاء فرقتين من جبهة « السوم » والى ايفاد فرقة منهوكة القوى من الفرق المجاهدة في فردون كي تحل محلها . وجاءت بالمدافع الضخمة لتضيق بها على الفرنسيين في فردون واكتفت في جبهة « السوم » بمدافع غنمتها من الفرنسيين

وتعرض الالمان مرتين متواليتين للاستعداد الانكليزي . ففي



القوات الفرنسية

على ضفاف السوم

ابليت القوات الفرنسية في المعارك التي خاضتها على ضفاف نهر «السوم» البلاء الحسن. فدفعت الالمان عن مواقع حصينة يحتلونها في قلب فرنسا. وهذا المشهد يمثلها وهي على استعداد لهجومها في ناحية «كرمبل» وقد اسرت فيها مائة من الالمان

٢١ ايار هاجموا قمة «فيمي» وتقدموا تقدماً محسوساً، غير ان الانكليز لم يحاولوا اقصاءهم عن الاماكن التي تقدموا فيها بل اكتفوا بان يعمدوا الى تحصين ما وراءها من الاماكن مخافة ان يبلى الهجوم المنتظر بالوهن اذا بدر منه التفريط في قوته

وفي ٢ حزيران ١٩١٦ عمد الالمان الى هجوم اخر على جبهة طولها ميلان في منطقة «ايبر»، من جبل «سوريل» الى «هوج»، وقد استطاعوا احتلال الخطوط الانكليزية. فتوغلوا فيها نحواً من الف ذراع

فرأى السير دوغلاس هايغ ان يستعيد الشطر الجنوبي مما فقد. ووفق لبغيته في ١٣ حزيران، الا ان هاتين الهجمتين الالمانيتين لم تؤخرا الاستعداد الانكليزي على الاطلاق

ماذا قال فون بيلوف ؟

وتساءل الالمان عن موقف الفرنسيين من معارك «السوم» المنتظرة، أيشتركون فيها ؟

وفي شهر حزيران، وقد بدت الادلة الاولى تشير الى ان الهجوم بات قريب الموعد، اطلت فرقتان فرنسيتان من شمالي السوم في منطقة لا تزال القوات الانكليزية تحميها

وابدى القائد الالماني «فون بيلوف» رأيه في الحالة فقال: «خيل الينا في البدء ان هذا التدبير البادي من الفرنسيين دفاعي محض، وان القصد منه دعم القوات الانكليزية المتأهبة في الشمال للهجوم، ولكن هذا الاعتقاد تبدل لما امسينا امام الفيلق الفرنسي العشرين المعروف بقوته وبصلابته في النضال. وفي جنوبي السوم بدت لنا تدابير الهجوم. وبتنا في اواخر حزيران امام ادلة راهنة توضح لنا ان الهجوم سيمتد من منطقة «غوميكور» الى الطريق الروماني في جنوبي نهر السوم»

فلم يكن من القيادة الالمانية وقد ورد عليها تقرير القائد فون بيلوف الا ان عمدت الى تدابير جديدة. ففي شهر حزيران وصلت الى الجيش الثاني فرقة من المشاة، كما اقبلت فرقة من المدفعية انضمت الى القوى الموجودة. وفي اخر الشهر اضيفت الى الجيش الالماني الثاني سبع عشرة بطارية خفيفة

وفي شمالي «السوم» تألفت قوة ضمت الفرق الخمس المعسكرة في هذه المنطقة، وتألفت في الجنوب قوة تضم اربع فرق. وبلغت جبهة القوة الشمالية ستة وثلاثين ميلا، اما القوة الجنوبية فكانت جبهتها ثلاثة وثلاثين

تدابير الحلفاء

ومضى الحلفاء في استعدادهم للهجوم. وهو استعداد هائل. قال السير دوغلاس هايغ: «كان علينا ان ننشيء مستودعات للذخائر والاعاشة على مقربة من الجبهة. ولنقل ما نحتاج اليه من هذه المستودعات كنا بحاجة الى خطوط حديدية متعددة الاميال، منها خطوط عريضة ومنها خطوط ضيقة تنتهي الى الخنادق

«وعمدنا الى اصلاح الطرق الممكن الاستعانة بها، وانشأنا طرقاً اخرى، وشققنا الصخور في الاودية لتمهيد سبل المواصلات . وبنينا المآوي والملاجىء والمستشفيات . وفتحنا المعابر في احشاء الارض لتسير فيها الجيوش بمأمن من القذائف والرصاص ، ومددنا اسلاك الهاتف في حفر عميقة ، واثبتنا المدافع في قواعدها ، واقمنا مخافر الاستكشاف»

وهو عمل شاق كما يبدو منه . والعمل الاوفر مشقة جر المياه الى تلك الانحاء الصخرية الجافة . فحفرت الابار ، حفر لا اقل من مئة بئر . غير ان الالمان عرقلوا مراراً هذه الاعمال كما عرقلها الجو الماطر . بيد ان الانكليز قاوموا كل صعب وجاهدوا في بلوغ امنيتهم بحماسة وثبات

والفرنسيون قاموا بالعمل المنهك . فاقدموا على ما اقدم عليه الانكليز من انشاء الخطوط الحديدية وتوسيع الطرق وبناء المستودعات . فالهمة المبذولة دعت الى مجهود جبار

الخطة الحربية في السوم

ولقد رمى الحلفاء في خطتهم الحربية في منطقة « السوم » الى فتح ثلمة في الجيش الالماني، والى منعه من سد هذه الثلمة بما يدفع اليها من قوات حديثة لا تزال مالكة القوة والجهود وهي لم تعرف متاعب القتال . واوضح ذلك القائد « جوفر » في كتاب وجهه الى القائد « فوش » والقائد « دوغلاس هايغ » فقال :

« لا يجوز خرق الصفوف الالمانية الا حين تبيت الثلمة واسعة عميقة لئلا يفاجئنا العدو من جانبيها بقواته فيعمينا . وليس لدينا قوات اخرى نستنجد بها . وكل ما علينا ان نشهر على العدو حرباً طويلة قاسية تنتهي باضمحلال قواته التي يجابهنا بها »

وحدد القائد جوفر خطة القتال بقوله : « يجب علينا مهاجمة خطوط المواصلات الالمانية الممتدة في « كامبره » و « ليكاتو » ، و « موباج » ، وسائر انحاء منطقة السوم

«واني لارغب في اكراه العدو اما على براح مواقعه على شطر وافر من الجبهة الحاضرة ، واما على خوض معركة يضطر فيها الى الانطلاق من اماكنه الحصينة . ويجب ان يكون الطريق الممتد من « بابوم » الى « كامبره » محور تقدمنا »

قادة الجيش الفرنسي

وانقسم الجيش الفرنسي في منطقة السوم الى ثلاثة اقسام . فتولى الجيش السادس القائد « فايول » واستقر به في منطقة القتال ، وانشأ في بلدة « بوف » مقر اركان حربه . واقام الجيش العاشر في ناحية من الجبهة يمكن ان تمتد اليها حركات الهجوم ، واستقر اركان حربه في « بريتاي » . ودعي الجيش الثالث من الارغون الى الناحية الواجب فيها الانتظار ، وهي المنطقة الواقعة بين « لاسينيي » و « سواسون » ، واتخذ « فيربيري » مقراً لاركان حربه

من هو القائد العام

وقائد الجيش الفرنسي العام في منطقة « السوم » هو القائد «فوش» نفسه . وقد دفع الى الميدان اربع عشرة فرقة وكان لديه عدا هذه القوة اربع فرق من الفرسان واربع فرق من المشاة حشدها وراء جبهة الهجوم . وما بدأ القتال حتى اوفدت اليه ثلاث فرق اخرى من المشاة

قوات المدفعية الفرنسية

وتألفت المدفعية الفرنسية لدى القائد « فوش » ، عدا ما يملك من مدافع من عيار ٧٥ ، من مئتين وستة عشر مدفعاً يختلف عيارها بين ٩٠ و١٠٥ ، ومن ٥١٦ مدفعاً عيارها بين ١٢٠ و ١٨٠ ، ومن ١٢٢ مدفعاً ضخماً ، ومن ١١٠٠ مدفع للخنادق

وتجهزت هذه المدافع بذخائر تكفيها شهراً واحداً . فكان هناك ستة ملايين قذيفة للمدافع ذوات العيار ٧٥

و ٣١٠٠ قذيفة لكل مدفع من المدافع المتفاوت عيارها بين ٩٠ و ١٠٥

و ٢٦٣٠ قذيفة لكل مدفع من المدافع المختلف عيارها بين ١٢٠ و ١٥٥

و ١٧٠٠ قذيفة لكل مدفع عياره ٢٢٠

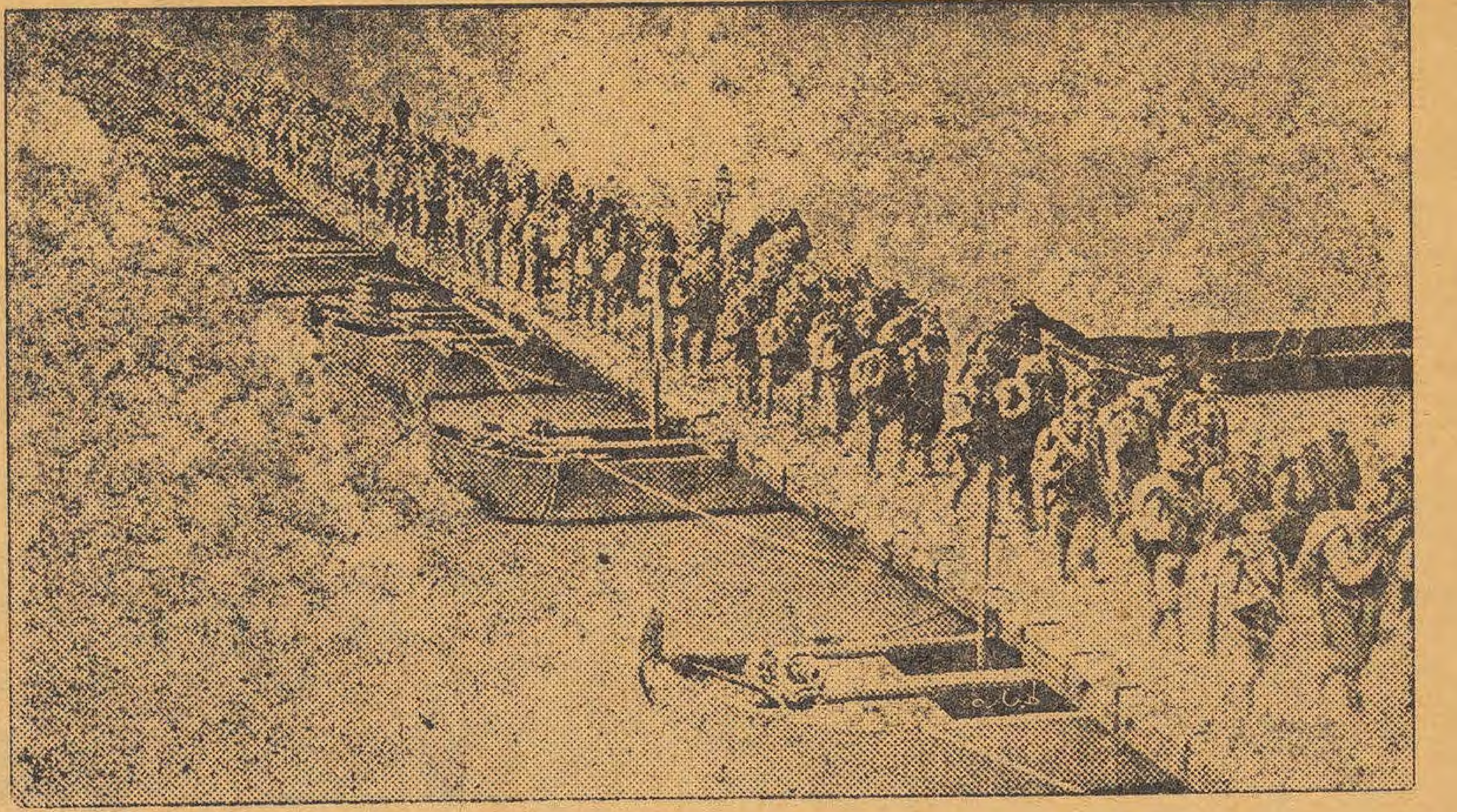
واربعمئة الف قذيفة لمدافع الخنادق

بدء القتال

وفي اول تموز ١٩١٦ اذاعت القيادة العامة الفرنسية بلاغاً قالت فيه :

« قامت في هذا الصباح الجيوش الفرنسية البريطانية بهجوم على جبهة طولها اربعون ميلا في شمالي « السوم » وجنوبيها واستولت على الموقع الالماني الاول »

هذا ما اورد البلاغ الفرنسي . وفي اواخر حزيران التهبت خطوط الحلفاء دفعة واحدة في اندفاعها الى مناوأة الصفوف الالمانية . فاندلعت النار من الشمال بادئة ببلدة « غوميكور » ومنحدرة الى « شون » ، واجتازت قرى « هابيترن » ، « سير » ، « تيابفال » ، « لا بواسيل » ، « فريكور » ،



القوات الفرنسية

في اجتيازها نهر السوم

لما دعيت القوات الفرنسية في اوائل تموز ١٩١٦ الى الهجوم على الالمان في جبهة «السوم» بالاتفاق والقوات الانكليزية لبت النداء بهمة وبسالة. وها هي تجتاز نهر «السوم كما يبدو في هذا الرسم وقد انتقلت على جسور نقالة شيدتها بنفسها

« ماريكور » ،« فريز »،« دومبيار » ، « فونتين ليكابي » ، « ناي »

وعرفت جبهات القتال شدائد الهجمات الكبرى . فانتشرت الطيارات في الجو وتطايرت القذائف حاصدة ناسفة . فالحرب اتقدت في البر والجو. وانها لحرب رهيبة في حمها المحرقة الارض والسماء. فتشق القذيفة الجو وتهوي الى الارض تحفرها وتبعثر ما عليها، فكأن كل ما في السماء من رعود وصواعق انقضت معاً على تلك الجبهة القائمة في ولاية «بيكارديا» التي لم تتبدل خطوطها منذ معركة المارن غير تبديل طفيف. اما الان فالفرنسيون والانكليز صمموا على دفع هذه الخطوط الى الامام

هدم الاستحكامات الالمانية

وانصبت المدافع الفرنسية على الاستحكامات الالمانية تمعن في تهديمها . وبعد ان تم لها ما تطمع فيه عمدت الخطوط الفرنسية الاولى الى الهجوم ، فوثبت من خنادقها ، فصدمها الالمان برشاشاتهم. غير انها ملكت نفسها حيال الصدمة واندفعت الى الصفوف البافارية الالمانية تحتلها . وتسنى لها اقصاء الالمان عن مواقعهم الاولى. واستقرت في ضواحي « هارديكور » و« كيرلي»

ووقف القتال بعض الزمن كي يتسنى للمدفعية الفرنسية نسف ما حول قرية « كيرلي» من خنادق . وكان الالمان يحتلون هذه القرية ويطلقون من نوافذها وقبة اجراسها النار على الفرنسيين للحؤول دون دخولها ، ولكن الفرنسيين وثبوا الى « كيرلي » غير مبالين الرصاص المتساقط عليهم . واخيراً استطاعوا ان يحتلوها . بيد انهم احتلوا منها الاطلال ولم يبق ثمة غير دور مهدمة

السرعة في القتال

واعتمد الفرنسيون والانكليز السرعة في قتالهم . فاستولت القوات الفرنسية على « فريز » وتوغلت في غابة « ميرو كور » ، ففوجىء بها الالمان مفاجأة ولم يكونوا على استعداد لرؤيتهم اياها في الغابة بكل هذه العجلة . ولقد بوغتوا بها وهم على اعتقاد انهم ينعمون في خنادقهم بالطمأنينة

وملك الفرنسيون في غابة « ميرو كور » غنائم لا يستهان بها . ودمروا مدافع المانية وافرة . وشددوا من عزائمهم فتقدمت قواتهم ودخلت « هربيكور » وهو موقع صغير الا انه وافي التحصين . وحاولت مهاجمة موقع « اسيفيه » المنيع

فوز الفرنسيين

وانطلقت قوات اخرى الى « دومبيار » واستقرت فيها ، بيد انها استقرت على انقاض هذه البلدة الشهيرة بمعامل السكر القائمة فيها ، الا انه لم يبق من هذه المعامل غير هيا كل حديدية مبعثرة

والتحقت هذه القوات بالجيش المستولي على « بيكابور »،وعاد الجميع الى مهاجمة موقع « اسيفيه » الحصين، فطوقوه ولم يعجزوا عن امتلاكه ، وما لبثوا ان هاجموا « فلو كور » وهي على بعد خمسة اميال من « بيرون »،وانتقلوا منها الى « فانير » في الشمال ، ثم الى غابة « شاپيتر » المحصنة ، ومنها الى قرية « بوسكور »

اما الغنائم فكانت في مساء ٣ تموز ١٩١٦ عشر بطاريات ، خمس منها من ذوات العيار الكبير ، ورشاشات كثيرة ، ومدافع للخنادق ، وثمانية آلاف اسير الماني

وفي اليوم التالي في ٤ تموز اسر الفرنسيون الفاً واربعمئة الماني . وقدرت الوثبة الفرنسية من اول تموز الى ٤ منه بثلاثة اواربعة اميال على جبهة طولها من خمسة الى ثمانية اميال

قرية «بياش» الفرنسية

وقد امست انقاضاً في انقاض

لما هاجم الفرنسيون جبهة «السوم» الالمانية اضطروا الى بذل المجهود العنيف في اقصاء الالمان عن الاماكن التي يحتلونها. ومن هذه الاماكن قرية «بياش». وقد افنى فيها الفرنسيون كل مجهود للاستقرار فيها. فما سلمهم اياها الالمان غير اطلال كما تبدو في هذا الرسم



التنعم الالماني

واعتقد الالمان ان بقاءهم على ضفاف نهر «السوم» سيطول، فاعتمدوا وسائل التنعم والترف. ولقد وقع الفرنسيون على مضارب المانية متوفرة فيها اسباب الراحة جمعاء، من اسرة حديثة، الى بيان للعزف، الى ادوات التدفئة العصرية، مما دل على انهم لا يبالون الخطر الفرنسي ولا يرقبون ان يبصروا الفرنسيين متفوقين عليهم في القتال. فالالماني كان يعتقد وقد امسى في قلب فرنسا انه لن يتزحزح عن ديار عدوه، فهو فيها ما شاء.

احتلال قرية منزلا منزلا

ومشى الفرنسيون الى «ايتره» المشيدة منازلها على الطريق العام. ولقد اضطروا الى القتال العنيف في اندفاعهم اليها. فما جلا الالمان عنها بسوى شدة متناهية. فعاندوا الفرنسيين كل المعاندة. وكانوا يسلمونهم الارض بالاشبار، لا يجلون عن منزل الا وقد تحصنوا في المنزل الاخر. فعانى الفرنسيون كل شدة في مقاتلتهم. فاتعبوهم واكرهوهم على احتلال القرية منزلا منزلا

ومن «ايتره» وثب الفرنسيون الى «بيلوى آن سانتير»

وصبت قذائفهم على الخنادق الالمانية المشيدة بين «اسيفيه» و«باوله» فذللت الاسلاك الشائكة المنتصبة حولها. واندفع الالمان فقهروهم واستعادوا منهم «ايتره»، على ان الفرنسيين لم يلبثوا ان عادوا الى احتلالها، فرام الالمان ان يقصوهم عنها فلم تتم لهم هذه الامنية

وجعل الفرنسيون هدفهم مدينة «بيرون» وقد باتوا على ثلاثة اميال ونصف ميل منها. وتنبه للالمان للخطر الداهم فاعتزموا دفع الفرنسيين عن الهدف. وخاطب مقام اركان الحرب الالماني القيادة كي توفد الى جبهة «بيرون» ما لديها من قوات احتياطية. فاوفدت فيلقين تحت امرة القائد «فون اينم»

على ان الجيش الفرنسي كان قد اندفع بعد تنظيم المواقع المحتلة وتجهيز مدافعه بالقذائف وامتلك في ٥ تموز موقع «سباهن» الوافر المنعة، وقرية «هم»، ومزرعة «موناكو». وهذا الاحتلال ادهش القادة الالمان وقد انشأوا في هذه المنطقة الاماكن الحصينة

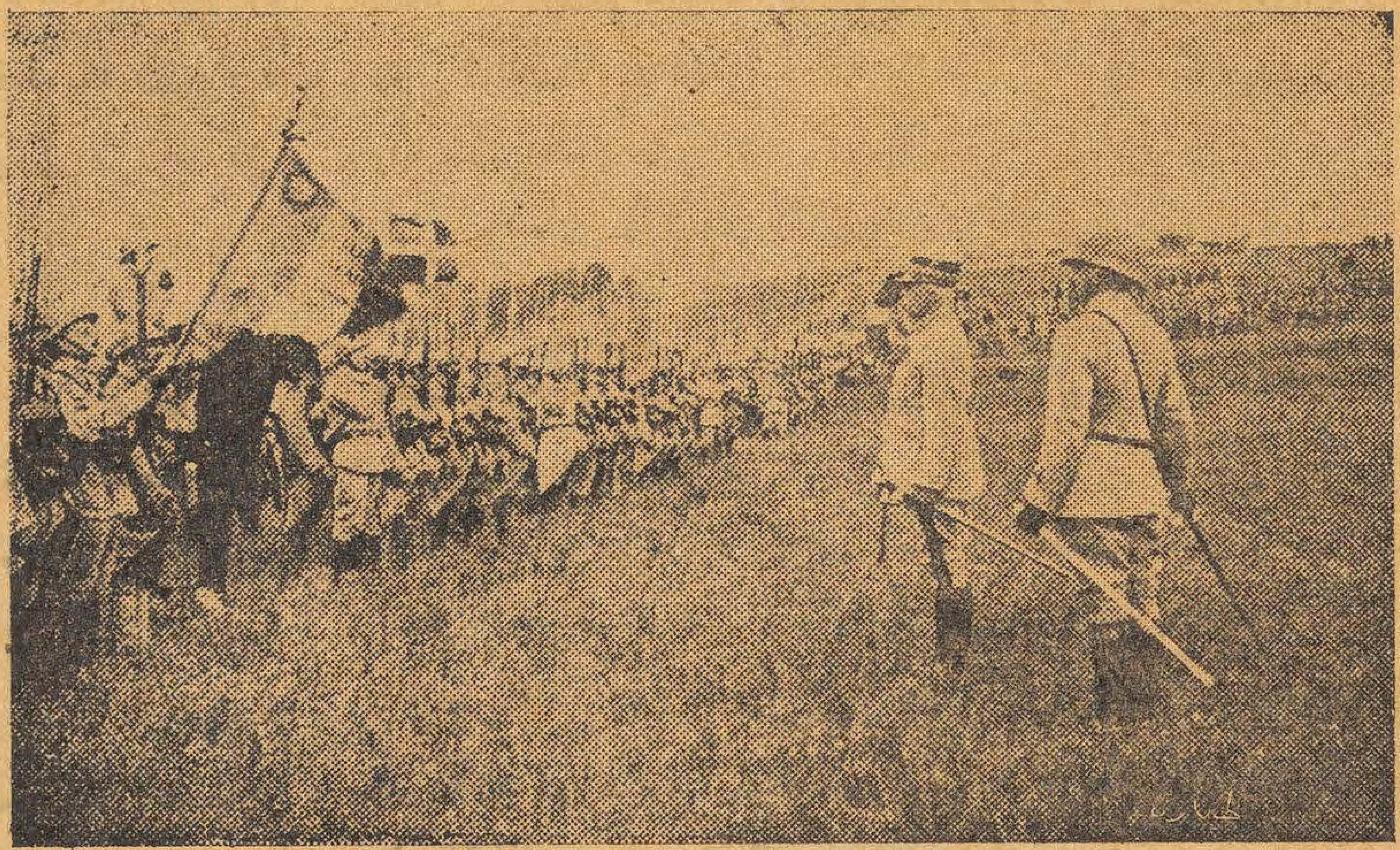
ولم يكن من الجيش الالماني في اليوم التالي الا ان رمى القرية بقذائفه لانقاذها من قبضة الفرنسيين. وامتدت قذائفه الى الضواحي. فاجابه الفرنسيون بمدافع من عيار ٧٥ وبالاستيلاء في ٨ تموز على «هارديكور اوبوى» وفيها اتصلت القوات الفرنسية بالقوات الانكليزية

واقترب الفرنسيون من «موريبا» واحتلوا غابة «فابيار»، وانطلقت مدافعهم تمهد الطريق لامتلاك «بياش» وهي قرية صغيرة لا يزيد عدد سكانها على اربعمئة او خمسمئة نفس. وامتلكوا هذه القرية وبلغوا قمة «باوله» واستولوا على مزرعة «لامزونيت»

المجهود الالماني

فتأثر الالمان وهم يشاهدون هذا الفوز يحالف الجيش الفرنسي وتنادوا الى درء الخطر بكل ما يملكون من عزم. فدفعوا الى الميدان اشد رجالهم واحدث مدافعهم وادهى قادتهم ليقهروا الفرنسيين ويردوا منهم ما ملكوه

وظهر البأس الالماني في ارفع مستواه. وعرف الفرنسيون ان امامهم عدواً لا ينام على ضيم ويأبى ان يلوي له عنان. وفي ١٥ تموز برحت قوات المانية مدينة «بيرون» تبغي تهديم الخطوط الفرنسية. وعضدتها المدفعية المرتكزة على قمة «سان كانتان» فوفرت له احتلال قرية «بياش»، الا ان هذا الاحتلال لم يطل امده وقد افنى الفرنسيون



القائد فايول

يعرض قواته على جبهة « السوم »

يمثل هذا الرسم القائد « فايول » الفرنسي ولي الجيش السادس على جبهة « السوم » وقد قام بعرض قواته فيما يدفعها الى مقاتلة الالمان. ويطالع القراء في هذه النشرة من « الاسرار » ما ادركه القائد في هجومه من فوز باهر سريع

مجهودهم في استعادته فنجحوا واستقروا هذه القرية

وكانوا قد احتلوا في هذه الاثناء ثمانين ميلا مربع وانتزعوا من الالمان خمسة وثمانين مدفعاً بعضها من عيار ضخم ، ومئة رشاشة ، وستاً وعشرين نسافة ألغام ، واعتدة وافرة ، واثني عشر الف اسير بينهم مئتان وخمسة وثلاثون ضابطاً

احتلال «كومبل»

وفي ٢٠ تموز بدا الطور الثاني من معارك « السوم » . فبرحت القوات الفرنسية «هارديكور اوبوى» وامست على مقربة من كومبل واسرت فئة من الالمان

وامتد المجهود الفرنسي الى « بارله » و « سوايا كور » و « مرماندوفيليه » على من مقربة من «شون »، فغنمت القوات الفرنسية عدداً من الاسرى وثلاثاً وثلاثين رشاشة

وانتفض الالمان ، وابوا ان يسجلوا على انفسهم الهزيمة ، فجبههم الفرنسيون واشتبكوا واياهم في معركة فنيت فيها كتيبة المانية بكاملها

وتقدم الفرنسيون في الشمال الشرقي من « هارديكور » واستولو على خنادق وممرات المانية وقد توغلوا فيها على مسافات تتفاوت بين خمسمئة والف ذراع ، وبلغوا « موريبا » واستقروا في غابة « هم ». وكانت قد انتهت السنة الثانية من الحرب . واذاعت ذلك قيادة الحلفاء العامة في بيان نشرته على قواتها .

رواية ضابط المانى

وفي ١٣ تموز نشرت جريدة « لاغازيت ده فوس » الالمانية وصفاً للمعارك حدثها به ضابط الماني جريح هو السيد « دافيتش »

قال فيه : « اطلقت المدفعية الفرنسية الضخمة وقاذفات الالغام نيرانها على صف الخنادق الالمانية الاول . واضحى الفرنسيون ذوي مقدرة عجيبة في اطلاق قاذفات الالغام . وهي ألغام من عيار خفيف الا انها بليغة الاثر ، وقد يكون اثرها معنوياً اكثر منه مادياً. على ان الفرنسيين امعنوا في الاستعانة بها

« وهم يعتمدون المدافع الضخمة في هدم الخنادق ، ويحسنون اصابة الهدف ، ويرمون القذائف الى مدى بعيد . وازاء الكتيبة التي كنت اقودها انتصبت امامنا ست قاذفات للالغام تطلق علينا نارها بلا انقطاع . فكانت ألغامها تحصد الاسلاك الشائكة واعمدتها وتحطم كل ما تصطدم به وتنفذ حتى الى اعماق الخنادق تقوضها

« وفي وقت قريب ذهبت بشطر كبير من خنادقنا ودفنت تحت الانقاض عدداً وافراً من رجالنا . ودام اطلاق النار سبعة ايام . وجاء بعده اطلاق الغازات الخانقة فكان جسيم الاذى »

قادة الالمان

قسم الالمان في منطقة « السوم » صفوفهم الى ثلاثة اقسام. فعهدت القيادة العليا بالميمنة الى القائد « فون ستاين » ، وبالقلب الى القائد « فون غوسلر » . وكان هذا القائد يتولى امر الفيلق الاحتياطي الرابع وقد اقبل في ٣ تموز الى منطقة « السوم » . وفوض امر الميسرة الى القائد فون كاست ، وقد امتد الجناح الالماني الايسر الى « سوايا كور »

وفي اول تموز انتقلت قيادة قوات القلب من فون غوسلر الى القائد « فون كيرخباخ » . وفي ١٩ تموز تألف من هذه الاقسام الثلاثة جيشان ، الجيش الثاني وقد ملك ناصيته القائد فون بيلوف ، والجيش الاول قد قبض على زمامه القائد فون غولويتز

وزاد الالمان في تنظيم مدفعيتهم وصفوفهم . واطلقوا طياراتهم باجمعها في محاربة الفرنسيين والانكليز . وكتب القائد «فون بيلوف» في هذا الصدد فقال : « لقد ضحينا في سبيل الوقوف على اماكن العدو بكل ما لدى الطيارين الالمان من مهمات »

ووقوف الطيارات الالمانية على مواقع الفرنسيين والانكليز مزق الغشاوة عن عيون المدفعية الالمانية. فامست لا تجهل الى اي ناحية تتجه بقذائفها . وجيء الى ميدان القتال بطيارات قوية للمطاردة . وهذه الطيارات كانت تحتشد فوق مواقع القتال وترمي الاعداء بقذائفها. وهذا ما اشار اليه القائد «فون بيلوف» بقوله : «استطعنا بحشدنا الطيارات في اماكن الجبهة الاشد عرضة لهجمات العدو ، وبقيامنا بهجوم نلوي به من عنان هجمات الطيارات الفرنسية والانكليزية ، ان نملك سيادة الجو كلها ، وخصوصاً في المواقف العصيبة»

هجوم طيارات الالمان

وتعاظم عدد الطيارات الالمانية بشكل راعب . فاضحت اسراباً في اسراب . وتسنى لها القيام بكل ما تدعى اليه . فتساعد المدفعية وتحمي المشاة وتكشف مواقع الاعداء . وبدل ان تقف سداً منيعاً امام هجمات الفرنسيين ورد عليها الامر بالهجوم وبالاندفاع في استكشافها حتى الى ما وراء خطوط الفرنسيين والانكليز

ولم تكن تعمد في طيرانها الى القيام بجولات منفردة كالطيارين الفرنسيين ، بل كانت تنطلق مجتمعة في شبه اسطول ضخم

وتنظم المشاة الالمان تنظيماً جديداً . فامسوا لا يندفعون الى القتال في حشد واحد بل افواجاً افواجاً . وعلى هذا الاساس نظموا خطوطهم . فاضحوا اشبه بدرجات السلم . وهكذا تسنى لهم استعادة توازنهم وكان قد صار في بدء القتال الى الانهيار

دعوة القوات الاحتياطية

وهذا التوازن في القوى الالمانية لم يتم لولا دعوة القوات الاحتياطية المقيمة على الجبهة الغربية الى الاشتراك في العمل . فكان لدى الالمان ثلاث عشرة فرقة احتياطية في الجبهة الغربية بكاملها . فدعيت احدى عشرة فرقة منها الى جبهة « السوم »

واحدى عشرة فرقة نجدة يمكن الاعتماد عليها . ولقد اضيفت بعد عشرة ايام الى الفرق السبع المعسكرة في الجبهة منذ بدء القتال وهذه النجدات ساعدت الالمان على انتزاع اربع فرق من جبهة السوم نفسها نهك النضال قواها

مع ان الالمان كانوا على استعداد لصد الهجمات . غير انهم لم ينتظروا ان يقذفهم الفرنسيون والانكليز بكل هذه القوات ، بل هم لم ينتظروا من الجيش الفرنسي ان يشترك في معارك السوم وهو المضطر الى الذود عن فردون المضروب عليها الحصار الالماني . فقد طوقها منهم لا اقل من سبعمئة الف

وفردون لولب القتال في فرنسا ، فهي مفتاح باريس ، فان تسقط باتت فرنسا في خطر ربما تعذرت النجاة منه

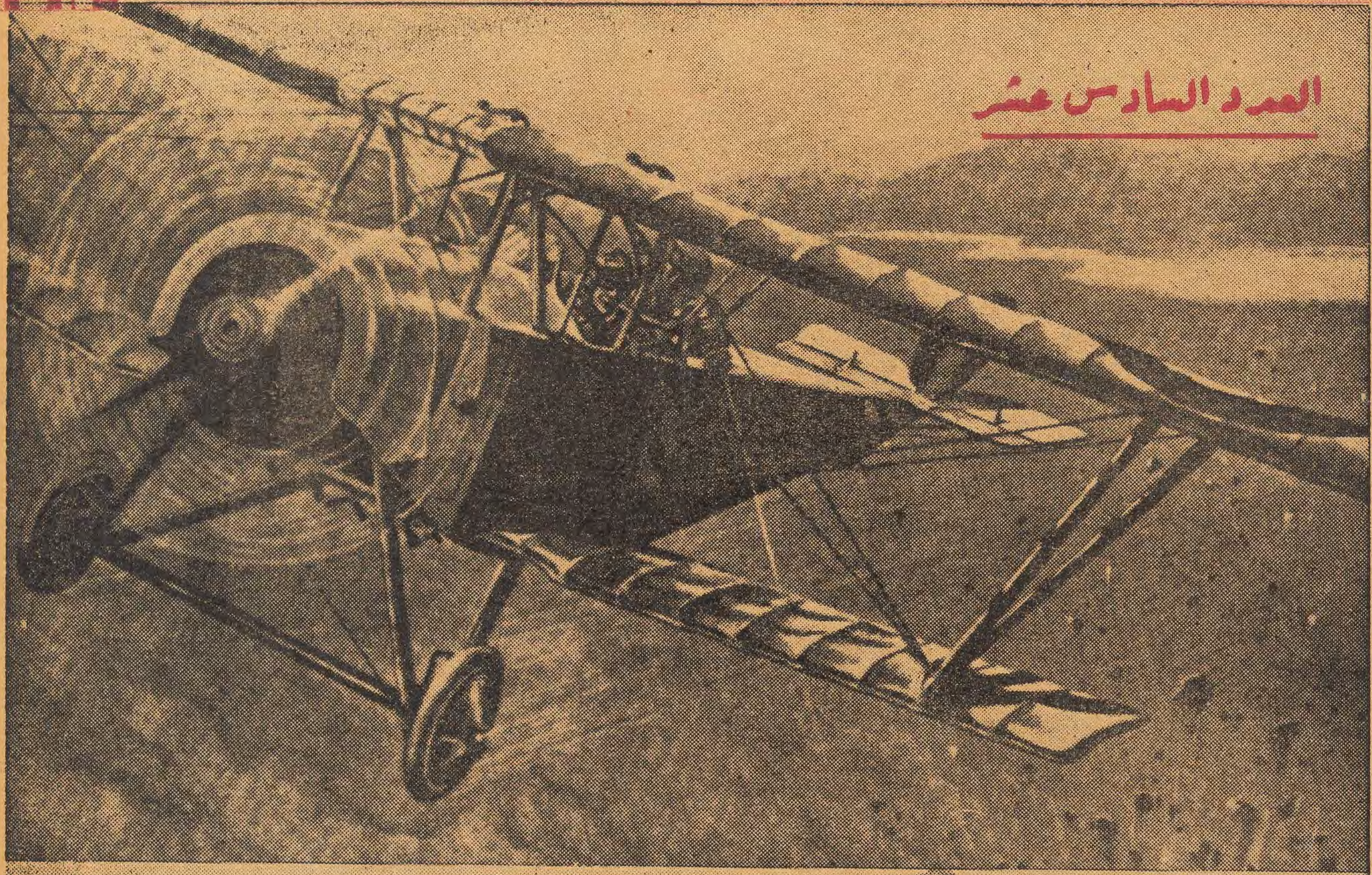
حديث القيادة الانكليز

وتحدثت القيادة الانكليزية عن الاستعداد الالماني في جبهة « السوم » فقالت : « بعد احتلال دام سنتين في هذه المنطقة بذل الالمان كل مجهود في تحصينها لتبيت استعادتها من المحال . فانشأوا استحكامات متعددة الخطوط ، عميقة الخنادق، شقوا بينها ممرات طويلة وحموها بالاسلاك الشائكة المزدوجة على عرض ستين ذراعاً . واعمدة هذه الاسلاك من الحديد . واضحت الغابات والقرى لفرط تحصينها اشبه بالقلاع . وكل ثقب او دهليز او منزل امسى قاعدة للرشاشات . فلم يهمل الالمان امراً من امور الوقاية . فكل وسيلة تضمن لهم منعة مواقعهم لجأوا اليها بهمة لا تعرف الكلال »

غير ان هذا الاستعداد كله لم يمنع الحلفاء من الاصطدام بالالمان في جبهة « السوم » صدمة موفقة، ذلك ان الاستعداد الالماني حسب نفسه بامان ، وغفل عن المفاجأة ، واذا المفاجأة تدهمه ، أتراه يذهب ضحية لها ؟...

الأسرار

العدد السادس عشر



معارك الجو في اوربا

طيارة سابحة ومدفع لاسقاط الطيارات



الاسرار

اصحابها : انطون صادر ، كرم ملحم كرم ، فؤاد ميداني

رئيس الانشاء المسؤول: كرم ملحم كرم — منشىء القسم الشرقي: فؤاد ميداني

المكاتبات باسم مدير المجلة : انطون صادر

الادارة مكتبة صادر * شارع اللنبي * بيروت

مجلة اسبوعية تاريخية تبحث في التاريخ وما اهمله التاريخ

العدد ١٦ بيروت في ١٩ تموز سنة ١٩٣٨

اسرار الجاسوسية في القضية العربية

بقلم فؤاد ميداني

السلطان محمد رشاد ينفر من تصديق احكام الموت على ان انور يتولى تصديق هذه الاحكام بنفسه

قتل الجنود رمياً بالرصاص بات ملهاة وفوضى

في اوائل عام ١٩١٥ عرضت على الحكومة العثمانية عدة قضايا سياسية مهمة ادت الى اعتقال مئات من الرعايا العثمانيين واعدام ٨٥ شخصاً منهم بين استانبول وبغداد وبيروت وسواها من المدن العثمانية.

وهذه القضايا احدثت مشاكل عظيمة بين السلطان محمد رشاد الخامس وبين اركان حكومته . فالسلطان رشاد ، وكان يكره حوادث القتل، يضطرب عند ما يصدق احكام الموت

ولكي يتمثل قراء «الاسرار» السلطان محمد رشاد الخامس نرى ان ننقل اليهم عنه ما حدثنا به السيد عزت ضيا المرافق الخاص بجلالته، قال :

من هو محمد رشاد ؟

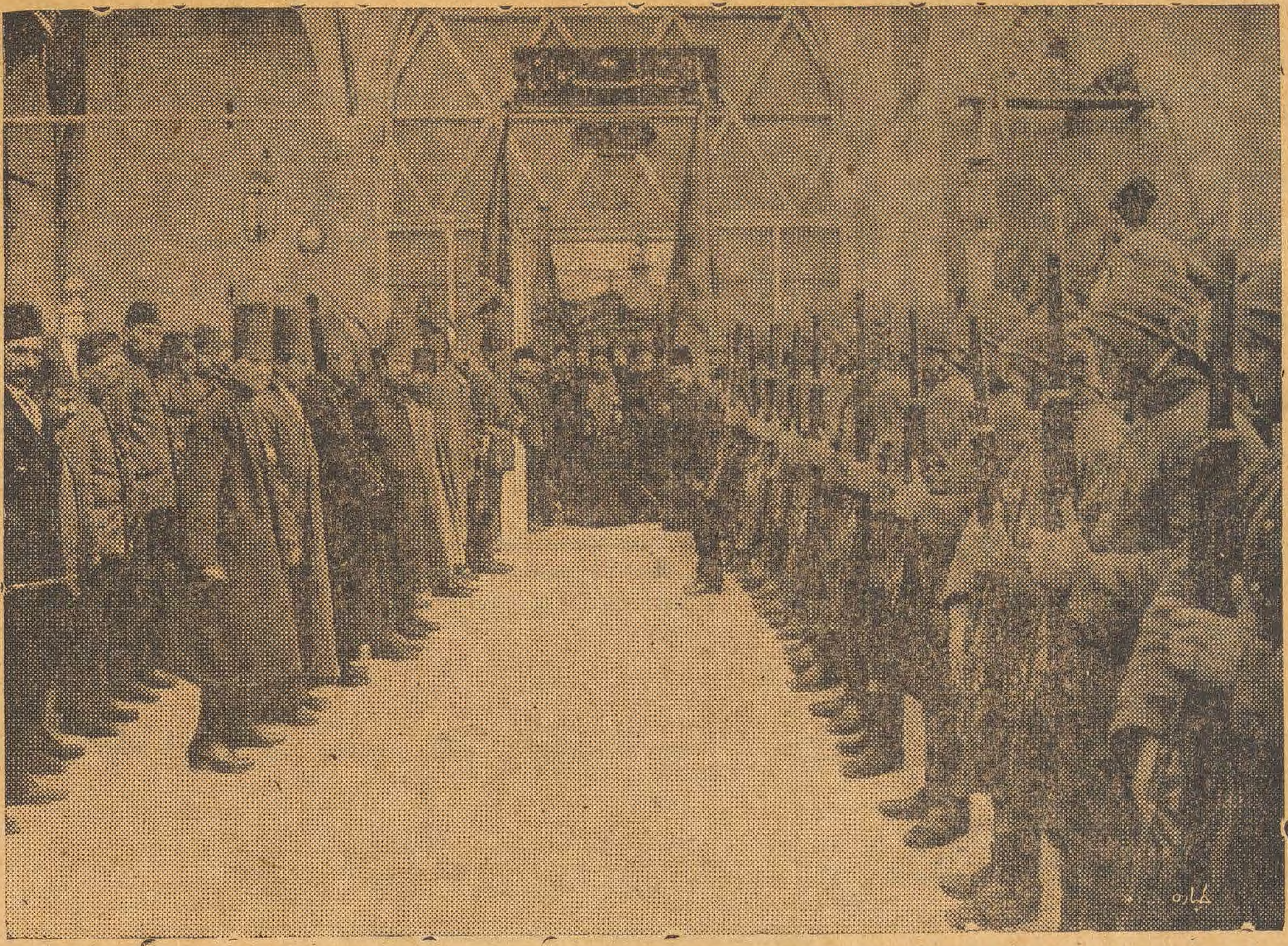
يتكلم السلطان رشاد بجمل متقطعة ، فتظهر الركاكة مقرونة بالتردد في احاديثه ، على انه في الاحاديث الرسمية الواجب عليه حفظها يرسل الكلام بسهولة ، غير انه يبدو خجولا في محادثة الغرباء الذين يقابلهم لاول مرة ويجد مشقة في مخاطبتهم

والسلطان محمد رشاد محافظ في طبعه ، بطيء في حركاته



السلطان محمد رشاد

وهو من خاضت في عهده السلطنة العثمانية غمار الحرب العالمية



مقام مولانا جلبي في قونية

يمثل هذا الرسم مدخل مقام مولانا جلبي مؤسس المولوية في قونية وقد اصطفت عند مدخل المقام مفرزة من الجند

وتصرفاته ، يكره استبدال الاشخاص الذين اعتاد الاختلاط بهم ، ويرفض كل تبديل في غرفته او مقعده وكل ما هو خاص به

موقف السلطان من الصحف

ومحمد رشاد لم يكن يطالع من الصحف الا الاخبار المحلية . وكان يكره الصحف الهزلية والرسوم « الكاريكاتورية » . وفي عام ١٩١٤ نشرت له جريدة « قلم » الهزلية رسماً كاريكاتورياً ، ومع ان في الرسم ما يعلي مكانته ابدي الاستياء الشديد ، ودعا وزير الداخلية وطلب منه ان يمنع الجريدة من العودة الى ذلك، قال :

ــ ليس من الحسن في شيء ان يشتغل هؤلاء الصحفيون في مثل هذه الامور وان يشوهوا امثال الله بهذه الرسوم الغريبة ، ففي ما يعمدون اليه افتئات على مشيئته سبحانه وتعالى. اطلبوا من صاحب هذه الجريدة ان لا يبدل من خلقة الله !

السلطان رشاد والمولوية

والسلطان رشاد ينتمي الى الطريقة المولوية ، ويعرف ادابها ومراسيمها الدينية ، ويحفظ كثيراً من القصائد والاشعار الخاصة بها، ويكره المناقشة في مواقف رجالها الذين يحترمهم احتراماً فائقاً ويغضب على كل من يجادله في امورهم !

ومع هذا ما دعا احداً الى الانضمام الى هذه الشيعة ، فكان يعتقد ان لكل فرد حريته في اختيار الطريقة التي يراها ملائمة لمزاجه وشعوره الديني

نفوذ السلطان رشاد

يملك السلطان رشاد صفاء قلب مفرطاً . مع ان البلاد كانت تحتاج الى رجل داهية خصوصاً بعدما تولاها من انقلاب على اثر اعلان

الدستور . وكان محروماً القدرة التي تساعده على النفاذ الى قلب الادارة للقبض ولو جزئياً على ناصية الامور

وبعضهم كانوا ينسبون الى السلطان في جوده البلاهة، ويعزون بلاهته الى الخمرة وقد ادمنها سنوات طوالا في ايام سجنه وهو ولي

واذكر انه مرض في احد الايام مرضاً دعا الى معالجته بشراب مقو، واعلنه الاطباء ان هذا الشراب ضروري لامتلاك نشاطه، ومع تمسك السلطان بعافيته رفض ان يتناول هذا الشراب لانه يحوي قليلا من الكونياك، فالقاه من النافذة في ارض الحديقة.



السلطان محمد رشاد يعرض الجيش

رسم تاريخي نادر اخذ في اول عام ١٩١٥ للسلطان محمد رشاد وهو يعرض القوات العثمانية السائرة الى الجبهة ويرى في المقدمة وبجانبه مرافقه ثم انور باشا فالوزراء والقواد

للعهد . على ان ما عرفته عنه، وقد لزمته سنين غير قليلة، ينفي هذا الزعم. فالسلطان محمد رشاد لم يذق الخمرة في حياته، وليس باستطاعة احد حتى في عهدنا هذا، ولم يبق فيه للسلاطين من نفوذ، ان يقول انه شاهد السلطان يشرب الخمرة او سمع بان الخمرة دخلت دائرته. والقليل من البلاهة الذي عرف به سببه ضعف في دماغه وبنيته. فالسنوات الثلاث والثلاثون التي حكم عليه بها اخوه السلطان عبد الحميد بان يبقى في قصره سجيناً لا يخرج منه قط رمته بتلك البلاهة المأثورة عنه

لماذا يكره الخمرة

وهناك ما يهيب بالسلطان محمد رشاد الى كره الخمرة. ذلك انه كان يقطن مع اخيه السلطان مراد داراً واحدة في عهد السلطان عبد العزيز . ومراد يفرط في ادمان الخمرة . فلما ولي زمام السلطنة خلع عن العرش ساعة كانت الخمرة مالكة امره، فنفر رشاد من الخمرة كل النفور . ومما عرفته استطيع القول ان السلطان رشاد ابعد بعض رجال حاشيته لما كان ولياً للعهد لكونه سمع عنهم انهم يعاقرون الخمر .

وكنا نضطر في كثير من الليالي الى الدخول اليه نحمل اوراقاً مستعجلة، فلم اشعر مرة من المرات بانه خرج عن طبعه، مما يدل على انه لم يكن يتناول شيئاً من الراح

اعمال السلطان

ونظم السلطان رشاد اوقات عمله بدقة . فهو يأتي في الساعة التاسعة صباحاً الى مقره في المابين وينظر الى الظهر في اعمال الدولة. وبعد الغداء ينصرف الى مكتبه في القصر

ومن عادة السلطان رشاد ان يطالع كل ورقة من الاوراق التي تعرض عليه. ولم يسبق له ان وقع اي ورقة كانت، مهما ضؤلت خطورتها، دون قراءتها ومعرفة ما فيها

القضايا التي يهتم بها

ومن البديهي ان تعرض على السلطان الاحكام النهائية للتصديق. وفي مقدمة القضايا التي كان يهتم بها الاعتداء على الفتيات وسلبهن طهارتهن . فالسلطان شديد النقمة على هؤلاء الفاسقين العابثين بعذرة

البنـات . وكان يرى . في كثير من الاحيـان ان ما يحكم به على هؤلاء بالغ منتهى الرحمة. ومما كان يزيده نقمة اعتداؤهم على القاصرات. فدعا الى التشديد في الحكم على المتجاسرين

حوادث الاعدام

وبين القضايا التي تعرض على السلطـان السلطان محمد رشاد احكام الموت .

ومع ان هذه الاحكام التي تعلنها المحاكم المدنية والعسكرية قد بلغت مستواهـا القانوني ، فالسلطان محمد رشاد يتشاءم جداً منهـا ويشعر بعذاب وجداني شديد وهو يوقعها . وكثيراً ما كان يتفق له ان يأتي باوراق القضية كافة ويصغي الى قراءتها ليرى رأيه فيها

وفي بعض الاحيان تستغرق قراءة هذه الاوراق ساعات طويلة، ومع هذا يظل السلطان جالساً على عرشه يصغي اليها وهو يعتقد انه في ما يفعل يقوم بواجبه نحو ضميره ، فلم يكن يقدم على توقيع حكم بالموت الا اذا آمن بانه حكم عادل وان مصلحة البلاد والامة تدعو الى الحكم بالموت على المجرم

قلم الاعدام

والسلطان محمد رشاد اعتاد ان يستخدم قلماً خاصاً لتوقيع احكام الموت . وقد ألقى هذا القلم في درج بعيد عنه، فاذا ما وضح له ان كل ما في القضية يدعو الى تصديق حكم الموت خاطب الكاتب المقيم بجانبه بقوله :

ـ هات القلم المشؤوم !

فيدرك عندذاك الكاتب ان السلطان اقتنع بصحة الحكم وانه سيصدقه ، فيأتيه بالقلم . وبعد ان يوقع به السلطان يلقيه الى المنضدة بحركة عصبية ثم ينفض يده منه مراراً ويشخص الى دار الحرم وقد عمد لتطهير يديه من لطخة الحكم

احكام ايام الحرب

ورجال الاتحاد والترقي الذين تولوا الاحكام في السلطنة العثمانية في الحرب العالمية الكبرى كانوا يعرفون ما يملك السلطان من شعور حيال احكام الموت ، وكانوا يعرفون انهم مع ما يتمتعون به من نفوذ عظيم ، ومع ابتعاد السلطان محمد رشاد عن التدخـل في شؤونهم السياسية فليس بوسعهم اجباره على توقيع احكام الموت . وما كانوا يجهلون ان اكثر هذه الاحكام التي سيعلنونها في اثناء الحرب ولاجل الحرب غير عادلة ، ولهذا حصلوا على قرار خولوا به مجلس الوزراء ووكيل القائد العام ، انور باشا ، حق تصديق احكام الموت ، ورفع عنه مجلس الوزراء هذه التبعة واناط بها قادة الجيوش انفسهم

والسلطان محمد رشاد وقع فوراً هذا القرار اعتقاداً منه بانه سيدفع عنه التبعة ويريح ضميره من امثال هذه الاحكام النافر منها

تأثير السلطان رشاد في الاحكام

ولم يسبق للسلطان رشاد طول مدة سلطنته ان اظهر قوة وصلابة في امر من الامور ما عدا احكام الموت . فكان يرفضها ان لم يقتنع بها وجدانه

وفي شهر حزيران ١٩١٥ عرضت عليه لائحة باحكام الموت لتصديقها

ومما جاء في نصوص الحكم ان قائد القوات العثمانية في بغداد اهتدى، بعد سقوط البصرة ، الى مكيدة دبرها فريق من الاهلين في بغداد لاثارة الفتنة، وان هؤلاء اعتقلوا وحوكموا عسكرياً وصدق القائد العام هذا الحكم ونفـذ حكم الموت فيهم ، ورفعت اوراقهم حسب الاصول الى السلطان محمد رشاد لتصديقها

وما كاد السلطان يطلع على هذه الاوارق حتى ثارت ثائرته وهو الرجل الرزين الهادىء وصاح : ما هذا ، ما هذا ؟..

فاوضح له رئيس كتاب المابين الحقيقة ، فاحتج قائلا :

ـ ولكني تركت لهم هذا الامر ، ليس بامكاني تصديق هذه الاحكام ، انى لي ان اقف على حقيقـة جرائم هؤلاء وليس لدي الا قرارات لا معنى لها !

ـ ولكن احكام الموت نفذت يا صاحب الجلالة بامر قائـد جيشكم !

ـ نفذت ويريدون اشراكي في جرائمهم وحملي على تصديق جنايات ارتكبوها ؟

وعبثاً حاول رئيس كتاب المـابين اقناع السلطان ان هذه الامور تجري بالطرق القانونية ، فرفض محمد رشاد كل الرفض ان يمضي هذه الاوراق . ولينجو من رئيس كتابه قال :

ـ دع هذه الاوراق الى ما بعد اجتماعي بوزير الحربية لاباحثه في الامر !

بين السلطان وانور

واقبل في ذلك اليوم انور باشا الى القصر. فلم يستقبله محمد رشاد بصفة كونه السلطان صاحب الكلمة المطلقة في البلاد ، ولم يخاطب انور بصفة

القواد العثمانيون في الحرب



يبدو في هذا الرسم قواد الحرب العالمية في الدولة العثمانية لما كانوا قبل الحرب ضباطاً عاديين

في الصف الاول — الجالسون من اليمين : علي رضا بك ، احسان بك ، سليمان العسكري بك ، محمود شوكت باشا ، انور باشا ، نظمي بك ، علي فؤاد بك

الصف الثاني — الواقفون : رمزي بك ، احمد جمال باشا ، اسماعيل جانبولات بك ، اسماعيل حقي بك

كونه القائد الاعلى للجيوش العثمانية بل خاطبه بلهجة الاب الناصح فقال :

— لا ارى من الواجب احداث جبهة جديدة في البلاد ، فقد كفى اننا اوجدنا في هذه البلاد جبهات حرب يسقط فيها يومياً المئات من جنودنا قتلى تحت رصاص العدو ، وكأن هذا لم يكف فشاءت محاكمنا العسكرية اقامة مجازر اخرى الى جانب تلك بقتل فريق من ابنائنا في داخل البلاد !

فقال انور : ولكن هؤلاء خانوا وراموا المناداة بالثورة لقتل جنودنا يا صاحب الجلالة !

— انا لا اقول يا ولدي ان من الواجب ان نترك هؤلاء وشأنهم فلا نجازيهم ، بل اقول انه يكفي ان نحكم عليهم بالنفي والاشغال الشاقة لمدة طويلة !

« وعندي ان ذلك اقرب الى العدل منه الى الظلم ، كما انه يساعدكم على شل هذه الحركات والقضاء على المكايد وينيلكم عطف الشعب !

فاصغى انور باشا الى النصيحة دون ان يعارض السلطان رشاد فيها ، لاعتقاده ان لا فائدة من مناقشة السلطان محمد رشاد في مثل هذه القضايا ، ووعده بان يحقق رغباته وانصرف

هل انجز انور الوعد ؟

على ان الوثائق التاريخية الثابتة تؤكد ان انور باشا لم يهتم بملحوظات السلطان . فهو اذا وعده بتحقيق رغبته والابتعاد عن انفاذ احكام الموت فلم ينجز وعده ، وقام بصفة كونه وكيلا للقائد العام يصدق احكام الموت التي تعلنها المحاكم العسكرية

اما المحاكم المدنية البعيدة عن مثل هذه الامور فقد وقفت جانباً لا تعلن حكما بالموت في اثناء الحرب العالمية

انور هو المسؤول

ومما نقلنا الى قراء « الاسرار » يبدو ان المرحوم السلطان محمد رشاد الخامس كان غير مسؤول عن دماء العثمانيين التي اريقت في الحرب العالمية

حتى ان بعض المقربين من السلطان رشاد يؤكدون انه كان يجهل حقيقة احكام الموت التي ذهب ابناء البلاد ضحايا لها ، ذلك ان انور باشا وجماعته لم يجدوا من الضرورة اطلاعه على الفظائع التي ارتكبوها باسم القانون

فاجعة صحراء سينا

ولدى وقوع هذه الحوادث كان احمد جمال باشا قد ارتكب جناية من افظع الجنايات التي بدأ بها سلسلة الارهاب في البلاد العربية ، وهذه الجناية انتهت باعدام سبعة شبان وكادت تؤدي الى اعدام ٢١ شاباً آخرين

وفي هذه القضية من الفظائع ما يجدر بنا ان ننقله الى قراء « الاسرار » ، فهي من الامور التاريخية التي لم يسبق ان نشرت حتى الان بلغة من اللغات

اعدام كل من يفر من الجبهة

لما بدأت المعارك الحربية في العراق ، على اثر دخول الدولة العثمانية



ضحايا احمد جمال باشا الاولى فى صحراء سينا

ثلاثة من الجنود الذين امر احمد جمال باشا بقتلهم في صحراء سينا دون محاكمة ، وهم رمضان اوغلو حسين ، احمد صلاح الدين ، عاكف . وقد اخذ لهم هذ الرسم قائدهم احسان بك ونشره في مذكراته سنة ١٩٣٥ ليشير الى فظاعة احمد جمال باشا وظلمه

الحرب العالمية ، فر بعض الجنود من الجبهة في اثناء المعارك، مما اهاب بالقيادة الى احالتهم الى ديوان الحرب ، فحكم في ١٥ كانون الاول سنة ١٩١٤على ثلاثة منهم بالموت وهم : محمد سلمان من« سلمان باك »، ويوسف حامد من « تكريت » ، وعبد السلام كاظم من الاعظمية. ونفذ في١٩ منه في العراق الحكم في هؤلاء البائسين. وهم ضحايا عهد الارهـاب الاولى

الا ان هـذا القرار لم يرهب الجنود ، فعادت وكالة القيادة العليـا وحملت السلطان على توقيع مرسوم خولت به كل ضابط ان يقتل فوراً ودون محاكمة كل جندي يشاهده متـأخراً عن القوات بضع خطوات.وهذا المرسوم وان كان موقعاً باسم السلطان الا ان من الراهن انه مزور

ولذا عمدت القيادة الى تسيير مفرزتين ، الاولى مفرزة المقدمة تسير في طليعة الجيش،والثانية المؤخرة،ومن واجب هذه الاخيرة حماية مؤخرة الجيش عند تقدمه او تراجعه . ولهذه المفرزة السلطة التامة في قتل كل من تراه متأخراً عن القيام بواجبه العسكري

فى جبهة سينا

واحمد جمال باشا ، وهو الناقم على كل شيء في جبهة سينا بعد فشله في معركة قناة السويس الاولى ، صب جام غضبه على الجنـود

الذين تراجعوا من معركة القناة غير راحم فيهم ما عانوا من مشقات القتال والجوع والمرض

وفي نيسان ١٩١٥ ، لما اذيعت الاوامر بتراجع البقية الباقية من قوات سينا عن قلعة النخل في حدود الصحراء المصرية، اقبل احمد جمال باشا مع عدد من اركان حربه الى الجبهة للاشراف على سحب القوات الى بئر السبع ، وعلى بعد ١٢ ميلا من قلعة النخل شاهدوا اربعة من الجنود في حالة يرثى لها من التعب والبؤس ، مطروحين على الارض، فترجل جمال عن جواده وتقدم من هؤلاء الجنود يرفسهم برجله ويأمر رجاله بان ينزعوا منهم سلاحهم ويسوقونهم امامه ، حتى اذا ما بلغوا المعسكر استدعى قائدهم احسان بك وقال له :

— امرت بقتل هؤلاء ، ويجب ان ينفذ فيهم غداً باكراً حكم الموت !

اعدام ثمانية ابرياء

وكان هؤلاء الشبان الاربعة عبد الحميد البيروتي (بماجرى عليه الاصطلاح التركي في اثناء الحرب ان لا تذكر كنية الجنود بل المدن التي نشأوا فيها . فاذا كان الجندي بيروتياً اضيف الى اسمه كلمة « بيروتلي » ، مما حال دون معرفتنا اسماء هؤلاء الاربعة الحقيقية) ورمضان اوغلي حسين ، واحمد صلاح الدين ، وعاكف

والغريب ان احمد جمال باشا لم يهتم بالنظر في حالتهم ولا سألهم عن الباعث على تأخرهم بل اكتفى بالقول ان قتلهم ضروري لتوطيد الرابطة العسكرية في الجيش . وبعد اعدام هؤلاء الشبان الاربعة لقي جمال جندياً اخر يدعى عثمان نبهان فاعدمه ايضاً ، ثم اعدم في اليوم التالي ثلاثة جنود اخرين هم شوقي حسن من بغداد ، وعزت الشامي ، وعباس مصطفى

اهوال الطريق

واحمد جمال باشا اتبع خطة غير عادلة في قتل هؤلاء الابرياء . ويكفي القول ان الجندي يسير في رمال شديدة الحر في النهار وفي ليل حالك الظلمة قارس البرد وليس له الوقت الكافي للراحة

والقائد رشيد بك صرح لنا عن حالة تلك الارجاء بقوله :

— كنا نسير نهاراً في جو لا يطاق من الحر وفي الليل كنا نسير في ظلام دامس لا نرى فيه طريقنا ونضطر الى الاسترشاد « بالبوصلات » الموجودة لدينا . ولذا لم نتعجب اذا تاه بعض الجنود واضطروا الى التأخر . وقتل مثل هؤلاء لا يتفق مع العدل على الاطلاق !

من هو رشيد بك ؟

ورشيد بك مرعي قائد بيروتي الاصل والمولد خدم في الجيش العثماني منذ نشأته ، واحيل على التقاعد وهو برتبة امير آلاي ، فعاد الى وطنه بيروت ولا يزال فيها يتمتع بمكانة سامية واحترام مواطنيه

وكان قبل اعلان الدستور من اشد المتحمسين لجمعية « جون تورك » التي اسست حزب الاتحاد والترقي ، ومن اكبر العاملين على هدم الحكم الاستبدادي المطلق القابض على زمامه السلطان عبد الحميد

ورشيد بك كان ذا نفوذ عظيم لدى ابراهيم باشا قائد القوات العثمانية في « الروملي » . والملازم الاول خضر افندي كان مرافقه الخاص (هو السيد خضر الطرابلسي من تجار بيروت المعروفين اليوم) وكان جمال باشا الكبير في رتبة قول اغاسي، اي تحت قيادة رشيد بك، يسعى بكل قواه ليتقرب منه ولينال حظوة في عينيه ، الا ان الفرق بين رتبة الرجلين اهابت بجمال الى التقرب من السيد خضر لينال بالاستناد اليه عطف رشيد بك فيسعى هذا لترقيته . وكان يمازح خضراً بقوله :

— متى تسري يا خضر بركتك فينا وننال الحظوة لدى البك ؟

الدهر دولاب ...

غير ان من كان يلتمس الحظوة من ملازم اول ويرجو ان ينال بركة سميه الخضر عليه السلام ما لبث بين عشية وضحاها ان امسى رجلا عظيما ، وسرعان ما ارتقى الى منصب وزير البحرية ، ثم قائداً للجيش الرابع فاضحى صاحب قوة وبطش . وشاءت الاحوال الغاشمة ان يظل رشيد بك مرعي برتبة قائمقام وان يكون تحت قيادة جمال في حملة قناة السويس ، وان يحاول كما حاول العشرات بل المئات من امثاله نيل حظوة لدى احمد جمال باشا

سير المدفعية

كان القائمقام رشيد بك مرعي قائداً للالاي ٧٣ التابع للفرقة ٤٥ التي يقودها امير الالاي علي فؤاد بك ابن فاضل باشا ، التابعة للفيلق الثامن الذي يقوده جمال باشا الصغير . ولما دعيت القوات العثمانية الى التراجع عن قلعة النخل الى « بئر السبع » جاءه قائد المدفعية حسين بك الكردي (من ضباطنا المتقاعدين وهو اليوم في دمشق) وقال:

— لم يبق باستطاعة الحيوانات الموجودة لدينا متابعة السير

بالمدفعية،واخشى اذا دام سيرنا على هذه الحالة ان تسقط المدافع بين ايدي الاعداء

والمدافع التي اشار اليها حسين بك اربعة من عيار ١٥ وهي كل ما لدى الفرقة من المدافع.وسقوطها بين ايدي الاعداء ذو خطر على



✻ القائد رشيد بك مرعي في الجبهة

امير الالاي رشيد بك مرعي القائد العثماني البيروتي وصاحب الفضل في مقاومة جمال باشا وانقاذ ١٩ شاباً سورياً من الموت

الفرقة بكاملها لانه سيحرمها اعتدتها ووسائل الدفاع فيها .

فرأى القائد ان يفرش الطريق بالقش كي تتحرك المدافع وتجتاز الرمال الى « اكنجي خابرا » . على ان الحيوانات عجزت عن جر المدافع على القش ، فاستدعى القائد فريقاً من الجنود ليقوموا بهذه المهمة ، على ان يجروا المدافع الى الاماكن السهلة وهناك تتولى البغال هذا العمل . ولما كانت قوات الآلاي الرئيسية قد تقدمت دعي قائد المؤخرة الى تجهيز ١٩ جندياً ليجروا المدافع الى الخابرا الثانية « اكنجي خابرا »

فحل هؤلاء الجنود محل الحيوانات مسافة خمسة اميال جروا فيها المدافع الثقيلة . وكانت هناك بحيرة كبيرة واشجار من النخيل فاسرعت هذه « الحيوانات » البشرية الى التماس الراحة على ضفاف البحيرة وتفيأت ظلال النخيل بعد ان شدت البغال الى المدافع لتتابع المسير

على ان هؤلاء البائسين ما كادوا يفترشون الثرى حتى مر بهم احمد جمال باشا ومن معه ، وكانوا يقودون جنديين من الجنود الذين وجدوهما في الطريق متأخرين عن الجيش .وما كاد جمال يرى هؤلاء على ضفاف البحيرة حتى امر من معه بان ينزعوا منهم بنادقهم ويعتقلوهم

حديث رشيد بك مرعي

وافنا لنترك الكلام الى مواطننا امير الالاي رشيد بك مرعي يحدثنا عن مصير هؤلاء ، قال :

— جاءني الملازم حسن افندي الكردي وابلغني ما كان من جمال باشا فقلت : لا بأس من ذلك ، انا واثق انه سيكافئهم !

« ولما انصرف حسين افندي تبلغت امراً بالمثول بين يدي جمال باشا . وجرت العادة لدى تأديب الجنود ان يدعى رؤساؤهم . فمثلت امام جمال باشا واذا هناك جمال باشا الصغير قائد الفيلق وعلي فؤاد قائد الفرقة . وكان احمد جمال باشا يصيح بهما :

« — لم يبق علي الا ان اتولى مراقبة الجبهة بنفسي ، مع ان القانون صريح ، فهو يقضي فوراً بقتل كل من يتأخر عن الجيش !

«وبعد ان هدد جمال وتوعد وطغى وتجبر قال:

« — اعتقلت في مؤخرة الجبهة جنديين ، وعند ضفاف هذه البحيرة اعتقلت ١٩ جندياً ، ومع ان بامكاني اعدامهم فوراً فلم افعل لرغبتي في ان ادلكم على تهاونكم في الامر . يجب اعدام هؤلاءصباح غد !

« قال جمال باشا الكبير جملته الاخيرة هذه وامر جمال الصغير بان يعد العدة لقتل اولئك البائسين

« فوقفت متعجباً من هذا الحكم الذي لم يملمه « قره قاش » . وكان تعجبي لا من اعتقاد جمال الكبير بانه قضى بالموت على جنود حاولوا الفرار من الجبهة ، بل من سكوت جمال باشا الصغير وعلي فؤاد بك وهما اللذان يلتحق بهما الآلاي ٧٣ الموضوع تحت قيادتي، مع علمهما ان اولئك الجنود كانوا يقومون بمهمة جر المدافع وليسوا من الفارين

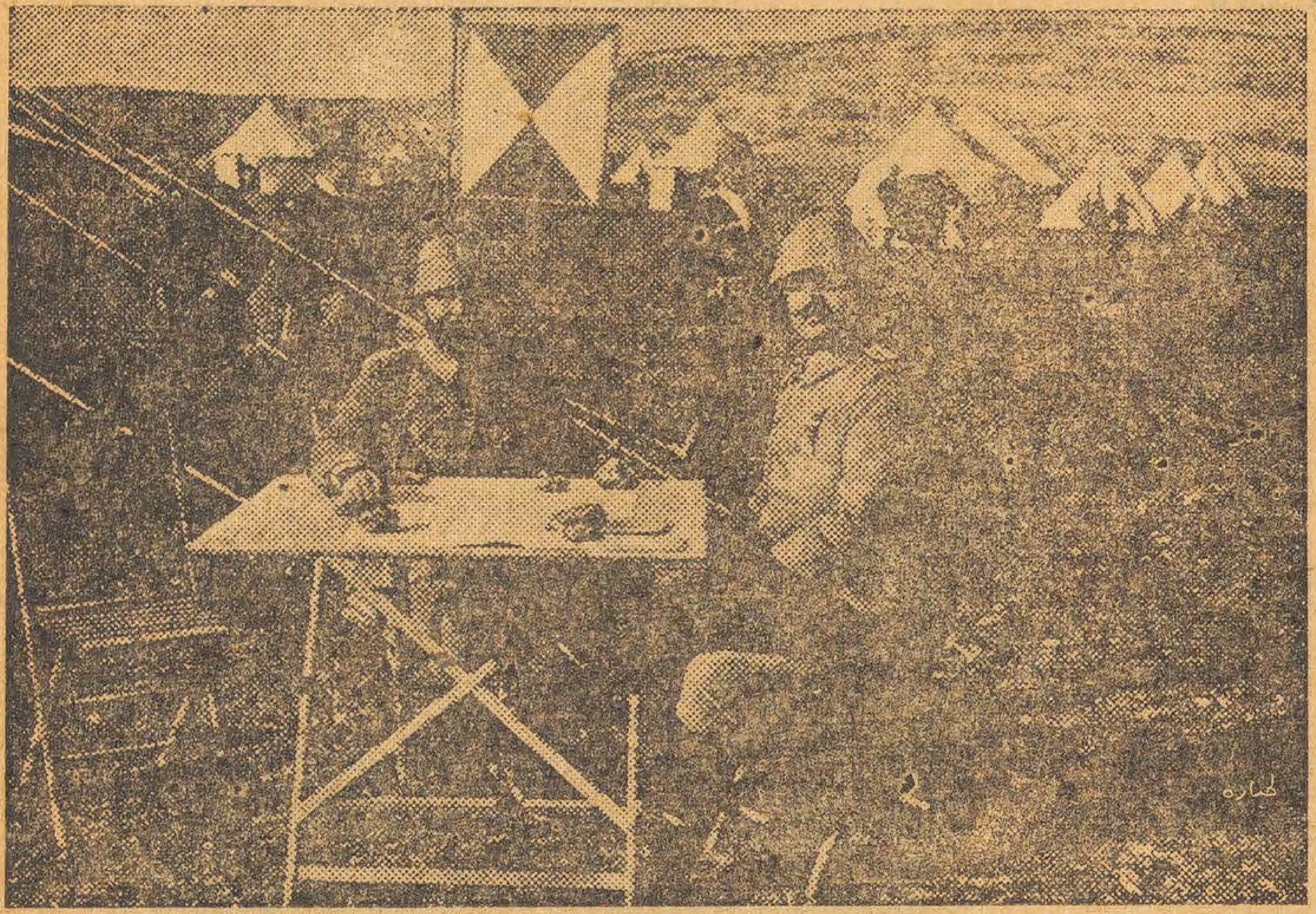
« ولما رأيتهما يمضيان في السكوت وبدا لي ان الحكم بالموت اصبح مما لا بد منه ،خرقت النظام العسكري الذي يمنع المرؤوس ان يتكلم ما دام رئيسه يخاطب من هو اكبر منه وبسطت الموقف لجمال

« وعدت الى علي فؤاد بك وابديت تعجبي من سكوته وعدم دفاعه عن الابرياء فقال انه لم يجسر على مجابهة جمال باشا ، فعدت الى القول :

جمال باشا

في صحراء سينا

احمد جمال باشا ورئيس اركان حربه في صحراء سينا وقد جلسا حول مائدة نقالة



باشا قائلا :

« — لما دعاني صاحب الدولة اعتقدت انه سيشكرني لهذا العمل ويعمد الى مكافأة هؤلاء الجنود !

— أتريد مكافأتهم ؟

— نعم يا صاحب الدولة ، انا اطلب مكافأتهم ، فلولا البسالة والشجاعة اللتان ظهرتا منهم لما كانت لدينا مدفعية ، بل لكانت هذه المدفعية بين ايدي الاعداء !

« فبدت الحدة في احمد جمال باشا وقد تراءى له اني ادافع عن هؤلاء الجنود لكونهم من ابناء العرب ،من ضواحي دمشق، فقال :

« — انت تعمد الى الدفاع عن هؤلاء لانقاذهم من الموت !

«قلت : كلا يا صاحب الدولة ، انت تعرفني منذ عهد قديم ، انا لست ممن يحاولون انقاذ الخائنين !

« — ولكنهم فروا من الجيش وسيقتلون !

« — اذا كانوا قد فرّوا كما يقول صاحب الدولة فانا على استعداد لافديهم بنفسي !

« — وهو ما سأفعل !

« واطلق جمال باشا جملته الاخيرة غاضباً صاخباً وانصرف الى خيمته

« فالتفت اليّ علي فؤاد بك وقال:ماذا فعلت يا رشيد؟..الباشا انصرف غاضباً !

« فقلت : وماذا يهمني من غضبه ما دمت اريد انقاذ الابرياء !

« — وهل ترضى باعدام هؤلاء ؟

« — لا بأس ان يعدموا ما دام في موتهم عبرة لسواهم !

« — ولكنهم ابرياء !

« — قلت لا بأس ان يذهبوا عبرة لسواهم من الجند !

« — اني لا اقبل هذا الظلم !

« — انت وما تريد !

« وزادت هذه المحاورة في امتعاضي وقد صعب عليّ رؤية مثل هذا العدد الكبير يرمى بالرصاص دون ما جرم اتاه

«وساءني موقف جمال الصغير وعلي فؤاد فاعتزمت مجابهة جمال الكبير مهما كانت العاقبة

« وشخصت الى خيمته واستأذنت عليه فرحب بي ، فاعدت الى ذاكرته شبح الماضي القريب وقلت :

« — يعلم صاحب الدولة اخلاصي ،انا لست ممن يحيدون عن الحق !

« فطيب جمال بخاطري ودار بيننا حديث طويل انتهى باقتناعه بصحة ما قلت ، فاستعاد امره واعاد هؤلاء الجنود الى كتائبهم »

***

هذا ما روى لنا حضرة امير الآلاي رشيد بك مرعي،ومنه يستدل قراء « الاسرار » على قيمة احكام الاعدام التي كان يعلنها القواد في ايام الحرب .

فلولا الصداقة القديمة التي تربط جمال باشا برشيد بك ، ولولا

الجرأة العظيمة التي ابداها رشيد بك ، لسجل تاريخ جمال باشا الكبير جنايات اخرى لا تقل فظاعة عن معظم ما اقدم عليه في ذلك العهد المظلم من جنايات



اول قائد عثماني يدخل لبنان

القائد علي رضا بك البيلاني قائد الالاي ٦٧ الذي اجتاز لبنان من زحله الى بكفيا ، وكان من خيرة الضباط العثمانيين الذين اكتسبوا محبة الشعب واحترامه

الموت في بغداد

والجنايات التي ارتكبت في بغداد والتي أثارت سخط السلطان محمد رشاد ، كما اوضحنا ، كانت على جانب كبير من الفظاعة

فقد وزعت في بغداد، على أثر انسحاب القوات العثمانية من البصرة، نشرات تدعو الشعب الى الثورة والمناداة باستقلال البلاد واخراج القوات العثمانية منها ، مما اهاب بالحكومة الى التشديد في المراقبة. فاعتقلت يومئذ فريقاً من الشبان وحاكمتهم محاكمة قصيرة انتهت بالحكم عليهم بالموت

علي رضا بك

ولدى وقوع هذه الحوادث كانت القيادة العثمانية توسع منطقة نفوذها في لبنان . فاذيعت الاوامر بانشاء مقر للقيادة في بكفيا . وتولى هذه القيادة القائد علي رضا بك . الذي انصرف الى تدبير الامور في هذه المنطقة نزولا على اوامر القيادة العليا .

ويذكر القراء انهم طالعوا في العدد التاسع من «الاسرار» ان علي رضا بك اول من اجتاز زحله الى لبنان على رأس القوات العثمانية

رسالة الابن عن ابيه

وجاءنا من الوجيه رفعت رضا البيلاني — نجل القائد علي رضا بك — رسالة يؤيد بها روايتنا عن كارثة زحلة رأس المتن ويصحح بعضها حيث يقول :

« نعم ان القيادة اعتبرت والدي مسؤولا عن الكارثة واحالته على الديوان العسكري. وبعد ان اطلع الديوان العسكري على بيانات والدي، وعلى صورة البرقية التي طيرها الى القيادة ، وعلى شهادة جنود الدرك اللبناني الذين رافقوا والدي من زحلة حتى ضهور الشوير ، قرر تبرئته من التهمة ، ورجع والدي الى قيادة جنود بكفيا وبقي في لبنان سنتين ونصف سنة تقريباً ، ونقل على الاثر الى رياق وعين مفتشاً عسكرياً على الخط الحديدي حتى آخر سنة ١٩١٧ اذ توفي بدمشق » .

المعارك تتوالى فى آكام جناق قلعه

القائد غورو يدعو الى القيام بهجوم عام على العثمانيين ويحمل الانكليز على تائيده والانضمام اليه في القتال

غورو يفجع بيده وساقه



الجنرال هاملتون

القائد العام لقوات الحلفاء في شبه جزيرة جناق قلعه

طالت المحادثات بين الجنرال هاملتون ، قائد قوات الحلفاء في شبه جزيرة « جناق قلعه » ، واللورد كيتشنر . فان انهماك الأخير في التطور الذي طرأ على جبهات القتال في اوربا صرفه موقتاً عن الاهتمام بالموقف الحربي في « جناق قلعه » ومال به الى معالجة الحالة في الساحات الحربية الاوربية

والجنرال «هاملتون»، وموقفه غير موقف اللورد كيتشنر وهو في ساحة حرب وتجاه قوات تتزايد مع مرور الايام، لم يبق في وسعه الوقوف مكتوف اليدين تجاه ما تقوم به القيادة العسكرية العليا من استعداد

يأس انكلترا

فعقد مجلساً عسكرياً من قواده وضباط اركان حربه درسوا فيه الموقف العسكري من وجوهه كافة

وكان الرأي السائد في هذا الاجتماع ان ليس باستطاعة القوات الانكليزية اختراق الجبال الوعرة المسالك في جناق قلعه . وايدت رأيهم في ذلك المعارك التي خاضوها منذ ٢٥ نيسان . فقد تبين لهم منها انهم مع وفرة قواتهم وضؤولة قوات العثمانيين ، ومع عشرات القطع الحربية لم يتمكنوا من الثبات في مراكزهم الساحلية ولم يكن تقدمهم فيها تقدماً يذكر .

واقترح بعض القواد القيام بحركة هجوم جديدة على المراكز العثمانية جمعاء

ومع ان القائد العام وبعض اركان حربه وافقوا على هذا الاقتراح فلم يجسروا على الفصل فيه بل رغبوا في مخاطبة الجنرال غورو في الامر

من هو الجنرال غورو؟

والجنرال غورو كان في ذلك الوقت في الثانية والاربعين من

عمره، ولم يكن ذا شهرة كبيرة في الجيش الدولي، ومع هذا تمكن ان يؤثر في الجميع بطلاقة حديثه وسحر بيانه

وفي ايام معدودة تعرف الى حقيقة الموقف الحربي . والتدابير العسكرية التي اتخذها في الجهات التابعة له دلت القواد الانكليز على انه من القادة الماهرين الواقفين على الفنون العسكرية وقوفاً تاماً

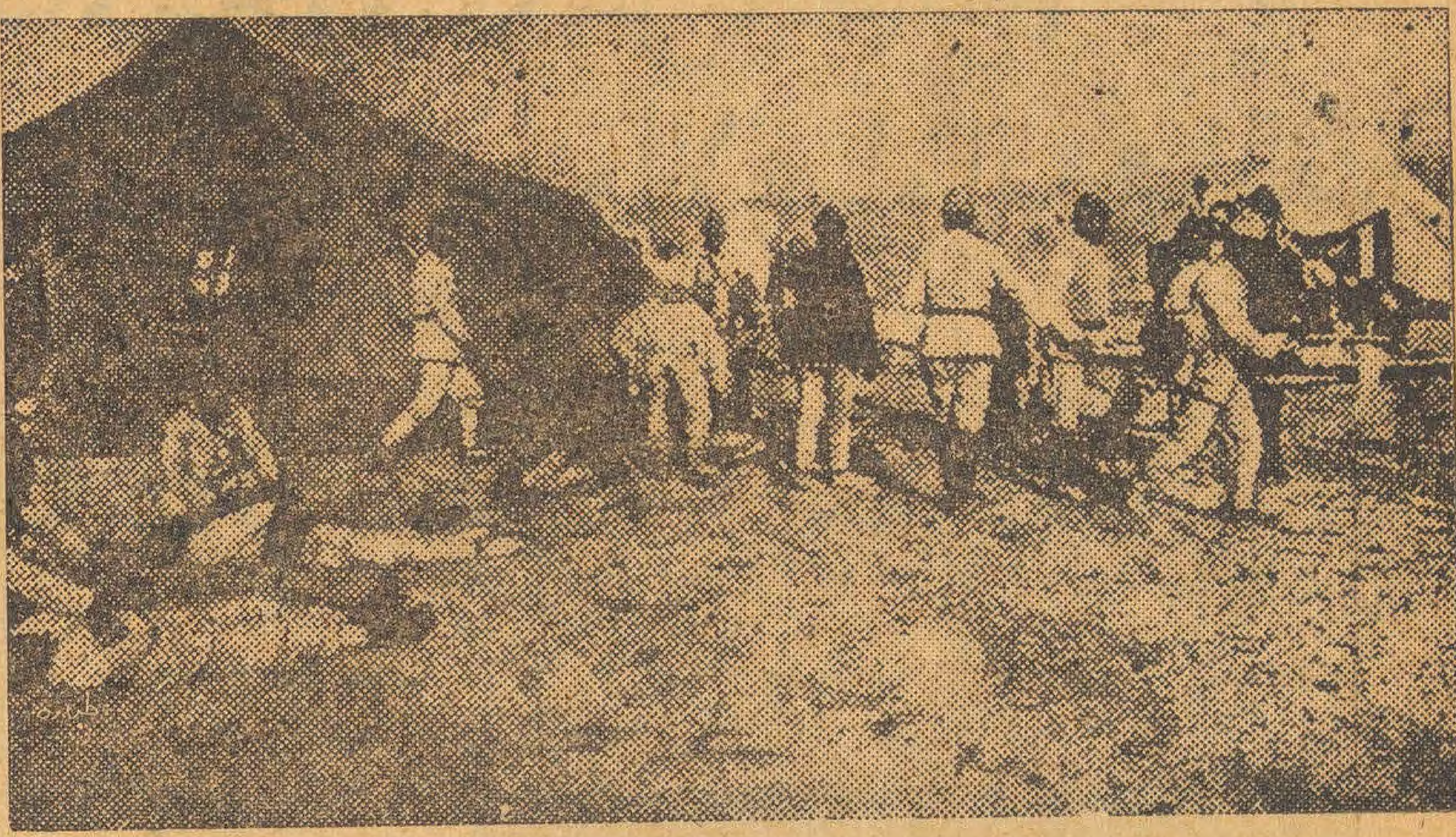
وساعده على ذيوع شهرته الخطب التي القاها بسخاء على جنوده الذين عادت اليهم الحياة بوجوده . فازدادوا نشاطاً واندفعوا يعملون بكل قواهم تحت لوائه . وكانوا يتبارون في اظهار شعورهم معلنين استعدادهم لخوض المعركة التي يدعوهم اليها بحزم ونشاط ليظهروا مقدار احترامهم له

وهذا الشعور ادركه الانكليز الذين لا يريدون ان يعترفوا لسواهم بالتفوق والسيادة

غير انهم ازاء مقدرة الجنرال غورو اضطروا الى مباحثته في الموقف ودعوتهمع ضباط اركان حربه الى النظر في التدابير التي قر رأيهم عليها

فاجاب الجنرال غورو انه بحاجة الى اسبوع للجواب ، فلم يمض يومان على قدومه الى هذه الجبهة ليقضي بما يجب تقريره ، وانه في هذا الاسبوع يدرس الموقف درساً دقيقاً ويطلع على ما يجب عليه الاستعداد له في المعركة الفاصلة التي يريد ان يخوضها تجاه القوات العثمانية .

وانصرف الجنرال منذ اقبل الى الجبهة الى الاستعداد للمعركة الفاصلة . وطوافه على الجبهات اوضح له خطورة الموقف . فارسل يطلب نجدات من المدفعية والرشاشات لدك الاستحكامات والحصون العثمانية . ولما وصلت النجدات اليه رأى ان يمهد الى القيام بهجوم عام . فباحث في ذلك الجنرال هاملتون فافهمه القائد الانكليزي ما صار اليه امر الحادثات بينه وبين اللورد كيتشنر . فاعلنه غورو ان الموقف يدعو الى القيام بعمل من الاعمال قبل ورود النجدة الكبرى . فقبل الجنرال هاملتون الاقتراح واتفق الفريقان على القيام بحركة مشتركة لتحقيق هذه الخطة



جبهة الدفاع العثمانية

✻ في حميديه ✻

منظر فريد لمنطقة الدفاع العثمانية في موقع حميدية التي استعد الفرنسيون لمهاجمتها

بيانه الجنرال غورو

وفي هذا اليوم نفسه اذاع الجنرال غورو امراً رقم ١٣ في جنوده هذا نصه :

« الى جنود قوات الشرق

« وصلت القوات المطلوبة مع مدفعيتها لتعزيز جبهتنا . وقد تقدمنا باستحكاماتنا الى منطقة الهجوم. ومدفعيتنا جاهزة لاطلاق قذائفها على الاستحكامات التركية وقواتها الاحتياطية . واننا لعلى استعداد مع اخواننا الجنود الانكليز لمفاجأة الاستحكامات التركية بقوة الحراب ومقاومة كل هجوم معاكس يريد الاعداء القيام به

« ان كل شبر من الارض التي نستولي عليها يجب ان يبقى لنا وان لا يعاد الى الاعداء مهما يكن من الامر

« ايها الجنود !

« عليكم وانتم تسيرون الى محاربة الاعداء ان تفكروا في ان من تحاربون في هذه الارض التركية هم اعداؤكم الالداء ، اعداؤكم الدائمون الالمان .

« الالمان هم الذين خدعوا اصدقاءنا الاتراك واثاروهم علينا

« ولتأبيد هذه الصداقة اريد ان تعاملوا الاتراك الذين يستسلمون اليكم بلطف ومحبة

« اخوانكم في فرنسا يحاربون تحت وابل من القذائف اشد

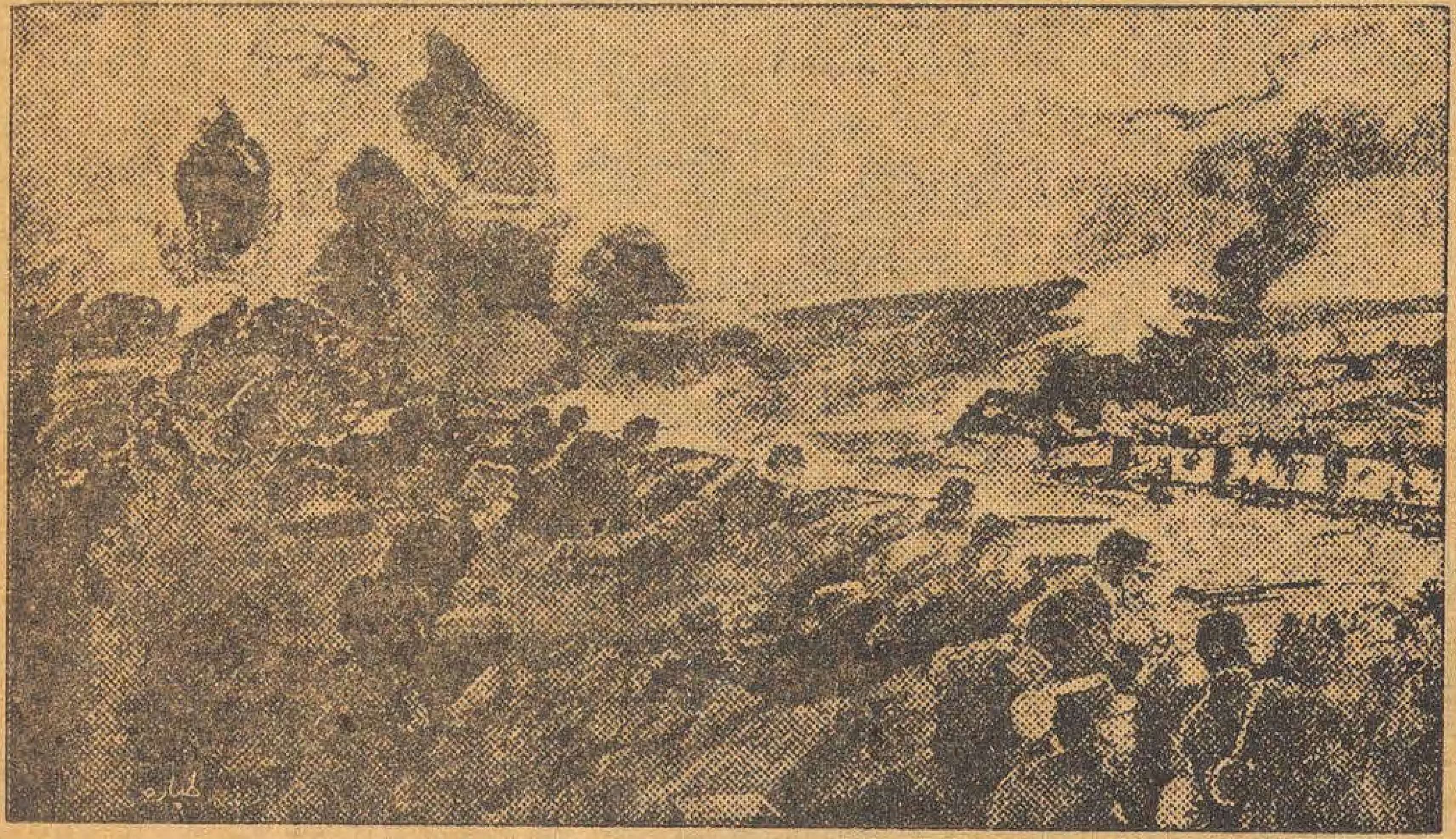
ولا من قذائف المدفعية التركية ، ومع هذا يفوزون ويحتلون استحكامات الاعداء

« فعليكم ان تكونو كاخوانكم في فرنسا وتحاربوا بجسارة ، ولا

هجوم القوات الفرنسية

على العثمانيين

تبدو في هذا الرسم الجنود الفرنسية تراقب المراكز العثمانية في الجبهة بينما المدفعية تلقي حممها بشدة على المراكز الاخرى . وفي هذا المشهد دليل على هول المعركة .



بد انكم فائزون . لتحي فرنسا !

الجنرال غورو »

***

هذا هو المنشور الذي اذاعه الجنرال غورو في الثالث من شهر حزيران سنة ١٩١٥ على قواته في جبهة القتال في الدردنيل .

وقد تألفت جبهة الهجوم على الصورة التالية :

في الجناح الايمن — الفيلق الفرنسي الموضوع تحت تصرف الجنرال غورو وهو فرقتان

في الجناح الايسر — الفيلق الثامن الانكليزي الذي يؤلف الفرقتين ٤٢ و ٤٣

في القلب — قوات البحرية .

معركة المدفعية

بدأت المدفعية الانكليزية الفرنسية القاء قذائفها على المراكز العثمانية في شفق صباح ٤ حزيران . واخذت المدفعية تشتد وتتضاعف تدريجياً، حتى اذا دقت الساعة التاسعة من ذلك الصباح تحولت هذه الجبهة الى شعلة من نار .فالمدافع الفرنسية والانكليزية والعثمانية خاضت دون ما استثناء المعركة

وفي الساعة العاشرة والنصف قبل ظهر ٤ حزيران وقفت مدفعية الحلفاء عن اطلاق قذائفها دفعة واحدة . فسكتت معها مدفعية العثمانيين وقد ظن قوادهم ان الحلفاء سيقفون عند هذا الحد ، وان اطلاق المدافع لم يكن سوى جس نبض لاختبار قوات العثمانيين على ان مدافع الحلفاء سكتت نحواً من نصف ساعة وعادت بعد ذلك الى شدتها ،فاستمرت نصف ساعة اخرى ثم عادت وسكتت وبدأت القوات العثمانية ترى طلائع الهجوم . وظهر السلاح في الاستحكامات الانكليزية الفرنسية.ولم تكن مدافع الحلفاء قد اثرت في الاستحكامات العثمانية فقابل العثمانيون حركة اعدائهم بالمثل واخذوا يبدون في استحكاماتهم

ويظهر ان الحلفاء ارادوا في ما فعلوا ان يعرفوا مواقع القوات العثمانية ، وما ظهرت لهم حتى عادت لدى الساعة ١٢ مدافعهم الى اطلاق نارها بشدة . وتمكنت في هذه المرة من تخريب بعض هذه الاستحكامات،وما لبثت ان وقفت عن اطلاق قذائفها على خط الاستحكامات وحولتها الى مؤخرة الجبهة وفيها القوات العثمانية الاحتياطية .

وهاجمت قوات الانكليز والفرنسيس المشاة الاستحكامات العثمانية الامامية ، فتمكنت من احتلالها ، الا انها ما كادت تصل الى خط الاستحكامات الثاني حتى قاومتها القوات العثمانية المعسكرة هناك،على ان القوات الفرنسية الزاحفة من الجهة اليمنى كانت قد احتلت الاستحكامات العثمانية الاولى . ولكن الجنود العثمانيين صدوها عن التقدم لما حاولت امتلاك الاستحكامات الثانية فاضطرت الى التراجع

اما قوات القلب المؤلفة من فرقة البحر فاستطاعت في بادىء الامر التقدم واختراق المسافة الفاصلة بينها وبين الاستحكامات العثمانية ، غير انها ما كادت تصل على مقربة من المراكز العثمانية حتى فوجئت برصاص العثمانيين ، وكان ان سقط افراد الكتيبة الاولى صرعى باجمعهم تحت رصاص العثمانيين بين قتلى وجرحى

وتسنى لمن وراءهم ان يتقدم اكثر من ذلك ، بيد ان الرصاص الذي انهال عليهم من الاطراف الشمالية والجنوبية حملهم على التراجع بعد ان خسروا نصف قواتهم

اما الفرقة الانكليزية ٢٩ فلم تقو على التقدم خطوة واحدة .

عمره ،ولم يكن ذا شهرة كبيرة في الجيش الدولي، ومع هذا تمكن ان يؤثر في الجميع بطلاقة حديثه وسحر بيانه

وفي ايام معدودة تعرف الى حقيقة الموقف الحربي . والتدابير العسكرية التي اتخذها في الجبهات التابعة له دلت القواد الانكليز على انه من القادة الماهرين الواقفين على الفنون العسكرية وقوفاً تاماً

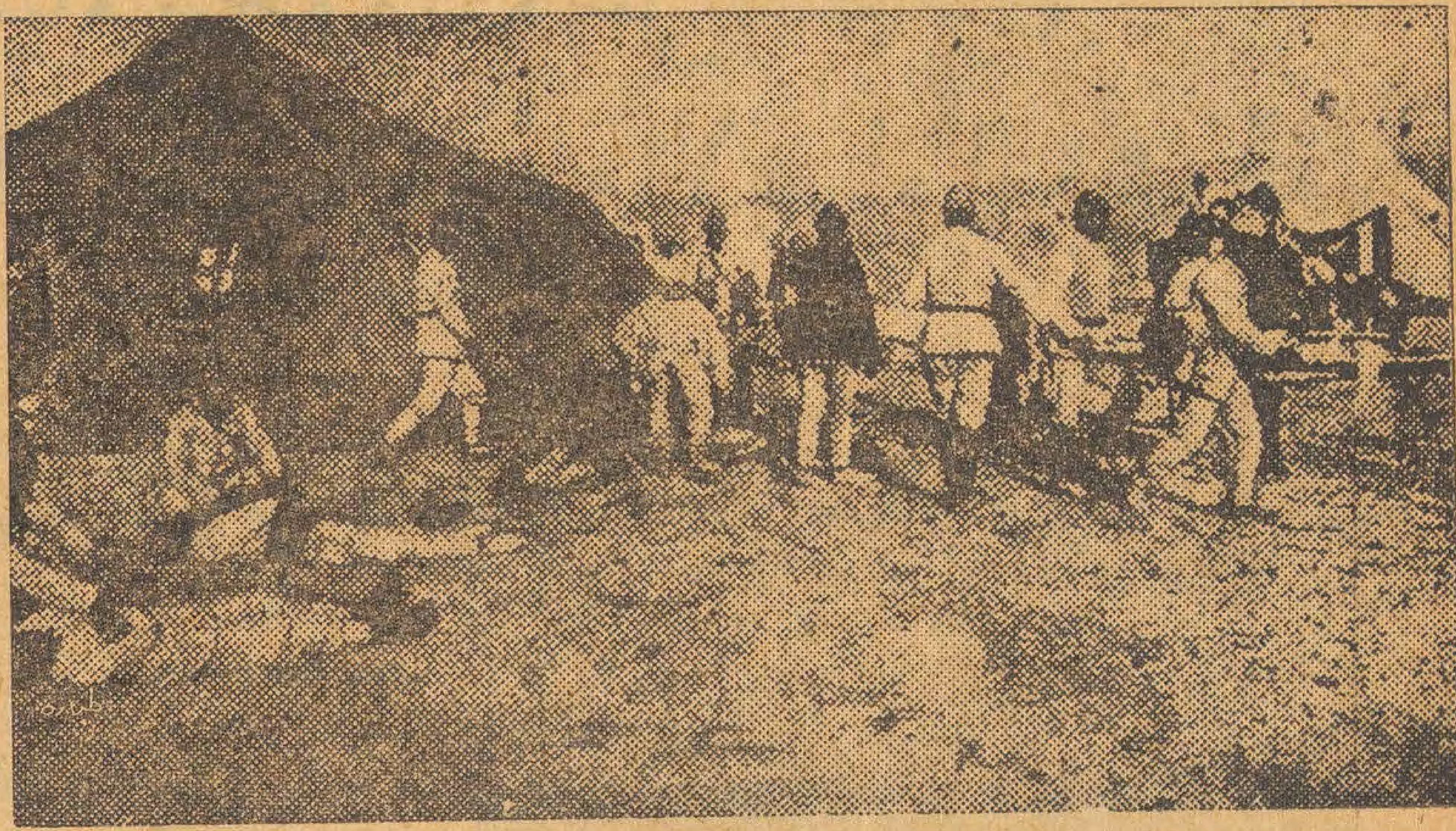
وساعده على ذيوع شهرته الخطب التي القاها بسخاء على جنوده الذين عادت اليهم الحياة بوجوده . فازدادوا نشاطاً واندفعوا يعملون بكل قواهم تحت لوائه . وكانوا يتبارون في اظهار شعورهم معلنين استعدادهم لخوض المعركة التي يدعوهم اليها بحزم ونشاط ليظهروا مقدار احترامهم له

وهذا الشعور ادركه الانكليز الذين لا يريدون ان يعترفوا لسواهم بالتفوق والسيادة

غير انهم ازاء مقدرة الجنرال غورو اضطروا الى مباحثته في الموقف ودعوتهمع ضباط اركان حربه الى النظر في التدابير التي قر رأيهم عليها

فاجاب الجنرال غورو انه بحاجة الى اسبوع للجواب ، فلم يمض يومان على قدومه الى هذه الجبهة ليفضي بما يجب تقريره ، وانه في هذا الاسبوع يدرس الموقف درساً دقيقاً ويطلع على ما يجب عليه الاستعداد له في المعركة الفاصلة التي يريد ان يخوضها تجاه القوات العثمانية .

وانصرف الجنرال منذ اقبل الى الجبهة الى الاستعداد للمعركة الفاصلة . وطوافه على الجبهات اوضح له خطورة الموقف . فارسل يطلب نجدات من المدفعية والرشاشات لدك الاستحكامات والحصون العثمانية. ولما وصلت النجدات اليه رأى ان يمهد الى القيام بهجوم عام . فباحث في ذلك الجنرال هاملتون فافهمه القائد الانكليزي ما صار اليه امر المحادثات بينهوبين اللورد كيتشنر.فاعلنه غورو انالموقف يدعو الى القيام بعمل من الاعمال قبل ورود النجدةالكبرى. فقبل الجنرال هاملتون الاقتراح واتفق الفريقان على القيام بحركة مشتركة لتحقيق هذه الخطة



جبهة الدفاع العثمانية

❋ في حميديه ❋

منظر فريد لمنطقة الدفاع العثمانية في موقع حميدية التي استعد الفرنسيون لمهاجمتها

بيان الجنرال غورو

وفي هذا اليوم نفسهاذاع الجنرالغورو امراً رقم١٣في جنوده هذا نصه :

« الى جنود قوات الشرق

« وصلت القوات المطلوبة مع مدفعيتها لتعزيز جبهتنا . وقد تقدمنا باستحكاماتنا الى منطقة الهجوم.ومدفعيتنا جاهزة لاطلاق قذائفها على الاستحكامات التركية وقواتها الاحتياطية . واننا لعلى استعداد مع اخواننا الجنود الانكليز لمفاجأة الاستحكامات التركية بقوة الحراب ومقاومة كل هجوم معاكس يريد الاعداء القيام به

«ان كل شبر من الارض التي نستولي عليها يجب ان يبقى لنا وان لا يعاد الى الاعداء مهما يكن من الامر

« ايها الجنود !

« عليكم وانتم تسيرون الى محاربة الاعداء ان تفكروا في ان من تحاربون في هذه الارض التركية هم اعداؤكم الالداء ، اعداؤكم الدائمون الالمان .

«الالمان هم الذينخدعوا اصدقاءنا الاتراك واثاروهم علينا

« ولتأييد هذهالصداقة اريدان تعاملوا الاتراكالذين يستسلمون اليكم بلطف ومحبة

« اخوانكم في فرنسا يحاربون تحت وابل من القذائف اشد

ولا من قذائف المدفعية التركية ، ومع هذا يفوزون ويحتلون استحكامات الاعداء

« فعليكم ان تكونو كاخوانكم في فرنسا وتحاربوا بجسارة ، ولا

هجوم القوات الفرنسية

على العثمانيين

تبدو في هذا الرسم الجنود الفرنسية تراقب الراكز العثمانية في الجبهة بينما المدفعية تلقي حممها بشدة على المراكز الاخري . وفي هذا المشهد دليل على هول المعركة .

بد انكم فائزون ، لتحي فرنسا !

الجنرال غورو »

***

هذا هو المنشور الذي اذاعه الجنرال غورو في الثالث من شهر حزيران سنة ١٩١٥ على قواته في جبهة القتال في الدردنيل .

وقد تألفت جبهة الهجوم على الصورة التالية :

في الجناح الايمن — الفيلق الفرنسي الموضوع تحت تصرف الجنرال غورو وهو فرقتان

في الجناح الايسر — الفيلق الثامن الانكليزي الذي يؤلف الفرقتين ٤٢ و ٤٣

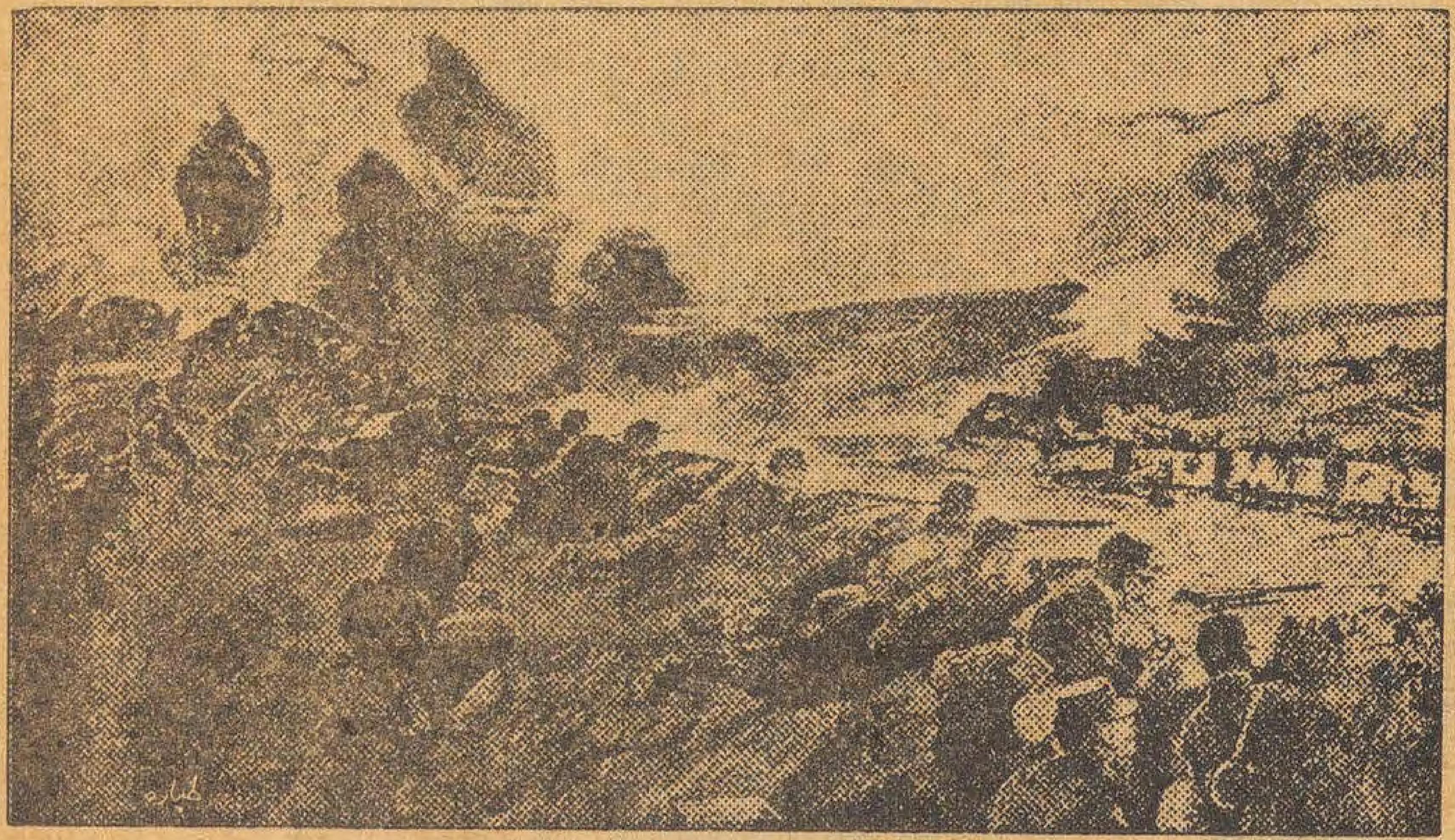
في القلب — قوات البحرية .

معركة المدفعية

بدأت المدفعية الانكليزية الفرنسية القاء قذائفها على المراكز العثمانية في شفق صباح ٤ حزيران . واخذت المدفعية تشتد وتتضاعف تدريجياً حتى اذا دقت الساعة التاسعة من ذلك الصباح تحولت هذه الجبهة الى شعلة من نار . فالمدافع الفرنسية والانكليزية والعثمانية خاضت دون ما استثناء المعركة

وفي الساعة العاشرة والنصف قبل ظهر ٤ حزيران وقفت مدفعية الحلفاء عن اطلاق قذائفها دفعة واحدة . فسكتت معها مدفعية العثمانيين وقد ظن قوادهم ان الحلفاء سيقفون عند هذا الحد ، وان اطلاق المدافع لم يكن سوى جس نبض لاختبار قوات العثمانيين على ان مدافع الحلفاء سكتت نحواً من نصف ساعة وعادت

بعد ذاك الى شدتها ، فاستمرت نصف ساعة اخرى ثم عادت وسكتت وبدأت القوات العثمانية ترى طلائع الهجوم . وظهر السلاح في الاستحكامات الانكليزية الفرنسية . ولم تكن مدافع الحلفاء قد اثرت في



الاستحكامات العثمانية فقابل العثمانيون حركة اعدائهم بالمثل واخذوا يبدون في استحكاماتهم

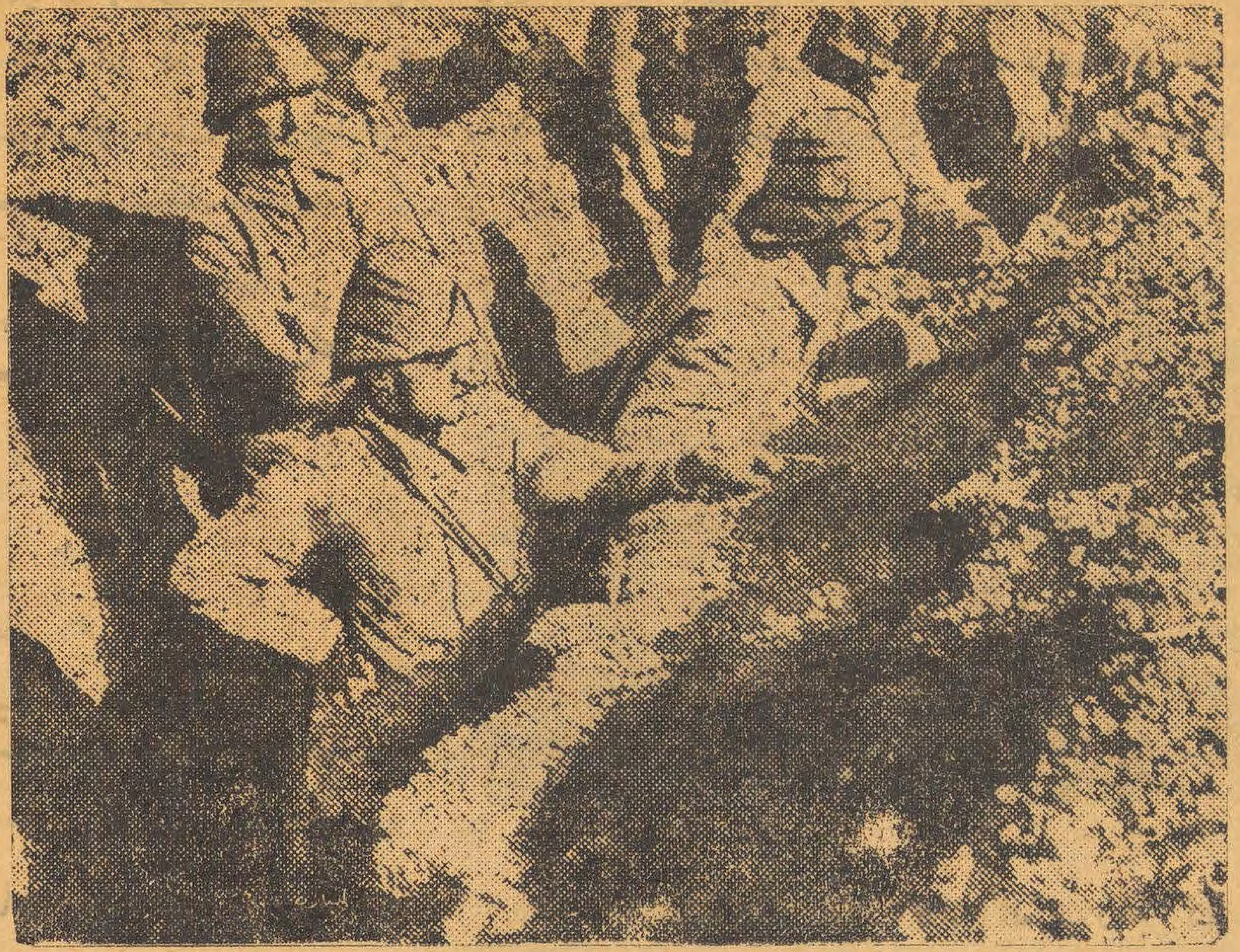
ويظهر ان الحلفاء ارادوا في ما فعلوا ان يعرفوا مواقع القوات العثمانية ، وما ظهرت لهم حتى عادت لدى الساعة ١٢ مدافعهم الى اطلاق نارها بشدة . وتمكنت في هذه المرة من تخريب بعض هذه الاستحكامات ، وما لبثت ان وقفت عن اطلاق قذائفها على خط الاستحكامات وحولتها الى مؤخرة الجبهة وفيها القوات العثمانية الاحتياطية .

وهاجمت قوات الانكليز والفرنسيس المشاة الاستحكامات العثمانية الامامية ، فتمكنت من احتلالها ، الا انها ما كادت تصل الى خط الاستحكامات الثاني حتى قاومتها القوات العثمانية المعسكرة هناك ، على ان القوات الفرنسية الزاحفة من الجهة اليمنى كانت قد احتلت الاستحكامات العثمانية الاولى . ولكن الجنود العثمانيين صدوها عن التقدم لما حاولت امتلاك الاستحكامات الثانية فاضطرت الى التراجع

اما قوات القلب المؤلفة من فرقة البحر فاستطاعت في بادىء الامر التقدم واختراق المسافة الفاصلة بينها وبين الاستحكامات العثمانية ، غير انها ما كادت تصل على مقربة من المراكز العثمانية حتى فوجئت برصاص العثمانيين ، وكان ان سقط افراد الكتيبة الاولى صرعى باجمعهم تحت رصاص العثمانيين بين قتلى وجرحى

وتسنى لمن وراءهم ان يتقدم اكثر من ذلك ، بيد ان الرصاص الذي انهال عليهم من الاطراف الشمالية والجنوبية حملهم على التراجع بعد ان خسروا نصف قواتهم

اما الفرقة الانكليزية ٢٩ فلم تقو على التقدم خطوة واحدة .



الاستحكامات العثمانية في ابهة

قواد الجيش العثماني يراقبون في صباح ٦ حزيران سير القتال في الجبهة . وقد اقاموا في احد الاستحكامات العثمانية التي هدمها الحلفاء في معركة اليوم الرابع من الشهر نفسه

فظلت في اماكنها القيمة فيها قبل نشوب المعركة .

على حين ان الفرقة ٤٢ ابلت بلاء لم تكن ترقبه منها القيادة العليا . فتقدمت مسافة ١٢٠٠ يرد واخترقت الجبهة العثمانية وبلغت ضواحي « كيرتبه »

نتيجة هذه المعركة

وكان من نتيجة هذه المعركة التي قام بها ٢٥ الف جندي من القوات الانكليزية والفرنسية ان الحلفاء احتلوا ارضاً صعبة المسالك، على انهم لم يتقدموا فيها غير مسافة تتفاوت بين ٥٠٠ و ٧٥٠ يرداً . وقد كلفتهم كما يقول الاحصاء الرسمي المنشور بعد الحرب العالمية ٤٤٥٠ جندياً من الانكليز و ٢٣٩٠ جندياً من الفرنسيين

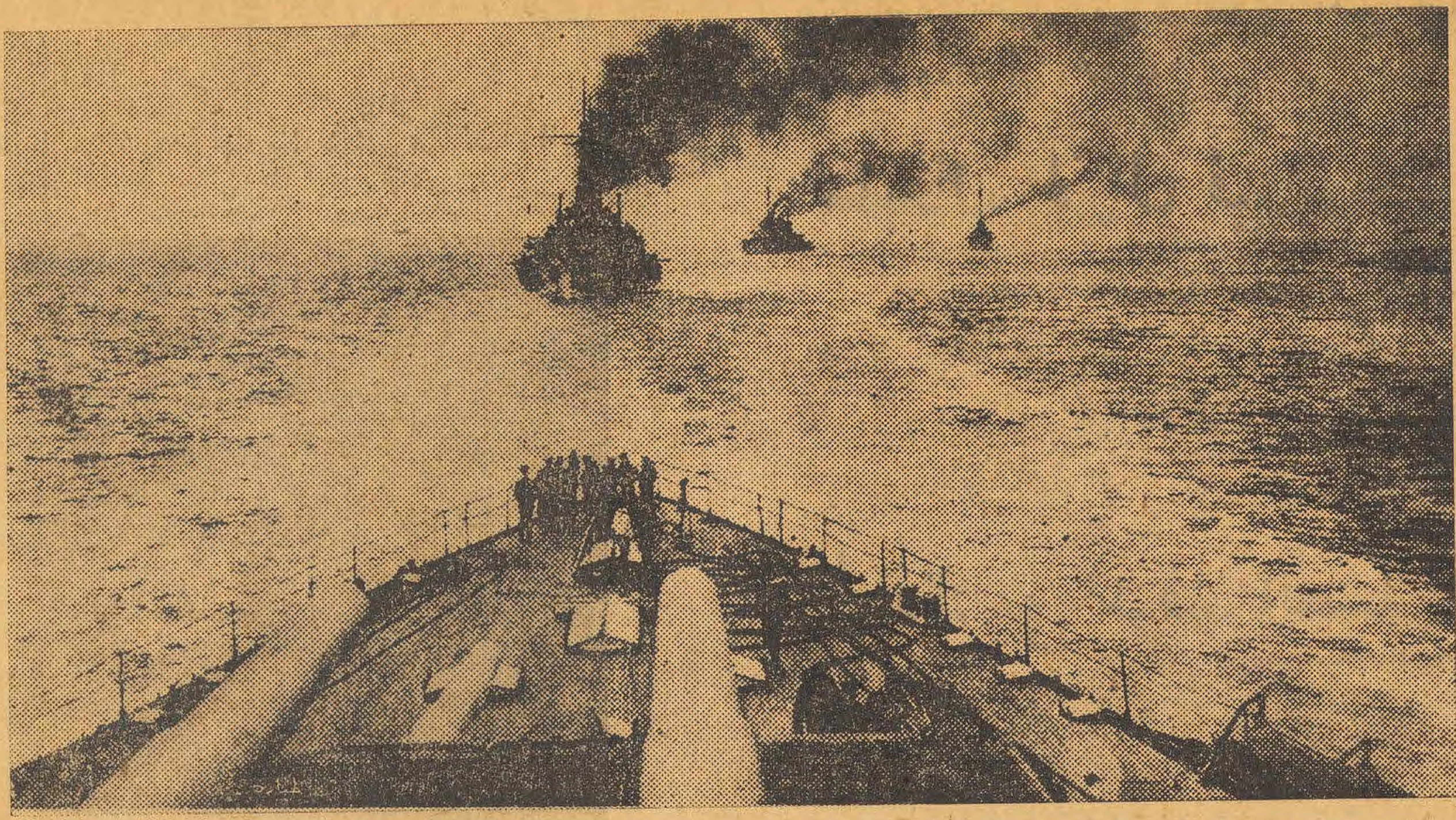
اما خسائر القوات العثمانية في هذه المعركة فكانت ٢٩٣٠ نفساً. وهذه النتيجة تدل على ان الحلفاء لم يدركوا في هذه المعركة ما كانوا يرجون من فوز ، وان ضحاياهم لا تتعادل مطلقاً والفوز البطيء الذي بلغوه في هذا الميدان

هجوم مقابل

وهذا الفوز ، وان يكن جزئياً ، لم يتمتع به الحلفاء طويلا . فما لبثت القيادة العثمانية في صباح ٦ حزيران ١٩١٥ ان قامت بهجوم مقابل على قوات الحلفاء استطاعت به استرداد القسم الاكبر من المراكز التي احتلها الحلفاء واعادة تحصين الاستحكامات التي كان الحلفاء خربوها في معركة ٤ حزيران

معركة ٢١ حزيران

وهدأت الحالة بعدئذ بعض الهدوء . فالحوادث التي تلت ٦ حزيران كانت مناورات عادية او مناوشات بسيطة ، حتى كان صباح ٢١ حزيران ، فعادت قوات الحلفاء الى اطلاق قذائفها على المراكز العثمانية . ويستدل مما اذيع بعد نهاية الحرب ان الحلفاء صرفوا في معركة ٢١ حزيران ٨ الاف قذيفة مختلفة الحجم ، وقتل منهم ٣٢٠٠ جندي حتى تمكنوا من خرق الجبهة العثمانية الاولى والوصول



اسطول الحلفاء تجاه جناق قلعه

وحـدة من اسطول الحلفاء اخذ رسمها من المدرعة « الملكة اليزابت » . وهـذا المشهد كان يبدو دائماً في اثناء المعارك في تلك الجهات

الى هضبة « فاصوليا تبه سي » واحتلالها

وهذا الفوز وان يكن ليس بذي قيمة في ذلك الحين الا ان احتلال الفرنسيين لهذه الهضبة اثر تأثيراً عظيما في قوة الدفاع العثمانية، وهو تأثير وان لم يظهر يومذاك بصورة واضحة فقد وضح اثره بجلاء في الهجوم العام الذي قام به الحلفاء في معركة ٢٨ جزيران

معركة ٢٨ حزيران

فالحلفـاء عادوا الى ضرب المراكز العثمانية بصورة مستمرة . ويكفي للدلالة على هول هذه المعركة المدفعية ان الحلفاء صرفوا في خلالها ٢٧ الف قذيفة من عيار ٧ ونصف والف قذيفة من عيـار ستة ونصف و ٢٧٠٠ قذيفة من عيار ١٥ و ٧٠٠ قذيفة من القذائف الضخمة .

وفي صباح ٢٨ حزيران بدأت قوات الحلفـاء هجومهـا على المراكز العثمانية

تضعضع الجبهة العثمانية

وتمكنت قوات الحلفاء من اختراق الجبهة والتقدم مسافة ميلين وثلاثة اميال في داخل الجبهة العثمانية وضربت القوات العثمانية ضربة قوية لم يعرفها الجيش العثماني قط في حروب جناق قلعة

والقوات العثمانية التي حافظت منذ بدء الهجوم في ٢٥ نيسان الى ٢٨ حزيران على قواتها المعنوية تجاه الحلفاء فقدتها تماماً في هذه الجبهة وباتت بحالة يصعب معها الوقوف تجاه الاعداء

الامر بالتراجع ، ولكن العثمانيين يعارضون !

وتراءى للجنرال فيبر الالماني ، الذي تولى القيادة في هذه المنطقة ، ان ليس بوسعه الوقوف بوجه الحلفاء . فدعا معاونيه وبحث معهم في الموقف العسكري

وكان من رأيه ان الموقف بات خطراً ، وان قواتـه باتت لا تستطيع الوقوف امام الحلفاء

والتفت الى رئيس اركان حربه نهاد بك البروسه لي قائلا له :

— لم يبق بامكاننا الثبات تجاه هجمات الاعداء ، فعليك ان تكتب امراً بتراجع قواتنـا حتى آخر خطوط الدفاع في جوار « آلشي تبه » !

الا ان نهاد بك غارض في هذا الامر قائلا : دعوة القوات العثمانية الى التراجع بهـذا الشكل يقضي حتماً عليهـا . وقد تكون

النتيجة من اضمحلال جميع قوات الدفاع العثمانية واختراق الحلفاء جبهتنا بصورة نهائية !

فلم تفد هذه المعارضة نهاد بك شيئاً . فالقائد الالماني اصر على



الجنرال غورو

قائد جيش الشرق

وقد اصيب بشظية قذيفة ادت الى تشويه جسمه تشويهاً دائماً

امره . فانصرف عنه القائد نهاد بك غاضباً واسرع الى الهاتف يبلغ الامر قائد الجيش الخامس كاظم قره بكير باشا، فاجابه قره بكير بقوله:

— انا قادم اليك فوراً . عليك ان تعارض بكل قواك امر هذا القائد ، فلا تنس ان القابض الحقيقي على الامور هو انت ، فليس للالمان دخل في هذا الشأن !

وباحث كاظم قره بكير باشا في القضية القائد ليمان فون ساندرس باشا، فخاطب هذا الجنرال « فيبر » موبخاً اياه على قراره ، معلناً ان ذلك ينتهي حتماً الى سقوط شبه جزيرة جناق قلعه باجمعها بين ايدي الحلفاء . وامره بان يدافع عن منطقته حتى آخر نسمة. فاما ان يفوز بوقف تقدم الحلفاء او ان يقضي على جميع قواته ، وعند ذلك تحل مكانها قوات اخرى للمضي في الدفاع . فاقتنع اخيراً الجنرال « فيبر » بصواب هذا الرأي وعمل به

استبدال الجنرال فيبر

على ان هذه الخطة التي اتبعها يومئذ الجنرال « فيبر » اهابت بالقيادة العثمانية العليا لطلب نقله وقد ثبت لديها انه غير كفوء للقيادة . وايد هذا الرأي المشير ليمان فون ساندرس باشا وهو غير واثق بالرجل ، فعين مكانه اللواء وهيب باشا وكان قائداً في الحجاز

المحافظة على الموقف العسكري

واقبل الجنرال كاظم باشا في نهار ٢٨ حزيران الى الجبهة ، وبعد ان اشرف عليها اتخذ بعض التدابير العسكرية الشديدة منع بها قوات الحلفاء من التقدم زيادة على ما بلغت . واستطاعت القوات العثمانية ان تحافظ على مراكزها مدة اخرى مما سنعود الى بحثه في الاعداد القادمة

جرح الجنرال غورو

وفي ٣٠ حزيران وقع حادث كاد يودي بالجنرال غورو قائد القوات الفرنسية . فالجنرال غورو اتخذ مرتفعات « قزاتما » في ساحل سد البحر مقراً له ولاركان حربه

وفي ٣٠ حزيران ألقت المدفعية العثمانية من مرتفعات الساحل الاناضولي قذائفها على المراكز الفرنسية

وفي الساعة الواحدة بعد الظهر بينما كان اركان حرب الجنرال غورو يتناولون الغداء في بناء شيدوه حديثاً وقعت قذيفة على سطح هذا البناء احدثت فيه اضراراً الا انها لم تصب من فيه

وبعد قليل سقطت قذيفة اخرى على الطريق المجاور لهذا المكان والمؤدي الى المستشفى السيار الذي انشأه الفرنسيون

واتفق مرور الجنرال غورو من هناك ، وكان يعود من الجبهة مشياً على الاقدام لعيادة الجرحى في المستشفى قبل ان يتناول الطعام

وسقطت القذيفة على مقربة من الجنرال غورو فرفعته بضع اذرع عن الارض والقته فوق شجرة تين ثم رمته في الارض ، فكان ان اصيب بكسر شديد في عظام ساقه وذراعه واجريت له على الاثر عملية جراحية ادت الى بتر ذراعه و ساقه.

فانتهى ذلك بالقائد غورو الى قطع يده وعرجه كما شاهدناه وهو يتولى بعد الحرب شؤون الانتداب في سوريا ولبنان. والكثيرون يرون ان في بقائه حياً بذلك الشكل اعجوبة تثير الدهش

اسرار الحرب الكبرى

بقلم كرم ملحم كرم

قائد المنطاد الالماني الذي ضرب لندن وروعها
يعلن كيف بلغ سماءها ورشقها بقذائفه في الظلام

حرب الجو في ويلاتها الشداد

ما كاد المنطاد « زبلين » يرمي لندن بقذائفه حتى عم الدهش الكون باسره . فالمدينة المقيمة بنجوة من كل خطر لقيت من يبادرها بالعدوان . فلقد اهينت المنعة الانكليزية في قدس اقداسها . واسرع مخبرو الصحف الى قائد المنطاد يستدرجونه الى الكلام . والقائد « ماتاي » كان سخياً في الكلام ، فقال في حديث لمكاتب جريدة اميركية :

— هي ليلة باردة ، الا انها وضاءة ظاهرة النجوم . وغاب القمر عن سمائه . وشاهدنا من بعيد نهر « التاميز » يندفع الى لندن . فهو الدليل الامين والطريق الراهن الى المدينة الكبرى . باستطاعة الانكليز ان يحجبوا في الليل عاصمتهم عن الانظار باطفاء انوارها ، لهم ان يجلببوها بالظلام ما شاؤوا ، اما ان يحذفوا نهر « التاميز » او يحجبوه فذلك مما فوق الطاقة .

« ولقد اظلمت لندن في تلك الليلة ، على اني ابصرتها على بعد اربعين ميلا ، واتجهت اليها معتمداً نهر « التاميز » . وبدت لعيني . وشاهدت احياء ساطعة فيها هي الاحياء الحافلة بالسكان

« والى هذه الاحياء المتلألئة بالنور دفعت منطادي . ولا اكتمك ان منظر لندن من الاعالي فاتن خلاب . وكنا في علو شاهق لا يسعنا به ان نبصر الناس يجولون في الشارع

« وما شعرنا بحياة في المدينة عدا الانوار السيارة فيها » وهي



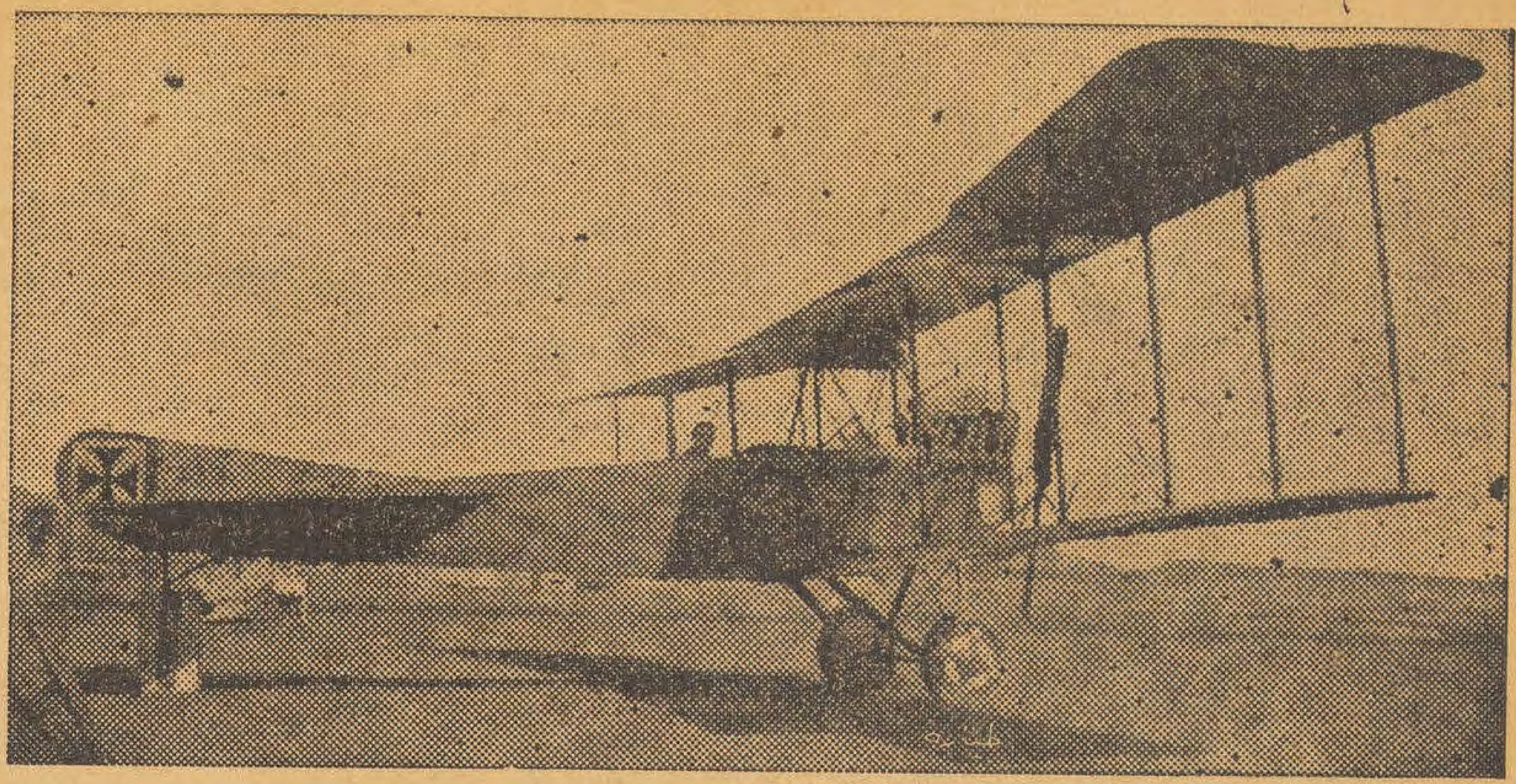
الطيار فدرن

وهو الطيار الفرنسي الذائع الشهرة ، صاحب المآتي الرائعة في الحرب الكبرى

طيارة المانية

من طراز «افياتيك»

اخترع الالمان انواعاً كثيرة من الطيارات، وهذه الطيارة من بعض ما اخترعوه وقد استعانوا بها في الحرب العالمية



انوار القطر الحديدية كما اظن . وبدا كل ما في العاصمة هادئاً مطمئناً

« على ان الانقلاب ساورها في لحظة . فانطلقت الى الفلك اشعة كشافة تبحث في الجو عنا . وتلتها اشعة متعددة . فالعاصمة وقد شعرت بالمنطاد « زبلين » يحلق في جوها استيقظت لدرء الخطر عنها. قلقت نظرها الينا هدير محركات المنطاد

«وابصرنا انواراً مختلفة تشق كبد المدينة كوميض البرق .وعلا قصف المدافع من الشمال والجنوب واليسار واليمين . انه لمشهد جذاب . غير اننا لم نملك الوقت لنمتع انظارنا بما يلوح لنا . فعلينا ان نتجه بابصارنا وافكارنا الى عملنا . فالخطر يهددنا كما يهدد اعداءنا . ومن المحتمل ان تصيبنا قذيفة تهوي بنا الى الحضيض فتسحقنا جميعاً حتى لا يبقى اثر ناطق منا

« فشخصت الى ناحية القديس بولس . ومع ان النار تسدد الينا من كل ناحية فلم نطلق قذيفة واحدة . وصحت بمساعدي وقد امسيت فوق مصرف الدولة : اطلق قذائفك بهدوء !

اختلاط القذائف بعضها ببعض

«واختلطت القذائف بعضها ببعض، قذائفنا وقذائف المدافع الانكليزية.وتطاير الشرر من كل مكان .ورمينا بالقذائف«هولبورن فياديك» وجوار محطة « هولبورن »

« وحاولت بلوغ جسر البرج ، واعتقد اني بلغته ، على اني لا استطيع تخمين ما انزلت به من تدمير .فالنار المندلعة من البرج كانت تدل على ان هناك مدافع اخذت تطلق علينا قذائفها بعنف

« ولدى بلوغنا محطة شارع «ليفربول» امرت باطلاق القذائف بكثرة . فانهمرت كالسيل . واستطعت ادراك مبلغ اذاها ، مما ايدته لي في الآتي الانباء الراهنة

« والتهمت النار المنازل على مقربة منا. واطلقت كل ما لدي من قذائف ، ووجدت مرتاحاً لتحقيق مهمتي . ومع كل ما اطلق علي العدو من نيران لم يصبني بقذيفة واحدة . وانحنيت مراراً من كوة المنطاد اجيل نظري في حجمه الضخم ، فما لاح لي في جلبابه خدش . وبامكاني القول ان توفيقي بهذه الرحلة كان اجمل توفيق عرفته في هجماتي على لندن وضواحيها

« فالخسائر التي انزلناها باعدائنا كانت جسيمة ، والاهداف التي رمينا اليها بلغناها . وصعدنا حتى اهتدينا الى تيار يلائم عودتنا . ورجعنا بسرعة فائقة !...»

***

وفي اليوم التالي لهجمة ٣١ ايار اقبل على لندن منطادان من نوع «زبلين» فقتلا ستة عشر نفساً وجرحا المئات وهدما ثمانية منازل

وهذا الاستمرار في التدمير والتهويل افضى الى قتل المئات من الاشخاص وتهديم عدد كبير من الدور . على ان اهوال الحرب الجوية لم تجهز على الحرب بل زادت في ويلاتها . فاشتد بها الارهاب وتعددت الفظائع في التقتيل والتخريب

الطيارات الفرنسية في المانيا

وما ترددت الطيارات الفرنسية في الانطلاق الى البلاد الالمانية تمعن فيها تخريباً وتنكيلا . ففي ٦ و١٤ آب ١٩١٤ حامت هذه الطيارات فوق مستودعات « فريسكاتي » بجانب مدينة «متز» ورشقتها بالقذائف .

وفي ٨ تشرين الاول حلق طيار انكليزي على علو مئتين وخمسين ذراعاً فوق مستودعات المناطيد في «دوسلدورف» واشعل فيها النار . فاشتعلت وبلغ ارتفاع اللهيب فيها ١٢٥ ذراعاً . واعلنت الصحف الالمانية مبلغ الخسارة في الارواح فقالت انه ثمانية قتلى من الجنود وتعطيل منطاد

طيار انكليزي آخر

وفي اليوم نفسه اندفع سرب من الطيارات الانكليزية الى مدينة « كولونيا » وانحدر الى مستوى مئتين وخمسين ذراعاً ورشق المحطة بالقذائف

وفي ٢٢ تشرين الاول تساقطت قذائف الطيارات في «رافينيي» على مقر اركان حرب ولي عهد المانيا فانزلت بقواته خسارة ١٥ قتيلا و ٢٢جريحاً و ٣٠ جواداً

وفي ٣٠ كانت الطيارات الفرنسية تلقي قذائفها على اركان الحرب الالماني بجانب « دكسمود »

وفي اول تشرين الثاني انقضت قذائف هذه الطيارات على « تيسال » مقر اركان حرب الامبراطور غليوم فقتلت اثنين من مرافقيه

وما انقطعت هذه الطيارات عن عملها ليل نهار . فكانت ترمي بقذائفها في المانيا وفي الالزاس واللورين الخطوط الحديدية والقطر ودور الاعاشة والثكنات ومقر المناطيد والطيارات ومستودعات الذخائر ، والمعامل ، ومستودعات البارود

مغامرة ثلاثة طيارين انكليز

وفي ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٤ هاجم ثلاثة من الضباط الطيارين الانكليز مستودعات الطيران في « فريدريكسهافن» واستطاعوا ان يرموا من علو شاهق مستودعات مناطيد « زبلين » باربع قذائف فاحدثوا فيها انفجاراً وعطلوا منطادين

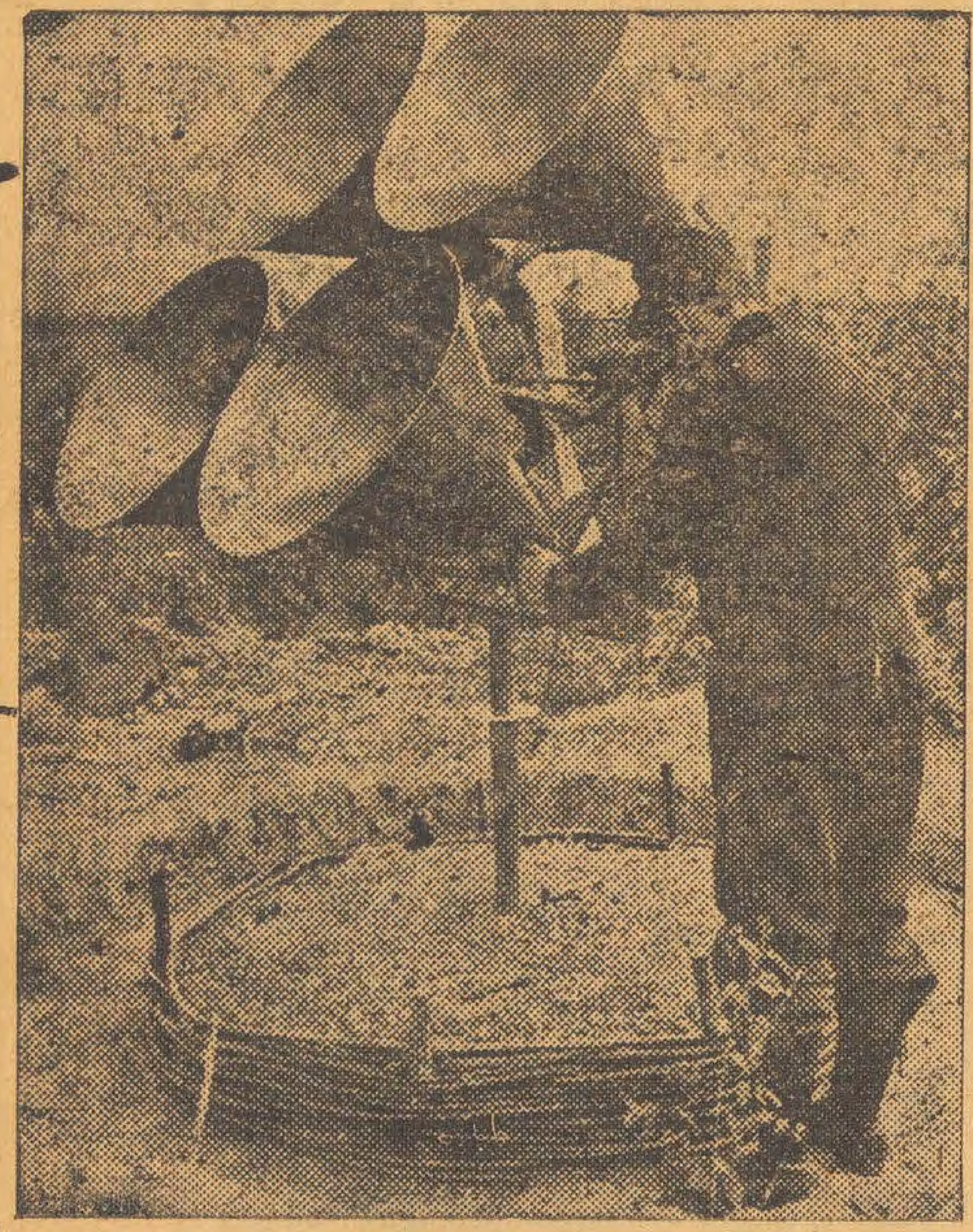
غير ان الالمان رشقوا هذه الطيارات الثلاث بنيرانهم واكرهوا احداها على السقوط واسروا قائدها واهانوه

وفي ٤ كانون الاول صبت طيارات الفرنسيين قذائفها على معامل « كروب » في « ايسن » وهاجمت الخطوط الحديدية ومستودعات الطيارات في « فريبورغ ان بريسفو »

وفي ٢٠ عادت هذه الطيارات الى « ايسن » فاحرقت اربعمئة سيارة

الطيارات تهاجم الاساطيل

وفي ٢٤ كانون الاول فاجأت سبع طيارات انكليزية في ممر « شيلينغ » قرب « كوكسهافن » ، مقر مناطيد « زبلين » البحرية واساطيل المانيا الحربية تصحبها طرادات ونسافات وغواصات . فاندفعت الى مقاومتها اسراب من مناطيد « زبلين » ومن الطيارات والغواصات الالمانية ، على ان الانكليز رموا بقذائفهم اماكن لها شأن عسكري خطير . فحطمت منطاداً من نوع « بارسيفال » وهدمت مقره ، كما هدمت مستودعات مناطيد « زبلين » واصابت بعض هذه المناطيد بعطل جسيم



مرصد الطيارات

هذا مرصد ينبيء بسماع هدير الطيارات من بعيد، وكان له في الحرب اثر جليل ، فيستطاع به التأهب لرد غارات الطيارات في اثناء المفاجآت

القذائف على ستراسبورغ

وفي اواخر كانون الاول تساقطت قذائف الطيارات الفرنسية على حصن « ستراسبورغ » وعلى ميدان الطيران في « ساربورغ » و « فريسكاتي » و « متز » و « رانافيل »

وفي ٤ كانون الثاني ١٩١٥ كانت مستودعات المناطيد الالمانية في « ايتربان » بجانب « بروكسل » تعاني وطأة الطيارات الفرنسية

وفي ١٧ فاجأت هذه الطيارات ثكنات « اوستند »

وفي شهر شباط انزلت الويل بمحطة « ريخفيللر » و «ملهوس» وقصر « هامبورغ » ومستودعات الطيران في « هابسهايم » ، وثكنات « ملهايم » ، ومحطة « بولويللر » ، ومستودع « كنوك » ، ومستودع ذخائر المدفعية في « ميدلكرك » و « دوسلدورف » وثكنات «متز»

وفي شهر اذار انصبت قذائف الطيارات الفرنسية على مستودع البارود في « روتويل » وعلى مستودعات الطيران في « فريسكاتي » وعلى ثكنات ستراسبورغ

وفي ٢ نيسان ١٩١٥ تكاتفت الطيارات الفرنسية والبلجيكية على طرح قذائفها على ميدان الطيران في « هاندزايم »

وفي هذا الشهر انقضت قذائف الطيارات الفرنسية على



الطبيب أميل ريمون

عضو مجلس الشيوخ في فرنسا ومن اكابر رجال الطيران فيها . قتل وهو يجتاز سماء اللورين

مستودعات الذخيرة والمضارب الالمانية في « فينيال » وعلى مستودع الزيوت والمحطة البحرية ومصب الحديد في « بريج » ، وعلى معامل السكة الحديدية في « ليوبولد سهوه » ، وعلى معامل القذائف في شرقي « هونينغ » ، وعلى مصب للحديد في « ستوكاخ » في الغابة السوداء

ايضاً وايضاً

وهذه الطيارات نفسها احرقت محطة « هالتينجن » ومستودعاً للذخائر في محطة « شامبلاي » ، والقت قذائفها في « ويفر » على مقر اركان حرب القائد « فون سترانتز » ، وعلى معمل سلاح « موزر » في «اوبندروف» ، وعلى مستودع لمناطيد «زبلين » في « فريدريكسهافن » وقد تعطل احد المناطيد ، كما تداعى منطاد آخر في ساحة طيران « غونترود »

وفي « سان كانتان » هدمت طيارات الفرنسيين المحطة ، ومستودع الذخائر العام ، وعدة قاطرات يحوي معظمها مواد ملتهبة . وظلت هذه الطيارات تلقي طول الليل قذائفها فقتلت اربعة وعشرين جندياً

والانكليز انفسهم دفعوا طياراتهم الى « سان كانتان » ونسفوا مستودعاً للذخائر وقتلوا تسعة عشر جندياً . وحامت في شباط واذار ونيسان طياراتهم على زيبريج » و « اوستند » و « ميدلكرك » واحدثت فيها خسائر لا يستهان بها ، فانزلت العطل الجسيم بالغواصات والخطوط الحديدية والقطر ولم ترحم الجنود

طيارات تعتدي على طيارات

وفي شهر اذار فاجأت الطيارات الفرنسية مقر المناطيد الالمانية في « موباج » ، وساحة طيران « هرفيي » ، ومحطة « سان كانتان » ومحطة « دويه » ، وباحة الطيران في « جليستيل » فما ابقت منها غير الجدران ، وفي باحة طيران « غونترود » قتلت اربعة واربعين جندياً .

وفي الشهر نفسه رشقت الطيارات الفرنسية بالقذائف مصنع البارود في « ايسن » و « اوستند » ومقر اركان حرب الاميره وورتمبرغ ، فقتلت القائد « غارزيخ » واثنين من مساعديه

وفي ٢٧ ايار اجتاز الطيارون الفرنسيون مسافة اربعمئة ميل لبلوغ « لودويغسهافن » وتدمير مصنع المواد الكيمائية فيها . فاحرقت معمل « ديش انيلين » وهو من اعظم معامل القذائف في المانيا

على مقر ولي عهد المانيا

وفي اوائل حزيران ١٩١٥ ألقت الطيارات الفرنسية مئتي قذيفة على مقر اركان الحرب الخاص بجيش ولي عهد المانيا . وفي ٧ حزيران حلقت طيارتان انكليزيتان فوق مستودع الطيارات الالمانية في « ايفير » في ضواحي بروكسل . وعلى مقربة من « غاند » اطلق الطيار الانكليزي « ورنفورد » قذائفه على منطاد « زبلين » فنسفه بمن فيه .

٢٣ طيارة تنتقم

وكان الالمان قد دفعوا طياراتهم ومناطيدهم الى المدن الانكليزية والفرنسية تدمر مبانيها ، فلم يكن من الفرنسيين الا ان اطلقوا ثلاثاً وعشرين طيارة من طياراتهم للانتقام . فهبت هذه الطيارات الى « كارلسروه » والقت مئة وخمسين قذيفة على قصر المدينة وعلى معمل السلاح والمحطة . وحامت حول المدينة فاذا النار تلتهم دوراً كثيرة



منازل في « بيلفيل » في فرنسا دمرتها المناطيد الالمانية

مشهد من مشاهد التدمير الذي احدثته مناطيد « زبلين » الالمانية في فرنسا وقد وقع في ليل ٢٩ كانون الثاني ١٩١٦

وصف طبيب الماني للحادث

واذاعت صحيفة المانية حديث طبيب كان يقيم في « كارلسروه » ساعة دمرتها الطيارات الفرنسية ، فوصف الحالة بقوله :

— كنت في عملي ، في حجرة تقوم في الطابق الاعلى من احد الفنادق ، واذا بي اسمع فجأة انفجاراً يتوالى ويدنو قصفه من مسامعنا « هذا طيار من طياري الاعداء يقترب منا للاحتماء من قذائف مدفع خاص باسقاط الطيارات . واستمر الانفجار وتكاثر ، واذا المدافع الرشاشة تشترك في المعمعة . فماذا يجري ؟

« دنوت من النافذة في الطابق الاعلى واستطعت ان ارفع نظري الى فسحة السماء . وابصرت الطيارة فاذا بها قد علت حتى باتت في وسط الغيوم البيض . على ان هناك طيارة ثانية اقبلت ، واطلت بعدها الثالثة ، واذا سرب من الطيارات يحلق في سماء المدينة

« وعدتها فبلغت العشرين . وكانت دقيقة في طيرانها . فمشت في المقدمة طليعة لها ، واقامت طيارات عن جوانبها تحمي جناحيها . أتكون معركة منظمة ؟...

« وعلا في صدر المدينة صوت بوق . هـذه اشارة للناس كي يخلوا الطرق ويبتعدوا عن مرمى القذائف

« وتساقطت القذيفة الاولى فاذا المدينة تهتز . وخشيت على نفسي وانا في الطابق الاعلى ، فرأيت ان انحدر في السلالم ، وشاطرني هذا الرأي رفاق لي . وسقطت القذيفة الثانية فسمعنا صوتاً آمراً يقول : حيدوا من طريق القذائف !

« وامسك ضابط شاب برتبة كابيتن بيدي وخاطبني بقوله : تعال معي يا سيدي الطبيب ، ليس من الشجاعة البقاء وثمة قذائف تنقض على رأسك !

« وانحدرنا الى الدهاليز . وتعاظمت الاهوال في الشارع وازداد القصف والضجيج ، حتى ان قبة الدهاليز اهتزت . وامسينا كأننا حيال صاعقة على وشك ان تنقض في احدى النواحي ، ينذر بها البرق ويخشى الجميع ان تقع على رؤوسهم وليس لديهم ما يقيهم الخطر المهدد بالانقضاض، بل ليسوا يدرون على من تنقض

« واشتد الهول . وانسل الى الدهليز ضباب ، وليس من يقوى على معرفة نوعه ، أدخان هو ام غبار ؟ .. فان يكن دخاناً فليس لنا ان نطمئن الى موقفنا وقد امسى الخطر قريباً منا . وملكنا القلق وانطفأت الانوار الكهربائية فبتنا في ظلام . فقد تكون الاسلاك قطعت . على اننا ونحن نستنشق هـذا الضباب شعرنا بان رائحته مزعجة ، على انها ليس رائحة دخان

« وتفاقمت زمجرة القذائف وتجاوب صداها في دهليز « الابطال » ، وخيل الينا ان القذائف ستصيب الفندق ، وكيف نقوى عند ذاك على براح الدهاليز ؟

« على ان الضجة اخذت تخف بالتدريج ، وانصرف الرفاق . واندفعنا جميعاً لنشاهد الطيارات . وشاهدناها ، فهي لا تزال تحلق فوق المحطة »

***

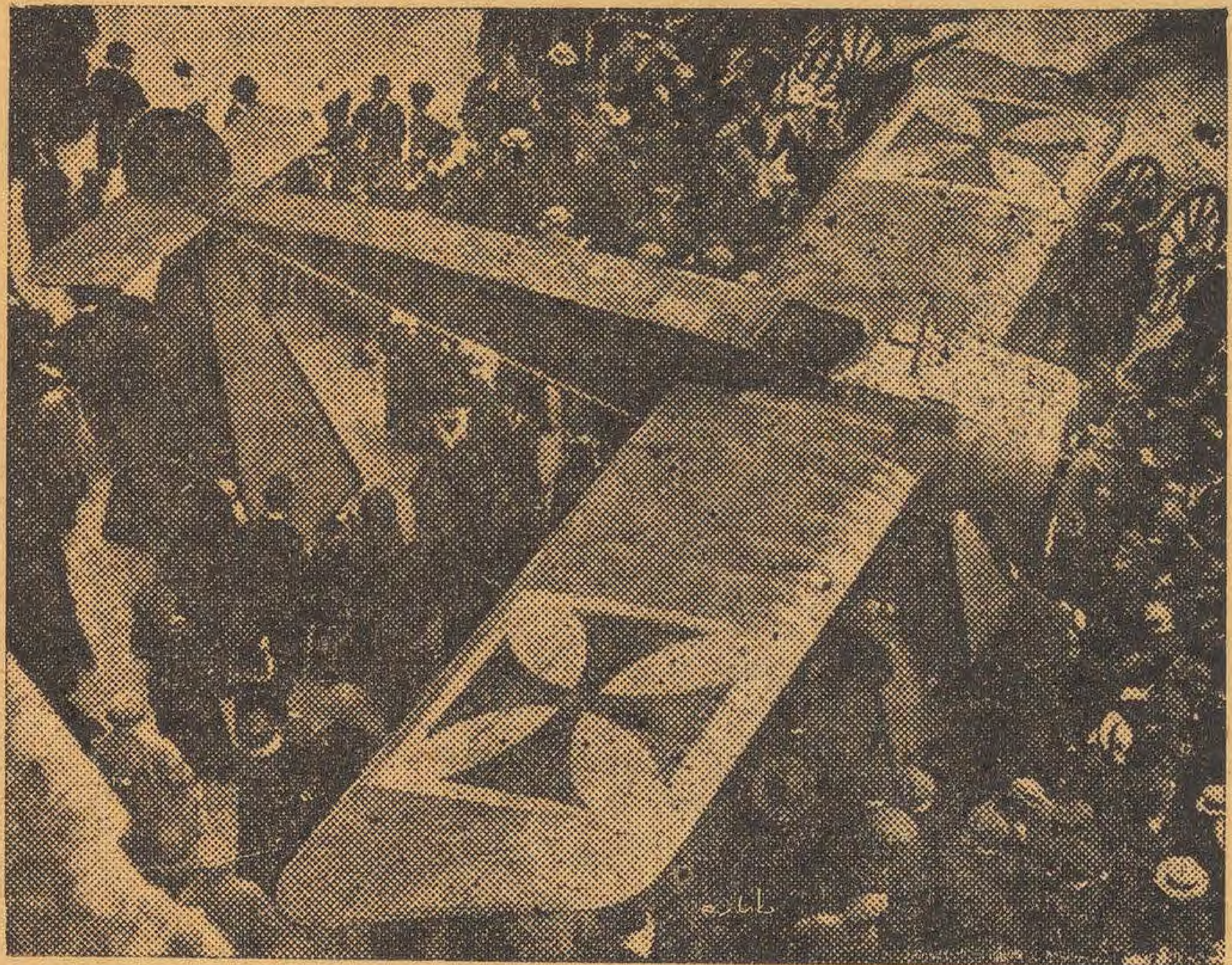
هذه تصريحات طبيب الماني تشير الى هول الموقف . وفي اواخر حزيران اطلقت الطيارات الفرنسية نارها على محطات الطيران الالمانية في «آراس» فاحرقتها واحرقت فيها عدة طيارات

قذيفة على محطة

ومضى الفرنسيون في التخريب ، فاطلقوا عشرين قذيفة على محطة « دويه » والمحطات المجاورة لها واحدثوا فيهـا اضراراً جمة . وألقت احدى الطيارات قذائفها على مستودع لمناطيد « زبلين » في « فريدريكسهافن » واصيبت هذه الطيارة بعطل فاضطرت الى الانحدار

في سويسره

وفي شهر تموز احرقت الطيارات الفرنسية دور الاعاشة في محطة « فينيال لس هاتونشاتيل » الحربية ، وألقت القذائف الهدامة على محطة « ليركور » بين « دويه » و « ليل » ، ورشقت محطـة « شومي » العسكرية بعدة قذائف فاحرقت فيها مواد كثيرة ، وهذا



طيارة المانيه من طراز « فوكر »

وهي ذات محرك واحد، وقد اشتركت في المعارك الجوية في حرب ١٩١٤

كان شأن محطة « شاليرانج » في جنوبي « فوزيه » ، ومحطة « كولمار » ، ومحطة « اوتري » ، وهدمت القذائف مصنعاً للغازات الخانقة في « دورناك » في الالزاس

وفي شهر آب حام الطيارون الفرنسيون على ساحة الطيران في « دالهايم » بقرب « مورهانج » ، وعلى معامل « ساريبروك » ومحطتها ، وعلى محطات وادي « سبادا » ومستودعاته ، وعلى محطة « ترنيه » و « نوايون » ومحطة « لوراك » ومصنع القذائف والصفائح الفولاذية في شمالي « سارلوي » ، وعلى محطة « ملهايم »

وفي ٢٥ آب انطلقت اسراب من الطيارات الفرنسية والانكليزية والبلجيكية الى غابة « هوتولست » ونثرت عليها القذائف بلا حساب وقد حولها الالمان الى مستودعات للذخيرة وثكنات ودور للمؤن

ونسف الطيار الانكليزي « بغسوورث » غواصة المانية في عرض مياه « اوستند »

القذائف على مصرف الدولة

وفي ١٣ ايلول هجم سرب من الطيارات الفرنسية على محطة « تريف » ورماها بالقذائف كما رمى مصرف الدولة فيها . وفي النهار نفسه ألقت هذه الطيارات قذائفها على محطة « دوماري — بارونكور» ورأى الالمان ان ينتقموا من اعدائهم الممعنين في الاساءة اليهم، فاندفعت طياراتهم ومناطيدهم الى المدن الفرنسية تضرم فيها النار . وكان لهذا الانتقام رد فعل لدى الفرنسيين فبلغت طياراتهم مدينة « ستوتغارت » الالمانية والقت ثلاثين قذيفة على القصر الملكي وعلى المحطة

مبلغ خسارة المانيا

والمانيا وان تكن لم تملك في بدء الحرب ما يزيد على سبعة عشر منطاداً فقد اجتهدت في اثناء الحرب في تشييد الطيارات والمناطيد بهمة فائقة حتى بات لديها من المناطيد وحدها اضعاف اضعاف ما كانت تملك منها . ولقد بلغت حتى ربيع ١٩١٦ خسارتها في هذه المناطيد ٤٧ منطاداً من نوع « زبلين » و٣٦٨ طيارة

واهم هذه المناطيد المنطاد « ز — ٨ » البالغ طوله مئتي ذراع وقد سقط في « بادونفيه » وعُرض في « الانفاليد » ، والمنطاد زبلين الذي اسقطه فوق مدينة « غاند » البلجيكية الضابط الكندي الشاب « ورنفورد » البالغ من العمر ثلاثاً وعشرين سنة، على ان هذا الضابط نفسه هلك بعد ايام في « بيك » في حادث جوي

ومن المناطيد الالمانية التي اصطادها الحلفاء المنطاد «ل — ز ٧٧» وقد هوى بين « برابان ليروى » و« راقينيي » باطلاقة مدفع احرقته، وكان انفجاره عظيما ،فاشتعل وحجبه دخانه ، ولقد احترق كل من فيه ، وظهرت بقاياه في الحقول كومة من حديد ورماد

الطيارون الفرنسيون

وبين الطيارين الفرنسيين الذين استبسلوا في مهاجمة الطيارات الالمانية والمانيا نفسها يجب ان يعدّ في الطليعة عضو مجلس الشيوخ عن منطقة « لوار » الطبيب « اميل ريمون » . فكان ينعي قبل الحرب جمود التسليح الفرنسي من على منبر مجلس الشيوخ وينذر بتقدم صناعة الطيران في المانيا

والنعي والانذار بدرا منه قبل الحرب الكبرى بزمن طويل . فقد ألقى خطابه في ١٢ تموز ١٩٠٩ والحرب وقعت في ٢ آب ١٩١٤

وابى « اميل ريمون » لما وقعت الحرب الكبرى الا ان يكون خير قدوة . فرفض العمل في مستشفى اختارته له الحكومة لقضاء ايام الحرب وآثر ان يكون ضابطاً طياراً . وابلى البلاء الحسن وهو يجوب بطيارته الاجواء ، وقتل وهو في سماء اللورين

واول من اندفع من الطيارين الفرنسيين الى « متز » لتدمير محطات المناطيد الالمانية هو الضابط « سيزاري » والعريف «بريدومو» وعاد « رينه ده مازميه » من هجمة على « اوستند » مع ان الالمان ثقبوا طيارته من عدة اماكن فيها ، ومع ان شظية قذيفة اطارت رجله اليسرى ، عاد الى الخطوط الفرنسية يجتاز البحر وابى على مساعده ان يحل محله في قيادة الطيارة

وبين الطيارين الفرنسيين الذين لمعوا في الحرب الكبرى يظهر « قدرين » و« موانو » و« فاك » و« اوديمارس » ، فما انقطعوا عن الهجوم على الالمان مراراً وتكراراً ، واسقطوا العدد الكبير من الطيارات الالمانية

جرأة طيار فرنسي

وركب الطيار « غاروس » طيارته وحده يقودها بنفسه ، ويطلق منها نار مدفعه على الالمان ، فاسقط ثلاث طيارات ألمانية في بضعة اسابيع ، على ان عطلا اصاب طيارته ارغمه في ١٨ نيسان ١٩١٥ على الوقوع اسيراً في المضارب الالمانية ، بيد انه استطاع تخريب طيارته قبل وصول اعدائه اليه

ومن هؤلاء المغامرين في الجو الرسام « ده لوسك » وقد قتل في اول حزيران ١٩١٥

و« جيلبر » وقد وقع في الاسر بعد نسفه معمل «فريدريكسهافن»

و« بيغو » وقد جرح في ٣١ آب امام « بلفور » جرحاً مميتاً

و« غينمر » المثير الرعب في قلوب اعدائه ، فبلغ عدد الطيارات الالمانية التي اسقطها حتى ١٣ اذار ١٩١٦ ثماني طيارات

و« نافار » وفي ٢٠ ايار ١٩١٦ اسقط الطيارة الالمانية السابعة

و« ترلين » و« مارشال » و« شابيت » و« روشفور » و« نتجيسر » و« شينا » ، وكلهم ابدي البسالة والاقدام في القتال الجوي في الحرب العالمية الكبرى

المانيا تريد عقد الصلح بعد سنة واحدة من اعلان الحرب

البابا بنوى الخامس عشر يخاطب في الصلح ولسون

ولكن ولسون يرفض التدخل بحجة ان الحلفاء لا يريدون

لو ظفرت المانيا !..

ومت المانيا وهي تخوض سنة ١٩١٤ الحرب العالمية الى هدف واحد،وهو سيادة العالم.ورأت ان تسلك لبلوغ هذا الهدف طرقاً ثلاثة ، اذلال انكلترا وانتزاع سيادة البحار منها ، واقتطاع بولونيا والولايات القائمة على سواحل بحر البلطيك من روسيا،وسلخ ولايات يبلغ عدد سكانها خمسة عشر مليوناً من فرنسا

تصريحات الكونت « برنستورف » الالماني

وصرح الكونت « برنستورف » ، سفير المانيا في واشنطون ، بما يرقب فرنسا من مصير رهيب اذا اصابتها الهزيمة في الحرب الكبرى، فقال عنها انها معرضة لخسران مستعمراتها بكاملها ، ولخسران ربع مساحتها من « سان فاليري » حتى « ليون »، ولاداء غرامة مبلغها عشرة مليارات

وقال ان معاهدة جائرة ستفرض عليها تذيب صناعتها ، ومايبقى منها لن يتمتع بنصيب كبير من الحرية والحياة

واعتمد الالمان في بلوغ هذا الهدف على ما يرقبون من فوز . فكانوا يعتقدون كل الاعتقاد ان النصر طوع ايديهم ، وانهم لن يعودوا من المعركة خاسرين

اقتراح عقد الصلح

واقترح الامبراطور غليوم وقف الحرب في بدئها على ان يعقد الحلفاء صلحاً تمسي به فرنسا جثة بلا روح . على ان معركة المارن اظهرت لسيد المانيا انه واهم، وان رأيه في فرنسا ليس بالرأي الصحيح

وبلغت الخيبة في معركة المارن منتهاها.وفكر الالمان في عقد الصلح. غير انهم انتظروا من الحلفاء ان يقترحوا ذلك عليهم . ولما حانت سنة ١٩١٥ فكرت المانيا جدياً في عقد الصلح ليقينها ان مؤونتها وذخيرتها لا تكفيانها لمتابعة الحرب. فقد جهزت نفسها بما يكفيها ثلاثة اشهر، فاذا الحرب طويلة كما يبدو منها . ورغب الالمان في ان تتوسط الولايات المتحدة الاميركية لدى الحلفاء لاقناعهم بالقاء السلاح وبمنح المانيا معظم ما تشتهي . واستندوا في ذلك الى ما ملكت المانيا في بدء القتال من فوز مبين

غير ان الحلفاء رفضوا كل الرفض . وسكتت الولايات المتحدة الاميركية ليقينها ان التدخل لا يجدي . فليس بين الفريقين من يرضى بصلح تمس فيه كرامته او يتنازل به عن حق من حقوقه

اقلاق اميركا

. وسكوت اميركا عن التدخل ، وانصراف معاملها الى صنع الذخائر وبيعها من الحلفاء ، وانتصار السواد الاعظم من ابنائها لقضية الحلفاء دون المانيا ، حملت الكونت « برنستورف » ، سفير المانيا في اميركا ، الى اثارة القلق في الديار الاميركية

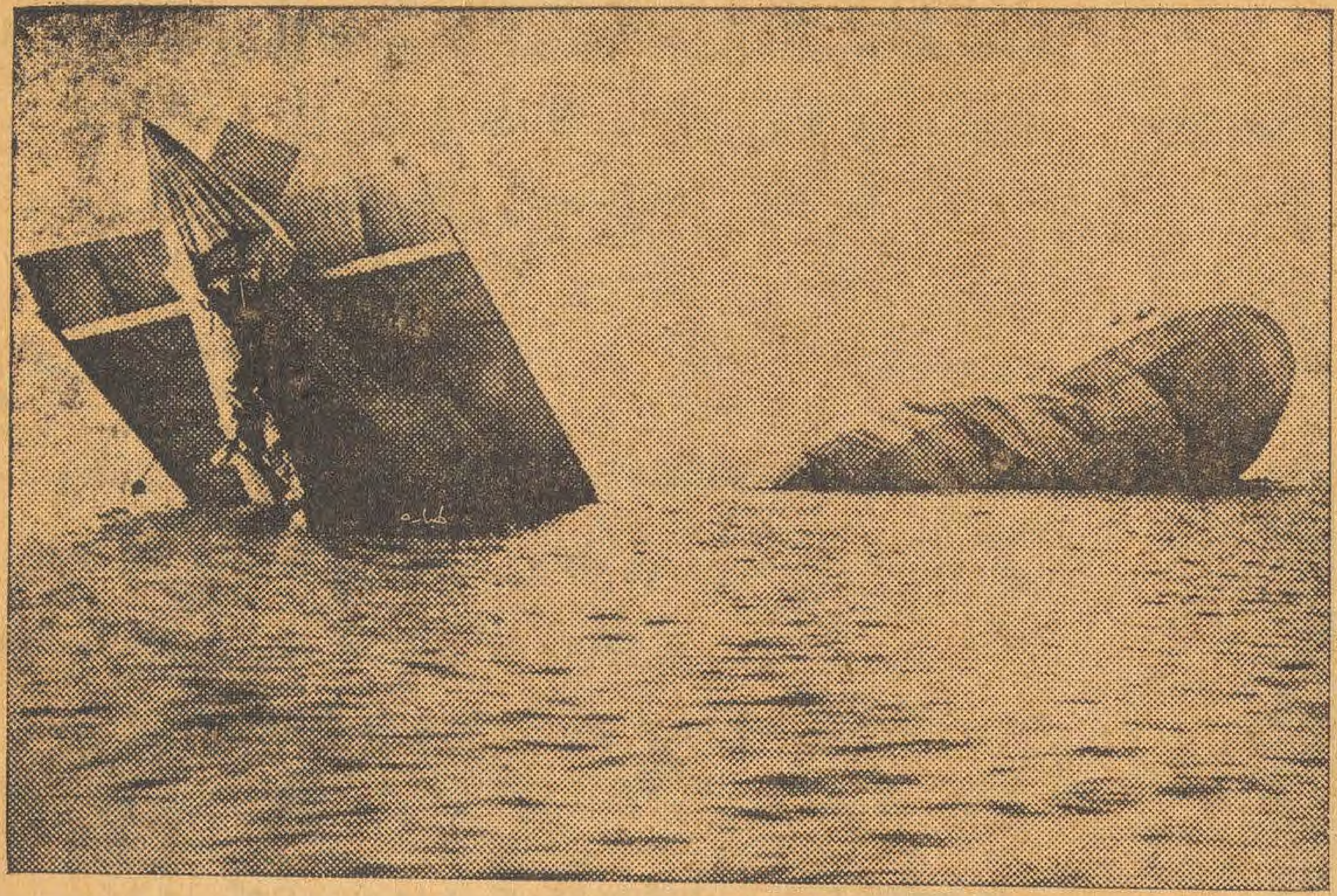
فدعا الفئة المنتصرة لالمانيا من الاميركيين الى التظاهر طالبة من حكومة واشنطون الكف عن مساعدة الحلفاء في الذخائر والبضائع وتأييد المانيا

وهذا التظاهر أثار الشعب في اميركا، فمشى انصار المانيا في الشوارع يهتفون لالمانيا وينالون من الحلفاء . واعلنت معامل كثيرة الاضراب، واحرق ذوو الايدي العاملة، المضربون تحت ستار تأييد السلم ،معامل غير قليلة تتولى صنع الذخائر الحربية لجيوش الحلفاء ، وعمدوا الى تفجير اصابع الديناميت . ويقول الحلفاء عن هؤلاء المنتصرين للسلم انهم لم يكونوا غير آلات بين ايدي الالمان وهم لا يدرون او انهم يدرون ويتجاهلون . وفطنت الولايات المتحدة الاميركية للامر وخشيت سؤ المغبة .

المنطاد زبلين الالماني

« ل — ١٥ »

وقد تحطم على شواطىء « كنت » في اثناء هجمة قام بها على انكلترا . وهذه بقاياه في الماء وقد حطمته الطيارات الانكليزية



فان هذا الشعب يهدد حتما صفاء الامن فيها

تهديد سفير المانيا وسفير فرنسا والمجر

ووضح لولاة الامر في اميركا ان مصدر اقلاق الامن هو سفير



الكونت برنستورف

سفير المانيا في اميركا

وهو الذي أثار الفتن في اميركا لازعاج الحلفاء واعلن ما تقدم عليه المانيا لدى فوزها في الحرب

المانيا الكونت «برنستورف» وممثل النمسا والمجر الدكتور «دومبا». فكانا يدفعان انصارها الى اثارة المشاكل . ووقع رجال التحري على خطة تخريب في اميركا نظمها الدكتور « دومبا » ، فما كان من الحكومة الاميركية الا ان طلبت من حكومة النمسا استدعاء ممثلها من اميركا

على ان هذا التدبير لم يقف بدعاة المانيا عن اثارة القلق ، فظلوا يشاغبون . وكانت دار السفارة الالمانية مرجعهم . فساء الولايات المتحدة الاميركية ما ترى وطلبت من حكومة برلين استدعاء ملحق السفارة البحري « فون بابن » والملحق العسكري « بوي ايد » لثبوت تنظيمها المكايد في اميركا

البابا يتدخل في الصلح

وبعد مرور سنة واحدة على اعلان الحرب نشر الحبر الاعظم البابا بنوى الخامس عشر في جريدة « اوسرفاتوره رومانو » نداء في سبيل السلام . ومع كل ما اعلن من تجرد لم يلق اذناً صاغية . ولو سايره الحلفاء في مرماه لطلبوا منه ان تؤدي المانيا نفسها نفقات الصلح. فالحلفاء ما برحوا يقولون ان تبعة الحرب تقع على المانيا وحدها

وفي شهر ايلول ١٩١٥ كلف بنوى الخامس عشر الكردينال « جيبون » حمل رسالة الى الرئيس ولسون يطلب اليه فيها ان يبحثا معاً في وسائل توطيد السلام . فاجاب « ولسون » انه يرفض هذه المهمة ليقينه ان الحلفاء ليسوا على استعداد للاصغاء الى الدول المتخاصمة بعزلتها اذا رامت التدخل في ذلك الخلاف الجسيم

ولكن قام من يحنع...

ولقد دل جواب الرئيس ولسون على ما يميل اليه السواد

الاعظم من الاميركيين . غير ان هناك من احتج على الحرب وطلب الخلاص منها. ومن هؤلاء السيد« بريان» الاميركي والسيد « فورد». فانشأ وفداً سارا به الى اوربا لمباحثة الدول المتحاربة في ضرورة عقد الصلح ، على انهما لم ينجحا في ما نهدا اليه

مؤتمر يتلو مؤتمراً

وقامت في هولندا واسوج مؤتمرات متعددة لاقرار السلام ، الا انها لم تكن واضحة الاهداف . واهتم في سويسرا الالمان كل الاهتمام ببث الدعوة الى تفريق الحلفاء وتشتيتهم

ففي شهر تشرين الثاني ١٩١٥ استقر في « ليسرن » الامير ده بيلوف ، وطالت اقامته الاشهر الطوال ، واحتشد حوله انصار كثيرون ، وتولى مداورات سرية من شأنها فصل الحلفاء بعضهم عن بعض ، وحمل دولهم على توقيع صلح منفرد تقوم به كل دولة على حدة

ولكن الحلفاء مرتبطون بميثاق لندن . وهذا الميثاق يحول دون ابرام صلح منفرد . فكما خاضت هذه الدول الحرب معاً عليها ان تنتهي منها معاً . فلم ينجح الامير ده بيلوف في مداوراته فانتهت الى الاخفاق

مؤتمرات الاشتراكيين

وتنادى الاشتراكيون من مختلف البلدان الى عقد مؤتمرات فيما بينهم يعالجون بها قضية السلام . فدام مؤتمرهم في « زيمروولد» من ٥ ايلول ١٩١٥ الى ٣ منه،وعقدوا مؤتمراً آخر في « كيانتال » ولكن على غير جدوى

وتابع الالمان اهتمامهم بفصل الحلفاء بعضهم عن بعض فاوفدوا الى « لاهاي » امين سر الدولة « سولف » ، والى « استوكهولم » الامير « ماكس ده باد » ،والى رومه الكردينال « هارتمان » ولكن همة هؤلاء السادة لم تأت بفائدة ، فالحلفاء ظلوا كالبنيان المرصوص

والمانيا كانت تريد السلم ، ورغبتها فيه ظهرت في مطالبة احزابها الحكومة الالمانية باذاعة بيان توضح فيه القصد من اعلانها الحرب . فاضطر مستشار الدولة « بيتمان هولويغ » الى التصريح امام المجلس النيابي بانه يرضى التناقش في مقترحات السلام ، على ان تكون هذه المقترحات جدية يعرضها عليه الحلفاء انفسهم ،فالدولة الالمانية تريد ان تعقد صلحاً شريفاً

والمقصود بالصلح الشريف ان تدرك المانيا الفائدة بعد كل ما اقدمت عليه من تضحيات . فلا تخرج من الحرب كما دخلتها ، بل تضم اليها الولايات الطامعة فيها من الجانبين ، من فرنسا وروسيا ، وتضمن لنفسها حرية البحار وتستولي على مستعمرات جديدة

غير ان ثمة نواباً من الاشتراكيين رفضوا هذه الرغبة في التبسط، ومن هؤلاء « هاز » و « كارل ليبكنخت »

وكان يعتقد الالمان في ابدائهم هذه الاراء ان الحالة اصبحت في الميادين الحربية مما لا يمكن تبديله . فليس بوسع الحلفاء ان يقوموا باكثر مما قاموا به



القائد كادورنا

قائد القوات الايطالية العام وهو يبرح دار وزارة الشؤون الخارجية في باريس على اثر مؤتمر عام عقده سنة ١٩١٦ فيها قادة الحلفاء

وهذا الاعتقاد دفعهم الى الاصرار على مطالبهم المرهقة اذا راموا وقف الحرب

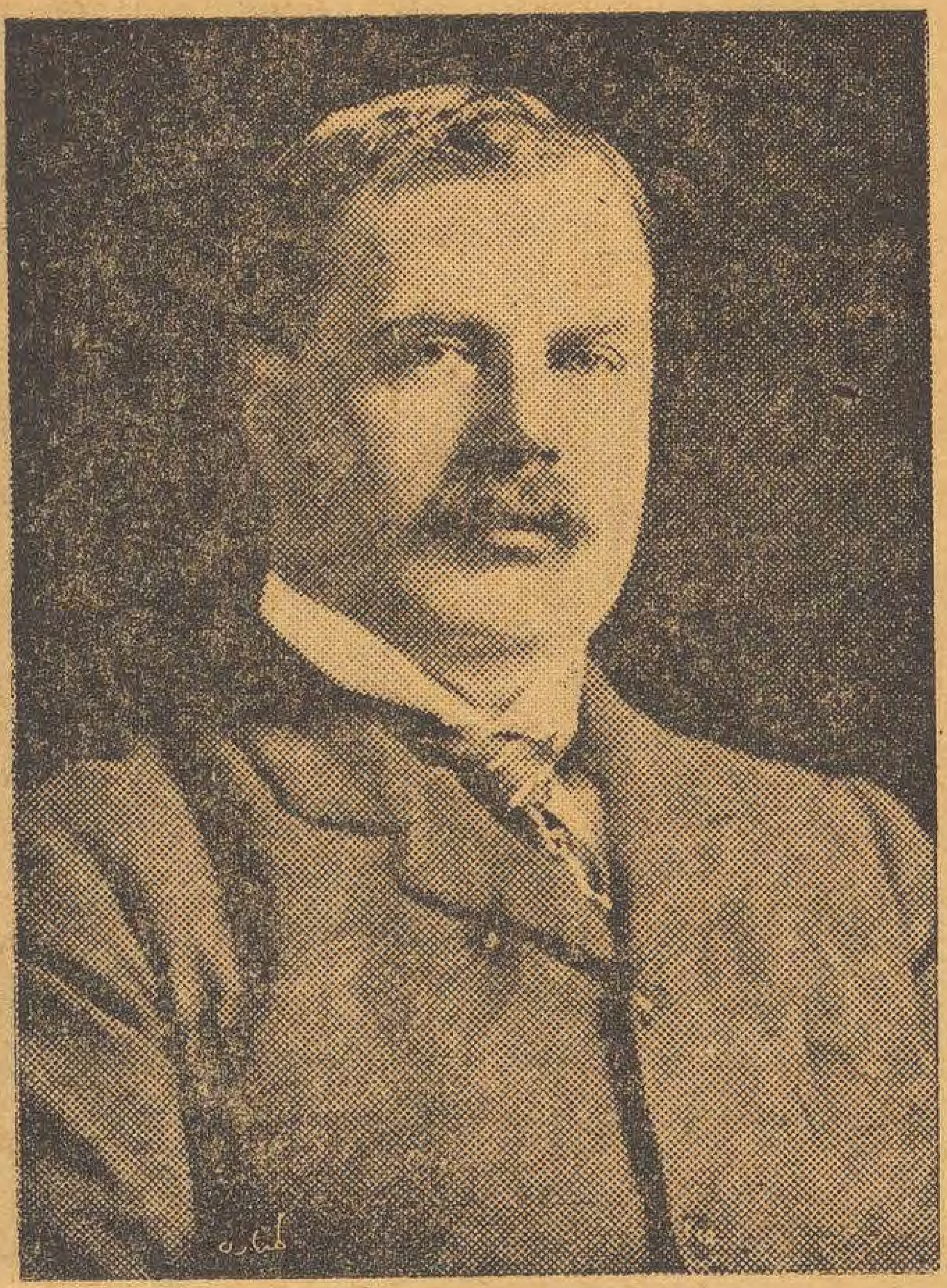
ولكن الحلفاء لم يقبلوا هذه المطالب . وكل دولة دعيت الى عقد الصلح على حدة رفضت الدعوة ، مما حمل مستشار المانيا ، السيد « بيتمان هولويغ » ،الى التصريح في جلسة ٨ كانون الثاني ١٩١٥ امام المجلس النيابي ان المانيا لا تطلب الصلح

مجهود الحلفاء

وفيما يجتهد الالمان في تشتيت شمل الحلفاء بكل وسيلة مستطاعة

كان الحلفاء يجتهدون في تنظيم قواتهم وتوحيد عملهم في المعارك القاسية المحتدمة النيران

فان انكلترا مع كونها تملك اعظم اسطول ، واموالا طائلة ، شعرت بان نظام التجنيد فيها لا يتناسب وعظمتها التقليدية . وكان



اللورد دربي

صاحب مشروع التجنيد الاجباري في انكلترا ، وقد طرحه على مجلس النواب ومجلس اللوردات فنال تأييد معظم رجال المجلسين

القائد الانكليزي الشهير اللورد « روبرتس » قد حذر بني قومه من هذا النظام وقال فيه ان انكلترا ضعيفة عسكرياً بين امم مسلحة تسليحاً مكيناً . واخذ يبث الدعوة في سبيل التجنيد الاجباري

انكلترا لا تصغي اليه

على ان الشعب الانكليزي وهو الشديد الغيرة على حريته ما اصغى كل الاصغاء الى اللورد « روبرتس » . وقليل هم الذين ساعدوه في هذه المهمة . غير ان الحرب الكبرى لم تكد تعلن حتى شعرت انكلترا بضرورة التجنيد الاجباري. بيد ان افكار الشعب لم تكن على استعداد تام لتقبل فوراً هذا التدبير. فما كان من الحوادث الا ان ذللت بنفسها الصعاب ورأى الشعب الانكليزي ان لا غنى لها عن تقرير الامر

وكنا قد اشرنا الى ما قام به اللورد كيتشنر من همة لتعبئة الجيوش في انكلترا . ففي اليوم التالي من اعلان الحرب دعا المجلس النيابي الى انشاء جيش مؤلف من خمسمئة الف مقاتل . فاقبل المتطوعون يلبون النداء

ولكن القادة الانكليز ادركوا ان هذه القوة غير كافية ، فقرروا في اواخر كانون الاول ١٩١٤ تأليف جيش آخر من ٧٢٠ الف مقاتل

فالمهمة شاقة ، بيد ان الانكليز تولوها باهتمام . فنظموا هذه القوات ، وجهزوها بالضباط ، واذا بهم يرون انها لا تزال غير كافية. فهم بحاجة الى ثلاثة ملايين جندي

لا بد من التجنيد الاجباري

وثلاثة ملايين جندي لا يمكن الوصول اليها عفواً . وبحثت



السيد فسنيتش

سفير صربيا في باريس

وهو ممن شهدوا مؤتمر الحلفاء العام المقررة فيه سياسة متابعة الحرب الكبرى

الحكومة الانكليزية في طريقة توفر لها هذا العدد . وهذه الطريقة لم تشأ ان تقررها الحكومة بنفسها وهي حكومة حرة ، بل لجأت الى المعارضة تفتح لها صدرها . فان حكومة الاحرار لم ترفض انضمام المعارضين اليها لتقرير الخطة الراهنة

ومع ان في مثل هذه الدعوة عبثاً بالتقاليد البرلمانية في بريطانيا

فاظهر لاعداء انكلترا ان وطنه ماض في تحقيق امانيه بثبات وقوة ، وان كل مكيدة لن تخرج به عن هدفه . فليس يخشى هول المعارك ولا العراقيل الداخلية

ولويد جورج كان في اثناء الحرب الكبرى من ألمع رجال السياسة في انكلترا ، وربما ألمعهم ، فلم يقدم احد على المجهود الذي اقدم عليه وخرج منه مكللا بالنجاح

ممتلكات التاج البريطاني

وممتلكات التاج البريطاني بذلت من المجهود ما بذلت انكلترا نفسها. فاوفدت الى ساحات القتال الرجال والاعتدة ، سواء في ذلك كندا واوستراليا وزيلندا الجديدة والهند وافريقيا الجنوبية

فاظهرت هذه الممتلكات انها شديدة الاخلاص لانكلترا ، واستمرت في ايفاد القوات الى ميادين الحرب دون ما ملل ، فما تقهقرت في النجدة مع طول الحرب وعنفها ، بل هي كلما لمست في الحرب العنف ازدادت سخاء واندفاعاً

اهتمام فرنسا بصنع السلاح

وفرنسا اقدمت على صنع السلاح بكل ما اوتيت من عزم . فالالمان احتلوا شطراً كبيراً منها وما برحت تجتهد في ان تقدم الاعتدة في حينها لجيوشها

وفي ١٩ تموز ١٩١٥ انشئت وكالتان لوزارة الحرب ، قام على احداها السيد « ألبر توما » وعهد اليه بالاشراف على شؤون المدفعية والذخائر . وقبض على زمام الاخرى السيد « جيستان غودار » للاهتمام بمصالح الصحة في الجيش

فالتنظيم رحب المجال ، يقتضي السهر واظهار المقدرة

استقالة « دلكاسه »

وعلى اثر خروج بلغاريا على عهدها للحلفاء وانتصارها لالمانيا اعلن السيد « دلكاسه » وزير الشؤون الخارجية في فرنسا استقالته . وفي شهر تشرين الاول ١٩١٥ استقالت وزارة السيد « فيفياني » ، فان جلسة ١٣ تشرين الاول في المجلس النيابي لم تمنحها ما يزيد على ٣٧٢ صوتاً

وزارة بريان

وكلف السيد بريان تأليف الوزارة فاقدم على تأليفها كما يلي:

للرئاسة والشؤون الخارجية : اريستيد بريان

امين سر عام الشؤون الخارجية : جيل كامبون

وزراء بلا وزارة : ده فرايسينه ، كومب ، دانيس كوشان ، غيد



القائد جيلانسكي

ممثل روسيا في مؤتمر الحلفاء العام المعقود في اواسط الحرب في باريس

وزارة العدل : فيفياني

وزارة الحرب : القائد غالياني

وزارة البحر : امير البحر « لاكاز »

وزارة المال : ريبو

وزارة الداخلية : مالفي

التربية العامة : بانليفه

الاشغال العامة : سامبا

التجارة : كليمانتيل

الزراعة : مالين

العمل : ميتان

المستعمرات : دومرغ

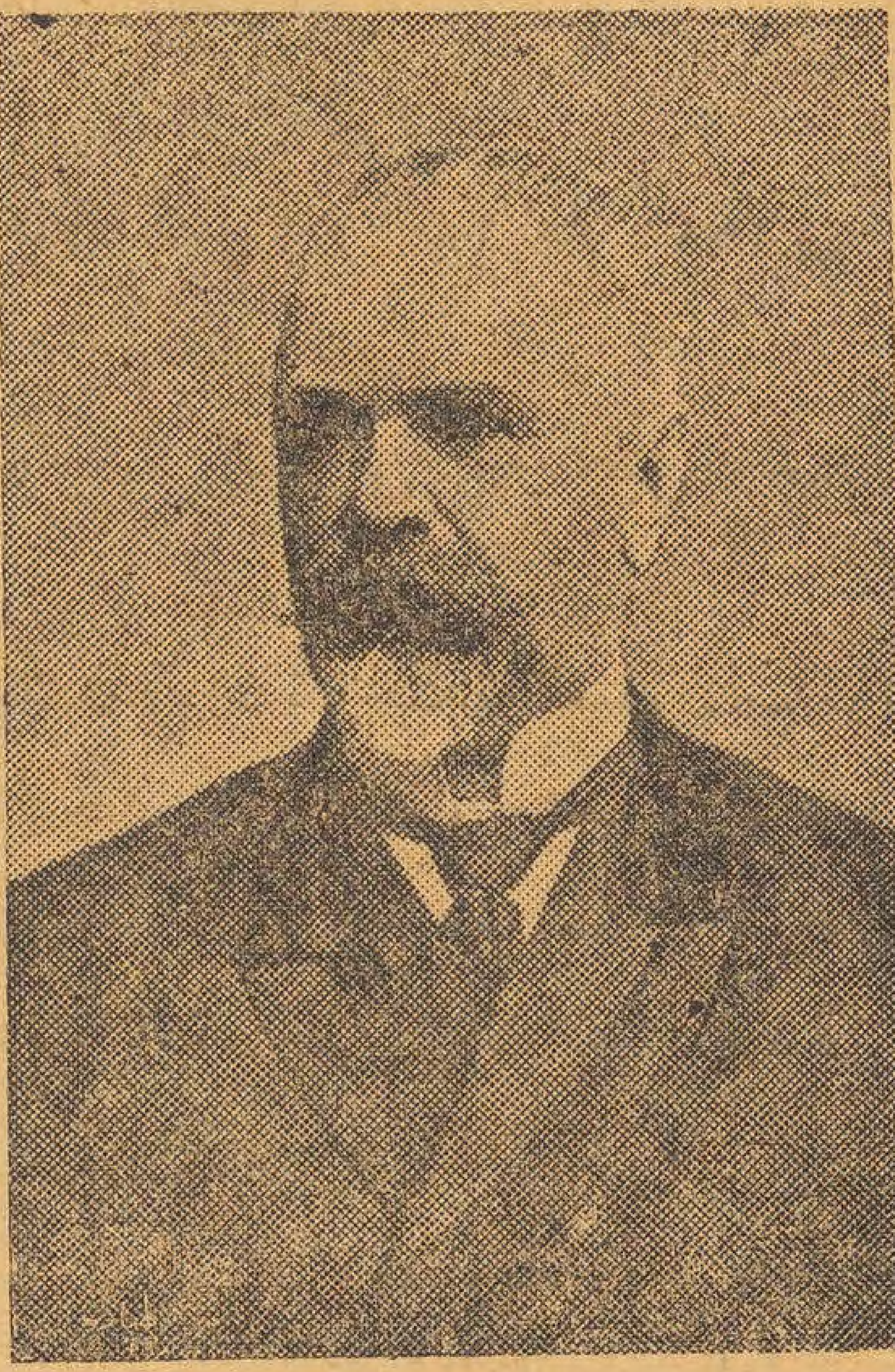
ويوم الاربعاء في ٣ تشرين الثاني مثل السيد بريان امام المجلس النيابي بمنهاج وطني قال فيه: « لن نتحدث عن السلام الا يوم تمسي فيه المانيا عاجزة عن اقلاق طمأنينة الشعوب . وعندذاك يكون السلم الفرنسي ، السلم المجيد الذي يعيد الى العالم اجمع حقه وحريته . فليس

لاعدائنا ان يرقبوا منا الملل ولا الوهن . فاننا نملك قوة النصر وسننتصر ! » .

فاجمع المجلس النيابي على تأييد الحكومة ومنحها ثقته دون ما ابطاء

روسيا بعد الهزيمة

اما روسيا فقد ملكت النشاط بعد انهزام قواتها في النمسا وبروسيا.



السيد ستورمر

رئيس الوزارة الروسية في الحرب العالمية . وقد دعي الى تأليف وزارته بعد استقالة وزارة « غوريميكين »

فنهضت تدرأ الخطر عنها . فتكاتف الشعب فيها على الثبات امام العدو وادراك النصر . فلم يبق ثمة فرد من الافراد الا وقد هب يدفع عن وطنه الكارثة ، فالطبقات باجمعها تضافرت ، من الفلاحين والعملة والاغنياء والنبلاء . وما خرج عن هذه النهضة اعضاء المجلس النيابي والقيصر نقولا الثاني نفسه

وانشئت في المدن الجمعيات لمساعدة الجيش وتوفير الذخائر . فالجيش لم يتقهقر ذلك التقهقر لو ملك ذخائره واعتدته ، الا ان نفادها قضى عليه بالهلاك . وللحؤول دون وقوع الكارثة مرة اخرى انشأ القيصر مجلساً اعلى لصناعة الاعتدة الحربية . واقيل وزير الحرب « سوخوملينوف » المسؤول الاول عما بلي به الجيش الروسي من نكبات، وحل محله القائد « بوليفانوف » ، وما لبث ان ارتقى الى هذا المنصب القائد « شوفاييف » . واستقال من رئاسة الوزارة «غوريميكين» وعهد بتأليف الوزارة الى السيد « ستورمر » ، ولم يلبث « ستورمر » ان ضم الى منصب الرئاسة شؤون الوزارة الخارجية ، وكان قابضاً عليها السيد « سازونوف » فاحيل الى التقاعد لاسباب قيل انها صحية فالتبديل كان شاملا ، ولقد جاء باختيار حسن

جيوش روسية جديدة

وكان قد تراءى لالمانيا بعد دحرها القوات الروسية في بروسيا الشرقية وغاليسيا ان الجيوش الروسية لن تقوم لها قائمة . بيد ان الروس عادوا الى تنظيم قواتهم . وما انقضت سنة واحدة على التراجع الهائل حتى تسنى لدولة القياصرة ان تنظم جيوشاً جديدة ، ضخمة بعددها مجهزة اكمل تجهيز، سواء في مدفعيتها او في ذخائرها ، مما دل على ان روسيا لا تبرح تتمتع بالحياة

جبهة واحدة ومشيئة واحدة

منذ تولى السيد «بريان» شؤون الحكم في فرنسا وهو يصرف مجهوده الى توحيد العمل المشترك . وخاطب في ذلك دول الحلفاء . فطلب اليها جمع قواتها المبعثرة

وفي شهر تشرين الثاني ١٩١٥ عقد في باريس مؤتمر وزاري فرنسي انكليزي ضم من الوزراء الانكليز كلا من السادة: اسكويث ، لويد جورج، بلفور ، ادوار غراي . ومن الفرنسيين : بريان ، القائد غاليباني ، امير البحر لاكاز ، جيل كامبون . وشهد المؤتمر القائد جوفر .

والقصد من عقد المؤتمر تقرير التدابير الواجب على الحلفاء اتخاذها والسعي لتنفيذها

وعلى اثر هذا المؤتمر عُقدت مؤتمرات اخرى . ففي ٤ كانون الاول ١٩١٥ عقد مؤتمر في « كاله » ، وفي ٦ كانون الاول من السنة نفسها عقد مؤتمر آخر في باريس . وهذا المؤتمر هو اول مجلس حربي عام عقده الحلفاء . وقد مثل فيه روسيا القائد جيلانسكي ، ومثل ايطاليا القائد بورو ، ومثل صربيا الكولونل ستيفانوفتش ، ومثل بلجيكا القائد ويلمانس، ومثل انكلترا القائد فرانش ، وتصدر المجلس القائد جوفر ، ودعي في ١١ كانون الاول الى مساعدته في هذه المهمة القائد « كاستلنو » بصفة كونه رئيس اركان الحرب العام للجيش الفرنسي

المؤتمرات في انكلترا

وفي شهر كانون الثاني ١٩١٦ عقدت المؤتمرات في انكلترا .

وهي مؤتمرات عسكرية واقتصادية وسياسية . واتفق الحلفاء اتفاقاً تاماً في الرأي. فخرجوا بما لا يختلف عن نصوص ميثاق لندن وفيه اعلنوا ان ليس لدولة من دول الحلفاء ان تنفصل عن الدول الاخرى مهما طال النضال

واعلن البارون « بايانس » وزير الشؤون الخارجية في بلجيكا قوله : « يجب ان تدعى الحكومة البلجيكية الى مفاوضات الصلح. وعلى دول الحلفاء ان لا ترضى بانهاء الحرب الا وقد ملكت بلجيكا استقلالها السياسي والاقتصادي وجرى عليها ما يجب لها من تعويض »

وفي ١١ و١٢ اذار ١٩١٦ عقد الحلفاء في مقر اركان حرب الجيش الفرنسي العام مؤتمراً آخر . واقبل الى المقر نفسه القائد « كادورنا » قائد الجيش الايطالي العام

مؤتمر باريس

واخيراً عقد في ٢٧ اذار مؤتمر عام في باريس في وزارة الشؤون الخارجية . وهذا المؤتمر نظر في كل ما اتخذت المؤتمرات السابقة من تدابير . وكان يمثل فيه فرنسا السيد بريان ، والقائد روك — وقد خلف في ١٦ اذار في منصب وزارة الحرب القائد غالياني المستقيل لاسباب صحية — والقائد جوفر ، والقائد ده كاستلنو ، والسيد ده مارجيري ، والسيد ألبر توما

ومثل بريطانيا العظمى السادة : اسكويث ، ادوار غراي ، اللورد كيتشنر ، القائد روبرتسون رئيس اركان الحرب العام ، اوبريان ، برسي ، لويد جورج

ومثل روسيا : السيد ايسوولسكي سفيرها في باريس ، والقائد جيلانسكي .

ومثل ايطاليا : السيد سالاندرا رئيس الوزارة ، والسيد سونينو وزير الشؤون الخارجية ، والقائد « دل اوليو » وكيل وزارة الاعتدة ، والقائد كادورنا ، والسيد « ده سان مرتينو » وكيل وزارة الشؤون الخارجية ، والسيد تيتوني

وناب عن بلجيكا البارون ده بروكيفيل وزير الحرب ، والبارون بايانس ، والقائد ويلمانس

وتمثلت صربيا بالسادة : باشيتش رئيس الوزارة ، يوفانوفيتش سفير صربيا في فينا ، و « فيسنيتش »

ومثل اليابان : البارون « ماتسوي » سفيرها في باريس

وكانت البورتغال قد شهرت في ١٠ اذار ١٩١٦ الحرب على المانيا ، فمثلها في هذا المؤتمر السيد « شاغاس »

وبعد مباحثات دامت عشرة ايام اذاع المؤتمر مقرراته . ونص اول قرار اتخذه على البيان التالي :

« اجتمع ممثلو الحلفاء في ٢٧ و٢٨ اذار ١٩١٦ في باريس وايدوا وحدة ارائهم وتعاضدهم

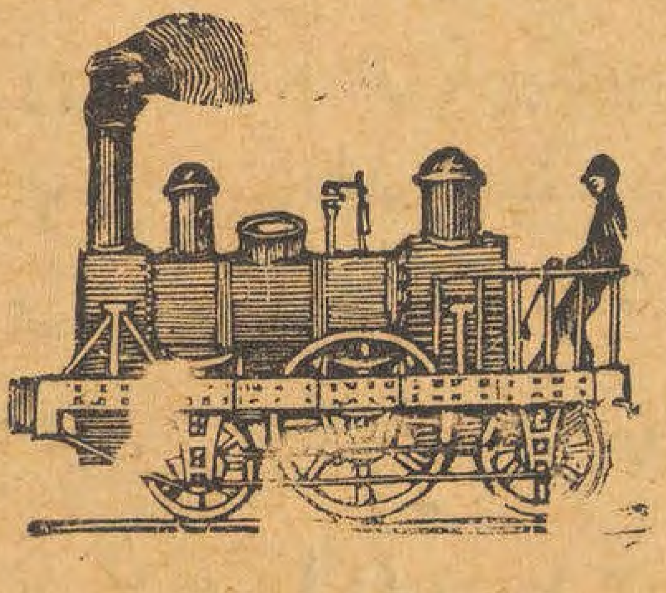
« ووافقوا على كل تدبير من شأنه تحقيق وحدة العمل في الجبهة المتحدة

« وهم يريدون بالوحدة وحدة العمل العسكري المضمون بالتفاهم بين اركان حرب دول الحلفاء باجمعها ، والوحدة الاقتصادية وقد نظم امرها هذا المؤتمر ، ووحدة العمل السياسي التي تضمن المشيئة القاهرة بمتابعة القتال حتى ادراك النصر العام »

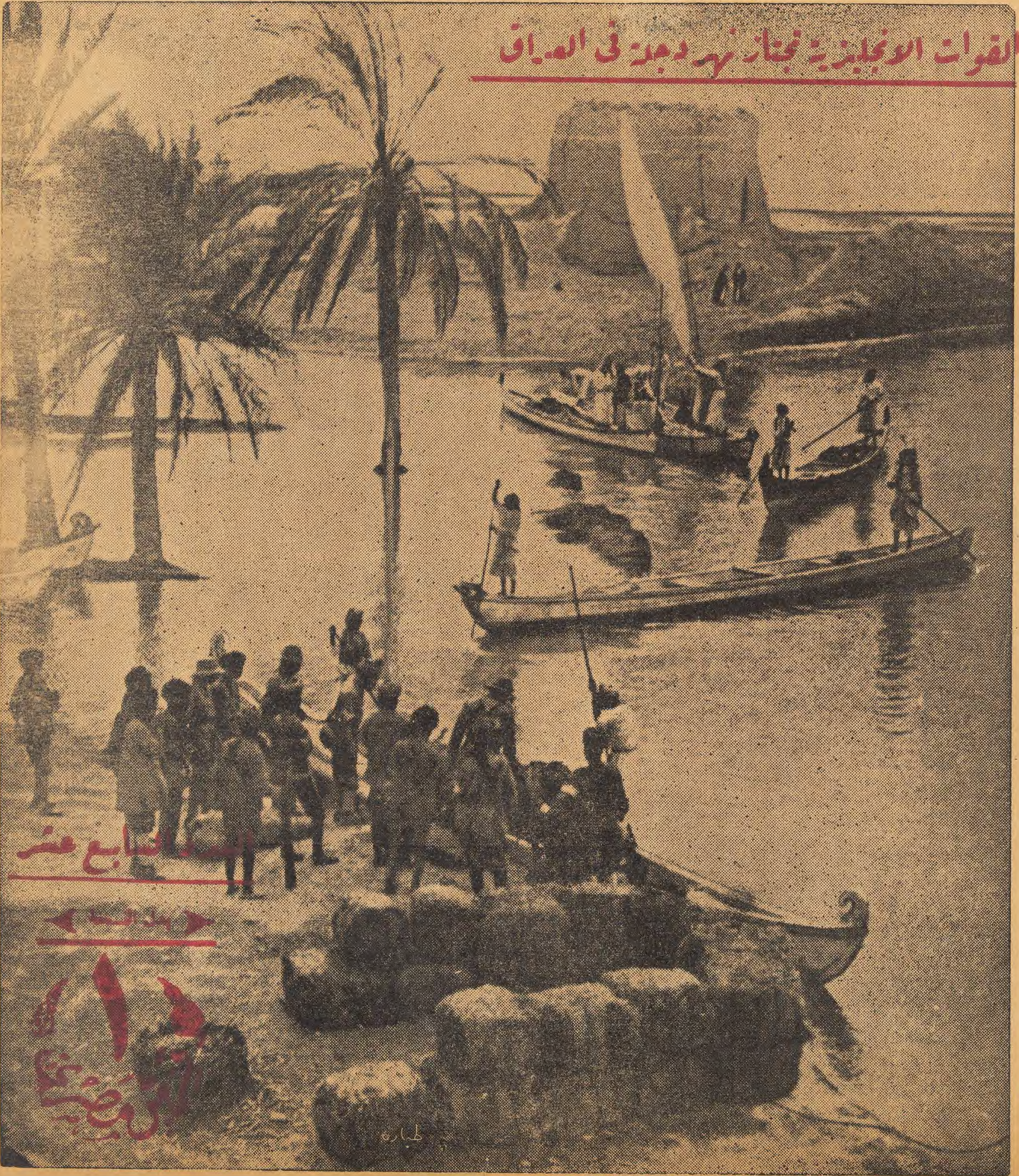
***

هذا اول ما اعلن مؤتمر الحلفاء المعقود في ٢٦ اذار ١٩١٦ في باريس من تدابير . فهو يريد متابعة القتال حتى النهاية بقلب واحد ومشيئة واحدة ، على قاعدة : « الجميع للفرد والفرد للجميع ! ... »

وقد اهاب بالحلفاء الى ضرورة عقد هذه الوحدة ما لاح لهم من تضعضع في الصفوف ، فكل دولة تستأثر بشؤونها وتسيير جيوشها ، ثم ما لمسوا من رغبة المانيا في تفريق بعضهم عن بعض . فاعتزموا ان يكونوا يداً واحدة وكتلة واحدة لبلوغ هدفهم معاً ، دون ان تكون ثمة عقبة تحول دون بلوغهم آخر الطريق . على ان المانيا اجابت هذه المؤتمرات بالاستعداد لمعركة طاحنة تستعيد بها ما فاتها في بدء الحرب من نصر ساحق هدام



الأسرار



القوات الانجليزية تجتاز نهر دجلة في العراق

السابع عشر

١٠

الاسرار

مجلة اسبوعية تاريخية تبحث في التاريخ وما اهمله التاريخ

اصحابها : انطون صادر ، كرم ملحم كرم ، فؤاد ميداني

رئيس الانشاء المسؤول: كرم ملحم كرم — منشىء القسم الشرقي: فؤاد ميداني

المكاتبات باسم مدير المجلة : انطون صادر

الادارة مكتبة صادر * شارع اللنبي * بيروت

العدد ١٧ بيروت في ٢٦ تموز سنة ١٩٣٨

اسرار الجاسوسية في القضية العربية

بقلم فؤاد ميداني

لماذا نقم احمد جمال باشا على الفلسطينيين ؟...

جمال يقيل والي بيروت بكر سامي بك

عزمي يطل على بيروت ويتولى شؤون الولاية

كانت ولاية بيروت منقسمة في العهد العثماني الى خمسة الوية هي: لواء بيروت ومساحته ٤٥٣٠ كيلومتراً مربعاً ، ولواء عكا ومساحته ٧٥٢٧ كيلومتراً مربعاً ، ولواء طرابلس ومساحته ٥٩٦٩ كيلومتراً مربعاً ، ولواء اللاذقية ومساحته ٥٨١٠ كيلومترات ، ولواء نابلس ومساحته ٦٦٦٤ كيلو متراً

والاحصاء الذي وضعته في اول عام ١٩١٥ الحكومة العثمانية دل على ان عدد سكان ولاية بيروت ٩٧٠٥٠٠ نفس مقسمين كما يلي: ٢٨٦٦٣٩ في لواء بيروت منهم ١٥٠ الفاً من سكان بيروت، و٥٤٢٨٤ في قضاء صيدا، و٤٢٢٤٠ في قضاء صور، و ٣١١١٥ في قضاء مرجعيون، و١٣٨٨٧٣ في لواء عكا منهم ٤١٢٩٠ من سكان عكا نفسها ، و٣٠٧٣٧ في قضاء حيفا ، و ٢٠٧٩٢ في قضاء الناصرة ، و ١٣٧١٧ في قضاء طبريا ، و ٣٢٢٣٧ في قضاء صفد

وعدد سكان لواء نابلس يبلغون ١٣٧٥١٨ ، منهم ٥٦٥٧٥ في قضاء نابلس ، و ٤١٩١٥ في قضاء جنين ، و ٣٩٠٢٨ في قضاء بني صعب

وعدد سكان لواء طرابلس ٢٤٢٥٠٠ نفس ، ولواء اللاذقية ١٦٤٩٧٠ نفساً

وهذا العدد كان نسبياً ، الا ان من الراهن ان عدد سكان هذه الولاية كان يزيد على مليون ومئة الف نفس

فلسطين في ذلك العهد

ولما عاد احمد جمال باشا في شهر شباط ١٩١٥ الى القدس من معركة قناة السويس الاولى شاء ان يحدث تعديلا مهما في ادارة البلاد ، فوضع في خلال شهري شباط واذار احصاء يشير الى حالة فلسطين رأينا ان ننقل خلاصته الى قراء « الاسرار » عامة والى ابناء فلسطين خاصة وفيه من الايضاح ما يساعدهم على معرفة حالة بلادهم في ذلك الوقت ومقارنتها بالحالة الحاضرة

مدينة نابلس

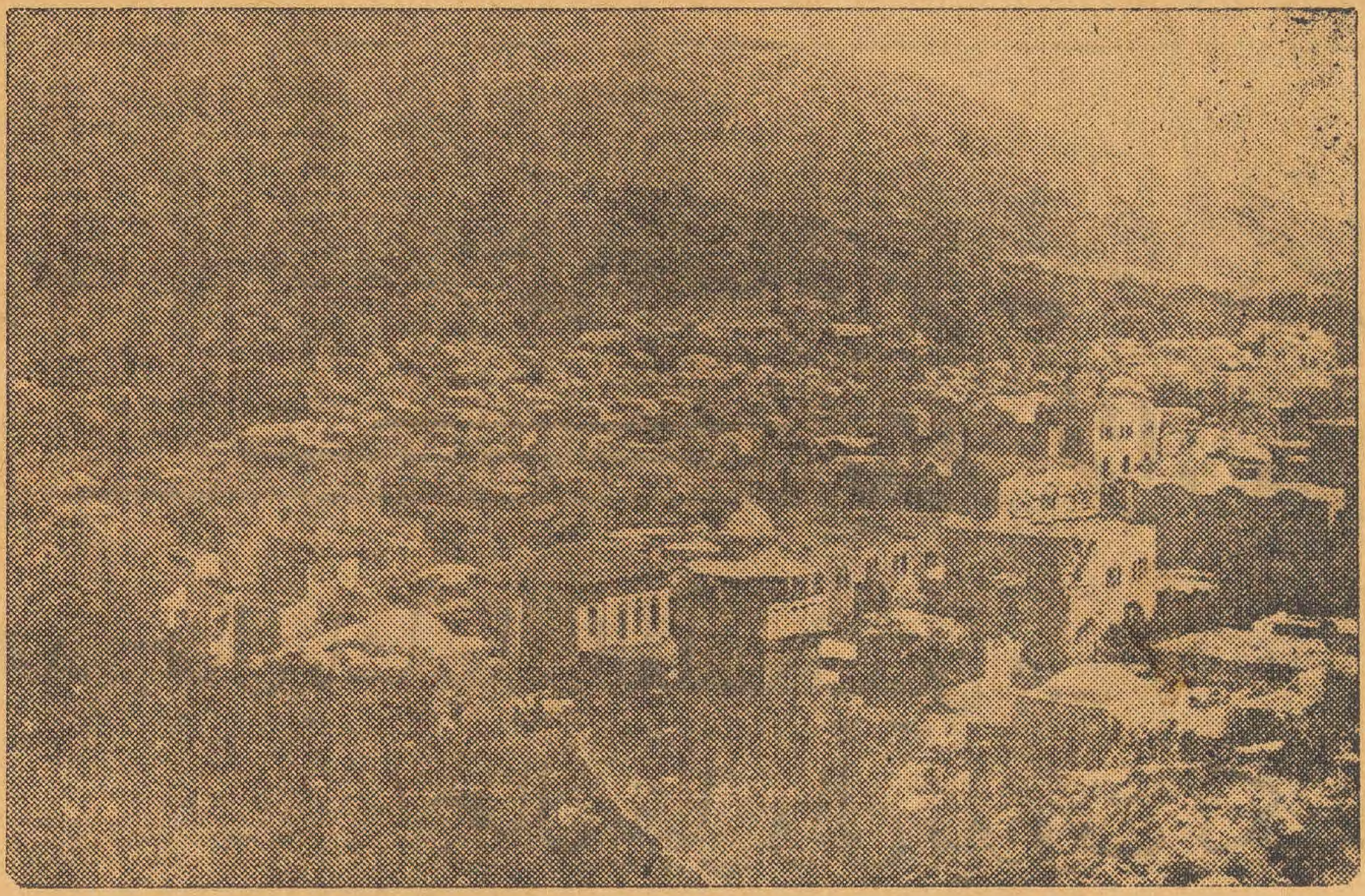
يبلغ مجموع سكان نابلس ٢١٠٧٢ نفساً ، منهم لدي المسلمين : ١٠١٤١ من الذكور ، و ١٠٠٢٧ من الاناث . ولدى الروم الارثوذكس ٢١٨ من الذكور و ٢٠٩ من الاناث . ولدى اللاتين ٥٨ من الذكور و ٥٠ من الاناث. ولدى البروتستانت ٩٣ من الذكور و ٨٧ من الاناث . ولدى السامريين ٩٤ من الذكور و ٦٦ من

الاناث ،ولدى اليهود ١٣ ذكراً و ١٦ انثى

وبلغت موازنة البلدية في نابلس ١٢٠ ٢٨٧ قرشاً ، او ما يقارب ٢٨٧١ ليرة عثمانية ذهباً في السنة

قضاء جنين

سكان هذا القضاء ٤١٩١٥ نفساً ، منهم ٣٩٤٧٣ من المسلمين



منظر عام لمدينة نابلس

اخذ هذا المنظر عام ١٩١٥ لمدينة نابلس ، وهو من الرسوم التاريخية الفريدة

اما نواحي نابلس فكانت مقسمة على الترتيب التالي :

ناحية جماعين ، وفيها ٤٥ قرية وتعد ١٠٧٦٢ ذكراً و١٨٤٧١ انثى

وناحية مشاريق حناوي وهي ٢٩ قرية ، وفيها ٨١٨٩ ذكراً و ٧٨٧٥ انثى

وناحية وادي الشعير وهي ١٥ قرية فيها ٤٥٦٤ ذكراً و ٤٢٨٠ انثى

وناحية (مشاريق جزر) وهي مؤلفة من ٧ قرى وفيها ٤١٧٨ و ٤٢٥٥ انثى

قضاء بني صعب

سكان بني صعب ٦٥٠٣ من الذكور و ٦٦٨٣ من الاناث . وليس في هذا القضاء من غير المسلمين الا ٤٠ من السامريين

ودخل بلديات القضاء يتفاوت بين الف والف ومئتي ليرة عثمانية ذهباً

و٧٧٢ من الروم الارثوذكس ، و٢٢٤ من اللاتين و٤٦ من البروتستانت

اما قاعدة القضاء ، اي جنين ، فان نفوسها ١٣٧٠ من الاسلام و٣٠ من الروم الكاثوليك

وجنين وهي مركز القضاء حوت من النفوس اقل من القرى التابعة لها . ففي كل من ام الفحم ويعبد ٣٠٠٠ نفس وفي كل من عرابه وجبع ٢٥٠٠ نفس

ودخل بلدية جنين يبلغ ٢٦٤٥٨ غرشاً اي ٢٦٤ ليرة ذهبية ونصف ليرة في العام

قضاء حيفاء

قضاء حيفا كان يعد سنة ١٩١٠ من السكان ٢٣٤٦٠ نفساً ، الا انه في بدء سنة ١٩١٥ بلغ ٣٠٧٣٧ نفساً مقسمين كما يلي : ٢٣٨٢٣ من المسلمين ، و١١١٧ من اليهود ، و٣١٢٤ من الروم الكاثوليك و٨٦٨ من الروم الارثوكس ، و٩٢٤ من اللاتين ، و١٩٦ من الموارنة



محطة سكة حديد الحجاز في حيفا

منظر نادر لمدينة حيفا ترى فيه محطة السكة الحديدية الحجازية وقد ظهرت حولها اوض شاسعة انقلبت اليوم الى بنايات وشوارع وطرق . وقد اخذ هذا الرسم في اخر عام ١٩١٤

و٥٤ من البروتستانت ، و١٣٠٦ من البهائيين ، اما المدينة نفسها فكان عدد سكانها سنة ١٩١٠ ستة الاف وتسعمئة وخمسة واربعين نفسا . وزاد هذا العدد الى ١٠٤٤٧ في اول سنة ١٩١٥

وسنة ١٩٠٠ كان دخل جمارك حيفا ٣٠٥٨٣٠ غرشاً ، وزاد سنة ١٩٠٥ الى ٥٤٧ الف غرش ، وفي سنة ١٩١٢ زاد الى ٤،٣٠٠،٠٠٠ غرش ، وسنة ١٩١٤ بلغ خمسة ملايين قرش ، اي ٥٠ الف ليرة ذهبية في العام .

وسنة ١٩١٥ بلغت موازنة بلدية حيفا ٣٠٠ الف قرش اي ثلاثة آلاف ليرة في السنة

قضاء عكا

وسنة ١٩١٠ عدت عكا من النفوس ٣٦٧٢٠ ، وزاد هذا العدد في بدء عام ١٩١٥ الى ٤١٣٢٢ ، منهم ٣٢٢٤١ من الاسلام ، واربعة الاف من الروم الارثوذكس ، و ٤٣٦٧ من الروم الكاثوليك ، و ٣٣٤ من البروتستانت ، و٢٧١ من اللاتين ، و ١٠٥ من اليهود واربعة من الارمن

ويلحق بعكا ٦٠ قرية منها البصة وعدد سكانها ١٧٢٠ ، ومجدل الكروم وسكانها ١٠٤٤ ، ومغار وتعد ١٥١٦ نفساً ، وسخنين وفيها ١٥٨٢ نفساً ، وضمره ١١٠٠ نفس ، وسقبا ١٢٤٠ ، واكثر سكان هذه القرى من الدروز

اما عدد سكان عكا نفسها فهو ٩٤٧١ نفساً ، منهم ٧١٢١ من الاسلام ، و١٤١٨ من الروم الارثوذكس ، و٥٩٥ من الروم الكاثوليك و١٣٣ من اللاتين ، و٦٨ من الموارنة ، و١٠٥ من اليهود

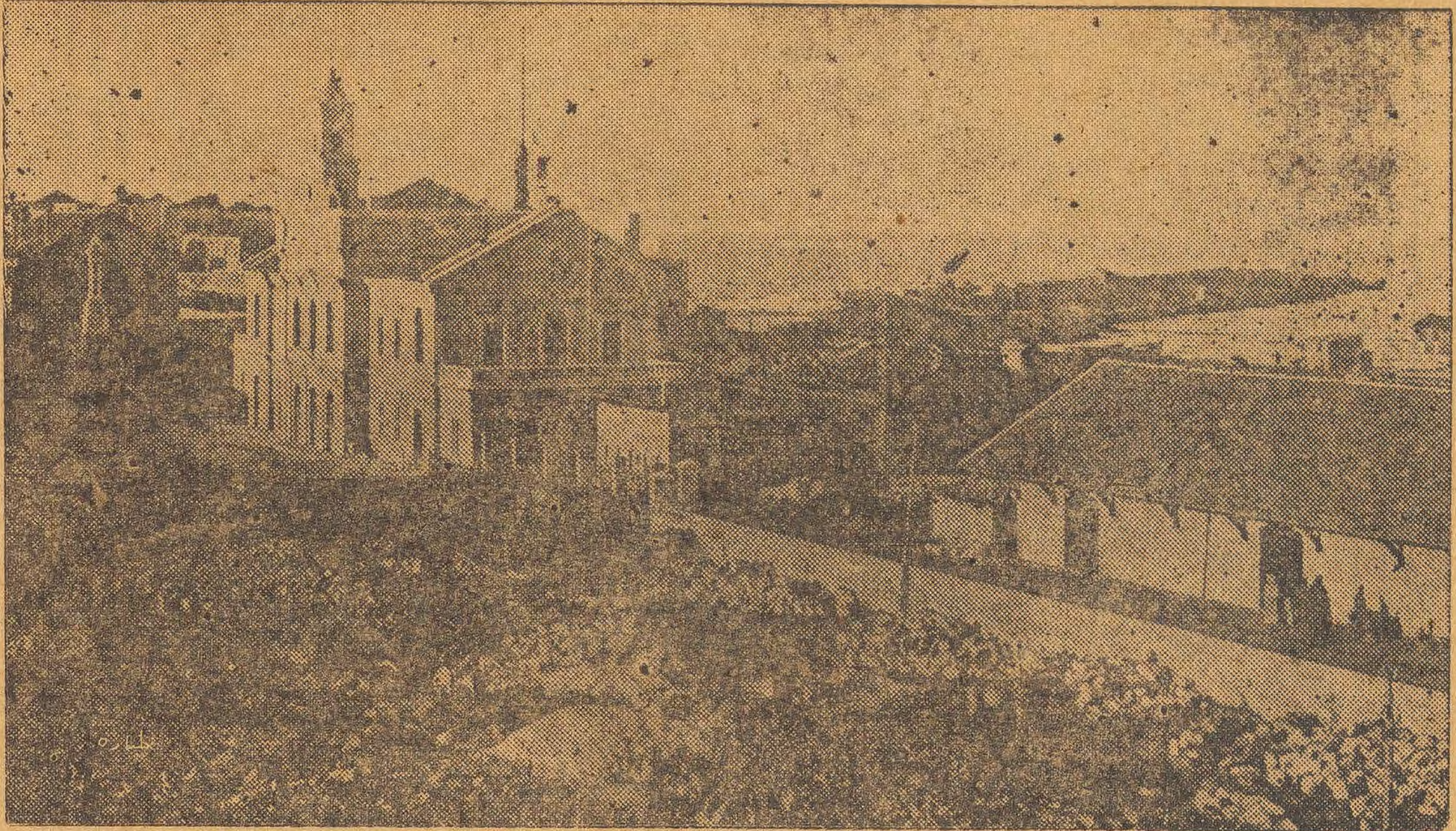
• • •

هذا ايضاح مختصر عن ولاية بيروت اوردناه ليطلع عليه قراء «الاسرار» مستنداً الى بعض رسوم تلك البلاد كما كانت في ذلك الحين ، ويتمكن متتبعو التاريخ من معرفة الفرق العظيم بين الامس واليوم

واحمد جمال باشا رغب بالاعتماد على هذا الاحصاء في اجراء تبديلات في فلسطين كما سيطالع قراء «الاسرار» ذلك في فصول اخرى . فكان يرمي الى احداث انقلاب في السياسة ، وبدأ هذا الانقلاب في القرى بتغيير بعض الحكام

استبدال متصرف القدس

فمتصرف القدس كان يومذاك ممن لا يؤيدون سياسة احمد جمال . فهو من المعارضين في استعمال الشدة في فلسطين . على حين ان جمال باشا بعد فشله في اختراق قناة السويس عمد الى التضييق على ابناء فلسطين . فقد رأى ان السياسة التي اتبعها بعض زعماء فلسطين ازاء القضية العربية شديدة الخطر عليه وهو الراغب في اتخاذ فلسطين قاعدة حربية



مدينة عكا في خلال الحرب العالمية

لم يطرأ تغيير يذكر على حالة عكا . وهذا منظرها في خلال الحوادث التي ننقلها لقراء « الاسرار »

لماذا نقم على الفلسطينيين ؟

حتى ان نقمة جمال باشا على الفلسطينيين ترجع الى ما قبل تعيينه قائداً للفيلق الرابع في سوريا . فالالمان شاؤوا ان يعتمدوا على البلاد الفلسطينية في جرّ تركيا الى دخول الحرب العالمية بجانبهم

وكلنا يعلم ان الالمان بدفعهم في اول الحرب المدرعتين « غوبن » و « برسلو » الى المضايق ، وبانطلاق امير البحر « سوشون » الالماني بالاسطول العثماني الى البحر الاسود ، شاؤوا ان يستدرجوا الدولة العثمانية الى القتال منتصرة لهم

ولكن مواطننا امير الالاي المتقاعد رشيد بك مرعي روى لنا حادثاً لا يزال سراً من الاسرار يدلنا على ان هذه المحاولة سبقتها محاولة اخرى قال :

كيف حاولوا جر تركيا الى الحرب ؟

— لما اعلن في شهر اب سنة ١٩١٤ النفير العام في تركيا فكر الالمان في وسيلة يزجون بها تركيا في الحرب العالمية . فيخطر لهم التحرش بالقوات الانكليزية باي صورة كانت . ولم يخطر لهم يومذاك في بال ان بامكانهم دفع المدرعتين « غوبن » و « برسلو » الى الدردنيل فاعتمدوا على مهاجمة مصر من قناة السويس . واوفدوا لهذا القصد امير البحر « سوشون » والكولونل « فون كريس » احد ضباط البعثة العسكرية الالمانية في استانبول

« وفي اول شهر ايلول سنة ١٩١٤ اندفع هذان القائدان الالمانيان الى القناة ودرسا الموقف العسكري . وتراءى لامير البحر « سوشون » سهولة تحقيق المشروع ، فان بامكان القوات العثمانية اجتياز القناة دون مقاومة . واقنع فون كريس باشا ان السفن الحربية لا تستطيع الدفاع عن سواحل مصر من بحيرة التمساح والبحيرة المالحة (راجع العدد الرابع من الاسرار) . وفي هذه الرحلة وضع امير البحر « سوشون » الخطة لمهاجمة قناة السويس . وفي ١٨ ايلول سنة ١٩١٤ رفع تقريراً ضافياً الى الامبراطور غليوم والى رئاسة اركان الحرب في المانيا يعلمنها به امكان الاستيلاء على مصر بقوة قليلة العدد

« ويظهر ان القيادة الالمانية العليا وافقت على هذا الاقتراح . وارسلت تعلن ربيبها انور باشا ضرورة اعداد الحملة على مصر ، حتى اذا اعلنت الحرب كانت القوات العثمانية اول من يدخل وادي النيل . وفي

لوقت نفسه اوعزت الى امير البحر « سوشون » كي يستعد لحمل القوات العثمانية على التحرش بمصر لاكراه الدولة العثمانية على دخول الحرب



قائد الآلاى فى الجبهة الحربية

رشيد بك مرعي صاحب الحديث عن محاولة الالمان اجبار تركيا على دخول الحرب بجانب المانيا بدعوتها الى مهاجمة مصر

العالمية بجانب المانيا

معارضة القائد العربي

« واحسان بك قائد مفرزة الحدود ، وهو من القادة العرب ، رفض النزول على مشيئة امير البحر « سوشون » والتحرش بالقوات الانكليزية على حدود مصر عابثاً بكل وعد ووعيد بذلها القائد الالماني

«ولم تقف مساعي احسان بك عند حد المعارضة فحسب بل ابرق بذلك الى متصرف القدس وقائد الفرقة فيها ، وكان ان عرف الكشيرون خبر هذه المحاولة فدعي امير البحر « سوشون » الى تقرير خطة اخرى فاختار مهاجمة البحر الاسود »

نقمة جمال

هذا هو الحديث الذي افضى به الينا امير الالاي رشيد بك مرعي . فالالمان حاولوا منذ بدء الحرب مفاجأة مصر ، وانباء هذه المفاجأة وقعت في آذان الانكليز فاستعدوا لدفعها . ولما فاجأهم جمال باشا كانوا على استعداد لمقاتلة قواته مما انتهى بجمال باشا الى الاخفاق. وتراءى للقائد العثماني ان التبعة في ذلك على الفلسطينيين . فهم في اعتقاده الذين اطلعوا الانكليز على ما استقر في ادمغة الالمان ، اي مهاجمة مصر من قناة السويس . فنقم عليهم نقمة هائلة

والحق يقال ان العرب الفلسطينيين ليسوا جواسيس ولن يكونوا جواسيس . فان انباء مهاجمة قناة السويس تسربت الى الانكليز من جواسيسهم الصهيونيين في فلسطين وكان احمد جمال باشا يعطف عليهم ويظهر نحوهم كل حفاوة واكرام

التبديلات الادارية

ولهذا رغب احمد جمال باشا في استبدال الحكام الاداريين في منطقته ، توهماً منه ان هؤلاء الحكام يؤيدون ابناء البلاد ويعارضون سياسته . وتم له ذلك فاستبدل من متصرف القدس ووالي بيروت وسواهما من الحكام الاداريين افراداً خدموه في الاناضول وكانوا من العاملين على تنفيذ ارادته في مختلف الاوقات التي تولى فيها الادارة .

الغازى محمد رشاد

وشاء العثمانيون ان يغتنموا فرصة فوز وهمي في معركة جناق قلعة فاجمعوا على منح السلطان رشاد لقب « غازي » ، واستفاد جمال من السانحة فاقام حفلة في القدس اذاع على اثرها بلاغاً رسمياً هذا نصه الحرفي :

« من متصرفية القدس المستقلة

« نهار الجمعة في الرابع من شهر حزيران سنة ١٩١٥ احتشد المصلون كالمعتاد في داخل المسجد الاقصى الشريف ، وكان اول الحضور صاحب الدولة احمد جمال باشا قائد الفيلق الرابع وناظر البحرية السامي وسائر اركان حربه وامرائه ، ثم حضر جمال باشا قائد الفيلق الثامن واركان حربه ، ثم عطوفة مدحت بك متصرف

اللواء واركان مأموري الملكية وعلماء واشراف البلدة

« ولما جاء دور الخطبة الشريفة صعد على المنبر العلامة المجاهد سماحة الشيخ اسعد شقير وخطب في الناس وحضهم على الجهاد المفروض واعلن عنوان الغازي السامي الممنوح عن استحقاق لجلالة خليفة العالم حضرة سلطاننا المعظم . وتلا الحديث الشريف وبعض الايات القرآنية وفسرها تفسيراً واضحاً مختصراً وقال ان الجهاد فرض وكل من جاهد فهو غازٍ ، ومن كان غازياً فقد فاز في الدارين فوزاً عظيماً. ثم اعقب ذلك بالدعوات الخيرية بانتصار وفوز جميع عساكرنا المظفرة وجيوش حلفائنا في كل مكان، فامن الحاضرون على كلامه

« ونهار السبت في ٥ الجاري قرىء في ردهة دار الحكومة الفرمان السلطاني المؤذن بتعيين عطوفة مدحت بك متصرف اللواء العالي ومفتش الملكية السابق في ولاية قونيه باحتفال عظيم حضره حضرة جمال باشا قائد الفيلق الثامن وعلماء واشراف البلدة وبلوك من العساكر النظامية والموسيقى الشاهانية .

«وختم الاحتفال بالدعوات الجزيلة بصحة وسلامة الذات الملوكية وتأييد ونصر الجيوش العثمانية وجنود حلفائنا »

وبعد ما تسلم مدحت بك في الخامس من حزيران مهام المتصرفية هب احمد جمال باشا الى محاربة بكر سامي بك والي ولاية بيروت، ذلك ان هذا الوالي ابى ان يجاري سياسة الشدة والبطش التي رغب جمال في اعتمادها

نقل بكر سامي بك

ووفق جمال في مشروعه هذا ، خصوصاً ورفاقه في استانبول ما كانوا يعارضونـه في سياسته . وفي ١٩ حزيران صدر بلاغ شبه رسمي يقول :

« وردت امس برقية من نظارة الداخلية تنبىء بنقل بكر سامي بك والي ولاية بيروت الجليلة الى ولاية حلب وتعيين عزمي بك والي قونيه مكانه »

ونشرت الصحف هذا البلاغ في زاوية صغيرة من زواياها دون ان تعلق عليه حرفاً واحداً نزولا على اوامر جمال باشا نفسه ، الا ان بكر سامي بك رفض مقام الولاية في حلب وغادر البلاد الى استانبول .

عزمي بك

وفي ٧ تموز سنة ١٩١٥ جاء الى بيروت عزمي بك . ونُشر على اثر وصوله خبر شبه رسمي جاء فيه :



عزمي بك والي بيروت

رسم تاريخي نادر لعزمي بك والي بيروت اخذ له في اليوم الذي تسلم فيه مقدرات ولاية بيروت وذلك في ٧ تموز سنة ١٩١٥

« وافى بيروت في الساعة الواحدة بعد ظهر يوم الاربعاء الواقع في ٧ تموز سنة ١٩١٥ صاحب العطوفة عزمي بك والي بيروت الجديد، فاستقبل بما يليق بحضرته من التجلة والاكرام ورفعت الاعلام العثمانية المظفرة على ابواب المخازن والدكاكين والبيوت وعزفت موسيقات الجيش والمدارس ترحيباً بحضرته

«وذهب تواً من المرفأ الى دار الحكومة وطفق يقابل الزائرين والمهنئين.

« وفي الوقت نفسه تسلم زمام منصبه الكبير واخذ يدير اعمال الولاية بهمته المعهودة التي لا تعرف الكلال ولا الملال »

وفي هذا اليوم تسلم عزمي بك شؤون ولاية بيروت . وكانت مهمته خطيرة مثل فيها ادواراً عظيمة الشأن سيقف عليها قراء «الاسرار» في عدد مقبل

كيف احتل الجيش الانكليزي العراق

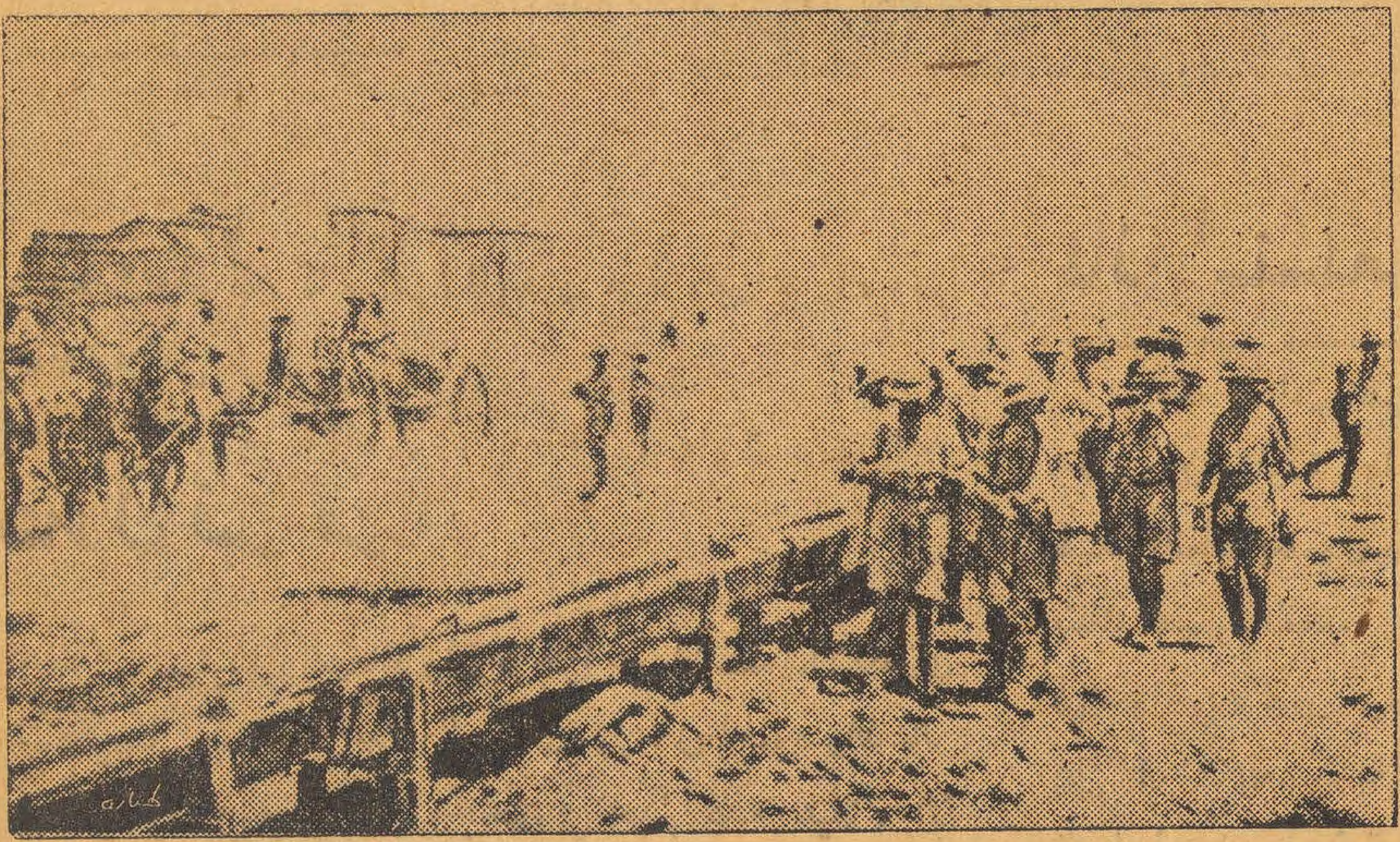
القائد طاوسهند يحتل مدينة العمارة باربعين جندياً

حليم بك القائد العثماني يستسلم مع ضباطه و جنوده

البدو بجانب القوة و المال

لم يكن نهر دجلة في ذلك الحين منظم الضفاف مثله اليوم، فالعثمانيون ابقوه في حالته الطبيعية، ولذا سارت في عبابه بصعوبة المراكب الحربية التي استخدمها الانكليز في هذه الحملة، فبينما تمخر في منطقة شديدة العمق اذا بها تنتقل فجأة الى منطقة قليلة الغور تضطرها الى الجنوح وتدعوها الى الاهتمام باستعادة توازنها ومتابعة سيرها

وتوالت المطاردة في نهر الدجلة بين المركبين الحربيين العثمانيين «الموصل» و«مرمريس» والمراكب الحربية الانكليزية «الشيطان» و«اسبيكل» ــ وقد استقر عليها الجنرال «طاوسهند» قائد الحملة ــ و«كلايو» و«اودون» و«لويس بل» و«سماته». وكانت الباخرتان العثمانيتان في مؤخرة المراكب التي تقل الجنود الفارين من عران الى العمارة. ولقد اقامت في المؤخرة لحماية هؤلاء الجنود من عدوان الانكليز



استعداد الانكليز في صحراء العراق

يبدو في هذا الرسم استعداد الانكليز في الصحراء لتأمين حاجات الجيش من ذخيرة وماء في منطقة عران

معركة في النهر

وعلى بعد ١٢ ميلا من عران بات الاسطول النهري الانكليزي على تسعة الاف يرد من الاسطول العثماني. فامره بالوقوف، الا ان الباخرة «مرمريس» قابلت هذا الانذار باطلاق القذائف من مدافعها الصغيرة على الاسطول الانكليزي، فقابلتها السفينة «اسبيكل» بالمثل، إلا انها لم تقو على المقاومة، فما لبثت ان جنحت الى الساحل وتولت هذا العمل مكانها السفينة «كلايو»، ثم اسعفتها السفينة «اودون»، واشترك المركب «الموصل» في المعركة بجانب مرمريس.

وهذه المعركة كانت خفيفة نظراً للموقف ولضعف المدفعية العثمانية. واصيبت السفينة العثمانية «الموصل» بثلاث قذائف، وهي وان احدثت فيها بعض الاضرار وقتلت خمسة من بحارتها لم تمنعها من



العربان في البادية

يصدون الانكليز والعثمانيين

يرينا هذا الرسم بعض زعماء العشائر وهم يقدمون خضوعهم للقائد العثماني قبل المعركة، الا انهم ما لبثوا ان انضموا الى الحلفاء حين مال النصر الى جانب الانكليز

السير ومتابعة حركاتها الحربية

وظلت هذه المعركة مستمرة الى قرب مرفأ « قبر عزرا » وهو يبعد ٢٠ ميلا عن عران

احتلال قبر عزرا

وحاولت السفينتان العثمانيتان ان تؤخرا سير الاسطول الانكليزي ريثما تتمكن المراكب الشراعية والعوامات من نقل الجنود والذخائر الحربية الموجودة في قبر عزرا. ونجحت في خطتها هذه قليلا، الا ان الاسطول الانكليزي كان في تلك الاثناء قد اقترب من القطعتين العثمانيتين وبات على بعد ٦٥٠٠ يرد منهما، فادرك القائد العثماني ان الثبات اكثر من ذلك يستحيل عليه وسيكون فيه حتما عرضة لنيران الاسطول الانكليزي وللغرق، وبذلك يعرض الجيش لضربات الاعداء، ولهذا قرر متابعة سيره الى الامام وتحولت السفن الانكليزية الى مرفأ قبر عزرا، فضربت الثكنة والمرفأ بخمس قذائف رأت على اثرها العلم الابيض يلوح لها في الهواء فكفت عن الضرب. واقتربت السفينتان « الشيطان » و « اودون » من المرفأ واذا فيه ثلاث عوامات مملؤة بالذخيرة والاعتدة الحربية، فاستولتا عليها، ثم اقتربت السفينتان « لويس بلي » و « سماته » من الساحل وانزلتا فيه جنوداً دون اقل مقاومة، ذلك ان اليوزباشي احسان شوقي بك اعلن قائد الحملة الانكليزية ان القوات النظامية قد انسحبت ولم يبق في الثغر سوى قواته المؤلفة من ٢٧٥ دركياً بينهم ١٢ ضابطاً وصف ضابط فاستسلموا اسرى الى الانكليز

لماذا استسلموا ؟

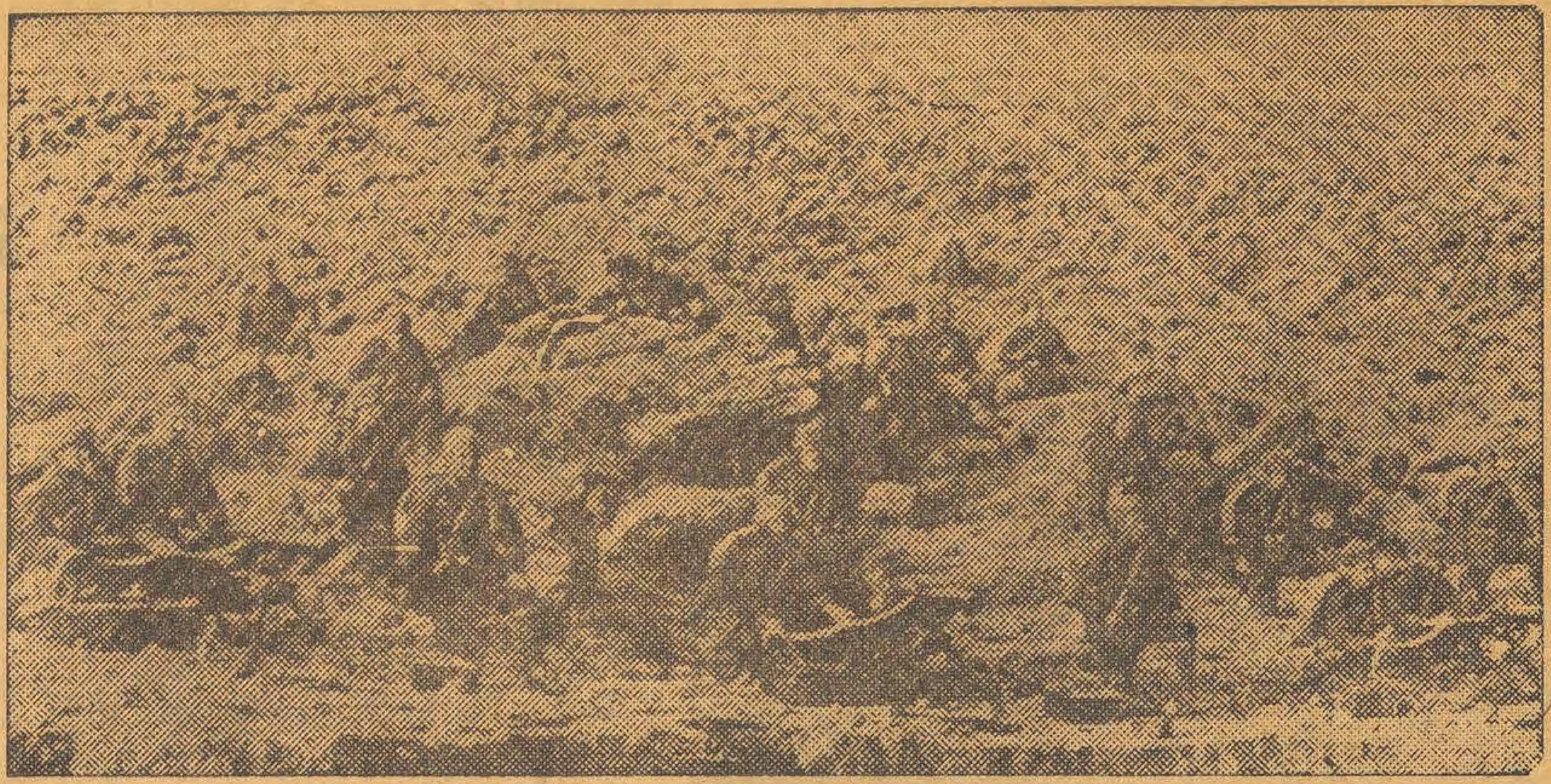
وقد يتساءل القراء عما يدعو الى استسلام مثل هذا العدد من الجند دون مقاومة. والجواب بسيط جداً. ما كاد البدو المجاورون لهذه المنطقة يعلمون بتراجع القوات العثمانية من جهات « عران » بتلك الصورة الفظيعة حتى اخذوا بمهاجمة مؤخرة القوات العثمانية في ضواحي « قبر عزرا ». وخشيت القيادة العثمانية ان يقضوا على القوات العسكرية قبل ان تتراجع من هذه المنطقة فاستخدمت الدرك لصدهم وهي ترقب ان تسحب هذه القوات بعد سحب القوات النظامية، الا ان الفرصة لم تسنح كما سبق وتقدم بيانه، فرأى القائد ان تراجعه معناه القاء قواته بين ايدي العربان الموالين للانكليز وبدا له ان خير ما يفعل ان يستسلم الى الانكليز انفسهم

وفي عمله هذا احسن صنعاً، فانقذ ارواح رجاله وقد اوشكوا ان يصيروا الى الهلاك

بعد احتلال الموقع

وتم احتلال هذا الموقع عند منتصف ليل ١ — ٢ حزيران ١٩١٥، وعلى الاثر عقد الجنرال طاوسهند مجلساً عسكرياً بحث فيه الموقف، فاتخذ قراراً هذه خلاصته :

اولا — تنزل القوات العسكرية التي جيء بها على المركبين « لويس بلي » و « سماته » في « قبر عزرا »



قوات العثمانيين في الجبهة

آخر شرذمة من القوات العثمانية وهي تحاول الدفاع عن الجبهة العراقية

ثانياً — يتولى امير الالاي «غامبل» نائب قائد الفرقة، ادارة الحركات الحربية وجمع القوات الزاحفة من البر وتسييرها الى جهات العمارة .

ثالثاً — تواصل بقية السفن السير الى الامام ومعها الجنرال طاوسهند قائد الفرقة فتقله السفينة « اسبيكل »

وبعد هذا القرار نزل الجنرال طاوسهند الى القرية، وعلى الانوار التي سلطتها السفن الى الساحل تفقد الموقف ، وفي الساعة الثانية من قبل شروق شمس ٢ حزيران عاد الى سفينته وابحر بها مع السفن «الشيطان» ، « كلايو » ، « اودون » متابعاً رحلته في نهر دجلة الى العمارة لمطاردة السفينتين العثمانيتين

العثمانيون بين نارين

وتطور موقف العثمانيين تطوراً خطيراً بعد مطاردة «قبرعزرا» ، فاتصل نبأ انهزامهم بالبدو المنتشرين في تلك الجهات فتراءى لهم ان الفرصة سانحة لاكتساب المغانم

وازداد الخطر كلما تقدمت القوات في النهر ، اذ كان عرضه يضيق جداً. واختفى البدو وراء القصب الذي يفصل النهر عن الساحل وقاموا يمطرون العثمانيين بوابل من الرصاص . وتعاظم نشاط البدو في مهاجمة القوات العثمانية لما انتصف الليل ، فكنت لا تسمع الا انين الجرحى وعويلهم وصراع الجنود في قلب الماء . ولم يرحم الانكليز هؤلاء البائسين وهم يكافحون بكل قواهم في سبيل النجاة

وقد بلغت خسارة العثمانيين ٢٥٠ جندياً بين قتيل وجريح

مطاردة خطرة

وهذه الحوادث التي قام بها البدو أخرت في سير القافلة العثمانية الى العمارة . وفي الساعة الثالثة والنصف صباحاً كانت وحدات السفن الانكليزية قد اقتربت من السفينتين العثمانيتين اللتين كانتا في موقف خطر وهما تدافعان من جهة عن مؤخرة الجيش من هجمات البدو ، وباتتا من جهة اخرى عرضة لقذائف السفن الانكليزية

وحاولتا مقاومة الاسطول الانكليزي ولكن دون ما جدوى ، فالسفن الانكليزية كانت اشد متانة ومرماها ابعد مدى

اغراق مرمريس

وكانت السفينة العثمانية « مرمريس » قد وصلت الى مكان ضيق في النهر . ورأى ربانها ان يضحي بهذه السفينة لانقاذ القوات العثمانية المتراجعة ، وذلك باقامة حاجز نهري يمنع السفن الانكليزية من المرور . وسرعان ماانفذ فكرته ، فحول السفينة الى عرض النهر وامر الجنود بالنزول منها الى السفينة « الموصل » وظل وحده على متن الاولى ، ثم نزل الى مستودع الذخيرة واشعل فيه النار فاحدث في الباخرة انفجاراً هائلا ذهب هو نفسه ضحيته، وقد فضل ان يموت على ان يكلف سواه هذه المهمة ويدفعه الى الموت . وكان ان السفن الانكليزية لدى بلوغها ذلك المكان في الساعة الخامسة من صباح ٢

حزيران ١٩١٥ ابصرت السفينة العثمانية شعلة من نار فوقفت وقد بانت لاتستطيع التقدم

مواصلة المطاردة

وظلت النيران مشتعلة في الباخرة « مرمريس » الى الساعة الثامنة من صباح ٢ حزيران ١٩١٥ ، ولما غاصت في الرمال خرجت قليلا عن المدخل الضيق ، وحاول القائد الانكليزي ان يمر بسفنه من هناك على غير طائل

وكان قد ارسل باللاسلكي الى القرنه وقبر عزرا يطلب السفن الصغيرة . ولدى الساعة التاسعة وصلت الباخرتان « كومت » و « الشيطان » وكانتا في حجم صغير لا تحملان غير مدفعين صغيرين من عيار ١٢ وعدد ملاحيهما لا يتجاوز الاربعين ، ومع هذا استقل الجنرال طاوسهند واركان حربه الباخرة « كومت » وسارت بهما الى الامام ووراءها السفينة الشيطان تتهاديان في مسيل الماء

اسر السفينة الموصل

وعلى بعد اربعة اميال من « مرمريس » وسبعة اميال من شمالي « قبر عزرا » التقت هاتان السفينتان بالباخرة العثمانية الموصل ، وقبل ان تعمدا الى ضربها ابصرتا العلم الابيض يرفرف عليها فاقتربتا منها فوجدتاها خالية من الجند الا من بعض الاطباء وهيئة الهلال الاحمر التي ظلت على متن السفينة ، فوقعوا في الاسر . وانتقل الى الباخرة « الموصل » بعض البحارة والجنود الانكليز والحقت بالسفينتين الانكليزيتين .

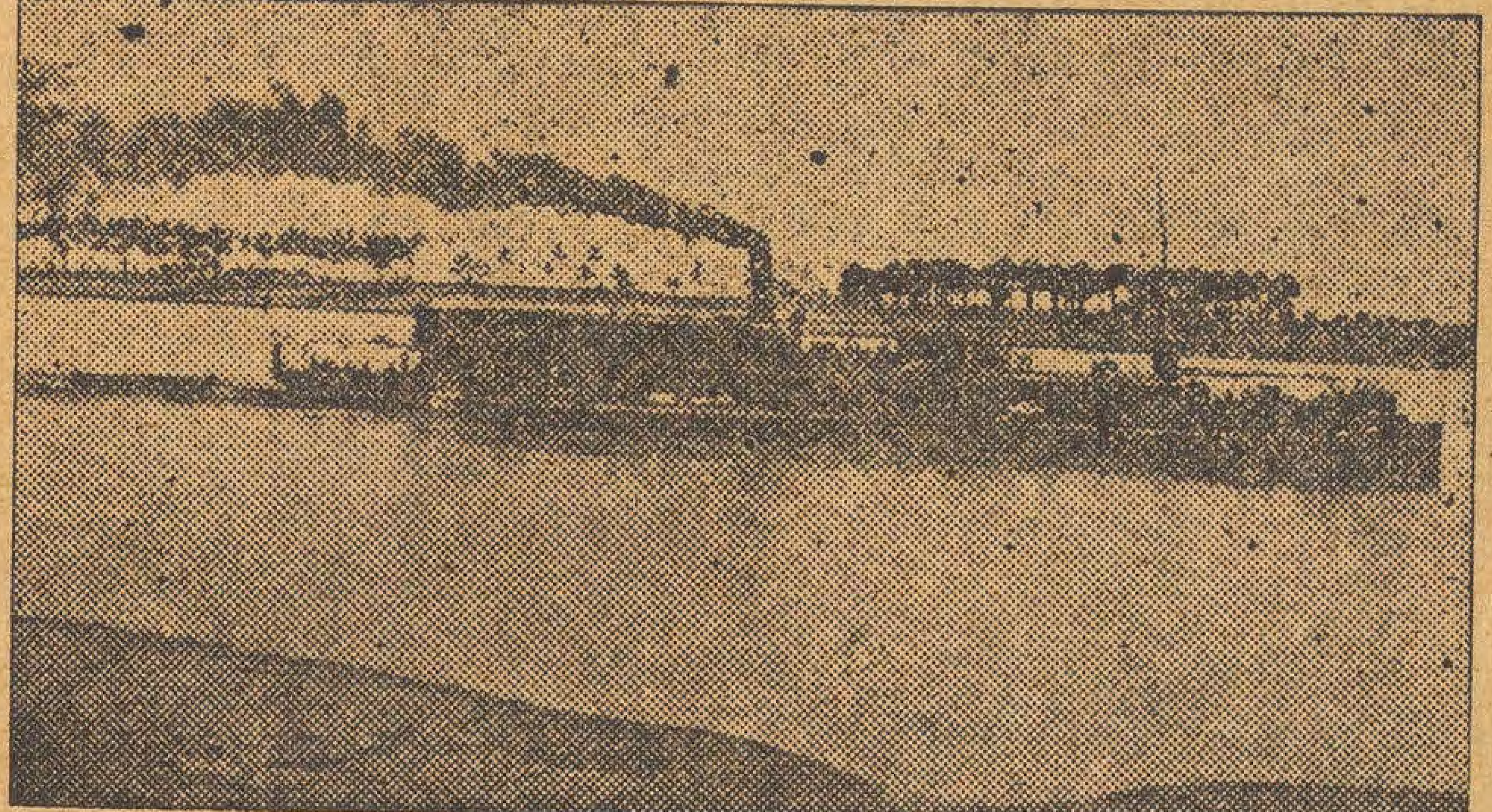
ارهاب البدو

وفي الساعة الحادية عشرة من صباح ٢ حزيران تقدمت هذه السفن الحربية ، فاذا رأت جموعاً امطرتها بالقذائف واضطرتها الى التفرق . فانزلت في البدو الذعر فاخذوا يرفعون الاعلام البيض دلالة على الاستسلام . وامتلأت ضفاف النهر بهذه الاعلام المنتشرة هنا وهناك ، وبين هذه المظاهر السلمية تابعت السفن سيرها الى الامام

احتلال قلعة صالح

وفي الساعة الثانية والنصف بعد الظهر ، لما اطلت هذه السفن على « قلعة صالح » لقيت فصيلة من الخيالة العثمانية على مقربة منها ، فقذفتها بالنار ، وهذه الشرذمة من افراد البلوك الثاني من الطابور الرابع ، فقتلت القذائف ٤٥ جندياً وركب الاخرون خيولهم وفروا من تلك الجهة بصورة زرية

وعند ذاك رفعت الاعلام البيض على ميناء البلدة وعلى منازلها تشير الى الاستسلام . وشوهد زورق فيه بعض اعيان « قلعة صالح » جاؤوا ليقدموا خضوعهم ويعلنوا استسلام مدينتهم الى الانكليز



الباخرة العثمانية « الموصل »

لما وقفت الباخرة « الموصل » عند ساحل الدجلة تقدمت منها القوات الانكليزية واسرتها ، وهذا رسمها ساعة وقوعها في الاسر

خديعة الجنرال طاوسهند

والجنرال طاوسهند وقد بات مع عدد لا يتجاوز الخمسين من رجاله على بعد سحيق من القوات الرئيسية وجد نفسه في هذه المنطقة في حالة خطرة . فهو يعرف ان سكان المنطقة لا يرهبون الا القوة ، فاذا علموا ان قواته بعيدة عنه وانه منفرد عنها بهذا العدد القليل من الرجال لا يلبثون ان ينقموا عليه وقد يدبرون خطة للفتك به

ولهذا شاء ان يغتنم فرصة مجيء هذا الوفد ليحدثه عن قوته وبطشه وليغرر بهم من جهة ثانية

فاستقبل الوفد قائلا :

— كونوا بامان ، ليس هنا من يعتدي عليكم ما دمتم اعلنتم خضوعكم واستسلامكم

« هناك ١٥ الفاً من جنودنا ستصل طلائعها في هذا المساء او في صباح غد على ابعد تقدير

« وهذه القوات بحاجة ماسة الى القوت وعلف حيواناتها .

فعليكم ان تعملوا منذ الان على تلبيتنا في ما نطلب منكم . وكونوا على



الخيالة العثمانية

في جبهة العراق

فصيلة من الخيالة العثمانية في جوار قلعة صالح ، وهي من البلوك الثاني التابع للطابور الرابع وقد تراجعت بصورة مؤسفة

ثقة وطيدة بان قواتنا هذه وان كانت قادرة على امتلاك ما تحتاجه فوراً الا انها لا تستولي على شيء قبل دفع ثمنه نقداً . فلسنا نريد ان نتبع خطة العثمانيين في امتلاك ما لدى الاهلين عنوة ونحن لا نضمر للاهلين العداء

« اننا نعتبركم كأخوان لنا . فلم نخض هذه الحرب الطاحنة الا سوى انقاذكم والعمل واياكم يداً واحدة »

فاثرت كلمات الجنرال طاوسهند في رجال الوفد ، وما لبثوا ان نقلوها الى بني قومهم ، فاعتقد هؤلاء حقاً ان ١٥ الف جندي انكليزي قادمون اليهم ، واتصلت الاشاعة بالقيادة العثمانية فوراً . ولم يكن يبغي الجنرال طاوسهند سوى ارهاب السكان والقيادة العثمانية والقضاء على كل محاولة من شأنها مقاومة قواته

ارهاب العثمانيين

ولم يقف الجنرال طاوسهند في « قلعة صالح » اكثر من ساعة ، فاكتفى بالتهديد الذي وجهه لاعيان المنطقة وبات على يقين ان هؤلاء بعد ما علموه من قرب وصول هذه القوات الغفيرة لن يقدموا على خيانته ، وتابع سفره الى الامام بعد ان ترك في قلعة صالح جاويشاً وخمسة جنود فقط ، وسار شمالا اربعة اميال . وبعد ذلك وقف في سفنه لقضاء ليلة ٢ — ٣ حزيران ، وارسل جواسيس من البر واستخدمهم في تلك الجهات ليأتوه بالاخبار الحقيقية . فعادوا اليه ليبلغوه ان العثمانيين مصممون على الدفاع عن العمارة ، الا ان البدو ناقمون عليهم يريدون الاستسلام

وأيد الخبر ما شاهده القائد الانكليزي بنفسه في الطرق التي مرّ في ٣ حزيران فيها ، فقد بدت له القرى والمزارع رافعة الاعلام البيض تعلن استسلامها وخضوعها . وظل يبدو له هذا المشهد حتى وصل الى قرية ابي شدرة الواقعة على بعد ١٢ ميلا من العمارة

وكان موقف البدو الضاربين في تلك الجهات من المواقف المؤسفة حقاً ، فان هذه القبائل التي ابدت في اوائل الامر خضوعاً تاماً للقيادة العثمانية العليا ما لبثت ان قامت تناصبها العداء

وذكر القائد عثمان مظهر بك ما اتفق له يومذاك فقال :

— عهد الي امير الالاي حليم بك باستمالة العشائر الضاربة في تلك الجهات ، فدعوت الي رءساوها والقيت فيهم خطابا اشرت فيه الى الموقف الحاضر ثم قلت :

« لا تبغي الدولة العثمانية في موقفها هذا الفتح بل الدفاع عن كيانكم ودرء الخطر الذي يهددكم به الاعداء »

« ان الانكليز الذين يطمعون منذ عشرات بل مئات السنين في الاستيلاء على هذا القطر العثماني لا يرمون الى تأمين حقوقكم والدفاع عنكم كما يحاول ان يخدعكم بذلك دعاتهم بل يرغبون في ان يسيطروا على هذه البلاد ويستعمروها لبسط نفوذهم وسيادتهم على طريق الهند

« فمن واجبكم الوطني اذاً الدفاع عن بلادكم حتى آخر نسمة من الحياة !

« فوعدني هؤلاء على اثر ما سمعوا مني بتحقيق رغائبي ، ففرقت عليهم الاموال الوافرة وقاموا بمظاهرات رائعة ابتهاجاً بما دفعتهم اليه ودفعته لهم.

ابتعاد العربان

« ولكن المؤسف جداً ان هؤلاء العربان ما كادوا يشاهدون الطيارات (كما ذكرنا ذلك في العدد الاخير من الاسرار حتى) تفرقوا دون ان يطلقوا رصاصة واحدة . ثم عمدوا الى سحب قواتهم من المراكز الاخرى والاحتماء في الادغال يراقبون الموقف ، حتى اذا بدا لهم ان قواتنا تولتها الهزيمة انقلبوا عليها واخذوا يرمونها من الوراء بالرصاص . وكان بالامكان ان يقاتلوا الانكليز كما قاتلونا ، غير ان

الانكليز كانوا في ذلك الحين اقوياء فلم يتمكنوا من النيل منهم، وما ظهر لهم من قواتنا انها تتراجع حتى رفعوا الاعلام البيض مرحبين بالانكليز، وكانوا قد ناوشوهم وما لبثوا ان تظاهروا بالخضوع لهم!..»



القواد العثمانيون والالمان في الجبهة

بعض ضباط الترك والالمان واطباؤهم في الجبهة الحربية في العراق. اخذ هذا الرسم عند جذع نخلة في بلدة العمارة.

مجلس حربي

وفي قرية ابي شدره عقد الجنرال طاوسهند مجلساً حربياً بحث فيه الموقف بحثاً دقيقاً. فكان من رأيه ضرورة الوقوف في «ابي شدرا» ريثما تصل قواته المقبلة اليه، حتى ولو كانت القوات البحرية.

الا ان معاون رئيس اركان حربه رأى من الافضل المضي في المخاطرة التي بدأوها والتقدم باستمرار. فعارض طاوسهند هذه الفكرة قائلا:

ــ ما وصل الينا من اخبار يشير الى ان القوات العثمانية وافرة في هذه المنطقة، وامعاننا في التقدم يعرضنا للخطر الفادح، خصوصاً وليس لدينا ما يزيد على ٤٠ جندياً!

ولكن معاون رئيس اركان حربه تمسك برأيه واصر على المخاطرة لسببين، الاول ان الوقوف في ابي شدره بانتظار القوات يحمل ابناء البلاد على الاعتقاد بضعف الانكليز، والثاني ان هذه الرحلة البحرية ليست خطرة لضعف القوات البحرية العثمانية، عدا انهم يختبرون بها قوة العثمانيين الحقيقية

فوافق الجنرال على هذا الرأي ودعا سفنه الصغيرة الى التقدم

موقف العثمانيين

وكانت القوات العثمانية التي تؤلف فيلق دجله تحت رئاسة امير الالاي سيف‌الله بك قد عززت بفوجين من الجنود النظامية وممن تبقى من افراد الفرقة التي يقودها امير الالاي حليم بك. وعقد هذان القائدان اجتماعاً حضره ثلاثة من الضباط الذين يحملون رتبة امير آلاي وآخرون برتبة قائمقام. وبحث هؤلاء في الموقف الحربي، وكان من رأيهم ضرورة المقاومة وحشد قواتهم في البحر والبر للدفاع عن العمارة

واتخذ هذا القرار في الساعة الثامنة من صباح الثالث من شهر حزيران، وعلى اثره اذاع القائد حليم بك في القواد امراً يتضمن الخطط الواجب اتباعها لمقاومة الهجوم

ونص القرار على ان الزوارق البخارية الموجودة على ساحل العمارة تتولى الدفاع البحري لعرقلة انزال الجنود. وكان على اعتقاد ان الباخرة «مرمريس» التي اغرقت في الطريق ستمنع السفن الحربية

حليم بك

امير الالاي في العمارة

رسم تاريخي نادر لامير الالاي حليم بك مع بعض ضباطه ، وكان يخطب في القوات العثمانية ويحثها على الدفاع عن العمارة قبل ان يستسلم الى الانكليز بلا قيد ولا شرط



الكبرى من الوصول الى العمارة

واوفد ثلاثة بلوكات للدفاع عن خارج العمارة ، واضاف اليها الفوجين النظاميين المؤلفة منها فرقة المطافىء التي جيء بهما من استانبول للدفاع عن المناطق الساحلية

وبعد ان اعلن حليم بك هذه الاوامر سار ومن معه من الضباط الى دار الحكومة ليديروا من هناك الحركات الحربية

وفي دار الحكومة عرض امير الالاي حليم بك قواته ثم خاطبها بقوله :

ــ احتل الاعداء المراكز الصغيرة المجاورة لمدينتنا ، الا ان موقفهم لا شأن له لدينا . فاننا نملك من القوات والمعدات الحربية ما يساعدنا تماماً على بلوغ هدفنا في الدفاع عن هذه المنطقة « علينا واجب من الضرورة ان نقوم به على مرأى من الجميع ، وهو الدفاع عن هذه المنطقة حتى آخر نسمة من حياتنا ، فاما ان نفوز وندحر الاعداء ، واما ان نموت في هذه الجبهة !

فاعلن الجنود انهم على استعداد تام للتضحية بكل شيء لتحقيق رغبة قائدهم

خطة الدفاع

وعلى أثر هذا الخطاب المتليء حماسة اندفعت القوات العثمانية الى معسكرها في الخنادق الساحلية المعدة للدفاع عن الشاطىء ، ومشت القوات الرئيسية الى الخنادق الخلفية للدفاع عن المؤخرة . وبذلك باتت باجمعها على استعداد للعمل ، وكل يعتقد ان الجيش سيدافع عن العمارة بقوة وعزم

والاهلون وقد رأوا الاستعداد الكبير تقوم بها القيادة العثمانية اعتقدوا ان مدينتهم ستكون ميداناً لحرب طاحنة بين العثمانيين والانكليز ، فخرجوا بنسائهم واولادهم والعجز منهم الى محلات بعيدة من العمارة لتكون نائية عن مواقع القتال ، وبات الرجال وحدهم في المدينة ينظرون بهلع ظاهر الى سواحل النهر لمراقبة سفن الاعداء الذين قيل انهم قادمون باسطول بحري هائل الى تلك الجهات .

موقف فاضل باشا

وكانت قوات محمد فاضل باشا الداغستاني قد تراجعت عن الاهواز للوصول الى العمارة . فغادرت « ام الخليب » ولدى وصولها الى الساحل المجاور للاهواز التقت بقوات القائد « غورنج » الانكليزي واصطدمت واياها في معركة شديدة انتهت بتراجعها ، فاخذت تنهزم على ساحل دجلة ووجهتها العمارة

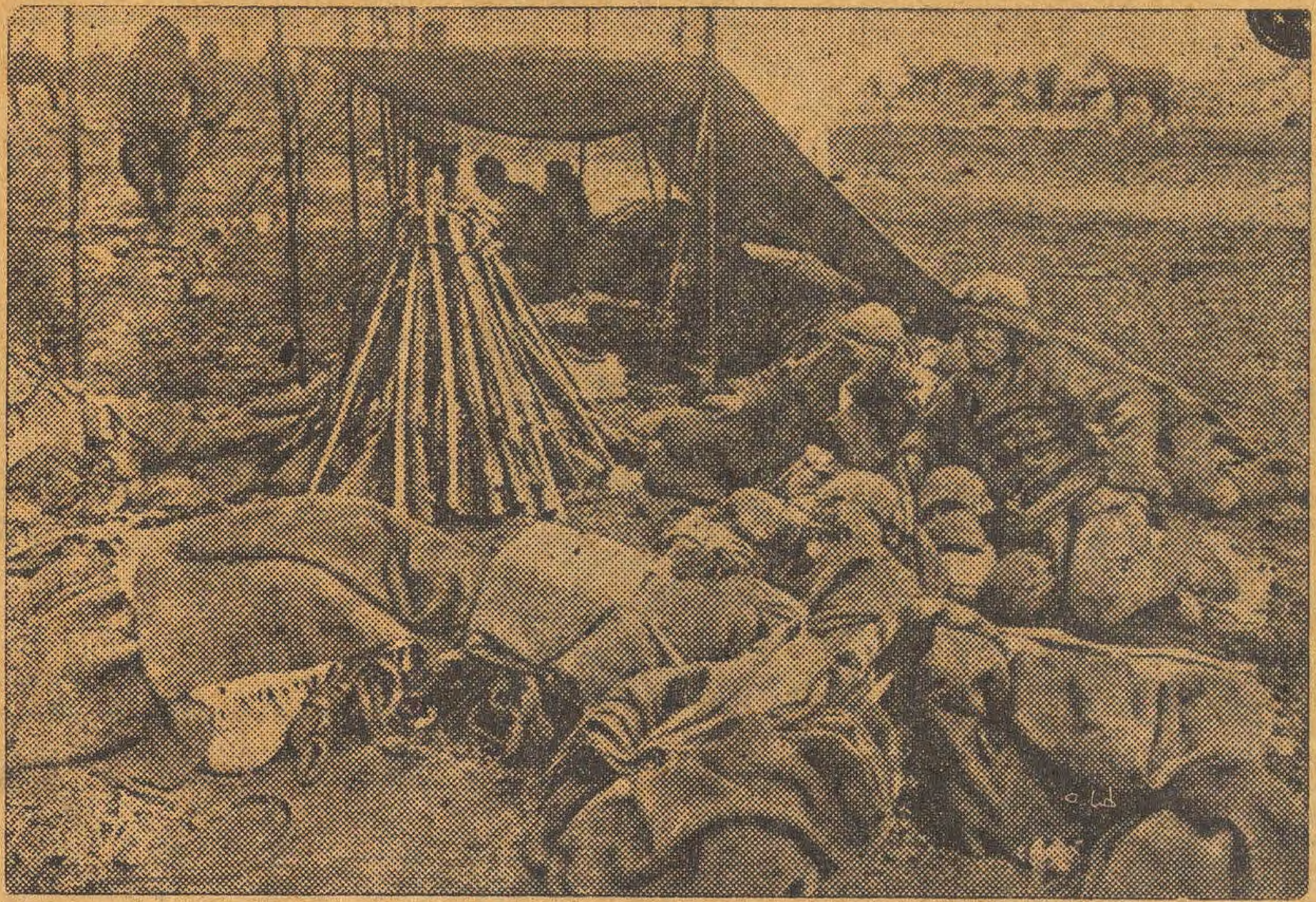
واتفق اذ ذاك مرور السفينة الانكليزية « الشيطان » وهي كما سبق وذكرنا اشبه بزورق كبير مسلح ، فما كادت ترى هؤلاء الجنود حتى رمتهم بقذائفها فشتتت شملهم

قذائف السفينة تخيف العثمانيين

وهذه القذائف ترمي بها السفينة اهابت بالقائد الانكليزي الى الاسراع في تقدمه واثارت الرعب في قلوب العثمانيين فما لبثوا ان استسلموا الى الانكليز

ووصف لنا الجنرال طاوسهند في مذكراته هذا الحادث فقال :

« في الساعة الواحدة والنصف من بعد ظهر ٣ حزيران سنة ١٩١٥ وصلنا قبالة دار الجمارك في العمارة . وكنت على اعتقاد ان



القوات العثمانية بعد استسلامها

منظر شرذمة من الجنود العثمانيين في خيامها لما استسلمت الى الانكليز

العثمانيين سيحاربوننا . فانه لمن الامور المضحكة ان أتمكن من الاستيلاء على العمارة بالسفينة « الشيطان » وليس فيها غير مدفع من عيار ٣ وعشرة من الملاحين ، وبالباخرة « كومت » وهي باخرة نهرية صغيرة مجهزة بمدفع من عيار ١٢ ومجموع رجالها ١٥ ملاحاً . ولذا كان دهشي عظيما لما رأيت في مركبنا حليم بك قائد القوة التركية وعاصم بك متصرف العمارة وثلاثة او اربعة من امراء الالايات ، يمشي ووراءهم ثلاثون او اربعون ضابطاً اقبلوا كلهم ليعلنوا امامي خضوعهم . فاوعزت الى الرئيس « تن » بان يوفد ضابطاً من الضباط البحريين — وكان حينئذ على متن باخرتنا « كومت » ملازمان فقط — فاوفد الرئيس « تن » ملازماً ورئيس الملاحين وجندياً بريطانياً ، فتسلم هؤلاء الثلاثة القوات كلها وساقوها الى الرصيف ، وهناك دفعوها الى مركب تحميه مدفعية « الشيطان » ، ولم يكن معي حينئذ ما يزيد على خمسة وعشرين ملاحاً وجندياً فقط

« ورأيت ان اوهم الاتراك بمبلغ قوتي فطلبت من متصرف العمارة ارزاقاً وقلت ان ورائي قوة مؤلفة من خمسة عشر الف جندي ستصل بعد وقت قصير الى العمارة ، ومع هذه القوة اسطول بحري . فاجابني ان لديه كميات كبيرة من البقسماط ، فقبلت متذمراً والححت عليه في جمع الاغنام للجيش بلا ابطاء . وهكذا تم لي احتلال العمارة

اضطراب الحالة في العمارة

« وقضينا تلك الليلة وحدنا . وفي صباح اليوم التالي ، اي في ٤ حزيران ، اخذ العرب القاطنون بلدة العمارة ينهبون منازل الضباط الترك والمستشفيات ومستودعات الاطعمة وغيرها . وسرعان ما علم العرب ان عددنا كان قليلا جداً ، وانني لا اتمكن من الاستغناء عن جندي واحد انزله الى البر لا سيما وهناك ستمئة جندي تتحتم علي حراستهم . وكنت ارى هؤلاء البدو يدبون كالنمل على ضفة النهر وهم يمعنون في النهب ، ولم نتمكن من مشاهدة ما يجري داخل البلدة ، غير اننا كنا نسمع بين آن وآخر اطلاقات نارية من فوهات البندقيات ، وكان علينا ان نمنع الفوضى على الفور ، فامرت بان تطلق الرشاشة القائمة على برج الباخرة « كومت » النار على العرب الذين ينهبون ، فسقط اربعة او خمسة اشخاص منهم قتلى ، فرمى رفاقهم ما يحملون من المنهوبات وانهزموا يدوس بعضهم بعضاً ولا يلوون على شيء ، فهدأت الامور على ساحل النهر ، ولكن اطلاق النار اشتد في داخل بلدة العمارة

« وخشيت ان يستفحل الامر ، ولكن ما اشد ما كان سروري عظيما لما بلغني ان المراكب بدت للعيان ، فانزلت الجند الى العمارة عند الظهر وعادت السكينة الى نصابها

القائد العام في العمارة ؟

«وفي ليل ٥ـ٦ حزيران كانت سفننا باجمعها في العمارة ، وفي تلك الليلة وصل الفريق « نكسن » واركان حربه على باخرة قائد الحملة

الخيالة العثمانية

بطريقها الى العمارة

قوة من الخيالة العثمانية بطريقها الى العمارة قبل ان تشترك مع الانكليز بالمعركة التي يطالع قراء الاسرار تفصيلها في هذا الجزء

العام ، فهنأني تهنئة حارة بنجاحي في هذه المعركة »

***

هذا ما رواه الجنرال طاوسهند في مذكراته عن احتلال العمارة ، ولبيان حقيقة الموقف ننقل الى قراء « الاسرار » ما كتبه ايضاً عن هذه الهزيمة المنكرة احد الضباط الاتراك قال :

اقوال ضابط تركي

« ... لما امرنا القائد حليم بك بالدفاع عن العمارة وشخصنا الى معسكرنا لتنفيذ هذا الامر سمعنا اطلاقات قذائف من الجهة الشمالية، وتلقينا امراً بان لا نقاوم وان نرفع الاعلام البيض دلالة على الاستسلام. فادهشنا هذا الامر المناقض للامر الاول خصوصاً وليس له مبرر على الاطلاق

« والتفتنا الى جهة دار الحكومة فرأيناها ترفع علماً ابيض ، واتجهنا بابصارنا فرأينا سفينة انكليزية تكاد تكون زورقاً تطارد زورقاً عثمانياً، وشاهدنا ضابطاً بحرياً انكليزياً ومعه جنديان يقتربان من الساحل وينزلون الى البر ، وتوجهوا رأساً الى دار الحكومة وكان فيها فوجان من الجند مع القائدين حليم بك وسيف الله بك والمتصرف، فامر الضابط الانكليزي كل من هناك بجمع السلاح واخفائه في حجرة من حجرات دار الحكومة ، فاجيب الى طلبه ، وبعد ان باتت الاسلحة في الغرفة اقفل الضابط بابها وابقى الجنود في دار الحكومة واقفل عليهم الباب وذهب بالقائدين والمتصرف وسائر الضباط الى السفن

الصغيرة وقد باتوا فيها اسرى . وهكذا تمكن القائد الانكليزي بالقوة الصغيرة الموجودة لديه ، وقد ثبت لنا انها لا تزيد على ٤٠ شخصاً ، ان يستولي على هذا العدد الكبير من جنودنا غنيمة باردة

«وهذا الحادث سجل في تاريخنا الحربي عاراً لا يمكن ان يمحى



عن جبين هؤلاء القواد الذين كان من واجبهم الدفاع عن تلك المنطقة دفاعاً مجيداً

« ان سقوط العمارة بذلك الشكل المخزي اوقع بالمئات من جنودنا البائسين المنتشرين في الابعاد ، فباتوا تحت رحمة البدو الذين ما كادوا يعلمون بتراجع قواتنا حتى بدأوا يهاجمون اولئك الجنود بشدة ويفتكون بهم ، وكان ان ذهب عدد كبير من الفريقين »

بعد احتلال العمارة

وتم الفوز للقوات الانكليزية بالاستيلاء على العمارة كما اوضحنا لقراء «الاسرار» ، مما يدل على ان القائد العثماني امير الالاي حليم بك خان واجبه خيانة مؤسفة وهو يملك مثل ذلك العدد الكبير من الجنود ، فكان بوسعه وهذه القوة تحت امرته الدفاع عن تلك المنطقة كما فعل الضابط الذي دافع عن « تل المدفعيين » ، اما وهو لم يفعل شيئاً فقد اثبت للجميع انه خائن لوطنه ولواجبه العسكري

الاستعداد العسكري

وبعد سقوط العمارة عقد القادة الانكليز مجلساً عسكرياً بحثوا فيه الموقف وقرروا ما يلي :

اولا ــ اتخاذ العمارة قاعدة لقيادة الفرقة في الوقت الحاضر

ثانياً ــ نقل القوات الموجودة في القرنه وشواطيء دجله الامامية الى العمارة

ثالثاً — حشد القوات الرئيسية ريثما يتم جمع الفرقة وعندذاك تنظم الحملة الجديدة على الناصرية

الاستعداد لحملة الناصرية

وكانت خطة الجنرال «نكسن» القائد العام للحملة العراقية ان تواصل القوات الانكليزية زحفها الى الامام لاحتلال الناصرية

الا ان الجنرال طاوسهند عارض في هذه الفكرة معارضة شديدة . فالموقف الذي وقفه حتى الان مع مساعدته اياه على احتلال العمارة انذره بان الامر لن يستتب له اذا استمر في زحفه الى الناصرية، ولهذا قرر الاستعداد لتنظيم الحملة قبل مباشرة الزحف

وهكذا تغلب الجنرال طاوسهند على رئيسه وتقرر تنظيم الحملة في العمارة

هجوم الخيالة الاتراك

وكانت اراء الجنرال طاوسهند في محلها . فالاتراك وقد بلغتهم خيانة امير الالاي حليم بك ما لبثوا ان اوفدوا مساء ٩ حزيران قوة كبيرة من الخيالة لمهاجمة المراكز الانكليزيه على طريق العمارة

ويستدل من التقارير الرسمية ان هذه القوة وصلت الى ضواحي العماره متأخرة ، اي بعد وصول القوات الانكليزية اليها ، فاشتبكت والانكليز في معركة شديدة على بعد خمسة اميال من العمارة دامت ثلاث ساعات متوالية ، وكان بامكان الفرسان العثمانيين ان يؤمنوا لانفسهم الفوز لو لم تبادر الى ساحة القتال نجدات انكليزية كبيرة ساعدت على دحر الفرسان العثمانيين بعدما فقدوا نصفهم

ولقد حالت هذه المعركة دون تقدم الهجوم الانكليزي الى الناصرية زمناً ، مما سنفصله لقراء «الاسرار» في عدد آخر



اسرار الحرب الكبرى

بقلم كرم ملحم كرم

بلغاريا تصارح الحلفاء بانها في جانبهم ثم تنقلب فجأة عليهم

الملك فردينان البلغاري يتلاعب بالحلفاء

صربيا تتمزق براثن اعدائها

اقسمت النمسا والمجر على ان تنتقما من صربيا بعد تلك المزيمة التي فجعهما بها الصرب في سنة ١٩١٤ ، غير ان قواتهما لم تكن كافية لمثل هذا الانتقام وثمة روسيا تحاربهما في الشرق وتجتاح ديارهما

وانقضت اشهر طويلة على صربيا بسلام . فخيل الى هذه الدولة الصغيرة انها نجت من اجتياح آخر . على ان الالمان ما كادوا يهزمون الروس في بولونيا ويستولون على عاصمتها فرسوفيا حتى شعرت صربيا بالخطر يهددها مثله من قبل ، بل اكثر من قبل . فالدولة الجائحة لن تكون النمسا وحدها بل النمسا والمانيا ، فباتت القوات النمسوية ترى نفسها في كل مكان بحاجة الى المانيا تعضدها وتحميها

بلغاريا تتحرك

وما اكتفى النمسيون بالالمان يعضدونهم فقاموا الى بلغاريا يثيرونها على صربيا . وبلغاريا فكرت منذ بدء الحرب في ان تفاجىء صربيا بالعدوان ، فهي لم تنس ما نالها في سنة ١٩١٣ من الصرب وقد هزموها وانتزعوا منها في معاهدة بخارست شطراً من مكدونيا

غير انها لم تر من الحكمة خوض الحرب لدى نشوبها . فقد خافت على نفسها منها ، وتعاظم خوفها وهي ترى روسيا تنتصر لصربيا.

اما الان وروسيا قد انهزمت ، واستعدت المانيا لدعم النمسا في مقاتلة الصرب ، فلماذا لا تنتهز بلغاريا الفرصة للانتقام وقد بات الامر بوسعها؟

اثينا تتراجع

وكان من المنتظر ان تعضد يونان حليفتها صربيا في هذا القتال ، خصوصاً وقد خاضت واياها حرب ١٩١٣ تقاتلان فيها معاً بلغاريا ، وخرجت من هذه الحرب منصورة ، ووقفت عليهما معاهدة بخارست شطراً كبيراً من الغنيمة ، ويكفي ان تكون ظفرت بولاية سالونيك لتتمم النصيب الربيح

والسيد « فينيزيلوس » زعيم حزب الاحرار في البلد اليوناني كان يؤيد نصرة صربيا ويدعو اليها ، غير ان الملك قسطنطين لم يكن من هذا الرأي ، فاختلف واياه فيه . ولما كان السيد « فينيزيلوس » رئيس الوزارة اليونانية ووزيراً للشؤون الخارجية فيها دعاه الملك الى الاستقالة من المنصبين معاً ، بيد انه في ١٧ آب ١٩١٥ استدعاه اليه لتأليف الوزارة

دعوة ثم اقالة

فتولى « فينيزيلوس » شؤون الحكم في اثينا ، وتسني للحلفاء ان

يقولوا ان الدولة اليونانية تواليهم ، ولكن هذه الموالاة لم يطل زمنها . فما كان اليوم الخامس من شهر تشرين الاول ١٩١٥ حتى اكره السيد « فينيزيلوس » من جانب الملك على الاستقالة مرة اخرى . وفي اليوم الثالث عشر من شهر تشرين نفسه اعلنت الوزارة اليونانية الجديدة ان معاهدة التحالف الصربي اليوناني المعقودة في شهر ايار ١٩١٣ لا تشير الى ضرورة نصرة صربيا حين تهاجمها بلغاريا وتشد ازرها في هذه المهاجمة دولتان اخريان

الملك قسطنطين يفاوض البلغار

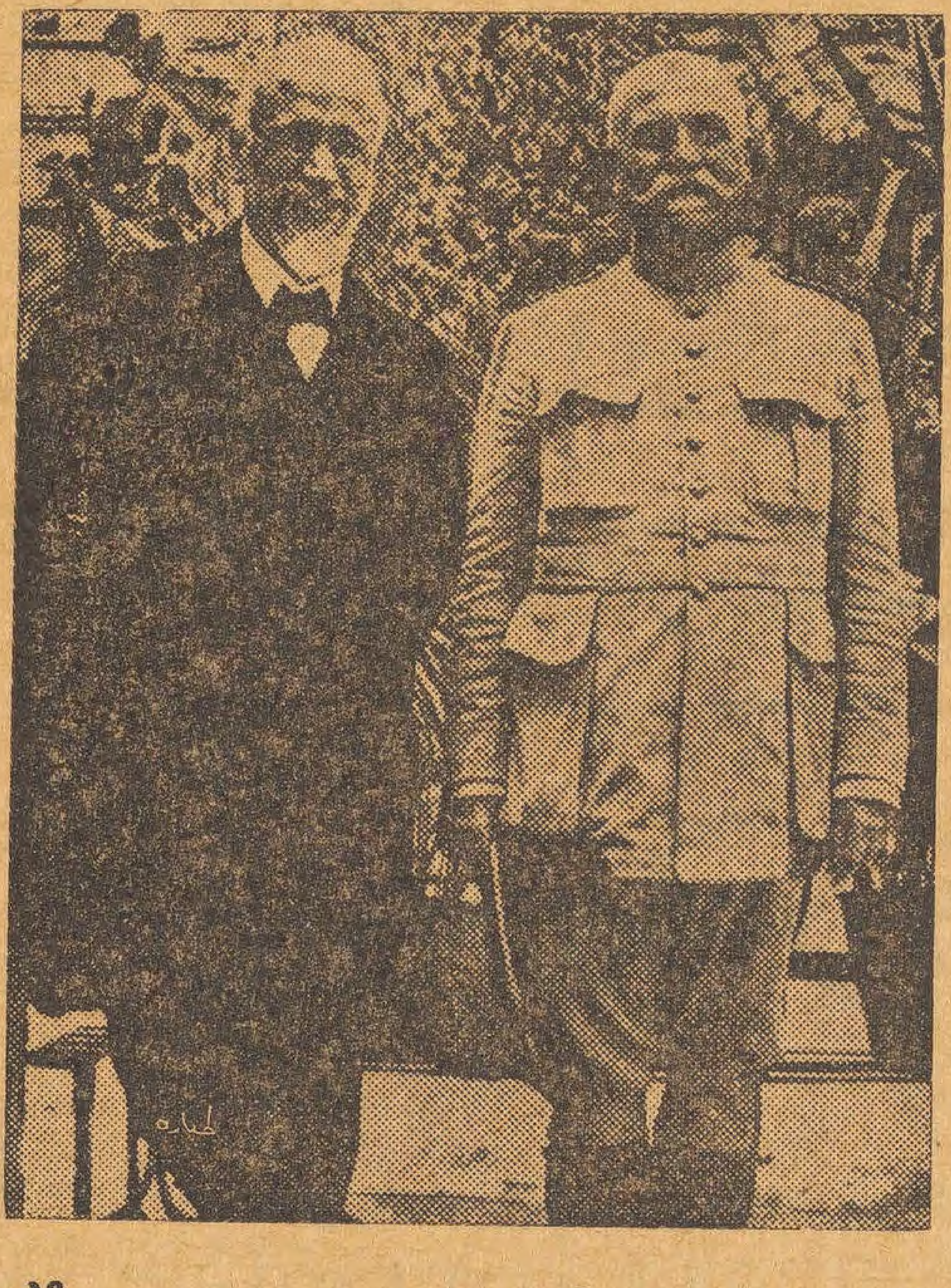
ولم يكن من الملك قسطنطين، العاهل اليوناني وصهر الامبراطور غليوم ، الا ان ابلغ حكومة بلغاريا انه لن يزعجها في شيء هي تهاجم صربيا . وفي اواسط شهر تشرين الاول ١٩١٥ كانت دول ثلاث تهاجم صربيا ، المانيا والنمسا وبلغاريا . وكان باستطاعة الحلفاء ان يحولوا دون هذا الهجوم الثلاثي ، والسيد « فينيزيلوس » دعاهم الى ذلك ، بيد انهم تأخروا ، وتأخرهم اهاب بالنمسا والمانيا وبلغاريا الى تنظيم خطة العدوان ، فما فكروا في اثبات وجودهم عسكرياً في سوى ه تشرين الاول ، فانزلوا في ذلك اليوم قواتهم الاولى في مرفأ سالونيك ، الا ان الهجوم على صربيا ، كان قد تقرر ومنعه بات من المحال

خيبة الحلفاء في بلغاريا

اخطأ الحلفاء في اعتمادهم على بلغاريا . فقد توهموا انها تبقى معتصمة بعزلتها اذا لم تنضم اليهم. وهم لو وقفوا على روح الملك فردينان ومطامعه لتبدلت اراؤهم فيه وفي دولته . فقد جهلوا ميول الشعب البلغاري وحالته النفسية . فما ادركت امر هذا الشعب لندن ولا باريس ولا بتروغراد . فالعواصم الثلاث عميت عن الحقيقة في بلغاريا. وظلت تعتقد ان بالامكان الاطمئنان الى سياسة ولاة الامر في العاصمة صوفيا

ومما اقترح بعض رجال الحلفاء لتأمين جانب بلغاريا أن تمزق معاهدة بخارست المعقودة في سنة ١٩١٣ وان تعطى بلغاريا شطراً مما غنمته منها صربيا ، وهكذا يعود الاتحاد البلقاني الى ما كان فيه سنة ١٩١٢

وابدت الصحف هذا الرأي . وبدا لها ان بلغاريا في جانب الحلفاء . وما برحت تعلل النفس بهذا الامل حتى شهر آب ١٩١٥ ، فكانت تنادي به عالياً . وذهب فريق من رجالها الى القول بضرورة منح بلغاريا ولاية مكدونيا بكاملها، وحجتهم في ذلك ان مكدونيا بلغارية . على ان رجال العلم والتاريخ اثبتوا خطل هذا الرأي . فليست مكدونيا بلغارية ولا البلغار هم الكثرة فيها . ومما ذهب رجال العلم والتاريخ الى نفيه عن بلغاريا انها ليست صقلبية بل تترية. اجل، لقد انقذها الروس من النير التركي في سنتي ١٨٧٧ — ١٨٧٨ ، بيد انها ما لبثت ان انقلبت على روسيا ، حالفت النمسا ، يدفعها الى هذه



ساراي وفينيزيلوس

الى اليمين : القائد الفرنسي « ساراي » الذي انتدب لمحاربة البلغار في اواخر سنة ١٩١٥ ونزل في سالونيك، والى جانبه السيد فينيزيلوس السياسي اليوناني الشهير ونصير الحلفاء في البلقان . فخاصم لاجلهم الملك قسطنطين اليوناني مخاصمة عنيفة مفجعة الذيول

المحالفة ضابط نمسي قديم هو « فردينان ده كوبورغ »، الذي ارتقى في بلغاريا الى مقام امير يوم كانت امارة ، ثم الى عرش بلغاريا يوم نودي بها مملكة ذات عرش وصولجان

بلغاريا امارة ثم مملكة

فان نجاح النمسا في سنة ١٩٠٨ في ضم ولايتي البوسنه والهرسك اليها ساعد « فردينان ده كوبورغ » على المناداة بالامارة البلغارية مملكة مستقلة . وهذه المملكة الحديثة العهد اتحدت والممالك الصربية



قوة من المدفعية الصربية تجتاز احد الاودية الضيقة

وذلك في اثناء اندفاع الصربيين لمقاتلة دول ثلاث تألبت عليهم هي المانيا والنمسا وبلغاريا

الناشئة على جوانبها لمناهضة الاتراك . وضمها جميعاً ميثاق بلقاني عقد في سنة ١٩١٢ ، وهذا الميثاق ساعد الدول البلقانية على اقتطاع الشطر الاكبر من تركيا في القارة الاوربية ، غير ان النمسا وقد خشيت على نفسها من نشوة الصرب بخمرة الظفر دفعت بلغاريا الى مقاتلتهم ، فعبثت بميثاق ١٩١٢ وشهرت في سنة ١٩١٣ الحرب على صربيا، فكان ان انضمت يونان الى صربيا وقاتلت الدولتان بلغاريا فهزمتاها شر هزيمة

وفي سنة ١٩١٥ مثلت بلغاريا الدور نفسه . شاءت الانقضاض على صربيا ومحاربة الصقالبة . وانكرت كل فضل لروسيا عليها . وان يكن ثمة فئة تعترف بهذا الفضل فهي فئة قليلة العدد لا يعتمد عليها

نائب رئيس المجلس النيابي في بلغاريا

يحيي انتصار النمسا والمانيا

وهذا الكره لروسيا الكامن في صدر الشعب البلغاري ظهر بجلاء منذ اعلنت الحرب الكبرى . ففي شهر كانون الاول ١٩١٤ كتب وكيل المجلس النيابي البلغاري الدكتور « رومنشيلوف » مقالا في جريدة « ريجبوست » قال فيه :

«ان الشعب البلغاري ليحيي انتصار النمسا والمانيا بتصفيق حاد، ويرى في هذا الانتصار دعامة مستقبله . فالشعب البلغاري يرجو اليوم ان يتقرب دون ما شرط من الدول الكبرى في اوربا الوسطى، فهو شديد الظمأ الى ثقافتها العالية ويرغب في ان يكون شريكا لها في مصالحها السياسية والاقتصادية . وكل مجهود تبذله روسيا في استمالتنا اليها معتمدة في ذلك على اموالها يذهب سدى .. »

وهذه شهادة اخرى

وقبل هذا التاريخ ، في ٤ ايلول سنة ١٩١٤ ، كتبت جريدة « فوليا » ، وهي صحيفة السيد « غينادياف » احد كبار ذوي النفوذ في بلغاريا تقول : «اذا قضت علينا مصالحنا الوطنية بان ننضم الى خصوم السياسة الروسية فمن الجناية علينا ان نتردد في هذا الانضمام . ولكن علينا ان نذكر تاريخ تحريرنا وان لا ننقلب فجأة على روسيا»

قبل الحرب

وقبل الحرب، ولكن في سنة ١٩١٤، كتبت جريدة «داوبنو فلانيه»

البلغارية مقالا جاء فيه : « لبلغاريا والنمسا عدو واحد هو صربيا . وعلى النمسا ان تخمد دفعة واحدة روح التعصب الصربي ، وهي اذا نامت عنه شهر عليها من الوراء سلاحه لدى الصدمة الاولى بينهما وبين روسيا ... »

وجاء في المقال نفسه : « السياسة النمسية خير سياسة تنهجها بلغاريا في شبه جزيرة البلقان . وستظل بلغاريا خصما عنيداً لكل دولة حولها ما عدا تركيا . واذا حاربت النمسا هذه الدول كانت حليفة بلغاريا الطبيعية ما دامت الدولتان تتبعان سياسة واحدة .. »

وكتب في سنة ١٩١٣ الاستاذ الشهير «ارنودوف» في جريدة «سفوبودونو منيانيه» فقال: «لم تخف النمسا سرورها وهي تشاهد الى جانبها دولة بلغارية عظيمة الشأن ، تمنحها مرفأ سالونيك وتؤمن لها الطريق الى « فالونا ». لقد طلبت النمسا ان تجد بلغاريا قوية وكبيرة، وطلبت ان ترى صربيا ضعيفة مجزأة ، وان تستقل البانيا او تلحق بالنمسا ، كل ذلك لتنال من جبروت روسيا »

والنقمة على صربيا وروسيا تلتها النقمة على فرنسا . فقد مثلها البلغار دولة ذات ثقافة مهترئة ، وقالوا في الثقافة الجرمانية انها قوية حية. وشبهوا فرنسا بالبلد الموبوء الجو وقد انتهت اليه قذارة اوربا جمعاء

ونظم الشاعر البلغاري « سيريل كريستوف » ، وهو المعروف بالتتري ، قصيدة خاطب بها الشعب الالماني مصفقاً لانتصاره في بدء الحرب ، قائلا له: «ايها الفرسان الذين يجول في عروقهم الدم الطاهر، اضربوا ، انتم تحملون بيدكم الخنجر المنتقم !.. »

سياسة الملك فردينان

وتلاعب الملك فردينان بسياسته في بدء الحرب الكبرى . فكانت مواقفه بين بين . تارة يميل الى جانب الحلفاء وتارة يتجه الى المانيا والنمسا . وهذا التلاعب البارع مال بالحلفاء الى الاعتقاد ان بلغاريا تؤيدهم . فخدر اعصاب السياسة الروسية والفرنسية . ولم يكن منه على اثر عقده في برلين ذلك القرض المالي الا ان صرح عالياً بان ليس في هذا القرض ما يزعج السياسة الفرنسية وسياسة الحلفاء باجمعهم على الاطلاق . فما القصد منه سوى تخفيف اعباء موازنة بلغاريا

والقرض عقد في شهر شباط ١٩١٥ ، وكان على الحلفاء ان يدركوا ان ثمة خدعة ، وان الدولة التي توفر القرض لا توفره عفواً ، بل تطمع في ما هو اعظم من الفائدة المالية ، خصوصاً وهناك حرب عالية مشتعلة وبلغاريا حائرة في موقفها لا تدري الى اي كفة تميل .ولكن الحلفاء إما اصيبوا بالعمى او تعاموا . فما تفتحت عيونهم على ما بيّت لهم وقد خدعتهم الوعود المعسولة ، مع ان الامر ظاهر لا يحتاج الى ايضاح

وبلغ من عماهم ان احد الفرنسيين، السيد«جوزف ريناك»، من اصدقاء الملك فردينان ابرق الى جلالته يسأله عما دفعه الى عقد ذلك القرض في برلين، فكان جواب الملك : « عواطفي لا تتبدل !.. »

زاد الطين بلة

وبلغت القحة برجال السياسة في بلغاريا انهم مضوا في خديعتهم غير هيابين . ففي ١٥ آب ١٩١٥ كتب رئيس ديوان الملك السياسي رسالة يقول فيها انه راض كل الرضى عن سير الامور العسكرية في فرنسا، وانه يرثي لحال روسيا المتعثرة بالهزيمة ويرجو لها اصلاح امرها. وختم رسالته بقوله ان بلغاريا ستخرج في سبيل الحلفاء عاجلا او آجلا عن عزلتها

قلنا ان تاريخ هذه الرسالة هو ١٥ آب ١٩١٥ ، على حين ان بلغاريا كانت قد وضعت والمانيا في ١٧ تموز ١٩١٥ مشروع معاهدة التحالف وصممت على خوض الحرب بجانب المانيا والنمسا ، غير ان مشروع هذه المعاهدة ظل سرياً . وبعد عشرة ايام كان يوضع مشروع معاهدة اخرى بين بلغاريا وتركيا نظمت اسسه المانيا وقد وفقت به بين الدولتين وعاهدت به الدولة العثمانية حكومة بلغاريا على التخلي عن شطر من خط « دده اغاج » الحديدي اذا اندفعت الى مناصرتها

وفي الشروعين تم الاتفاق على منح بلغاريا مكدونيا الصربية والحلفاء يجهلون كل شيء ، بل هم استمروا في مفاوضة الملك فردينان ووزرائه . فقد خيل اليهم انهم حيال دولة مخلصة لهم . فالعمى مابرح يضلل بهم. ولقد دفعهم الى اقناع صربيا بضرورة التسامح ببعض مكدونيا حبا ببلغاريا. وما شعروا بالحقيقة الممضة ، بالخيبة ، الا وقد قطع الملك فردينان ووزيره « رادوسلافوف » المفاوضات . هما لا يريدان الاكتفاء بما يعرض عليهما الحلفاء . فالمطالب التي يرغبان في ادراكها اوسع مجالا . عند ذاك ايقن الحلفاء ان الرجلين ضحكا منهم ، وان قصدهما من المماطلة تنظيم بلغاريا للقتال وتجهيزها بالسلاح . ومتى قطعت هذه المفاوضات ؟.. في اواخر شهر ايلول سنة ١٩١٥ ، يوم امضت بلغاريا المعاهدة المقررة بينها وبين المانيا والمعاهدة المقررة بينها وبين تركيا

بلغاريا تدعو الى التعبئة

وكانت بلغاريا قد فكرت في دعوة ابنائها الى حمل السلاح. وفي ٢٤ ايلول ١٩١٥ اذيعت الاوامر في هذا الصدد. فابدى الحلفاء تعجبهم



شرذمة من الجيش الصربي

على ضفاف نهر ساف

وهو النهر الذي يجري في بلغراد عاصمة صربيا . وقد احتلت هذه القوات ضفته الشمالية لتعتصم بضفته الجنوبية وتتحصن فيها لمقاتلة النمسيين والالمان

مما يرون ، فاعلنت بلغاريا رغبتها في حفظ السلام والتزام جانب العزلة . على ان التظاهر بهذه النيات السليمة بات لا يجوز في الحلفاء . فقد استيقظوا بعد طول تخدير . وفي ٢٨ ايلول وقف في المجلس النيابي الانكليزي السير ادوار غراي ، وزير الشؤون الخارجية في انكلترا ، وهدد بلغاريا جهاراً بالحرب اذا هاجمت صربيا. قال : اذا وقعت هذه المهاجمة كان الحلفاء بجانب صربيا يحمونها !

ولكن هذا التهديد جاء متأخراً. فالاستعداد قد تم. ولما اقبل جيش الحلفاء تحت امرة القائد «ساراي» الفرنسي لنصرة البلغار كانت الضربة قد سددت الى صربيا

الموقف الحربي العام

وكيف كان الموقف الحربي العام يوم خاضت بلغاريا الحرب لى جانب المانيا والنمسا ؟

كان خريف سنة ١٩١٥ قد اقبل. وكان الالمان قد وقفوا في الجبهة الفرنسية موقفاً حازماً ثابتاً حيال الهجمات الفرنسية الانكليزية . فكل مجهود بذله الفرنسيون والانكليز لتهديم الجبهة الالمانية لم يلق النجاح. فالالمان عرفوا كيف يقفون كالسور المنيع حيال اعدائهم. وتسنى لهم في الجبهة الشرقية ان يدفعوا الروس الى « بنسك » فدحروهم وامنوا شرهم . وفي الدردنيل مابرح الحلفاء في الشاطىء يتمسكون بقطعة ضيقة من الارض دون ان يتسنى لهم فيها ان يخرقوا منفذاً الى قلب تركيا. وجمدت الحالة في سائر الجبهات جموداً يبعث على الملل

وشاء الالمان ان تنتهي سنة ١٩١٥ بفوزهم في البلقان . فرموا الى هدفين، الاول ان يجرّوا بلغاريا الحائرة الى المعمعة وان يمهدوا لها السبيل الى سحق صربيا وقد سدت عليهم الطريق الى تركيا، فهم اذا فتحوا هذا الطريق انقذوا حتما الدولة العثمانية وخنقوا روسيا

مساعي الالمان

واشتغل الالمان بهمة . واستطاعوا بدهاء عظيم ان يضمنوا عزلة رومانيا ويونان وان يوفقوا بين تركيا وبلغاريا . واخيراً قذفوا ببلغاريا الى الميدان وقد وعدوها بما تطمع فيه ، بمكدونيا الصربية. ومكدونيا هذه نالت بها بلغاريا وعداً من الحلفاء ، غير انها رأت فيه وعداً مطاطاً فلم تثق به ، ليقينها ان الحلفاء لن يؤثروها على صربيا

كيف تم الاتفاق الالماني البلغاري ؟

وفي اواسط تموز رضي الملك فردينان بان يوفد ضابطاً من ضباطه الى مقر اركان الحرب الالماني ليتباحث وقادة الالمان في الطريقة التي تخوض بها بلغاريا الحرب . وكان من المقرر ان يقبل هذا الضابط في ٢٤ تموز ١٩١٥ الى المانيا ، غير ان القائد « فالكنهاين » رئيس اركان الحرب الالماني طلب ان يتأخر هذا الضابط عن المجيء . والقائد « كونراد » النمسي كان من هذا الرأي. فلم يكن يرغب في ان يدفع البلغار الى محاربة صربيا مخافة ان يطالبوه بمرفأ سالونيك ومرفأ يقع على شواطىء بحر الادرياتيك . وهذان المرفآن كانت النمسا

بحـاجة اليها . فلماذا تهبها لدولة سواهـا وتقضي الايام الطوال في التأسف عليها ؟

وطاب لرجال الحرب والسياسة في المانيا والنمسا ان يتمهلوا في الامر . وكانوا يعتقدون ان سحق روسيا يوفر للنمسا ضم صربيـا اليها بلا قتال . ولكن الحالة في اول آب ١٩٢٥ دلتهم على ان ليس بالامكان ان يقضوا بالتلاشي على روسيا ، فاضطر « فالكنهاين » الى اعادة المفاوضات بينه وبين البلغار

ماذا تريد بلغاريا اتقاءه ؟

ولكن بلغاريا لا تستطيع الانقضاض على صربيـا ما لم تضمن بقاء رومانيا ويونان بعيدتين عن المعمعة ، والا اطبقت عليها الدولتان وعصرتاها عصراً . فضمنت لها المانيا جمود هاتين الدولتين . فطلبت ان تبدأ المانيا والنمسا مقاتلة الصرب ثم تمشي في اثرهما فتحقق لها ما شاءت

ووضع القائد « فالكنهاين » الالماني خطة العمل . وهذه الخطة تقضي بان تقاتل بلغاريا الصرب بجانب المانيا والنمسا ، وبعد ذلك تؤثر هذه الدول الثلاث في موقف رومانيا . فاما تكرههـا على الانضمام اليها لمقاتلة الحلفاء واما تدعوها الى فتح طرقها ومنافذها امام المانيـا وحليفاتها

وفي ٢٧ تموز تهادت هذه الخطة الى القائد « كونراد » رئيس اركان الحرب في النمسا ، فطلب ان يعاهد البلغار على مناوأة رومانيا اذا ايدت الحلفاء . ورفض امداد البلغار بالفيالق النمسية المجرية اذا عادت ايطاليا الى مهاجمته . وكان من رأيه الانتظار ريثما تجهز تركيا في ربيع ١٩١٦ مئة الف مقاتل . واخيراً طلب ان يكون المارشال الالماني « ماكنزن » قائد الجيوش المقاتلة صربيا

فالكنهاين يضع خطة أخرى

فوضع « فالكنهاين » خطة اخرى تنص على هذه المطالب . غير انه استثنى منها المدد الذي تلتمسه النمسا من تركيا قائلا ان تركيـا بحاجة الان الى قواتها لمحاربة الحلفاء في الدردنيل . وقال عن قيادة الجيوش التي تتولى مقاتلة صربيا ان المانيا ستتخذ في هذا الصدد كل تدبير موافق بالاتفاق وحلفاءها

ووافقت وزارة الشؤون الخارجية في المانيا على هذا المشروع ، غير انها رفضت انذار رومانيا بما يحرج موقفها

المفاوضات بين المانيا وبلغاريا

وفي ٣ آب بدأت في « بلس » المفاوضات بين « فالكنهاين » ومثل بلغاريا المفوض الكولونل « غانتشيف » ، فلم يجدا امامها صعوبة في الشؤون العسكرية . فاتفقـا على ان تجند بلغاريا سبع فرق بعد ثمانية ايام على الاكثر من توقيع المعاهدة . وهـذه الفرق تكون بعد ٢٥ يوماً على الحدود . ويبدأ الهجوم البلغاري بعد اربعة ايام من هجوم النمسا والمانيا على صربيا

هذا ما تم عليه الاتفاق العسكري . اما الاتفـاق السياسي فكان اشد صعوبة . فالقوم كانوا يعتقدون في « صوفيا » - عاصمة بلغاريا - ان بلغاريا عندما تبدأ حشد قواتها تبادر يونان الى حشد جيوشها لمقاتلة البلغار ، وللخلاص من هذه الورطة طلبت بلغاريا من المانيا والنمسا ان تظاهراها على يونان ، حتى اذا قهرتها طلبت منها اعادة ما وهبته لها في سنة ١٩١٣ معاهدة بخارست

بيد ان « فالكنهاين » ما ارتاح لهذا الطلب ، وابلغ الكولونل « غانتشيف » البلغـاري ان الدولة اليونانية لن تخرج عن عزلتهـا فاجاب « غانتشيف » انه لا يثق بعزلة يونان ورومانيا الا يوم يراها تتجنبان التعبئة . وقد تكون بلغاريا شاءت بمنع الدولتين من الاستعداد للقتال ان تستعيد ما فقدت من ثمرة تغلبها على الاتراك

امتعاض النمسا من المانيا

وهذه المباحثة بين « فالكنهاين » الالماني والكولونل « غانتشيف » البلغاري اثارت امتعاض القائد « كونراد » رئيس اركان الحرب في النمسا . فكيف تفاوض المانيا في امر نمسي بحت ؟ .. وفيما « فالكنهاين » يستعجل الهجوم على صربيا اخذ « كونراد » يسعى للتأجيل

وازاء الاصطدام الالماني النمسي بذل الحلفـاء جهدهم لمنع بلغاريا من مظاهرة المانيا والنمسا . وكان من امر وعودهم لها ما كان . فما وقفوا بهذه الوعود عند اقتطاع شطر من صربيا بل ذهبوا الى ما هو ابعد . ففاوضوا بمنح بلغاريا بعض الانحاء التركية

ايطاليا تعلن الحرب على تركيا

ولجأوا الى وسيلة اخرى للتهويل . فدفعوا ايطاليا الى اعلان الحرب على تركيا كي يظهروا لبلغاريا انها ستصطدم باعداء كثيرين بانضمامها الى اعدائهم . واسمعوها ان « فينيزيلوس » سيكون حتماً بجانب الحلفاء . وفينيزيلوس ابدى هذا الرأي . وكان ان الالمان نسفوا الباخرة « ارابيك » وهي تحمل على متنها فئة من الرعايا الاميركيين ، فقيل ان الولايات المتحدة الاميركية ستخوض الحرب بجانب الحلفاء احتجاجاً على العبث بارواح رعاياها

وتجاه هذه العقبات اشتدت حيرة بلغاريا . والكولونل « غانتشيف » وقد عاد الى صوفيا ليطلع ولاة الامر فيها على ما انتهت اليه المباحثات



احد حصون بلغراد، عاصمة صربيا، بعد تهديمه

يمثل هذا الرسم حصناً منيعاً من حصون بلغراد وقد هدمته المدافع الالمانية النمسية ولم تبق فيه غير حفر واطلال.
والرسم اخذ ساعة احتلت القوات الالمانية النمسية عاصمة صربيا

بينه وبين المانيا والنمسا لم يرجع منها في سوى ٢٢ آب. ولقد عاد حاملا لا الاتفاق العسكري فحسب بل معاهدة سياسية توقع في الوقت نفسه في برلين وفينا وصوفيا. وهذه المعاهدة حوت مطامع جديدة تغذي بهابلغاريا نفسها وتميل بها الى امتلاك البانيا. غير ان هذه المطامع كانت تتعارض بشدة والمصالح النمسية

العودة الى البحث

فاضطر الفريقان الى اعادة المباحثات. واوفدت المانيا الى الملك فردينان صديقه الدوق «جان ألبر ده مكلمبورغ» كي يقنعه بان يكون بجانب دول الائتلاف. وانتظر «فالكنهاين» بفراغ صبر عودة الرسول

وكانت المانيا والنمسا قد شاهدت ايام خير في جبهات الحرب، سواء في الجبهة الفرنسية او الايطالية. وضرب هندنبورغ في «فيلنا» جانب الروس المنهزمين. ورأى الملك فردينان ان يتكلم. ولكن بم يتكلم؟. تكلم عن الجانبين. اخذ يبدي للحلفاء رغبته في مناصرتهم، ويعد الالمان والنمسيين بمناصرتهم. وكان الملك قسطنطين قد تغلب في اثينا على «فينيزيلوس»، والولايات المتحدة الاميركية تغاضت عن قضية الباخرة «ارابيك»، فلم يبق للملك فردينان ما يخشاه. وفي ٦ ايلول سنة ١٩١٥ تم توقيع التحالف الالماني النمسي البلغاري العسكري. فحشدت بلغاريا اربع فرق على حدود صربيا القديمة، وفرقة على حدود مكدونيا الصربية. وحجتها في حشد مثل هذا العدد من الجنود انها لا تقوى على الزيادة وهي باضطرار الى صون نفسها على حدود رومانيا.

نصوص المعاهدة

ونصت المعاهدة على التعبئة بعد خمسة عشر يوماً على الاكثر من توقيع هذه المعاهدة نفسها، وعلى بدء الهجوم النمسي الالماني بعد ثلاثين يوماً، والهجوم البلغاري بعد خمسة وثلاثين يوماً

وفي اليوم نفسه امضيت معاهدة التحالف العام. وهذه المعاهدة

ضمنت لبلغاريا مكدونيا الصربية وشطراً كبيراً من صربيا القديمة

ولا ريب ان هذه المعاهدة فوز عظيم لالمانيا والنمسا .

فامست دول الائتلاف كتلة واحدة وصفاً واحداً من اطراف المانيا حتى اطراف تركيا. منذ ٣٠ آب كان « فالكنهاين » قد اقترح انشاء اتحاد دول اوربا الوسطى ، وهو يريده اتحاداً من الوجهة العسكرية تتوحد به القيادة العامة في دول الائتلاف جمعاء

موقف رومانيا

ولم تتحرك رومانيا . وسأل وزير الشؤون الخارجية في النمسا رئيس وزارة رومانيا السيد « براسيانو » عن موقف رومانيا من صربيا فاجاب : ليست رومانيا مكلفة الدفاع عن صربيا !

وفي ١٩ ايلول اطلقت القذائف على المواقع الصربية على ضفاف نهر الدانوب . فاحدثت اضراراً في بلغراد وسمندريا . ذلك كان لانذار ببدء القتال . وفي ٢٢ ايلول اذاع الملك فرديناند الامر بالتجنيد. وفي ٥ تشرين الاول قطع كل صلة له بالحلفاء . وايقنت وزارة « فيفياني » الفرنسية انها اخفقت في سياستها في البلقان فاستقالت ، وحلت محلها في ٣٠ تشرين الاول ١٩١٥ وزارة السيد بريان

اجتياح صربيا

لقد تسنى للصرب في كانون الاول ١٩١٥ ان يهزموا النمسيين ، ومع هذه الهزيمة ، ومع كون صربيا شعرت على الاثر بالطمأنينة ، فالحرب هشمت الجيش الصربي ، فامسى في آخر سنة ١٩١٥ مئة الف مقاتل

وفاجأته الاوبئة في ربيع ١٩١٤ فامعنت في انقاصه ، على ان القائد « بوتنيك » اجتهد في ان يزيد في عدده ، فرفعه في صيف ١٩١٥ الى مئتي الف مقاتل

فكان مجموعه احدى عشرة فرقة من المشاة وفرقة من الفرسان وبعض القوات المستقلة من الفلاحين ، اي ٢٣٢ كتيبة من المشاة ، و ٧٨٠ مدفعاً بينها ٢٤٠ مدفعاً ضخماً

وحشد الجبل الاسود خمسين الف رجل ، الا ان هذه القوة لا يمكن الاستعانة بها خارج وطنها

وكانت صربيا قد علمت منذ شهر ايلول ١٩١٥ ان الالمان والنمسيين سيهاجمونها يعضدهم في ذلك البلغار . فقر رأي الصرب على مهاجمة بلغاريا فيما تتولى تعبئة قواتها ، على ان انكلترا مانعت في ذلك كل الممانعة ، فاضطرت صربيا الى الاكتفاء بالدفاع عن حدودها

حشد الجيش الصربي

وتم حشد الجيش الصربي على هذه الحدود . فاقام الجيش الاول على نهر « درينا » ونهر « ساف » ، والجيش الثالث على نهر الدانوب ، والجيش الثاني ازاء بلغاريا على نهر « تيموك » ونهر « مورافا » . واقامت بين الجيش الثالث والجيش الثاني ، في زاوية نهر « تيموك » ونهر الدانوب ، فصيلة « برانيشافو » . فاستقرت في هذه الناحية لمنع كل اتصال بين الالمان والبلغار

وفي اليسار الاقصى تولى جيش الجبل الاسود الدفاع عن لواء « نوفي بازار » . وفي الناحية الجنوبية القصوى عهد الى فصيلة من الجيش الصربي تأمين الاتصال بين الصرب وقوات الحلفاء المقبلة من سالونيك

ففي ٢١ ايلول ورد على حملة الشرق في فرنسا الامر بان توفد فرقة منها لنجدة الجيش الصربي

الحكومة اليونانية تدعو الى التجنيد

وفي اليوم التالي لاعلان التجنيد في بلغاريا دعت الحكومة اليونانية الى التجنيد في ديارها . فما طلع يوم ٢٣ ايلول ١٩١٥ حتى كان الشعب اليوناني يطالع على الجدران الامر بالتعبئة العامة . والملك قسطنطين رغب في الامساك على عزلته ، الا ان « فينيزيلوس » فاوض الحلفاء دون ان يدري الملك بالامر شيئاً ، واتفق واياهم على انزال قواتهم في سالونيك

وفي ٤ تشرين الاول وقف السيد « فينيزيلوس » امام المجلس النيابي في اثينا يصرح على مسمع من النواب ان الدولة اليونانية على استعداد حتى النهاية لنصرة صربيا ، وهي حليفتها ، مرتبطة واياها بالمواثيق .

الحلفاء في سالونيك

وفي ٥ تشرين الاول كانت الفرقة ١٥٦ الفرنسية لوليتها القائد « بايو » والفرقة الانكليزية العاشرة تنزلان في سالونيك . فلم يكن من الملك قسطنطين الا ان اقال وزيره فينيزيلوس واحتج على ما افضى به من تصريحات . فتألفت وزارة يونانية جديدة رغبت في العزلة التامة

ماكنزن قائد جيوش الائتلاف

وفي ١٦ ايلول كان المارشال فون ماكنزن الالماني يقبض على ناصية جيوش الائتلاف في البلقان . فالقوات النمسية الالمانية تأتمر امره .

القوات الصربية

في اثناء هزيمتها

بعد انتصار قوات الائتلاف على الجيش الصربي في سنة ١٩١٥ واحتلالها مدنه وقراه اخذ الاهلون في الرحيل عن وطنهم فراراً مما يخشون من ضغط القوات الائتلافية

وهذا المشهد يمثلهم وهم يغادرون قراهم بمظاهر كئيبة تدعو الى التأثر . فهم يرحلون برجالهم واطفالهم وابقارهم للخلاص مما يرقبهم من اهوال توشك ان تنقض عليهم



واتخذ له مقراً في «تيمسفار» . وقسم هذه القوات الى قسمين ، الجيش الالماني الحادي عشر وقد قام على رأسه القائد « غولويتز » مع سبع فرق من المشاة يعسكر على نهر الدانوب ، والجيش النمسي الثالث وقد تولاه القائد « كيفيس » يستقر على نهر « ساف » مع خمس فرق نمسية وفيلق الماني

والجيش البلغاري الاول وهو مؤلف من اربع فرق تسلم زمامه القائد « ماكنزن » نفسه ، على ان قائده البلغاري كان « بوجادياف »

مهمة جيوش الائتلاف

وفي ٢٨ ايلول اوضح المارشال «فون ماكنزن» مهمة الجيوش . فعهد الى الجيش النمسي الثالث بالاستيلاء على اعالي بلغراد الجنوبية وبلوغ خط « ارانجيلوفاك سلوفاسيفاك » ، على ان يتدرج اليهما استطاع من قوات الاعداء ، مما يساعد الجيش الحادي عشر على تسديد الضربة القاضية عن جانبي نهر « مورافا » على خط « بالانكا ـ بتروفان » ، فيكره القوات الواقفة ازاء الجيش الثالث على الهزيمة . وبعد خمسة ايام على الاكثر يتجه الجيش البلغاري الاول الى جبهة « زاجيكار بيرو » فيجتاز نهر « مورافا » في منطقة « باراسان ـ نيش »

موقف المتقاتلين

وامام الجيش الثالث والحادي عشر انبسط نهر « ساف » وعرضه من خمسمئة الى الف ذراع ، ونهر الدانوب وعرضه يبلغ ضعفي نهر « ساف » . واحتل الجيش الصربي المناطق العليا ، اما القائدان « كيفيس » و « غولويتز » فقد احتلا الضفاف السفلى

والجزر القائمة في النهرين كان يحتل بعضها الصرب . وافضل الاماكن لاجتياز نهر «ساف» الناحية المنحدر فيها هذا النهر من بلغراد ، هناك بجانب جزيرة « تسيغان » وحولها يضيق مجرى الماء . اما في نهر الدانوب فخير مكان لاجتيازه ناحية « رام »

فتولى الجيش النمسي الثالث قطع نهر « ساف » الى جزيرة « تسيغان » ، وعهد الى فيلق من الجيش الالماني الحادي عشر قطع نهر الدانوب من ناحية « رام » تحت امرة القائد « كوش »

فعلى هاتين القوتين ان تجتازا تينك الناحتين قبل الجميع ، ثم ينتقل فيلق القائد « لوخوف » الى « سمندريا » وفيلق القائد « ونكلر » الى مصب نهر « مالافا » المنتهي الى نهر الدانواب ، عند جزيرة « تيميسزيجه » الكبرى

مهمة جيوش الائتلاف

والاوامر المعلنة في ٤ تشرين الاول سنة ١٩١٤ في جيوش الائتلاف تنص على ما يلي :

في صباح ٦ تشرين الاول تجتاز الفرقة الثانية والستون نهر « درينا » في الجبهة الغربية من ناحية « فيزغراد » على حدود البوسنه

بعد ظهر اليوم نفسه تطلق القوات الكبرى من الجيش الثالث مدافعها على جبهة نهر «ساف»

في صباح اليوم السابع يقطع الفيلق النمسي الحادي عشر نهر

« ساف » فتسير القوة الكبرى منه الى « كينوفو » ، وتندفع فصيلة الى « بولجيفسي » ، ويقطع الفيلق الثاني والعشرون من القوات الاحتياطية الالمانية هذا النهر متجهاً الى جزيرة « تسيغان » ، والفيلق النمسي الثامن شاخصاً الى بلغراد

وعلى هذين الفيلقين ، وهما خيرة فيالق الجيش الثالث ، ان يقاتلا بفرقهما الخمس ، منها ثلاث المانية ، الجيش الصربي جنباً الى جنب على جبهة طولها عشرة اميال ، وان يحتل الفيلق الاحتياطي الثاني والعشرون المنطقة الجنوبية الغربية من بلغراد ، فيما يحتل الفيلق الثامن بلغراد نفسها

وعلى فيلق « كوش » من فيالق الجيش الحادي عشر ان ينتقل الى « رام » ساعة ينتقل اليها الفيلق الثالث . وليس على فيلق القائد « ونكلر » وفيلق القائد « لوخوف » ان يعمدا الى اطلاق النار الا بعد يوم واحد من بدء فيلق « بوش » القتال

وينتقل فيلق القائد « ونكلر » الى « رام » في صباح ٨ تشرين الاول قبل انبثاق النهار ، ويمشي في اثره فيلق القائد « لوخوف » ومهمته امام « سمندريا » شديدة الصعوبة

بدء القتال

وبدأ اطلاق النار بشدة في يوم ٦ تشرين الاول على جبهة الجيش الثالث . وفي الليل اجتاز الفيلق التاسع عشر نهر « ساف » دون ما صعوبة تحميه مدافع الجيش ، وانتهى الى سهل منخفض وقف الصرب وراءه يسدون منافذه وقد حطموا سدود النهر فطغت على السهل المياه

وتساقطت الامطار . فاضطر الفيلق التاسع عشر الى الوقوف ولم يكن من الفيلق الثاني والعشرين الالماني الاحتياطي الا ان خاض جناحه الايمن معارك كلفته غالياً . فدفع في الصباح الباكر بكتيبة الى ناحية جزيرة « تسيغان » وكتيبة الى الناحية الغربية . واما الجناح الايسر فوجه الى الناحية الشرقية كتيبة ونصف كتيبة على ان الصرب ظلوا في الجزيرة . وبعد الظهر احتل النمسيون والالمان جزيرة صغيرة بجانب الكبيرة ، ولكن الرشاشات الصربية ظلت تحمي مداخل النهر وتمنعها عن الاعداء . فما تسنى للجيش الالماني النمسي متابعة مهمته في اجتياز النهر الا وقد خيم الليل التالي وثابت معركة عانت فيها طلائع الالمان والنمسيين الاهوال

انتصار جيوش الائتلاف

وتسنى للفيلق الثامن ان يدحر ثلاث كتائب صربية ونصف كتيبة مع كل اطلاقات المدفعية الصربية المحكمة . فقذف بها الى شرقي « كليم اغدان » قصر بلغراد القديم

واقبلت سفن النهر تحمي هذه الكتائب ، غير انها ما استطاعت امتلاك ما فقدت في سوى ظلمة الليل

سفينة غريق

وفي هذه المعركة خسر الفيلق الاحتياطي الثاني والعشرون مئتي غريق ، وخسر الفيلق الثامن اربعمئة . وفي ليل ٧—٨ تشرين الاول استطاع الفيلق الاحتياطي الثاني والعشرون ان يدعم موقفه بقوات جديدة حول جزيرة « تسيغان » ، وان يطغي على الدفاع الصربي ويرجع به القهقرى نحو الشرق . وما لبثت الجزيرة نفسها ان وقعت بين يديه ، ولم تتهدم جسورها فاستولى عليها الالمان سليمة من كل تخريب

امام العاصمة بلغراد

وامام بلغراد ، على ضفاف نهر « ساف » ، انزل الفيلق الثامن قوات جديدة صدمت في البدء صدمة عنيفة ، فتعذر عليها البقاء في اماكنها ، ولكن المدفعية تكلمت ومهدت السبيل امام القلقين . وكانت المدفعية قاسية رهيبة في اطلاق قذائفها ، فساعدت هؤلاء القلقين على الثبات والتقدم شرقي « كليم اغدان » . واجتازت سائر القوات في ليل ٨—٩ النهر وبلغت ضفاف بلغراد دون ان تجد من الصرب مقاومة اخرى

احتلال بلغراد

وفي صباح ٩ تشرين الاول دخل الفيلق الثاني والعشرون الاحتياطي مدينة بلغراد من جهتها الجنوبية الشرقية ، ورفع العلم الالماني على دار الحكومة فيها ، وما لبث ان وافاه اليها الفيلق الثامن المقبل من الشمال

وكان على الفيلق الذي يتولاه القائد « كوش » من الجيش الحادي عشر ان يجتاز منعطف « رام » . على ان جبل « غوريكا » يشرف على هذا المنعطف من الضفة الصربية ، وعلو هذا الجبل اربعمئة ذراع وعرضه ميل واحد . فطوقه الالمان من الغرب والشمال والشرق باربعين بطارية ، اثنتا عشرة منها من البطاريات الضخمة ، وبطاريتان ونصف بطارية ضخمة جداً . واطلقت المدافع نارها فباتت القذائف في انطلاقها تعقد قباباً بادية للعيان . وتحت هذه القباب مرت



القوات الصربية في اثناء جلائها عن ماروفيتزا

لما احتلت الجيوش الالمانية والنمسية البلاد الصربية اخذ الاهلون والجنود في الرحيل عن ديارهم . وهذا المشهد يمثل لنا شارعاً من شوارع «ماروفيتزا» بادر الصربيون جميعاً الى الانصراف عنه راكنين الى الفرار من بطش الاعداء

الفرقة السائرة في طليعة الفيلق واحتلت في ٧ تشرين الاول الجبل . وتلتها فرقة اخرى لا تنتظر ان يحين الليل ، ولم تنزل بها خسارة . وما اطل المساء حتى كان الالمان قد حشدوا هناك ، في جنوبي نهر الدانوب ، اربع عشرة كتيبة وعدة مدافع جبلية

انتصار يقود الى انتصار

ونجاح «كوش» شدد من عزائم القائد «ونكلر» . فحاول بعد ظهر ٧ تشرين الاول ، تحت النيران الصربية ، وعلى وضح النهار ، ان يجتاز نهر الدانوب من جزيرة «تيميسزيجه» الى الضفة الجنوبية وقد اشرفت عليها اعالي «استار»

وقيض لكتيبة ونصف كتيبة من الفرقة ١٠٥ ان تتسلق الناحية الشمالية من هذه الاعالي . وفي اليوم التالي استطاعت الفرقة البافارية الحادية عشرة ان تتقدم في السهل ثلاثة اميال في طريقها الى «بيتكا» ، فيما الفرقة ١١٥ تتقدم في طريقها الى اعالي «ليستار»

احتلال جزيرة سمندريا

وضمن فيلق القائد «ونكلر» لنفسه اجتياز النهر الى ضفته الجنوبية . وكان على القائد «لوخوف» ان يسير الى جزيرة «سمندريا» فسار اليها تحت نيران عدو يشرف عليه من علو ٢٥٠ ذراعاً

وموعده في القيام بهذه المحاولة اليوم التاسع من تشرين الاول ، الا انه حيال ما لقيت جيوش الائتلاف من فوز استعجل الامر ليلة واحدة . فدفع فرقة الى غربي الجزيرة ليطوق المدينة ، واذا مياه النهر تشح فجأة فيتعذر على السفن المرور فيها . ومن ٢٢ مركباً تقل جنود الفرقة لم ينجح في المرور غير ثمانية . واستقر ٥٠٠ رجلا في الضفة الجنوبية

على حين ان الفرقة الاخرى بلغت شرقي الجزيرة ونزلت في الضفاف دون ما صعوبة . وما دقت الساعة السادسة والنصف صباحاً حتى كانت قوات الفرقة بكاملها ، من مشاة ومدفعية ، على الضفة الجنوبية

في الضباب

وانقضى ذلك النهار في ضباب صفيق ، على ان هذا الضباب ما كاد ينجلي حتى تقدم فيلق «ونكلر» ثلاثة اميال ، وبلغ فيلق القائد «كوش» بقوة وصلابة تشيران الاعجاب اعالي «اناتيما»

وانتشر الجيش الحادي عشر على جبهة عرضها عشرة اميال في

جنوبي الدانوب

وكان الجو ممطراً . فغاصت تلك الانحاء بالاوحال . وفاضت الانهر . وبين الفيضان والاوحال اضطرت المدفعية ان تشق طريقها

الصرب يقاومون ببسالة

وعجز في «بروغار» الفيلق التاسع عشر عن التقدم . فحالت اثنتا عشرة كتيبة صربية دون تقدم كتائبه الثلاثين . فرأى قادته ان يرجعوا به الى بلغراد . والقوات التي احتلت عاصمة صربيا ، وهي الفيلق الاحتياطي الالماني الثاني والعشرون، والفيلق النمسي الثامن، لقيت نفسها امام جبهة صربية منبسطة على ثلاثين ميلا ، عند اعالي «افالا »، بين نهر «ساف» ونهر الدانوب

وهاجم في ١٥ تشرين الاول الالمان والنمسيون هذه الجبهة . وتسنى للالمان ان يخرقوها . وفي اليوم التالي كانوا قد استولوا على نصف تلك المرتفعات . وفي الليل جلا الصرب عنها دون ان يشعر بهم اعداؤهم وتراجعوا اثني عشر ميلا في جنوبي الدانوب

نجاح الائتلاف في كل مكان

ولقي الجيش الحادي عشر كل نجاح ، ففي ١١ تشرين الاول ١٩١٥ استولى القائد «لوخوف» ، وقوته تؤلف في هذا الجيش الجناح الايمن — على «سمندريا» . واستولت في ١٣ قوات القلب تحت امرة القائد «ونكلر» على «باساروفيتز» . وفي اليسار تقدم «كوش» في ناحية جبل «ليبوفاكا» دون ان يلقى مقاومة جدية

وفي ١٤ توالى الهجوم على طول الجبهة . فقاتل «لوخوف» دون ان يتقدم . واضطر «ونكلر» الى خوض معارك قاسية ليحتل الاستحكامات الجنوبية في «باساروفيتز» . على حين ان «كوش» احتل وحده «ليبوفاكا» دون ما قتال

جيش القائد غولويتز

وكان جيش القائد «غولويتز» على بعد خمسة عشر ميلا من جنوبي الدانوب . فامتدت فرقه السبع على جبهة ستين ميلا . بيد انها لم تجد وراءها غير جسر واحد على النهر الفسيح ، مع ان القسم الاكبر من اعتدتها لا يزال على الضفة الشمالية

وهبت العواصف فمنعت المراكب من شق سطح الماء . ومع ان المارشال «ماكنزن» اصر على التقدم فقد اعلن «غولويتز» ضرورة البقاء مكانه وتحصين هذا المكان ، وذلك في اليوم الخامس عشر من شهر تشرين الاول

واخيراً التوى الصرب من تلقاء انفسهم في ليل ١٧ منه تجاه الجيش الثالث . ومشى الالمان على الاثر ، فوقفت ميمنتهم امام نهر «روجلا» وميسرتهم عند «غولياك» . وفي هذه الايام العشرة خسر الجيش الحادي عشر خمسة الاف رجل والجيش الثالث عشرة الاف

مخاوف دول الائتلاف

وسرّ دول الائتلاف هذا الفوز، ولكن ساءها ان لا تتصل قوات القائد «غولويتز» بقوات القائد «كيفيس». فكانت هناك مسافة خمسة عشر ميلا بين الجيشين ، الا انهما اقبل اليوم الثامن عشر من شهر تشرين حتى سد النقص واتصل الجيشان بعضهما ببعض

ثم ان الجيش الثالث تأخر في مسيره الى الجنوب وقد اضطر جناحه الايمن الى مقاومة الصرب في معاقلهم

غير ان الحالة العامة كانت تشير بجلاء الى فوز جيوش الائتلاف. فادركوا النصر في كل مجال وميدان. وكان البلغار قد هاجموا صربيا في ١٤ تشرين الاول، اي انهم تأخروا ثلاثة ايام عن الموعد المضروب لهم . وتقدموا في الجبال. على ان اتصالهم بحلفائهم كان يحتاج الى بعض الزمن

الجيوش الفرنسية في سالونيك

وفي ١٤ منه وردت من اثينا انباء تقول ان الجيوش الفرنسية نزلت في سالونيك شاخصة الى صربيا . ورجا الصرب خيراً . وكانوا قد اقاموا بوجه الجيش النمسي الثالث ٤٨ الف بندقية ، وبوجه الجيش الالماني الحادي عشر ستين الف بندقية ، ومثل هذا العدد بوجه البلغار

وقيل انهم يملكون ٢٤ الف بندقية في الغرب ازاء البوسنه . فلم يبق للمارشال ماكنزن الان يضرب في اقرب آن ضربته انو يهاجم الصرب مندفعاً الى الجنوب

على ان «كيفيس» قائد الجيش الثالث ما برح قلقاً على جناحه الايمن وقد جاءه ان القائد الصربي «ميزيك» ، وهو الذي قهر في سنة ١٩١٤ القائد النمسي «بوتيوريك» ، مقبل بقواته من نهر «ماتشفا» في الشمال الغربي من صربيا ، ومن نهر «درينا» الى اعالي نهر «كولوبارا». ومثل هذه القوات لا يتسنى لجناح الجيش الثالث الايمن ان يصدها. فما كان من القائد «كيفيس» الا ان انجده بالفيلق التاسع عشر.

الصرب يتراجعون ابداً

وبقي الفيلق الاحتياطي الثاني والعشرون والفيلق الثامن .



القوات الفرنسية المقبلة لنجدة الجيش الصربي

فئة من الجيش الفرنسي الذي دعي الى نجدة صربيا في سنة ١٩١٥ وهي فئة من حملة الذخائر تجتاز ناحية كافادار

فهاجما في ٢٠ الصرب المعتصمين بالجبال ، على ان الصرب تراجعوا الى «كوسماج» وتقدم الجيش الحادي عشر بضعة اميال. وامسى القائد «كيفيس» عن اليمين في مستوى القائد «غولويتز» عن اليسار . وامتدت جبهتهما على طول مئة ميل، من نهر «كولوبارا» الى «بك» . فبسطا في هذه الجبهة كتائبهما الثلاثين دون ان يبقيا منها قوة احتياطية . وكان عليهما ان يتابعا هجومهما على الجبهة الصربية، وان يبلغ الجناح الايمن في الجيش الحادي عشر بلدة «كراغيجيفاك»

البلغار في مغامرتهم

قلنا ان البلغار لما اعلنوا في ١٤ تشرين الاول الحرب على صربيا وبدأوا هجومهم كانوا يحسون انهم جازفوا مجازفة خطرة . ففيما يندفعون لمقاتلة الصرب خافوا ان تفاجئهم من الشمال رومانيا ومن الجنوب يونان . ثم ان الروس قد يشنون الغارة عليهم من البحر الاسود ، كما ان الفرنسيين ينفذون اليهم من البحر المتوسط

ولم يكن الجيش البلغاري قد عرف الراحة واستعاد شأنه بعد ما بلي به في حرب ١٩١٣ ، ولولا اعتقاد الملك فرديناند البلغاري ان المانيا هي الظافرة في الحرب الكبرى لماطل كل المماطلة في خوض الحرب

وهو مع اندفاعه في هذه الحرب لم يطرح بين يدي المارشال ماكنزن غير اربع فرق من ست فرق كان قد وعد بها . وقد تألف من هذه الفرق الجيش الاول وعُهد بامره الى القائد «بوغادياف» . وتألف الجيش البلغاري الثاني تحت قيادة «تودوروف» من فرقتين من المشاة وفرقة من الفرسان ولواء من المتطوعين المكدونيين . على ان هذا الجيش كان مستقلا كل الاستقلال عن القائد «ماكنزن» وقد اتجه في مسيره الى الجنوب لمهاجمة مكدونيا الصربية . ومما تولى من مهمة ان يقطع الخط الحديدي بين «نيش» وسالونيك ، فيمنع قوات الحلفاء من الاتصال بصربيا

وتألف الجيش الثالث من فرق تولت مهمات مختلفة . فوقفت الفرقة الثانية منه على الحدود اليونانية على استعداد لنجدة جناح القائد «تودوروف» الايسر على ضفاف نهر «ستروميتزا»، وعسكرت الفرقة العاشرة على شواطىء بحر الارخبيل ، والرابعة في «شوملا» والخامسة على الحدود الرومانية ، والحادية عشرة ما برحت رهن التأليف

والحدود الصربية البلغارية تنبسط بين رومانيا ويونان على فسحة ٣٥٠ ميلا من الجبال الوعرة ، المرتفعة بعض قممها الى الفين

وخمسمئة ذراع ، والقائمة فيها اودية خالية من الطرق،ما عدا الطريق الممتد بين « نيش » وصوفيا السائر بجانبه خط حديدي

وهذا الطريق الوحيد يحميه حصن « بيرو » . فصمم البلغار على ان يجتازوه ويندفعوا الى « نيش » من الناحية الشمالية الشرقية

وكان الجيش البلغاري الاول قد وجه الى الشمال فرقته السادسة. فدفع ثلثها الى ناحية «نيغوتان »والثلثين الآخرين الى «زيتشار». ودعيت الفرقتان الثامنة والتاسعة من «بيلغرادكيك» الى بلوغ «كنياجيفاك» والالتفاف على «بيرو» من الشمال. وقضي على الفرقة الاولى ان تجابه «بيرو» نفسها سالكة الخط الحديدي ولديها الشطر الاكبر من المدفعية الضخمة .

بدء المعركة

وضاعت الجبال بين الضباب . وتقدم الجنود تحت المطر والثلج . وكانوا بحاجة الى مركبة تجرها الثيران لحمل ٤٠ قذيفة من قذائف المدفعية الخفيفة . فما تقدموا بسوى بطء شديد . وذخيرتهم قليلة ، ولم تكن ذخيرة جيدة ، عدا ان الصرب كانوا يقاتلونهم بصلابة واستبسال

وانقضى اسبوع كامل على نزول بلغاريا الى ميدان القتال دون ان يتسنى لجيوشها الاستيلاء على تلك المواقع الصغيرة البعيدة عشرة اميال او خمسة عشر ميلا عن حدودها . فما بلغت « نيغوتان » ولا « زاجيكار » ولا « بيرو »

غير انها في الجنوب لقيت قوات ارخص عوداً . فقطعت فصيلة من الفرقة الثالثة الخط الحديدي بين «نيش» وسالونيك . وفي ٢٠ بلغت « كومانوفو » . وفي اليوم نفسه قطعت الفرقة السابعة الخط نفسه في «فيليس» . وفي ٢١ سارت الفرقتان الى احتلال مدينة «اسكوب» وفي ٢٣ احتلتاها . وتسنى لهما قطع الخط على طول مئة ميل

الاصطدام بالجيش الفرنسي

وفي الجنوب الاقصى انتهى المتطوعون المكدونيون الى ضفاف نهر « ستروميتزا » واصطدموا بالقوات الفرنسية المقبلة سريعاً من سالونيك والمحتلة ضفاف نهر «فردار» اليسرى،من بلدة «كريفولاك» حتى بحيرة «دوران»

وهذه القوات رأس جيش القائد ساراي . فان هذا القائد بعد استدعائه في ٢٢ تموز ١٩١٥ من قيادة الجيش الثالث في فرنسا تولى قيادة حملة الشرق وحل فيها محل القائد غورو الجريح . على انه لم يرض هذه القيادة الا اذا تألف جيش يقبض على زمامه . فاجيب الى مطلبه . وفي ٥ آب ابلغته وزارة الحرب انها فوضت اليه قيادة جيش الشرق . وفي اواخر ايلول تبلغ ان هذا الجيش لا يشخص الى الدردنيل بل الى سالونيك . فابحر في ٧ تشرين الاول وبلغ سالونيك في ١٢ منه ولقي في سالونيك الفرقة ١٥٦ للقائد «بايو» الفرنسي، والفرقة الانكليزية الحادية عشرة. وفي اواسط تشرين الاول اقبلت الفرقة ٥٧

مطلب الصرب من فرنسا

ورجا الصرب ان تصل القوات الفرنسية سريعاً الى نيش . وابلغ ذلك المارشال « بوتنيك » القائد ساراي فاجاب القائد الفرنسي: «ليس بالامكان بلوغ «نيش» بما لدي من قوات دون ان اتعرض لمغامرة مجهولة المصير». وكل ما فعل انه دفع الى « كريفولاك » لواء من الفرقة السابعة والخمسين بعد ما امست جاهزة للقتال ، اي في ١٩ ـ ٢٠ تشرين الاول

ودعيت فرقة القائد «بايو» الى مساعدة الصرب على ضفاف نهر « فاردار » في جهة محطة « ستروميتزا » . فهاجمها البلغار على طول جبهتها من « غراديك » الى « تترلي » . وفي ٣١ اقبل لواء انكليزي يدعمها من اليمين ، في الخط الثاني من منطقة « دوران ». وبعد ايام اقبل لواء آخر . وفي اول تشرين الثاني كانت القوات الاولى من الفرقة الفرنسية ١٢٢ تنزل في سالونيك

هجوم القائد ساراي

والاستمرار في ايفاد النجدات ساعد القائد ساراي على القيام بالهجوم ، ولكن اي هجوم يستطيع القيام به سوى احتلاله مدينة « ستروميتزا » البلغارية واستدراج القوات البلغارية اليها ؟...

وفي ٣ تشرين الثاني اطلق القائد الفرنسي الفرقة ١٥٦ في وجهة جبل « كوستوريتو » المشرف على مدينة « ستروميتزا » ، فاستولى الفرنسيون على قريتي « ماميسكي » و « كاجالي » ، ثم على قرية « اورمانلي » ، على انهم لم يبلغوا القمة التي يندفعون اليها

وفي ٦ تشرين الثاني حال اكفهرار الجو دون متابعة القتال

وكان القائد « ساراي » قد امر في ٣٠ تشرين الاول الفرقة السابعة والخمسين المقيمة عن يساره بالاستيلاء على جسور نهر «سرنا». وفي اليوم الخامس من هذا الشهر دفع قواته الى مهاجمة مؤخرة البلغار الذين يقاتلونه في « بريلب »

وفي ٩ منه كان الفرنسيون يستولون على «مرزيا» و «كروسانيكا» و «سيركوفو» الواقعة غربي نهر «سرنا» وفي ١٠ استولوا على «سيسافو»



فصيلة من القوات الروسية في باريس تحتفل بعيد ١٤ تموز

في عيد ١٤ تموز ١٩١٥ حفلت باريس بقوات مختلفة من جيوش الحلفاء للاحتفال بعيد الجمهورية الفرنسية . والجنود الظاهرون في هذا الرسم من الروس ، وقد اسرعوا من بتروغراد للاشتراك في عيد الحرية في فرنسا

غير ان الصرب انهزموا ، وهزيمتهم ذهبت بكل فائدة بدرت من الفرنسيين في دحرهم البلغار

التقدم ٣٠ ميلا

بعد خمسة عشر يوما من بدء الهجوم على الجبهة الشمالية تقدم الالمان والنمسيون ثلاثين ميلا . وباتوا على مقربة من خط « ارانجيلوفاك — بتروفاك » وقد عينه المارشال ماكنزن نفسه كهدف اول للهجوم

على ان غنائمهم كانت قليلة . فوقع بين ايديهم خمسة آلاف اسير وثلاثون مدفعاً قديماً . وكل ما تسنى لهم اصلاحه طرق المواصلات في نهر «ساف» ونهر الدانوب . فان هذه الطرق تخللتها في البدء العقبات، فاجتهدت قوات الائتلاف في تذليلها . وتسنى ذلك لها . فاضحى كل جيش يملك جسرين

اوامر المارشال ماكنزن

وفي ٢٢ تشرين الاول كان المارشال ماكنزن قد دعا الجيشين الثالث والحادي عشر الى دفع الصرب الى وسط البلاد ودحرهم .

ووضع لهذين الجيشين خط «رودنيك - سيوتيكا» هدفاً يجب عليها بلوغه . فيمشي الجيش الحادي عشر عن جانبي نهر « مورافا » ويبسط يده للجيش البلغاري الاول المفروض عليه بلوغ خط «اليكسيناك - نيش»

فتقدم قائدا الجيش الثالث والحادي عشر، وهما القائد « كيفيس » والقائد «غولويتز»، تحت الامطار. وكانت ترد عليها المؤن بطارق صعبة فتغرق المركبات في الوحل ولا تستطيع الدفعية ان تتقدم في الساعة ما يزيد على مسافة ميل واحد

فوز البلغار

منذ بدء القتال دفع الجناح الايمن من الجيش البلغاري الاول حملتين من قواته الى ميدان القتال، فسدد احداهما الى «نيغوتان» والاخرى الى زاجيكار

وفي ٢٢ تشرين الاول كانت المدافع البلغارية ترشق «نيغوتان» بقذائفها وتحرقها ، وفي ٢٤ احتلها البلغار

وامام « زاجيكار » ، وهي القريبة من الحدود ، هاجم البلغار منذ ١٥ تشرين الاول الاعالي الشرقية والجنوبية الشرقية ، بيد انهم لم ينجحوا في الاستيلاء على المدينة في سوى اليوم السابع والعشرين

الصرب يفوزون ثم ..

وعلى مرحلة من جنوبي «زاجيكار» تقوم بلدة «كراليافو — سيلو»، فاتجهت الى احتلالها حملة بلغارية ثالثة، على ان هذه الحملة ما استطاعت اجتياز الحدود قبل اليوم التاسع عشر من شهر تشرين الاول، وما لبثت وقد اجتازت الحدود ان اصطدمت بقوة صربية ارجعتها القهقرى سبعة اميال. غير ان هذا الفوز لم يعرف له الصرب مثالا آخر. فالبلغار عادوا يملكون النصر. وفي ٢٢ كانوا قد احتلوا «كراليافو — سالو» وقطعوا نهر «تيموك» واستقروا في اعالي الضفة الاخرى من النهر

وفي جنوبي «كراليافو - سالو» تقوم بلدة «كيناجيفاك». والبلغار بدأوا هجماتهم عليها في ١١ تشرين الاول، اي قبل اعلان الحرب بثلاثة ايام. وهاجموها من موقعين، من ولجات «كاديبوغاز»، ومن الشمال وقد توغلوا ميلا في الديار الصربية، وظلوا يتقدمون حتى بلغوا قمة «غراديسكا تشوكا» وعلوها الف ومئة ذراع، غير ان الصرب اقصوهم عنها

ونشبت في الايام التالية معارك شديدة. وفي ٢٢ وردت برقية من صوفيا تعلن ان البلغار نجحوا في اجتياز نهر «تيموك» في شمالي «كنياجيفاك» وانهم احتلوا «ليبينا»، ويهددون بقطع طريق «ألكسيناك» بين «تشيتياك» و «توبل»، وان الصرب التووا الى اليسار وقد بانت هزيمتهم راجحة

هذه هي البرقية الواردة من بلغراد، وفي ٢٦ تشرين الاول كان البلغار يحتلون «كنياجيفاك»

قلق المارشال ماكنزن

ونظر المارشال ماكنزن بقلق الى تقدم البلغار البطيء. فان وقوف الجناح الصربي الايمن امامهم تلك الوقفة الصلبة يمهد للقوات الصربية الكبرى النجاة ويحول دون خطة التطويق المقررة

ولاح للطيارات وراء الجبهة الصربية صف من سيارات الشحن يبلغ طوله ثلاثين ميلا يتجه الى الجنوب، فلم يكن من المارشال «ماكنزن» الا ان عمد فجأة الى تبديل خطته الحربية، واحترم الاسر بدل التطويق

واذاع في ٢٦ تشرين الاول امراً دعا به قوات القلب في جيشي القائد «غولويتز» والقائد «كيفيس» الى افتتاح طريق «كراغيجيفاك» واحتلال المدينة.

والهدف الاول الواجب على هذين الجيشين بلوغه الوقوف على بعد عشرة اميال من «كراغيجيفاك»

وفي ٢٨ كان الجيش الثالث يبلغ هدفه، باحتلال اعالي «رودنيك»، على ان الجيش الحادي عشر اصطدم بمقاومة تشير الى قرب مواقع القتال الصربية، ولم يكن منه في آخر النهار الا ان قذف بالقوات الصربية الى وادي «ريزافا»، وبات على بعد ٢١ ميلا من شمالي «كراغيجيفاك» نفسها

واتصل جناحه الايمن بجيش القائد «كيفيس» في «زليتوفو» واتصل في شمالي «نيغوتان» جناحه الايسر بالبلغار

وخلا الجو امام البلغار، ومخافة ان يبيت الصرب بين نارين تراجعوا وهم على يقين ان ثباتهم امام اعدائهم امسى من المحال



الأسرار

العدد الثامن عشر



باب السلام في الروضة المطهرة في المسجد الأقصى

جمال باشا يخرج من حفلة دينية تتقدمه الاعلام

ثمن النسخة
١

الاسرار

مجلة اسبوعية تاريخية تبحث في التاريخ وما اهمله التاريخ

اصحابها : انطون صادر ، كرم ملحم كرم ، فؤاد ميداني

رئيس الانشاء المسؤول: كرم ملحم كرم — منشىء القسم الشرقي: فؤاد ميداني

المكاتبات باسم مدير المجلة : انطون صادر

الادارة مكتبة صادر * شارع اللنبي * بيروت

العدد ١٨ بيروت في ١ آب سنة ١٩٣٨

اسرار الجاسوسية في القضية العربية

بقلم فؤاد ميداني

جاسوس الماني يحارب الالمان في سبيل الانكليز و يفضح الاسرار

الجاسوس يخدع ليمان فون سندرس واحمد جمال

فون ماير يصبح عثمان اغا

بدأ الجواسيس الذين اوفدتهم انكلترا الى البلاد العثمانية اعمالهم جدياً يوم اعلنت الحرب العالمية

على حين ان الاتراك اخذوا يقاومون الجواسيس في اول عام ١٩١٥

دار مقاومة الجاسوسية

ويذكر قراء «الاسرار» ان الحكومة العثمانية بعد ما ولت بهاء الدين شاكر بك رئاسة مصلحة الجاسوسية العليا في السلطنة بكاملها انتدبت حسام الدين كامل بك لرئاسة «شعبة مقاومة الجاسوسية» وخولته اختيار عماله ، كما اوجبت عليه ان يختار مساعديه في اقرب فرصة ، على ان يباشروا عملهم في نهاية عام ١٩١٤

واختار حسام الدين هؤلاء المساعدين ممن وثق بهم واطمأن الي اخلاصهم

رئيس فرع فلسطين

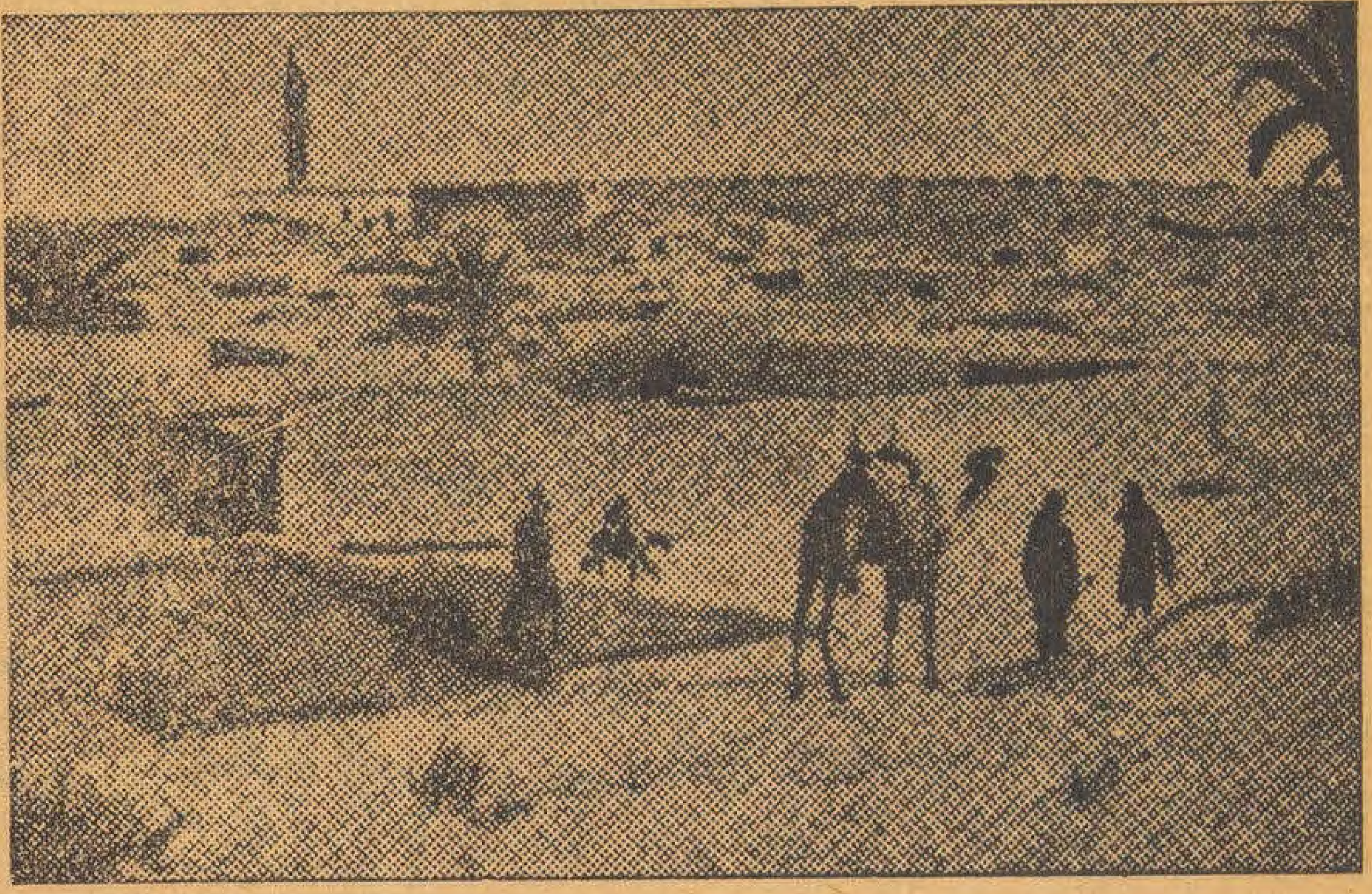
فكان رئيس مصلحة مقاومة الجاسوسية في فلسطين البنباشي



بهاء الدين شاكر

الرئيس الاعلى لمصلحة الاستخبارات في السلطنة العثمانية

عدنان بك،وهو من الضباط الذين كان يعتمد عليهم حزب الاتحـاد والترقي . وكلفته دار الجاسوسية الانتقال الى حدود مصر ، وكان الاتراك هناك شديدي الاهتمام بكتمان حركات جيوشهم



قلعة النخل في صحراء سيناء

في جوار هذا المركز العسكري وقعت حادثة حريق المعسكر الالماني المريب كما يطالع ذلك قراء « الاسرار » في هذا العدد

المهمة الاولى

وفي اليوم العاشر من شباط سنة ١٩١٥ كان عدنان بك في قلعة النخل .واذا اصوات الاستغاثة تتعالى من الجهة الجنوبية ، فهب يتلفت الى مصدر الصياح واذا به يشاهد النار تشتعل في معسكر الالمان

المعسكر الالماني تلتهمه النيران

والمعسكر الالماني بناء خشبي حديث الصنع مؤلف من عـدة غرف محاطة بالاسلاك الشائكة اتخذها الهر « فون موزيل» قاعدة له

والهر « فون موزيل » من الضباط الالمان الذين الحقوا بمصلحة الاستخبارات الالمانية في فلسطين واتخذ له الجهة الغربية من المعسكر مقراً . وقد اقام فيها مع ثلاثة من معاونيه وعدد قليل من الجنود الالمـان . ولم يكن هناك من الالمان سواهم ، خصوصاً والجنود الالمانية لم تكن قد وصلت الى تلك الجهات

وهذا البناء الخشبي اشتعلت فيه النار . فاسرع اليه عدنان بك كما اسرع الجنود والضباط ، ولكن الحالة دلت على ان الموقف بات شديد الخطر ولم يبق بالامكان اطفاء الحريق ، ومع هذا دعا عدنان بك رجاله الى الاسراع في نجدة الالمان واطفاء النار

موقف الالمان المريب

على انه لدى اقترابه من النار بوغت بمشهد راعه . فقد لقي الهر «فون موزيل» ومن معه يحيطون بالمكان وهم بملابس النوم وبايديهم المسدسات يهددون بها كل من يحـاول الاقتراب من مقرهم المشتعل باطلاق الرصاص عليه

فحار عدنان بك في ما يرى . فكيف يقدم هؤلاء على تهديد من يسرع الى نجدتهم بالقتل ؟

وخشي عدنان بك ان يكونوا اصيبوا بمس من الجنون ، كما انه افترض ان هناك سراً خطيرا . فلا يعقل ان يرضى ضابط باحـتراق معسكره ويقف حياله مكتوف اليدين. وساورت الظنون عدنان بك .

ونفد صبره فاقترب من « فون موزيل » وسأله عن الدافع الى هـذا التدبير، فرفض الضابط الالماني الايضاح قائلا انه ليس مسؤولا تجاهه ليقدم له حسابا عن اعماله.

ولكن الجواب لم يرق عدنان بك، فأعلن قائلا : انا المسؤول في هذه المنطقة عن مثل هذه الحوادث ، فأذا لم تقدم لي ايضاحا موافقاً اراني مضطراً الى اعتقالك مع رفاقك بتهمة احراق هذه المستودعات عمداً . وانت حر بعد ذاك في العمل بما تريد !

الذهب سبب ذلك

ولكن « فون موزيل » كان في حالة تمنعه من المقـاومة . ولم يكن يجهل انه اذا كتم الحقيقة عن عدنان بك اعتقل وليس بوسعه مقاومة القائد العثماني،ولهذا اجاب:

ــ لما جئت من استانبول حملت معي صندوقين كبيرين يحويان ٣٠ الف ليرة ذهبية . وقد امرتني القيادة العليا بان استعين بهـا في ما يتصل بجيوشنا من شؤون الاستخبارات . وقد صرفت في اثنـاء المدة القصيرة التي قضيتها في هذه المنطقة مبلغاً قليلا من المال ولا يزال لدي القسم الاكبر محفوظاً في عدة صناديق صغيرة القيتها في حجرة رقادي تحت سريري

« ولما نشب الحريق لم يكن لدي الوقت الكافي للوصول الى هذه الدراهم وقد شبت النار فجأة وانتشرت في كل مكان

« فخشيت ان اسمح لاي كان باطفاء النـار مخافـة ان تستولي الايدي على صناديق الذهب . فاتخذت الحيطة التي ترى

« انا على ثقـة بان الحريق لن يؤثر في الذهب ، وان بامكاني الحصول عليه حتى ولو ذاب . اما اذا اجزت لكل هؤلاء المقبلين

الينا اطفاء النار ، وليس بالامكان اطفاؤها ، فقد اصاب بالخسران !

اعمال الالمان السرية

وهذا الايضاح من جانب الهر « فون موزيل » يدل على امور



حريق المعسكر الالماني في قلعة النخل

رسم نادر اخذته احدى الطائرات العثمانيـة من الجو لما شب الحريق في المعسكر الالماني في جوار قلعة النخل ويرى في هذا الرسم المعسكر الالماني تلتهمه النار

يجب اعلانها

اولا — اعتمد الالمان على بذر الذهب في البلاد العثمانية دون ما حساب منذ نشوب الحرب العالمية ، وذلك لهوى في النفس

ثانيا — لم يكن للالمان ان يتدخلوا في شؤون الاستخبارات ومحاولة استمالة العشائر واستخدام الجواسيس بصورة مباشرة . وهذا ما تشير اليه الاوامر العثمانية الصريحة . فالعثمانيون كانوا يدفعون من صندوقهم نفقات مصلحة الاستخبارات الالمانية، فما معنى وجود الذهب مع الهر فون موزيل بمثل تلك الكمية ؟

ثالثاً — أيكون ثمة هدف آخر يدعو الى منع اطفاء الحريق؟ وما هي اسرار هذه القضية الغريبة ؟

هذا ما تبادر الى ذهن عدنان بك لما سمع بيان القائد الالماني ومع هذا سكت يرقب معرفة النتيجة بعد اطفاء النار ليتبين الحقيقة

ولكي يخفي سوء ظنه دعا هؤلاء الالمان الى مقره والبسهم لباس الضباط العثمانيين . وكان البرد شديداً قارصاً في المساء فوفر لهم بعض الكحول ، واقام قوة من جنوده حول مكان الحريق وزودها بالاوامر المشددة لمنع اي كان من الاقتراب من منطقة النار ، وهددها بالاعدام اذا بدرت منها اي مخالفة كانت

وانصرف الى خيمته ينتظر طلوع الصباح

اين الذهب ؟

وكان اول ما فعله عدنان بك ان سار لدى شروق الشمس ، في صباح ١١ شباط سنة ١٩١٥ ، الى مكان الحريق وقد اقبل خمسة عشر عاملا من مفرزة الاستحكامات لرفع الانقاض

وتناول هؤلاء معاولهم ، الا ان الشبكات الحديدية المشيد عليها البناء منعت الاسراع في العمل ، خصوصاً وليست هناك آلات كافية لتساعد على الانتهاء في ذلك اليوم من مثل تلك المهمة . فلقي العملة مشقات شديدة وحر صحراء سينا يلفحهم في النهار . مع ان الفصل فصل الشتاء

فاضطر القائد العثماني الى وقف العمل الى اليوم التالي ، ولم ينس ان يعود ويقيم نطاق الحصار حول هذه المنطقة المحترقة

وعادت التحريات في اليوم الثاني الى مجراها ، وتوالت في اليوم الثالث دون ما جدوى ، فلم يعثر العملة على اثر للذهب ، مع انهم قلبوا المنطقة رأساً على عقب . ولو كان الذهب موجوداً حقاً لظهرت آثاره ، فلا يمكن لمثل هذا المبلغ الكبير ان يختفي كأنه لم يكن

اين ذهب الذهب ؟

والتفت عدنان بك الى الالمان فلم يجد في ملامحهم ما يدل على التأثر . مع ان المبلغ المفقود عظيم . فوقف حائراً يسأل رفاقه الضباط عن تلك الثروة الضائعة

ومن حقه هذا التساؤل، فمن الضرورة ان يعلم :

اولا — أصحيح ان هناك ذهباً ؟

ثانياً — هل تصرف هؤلاء الالمان بالذهب ثم عمدوا الى اخفاء آثار الجناية باضرام النار ؟

ثالثاً — لماذا منعوا الاقتراب من مكان الحريق؟

اللغز في طريق الحل

وفي اليوم الخامس على هذا الحادث وردت برقية من استانبول هذا نصها :

« الى البنباشي عدنان بك (محرمة ومستعجلة جداً)

« لدى الالمان شخص يدعى «ماير» يزعم انه من ضباط آلاي الفدائيين «الهوسار» الالمان .هذا الرجل ضابط زائف فار من الخدمة العسكرية ، وهو شديد الخطر ، عليكم ان تقبضوا عليه وتسوقوه الى اقرب مكان للقيادة الالمانية لاعادته الى بلاده

حسام الدين كامل »

من هو ماير؟

وماير هذا من رجال دار الاستخبارات الانكليزية المعروفة باسم « انتاليجانس سرفيس ».وهو يهودي المذهب ، الماني التبعة ، استخدمه الانكليز في مصلحة الاستخبارات قبل اعلان الحرب العالمية نوفر لهم الخدم الكبرى

الا ان امره ما لبث ان افتضح ففر من بلاده وقامت مصلحة مقاومة الجاسوسية بمطاردته في المانيا على غير طائل ، اذ ان هذا الجاسوس الماهر حصل على تذكرة نفوس زائفة مكنته من الفرار من المانيا الى السلطنة العثمانية

فطلبت منه الجاسوسية الانكليزية العمل في جبهة فلسطين لتزويدها بما تحتاج اليه من انباء استعداد العثمانيين والالمان في تلك الانحاء فلبى الطلب

فتمكن في استانبول بالاعتماد على اوراقه الزائفة من خديعة المشير « ليمان فون ساندرس » باشا والسفر الى فلسطين ،وفيها اشتغل في خدمة القائد « فون كريس» باشا،فاعجب القائد بذكائه ومقدرته وقد كان يوافيه بالانباء الكاذبة عن استعداد الانكليز في قناة السويس وعرف كيف يخدعه بها

كيف خدع ماير فون كريس ؟

و « ماير » من الرجال البارعين في الجاسوسية . فاقنع « فون كريس باشا ان ما يحمله اليه من الانباء هو الصحيح . ومضى في الخدعة قائلا ان اصله اليهودي يساعده على الوصول الى ما يشاء من الانباء بالاتكال على رفاقه اليهود في مصر الخاضعين له . وفي وسع

gâhına "gayet mahrem ve müsta - celdir,, kaydile şifreli bir telgraf - name gelmişti. Bu telgrafnamede deniliyordu ki:

"Almanların yanında (Meyer) isminde ve Almanyanın "ölüm hosarları,, alayına mensup olduğu nu iddia eden bir zabit vardır. Bu adam sahtekârdır, Alman ordusun dan kaçtığı için asker kaçağıdır.

الماني وجاسوس على الالمان

تمثل هذه الوثيقة نص البرقية التي طيرت الى عدنان بك وفيها اتهام فون ماير الالماني بالجاسوسية على بني قومه الالمان تهمة صريحة

هؤلاء اطلاعه على ما يشاء من الاخبار

وابرز له رسائل من صنع مصلحة الجاسوسية الانكليزية حاملة تواقيع افراد من اليهود المنتمين الى هذه المصلحة في مصر لتأييد رواياته.

وهكذا تمكن « ماير » في مدة قريبة من امتلاك النفوذ في الصفوف الالمانية ، وما لبث « فون كريس » ان ألحقه بخدمة الهر « فون موزيل » رئيس مصلحة الجاسوسية الالمانية في الجبهة ، مما ساعده على توفير كل خدمة للانكليز

ماير سبب فشل الحملة

و « فون ماير » من العوامل الاساسية في فشل حملة قناة السويس الاولى . فالانباء التي خدع بها « فون كريس » باشا اوهمت القائد الالماني ان الانكليز في حالة يرثى لها . ومما ابلغه ان الانكليز ليسوا على استعداد للقتال . وجاءه بتقرير مزور ادعى انه ورد عليه من احد جواسيسه . وفي التقرير خارطة زعم انه سرقها من القيادة العليا . وهناك تقارير ادعى انها وصلت اليه من مصر وقد رفعها الخبراء العسكريون الى القيادة الانكليزية يعلنونها فيها ان الكشف الفني اثبت ان ليس بامكان القطع الحربية البحرية القيام بحركات حربية في منطقة قناة السويس

كيف افتضح ماير؟

وتسنى للكولونل «فرانكنبرغ»، رئيس اركان حرب الجيش الرابع، ان يطلع على الانباء التي استند اليها فون كريس باشا في حركاته على



ليمان فون ساندرس باشا

المشير الالماني الذي تمكن الجاسوس «مابر» من خديعته

ضفاف قناة السويس . وعلم منه ان الماجور «فون برومن» زوده بهذه الانباء . فراجع القيادة الالمانية بامر هذا «الماجور» فلم تجد له اسماً في جداول الضباط ، الا ان المارشال «فون ساندرس» باشا تذكر ان رجلا المانياً اقبل اليه يحمل هـذا الاسم ، فخاطب في الامر برلين فورد الجواب ان القيادة العليا لم توفد من برلين ضابطاً يدعى المـاجور «فون برومن». وكل ما تذكر ان رجلا فرّ في ذلك التاريخ من الجيش يحمل اسم «ماير»، وارسلت اوصافه الى فون ساندرس باشا فاذا هي تنطبق على اوصاف « فون برومن » ، فلم يبق من سبيل الى التردد في امر «الماجور» . فهو الجاسوس الذي تطارده الحكومة الالمانية. وعلى الاثر ابرق حسام الدين كامل الى عدنان بك بالامر ، كما ورد في البرقية التي نشرنا في ما سبق نصها مع رسمها الزنكوغرافي

اين الذهب؟

و «فون ماير» ادرك بعد فشل حملة قناة السويس ان موقفه بات خطراً عليه . وما وصل اليه من التقارير السرية دله على ان الالمان بدأوا يشعرون بيد غير مخلصة في المعسكر تسرق اسرارهم وخططهم الحربية وتوافي بها الاعداء

ولما كانت الانباء التي اعتمد عليها «فون كريس» هي من «ماير» دون سواه تراءى للجاسوس ان لا بد للقائد الالماني من ان يشتبه به، وعند ذاك يشتد عليه الخطر ، فقرر اتباع خطة تساعده على النجاة

وفيما يفكر في هذه الخطة اقبل ثلاثة من الاعراب، من رؤساء القبائل في جهات قلعة النخل، على « فون موزيل » وخرجوا يحملون ذهباً. فادرك ان رئيسه يحمل كميات وافرة من الذهب، واغتنم فرصة غياب رئيسه عن مقره في صباح ١٠ شباط ١٩١٥ لزيارة المخيم العثماني. فدخل غرفة رقاد القائد وتحراها وعثر فيها على الصناديق الذهبية. فنقلها بهدوء ،ودون ان يشعر به احد ، الى غرفته المجاورة لغرفة « فون موزيل ». وفي المساء حمل هـذه الصناديق الذهبية الى مكان بعيد عن المعسكر ودفنها في التراب ثم عاد ادراجه

جريمة الحريق

واعتزم اضرام النار في المعسكر الالماني لاخفاء جريمة السرقة وما تردد في العمل. فتناول في الليل، والكل نيام ،صفيحة من الزيت وسكبها من الداخل على اطراف المعسكر واشعل فيها النـار . وما بدت له النار مشتعلة حتى اخذ في الصياح يوقظ كل من في المعسكر. فهب « فون موزيل» من رقاده . ولما ايقن ان ليس بوسعه اطفاء النار ولا مضخات لديه فكر في انقـاذ الذهب واتخذ ذلك الاستعـداد الخطير لحماية السبائك الذهبية

بعد برقية استانبول

وعدنان بك وقد ارتاب في الالمان كما سبق لنا ايضاحه لم يسعه بعد هذه البرقية الواردة عليه من استانبول الا ان يدعو اليه « فون موزيل » ويعرضها عليه

و « فون موزيل » كان يجهل حقيقة « ماير » الجاسوس . فلما اطلع عليها اعتزم ان يخاطب استانبول لمعرفة الحقيقية منها . فعاد الى مقره في المعسكر العثماني ونادى اليه « فون ماير » نفسه واطلعه على البرقية الواردة على عدنان بك وطلب منه ان يضع برقية « شيفره » يطيرها الى استانبول للحصول على ايضاح واف عن ذلك الجاسوس

فلم يظهر « فون ماير » ادنى اضطراب ولا تلجلج، بل اسرع الى تنظيم البرقية وسلمها الى « فون موزيل » لتوقيعها، ونادى جندياً واعطاه البرقية كي يحملها الى اقرب مركز للبرق في تلك الانحاء

فرار ماير

ولزم «فون ماير» او «فون برومن» كما سمى نفسه في المعسكر الهدوء التام لاعتقاده ان مراكز البرق بعيدة جداً عن قلعة النخل، وان ليس بالامكان ورود الجواب قبل يومين، وفي خلالهما يكون المجال فسيحاً للفرار

وبوسع «فون ماير» ان ينتقل الى الضفة الاخرى من قناة السويس والالتجاء الى اسياده الانكليز وهو على يقين انهم يستقبلونه بحفاوة، الا انه خاف ان تخلو يداه من الذهب المسروق، والذهب لديه المعبود الاكبر. ثم هو اذا حمل هذا المال الى مصر قد يتهمه الانكليز بانه خانهم في مقابل تلك الكمية من الذهب ويستولون على المال منه. ولم يكن يرضى لنفسه ان يعترف لهم بانه سرق المبلغ فينزل به احتقارهم وهو سارق وجاسوس. ولذلك قرر البقاء في فلسطين لسببين:

الاول — اعتقاده التام انه يجد في القدس مكانا يخفي فيه الذهب

الثاني — متابعة خدمته للانكليز واكتساب عطفهم ومالهم

وما كاد يخيم مساء ١٧ شباط سنة ١٩١٥ حتى غادر المعسكر دون ان يشعر به احد، وفك هجيناً من عقاله وسار الى حيث اخفى صناديق المال والقاها الى الهجين وتبطن الصحراء وهو يرتدي ملابس الضباط الالمان ووجهته القدس

مع جمال باشا وجها لوجه

وماير جسور. فهو من المغامرين الذين لا يتراجعون في ما يقدمون عليه. فاندفع في صحراء سينا مع يقينه ان السير في قلب الصحراء يعرضه للمخاطر

وضل عن الطريق. وخاف ان يعود من حيث اقبل وهو يعلم ان العودة معناها القضاء عليه.

وحل العصر فلاحت له عن بعد قافلة تجوب الصحراء فرقبها واذا به امام موكب احمد جمال باشا

فخاف العاقبة. وخوفه لم يكن من جمال باشا وهو على يقين ان جمالا لا يقوى على ايذائه، بل خاف ان يكون هناك الكولونل «فرانكنبرغ» وان يكون هذا القائد الالماني مطلعاً على حقيقة الامر وادرك ان عليه الاقتراب من الموكب، فلا بد انهم شاهدوه، فاذا ابتعد ارتابوا فيه وربما طاردوه وقتلوه. واذا قبضوا عليه حياً نحروه. وموقفه يبدو عندئذ شديد الخطر. فمن الراهن ان يعثروا معه على الذهب. وحكاية الذهب المفقود من المعسكر الالماني باتت معروفة من الجميع

فوقف ماير، حتى اذا وصل الموكب تقدم علي فؤاد بك من الضابط الالماني وسأله عما يدعوه الى اجتياز الصحراء. فاجاب:

— انا موفد الى القدس لمقابلة فرانكنبرغ!

— رئيس اركان حرب القيادة؟

— اجل!



رئيس اركان حرب الجيش الرابع

الكولونيل «فون فرانكنبرغ» رئيس اركان حرب احمد جمال باشا واول من اشتبه بالجاسوس «ماير» العامل لمصلحة الانكليز

— سبقنا بقليل، واعتقد ان ليس بامكانك اللحاق به في الطريق!

— لست اجهل ذلك. وكان علي ان اراه قبل سفره، ولكنني ضللت الطريق!

— بامكانك مرافقتنا، نحن في موكب القائد جمال باشا!

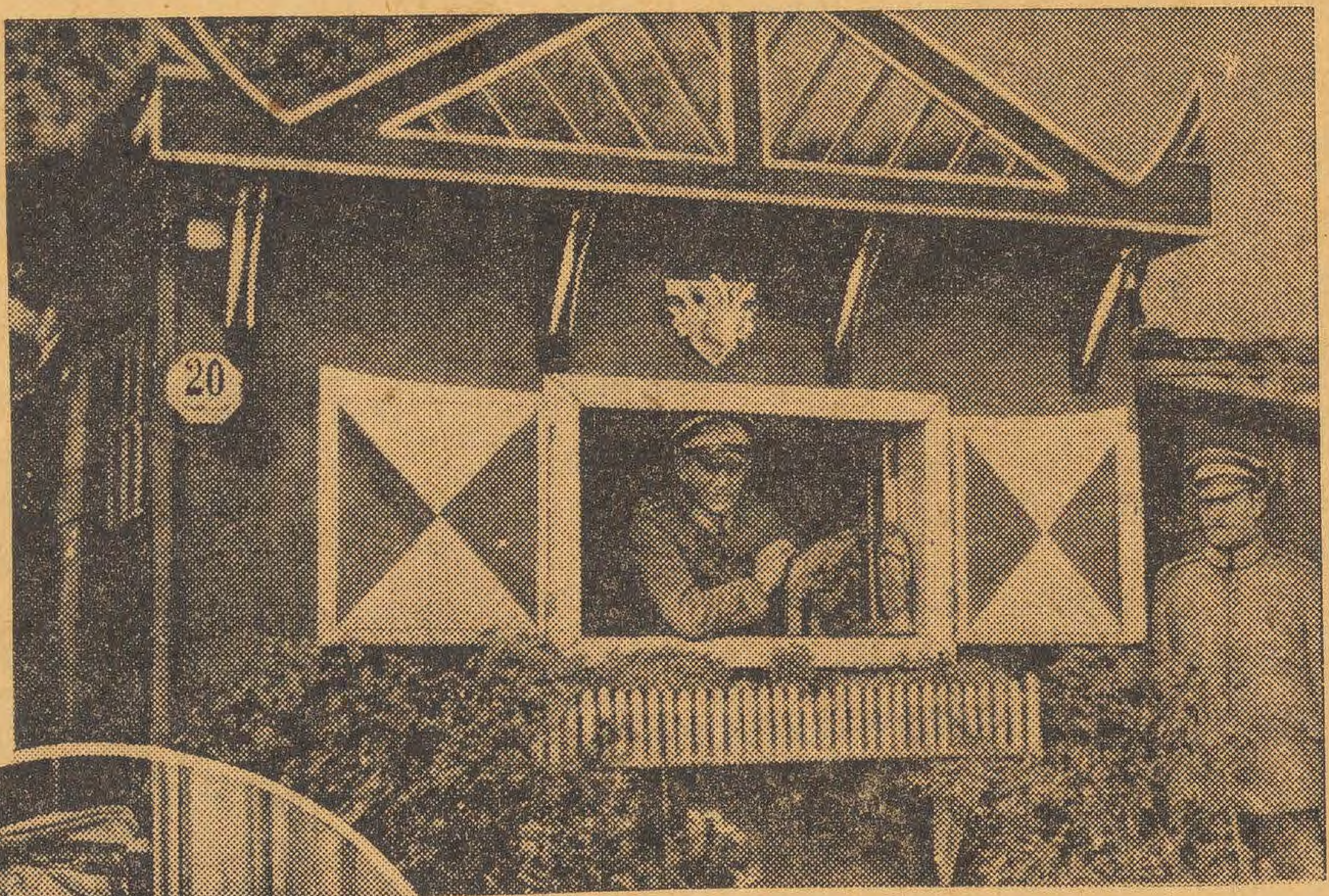
فلم يعترض «ماير» خصوصاً وقد وضح له ان «فرانكنبرغ» ليس بين القوم. ورأى ان مرافقته للقائد العام يبعد عنه شبهات ضباط الحدود اذا ورد عليهم من قلعة النخل الامر بالقبض عليه، فلا يدور في خلدهم ان جاسوساً يطارده رجال الامن يقوى على الاتصال بالقائد العام

ودنا ماير من جمال باشا. وبعد ما حياه التحية العسكرية قدم له نفسه عملا بالتقاليد العسكرية قائلا:

— الماجور «ويلهلم فون هوزبرن» من فرقة «الهوسار»!

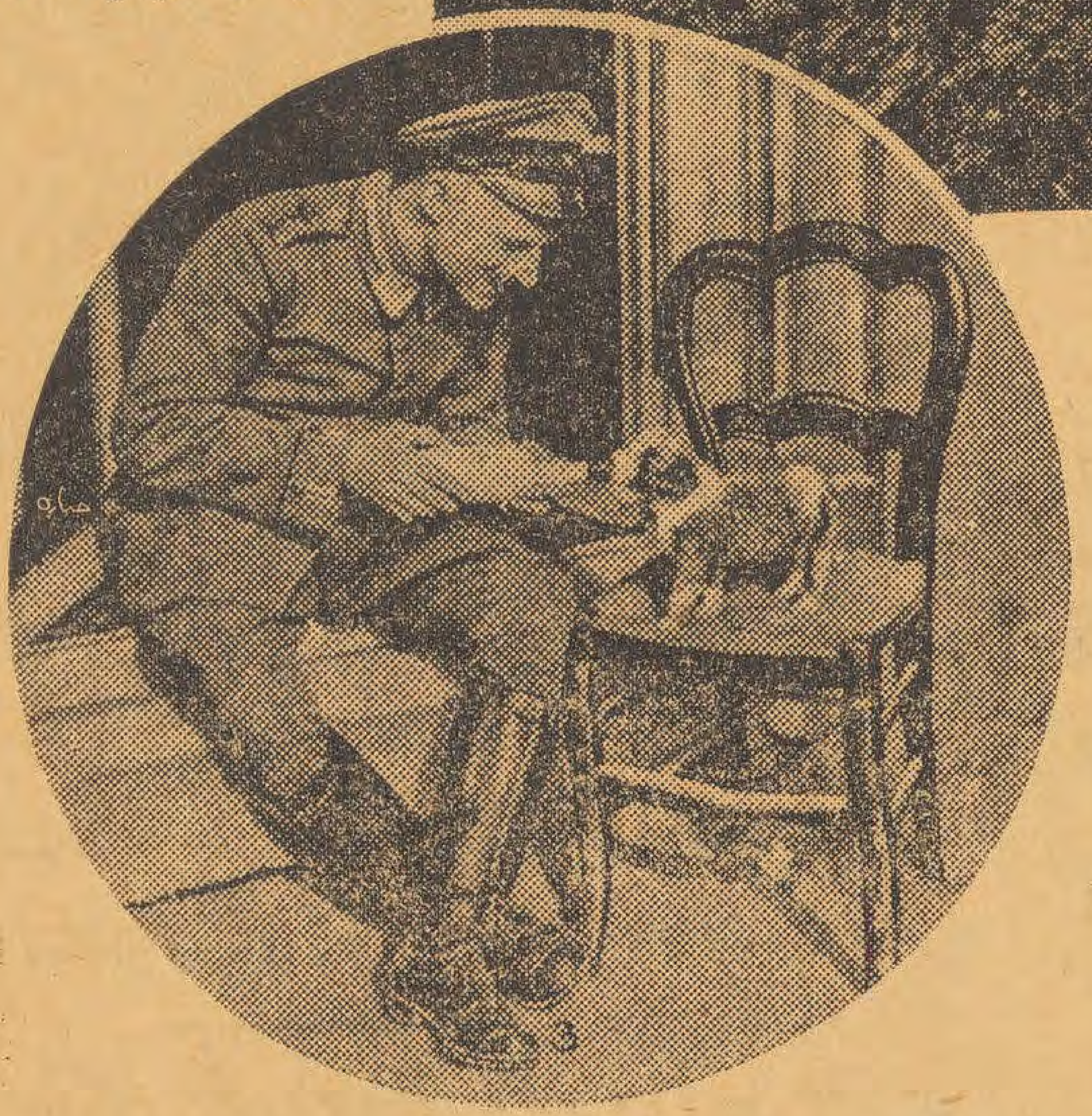
ولما رد له جمال التحية سأله من اي مكان يقبل فاجاب:

— جئت برسالة خاصة الى رئيس اركان حربكم «فرانكنبرغ» من المارشال ليمان فون ساندرس باشا، فقصدت الجبهة فقيل لي انه غادرها قبل وصولي اليها بيوم واحد عائداً الى القدس ، فلحقت به



جناح من المعسكر الالماني المحترق

اخذ هذا الرسم قبل اضطرام النار في المعسكر الالماني . وفيه تبدو واجهة غرفة الهر فون موزيل وقد وقف في الشرفة وبجانبه في الخارج احد معاونيه . وفي اسفل الزاوية اليسرى « فون ماير » يطعم كلبه الصغير الحليب من زجاجة بيده



الا اني لم اتمكن من ادراكه وقد ضللت الطريق!

فاستقبله جمال مرحباً ودعاه الى السير في الموكب

فرار «ماير» مرة اخرى

واستطاب احمد جمال باشا حديث هذا الجاسوس الالماني فلم يسمح له بالابتعاد عنه مع ما ذاع من امر كرهه للالمان . واعلنه صراحة رغبته في استبقائه لديه وابلغه انه سيخاطب في ذلك «فرانكنبرغ» عندما يصل الى القدس

فشكر له «ماير» هذا العطف ، الا انه لم يكن مرتاحاً له في الباطن وهو يبغي الوصول الى القدس لا يجاوزها . وما كاد يصل الى القدس حتى توارى عن الانظار ، فسأل عنه احمد جمال باشا فقيل له انه انفصل في جهات خليل الرحمن عن الموكب

وفي القدس عاد احمد جمال باشا وسأل عن الضابط الالماني فلم يجده . فدعا رئيس اركان حربه الكولونل «فرانكنبرغ» يستوضحه امره ، فاكد رئيس اركان الحرب انه لم يشاهده ولا اطلاع له على ما يسمع عنه . وطلب من جمال باشا اوصافه ، ولما عرفها قال :

— هذا هو الجاسوس ماير!

— جاسوس ؟

— نعم يا صاحب الدولة !

وقص «فرانكنبرغ» على جمال باشا ما وقع في قلعة النخل . وايدت شعبة الجاسوسية الاولى الخبر وكانت تلقت من عدنان بك الايضاح الوافي

ثورة جمال على الجاسوس

فامتعض جمال باشا كل الامتعاض مما سمع . وغاظه ان يلعب به هذا الجاسوس وان يتخذه مطية للنجاة من قوات الحدود في الجبهة ، حتى اذا ما بلغ الهدف توارى عن الانظار . ولم يكن من القائد العثماني الا ان دعا اليه ضباط الشرطة والعاملين في دار الاستخبارات وطلب منهم بذل كل مجهود في مطاردة «ماير» والقبض عليه باي صورة كانت ، ولكن انقضى شهر شباط ولم يتمكن احد من معرفة مصير

الجاسوس
واحمد جمال باشا وهو المنصرف الى اعداد حملة قناة السويس الثانية ، واستمالة امراء العرب ، ومقاومة تدابير الثورة في البلاد



احمد جمال باشا

رسم جديد لم ينشر بعد لاحمد جمال باشا اهداه الينا احد اصدقاء «الاسرار» ويرى ، في الرسم خط جمال وتوقيعه

السورية ، نسي بعد ايام امر الجاسوس « ماير » ولم يبق هناك من يفكر فيه غير الالمان والبنباشي عدنان بك

اين ذهب ماير ؟

وماير كان في القدس . فاستأجر منزلا متواضعاً في محلة باب المغاربة لا يقطنه سوى ارباب الدخل الضئيل . ولم يجهل ان رجال الامن سيبحثون عنه في كل مكان دون ان يخطر لهم في بال انه يقيم في ذلك المنزل الحقير

واتخذ لنفسه اسم عثمان آغا ، وتظاهر بانه تركي وانه من ذوي المناصب الصغيرة في الحكومة . ومعرفة اللغة التركية ساعدته كثيراً على التخفي في هذا المنزل الوضيع

كيف استأجر المنزل ؟

قلنا ان «ماير» بعد ما رافق احمد جمال باشا في صحراء سينا انصرف عنه في جوار الخليل ، وهناك لقي بدويا فقيراً فخاطبه قائلا:

ـــ انا بحاجة الى ثوب من ثياب الاهلين فهل لك ان تأتيني به ؟

فاجاب البدوي ان ذلك ليس عليه بعسير . فاخرج «ماير» من جيبه ثلاث ليرات ذهبية ونقدها البدوي وامره بالاسراع الى الخليل ليأتيه بما طلب . فاطاع البدوي وجاءه بالثياب . وكان قد اشتراها بليرة ونصف ليرة فقط . وشاء ان يعيد الباقي الى ماير الا ان الجاسوس رفض ذلك قائلا :

ـــ انت رجل مخلص وامين ، فاترك لك هذا المبلغ وهذا الهجين ، ها لك !

فسرّ البدوي بهذه الهبة الحاتمية ، ولما هم بالانصراف استوقفه « ماير » قائلا :

ـــ لي عندك مهمة أخرى !

ـــ ما هي ؟

ـــ ارغب في شراء حمار لنقل حوائجي !

فاشترى له البدوي الحمار فنقل «ماير» عليه ما يحمل من حوائج ومال . ولما ابتعد عن البدوي قليلا وقف ونزع ثيابه التي يبدو فيها ضابطاً المانياً وارتدى الملابس الاهلية وسار الى القدس ينزل في خان بسيط ، وفيه اهتدى الى المنزل المتواضع الذي استأجره في « باب المغاربة » واخلد فيه بضعة ايام الى السكينة

عصابة خطرة

وكان باستطاعة «ماير» بعدما استبدل من اسمه الالماني اسماً عثمانياً ان يعيش بعض الزمن بعيداً عن الخطر ، خصوصاً ولديه من الاموال ما يساعده على التخفي والنجاة من كل من يحاول القبض عليه

ولكنه وهو المفطور على حب المغامرات والمخاطر ابى ان يقف هذا الموقف ورغب في العودة الى اعماله لخدمة الانكليز . وقد دله ما وصل اليه من اخبار ان احمد جمال باشا يستعد لحملة ثانية على قناة السويس . فعاد الى نشاطه وقام يسعى لتأليف عصابة قوية تشتغل في الجاسوسية مثله . وتمكن في شهر اذار من الاتصال بالانكليز الذين يترقبون اخباره . فاشتدت صلاته بهم واعتزم العمل بصلابة وعزم

المراسلات بالحمام الزاجل

والمخاطبات اللاسلكية بين الجواسيس كانت مفقودة تماماً في

بدء ايام الحرب . فالاعتماد الاوحد على الحمام الزاجل . وكان لدى الانكليز العدد الكافي منه . وفي ٢٠ اذار سنة ١٩١٥ طارت اول حمامة من هذه الحمامات من القدس الى الساحل البحري تتصل بالانكليز بحراً ثم تعود

وهكذا تمكن ماير من تأمين علاقاته بالانكليز ومخاطباته لهم. فكان يزودهم بما يريدون الوصول اليه من انباء

افراد عصابة ماير

و«ماير» تمكن من استمالة بعض الضباط والكتاب والاهلين الى جانبه واطلع منهم على ما يود معرفته من الاخبار، الا انهم لم يكونوا يعرفون عنه شيئاً وهو يستعين بهم بالتسلسل ، فلا يعرف كل من هؤلاء الجواسيس الا من كان رئيسه مباشرة

ولم يكن هناك غير ثلاثة يعرفون عنه انه جاسوس انكليزي، بيد انهم كانوا يجهلون اسمه الحقيقي . فكانوا ينادونه عثمان آغا . وماذا يهمهم من معرفة هذا الاسم ما داموا يتناولون بدل اتعابهم بسخاء تام ؟

من هم هؤلاء الفرسان الثلاثة ؟

وهؤلاء الفرسان الثلاثة الذين اعتمدهم الجاسوس « ماير » هم برهان الدين جلبي الموظف في قلم المتصرفية، وكان يتولى مهمة الاتصال بالجواسيس وتنفيذ ما يعهد به اليه الجاسوس الاكبر

والاخيران كانا لدى «ماير» اشبه بوسيطين بينه وبين برهان الدين من جهة وحارسين لمنزله والدفاع عنه لدى الحاجة من جهة اخرى .

وهما الحاج احمد بن محمد قاسم من اهالي الجزائر، وهو رجل في الثلاثين من العمر يشتغل بمسح الاحذية اشفق عليه متصرف القدس قبل الحرب العالمية وعينه حارساً في المدينة . وظل في عمله في الحراسة حتى الى ما بعد استخدامه عند ماير . ففي بقائه في عمله ما يساعده على



عدنان بك

البيكباشي عدنان بك رئيس مصلحة مقاومة الجواسيس في فلسطين، وقد ابدى كل مجهود في مطاردة الجواسيس في ذلك القطر العربي

معرفة اسرار فئة من الناس . والاخر هو مسعود بن ابراهيم طوبال. وكان مستخدماً لدى المس «لاندن» الموظفة في القنصلية الاميركية في القدس كحارس للبناء

عدنان بك في الميدان

وعدنان بك لم يكن غافلا عن مطاردة « ماير » وهو يرى الموقف شديد الخطورة ، ويبدو له ان اخبار العثمانيين تتسرب الى الانكليز وتروي لهم تدابير الاستعداد في الجبهة وفي القدس لمهاجمة قناة السويس مرة اخرى . ولذا غادر عدنان بك في اول نيسان قلعة النخل وجاء القدس ينظم فيها اعماله ويقوم بمراقبة شديدة على امل ان يظفر بالجاسوس الرهيب، ولكن دون جدوى . فالاخبار ما ظلت تتسرب الى الاعداء وظل عدنان بك عاجزاً عن الاهتداء الى ذلك الجاسوس

ذيول جاسوسية «فون ماير» الالماني

معركة في قناة السويس يريدونها وهمية
ولكن «فون كريس» ارادها حقيقية وخاضها
فكان ان خسر ٨٠ جنديا ودحره الانكليز

اشتبه عدنان بك بالجاويش سليمان صدقي ، من كتاب اركان الحرب . وشاء ان يتثبت من ظنونه فطلب من رئيس اركان الحرب ان يرسل امراً الى «فون كريس» باشا للقيام بمناوشة على الحدود في جهة قناة السويس ويسلم هذا الامر الى سليمان صدقي على ان يعود ويرسل امراً آخر معاكساً له . ففعل رئيس اركان الحرب . وكان الامر يوجب على القائد الالماني القيام بحركة استكشاف في منطقة «الفروات» القريبة من القنطرة

ويظهر ان القائد الالماني «فون كريس» تلقى الامر الاول الزائف دون ان يصل اليه الامر المعاكس، فاوفد قوة كافية من رجاله الى تلك الجهة بعد ان اعتقد بضعف الحامية الانكليزية فيها

وفجأة وجدت هذه القوات نفسها محاطة بعدد كثيف من الجنود الانكليز

كيف انتهت المعركة ؟

زحفت القوات التركية صباح اول حزيران ١٩١٥ من الهضبة ١٧ وسارت الى جهة الفردات دون ان تلقى مقاومة . فالقوات الانكليزية وقد تلقت من «ماير» انباء هذه الخطة اقامت في الجهة الخلفية من الهضبة ، حتى اذا ما وصلت القوات العثمانية الى السهل المنبسط امام «الفردات» وحاولت ان تتسلق الهضبة الثانية بوغتت بوابل من الرصاص انقض عليها من اطراف الهضبة الثلاثة ، وباتت هذه القوات وهي تبلغ ٤٩٠ جندياً ، في حالة لا تمكنها حتى من استعمال بنادقها . وانتهت المعركة بمقتل ٨٠ جندياً وجرح مثل هذا العدد وفرار الاخرين بصورة مؤسفة

تدابير عدنان بك

وهذا المصير ساء عدنان بك وقد وضح له ان كل المساعي التي بذلها في معرفة عصابة الجواسيس ذهبت سدى. وخاف العاقبة، خصوصاً والقضية الاولى من نوعها لديه، وقد بدا له انه اظهر فيها عجزاً متناهياً والجاسوس لا يزال يهزأ به وليس بوسعه مقاومته بوجه من الوجوه فماذا يصنع ؟

من الراهن ان مصلحة مقاومة الجواسيس في البلاد العثمانية ضعيفة جداً ، وليس بالامكان الاعتماد عليها وحدها ، فاستعان عدنان بك بدار الشرطة لمساعدته في جلاء الامر

وعهدت دار الشرطة الى ثلاثة من رجالها بان يكونوا تحت امرة عدنان بك . فطلب منهم ان يأتوه بكل ما يعرفون عمن تقع عليهم الشبهات

الشرطي كامل وهبي

وسرعان ما اظهر الشرطي رقم ٧٦ كامل وهبي مهارة زائدة في تحقيق اماني رئيسه الجديد . فجاءه باخبار تؤيد سوء ظنه بالجاويش سليمان صدقي . فاكد له ان هذا الجاويش الشاب مع قلة مرتبه ينفق عن سعة ويتردد الى منزل امرأة يهودية في جادة المسكوبية في القدس. فيصرف هناك مبالغ طائلة . وقد عاد الى مراقبته فتبين له ان الرجل يتردد في النهار الى مقهى الحاج محمد عمران في محلة باب الخليل . وفي المساء يرتاد حانة قسطنطين الرومي في محلة المنشية . وفي القهوة والحانة يقابل برهان الدين جلبي الكاتب في دار المتصرفية . مع . ان المكانين للطبقة السفلى ، فليسا من الاماكن التي يرتادها موظفو الدولة

وتبين من مطالعة الشرطي كامل وهبي ان برهان الدين بعد ان يجتمع بسليمان يقصد محلة باب الساهرة ويجتمع فيها بماسح الاحذية الحاج احمد بن محمد قاسم

بصيص النور

فاهتم عدنان بك بهذه الاخبار وقد جاءت محققة لظنونه، وانتدب

الشرطي شفيق عليوان لمتابعة البحث ومراقبة الجاويش سليمان صدقي بصورة جدية والاتصال به . وطلب من الشرطي كامل وهبي المضي في مراقبة برهان الدين ومعرفة الذين يتصل بهم. وفي اليوم العاشر من شهر حزيران سنة ١٩١٥ جاء كامل وهبي يقول :

ـــ خرج عند ظهر امس برهان الدين من مقر عمله كالعادة الى



كامل وهبي مأمور الشرطة في القدس

يمثل هذا الرسم الشرطي كامل وهبي الذي انتدبته دار الشرطة لمساعدة عدنان بك في مهمة مطاردة الجواسيس

مقهى محمد عمران . وهناك اجتمع باسماعيل صدقي نحواً من عشر دقائق . ولاحظت ان اسماعيل سلم برهان الدين ملفاً فتركته وشأنه حتى خرج من المقهى وتوجه الى باب الساهرة . وهناك اقترب من الحاج احمد ودعاه الى مسح حذائه . فوقفت في منعطف بعيد اراقبها بدقة . فرأيت برهان الدين يخرج الملف نفسه الذي تناوله من سليمان ويسلمه الى ماسح الاحذية ثم ينصرف. فظهر لي ان من الواجب الحصول على هذا الملف فلحقت بالحاج احمد

« واعترف لكم بصراحة تامة اني اخطأت في ما حاولت. فكان عليّ اللحاق بالرجل لمعرفة المكان الذي يقصده بدلا من القبض عليه. الا اني امسكته وانتزعت منه الملف . وفيما اطالعه لمعرفة مضمونه اغتنم الرجل الفرصة وتمكن من الفرار

« ومع هذا جئتكم بهذه الرقعة وهي تتضمن خلاصة القررات التي تتخذها اركان الحرب والاوامر المرسلة الى الجبهة ! »

القبض على الخائنين

وعدنان بك لام السيد كامل وهبي على تسرعه . فكان من واجبه اللحاق بالرجل حتى النهاية . فمن الراهن ان الحاج احمد ليس غير آلة بين يدي الجاسوس «ماير» ، ومن الواجب والحالة هذه الوصول الى رئيس الشبكة قبل التثبت من امر العمال الذين باتوا معروفين وبالامكان في كل ساعة القبض عليهم

ولكن ما الفائدة من الاعتراض والامر تم . وعلى الاثر عقد اجتماع حضره قائد مركز القدس البنباشي رشدي بك ، ورئيس ديوان الحرب العرفي ابراهيم بك ، والنائب العام لدى ديوان الحرب العرفي شريف بك ، والمستنطق عبد اللطيف بك ، وبسط لهم عدنان بك الموقف باسهاب ، وسلمهم الاوراق المثبتة التهمة طالباً منهم التحقيق سراً مع المتهمين ريثما يتمكن من القبض على سائر رفاقهما

ونفذ الامر في ذلك اليوم ، واعتقل الجاويش سليمان صدقي وبرهان الدين جلبي ، فاعترف الاول بانه يشتغل لحساب الثاني الا ان الاخر انكر ذلك كل الانكار

مطاردة الحاج احمد

وبرهان الدين جلبي مع كونه موظفاً صغيراً فمن المعروف عنه انه من المنتسبين الى انور باشا ، فهو يعطف عليه عطفاً خاصاً ، ولذا لم تر هيئة التحقيق ان تكون عنيفة حياله

وظهر لعدنان بك ان الادلة التي وصل اليها تمكنه من اثبات تهمة الجاسوسية على الحاج احمد فدعا اليه الشرطي كامل وهبي وطلب منه ان يشدد الرقابة على الحاج احمد ويقبض عليه، ووعده بالترقية اذا نجح في هذه المهمة

مقتل كامل وهبي

وفي صباح ١٦ حزيران ١٩١٥ تلقى متصرف القدس تقريراً هذا نصه :

« بينما كان الشرطي رقم ٧٦ كامل وهبي افندي يقوم بدورية الصباح ومعه جندي آخر شاهد لدى وصوله الى باب المغاربة من سور القدس لصوصاً فامرهم بالوقوف فبادروه باطلاق العيارات النارية فقتلوه»

والمتصرف وهو الذي عهد الى كامل وهبي بالعمل تحت اشراف عدنان بك عرف ان الشرطي لم يذهب ضحية اللصوص بل ضحية الجواسيس ، فابلغ عدنان بك الحادث فاسرع رئيس فرع الجاسوسية العثمانية الى مكان الحادث وامر باحاطة المنطقة بالحراس ودعا اليه الجندي الشرطي القتيل

افادة الجندي

والجندي يدعى سليم ، من اهل غزه ، قال :

مقتل الشرطي كامل وهبي

في باب المغاربة في القدس



اخذ هذا الرسم للشرطي كامل وهبي ساعة مقتله عند مدخل باب المغاربة في القدس ، ويرى بجانبه مسدسه ، ثم «قلبقه» وقد وقع عند رجليه .
والرسم من الرسوم النادرة حصلنا عليه من مصلحة مقاومة الجاسوسية بطريقة خاصة

والضحية ليست الاولى من نوعها . فقد كان للجاسوس الاجنبية في اثناء الحرب العالمية ضحايا لا تحصى في السلطنة العثمانية

— رأيت كامل افندي لا يقوم بمهمته الدورية المعتادة بل يتولى مراقبة احد الناس وقد سمعته يقول لنفسه : « انا على يقين انه يقطن هذه الناحية ! .. ». ولما سألته عمن يبحث لم يجبني بل تابع المراقبة حتى اذا كانت الساعة السابعة والنصف عربية — اي بعد منتصف الليل — سمعته يردد قوله : هذا هو !

«والتفت الى حيث يشير واذا رأس يطل من باب مجاور لباب المغاربة ويتوارى ، ثم رأيت كاملا يركض وراءه، وما كاد يصبح امام الباب حتى اطلق عليه الرصاص !

— وماذا فعلت ؟

— عدت سريعاً الى مخفر « شرف » واعلنت مفوض المنطقة ما توقع !

— لماذا لم تلحق بالقاتل وانت تحمل بندقيتك ؟

— لم يخطر لي ذلك في بال !

— لقد خفت وانت من جنود الدولة !

— ...

ولم يجد عدنان بك وقتاً لمحادثة الجندي فاندفع سريعاً الى مكان الجريمة وامر الجندي الذي لم يحسن القيام بواجبه بالانصراف

مكان الجناية

والمكان الذي وقعت فيه الجناية في الجهة الشرقية الجنوبية من القدس . ولم يكن فيه غير ثلاثة منازل . وباب المغاربة خاص بمرور السكان الذين يقصدون من جهات سلوان والمناطق الاخرى . وتمتد وراءه ارض واسعة مزروعة بالصبير تكتنفها البساتين مما يساعد على التخفي والفرار

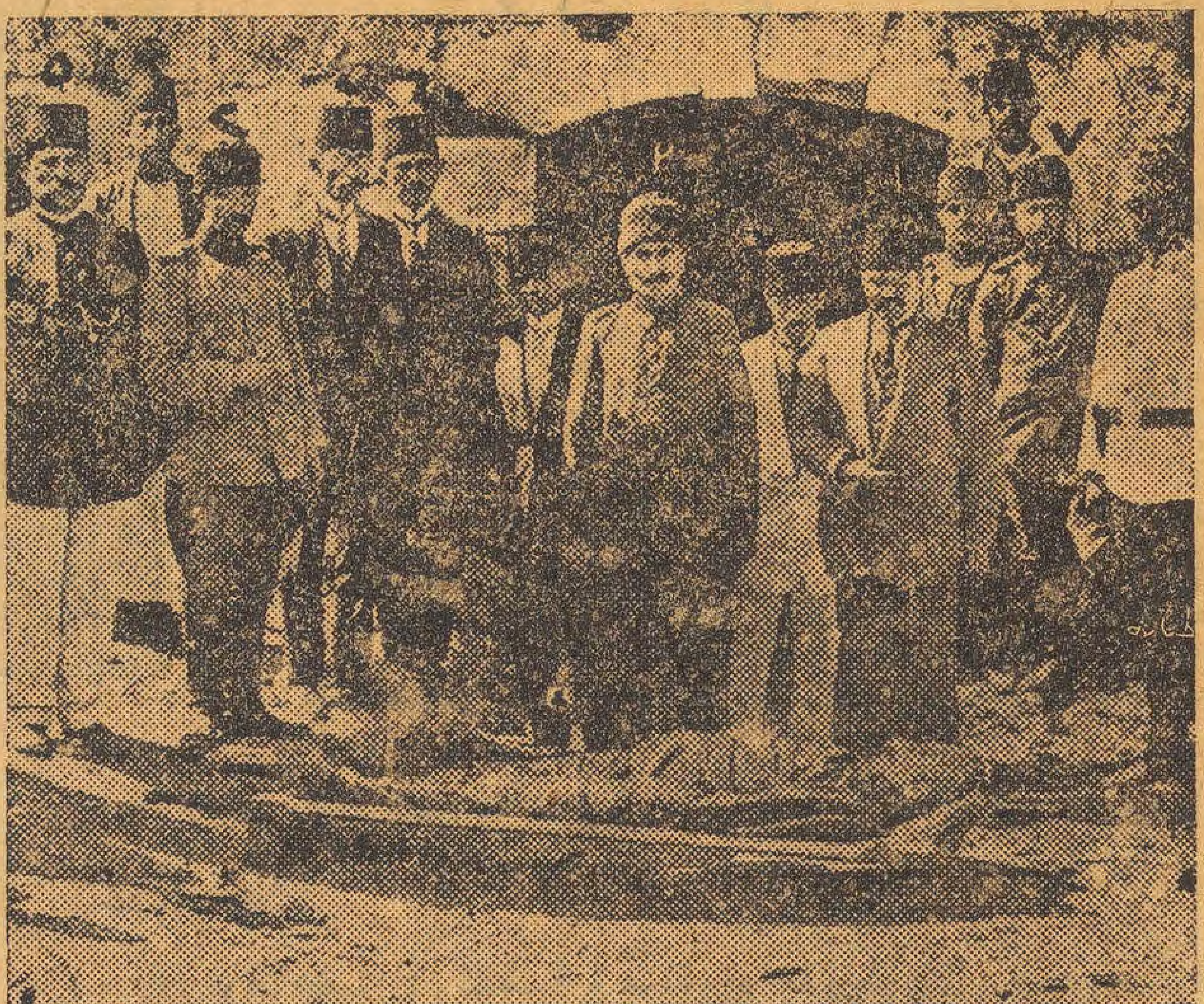
ودهم عدنان بك هذه المنازل فاذا في احدها حقائب يتبين انها خاصة بالجاسوس الالماني . ولما دعي صاحب المنزل قال ان موظفاً تركياً يدعى عثمان آغا استأجر منه تلك الدار

ولكن اين عثمان آغا ؟

لم يقف له احد على اثر

مطاردة القتلة

وصرح صاحب المنزل انه كان يرى احياناً مسعود ابراهيم طوبال في زيارة عثمان آغا ، وانه يعرف مسعود لما كان قواصاً لمصرف «ارض فلسطين» الذي اقفلته منذ بضعة اشهر الحكومة العثمانية



هيئة التحقيق امام جثة القتيل

عند مدخل باب المغاربة اخذ رسم الضحية بين هيئة التحقيق . ويمثل هذا الرسم : ١ ـ متصرف القدس ، ٢ ـ رئيس ديوان الحرب ابراهيم ، ٣ ـ قائد المركز البنباشي رشدي ، ٤ ـ النائب العام شريف بك ، ٥ ـ مفوض المركز ، ٦ ـ المستنطق عبد اللطيف ٧ ـ البنباشي احسان

قام عدنان بك بمفاجأة منزل مسعود هذا . وتولى المهمة مفوض مخفر « شرف » . وما لبث ان ألقى القبض على الرجل وعاد به يقول :

ـ وجدنا في منزل هذا الرجل مسدسين ، احدهما كبير والاخر صغير ، وكمية وافرة من الرصاص !

واستجوب عدنان بك المقبوض عليه فانكر في البدء الجناية المتهم بها . ولما ذكر له اسم رفيقه الحاج احمد بكى وقال : لست القاتل بل الحاج احمد !

ـ واين هو ؟

ـ انصرف الى منزله !

ـ واين منزله ؟

ـ في باب العمود !

فذهب المفوض الى باب العمود ولقي الحاج احمد في منزله فاعتقله مع زوجته وجاء بهما الى مكان التحقيق

اعتراف الزوجة

وقد رأى عدنان بك ان يبدأ باستجواب الزوجة فقالت :

ـ ليس زوجي شريفاً مع اشتغاله في النهار في عمل شريف وقيامه باعمال الحراسة ليلا ، فهو يرتكب سرقات متعددة . وكثيراً ما انهاه عنها بلا جدوى . فكان يقول : « عملنا هذا لا يؤمن مستقبلنا ! ... » . وظل على هذه الحال حتى جاءني منذ اشهر قائلا لي : « وقعت على كنز ! ... » ، ولما سألته ايضاح ذلك ابى ان يجيب قائلا اذا باح بالسر فقد الكنز ، وان علي ان اكون سعيدة لانه اقلع عن السرقة وسيوفر لي ما احتاج اليه من المال !

« واخذ يعطيني المال بسخاء . وتحاميت ان اسأله عن مصدر المال وكنت مسرورة لانه مال عن ارتكاب السرقات

« ومساء امس جاء باكراً وتناول معي طعام العشاء ومازحني كثيراً وظهر لي منه انه سعيد ، ثم انصرف ولم يعد الا وقد طلع الصباح ، وكان شديد الاضطراب عصبي الحركات ، فسألته عما به فقال : سرقت كيسين من السكر !

« فصحت به : وهل فقدت الكنز حتى عدت الى السرقة ؟

« ـ كلا لم اسرق ، بل لقيت في الطريق عدواً لي من رجال الشرطة كان يطاردني مراراً ، فامرني بالوقوف وكنت قريباً من الكنز ، فخشيت ان يعثر عليه فرميته مع رفيقي مسعود بالرصاص واظن اننا قتلناه ! ... »

اعتراف المجرمين

وختمت الزوجة «البارة» بزوجها حديثها بقولها ان زوجها سلمها المسدس الذي ارتكب به الجريمة فالقته في قبو المنزل

فعاد المفوض الى منزل الحاج احمد وجاء بالمسدس ودعا عدنان بك المجرمين فما لبثا ان اعترفا بارتكاب الجريمة . قال الحاج احمد :

ـ قتلناه لانه شاهدني بالقرب من منزل عثمان آغا الذي اعتبره كنزاً لي !

ـ واين هو عثمان آغا ؟

ـ تركناه في المنزل ساعة انصرافنا ولم نرض ان نرجع اليه مخافة سوء المغبة !



ضحايا الجاسوسية

المحكوم عليهما بالاعدام

بعد القبض عليهما

الحاج احمد بن قاسم الجزائري (الى اليمين) وقد جلس على علبة مسح الاحذية ، وبجانبه مسعود ابراهيم طوبال وقد ارتدى الملابس العربية والكوفية والعقال ووقف وراءهما مفوضو الشرطة في القدس

اين ماير؟

والجاسوس « ماير » شاهد هذه الجناية ترتكب امام باب منزله فخشي العاقبة وركن الى الفرار . ولم يحمل سوى اوراقه الخاصة ودنانيره الذهبية وتوارى

ومثل « ماير » في حوادث الجاسوسية في فلسطين وسوريا ادواراً متعددة سنعود الى التبسط فيها للدلالة على خطورتها

الحمام الزاجل

والمراقب الذي يترصد المنزل لاحظ في اليوم التالي لوقوع الجناية حمامة من النوع الزاجل تدخل المنزل ، فالتقطها وهو يجهل من اي نوع هي.وشاء ان يذبحها ليأكلها . وذبحها ولكنه اهتدى في رجلها الى رسالة حملها الى عدنان بك ، فاذا هي مكتوبة «بالشيفرة» وفيها ايضاح من الانكليز لارشاد « ماير » الى خطته في العمل . فادرك عدنان طريقة الانكليز في مخاطبة جواسيسهم واتخذ كل تدبير لمطاردة الحمام . وعلى أثرها تناول رجال الجيش الاوامر بقتل كل حمامة يشاهدونها ودفعها الى القيادة العليا لتتثبت من امرها

مصير الشبان الاربعة

وانصرف الاستاذ عبد اللطيف بك مستنطق ديوان الحرب العرفي في القدس الى التحقيق مع الشبان الاربعة في تهمة الجاسوسية

وقتل احد رجال الشرطة ، واشرف على هذا التحقيق النائب العام شريف بك

والتحقيق في القضية لم يستغرق وقتاً طويلا . فالانباء الواردة على القيادة كانت واضحة جلية ، واعترافات المجرمين انفسهم صريحة ، فما لبث المستنطق ان ختم التحقيق ورفع اوراق القضية الى المجلس الحربي وقد عقد جلسته تحت رئاسة ابراهيم بك وحكم على الشبان الاربعة بالاعدام .

الا ان انور باشا ما لبث ان تدخل في امر صالح برهان الدين جلبي . فطلب ايفاده الى استانبول ، وهناك بقي مدة في السجن ثم اخلي سبيله وارسل الى جبهة غاليسيا وقتل فيها في احدى المعارك

محاكمة المجرمين

وفي ١٥ تموز سنة ١٩١٥ عقد ديوان الحرب العرفي في القدس جلسة تحت رئاسة البنباشي ابراهيم بك نظر فيها في هذه القضية . فكرر المجرمون الثلاثة ما ادلوا به في التحقيق الاول وفي الاستنطاق فوقف النائب العام شريف بك والقى مطالعة مختصرة اشار فيها الى ادوار هذه القضية والى الخيانة العظمى التي ارتكبها سليمان صدقي بقتله مئات من الجند بتعمده سرقة الاسرار الحربية ، وما كان من اعمال الاخرين باشتراكهما في حوادث الجاسوسية وقتل الشرطي الذي كان يقوم بواجبه خير قيام

وحاول وكلاء الدفاع بيان مطالعتهم ، الا ان المتهمين رفضوا ذلك معلنين انهم يقبلون العقوبة التي تفرض عليهم لاعتقادهم انهم

يستحقونها .

وبعد ذلك اختلت هيئة الديوان وعادت تعلن قرارها بالاجماع باعدام المجرمين الثلاثة

ورفع القرار الى احمد جمال باشا فاقره على الفور

اعدام الثلاثة

وفي ٢٠ تموز ١٩١٥ اذيع في القدس بلاغ هذا نصه :

« في فجر امس نفذ حكم الموت شنقاً في كل من الحاج احمد ابن محمد قاسم الجزائرلي الاصل ، ومسعود بن ابراهيم طوبال . وسليمان بن احمد صدقي ، لاقدامهم على قتل الشرطي المرحوم كامل افندي وهبي وارتكاب عار الخيانة الوطنية .

« وظلت جثث هؤلاء المجرمين معروضة على الانظار عبرة لسواهم من المجرمين»

***

وهكذا انتهت الجريمة الاولى التي ارتكبها جواسيس الانكليز في فلسطين في خلال الحرب العالمية

اين ماير؟

ولكن اين ذهب ماير ؟

ايد التحقيق الذي قام به عدنان بك ان الرجل لم يبرح البلاد بل تلقى امراً من دار الاستخبارات الانكليزية يقول :

« عليك بالذهاب الى حدود العريش لاستقبال بعثة موفدة اليك من القاهرة ولديها الخطة الواجب عليك العمل بها »

وهذه الخطة حملها الى «ماير» الحمام الزاجل . وكان من امر الحمامة التي لجأت الى منزله السقوط بين يدي الحارس فالتقطها وذبحها كما سبق القول ووجد عليها الخطة وقد باتت لها كالخلخال

فاهتم عدنان بك بما وقع عليه واعتقد ان الاهتداء الى هذه الخطة سيساعده على الاهتداء الى الجاسوس ورفاقه . وان يكن لا يوصله اليه مباشرة فيكفيه ان يكون فتح امامه الطريق

في اثر الجواسيس

وكان عدنان بك قد تلقى من رأفت بك قائد الجبهة برقية «شيفرة» تقول :

« تدل الاخبار الواردة علينا من الساحل المصري ان هناك جماعة اوفدتهم القيادة الانكليزية الى سواحلنا . وقد غادروا منذ ثلاثة ايام بورسعيد . وجاءتنا الاخبار من قوات الرصد الساحلية ان زورقاً شوهد منذ يومين حول المناطق الساحلية يسعى بكل قواه للاقتراب من الساحل ، الا ان المراقبة الشديدة القائمة هناك حالت دون قصده

فرأى عدنان بك ان يضرب هؤلاء الجواسيس الضربة القاضية وابرق الى رأفت بك يقول :

« من الضروري جداً غض النظر عن المناطق الساحلية وتسهل نزول هؤلاء الجواسيس الى شواطئنا حتى اذا باتوا فيها اعتقلوا . ويجب اتخاذ كل تدبير من شأنه مساعدتكم على تحقيق هدفكم هذا»

السيد عباس طبارة

واليوزباشي عباس طبارة من ضباط الجيش البسلاء ومن قادتنا المعروفين ، ولا يزال يقيم حتى يومنا هذا في بيروت . وقد استدعاه القائد اليه واطلعه على حقيقة هؤلاء الجواسيس وابلغه ضرورة القبض عليهم . وفوض اليه اتخاذ التدابير التي يراها لازمة لتحقيق مهمته .

وابلغه ان هؤلاء الجواسيس يجولون في زورقهم عند ساحل السلخة الكبيرة في جهات ساحل سيناء

السيد طباره يروي لنا الحادث

وحدثنا اليوزباشي السيد عباس طباره عن فوزه في مهمته . ولهذا الضابط الباسل اعمال خطيرة في تلك المنطقة سنفصلها في الآتي، قال :

— جئت بالملازم توفيق، وهو دمشقي الاصل، وبنفر من الجند اثق بهم وسرت للقيام بما ندبت له ، ولما اقتربت من الساحل شاهدت الزورق يدنو من الشط وقد علته هضبات رملية كثيرة اخذنا نختفي وراءها لنحول دون رؤية الزورق ايانا

« ونجحنا في مساعينا نجاحاً باهراً ، وبات الزورق على الساحل، وقفز منه الى اليابسة اثنان

«وقبل ان يقفز الثالث ارتكب معاوني الملازم توفيق خطأ عظيما ، فاعتقد ان الزورق لا يمكنه ان يعود الى البحر فبرز وصاح بمن فيه ان يرفعوا ايديهم مستسلمين ، الا ان الزورق يسير بمحرك بخاري ، فما لبث المقيمون فيه ان تراجعوا بسرعة وقد ابقوا على الساحل ضابطين لم يتمكنا من العودة الى الزورق، فاطلقت وجنودي على ركاب الزورق الرصاص غير انهم تمكنوا من الابتعاد مسافة طويلة .

افادة الاسيرين

« والاسيران ضابطان في الجيش المصري ، احدهما قبطي والاخر مسلم ، فابلغاني انهما قادمان مع ضابط انكليزي بقي في الزورق للاتصال بالقبائل العربية المقيمة هناك واستمالتها الى صفوف الانكليز ، وانهما جلبا كميات وافرة من الذهب كانا على وشك انزالها الى البر لو لم يفاجئهما رفيقي بصيحته

«واعلن الاسير الآخر ان الدراهم تبلغ ٢٥ الف ليرة ذهبية

موقف عدنان بك

والايضاح الذي اعلنه عدنان بك يؤيد رواية مواطننا اليوزباشي عباس طياره. فقد روى ما يشبه هذه الحادثة . قال :

« جيء الي بالضابطين الاسيرين ، فعلمت ان الاول يدعى جرجس حنا والاخر عباس بن محمود الدمنهوري ، وكلاهما من الضباط المصريين ، استخدم الاول كترجمان لمعرفته اللغتين الانكليزية والعربية، والاخر كخبير في شؤون العشائر وقد كان من ضباط مصلحة العشائر في هذه المنطقة . وعلمت من الاخير ان الانكليز بذلوا اموالا طائلة لاستمالة العشائر اليهم ، وان رسلهم منبثة بكثرة في هذه الجهات ، وانه كان من المقرر نقل صناديق الذهب من الزورق الى مسافة ميلين ، وهناك يلتقون برسل العشائر في تلك الجهات وهؤلاء يحملونها الى الزعماء .

«ولام الضابط المصري القوة التي تولت القبض عليه وعلى رفيقه ، فلم تحسن العمل ، وكان من واجبها ان تتريث قليلا لامتلاك الثروة التي تنقلها . فالضابط الانكليزي بقي في الزورق ومعه المال ، ولا بد من ادراكه مرماه مهما كلفه الامر

« وحاولت استدراج هذا الضابط المصري الى اطلاعي على طرق الاتصال بالجواسيس . فابلغني ان هذه الطرق كان يعتمد فيها في البدء على جاسوس يتزيا بزي الضباط الالمان يقيم في قلعة النخل . وانه هو ، الضابط المصري ، لقيه فيها مرتين. ووصفه لي فاذا به « ماير » نفسه . فسألته هل عرف شيئاً عن هذا الجاسوس بعد حريق المعسكر الالماني في قلعة النخل ، فاكد لي ان اخباره انقطعت عنه ، ومما علمه ان امور هذا الضابط كانت مرتبطة بدار الاستخبارات في بور سعيد فتحولت الى المقر العام في الاسكندرية ، وان من يرتبطون بالمقر العام هم الذين يبتعدون عن الجبهة ويستقلون في قلب البلاد

« وهذه الاخبار التي اطلعت عليها من الضابط المصري ورفيقه كانت لي عظيمة الفائدة . فساعدتني مساعدة جدية على تنظيم مكافحة الجاسوسية والفوز بالقبض على العدد الكبير من الجواسيس

« اما الضابطان المصريان فقد رأيت بعد ما افضيا اليّ به ان لا انظر اليهما كجاسوسين . فالجواسيس يقضى عليهم بالموت . فعاملتهما كاسيرين من اسرى الحرب واوفدتها الى المعسكر العام في جهات قونيه ، واعتقد انها ظلا هناك حتى نهاية الحرب العالمية »

الجاسوسية في بلادنا

هذا ما حدث به عدنان بك في مذكراته عن القضية . وقد رأينا ان نجعل هذا الحديث خاتمة ابحاثنا في هذه النشرة ، على ان نوافي القراء بكل ما هو مفيد وخطير

اسرار الحرب الكبرى

بقلم كرم ملحم كرم

قوات الائتلاف تضرب الجيش الصربي ضربة قاضية
الاهلون والجيش يجلون عن صربيا
القائد ساراي يفوز من الغنيمة بالاياب

توالت فصول المأساة الصربية . وكان ان انتقل الصرب من فاجعة الى فاجعة . فاحتل اعداؤهم بلادهم قرية فقرية ومدينة فمدينة . وبعد الاستيلاء على بلغراد واسكوب كان لا بد من احتلال « كراغجيفاك »

والالمان والنمسويون مشوا الى احتلال هذه المدينة كما اوضحنا في الفصل السابق . ولحق بهم اليها البلغار يقودهم « بوجادياف » . وفي ٢٧ تشرين الاول ١٩١٥ تناول « بوجادياف » الامر بان يدفع قوات القلب من الجيش البلغاري الاول الى خط « اليكسيناك » . وكان « بوجادياف » نفسه قد احتل في اليوم السابق بهذا الجيش مدينة « كنياجيفاك » . فامتثل القائد البلغاري . واذا الصرب يجلون عن بلدة « زاجيكار » . وسقطت في اليوم نفسه بلدة «بيرو» بين يدي « بوجادياف » . فسار الى اليمين بفرقة مؤلفة من عناصر الفرقتين الثامنة والسادسة . وكانت وجهته بلدة « أليكسيناك » . ومال بيساره الى « نيش » ، وقوات اليسار لديه تؤلفها الفرقة الثامنة والتاسعة والاولى . ولقيت هذه الحملة مقاومة شديدة

وسار في الناحية الجنوبية الجيش البلغاري الثاني تنصره قوة في الشمال قوامها فرقة ونصف فرقة اتجها الى جهة « فرانج ــ اسكوب » تحاولان القضاء على الصرب من الوراء ، على حين ان قواته في الجنوب مالت الى اتقاء هجمات الفرنسيين عند خط « فيليس ــ ستروميتزا »



السيد رادوسلافوف

رئيس وزارة بلغاريا يوم اندفعت بلغاريا في الحرب العالمية الكبرى

وفي ٣٠ تشرين الاول اوضح المارشال « ماكنزن » الموقف بقوله ان الضغط نزل بالصرب في جبهتهم وجوانبهم . وسد عليهم

الجيش البلغاري الثاني طريق الهزيمة . وعليهم اما ان ينهزموا الى الجبال وليس فيها طرق في ناحيتها الجنوبية الغربية، واما ان يشتبكوا امام « كراغجيفاك» في معركة فاصلة

على ان « ما كنزن » شاء ان يسد على الصرب طريق هزيمتهم



القائد « فون غولويز »

وهو القائد الالماني الذي تولى قيادة الجيش الالماني الثامن وانقض به في سنة ١٩١٥ على صربيا تحت امرة المارشال « ماكنزن »

في الجبال . فدعا الجناح الايمن من الجيش النمسي الثالث - وقد استولى على «رودنيك» و «غورني ميلانوفاك» - الى بلوغ في اقرب آن وادي «مورافا» الغربية والنزول منه الى «فاليافو» ليباغت الصرب من الوراء ويطوق جناحهم الايسر بينما يهاجم الجيش التاسع جبهتهم

ولكنه العياء

غير ان العياء كان قد هدّ حيل الفيلق النمسي المجري التاسع عشر الموكولة اليه مهمة التطويق . فما بلغ الجبهة الغربية من نهر «مورافا» ووصل الى « كا كاك » في سوى اليوم الاول من شهر تشرين الثاني عند الظهر . وكان قد تسنى للصرب ان يتواروا . وفي صباح ذلك النهار دخل الفيلق الثامن مدينة « كراغجيفاك » خالية من الناس .

خسائر الصرب

وتعذب الجيش الصربي عذابا شديداً ، على انه استطاع النجاة. وقد ظهر العنف في هجوم قوات الائتلاف عليه في ما انزلوه به من هزيمة ، وفي ما استولوا عليه من اسرى . ففي ثلاثة اسابيع بلغ عدد الاسرى الصرب الذين وقعوا بين ايدي الالمان اثني عشر الف رجل، وملك الالمان انفسهم ٢٣ مدفعاً و١٦ رشاشاً ،واسر النمسيون ٣٣٠٠ رجل ، وغنموا ١٧ مدفعاً ورشاشاً . واسر البلغار ستة آلاف صربي، وغنموا ستين مدفعاً . على ان هذه المدافع وقعوا عليها في «زاجيكار » و «بيرو » غنيمة باردة . وهذه الغنائم لم تكن تجاوز سبعة بالمئة من مجموع الجيش الصربي

الاستيلاء على نيش

وفي ٢ تشرين الثاني كانت الحالة في صربيا على الوجه التالي :

انشأت القوات النمسية الالمانية خطاً دفاعياً في الناحية الغربية يمتد من بحر الادرياتيك الى « زلاتوفو » .وهو خط دفاعي في الغرب، على انه هجومي في ناحيته الشرقية وقد تألف من اربع عشرة فرقة على جبهة طولها مئة ميل

وكانت تفصل بين الجناح الالماني الايسر والجناح البلغاري الايمن مسافة خمسين ميلا . وامتد الجيش البلغاري الاول ، وهو اربع فرق كما قلنا عنه، على جبهة طولها مئة ميل من « زاجيكار » الى «زلاتونيش». اما الجيش البلغاري الثاني ، ولم يكن يزيد على اربع فرق كالجيش الاول ، فقد انبسط على جبهة ثلاثمئة ميل . وسدت قواته الشمالية على الجيش الصربي الخط الحديدي بين « اسكوب» و « فاريزوفيك » ، واقامت قواته الجنوبية تجاه قوات القائد ساراي. وهذه القوات كانت فرقتين فرنسيتين في بلاد صعبة ، فلم يكن موقفهما باعثاً على قلق الاعداء

خطط جيوش الائتلاف

ووضع قادة جيوش الائتلاف خطة الاستيلاء على « نيش ». فكان باستطاعة الجيش البلغاري الاول الوصول اليها من طرق ثلاثة، من الشمال الشرقي بطريق « كنياجيفاك»، ومن الجنوب الشرقي بطريق «بيرو» ، ومن الشرق بين ولجات «القديس نقولا»

وفي ٣ تشرين الثاني كانت الحملة البلغارية المقبلة من كنياجيفاك قد احتلت اعالي « ترازيبابا » ومنها بلغت مجرى نهر « سور لجيسكه

تيموك » وتقدمت عشرة اميال . واجتازت مرحلة اخرى بمسافة الاولى وبلغت جبل قلفاط المحصن المشرف من علو الف ذراع على «نيش» البعيدة عنه مئتين وخمسين ذراعاً

والقوة المقبلة من وجهات القديس نقولا اجتازت ايضاً نهر «سور لجيسكه تيموك» وارتقت الاعالي الفاصلة بين هذا النهر ونهر «نيشافا» فاحتلت قمة « بلس» وقمة «غوليانسكا » ومنهما اشرفت على الطريق الممتد من «بيرو» الى « نيش» في الشمال الغربي من بيالا بالانكا

وكانت الحملة الثالثة المقبلة من طريق صوفيا قد بلغت في ٢٨ تشرين الاول بلدة « بيرو » ثم « بيالا بالانكا » ، الا ان اعداءها هزموها واعادوها الى هذه المدينة ، فكل ما استطاعت ان تحافظ على قمة « بوغوف » . وفصلت عنها حملة رابعة دفعتها الى الجهة الجنوبية الغربية لاحتلال « فلازوتنس »، وكان على هذه الحملة باجتيازها الجبل المشرف على « نيش » من ناحيتها الجنوبية ان تبلغ الوادي الاسفل من نهر « فلاسينا » ومدينة «لسكوفاك »

ثم اقبلت حملة خامسة من جنوبي « فرانيا » وانحدرت في وادي نهر « مورافا » وسارت الى الشمال في ناحية « لسكوفاك » وبلغت «غردلجيستا»، ومنها يمتد طريق الى « فلازوتنس» القائمة على عشرة اميال من الحملة الرابعة ، وكل هذه القوات وجهتها مدينة « نيش »

الصرب يشقون منافذ التراجع

وفي ٥ تشرين الثاني ما برح الجناح الصربي الايسر يقاوم في « كراليافو » القائد الالماني « كيفيس »، وايدته في مقاومته اثنتا عشرة بطارية ، مما ساعده على التراجع في وادي نهر « ايبار » الضيق العميق. على ان البلغار دفعوا جناحهم الايمن الى «نيش» لدى الساعة الثالثة بعد الظهر ، بعد قتال دام ثلاثة ايام

واهتم البلغار باسر فلول الجيش الصربي . وبدأت حرب الجبال وقد قامت بها فرق معدة لهذا القصد . وانتقلت الحكومة الصربية الى «بريستينا»، وما برحت قوة من الصرب تقاوم في «أليكسيناك»، على ان هذه المقاومة المحلية لم تمنع اتصال قوات الائتلاف بتركيا

وفي ١١ تشرين الثاني قررت القيادة الصربية الالتواء ببقايا قواتها الى « اسكوب » من نهر « امسيلفيلد » ، حتى ولو كان ذلك محالا من جهة « بريزرن » الجنوبية الغربية . ولتأمين هذا المسير تولت ثلاث فرق القيام بهجوم عنيف في الناحية الشرقية من « ليسكوفاك »

الصرب في يأس

وتولى اليأس الجيش الصربي . فلم يبق له من امل بالفوز واقصاء الاعداء عن وطنه . وملأت المركبات والجياد الطرق .



القائد « تيودوروف » البلغاري

وهو قائد الجيش البلغاري الثاني وممن هاجموا الديار الصربية

ونفدت المؤونة ، فما بقي منها لدى الصرب لم يكن يكفي مدة تزيد على اثني عشر يوماً

واوشكت الذخائر ان تنفد . وانتشر وباء « التيفوس » في صفوف الجند . وفي ١٩ تشرين الثاني اقدم الصرب على هدم الحصار المضروب عليهم في الجنوب فاخفقوا . وفي ٢١ اذاع القائد «بوتنيك» الامر في الجيوش الصربية بالانهزام من الغرب بطريق « ايبك » و « دياكوفا » و « بريزرن » الى شواطىء الادرياتيك ، وهي مسافة ١٥٠ ميلا في خط مستقيم

كم بقي من ٤٢٠ الف صربي

ومن اربعمئة وعشرين الف صربي خاضوا المعارك لم يبق ما يزيد على ١٣٠ الفاً، بلغوا في شهر كانون الاول شواطىء الادرياتيك وقد تولاهم العياء ، ووصل معهم ٢٤ الف جواد ، وسبعة آلاف ثور ، و ٩٥ مدفعاً . فنقلهم الحلفاء الى « كورفو » لاستعادة نشاطهم وتنظيم صفوفهم

محاربة القائد ساراي

وماذا تراءى لقوات الائتلاف بعد ادراكها وطرها في صربيا؟

مال القائد «كونراد» رئيس اركان الحرب في النمسا الى التكاتف والمانيا على القائد «ساراي» الفرنسي . وكتب «فالكنهاين» في ذلك الى كونراد يقول : من يتاجر برأس مال سواه فانه ليتاجر راضياً غير هياب !



الملك فردينان عاهل بلغاريا

في موكبه الرسمي

وملخص كل المانعة في ان يتوغل في جنوبي صربيا وتموين جيشه من الصعوبة بمكان . ولم يكن يفكر في سوى دعوة قوانه اليه . وفي ٢٣ تشرين الثاني كتب الى «كونراد» يقول انه لا يستطيع ان يبقي الجيش الالماني في صربيا اكثر مما ابقاه وهناك الجوع وحمى «التيفوس»

الائتلافيون في يونان

وكانت الدولة اليونانية قد اباحت لقوات الائتلاف ان تجاوز الحدود اليونانية ، الا انها منعت ذلك عن البلغار . وفيما المباحثات تدور على ذلك ، وفيما بلغاريا تعترض ، وردت على القائد «فالكنهاين» الالماني برقية تقول ان الفرنسيين تقهقروا بمدفعيتهم عن موقع «كافادار» ، فرأى القائد الالماني ان من الضرورة الاسراع في العمل ان يكن في النية قهرهم . ودعي الى ذلك البلغار وهم على استعداد للقيام بالمهمة

تراجع الجيش الفرنسي

ونظر الجيش الفرنسي الى الحالة في البلقان فاذا الصرب قد انهزموا . وهو لم يقبل الى البلقان لسوى انقاذ الصرب . ولاح له من موقفه ان جناحه الايسر تقدم كثيراً وقد اندفع في الجهة الشمالية الغربية الى الزاوية القائمة بين نهر «سرنا» ونهر «فردار» . وحاول البلغار ان يطوقوا هذا الجناح غير انه كان قد اجتاز نهر «سرنا» . ولم يبق امام الفرنسيين غير الالتواء فالتووا ، وبدأ تراجعهم في ٢ كانون الاول ١٩١٥

مواقع الفرنسيين

فكان لدى الفرنسيين في ميدان القتال فرقتان ، الفرقة المئة والثانية والعشرون على نهر «سرنا» ، والفرقة السابعة والخمسون على نهر «فردار» . وانشأوا رأس جسر شرقي «فردار» على مستوى «كريفولاك» احتلته قوة من الفرقة السابعة والخمسين ، واحتلت قوة اخرى من هذه الفرقة نفسها «دمير قبو» لانشاء رأس جسر آخر . وفي «غراديك» اقام شطر من الفرقة المئة والثانية والعشرين وانشأت فيها رأس جسر ، وبقي شطرها الآخر في «كريفولاك»

بعد الالتواء

وفي ليل ٣ — ٤ كانون الاول تراجعت قوات «كريفولاك» الى ما وراء رأس جسر «دميرقبو» . والقوة التي تولت المحافظة على رأس هذا الجسر تراجعت ايضاً في ليل ٥ — ٦ ، وبات يدعم المؤخرة لواء «غراديك» من الفرقة المئة والثانية والعشرين واللواء الآخر من هذه الفرقة سار في اليوم نفسه الى اليمين لمقاومة البلغار الذين يقاتلون في هذه الناحية على ضفاف «بتروفكا» الشاطرة القوات الفرنسية . وهكذا باتت الفرقة المئة والثانية والعشرون

باجمعها في قتال، فيما الفرقة السابعة والخمسون تلجأ الى محطة « سترومیتزا »

وفي الناحية اليمنى من القوات الفرنسية هوجمت الفصيلة الانكليزية لقائدها « مونروه » . فاحتلت في ٧ الاعالي المرتفعة شمالي « اورمانلي » .وفي ٨ احتل البلغار « رابروفو » ، واقام الانكليز على قمة عن يمين بحيرة « دوران » . فسعى البلغار في ضغطهم جناح الحلفاء الايمن الى ضغط الجناح الايسر راغبين في تطويق الجيش بكامله

ساراى يمعن فى التراجع

وفي ليل ٨ — ٩ تراجع «ساراي» دون ان يلقى ازعاجاً عن رؤوس الجسور في « غراديك » وعن محطة « سترومیتزا » . وفي ٩ كان لديه على نهر « بتروفكا» لواء من الفرقة المئة والثانية والعشرين، وفي القلب على الضفاف الجنوبية من نهر « بوجيميا » الفرقة المئة والسادسة والخمسون ، وعن يمينه الانكليز

وكان لديه في الخط الثاني من« ر يفورسي » الى « غراديستي » اللواء الاخر من الفرقة ١٢٢ والفرقة السابعة والخمسون

وفي ليل ١٠ — ١١ تم الالتواء الاخير على خط « قره اوغلولر — سمو كفيكا » . وفي ١١ هاجم البلغار القوات الفرنسية بلا فائدة . وفي ١٢ خيم الضباب على تلك الانحاء وتدنى لجيش الحلفاء بكامله بلوغ الحدود اليونانية ، وقد رأى البلغار ان لا يتخطوها والدولة اليونانية تأبى ذلك عليهم بشدة ، فليست تجيز لهم ان يتعدوها

التردد فى بلوغ سالونيك

والانفصال عن الجيش الالمانى

وكان في نية قوات الائتلاف بلوغ سالونيك ، ولكن « كونراد» خشي عاقبة هذه المجازفة والايطاليون يتحصنون في البانيا . ووضح له ان مصلحة النمسا في حماية شواطىء الادرياتيك

وبعد ما كان رئيس اركان حرب النمسا يمانع كل الممانعة في فصل الجيش الالماني عن الجيش النمسي في البلقان اذا به يطلب هذا الانفصال من تلقاء نفسه . فدعا جيش القائد « كيفيس » الى الانسلاخ من قوات القائد « ماكنزن » ليسير به الى شواطىء الادرياتيك

وفي ٢١ كانون الاول امسى « فالكنهاين» امام الامر الواقع . فتولاه الغضب.وبقي رئيسا اركان حرب الدولتين على خلاف شديد .

يونان تخاصم الحلفاء

ودعت الدولة اليونانية الى التجنيد كأنها تروم طعن الحلفاء في ظهورهم.فخاف جيش القائد ساراي على نفسه منها خصوصاً ونفور الملك قسطنطين من الحلفاء معروف .وقد رأت انكلترا كما رأت روسيا



القائد جوستوف

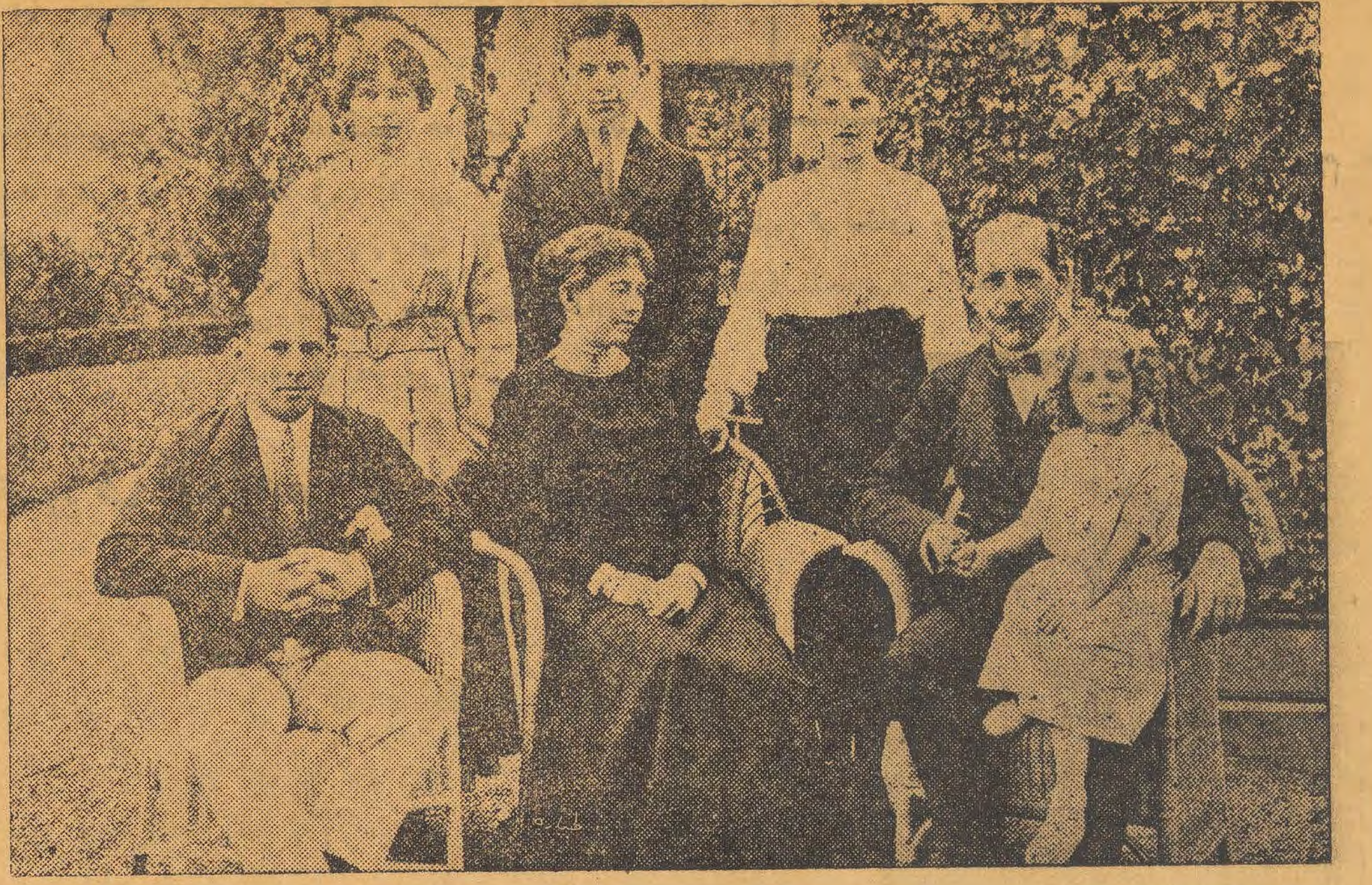
قائد الجيوش البلغارية العام

ان تسايرا الملك

الا ان الموقف دعا الى احتلال جزيرة « كورفو» وهي يونانية لايواء الصرب ، فما اعترضت الحكومة اليونانية . ولكنها في شهر ايار ١٩١٦ اباحت للجيش البلغاري اجتياز حدودها واحتلال حصن «روبل» كأن سياسة التوازن قضت عليها بهذا التسامح ، فتعادل بين كفة هؤلاء واولئك في هباتها . فقلق الحلفاء ازاء ما يرون وطلبوا تسريح الجيش اليوناني وحاصروا الشواطىء اليونانية . فظهر من الملك قسطنطين انه لا يمانع في ذلك . ودعا الى تأليف وزارة يتولاها السيد «زايميس» وهو رجل محترم ، يكاد يكون مجرداً من كل لون حزبي . فما تتحرج الامور في البلاد اليونانية حتى يدعى الى الحكم لتوطيد الهدوء وتبديد الغيوم

حكومة فنزيلوس في سالونيك

على ان السيد «فنزيلوس» وهو من مؤيدي الحلفاء انفصل عن



الملك قسطنطين اليوناني بين افراد اسرته

وهذه الصورة تمثلهم في اثناء الحرب الكبرى

حكومة اثينا وانشأ لنفسه حكومة مستقلة في سالونيك . فاعترف الحلفاء بهذه الحكومة دون ان يقطعوا صلاتهم بالملك قسطنطين

ما لا بد منه ايضاحه

والآن وقد ظهر لنا ان الصرب انهزموا كما انهزم الحلفاء في البلقان فلا بد من القول ان ذلك الجيش الصغير التوى تحت الاعباء لعجزه عن مقاومة قوات تتفوق عليه تفوقاً عظيماً في عددها ومعداتها وتفاجئه من كل ناحية . ومع ذلك استطاع المقاومة ، فما وقع منه في الاسر غير النزر القليل ، عدا ان الجيشين اللذين يقودهما ولي العهد الامير اسكندر والقائد «بوتنيك» سلما من كل خطر . فما اضطرا الى الاستسلام

فالتراجع الصربي ظهرت فيه المقدرة والحنكة . ويمكن القول ان الظافرين ما تمتعوا بيوم اغرّ محجل . فان انتصارهم على سرعته لم يكن لامعاً . فخاضوا معارك انطفأت على اثر وقوعها

وصربيا سقطت بعد شهرين بين ايدي الالمان والنمسيين والبلغار . والمعارك كانت مستمرة في هذين الشهرين، الا انها مبتورة. فما ظهر فيها عمل حاسم . ولقد تساءل النقاد العسكريون أما ارتكبت القيادة الصربية خطأً فاضحاً في امتناعها من حشد العدد الاكبر من قواتها على ضفاف نهر « فردار » ؟... فهي لو قامت بذلك الحشد على هذه الضفاف لتم لها ان تصدم قوات البلغار المتدفقة اليها من الجنوب. ولضم الحلفاء قواتهم اليها وساعدوها على قهر اعدائها البلغار. وبعد قهر هؤلاء كان يتسنى لها بالاعتماد على جيشها والجيش الفرنسي الاندفاع الى مقاتلة الالمان والنمسيين في الشمال والغرب

هذا ما عابه النقاد العسكريون على صربيا . فهي بدل ان تقيم جيشها في مكان واحد انطلقت الى مقاومة اعدائها في كل مكان بقوات غير كافية ، فتبددت عزائمها ، وساعدت اعداءها على النيل منها ، وعدد قواتها الضئيل في الجنوب حال دون امتداد مقاومتها الى نهر « فردار » وقد حرمت الوسائل التي تبيح امتداد هذه المقاومة اليه

على ٣٠ ميلا

فالفرنسيون كانوا في اواسط شهر تشرين الثاني على ثلاثين

ميلا من القوات الصربية ، واذا الموقف الحربي يدعوهم الى التراجع وقد ورد عليهم ان تفوق اعداء الصرب بعددهم في ولجات «بابونا» غربي مدينة « كريفولاك » ، قضى على الجيش الصربي بالهزيمة

الحلفاء اهملوا صربيا

على ان ارتكاب القيادة الصربية هذه الهفوة يجب ان لا يبرر نوم الحلفاء عن صربيا . فالحملة الفرنسية ظلت حتى ٦ تشرين الاول تعمل وحدها في تقدمها على نهر «فردار» . فالانكليز لم ينزلوا الى الميدان في سوى ذلك اليوم نفسه ، وكان باستطاعتهم ان يبدأوا العمل قبل هذا التاريخ

ومع ان من سالونيك الى الحدود الصربية مسافة لا تزيد على



الجيش الصربي المنهوك القوى

يجتاز جبال الالب الالبانية

اربعة وعشرين ميلا فما تسنى للقوات الفرنسية اجتياز هذه المسافة — وهي ليست ذات شأن — الا بعد اصطدامها بالقوات البلغارية ودفع هجماتها، وكانت تمنع تقدم الفرنسيين خطوة فخطوة

وجلاء الصرب عن «بابونا» حمل الفرنسيين على التراجع لئلا يقطع عنهم البلغار خط الرجعة ويشقونهم الى فئتين

الحقائق الراهنة

اما ولا غنية لنا عن بسط الحقائق بايجاز حباً للفائدة فاننا نقول :

منذ اواخر تشرين الاول ١٩١٥ فقد الصرب نصف ديارهم ، واضطروا الى التراجع نحو الشمال والشرق وقلب البلاد

وفي ٩ تشرين الاول انقضت على ايام طوال القذائف على بلغراد واستولى اعداء الصرب عليها . وفي ١٧ وصل البلغار الى « فرانيا » على ضفاف نهر « مورافا» الشرقية بين «نيش» و « اسكوب » ، وفي ١٨ وقفوا امام « فيليس » و « كريفولاك » ، وفي هذا النهار نفسه احتلوا « فيليس » ، وبعد قليل تم الاتصال البلغاري الالماني بطريق وادي نهر « تيموك » الى « نيغوتان » . وفي ٣٠ سقطت مدينة « اسكوب» بين ايدي اعداء الصرب وهي المدينة الثالثة في المملكة الصربية ، كما سقطت « بيرو » و « نيش » . وفي ٣١ استولى الالمان على « قره غويفاتس » وفيها تقيم الحصون الصربية . وهذه الحقائق وان يكن سبق لنا الحديث عنها بالتفصيل فقد شئنا ايجازها لنقول ان صربيا باتت في اول تشرين الثاني في حالة يأس ليس بالامكان النجاة منها. فالطرق كلها سدت عليها . ومما قال الكاتب الفرنسي « هنري باربي » في كتابه الملحمة الصربية : « ليس من شبه بين مصير صربيا ومصير بلجيكا ، فكل ما آل اليه امر البلجيكيين — وقد انتهوا الى حالة هائلة — هو دون القليل ازاء ما افضى اليه امر الصرب وقد سدت امامهم الابواب وباتوا لا يتناولون مدداً من اي ناحية كانت ! »

فالشعب الصربي كان ينأى عن بلاده وهو لا يدري الى اين يلجأ

اختناق صربيا

وكتبت جريدة « لوكال انزيجر » الالمانية في هذا الصدد فقالت : « يزداد الحبل الذي ضربناه على عنق صربيا احكاما يوماً عن يوم . وستأتي ساعة تختنق فيها الضحية وتفيض انفاسها .. »

وكانت الحكومة الصربية قد انتقلت في البدء الى الشمال الغربي من «نيش» ، وفي اول تشرين الثاني وقد بات البلغار امام «نيش» انتقلت الى الجهة الجنوبية الغربية ، فاقامت في « كراليافو» ، وبعد ايام قلائل كانت تنتقل الى « ميتروفيتزا » ، ولم تهدأ بها الحال في « ميتروفيتزا » فانتقلت منها في ١٦ الى « بريزرن » على مقربة من الحدود الالبانية ، واذا بها تجتاز هذه الحدود وتقيم في «اشقودره»

واستقرت في ٢٥ تشرين الثاني في اشقودره . ووافاها اليها القسم الكبير من جيشها المنهزم . فالالتجاء الى الجبل الاسود والبانيا بدأ في الجيش الصربي في ١٧ و١٨ تشرين الثاني وتم في ٦ كانون الاول

وفي ٢٢ تشرين الثاني استولى النمسيون على « نوفي بازار » ، وفي اول كانون الاول كانت « بريزرن » تقع بين ايدي الالمان والنمسيين ، وفي اليوم التالي اضطر الكولونل « فاسيش » البطل الى اخلاء « موناستير » و « موناستير » اقرب الى يونان منها الى البانيا

الملك بطرس الاول

هذا ايجاز بعد اسهاب . وقد اوردناه في سطور قلائل بعد تلك الصفحات الطوال لنشير الى سرعة احتلال صربيا . ففي شهرين تم للائتلافيين امتلاك الامر فيها . مع ان الصرب ابدوا كل شجاعة وتضحية، ولكنه العدد الاكبر يقهر العدد الاصغر ، عدا ان هناك المارشال « ماكنزن » والجيش الالماني . فمن قهر الروس لا يعجز عن قهر الصرب

بطرس الاول في مركبة يجرها ثوران

وفي حديثنا عن بطولة الصرب نورد ما كان من الملك بطرس الاول . فالملك كان قد بلغ سن الشيخوخة ، الا ان شيخوخته ما افقدته عزمه . فهو لدى انتقال حكومته الى « بريزرن » لم يشأ ان يكون بين رجال هذه الحكومة ،بل بقي على عمره ومرضه بين جنوده .

وقد ابصره السيد « باربي » في شهر كانون الاول في «بريشتينا» يتصدر مركبة تجرها بقرتان . ذلك ان الملك اضطر الى ابقاء سيارته في الجبال . والمركبة كان يقودها فلاح شيخ . وما تمالك بطرس الاول لدى رؤيته جيشه منهوك القوى ، مبعثر الشمل، ان صاح : اذا اضطر هذا الجيش الى الاستسلام فلن ابقى حياً !

هيام الشعب بمليكه

فتأثر الجيش وهو يسمع من مليكه ما يسمع . وكان قد اختلط بهذا الجيش المنكوبون الصربيون من رجال ونساء فبات في اشقى حال . ومع كونه انتهى الى ذلك المصير ، ومع كون كل عزيمة فيه تلاشت، فقد اعلن ميله الى انقاذ الملك من كل خطر . ولانقاذ الملك شدد الجيش من قواه واستمد تنظيمه ووثب على البلغار فارجعهم بضعة اميال وفتح منفذاً للملك والمنكوبين

وجرت بعد هذا الحادث معركة « كاتشانيك » فدامت ستة ايام . وقد اندفع فيها الصرب بكل ما اوتوا من العزم ، وانتشوا بخمرة التضحية . فهم لشدة يقينهم ان مجهودهم لا فائدة منه التمسوا الموت . وكثيرون منهم طواهم الموت ، ومما كان يزيدهم شوقاً اليه ان المؤن نفدت منهم ، فلم يجدوا خبزاً ليأكلوا

رأي جريدة المانية

وتحدث المنشيء العسكري في جريدة «اربيتر زيتنغ» الالمانية فقال : « الصرب يتسلقون القمم . ويأبون ان يستسلموا ما داموا يجدون لقمة من الخبز ورصاصة . واذا نفد منهم الرصاص وثبوا على اعدائهم بالسلاح الابيض، وهم يتوارون الان في الغابات وينظمون انفسهم لحرب العصابات ، وهي حرب هائلة ينطلقون فيها افواجا افواجا »

وقد اعلن منشيء « اربيتر زيتنغ » العسكري هذا الحديث في اواخر شهر تشرين الثاني

على ان ما ادهش في الصرب هو اجتيازهم جبال الالب الالبانية في شهر كانون الاول . اجتازوا هذه الجبال مع كونهم مهزومين جائعين عراة ، يتساقط عليهم المطر والثلج ويغرقون في وحول الطرق وليس بالامكان الخلاص فيها . على انهم نجوا من كل هذه الاهوال دون ان يفنوا . وما كادوا يجتمعون في « اشقودره » حتى استعادوا قواهم الجسدية والنفسية

شقاء الصرب

ومن الصعب ايضاح ما عانت هذه القوات من البرد وهي المحطمة المشمة الخائرة الهمة . فكانت تجتاز اعالي الجبال المكللة بالثلوج وهي ترتجف دنقاً . وكان عليها ان تقاوم قطاع الطرق واللصوص في مضايق وولجات رهيبة

اجل ، ما خلا الاندفاع في هذه الشدائد من ضحايا، على ان قادة الجيش البسلاء عرفوا كيف يدربون هذه القوات الفارة وينعشونها ويثيرون فيها القوة والحياة . فما غفلوا عنها بل اهتموا على الفور بتنظيمها كأنها لم تصطدم بعقبة من العقبات

ومن الضرورة الاشارة الى القائدين الاوفر همة في تنظيم هذا الجيش بعد تضعضعه . فها رئيس اركان الحرب في الجيش الصربي القائد «بوتنيك» ، والكولونل « جيفكو بافلوفيتش» . وخلف بوتنيك في قيادة الجيش الصربي الايطالية القائد « ميشيتش» . فقد تخلى له «بوتنيك» القائد العام عن مهمته على اثر تعب شعر به حال بينه وبين القيام باعمال القيادة الكبرى

الجبل الاسود يطوى بعد صربيا جناحيه

ملك الجبل الاسود يقاوم النمسيين والبلغار حتى آخر مجهود لديه

البانيا تسقط كما سقطت صربيا وسقط الجبل الاسود

لقيت صربيا في سنة ١٩١٥ في الجبل الاسود من المساعدة ما لقيت في سنة ١٩١٤

فالجبل الاسود كان للصرب مخلصاً اميناً . واستطاع بعد سقوط « موناستير » ان يقاوم ستة اسابيع . فما اعلن الملك نقولا انه غلب على امره الا وقد دخل النمسيون عاصمته «ستنجه» في ١٤ كانون الثاني ١٩١٦

ولما اقر بالهزيمة انتقل فوراً الى اشقودره احدى مدن البانيا ، بل هو اقر بالهزيمة موقتاً . ولدى بلوغه اشقودره واجتماعه فيها بوزرائه اذاع تصريحاً يبلغ فيه ممثلي الحلفاء اللاجئين مثله الى اشقودره انه سيركب واياهم البحر الى « سان جان دو مادوى » شاخصاً الى ايطاليا. واحتج على مزاعم النمسيين القائلة ان قواته استسلمت

وفي اليوم التالي اعلن وزراؤه ان المعارك توالت على الجبهة بكاملها. انه لادعاء تسوده المبالغة مع كونه لا يخلو من الحقيقة. فالمعركة جرت على حدود الجبل الاسود والبانيا . وكانت الجبال ميداناً لها. ولما طغى البلغار والنمسيون على البانيا اقبلت قوات الجبل الاسود والقوات الصربية الى نصرة اسعد باشا وحماية اشقودره وتأخير سير النمسيين والبلغار الى « ديرازو »

ارتياح الحلفاء للملك نقولا

فاصغى الحلفاء بارتياح الى تصريحات الملك نقولا ، وكانوا قد صدقوا ما اذاع النمسيون عن استسلام جيش الجبل الاسود . وفي هذا الاستسلام احبولة حاكها الملك نقولا نفسه. فاعلن استسلام قواته كي يخدع النمسيين ويفسحوا له ولاسرته المجال الى النجاة من الاماكن البادي فيها الخطر

وفيما يتحدث العالم عن هذا الاستسلام كان جيش الجبل الاسود ينتقل من وطنه الى جبال « الالب » الالبانية ويرقب ان يجتازها ليخوض في البانيا نفسها معاركه الاخيرة

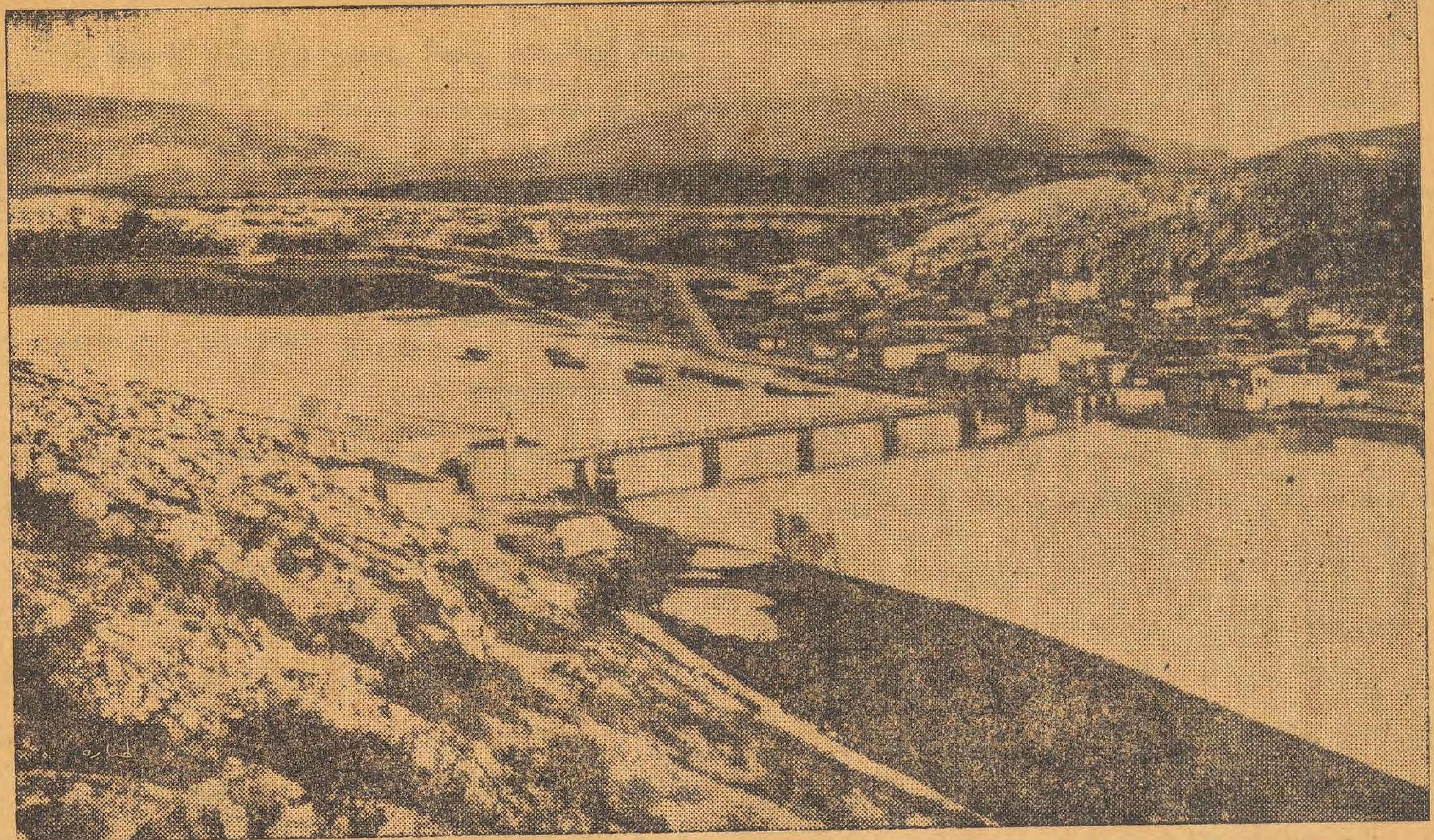
ولقد فوجىء الجبل الاسود بالحرب يوم فوجئت بها صربيا، فدهمته في شهر آب ١٩١٤ ثم في ١٢ تشرين الاول ١٩١٥ ، وحدود الجبل الاسود هوجمت في المرة الاخيرة من اماكن متعددة . هاجمها النمسيون . وجرت فيها معارك طاحنة رافقها الاقبال والادبار . وفي مرات كثيرة في اودية « ليم » و « تارا » و « درينا » تحول المدافع الى مهاجم ، والمهاجم الى مدافع

واشارت البرقيات في بدء الحرب الى ان ابناء الجبل الاسود يدافعون عن ديارهم وهم يجاوزون حدودها الشمالية والغربية . وذلك في «هرزيغوفين» و « فيشغراد » و «غاتزكو» في الغزوة النمسية الاولى

على ان النمسيين في الغزوة التالية تقدموا رويداً رويداً باسطين جبهتهم. ووردت عليهم النجدات والمدافع والذخائر. وفي شهر كانون الاول سنة ١٩١٥ تقدم البلغار من جهتهم .فاحتلوا والنمسيين «ايك» بين الحدود الصربية والالبانية على اثر حادث طنان حاسم هو الاستيلاء في ١١ كانون الثاني ١٩١٦ على جبل « لوفسين » المرتفع ألفي ذراع عن بحر الادرياتيك . وهذا الفوز وفره للنمسيين تفوق مدفعيتهم . فما دهموا ذلك الجبل من البر فحسب بل دهموه من البحر ، من خليج « كاتارو » ، فاطلقت عليه سفنهم قذائفها بامعان ، على مدى ايام اربعة. فاتحدت على تدميره اربعمئة وستة وثمانون مدفعاً وثلاثمئة رشاشة . ولم يكن يقاوم فيه ما يزيد على خمسة آلاف رجل يقودهم احد ابناء ملك الجبل الاسود الامير بطرس ،على حين ان الاعداء كانوا خمسين الف مقاتل . والاستيلاء على جبل « لوفسن » هو الاستيلاء على العاصمة « ستنجه » . فقد امست ابوابها مفتوحة للاعداء

الهجوم على البانيا

واتسع المجال لاحتلال اشقودره . فمشت اليها القوات النمسية والبلغارية . وقاوم الالبان حتى ٢٥ كانون الثاني ١٩١٦ تساعدهم فلول القوات الصربية وجيش الجبل الاسود . ومضوا في مقاومتهم حتى النفس الاخير



مدينة اشقوره الالبانية وقد لجأ اليها الصرب المهزومون

الا انها ما لبثت ان سقطت بين ايدي النمسيين والبلغار

وكان على رأسهم القائد العثماني اسعد باشا . وهو رجل غريب الاطوار ، وافر الذكاء ، شديد العزم . فقاوم شهراً كاملا بعد الجلاء عن اشقودره يسعفه الايطاليون المقبلون من «فالونا» ، مع كون القوات النمسية البلغارية تتفوق كل التفوق عليه

اسعد باشا يجتاز الادرياتيك

وفي ١١ شباط ١٩١٦ بانت القوات النمسية على اربعين ميلا من « ديرازو » . وفي ١٢ استولت على « تيرانا » ، الا ان الالبانيين وحلفاءهم استطاعوا في ١٨ ان يصدوهم عن مبتغاهم . الا ان ذلك لبعض الزمن . ففي ٢٢ امسوا على ١٦ و ١٧ ميلا من « د يرازو » ، وفي ٢٦ احتلوها . وباحتلالها انتهت المأساة الالبانية . فبرح اسعد باشا وطنه واجتاز بحر الادرياتيك الى ايطاليا . واعتصم الايطاليون بثغر « فالونا » واستقروا فيه وقد اضحى لهم اشبه بثغر سالونيك للحلفاء

تقسيم صربيا والجبل الاسود

وشاع على الاثر ان صربيا ستشطر الى شطرين ، فتتولى النمسا شطراً منها وتقبض بلغاريا على زمام الشطر الاخر . ويمسي الجبل الاسود تحت سيطرة النمسا ، يعهد بالحكم فيه الى ولد خائن من اولاد الملك نقولا هو الامير «ميركو» ، اما البانيا فيعود امرها الى ما كانت عليه يوم ارتقى الى مقام الحكم فيها الامير «ده ويد» الالماني

وقيل ان قائداً نمسياً وعدها بالاستقلال . و كتبت جريدة «ريخبوست» الالمانية تقول : تجتاز الجيوش الائتلافية بلاد البلقان محررة منقذة ، فتمنح كل امة حريتها وما يصيبها في الاستقلال من حقوق مفروضة لها !

فكرتان تتصارعان في المانيا

هندنبورغ يعلن ضرورة تهديم روسيا قبل شن الغارة على فرنسا فيخالفه في الرأي فالكنهاين و يتغلب عليه

فردون قبلة الانظار !

في اوائل سنة ١٩١٦ اجتاحت فكرتان البلاد الالمانية، فكرة ترمي الى متابعة القتال في الشرق وتهديم روسيا حتى تصفي فلا تقوم لها قائمة ، وفكرة ترمي الى الانطلاق في الميدان الغربي والعودة الى احتلال باريس

والفكرة الاولى نادى بها المارشال هندنبرغ ، والاخرى القائد « فالكنهاين » رئيس اركان الحرب العام في المانيا ووزير الحرب فيها . وعقدت المجالس والمؤتمرات لترجيح احدى الفكرتين، فاذا فكرة القائد «فالكنهاين» الراجحة ، فآثر القادة الالمان مهاجمة فرنسا على سحق روسيا سحقاً نهائياً والعودة بعد ذلك الى سحق فرنسا. فقد امست لديهم روسيا في حكم العدم وباتوا لا يخافون شرهـا وفي يقينهم ان تحطيمها كان كافياً ، على حين ان فرنسا لا تزال تتنفس، والاجهاز عليها معناه الاجهاز على دول الحلفاء جمعاء . فلا تبقى حاجة الى تهديم روسيا وهزيمة فرنسا وحدها تهدم الحلفاء بلا استثناء

ذلك هو الرأي الذي ساد ادمغة القادة الالمان في معظمهم . ويجب ان لا ننسى ان الحقد على فرنسا كان يقودهم في مرماهم هـذا اكثر مما يقودهم المنطق . فما كانوا يخشون غير فرنسا. والخوف منها دعاهم الى شن الغارة عليها وكل قصدهم ان يبضعوا الدملة الكبرى ، ومتى بضعوها استراحوا وباتوا على اطمئنان، فلن يصعب عليهم النجاة من الدمامل الاخرى بامان

الحلفاء في سنة ١٩١٦

والحلفاء كانوا قد اجتهدوا في سنة ١٩١٥ في توحيد مجهودهم فلم يفلحوا . فارجأوا الامر الى سنة ١٩١٦

وفي شهر كانون الاول سنة ١٩١٥ دعا القائد « جوفر » الى عقد مؤتمر في « شانتيي » يحضره ممثلو جيوش الحلفاء . وعقد هـذا المؤتمر في ٦ و ٧ و ٨ من الشهر نفسه ، وتناولت الابحاث الاماكن التي يجب على الحلفاء ان يخوضوا فيها غمرات القتال والوسائل التي تضمن النجاح . فاجمعت الكلمة على ان الوسائل الضامنة النجاح هي الهجوم بقوة على الاعداء في اوقات متعادلة. فمن الضرورة بادىء بدء حرمان العدو حرية العمل

ومما جرى الاتفاق عليه ان العدو اذا تقدم هجوم الحلفاء العام فعلى الحلفاء ان يقاتلوا منفردين ، وعلى كل منهم ان يلتمس المساعدة من الاخر ، وعلى من يدعى الى المساعدة ان يوفرها بكل ما لديه من وسيلة مستطاعة

جوفر يخاطب قادة الجيوش

وفي ١٥ كانون الاول ١٩١٥ كتب « جوفر » الى قادة الجيوش يدعوهم الى النظر في احوال المناطق التي استقروا فيهـا استعداداً لهجوم عام . فعلى قادة القوات المعسكرة في الشمال ان يقفوا على الحالة « في منطقة نهر سوم » و « لاسينيي » ، وعلى قادة قـوات القلب ان ينظروا في الموقف في المنطقة الواقعة بين اعالي « كروان » و« ري »

وينظر قادة جيوش الشرق في المنطقة الواقعة بين غابة «ابريون» وغابة الكاهن ، وبين غابة « بازانج » الكبرى وجبال «فوج» ، واخيراً في وجات « بلفور »

واذا اتصل الجيشان الفرنسي والانكليزي بعضهما ببعض ساعدهما اتصالها على توحيد العمل في الزمان والمكان

وجرى في القيادة الانكليزية العامة تبديل الرأس . فحل القائد « دوغلاس هايغ » محل القائد «جون فرنش» . ولما اقبل القائد



القائد « بوتينيك » يجتاز بمقعده جسر الوزراء محمولا على سواعد جنوده

القائد « بوتنيك » هو قائد الجيش الصربي العام . وكان في الحرب العالمية الكبرى قد بلغ من العمر عتياً . وهذا الرسم يمثله محمولا على سواعد جنوده فيما القوات الصربية تجتاز تحت الثلوج جسر الوزراء في اثناء هزيمتها الكبرى

الانكليزي الجديد الى « شانتيي » للمرة الاولى، يزور فيها في اواسط كانون الاول ١٩١٥ القائد جوفر ، ألقى عليه القائد الفرنسي العام السؤال التالي : أيستطيع الانكليز ان يقوموا بهجوم على جبهة جيشهم الثالث بين « اراس » ونهر «سوم» ؟..

فاذا رضي الانكليز بان يقاتلوا في هذه الجبهة ابقاها لهم الفرنسيون واهتموا بالقتال في جنوبي نهر «سوم»

فاجاب القائد «هايغ» انه يؤثر الهجوم في بلاد « فلاندر » في بلجيكا . ذلك كان رأيه واصر على العمل به . غير انه في ١٤ شباط ١٩١٦ رضي بالانضمام الى الفرنسيين في هجوم مشترك على نهر «سوم» ، فيتولى الفرنسيون امر الضفتين ، ويتم الهجوم في اواخر شهر حزيران ١٩١٦

جوفر يعود الى مخاطبة القادة

ورضى القائد الانكليزي العام بالعمل المشترك في هجوم نهر « سوم » مال بالقائد جوفر الى مخاطبة قادة الجيوش قائلا لهم انه ينوي تحطيم قوات الاعداء بهجوم عام فرنسي انكليزي على جبهة جيوش الشمال . ودعاهم الى الاستعداد لهذا الهجوم في اول تموز ١٩١٦

وعلى القائد فوش للقيام بهذا الهجوم ان يتولى امر ٣٩ فرقة من المشاة، وثلاث فرق ملازمة ، ومن هذه القوات كلها تتألف ثلاثة جيوش تملك ١٧٠٠ مدفع ضخم مجهزة تجهيزاً تاماً . وهذه الوسائل يجب ان تساعد على هجوم عنيف على جبهة طولها ٤٣ ميلا بين نهر «سوم» و «لاسينيي» . وستمتد الى الشمال بالهجوم الانكليزي من نهر «سوم» الى «هابيترن» ، فيكون طول جبهة القتال ٧٠ ميلا

الالمان يهاجمون فردون

على هذا تم اتفاق الحلفاء ، غير ان الالمان سبقوهم في الهجوم ، ففي ٢١ شباط ١٩١٦ واثبوا حصون فردون. والجيش الالماني كان قد

الملك بطرس الاول

❋ ملك صربيا يستريح ❋

في اثناء هزيمة الجيش الصربي وانتقاله الى البانيا كان ملك صربيا بطرس الاول بين قواته المنهزمة يدعوهـا الى الجلد والصبر ويبث فيهـا الشجاعة والنشاط ويوفر لهـا المثل على احتمال المكاره

وهذا الرسم يمثله في البـانيـا يستريح من التعب والمشقة وقد سار اليها مشياً على الاقدام لينال مع شيخوخته ما نال شعبه من اوجاع وآلام



استطـاع بجهد في سنة ١٩١٥ البقاء في الجبهة الغربية ، مع انه ضرب في الجبهة الشرقية روسيا ضربة قاسية . فقضى على جيوش القيصر بالتراجع خمسمئة ميل

وقد قلنا ان رئيس اركان الحرب الالماني اطمأن الى موقف روسيا . فلن يخشى من الروس تهديـداً . كما انه تنبأ بالثورة الروسية الكبرى فكتب يقول :

« اذا قام قادة الائتلافيين وجيوشهم بالواجب المفروض عليهم فليس من خطر يدعو الى اتقائه من جانب روسيا وومضات الثورة بدأت تزعج الجو الروسي »

وكان ان انضمت بلغاريا الى الائتلافيين وساعدت على انقاذهم من الصرب . والخلاص من الصرب ضمن للنمسا الراحة ، عـدا ان الاتصال بتركيا بات ممكناً من بلغاريا ، وسدت الابواب من كل ناحية على روسيا حتى في البحر الاسود وقد حوصرت فيه

خطة الائتلافيين

ونظم الائتلافيون خططهم لسنة ١٩١٦

فابدت حكومة النمسا والمجر رغبتها في مهاجمة ايطاليا ، وطلبت ان تؤيدها في هذا المرمى تسع فرق المانية عدا القوات الالمانية العاملة في ميادين غاليسيا . وعندما يتسنى لها ان تسحق الجيش الايطالي توفد اربعمئة الف رجل الى الجبهة الالمانية الفرنسية

غير ان رئيس اركان الحرب الالماني لم ينخدع بهذه الوعود . ففي ١٦ كانون الاول ١٩١٥ اجاب القائد « فالكنهاين » القيادة النمسية بقوله انه يرفض ايفاد القوات التي تطلبها النمسا ، ويصر على سلخ القوات الالمانية باجمعها من الجبهة الروسية في جنوبي « بريبيا » ، وعلى القوات النمسية التي يستغنى عنها في الجبهة الايطالية ان تحل محلها

رأى فالكنهاين فى فرنسا

وفي عيد الميلاد من سنة ١٩١٥ رفع القائد « فالكنهاين » الى امبراطور المانيا تقريراً اودعه اراء اركان الحرب في المانيا في الخطة الواجب اتباعها في سنة ١٩١٦

وقد جاء في هذا التقرير ان فرنسا بلغت حدود التلاشي ، وان روسيا باتت مأمونة الجـانب ، وان صربيـا صارت الى الاضمحلال وايطاليا نولتها الخيبة . وليس يحمل هـذه الدول على الاستمرار في خوض القتال سوى رغبة بريطانيا العظمى في سحق المانيا ، فهي تضمر للامبراطور غليوم الثاني من الشر ما كانت تضمر للامبراطور نابوليون الاول

غير انه من الصعب مهاجمة انكلترا مباشرة واسطولهـا يحمي شواطئها ومستعمراتهـا بعيدة عنها . فان خير سلاح للوقوف بها عن كيدها قهر حلفائها . فتى ظهر لها منهم انهم عاجزون عن القتال مالت عن مطامعها . فمن الضرورة اذاً مقاتلة هؤلاء الحلفاء والسعي لاثارة



الجنود الصرب

يصيبهم التلاشي في هزيمتهم الكبرى

لما ضرب المارشال ماكنزن الالمان الجيوش الصربية تلك الضربة الكبرى اقصاها عن ديارهـا وبدد شملها ودفعها الى الجبال بين البرد والثلج

والى جانب هذا الكلام رسم يمثل فلول الجيوش الصربية وهي تفر الى الجبال لاتقـاء حكم القضاء الرهيب

وبدت في الرسم الاشجار مقطوعة مجردة من الاغصان بعدما انهالت عليها قذائف الالمان والنمسيين والبلغار

مستعمراتها عليها ، والامعان في احراج موقفها في حرب الغواصات

وورد في تقرير لقيادة البحر الالمانية ان حرب الغواصات ترمي في سنة ١٩١٦ انـكلترا بالوهن ، وليس لتدخل الولايات المتحدة الاميركية في الامر من فائدة في ذلك الوقت الوجيز

كيف نحطم انكلترا ؟

وتساءل الالمان كيف يحطمون انكلترا في البر ، اي كيف يقهرون حلفاءها وينزعون من يدها هذا السلاح الماضي ؟

كانت النمسا قد اقترحت محاربة ايطاليا وقهرها. فرفض تقرير «فالكنهاين» اقتراح النمسا وعنده ان قهر ايطاليا لن يكون ذا اثر في انكلترا. فليس يهمها انتصار الايطاليين او اخفاقهم بقدر ما يهمها ذلك في الفرنسيين

واعرض القائد عن متابعة القتـال في روسيـا لكون الجو لا يساعد في شهر نيسان على القتال فيها ، ولان احتلال ولاية «اوكرانيا» وافر الصعوبة وليس في هذه الولاية من طرق للمواصلات ، عدا ان التوغل فيها يعرض جانب الجيش الالماني لهجمات القوات الرومانية . والمانيا لا تثق برومانيا

اما الاندفاع الى «بتروغراد» عاصمة روسيا فلا فائدة منه . والزحف الى موسكو يعرض الجيش للضياع . فليس ثمة من عمل ناجع في سوى الديار الفرنسية

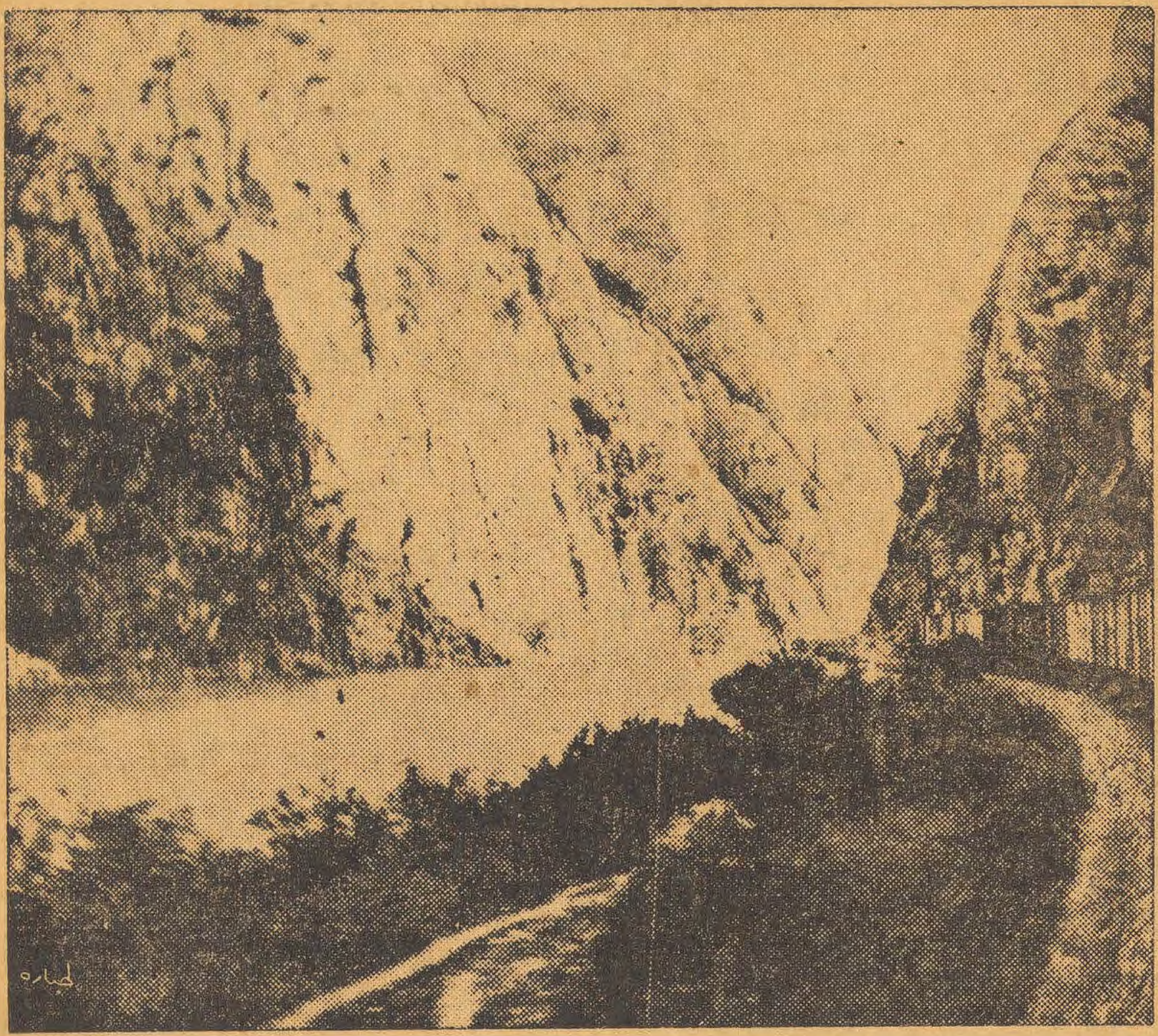
ولقد بلغت فرنسا الحد الاخير من تضحياتها . اجل ، هي قامت بهذه التضحيات بشجاعة ، الا ان الاحراج ينتهي بها الى اليـأس ، وليس لالمانيا ان تقاتل فرنسا بتلك الجحافل الجرارة التي دفعتها في بدء الحرب اليها . فان بالامكان بلوغ الهدف بقوات اقل عدداً . وفي فرنسا مواقع لا يرضى الجيش الفرنسي ان يراها تفلت منه حتى ولو فني على بكرة ابيه ، فالقيادة الفرنسية مضطرة فيها الى المجازفة باخر جندي . فتطلق اليها المانيا جيوشها تضايق الفرنسيين ، وعند ذاك لا بد للجيش الفرنسي ان يتلاشى . واذا مانع في التضحية استولى على تلك الاماكن الالمان وكان للامر اثر مفجع في نفوس الفرنسيين باجمعهم ، وبهذه الوسيلة يتم للالمان بلوغ الهدف مهما يكن من الامر

المجال غير فسيح

ومن رأي « فالكنهاين » ان مجال القتـال غير فسيح ، فهو لا يدعو الى بذل قوات كبيرة ، مما يتسنى به لالمانيا ان تظل مالـكة قوات اخرى تدرأ بها كل خطر عنها قد ينجم في سائر الجهات

واختار رئيس اركان الحرب الالماني المواقع التي تحقق بغيته في ارهاق الفرنسيين والظفر بهم ، فهي « بلفوز » و « فردون »

وجاء في ختام التقرير :«غير ان فردون يجب ايثارها على بلفور. فالخطوط الفرنسية فيها على بعد عشرين ميلا من الخطوط الالمانية . عدا ان فردون اعظم موقع يحرص عليه الفرنسيون، فانهم ليضحون



النجدات الفرنسية

في دميرقبو

لما صمم الحلفاء على نجدة صربيا اوفدوا اليها جيوشهم . غير ان هذه الجيوش وصلت بعد فوات الاوان فما جاءت بفائدة . فما بلغت صربيا حتى كان اعداء الصرب قد اجهزوا عليها

والرسم يمثل قطاراً يسير في وجاات « دميرقبو » يحمل الى الصرب النجدات الفرنسية

في سبيله بكل ما لديهم من قوات. فاذا ظفرنا به اتقينا خطراً عسكريا بليغاً وحملنا الفرنسيين على الجلاء عن الالزاس العليا ،ونجحنا نجاحا سياسياً باهراً ، واستطعنا بلوغ بلفور على اهون سبيل»

هذا ما رغب الالمان فيه في معارك فردون . فقد شاؤوا اكراه الفرنسيين على الدفاع ومنعهم من الهجوم . وهو دفاع يكلف غالياً من يضطر اليه

خدعة الالمان

وتكتمت القيادة الالمانية العليا كل التكتم في ما اعتزمت . فما اطلعت حتى اصدقاءها على ما صممت النية عليه .بل اوهمت الجميع انها تستعد لهجوم في الالزاس العليا . وقام الجيش الالماني بهذه التدابير على مرأى من كل ذي بصر لتتم الخدعة . وظل ماضياً فيها حتى لدى مباشرته العمل في «فردون» ، مما جعل الفرنسيين على ارتياب في المكان الذي يرغب الالمان في ان يهاجموهم منه

غير ان القائد « فالكنهاين » يقول ان الفرنسيين اطلعوا على الخبر. فقد جرت في برلين احاديث طائشة اهابت باحد الجواسيس الى نقلها الى الفرنسيين ، عدا ان احد الفارين من الجيش نقل اليهم في اواخر كانون الثاني ١٩١٦ او في شهر شباط النبأ نفسه

ثم ان الطيارات الفرنسية كانت وقد وقفت في شهر كانون الثاني على استعداد الالمان ، ولم يكن من القيادة الفرنسية العليا الا ان اهتمت بتحصين «فردون» ليقينها ان الهجوم عليها في « ارتوى » وشمبانيا امر يبعث على الشك و يحتاج الى الاثبات والتأييد

القيادة الفرنسية على اطلاع

والحق يقال ان القيادة الفرنسية اطلعت على النبأ ولكن في ٨ شباط . وقد روى لها ذلك احد الفارين. فحدثها عن موقع الفيلق الالماني الثالث وموقع الفيلق الاحتياطي الثامن. وفي ١١ شباط ١٩١٦ جاءها من احد جواسيسها نبأ حشد الفيلق الخامس عشر واستقرار المدفعية الالمانية الثقيلة على ضفة نهر « موز » اليمنى

فردون المحصنة

في ٥ آب ١٩١٥ اذيع في فرنسا مرسومان يقضيان بالغاء استقلال الاماكن المحصنة

فالجيش بحاجة الى مدافعها ولم يكن لها من فائدة في « لانقر » و « ابينال » . كان بحاجة الى هذه المدافع للقيام بهجومه في شمبانيا، وهي مدافع يبلغ عددها ٣٢٠٠ مدفع ضخم مجهزة بمليون وستمئة الف قذيفة ، و ١٨٠٠ مدفع خفيف مجهزة بمليون واربعمئة وخمسين الف

قذيفة ، وكان الجيش بحاجة الى حاميات هذه الحصون ايضاً . وما استثنى المرسومان غير فردون وحدها

فقد نشر في ١٠ آب ١٩١٥ مرسوم قضى بان تكون فردون محصنة وعهد بامرها الى القائد « هر » قائد الفيلق السادس . وفي ١٥ آب انشىء مكانان محصنان آخران في « دنكرك » و « بلفور »

وامتدت المنطقة المحصنة في « فردون » من « بيتانكون » الى « كير » الكبرى . وارتبطت بجيش الشرق . ومنذ ٩ آب ابلغ القائد « ديباي » القائد « هر » الخطة الواجب عليه العمل بها . وهي خطة تقضي بالدفاع عن الجبهة ومنع انتهاك حرمتها بتأمين اتصال الجيش الثالث في « الارغون » بالجيش الاول في « ويفر »

ولتحقيق هذه الامنية يجب تنظيم الموقف تنظيما يقوى به الجند على الدفاع باستمرار ، وذلك بانشاء حصون متعددة على ضفتي نهر « موز »

ولكن هذه الحصون المطلوب انشاؤها تحتاج الى عمل متواصل. وهذا العمل لم تقم به الدولة ولا دعت وزارة الحرب اليه، فثار قلق الكولونل « دريان » ، نائب « نانسي » وهو يتولى امر قوة من القناصة في منطقة « فردون » المحصنة . وابلغ في اول كانون الاول ١٩١٥ رفاقه في لجنة الجيش مخاوفه ، واطلع رئيس اللجنة القائد « بيدوايا » القائد « غالياني » وزير الحرب على النبأ

على ان الكولونل «دريان» ما اكتفى بابلاغ رئيس لجنة الجيش ما رأت عيناه ، بل حدث في ذلك رئيس الوزارة السيد بريان، فطلب بريان من القائد « غالياني» ان يصغي الى اقوال الكولونل «دريان» ، وكلفه في مجلس الوزراء ان يكتب في ذلك الى القائد جوفر

وفي ١٠ كانون الاول كتب القائد « غالياني » الى القائد العام «جوفر» عن حالة الجبهة العامة وضرورة الاهتمام بتحصينها . ولفت نظره الى مناطق «ميرت» و «تول» و « فردون » والى الخوف من التأخر في انشاء خنادقها. وزاد فقال ان هذه الحالة شديدة الخطر. فاذا تم للاعداء ان يحطموا الجبهة وينفذوا منها باتت الحكومة باجمعها عرضه للتبعة . وطلب الى القائد « جوفر » ان يؤمن مناعة الجبهة بكاملها على خطين على الاقل بكل ما يحتاجان اليه من تسليح وتنظيم .

فاجاب في ١٨ كانون الاول القائد جوفر قائلا : ان تحصين الاماكن التي تقلق الحكومة عليها يسير سيره نحو الكمال ، وان ليس للحكومة ان تخشى من ذلك على نفسها !

واوفد الى الجبهة القائد « كاستلنو » يطوف فيها ، فاذا الحالة تطابق المنهاج الموضوع ، على انه اوصى بالاسراع في العمل

طرق المواصلات

وطرق المواصلات الفرنسية ضعيفة في فردون ، على حين ان الالمان انشأوا منذ شهر كانون الاول اربعة عشر خطاً حديدياً نافذة بكاملها الى الجبهة الفرنسية

وهناك خط نهر «موز» اجتهد الفرنسيون في اصلاحه ، الا ان محمول هذا الخط في النهار ثمانمئة طن ، ومن الواجب ان يصل في النهار الى فردون الفا طن من الذخائر والمؤن . فهناك من ١٥ الى ٢٠ فرقة تحتاج كل واحدة منها الى مئة طن، عدا ان الموقف يقضي بنقل ١٥ الف او ٢٠ الف جندي في النهار بين صعود وانحدار



الأسرار

العدد التاسع عشر

القتال بين الحلفاء والعثمانيين في مضيق الدردنيل

شرذمة من قوات الانزاك الاوسترالية في جزيرة غاليبولي في الدردنيل وقد نام بعضها لفرط العياء وسلاحه بين يديه



اسرار الجاسوسية والحرب الكبرى

الاسرار

اصحابها : انطون صادر ، كرم ملحم كرم ، فؤاد ميداني

رئيس الانشاء المسؤول: كرم ملحم كرم — منشىء القسم الشرقي: فؤاد ميداني

المكاتبات باسم مدير المجلة : انطون صادر

الادارة مكتبة صادر * شارع اللنبي * بيروت

مجلة اسبوعية تاريخية تبحث في التاريخ وما اهمله التاريخ

العدد ١٩ بيروت في ٨ آب سنة ١٩٣٨

اسرار الجاسوسية في القضية العربية

بقلم فؤاد ميداني

جاسوس لبناني يعاهد على اختطاف احمد جمال باشا ولكن...

عيد نعمه يهزأ بالمخاطر وبرصاص الجند

صفحة رائعة من صفحات الجاسوسية في لبنان

« اعطي عيد بن يوسف نعمه الملقب بالملك، من اهل دير القمر وسكان محلة الرميلة في بيروت، مهلة عشرة ايام من جانب الرئاسة وهو المتهم بجناية الفرار الى جزيرة ارواد المحتلة من قبل الفرنسيين ودخوله في خدمة فرنسا ومعاونتها ، فاذا لم يراجع ديوان الحرب العرفي المنعقد في عاليه في المدة المعينة يعتبر متمرداً على القانون حسب منطوق المادة ٣٧١ من قانون اصول المحاكمات الجزائية، ويصير اسقاطه من الحقوق المدنية ، وفي اثناء محاكمته الغيابية تحجز امواله ، ولن يكون له الحق باقامة دعوى ما ، وكل انسان مجبر ان يخبر عن محل وجوده »

هذا هو البلاغ الذي اذاعه ديوان الحرب العرفي في بيروت — جبل لبنان المنعقد في عاليه عن السيد عيد نعمه الذي مثل ادواراً خطيرة في تاريخ الجاسوسية في سوريا ولبنان وفلسطين

وقبل ان نأتي على تفصيل ذلك ننقل الى قراء « الاسرار » بعضاً مما نعرف عن الرجل

من هو عيد نعمه ؟

عيد بن يوسف نعمه الملقب بالملك من دير القمر جاء بيروت مع والديه واستقر في محلة الرميله قرب كنيسة مار ميخائيل وتوطن فيها .

وقبل الحرب العالمية بسنوات احب السيدة عفيفة بنت سمعان العقل حباً شديداً انتهى بزواجهما ، الا ان الزوجين لقيا في بيروت مجال الحياة ضيقاً فهاجرا الى البلاد الاميركية

السيدة الحكيمة تفعل كل شيء

والسيد عيد اميّ ، ومع هذا فهو مجتهد ونشيط ، وقد تمكن مع جهله القراءة والكتابة من اجادة التكلم باللغات الانكليزية والفرنسية والاسبانية ، وما كان ينقصه من الكتابة والقراءة وجده في زوجته النشيطة التي احاطته بعنايتها منذ قرنت حياتها بحياته. فقاما يعملان في البلاد الاميركية بجد واجتهاد وتمكنا ان يجمعا ثروة لا بأس بها . وعند ذلك قررا العودة الى بيروت . وركبا آخر باخرة اقبلت من اميركا الى اوربا لما اعلنت الدول الاوربية الحرب بعضها على بعض في النصف الثاني من عام ١٩١٤

وفي تشرين الاول ١٩١٤ لما باتت الدولة العثمانية على وشك الدخول في الحرب العالمية رأت دار الاستخبارات الانكليزية المشرفة

على شؤون الشرق الادنى ضرورة اختيار بعض الجواسيس الذين يمكن الاعتماد عليهم . فدعا الماجور « وولين » رئيس هذه المصلحة في الاسكندرية السيد ميشال دحروج ، وهو شاب مجتهد ذكي ، لبناني الاصل ينتسب الى مصلحة الاستخبارات وخاطبه بقوله: من الراهن ان الدولة العثمانية ستخوض غمار الحرب العالمية ، ولذا تراها تقوم باستعداد حربي واسع النطاق في البلاد العربية . ولا بد لنا والحالة هذه من



عيد نعمه الملقب بالملك

اهدى الينا السيد عيد نعمه رسمه هذا ، ورسمه الذي نملكه وحصلت عليه في اثناء الحرب الكبرى دار الاستخبارات العثمانية غير واضح، ولهذا عدلنا عن اثباته

رجال مختلفين يوافوننا بما نحتاج اليه من انباء السلطنة العثمانية

فاجابه السيد دحروج: ولكن لدينا الكثيرين من هؤلاء في لبنان وكلهم مخلص للحلفاء كما اعتقد !

— لا اريدهم من رعايا الحلفاء ولا من رعايا الدول الصديقة، ولا من اللبنانيين او العثمانيين الذين يتعرضون لاضطهاد دولتهم ، بل ارغب في اختيارهم من اللبنانيين المتجنسين بالجنسية الاميركية ، وهؤلاء غير قليل . وبامكانك ان تجدهم في البواخر المقبلة والراسية الان في مرفأ الاسكندرية !

بين دحروج ونعمه

وقام السيد ميشال دحروج يطوف على البواخر التي تقل المهاجرين اللبنانيين القادمين من اميركا . فتمكن من ان يستميل اليه فئة غير قليلة منهم . وكان بين هؤلاء السيد عيد. ففاتحه دحروج في الامر فوافق على الطلب. وكان يومذاك شديد التحمس لفرنسا والحلفاء ويرجو لهم بكل قواه النصر والتأييد. فابلغ السيد دحروج السيد عيد انه سيعرض الامر على رؤسائه وبعد ذلك ترد عليه اخباره الى بيروت نفسها ، وفيها يتسع امامه المجال للعمل بما يدعى اليه

عيد نعمة في بيروت

وعاد عيد نعمه الى مسقط رأسه بيروت يوم دخول تركيا الحرب العالمية . وكان يبدو مطمئن القلب غير مهتم بالحوادث وهو يحمل جواز سفر اميركياً من جهة ويملك ثروة لا بأس بها من جهة اخرى . ولذا لم يحفل بالمهمة التي فاوضه بها السيد دحروج بل انصرف الى اعماله لتأمين مستقبل زوجته واولاده . ويمكن القول ان الرجل نسي تقريباً هذه المهمة وكان يشك في استطاعته القيام بعمل يخدم به الحلفاء الذين كان يحبهم ويتمنى من صميم قلبه خذلان اعدائهم الالمان والعثمانيين

السائل المجهول

قلنا ان السلطنة العثمانية خاضت الحرب وبدأت السفن الحربية والتجارية المسلحة تجوب الشواطىء العثمانية واللبنانية ، وبدأت سياسة الشدة والبطش التي استعانت بها القيادة العثمانية في مطاردة اعداء الدولة ، واشتدت المراقبة كما اشتد الضغط وخصوصاً على اللبنانيين الذين رأت فيهم تركيا اعداء اشداء لها . فكانت تقول فيهم انهم غير مخلصين، زد على ذلك ان رسل الحلفاء استطاعوا دخول لبنان بدقة ومهارة غير حافلين بكل تضييق في مراقبة حركات الناس ، وتنقلوا في البلاد كما شاؤوا دون ما حسيب ولا خشية من رقيب

وبدأت معارك قناة السويس الاولى واخذت السفن الحربية تقوم باعمال الاستكشاف على السواحل ، كما فصلنا الامر في اعداد « الاسرار » الاخيرة، واذا سائل رث الثياب لا يمكن لمن يشاهده الا ان يشفق عليه لفرط هزاله وبؤسه، فاخذ يجوب محلات بيروت طالبا الصدقة

من هو السائل

وحدثنا السيد عيد نعمه نفسه عن هذا السائل فقال :

— دعيت يومذاك الى الخدمة العسكرية، فابرزت لولاة الامر جوازي كمتجنس اميركي فرفضوه ومزقوه . فعدت اثبت اني من دير القمر اي لبناني غير خاضع للخدمة العسكرية الاجبارية ، فقبلوا ذلك مني اياما ثم عادوا يرغمونني على الخدمة العسكرية ، فلم ار مندوحة

عن دفع البدل النقدي، فأمهلوني بضعة اسابيع وما لبثوا ان عادوا يشددون عليّ في الخدمة العسكرية

« وجاءني السائل الغريب ساعة كنت في اضطراب وقلق، غير ان زوجتي احسنت استقباله وقد اشفقت عليه لمظاهر الفقر البادية فيه وجادت عليه بما رأته يسد جوعه، الا ان الرجل اظهر عياء شديداً وطلب اليها ان تسمح له بالجلوس قليلا، ففعلت، ولما بات في المنزل اخذ يحادثها، ولما طال الحديث خرجت اليه لاصرفه متململا منه، بيد انه لما رآني تغيرت ملامحه وقال :

« — ألست عيد نعمه الملقب بالملك ؟

« ولا اكتمك اني خشيت الرجل وضربت يدي الى مسدسي

« ويظهر انه ادرك ما انوي فقال :

« — لا تخف، انا صديق، اوفدني اليك السيد ميشال دحروج برسالة !

« وسلمني هذه الرسالة، فقرأتها لي زوجتي وعلمت ان دار الاستخبارات الانكليزية تذكرني بالمهمة التي وعدت بالقيام بها. وادلى اليّ باحاديث متعددة ثم طلب مني اعطاءه رسمي ليرسله الى تلك الدار، ففعلت. وكنت في الرسم بجانب زوجتي في ساعة الاكليل اذ لم يكن لدي رسم آخر. وانصرف الرجل بعد ان طلب اليّ ان استعد للعمل واجمع الاخبار عن الحركات العسكرية وغير العسكرية في البلاد العثمانية، اي كل ما يهم الحلفاء. وابلغني انه سيعود اليّ في فرصة اخرى

« وعلمت منه، كما ثبت لي، ان هذا السائل لم يكن سوى الشيخ فريد قعدان الخازن احد الاخوين اللذين شنقهما احمد جمال باشا في ايلول سنة ١٩١٦ »

وقف عيد نعمه وفراره

ولكن عيد نعمه لم يتمكن ان يجتمع مرة اخرى بالشيخ فريد قعدان الخازن، فما لبث الجنود ان اعتقلوه كجندي فار من الخدمة العسكرية وقادوه الى حسن حسني بك رئيس « شعبة اخذ العسكر » وهي الشعبة التي كانت تتولى البحث عن المطلوبين للتجنيد وسوقهم الى الخدمة. وحسن حسني شدد على الرجل ووبخه بشدة، فأجابه عيد :

— ولكنني لبناني من دير القمر، وهذه اوراقي تثبت ذلك !

فصاح به الضابط العثماني: انت خائن، زعمت بالامس انك اميركي والان تدعي انك لبناني. ما انت الا خائن !

قال عيد : احسبني بيروتياً يا صاحب السعادة، غير اني مريض

وعلى استعداد الى اداء البدل النقدي !

— بل ستكون في الخدمة !

وامعن حسن حسني في التضييق، فحمل الرجل على الاستياء فصاح قائلا :



السيدة عفيفه سمعان عقل

زوجة السيد عيد نعمه. وقد كانت شريكة زوجها في التجسس طول ايام الحرب العالمية في سبيل الحلفاء، مما سنرويه في الاجزاء التالية من « الاسرار »

— والله ما بخدمها !

فانتفض حسن حسني وانهال على عيد ضرباً، ودعا احمد جاويش وامره بان يقود الرجل الى السجن

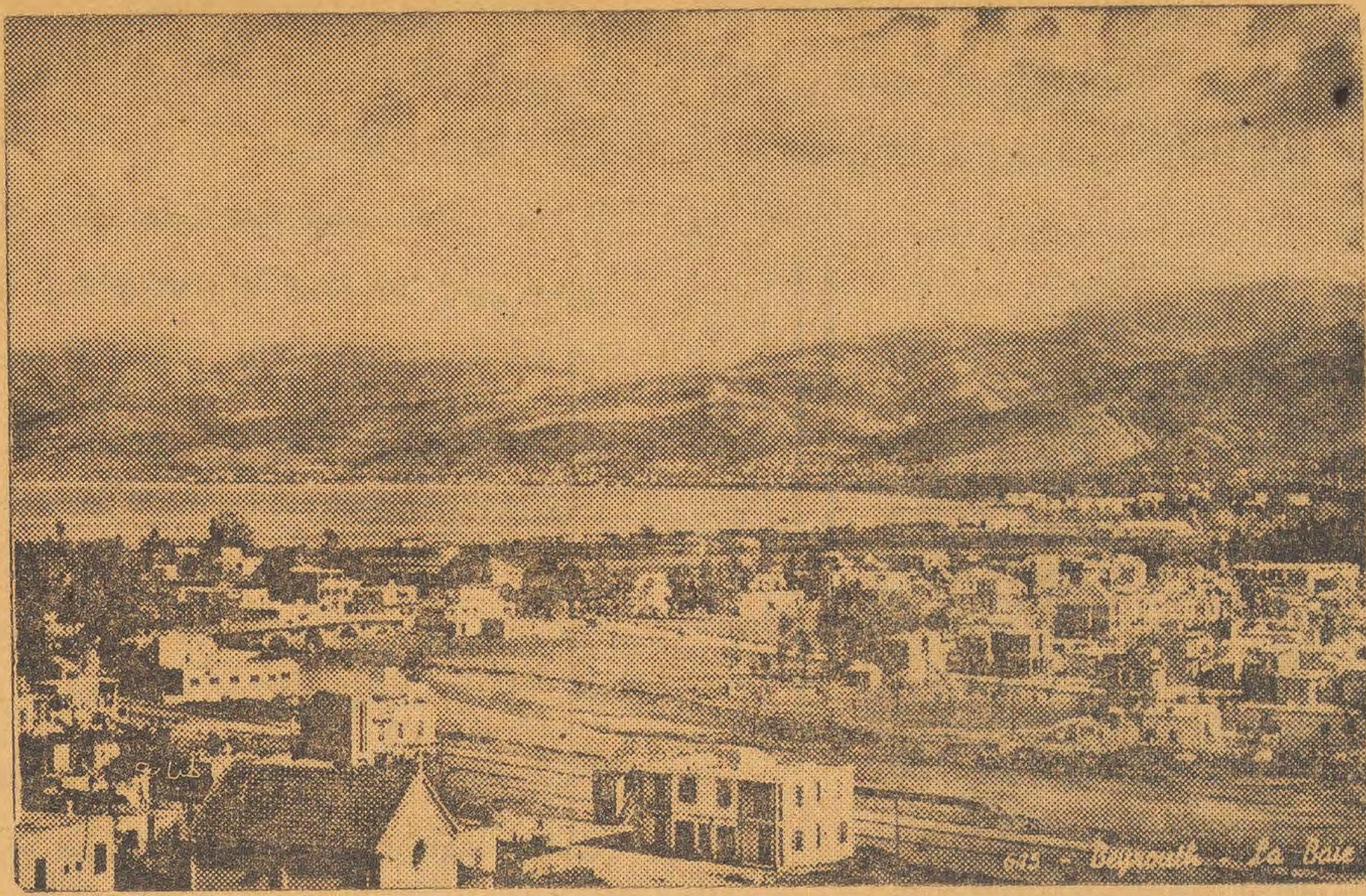
جمعية سرية

ولكن عيداً لم يمكث في السجن غير ساعات قلائل اهتدى بعدها الى طريق الفرار

وانتهى به فراره الى عين الزيتونة في جوار عاليه، وهناك حل ضيفاً على نسيبه السيد سليم نوفل

واجتمع حوله بعض اللبنانيين الناقمين على الدولة العثمانية فاخذ يبث فيهم روح التمرد والعصيان. وتمكن من انشاء جمعية سرية مؤلفة من سبعة اشخاص هدفها مخاطبة الحلفاء ودعوتهم الى احتلال لبنان وانقاذ شعبه من اضطهاد العثمانيين

فسر عيد نعمه بهؤلاء الرفاق وطلب منهم ان يضعوا بياناً بما قرروه ليحمله بنفسه الى الحلفاء



محلة الكرنتينا في بيروت

من هذه الجهة فرّ عيد نعمة ورفاقه ، وفيها مثل ادواره في خدمة الجاسوسية وكان ينزل دائماً في هذا الساحل

الفرار

ولكن هؤلاء الذين اعتمد عليهم كانوا شديدي التحمس بالكلام، وما لاح لهم ان الامر انقلب الى جد حتى خافوا العاقبة وانقطعوا عن زيارة عيد في منزل السيد سليم واخذوا يرتابون فيه ، فخيل اليهم انه جاسوس للعثمانيين . والسيد سليم نوفل نفسه خاف سؤ المغبة وطلب من نسيبه ان يغادر منزله . فقصد عيد بعض الجهات وامضى فيها اياماً ثم رأى ان بقاءه في البلاد محال وقد خشيه الجميع، عدا ان الحكومة تطارده كجندي فار ، فجاء بيروت وقصد زوجته طالباً منها ٥٠ ديناراً ذهباً وقال :

— انا سائر الى البحث عن زورق افر به الى الحلفاء ، فاذا نجحت وتمكنت من الوصول سالماً اعود اليك بعد ٤٥ يوماً على متن طائرة . ذلك اني اطلب من الحلفاء ان يوجهوا الى بيروت ثلاث طائرات، الاولى تحوم حول هذا المنزل ، والثانية تسير الى جهة المرفاء، والثالثة تشخص الى الجبل، وعندذاك تدركين اني في الطائرة حي ارزق، والا ففي وسعك ان تبكيني لاني اكون لقيت الموت !

فضحكت السيدة عفيفه في نفسها من اقوال زوجها ، على انها لم تظهر له ما تولاها من ريبة بل شجعته بعد ما ثبت لها ان بقاءه في البلاد غير مستطاع . ونقدته ما يحتاج اليه من مال واندفع الى شقيقته شمس ، وهي سيدة في عنفوان الشباب ، وابلغها عزمه على الفرار واتدبها وكيلة عنه تجمع ما يحتاج اليه الحلفاء من اخبار وتوافيهم بها ، فتكون هي نفسها همزة الوصل بينهم وبين بيروت. وودع زوجته وشقيقته واولاده الاطفال وانصرف

كيف حاول الفرار؟

واتجه الى الساحل. وكانت بينه وبين السيد سليم رسلان معرفة سابقة . فجاءه وطلب منه زورقاً ليفر عليه وقال : اذا نجحت ووصلت الى المدرعة اعدت لك الزورق ، والا فيكون فقد ، وفي الحالتين فاني ادفع لك ثمنه !

واتفق الرجلان على ٤٥ ديناراً ذهباً دفعها عيد لسليم وافترقا على ان يجتمعا في الساعة الثالثة من بعد منتصف الليل. ووعده سليم بان يوفد اليه مصطفى العاصي ليدير له الزورق.

النجاة

وفي الموعد كان عيد في الزورق ومعه غنطوس زكريا ورشيد وفارس مراد . الا ان مصطفى العاصي لم يأت وقد خشي سوء المصير

وشعر عيد بان الرجل ليس مخلصاً . ورأى ان ينجو بنفسه فدفع الزورق الى عرض البحر

مطاردة خطرة

وظنون السيد عيد كانت في موضعها. فالسيد مصطفى العاصمي ادرك ان موقفه بات خطراً وقد شاهده الجنود على السّاحل ، فرأى ابلاغهم الحقيقة ، الا انهم ما كادوا يقتربون من مكان الفرار في ناحية «الكرنتينا» حتى كان الزورق قد ابتعد . فاخذوا ينادون من فيه ويدعونهم الى العودة . ولكن هؤلاء الذين يدركون ان في العودة الموت اخذوا يضربون بالمجاذيف سطح الماء بقوة فائقة ليضمنوا لانفسهم النجاة. فاطلق عليهم الجند الرصاص وحاول اللحاق بهم دون ما جدوى. فالمدرعة «لاتوش ترافيل» كانت قريبة من الشاطىء . وادركت ان هناك مطاردة بين جماعة يريدون الفرار وقوات الجند فحولت مقدمها الى تلك الجهة. وخشيها الجند فعاد الى الساحل ونقلت المدرعة عيد نعمه ورفاقه الى متنها سالمين

ماذا فعلت الزوجة ؟

وكان موقف السيدة عفيفه نعمه حرجاً وقد سمعت ازيز الرصاص. ولكنها لم تعلم ماذا جري . فركعت امام تمثال المسيح تصلي بحرارة وايمان ضارعة الى الله ان ينقذ زوجها . وظلت في حالتها هذه حتي جاء جارها السيد الياس مرعي وقال : نجا عيد . رأيته بام عيني يصعد الى المدرعة !

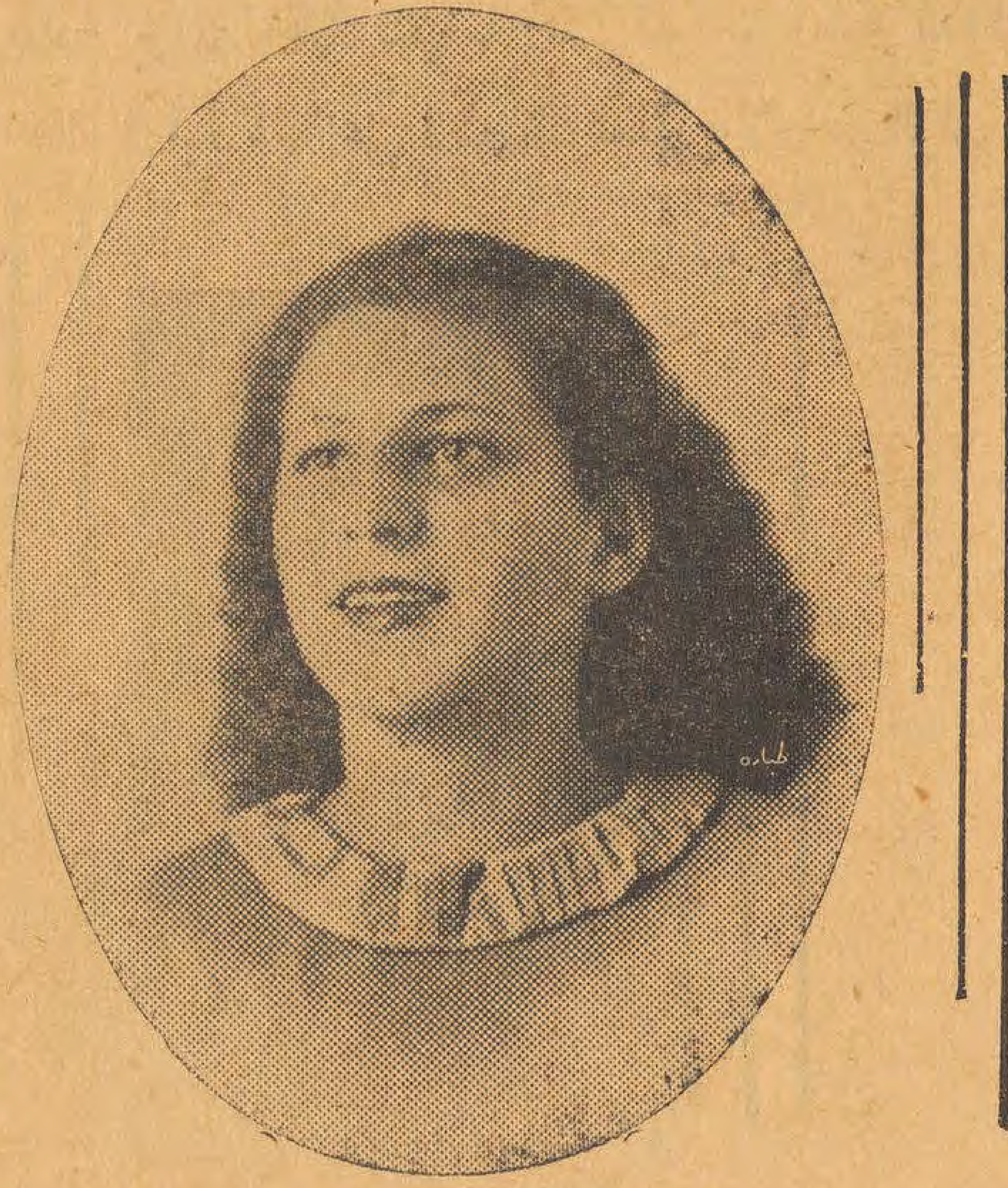
فشكرته وارتمت في فراشها تنام باطمئنان

ولكن رجال الشرطة لم يصبروا على ضيم ، فقرروا الانتقام من اسرة الرجل. واكد مختار المحلة ان الرجل الفار هو عيد ، واعلن ان شقيقته شمس قالت ذلك ، وان شقيقها اخذ من زوجته ٥٠ ديناراً ليغمر بها . وشاء مفوض مخفر النهر ان يعرف الحقيقة من شمس فدعاها اليه واستجوبها . فانكرت. فقام الى « الفلق » يشده الى رجليها ويضربها ضرباً شديداً لتروي له ما تعلم عن اخيها فاصرت على الانكار

فارسل المفوض يدعو الزوجة السيدة عفيفه وهددها بالضرب، الا انه لم يضربها ، ولما انكرت نظم بها تقريراً رفعه الى رئاسة ديوان الحرب فلم تجد الرئاسة ما يحمل على مؤاخذة الزوجة وهي لم تشترك في حادث الفرار . واكتفت بتقرير نفيها مع اولادها الى « اورفه» في الاناضول. وعين يوم الاحد في ٢١ ايار سنة ١٩١٥ موعداً لهذا النفي ، ودعيت السيدة عفيفه الى اعداد ما تحتاج اليه في منفاها

بدء العمل في بورسعيد

وحملت المدرعة « لاتوش ترافيل » الفرنسية الاشخاص الاربعة الى بور سعيد . وهناك اخلت سبيل الثلاثة واستبقت عيداً في



الانسة ماري عيد نعمة

الحسناء اللبنانية الانسة ماري التي خاطر والدها بنفسه لانقاذها مع افراد اسرته من بيروت في خلال الحرب العالمية

معسكر اركان الحرب ، الا انها لم تعامله معاملة الصديق بل معاملة العدو ، فحجرت عليه ١٥ يوما دون ما استجواب . وحاول الرجل بكل قواه ان يعلم السبب في القبض عليه دون ما فائدة . فلم يهتم احد بامره . واخيراً بدا له السكوت غير مفيد فارسل يهدد القائد بانه اميركي ، وانه اذا لم يخل سبيله سيعلمن القنصلية الاميركية الامر. وفي ذلك اليوم جاء اليه السيد ميشال دحروج وقاده الى رئيس مصلحة الاستخبارات الماجور « وولين ». وحاول الرجل تهديده لمعرفة حقيقة امره وما يحمل من اسرار. ولما علم اخلاصه سأله قائلا : اوفدنا اليك رسولا لتكون على صلة بنا فلماذا فررت منه ؟

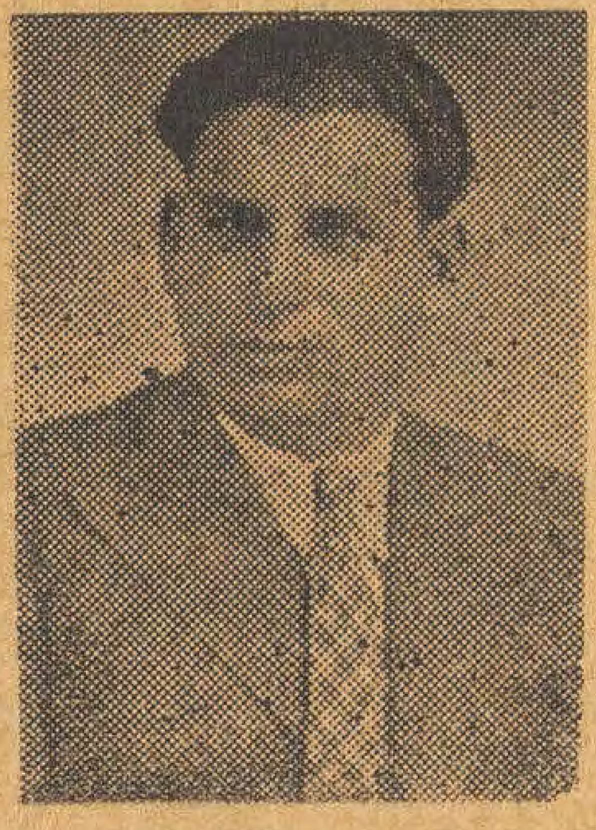
فاجاب : انا لم افر ولكن الاتراك طاردوني !

وروى ما اتفق له . فعرض عليه الماجور الرسم الذي سلمه للشيخ فريد الخازن واعلمه انه كان واقفاً على اموره جميعاً ، وانه شدد عليه ليجربه . وطلب منه ايضاحاً عن الحالة في البلاد العثمانية وعن بعض المراكز العسكرية فاطلعه على ما طلب بالتدقيق . فسر به الماجور وابلغه انه بات منذ تلك الساعة ملحقاً بمصلحة الجاسوسية، وان مهمته تنحصر بارتياد الشواطىء السورية واللبنانية للوقوف على

اخبار العثمانيين

شمس نعمه جاسوسة

ومما اطلع السيد عيد نعمه الضابط الانكليزي عليه انه احتاط للامر قبل ان يغادر بيروت باعتماد شقيقته شمس لتوافيه باخبار الدولة العثمانية ، وان الفتاة ذكية نابهة على استعداد للعمل بالاوامر الواردة



فواد عيد نعمة

كبير انجال السيد عيد . وكان يبكي في محاولة الفرار مما اثار خوف والديه من الوقوع بين ايدي العثمانيين. والسيد فواد هو اليوم مهندس في دار الاشغال العامة التابعة لمجلس بيروت البلدي

عليها والحصول على ما تحتاج اليه القيادة من اخبار

فابلغه الماجور شكره وقيد رسم شقيقته في جدول الجواسيس، وخصص بها ٤٠ شلناً في الاسبوع، حتى اذا لقي منها اخلاصاً وصدقاً في رواية الاخبار زاد المرتب لها ولاخيها . وقال لعيد انه سيصبح من الآن فصاعداً تحت تصرف القائد « جوزيف بيكار » قائد المدرعة الفرنسية « لابوربو » ، وله ان يتلقى الاوامر منه وحده ،وعليه ان ينفذها بدقة ، وسار به الى القائد الفرنسي وقدمه اليه

زوجته قبل كل شيء

وكانت قيادة الحلفاء بحاجة الى معرفة بعض المراكز العسكرية العثمانية والالمانية بدقة . ورأت ان تتثبت مما وافاها به السيد عيد نعمه فطلبت منه ان يركب المدرعة « لابوربو » الى بيروت وفيها يرتفع في احدى الطيارات ويرشد الضابط الذي يرافقه الى هذه المراكز . فوافق على الطلب . ولما وصلت المدرعة في يوم ١٣ ايار سنة ١٩١٥ الى بيروت جاء عيد الى قائدها « جوزيف بيكار » وحدثه بما وعد به زوجته لابلاغها نبأ قدومه، فاجابه ربان المدرعة : كان من الواجب ان تعدها بطيارة واحدة !

— وعدتها بثلاث !

قال الربان: ولاجلك ساطلق ثلاث طائرات للعمل بما تشاء !

كيف عرفت عفيفة نعمة زوجها؟

والسيدة عفيفة نعمة كانت في صباح ١٣ ايار في منزلها المطل على شاطىء البحر وبجانبها السيدان فارس الحلبي وابنه خليل ، ولما رأت المدرعة الفرنسية ترسل الطائرات الثلاث تذكرت ما قال زوجها وروت ذلك لضيفيها قائلة : اذا كان زوجي في الطيارة ستبدو منه الاشارة المتفق عليها بيننا !

وهكذا كان !

ضرب بيروت

والطائرات الثلاث بعد ما قامت بمهمتها لخدمة عيد نعمة ، وبعد ما عرفت المراكز العسكرية التي حدثها عنها عيد ، القت بضع قذائف على المراكز ، فسقطت القذائف في جهات مرفأ بيروت وهدمت بناية رئاسة المرفأ وقتلت احمد سعيد الحمامي الجالس هناك يدخن نارجيلته، كما القت قذائف اخرى على المركز العسكري في جهة « الكرنتينا » ، الا انها لم تصبه بل سقطت في البحر ، وعلى الاثر عادت الطائرات الى المدرعة

لينقذ زوجته

وهذه الرحلة افادت القيادة العليا فائدة ذات شأن وقد دلتها على اخلاص عيد وعلى المراكز والمستودعات الحربية التي يشغلها الالمان والعثمانيون في بيروت. فشكر القائد « جوزيف بيكار » للسيد عيد غيرته وطلب اعلان رغبته فقال عيد : كل ما اطلب هو انقاذ زوجتي واولادي وقد بت اخشى عليهم انتقام العثمانيين !

ولكن القائد عارض في ذلك لاعتقاده ان الانقاذ يوجب على عيد النزول الى قلب بيروت وفي الامر من الخطر ما فيه عدا ان دار الاستخبارات بحاجة الى الرجل .

فاصر عيد على مطلبه وبين عدم امكانه القيام باي خدمة كانت ان لم تحقق امنيته. ولكي يقنع ربان المدرعة قال :

— ولا اكتم سيدي اني بحاجة ماسة الى رؤية شقيقتي للاتفاق واياها على الطريقة التي يجب عليها اتباعها لتزويدنا بالانباء ولاستقاء

الاخبار من مصادرها وموافاتنا بها !

فلم ير عندذاك القائد بيكار بدأ من موافقته على رأيه ، فعاد مرة اخرى بالمدرعة الى بيروت ووصل اليها لدى منتصف ليل الجمعة في ١٩ ايار ، اي قبل يومين من اليوم المعين لنفي السيدة عفيفه واولادها الى الاناضول

جرأة غريبة

وفي الساعة الثانية من صباح ١٩ ايار كان اربعة رجال يركبون زورقاً من الدارعة «لابوريو» الراسية تجاه بيروت ووجهتهم الساحل البيروتي، وهم السادة عيد نعمة وحبيب البيروتي ، وكلاهما من بيروت، وبشاره الاخوت من صور ، والياس دردس من حيفا

ونزل عيد والياس من الزورق الى الشاطىء ، وعاد الاخيران بالزورق الى جزيرة الشاشة الواقعة قرب «الكرنتينا» وهي من الجزر المنفردة النائية التي لا يمكن للخفراء الاتراك رؤيتها

واستوقف عيد رفيقه الياس في «جورة العقارب» بمحلة الكرنتينا واتجه الى دار شقيقته شمس ليقف منها على ما لديها من الحركات العسكرية والسياسية التي ترغب القيادة الفرنسية الانكليزية في الحصول عليها، وللاتفاق واياها على خطة تبادل الاخبار ، كما انه يريد الوقوف على مصيرزوجته .

فدهشت شمس لرؤية شقيقها بجانبها وكان مدججاً بالسلاح من رأسه حتى اخمص قدميه، وبيده بندقيه حربية، الا انها استقبلته بحفاوة وابلغته ما لديها من الانباء واطلعته على ما جري لها ولزوجته في مخفر الشرطة ، وزادت فقالت انه تقرر نفي زوجته يوم الاحد الآتي

فحاول عيد الذهاب لرؤية زوجته الا ان شقيقته اوضحت له ان الخطر شديد عليه ورجال الشرطة والدرك يدهمون في كل ليلة المنزل ، وان من الخطر ان يشخص اليه بنفسه . وطلبت منه ان تذهب الى زوجته هي بنفسها فتجيء بها اليه . فايدها في رأيها وانصرفت شمس للعمل بمبتغاه

الا ان الخوف من فشل شمس اقلق بال عيد . فلم يطلق الصبر ولحق باخته، بل سبقها الى منزله وطرق الباب ففتحت له حماته . ولما شاهدته زوجته بكت فرحاً . فابلغها ما استقر عليه رأيه من الفرار بها وباولادها. فحاولت الممانعة لخوفها من ابقاء املاكها عرضة لعدوان العثمانيين فقال : سيضرب غداً الحلفاء مدينة بيروت، وعلينا انقاذ الاولاد !

والخوف من ضرب بيروت وحده حملها على الفرار

ساعة مملوءة بالمخاطر

واستفاق الاولاد وهم اربعة ، وكبيرهم السيد فواد في دور الطفولة — وهو اليوم مهندس في بلدية بيروت — وصغيرهم جوزف



✻ جوزف عيد نعمه ✻

كان في الشهر الاول من عمره لما حملته والدته في الاقمطة تبغي الفرار من بيروت لانقاذ اولادها جميعاً ، وهو اليوم من موظفي بلدية بيروت

— وهو اليوم من موظفي بلدية بيروت ايضاً — في الشهر الاول من عمره.وما كادوا يشاهدون اباهم حتى قاموا يضحكون ويبكون معاً وينادون اباهم،مما اثار الخوف في نفس الام وخشيت ان تثير صيحات اولادها الظنون فيتنبه الجيران ، فاخذت توزع عليهم الحلوى كي يسكتوا . وجمعت ما لديها من حلي ومال وابقت المنزل وما فيه بعهدة شقيقة زوجها واعلنت انها على استعداد

تنظيم اعمال الجاسوسية

وهذا الموقف الحرج لم ينس السيد عيد المهمة التي اقبل الى بيروت لاجلها ،وهي تنظيم اعمال الجاسوسية في البلاد .فانصرف عن زوجته ومال على شقيقته شمس يقول :

— اعتمدتك دار الاستخبارات لتكوني جاسوستها في بيروت، ومهمتك خطيرة جداً .ولقد عاهدت بالاعتماد على نباهتك ومقدرتك انك ستقومين بمهمتك حتى قيام ،اعمالك تنحصر بجمع الاخبار ثم الجواب عن الاسئلة التي توجهاليك من الدار نفسها !

«وما ترغب الان دار الاستخبارات في الحصول عليه هو :

« اولا: معرفة حركات الضباط الالمان ومقرراتهم. وللحصول على هذه الانباء يجب ان تكوني على صلة بفندق « كسمان » وفندق «دوتشر هوف»، الاول بجانب محلة باب ادريس (يعرف اليوم باسم فندق



الانسة فرجيني عيد نعمه

هذه الحسناء اللبنانية كانت من اطفال الحرب. انقذها والدها مع اخوتها من اهوال الظلم والمجاعة بان فرّ بها الى ما وراء البحار. وقد عادت الى مسقط رأسها لبنان وهي في ريعان الصبا

رويال) والاخر بجانب فندق بسول (يعرف اليوم باسم متروبول)

«ثانياً — الوقوف على حركات احمد جمال باشا ورفاقه الاتراك. ولذلك يجب ان تكوني على اتصال بالبيوتات الكبرى التي يزورها القائد العثماني

«ثالثاً — معرفة كل حركة من حركات الجند. واذا امكن معرفة اسماء القطع المنسوبة اليها والوجهات القادمة والذاهبة اليها »

وبعد ما زودها بما يجب عليها ارشدها الى المكان الذي تلقي فيه المراسلات. وهو ثغرة قائمة في جورة العقارب على الصخور الساحلية الممتدة شرقي « الكرنتينا »، فيأتي اخوها ويتناولها من هناك ويضع مكانها ما يرغب في ابلاغها اياه

مخاطر جديدة

ولما قام عيد بهذه المهمة سألته شقيقته عن الطريقة الواجب عليها اتباعها لبلوغ اهدافها فقال :

— بامكانك التظاهر بانك غسالة ، ولا بأس ان ترضي بالبدل الزهيد ، على ان تفتح لك ابواب تلك الدور والفنادق . ولا تحسبي حساباً للمال ومرتبك سيصل اليك بصورة منظمة !

فارتاحت شقيقته لايضاحه وانصرف عيد الى اولاده الاطفال يحملهم على ظهره ، واندفع وزوجته الى الجهة الساحلية

وفي هذه المنطقة دهمتهم مخاطر جديدة. فالسيد عيد لما وصل الى مستودعات الكازخانه المعروفة باسم «مخازن العجوري» سمع داخل احد المستودعات اصوات الجند، وكان برفقته ابن شقيقته الماسه وهو السيد الياس بن امين ابو نعمان، فما كاد يشعر بحركات الجند حتى خاف العاقبة وعاد ادراجه . وظل عيد وحده ، حتى اذا وصل تجاه المستودعات وشعر بحركة الجند تفقد جيبه وادرك خطأه

كيف نجا الجميع

كان من المتفق عليه بين عيد ومن في البحر عند جزيرة الشاشة اشعال عود ثقاب اخضر اللون مما يستعمله الاولاد في الاعياد . ولما جاء يحمل اولاده القى العلبة بين يدي ابن شقيقته الذي ابتعد عنه وقد خاف من الجند . ولما ضاقت به الحيل ولم يجد العلبة دفع الياس دردس الى اجتياز البحر سباحة الى جزيرة الشاشه . ووقف بجانب مستودعات الكازخانه وبيده بندقيته، وسلم زوجته المسدس وباتا على استعداد للدفاع عن نفسهما وعن اولادهما حتى اذا اقبل الزورق ركبوه وساروا آمنين

موقف الجنود

والجنود شعروا بالحركة. ولكن ما دار بخلدهم ان من هناك يحاولون الفرار ، بل اعتقدوا انها دورية جاءت تتفقد المنطقة . ولما كانوا قد خالفوا القانون بدخولهم المستودع خافوا ان تشعر بهم الدورية فيكون ما يصيبهم من عقاب الابعاد الى الجبهة الحربية على اقل تقدير . ولذا مكثوا في المستودعات وفسحوا المجال لعيد ورفاقه كي يتسنى لهم الفرار

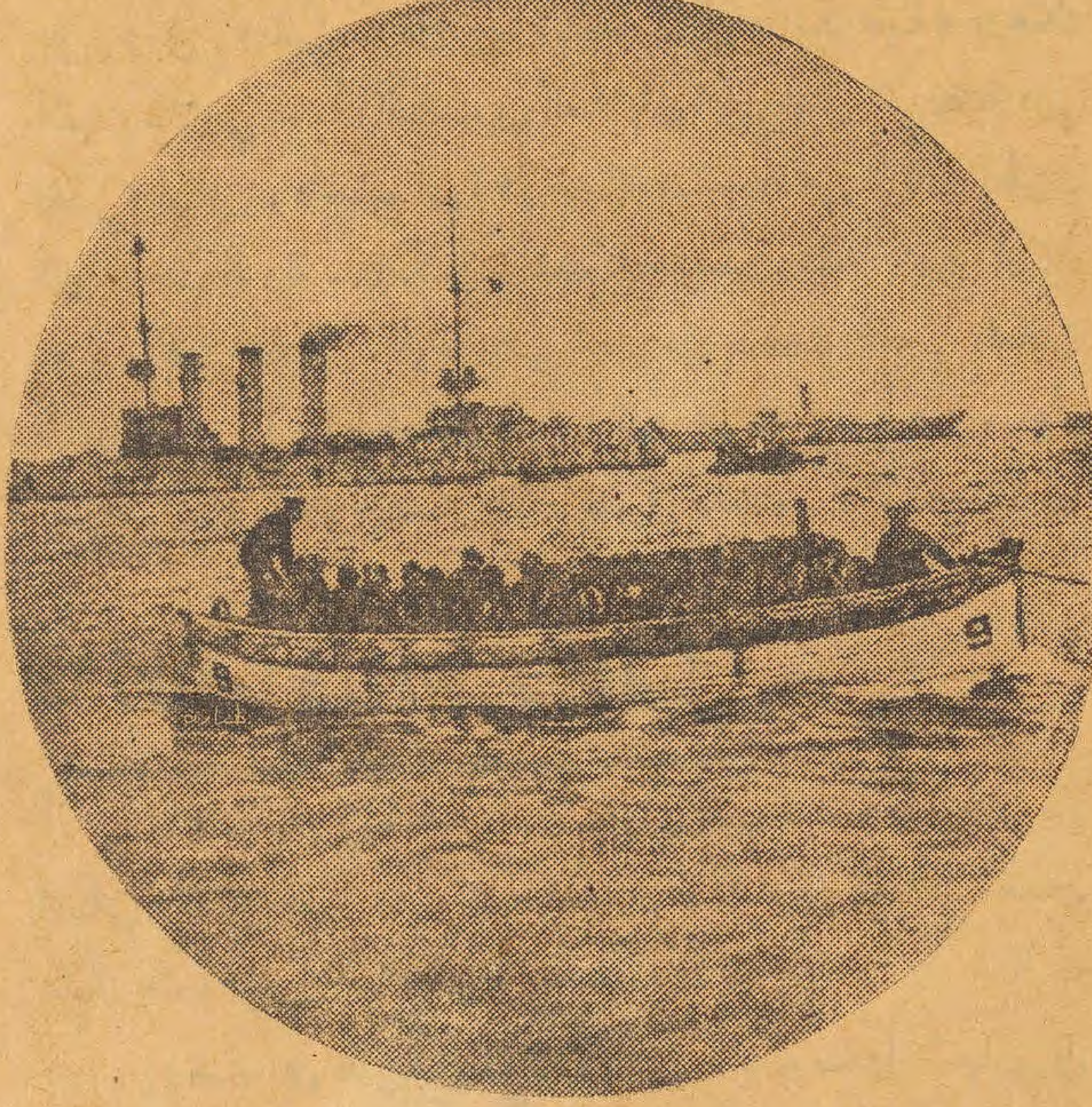
موقف الحكومة

وهذا الحادث الذي تلا حادث فرار عيد نعمه الاول أثار سخط احمد جمال باشا فغاظه ان تبدر من عيد هذه البوادر ، فيفر من بيروت ثم يقتحمها ويفر منها دون ان يتجرأ احد على معارضته

وزاد في سخط جمال باشا الحادث التالي :

كتاب الحلفاء الى جمال

في حزيران سنة ١٩١٥ لما اقبل احمد جمال باشا الى بيروت اقام له السيد ميشال ابراهيم سرسق حفلة ساهرة في داره حضرها عدد كبير من وجهاء بيروت والجبل



الطراد الفرنسي «لابوريو» في الاسكندريه

مثل الطراد الفرنسي (لابوريو) لربانه القائد «جوزيف بيكار» — وهو احد امراء البحر المعروفين اليوم في فرنسا — دوراً مهما في تاريخ هذه البلاد في اثناء الحرب العالمية . والرسم مأخوذ للطراد في مياه الاسكندرية

ونبأ هذه الحفلة اتصل بالقائد «جوزيف بيكار» ربان المدرعة الفرنسية «لابوريو» ، فطاب له ان ينغص على الباشا صفاء تلك الليلة ، فاندفع الى ساحل بيروت وسدد الانوار الكاشفة الى قصر آل سرسق المشرف على البحر مما اهاب بسكانه الى اطفاء المصابيح الكهربائية مخافة سؤ المغبة

مخاوف احمد جمال باشا

قال فالح رفقي بك المقرب من احمد جمال باشا ، والنائب اليوم في المجلس الوطني الكبير في انقره ، في مذكراته عن الحرب الكبرى :

« كنا في الفندق نرقب موعد الحفلة لنشهدها . ولما حانت الساعة ورد علينا من قائد موقع بيروت نبأ يشير الى خوف آل سرسق واطفائهم الانوار . فالمدرعة الفرنسية اخذت تسلط انوارها الكشافة على دارهم ، والقائد يخشى مثول جمال في الحفلة ، ذلك ان المصابيح اذا عادت وشعت في القصر تظهر للاعداء ان جمال باشا اقبل ، ومن المحتمل ان يقدموا على نسف دار آل سرسق

« وينصح قائد الموقع دولة الباشا ان يتخلف عن الحفلة

« ولكن جمالا رفض هذه النصيحة رفضاً باتاً ، وانطلق الى القصر وامر من فيه بان يضيئوا الانوار . وما برحت المدرعة تسلط على الدار اشعتها

« وكنت ساعتئذ بجانب الباشا ، فرأيت ما ادهشني ، فما كادت الكهرباء تسطع في القصر حتى انقطعت المدرعة عن ارسال اشعتها وحولت مقدمتها الى جهة اخرى وابتعدت

رسالة لجمال باشا

« وقام احمد جمال باشا ومن معه الى مقصف فاخر وجلسو يأكلون ويتنادمون الى منتصف الليل ، واذا رسول يقبل قائلا ان قروياً جاء يحمل رسالة مستعجلة الى جمال باشا . فتناولتها منه وامرني الباشا بان افضها واقرأها ، فاذا هي باللغة الفرنسية ، وفيها يقول قائد المدرعة «جوزف بيكار» انه مفوض من قبل الحلفاء بانذار جمال باشا بان لا يمس امتيازات جبل لبنان ، وان لا يقدم على ايذاء الزعماء العرب المعتقلين في ديوان الحرب (كان افراد القافلة الاولى من شهداء العرب معتقلين يومذاك في ديوان الحرب العرفي في عاليه) ، وانه ، اي القائد بيكار ، كان باستطاعته نسف القصر وهدمه على من فيه ، وباستطاعته خطف الباشا واسره ، الا انه لا يريد ان يفعل ذلك بل يكتفي بالانذار ، ولهذا اوفد اليه عيد نعمه بهذه الرسالة

« فما كاد احمد جمال باشا يطلع على مضمون الرسالة ويعلم ان عيداً هو حاملها حتى هب عن مقعده ثائراً ونادى حراسه يطلب اعتقال الرجل ، ولكن عيداً توارى عن الانظار »

اقوال عيد نعمه

هذا ما رواه فالح رفقي بك في مذكراته عن الحادث . وقابلنا السيد عيد نعمه ، الملقب بالملك ، في منزله رقم ٣ — طلعة الجبيلي — محلة الاشرفية ، وعرضنا عليه ما كتب فالح رفقي بك فابتسم وقال :

— اجل ، كنت يومذاك بجانب القائد جوزيف بيكار نشاهد قصر آل سرسق المتلألىء بالانوار . ورأيت القائد يبتسم وهو يبصر

الانوار تطفأ في الدار السرسقية . فاخذ يداعب سكانها بتسديد الانوار الكهربائية من الدارعة اليهم، ومما قال : ان القصر مضاء بالانوار لان جمال باشا سيشهد فيه حفلة تقام لاجله !

« قلت : اذاً هذه فرصة سانحة للخلاص منه !

«قال : ولكن في القصر عدا جمال باشا عشرات من وجهاء البلاد واعيانها ، فلا يجوز ان يذهبوا ضحايا !

« — انا لا اقول بضرورة ضرب القصر بل بخطف جمال باشا!

— وكيف ذلك ؟

« فبسطت له خطتي وهي ان يرفقني بخمسة رجال اتولى قيادتهم ، فاذهب بهم الى دار آل سرسق واخطف جمالا واعود به الى المدرعة حياً يرزق

« واقسمت له بان لا اعود اليه حياً اذا لم انجح في مسعاي

« ولكن القائد بيكار رفض خطتي قائلا ان تنفيذها ينقذ البلاد من جمال ، الا ان رجال الدولة العثمانية يرون في سكان الدار شركاء لنا وينتهي امرهم الى الوبال

« ودار جدل عنيف بيننا، وفكر القائد بيكار في الامر ودخل الى غرفته ثم عاد الي يقول: سأوفدك برسالة الى احمد جمال باشا !

— حاضر !

— وعليك ان تسلمها لاقرب الناس اا!

— حاضر !

— وسأذكر له على سبيل الفكاهة انك حامل الرسالة !

— لا بأس !

— الا تخاف العاقبة؟

— كلا !

« وسلمني الرسالة ، فانحدرت من المدرعة واتجهت الى الشاطىء على زورق ، وبلغت ساحل جورة العقارب في « الكرنتينا » ، وهناك ألقيت سلاحي جانباً وانسللت في الظلام الى الحي السرسقي ، فاعترضني بعض الحراس ، فأجبتهم اني احمل رسالة مستعجلة من اركان الحرب الى صاحب الدولة . والكتاب الذي حمله يبدو عليه شعار اركان حرب الجيش العثماني . فلم يعترضني احد حتى دخلت القصر ، فطلبت مقابلة مرافق الباشا ، فجاءني فسلمت اليه الرسالة وانصرفت ، ولو سمح لنا القائد بيكار لخطفنا جمالا . ليس في ذلك ريب !...»

ما تطالعه فى العدد المقبل

واحمد جمال باشا الذي ساءه ما رأى من جرأة هذا الجاسوس اللبناني دعا اليه فوراً مدير شرطة بيروت ، كما دعا الضابط حسين سليمان بك وفوض اليهما مطاردة عيد نعمه بشدة

ووقعت بين الفريقين مطاردة شديدة سنوضحها باسهاب في الاعداد التالية من «الاسرار»

الانكليز في معارك جناق قلعه

اللورد كيتشنر يطالب بضرورة نصرة القائد هاملتون في الدردنيل ولكن القائد جوفر لا يتخلى عن جندي واحد قوات الحلفاء تتقدم وتهزم العثمانيين

كان الجنرال غورو الروح القوية في القوات المعسكرة على شواطئ جناق قلعة . فهذا القائد الفرنسي الطلق المحيا ، الجذاب الحديث ، عرف في مدة قصيرة كيف يستميل اليه قواته من ضباط وجنود وكيف يدفعهم الى العمل بقوة لاحتلال المراكز التي ضعضعت جبهة العثمانيين

الا انه بعد الحادث الاخير الذي وقع له عند ظهر ٣٠ حزيران سنة ١٩١٥ ، وادى الى بتر ساقه وذراعه وسفره الى فرنسا ، تطور الحال في هذه الجبهة وبات موقف الفرنسيين صعباً ، خصوصاً والانكليز يرون منذ البدء في حلفائهم قوة احتياطية مهملة

استبدال القوات العثمانية

وحادث جرح الجنرال غورو اخر الحلفاء عن القيام بهجوم جديد . فاغتنم العثمانيون الفرصة واستبدلوا من الجيش الخامس الذي تلاشى في معظم قواته الجيش الثاني وكان في تراقيا

وبعد مدة علم الانكليز بهذا التبديل ، فاذاع الجنرال هاملتون في قواته الامر التالي :

«في ١٧ تموز سنة ١٩١٥

« جاء في الاخبار الواردة على القيادة من مركز الاستخبارات ان الاعداء يقومون باستعدادات عسكرية واسعة النطاق لانزال الضربة القاضية بقوات الحلفاء في شبه جزيرة جناق قلعه ، ولهذا يرى الجنرال السر هاملتون من الفائدة توفير بعض الايضاح عن موقف الاعداء

«ان شجاعة القوات العثمانية ، وخصوصاً في الدفاع ، مع كونها مما يضرب به المثل ، تقوم الان باعمال ضمن شروط غير مساعدة وهي :

« اولا — العمل خلافاً لارادتها تحت ضغط اسيادها الالمان

« ثانياً — انصرافها الى الاهتمام بالدفاع عن العاصمة

« وهذان الامران يجعلان الموقف ضعيفاً يوجب العناية والاهتمام من قوادنا وتنظيم خطط الدفاع على هذا الاساس »

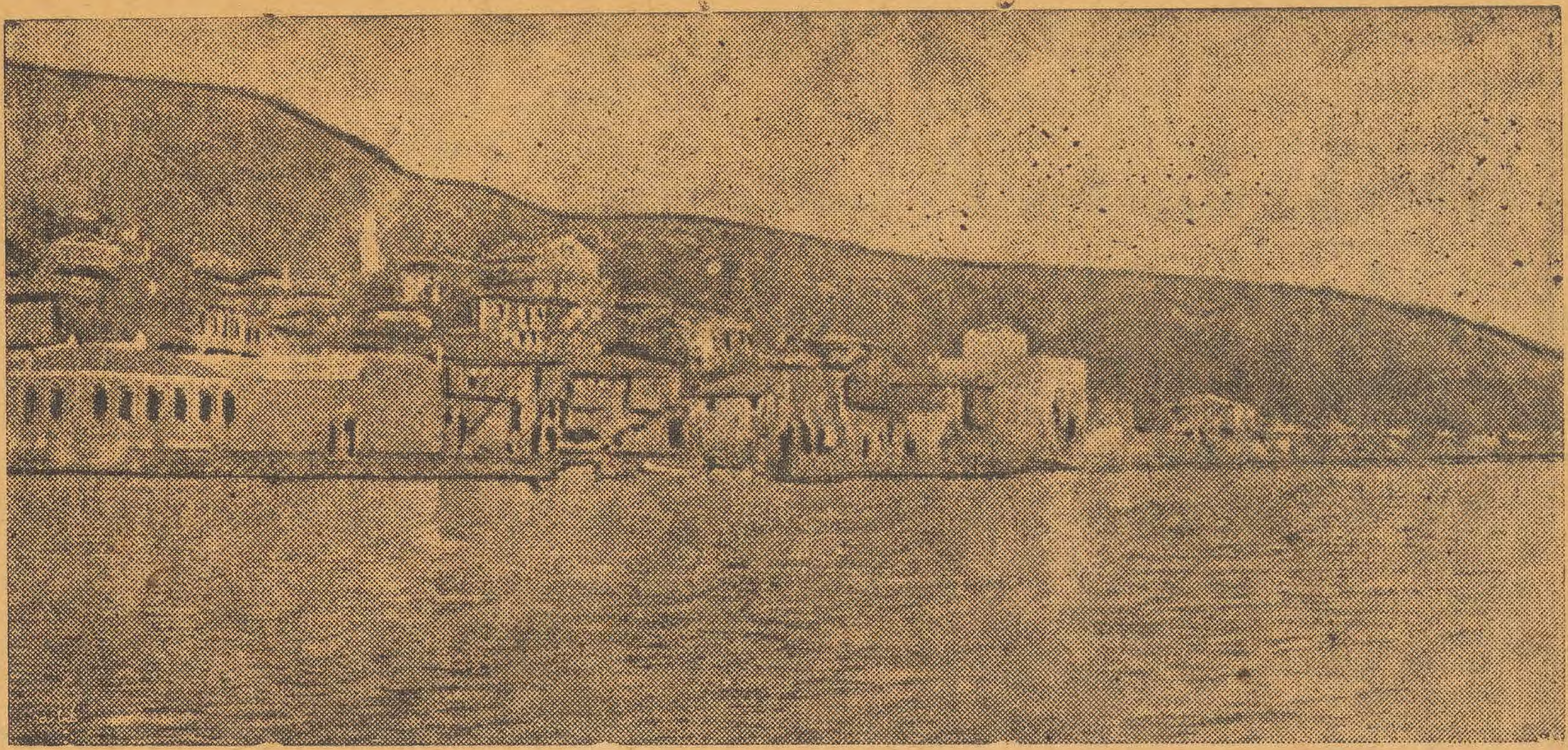


اللورد كيتشنر وزير الحرب في انكلترا

وهو صاحب الاقتراح بضرورة متابعة القتال في جناق قلعة ، يطالع القراء التفصيل في هذا الجزء من « الاسرار »

لجنة جناق قلعه

وكان ولاة الامر في لندن قد عادوا الى الاهتمام بقضية المضايق ، خصوصاً بعد جرح الجنرال غورو . وفي ٧ حزيران سنة ١٩١٥



كليد البحر احد الحصون العثمانية

منظر حصون « كليد البحر » التي طالب المستر تشرشل لجنة جناق قلعه بالعمل على احتلالها لتحقيق فوز الانكليز في هذه المنطقة الحربيه .

اجتمعت « لجنة جناق قلعه » التي انشأتها الوزارة الانكليزية تحت اشراف اللورد كيتشنر الى النظر في الامر، وكان اللورد كيتشنر ممن يميلون الى سحب الحامية من جناق قلعه، اما الان فتبدل رأيه، وما لبث ان تقدم في ذلك اليوم من اللجنة باقتراح جديد يؤيد فيه مطالب الجنرال هاملتون، وقد اوردناها في الجزء السادس عشر من «الاسرار»، وبسط الامر امام اللجنة قائلا :

— اخلاء شبه جزيرة جناق قلعه كارثة عظيمة على قواتنا في تلك الجبهة الحربية . كان بالامكان القيام بهذه الحركة لاجتناب كارثة اعم، ولكن الحالة الحاضرة في شبه جزيرة جناق قلعه لا تدعو الى مثل هذا التدبير، عدا ان وقف الحركات الحربية في جناق قلعه وسحب قواتنا منها يتلقاننا في ساحات الحرب الاخرى ويحملاننا على مشقات واخطار جمة ، خصوصاً وهما يحرماننا كل امل باستمالة دول البلقان وحملها على دخول الحرب بجانب الحلفاء ، كما ان ذلك يفسح المجال الكافي امام الالمان لدعوة هذه الدول للانضمام اليهم

« ولا تقف الامور عند هذا الحد بل ان انكلترا في مثل هذه الحالة تفقد هيبتها ونفوذها لدى العالم الاسلامي والشرق .

« لهذا لا اري فائدة من سحب قواتنا من تلك المنطقة ، بل ادعو الى تأييدها وتعزيزها كما طلب ذلك منا الجنرال هاملتون لتحقيق مشروعه!»

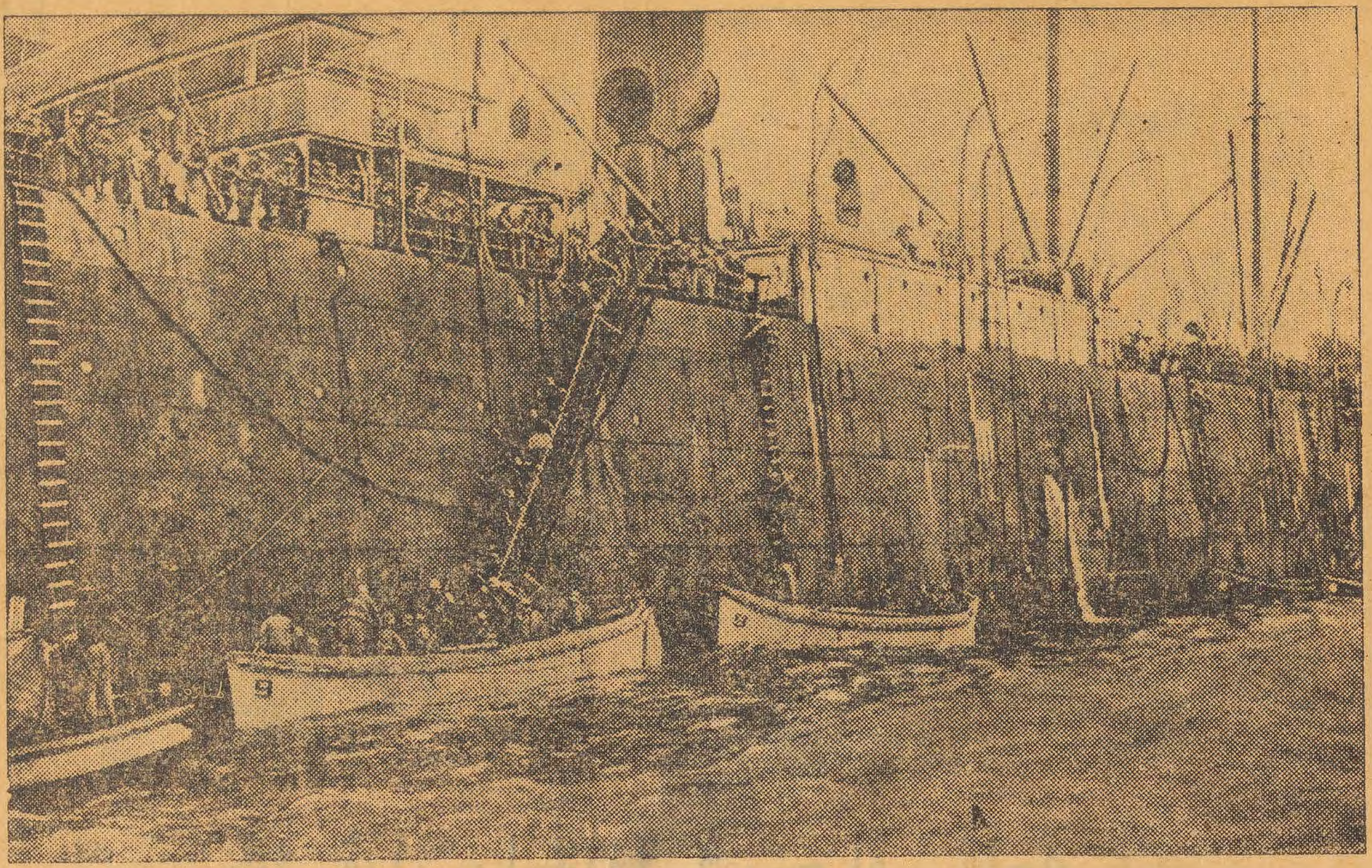
اللورد تشرشل

اما اللورد تشرشل وزير البحرية الانكليزية فقد ذهب الى ابعد مما ذهب اليه اللورد كيتشنر في دفاعه عن ضرورة متابعة القتال في جناق قلعه . فاوجب ابداء كل غيرة وتضحية في سبيل ادراك الهدف وقال :

— علينا ان لا نسمح للقوات الالمانية باختراق الجبهة الغربية في الاشهر الثلاثة القادمة، ولذلك يجب ان تبلغ حملة الجنرال هاملتون الهدف الذي نرمي اليه . ويجب ان نوفر له ما يحتاج اليه سواء من جند او من اعتدة .

« حاربنا في الجبهة الغربية بمئات الالوف من الجند دون ان نتمكن من التقدم شبراً واحداً ، ولذلك يجب ان نري في الاميال الثلاثة التي احتللناها من شواطىء جناق قلعة فوزاً باهراً

« علينا ان نجتهد قليلا للاستيلاء تماماً على « كليد البحر » ، وعندما نوفق لذلك تصبح المضايق بين ايدينا ، فيجتازها اسطولنا



نجدات الانكليز في جناق قلعة

رسم احدى البواخر الانكليزية الكبرى التي حملت الى سواحل جناق قلعة قوات جديدة لنجدة جيش الجنرال هاملتون . وتبدو في الرسم حركة انزال الجنود الى تلك السواحل

ويضمحل الاسطول الالماني العثماني وتسقط استانبول بين ايدينا ، وتسرع تركيا لعقد الصلح الذي نريده ، وتبادر دول البلقان للانضمام الينا

« والان يمكنني ان اسألكم ، ايها السادة الكرام ، في اي ساحة حرب او في اي جبهة تؤملون ان تنال الفوز الذي يساعدنا على اختراق هذه الجبهة ؟.. »

فوقف اعضاء لجنة « جناق قلعة » حيارى تجاه هذا السؤال الذي احرجهم كثيراً ، خصوصاً واللورد كيتشنر لم يترك لهم المجال للجواب وقد قال مهدداً :

— اذا قررتم اخلاء تلك المنطقة فانتم وحدكم المسؤولون عنها ، اما انا فبصفة كوني وزيراً للحرب فلا اتحمل اي تبعة كانت !

قرار اللجنة

ومن البديهي ان يكون لحديث هذين الوزيرين ، ويكادان يكونان المسيطرين على شؤون الحرب في البلاد الانكليزية ، الاثر المطلوب في اللجنة . فما لبثت ان قررت مواصلة القتال في شبه جزيرة جناق قلعه ، كما انها قررت ما يلي :

اولا — متابعة نقل الفيلق الـ ٥٢ الى شبه جزيرة جناق قلعه (وكانت بعض اجزائه قد اوفدت الى تلك الجهة قبل صدور قرار اللجنه هذا)

ثانياً — ايفاد ثلاثة فيالق من الجيش الاول الذي يتألف باسم جيش اللورد كيتشنر الاول الى جناق قلعة في خلال شهر تموز ١٩١٥

وهكذا حققت هذه اللجنة مطالب الجنرال هاملتون وهو الذي اعلن امكانه احتلال شبه جزيرة جناق قلعه اذا زود باربعة فيالق جديدة

اصرار تشرشل

الا ان هذا القرار لم يرق تشرشل وزير البحر . فما لبث ان



قوات الحلفاء في جناق قلعة

اخذ هذا الرسم لفريق من القوات المتحاربة ، ويمثل كلا منها جندي من جنود الحلفاء التي اشتركت في معارك جناق قلعة

وضع مذكرة بتاريخ ١٨ حزيران سنة ١٩١٥، اي بعد اتخاذ هذا القرار باربعة ايام ، يقول فيها انه يرى من الفائدة الكبرى حل قضية جناق قلعه باقرب فرصة ممكنة ودون اضاعة وقت . ففي ذلك ما يساعد في اقرب آن القيادة على تحقيق الظفر المنشود

واستحث اللجنة في ختام المذكرة على ضرورة ايفاد القوات المطلوبة الى شبه جزيرة جناق قلعه قبل حلول شهر تموز وفي ذلك فائدة عميمة

موقف الجنرال جوفر

ولكن هذه الخطة التي اتبعها الانكليز كانت مخالفة رأي الجنرال جوفر قائد جيوش الحلفاء العام في الجبهة الغربية . فالقائد الفرنسي كان على ثقة وطيدة بامكانه القيام باعمال جدية في الجبهة الغربية قبل حلول فصل الشتاء القريب . ولذا عارض كل المعارضة في سحب كل قوة انكليزية من الميدان الغربي مهما كانت قليلة العدد قصد ايفادها الى جناق قلعه . على ان رأي الجنرال جوفر هذا لقي ممانعة شديدة من الانكليز . وزادهم في ممانعتهم المعارك التي دارت رحاها يومئذ بين القوات الالمانية والروسية والتي انتهت بانهزام الروس . فاصر

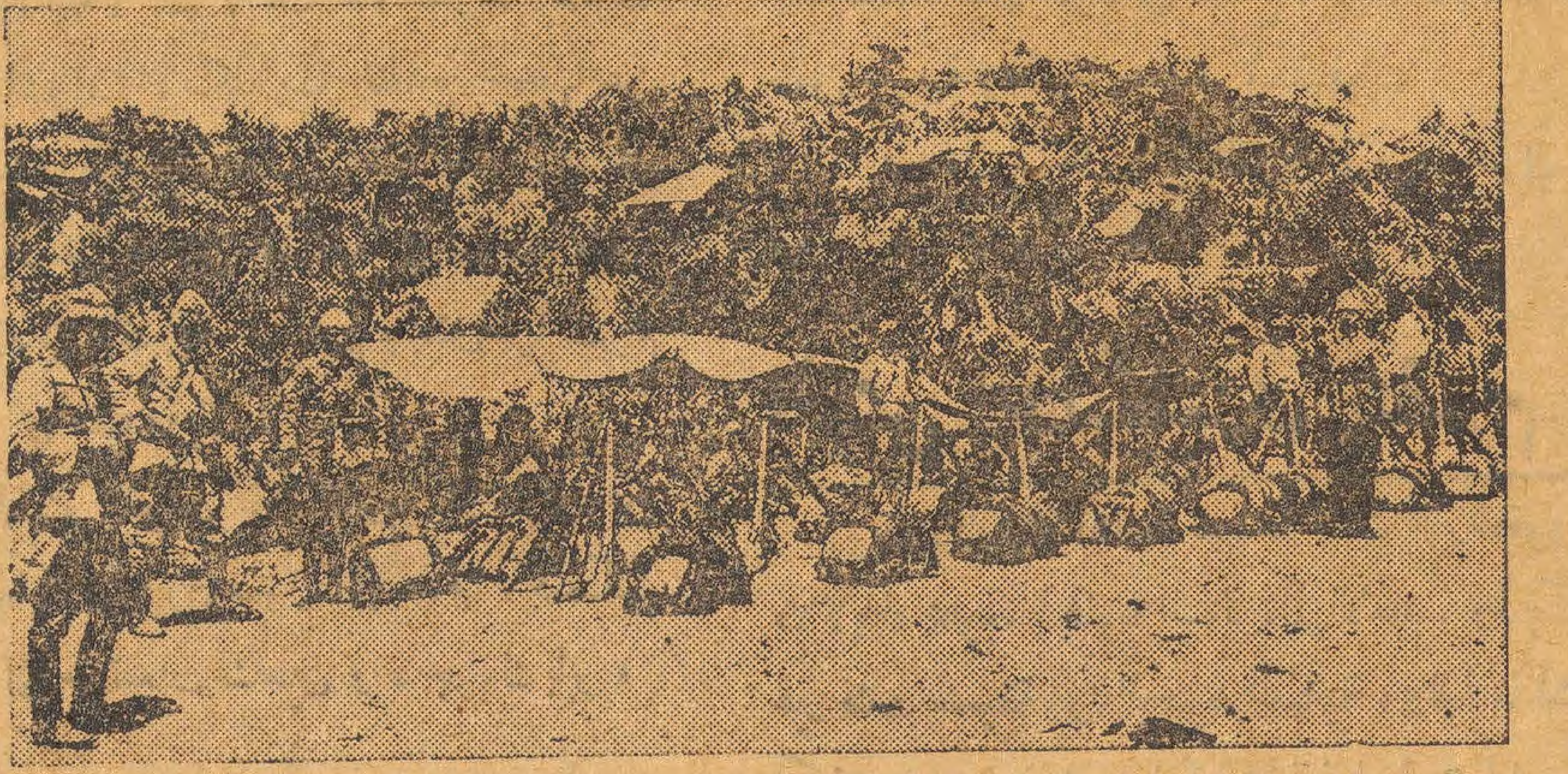
عند ذاك الانكليز ، حتى الوزراء الذين كانوا يعارضون في متابعة القتال في جناق قلعه ، على ضرورة المضي في القتال في هذه الجبهة ليتمكنوا من الوصول الى سواحل البحر الاسود ومساعدة حلفائهم الروس .

سوق الجنود الى جناق قلعة

وسعى الانكليز لتحقيق القرار الذي اعلنته لجنة «جناق قلعه» وانصرفت البواخر الانكليزية الى نقل الجنود يومياً الى تلك الجهات . واستخدم الجيش البريطاني اكبر السفن لديه ، حتى اذا انتصف شهر تموز ١٩١٥ كانت القوات قد وصلت الى هدفها

استعداد للمعركة الكبرى

وبعد وصول القوات الرئيسية الى جناق قلعة عقد القواد الانكليز والفرنسيون اجتماعاً قرروا فيه الهجوم العام على المراكز العثمانية . وعينوا لهذا الهجوم يوم ٦ آب ، على ان تستمر المعارك حتى تنال قوات الحلفاء امنيتها باحتلال المناطق الرامية الى الاستيلاء عليها



القوات العثمانية في « جوناق باير »

شرذمة من القوات العثمانية معسكرة في « جوناق باير » وهي التي تولت الدفاع عن هذه المنطقة بعد جرح قائدها

بدء المعارك الكبرى

وبدأ الحلفاء هجومهم على المراكز العثمانيـة من جهة الجناح الايسر لجبهة « آري بروني » صباح ٦ آب ١٩١٥ وهدفهم مرتفعات « قانلي سرت » ، فاخذت مدفعيتهم باطلاق قذائفها بشدة متناهية على تلك المواقع وقد تولت الفرقة ١٩ الدفاع عنها . واستمرت المعركة حتى الليل

الحركات الرئيسية

اما القوات الرئيسية التي اعدت للهجوم وكانت ترمي الى الاحاطة بقوات العثمانيين في شمالي « اري بروني » فهي مؤلفة من الفيلق ١٣ وقوات الفرقة الاسترالية والنيوزيلندية والفرقة الهندية والقوات الفرنسية وهذه القوات يقودها الجنرال « كودلي » . وقد قسمها الى قسمين ، على ان تبدأ هجومها على المراكز العثمانية بعد غروب الشمس

وهدف القسم الاول منها ، وهو جناحها الايمن ، احتلال مرتفعات التي تدافع عنهـا قوات عثمانيـة خفيفة ، والتي تقع شمالي المرتفعات « بالقجى » ، فيتسنى لها احتلال مرتفعات « شاهين » و « جوناك باير » وتنتهي يومذاك مهمتها

اما الجناح الايسر فيسير في وادي « آغيل دره » ماراً بمركز « عبد الرحمن باير » ومنه يصل الى مرتفعات « قوجه جشمه »

وتقرر ان على كل من هذين القسمين ان يشطر الى قوات هجوم وقوات دفاع حتى يدرك هدفه . والقوات المعدة لهذه الحملة مؤلفة من ٢٠ الف جندي ، على حين ان القوات التركية مؤلفة من آلاي وطابورين ، اي من قوة لا تزيد على ١٥٠٠ بندقية .

بدء الهجوم

ولما خيم الظلام على يوم ٦ آب اخذت قوة مؤلفة من الفي جندي تحت قيادة اللواء « روسل » تتقدم في الجبهة العثمانية . وكانت مهمتها احتلال الاستحكامات والمخافر العثمانية الامامية في مقدمة « اري بروني » واخفاء حركة انزال الجنود من البوارج الحربية

حيلة الانكليز

والمراكز التي يريد الانكليز احتلالها ممتدة من شمالي « سازلي درة » الى « آغلي درة » ، ومحاطة باستحكامات ، وان تكن غير مجهزة بالعدد الكافي من الجنود العثمانية ، فانها محصنة تحصيناً قوياً وممنطقة بالاسلاك الشائكة

وكان باستطاعة الانكليز احتلالها الا ان هذا الاحتلال يكلفهم الضحايا الكثيرة . على ان اللواء « روسل » استنبط حيلة ساعدته على بلوغ مأربه

ذلك ان طراداً انكليزياً اعتاد ان يقترب لدى الساعة التاسعة مساء من الساحل المواجه لتلك المراكز ويعمد الى ضربها بشدة ثم يتراجع . وتكررت اعمال الطراد حتى باتت معلومة لدى الجميع

وفي تلك الليلة ، اي في ليلة ٦ — ٧ آب جاء الطراد وضرب المنطقة . ولما سكت اخذت القوات الانكليزية تتقدم تحجبها عن العثمانيين سحب الدخان المنبعثة من القذائف . وظن العثمانيون ان الحادث سينتهي بوقوف الطراد عن اطلاق قذائفه كما تعودوا منه ، بيد انهم لم يشعروا الا والقوات الانكليزية تحيطبهم وتحتل مراكزهم دون ان يتمكنوا من القيام باي مقاومة كانت

وبمثل هذه الحيلة تمكنت القوات الانكليزية الاخرى من احتلال الاستحكامات العثمانية الاولى والوصول الى هدفها . فتمكن الجناح الايمن من الوصول الى مرتفعات شاهين و « جوناك باير »

اما الجناح الايسر

اما الجناح الايسر فقد اخر هجومه الى الساعة التاسعة والنصف مساء ، اي الى ما بعد احتلال الجناح الايمن للمراكز العثمانية الامامية. وسار هذا الجيش مسافة بعيدة متبعاً طريق الساحل في وادي « آغلي دره » ، حتى اذا ما وصل الى آخر الوادي اصطدم بمفرزة عثمانية ضعيفة لم تتمكن من الثبات امامه الا دقائق،وما لبثت ان تلاشت امام القوة الكبيرة العدد التي اجتاحتها ،واخذت تتسلق المرتفعات بصعوبة وبطء . ولم تكن تجد امامها غير قوات ضعيفة قليلة لا تقوى على الثبات طويلا تجاه الجحافل اللجبة

النتيجة غير مرضية

الا ان هذه المعارك الجديدة لم تفد الحلفاء شيئاً.فهم بعدما بلغوا اهدافهم اضطروا في اليوم التالي الى التراجع

فعقد الجنرال هاملتون جلسة مستعجلة قرر فيها دفع جميع قواته الاحتياطية المقيمة في الساحل الى الجبهة للقيام بحركة التفاف عامة على المراكز العثمانية لادراك الفوز النهائي فيها

الهجوم الانكليزي

وكانت قرية «سوفلا» البحرية مملوءة بالبواخر والقطع الحربية. ومع هذا دخلت المرفأ في صباح ٦ آب ١٩١٥ عشر بواخر وست سفن حربية و٧ سفن معدة كمستشفيات

فتحول ساحل هذه القرية الى مرفأ حربي عظيم لوفر ما حشد فيه من قوات عسكرية

الجيش الانكليزي يتقدم

وفي الساعة الثامنة صباحاً كانت بحيرة «قورو طوز» ومرتفعات «لالابابا» مملوءة بالجنود السائرة الى الامام . ولم يكن تجاه هذه القوات غير فئات ضعيفة من الجنود العثمانية . ولذا ما لبثت قوات الحلفاء ان اكتسحتها واحتلت مراكزها الامامية جميعها

جرح القائد الالماني

وحاول امير الالاي « كانتكستر» بك ، قائد الفرقة التاسعة ، الدفاع عن مراكزه بجرأة فائقة ، الا ان مساعيه في هذا السبيل ذهبت سدى ، فالقوات الانكليزية كانت قد احاطت بالمرتفعات العثمانية فاصابته بجراح بليغة وقضت على قواته . وبصعوبة تامة تمكن ضباطه من انقاذه ونقله الى المؤخرة ثم الى استانبول ، فاسعف فيها وظل في المستشفى مدة طويلة لم يستطع بعدها العودة الى ساحات القتال

جميل بك في القيادة

وعلى اثر جرح القائد الالماني ورد على امير الالاي جميل بك الامر التالي :

« امير الالاي كانتكستر جرح في موقعة « جوناق باير » وانفصل عن الجبهة ولهذا عهد اليكم بادارة الحركات الحربية مكانه مع ادارة قوات « قوجه‌جشمه » ،وعليكم ان تسرعوا الى هذه المنطقة لاتخاذ التدابير التي تساعدكم على تحقيق المهمة الموكولة الى هذه الفرقة بطرد الاعداء من « جوناق باير » و « آغلي دره »

فما تلقى امير الالاي جميل بك هذه الاوامر حتى امتطى جواده وسار الى الجبهة للاشراف على الحالة العسكرية فيها وتنظيمها

اسرار الحرب الكبرى

بقلم كرم ملحم كرم

الالمان ينطلقون الى فردون بقوة الجبابرة ويقهرون الفرنسيين
الجيش الفرنسي يتراجع والالم يعض قلبه

هل تسقط فردون ؟

ليست « فردون » غير مقاطعة من ولاية «موز» ، قامت على كتف واد ، وجرى نهر «موز» عن يمينها ، وقامت عن يسارها منطقة «ارغون» . وفردون مدينة قديمة في تاريخها وفي منازلها ، وهي منازل تلتف حول كاتدرائية قديمة

وفي حرب سنة ١٧٩٢ وسنة ١٨٧٠ مثلت فردون الدور الاول ، ومثلت هذا الدور نفسه في حروب ١٩١٤ — ١٩١٦ ، فهي باب يفتح على فرنسا كما يفتح على المانيا . والالمان هاجموها مرتين ، في شهري آب وايلول من سنة ١٩١٤ ، وفي شهر شباط ١٩١٦

والمدينة ممنطقة باسوار قوية . وحصونها اشبه بمدينة اخرى فيها ، هي مدينة تحت الارض تضم حامية بكاملها ، وللدخول الى هذه المدينة تسلك الاقدام درجات ودهاليز محفورة في الصخر تضيئها الانوار الكهربائية

وحصونها البعيدة بعضها عن بعض تنبسط حولها كمروحة هائلة ، وتنتشر على قمم علوها بين مئتين وخمسين ذراعاً وخمسمئة ذراع

موقف الالمان

والجبهة الالمانية قبل الهجوم قامت حيال هذا الخط على مسافة طولها خمسون ميلا ، بشكل نصف دائرة فسيحة تتجه من الشمال الى الغرب ، فتجتاز غابة «شابي» وغابة «مونفوكون» ، وتخترق في الشمال « كونزي» وغابة «فورج» و «فيل» و «غراميي» وغابة «سبانكور» و «جيمال» و «موكور» و «غانكراي» ، وتتصل من الجهة الشرقية بغابة « تيلي » و «ايتان» و «بوانفيل» و «بوزي» و «ميزراي»

فان هذه المنطقة بكاملها من فردون تقع بين غابات « ارغون » وسهل «ويفر» ، ويجتازها نهر «موز» على مجرى عرضه ميل واحد من « فردون » الى « كونسانفوى »

موقف الفرنسيين

واستند الفرنسيون في موقعهم الاول من الجهة اليسرى الى « برابان » و «هومون» و « كور» ، وكان موقعهم الثاني في « سامونيه » ومزرعة «مورمون»

اما في القلب فكان خطهم الاول في غابة « فيل » و «هربيبوي» و «اورن» ، والخط الثاني في «بومون» و «اوفريل» و «فوس» و «شوم» و « كوريار»

وميمنتهم اتجهت في خطها الاول الى «موكور» و « موجيفيل »

وبحيرة «برو» وغابة «شاريار» العليا و«فرومزاي» . والخط الثاني امتد من «بيزونفو» الى «غران شينا» و «دياب»

وبعد خطوط الدفاع هذه قام خط الحصون ، وهو يبدأ من قرية «براء» ويمر في «دوومون» و«هردومون» لينتهي في حصن «فو» ،



القائد جوفر وهمبرت

«همبرت» الى اليمين و «جوفر» الى اليسار يتباحثان في الخطة الواجب اتباعها في رد الهجوم الالماني عن «فردون»

«لافوفه» ، «ايكس»

وانشيء خط دفاع آخر على قمم جبل «بوافر» وجبل «تالو» . ووراء هذين الجبلين قام جبل «فروادينير» امام خط الحصون المشرفة رأساً على فردون ، وهي حصن «بيلفيل» وحصن «سان ميشال» وحصن «سوفيل» ، ومهمتها حماية الطريق العام وخط «متز» الحديدي

وقام على ضفاف نهر «موز» حصن «تافان» وحصن «مولانفيل»

الهجوم الالماني

قلنا ان رئيس اركان الحرب الالماني «فالكنهاين» ابى ان تشغل المانيا نفسها في الجبهة الشرقية فتقاتل الروس ، على حين ان الروس تلاشوا . وقلنا ان المارشال هندنبورغ صدم هذا الرأي وبدا له ان من الافضل سحق روسيا سحقاً تاماً لا يبقى فيه مجال لحياتها ثم الانقضاض على فرنسا وتدويخها كما دوخت روسيا

على ان المارشال «فون هيزيلر» ، وهو ذلك القائد الالماني الطاعن في السن ، ايد «فالكنهاين» في ما ارتأى وشاء مهاجمة فرنسا واهمال روسيا المهيضة الجناحين

والخطة اوضحناها ، وهي الاستيلاء على فردون ليقين الالمان ان فردون قلب فرنسا ، فالنزول فيها معناه احتلال باريس

وخيل الى الالمان ان امتلاك فردون من السهولة بمكان . فدفعوا الى تحقيق بغيتهم هذه من اربعمئة الى خمسمئة الف جندي تعضدهم قوات احتياطية لا تقل عنهم عدداً ، وتشد سواعد هذا الجيش مدافع هائلة من ألفين الى ثلاثة آلاف مدفع مجهزة بجبال من القذائف

الالمان يعرفون مكامن الضعف

وعرف الالمان مكامن الضعف لدى الفرنسيين . فالفرنسيون كانوا يملكون خطين حديديين في منطقة فردون ، الخط الحديدي الممتد من فردون الى «ريمس» مجتازاً «سانت مينيهولد» ، والخط الحديدي السائر على ضفاف نهر «موز» . ورموا الى تدمير هذين الخطين ليحولوا دون اتصال حامية «فردون» بما وراءها من جيوش وليمنعوا وصول الذخائر والمؤن اليها

ومع ان المنطقة فرنسية فالالمان ملكوا في شماليها اربعة عشر خطاً حديدياً . ولذلك هاجموا فردون . وتحدثت القيادة الفرنسية عن هذا الهجوم في نشرة الجيوش فقالت : «كان باستطاعة الالمان ان يتظاهروا بانهم يهاجمون فردون وان ينقضوا بجحافلهم على «نانسي» و«اميان» او «كاله» ، وكان علينا ان نرد هجماتهم بقوات متعادلة في هذه الجبهات بكاملها . وهذا ما اتخذنا له كل حيطة . ولو نحن دفعنا الى مقاتلة الالمان في فردون كل ما لدينا من قوات لكان لهم ان يفوزوا في ناحية اخرى . ولكننا ملكنا اعصابنا حيال الصدمة . ومن واجب القيادة العليا ان تملك اعصابها وان تقدر مبلغ الصدمة التي ترقبها وما تقوى عليه في دفعها»

السيارات بدل الخط الحديدي

وهذه الصدمة اسرع الفرنسيون في دفعها عنهم . ولما كانت الخطوط الحديدية تنقصهم فقد لجأوا الى السيارات . على ان مدفعيتهم لم تكن تعادل المدفعية الالمانية



ملوك دول الائتلاف الاربع

هؤلاء اسياد دول الائتلاف في الحرب الكبرى. ودول الائتلاف اربع هي المانيا والنمسا وتركيا وبلغاريا . وهذا الرسم يمثل ملوك هذه الدول ، وهم من اليمين : غليوم الثاني امبراطور المانيا ، فرديننان ملك بلغاريا ، محمد رشاد سلطان تركيا ، فرنسوى جوزف امبراطور النمسا

وفي صباح ٢١ شباط ١٩١٦ اطلق الالمان على فردون قذيفتهم الاولى فهدمت المنازل وروعت الناس . ولقد شاؤوا ان يعلنوا بها بدء القتال

وتوالى اطلاق القذائف ، فدام طول ذلك النهار . وقامت به مدفعية مختلفة في حجمها وعيارها ، فمن مدافع المانية من عيار ٤١٠ الى عيار ٢١٠ ، ومن مدافع نمسية من عيار ٣٨٠ الى عيار ٣٠٥

وكانت قذائف المدفعية الالمانية المتفجرة في غابات «سبانكور» و«كويزي» و«مونفوكون» اشبه بالبراكين . وقد صبت على منازل فردون جمها

وقالت نشرة الجيوش الفرنسية عن الطيارين الفرنسيين الذين حلقوا فوق المعسكر الالماني انهم مانعوا في تحديد مناطق النار الالمانية في خرائطهم ، لكون هذه المناطق عامة . فالالمان قذفوا بنيرانهم من كل ناحية

هجوم المشاة وفوز الالمان

وبعدما مهدت المدفعية الالمانية الطريق عمد المشاة الى هجومهم. ولقد انقذتهم المدافع من الاسلاك الشائكة ومن الخنادق القائمة في مقدمة خطوط الدفاع . فوثبوا في هجومهم الى خط الدفاع الاول واحتلوه ، واحتلوا غابات «هومون» و«كور»

وفي غابة «كور» قاوم نائب «نانسي» امير اللواء «دريان» كل المقاومة، فصدم برجال القناصة الذين يقودهم الجحافل الالمانية المتوالية من كل مكان ، وبدد هذه الجحافل بما رماها به من قذائف، وافناها، على ان سواها حل محلها ، فكلما فني فوج قام مقامه فوج اخر . فتضعضع افراد القناصة امام العدد الهائل ، وفيما يعمدون الى الهزيمة اصيب قائدهم « دريان » برصاصة قضت فوراً عليه . وقد تولى الالمان دفنه

الالمان يمضون في فوزهم

وفي اليوم التالي توالى اطلاق القذائف بشدة . وكان الهجوم الالماني فائق العنف. فحصدت المدفعية الفرنسية هذا الهجوم المرصوص. ولكن العدد غلب العدد . فبرز الالمان من كل ناحية يطلقون القذائف اليدوية والسوائل الملتهبة . واكرهوا الفرنسيين على الجلاء عن قرية «هومون» وقد امست اطلالا ، وعن غابة « فيل » ، وعن شطر من « هربيبوى » ، وعن « وافري » ، وفي الليل اقصوهم عن « برابانت سيرموز »

هجوم هائل ومقاومة فولاذية

وفي اليوم الثالث تعاظم الهجوم . فالالمان ابوا الا ان يمتلكوا فردون بصلابتهم المأثورة وعزمهم الماضي . وانطلقت قذائفهم تنسف « سامونيه » ومزرعة « انفليمون » و « مورموت » . واشتبكوا في « هربيبوى » وحول «وافري » في معارك طاحنة . وقاوم الفرنسيون مقاومة جبارة . فكانوا يرون الالمان يدبون اليهم كالنمل وهم لا يتزعزعون عن اماكنهم الا وقد ثبت لديهم ان المعركة خاسرة مهما بذلوا في سبيل الانتصار فيها من مجهود . ومع يقينهم ان كل مجهود يذهب سدى كانوا يقاتلون ويقاومون ولا يسلمون الارض للالمان غير شبر بشبر ، وتراجعوا الى « بومون » واستقروا في اعالي غابات « فوس » و « شوم »

القذائف الالمانية لا تسكت

ولم يقف الالمان عن اطلاق قذائفهم . فقد صمموا على امتلاك النصر . فرشقوا بنارهم « دياب » و « برو » و « وفرومبزاي » . واضطر الفرنسيون الى الجلاء عن « سامونيه » ، على انهم سدوا طريق « فاشيروفيل » الى « سامونيه » ليمنعوا الالمان من احتلال القمة رقم ٣٤٤ وقد بذلوا كل تضحية للاستيلاء عليها

واندفعت القذائف الفرنسية تقوم بمهمتها . وابادت العدد الكبير من القوات الالمانية ، الا ان هذه القوات لم تكن تعرف النهاية . فيفنى منهم الكثير ويبقى الكثير . واخيراً تم لها الفوز واستولت على القمة رقم ٣٤٤

ومع ان عدد القتلى والجرحى في الصفوف الالمانية كان هائلا فقد اصر ولي العهد على متابعة القتال مهما يكن من الامر

يوم مصبوغ بالدم

وفي اليوم الرابع والعشرين استمر الهجوم الالماني الرهيب . واقام الفرنسيون جنوبي « بومون » ومزرعة « مورمون » وغابة « شوم » ، وتكاثفت الجحافل الالمانية الظمأى الى النصر ، فوثبت من الاماكن التي احتلتها في غابات « كور » و « هربيبوى » وانطلقت الى « بومون » وفي نيتها احتلال القرية وامتلاك طريق فردون القائم عن يسارها

وكان ذلك اليوم من اشد الايام هولا . فسالت فيه الدماء بغزارة . وبدت فيه البطولة من الجانبين . فالالمان يريدون التقدم والفرنسيون يأبون التراجع . والفريقان لا يأكلان ولا يشربان . وبلغ من تضحية الفرنسيين انهم مع كونهم يشتعلون عطشاً فقد ابوا ان يجرعوا ما في مطراتهم من الماء ، واخذوا يصبون هذه المياه على مدافعهم الحامية كي تبرد ويتسنى لهم بها المضي في اطلاق نيرانهم على الالمان .

احتلال « بومون »

واجتازت القوات الالمانية غابة « كور » وبلغت « انفليمون » تطلق قذائفها الخانقة ، فظفرت بالفرنسيين المدافعين عن « بومون » وغابة « فوس » واحتلت هذين الموقعين . واستمرت في تقدمها فاحتلت غابة « شوم » ومزرعة « شامبريت » وغابة « كوريار » . وقضت على القوات الفرنسية النازلة في قرية « اورن » بالتراجع

الامطار والثلوج

والفصل فصل الشتاء . وفي ٢٥ شباط سقطت الثلوج بشدة فملأت تلك القمم ، على انها لم تقف بالمتقاتلين عن خوض المعارك ، فهجم الالمان بصلابتهم المعهودة على « فاشيروفيل » وقمة « بوافر » ، والقمة رقم ٣٧٨ ، وغابة « فوس » ، والقمة رقم ٣٨٨ وحصن « دوومون »

وعلا قصف المدافع بلا انقطاع . ودفع الالمان جحافلهم الى ثلاثة اهداف . فانطلق الجناح الايمن الى نهر « موز » ، ومشت قوات القلب الى « لوفمون » ، ووثب الجناح الايسر الى غابة « فوس » و « دوومون » ، واتجهت قوة منه الى « فرومبزاي »

وسقطت القذائف على حصن « دوومون » باستمرار عجيب ، وكلما احدثت فيه ثلمة اطلق الالمان انوارهم الكاشفة على هذه الثلمة ليروا هل بامكانهم الانطلاق اليها واحتلال الحصن ؟

وتقدم الجيش الفيلق البراندبوري الثالث . فكان في الطليعة . وسارت بعده القوات اللجبة تنشد النشيد الالماني الوطني : « المانيا فوق الجميع ... » ، ومع سقوطها تحت نيران الرشاشات الفرنسية كانت توالي هجومها دون ما اكتراث . ومشى بجانبها ضباطها يحثونها على التقدم ، ومن تقهقر هددوه بالموت

الجثث تملأ الساحات

وملأت الجثث الساحات . وبلغت المئات والالوف . فالفرنسيون صبوا على الالمان كل ما لديهم من مدافع ، وكانت هذه المدافع تنسف



فئة من الاهلين تجلو عن ضواحي فردون امام التيار الالماني

الالمان االظافرون في فردون يكرهون الفرنسيين على الرحيل عن مساقط رؤسهم

الكتائب الالمانية تلو الكتائب والالمان يتقدمون . كانوا يتقدمون وقد انتشوا بالظفر ، فكل منهم تأبط ذراع رفيقه واخذينشد اناشيد الحماسة. وبهذه الصلابة التي لا تقهر ، بهذه الثقة بالنفس ،بلغوا اعالي حصن « دوومون »

الاستيلاء على الحصن

واستطاعت قوة من الكتيبة الرابعة والعشرين من الفيلق البرانديبوري ان تدخل الحصن وتظل على اتصال بالجيش الالماني . وما اصبح الحصن بين ايدي الالمان حتى كانت القيادة الفرنسية تطلق على الالمان قواتها في الحدود الشرقية ، مما وفر لها استعادة بعض الارض المسلوخة منها

وبات حصن « دوومون » اطلالا ، وتراجع في ٢٥ شباط عنه الفرنسيون ،بل هم اضطروا الى التراجع من سهل « ويفر » الى مرتفعات تشرف على نهر «موز» استقروا فيها في دفاعهم عن فردون

وهذا التراجع قضى على الفريقين بخسائر جسيمة . فلم تكن الخسائر الفرنسية دون الخسائر الالمانية . وهو تراجع بلغ عدة اميال تقدمها الالمان . وكان الرماة الفرنسيون يعطلون كل مدفع لا يقوون ان ينطلقوا به في هزيمتهم

غليوم في الساحة

وفي صباح ٢٦ شباط كان الامبراطور غليوم في شمالي « اورن» يحث جيوشه على القتال . وفي هذا النهار نفسه بدأ الالمان هجومهم على قرية « دوومون » وليس لهم عنها غنى للاستقرار في الحصن

فوانبوها في ثلاثة ايام متوالية . غير انهم اضطروا في اليوم الرابع الى الوقوف عنها وقد هشمتهم المدافع الفرنسية

وبعد هدنة يومين عادوا في ٢ اذار الى رشق هذه القرية بالقذائف،ودفعوا اليها قواتهم من جانبين . فظفرت المدفعية الفرنسية بالقوات الاولى ، غير ان الالمان لم يجمدوا ، فقاموا بتجهيز قوات اخرى اندفعت كالامواج الى قرية « دوومون » تعضدها قوات احتياطية غلابة . وبمثل هذه الجيوش وذاك الاستعداد تم للالمان الاستيلاء على القرية ولم يبق منها غير اطلال ووحول

الفرنسيون لا يلوون

غير ان الفرنسيين عادوا فاستولوا على القرية بعد ما نسفوها عدافعهم . فاكرهم الالمان في ٤ اذار على الجلاء عنها . ووقف

الفرنسيون على مسافة قريبة منها ليمنعوا الالمان من التقدم

واحتفل الالمان احتفالا عظيما باحتلال « دووءون » وحصنها ، فاقاموا في كل مكان الزينات ، واذاعوا في العالم اجمع نبأ انتصارهم . وخيل اليهم انهم احتلوا فردون

تبديل القيادة الفرنسية في فردون

وفي ٢٥ شباط جرى تبديل في القيادة الفرنسية في فردون ، فان رئيس اركان الحرب القائد « كاستلنو » اقبل يعلن تعيين القائد « بتان » لهذه القيادة ويعهد اليه بشؤونها . فبات يعرف باسم قائد جيوش منطقة فردون المحصنة

بسالة الاهلين

واظهر سكان مدينة فردون استعدادهم لكل تضحية . فكانت القذائف تتساقط عليهم فتهد لهم منازلهم ويأبون ان يبرحوا المدينة ، وقد اضطر ولاة الامر الى الاستغاثة بقوات الدرك لاكراه هؤلاء على الرحيل . ولم يبق في فردون سوى رجال المطافيء ، فما ابتعدوا عنها مع امعان المدافع الالمانية في تدميرها . فكانوا يتواثبون الى اطفاء النار المشتعلة في المنازل وانقاذها من الخراب.

« الاستيلاء على قرية فو »

وبعد ما لقي الالمان تلك المقاومة العنيفة من الفرنسيين في ناحية القلب نظموا هجومهم على غربي نهر « موز » . ومنذ ٢٠ شباط كانت المدافع الالمانية تتساقط على حصن « بوى بوري » وحصني « مار » و « فاشيروفيل » ، على ان هجومهم على الضفة اليسرى لم يكن موفقاً مثله على الضفة اليمنى

وتولى الفرنسيون الدفاع عن « مالانكور » و « بيتانكور » و « فورج » . وهي لديهم من الخطوط الاولى ، فتساقطت عليها القذائف الالمانية بشدة ، وهذا ما آلت اليه الحال في « ويفر » وقد هاجم الالمان فيها في ٢٨ و٢٩ شباط « ايكس ابو كور » والقمة رقم ٢٥٥ على مقربة من « ايكس » و « مانهيل » و « فرن »

وتقهقر الفرنسيون تقهقراً فاضحاً الى مواقع « موز » العليا ، وهي مرتفعات تشرف على السهل ويمكن الاعتصام بها ومنع تقدم العدو

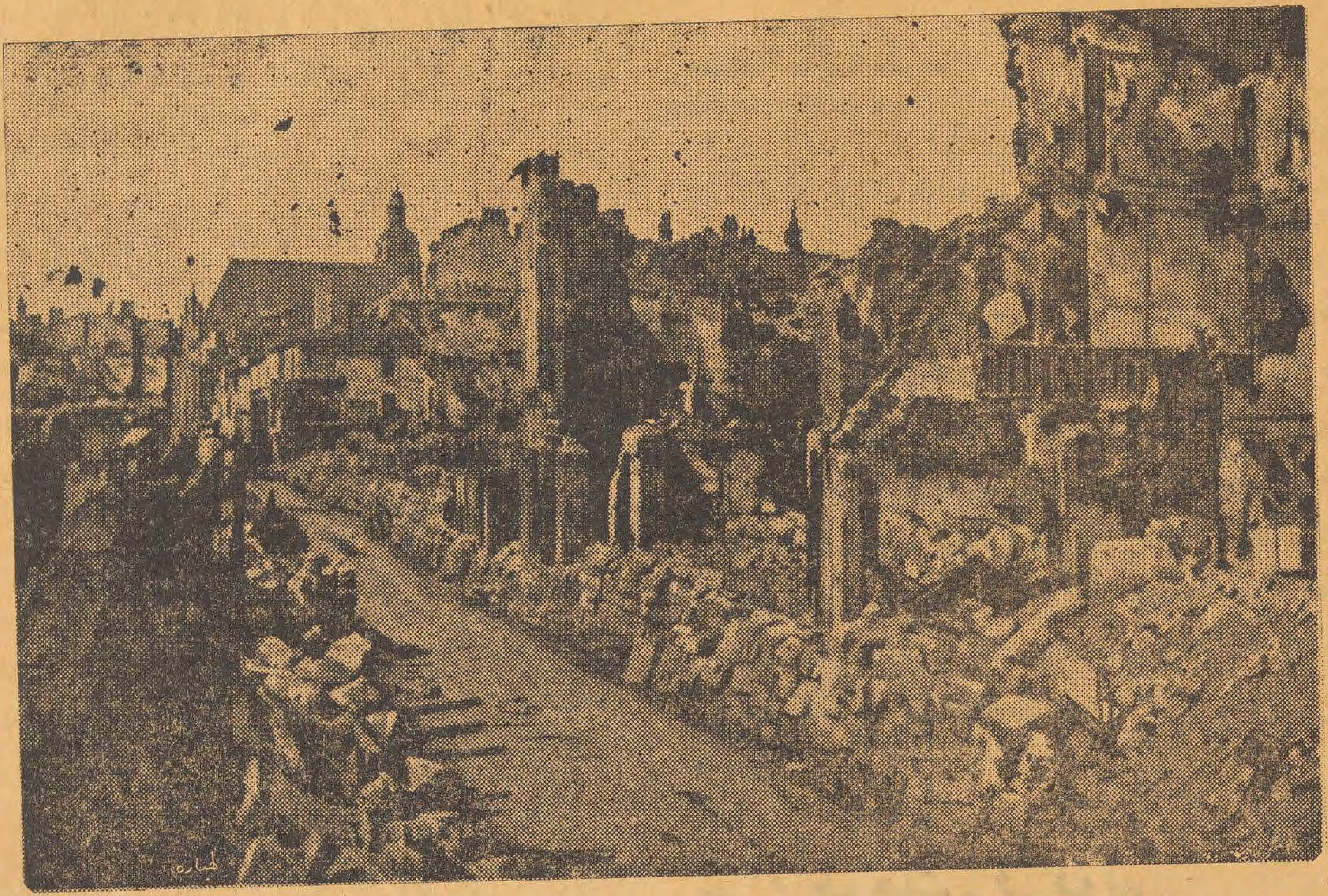
الجيش الالماني يفوز في كل ناحية

وفي ٦ اذار استولى الالمان على قريتي « فورج » و « رانيافيل » . وبعد ما اطلقوا قذائفهم ليلا على الخطوط الفرنسية تسلقت جحافلهم القمة رقم ٢٦٥ غربي نهر « موز » واجتاحت غابة « كوربو » وقد قطعت القذائف الكبرى الاشجار فاضطر الفرنسيون الى التقهقر التام . اجل ، لقد بذل الالمان كل تضحية في سبيل هذا الفوز ، وجازفوا بقواتهم وخسروا الالوف من رجالهم ، الا انهم فازوا . فدامت المعركة خمسة ايام كانت الخسائر فيها جسيمة ، على ان النصر كان بجانب الالمان الاشداء



القائد بتان

وهو من تولى قيادة مناطق فردون المحصنة بعد هزيمة الفرنسيين الاولى فيها



مدينة فردون المتهدمة تحت قذائف الالمان

منظر مفجع لمدينة فردون في اوائل سنة ١٩١٦ وقد اطلق عليها الالمان قذائفهم بغتة احتلالها

وصوبوا فوهات مدافعهم الى ضواحي « فو » واطلقوا قواتهم من هـذه الناحية ، فقابلها الفرنسيون بالمدافع والرشاشات وامست المعركة اشبه بالمجزرة ، على ان المدافع والرشاشات الفرنسية كلت والالمان لم يكلوا . فلا تبيد المدافع فريقـاً منهم حتى يكون الفريق الاخر قد بدا على استعداد للنضال . وهذا الاستعداد العجيب اجاز للقوات الالمانية اللجبة ان تنسل الى قرية « فو »

والالمان ايضاً فازوا

وتوالى القتـال وكل قصد الالمـان احتلال « بيتسانكور » و « مورهوم » و « كيميار »، فسددوا اليها قذائفهم الضخمة . وثبت الفرنسيون ثباتاً عجيباً قوياً ، ووقفوا حيال الوثبات الالمانية كحجارة من الصوان ، غير ان الهجمات الالمـانية توالت ، فتلقاهـا الفرنسيون ببنادقهم وصدورهم ، واطلقت ايديهم المضطربة الاعصاب القذائف ترد عنهم الخـذلان وعن ديارهم الاجتياح الالمـاني ، وعلت اصواتهم يتنادون الى الانتقام او الهلاك . غير ان الالمـان لم يبالوا الصدمات الفرنسية ، فقذفوا اعداءهم بعدد فوّار من الجند لا يهتمون بامر من يموت او يبقى حياً ، فالمهم لديهم ان يفوزوا

وفي ٢٠ اذار عانت المواقع الفرنسية بين «افوكور» و«مالانكور» شر القذائف الهدامة ، وتلت هذه القذائف السوائل الملتهبة . ودامت المعارك عشرة ايام في الغابات وقد دخلها الالمان ، وتراكمت الجثث بين جذوع الاشجار المقصوفة ، المحطمة بالقذائف الجهنمية

التقدم المستمر

وفي ٣٠ اذار استولى الالمان على اطلال « مالانكور » . وفي اليوم نفسه هـاجموا المواقع التي احتفظ بها الفرنسيون حول حصن « دوومون » واحتلوها . وفي اول نيسان بلغوا قرية « فو » وقد باتت اطلالا

وهذان الفوزان الباهران تباهى بهما الالمان مع كونهما كلفاهم غالياً . فطفت الجثث على غدير « كاييت » المظلم ، المرتفعة فيه بقايا

الاشجار المنسوفة ، المتناثرة فيها شظايا القذائف . وهذه الجثث المانية في معظمها ، على ان الالمان وهم غير المكترثين للموت لم يأسفوا عليها بقدر ما طربوا لفوزهم المبين

سيول القذائف

ومضى الالمان في اوائل نيسان في تقدمهم . فامتدت جبهة القتال في ضفتي نهر « موز » على مساحة عشرين ميلا . وامطر الالمان من غابة « مونفوكون » قرية « هوكور » سيولا من القذائف . وهاجموا الفرنسيين بين « افوكور » و « كيميار » باستبسال ، وامتد هجومهم الى جبهة « بيتانكور » و « اين » و « شاتانكور » حتى نهر « موز »

فلم يكن من الفرنسيين الا ان نقلوا سراً خطوط دفاعهم من ضفة النهر اليسرى ، كما نقلوها من ضفة نهر « فورج » الشمالية الى الضفة الجنوبية . واستطاعوا هناك اثبات رشاشاتهم ونسف مواقع الالمان

وارتاب الالمان في جلاء الفرنسيين عن « بيتانكور » فسددوا اليها انوارهم الكاشفة بلا انقطاع مما حال دون انتقال الجنود والذخائر سراً . وقد ابقى القائد الفرنسي في « بيتانكور » صف ضابط وعشرين جندياً وامرهم بان يظلوا على اتصال بالمدفعية الفرنسية . فلم يكن من هذه الفئة القليلة العدد الا ان احدثت من الضجيج ما دعا الى الاعتقاد انها كتائب متعددة . فاطلقت النار من البنادق والرشاشات كأنها تحاول القيام بهجوم فتاك

شجاعة الضابط الفرنسي

وما قام به الضابط ، بل صف الضابط الفرنسي يكفي للدلالة على شجاعته فلم يرضى القيام بمهمته بل صرف عنه معظم جنوده وظل في نهر « فورج » واربعة جنود ومن يتولى المخاطبات بالهاتف . وارتفعت مياه الثلج الى افخاذهم فصبروا على المخض واقاموا يرقبون وصول الالمان . ولما ابصروا القوات الالمانية ابلغوا امرها بالهاتف المدفعية الفرنسية

وهذا الايضاح كان ذا نفع للفرنسيين . فما اطل الالمان من غابات « مونفوكون » و « فورج » حتى استقبلتهم المدافع الفرنسية ذوات العيار ٧٥ بالقذائف وحصدتهم الرشاشات . على ان الالمان دخلوا « بيتانكور » بما يملكون من بأس وحزم واستقروا في اطلالها ، على ان هذا الاحتلال كلفهم الخسائر الفادحة

بعد قتال شهر

والفوز الالماني لم يقف عند حد . فكلما صدمته عقبة ذللها . وفي ٩ نيسان احتل الالمان الخنادق الفرنسية في القمة ٢٩٥ وقد استعانوا عليها بالسوائل الملتهبة

وشاؤوا ان يملكو جبل « مورهوم » بكامله غير انهم ظلوا شهراً بطوله يتسلقون منحدرانه . واحتلوه في ٢٣ ايار كما احتلوا « كيميار » وهاجموا المواقع الفرنسية بين « دورمون » و « فو » واصلوها النار الحامية ورشقوها بالسوائل الملتهبة . وتوالى هجومهم عليها شهراً طويلا ، ووقفوا على احتلالها اربع فرق . وظهر المتف بين غابة « هودورمون » وحصن « دوومون » . فالقتال في سبيل امتلاك هذا الحصن واستعادته كان متناهياً في الشدة والهول . واخيراً فاز الالمان . وفي ٢٤ ايار كانوا يحتلون الحصن ، وقد تداعى ولم يبق منه غير الانقاض .

نداء الى جيش فردون

وفي ١٥ اذار نشر قائد الجيش الفرنسي العام نداء على قوات فردون قال فيه :

« يا جنود جيش فردون !

« منذ ثلاثة اسابيع وانتم تلاقون اشد هجوم حاول به العدو اكتساحنا . وعقدت المانيا الامال على هذا المجهود وقد خيل اليها انه لا يصدم . وقفت عليه خيرة قواتها واقوى مدفعية لديها .

« تراءى لها ان الاستيلاء على فردون يشدد من عزائم حلفائها ويقنع الدول المعتصمة بعزلتها بالتفوق الالماني

« على ان هذا الاعتقاد ساورها دون ان يخطر لها في بال انكم في الميدان

« فقد قاومتم ليل نهار اطلاقات قذائف لا مثيل لها ، ووقفتم حيال الهجمات واثبتم اقدامكم في مواقعكم

« على ان القتال لم ينته . فالالمان لا يزالون بحاجة الى الانتصار ، غير ان ما يطمعون فيه ستعرفون كيف تصدونهم عنه

« ان لدينا من الذخائر العدد الوافر ، ولدينا قوات احتياطية كافية ، كما انكم تملكون الشجاعة المتناهية والايمان بمستقبل الجمهورية

« البلاد مفتوحة العين عليكم ، ستكونون ممن يقال عنهم : هؤلاء سدوا على الالمان طريق فردون ! ... — جوفر »

البراكين المتفجرة في منطقة فردون

الالمان يدعون انهم احتلوا حصن «فو» مع انهم لم يحتلوه

الصلابة الالمانية تصطدم بالباس الفرنسي

انتعاش الفرنسيين بعد تضعضعهم

في ٩ اذار ١٩١٦ اعلن الالمان استيلاءهم على حصن «فو» بقولهم: «رغبة منا في اختصار طرق الاتصال في شرقي نهر «موز» وجنوبي «دوومون» بخطوطنا في «ويفر» وقرية «فو» وحصنها وما يجاورها من الحصون المتعددة، استولينا بعد هجوم لامع قمنا به في الليل على كل هذه الانحاء. وقد تولى القيام بهذا الهجوم لواءان احتياطيان من قوات «بوزن» رقم ٦ و١٩ تحت امرة القائد «فون غوريتزكي سرنيتز» قائد الفرقة الاحتياطية التاسعة»

وعلى اثر اذاعة هذا البلاغ في المانيا اشرقت الديار الالمانية بالانوار والزينات

ماذا يقول الفرنسيون؟

غير ان الفرنسيين ينكرون على الالمان ان يكونوا احتلوا هذا الحصن. ومما جاء في اقوالهم: «بعد ما حاول الالمان كل ما في وسعهم، وما هو فوق وسعهم، لهدم كل قوة يدافع بها الفرنسيون عن انفسهم في فردون، سواء كانت قوة محصنة او سيارة، وبعد ما تقدموا بمدفعيتهم الضخمة وقواتهم الكبرى من المشاة صفاً واحداً، يروم اجتياح كل ما امامه، وقفوا وقوفاً تاماً امام حصن «فو» ولقد خدعوا الشعب الالماني كما خدعوا العالم اجمع باعلانهم الاستيلاء على هذا الحصن»

ما هو حصن «فو»

هذه رواية الفريقين، فالالمان يذيعون نبأ استيلائهم على حصن «فو»، والفرنسيون يدحضون هذا المقال. وحصن «فو» شيد قبل سنوات قلائل من اعلان الحرب الكبرى، وهو يشرف على شمالي قرية «فو»، ويرتفع امام «دانلو» وغابة «هردومون»

وتحيط به غابات «لا كايليت» و«فوس كوت» وبحيرة «فو» وغدران «برازيل» وغابة «فوشابيتر» ومهواة «لاغابيت» وقرية «دانلو»

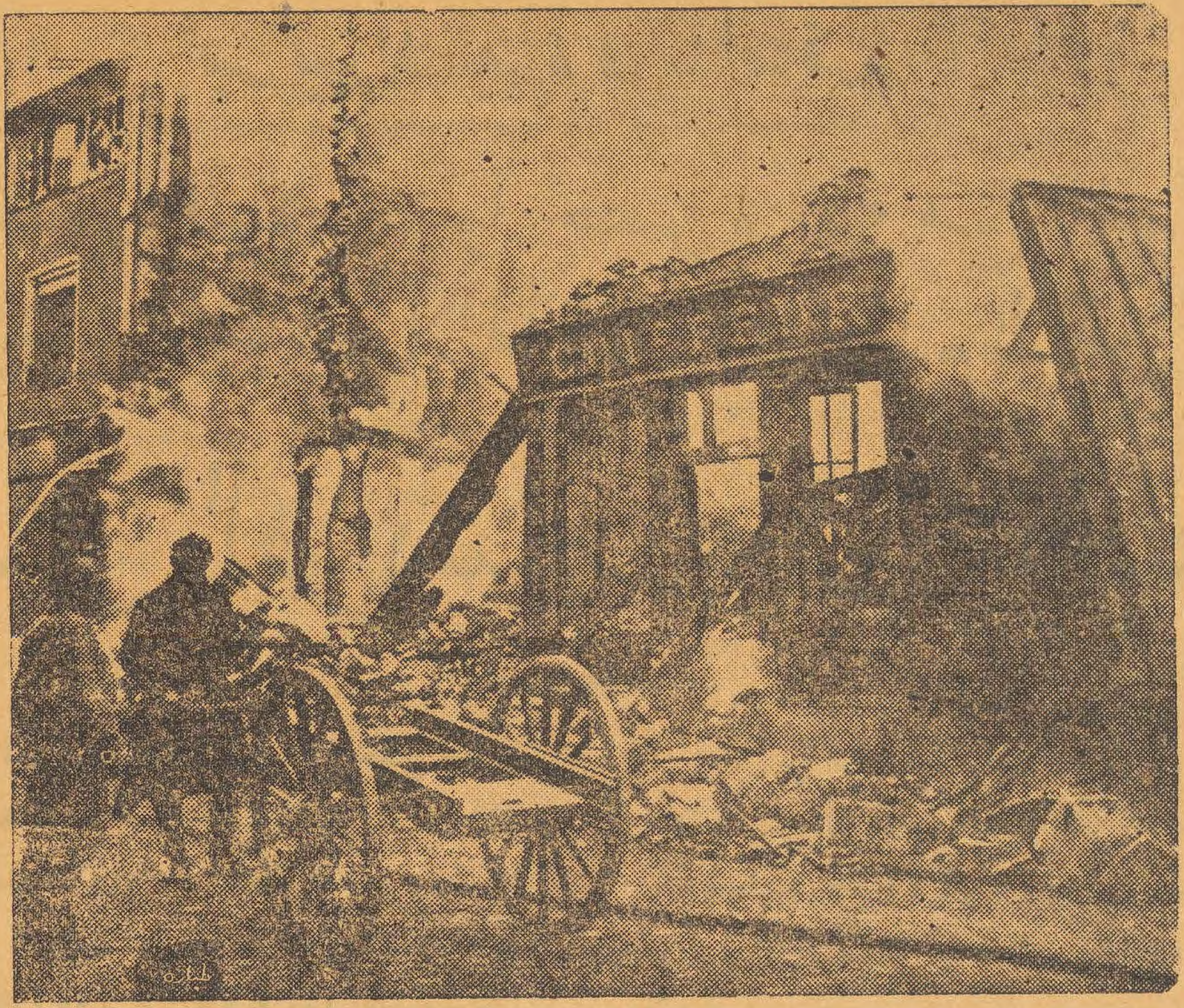
وقد حملت المنطقة آثار تدمير مفجع، فتبعثرت فيها الاطلال والجثث. ويصرّ الفرنسيون على القول ان الالمان لم يبلغوا في ٩ اذار سنة ١٩١٦ ذلك الحصن، بل كانوا يشرفون من اعالي غابة «هردومون» على قرية «فو» وغابات «ويفر» الصغيرة، وان المدفعية الفرنسية ضايقتهم كل المضايقة

القذائف كالامطار

ويوم اعلن الالمان استيلاءهم على حصن «فو» تساقطت قذائفهم كالامطار على الحصن والقرية. وكانوا يرجون ان يحتلوا الحصن والقرية معاً فيما يذيعون بلاغهم، الا انهم لم يتمكنوا من سوى امتلاك شطر من القرية بمساعدة القوات المقبلة اليهم من غدير «لا كايليت» ومن «دانلو»، بعدما اصابتهم خسائر لا يستهان بها

وفي ٢٩ و ٣٠ اذار اطلقوا على القرية والحصن القناطير المقنطرة من المتفجرات، ولما خيل اليهم ان الطريق امسى ممهداً دفعوا في اوائل شهر نيسان قوات لا تزال بكراً في القتال للاستيلاء على الحصن

وانتشرت هذه القوات في قرية «فو» تلقي فيها السوائل الملتهبة، على ان المدافع والرشاشات الفرنسية سعت لاتقاء الخطر الداهم فحصدت المئات ثم المئات، غير ان الالمان البسلاء لم



رجال المطافيء في فردون يقومون باعمالهم

نشرنا في هذا العدد من « الاسرار » انباء الهجوم الالماني على فردون ، وهذا الرسم يمثل شارعا من شوارع فردون نفسها وقد ضربه الالمان بالقذائف فاحترق ، فاقبل رجال المطافيء يخمدون فيه النار ، ورجال المطافيء ظلوا وحدهم في فردون لما عمد الالمان الى ضربها

يشعروا بما كان ينزل بهم من خسارة . فاندفعوا الى بلوغ امنيتهم ولو قضي عليهم بالفناء على بكرة ابيهم . وتكاثفت جموعهم وتراصت صفوفهم كأن المانيا مورد بشري لا ينضب . وامام هذا الفيضان اضطر الفرنسيون الى اخلاء القسم الاكبر من القرية

الالمان ماضون ...

غير ان الالمان ابوا الاكتفاء بما غنموا . فمالوا الى احتلال الحصن . وطردوا الفرنسيين من قرية «فو» بكاملها ، ولم يبق من هؤلاء غير قوات ضئيلة في الاطراف . الا ان هذه القوات كانت تراجع ثم تثب ، ثم تتراجع ثم تهتوالى منها الوثوب حتى تكردست الجثث وعلا انين الجرحى بين قصف البارود وصيحات المحاربين

وكانت المعركة رائعة ، كانت رائعة في كل فصل من فصولها . فيالق تندثر وفيالق تقوم مقامها. جيش يدافع عن بلاده وجيش يقاتل في سبيل كرامته . والبسالة لمعت في الجيشين ، في الالمان والفرنسيين . بسلاء يحاربون بسلاء . اسياد في الحروب يقاتلون اسياداً في الحروب

وضاق بهم القتال عن بعد فلجأوا الى السلاح الابيض ، الى القتال وجهاً لوجه ، بالقذائف اليدوية ، بالبندقية ، بالحربة ، بالمدية

وخسر الفرنسيون قرية «فو» واحتلها الالمان ، واذا الالمان يخسرونها ويحتلها الفرنسيون . فالحرب كانت سجالا . وعاد الالمان فاحتلوا قرية « فو » فاستعادها منهم الفرنسيون كما استعادوا الشطر الاكبر من غابة « لا كاييت »

وهاجمت الجحافل الالمانية قمة «بوافر» فارتدت عنها . وتلاشت العزائم . وشعر الجبابرة بحاجة الى الراحة فتهادنوا وقد عمدوا الى الاهتمام بجرحاهم ودفن موتاهم

خطاب القائد بتان الى جنوده

وطرب الفرنسيون كل الطرب لا لكونهم فازوا ، والفوز ما برح بعيداً عنهم ، بل لكونهم استطاعوا ان يثبتوا في الدفاع عن انفسهم مع كل ما جبههم به الالمان من قوة . وفي مساء ٩ نيسان ، يوم نشبت اشد المعارك هولا ،خاطب القائد «بتان» جيوشه في منشور عام اذاعه فيها يقول :

« كان يوم ٩ نيسان يوماً مجيداً لقواتنا . فان هجمات ولي العهد الرهيبة تحطمت في كل مكان. والمشاة والرماة والنسافون والطيارون من رجال الجيش الثاني تساووا في البطولة

« فالشرف للجميع

«لا ريب ان الالمان سيمضون في مهاجمتنا ، فعلى كل منا ان يعمل ويسهر لنيل النجاح الذي ادركناه امس

«ادعوكم الى الشجاعة . سنتغلب عليهم ! .. »

الالمان يهاجمون

ولم يطل الامر بالالمان حتى عادوا الى الهجوم . ففي اواسط شهر نيسان اطلقوا قذائفهم على مدى ثلاثة او اربعة ايام من نهر «موز» حتى « دوومون »

فامطروا المواقع الفرنسية في قمة «بوافر» وغابة « هودرومون» بالحديد والنار . وتراءى لهم انهم ذللوا كل عقبة فاندفعوا بقوة تتفاوت بين ثلاثين الف واربعين الف رجل الى احتلال الخطوط الفرنسية فاستقبلهم الفرنسيون بالنار . فعادوا في اخر الشهر الى النسف والهجوم فما تقدموا كما كانوا يرقبون ان يتقدموا. فالفرنسيون اظهروا كل صلابة في الدفاع عن ارضهم والاحتفاظ بمواقعهم

تبديل اخر في القيادة الفرنسية

وجرى في القيادة الفرنسية في فردون تبديل اخر . فحل القائد « نيفل » في قيادة الجيش الثاني محل القائد بتان المنتقل الى قيادة قوات القلب في فرنسا

وقبل ان يغادر القائد « بتان » مقر القيادة في فردون وجه الى قواته نداء جاء فيه :

« تنشب في الاثناء الحاضرة معركة تدوم منذ شهرين ولم يعرف لها التاريخ مثيلا . والاخلاص والتضحية اللذان بدرا من رجالنا في كل ناحية من النواحي صدما القوة العسكرية الالمانية صدمة هائلة

القتال يتوالى

وتوالى القتال بالشدة نفسها . ففي اوائل شهر ايار ١٩١٦ تبادل الفرنسيون والالمان رشق القذائف على ضفة نهر « موز » اليمنى . فالمدافع امعنت في اطلاق النار

وفي ٢٢ كانت المدافع الفرنسية تجرف الاسلاك الشائكة والخنادق في المواقع الالمانية منذ غابة « ناوه » حتى شرقي حصن « دوومون »

وانتهزت قوات القائد « مانجان » الفرصة فوثبت الى الخنادق الالمانية وطوقت حصن « دوومون » المستولي عليه الالمان ، حتى انها دخلته واسرت فريقاً من رجاله

بيد ان الالمان

بيد ان الالمان تشددوا واطلقوا على الفرنسيين نيران المدافع. وما لبثوا ان هجموا عليهم واستردوا منهم بعد يومين ما غنموه

وابى الالمان ان يستعيد الفرنسيون منهم حصن « دوومون » ، وللحؤول دون هذا الاستيلاء مالوا الى قذف الجبهة الفرنسية بالنار منذ مزرعة « تيومون » الى « فو »

وفي ٣١ ايار بلغ اطلاق القذائف حده الاعلى . وهجمت على هذه الجبهة فرقة جديدة المانية،ومع كل ما نزل بهذه الفرقة من صدمات، ومع كل ما احدث فيها الفرنسيون من ثلمات،ومع تقهقرها احياناً كانت تنقض ابداً على الخطوط الفرنسية . فالصلابة الالمانية تجلت في هذه الموقعة بوضوح تام . واظهرت الفرقة كل استخفاف بالموت ، يموت الجندي منها فيمشي عليه رفيقه لامتلاك النصر

والاوامر الواردة عليها تقضي بالتقدم . يجب ان لا ترجع ° يجب ان لا تتقهقر . يجب ان تفوز . وعملت بالاوامر الواردة عليها. وكانت قاسية حتى على نفسها ، رهيبة في انقضاضها على اعدائها . كانت القوة والبطش والانتقام والبسالة والتضحية المتناهية . كانت قضاء الله . ولقد هشمها الفرنسيون بيد انها فازت ، فازت واكرهت الفرنسيين على التراجع . فالالماني في هجومه يوازي الفرنسي في هجومه . واذا كان الفرنسي اشد اندفاعاً واستبسالا وصبراً على احتمال المكاره . فالكثرة الالمانية كانت تحل محل تلك المزايا في الفرنسيين. فالكثرة تزيد في شجاعة افرادها.وهذا ما كان من الالمان في مهاجمتهم حصون فردون



مشاهد التدمير في مدينة فردون

اثر من آثار التهديم في مدينة فردون المنقضة عليها القذائف الالمانية في سنة ١٩١٦ يوم هاجمها الالمان لاخر مرة

واخيراً سقط حصن « فو »

والفرنسيون اعترفوا بسقوطه

وفي ٢ حزيران تقيأت المدفعية الالمانية كل ما تملك من قذائف. فامطرت المواقع الفرنسية في فردون بقذائف من عيار ٢١٠ و ٣٠٥ و٣٨٠ و ٤٢٠

وكان ان توارت الغابات وامست قمم الجبال جرداء بعدما كانت مكسوة بالاشجار الباسقة ، وطحنت الحجارة والصخور فاضحت غباراً ، وانقلبت الارض فتبدلت معالمها . ووضع الالمان نصب عيونهم احتلال حصن « فو » مهما كلفهم هذا الاحتلال من مجهود وتضحية

وصبر الفرنسيون على الضربة . وما بدا الهجوم وقد اندفعت فيه الكتائب والالوية والفيالق حتى تكلمت المدافع الفرنسية بلغة التقتيل والتدمير . غير ان الخطة الالمانية هي هي . فاحتملت القذائف ورضيت بالخسارة على ان تحتل الحصن

وكل قوة تغيب تنبت سواها . كل جندي الماني يذهب به المدفع الفرنسي يجد من يحل محله ويتابع القتال . وهذه الجيوش الفوارة بلغت بحيرة « فو » واحتلت بضعة منازل من قرية «دانلو» ، حتى انها انسلت الى الآثار القائمة حول الحصن واحتلت بعضها . ويقول الفرنسيون ان الالمان الذين احتلوها كانوا يتنكرون بثياب الفرنسيين على ان الفرنسيين شعروا بالحيلة وقاوموها

وفي ٤ حزيران عاد الالمان الى ضرب الحصن وانتشروا بكتائبهم في الشمال والشرق والغرب بطريق غدير « برازيل» وغدير « فونتين» وغابة « فيمان » و « دانلو » ومهواة « لاغاييت » و « هورن »

والطرق في هذه الاماكن وعرة عميقة ، فما تسنى للالمان احتلالها الا وقد ابقوا فيها الالوف من الضحايا

تطويق الحصن

وطوق الالمان الحصن . ومنعوا القوات الفرنسية من الاسراع الى نجدته . وباتت حالة الجند المدافع عنه لا تطاق وقد رشقه الالمان بالغازات الخانقة والسوائل الملتهبة

على ان الجنود قاوموا . فالحامية الفرنسية ابت ان تلقي الحصن بين ايدي الالمان . فرضيت بما يعتريها من نكبة واقامت تمنع برؤوس الحراب الالمان من احتلال الحصن . فكل من حدثته نفسه بدخوله لقي الموت

ولم تسكت مدافع الحصن . فظلت المقاومة مستمرة حتى الدقيقة الاخيرة ، حتى آخر قذيفة وآخر لقمة وآخر نفس . ولكن القوت نفد ، فمنذ عدة ايام وحامية الحصن تعاني مضض الجوع

ونضب الماء فلم يبق في آبار الحصن قطرة . والجنود الذين تولوا انجاد اخوانهم بالذخائر والمؤن كانوا يلقون الموت بالرصاص الالماني وهم في الطريق

وتكلمت المدافع الالمانية بقسوة . فما صمتت في الليل ولا في النهار ، فلن تنفك عن تدميرها الا وقد احتلت الحصن

الفرار من الحصن

ولجأت الى الحصن القوات المهزومة من ضواحيه . واحتل الجرحى الاماكن الآمنة ، على ان الحصن كان بحاجة الى النجدات فانقطعت عنه كل نجدة . واضطرت حاميته الى الدفاع عن منحدراته تحت قيادة رئيسها « رينال » ، فابدت اندفاعاً وشجاعة عجيبين . ولكن الالمان تغلبوا . فسدوا النوافذ والابواب ، وما لبثوا ان احتلوا الاروقة وقد ملأوها بالغازات الخانقة والسوائل الملتهبة

ورأى قائد الحصن « رينال » ان الفرار بات الوسيلة الوحيدة للنجاة . فلما حان الليل اخرج من الحصن القسم الاكبر من الجند ، وتسنى لك ذلك بطريقة خفية . وابلغ قائد المؤخرة ان الحصن لا يزال يملك الذخيرة ، وان العدو احتل خنادق الخط الاول ، وان من الضرورة اخلاء المكان

وانطلقت المدافع الفرنسية تهدم ما شيد الالمان من استحكامات وما احتلوه منها . غير ان الالمان كانوا يعودون فوراً الى بناء ما تهدمه المدافع

وتوالى الهجوم . وقامت حامية الحصن بالمدهشات لتستبقي الحصن سليما ريثما ترد عليها النجدات . ولكن الالمان باتوا في كل مكان من الحصن ، فوقه وحوله وفيه . وكلما تقدموا اتخذت الحامية المتاريس واطلقت نيران بنادقها وقذائفها اليدوية وقاتلت بيأس

وشعرت بالعبء الفادح . وانتشر بينها نتن الجثث فارهقها ، وملأت انوفها الغازات الخانقة وقد رماها بها الالمان من كل منفذ يخرجون بها . واذا اعوزتهم المنافذ ثقبوا الجدران والسطوح لا يتقهقرون ولا يجبنون .

لا ماء !

وامست الحامية الفرنسية على وشك الاضمحلال . وشعرت بحاجتها الى الماء . وحاولت القيادة ان تنجدها فاسقط في يدها . فخاطبتها بالاشارات فما ورد عليها الجواب . فخفت كل صوت في حصن « فو »

وفي ٧ حزيران احتفل الالمان باستيلائهم على الحصن واحتلوه حقاً ، وذلك بعد ثلاثة اشهر من بلاغهم الاول عن احتلاله في ٩ اذار

تحية الغالب للمغلوب !

وتحدثت البلاغات الالمانية عن حالة الاسرى الفرنسيين الذين وقعوا بين ايدي الالمان في حصن « فو » فقالت انهم مثال البؤس المفجع .

ولم يشأ قائد الحصن الضابط « رينال » ان يخرج من حصن « فو » الا وقد برحه اخر جريح من جنوده . عند ذاك خرج كالربان وقد بليت سفينته بالغرق . وانحنى الالمان امام شجاعته وبطولته . وكتبت جريدة «نيو وينر تاجبلاط» تقول ان « رينال » مثل امام القائد الالماني فحياه القائد ببشاشة ، فرد له الضابط الفرنسي التحية بحركة عسكرية سريعة

فابلغه القائد الالماني ان القائد جوفر وهب له وسام جوقة الشرف من رتبة « كومندور » ، وانه دري ذلك بالاشارات التي وجهها قائد فردون العام الى حصن فو ، فاشرق وجه الضابط الفرنسي الاسمر وومضت عيناه . ودعي الى المثول امام ولي العهد ، فابقى له ولي العهد سيفه وقضى عليه بالاقامة في اسر « مايانس »

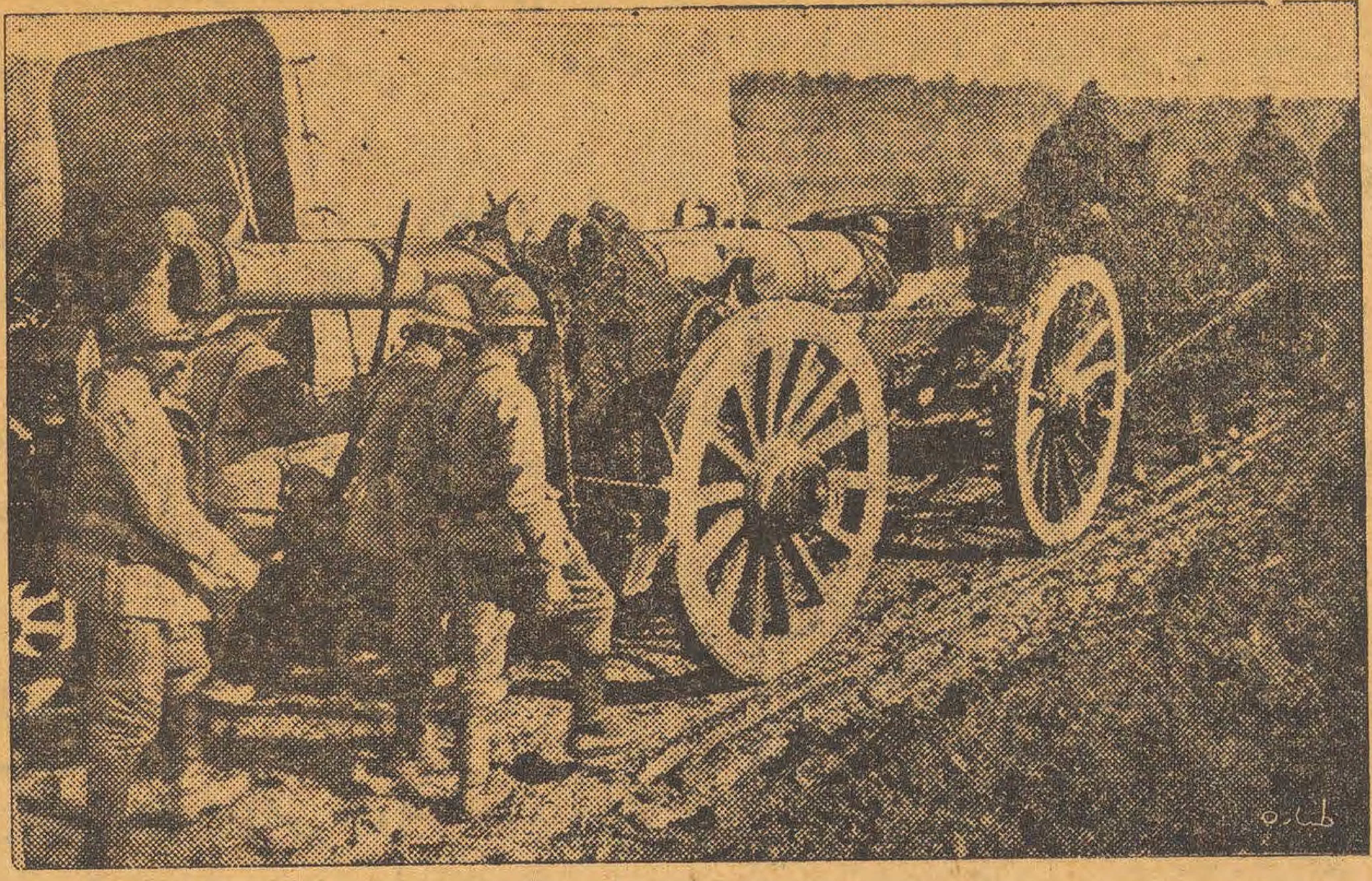
النجدة المتأخرة

واعتقدت القيادة الفرنسية ان الحصن لا يزال بين ايدي الفرنسيين ، فاوفدت لوائين احدهما من « الزواف » والاخر من المراكشيين لنجدة الحامية . ولكن مجهودهما لم يتكلل بالتوفيق . فالحصن امسى بين ايدي الالمان . واذاع النبأ القائد « نيفل » فقال ان الالمان استولوا على الحصن ولكن الفرنسيين سيستعيدونه منهم

التقدم الالماني لا يقف

وبعد ما استقر الالمان في حصن «فو» شاؤوا الامعان في التقدم . فضوا في اطلاق قذائفهم على الجبهة الممتدة بين مزرعة « تيومون » وحصن «فو» والانحاء الجنوبية من غابة «لا كايت» وغابة «فوشابيتر» وغابة « فيهان » وحصن « تافان » وحصن « سوفيل »

وفي ٢٣ حزيران كان اطلاق القذائف اشد من كل يوم . فكان الالمان يرمون بنارهم المساحة الواقعة بين القمة ٣٢١ القائمة شرقي « برا » و « لافوفه »



بطارية فرنسية تسير الى شمالي فردون

مدفع من المدافع الفرنسية الضخمة تجره الجياد الى شمالي حصون فردون في اثناء الدفاع عن تلك القلعة الكبرى

وكانوا ثمانين الفاً . فاندفعوا الى استحكامات « فروى ديتير » وقرية « فلاري » واستولوا عليها بكاملها . وكان سلاحهم الناجع فيها الغازات الخانقة

ولقد جلا الفرنسيون في شهر تموز عن «فلاري» بعدما دمرها الالمان . وتراجعت القوات الفرنسية مراراً عن «تيومون» ثم عادت اليها. وهاجمت القوات الالمانية الخطوط الفرنسية القائمة على نهر«موز» في نواحي «برا» و«فاشيروفيل». وامتد هجومهم الى حصن«سوفيل» وقد تراءى لهم انهم ملكوه.

الفرنسيون يشحذون العزيمة

وظهر للفرنسيين ان هذه الخطة في التراجع ستفضي بهم الى الانتحار ، وان الالمان الظافرين سيملكون فردون اذا توالى التقهقر الفرنسي . وبالاستيلاء على فردون تمسي فرنسا في خطر

ولذلك دعت قيادة فردون قواتها الى الاستبسال والى التضحية فوق ما اظهرت منها . وقام الجند الفرنسي بما طلب قادته منه . فصد الهجمات الالمانية بين « فلاري » و « تيومون » ، واستولى على معدات حربية المانية وافرة وعلى اسرى من الالمان يحملون الخطة الالمانية بامتلاك فردون .

الجيش الفرنسي يستعيد المفقود

وفي شهر آب استعادت القوات الفرنسية اطلال « فلاري »، استعادت في البدء بعضها ثم ما لبثت ان استولت عليها بكاملها . واستعادت « تيومون » . الا انها في ٣٠ ايلول فقدت الناحية الشمالية الشرقية من غابة « فوشابيتر » . وكان هذا التقهقر آخر موقف من مواقف الدفاع الفرنسي في فردون

لويد جورج في فردون

وفي ٨ ايلول ١٩١٦ ، فيما العالم باجمعه يرقب ما ستصير اليه الحرب في فردون ، فيما الحلفاء ينتظرون ما سوف تنتهي اليه هذه المعارك المتناهية في عنفها ، اذا رجل انكلترا السياسي لويد جورج يقبل الى فردون ويتمم النظر في حالتها ويرضى بان يتناول الطعام وضباط الحصون

ورفع القائد « ديبوى » حاكم فردون العسكري كأسه وشرب نخب الزائر ، فنهض وزير الحرب في انكلترا — وكان يومئذ لويد جورج وزيراً للحرب — واجاب بخطاب ذهب له اثر بليغ في نفوس سامعيه . قال لويد جورج :

— اسم فردون وحده يكفي ليثير في تاريخ الدهور



مدفع الماني ضخم استعان به الالمان في فردون

وهو من مدافع القتال التي كان الفضل العظيم في تهديم حصن « فو » و « دوومون » الفرنسيين في سنة ١٩١٦

ذكرى لا تمحى . فليس من مجهود عسكري نبيل ، مما امتلأ به تاريخ فرنسا، يشير باجلى بيان الى مزايا جيش فرنسا وشعبها من استبسال الفرنسيين في دفاعهم عن فردون . وهذا الاستبسال كان مقروناً برباطة الجأش والجلد ، مما يحسد العالم الشعب الانكليزي عليه

« ان ذكرى مقاومة فردون الظافرة الخالدة . فما انقذتم بها فرنسا وحدها بل قضيتنا المشتركة والانسانية جمعاء . فعلى المرتفعات المحيطة بهذه القلعة القديمة تحطمت قوات العدو كما تتحطم امواج البحر الهائج على صخرة من الصوان . اني لاشعر بتأثر عميق وانا ادوس هذه الارض المقدسة . لست اتكلم بذلك وحدي ، بل انا احمل اليكم اعجاب بلادي ، اعجاب الامبراطورية الكبرى التي امثلها هنا . فان ابناء قومي ينحنون معي امام التضحية وامام المجد . ان الانسانية لتلتفت مرة اخرى الى فرنسا للدفاع عن القضايا الخطيرة المرتبط بها مصير الكون !...»

وفي اثناء السكوت المخيم على الجميع ، بين السامعين الواقفين ، اعلن لويد جورج قوله: هذا نخب فرنسا ونخب الابطال الذين سقطوا في فردون !

تقرير القائد نيفل

ولقد كتب القائد « نيفل » قائد حصون فردون تقريراً عن حالة الجيش الفرنسي قال فيه :

« جاءتنا سبعة وعشرون شهراً قضيناها في القتال ، منها ثمانية شهور في حصون فردون ، بالدليل على تفوق الجندي الفرنسي على الجندي الالماني . وهذا التفوق واضح في سرعة استسلام الاعداء الينا حتى قبل الهجوم »

وتحدث القائد عما ينوي في فردون فقال : اذا توفرت لنا مدفعية قوية ، بل فائقة القوة ، نالت منالها من مدفعية الاعداء وفسحت السبيل امام هجماتنا. فالاستعداد لهذه الهجمات تام في نواحيه كافة . واعتقد ان القيام بالعمل تام ايضاً . اقول هذا بالاعتماد على تنظيم الجيش وتدريبه وعلى الثقة الكامنة في نفوس القوات التي تتولى مثل هذه المهمة »

استعادة حصن دوومون

وهذا الهجوم الذي تحدث عنه القائد « نيفل » عهد بتنفيذه الى القائد « مانجان » ، وكان قد استعاد في ٢٢ ايار بلدة « دوومون » . فاخذ « مانجان » يستعد للعمل بانشاء الاستحكامات وقواعد المدافع ومراكز النجدات ومستودعات الذخائر

على ان الالمان قاوموا هذا الاستعداد باطلاق قذائفهم على الفرنسيين . فلم يرجع هؤلاء عن بغيتهم وقاموا بما يجب عليهم القيام

به من اعمال يدعو اليها الموقف ، حتى اذا ما حانت ساعة الهجوم كانت تدابير القتال وافية بالمراد

وفي ٢١ تشرين الاول ١٩١٦ بدأت المدافع الفرنسية من عيار ٤٠٠ تقذف احشاءها . فصبت نيرانها على الاهداف السائرة قوات الفرنسيين اليها . وتولت مدافع من عيار اخف وزناً تمهيد الطريق وتذليل العقبات،وساعد الجو الصافي الطيارات على رؤية ما يجري في الميدان من استعداد

ولقد هدمت المدافع الفرنسية في الجبهة اليسرى استحكامات « هودومون » و « دانلو » ، وفي القلب خنادق غدير « لادام » والاستحكامات القائمة شمالي مزرعة تيومون، وبطارية «فوس كوت» وغدير برازيل وغابة فوشابيتر وغابة فيان ، وسدود بحيرة فو وخندق سياجن

ودام اطلاق النار حتى ٢٤ تشرين الاول

الهجوم يبدأ

وقبل ظهر هذا اليوم اعلن بدء الهجوم.على ان الضباب حجب الابعاد . ومع هذا اندفعت ثلاث فرق للاستيلاء على المواقع الالمانية، هي فرقة القائد « غوبو ده سالان » ، وفرقة القائد « باساغا » ، وفرقة القائد « لارديميل »

وكانت الارض موحلة ، وعلى الجند ان يتقي الغرق . وعليه ان ينتظر تبديد الضباب، وعند ذاك يهجم على استحكامات «تيومون» و « هودرومون » ويتسلق القمة رقم ٣٢٠ ويحتل غابة « لا كايت» ويجتازها افواجاً افواجاً لتطويق حصن « دوومون »

فالفرنسيون كانوا يرغبون في ان يضربوا على الحصن نطاق الحصار . وكانوا قد استعادوا بحيرة « فو » وغابة « فوشابيتر » وغابة « فيان » وغابة « شينوى » و « دانلو » ،ووقع بين ايديهم عدد من الاسرى

وشاهد الالمان هذا التقدم من الفرنسيين فاعتزموا المقاومة.وحاولوا ان ينشئوا خطوط الدفاع حول حصن دوومون ، غير ان الفرنسيين لم يفسحوا لهم المجال الكافي . فقد ضايقوهم من الجهة اليسرى ، وبعد مقاومة بضع ساعات اضطروا الى الاستسلام.فدخل الفرنسيون حصن دوومون واستعادوه .

جندي يحتل الحصن

واول من دخل الحصن جندي فرنسي من قوات المستعمرات اسمه « بول ريمون » . فوثب الى الحصن ووراءه اربعة جنود،فاسروا اربعة ضباط من الالمان واربعة وعشرين جندياً

ومن المأثور عن حصن «دوومون» انه حجر الزاوية في اكبر حصن في فرنسا ، بل هذه كلمة الامبراطور غليوم الثاني فيه يوم احتله الالمان في ٢٦ شباط ١٩١٦

من نيفل الى مانجان

وفي اليوم التالي من احتلال الحصن اذاع القائد نيفل خطاباً في القوات الظافرة التي استعادت الحصن تحت قيادة مانجان يقول لهم فيه :

« ايها الضباط والجنود في جيش القائد مانجان

« بعد ساعات قلائل من هجوم عنيف انتزعتم فوراً من عدوكم القوي الارض الملأى بالحواجز والحصون في الشمال الشرقي من فردون ، بعدما صرف ثمانية شهور في امتلاكها قطعة فقطعة بمجهود رهيف وتضحيات جسيمة

« لقد اضفتم مجداً جديداً الى الامجاد الباهرة المكللة اعلام جيش فردون ، وباسم هذا الجيش اشكركم . لقد نلتم باستحقاق شكر الوطن !..»

الأسرار

العدد العشرون



فئة من الاسرى الروس تقع بين ايدي العثمانيين

اسرار الجاسوسية والحرب الكبرى

الاسرار

اصحابها : انطون صادر ، كرم ملحم كرم ، فؤاد ميداني

رئيس الانشاء المسؤول: كرم ملحم كرم — منشىء القسم الشرقي: فؤاد ميداني

المكاتبات باسم مدير المجلة : انطون صادر

الادارة مكتبة صادر * شارع النبي * بيروت

مجلة اسبوعية تاريخية تبحث في التاريخ وما اهمله التاريخ

العدد ٣٠ بيروت في ١٥ آب سنة ١٩٣٨

اسرار الجاسوسية في القضية العربية

بقلم فؤاد ميداني

انور باشا يصر على استمالة الشريف احمد السنوسي الى جانب تركيا

الزحام الدموي في طرابلس بين تركيا وانكلترا

واخيرا يفوز العثمانيون!..

قام انور باشا بمجهود عظيم لاستمالة العرب اليه. وعمد لهذا القصد الى انشاء مصلحة جديدة في الدولة اطلق عليها اسم (تشكيلات مخصوصة) ، وذلك يوم انشأ دور الاستخبارات التي حدثنا عنها قراء (الاسرار) في اعدادنا الاولى

التشكيلات المخصوصة

وهذه المصلحة الجديدة كانت ملحقة بوزارة الحربية ووكالة القيادة العليا ، اي بانور باشا وحده ، ولم يكن يسمح لاحد من الوزراء ، مهما كانوا مقربين اليه ، ان يتدخلوا في شؤون هذه المصلحة، حتى انه لم يكن يسمح لمجلس الحرب ، وهو المجلس المؤلف من ثلاثة وزراء اصحاب الحل والربط في ادارة شؤون الحرب ، بالتدخل في امور هذه المصلحة وقد قسمها الى اربعة فروع وهي :

اولا — فرع بلاد القفقاس . وهذا الفرع تحدثنا عن تأليفه في طربزون وحدود روسيا كما يطالع القراء تفاصيل وافية عنه في هذا العدد

ثانياً — فرع بلاد ايران والافغان

ثالثاً — الفرع المعد لمقاومة سياسة الارمن في البلاد

رابعاً — الفرع الخاص بالبلاد العربية والاسلامية

المجلس الاعلى للفرع

وتألف الفرع العربي الاسلامي من السادة : علي باش هامباه وهو عالم تونسي كبير تلقى علومه العالية في باريس ، ونال اجازة الحقوق ثم الدكتوراه في الحقوق ، وملك شهرة واسعة قبل الحرب العالمية في دفاعه عن تونس ومساعيه في سبيل تحرير هذا القسم من البلاد العثمانية،فسعى انور باشا لاستمالته اليه وضمه الى هذه الهيئة والشيخ صالح التونسي ، وهو من العلماء المشهورين . وكان

مدرساً للفقه في دمشق قبل الحرب واشتهر بانه من خطباء الدستور والعاملين بكل قواهم على تأييد حزب الاتحاد والترقي في البلاد العربية .

ومثل الرجل ادواراً مهمة في الحرب العالمية لا تقل خطورة عن الادوار التي مثلها الشيخ اسعد الشقيري مفتي الجيش الرابع والشيخ عبد العزيز جاويش. فكان بجانب انور كما كان الشيخ اسعد بجانب جمال

بشير بك السعداوي

والعضو الثالث في هذه الهيئة هو بشير بك السعداوي ، من زعماء القبائل المعروفين في مصراطه احدى مقاطعات طرابلس الغرب. تعلم علماً راقياً في بلاده ثم في استانبول ، فتخرج من مدرستها الملكية وتولى القائمقامية ثم متصرفية طربزون ، واشتهر بدفاعه عن وطنه طرابلس الغرب ، ولهذا انتدب ليتولى الدفاع عن طرابلس

وبشير بك السعداوي يتنقل اليوم بين بيروت وسوريا ومصر. وهو رئيس جمعية الدفاع عن طرابلس الغرب. وقد جاهد بعد الحرب العالمية في بلاده في الميدانين الحربي والسياسي، ولا يزال يجاهد في الميدان الاخير حتى يومنا هذا، واملـه كبير بان يتمكن من تحرير بلاده في اقرب وقت

الدكتور فريد والدكتور فؤاد سليم

والدكتور فريد هو رئيس الحزب الوطني المصري ، وكان من اشد انصار الخديوي السابق عباس حلمي باشا كما طالع القراء ذلك في غير عدد من (الاسرار). وقد انتدب ليمثل مصر في هذه الجمعية. وكان برفقته في هذه الهيئة الدكتور فؤاد سليم . وقد اشتهر في سنوات الحرب بمواقفه مع احمد جمال باشا في بيروت ودمشق ومنطقة الجيش الرابع، ومثل في سياسة البلاد ادواراً خطيرة جداً خصوصاً في اعمال الجواسيس بين سوريا ومصر وفلسطين . مما سيطالعه القراء في غير فصل من هذه المجلة .

عبد العزيز جاويش وسامي بك

والعضوان الاخران هما عبد العزيز جاويش وسامي بك متصرف قيزان السابق . وكانا يمثلان البلاد العربية الاخرى

والقصد من انشاء هذه الجمعية التي اوجدها انور باشا في اول عام ١٩١٥ ان تقوم بالاعمال التالية :

اولا — تحريض الشعوب العربية في البلاد التي ينتمي اليها افراد هذه الهيئة والخارجة عن نفوذ السلطنة العثمانية على الاقوام المالكة زمام الحكم في بلادهم باي صورة كانت ، سواء كان باذاعة النشرات او ببث الدعوة بطرق اخرى .

ثانياً — اثارة الفتن في تلك البلاد

ثالثاً — تأليف العصابات لاقلاق الامن العام ومساعدة



☀ فريد بك رئيس الحزب الوطني المصري ☀

كان لفريد بك في اثناء الحرب الكبرى في السلطنة العثمانية مواقف مهمة اشرنا اليها في الاعداد السالفة من « الاسرار »

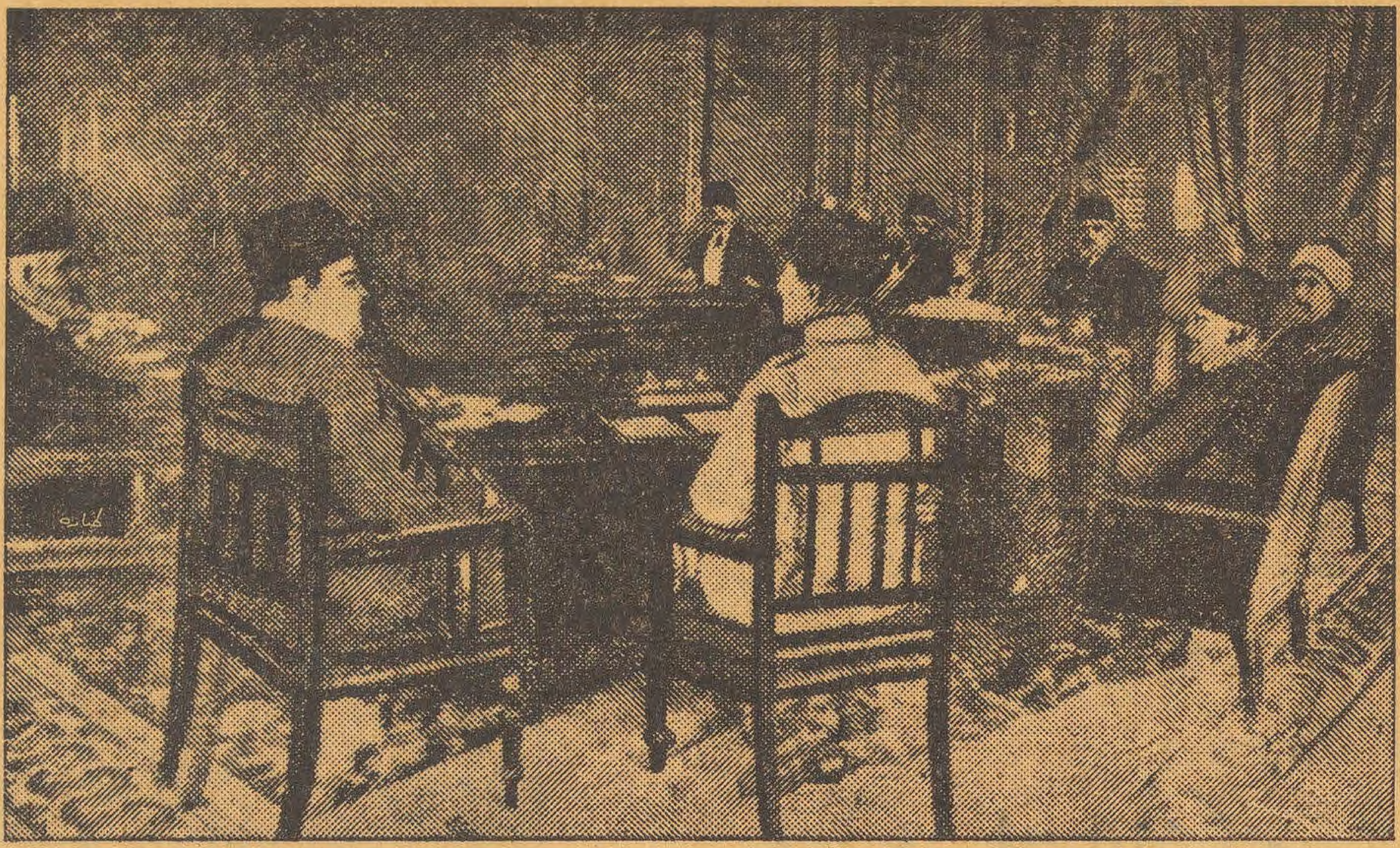
القوات العسكرية في حركاتها الحربية في تلك الديار

جلسة مجلس الوزراء

ومجلس الوزراء العثماني لم يعقد جلسة من جلساته العامة منذ اعلان الحرب. فالامور ظلت محصورة بين انور باشا وطلعت باشا. فكانا يديران شؤون السلطنة على هواهما. اما في هذه المرة فقد رأى انور باشا ان يعقد مجلس الوزراء جلسة يبسط امامه فيها الموقف بصورة عامة .

واجتمع المجلس في شهر ايار سنة ١٩١٥ ، وفيه قال انور باشا :

— دعونا في شهر آب ١٩١٤ القسم العربي الاسلامي من « التشكيلات المخصوصة » الى الاجتماع لدينا، وابلغنا اعضاءه ما يجب عليهم اتخاذه من تدابير في تنظيم الاعمال الحربية في البلاد الموكول اليهم العمل فيها، الا ان مساعيهم ذهبت سدى والاعمال ما برحت حيث كانت . ولما اجبرت الدولة العثمانية على دخول الحرب العالمية عقدت هذه الهيئة اجتماعاً بحثت فيه الموقف. فكان رأي بشير بك السعداوي مندوب طرابلس الغرب انه ليس باستطاعة المجاهدين العرب محاربة انكلترا



جلسة مجلس الوزراء العثماني الاول

للمرة الاولى انعقد مجلس الوزراء العثماني في الباب العالي . وهذا الرسم يرينا هيئة المجلس بكاملها ، وقد ظهر في الصدر انور باشا ، وطلعت باشا ، وسائر الوزراء الذين كانوا آلة بيد انور وطلعت

وفرنسا في هذه الاحوال الحرجة ، وان عليهم ان يحصروا مجهودهم بمقاومة الايطاليين الذين يحتلون تلك المنطقة . فعارضه في ذلك الشيخ صالح التونسي وسامي بك متصرف قزان ، وذلك عملا باشارتي وانا ارغب في تحويل قوات المجاهدين العرب العاملين تحت لواء السنوسي الى حدود مصر لمقاومة حركات الانكليز وتأييد حملة جمال باشا على قناة السويس . وخليل بك عارض ايضاً في تحويل حركة السنوسيين الى مصر ، وطلب حصرها في محاربة الايطاليين ، ولما عارضته الكثرة في ذلك خرج من الاجتماع يصحبه بشير بك السعداوي

« وعند ذاك طرحنا القضية للتصويت . فايد بالاجماع مشروع مهاجمة السنوسيين لحدود مصر الغربية . فخولنا الجمعية حق العمل على تجهيز الحملة ومساعدة السنوسي بالمال والعتاد

برقية انور الى السنوسي

« وفي اليوم نفسه ارسلت الى السنوسي برقية هذا نصها :

«الى صاحب السيادة الشريف احمد السنوسي المعظم

« لما كانت الدولة العثمانية قد اعلنت الحرب على الحلفاء فعليكم ان تهاجموا انكلترا من مناطقكم

« سأرسل اليكم ما تطلبون من المال والمعدات الحربية وساعمل على الاتصال بكم لتأمين ما تحتاجون اليه في هذا الصدد واقبلوا فائق احترامي — انور »

«ثم ارسلت اليه وفداً مؤلفاً تحت رئاسة اخي نوري ومعه ٥٠ الفاً من الليرات الذهبية ومعدات حربية كافية »

مساعي نوري باشا

وفصل انور باشا على مسمع مجلس الوزراء العثماني ما قام به نوري باشا وجعفر باشا العسكري في طرابلس الغرب من المساعي ، وما وقع هناك من مسائل اوضحناها في اجزاء ماضية من « الاسرار» ، ثم قال :

— وكان من تأثير الدعوة التي قام بها نوري باشا ان تمكن من استمالة العدد الكبير من السنوسيين الذين هاجموا الواحات الغربية قرب مرسى مطروح ، الا ان الموقف كان صعباً ، فعاد اخي واعلمني ضرورة ارسال دراهم ومعدات حربية جديدة

« وفي هذا الوقت تمكنت الغواصات الالمانية من الوصول الى سواحل طرابلس الغرب ، فنقلت في البدء الف بندقية ، ثم عادت ونقلت معدات حربية وذخائر متعددة ، وهكذا عادت القوات السنوسية الى مهاجمة حدود مصر ! »

وبعد هذا الايضاح المطول بسط انور باشا التدابير الجديدة الواجب اتخاذها . فاسفر الرأي عن ضرورة تأييد الحركة السنوسية لمساعدة احمد جمال باشا العامل على اعداد حملة قناة السويس الثانية، كما تقرر بث دعوة واسعة النطاق في القطر المصري بالاعتماد على فرع



نوري باشا واركان حربه

لم يسبق ان نشر رسم لنوري باشا ، شقيق انور باشا، وهذا رسم فريد له اخذ في طرابلس الغرب، وهو يمثل: ١ـ اليوزباشي امين بك ، ٢ ـ الملازم الهامي بك، ٣ ـ نوري باشا ، ٤ ـ الملازم بلال بك

مصلحة « التشكيلات المخصوصة » القائم في مصر ، واطلاق يد انور باشا في ادارة هذه الاعمال كما تدعو اليه الخطة الموضوعة ،ولما كان المال الموفور لدى انور باشا كافياً فقد تقرر ان لا تصدق اعتمادات مالية جديدة

وعلى اثر ذلك انفض اجتماع مجلس الوزراء . وانصرف انور باشا الى مكاتبة رجاله في الملحقات يطلعهم على رغباته . وكتب بنوع خاص الى معتمديه في مصر و كان يؤمل فيها ان يلقى العدد الكبير من الانصار

انضمام قوات مصرية للسنوسيين

ومن الراهن ان المصريين كانوا ينظرون نظرة عطف الى العثمانيين. فرأينا العدد الكبير من زعماء مصر يهبون لمقاومة الانكليز، كما ان عدداً كبيراً من ادبائهم غادر مصر الى الحدود الغربية وانضم الى المجاهدين السنوسيين. وفي مقدمة هؤلاء الادباء عبد الرحمن بك عزام. فانصرف عن ميدان الادب وبات من رجال الحرب(وهو اليوم وزير مصر المفوض في العراق . ومثل عبد الرحمن بك عزام في طرابلس الغرب وبجانب العثمانيين ادواراً مهمة استمرت طول ايام الحرب العالمية) ومحمد صالح بك حرب(وهو اليوم مدير عام سجون القاهرة وكان يومذاك قائد القوات « الهجن » على حدود مصر)

وكان يعتقد هذا القائد، وهو من المصريين المخلصين لامته وبلاده، ان الحركة السنوسية قوية ، مؤيدة من الدولة العثمانية . وحسبها من الوسائل الفعالة في انقاذ مصر من نير الاستعمار الانكليزي الباسط جناحيه على القطر المصري. ولذا ما كادت القوات السنوسية تقترب من الواحات الغربية حتى انضم اليها بسائر قواته المصرية ، وقام بمحاربة الانكليز عاملا لتحرير بلاده المصرية منهم. وللرجل شأن في سياسة تلك البلاد

مقررات لجنة التشكيلات

ولما تلقى انور باشا هذه التعليمات عن انضمام عبد الرحمن عزام بك ومحمد صالح حرب بك الى السنوسيين دعا اليه الهيئة العليا « للتشكيلات المخصوصة » وطلب منها القيام باعمال جديدة في سبيل انجاح حركة طرابلس الغرب بعدما طرأ من انقلاب عليها

فوضعت اللجنة خطة جديدة لمقاومة دعوة الانكليز ولتأييد هذه الحركة وانمائها استعداداً لتأييد حملة قناة السويس الثانية بعد فشل حملة قناة السويس الاولى .

وتقرر في الوقت نفسه تعزيز هذه الجبهة وايفاد اللواء اسحق باشا الى طرابلس الغرب. فذهب اليها وبرفقته بعض الضباط الاتراك على متن احدى الغواصات الالمانية ، وتمكنوا من الوصول الى طرابلس الغرب سالمين

في طرابلس الغرب

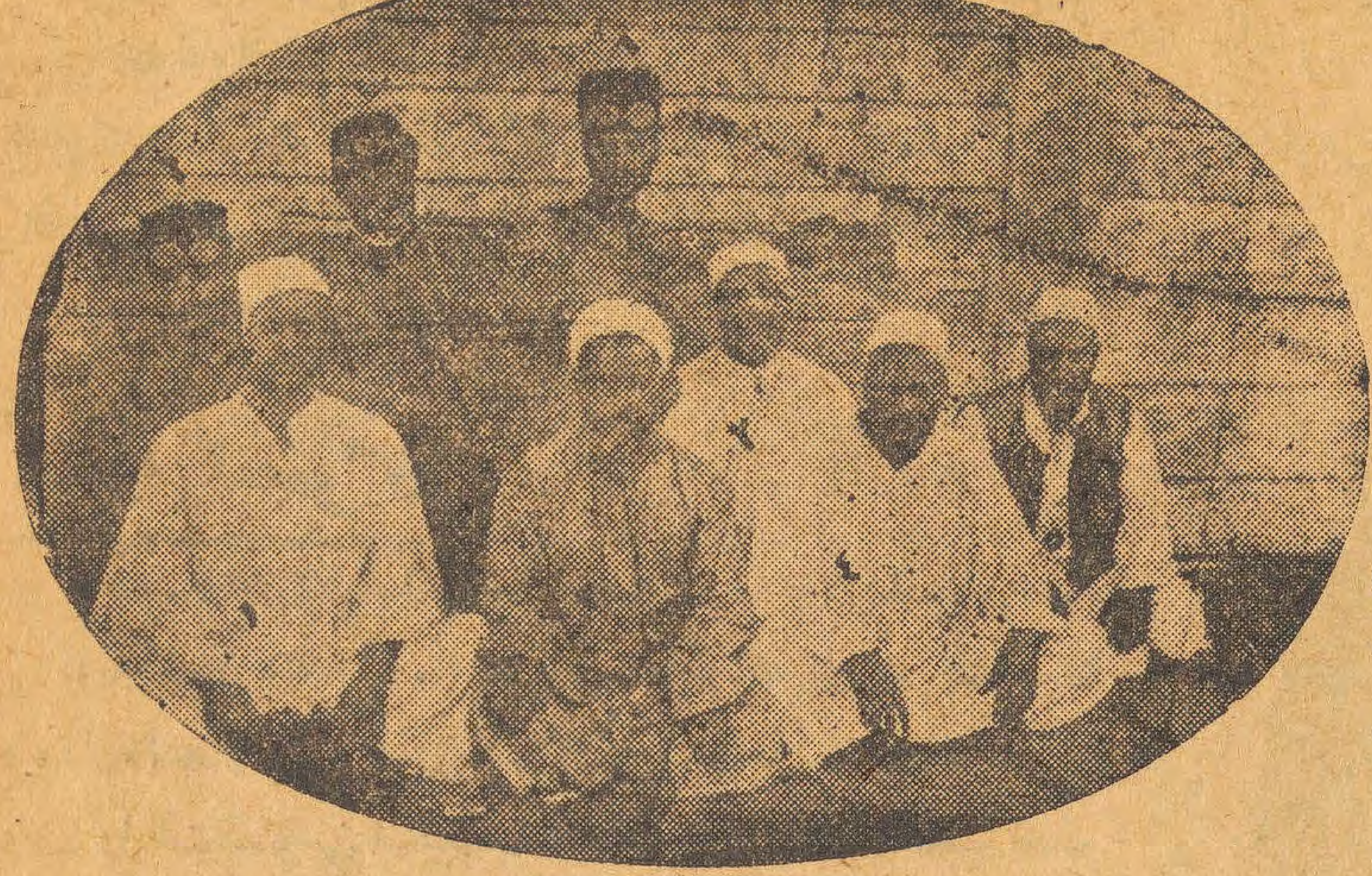
ونوري باشا ـ شقيق انور باشا ـ كان في ذلك الحين في موقف حرج جداً ، فالمال الموفور لديه نفد، والاعانات التي كانت تحملها اليه الغواصات الالمانية من استانبول لم تكن تكفيه ، فما لبث ان تفرق عنه اكثر العربان على حدود مصر وبقيت معه قوة قليلة من جنوده ومن الموالين العرب

وحاول بشتى الوسائل ان يحمل السيد احمد الشريف السنوسي على مساعدته والعمل معه مباشرة لمهاجمة مصر ، الا ان احمد الشريف رفض ذلك قائلا :

ـ انا اعلنت الجهاد على الايطاليين الذين يريدون استعمار

زعماء الحركة الحربية

في طرابلس الغرب



رسم فريد لم يسبق ان نشر في مجلة من المجلات يمثل زعماء الحركة الحربية في طرابلس الغرب ، وهم : ١ — رمضان سويحلي بك ، ٢ — الشيخ عمر الميساري مفتي مصراطه ، ٣ — الحاج فرج قائمقام مصراطه ، ٤ — السيد محمد بودبوس ، ٥ — الشيخ احمد قساطو ، ٦ — احمد كاشف بك ، ٧ ايوزباشي امين ، ٨ — مجيد زهدي

بلادي ، فلا يمكنني تجزئة قواتي ومحاربة انكلترا في مصر فاصبح تجاه عدوين قويين هما ايطاليا وانكلترا واعجز عن مقاومتها . والمثل يقول : « القوة تغلب الشجاعة !.. » . فمها كانت قوتنا عظيمة ، ومهما يكن من شجاعتنا ، فمن الصعب علينا ان نتغلب على الايطاليين والانكليز معاً !

وحجة السيد السنوسي وجيهة . ولكنها لم تقنع نوري باشا وهو يميل الى تحقيق رغبة اخيه انور في ايجاد جبهة جديدة قوية على حدود مصر الغربية

واخذ يوفد جواسيسه الى قلب الصحراء حيث يقيم السيد السنوسي ليعرف الاسباب الحقيقية التي اهابت بالزعيم السنوسي الى التأخر عن نجدته

الجاسوس الانكليزي

والانكليز كانوا يعلمون بوجود نوري باشا في المنطقة السنوسية وقصده من المجيء اليها ، كما كانوا يعلمون ان ليس في البلاد مواد غذائية كافية لتأمين حاجات المجاهدين السنوسيين . ومما اتصل بهم ان ليس بامكان الغواصات الالمانية تامين حاجات هؤلاء المجاهدين من المواد الغذائية . ولذا عمدوا الى خطة يهدمون بها مساعي العثمانيين ، فاخذوا يوفدون البواخر المشحونة بالحبوب والارز والسكر وكل ما تحتاج اليه هذه البلاد ويبيعونه باسعار بخسة جداً

وكان ان امنوا حاجات السنوسيين بكاملها . ولم يكتفوا بذلك بل اوفدوا احد رجالهم السريين المستر « ادكار هولمز » الى معسكر الشريف السنوسي ، فاتخذ لنفسه صفة الانكليزي المسلم شأن سائر الجواسيس الذين اوفدتهم انكلترا الى بلاد العرب ، وحمل اسم السيد عبدالله .

فاكرم السيد السنوسي وفادة الرجل مع معرفته حقيقته . وتمكن السيد عبدالله من اقناع السنوسي بالوقوف موقف العزلة قائلا :

— ستعمد انكلترا في الفرصة الاولى الى مساعدتك لتحقيق استقلال بلادك وتأمين فوزك فيها ، الا ان الاحوال الحاضرة تمنعها من تحقيق هذا الهدف . وهي لا تطلب منك مقاتلة نوري ورفاقه وابعادهم عن وطنك ، مع ان هذا حق من حقوقك ، ولكنها تطلب منك الوقوف على الحياد التام في ما بيننا وبين نوري وجماعته . ونعاهدكم في مقابل ذلك على ان نوفد اليك في كل اسبوع باخرة تحمل المؤن والذخائر التي تحتاج اليها !

فقبل السيد احمد الشريف السنوسي ما يعرض عليه الجاسوس ولزم الحياد . واخذت الباخرة تصل الى مرفأ « السلوم » بانتظام واقام السيد عبدالله على مقربة من السيد السنوسي لا يغادره

مساعي نوري باشا

ونوري باشا ادرك حقيقة الموقف وما قام به الجاسوس الانكليزي . فقرر تدبير مكيدة خطيرة يجبر بها السنوسي على الخروج عن عزلته والانضمام الى صفوفه . وعقد جلسة سرية اختار فيها الملازم الاول عثمان صفوت لتنفيذ المكيدة

اغراق الباخرة الانكليزية

وكانت الخطة المدبرة ان يستولي الملازم عثمان صفوت على قيادة القوات المدفعية العثمانية في السلوم ويغتنم اول فرصة لاغراق الباخرة وكان ان نقل الملازم برهان الدين بك من قيادة المدفعية وعين عثمان صفوت مكانه .

وبعد ذلك باسبوع رست في مياه السلوم الباخرة الانكليزية « مصراطه ». وانزلت في اليوم الاول محمولها ، الا انها في مساء اليوم الثاني كانت عرضة لقذائف الدولة العثمانية ، فانصبت عليها فجأة واغرقتها وقتلت ثمانية من بحارتها الانكليز ، كما قتلت ثلاثة من اهل السلوم وكانوا على مقربة منها

استياء السنوسي

فساء الامر السيد السنوسي وقد رأى فيه غدراً بضيوف قاموا يزودونه بالمؤن والذخائر . وارسل قوة من رجاله الى مقر المدفعية لاعتقال قائدها والجنود الذين اطلقوا النار على الباخرة ، الا ان هذه القوة عادت وابلغت السنوسي الكبير ان هؤلاء تواروا بعد ان اتلفوا المدفع الذي اطلقوا منه قذائفهم

بين السنوسي ونوري باشا

والمستر « ادكار هولمز » رأى في الحادث فرصة لتهييج السنوسي على العثمانيين واستمالته الى انكلترا . فحمله على تسطير كتاب الى نوري باشا يطلب فيه ايضاحاً عن ضرب الباخرة ويصر على ان يتسلم في خلال ٢٤ ساعة الضابط الذي اقدم على هذه الفعلة لمحاكمته . واعتقد « هولمز » ان نوري باشا سيرفض هذا الاقتراح ويعمد الى مخاصمة السنوسي ، ولكن خاب فأله . فعاد الرسول وبيده كتاب من نوري باشا يعلن فيه السنوسي اسفه الشديد لما وقع ويبلغه انه اوفد مفرزة لاعتقال الملازم عثمان صفوت كي يسلمه اليه مع الجنود الخمسة الذين كانوا برفقته . وابدى الرسول للسنوسي ما رآه من استياء نوري باشا ، وروى انه شاهد المفرزة الموفدة للبحث عن الجناة . ولكن الجاسوس الانكليزي « ادكار هولمز » ، او السيد عبدالله ، لم يقتنع بهذه الحجة ، فخاطب بآلة الاسلكية لديه قيادة الاسطول يطلعها على ما اتفق ويطلب ايفاد احدى القطع الحربية الى « السلوم » لتهديد السنوسي واجباره بالقوة على الانضمام الى انكلترا

مقتل عثمان صفوت ورفاقه

ونوري باشا لم يرض بتسليم عثمان صفوت ورفاقه الخمسة ، كما انه لا يستطيع الامتناع من تسليمهم وهو يعلم ان الجاسوس الانكليزي حرض السنوسي عليه وقد درى انه اقدم بنفسه على مثل هذا العمل ليجبر السنوسي على مقاومة انكلترا واكراهها على ضرب (السلوم) لتقوم قيامة السنوسي عليها

واعتقل نوري باشا الضابط عثمان صفوت ورفاقه الخمسة . وابلغ ذلك السيد السنوسي طالباً منه ان يوفد رجاله ليتسلموا المعتقلين فسر السيد السنوسي بالامر وعرضه على الجاسوس الانكليزي . فدعاه الى ايفاد قوة كبيرة من جنوده الى معسكر نوري كي يعودوا



الجاسوس الانكليزي في الجبهة

رسم نادر تمكن نوري باشا من الحصول عليه بين اوراق « ادكار هولمز » وهو رسم اخذ لهذا الجاسوس قبل شهر واحد من وقوع الحوادث المذكورة عنه في هذه النشرة

اليه بالضابط ورفاقه

ولكن السنوسي رفض قائلا ان خمسة جنود يكفون لهذه المهمة . خصوصاً وليس هناك ما يستدعي ايفاد القوة الكبيرة وحاول « هولمز » ان يعترض ، الا انه تجاه اصرار السنوسي رضي بما رغب فيه الزعيم الطرابلسي

وفي اليوم نفسه اوفد السنوسي جنوده الى معسكر نوري باشا وتسلموا عثمان صفوت ورفاقه .

نتيجة مؤلمة

على ان نوري باشا الذي تظاهر بالتسليم ارضاء للسنوسي لم يكن يريد ان يبلغ المعتقلون معسكر السنوسي وقد خاف ان يقدم الضابط او احد الجنود

على الاعتراف بالحقيقة . فقرر ان يضحي بهم على بكرة ابيهم ، واوفد قوة مؤلفة من ٥٠ جندياً كمنت في الطريق للمتقلين وحراسهم، حتى اذا ما وصلوا الى الكمين في المنطقة السنوسية بادرهم الجنود باطلاق النار فقتلوهم



نوري باشا في الجبهة الحربية

رسم نوري باشا في الجبهة على حدود السلوم، وقد اشير اليه بعلامة (١) ، وبجانبه رقم (٢) اليوزباشي امين بك ، ٣ ـ الملازم الهامي بك، ثم المدفع الجاني الذي دفع الى وقوع الكارثة المؤدية الى محاربة السنوسي لانكلترا

مقتل ادكار هولمز

وفي الوقت نفسه اوفد الباش جاويش سليمان علي الصابوني ، وهو جندي سوري الاصل ، الى معسكر الشريف السيد احمد السنوسي لقتل الجاسوس هولمز

ووفق سليمان في بغيته ، فهاجم ادكار وهو خارج من خيمة السنوسي نفسه ، واطلق عليه الرصاص فقتله دون ان يعرفه . وكان مرتدياً ملابس السنوسيين . فثارت ضجة في المعسكر وقام حرس الشريف لمطاردة القاتل. فلم يتمكن من الافلات منهم ، وتبادلوا واياه اطلاق النار فقتلوه بعد ان قتل ثلاثة منهم

انكلترا تخاصم الشريف

ووصل الطراد الانكليزي الى السلوم في يوم مقتل الجاسوس الانكليزي. ولما علم بما اصاب الجاسوس لم يقتنع رجال الطراد بحسن نية الشريف بل رأوا في ما بدر منه عدواناً على انكلترا ، فضربوا مرفأ السلوم كما ضربوا مؤخرة جيش السنوسي ، وكان ان تحققت مآرب نوري باشا وبات السيد احمد الشريف السنوسي في حرب مع انكلترا .

اسحق باشا

ولدى وقوع هذه الحوادث جاء الى السلوم على متن احدى الغواصات الالمانية اللواء اسحق باشا واركان حربه ومعهم الالوف من الليرات الذهبية، فتمكنوا من تعزيز الموقف الحربي في الجبهة، وانضم اليهم السيد السنوسي وقاموا يحاربون انكلترا على حدود مصر الغربية

تعزيز الجبهة الحربية

وانتقل مركز القيادة العثمانية السنوسية الى بلدة «مصراطه» وفيها اعاد اسحق باشا ونوري باشا تنظيم القوات تنظيما عسكرياً، وعلى الاثر نشبت بينها وبين القوات الانكليزية المصرية معارك هائلة، وذلك في نهاية عام ١٩١٥ ، وهي معارك لا بد لنا من اثبات وقائعها بالتفصيل في اعدادنا التالية من «الاسرار»

القتال في القفقاس بين الروس والعثمانيين

العصابات العثمانية تهزم القوات الروسية وتستولي على المدن والقرى

القضاء بالموت على غلام في الرابعة عشرة

مهاجمة مدينة باطوم

اثار هجوم القوات الروسية المفاجىء على «قاغزمان» اهتمام القيادة العثمانية العليا. وقد ظهر لها ان الواجب يحتم عليها القيام باستعداد جديد في جبهة «ارضروم». ولهذا اوعزت الى مصلحة «التشكيلات المخصوصة» في تلك الجهة القيام بتدابير سريعة ظهرت نتائجها بنقل ادارة حركات هذه الشعبة من الجبهة الشرقية في ولاية ارضروم الى الجبهة الغربية منها، وفيها تدور معارك «اولتي» و «ارتوين» وقد تحدثنا عنها في عدد سابق من «الاسرار»

التشكيلات المخصوصة

والمساعي التي بذلتها دار «التشكيلات المخصوصة» في الجبهة الروسية ترمي الى تأليف العصابات المسلحة لمساعدة القوات المحاربة، وبعبارة اخرى الى استخدام قوات عسكرية غير نظامية لضعضعة القوات الروسية التي بدأت تتقدم في الولايات الاناضولية

وقامت هذه القوات باعمالها الاولى في منطقة «نارمان»، فوقعت بينها وبين القوات الروسية مصادمات دموية شديدة اضطرتها الى التراجع الى ارضروم، وفيها الحقت بالعصابات العاملة في منطقة «ميلو» خسائر في الارواح جسيمة

العصابات في روسيا

وتقرر لدى اضطرام المعارك بين القوات الروسية والعثمانية ايفاد العصابات المسلحة في ولاية ارضروم الى قلب البلاد الروسية تحت قيادة رضا بك. ووقع الاختيار على طريق تسلكه العصابات الاولى فكان طريق الساحل للعصابات المنطلقة تحت قيادة محسن بك وتسير القوات النظامية في الجبال، فتجتاز سلسلة جبال (السلطان سليم) الى الحدود الروسية يقودها كامل بك ثم ابلغ القرار الى هذين القائدين باطلاع ضباطها على التدابير الواجب اعتمادها في سلوك هذه الخطة.

الفضيلة في الساحل

وقد تمكنت عصابات محسن بك من الوصول الى «هوبا»، وبعد ان استراحت فيها مدة من الزمن تابعت سيرها الى الحدود الروسية ولم يبق امامها غير مرحلة واحدة، والخطة الموضوعة تقضي على محسن بك ورجاله بالاستراحة في المرحلة الاخيرة ثم اغتنام الفرصة ليبدأوا في المساء زحفهم، حتى اذا طلع الصباح كان الجميع داخل الحدود الروسية

المصباح المريب

وبعد الغروب سارت هذه القوات بهدوء تام، حتى اذا انتصف الليل وباتت على بعد خمسة اميال من الحدود الروسية وقفت وقد ابصر قائدها نوراً يبدو على الهضبة المواجهة المطلة على الساحل ثم ينطفىء، وهذا النور راب محسن بك اذ لا يعقل ان يكون منبعثاً من مصباح احد القرويين المقيمين في تلك الجهات، فمن المستبعد كثيراً ان يقدم قروي بعد منتصف الليل على حمل المصباح واجتياز تلك الهضبة

وتبادر الى ذهن القائد انه مصباح احد الجواسيس، مما زاد في خوفه لاعتقاده ان الاعداء لم يشعروا بحركته، وهو يريد ان يجتاز الحدود الروسية دون ان يشعر به احد من الروس، فقرر اعتقال الجاسوس والقبض عليه حياً او ميتاً. واستدعى اليه عشرة من افراد عصابته وطلب منهم ان يتسلقوا الهضبة من مختلف جهاتها للوصول الى الجاسوس واعتقاله



محسن بك

ومفرزة من قواته في الجبال

كانت سلسلة جبال القفقاس مكسوة بالثلوج كثيرة المخاطر والقوات العثمانية تجتازها ، غير ان هذه القوات عبثت بكل خطر ، وهذا رسم يرينا محسن بك واقفاً امام قافلة من جنوده يرصد الموقف بدقة

القبض على الجاسوس

ووقفت القوات غير النظامية باضطراب شديد لخوفها من العاقبة ، فاذا درى بها الروس في هذه الحالة ، وهي في منطقة غير محصنة ، تعرضت لخطر الاصطدام بقوات نظامية تقضي عليها حتماً . واتجهت انظار الجميع الى المفرزة التي تسلقت الهضبة ممسكة قلوبها بايديها

وبعد عشرين دقيقة سمع صوت استغاثة . ولكن هذه الاستغاثة لم تكن منبعثة من حنجرة رجل بل اطلقها ولد . وشوهد افراد المفرزة يعودون وهم يمسكون ولداً في الرابعة عشرة من عمره . ومما قال هؤلاء الجنود انهم لم يجدوا في تلك الجبهة سواه ، وانه كان يبعث تلك الاشارات من مصباح يحمله بيده ، وصرخ مستنجداً لما رآهم يحيطون به ويحاولون اعتقاله

والقائد لم يجد لديه الوقت الكافي للوقوف على افادة هذ الجاسوس ، بل سلمه الى اثنين من رجاله لينقلاه الى مؤخرة الجبهة ، وانصرف الى متابعة مسيره في اجتياز الحدود الى الجبهة الحربية

مصير الجاسوس

ولدى رئاسة مصلحة « التشكيلات المخصوصة » ديوان حربي خاص لا يستند في محاكماته الى الانظمة والقوانين بل الى اراء اعضائه . وهؤلاء الاعضاء ما لبثوا ان عقدوا مجلساً حربياً حاكموا فيه الغلام ، فتبين انه يدعى احمد حكيموف ، وهو من الكرج ، وقد اعترف بان الروس اوفدوه ليتجسس على القوات العثمانية ، ولما شاهد عصابة محسن بك تتقدم من جهة الهضبة اعطى الاشارات المعلومة ، الا ان الروس في الجهة الثانية لم يبصروها ، ودليله انهم لم يجيبوه عن اشاراته .

ودافع الغلام عن نفسه بقوله :

ــ كان والدي من ضباط الجيش الروسي الذي هاجم الاتراك في الشهر الماضي ، وفي هذا الهجوم قتل والدي ، ولما احتل الاتراك مدينتنا « اردتون » قتلوا فيها شقيقي الاكبر ، مما دعاني الى الحقد عليهم . فطلبت من القيادة الروسية قبولي في الجيش لمحاربة العثمانيين ، فرفضت بحجة اني لا اقدر على حمل السلاح . واخيراً رضيت مني بان اشتغل بالجاسوسية . وجئت الى تلك الهضبة غير حافل بالمخاطر . ولما شاهدت القافلة طرت الى مصباحي ارسل منه الاشارات راجياً ان تبصر بها القيادة الروسية فاتمكن من رؤية القوات العثمانية تذبح على بكرة ابيها

« ولكني لما ابصرت اعدائي يحيطون بي صرخت وبكيت . لا من خوفي بل من تأثري . فالفرصة السعيدة التي كنت ارقبها ذهبت سدى !

وسكت احمد حكيموف بعدما ادلى بهذا الايضاح . غير ان رجال ديوان الحرب لم يتأثروا بما سمعوا بل رأوا في الغلام مجرماً وقرروا الحكم عليه

اعدام احمد حكيموف

وحكموا عليه بالموت . وسلموه الى مفرزة من المتطوعة قادته



مفرزة من الجنود الروسية في القفقاس

شرذمة من الجنود الروسية بعد تراجعها عن موقع ماكريال في القفقاس . وقد وقف احد الضباط يوزع على جنوده الطعام وكان قليلا في تلك الجهة كما يطالع ذلك قراء « الاسرار » في هذا العدد

الى خارج المعسكر ، وهناك ربطته الى جذع شجرة . ولما حاولت ان تعصب عينيه عارض بشدة ومانع قائلا :

— ما دمتم تحاولون الاسراع في دفعي الى والدي وشقيقي فاني استقبل عملكم بسرور ، ولا ارى ما يدعو الى شد العصبة على عيني ، فكل ما عليكم ان تطلقوا الرصاص فوراً !

واسند رأسه الى ساق الشجرة وصاح :

— اطلقوا النار !

فعلا ازيز عشر رصاصات كانت كافية للقضاء على حياة الغلام البائس وقد ذهب ضحية محبته لوالده وشقيقه . وكان الاجدر بمصلحة «التشكيلات المخصوصة» ان تكتفي باعتقاله وهو القاصر عن الرشد

قوات محسن بك

اما قوات محسن بك فوصلت عند الفجر الى الحدود وتمكنت قبل طلوع الشمس من احتلال مرتفعات « قويموش » الواقعة على الساحل دون ان تلتقي بالقوات الروسية

وفي هذه الجبهة فرّق القائد قواته غير النظامية وسار بها الى الامام وهدفه موقع « ماكريال »، وهو اول المراكز التي تدافع عنها القوات الروسية

وقصد محسن بك من توزيعه عصاباته الاحاطة بالقوات الروسية والقضاء عليها واحتلال مراكزها قبل ان تتلقى النجدات

موقعة ماكريال

وفي الساعة السابعة صباحاً كانت العصابات العثمانية تحيط بماكريال وتباغت القوات الروسية بوابل من الرصاص. فتعجب القائد الروسي من هذه المفاجأة وهو يعلم ان بين قواته والقوات العثمانية مئات من الاميال

الا انه وقد رأى عدداً من رجاله يسقطون قتلى والرصاص لا يزال ينقض على الآخرين امر جنوده بالانبطاح في الارض ومقابلة المهاجمين بالمثل

ودام تبادل الرصاص مقدار ساعة ونصف ساعة. وكان بالامكان ان يؤدي الامر الى فوز القوات الروسية وقد اخذت تتقدم في زحفها بالتدريج، ولكن قوة ثانية من العصابات وصلت الى تلك الجبهة واحاطت بالروس من ناحية اخرى. فلم يبق بامكان القائد الروسي الثبات وامر قواته بالتراجع، فتسنى للقائد العثماني — وقواته لا تزيد كثر من عشرة بالمئة على القوات الروسية — من احتلال موقع «ماكريال» ومطاردة الروس الى ما بعد هذا الموقع

الحقد بعد الفوز

والاوامر الواردة على القوات النظامية تدعو قوادها الى نجدة العصابات التابعة لمصلحة «التشكيلات المخصوصة» وتزويدها بكل ما تحتاج اليه من اعتدة حربية ونجدات

ونزولا على هذه الاوامر ارسل محسن بك الى قائد البلوك الرابع القريب من الحدود يدعوه الى اسعافه بالذخيرة الحربية فقط ليتمكن من متابعة هجومه على المراكز الروسية. ولكن قائد هذا البلوك ابراهيم بك، وقد ساءه ان ينال محسن بك هذا الفوز الباهر بمثل هذا العدد القليل من الجند، لم يكتف بمنع النجدة المطلوبة بل كتب الى القيادة العليا يقول: «محسن بك يسير في مطاردة القوات الروسية داخل الحدود مطاردة جنونية ذات خطر عظيم على القوات النظامية. فالانباء الواردة عليّ تدل على ان الروس ينقلون الى هذه الجبهة الساحلية مدافعهم بالطيارات وقد بدأوا ينصبونها حول مراكزنا. ولما كان الجندي من قواتي لا يملك اكثر من مئتي رصاصة لا تمكنه من الدفاع عن الجبهة رأيتني مضطراً الى الابتعاد بقواتي الى ناحية اخري وليس امكاني توفير المساعدة بوجه من الوجوه!»

والذين يعرفون حقيقة الطيارات في بدء الحرب العالمية يدركون تماماً عدم مقدرتها على نقل المدافع، ومع هذا فقد صدق ابرهيم بك الخبر ورفع تقريراً به الى القيادة العليا، وصدقته القيادة نفسها وامرت محسن بك بان لا يتورط في مواقفه الحربية وان يلازم الدفاع عن المراكز التي تمكن من الوصول اليها

العصابات الاخرى

اما العصابات الاخرى التي عهد اليها باجتياز الحدود الجبلية تحت قيادة كامل بك فقد تمكنت من احتلال مرتفعات جبل «السلطان سليم»، ومنها اتجهت شرقاً نحو «قورا»

و«قورا» من المراكز الروسية القوية. فكانت مقراً للفرسان الروس وفيها عدد من الثكنات. ومع هذا تسني لعصابات كامل بك بعد معركة شديدة، استمرت خمس ساعات، الوصول الى هدفها واحتلال هذه البلدة وحمل القوات الروسية على التراجع بلا نظام

وغنم العثمانيون من الروس في هذه المعركة عدداً كبيراً من الجياد والاعتدة الحربية. فان مفاجأة القوات العثمانية غير النظامية دفعت معظم الجنود الى الفرار قبل ان يتقلدوا سلاحهم ويركبوا جيادهم

مدينة الفضة «مورغول»

ولم يقف كامل بك بقواته في مدينة «قورا» الا بمقدار ما احتاجت اليه قواته للراحة، ثم تابع زحفه وهدفه مدينة «مورغول» وهي تعد من اغنى مدن القفقاس. ففيها معادن غنية من الفضة تتولاها جمعيات اميركية. والروس الذين يقدرون خطورة هذه المنطقة حشدوا فيها قوات كافية من الجند للدفاع عنها

خطيئات الروس

وقوات الدفاع الروسية كانت تعادل عشرات اضعاف القوات العثمانية غير النظامية التي هاجمتها

وكان بامكان هذه القوات صد هجمات العثمانيين واعادتهم من حيث اتوا متحملين خسائر فادحة. ولكن جهل القائد الروسي ترتيب خطة الدفاع افقده كل شيء

فهو بدل ان ينصب مدافعه في المراكز الجبلية المرتفعة نصبها في سفح الجبل. فلم تؤثر في العصابات التي هبطت المدينة من الجبال واحتلت مراكز المدفعية بعد ان فتكت بالجنود الروس وحولت مدفعيتهم الى المراكز العسكرية في المدينة نفسها واطلقت عليها القذائف

استسلام الحامية الروسية

ولما تم هذا الفوز لكامل بك دعا اليه معاونه محمد اديب (هو



في مدينة «مورغول» الروسية

مقر شركة معادن الفضة القفقاسية الاميركية في مدينة «مورغول». ويبدو رئيس الشركة واقفاً على بابها وامامه اثنتان من الممرضات الروس. وهذا الرسم اخذ قبل سقوط المدينة بين ايدي القوات العثمانية

اليوم من نواب المجلس الوطني الكبير في انقرة) واوفده برسالة الى قائد الحامية يقول له فيها انه يمهله ساعة واحدة للاستسلام. واذا لم يسرع الى تلبية الانذار بعد هذه المدة يضطر الجيش العثماني الى ضرب المدينة واحتلالها

فبدا للروس ان ليس بامكانهم الثبات اكثر مما فعلوا، فجاؤوا يعلنون الطاعة والاستسلام

صدى هذا الفوز

وهذا الفوز، ويمكن اعتباره اعظم فوز ادركته قوة عثمانية غير منظمة، مكن عصابات كامل بك من اسر قائد الحامية، وهو برتبة مير الاي، وخمسة ضباط من رتب مختلفة وقائد الدرك، ووكيل ضابط، و٣٥٠ جندياً، وغنم اربعة مدافع، وكميات وافرة من الذخيرة والاعتدة الحربية

واستولى كامل بك على المؤسسات الاميركية التي تستثمر مناجم الفضة، ووجد فيها من المواد الغذائية والمواد الطبية وسواها ما تمكن به من تأمين حاجات الالوف من القوات العثمانية. واسم الشركة القابضة على هذه المؤسسات هو:

The Caucasus Copper Co. Ltd.

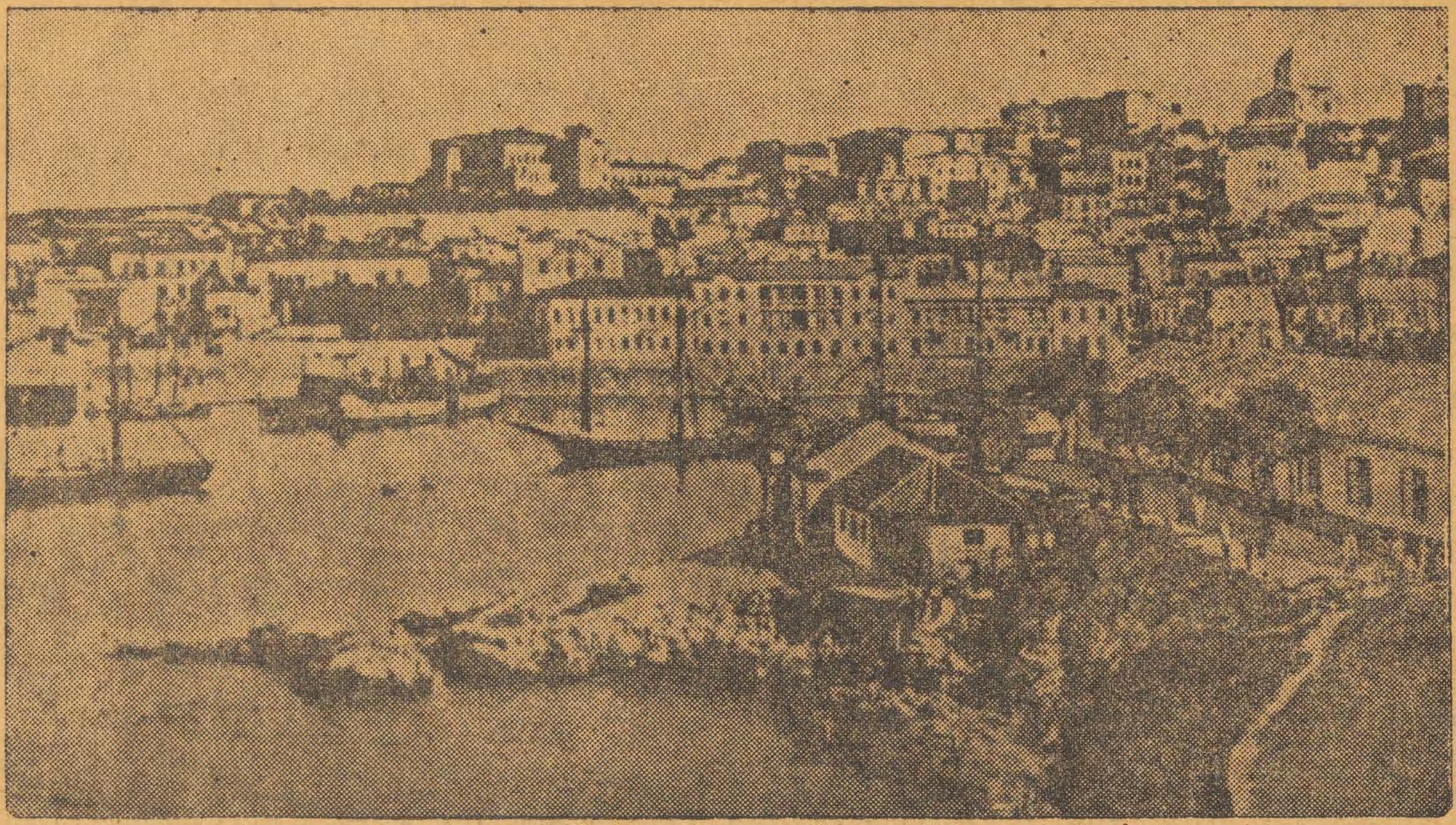
طرب القيادة العثمانية العليا

وتلقت القيادة العامة هذا الفوز الباهر الذي احرزته العصابات بسرور تام. ودعت محسن بك، قائد عصابات المنطقة الساحلية، الى الاتصال سريعاً بكامل بك ونقل الاسرى من المنطقة التي يحتلها

والقيادة العليا كانت تنظر باهتمام الى هؤلاء الاسرى وقد رغبت في استجوابهم لمعرفة حركات الروس كي تقرر على هذا الاساس خططها

الروس لا يبوحون بالسر

ولكن الجنود الروس ما كانوا يبوحون بالسر. فكل مجهود في سبيل حملهم على الاقرار ذهب سدى. فكانوا يتظاهرون بالجهل ولا يروون لسائليهم الا الحوادث التي مرت بهم في الموقعة التي



مدينة باطوم المهددة بالقوات العثمانية

منظر مرفأ « باطوم » وكانت القوات العثمانية تحاول اختراق الجبهة لبلوغ هذه المدينة ، الا ان المساعي ذهبت سدى كما يطالع القراء ذلك في هذه النشرة من « الاسرار »

خاضوها ووقعوا فيها اسرى

ومع هذا التكتم الشديد تمكن العثمانيون من معرفة بعض ما يهمهم . فالجنود الروس كانوا جياعاً عراة ، وقليل منهم من يستطيع الحصول على نصف المعدل اليومي الذي يناله الجندي . والقيادة الروسية ما برحت تسوقهم كالماشية في حافلات الشحن وتكرههم على المسير مئات الاميال مشياً على الاقدام ، مما يرهقهم ويقضي عليهم بالتلاشي ، فلا يصل منهم الى الجبهة الحربية اكثر من ٢٠ بالمئة

احتلال بورشقا

لم يمكث محسن بك في بلدة « مورغول » الا المدة الكافية لايفاد الاسرى الى المنطقة العثمانية ، واتخاذ التدابير لحماية هذا الموقع اذا ما حاول الروس الاعتداء عليه من الوراء . وسار بقواته الى الامام فجابه على بعد ثلاثة أميال من بلدة « بور شقا » القوات الروسية ، ودارت معركة شديدة بين الفريقين حاول في اثنائها الروس صد هجمات العصابات العثمانية ، الا ان العصابات لم تفسح لهم المجال ، فنشبت بين الفريقين معركة بالسلاح الابيض انتهت بفوز العصابات العثمانية التي دحرت الروس واستولت على المدينة

استعداد الروس

على ان القيادة الروسية ما لبثت، بعد ما اعترى قواتها من نكبة، ان جهزت قوات غفيرة دفعتها الى ساحة القتال ، وكان ان باتت العصابات العثمانية تجاه قوات نظامية وافرة ، وهذه القوات وان لم تتمكن من استرداد المراكز التي احتلها العثمانيون فقد وقفت سداً منيعاً دون مضي العصابات في هجومها وقد اجبرتها على الوقوف في مراكزها مدة من الزمن ثم اخذت تهددها باقتحام تلك المراكز .

طلب النجدة

فلم يبق بوسع محسن بك وكامل بك الثبات طويلا في مواقعهما، فارسلا يطلبان النجدة

وعند ذاك تبلغت قوات نائل بك الاحتياطية في طربزون الامر بالسفر فوراً لنجدة العصابات في داخل الحدود الروسية

وسارت هذه القوات في المنطقة الساحلية دون ما حيطة كأنها لا تسير في ايام الحرب

وما كادت تصل الى بعد اربع ساعات من « ارخوي » وهي آخر مركز للقوات العثمانية على الحدود، حتى شاهدت زورقاً بخارياً يشير عليها بالوقوف . فتقدم نائل بك من الساحل وسأل من في الزورق عما يريدون فاجابوه : غادرت بضع قطع من الاسطول الروسي مرفأ باطوم ووجهتها هذا الساحل !

فخاف نائل بك على قواته وامر جنوده باستبدال وجهة المسير والتوغل في الداخل

وما كادوا يفعلون ويصبحون بعيدين عن مرمى القذائف حتى بدت الوحدات الحربية الروسية واخذت تلقي قذائفها بشدة على المواقع الساحلية العثمانية ، فهدمت جسرين على النهر وخربت طرق المواصلات

وتبين في مابعد ان الاسطول الروسي كان قد تلقى من جواسيسه اخبار هذه القوات الزاحفة لمعاضدة العصابات في داخل البلاد الروسية، فأقدم على هدم الطرق ليعرقل سير القوات العثمانية ويمنعها من بلوغ هدفها

النجدة في طريق بورشقا

غير ان قوات نائل بك، وهي تبلغ الالف من المقاتلين، تمكنت من الوصول الى « ارخوي » ، ولكنها تأخرت سبع ساعات عن موعدها وقد اضطرت الى تبديل مسيرها ، ومن « ارخوي » تقرر نقلها الى « بورشقا » لمساعدة عصابات كامل بك

وفي اليوم التالي زحفت في اوانها لمساعدة العصابات المشتبكة في معارك شديدة مع القوات الروسية

احتلال مراديدى

وزادت هذه النجدة في عزيمة العصابات المحاربة فهاجم الفريقان معاً القوات الروسية وهي تحاول استعادة « بورشقا » وهزماها بقوة وطارداها الى ضواحي « مراديدي » ، وهناك حاولت ان تقف مرة اخرى ، الا ان القوات العثمانية ما لبثت ان انقضت عليها بالسلاح الابيض وافنت القسم الاكبر منها واحتلت المدينة وفرّ الروس في طريق نهر « جورخ »

المواصلات النهرية

و «مراديدي» مدينة قائمة على ضفة نهر « جورخ » الذي يصب عند ساحل مدينة باطوم ، وهي محاطة من اطرافها بسلسلة جبلية مرتفعة والنهر يمر فيها

والزوارق هي وسائل النقل الوحيدة في تلك البلدة التي لا تفرق في شكلها عن مدينة البندقية في ايطاليا

والنهر يسير بسرعة جنونية الى جهة باطوم ، فتندفع فيه السفن بحذر ويتولى الربان امر تسييرها ، اما في العودة فتربط مقدمها بشريط يمتد على طول النهر يشد به البحارة ليتمكنوا من مغالبة التيار. وليس للنهر جسر من الجسور ، فتتولى الزوارق اجتيازه من ضفة الى اخرى

توسيع الجبهة العثمانية

وعلى اثر الفوز الجديد الذي احرزته القوات العثمانية في قلب الولايات الروسية اتسعت الجبهة في هذه المنطقة وانشئت فيها قيادة عامة تولى امرها رضا بك وقسمت الى ثلاث فرق ، الاولى يقودها كامل بك ، والثانية محسن بك ، والثالثة نائل بك .

ونقل مسكن القيادة العليا الى « بور شقا » « وعين ادهم بك قائمقاماً على مورغول ، وفريد بك قائمقاماً على بور شقا لادارة امورها الادارية باسم السلطنة العثمانية

خطط الدفاع العثمانية

وكان موقف العثمانيين في هذه المنطقة حرجاً ، خصوصاً والاهلون لم يثقوا بالقوة العثمانية وقد بدت لهم ضعيفة لا تستطيع الدفاع عن كيانهم. فقاموا يطالبون بان يتولوا بانفسهم الدفاع ووزع عليهم السلاح للقيام بالمهمة

واعتقد قواد العصابات العثمانية ان بوسعهم بعد ما تولى الاهلون الدفاع عن مناطقهم متابعة الزحف لاحتلال باطوم

وجاء رضا بك بقوة من الدرك الى هذه الجهات لمساعدة القائمقامين اللذين عينا لحفظ النظام ، وانصرف الى تنظيم عصاباته لمهاجمة المراكز الروسية في باطوم

هجوم الروس

ولكن القوات الروسية وكانت تستعد لاسترداد ما فقدت لم تفسح للقوات العثمانية المجال للتقدم ، بل عمدت الى مهاجمتها في جوار « مراديدى » . وجرت حول هذه المنطقة مناوشات دامت ١٥ يوماً

تمكن في خلالها الفريقان من المحافظة على مراكزهما دون ان يتقدما خطوة واحدة

الا ان هذه المناوشات اتعبت القوات العثمانية ودفعتها الى طلب نجدات جديدة لبلوغ هدفها في احتلال باطوم



قائد القوات غير النظامية في القفقاس

القائممقام علي رضا بك القائد الجديد لقوات « التشكيلات المخصوصة » غير النظامية التي تولت الحركات الحربية في القفقاس

نجدات جديدة

فحققت فوراً استانبول هذا المطلب ، وما لبث رضا بك ان تلقى برقية من والي طربزون يعلمه ان قوة مؤلفة من الفي مقاتل يقودها يعقوب بك جميل وصلت الى طربزون في طريقها الى روسيا لتعزيز الجبهة بصورة موافقة

وفي الوقت نفسه تلقى رضا بك برقية من انور باشا يعلمه فيها ان عليه لدى وصول هذه القوات اليه ان يعمد الى مهاجمة باطوم واحتلالها .

فاجابه رضا بك انه على استعداد لادراك هذا الهدف اذا اسعفته المدرعة « ياووز » في ضرب المعسكر الروسي ، وعندما تقبل هذه المدرعه يهاجم باطوم براً ويعمد الى احتلالها

فحقق انور باشا رغبة رضا بك واوفد « ياووز » الى مياه باطوم

تحاسد القواد

وصل يعقوب جميل مع قواته الى « بورشقا » الا انه رفض الاتجاه الى « مراديدي » وآثر ان يندفع الى « صاري قاميش » ، وحجته انه يرغب في ان يضمن في تلك المنطقة فوزاً لنفسه، على حين انه اذا سار الى مراديدي كان تابعاً لرضا بك،وهو يرى في نفسه من القوة ما لا يملكه اكبر قائد من القواد العثمانيين

ولما ابلغه رضا بك ان الاوامر توجب عليه ، اي على يعقوب جميل ، مساعدته اجابه بغطرسة :

— ليس لاحد في العالم ان يفرض عليّ مشيئته ،فانا سيد نفسي افعل ما اريد !

ورضا بك ، ولم يكن يجهل عقلية الرجل ، لم يشأ ان يقاومه خوفاً من ان تؤدي المقاومة الى حوادث مؤسفة ، فسكت مكتفياً بالابراق الى انور باشا فبهاء الدين شاكر بك يعلمهما توقع ، وكان ان غادر في اليوم نفسه يعقوب جميل « بورشقا » الى « صاري قاميش » في مقاطعة « اولتي » وفيها تدور المعارك الرئيسية بين القوات العثمانية والروس

من هو يعقوب جميل ؟

ويعقوب جميل بك زميل قديم لانور باشا ، اشترك معه في تأسيس حزب الاتحاد والترقي وفي حروبه في طرابلس الغرب وفي البلقان ، ولما استتب الامر لانور باشا اهمل امره كما اهمل امر الكثيرين من زملائه القدماء الذين صبروا وخضعوا ، على حين ان يعقوب جميل ظل يقاوم انور باشا طالباً ان يكون مثله ، ولما نشبت الحرب العالمية شاء انور الخلاص منه فاوفده بهذه المهمة

ووقعت بعد ذلك ليعقوب جميل بك حوادث جمة مهمة انتهت بتدبيره في منتصف عام ١٩١٦ مكيدة لاغتيال انور باشا . واغتنم انور هذه الفرصة فاعتقل يعقوب جميل وحاكمه واعدمه في شهر ايلول سنة ١٩١٦

ومثلت السياسة في هذه القضايا ادوارا خطيرة سنعود الى ايضاحها

فشل حملة باطوم

واستانبول لم تتبلغ امر الخلاف بين رضا بك ويعقوب جميل بك الا بعد مدة. وكانت قد ارسلت الدارعة ياووز لمساعدة قوات رضا بك، فوصلت المدرعة الى « باطوم » وعمدت الى رميها بالقذائف مدة ساعة كاملة ، فاحدثت فيها اضراراً فاحشة واهلكت ٢٥٠ نفساً

الا ان هذه الحركة لم تكن ذات شأن في الموقف الحربي . فكان رضا بك على مرتفعات « مراديدي » يراقب حركات المدرعة « ياووز » ويكاد يحترق من تأثره لكونه لا يقوى على مساعدة المدرعة بالهجوم بقواته الصغيرة على المدينة . فذهبت مساعي المدرعة « ياووز » سدى

الالمان في الجبهة

ورأى انور باشا من الضرورة تجهيز حملة نظامية لتحقيق هذا

القصد ، فدعا الى تأليف آلاي اطلق عليه اسم الالاي الثامن وولى قيادته ضابطاً المانياً هو البنباشي « ستانجه » وابرق الى رضا بك بالامر فسر رضا بك بهذا التدبير والالاي القادم مجهز بالمدفعية والرشاشات وهو ما كان ينقص قوات رضا بك نفسه



يعقوب جميل في جبهة القفقاس

هذا رسم بهاء الدين شاكر بك (ذي اللحية) ويعقوب جميل بك، وهما يرتديان الملابس الوطنية القفقاسية للدلالة على اعتقادهما بالفوز في المعارك المقبلة

فارسل بعض رجاله الى الحدود لاستقبال الالاي وسوقه الى « بورشقا »

غطرسة الالمان

واذا كان يعقوب جميل عارض رضا بك ليؤمن لنفسه الفوز ويستطيع منافسة انور باشا ، فالقائد الالماني عارض عن جهل ما دعا اليه رضا بك . فهو بدل ان يلحق بالادلاء الذين اوفدهم اليه رضا بك ليقودوه الى بورشقا اصر على الاتجاه الى « مراديدي » . و كان قد حل المساء لما اصبح على ضفة نهر جورخ. وهناك دون ان يقدر حقيقة الموقف عمد الى اجتياز النهر على جسور اصطناعية. واقام هذه الجسور واوفد عليها القافلة الاولى تحت قيادة معاونه « فون شتوب » . وما كادت هذه القافلة تصبح في منتصف النهر ، وعددها مائة نفس ، حتى جرفها التيار ولم ينج منها احد. عند ذاك ادرك « فون ستانجه » خطأه ولكن بعد ان ذهب هؤلاء الابرياء ضحايا ادعائه واضطر الى البقاء بقواته حيث اقام، وارسل يطلب النجدة من رضا بك فانجده وابلغه الضفة الاخرى من النهر

مؤتمر عسكري

وفي اليوم الثاني عقد الضباط الاتراك والالمان اجتماعاً بحثوا فيه الموقف. فتقرر مهاجمة باطوم واحتلالها وتأليف قوات اخرى لايجاد ارتباط بالعصابات في « اولتي » ، ووضعت لذلك الخطة التالية :

اولا — تظل قوات الدرك في المنطقة المحتلة للدفاع عنها

ثانياً — تزحف قوات الالاي الثامن الى باطوم

ثالثاً — تعاون عصابات التشكيلات المخصوصة جناحي الالاي في هذا الهجوم

وفي صباح اليوم التالي ارسل القائد « فون ستانجه » مفرزات من قواته الى ضفاف « جورخ » والى ضواحي باطوم لكشف مراكز الاعداء ، فعادت واكدت ان القوات الروسية بعيدة عن المراكز العثمانية ، وانها لم تقم بحركة تدل على رغبتها في الانتقال من مراكزها لمقاومة العثمانيين

تضعضع المراكز العثمانية

وفيما يعتقد العثمانيون ان موقفهم بات منيعاً تعالى نباح الكلاب من اعالي الجبل فخاف القواد ورأوا في ذلك نذر شؤم . وما لبث الرصاص ان انفجر على الاثر ، ووردت الاخبار تقول ان قوات روسية غفيرة وهي المكلفة الدفاع عن الجبال المحيطة « بمراديدي » هاجمت القوات العثمانية وطوقتها وافنتها على بكرة ابيها

وكان ثمة ١٥٠ جندياً يقودهم الملازم يعقوب افندي فلم يبق منهم احد في قيد الحياة . وشوهدت طلائع الروس تصب على المدينة فلم يجد عند ذاك العثمانيون بداً من التراجع فاخلوا مدينة « مراديدي » وتراجعوا الى « بورشقا » . وهناك عهدوا الى البنباشي حافظ سليمان بالدفاع عن المنطقة وزحفوا الى منطقة « اولتي » لمساعدة القوات التي تحارب الروس في تلك الجبهة ، فالقوات العثمانية كانت تستعد في هذه الناحية لمهاجمته ولايتي « اردهان » و « قارس »

وعلى الاثر وقعت معارك هائلة سنأتي على تفصيلها

اسرار الحرب الكبرى

بقلم كريم ملحم كريم

الالمان يضحكون من الفرنسيين وهم يتراجعون عن حصن «فو»
على ان الفرنسيين يفوزون و ينقذون فردون

القذائف بعشرات الملايين!

ما استقر الفرنسيون في حصن « دوومون » ونظموا حالتهم حتى تابعوا مسيرهم الى الامام. فهم يبغون الاستيلاء على حصن « فو ». هذا الحصن الذي استولى عليه الالمان بعد حصار اربعة اشهر . وكانوا على يقين تام انهم لن يبرحوه . فهم فيه ما شاؤوا . ومثل هذا القول ردده احد ضباطهم وقد اسره الفرنسيون في احد الخنادق . قال : إستوليتم على حصن « دوومون » ، الا انكم لن تقووا على انتزاع حصن « فو » منا !

والوصول الى حصن «فو» شديد الصعوبة . فعلى مهاجميه ان يجتازوا خطوط دفاع كثيرة قبل بلوغه . وهذه الخطوط حملت اسماء كبار القادة الالمان ، من هندنبورغ ، الى ده موانتكه ، الى كلوسويتز ، الى سيدليتز ، الى ستانتز ، الى فون كلوك ، الى هانو ، الى سياجين

وهاجم الفرنسيون هذا الحصن بعد ما اصلوه النار الحامية. فاصطدموا بالمقاومة الالمانية . فالالمان قاوموا بشدة ورموا الفرنسيين بنيران المدافع والرشاشات . فكان ان هجم عليهم الفرنسيون بالقذائف اليدوية ورؤوس الحراب

القتال الرهيب

وطال القتال اياماً. وهاجم الفرنسيون الخطوط الالمانية . وكلما شعروا بان لا فائدة من الهجوم وقفوا عنه وفسحوا امام المدفعية مجال الكلام . واذا انفجار هائل يصم الاذان . فقد سقطت قذيفة على الحصن واشعلت مستودعاً للقذائف اليدوية . واضحت القوات الفرنسية على مقربة من الحصن واوشكت ان تلمسه لمس اليد . وفي ٢ تشرين الاول لاحظ الفرنسيون بحذر وسؤ ظن ان ليس لجدران الحصن منفذ من المنافذ ، وتراءى لهم ان في الامر خدعة . فلم يكن من احدهم الا ان ثقب احدالجدران ودخل من الثقب يلحق به الضباط والجنود بجرأة وفضول . وجالوا جولتهم في الحصن ولم يجدوا احداً . فالالمان فروا منه دون ما ضجة فيما المدافع تقذفه بنارها ،وابقوا فيه اعتدة وذخائر لم يحملوها في اثناء فرارهم السريع

احتلال قرية «فو»

وشاق هذا النصر الفرنسيين فمشوا الى قرية « فو » يريدون

القائد «نيفل»

خلف القائد بتان في الدفاع عن فردون

هو روبر جورج نيفل، ولد سنة ١٨٥٦ في «تيل»، ولما نشبت الحرب العالمية الكبرى كان برتبة كولونل. وقد لمع في معركة «اين»، وفي سنة ١٩١٦ ولي قيادة الجيش الثاني في حصون فردون

وبعد ذلك الانتصار البليغ الذي احرزه الفرنسيون في فردون اسندت الحكومة الفرنسية الى «نيفل» قيادة الجيوش العامة. فخلف القائد «جوفر». وظل على رأس الجيش الفرنسي منذ شهر كانون الاول ١٩١٦ الى شهر ايار ١٩١٧

وتولى في شهر نيسان ١٩١٧ تسيير حركات جيوش الحلفاء في معركة «اين». ومنذ شهر كانون الاول ١٩١٧ الى سنة ١٩١٩ عهد اليه بقيادة جيوش افريقيا الشمالية ومات سنة ١٩٢٤ في باريس



احتلالها، فطوقوها واحتلوا قرية «دانلو»، ولكن لم يبق من هاتين القريتين غير انقاض. وسد الجيش الفرنسي طريق «دياب» الى فردون كما سد قمم «هردومون» شمالي قرية «فو»

وبلغ ما غنمه الفرنسيون في اثناء هجومهم على «دوومون» و«فو» ستة الاف اسير من الجنود، و ١٤٠ ضابطاً وخمسة مدافع من العيار الثقيل، وعشرة مدافع من عيار اخف، وعشرة مدافع للخنادق، و ١٤٠ رشاشاً، والالوف من البنادق، ومئات الالوف من الرصاص، وادوات وذخائر

الالمان يضحكون

على ان الالمان ضحكوا من هذا الفوز الفرنسي وقالوا انه مما لا يجوز التباهي به، فما احتل الفرنسيون غير اطلال غادرها الالمان ليقينهم ان لا نفع منها

فاجابهم الفرنسيون بان الجند الالماني كان على استعداد لرد الهجوم ولكنه عجز عنه. ووفروا لهم الادلة. فنشروا لهم امراً اذاعه القائد «فون وهل» الالماني في ٢٣ تشرين الاول ١٩١٦ في قواته يقول فيه: «جاءني ان الفرنسيين مستعدون للقيام بهجوم على فردون. فعليكم ان تحافظوا على مواقفكم مهما يكن من الامر، وعلى المشاة والرشاشات ان يتأهبوا ابداً لرد كل هجوم فرنسي».

وجاؤوهم بامر آخر اذاعه في ١٦ ايلول قائد الكتيبة ١٩٢ وقال في ختامه: «واخيراً على الضباط ان لا يرحموا ولا يتهاونوا، بل عليهم ان يتخذوا تدابير قاسية لا رحمة فيها حيال كل من يبدو لهم انه لا يقوم بواجبه»

اقوال الفرنسيين

وقال الفرنسيون: ليس للصحف الالمانية، ان تخفف من قدر



القائد مانجان

صاحب المأثرة الكبرى في فردون

ذاع عن القائد مانجان انه رجل القوة والعزم. وبدا منه في المعارك التي خاضها في الحرب العالمية انه ذلك الرجل ، فكان عظيم الثقة بنفسه ، صلب العود ، واعماله دلت على ان هذه الثقة كانت في موضعها

ولد « مانجان » في سنة ١٨٦٦ في ساربورغ . والقيادة التي عهد بها اليه القائد « نيفل » في فردون اظهرت مواهبه كافة . فهو الذي استعاد حصن « دوومون » وحصن « فو »

وتولى في شهر كانون الاول ١٩١٦ قيادة الجيش السادس فقام بهجوم نيسان ١٩١٧ ، ثم انتقل الى قيادة الجيش التاسع فالعاشر وادار بدقة وخبرة في شهر حزيران ١٩١٨ هجوم « كومبيان » ، وكانت له اليد الطولى في اقصاء الالمان عن فرنسا

الانتصار الفرنسي في « فو » و « دوومون » بعد مثل هذين البلاغين .

فان جلاء القوات الالمانية عن اطلال مهدمة لا فائدة من الاقامة فيها لا يدعو الى مثل هذا التشديد من القادة الالمان في دعوة الجيش الى الاحتفاظ بمواقفه !

على ان الصحف الالمانية ظلت تسخر بالفوز الفرنسي قائلة فيه انه لا يستحق الابتهاج به ولا التباهي باحرازه والالمان لم يقاتلوا كما يجب ان يقاتلوا ، بل انصرفوا عن ديار ليس منها بعد تهديمها ادنى نفع حربي !

والحق يقال..

والحق يقال ان عاظم الالمان عود الفرنسيين الى امتلاك حصن « فو » وحصن دوومون في فردون. ورأوا ان لا يتراجعوا والا خسروا المعركة بكاملها واضطروا الى التراجع عن فردون لآخر مرة. فاعتزموا في ١٥ كانون الاول ان يقوموا بهجوم من الجبهة الممتدة من « فاشيروفيل » الى « بيزونفو »

وهذه الجبهة كانت تحتلها خمس فرق المانية . وما برح الفرنسيون يرمونها منذ ١٠ كانون الاول بالقذائف. وفي ١٥ منه اندفعوا الى الاستيلاء على قمة « فاشيروفيل »

وحصن الالمان الموقع كل التحصين . فطوقوه بالمدافع الرشاشة ، واقاموا حول قمة « بوافر » الاسلاك الشائكة والخنادق ، فاضحت كأنها قلعة من القلاع المنيعة ، تقوم فيها الاروقة والاستحكامات

وما اكتفى الالمان بتحصين هذين الموقعين بل اهتموا بتحصين سائر المواقع التي احتلوها في منطقة فردون . فما اهملوا « لوفون » ولا « كوريت » ولا غابة « شوفور » وغابة « كوريار »

معركة تنتهي باحد عشر الف اسير

ونشبت المعارك ، ودامت ثلاثة ايام ، غير ان الالمان ادركوا انهم خاسرون ، وان كل جهد منهم لا ينيلهم ما يبتغون، فهو ذاهب سدى. وكانوا يهجمون بشدة وبسالة وهم على يقين انهم يعالجون المحال، فان خسارة ذينك الحصنين اقلقتهم واوضحت لهم سوء المصير . فتغلب عليهم الفرنسيون واسروا منهم احد عشر الف جندي بينهم ثلاثمئة ضابط ، كما استولوا على ١٧٥ مدفعاً ، الا ان ثمة فريقاً من الالمان

اتلف بعض هذه المدافع قبل وقوعها بين ايدي الفرنسيين

شكوى الالمان

ووقوع مثل هذا العدد من الاسرى بين ايدي الفرنسيين لم يكن منتظراً . فما استعدت له القيادة الفرنسية ، ولذا اضطرت الى اهمال امر الاسرى ، فما وفرت لهم كل ما يحتاجون اليه . فتململ الالمان وشكوا امرهم الى القائد الفرنسي « مانجان » ، ومن المعروف عن « مانجان » انه ذو لهجة قاطعة ، فاجاب من نقل اليه الشكوى :

— ابلغ هؤلاء السادة اننا لم نكن نرقب منهم هذا الفيضان !

القائد مانجان يخاطب قواته

والقوات الفرنسية التي قاتلت الالمان في جبهة « فاشيروفيل — بيزونفو » لم تكن تزيد على اربع فرق ، فهي فرقة القائد « ميتو » ، وفرقة القائد « غوبو ده سالان » ، وفرقة القائد « غارنيه دي بلامي » ، وفرقة القائد « باساغا »

وقبل بدء القتال خاطب القائد « ميتو » قواته بقوله : « السلام على العلم ، سنعرف كلنا واجبنا كفرنسيين ونحن نستمد منك شعار الخافق بين طياتك . المدفع يقصف ليمهد امامنا الطريق الى النصر .. »

وقال القائد باساغا : « شجاعتكم نزعت من عيون النساء الفرنسيات دموع الكبرياء !.. »

وتكلم القائد « مانجان » على اثر المعركة فاسمع قواته قوله :

« ايها الجنود !

« في ١٥ كانون الاول ، من نهر « موز » الى « ويفر » ، على جبهة طولها عشرة اميال خرقتم الخطوط الالمانية ودفعتم جبهتنا الى مواقع اثبتنا فيها شجاعتكم . وبلغت مقدماتنا استحكامات الاعداء فهدمتها وعطلت مدافعها

« لقد اسرتم احد عشر الفاً وثلاثمئة وثلاثة جنود ، وعطلتم ١١٥ مدفعاً واستوليتم على عدة مئات من الرشاشات وعلى اعتدة وافرة . والاجل يقيكم بالفوز الاخير . ففي معارك ٢٤ تشرين الاول و١٥ كانون الاول ، وقد نشبت في ارض يسهل الدفاع عنها ، وزادها الفصل سهولة ، اظهرتم ان بالامكان قهر عدو يتفوق عليكم بعدده ويملك مدفعية ضخمة

« اصدقائي !

« اما وقد عرف اعداؤنا انهم عاجزون عن قهرنا في ميادين القتال فانهم ليجرؤون على ان ينصبوا لنا شركا يحملوننا به على عقد الصلح قبل اوانه . وفيما يجهزون انفسهم بالسلاح ينادي بعضهم بعضاً :

« ايها الرفاق ...» وانتم تدركون معنى هذه الحركة

« رفض اباؤنا الذين نادوا بالثورة ان يفاوضوا عدوهم بالصلح ما دام يدوس ارض الوطن المقدس ، ما دام لم يطرح بعيداً عن حدودنا الطبيعية ، ما دام الحق والحرية لم يقهرا الطغاة قهراً نهائياً

« لن نفاوض مطلقاً حكومات لا تحترم عهودها ولا ترى في المواثيق غير قصاصات من الورق . هذه حكومات سنفرض عليها مشيئتنا عندما ننزع منها كل قوة على الشر والاذى

« لقد فغروا اشداقهم الخبيثة فاجبتموهم بفوهات بنادقكم ورؤوس حرابكم . كنتم صفوة رسل الجمهورية . والجمهورية تشكركم — مانجان »

انقاذ فردون

ونجت فردون . نجت في هذه المرة كما نجت في بدء الحرب الكبرى . فعجز عنها ولي العهد الالماني في المرتين . ولقد كان للمدفعية شأنها الاكبر في القتال . فاطلقت قذائفها بشدة وعنف على مدة اربعة اشهر متوالية . فانقض الحديد ليل نهار كالسيول على طول الجبهة . وبدت قمم الجبال مكسوة ابداً بالدخان والانفجار فيها يتلو الانفجار . وهذه السيول الجارفة من القذائف كانت تمنع القوات الهاجمة من بلوغ هدفها الا وقد سقط منها على الارض ربع عددها . على ان الضرورة كانت تقضي بالهجوم . فيندفع الجنود وهم يعلمون انهم سائرون الى الموت !

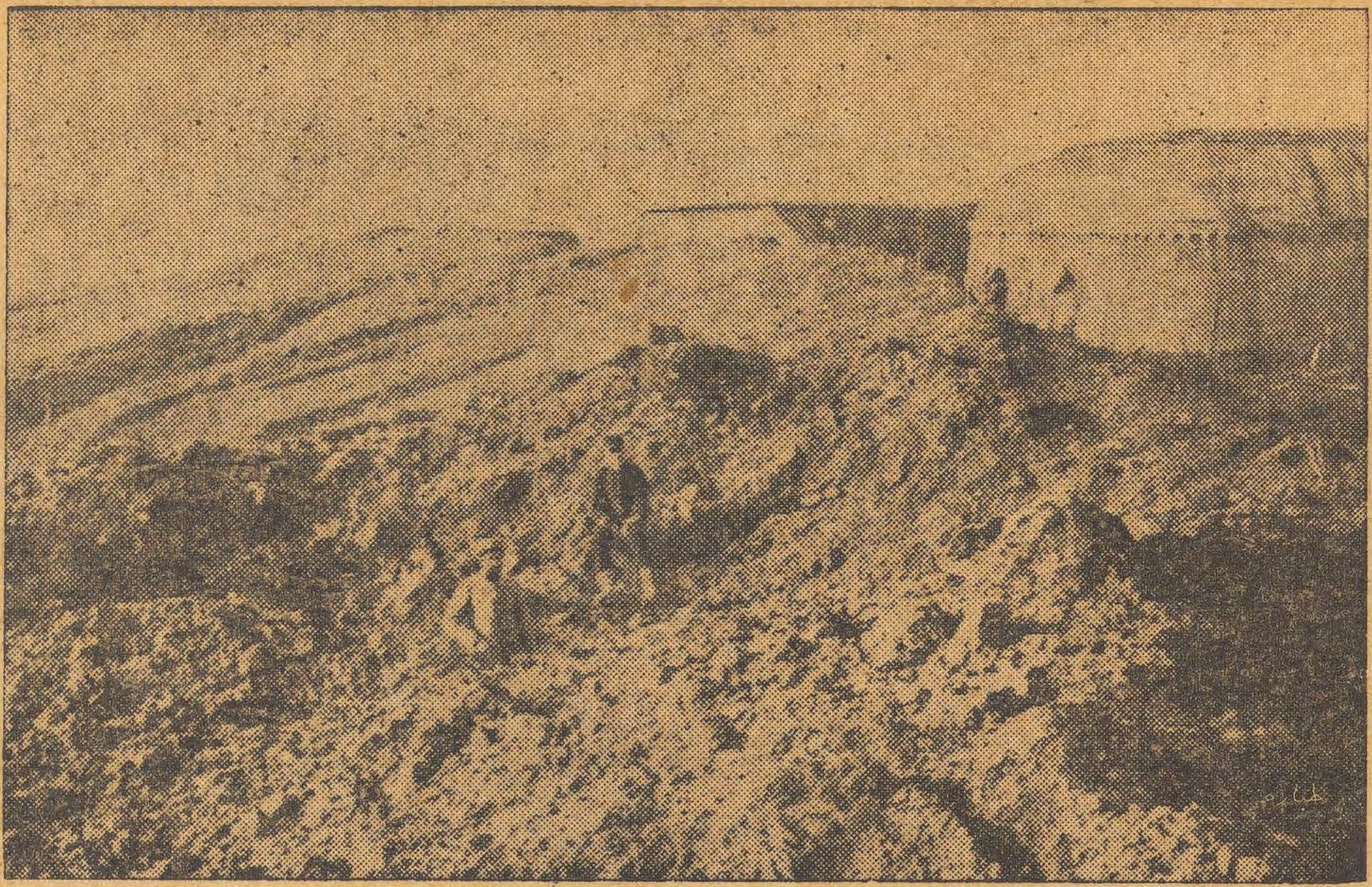
هذه هي معارك فردون !

وتحت القذائف المستمرة الانفجار ضاع من الخنادق كل اثر . ففي الخطوط الاولى كان الجند يتقي نار اعدائه باختبائه في ما تحدثه القذائف من حفر

ملايين القذائف

وبلغ ما انفق الجيش الفرنسي الثاني من القذائف في معارك فردون الاخيرة الملايين . فمنذ ٢١ شباط ١٩١٦ الى ١٥ حزيران ١٩١٦ توالت على جهة القتال ست وستون فرقة من الجند الالماني ، مع ان قوات الجيش الفرنسي الثاني الذي يتولى الدفاع عن فردون لم تكن تزيد على اربع وعشرين فرقة . ومجموع الجيش الفرنسي بكامله ٩٥ فرقة

والمدفعية وهي مؤلفة في فردون من الف ومئة قطعة من عيار ٧٥ ، ومن مئتين وخمس وعشرين قطعة من عيار ٨٠ الى عيار ١٠٥ ، ومن خمسمئة قطعة ضخمة قوية ، استهلكت في مئة وستة عشر يوماً عشرة ملايين وثلاثمئة قذيفة من مدافع ٧٥ ، ومليوناً ومئتي الف من



منحدرات حصن « دوومون » احد حصون فردون

وهو الحصن الذي استولى عليه الالمان في بدء المعارك ثم عاد الفرنسيون فاستردوه

عيار ٨٠ الى ١٠٥ ، ومليونين وستمئة الف قذيفة من العيار الضخم

كل هذه القذائف استهلكتها معارك فردون الناشبة في سنة ١٩١٦ ، هذا من الجانب الفرنسي وحده ، فكيف من الجانب الالماني ؟ لا ريب ان ثمة عدداً اوفر والالمان قد ضربوا فردون بكل ما افاضت به عليهم مناجمهم من حديد !

رواية مؤرخ فرنسي

ووتحدث الكاتب الفرنسي السيد «هنري بيدو» ، صاحب كتاب « تاريخ الحرب الكبرى » عن ختام معارك فردون ، بل الفصل الذي يبدأ فيه نصر الفرنسيين فقال :

« في اواخر صيف ١٩١٦ تنفست فردون بانتصار الفرنسيين على ضفاف نهر «سوم» ، غير ان ولي العهد الالماني ما برح يضايقها . ولشدة ما عانت وما قاومت باتت اسطورة من الاساطير . فاقبل الناس من كل حدب وصوب يحجون اليها . ومنذ ٤ نيسان استقبل حاكمها العسكري القائد «ديبوي» السيد «اتوس رومانوس» سفير اثينا في باريس و كان يصحبه موريس بارس ، كما اقبل في اوائل ايلول رئيس انشاء «التيمس» ورئيس اساقفة «كانتوربيري» ووزير الحرب في انكلترا

السيد لويد جورج

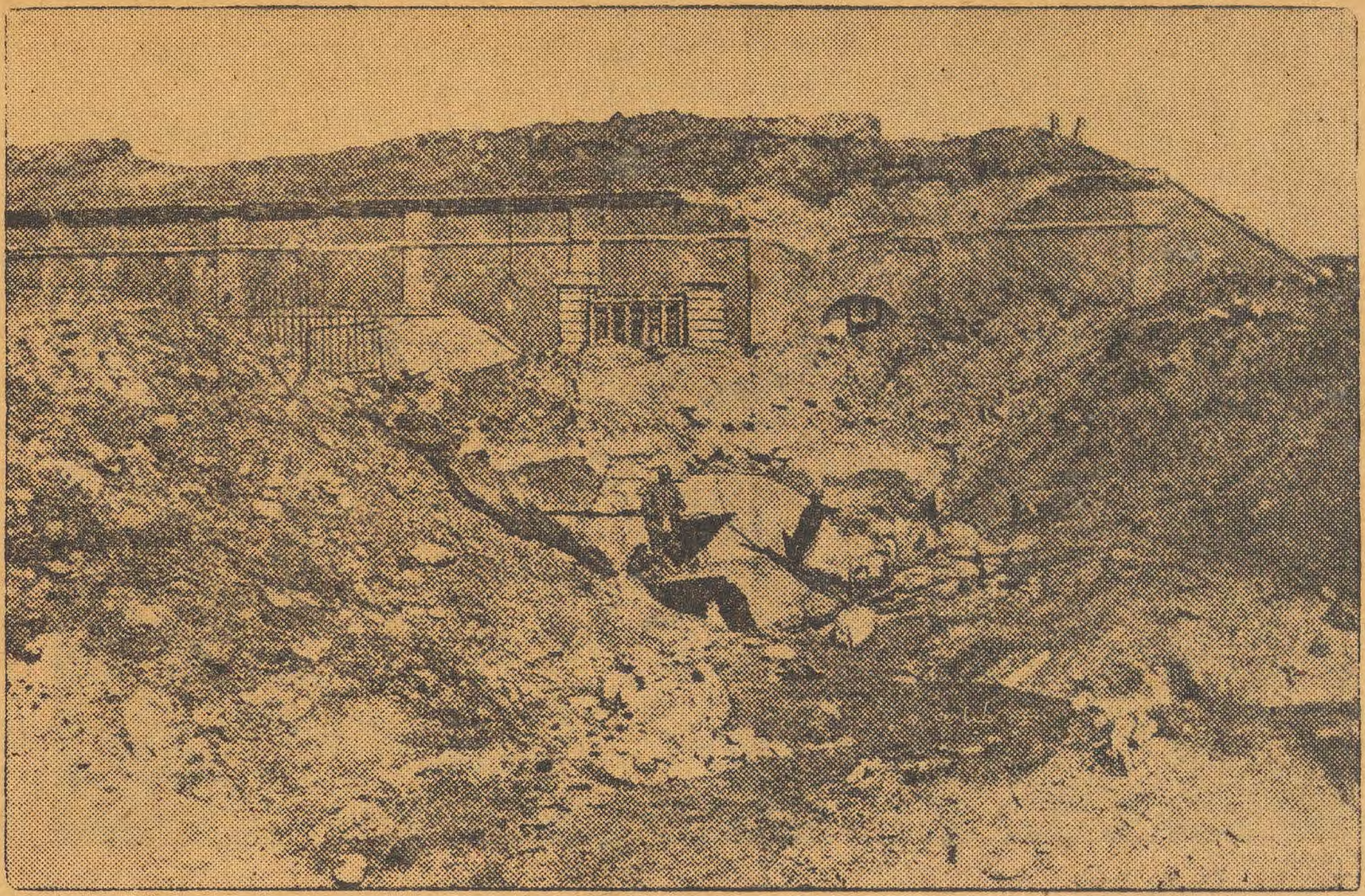
بوانكاره في فردون

وفي ١٣ ايلول ، في جو وافر الضباب ، وقفت كتيبة من لواء القناصة التاسع والاربعين امام احد مداخل فردون . واقام القائد « ديبوى » واركان حربه بالانتظار . وسمعوا من بعيد قصف مدفع . واجتازت بعض السيارات باب المدينة . ووصف « هنري بوردو » الكاتب الفرنسي المعروف المشهد فقال : «فيما الابواق تنفخ في الحقول انسل من المدخل واحداً بعد واحد كل من رئيس الدولة والوزراء والقادة ورؤساء بعثات الحلفاء ومعاون حاكم مدينة فردون ووكيل المحافظ »

والمدخل كست سقفه الاعلام ، وتتلألأ فيه المصابيح الكهربائية كالثمار . وحجبت اعلام مختلفة الالوان والخطوط الجدران . هي اعلام الحلفاء . ووقف رئيس الجمهورية على دكة عالية يحيط به وزير الداخلية ووزير الحرب والقادة جوفر وبتان ونيفل ومانجان وديبوى

خطاب رئيس الجمهورية

وتكلم رئيس الجمهورية فقال :



حصن « فو » الشهير في فردون

وهو الحصن الذي سقط بين ايدي الالمان لدى مهاجمتهم حصون فردون، على ان الفرنسيين مالبثوا ان استعادوه نزولا على الخطة التي وضعها القائد « مانجان » وقد تولى بنفسه تسيير حركات القتال

— ايها السادة على هذه الجدران تحطمت الامال الالمانية العظمى !

واشار عن خطة الحلفاء المقررة في كانون الاول ١٩١٥ في « شانتيي » والى مجهود الالمان لتهديم هذه الخطة في ٢١ شباط ، اي يوم مهاجمتهم فردون ، ولكن الجنود المدافعين عن فردون عرفوا كيف ينفذون الخطة المقررة مع كل ما اعترضهم من صعاب

الى ان قال : فالشرف كل الشرف لجنود فردون، لقد زرعوا وسقوا بدمهم الزرع النابت اليوم !

وزاد فقال : ان اسم فردون يمثل لدى المتصمين بعزلتهم ولدى حلفائنا اجمل واطهر وافضل ما في الروح الفرنسية !

وانحدر درجة عن الدكة وقال :

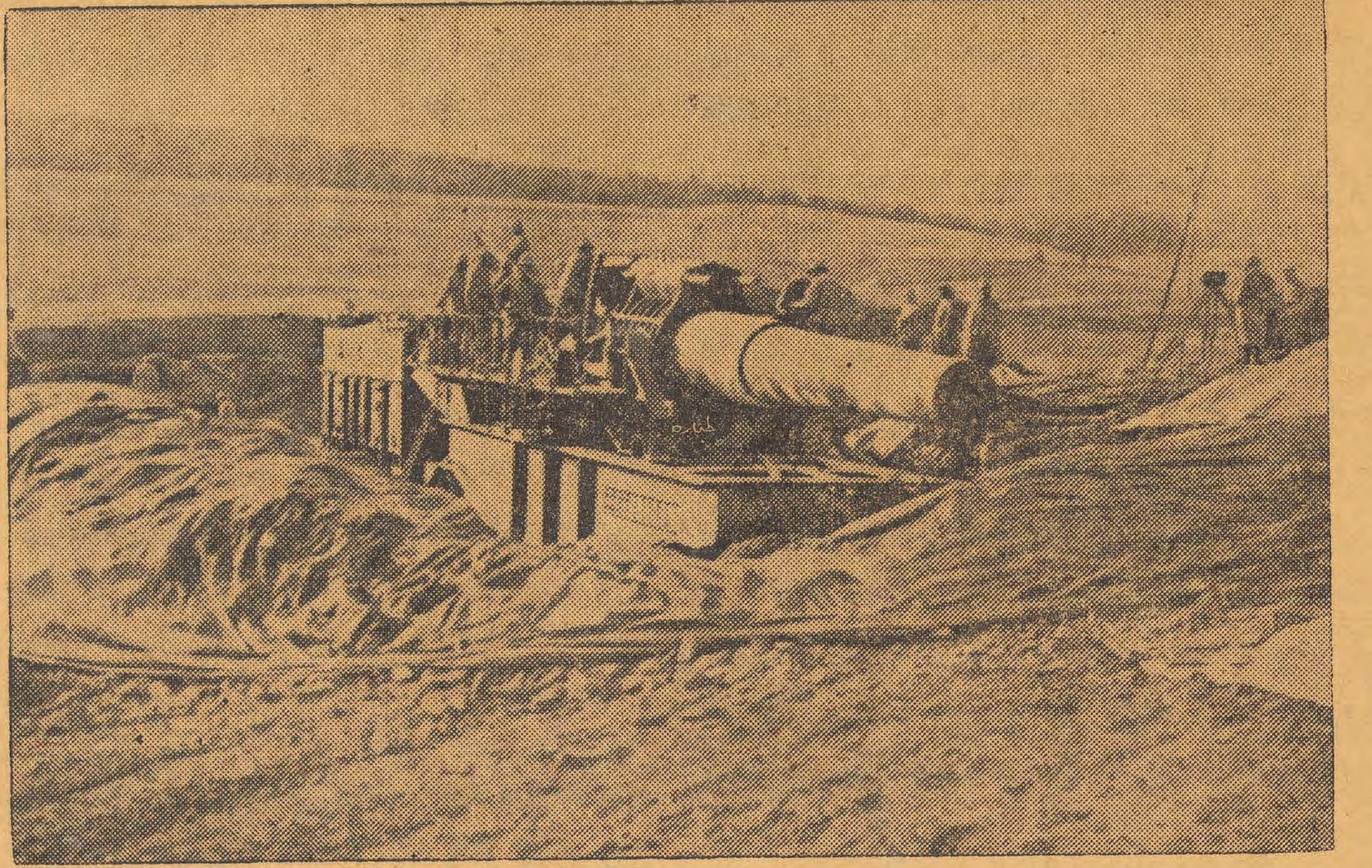
— ايها السادة ، لمدينة فردون المعذبة لاجل فرنسا ، لمدينة فردون المضحية لاجل قضية الحق الابدي المقدسة ، لمدينة فردون التي ابقى المدافعون عنها الابطال امثولة من العظمة الانسانية لا تمحى ، اقدم باسم صاحب الجلالة امبراطور روسيا صليب القديس جورج ، باسم صاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى وارلندا النوط العسكري ، باسم صاحب الجلالة ملك ايطاليا النوط الذهبي العسكري ، باسم صاحب الجلالة ملك البلجيك صليب ليوبولد الاول ، باسم صاحب الجلالة ملك صربيا وصاحب السمو ولي العهد النوط الذهبي العسكري ، باسم صاحب الجلالة ملك الجبل الاسود نوط « اوبيليتش » العسكري ، باسم حكومة الجمهورية الفرنسية صليب جوقة الشرف وصليب الحرب الفرنسي ! »

وهذه الاوسمة علقت واحداً واحداً على الوسادة التي كان يحملها احد اعضاء مجلس فردون البلدي

الحالة في تشرين الاول

بدا من الحالة في شهر تشرين الاول ان معارك فردون اشرفت على النهاية . فخفت وطأة القذائف ، وبات المشاة في حفرهم ، وامسى كل من الفريقين يمسك بخناق الاخر

وكان ولي العهد قد هاجم في ١١ تموز ١٩١٦ حصن « سوفيل » . وروى القائد « مانجان » في كتابه « كيف انتهت الحرب ؟.. » هذا الهجوم فقال : « بعدما اعدت المدفعية بكل ما لديها من عزم طريق



احد المدافع المتولية الدفاع عن فردون

وهو مدفع من عيار ٤٠٠ كان له الاثر البليغ في صد الهجمات الالمانية عن الحصون

المرور ، وساعدتها في مهمتها الغازات الخانقة ، اطلق ولي عهد المانيا ثلاثة عشر لواء تنتمي الى خمس فرق مختلفة من منحدرات «تيومون» الشرقية حتى غابة « فوشابيتر » . وامتد الهجوم في ١١ منه قليلا، الا انه في ١١ وقف بعض الوقوف . واسرت حامية الحصن فصيلة صغيرة من الالمان. ووقعت عدة هجمات فجائية تقدم بها الالمان خمسمئة ذراع في جنوبي فلاري على جبهة عرضها الف ذراع ، الا انه ربح كلفهم غالياً . ولم يلبث الفرنسيون ان انقضوا على الالمان واستعادوا الاراضي المحتلة واسروا فريقاً من الالمان . وما اقبل يوم ٢٠ تموز حتى كان الفرنسيون يقومون بالهجوم امام «سوفيل» مثلهم حول « تيومون »

ولي العهد لا يتراجع

غير ان ولي عهد المانيا ابى ان يتراجع عن فردون . ففي ٢١ تموز خاطب كتيبة من الفرقة الخمسين بقوله :

— يعتقد الفرنسيون اننا سنفلت فردون بعد قيامهم بهجومهم الكبير على نهر سوم ، انهم لمخطئون، سيلمسون الحيبة بايديهم وسيرون ان الوهم يركب رؤوسهم !

وكانت صدمة ١١ تموز ،فاحتملها الفيلق الفرنسي الحادي عشر الذي تولى قيادته منذ ٥ حزيران القائد «مانجان». وقد امتدت جبهة هذا الفيلق من اليمين الى طريق «فو — دانلو» . وكان مؤلفاً من خمس فرق فاضيفت اليه فرقتان اخريان . وكتب القائد مانجان نفسه عن هذا الفيلق الذي يتولى امره فقال : « هو وحدة تامة في العمل . تساعد في صب النار على العدو . ولدى محاولتنا الهجوم تطلق هذه القوى نارها على جبهة طويلة مما يبيت معه الاعداء في حيرة من امرهم، فلا يدرون اي جهة نريد مهاجمتها. وقد يتفق ان نقوم بهجمات متعددة معاً على مسافة عدة اميال ! »

وبمثل هذه الهجمات التي احسن القائد « مانجان» تنظيمها تسنى للفرنسيين ان يتقدموا في شهري تموز وآب . فوقع في هذين الشهرين بين ايديهم ثلاثة آلاف وخمسمئة اسير . وبعدما تنقل موقع « فلاري» من يد الى يد ، عاد فاستقر بين ايدي قوات المستعمرات المراكشية

وفي ٨ آب مهد لواء « دوالان » الطريق الواقع في الجهة الشرقية والجنوبية الشرقية من قرية « فلاري » ،واحتل القرنة الشرقية . وفي ١٧ منه لدى الساعة السادسة مساء هاجم الالمان وهو ينشد «المارسيلياز» فلم يكن من الالمان الا ان هاجموه من الناحية الشرقية من

جهة حصن «فو» وتقدموا ألفاً وخمسمئة ذراع . فاتسعت قيادة القائد مانجـان وامتدت الى « ويفر » ، وتقهقر الالمان الى اطراف حصن «فو»

واجتاز لواء « أليكسي » في الناحية اليسرى حاجزاً اقامته المدفعية الالمـانية وهبط على خطوط الاعداء وذبح رجال الحامية وجاوز الاهداف المقررة له . غير ان الالمان دافعوا بكل ما يملكون من بطولة عن احدى زاوايا القرية ، ولكن اللواء الثامن هاجمها في اليوم التالي واستولى عليها . ورسخت اقدام الفرنسيين في « فلاري» ونجحت الناحية الشمالية من حصن « سوفيل »

وتلاشت المعركة ، وبانت قرية « فلاري » للفرنسيين ، غير ان الالمان ظلوا في استحكامات « تيومون »

معركة دوومون

ودعي القائد « مانجان » الى النظر في الموقف وابداء رأيه ففعل. وفي ١٧ ايلول كتب تقريراً معلولا . ولم يكن الاستيلاء على حصن « دوومون » وحصن « فو » من الاهداف الرامي اليها تقريره. فما اعتمد الاهتمام بالامر الا بعد اخذ ورد !

واقام الالمان على طول جبهة فردون بين غابة «افو كور» و«ايبارج» خمس عشرة فرقة. وهذه الفرق الخمس عشرة تولت مقاومة تسع فرق فرنسية ، وهي كل ما يملك القـائد « مانجان » من قوات . ولم تتسع جبهة هذه الفرق بل كانت ضيقة

خدعة القائد مانجان

وكان لدى القائد مانجان ٢٨٩ مدفعاً خفيفاً و ٣١٤ مدفعاً ضخماً . على حين ان المدفعية الالمانية كانت تملك عدداً اكبر ، فجابهت المدافع الستمئة القابض على ناصيتها القائد مانجان بثمانمئة مدفع

وشعر القائد الفرنسي بان الالمان اقوى منه في مدفعيتهم فاعتزم ان يجرهم الى شرك يذهب بهم . فدعا رجال مدفعيته الى الاستمرار على ثلاثة ايام متوالية في اطلاق قذائفهم على الخنادق الالمانية ، فقابله الالمان بالمثل . وكانوا قد اخفوا قسماً من هذه المدافع ليوم الهجوم ، ولكن القائد الفرنسي صب عليهم كل ما في مدافعه من قذائف لا كراههم على استهلاك ما لديهم منها . وهكذا كان . فانطلقت المدافع الالمانية باسرها تقذف باحشائها ، فعطلت المدافع الفرنسية القسم الكبير، ولمـا حـان الهجوم لم يكن لدى الالمـان من مدافع ضخمة صالحة للعمل غير تسعين بطارية ، فقد اكرهها القائد «مانجان» على كشف نفسها كي يسكتها قبل اقدامه على الهجوم العام

ووضع القائد «مانجان» نصب عينيه هدفين، الاول استحكامات « هوردمون » وغدير « لادام » واستحكامات « فوس كوت » وغابة « فوشابيتر » ، والاخر في جهة اليمين القصوى امام حصن « فو» وخندق « فيالا » في غابة « فيهان» وخنادق «ستانيمتز» و « وودر» واستحكامات « دانلو »

وبعد الاستيلاء على هذه المواقع تقف القوات ساعة من الزمن لتنظيم نفسها ثم تمشي الى الخط الالماني الثاني .

الهجوم يبدأ

وكان الهجوم ، وقام به الجيش الفرنسي تحت الضباب . وتأهب الالمان لصد المهاجمه ، غير انهم تأخروا عنه اثنتي عشرة دقيقة ، واذا الفرنسيون يحتلون الخطوط الالمانية الاولى

وحقق الفرنسيون الهدف الاول . وازداد تقدمهم . وفي اليسار الاقصى استولوا على استحكامات « هودرومون » . ونفذت الخطة بتمامهـا . وخدمهم النصر فاقصوا الالمان عن حصن « فو » واحتلوه وسلمت فردون !

اعظم معركة حربية في الحرب الكبرى

لماذا خرج الاسطول الالماني من قواعده وخاض معركة «جوتلند»

سر لا تبوح به المانيا حتى اليوم

انكلترا سيدة البحار

هل من يدري لماذا برح الاسطول الالماني في ٣١ ايار ١٩١٦ مقره وانطلق الى بحر الشمال وكانت على الاثر معركة «جوتلند» المفجعة ؟...

ليس من نكبة بحرية توازي نكبة «جوتلند» سوى معركة «ترافلغار» في سنة ١٨٠٥، وفيها تحطم اسطول نابوليون الاول وتغلب عليه القائد نلسون الانكليزي. فان بين المعركتين وجهاً عظيماً من الشبه. الاولى رغب فيها امبراطور يريد تدويخ العالم، والاخرى دعا اليها امبراطور يريد اجتياح الكون. القصد من الاولى تهديم انكلترا، والقصد من الاخرى تهديم انكلترا. وفي الاولى انتصر الانكليز وفي الاخرى انتصر الانكليز. وفي الاولى فني اسطول فرنسا وفي الاخرى فني اسطول المانيا

اذاً فالفاجعتان تتشابهان. وقد اعاد بها التاريخ نفسه وضمن لانكلترا امنيتها الغالية، وهي سيادة البحار

ولكن الدافع الى المعركة

ولكن ما اهاب بالالمان الى خوض المعركة وهم لا يجهلون مصيرها؟.

اسطولهم يرسو في «كيال» مطمئناً وغواصاتهم تقوم مقامه في العمل. ووفقت هذه الغواصات في مساعيها توفيقاً عظيماً. فاقلقت الحلفاء ودعتهم الى الحذر. فضيقوا عليها في كل مكان واستطاعت ان تفر منهم وتعبث بشباكهم وسفنهم. وهذا يكفي. وربما كان يزيد. فالاسطول الالماني مع كل ضخامته عاجز عن الاسطول الانكليزي. وهذه حقيقة يعترف بها الالمان انفسهم، وبقاؤه جاثماً في احواض «كيال» بعيداً عن كل خطر افضل له من التعرض لخطب جلل

ولكن الاسطول الالماني شاء براح قواعده. لماذا ؟... هنا هو السر. وهذا السر لم تعلنه الدولة الالمانية، فهي شديدة التحفظ فيه. وتحفظها مال بالناس الى الافتراض. فتراءى لهم ان المانيا تضايقت اقتصادياً بعد ذلك الحصار البحري الذي ضربته عليها انكلترا فنهدت الى الخلاص من الضيق، الى تحطيم السلاسل المكبلة بها، واوجعها ان ترى اسطولها محبوساً في احواض «كيال» لا يستطيع شيئاً فدفعته الى العمل، فقد يوفق حيث لا يرجو التوفيق

ماذا افترض الحلفاء

وهذا الافتراض لغط به الحلفاء اكثر من الجميع. غير ان ثمة من يقول ان الحالة الاقتصادية في شهر ايار ١٩١٦ في المانيا لم تكن وحدها الدافعة الى هذا الهجوم البحري العام. لقد بدأ الجوع يفتك بالالمان، اجل، الا ان فتكات الجوع لا تهيب بالامبراطور غليوم الى اطلاق سفنه بكاملها دفعة واحدة لمقاتلة الاسطول الانكليزي

فالقتال اذاً كان في سبيل احراز النصر، لا في سبيل الخلاص من الجوع. فالخلاص من الجوع لا يدعو الى مثل تلك الاطلاقة الهائلة. فالاسطول الالماني مشى باجمعه من احواض «كيال» ومصب «ويزر» الى مجابهة الاسطول الانكليزي. واذا الاسطول الانكليزي يقف منه وجهاً لوجه. وهو لم يكن يرقب هذه المفاجأة، وكان يكفيه ان ينجو الى البحر الابيض وان يصطدم بقوة ضئيلة من الاسطول الانكليزي فيقهرها، لا بالاسطول كله وثمة الفناء المحتم. ولكن الوقيعة وقعت. وكل قصد الاسطول الالماني من بلوغ البحر الابيض ان يضرب فيه المرفأ الروسي «اركانجل»، وهو المرفأ الروسي الاوحد الواردة عليه من فرنسا وانكلترا واميركا الذخائر التي يحتاج اليها



ولي عهد المانيا يوزع الاوسمة على جنوده في فردون

رسم ولي المانيا يعرض جنوده البسلاء ويوزع عليهم الاوسمة وقد ابدوا من البطولة في خوضهم معارك فردون ما أثار منه كل اعجاب

الروس للمضي في القتال

هذا ما تراءى لفريق من الناس . وحجة هؤلاء ان المعركة نفسها تشير الى ان النية كانت متجهة الى منع المدد عن روسيا . فالاسطول الالماني سار بجانب الشواطىء الهولندية للحؤول دون وصول اعتدة الحرب والمؤن الى الروس

الفائدة من تهديم اركانجل

وتهديم مرفأ « اركانجل » ذو فائدة عميمة للالمان ، خصوصاً وقد بدأت الثلوج تذوب في البحر الابيض ، واوشك الطريق الى روسيا ان يبيت ممهداً ، والسفن الاميركية والانكليزية انطلقت في هذه المياه مشحونة بالذخائر والمؤن ، وهذه الذخائر والمؤن تصل الى روسيا من طريق مرفأ اركانجل ، فاذا ما تهدم هذا المرفأ وسدت عليه الطرق عانت روسيا الشدائد ، فالجوع يدهمها والذخيرة تنفد منها فتضمحل قوة كبيرة تهدد المانيا من الشرق

ثم ان المانيا كانت ترقب واسطولها يبرح احواض « كيال » ومصب « فيزر » ان يقع هذا الاسطول على بعض الاسطول الانكليزي فيحطمه ويدرك الفوز المزدوج

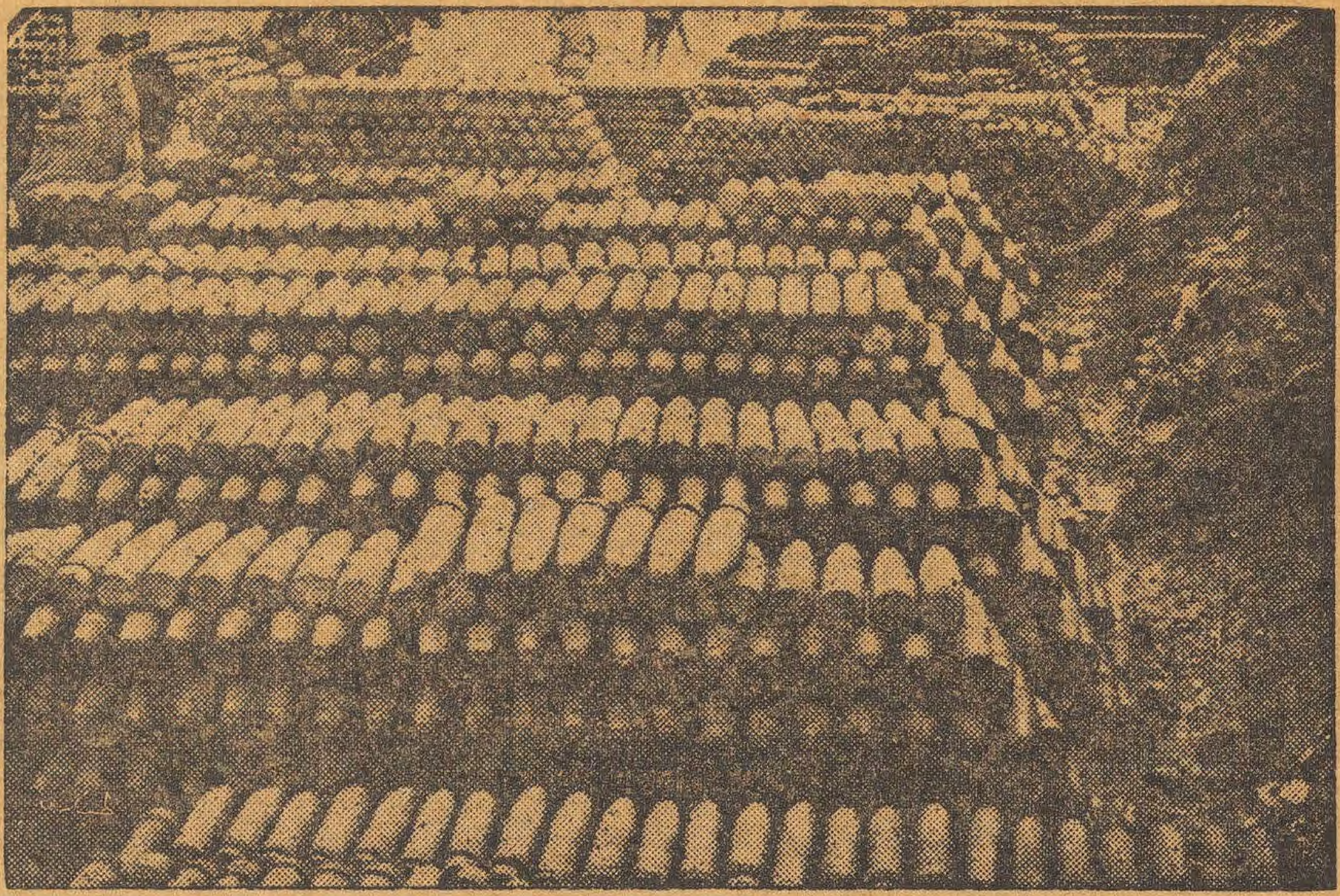
وكان ما توقع الالمان . فان اسطولهم وقد قسم الى ثلاثة اقسام في براحه قواعده اصطدم باسطول انكليزي يجوب بحر الشمال . ونشبت المعركة . وكانت حامية . ولو فاز فيها الالمان للقي الحلفاء كل سخرية من جانب الائتلافيين . ولتسنى للاسطول الالماني ان يخرق نطاق الحصار البحري المضروب عليه ، والحال دون كل اتصال بروسيا

طريقة الحصار

ولم تعمد انكلترا الى محاصرة المانيا بما تملك من اساطيل ضخمة بل بما تملك من سفن قديمة . وما لبثت ان احتاجت الى هذه السفن فجاءت بالبواخر التجارية وجهزتها بالمدافع وحولتها الى مراكب حربية . وتألف من هذه البواخر اساطيل متعددة . وعرف ضباطها وملاحوها كيف يتولون المهمة الموكولة اليهم مع انهم لم يتعودوها . فاحتملوا مشقاتها بصبر ولم يحفلوا وهم يتعرضون لاخطارها ، ولم تكن اخطارها مما يستهان به وثمة الالغام والغواصات والعواصف

وكانوا في شبه عزلة . فكان يتفق لهم احياناً ان يقيموا من اربعين الى خمسة واربعين يوماً بعيدين عن الناس . فلا تصل اليهم في كثير الاحيان غير الاخبار التي يلتقطونها باللاسلكي . وكثيراً ما كانوا لا يرون بعضهم بعضاً ، فتضطر الباخرة الى اجتياز مسافة عدة ايام قبل ان تلوح لها سفينة اخرى

وكثرت الخدعة . والخدعة في الحرب جائزة . فكانت بعض المدرعات الالمانية تتنكر وتقبل الى جس النبض وخرق خط الحصار.



مستودع للقذائف في ضواحي فردون

يبدو في هذا الرسم مستودع للقذائف في ضواحي فردون . وقد تراكم بعضها فوق كقطع الحطب . فالناظر اليها يحسبها حطباً لا قذائف ، ويتراءى لها انه امام مستودع للوقود ، وهو مستودع للوقود ليس فيه ريب ، الا انها وقود للاجساد البشرية لسوء الحظ

فتنجح احياناً وتخيب احياناً . فما ان تقترب من خط الحصار وتفاجيء السفن الانكليزية حتى تدور المعركة

ودارت احدى هذه المعارك بين الطراد الالماني « غريف » والسفينة الانكليزية «القنطرة» ، على ان السفينة الانكليزية تغلبت على الطراد فاحرقته، ولكن الطراد نال مناله منها فثقبها وألقاها في الاعماق بعد عشرين دقيقة من انتصارها

اوهام الحلفاء

ومما يجب اعلانه ان الحلفاء عقدوا على الاوهام آمالا في محاصرة المانيا . فخيل اليهم ان الجوع سيفتك عاجلا بهذه الدولة الجبارة. وما دروا ان هناك دولة جبارة حقاً ، وان هذه الدولة لن تقف مكتوفة الايدي حيال ما يجبها به الحلفاء ، بل تبحث عن وسائل ناجعة تتقي بها ارهاقهم لها

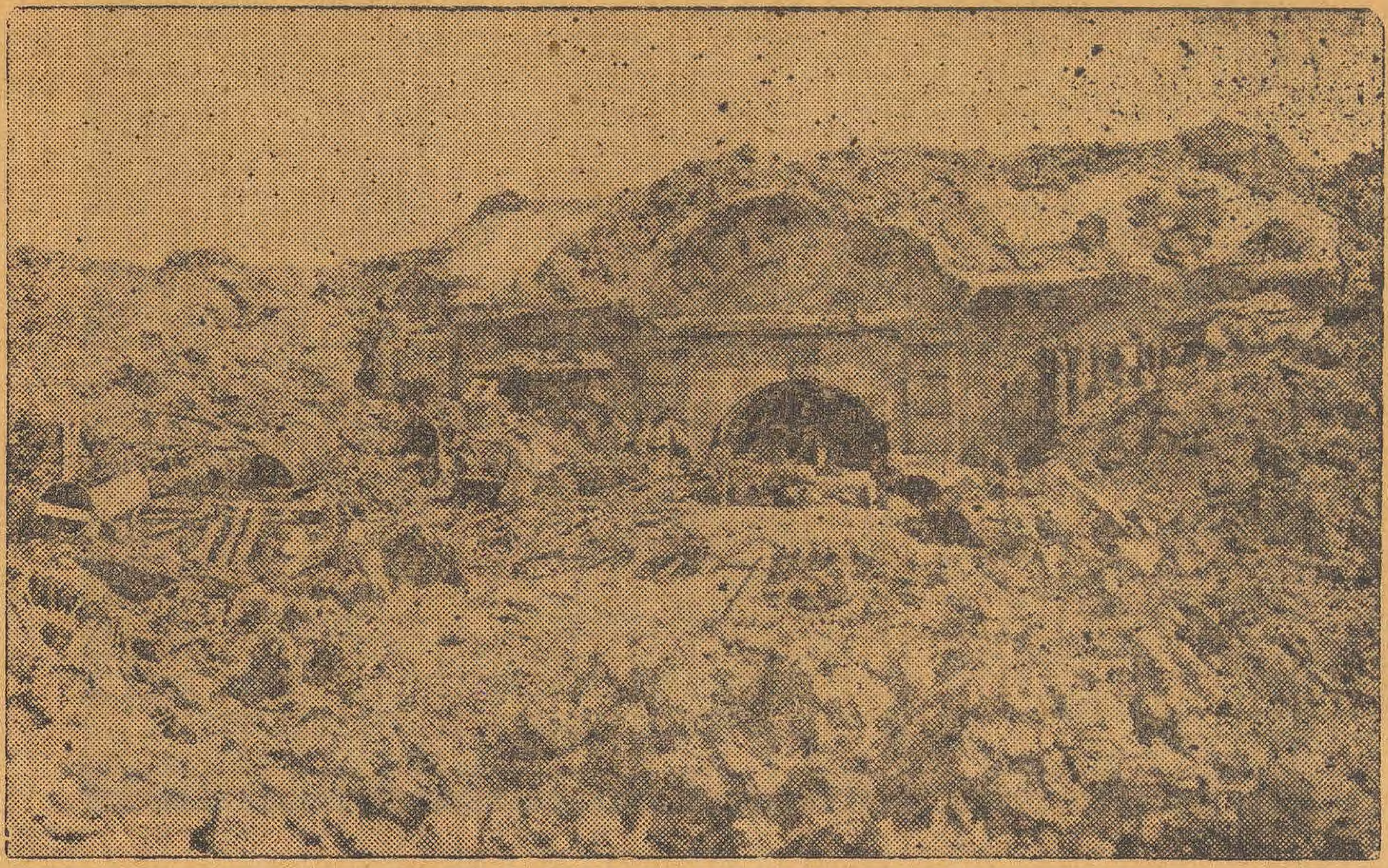
فقد خيل الى الحلفاء ان الجوع وحده سيذهب بالمانيا ، وان تلك الديار الحافلة بسبعين مليوناً من البشر ستلقي سلاحها لا لكونها مقهورة في القتال بل لكونها راوحة تحت اعباء المجاعة . فالجوع يلوي من عودها قبل ان يلوي المدفع والسيف

والمانيا شعرت بالجوع . شعرت بالجوع واسطولها ينطلق الى معركة «جوتلند» ، غير ان هذا الجوع لم يؤثر فيها وقد اقدمت على تنظيم حياتها بما يمنع عنها المجاعة . فخصصت بالافراد مقداراً معيناً من القوت ، ومستشارها السيد «بيتمان هولويغ» مع تصريحه بان المانيا باتت على ابواب المجاعة اعلن بصوت جهير ان الالمان لا يخشون شبح الجوع، وانهم اذا باتوا تحت رحمته سيعرفون كيف يتقونه وكيف يحطمون قيود الحصار المضروبة عليهم

الجوع في المانيا

غير ان الجوع استفحل حقاً في المانيا ، والتخفيض في القوت توالى ، وبرلين نفسها شعرت بالجوع . وفي ٣٠ نيسان ١٩١٦ ، اي قبل نشوب معركة « جوتلند » بشهر واحد ، نشرت « مجلة باريس» كتابا ورد من (بال) جاء فيه :

« امسى الاهلون في « ملهوس » امام حرب الجوع . فالنساء يقبلن بانفسهن الى المخازن يشترين حاجاتهن من الخبز وقد تأخر عنهن



حصن من حصون الدفاع في فردون

هاجم الالمان حصوناً متعددة في فردون، وهذا الحصن لقي من هجماتهم كل هول، غير ان مصير المعركة ضمن الفوز للفرنسيين

التوزيع . كلفت هذه الحرب في مانهايم اكثر من ثلاثمئة امرأة وولد . فالخبز غير موجود مع ان طلابه يحملون البدل بايديهم . وتظاهر الاهلون، غير ان الجند اطلق عليهم نار الرشاشات وهي خير وسيلة لمحاربة الجوع كما يظهر !

كتاب رجل الماني

وبعد معركة « جوتلند » بثمانية عشر يوماً كتب من « هايسن » الواقعة على مقربة من « دوسلدورف » رجل الماني الى نسيب له في الجيش يقول : « قضيت الاسبوع الاشد مضضاً في كل ما مضى من ايام الحرب . فمنذ عيد العنصرة لم نتناول ثمرة واحدة من ثمار البطاطا . وربما لن يصل الينا شيء منها حتى ٢٣ حزيران . ان الحالة لا تطاق حقاً

« فليس من لحم ولا سمن ولا بيض، بل ليس من شيء للاكل. وقد وزعت المدينة بطاقات تخصص بكل من الناس نصيبه من الخبز، غير ان الشعب الفقير هاجم دار الحكومة ، فقابله الجند بالمثل ، وسقط عدد من الجرحى بينهم نساء واولاد

« وسقطت طفلة ابنة ثلاث سنوات بين المتظاهرين فطارت حياتها ، وقد اضطررنا نحن معشر الجائعين الى دفنها بانفسنا ! »

رسائل الجوع

وفي اواخر حزيران جاء في رسالة من « ويشنهوفن » في بافاريا ما يلي :

« يجول هنا في الاذهان ان الحرب لا يمكن ان تدوم ما يزيد على السنة . وقد ثارت الافكار في المدن . وفي ملهوس خلعت نوافذ اربعة منازل . والعمل عمل النساء . ودفعت الحكومة الجنود الشيوخ لتهدئة الحال فرفضوا التدخل في الامر ، فاطلقت الجنود الشبان وكان ان قتل ثلاثون شخصاً . ويقال الان ان من الواجب قتل الملك نفسه، ملك بافاريا ، فاحتجب الملك عن الابصار »

وفي رسالة كتبت في ٩ تموز ومصدرها « اوسترهولز » حكاية فتنة احدثتها النساء وقد هاجمن مركبة تحمل خبزاً معدة لرجال البحر ، ودعي الجند لصد النساء عما يحاولن فرفضوا الطاعة . ولكن رجال الامن اطلقوا اخيراً النار وقتلوا ثماني وعشرين امرأة

وفي « بريم » حدثت فتنة . وقالت الرسالة : « نرجو ان تنتهي الحرب في اقرب آن فتتحسن الحالة ، هذا اذا لم تصر الى اسوأ !..»

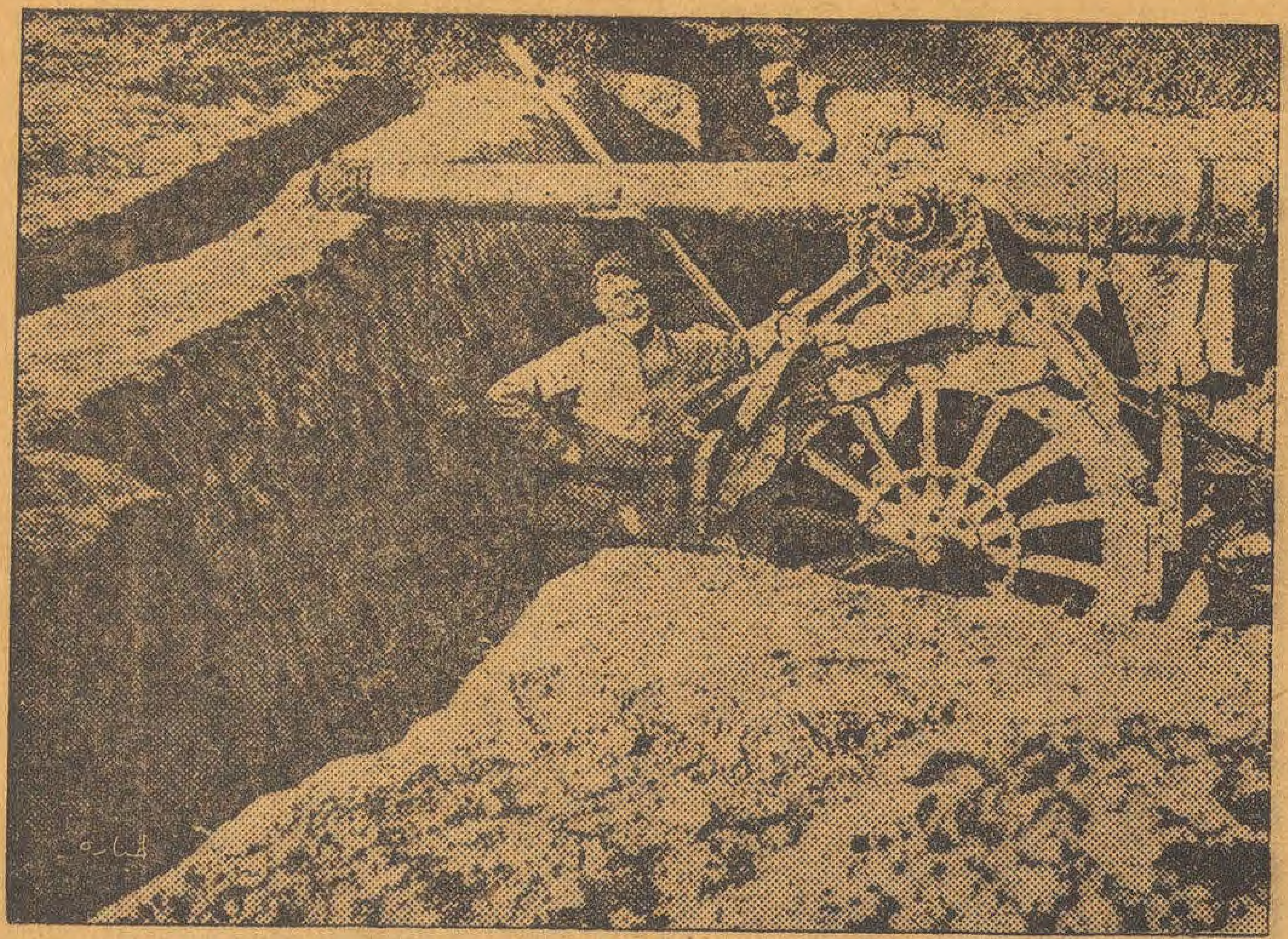
و « مارسل بريفو » الكاتب الفرنسي القدير ابدى رأيه في المانيا في سنة ١٩١٦ ، ولم يقل فيها انها اضحت على رمق اخير بل

مدفع ضخم

من مدافع الحصار في فردون

من المدافع الضخمة التي دافع بها الفرنسيون عن فردون هذا المدفع البادي في هذا الرسم . وهو من مدافع الحصار التي كان لها الشأن الاكبر في صد القوات الالمانية عن تلك القلعة المنيعة، قلعة فردون

واننا لنعجب بهذه الآلات الجهنمية لقوتها في حصد الارواح، وننسى انها تقتل الابرياء لخدمة مطامع رجل او بضعة رجال كل مناهم ان يستولوا على العالم ولو مشوا على جثث الناس!



قال انها في ربيع ١٩١٦ في ضيق شديد ، وان هذا الضيق لا بد له ان يؤثر في موقف الاهلين . فالشعب اذا جاع نقم على ولاة امره كل نقمة وعزا اليهم مصائبه وويلاته . فهم المسؤولون عنه وعليهم ان يتدبروا امره لا ان يبصروه في فاقة ويترددوا او يعجزوا عن انقاذه . فان فعلوا وبدا منهم التهاون او العجز ثار عليهم هذا الشعب وندد بهم ونال من كرامتهم

لا تعتمدوا على رومانيا!

والمانيا كانت تعتمد في غذائها على رومانيا . فكأن رومانيا اهراؤها . غير ان الحلفاء مالوا برومانيا عنها ومنعوها من امدادها بالغذاء . وكتبت في هذا الصدد جريدة «لاغازيت ده كولونيا» تقول : لا تعتمدوا على رومانيا !

واشتدت ازمة الجوع . وعانى منها البلد الالماني الدواهي الشداد مع ان الدولة الالمانية اهتمت كل الاهتمام بتنظيم مصلحة توزيع الغذاء فيها . وفوضت امر هذه المصلحة الى «فون باتوكي» واطلقت يده

ولكن ماذا يستطيع «فون باتوكي» والموسم في المانيا ساءت حالته ، والحصار منيع ليس بالامكان تهديمه ؟..

عقد الشعب الالماني الامال على موسم البطاطا فاذا هذا الموسم لا يبشر بالاقبال ، وحاول الجيش ان يجتاح رومانيا ويستولي منها على غلالها فلم تسعفه يمينه .

رأي الجريدة الالمانية

اجل ،لقد تسنى للالمان ان يقعوا على مواد غذائية في رومانيا وان يستولوا عليها عنوة واقتداراً ، غير ان وسائل النقل فاتتهم في معظمها . وروت ذلك جريدة «لاغازيت ده كولونيا» فقالت: لا يمكن نقل هذه المواد سريعاً . فالامر سيتم بالتدريج. والتوزيع لا يجري الا بعد الوقوف على اراء اللجان الخاصة . ومهما يكن من امر هذه المؤن فمن الواجب ان لا تخرج عن النطاق الاقتصادي الذي ضربناه علينا. هي تساعدنا على سد الثلمات في مؤونتنا وتكون لنا ذخيرة في ايام الحاجة والضيق ، اي يجب ان لا نفكر الان فيها ونطلب زيادة المقدار الموقوف علينا!..»

هذا ما روت جريدة «لاغازيت ده كولونيا» . اما المقدار المحبوس في الاسبوع على كل فرد من الاهلين في سنة ١٩١٦ في المانيا فكان التالي :

لحم وبقاله — ٢٥٠ غراماً

خبز — كيلو و ٧٦٥ غراماً

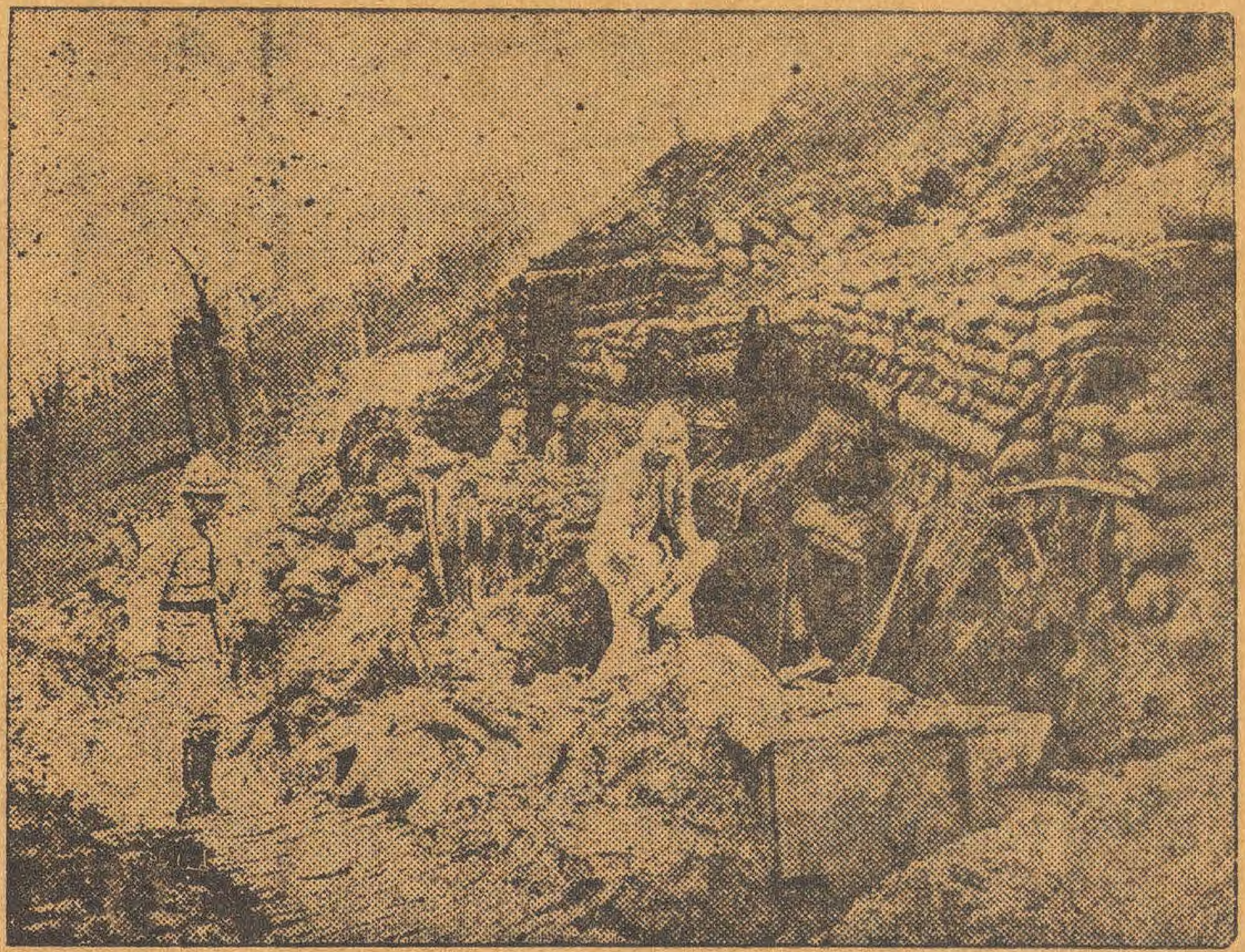
سمن ودهن — ٩٠ غراماً

بطاطا — ٣ كيلو و ٥٠٠ غرام

وهذه التدابير اتخذتها المانيا بعد معركة «جوتلند» . وليس اعلانها غير دليل واضح على ما كانت فيه المانيا واسطولها يخوض اعظم معركة حربية في التاريخ

شكوى الالمان

وشكا الالمان جمود الاسطول . اجل، لقد شكوا هذا الجمود بمرارة. فساءهم ان يبقى اسطولهم محصوراً في احواض «كيال»، بل ساءهم ان يموت ابناؤهم فيسقط الواحد تلو الاخر وان يظل رجال البحر آمنين. فلماذا انشىء الاسطول ان يكن لا يحرك ساكناً ، هل انشىء لتتأمله



مستودع حربي

في المغاور والآكام

رأى المتحاربون بعد كل تضييق صدمهم به اعداؤهم ان يختاروا لذخائرهم الحربية اماكن لا تصل اليها القذائف . والرسم المنشور الى جانب هذا الكلام يمثل مستودعاً في مغارة ينقل منه الفرنسيون ذخائرهم

المانيا وتعجب بضخامته دون ان تعول عليه في ايام الضنك والشدة؟.. وزاد في امتعاضهم ان تخف وطأة حرب الغواصات وكانوا يرون فيها بعض الفرج في تلك الايام الحافلة بالضيق

لماذا تلاشت حرب الغواصات

اما لماذا تلاشت حرب الغواصات فذلك ما يعود الى رغبة الرئيس ولسون نفسه . فالامبراطور غليوم الثاني اضطر الى النزول على هذه المشيئة مكرهاً . فالانذار الذي وجهه رئيس الولايات المتحدة الاميركية الى المانيا فعل فعله . ففي ٤ ايار ١٩١٦ طلب الرئيس ولسون من الحكومة الالمانية ان تمتنع من متابعة حرب الغواصات ، فلا تدفعها الى اغراق البواخر غير الحربية. وطلبت المانيا في مقابل الاعراض عن حرب الغواصات ان تتوسط اميركا لدى انكلترا فتدعوها الى ازالة الحصار البحري ، فاجابت اميركا بكل وضوح ان الامر لا يعنيها ، فمن واجبها ان تمنع عملا غير انساني لا ان تتدخل في شؤون ليس من حقها النظر فيها

وذلك ما اوضحناه في حينه بجلاء ، وهو دليل من ادلة القلق الاقتصادي في المانيا

ولكن هل نجحت المانيا كل النجاح في حرب الغواصات ؟.. لقد نجحت ، لا كل النجاح ، على انها بلغت شأواً عالياً من التوفيق. فكافحت بجهد، واقلقت العالم ، وانزلت في نفوس الحلفاء الاضطراب. ولا نكير ان الخسارة ألمت بها ، وان غواصات غير قليلة من غواصاتها تحطمت وغاصت في اعماق البحار ، غير انها اثارت الجزع حتى في القلوب المتحجرة ، ورأى الحلفاء في مسعاها خطراً عليهم عظيما

شهادة كاتب فرنسي

واعلن الكتاب الفرنسيون ان انكلترا انتقمت من الغواصات الالمانية بتحطيمها . هذا صحيح . الا ان الغواصات الالمانية لم تكن دون الانتقام الانكليزي . فهدمت ونسفت وقامت بالمعجزات

هذه حقيقة واضحة زادت الحرب الكبرى في صقلها وابرازها. فالجبروت الالماني ابى الانحناء امام الضربات المتساقطة من كل صوب عليه

*

ومن هؤلاء المنشئين الفرنسيين الذين تحدثوا عن حرب الغواصات هو السيد « جوزف ريناك » في جريدة « الفيغارو » . فقد قام في اواخر آب ١٩١٥ بزيارة احد الاساطيل الانكليزية . ووصف هذا الاسطول بقوله انه لا يقف حائراً امام الغواصات الالمانية بل يدفعها محطمة الى اعماق المياه

وقال عن هذه الغواصات ان بعضها سقط بجانب شواطىء انكلترا ، والآخر سقط في وسط اليم ، وان امير البحر « جاليكو » ، وهو قائد الاسطول الانكليزي العام ، دله في خريطة حافلة بالدبابيس على الاماكن التي غرقت فيها الغواصات الالمانية. ومما قال ان ثمة غواصات وقعت في الاسر . ذلك ان مطاردة الغواصات الالمانية لم تكن تأتي في البدء بفائدة ، غير ان الادمغة اخترعت طريقة ناجعة ، فاهتدت الى شباك من حديد تضرب بها على الغواصات ، بل تقيمها في طريقها ، فتعجز الغواصة من النجاة والشباك قوية متينة وتقع في الاسر . .



بعد احتلال فردون

كان لفوز القوات الفرنسية في فردون صدى طرب عظيم في قلوب الفرنسيين . وبدا هـذا الطرب في مظهره الاكمل لدى الجيش الفرنسي المحارب في فردون نفسها . فاقبل يهنئ بعضه بعضاً وقد احس انه نجا من كارثة عظيمة

والحق يقال ان ثمة كارثة، غير ان الفرنسيين عرفوا كيف ينقذون انفسهم منها. ولولا ما بذلوا من مجهود وشجاعة لاجتاح الالمان فردون واندفعوا منها الى باريس يحتلونها، والسلام عندذاك على فرنسا !

والرسم يشير الى احتلال القوات الفرنسية احد الخنادق الالمانية وقد استقرت فيه تستريح

اغراق الغواصات لا يتسنى لكل طيار ان يدعيه

الغواصات الالمانية الغريقة

والغواصة الالمانية الاولى التي اغرقها الانكليز هي الغواصة « اي — ١٥ » وقد اسقطتها في ١٧ آب ١٩١٤ في بحر الشمال مدافع المدرعة الانكليزية « برمنغهام »

وفي ٢٢ ايلول ١٩١٤ اغرقت الغواصات الالمانية ثلاث مدرعات انكليزية هي « ابوقير » و « هوغ » و « كراسي » ، غير ان هـذه المدرعات قبل سقوطها في الماء تسنى لها اغراق غواصة من تلك الغواصات المتقلبة عليها

وفي ١٧ تشرين الاول نجحت المدرعة « والديك روسو » الفرنسية في تحطيم غواصة المانية وقد شقتها بمقدمها ، واطلقت النار على غواصة اخرى فنجحت في اسقاطها ، وفرت منها غواصة ثالثة . جرى ذلك في بحر الادرياتيك ، ولم تقبل اليه الغواصات الالمانية قبل سنة ١٩١٥ ، اي ان الغواصات الثلاث التي اصطدمت بها المدرعة « والديك روسو » كانت نمسية ، الا انها في كل حال تنتمي الى دول الائتلاف .

وفي شهر تشرين الاول نفسه حطمت المدمرة الانكليزية «بادجر» غواصة انكليزية تجوب بحر الشمال ، واطلقت الغواصة لها اخطأ المدمرة ، فلم يحسن رجال الغواصة تسديده اليها

الا ان من الافضل اغراق الغواصات بدلا من اسرها . فالمدفع، والقذيفة المحرقة ، واللغم ، وثقب الغواصة ، خير من ضرب الشباك عليها . وهذه الحرب الهائلة شنتها انكلترا على الغواصات الالمانية كما يقول الكاتب الفرنسي، فاضحى في سنة ١٩١٥ اسطول المانيا الصغير نصف ما كان في بدء الحرب عليه

ما هو الاسطول الالماني الصغير ؟

وفي شهر آب ١٩١٤ لم يكن الاسطول الالماني الصغير الحجم كبير العـدد . فلم يكن يزيد على ٢٦ و٢٧ قطعة ، غير ان المانيا اعتمدت زيادته ، فانشأت قطعاً جديدة ، ومن هذه القطع غواصات تبلغ في حجمها حجم المدرعات

واعلن الانكليز قبل سنة ١٩١٦ انهم اغرقوا احدى وثلاثين غواصة المانية ، بيد ان الحكومة الالمانية لم تعترف بسوى خسارة عشرين

ومما تعمدته قيادة البحر الانكليزية ان تهمل نشر انباء فوزها لدى اغراق احدى الغواصات . فكانت تتحامى نشر هذه الانباء كأن الامر لا يعنيها

فلم تخرج عن تكتمها غير مرة واحدة ، وذلك في ٢٦ آب ١٩١٥ لما شاءت ان تذيع ان الطيار « بيغسوورث » حلق فوق بحر الشمال والقى قذائفه على غواصة المانية فاغرقها، ومثل هذا التوفيق في

وفي ١٣ تشرين الثاني ، على مقربة من (وست اند) ، حاولت نسافة فرنسية تدمير غواصة المانية فما تسنى ذلك لها ، على حين ان الاسطول الانكليزي في (دوفر) اصطاد في اعماق اليم غواصة المانية فاغرقها

وفي اليوم الثالث والعشرين من الشهر نفسه ظفرت المدمرة الانكليزية «غاري» بغواصة المانية فاغرقتها . وفي اليوم نفسه اطلق اسطول امير البحر الانكليزي «هود» النار على احدى قواعد الاسطول الالماني في «زيبريج» في الشمال الشرقي من « اوستند » ، فاغرق ثلاث غواصات يشيدها رجال البحر في المانيا

وفي سنة ١٩١٥ تم للاسطول الانكليزي اغراق غواصات المانية وافرة العدد

اما في سنة ١٩١٦

اما في اوائل سنة ١٩١٦ فقد ظهر لانكلترا نشاط هائل في حرب الغواصات . فازدادت المانيا عزماً ، الا ان مذكرة الرئيس ولسون وضعت حداً لهذا النشاط

ولكن أترضى المانيا الجمود في البحار ؟ أتنام على انذار الرئيس ولسون ؟

أترى الانكليز يسودون البحار ويجمد اسطولها ؟

لا ، ذلك ليس مما يرغب فيه امير البحر «فون تيربيتز» فهو لم يحمل الامبراطور غليوم على انشاء ذلك الاسطول الضخم كي يبقيه في احواض « كيال » . فان المانيا انشأت هذا الاسطول لتنافس به انكلترا وتقهرها ، اذاً من الواجب ان يبرح قواعده ويقهر انكلترا ، والا فما النفع منه؟..

والامبراطور غليوم الثاني كان يفكر في دفع الاسطول الى عرض البحر ، بيد انه في دفعه اياه الى عرض البحر يجب ان يحرز فوزاً باهراً . وهذا الفوز بحثت عنه المانيا ، غير انها لم تكن ترقب الاصطدام بمعركة « جوتلند » !



الأسرار

العدد الحادى والعشرون



الالغام المنثورة في ايام الحرب الكبرى في مياه بيروت

تبدو في هذا الرسم الالغام التي نثرها الحلفاء في اثناء الحرب الكبرى في مياه بيروت وانتزعها السيد العريس بمهارته واقتداره · وفي هذه النشرة حديث طويل عن هذه الالغام وطريقة بثها وانتزاعها

٥ غروش

اسرار الجاسوسية والحرب الكبرى

الأسرار

مجلة اسبوعية تاريخية تبحث في التاريخ وما اهمله التاريخ

اصحابها : انطون صادر ، كرم ملحم كرم ، فؤاد ميداني

رئيس الانشاء المسؤول: كرم ملحم كرم — منشىء القسم الشرقي: فؤاد ميداني

المكاتبات باسم مدير المجلة : انطون صادر

الادارة مكتبة صادر * شارع اللنبي * بيروت

العدد ٢١ بيروت في ٢٢ آب سنة ١٩٣٨

اسرار الجاسوسية في القضية العربية

بقلم فؤاد ميداني

عيد نعمة الجاسوس اللبناني يهزأ باوامر جمال باشا ويرتاد بيروت

اختطافه السيد اموري مهندس شركة التنوير

الجاسوسة شمس تقلق العثمانيين

كان موقف السيد عيد نعمه ، الملقب بالملك ، مريباً ومسيئاً في الوقت نفسه الى احمد جمال باشا ، فارسل الى قائد موقع بيروت العسكري ومدير الشرطة فيها اوامر مشددة نصها :

« ان عيد نعمه ، الملقب بالملك ، هو من الاشخاص الخطرين على سلامة البلاد والجيش ، فيجب اذاً اعتقاله حياً او ميتاً ، وسوقه الينا ، وفي الوقت نفسه ، نعلمكم ان القيادة العليا عينت جائزة مالية كبيرة لمن يأتيها بالرجل أحياً كان ام ميتاً »

تدابير الشرطة

ولكن هذه الاوامر لم تؤثر قط في الموقف لان عيداً تمادى في هزئه بالقيادة العثمانية. فعقد عندئذ اجتماع في ادارة الشرطة تقرر فيه انتداب المفوض كاظم بك لمقاومة حركات هذا الجاسوس ورفاقه ، وخول هذا المفوض صلاحية مطلقة لادارة هذه الحركات. وابلغه احمد



رئيس مصلحة مقاومة الجواسيس في بيروت

كثيرون هم القراء الذين يعرفون ارسلان حسن بك رئيس فرع مقاومة الجواسيس في بيروت في اثناء الحرب العالمية. وهذا رسمه لما كان في بيروت في ذلك العهد

جمال باشا انه رقاه سلفاً الى رتبة أعلى تشجيعاً له على هذا العمل وانه سيرقيه اكثر من ذلك ويساعده اذا فاز في تحقيق ما عهد به اليه

رئيس فرع مقاومة الجواسيس في بيروت

واسست دائرة مقاومة الجاسوسية فرعاً في بيروت تحت ادارة

اليوزباشي ارسلان حسن بك فوّضت اليه اتخاذ التدابير الضرورية لمقاومة حركات الجاسوسية في البلاد على ان يتعاون وزميله في فلسطين البنباشي عدنان بك. وصدرت اوامر سرية الى دوائر الشرطة والدرك



هيئة مستخدمي مستشفى الفرير

رسم نادر لشباب بيروت الذين استخدموا كممرضين في مدرسة الفرير لما تحولت الى مستشفى اول عام ١٩١٥، ولم نتمكن من الحصول الا على هذه القطعة منه . وهو حسب ترقيم الصور : ١ ــ عبد الرؤوف اللبان، ــ ٢ الشهيد المرحوم محمود العجم وهو آخر رسم اخذ له قبل اعدامه بشهر واحد، ٣ ــ المرحوم حسني بك رمضان، ٤ ــ السيد امين القباني وهو اليوم من كبار تجار الماشية في بيروت، ٥ ــ السيد راشد نجا وهو اليوم صاحب صيدلية معروفة في بيروت، ٦ ــ جندي تركي. ويلفت النظر في الرسم الشهيد محمود العجم وهو يؤاسي احد جرحى الحرب

تقضي عليها بان تكون تحت تصرف الرجل في كل ما يطلبه منها

اول تدبير سخيف

وحينما بدأت اعمال مكافحة الجاسوسية في بيروت تمكنت الغواصات الالمانية من دخول سواحل البحر الابيض المتوسط واخذت تجوب السواحل السورية اللبنانية. ورأى ارسلان بك ان يستفيد من هذه الحالة لمنع سفن الحلفاء الحربية من الجولان في هذه السواحل

فابرق الى استانبول يقول :

« ان تطواف السفن الحربية الفرنسية والانكليزية المتوالي في هذه السواحل يضر كثيراً بمعنويات الجيش ويشجع جواسيس الحلفاء على ارتياد هذه الشواطىء، ولهذا ارى من المناسب ايفاد بعض الغواصات الالمانية الى هذه الجهات فتلقي الرعب من جهة في قلوب السكان وتمنع من جهة اخرى السفن الحربية الاجنبية من مواصلة ارتياد هذه الشواطىء »

فوافقت القيادة العليا على هذا الاقتراح ، وعلى رغم اشتغالها في مقاومة اساطيل الحلفاء في جهات المضايق كان المجال فسيحاً لديها لايفاد غواصتين الى السواحل السورية اللبنانية فنسفتا بعض البواخر الصغيرة بالقرب من السواحل السورية اللبنانية وبالقرب من السواحل المصرية وشبه جزيرة سينا

البنزين ومدرسة الفرير

ولما كان الخوف من انتشار الجواسيس ومعرفتهم المستودعات التي يخبأ فيها وقود البنزين التي تحتاج اليها الغواصات الالمانية قد تمكن في النفوس وقع الاختيار على مدرسة الفرير لتكون مستودعاً للبنزين الذي تحتاج اليه تلك الغواصات . ولم يكن الاختيار قد وقع على هذه المدرسة لقربها من الساحل البحري فقط بل لانها كانت مستشفى والاتفاقات الدولية تقضي باحترام هذه المؤسسات الصحية وعدم مسها.

مدرسة الفرير

ومدرسة الفرير من المؤسسات الكبرى التي شيدتها اخوة المدارس المسيحية في بيروت، تشغل مساحة واسعة من الاراض الواقعة بين شارع نهر بيروت، المعروف الان باسم شارع غورو، ومحلتي الجميزة والصيفي . وقد استولت الحكومة التركية عليها بعيد اعلان الحرب العالمية وحولتها الى مستشفى لالاي الدرك ثم تحولت مع توالي سنوات الحرب الى مستشفى للجيش

وقد ضمت هذه المؤسسة في بدء تحويلها الى مستشفى عدداً من خيرة شباب بيروت الذين مكنتهم الوساطة من الاستخدام فيها بدلا من السفر الى الجبهات الحربية

مستودعات البنزين

وقد رأى رئيس مصلحة مقاومة الجاسوسية في بيروت ان اتخاذ هذا المستشفى قاعدة لتموين الغواصات الالمانية بالبنزين يساعده

كثيراً على اخفاء هذا الامر عن الحلفاء ،فحوّل البنايات الخلفية من هذه المؤسسة الى مستودعات كبيرة للبنزين وعهد بادارة هذه المستودعات الى القائد رئيس اطباء المستشفى

الحلفاء يعلمون بالامر

غير ان الحلفاء الذين علموا بامر ارتياد الغواصات الالمانية سواحل بيروت ادركوا ان هذه الغواصات لا يمكن ان تتدارك ما تحتاج اليه من البنزين الا من بيروت او من احدى المدن المجاورة لها فعمدوا الى ضرب « الكازخانات » في هذه السواحل كما بينا ذلك في جزء سابق من « الاسرار » ولكنهم لما وجدوا ان عملهم هذا لم يفد شيئاً عمدوا الى انتداب عيد نعمه ليأتيهم بالخبر اليقين

السيدة شمس نعمه

وكانت السيدة شمس نعمه قد تمكنت من الوصول الى فندق « كسهان » وادعت بانها (غسالة) ورأت ادارة هذه الفندق ان شروطها مقبولة فمكنتها من العمل فيه وهناك تقربت من المستخدمين

واتفق لها في اليوم الاول من شهر حزيران ان رأت في ردهة الفندق بعض ضباط من البحرية الالمانية وعرفت من احاديث الخدم انهم من ضباط الغواصات الالمانية وقد تعودوا زيارة الفندق حينما تأتي الغواصة الى بيروت لتتمون الوقود

وعلمت ايضا ان هذه الغواصة تأخذ احتياجاتها من جهة قريبة من المرفأ .

— ولكن من اين ؟

هذا ما لم تصل الى معرفته تلك السيدة في ذلك الوقت . ومع هذا فقد عزمت على محاولة خطرة تدل على جرأتها واحتقارها للحياة. فطفقت تراقب الضباط لعل احدهم يذهب الى المكان الذي تؤخذ منه الوقود . وقد تم ما توقعته ،فبعد ان ظل هؤلاء الضباط معاً في الفندق الى الساعة الحادية عشرة من الليل رأت احدهم ينفصل عنهم ويذهب وحده تاركاً اياهم في الفندق . فخطر لها انه ذاهب لمراقبة العمل فلحقت به فتحققت ظنونها اذ رأته يذهب الى الجهة الخلفية من مدرسة الفرير ويقف عند بابها متحدثاً الى احد الضباط. ورأت هناك صفاً من البحارة الالمان يتناقلون بين ايديهم صفائح البنزين فمرت بينهم دون ان يشعروا بامرها اعتقاداً منهم بانها احدى العاملات البائسات، خصوصاً انها كانت تحمل على ظهرها رزمة كبيرة من الثياب المعدة للغسل جاءت بها في ذلك المساء من فندق كسهان .

الحلفاء يعلمون بالحقيقة

ولم يأت عيد نعمه الى بيروت الا في مساء اليوم الثالث لهذا الحادث. وعندما جاء الى الحجر المبين للمراسلات — في ساحل جورة العقارب الواقعة غربي الحجر الصحي — تناول تقرير اخته وعاد



السيد ايليا عيد نعمة

نشرنا في العدد رقم ١٩ ان الانستين ماري وفرجيني من مواليد الحرب مع انهما ولدتا بعد الحرب العالمية. وهذا الرسم يمثل شقيقهما السيد ايليا عيد نعمة وهو من انجال السيد عيد بطل الحادثة المنشورة في هذا العدد

بة الى قائد الدارعة (لا بوريو) جوزيف بيكار فعلم هذا منه الخبر اليقين عن مستودع البنزين للغواصات الالمانية .

مطاردة الغواصات

وكانت الطريقة التي تتبعها الغواصات الالمانية في نقل البنزين اليها ان تستخدم ٢٠٠ جندي يؤلف منهم خط واحد يبدأ من البحر حيث تقف الغواصة في دورة « جزيرة الشاشة » الواقعة تجاه ساحل المدور ويمتد الى الجهة الخلفية من مدرسة الفرير فيتناقل جنود هذا الخط الصفائح بينهم حتى يوصلها اخر واحد منهم الى الغواصة فيؤمن احتياجها للوقود في اقرب وقت ممكن

والقوماندان جوزيف بيكار الذي عرف هذه الحقيقة من السيد عيد نعمه بواسطة شقيقته السيدة شمس ما لبث ان اتخذ بعض احتياطات لمراقبة ساعة التموين، فاقام على الساحل جواسيس امرهم بان يسرعوا الى اعلامه بالامر متى جاءتهم السيدة شمس بالخبر

وشعرت شمس يوم ٨ حزيران سنة ١٩١٥ بقدوم هؤلاء الضباط فاسرعت فوراً الى الجهة المعينة لها وابلغت الجواسيس الامر، فركب هؤلاء زوورقهم واتجهوا الى عرض البحر لاخبار القائد الفرنسي، غير ان الدارعة كانت في ذاك الوقت، لسؤ حظ الحلفاء، في مكان بعيد فلم يدركها الجواسيس الا بعد طواف استغرق ثلاث ساعات، ولم تعد



السيد توفيق عيد نعمه

كبير انجال السيد عيد نعمة وكان طفلا في الوقت الذي نتحدث فيه الى القراء عن هذه الامور

الى قرب ساحل بيروت حتى كانت الغواصة قد اخذت ما تحتاج اليه وتمكنت من الانسلال بالقرب من الدارعة دون ان تبصرها . وكان في وسع هذه الغواصة ان تنسف الدارعة وتقضي عليها حتماً غير ان وجودها داخل ميناء بيروت جعل قائدها لا يقدم على مثل هذا العمل لئلا يترك مجالا للحلفاء لان يتخذوا من هذا الحادث وسيلة للقول بان الالمان قد حولوا ميناء بيروت الى مرفأ حربي ويعمدوا الى ضربه ويكون لديهم ما يبرر هذا العمل اذا اقدموا عليه

قلق العثمانيين والالمان

وشاهد الضباط الالمان حركات الدارعة « لابوربو » الفرنسية فادركوا منها ان الفرنسيين قد عرفوا بامر غواصتهم وانهم جاؤوا خصيصاً من اجلها .

فاقلقهم كثيراً هذا الامر لانه دلهم على ان الاحتياطات الشديدة التي اتخذوها لاخفاء سر المستودعات قد اكتشف وانه لم يبق في طاقة غواصاتهم ان تأتي، مرة ثانية، هذه البقعة من الساحل البيروتي. فعقدوا اجتماعاً حضره رئيس فرع مقاومة الجاسوسية ارسلان حسن بك وبحثوا فيه التدابير التي يقتضي اتخاذها لمحاربة الجواسيس

وكانت « شمس » الجاسوسة اللبنانية الفرنسية في فندق « كسمان » حينما عقد هذا الاجتماع ولم يخطر على بال المجتمعين ان مثل هذه السيدة « الغسالة » يمكن ان تكون الجاسوسة الخطرة التي يفتشون عنها . ولم يدر في خلد احدهم ان امرأة تجسر على ان تتجسس عليهم في عقر دارهم ، ولهذا حول ارسلان حسن بك اهتمامه الى جهة اخرى واعتقل بعض موظفي مستشفى مدرسة الفرير وحقق معهم غير ان تحقيقاته لم تثبت الا براءة هؤلاء الاشخاص من تهمة الجاسوسية فـأطلق سبيلهم

لغم سواحل بيروت

وبعد ان تأكد للحلفاء من المعلومات التي نقلها اليهم السيد عيد نعمه عن شقيقته السيدة شمس ان قسما من مدرسة الفرير قد حوله العثمانيون الى مستودعات للبنزين عزموا على احراق هذه المستودعات بواسطة عيد نفسه الذي كان يدخل كل جهة ليلاً ، غير انهم رأوا في عزمهم هذا قضاء على تلك المؤسسة التي ليست للعثمانيين وضرراً لمئات من المرضى ومن المنازل المجاورة لها. ففضلوا ان لا يقدموا على مثل هذا العمل وان يلغموا سواحل بيروت بالالغام البحرية فيضعوا بذلك حاجزاً دون اقتراب الغواصات الالمانية من الساحل واخذها الوقود من تلك المستودعات ويتخلصوا منها ويقضوا عليها .

وسرعان ما نفذ الحلفاء خطتهم هذه فاوفدوا البواخر الناثرة الالغام فنثرت الغامها على سواحل بيروت حتى بات الاقتراب من تلك المنطقة شديد الخطر على الغواصات الالمانية . على ان الالمان الذين شاهدوا هذه البواخر ارسلوا في اليوم الثاني بعض الاختصاصيين للتثبت من الامر فعلموا ان الفرنسيين قد ملأوا شواطىء بيروت بالالغام فارسلوا نبأ لاسلكياً الى الغواصات الالمانية يعلمونها الحالة ويطلبون منها اتخاذ التدابير اللازمة لتناول الوقود من جهة ازمير ريثما يتسنى نزع هذه الالغام من السواحل البيروتية

عملية نزع الالغام

ورأت القيادة العليا ان الضرورة تقضي بنزع هذه الالغام من



جمع الالغام من اعماق البحار

نعيد نشر هذا الرسم الذي يمثل السفن المعدة لجمع الالغام

مراكزها لان في بقائها منبثة على السواحل البيروتية خطراً شديداً على الغواصات الالمانية التي ترى القيادة ضرورة ارسالها الى الشواطىء البيروتية.

فاستدعى قائد موقع بيروت القائد محيي الدين العريس معاون رئيس ميناء بيروت وفوضه اتخاذ التدابير اللازمة لانتزاع الالغام من مراكزها

محي الدين العريس

والسيد محيي الدين العريس، معاون رئيس الميناء في ولاية بيروت،

بيروتي الاصل والمولد وهو لا يزال فيها الى يومنا هـذا وقد خدم البحرية العثمانية خدمات جلى واظهر بسالة نادرة خصوصاً عند ما كان ضابطاً في الطرادة حميديه تحت قيادة بطلها احمد رؤوف بك

وهو وان كان من القواد البحريين البارزين الا انه وقف تجاه المهمة التي انتدب لها حائراً لا يعرف ماذا يصنع

فالدول ذات الاساطيل لها سفن خاصة لنزع الالغام البحرية وقـد نشرنا في جزء سابق من « الاسرار » رسوم هـذه البواخر والطرق التي تتبعها في انتزاع الالغام كما نعيد نشرها في هذا الجزء للدلالة على شأن هذه المخاطرة التي قام بها ضابطنا في بيروت

اما السيد محيي الدين فلم يكن لديه شيء من هذه المعدات حتى انه لم تكن له زوارق عادية معدة لمقاومة سفن الاعداء

وكان على القائد العريس ان ينزع الالغـام دون ان يشعر به جواسيس الحلفاء لانه في هـذه الحالة يتعرض لمخاطر عديدة قـد تؤدي به وبمن معه من الجنود والبحارة الى الهلاك

وعلى كل ذلك فان هـذا القـائد البيروتي الباسل لم يكترث للمخاطر فعمد الى القيام بما عهد به اليه مهما اعترضه من مخاطر

الشروع في جمع الالغام

فاستدعى اليه من البحارة البيروتيين من يعتمد على اخلاصهم ووطنيتهم وامرهم بان يجمعوا له في حوض مرفأ بيروت ما يقدرون على جمعه من الزوارق الصالحة للسير ويهيئوها للعمل حتى اذا طلبها منهم كانت جاهزة

وقد لبى هؤلاء الطلب وشهدنا في تلك الليلة حركـة غير اعتيادية في مرفأ بيروت . وقد شعر جواسيس الحلفاء بهذه الحركة غير ان التكتم الشديد الذي لجأ اليه القائد منعهم من معرفة الحقيقة. ودلتنا المعلومات الراهنة التي استقيناها بعد نهاية الحرب على ان الجواسيس اعتقدوا في هذه الحركة محاولة من الجيش العثماني لابعاد بعض الذين نقمت عليهم الدولة وارادت ابعادهم بحراً ، وقال البعض الاخر من الجواسيس انهـا ترمي الى اغراق بعض هؤلاء المغضوب عليهم حتى انهم ذكروا في تقاريرهم يومئذ اسماء اشخاص لا يزالون الى يومنـا هذا في قيد الحياة وقالوا ان العثمانيين قد اغرقوهم

اخراج ٧٢ لغماً

ولكن الحقيقة الناصعة ان تلك الاخبار لم تكن صحيحة. وان الصحيح هو عمد الحكومة العثمانية الى استخراج هذه الالغام وقد استغرق عمل محيي الدين بك ثلاثة ايام تمكن في نهايتها

من تطهير مياه بيروت من الالغام واخرج يومئذ ٧٢ لغماً جمعها كلها على شاطئ البحر في جهة مركز رئاسة الميناء،واخذت رسوم هذه



معاون رئيس ميناء ولاية بيروت

نشرنا على غلاف هذا العدد رسم الالغام التي جمعت من بيروت وبجانبها رئيس موانئ ولاية بيروت القائمقام شرف الدين بك ، فحسام الدين بك العريس الذي اوفد خصيصاً لمعاينتها ، فمحيي الدين بك العريس . وهذا الرسم يمثل السيد محيي الدين العريس بملابسه الرسمية وكان معاون الرئيس في ميناء ولاية بيروت

الالغام بحضرة القائد محيي الدين بك العريس والبحارة الذين ساعدوه في عمله

مصير الالغام

وقد قدرت القيادة العليا قدر المشقات التي كابدها القائد العريس فارسلت اليه كتاباً تشكر له فيه الجهود العظيمة التي يعجز البشر

عن القيام بها في مثل تلك الاحوال وطلبت منه ان يرسل ٤٠ قطعة من هذه الألغام الى خليج العقبة لمنع السفن الحربيــة الانكليزيـة من ايذاء القوات العثمانيــة التي تحــارب الانكليز على سواحل شبه جزيرة سينا وفي الوقت نفسه عهدت اليه بان ينثر ما تبقى عنده منها على ساحل جونية



جورج عيد نعمة

وقد مثل والده السيد عيد دوراً مهماً في خطف السيد اموري وبعض البيروتيين كما يطالع القراء ذلك في هذا الجزء من «الاسرار»

لماذا هذا التدبير

وهذه الاوامر التي تلقاها القائد محيي الدين بك العريس تدلنا دلالة صريحة على ان القيادة العليا كانت تعتقد ان مدينــة جونية هي المرفأ الوحيد الذي يعتمد عليه الفرنسيون لارسال سفنهم الحربيــة وانزال جواسيسهم ولذا امروا بان تنثر الألغام التي جمعت على ذلك الساحل .

وقد فعل هذا القائد ما كلفته اياه القيادة العليا ونثر الالغام ليلة تلقى هذا الامر على طول ساحل جونية

فائدة هذا التدبير

ولكن هل افاد هذا التدبير في مقاومة حركة الجاسوسية ؟

ــ كلا

لان الحلفاء ما لبثوا ان عرفوا التدابير المضادة التي اتخذهــا العثمانيون في البلاد فنهضوا يعاكسونها بشدة وانتزعوا الالغــام التي نثرت على ساحل جونيه ثم عدلوا عن نثر الالغام على ساحل بيروت بعد ان تأكد لهم عدم فائدة مـا اتخذوه من تدابير لمنع الغواصات الالمانية من اخذ وقودها من البنزين من ساحل بيروت

آموري في بيروت

السيد (آموري) مدير شركة الغاز في بيروت رجل فرنسي التبعـة ابعده العثمانيون الى الاناضول في بدء اعلان الحرب العالميـة وفقا للقرار الذي اتخذ بابعاد رعايا الحلفاء الى الخارج .

ولكن الالمان الذين استولوا على مقدرات هذه الشركة وجدوا أن ليس في وسعهم ادارتها وهم غير عالمين باسرارهـا ومعاملاتهـا وان المدينة كانت بحاجة الى التنويرات وقد كانت تنار في ذلك الزمن بالغاز فاعادوا السيد « اموري » من الاناضول الى بيروت حيث استخدموه تحت مراقبتهم

حر واسير

لبث السيد اموري في بيروت حراً واسيراً في وقت معاً ، حراً لانه مطلق الحرية في التجوال ضمن منزله ودوائر شركة الغاز واسيراً لانه لم يكن في قدرته ان يستقبل الا اقارب زوجته اللبنانيين ، وهؤلاء كذلك كانوا تحت الرقابة الشديدة . اما سائر الناس فقد كان محظراً عليه مخالطتهم

وقد خصصت في دائرة (الغازخانه) قوة من الدرك بمراقبته ومنعه الاقتراب من اي كان

الحلفاء يعلمون باموري من شمس

ولكن السيدة شمس نعمه ، التي كانت متيقظه لكل امر ، ما لبثت ان علمت بعودة اموري من منفاه وباستخدامه كاسير في الشركة التي كان يرأسها فابلغت شقيقها عيداً امره وهذا ابلغه القائد جوزيف بيكار .

ولم تمر ثلاثة ايام حتى استدعى القائد جوزيف بيكار عيد نعمه اليه وقال له :

ــ وردتنا اوامر من القياده العليا بضرورة خطف السيد اموري والمجيء به الى هنا فهل انت قادر على ذلك ؟

ــ نعم !

ــ وكم يعوزك من الرجال لتحقيق هذه المهمة ؟

ــ لا احتاج الى احد . وانا على استعداد لتحقيقهـا على ان

تعطيني كتاباً الى السيد اموري ليثق بي ويستسلم اليَّ لتهريبه !

فلبى القائد الطلب وسلم الكتاب الى السيد عيد نعمة وزوده ببعض التعليمات وارسله بزورق حمله الى بيروت !

كيف ابلغت شمس هذه الرسالة

تلقت السيدة شمس نعمه كتابا من شقيقها طلب منها فيه ان تدبر طريقة تمكنها من الاتصال بالسيد اموري ثم وجدت مع هذه التعليمات كتابين الاول من القائد جوزف بيكار الى السيد اموري يطلب فيه منه ان يثق بعيد ليتقله الى السفينة الحربية والثاني من عيد يعلن به السيد اموري ان يستعد للفرار لانه سيأتيه في يوم حدده له للهرب به. وقد فكرت السيدة شمس في طريقة تمكنها من ايصال هذين الكتابين الى السيد آموري فرأت ان تتزيا بزي النساء الفقيرات وان تحمل بيدها سلة بالية وتذهب الى شركة الغاز وتدعي بانها امرأة فقيرة اتت لتجمع بقايا الفحم التي تستغني عنها الشركة

رحماك سيدي

وجاءت السيدة شمس الى امام حديقة شركة الغاز وحاولت الدخول غير ان الجنود منعوها واغلظوا لها القول فأخذت تتوسل ولكن دون جدوى واذا بمدير الشركة ، وهو رجل الماني الاصل يظهر لها ، فما كادت تراه حتى ركعت عند قدميه واخذت تتوسل اليه قائلة :

— رحماك سيدي !

— ما بك ؟

— انني فقيرة ، جئت التمس التقاط بقايا الفحم علي اجد فيها ما يساعدني على تأمين معيشة اولادي فمنعني هؤلاء الجنود !

فاشفق عليها هذا القائد الالماني وسمح لها بدخول الحديقة فشكرته بعبارات السيدة التي تقدر الجميل ودخلت الحديقة مسرعة خوفاً من ان يستوقفها احد الجنود ويفتشها فيجد الكتابين اللذين تحملها فتكون العاقبة سيئة جداً عليها وعلى اموري وعلى اخيها الذي عين في كتابه اليوم الذي سيأتي فيه الى بيروت

ايصال الرسالة

وشاءت التقادير خدمة السيدة شمس فانها بينما كانت تجمع فضلات الفحم رأت السيد اموري يتنزه في الجهة الاخرى من الحديقة فارادت الاقتراب منه ولكنها تراجعت لانها رأت جنديين بعيدين عنه يراقبان حركاته

وعلى هذا لم تتمهل فتظاهرت بالاغماء مرسلة صرخة لفتت انظار اموري والجنديين فاسرعوا اليها

وطلب اموري من الجنديين قليلا من الماء ليعيد المرأة الى رشدها ولما انصرفا اكب عليها يتفحص امرها ففتحت عينيها بهدوء



عيد نعمة الملقب بالملك

نعيد رسمه في هذا العدد بمناسبة المخاطرة التي قام بها في خطف السيد اموري

وخاطبته قائلة : لدي رسالة اليك من قائد الاسطول. خذها!

وناولته الرسالة وعادت متظاهرة بالاغماء ولما عاد الجنديان بالماء وجدا المرأة لا تزال مغمى عليها فرشقا وجهها بالماء وبعد هنيهة تظاهرت بعودتها الى نفسها فشكرت لهما ولاموري وانصرفت مسرورة بنجاحها في اتمام مهمتها

موقف اموري

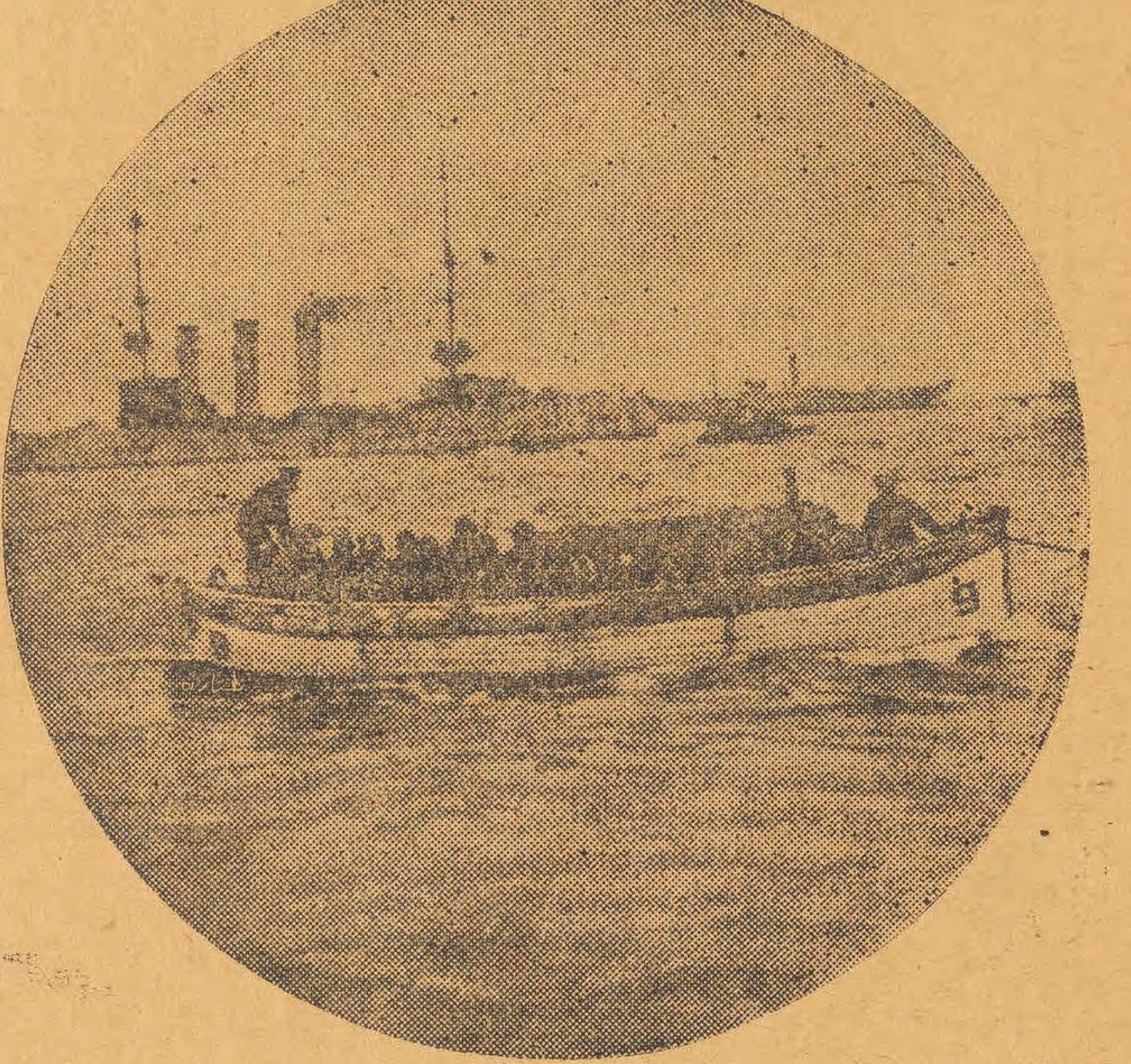
وقد اظهر السيد اموري هدوءاً غريباً عندما ابلغته السيدة شمس التي يجهلها امر الرسالة . فتناولها منها دون ان يبدو عليه اقل بغتة. ولما ذهبت عاد الى غرفته وفتح الرسالة واطلع على ما فيها . فابتسم ابتسامة غامضة لانه كان يشك في امكان فراره . ومع هذا سكت وابلغ الامر بعض ذوي قرباه فعزموا على الفرار معه ثم مزقوا الرسالتين معاً

جرأة مدهشة

كان مساء ٢٠ حزيران سنة ١٩١٥ من الليالي الفريدة في تاريخ حياة السيد آموري ، لان عيد نعمه قد عين له منتصف تلك الليلة

موعداً لمجيئه اليه لاجل تهريبه

وقد التفّ حوله في تلك الليلة حماته، والدة زوجته، السيدة شمشم وولدها السيد امين شمشم ، وهو اليوم من تجار بيروت المعروفين، وخادمه طانيوس يونس وخادمته اسما واحد اصدقائه والسيد جان مسره وهو اليوم من تجار بيروت



المدرعة الفرنسية «لابوربو»

وهي التي اخذت على متنها السيد اموري ورفاقه لدى فرارهم من مدينة بيروت الى جزيرة ارواد

وكان كلهم يتحدثون همساً عن هذه المخاطرة ، وكلهم يرون انها غير ممكنة

ومع هذا فقد كان هناك بريق امل بالنجاة

بشير الخير

واذا بهم يرون انفسهم تجاه شخص مدجج بالسلاح دخل عليهم فجأة فاضطربوا وايقنوا بالهلاك لاعتقادهم انه من جنود الدولة. ولكن هذا الرجل لم يكن الا عيد نعمه فخاطبهم قائلا :

— من منكم مسيو اموري ؟

ولما كان قد القى سؤاله باللغة الفرنسية اطمأن مسيو اموري قليلا واجاب :

— انا هو .

— انا عيد نعمه . هيا بنا !

— حاضر . ولكن هؤلاء سيذهبون معي !

— لا بأس . ومن هم ؟

فعرّفه اليهم السيد اموري

فقادهم السيد عيد من الجهة الخلفية دون ان يشعر بهم احد واوصلهم سالمين الى «جورة العقارب» في محلة الكرنتينا ، وهناك اركبهم الزورق الذي كان بانتظارهم وقادهم الى المدرعة

مخاطرة جديدة

ولم تستغرق رحلة عيد نعمه الا ثلاث ساعات . فقد غادر الدارعة عند منتصف الليل وعاد اليها في الساعة الثالثة صباحاً . ولما رآه القائد جوزيف بيكار يعود بمثل هذه السرعة صاح به حين كان لا يزال في الزورق قائلا :

— ماذا ، هل اخفقت في مسعاك ؟

— كلا ، بل جئت بهم !

— أبمثل هذه السرعة ؟

— نعم !

فدهش القائد لرؤيته عدة اشخاص مع عيد وقال :

— ولكنني طلبت منك الاتيان بالسيد اموري فقط وانا اراك قد تجاوزت الامر وجئت بعدد آخر من اصدقائك !

— كلا ، بل هم اقارب السيد اموري !

ولما صعدوا الى المدرعة «لابوربو» تذكر مسيو اموري ان اوراقه لا تزال باقية في منزله وفيها كل الخرائط والتعليمات التي تفيد الالمان فأخبر القائد بالامر ، فالتفت القائد الى عيد نعمه وقال :

— عليك ان تعود فوراً الى بيروت صحبة مسيو اموري لتاتي بالاوراق!

— هذه مخاطرة شديدة !

— لا فائدة من الاعتراض لانه يهمنا الحصول على تلك الاوراق!

— انت طلبت مني الرجل وحده فجئتك به مع عدد من اقاربه وخدمه

— لا يهمني كل هذا وانما اريد تلك الاوراق!

— انت تلقيني في التهلكة

— لا بأس ما دمنا نريد الوصول الى هدفنا!

فلم يجد عيد بدا من الاذعان لاوامر القائد، فعاد ثانية الى منزل السيد اموري وكانت عودته خطرة، غير ان الحراس لم يكونوا قد شعروا حتى ذلك الوقت بما جرى ، فأخذت الاوراق دون مشقة

موقف العثمانيين

وفيما كانت الدارعة (لابوبو) على بعد سحيق من مرفأ بيروت تقل على ظهرها السيد اموري ورفاقه كان المدير الالماني المشرف على ادارة الغازخانه ينزل جام غضبه على الحراس الذين سخر منهم السيد اموري ورفاقه، ثم ارسل يدعو رئيس فرع مقاومة الجاسوسية، ولما مثل امامه ناوله رقعة وقال:

ــ هل رأيت مثل هذه الجرأة ؟

ــ ماذا جرى ؟

ــ اقرأ هذه الرقعة

فتناولها القائد العثماني واذا بها كتاب بتوقيع السيد عيد نعمه يقول فيه « ان كل تدبير تتخذونه لمقاومتنا لن يجديكم نفعاً، وحادث تهريبنا للسيد اموري اكبر برهان على ذلك »

فوقف القائد العثماني حزيناً يائساً عند اطلاعه على هذا الكتاب لعلمه ان الرجل عرف كيف يهزأ به وبكل التدابير التي اتخذها لمحاربته

ولكن هل كان من الواجب اتخاذ تلك التدابير ؟

ان القائد العثماني قد اخطأ في اعتماده اياها

عيد نعمة لم يكن الا رجلا من لحم ودم ، فهو لم يأت و الحالة هذه من الجو بل جاء بالبحر الى البر . وقد دل كثير من الحوادث على انه كان يأتي من جهة بيروت. وعلى هذا فان الضابط المحقق ورجال الشرطة ما برحوا يعتقدون انه يأتي من جهات جونية. وتؤيد ذلك التقارير التي كانت ترسل الى القيادة عن هذا الامر

ولو ان القائد رئيس فرع مقاومة الجاسوسية ومدير الشرطة احسنا العمل وادارا الامور بروية ويقظة لما كان نصيبهما الاخفاق ولكان في وسعهما ان يصلا الى الحقيقة والى اعتقال عيد الذي عبث بهم . وقد كان بامكان الاوامر التي صدرت الى خفراء الساحل ورجال الدرك والشرطة في بيروت على أثر فرار السيد اموري ان تؤدي الى الفوز واصابة الهدف لو كان هناك اخلاص في العمل



السيد داود ابو شقرا

وهو من مفوضي الشرطة اللبنانية اليوم وقد علمنا انه الذي تولى التحقيق عن حادث فرار السيد عيد وقد لعب في هذه القضية دوراً خطيراً سنأتي على تفصيله في جزء آخر من « الاسرار »

وقد اظهرت الحقيقة ان كل تلك التدابير كانت خائبة فلا عيداً علم بها ساخراً منها . وتمكن بعد تشديد الرقابة عليه من العودة الى بيروت ثانية وفي احوال شديدة الخطورة .

وقد مثل كذلك ادواراً خطيرة هامة سنعود الى تفصيلها في عدد آت

المعارك في القفقاس بين الروس والعثمانيين

الجيش العثماني يحتل مدينة اردهان الروسية ثم يجلو عنها
الضابط جميل يعقوب يتشبه بنابوليون ...ولكن...

التلفون الخائن !

تحدثنا في العدد العشرين الى قراء « الاسرار » عن المعارك التي خاضتها في داخل الحدود الروسية القوات غير النظامية التابعة «للتشكيلات المخصوصة» وعما كان في النهاية من خيبتها واضطرارها الى التراجع الى « بورشقا» حيث عهد بقيادتها الى البنباشي حافظ سليمان بك، ثم كيف اضطر الالاي الثامن الذي كان قد جاء بقيادة القائد الالماني ستانجه الى الانسحاب الى منطقة ايرون – صاري قاميش حيث التحق بقوات يعقوب جميل بك وبغيرها من القوات الرئيسية

اجتماع عسكري

وقد عقد يومئذ اجتماع عسكري كبير تقرر فيه مهاجمة ولايتي اردهان وقارص واتخذت في هذا الاجتماع التدابير العسكرية الضرورية لتحقيق هذا الهدف وحشدت لاجل تحقيقه هذه القوات جميعها

وفي الوقت نفسه تقرر ارسال عـدة عصابات من القوات غير النظامية الى الامام لاقلاق راحة الجيش الروسي

زحف القوات العثمانية

وقد اخذت القوات العثمانية تتقدم الى الامام من ثلاثة خطوط هي ارتوين وصاري قاميش وستانجه تقدماً مطرداً دون ان تلقى مقاومة تذكر من القوات الروسية التي كانت تتراجع بصورة زرية متجهة نحو « اردهان »

وتؤكد التقارير العثمانيـة التي ارسلت الى القيادة ان القوات العليا العثمانية كانت تتقدم من غير مقاومة، فقد ذكر يعقوب جميل بك في تقريره عن هذا الامر ما نصه :

« عندما صدرت الاوامر الى قواتنا بالتقدم الى الامام وجدت في مقدمة ارتوين وعند حدود منطقة ستانجـه قليلا من المقاومـة، ثم ما لبثت قواتنا هذه بعد معركة استمرت ثلاث ساعات ان تمكنت من دحر القوات الروسية واحتلال مراكزها

«وقد دارت هذه المعركة في آخر مركز وقفت فيه قوات الروس تجاهنا وقد اخذت بعدهـا تتراجع الى الوراء بشكل انهزام تاركة لنا ما لديها من معدات حربية وذخائر وعتاد

« ويتبين لنا من وقائع هذه الحوادث ان الجنود الروسية لن يكون بعدئذ في قدرتها مجابهة هجمات اردهان نفسها، ولا بد لنا والحالة هـذه من الوصول الى هدفنـا باحتلال تلك المنطقة احتلالا نهائياً »

الحالة في اردهان

وكانت القوات الروسية التي تدافع عن «اردهان» ضعيفة جداً لان القيادة العليا كانت قد حشدت القوات الرئيسية في جبهة الالمان وما كانت لتعتقـد ان في امكان العثمانيين اختراق جبهة القفقـاس والوصول الى هذه المنطقة، فتركتها على تلك الحالة من الضعف، زد على ذلك ان المواد الغذائية والكسوة كانت قليلة، ولهذا كان الجندي الروسي في حالة ضعف وفاقة شديدين لم تمكنه من الثبات في مركزه والدفاع عن هذه المنطقة بوجه من الوجوه

وعلى ذلك عقد القائد بورشوف اجتماعاً حضره ضباط اركان حربه وبحثوا فيه الموقف فقرروا ان يعتركوا والعثمانيين في معركة حاسمة وان يدافعوا عن جبهتهم حتى آخر رمق من الحياة

وابرق الجنرال بورشوف في الوقت نفسه الى القيادة العليا يعلنها خطورة الموقف ويطلب منها نجدات جديـدة تساعده على استرداد



ضعف مقاومة الروس

يرينا هذا الرسم ضعف مقاومة القوات الروسية ، اذ لم يبق هناك غير جندي واحد جريح وقف امام مدفع للصحراء يدافع عن رفاقه الذين تراجعوا . وهو من الرسوم الحربية النادرة المأخوذة في ذلك الحين

هيئته العسكرية واخراج العثمانيين من تلك المنطقة

القوات الروسية طافيه

ولم تكن القوات الروسية ضعيفة بالنسبة الى القوات العثمانية الزاحفة عليها ، فكانت القوات المرابطة في اردهان مؤلفة من اربعة ألوية من الخيالة وتسعة طوابير من المشاة وثلاث بطاريات مدفعية وهي قوة تفوق القوات العثمانية المهاجمة اضعافاً، ولكن تبلبل القوات الروسية وهزالها وفقدانها قوتيها المعنوية والادبية ، في حين كانت القوات العثمانية قوية من كل الوجوه ، كل هذه الامور كانت السبب الرئيسي في تغلب العثمانيين على الروس

معركة اردهان

واجتاحت القوات العثمانية المسافة الواقعة بين ارتين وصاري قاميش وستانجه دون اقل مقاومة. فباتت على مقربة من جهات اردهان وهناك اجتمعت كتلة واحدة بقيادة يعقوب جميل بك ونظمت خطة الهجوم بعد ان انضمت اليها قوات المتطوعة القفقاسية بقيادة خضر اوغلو حميد الزعيم القفقاسي المعروف، ثم انقضت على اطراف «اردهان» فدارت في بادئ الامر معركة مدفعية شديدة دامت ثلاث ساعات تمكنت المدفعية العثمانية في نهايتها من اسكات المدفعية الروسية ثم زحفت تحت حماية المدفعية العثمانية



اردهان تحترق

حولت المعارك الهائلة التي وقعت في جبهة اردهان القسم الاكبر من هذه المدينة القفقاسية الكبرى الى اطلال بالية . والرسم يرينا قسماً منها دمرته المعارك الحربية

وكانت الخيالة الروسية قد تمكنت من صد هذا الهجوم الذي قامت به قوات القلب العثمانية ، غير ان فرق الميمنة والميسرة وقوات المتطوعة التي جاءت من الجهة الخلفية قامت بهجوم معاكس على القوات الروسية فاكرهتها على التراجع الى الوراء

حريق اردهان

وادرك الجنرال بورشوف بعد هذه المعركة التي استمرت خمس ساعات متوالية ان ليس في استطاعته ، بوجه من الوجوه ، ان يتقدم الى الامام ، فاصدر اوامره بنسف مستودعات الذخيرة وان تتراجع قواته عن اردهان في خلال ذلك تراجعاً تاماً

وبعد ساعة بينما كانت القوات العثمانية تحاول ان تواصل مطاردة الجند الى قلب اردهان ، بدأت الانفجارات الشديدة تتوالى من هذه المنطقة بصورة راعبة جداً ، فاضطرت القوات العثمانية الى التراجع تفسح للقوات الروسية مجال التراجع من الجهة الخلفية دون ان تتمكن القوات العثمانية من صدها لان المدينة التي وقعت فيها تلك الانفجارات كانت خير سد يحول بين الفريقين

احتلال اردهان

رأى سكان اردهان ما حل بمدينتهم على اثر تراجع القوات الروسية عنها فعقدوا جلسة مستعجلة بحثوا فيها الموقف الحاضر فوجدوا ان في بقائهم على هذه الحالة خطراً شديداً على مدينتهم اذ لا بد للعثمانيين من ان يعتبروهم اعداء، فقرروا تأليف وفد يذهب الى مقابلة قواد الحملة العثمانية ويبلغهم نبأ انسحاب القوات الروسية ويعلمهم ولاء المدينة ويدعوهم الى احتلالها لانها قررت الاستسلام اليهم .

وسرعان ما تألف هذا الوفد وخرج الى حيث القوات العثمانية وابلغها ما تقرر فالمدينة ترحب بالجيوش الفاتحة .



هل هذا من صنع البشر ؟

رسم فظيع نشرة الترك للدلالة على فظائع الجنود الروسية في اسرى العصابات القفقاسية

وكان يعقوب جميل بك قائد هذه الحملة اكثر القواد سرورا بهذا الفوز المبين الذي ادركه لانه كان على اعتقاد وطيد بان الامر سيحقق امانيه بفتح البلاد القفقاسية وصيرورته الحاكم المطلق عليها فيتمكن ان يحارب بذلك نفوذ خصمه الاكبر انور باشا وكان يطمع في ان يكون مكانه سيد البلاد بلا منازع .

ولم يلبث ان امر باعداد جواده الابيض، متشبها في ذلك بنابليون الاول الذي اخترق البلاد الروسية بجواده الابيض كفاتح عظيم، ثم دخل المدينة دخول الفاتحين الظافرين يتبعه سائر ضباط الحملة وجنودها

ما خسره الروس والعثمانيون

وقد تكبدت القوات الروسية في هذه المعركة خسائر فادحة ودلت الاحصاآت الرسمية التي نشرت بعد نهاية الحرب العالمية على ان خسائر الروس في معركة اردهان هذه بلغت ٣٥٠٠ قتيل في حين لم تزد خسائر القوات العثمانية عن ٤٠٠ قتيل .

غير ان هذا لا يعني ان القيادة العثمانية قد فازت فوزاً مطلقاً فقد خسرت في هذه المعركة « خضراوغلي » حميد رئيس المتطوعة القفقاسية الاكبر وكان زعيما ذا تفوق عظيم على المتطوعة القفقاسية وتعد خسارته عظيمة على القوات العثمانية . وكذلك خسرت البنباشي عاصم بك وكان يعد اكبر عضو نافذ في هذه الحركات

واكبر دليل على ذلك البرقية التالية التي طيرها يعقوب الى القيادة العليا وهذا نصها

« اخذنا اردهان وخسرنا عاصم »

ومعنى ذلك ان يعقوب بك جميل يرى في خسارة الجيش لعاصم بك ما يعادل احتلال اردهان. وقتل كذلك اليوزباشي امين وثلاثة ضباط

وهكذا يرى قراء « الاسرار » ان هذه المعركة افقدت الاتراك رجالا عظاماً من قواد الجيش وضباطه

غير ان هذا الفوز الذي ادركته القوات العثمانية لم يكن مداه



فظائع الروس في الجبهة القفقاسية

طويلا . فلم يستمر اكثر من ثلاثة ايام لان النجدات التي طلبها القائد بورشوف من القيادة العليا في قارص ارسلت اليه بسرعة فالتقت بقواته التي كانت تتراجع من مدينة اردهان وانضمت اليها وزحفتا معاً الى الامام

وقبل وصولها الى الجبهة عقد القائد الروسي جلسة قرر فيها خديعة العثمانيين واسترداد المدينة دون ان يتكبد خسائر في جيشه واليك بيان ذلك

بعد ان احتل يعقوب جميل بك اردهان ارسل الاوامر الى رؤساء عصابات « التشكيلات المخصوصة » لتأتيه بقواتها الى اردهان فتكون على استعداد للزحف على قارص

وقد وصلت في اليوم الثاني شرذمة قليلة منها وظل وصول البقية منتظراً من وقت الى اخر

وعلم الجنرال بورشوف بهذا من جواسيسه فبدّل من ثياب جنوده ثياب ابناء البلاد التي كانت ترتديها العصابات ووضع في مقدمتها عدداً كبيراً من القفقاسيين ضباطاً وجنوداً يتكلمون اللغة التركية وسيرهم الى الامام وسير قواته الكبيرة وراءهم وعلى بعد قليل منهم . ولما بات هؤلاء على مقربة من القوات العثمانية اخذوا يكلمونهم بالتركية مدعين بانهم منهم فانخدعوا بهم . ولم تشعر القيادة العثمانية بحقيقة هذه الامور الا بعد ان اصبحت تلك القوات في قلب القوات العثمانية ، وباتت القوات الروسية الرئيسية في الجبهة . فكان من جراء هذا ان تشتت شمل القوات العثمانية بصورة زرية واضطر القسم الاكبر منها الى الاستسلام ولم ينجح منها الا عدد قليل

ولم يستطع يعقوب جميل بك الذي دخل اردهان متشبها بنابوليون الكبير من ان يحصل على حمار يفر عليه طلباً للنجاة ، فاضطر الى التراجع وحده طريداً شريداً ولم يتمكن من العودة الى قواته الا بعد يومين ، بعد ان نهكه الجوع والتعب

واحتل الروس في الليل اردهان واخذوا منها ١٥٠٠ بين اسير وجريح نقلوهم الى قارص واعتنوا في هذه المرة بالجرحى خلافاً لعادتهم واسعفوهم الاسعافات اللازمة

وكان سبب هذه العناية مقاومة الدعايات التي سيّرها الالمان والاتراك ضدهم واتهموهم بها انهم يفظعون باسرى الحرب

ان المعلومات التي نشرها الروس واعداؤهم بعد الحرب العالمية لم تكن راهنة في هذه الحوادث، غير ان الرسوم الفوتوغرافية التي نشرت بعد اجتياز الروس للحدود العثمانية في جهات وان ، كما ذكرنا



فظائع هائلة في الجبهة القفقاسية

هذا الرسم اكبر دليل على الفظائع التي رافقت الحرب الروسية العثمانية

في عدد سابق من «الاسرار» تدل على ان الروس قد انزلوا بعض هذه الفظائع ، لا في الجنود الذين اخذوهم اسرى ، بل برؤساء العصابات الذين ايدوا العثمانيين في حروبهم هذه

والرسوم التي نشرناها في هذا العدد عن تلك الفظائع تؤيد هذا الادعاء وتؤيدها كذلك الوثائق التركية الرسمية واذاعات الروس التي نشروها يومئذ

اما القيادة العثمانية فلم تهتم كثيراً بسقوط اردهان ثانية بيد الروس لانها لم تكن تعتقد ان احتلال الجنود غير النظامية لهذه المنطقة هو احتلال نهائي ليقينها ان العصابات ليس في استطاعتها مهما بلغت من القوة ان تحتفظ بالمدن وان تجابه القوات النظامية

ولهذا لم تتأثر تأثراً حقيقياً لهذا الموقف

غير ان القوات الروسية لم تقف عند « اردهان » بعد استردادها اياها ولكنها زحفت تتقدم الى الامام فاحتلت المراكز المرتفعة المطلة على اردهان فتمكنت بعد مناوشات طويلة من تطهير تلك المنطقة من عصابات « التشكيلات المخصوصة »

ثم هاجمت موقع « مراديدي » بقوات غفيرة فدارت حول هذا الموقع معارك شديدة انتهت باحتلال الروس له بعد ان كبدوا العثمانيين خسائر بالارواح فادحة. ويقدرون خسائر العثمانيين في هذه المعارك بـ ٢٥٠٠ قتيل وزهاء خمسة الاف بين جريح واسير

وكانت هذه المعركة اشد صدمة اصابت القوات الغير النظامية في جبهة القفقاس

ولكن هذا الامر لم يرق القائد رضا بك ومعاونه البنباشي حافظ سليمان اللذين انسحبا الى « بور شقا » وأقاما فيها يعيدان تنظيم العصابات الموضوعة تحت تصرفهما .

وقد صرفا في هذا السبيل جهوداً عظيمة استغرقت شهراً وانتهت باعادة تنظيم العصابات على قوة اشد مما كانت من ذي قبل ثم طفقت تهاجم المراكز الروسية .

وقد دارت حول « بورشقا » معارك شديدة جداً اشترك فيها جميع افراد الجنود غير النظامية ضد القوات الروسية النظامية

وزحفت في الوقت نفسه القوات النظامية من المؤخرة غير انها تأخرت كثيراً في الوصول الى الجبهة

وقد كانت المعركة سجالاً، والقنابل التي تتساقط من المدفعيتين الروسية والعثمانية تحصد النفوس حصداً . ورأى القائد العثماني ان من الصعب عليه مواصلة القتال وانه اذا لم تصله النجدات بعد ساعة كان عليه ان ينسحب بقواته من ميدان القتال

وفيما هو يدرس وضباط اركان حربه طريقة الانسحاب من ميدان القتال جاءه احد الجنود وقال :

ـــ مولاي القائد ، بينما كنت ارصد المحادثات التلفونية في الجبهة سمعت محادثة ما برحت دائرة باللغة الروسية !

ـــ مستحيل ، قد تكون بالكرجية من احد رؤساء العصابات!

ـــ كلا بل بالروسية!

فاسرع القائد الى آلة التلفون ، وكان يحسن اللغة الروسية واستمع الى المحاورة فاذا قائد الجبهة الروسية يعلن الفيلق في اردهان ان قواته باتت في حالة لا تساعدها على مواصلة القتال وانه سينسحب الى الجهة الشرقية الشمالية التي هي خالية تقريباً من القوات المهاجمة العثمانية

وقد سر القائد العثماني بهذه المحادثة وعمد الى مهاجمة الروس من تلك الجهة حتى اذا بدأوا بتراجعهم ضربهم ضربة شديدة

وهذه المحادثة التي التقطها العثمانيون اتفاقاً كانت نتيجة خطأ الجواسيس الروس الذين اعتادوا ان يربطوا اسلاك التلفون العثمانية بخط اتصال معهم ليسمعوا مداولاتهم. واتفق ساعة قيامهم بهذا العمل ان كانت المحادثات دائرة في المنطقة الروسية فالتقطها العثمانيون خلسة وكان من جراء ذلك ان وقعت تلك الكارثة بالروس، اوقعها بهم جواسيسهم دون ان يعلموا

اسرار الحرب الكبرى

بقلم كرم ملحم كرم

الامبراطور غليوم دفع بنفسه اسطوله الى معركة «جوتلند» البحرية

معركة تبدأ بسيطة ثم تمسي هائلة

اعظم معركة بحرية في التاريخ

هل رغب امير البحر الالماني «فون تيربيتز» كل الرغبة في براح اسطول المانيا الضخم احواض «كيال»، أم يعارض الامبراطور غليوم الثاني في سعيه لدفع الاسطول بكامله الى مجابهة اسطول انكلترا، اما بدرت منه كلمات التحذير ؟

لقد تألم «فون تيربيتز» كل الالم وهو يرى الاسطول الالماني جاثماً في احواض «كيال» ومصب «ويزر» لا يغادرها وليس يقوى على العودة اليها سالماً اذا غادرها. تململ وهو يشاهد هذا الاسطول الجبار موثوقاً، مكبلاً، يئن في محابسه ولا يجرؤ على الانطلاق منه وثمة جبار اعظم منه شأناً يرصده ويهدده ويرقب ساعة يتسنى له فيها ان ينشب في ضجيع احواض «كيال» براثنه ليمزقه ويسلم من خطره.

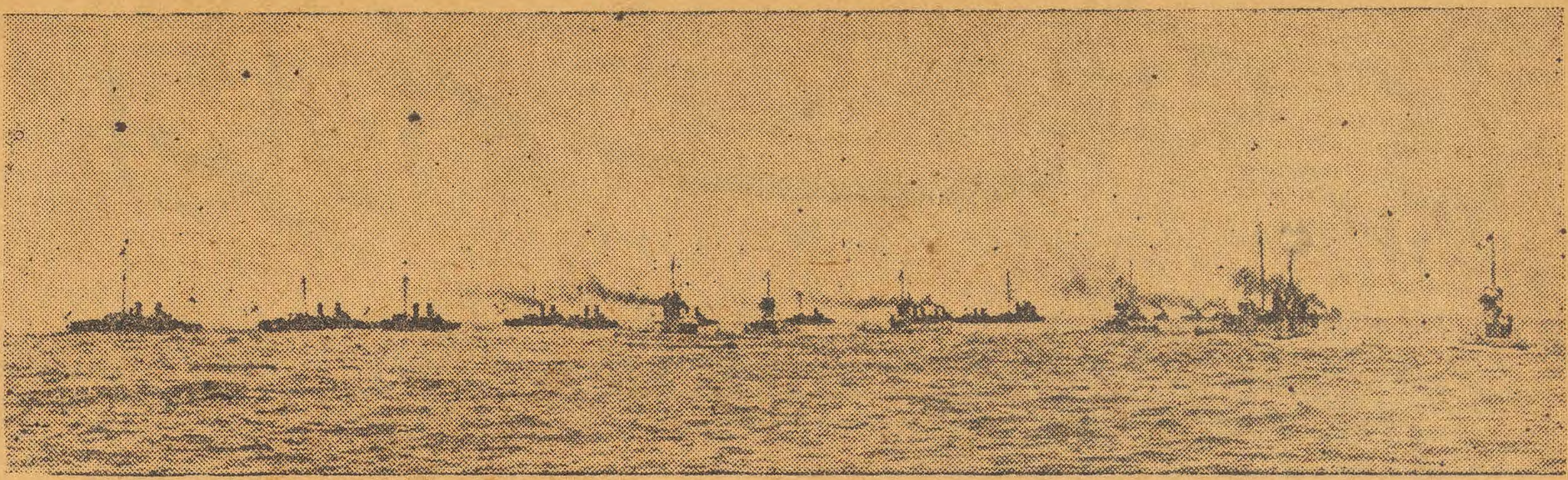
غير ان امير البحر «فون تيربيتز» مع كل رغبته في انطلاق الاسطول الالماني من مجثمه ادرك سوء المغبة. ولقد كان يغار على هذا الاسطول غيرة الاب على بنيه وهو صاحب الخطط الناجحة في تضخيمه وفي بناء قطعه. والامبراطور غليوم الثاني اختاره لهذه المهمة ليقينه ان الرجل من كبار اقطاب الملاحة في المانيا ومن ابعد قادة الاساطيل البحرية نظراً. و «فون تيربيتز» كان على قدر المهمة وعند حسن الظن به. فخدم المانيا اكبر خدمة في تشييد اسطولها العظيم، واقلق انكلترا بما دعا اليه من اعمال وبما قام به من تدابير. وكتب التقرير تلو التقرير يقول ان الاسطول الالماني لا بد ان يبلغ في يوم قريب مستوى الاسطول الانكليزي ويتفوق عليه

مخاوف انكلترا

وهذه التقارير لم تكن حبراً على ورق، بل تلتها الاعمال، فانفقت المانيا عن سعة في سبيل اسطولها. ظهرت عقبى المجهود. فخافت انكلترا وحسبت للامر كل حساب. فاذا بلغ الاسطول الالماني مستوى الاسطول الانكليزي فماذا يبقى من سيادة انكلترا في البحار وهي كل ما تعتمد عليه انكلترا في توطيد ممالكها الواسعة الديار الشاسعة الامصار؟

وخوف انكلترا على سيادتها البحرية اهاب بها الى خوض الحرب الكبرى. فهي تبغي توطيد سلامتها، ولن توطد سلامتها الا وهي تقبض ابداً على سيادة البحار في العالم اجمع. فليس يخيف انكلترا الا ان تقوم دولة بحرية قوية تنشىء المدرعات والاساطيل لتنافسها في سيادتها على متون الامواج

والمانيا حاولت ان تنافسها. فكان ان وقعت الحرب الكبرى قبل ان يقيض لهذا التنافس ان يتنفس. وكان الالمان يرجون ان يحتلوا باريس بعد ثلاثة اشهر من اعلان الحرب، وعندذاك يتسع امامهم المجال لتدويخ



الاسطول الالماني جاثم في مياه « كيال »

قلنا ان الاسطول الالماني الضخم ظل في اوائل الحرب في احواض « كيال » وهذا الرسم يمثله في عرض ذلك المرفأ الحربي الالماني الكبير قبل انطلاقه الى حوض معركة « جوتلند »

اوربا بكاملها حتى والكون باسره دون ما حاجة ماسة الى الاسطول ، الا ان ولاة الامر في برلين اخطأوا في الحساب ، فاعترضت سبيلهم بلجيكا ، ووقفت بهم عن التقدم معركة المارن ، فتراجعوا خاسرين . ونظروا الى اسطولهم وهم يتراجعون فاذا به لا يملك الكفاية المطلوبة. فصرفوا باسنانهم جازعين . غير ان ادمغتهم المولدة لم تقف حائرة امام الصدمة، فما كان من امير البحر «فون تيربيتز» الا ان اشار بحرب الغواصات

اما المدرعات

وهزت الغواصات الالمانية قلب انكلترا مرة اخرى بعدما هزه بناء الاسطول الالماني في المرة الاولى. واحتجت انكلترا على ما ترتكب الغواصات من الخطأ والظلم. فتنسف بواخر آمنة تحمل اناساً آمنين، لا ذخائر فيها ولا قوات من الجند

وهذا الاحتجاج دفع الرئيس ولسون الى الكلام والتهديد . ولقد اذاع في ذلك الحين الالمان ان الانكليز ينسفون هذه البواخر ويتهمون بنسفها الالمان كي يشوهوا سمعتهم امام العالم المتمدن . ولكن الرئيس ولسون لم يتأثر بما يقال بل ألح على المانيا في ضرورة الامتناع من متابعة حرب الغواصات

امتعاض فون تيربيتز

فامتنعت المانيا . واذا امير البحر « فون تيربيتز » يمتعض كل الامتعاض . لقد قضى على فكرته الرئيس ولسون. وابلغ الامبراطور غليوم الثاني ان المانيا امست في البحار مكتوفة اليدين ، فلا غواصاتها تستطيع عملا وقد حكم عليها بالجمود ، ولا اسطولها يقوى على الحركة وهو دون الاسطول الانكليزي عظمة وشأناً

غليوم يقترح

فاقترح الامبراطور غليوم ضرورة براح الاسطول قواعده . فلماذا انشأته المانيا وانفقت عليه الاموال الطائلة ان يكن لا يخرج عن مجثمه ؟..

واشار الامبراطور غليوم الى نفور الاهلين من جمود الاسطول، فمن الواجب ان يظهر وان يشترك في درء الملمة

فاوضح امير البحر «فون تيربيتز» لصاحب الجلالة انه يرجو كل الرجاء ان يخلع الاسطول الالماني عنه جموده وان يبرز الى الميدان ، غير ان اعداءه الانكليز اشد صلابة منه ، فليس للاسطول الالماني ان ينال منهم منالا الا وقد تحطم باجمعه

ووفر الادلة على ما يعلن ، فلم يقتنع الامبراطور غليوم بهذا الرأي واصرَّ على ضرورة انطلاق الاسطول الالماني الى عرض البحر، فيبدو في بحر الشمال وينفض عنه الخنوع

ولكنه يلقى الخسران

فقال « فون تيربيتز » : ولكنه يلقى الخسران !

فكان جواب الامبراطور غليوم : هي محاولة، فاذا نجحت ملكنا

الفوز وقيل ان المانيا قهرت في البحار انكلترا !

فظل « فون تيربيتز » يمانع . وكان يومئذاك وزيراً للبحر في المانيا . و مع كل تفاخره بانه انشأ اسطولا كاد يمسي في زمن قريب اعظم اسطول في العالم لم يكن يرى من الحكمة ان يخرج هذا الاسطول من احواضه والنكبة ترقبه في الطريق

اجل ، هو يميل الى الغلبة والفوز ، الا ان الطريق غير ممهد في البحر اليهما

و « فون تيربيتز » يدرك ما يقول . فليس يجهل قوة الاسطول الانكليزي ومبلغ سلطانه . وقارن بين الاسطولين ، بين اسطول انكلترا واسطول المانيا فكانت النسبة بعيدة . ولكن غليوم يريد . فمن خطا الخطوة الاولى لا يحجم عن المضي في سائر خطواته ، فاما فوز واما اخفاق . وهذا ما كان من غليوم الثاني . لقد خطا وبات يشوقه ان يتابع المسير ، بل اخذ يشعر بالحاجة الى متابعة المسير وقد هدم الحلفاء خطته في امتلاك قلب فرنسا

اذاً هناك يأس !

وذلك الحصار البحري المضروب على المانيا زاد في نقمة الامبراطور غليوم الثاني على انكلترا . أترهقه انكلترا كل هذا الارهاق ، فتمنع عنه الذخائر والمؤن ، ويشعر شعبه بالجوع وجنده بالحاجة الى الاعتدة ، ويكون له اسطول وافر القوة ، فيضطر هذا الاسطول الى الاختباء ولا يحاول محاولة اليائس المستميت ؟

قد يتحطم هذا الاسطول ، قد يفنى بكامله ، ولكن ذلك لا يدعو الى بقائه في الزاوية . ربما تم له الفوز . فالاقدار تخدم وتمنح الفوز حيث تنتظر احياناً الخيبة كل الخيبة

فود امير البحر «فون تيربيتز» ان يكون من رأي الامبراطور غليوم ، ود ان يتفوق اسطوله على اسطول انكلترا وفي ذلك من الجد ما فيه ، بيد ان الارقام كانت تميل به عن هذه المجازفة . وخشي على هذا الاسطول ان يصاب بمكروه فآثر الاستقالة على تأييد مولاه صاحب الجلالة في اهدافه

استقالة فون تيربيتز

وطال الجدل بين الامبراطور ووزيره . وذهبت محاولات الاقناع سدى . فالامبراطور ما برح يفكر منذ اواخر سنة ١٩١٥ في دفع اسطوله الى مقاومة الانكليز . ولما ايقن امير البحر « فون تيربيتز » ان مقاومته لا تجدي عاد ان مولاه بصراحة وهو المعارض لخطة اندفاع الاسطول الالماني الى بحر الشمال ، انه بات لا يقوى على البقاء في منصب وزارة البحر ما دامت الخطة ستنفذ سواء ايدها او لم يؤيدها

فكان جواب الامبراطور غليوم ان الاستقالة لا تحول دون وضع الخطة موضع العمل

فلم يبق بعد ذلك لامير البحر الا ان يستقيل . واستقال . ففي ١٧ اذار ١٩١٦ كانت استقالته مبرمة . وارتاح الامبراطور لهذه الاستقالة . وقد بات بها حراً في العمل ليس امامه من يعارضه في مشروعه العظيم

قائد الاسطول الجديد

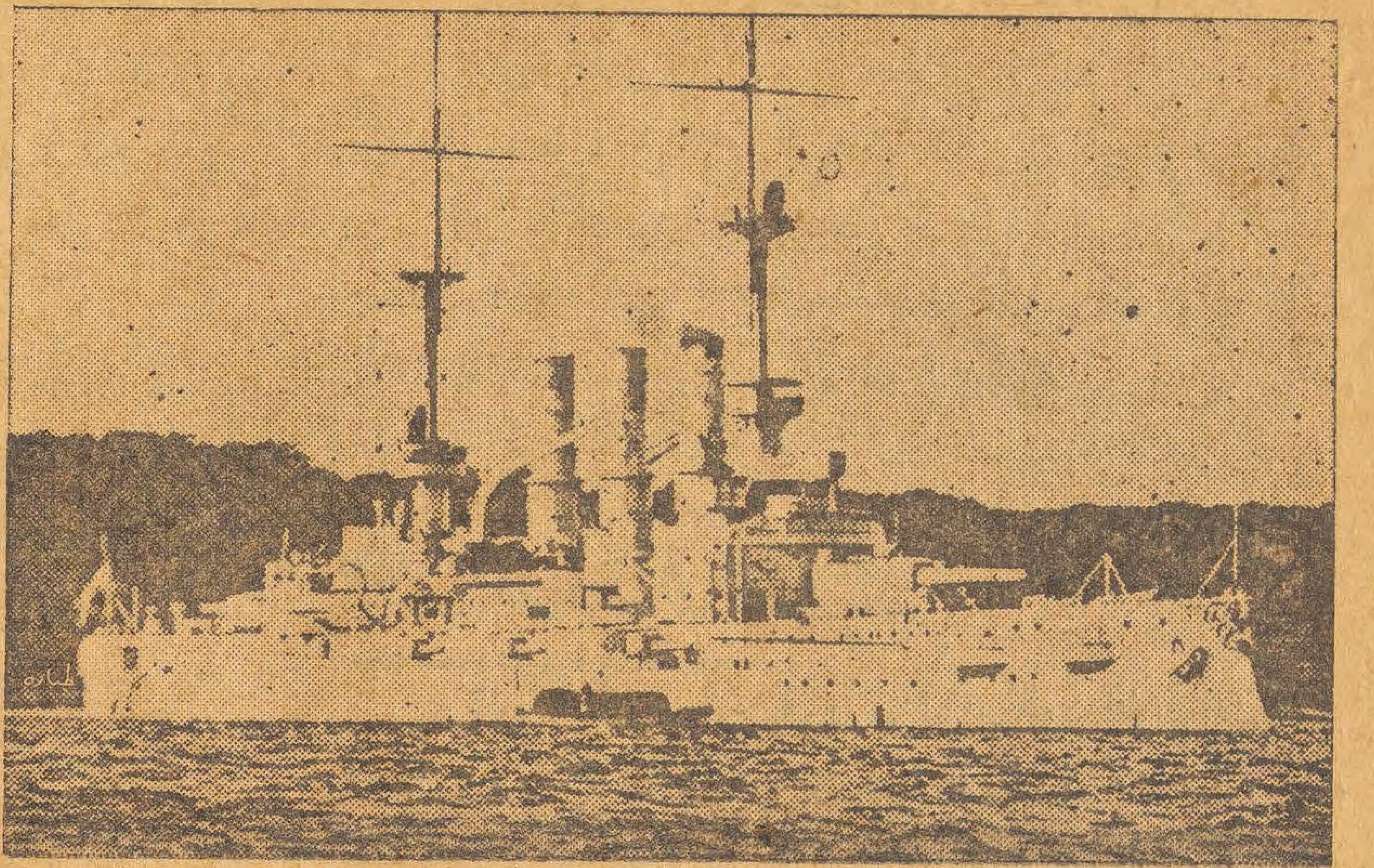
وظلت الفكرة تختمر في رأس الامبراطور غليوم حتى شهر ايار ١٩١٦ ، حينذاك لم يكن من ابرازها بد . فباحث فيها رجاله ، بل هو دعاهم الى العمل بها . واختار امير البحر « فون شير » لرئاسة اركان الحرب في قيادة الاساطيل البحرية . وفي ٣٠ ايار اثبته في هذا المنصب . وفي ٣١ منه ، اي في اليوم التالي ، كان « فون شير » يدفع الى بحر الشمال طلائع اسطوله ، ثم مدرعات الاسطول الضخمة

كيف بدأت المعركة

في الساعة الرابعة من صباح يوم الاربعاء في ٣١ ايار ١٩١٦ برح الاسطول الالماني قواعده . وكان مؤلفاً من قسمين ، قسم انطلق من « كوكسهافن » وقسم من « ويلهلمسهافن » . وتقدمه اسطول كشاف تحت قيادة امير البحر « فون هيبر » . ولدى الساعة الثانية والدقيقة العشرين بعد الظهر اتصل نبأ هذا الاسطول بامير البحر الانكليزي «بيتي» اتصل به نبأ ظهوره ، على حين ان الاخبار الواردة عليه ابلغته منذ الصباح ان قوات المانية بحرية ضخمة غادرت قواعدها ، فما كان منه الا ان اتجه الى الجنوب والجنوب الشرقي ليسد عليها العودة . ولا بد له وهو يسد عليها العودة من ان يشتبك واياها في معركة طاحنة

الرغبة في تهديم الاسطول الالماني

فالحكومة الانكليزية وهي تريد الخلاص من الاسطول الالماني سعت بكل جهدها لبضع الدملة والخلاص من هذا الاسطول . والآن وقد سنحت الفرصة رأى امير البحر «بيتي» ان يوفر لبني قومه الخدمة التي يحنون اليها . ولما ايقن ان الاسطول الالماني بات في موقف خطر لا غنية له فيه عن خوض معركة حاسمة انتقل باسطوله الى الجهة الشمالية الشرقية من بحر الشمال بجانب شواطىء ولاية « جوتلند » الدانماركية . وقد سره ان يكون جر الى الفخ امير البحر « فون هيبر » . ومن



المدرعة « بومرن »

الالمانية

وهي المدرعة الالمانيــة الكبرى التي اهتم الامبراطور غليوم الثاني بتشييدها . فاشتركت في معركة « جوتلند » الكبرى وكان لها الاثر البليغ في اطلاق القذائف على الاسطول الانكليزي، وهي من قطع اسطول امير البحر « فونشير »

الجهة الشمالية الشرقية اطلق النار ، وكان ذلك لدى الساعة الثالثة والنصف

ومضى الاسطول الانكليزي في مداوراته . فانتقل مرة اخرى من ناحية الى ناحية حتى انتهى الى الجهة الجنوبية الغربيــة ، وهكذا سد الطريق على الاسطول الالماني الماثل امامه وقد وقف بينه وبين الشواطىء الالمانية لا يخشى ان تطوقه سائر قطع الاسطول الالماني

كاد الالمان يفوزون لولا..

والاسطول الانكليزي تفوق بعدده على الاسطول الالماني . فلم يكن امير البحر « فون هيبر » يملك من المدرعات ما يزيد على الخمس، على حين ان امير البحر الانكليزي « بيتي » كان يملك ست مدرعات. ومع هذا التفوق لم يفر امير البحر الالماني من المعركة بل طاب له ان يخوضها. ودام التراشق بالقذائف نحواً من اربعين دقيقة . وبدا الفوز في جانب الانكليز ، كفتهم كانت الراجحة . واوشكت المعركة ان تنتهي ، غير ان مدرعتين كبيرتين من المدرعات الانكليزية انفجرتا وغرقتا . هما الباخرة « انديفاتيغابل » و« كوين ماري ». غرقت الاولى لدى الساعة الرابعة والدقيقة العاشرة ، والاخرى لدى الساعة الرابعة والدقيقة العشرين

فالمدة بين غرق الاثنتين عشر دقائق لا اكثر . وحيال هذه الخسارة لم يكن بد من فوز الاسطول الالمـاني . فالفوز بسم لامير البحر « فون هيبر »

كيف غرقت المدرعتان ؟

ويقــال ان الغواصات الالمانية اغرقت المدرعتين . فقد تسنى للغواصات ان تقترب من الاسطول الانكليزي وتنسف المدرعتين وتضمن الرجحان للاسطول الالمـاني ، غير ان ثمة من ينفي تدخل الغواصات في الامر ويقول ان العمل عمل المدرعات، فحارب بعضها بعضاً .

والمدرعة « كوين ماري» الانكليزية الغريقة حمولها ثلاثون الف طن ، وسرعتها من مئة الى مئة وعشرين ميلا ، وسلاحها ثمانية مدافع من عيار ٣٤٠ وبعضها من عيار ٣٤٣ ، فهي من المدرعات التي يعتمد عليها في البحار . غير ان الالمان اغرقوهـا . ولا يزال امر غرقهـا سراً من الاسرار

الانكليز يستنجدون

وكان امير البحر « بيتي » قد استنجد باخوانه رجال البحر الانكليز . فاقبل الى نجدته لدى الساعة الرابعة والدقيقة الثامنة امير البحر « ايفان توماس » بمدرعاته الاربع: « كوين اليزابت » و« بارهام» و « فاليانت » و« وارسبيت » و « مالايا »

واخذت هذه المدرعات في اطلاق قذائفها على بعد ثمانية عشر ميلا ، وكان لمدافعها الضخمة الاثر المطلوب ، فالنيران الالمانية بدأت تخمد على اثر بطشها بالمدرعتين الانكليزيتين

النجدات تتوالى

وتوالت النجدات على امير البحر « بيتي »، ففي الساعة السادسة اطل اسطول مؤلف من ثلاث مدرعات يقودها امير البحر «اربثنوت»،

وهذه المدرعات هي « ديفانس » و « وارو » و « بلاك » و « برنس »

ولدى الساعة الثالثة والربع بدا اسطول آخر مؤلف من الطرادات « انفانسيبل » و « انفلكسيبل » و « اندوميتابل » يتولى امرها امير البحر « هود »

عظمة الالمان

فلم يكن من الاسطول الالماني على ضؤولة عدده الا ان قاوم هذا العدد الطاغي . فما ظهر اسطول امير البحر « اوتنوت » حتى كانت القذائف الالمانية تذهب به على الفور ، فشقت المدرعة « ديفانس » وشطرتها الى شطرين ، وبعد دقائق اغرقت المدرعة « بلاك برنس » وعطلت المدرعة « واربور » ، على ان الانكليز جروها الى بعد ثلاثين ميلا كي ينقذوها من الغرق ولكنها لم تسلم من اللجج

فلم يبق لامير البحر « بيتي » من سند يعول عليه غير الاسطول المفوض امره الى « هود » والاسطول المعقود اللواء لامير البحر « ايفان توماس » ، وهذا الاسطول ابدى من الحنكة والمقدرة ما لا يستهان به . فحلت منه لدى الساعة السادسة والنصف المدرعة « وارسبيت » محل المدرعة « واربور » واغرقت ثلاث مدرعات المانية . وكان قد بدا من الوراء « فون شير » باسطوله الضخم الرهيب يحاول تطويق امير البحر الانكليزي « بيتي »

خسارة المدرعة انفانسيبل

وخسر امير البحر « هود » المدرعة « انفانسيبل » وقد اشتبكت في معركة وسفينة المانية وسقطت واياها معاً في قاع البحر بعد قتال دام ثلاثين دقيقة . وانضم الطرادان « انفلكسيبل » و « اندوميتابل » الى المدرعات الاربع الباقية لدى امير البحر « بيتي » ، لولب المعركة ، وهي ليون و « برنسيس رويال » ، و « تيغر » ، و « نيوزيلند »

الاستنجاد بالقائد الاعلى

ولدى الساعة الخامسة استنجد « بيتي » بقائد الاسطول الانكليزي العام امير البحر « جاليكو » . فاسرع القائد الاعلى الى تلبية النداء . وكان قد تقدمه بزمن وجيز امير البحر « هود » وهو من رجال اسطوله ، هذا الاسطول البالغ ثلاثين مدرعة . ويمكن القول ان « جاليكو » اشترك منذ الساعة السادسة والدقيقة العشرين في المعركة وقد دفع اليها اسطولا مؤلفا من ثلاث مدرعات هي : « ريفانج » ، و « رويال اواك » ، و « ازانكو » يقودها امير البحر « بورناي »

وبعد دقائق عشر ظهر اسطول آخر يواثب المدرعات الالمانية تحت قيادة امير البحر « ستوردي »

لا بد من الهزيمة

ولم يكن من الهزيمة بد حيال هذه القوة الغلابة . فتراجعت السفن الالمانية وهي لا تزال تطلق قذائفها . وكانت تسير في هزيمتها بنظام وتتقي نيران الاعداء بتعاريج تقوم بها وباطلاق دخانها الكثيف لتحتجب به عن الابصار

وشاء « جاليكو » ان يسد عليها بمدرعاته الكثيرة — ولم يشترك منها في المعركة ما يزيد على اثنتي عشرة — الطريق العام الى المانيا ، فلم يسعفه الضباب وقد انتشر ومنعه من رؤية ما امامه . وتسنى للاسطول الالماني النجاة وكان بعدما الى نجدته قائده العام « فون شير » . ولكن هذه النجدة ظلت بلا جدوى حيال تفوق العدو ، فما اسعفت الاسطول الالماني في سوى النجاة من ورطته والرجوع الى قواعده ببعض الطمأنينة

قلق الحلفاء وخسارة الانكليز

ويوم الجمعة ، في ٢ حزيران ، وردت الانباء الاولى على باريس تثير القلق والارتباك . فالانكليز اوضحوا خسارتهم بجلاء في بلاغات اذاعوها . ولم تكن تشير الى النصر بل الى الهزيمة . فقلق الرأي العام الفرنسي كل القلق ، بل قلق الحلفاء باجمعهم . اذاً لقد تغلب الالمان في البحر وفقدت انكلترا منزلتها العالمية المضمونة لها على منذ دهور

قال البلاغ الانكليزي :

« غرقت المدرعات « كوين ماري » ، « انديفاتيغابل » ، « انفانسيبل » ، والطرادان « ديفانس » و « بلاك برنس » . وتعطل الطراد « واربور » ، وبعد ما جره رجاله مسافة في عرض البحر اضطروا الى اخلائه . وغرقت المدمرات « تيبراي » و « توربيلات » ، و « فورتين » ، و « سباروهوك » ، و « اردانت » ولم ترد علينا انباء توضح مصير المدمرات الست الاخرى ... »

وزاد البلاغ فقال ان خسائر العدو مهمة

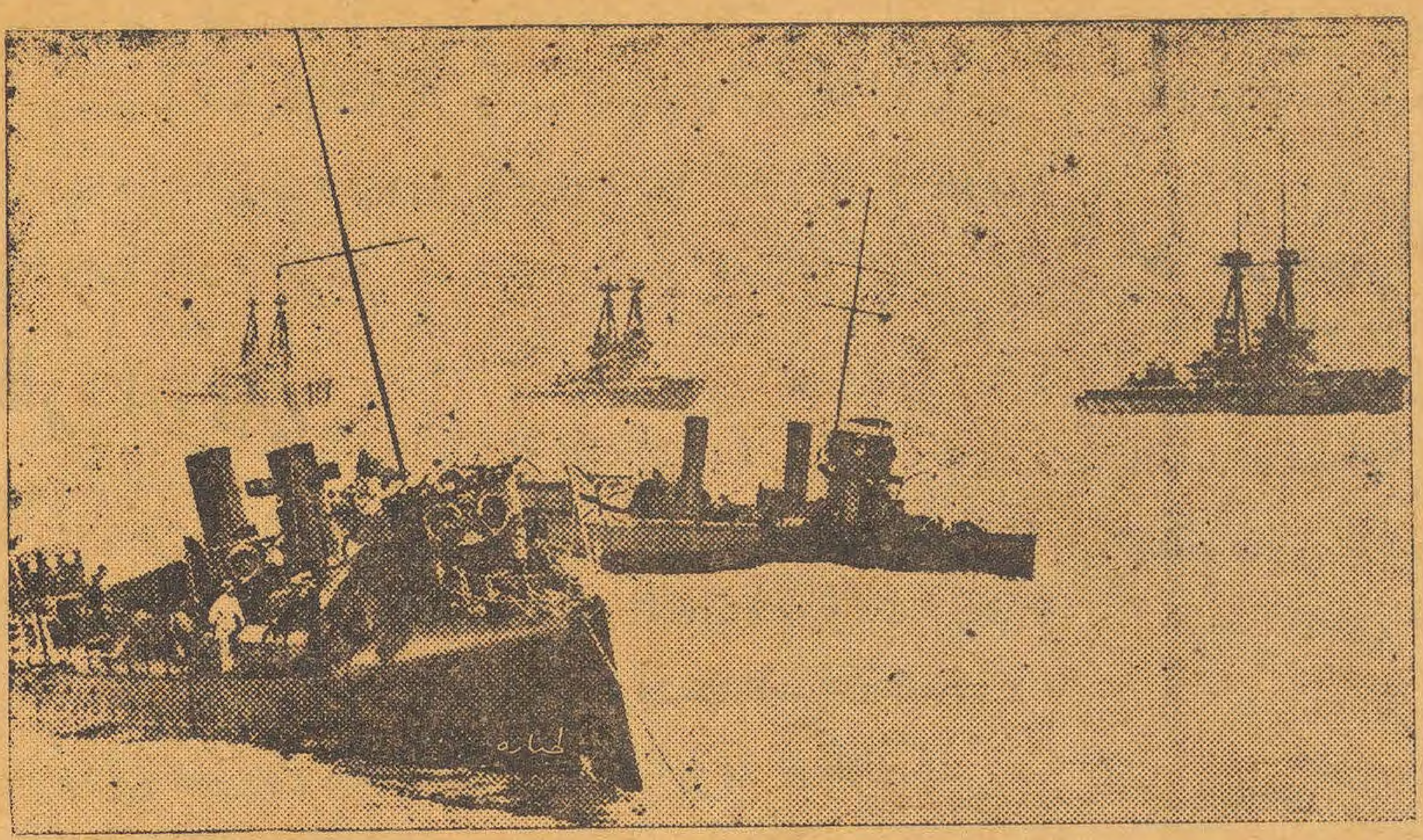
الابهام يسود الحقيقة

ومثل هذا البلاغ لا يدعو الى الاطمئنان . فذاع بلاغ آخر اعاد الى النفوس القلقة بعض روعها . على ان الحقيقة ما زال مبطنة بالابهام

الاسطول الانكليزي

في بحر الشمال

يمثل هذا الرسم الاسطول الانكليزي، هو يجنوب بحر الشمال ويضرب الحصار على الالمان. وهو بعض الاسطول الذي خاض معركة « جوتلند » وكان النصر حليفه. وضمن له انتصاره فيها وفرة عدده وكان يزيد على الاسطول الالماني اضعاف الاضعاف



قال البلاغ الثاني ان مدرعة من فئة « دردنوط » ذات الطراز الالماني المعروف بطراز «قيصر» انفجرت وغرقت ، وان مدرعة ثانية تعطلت ، وان مدرعة ثالثة اصيبت بخسائر جسيمة ، وان ستة طرادات غرقت كما غرقت غواصة ، وان طرادين تعطلا ، وان ثلاث مدرعات من فئة « دردنوط » اصيبت بخسائر فادحة

ولكن هذا البلاغ نفسه ما برح محجباً بالغموض . فالحقيقة اين هي ؟

وعلت من المانيا صيحات الاغتباط . فقد شاء الالمان القول انهم الفائزون

فراع الحلفاء ما يسمعون ، وتراءى لهم ان انكلترا هي الخاسرة ، وان سيدة البحار لم تظفر في البحار

ماذا قالت الطان ؟

وشاءت جريدة « الطان » الفرنسية ان تستر امر الاخفاق الانكليزي فكتبت في ٤ حزيران ١٩١٦ تقول : « مهما يكن من جسامة الخسارة المنكوب بها الاسطول الانكليزي فقد استطاع ان يحول دون اتجاه الاسطول الالماني الى الشمال، وهذا هو المطلوب !..»

اين الاسطول الالماني ؟

فالحلفاء آلمتهم الانباء الاولى الواردة عليهم، وآلمهم ما سمعوا من المانيا المهللة لفوزها في ٣١ ايار، فهي التي فازت في معركة « جوتلند » كما اعلنت. وكان من امر محاولتها اقناع الشعب الالماني والعالم بهذا الفوز انها دعت الى الزينات ورفع الاعلام والتنوير . غير انها اعترفت اخيراً بان اسطولها لقي الهزيمة ، وانه لجأ في البدء الى الشواطىء الدانماركية وما لبث ان تابع مسيره الى قواعده

ولكن هذه الهزيمة لم تمنع الامبراطور غليوم من تهنئة امير البحر «فون شير» بما ادرك من نصر ، وقلده وسام الاستحقاق ، ورفع مرتبة امير البحر «هيبر» ، وامر المعاهد باقفال ابوابها يوماً واحداً ابتهاجاً بالظفر .

برقية ملك انكلترا

فان هذا الظفر ادعاه الجميع ، الانكليز والالمان . فالانكليز يقولون انهم الغالبون والالمان يعلنون ان الغلبة كانت لهم . وضاعت الحقيقة بين ادعاء هؤلاء وادعاء اولئك . ولكن فرار الاسطول الالماني وضع حداً لكل دعوى . فهو لو بقي في الميدان يتابع القتال كما بقي الاسطول الانكليزي لكان للواقع ان يتكلم ، غير ان الاسطول الالماني اتقى المعركة ، وهذا ما اعترف به الالمان انفسهم ، فهم مع كل ما انزلوا بالاسطول الانكليزي من الخسارة، وهي خسارة يجب الاعتراف بانها فادحة فاحشة ، لم يتابعوا القتال بل اداروا له ظهورهم وهو في ابان اشتداده

وفي ٣ حزيران كان جورج الخامس ملك انكلترا يطير الى امير البحر «جاليكو» قائد الاساطيل الانكليزية العام البرقية التالية :

« يؤسفني ان يكون الاسطول الالماني استطاع النجاة من عواقب اصطدام كان يشتهيه كما اعلن ، الا ان هذا الميل لم يظهر فيما سنحت الفرصة

« ومع ان هزيمة العدو فور بدء المعركة العامة حرمتنا ادراك نصر قاطع فان ما جرى في ذلك اليوم يزيد في ثقتي بقيمة الاساطيل التي تقودها وبكفايتها العالية »

امير البحر بيتي

بطل معركة "جوتلند"

هو الامير « دافيد بيتي » الانكليزي بطل معركة جوتلند. فكان اول من اصطدم من قادة البحار الانكليز بالاسطول الالماني المنطلق من احواض كيال . ولم يكن امير البحر «بيتي» في ذلك الحين في عمر يزيد على السادسة والاربعين . وقد اظهر من رباطة الجأش الحنكة الشدة في هذه المعركة ما رفعه الى مقام القائد الاعلى للاساطيل الانكليزية

ولما ادرك ان اصطدامه بالاسطول الالماني يكلفه غالياً وربما ينكبه بالخسارة، استنجد بسائر الاساطيل الانكليزية فاقبلت ونصرته وضمنت الفوز لانكلترا

والرسم البادي بجانب هذا الكلام يمثل هذا القائد الصلب العود . اجل ، لقد غلب على معركة « جوتلند » اسم امير البحر « جاليكو » ، و « جاليكو » هو والحق يقال المنقذ ،غير ان « بيتي » كان الركن الاول في المعركة، ولبصيرته ورباطة جأشه كل الشأن في ادراك النصر



وتألمت البرقية لفقد من سقط في المعركة من الملاحين الانكليز الاشداء

خسارة الفريقين

والحقيقة الراهنة تعلن بصراحة ان معركة «جوتلاند» ـ وقد دامت ثلاث ساعات ونصف ساعة ـ اساءت الى الالمان اكثر مما اساءت الى الانكليز ، مع ان الخسارتين تكادان تتعادلان . ولكن الاسطول الانكليزي ، وهو الوافر العدد ، لا تؤثر فيه الخسارة كما تؤثر في الاسطول الالماني

فقد خسر الانكليز في معركة «جوتلند» اربع عشرة قطعة حربية حمولها مئة وستة عشر الف طن ، وخمسة آلاف رجل

وخسرت المانيا ثماني عشرة قطعة حربية حمولها مئة وسبعة وثلاثون الف طن ، وستة الاف رجل

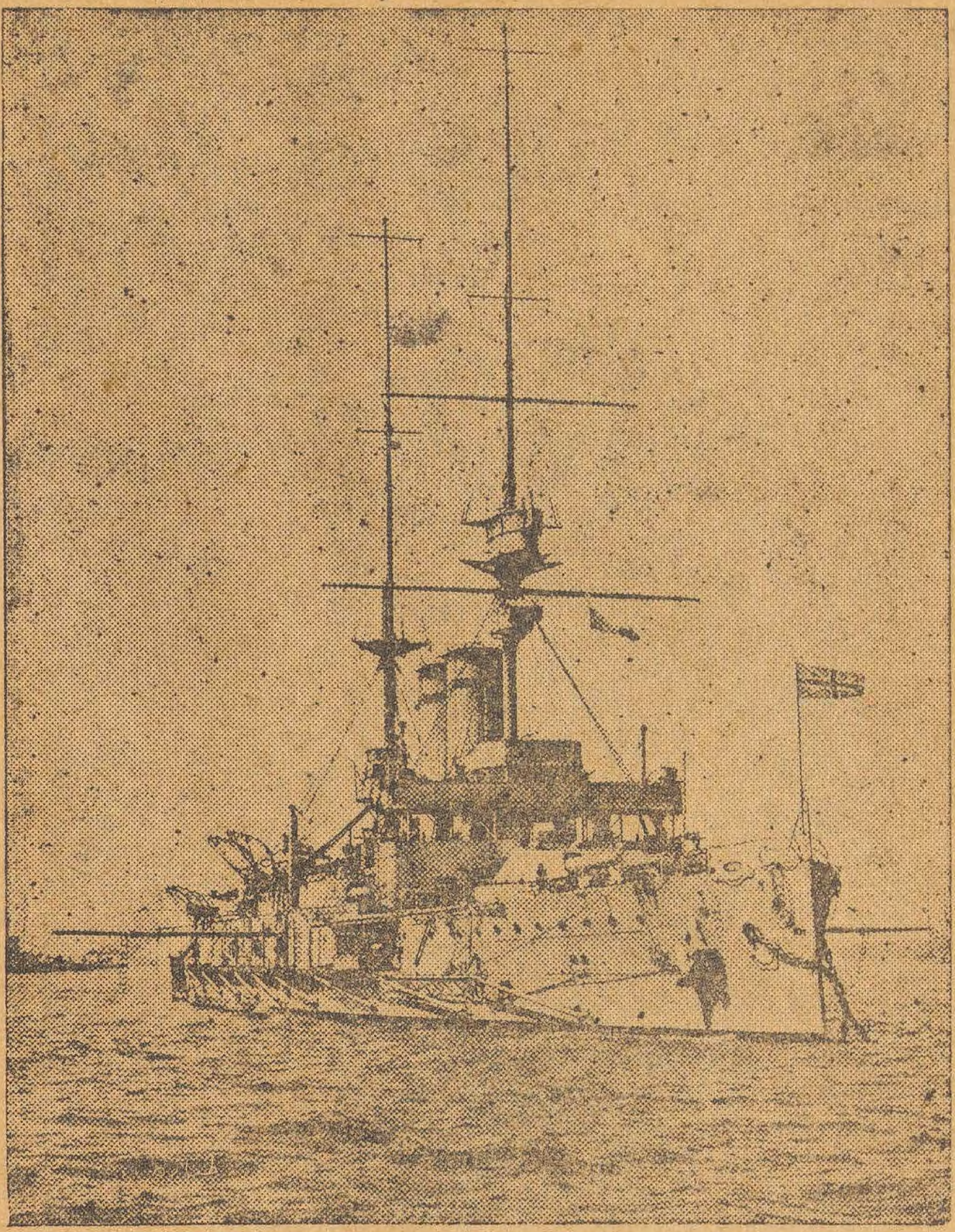
وفي اول تشرين الثاني ١٩١٦ كتب في مجلة باريس السيد « اوليفيه كيميناك » يقول : « لا جدال في ان معركة جوتلند انتصار انكليزي ما دام الانكليز فرضوا مشيئتهم على العدو. اما الخسائر فقد لقي منها الالمان اعظم مالقي به خصومهم الانكليز»

تقرير "جاليكو"

ووضع امير البحر «جاليكو» ، قائد الاساطيل الانكليزية العام، تقريراً في هذا الصدد هنأ فيه امير البحر «بيتي» لرباطة جأشه وحنكته. ووصف المعركة بالتدقيق . وجاء في ختام تقريره قوله ان السفن الالمانية التي غرقت ست عشرة ، بينها اربع سفن كبيرة ، وان خمساً منها تعطلت ، بينها سفينتان كبيرتان ، وانه لا يحتمل ان تكون هذه السفن بلغت المرفأ بعد كل ما اصابها

من هو امير البحر "بيتي"

كان امير البحر «بيتي» في السادسة والاربعين من عمره لدى نشوب معركة «جوتلند» . وهو من امراء البحر الذين ابدوا كل اقدام ومقدرة . ففي آب ١٩١٤ قام بعمل جريء في مهاجمة الاسطول الالماني في « هيليغولاند» ، وفي شهر كانون الثاني ١٩١٥ تفوق في « دوغربانك » على هذا الاسطول



المدرعة «نيوزيلند» الانكليزية

وهي من المدرعات الكبرى في الاسطول الانكليزي اشتركت في معركة «جوتلند». مع مدرعات القائد «جاليكو» وانكلترا بنت العدد الكبير من هذه المدرعات. وبتفوقها بهذا العدد ملكت زمام البحار وسادت كل دولة بحرية

ومعركة «جوتلند» خير دليل على هذا التفوق. ولو تأخرت حرب ١٩١٤ عن الوقوع، واتسع المجال امام المانيا الى بناء اسطول يضارع الاسطول الانكليزي لافلتت هذه السيادة حتماً من ايدي بريطانيا العظمى. غير ان الحرب وقعت، وكانت الفائدة فيها لانكلترا اكثر منها لسكل" دولة وقد ضمنت لنفسها سيادة البحار وباتت وليس يزاحمها فيها مزاحم . فهي الان هانئة راضية لا تجد ظلا يعكر صفاءها ، سواء في المحيط الهندي والاتلانتيك والبحر المتوسط

ومما قال فيه امير البحر « جاليكو» ان فضله الاكبر ان يكون عرف كيف يداور العدو لما اطل الاسطول الالماني الضخم لقائده «فون شير» بمدرعاته الثماني عشرة وسعى لتطويقه وحصره بين نارين. فقد توفر لامير البحر «بيتي» ان يخرق هذا الحصار وينجو منه ويهدم خطة اعدائه راغباً في القتال حتى النهاية ومتجهاً الى الناحية الشرقية الغربية المقبل منها قائد الاساطيل الانكليزية العام بمدرعاته

فظل «بيتي» حتى اخر دقيقة لولب المعركة. اجل، لقد ساعده عليها قادة كثيرون ، الا انه مهد فيها الطريق الى الفوز بما يملك من بعد نظر وسداد رأي واقدام

وفي اواخر سنة ١٩١٦ ترقى الى قيادة الاسطول العامة، وتولى امير البحر «جاليكو» منصب اللورد الاول في البحرية البريطانية

أتعود المانيا الى الظهور في البحار ؟

وتساءل منشئون كثيرون على أثر معركة «جوتلند» هل تعود المانيا الى الظهور مرة اخرى في البحار ؟

على ان الاثبات او النفي ما كانا بالامكان . فقد تكون المانيا اكتفت بمعركة « جوتلند » وقد تكون تميل الى معركة اخرى تكون فيها اوفر حظاً . غير ان ما بدا منها دل على رغبتها في العودة الى حرب الغواصات . فهي اعظم جدوى واقل خسارة . فالامبراطور غليوم لم ير له ندحة عن العمل برأي «تيربيتز»

ترى ماذا كان يضيره لو لم يخرج عن هذا الرأي ؟

المعارك على الحدود الايطالية النمسية

الايطاليون يعودون الى مهاجمة النمسا لتخفيف الضغط عن فردون

الجيش الايطالي ينهزم في البدء ثم يفوز

استقالة الوزارة الايطالية

وقف في بدء شتاء ١٩١٦ الهجوم الايطالي ، غير انه عاد في شهر اذار من السنة نفسها الى ما كان عليه . فالايطاليون شاؤوا مهاجمة النمسيين كي يرغموهم على انتزاع بعض قواتهم ومعداتهم من فردون فيخف ضغط اعدائها لها

ووضعت القيادة العليا الخطة الواجب على الايطاليين العمل بها، ومن شأن هذه الخطة احتلال « تولمينو » و«غوريزيا »

وفي صباح ١١ اذار بدأت المدفعية الايطالية عملها على جبهة تمتد من « بلازو » الى البحر . وعهد الجيش النمسي الخامس الى الجيش العاشر بمنطقة «تولمينو » . فصدمه الايطاليون بالجيش الثاني المؤلف من سبع فرق ، والجيش الثالث المؤلف من احدى عشرة فرقة

وفي ١٣ اذار قام المشاة الايطاليون بهجومهم على انهم لم يتقدموا في جبهة الجيش الثاني وقد كللت الثلوج الاعالي وملأ الضباب الاعماق

وفي ١٧ هاجم النمسيون المواقع الضعيفة ، اي المواقع التي وقف فيها في بدء الشتاء الهجوم الايطالي. فاحتلوا قمة « سانتا ماريا دي تولمينو»، وفي ١٩ احتلوا موقع «لتروكيتو » ،وفي ٢٠ هاجموا موقع « بلازو »، الا ان الايطاليين ما لبثوا ان استعادوا منهم ما غنموه

على جبهة الجيش الثالث

وعلى جبهة الجيش الثالث هاجم في ١٤ منه الفيلق السادس « غوريزيا » . واقيلت النجدات على النمسيين فحاولوا في ١٩ منه صد هذا الهجوم فلم يفلحوا . فاعادوا الهجوم فخسر الايطاليون خنادقهم وما لبثوا ان استعادوها ، وامتد في ذلك النهار القتال نحو الشمال الى ناحية جبل « سابوتينو »

والتوى في البدء الايطاليون ، ثم ما لبثوا ان عادوا الى الهجوم واقصوا النمسيين عن اماكنهم . وفي الجنوب ، في «كارسو» ،هاجم الفيلق الايطالي الحادي عشر النمسيين بين القمة الرابعة من جبل «سان ميشال» و«سان مارتينو» . واستولت الفرقة الحادية والعشرون على خط من الخنادق الا انها لم تقو على الاحتفاظ به . وما استطاعت الفرقة الثانية والعشرون ان تجاوز خطوط الاعداء. وفي الجهة الجنوبية القصوى من الجيش الثالث استولى لواء القائد «آكي» على استحكامات نمسية في شرقي «سلز» واحتفظ بها مع عودة النمسيين الى مهاجمته

وفي شهر اذار انتهت معركة « ايزونزو» الخامسة

معارك شهر نيسان

وفي شهر نيسان سعت القيادة النمسية لحصر قواتها في ولاية « ترانتان » . بيد انها لم تقم بالهجوم في سوى منطقة نهر « ايزونزو» العليا ، على حين ان الايطاليين قضوا شهر نيسان في هجمات صغيرة سواء في منطقة نهر « اديج العليا » وفي ولاية « ترانتان » على جبهة الجيش الاول ، او في الناحية الجنوبية من جبل « كارسو »

الهجوم النمسى

وفيما هذه الهجمات الثنوية تقع على الجبهة كانت القيادة النمسية تعد هجوماً خطيراً . واختارت ولاية « ترانتان» قاعدة هذا الهجوم. وعيب هذه القاعدة انها بعيدة عن وسط القتال وان فيها خطين حديديين يلتقيان في خط واحد . على ان النمسيين اذا افلحوا في هجومهم ادركوا النجاح الاكبر . فالجيش الايطالي المندفع في شرقي نهر « اديج » يفاجأ من الوراء ويلبث محصوراً في « فاناسيا »

وحاول اركان حرب النمسا معالجة مصاعب المواصلات بان تمسي ولاية « ترانتان » موقعاً حربياً واسعاً ، جامعاً لمستودعات عظيمة من المؤن والملابس والذخائر ، تمتد في البراري على مساحات طويلة . ولم يتردد النمسيون في تحقيق الخطة . فباتت تلك المنطقة ميداناً فسيحاً لمعسكراتهم وجيوشهم ، فيها المستشفيات والمستودعات. وحملوا الاهلين على براح الاماكن التي يحتاجون اليها . واستعانوا في مواصلاتهم بالدواب والمركبات والسيارات ، واهتموا باصلاح الطرق وجروا المياه الى الاماكن الخالية من الماء

الايطاليون لا يصدقونه

وفي اواخر شهر شباط تراءى لقيادة الجيش الايطالي الاول ان ثمة حشداً نمسياً ، فأبى القائد « كادورنا » ، قائد الجيش الايطالي العام ، ان يصدق ذلك ، مع انه انجد في الاسبوعين الاولين من شهر ايار الجيش الايطالي الاول بسبع وستين كتيبة وفرقتين احتياطيتين واضيفت عشر بطاريات الى المدفعية .

وامتد الخط الايطالي الاول من بحيرة «ده غارده» الى جبل «سيسمون ده لابولا» الواقع على الحدود ، وهو خط غير ملائم للدفاع ، ولم تكن الخطوط التي تسنده جاهزة

وفي شهر ايار كانت قوات الجيش الايطالي الاول مؤلفة من ١١٨ كتيبة على خطوط النار ومن ٤٠ كتيبة احتياطية . وكان لديه ١٣٠٠ مدفع ، منها ٤٩٩ من عيار وسط و٤٣ مدفعاً ضخماً . وحل في ١٠ ايار في قيادة هذا الجيش القائد «بيكوري جيرالدي» محل القائد «بروزاتي»

ورود النجدات النمسية

بدأ في اواسط شهر اذار ورود النجدات النمسية . فاقبلت من الجبهة البلقانية ومن الجبهة الروسية ومن سائر مناطق الجبهة الايطالية . وتألفت قوات جديدة من المتطوعين وسواهم ، فاضحى عدد القوات المعدة للهجوم ١٨ فرقة ، اي ١٩٤ كتيبة معها ١٥٠٠ مدفع ، بينها اربعة مدافع من عيار ٣٨٠ واربعة من عيار ٤٢٠

وقسمت هذه القوات الى جيشين ، الجيش الثاني ويقوده القائد « دانكل » ، والجيش الثالث ويتولاه القائد « كيفيس » ، وعهد بالقيادة العامة الى الارشيدوق « اوجين »

وفي ١٤ آب تكلمت المدفعية . وفي ١٥ بدأ الهجوم في الناحية الشرقية من « ترانتان » ، بين نهر «اديج» ونهر « برنتا » . وبعد اطلاق نيران المدافع من الساعة الثالثة الى الساعة السادسة صباحاً امتد تفجير القذائف الى ناحية ابعد مدى . وقام المشاة بهجوم عنيف على الايطاليين . ولشدة عنفه لم يشعروا الا وقد بوغتوا به ، فقبض عليهم النمسيون وهم لا يزالون في خنادقهم



ايام المجاعة في المانيا

الاهلون يندفعون الى مستودع البطاطا ليشتروا منه ما يصيبهم من الكمية المحدودة لكل منهم

تراجع الايطاليين

واختلف مبلغ الانتصار باختلاف المناطق . فالقوات الايطالية المعسكرة بين نهر « اديج » وغدير « لينو دي فيلارسا » تراجعت بنظام . وكانت تعود الى الهجوم مرة بعد مرة . وفي ١٩ ايار وقفت الفرقة السابعة والثلاثون على خط « كوني زونيا — ومرتفعات دمبيول » وعرفت كيف تحميه . وعبثاً جاهد النمسيون في اقصائها عنه

ومن ٢٦ ايار الى اول حزيران توالى الهجوم النمسي ودفع الايطاليين الى القمة . الا ان هذا الهجوم خفت منذ اول حزيران عزيمته . وفي ليلة ١٥ حزيران قام النمسيون بمحاولة اخيرة ، فهاجموا « كوني زونيا » و«سارافاله» . وبعد معركة دامية طالت حتى الصباح دحرهم الايطاليون

واتجه الهجوم النمسي في مجموعه الى المنطقة المجاورة ، بين « لينو دي تيرانيولو » و «استيكو» الاعلى . فكان ان سحق بقذائفه الضخمة الخط الاول الممتد من جبل «مارونيا» الى « اسييو » . وفي

هذه الجبهة ايضاً فوجىء الايطاليون في خنادقهم واضطروا الى الالتواء سريعاً الى موقع « كامبومولون »، وجلوا عنه في ١٩، وما كان يحويه من مدافع تعطل بعضه ونجا الايطاليون ببعض منه، وفيما الايطاليون ينظمون انفسهم على خط جبل « ارالاتا » وجبل « سيمونه » و«باركارولا» كان النمسيون يتقدمون بمدفعيتهم، مما فسح للايطاليين مجالا للاستراحة

ولكن هذه الاستراحة لم تكن ذات فائدة. فعاد المشاة النمسيون الى الهجوم واكرهوا الايطاليين على تراجع آخر الى منطقة «نوفانيو» الجبلية. والهجمات القوية التي حاولوها على هذا الموقع من ٣١ ايار الى ١٥ حزيران باءت بالخسران

وفي جبل « القرى السبع » قاوم الايطاليون وثبتوا في مواقعهم حتى ٢١ حزيران، وفي هذا النهار تراجعوا الى خطهم الثاني الممتد من جبل « فيرينا » الى قمة « كامبولونو ». غير انهم لم يثبتوا فيه، وتراجعت قواتهم الى اودية « فالمارارا » و « داسا »

وتحرج الموقف. ولم يبق امام النمسيين لينتهوا الى سهل « فيسانسه » الا ان يستولوا على القمة الجنوبية من جبل «ازياغو»، وبوسعهم ان يبلغوا وادي « برانتا » من جهته الشرقية اذا ساروا اليه من وادي « فرانزيلا »، فتفاجىء قواتهم من الوراء الخطوط الايطالية

مجهود النمسيين

وبذل النمسيون مجهوداً عنيفاً لتذليل العقبات. فاندفعوا الى تهديم موقع « كوربان — جبل ايشير » ووثبوا موقعاً ايطالياً آخر واحتلوها. وبعد عشرة ايام من نضال قوي تقهقرت الميسرة الايطالية الى جبال « بو » و « مانيابوشي » و « ليمرله »، والتوت ميمنتهم الى « مارساسينا» وجبل « تونداريكار » و « بوزو »، اما القلب فثبت في جنوبي « ازياغو ». وباتوا متمسكين بهذه الاعالي تمسكاً واهياً. على انهم لم يجلوا عنها، وصدوا في ١٠ حزيران الهجمات النمسية عن جبل «بو» الى «بوسكون»، وفي ١٥ عن جبل « ليميرله»، وفي هذا الجبل دافع اللواء الموكول امره الى القائد « ده ليغوري » دفاعاً مجيداً

وفي وادي «سوغانا» قاوم الايطاليون في ١٥ و١٦ حزيران، غير انهم ما لبثوا ان التووا على خط «سما ماديسي — بورغو». وهوجمت في ٢١ حزيران هذه المواقع فتراجع الايطاليون الى خط الدفاع الثاني دون ما صعوبة جسيمة. وفي ٢٥ قام النمسيون بهجوم على الجيش الايطالي في جبل القرى السبع، فصده الايطاليون بقوة، وامتنع بعد ذلك النمسيون من القيام في وادي «سوغانا» بمحاولة اخرى

نهاية المعركة

وفي ١٥ حزيران كان بالامكان النظر الى المعركة كأنها قد انتهت، ففي منطقة نهر « اديج » تقهقرت الميسرة الايطالية عن موقعها في « زونيا تورتا » ووجات « سانتو »، والتوت الى خط الدفاع الممتد من « كوني زونيا » الى « بازوبيو ». وخسر الايطاليون في وادي نهر « استيكو » حوض النهر الاعلى كما خسروا مدينة « ارزيارو »، وجاوز النمسيون الحدود القديمة وقذفوا باعدائهم الى جنوبي « جوزينا »

وفي شمالي نهر « استيكو »، على قمة القرى السبع، باتت مدينة « ازياغو » للنمسيين بعد احتلوا الارض الواقعة غربي «مارساسينا» واحتلوا « بورغو » في وادي « برنتا ». وظهر انه لم يبق عليهم سوى بذل بعض المجهود لاقصاء الايطاليين عن صخور قلائل يعتصمون بها لبلوغ السهل الممتد من « تيانه » الى « باسانو » كما وعدوا بذلك جنودهم.

ولكنه ...

الا ان النمسيين باتوا على اخر رمق. فقد جادوا بكل ما لديهم من قوى. واعلن القائد «فون كرامون» رأيه في الموقف فقال: لم يكن بالمستطاع متابعة الهجوم الا اذا توفرت قوات احتياطية. والقوات الاحتياطية لم يكن لها اثر!

وخدم الحظ الايطاليين فهاجم الروس بشدة خطوط «فولهيني» فاضطرت منذ ٥ حزيران فرقة نمسية بكاملها الى براح الجبهة الايطالية وتبعتها فرق اخرى. وفي ١٧ حزيران وقف الهجوم النمسي على « ترانتان » وقفاً نهائياً.

استنفار الايطاليين

وخيل الى الجميع ان النمسيين سينتهون الى ذلك السهل الذي يرغبون في احتلاله، فدفعت اليه القيادة الايطالية جيشاً قوياً لمفاجأة النمسيين وهم يهبطونه من الجبال. وهذا الجيش هو الجيش الخامس، وقد تألف من قوات حديثة او جيء بها من ضفاف نهر «ايزونزو». ونشأ من هذه القوات خمسة فيالق هي: الثامن والعشرون، والثاني والعشرون، والرابع والعشرون، والسادس والعشرون. ومن فرقتين من فرق الفرسان تحت امرة القائد «فروغوني»



بقية سفينة المانية تتحطم على شواطىء الدانمارك

يمثل هذا الرسم بقية سفينة المانية شهدت معركة « جوتلند » ، وقد دفعتها الامواج الى الشواطىء الدانماركية تتحطم عليها بعد كل ما بليت به من تحطيم

وفي ٥ حزيران احتشد هذا الجيش بين «بادو» و«فيسانسه»

ولما وقف الهجوم النمسي قرّ الرأي على الاستعانة بهذه القوات لارجاع الصفوف النمسية . وبدأ في ١٦ حزيران العمل يتولاه اربعة فيالق . وعلى الميمنة الايطالية، في جبل «ازياغو»، هاجمت ثمان كتائب المواقع النمسية واستولت على «مالغا فوسيتا» وجبل «ماغارا»

وفي ١٨ احتلت القوات نفسها قمة «ايزيدورو» . ومنذ ٢٢ الى ١٤ منه عمد الجناح الايسر الايطالي الى الهجوم على قمة «ميزانا» غربي «فالاراسا»

وبدا للنمسيين انهم باتوا عرضة للخطر من الجانبين ، وان جبهتهم مهددة فرأوا من الضرورة ان يتقهقروا . وبدأ تقهقرهم في ٢٥ حزيران ، ولحق بهم الايطاليون ، واحتلوا في ذلك النهار « ازياغو » ، وفي اليوم التالي « ارزيارو »

في شهر تموز

وفي شهر تموز قام الايطاليون بهجمات ثلاث لتوسيع خطوطهم ، الهجمة الاولى على نهر «بوزينا» للاستيلاء على جبل «بور كولا » وهو طريق «روفيريتو»، على ان هذه الهجمة كانت ضئيلة الفائدة . على حين ان احتلال جبل « سيمونه » المشرف على « ارزيارو » من الناحية الشمالية والمرتفع الف وخمسمئة ذراع عن سطح البحر كان للايطاليين اوفر جني

فهوجمت هذه القمة من الامام ومن جانبيها وسقطت في ٢٤ تموز بين ايدي الايطاليين بعد معركة دامت ثلاثين ساعة

وتوالى القتال على جبل « ازياغو » وغنم الايطاليون بعض الخنادق .

وفيما الجيش الايطالي الاول يخوض هذه المعارك قام الجيش الايطالي الرابع، في الناحية الشمالية الشرقية ، بين وادي برانتا ووادي «افيزيو» ، بهجوم لدرء الخطر النمسي على «اغوردو» و«فونزازو» وفتح المنافذ الى مواقع النمسيين

وباشر الايطاليون هجومهم في ليلة ٢٠ حزيران ، وقام بهذا الهجوم فرقتان فوجىء بهما النمسيون مفاجأة وما استطاعوا الثبات امامهما، فاخلوا للايطاليين قمة « كافالازو » وممر كولبريكون، فبلغ هؤلاء « بانيفيجيو »

استقالة الوزارة الايطالية

هذا ما لقيه الايطاليون من فوز بعد اخفاقهم الاول ووقوفهم عن الهجوم . وكان لتقهقرهم وجمودهم الاثر البليغ في ايطاليا ، فتململ منهما الرأي العام ، ولم يكن من وزارة «سالاندرا» الا ان اكرهت على الاستقالة وفسحت المجال لوزارة وطنية يرئسها السيد « بوزللي »

الأسرار

العدد الثاني والعشرون



دبابة عسكرية على الجبهة الايطالية



الروس يأوون الى مضاربهم بعد القتال

أسرار الجاسوسية والحرب الكبرى

الاسرار

اصحابها : انطون صادر ، كرم ملحم كرم ، فؤاد ميداني

رئيس الانشاء المسؤول: كرم ملحم كرم — منشىء القسم الشرقي: فؤاد ميداني

المكاتبات باسم مدير المجلة : انطون صادر

الادارة مكتبة صادر ✱ شارع اللنبي ✱ بيروت

مجلة اسبوعية تاريخية تبحث في التاريخ وما اهمله التاريخ

العدد ٢٢ بيروت في ٢٩ آب سنة ١٩٣٨

اسرار الجاسوسية في القضية العربية

بقلم فؤاد ميداني

الدولة العثمانية تنفق على العربان ٢٥٠ الف ذهباً ولكن بلا جدوى

معركة في القنطرة لانقاذ الالمان في اوربا

قادة الجند اعداء الجند

لم تقف مساعي انور باشا ورفاقه في اجراء الحركات الحربية عند ادارة « التشكيلات المخصوصة » في جبهات طرابلس الغرب وحدود روسيا والقفقاس فحسب وانما تعدتها الى حدود مصر ايضاً لان انور باشا ادرك كل الادراك ان ليس في قدرة القوات النظامية التي ارسلت الى جبهات القتال ان تدير هذه الحركات بصورة من الصور ولهذا انشأ شعبة لهذه الحركات في منطقة سينا

قائد هذه القوات

وقد عهدت الادارة العامة لهذه التشكيلات بقيادة تلك القوات في فلسطين الى البنباشي ممتاز بك واطلق عليه لقب « قائد قوات العربان »

وكانت مهمة هذا القائد ان يجمع تحت لوائه كل القوات البدوية الموجودة في شبه جزيرة « سينا »

وقد بذلت القيادة العليا في سبيل استمالة البدو الى هذه القيادة



✱ ممتاز بك ✱

البنباشي ممتاز بك قائد قوات العربان في شبه جزيرة سينا ومندوب « التشكيلات المخصوصة » فيها

مبالغ مالية باهظة والتقارير الرسمية الموجودة في اضبارات وزارة الحربية العثمانية تدل على ان هذه الدائرة قد انفقت بين ايلول سنة ١٩١٤ ونهاية عام ١٩١٥ على عربان شبه جزيرة سينا مبلغ ٢٥٠ الف ليرة عثمانية ذهباً اذ كانت تدفع الى كل بدوي مرتباً شهرياً قدره ثلاث ليرات عثمانية ذهباً اضف الى ذلك المرتبات المتراوحة ما بين الـ ٧ و ١٥ ليرة عثمانية ذهباً التي كانت تدفع الى كل زعيم حسب رتبته ونفوذه بين العشائر التي ينتمي اليها

ويقول ممتاز بك في تقريره الذي رفعه الى القيادة العليا ما نصه :



خارطة حركات الجنود في سينا

نعيد نشر هذا الرسم ليستدل به قراء « الاسرار » على مراكز العثمانيين والحلفاء في اثناء حركاتهم الحربية في شبه جزيرة سينا

« ليس في امكاننا الثقة بهؤلاء البدو، فالاموال التي انفقناها عليهم جزافاً وان كانت قد امنت لنا اخلاصهم نوعاً ما الا انها لم تفدنا شيئاً لاننا ما كدنا نخوض غمار المعارك الاولى حتى رأيناهم يتفرقون عنا « فهم فئة لا يهمها من الحرب الا اكتساب المغانم وقد كان

قائد البلوك الاول

في جبهة سينا



اليوزباشي السيد عباس طبارة وبجانبه شقيقه ، وهو برتبة جندي بسيط ، ثم اولاده وقد باتوا اليوم من شباب العرب الناهضين

لدينا قبل خوض معركة قناة السويس الاولى عشرة الاف بدوي حولنا حلقة واحدة يتنادون الى خدمتنا والى المحاربة في صفوفنا ، الا انه ما كادت تقع بيننا وبين القوات الانكليزية اول معركة حتى رأينا هؤلاء البدو يبتعدون عن خطوط القتال بحجج واهية فصرنا لا تراهم الا في نهاية المعارك يأتون الى النهب واكتساب المغنم

« ولهذا اري من الصعب جداً ان نستفيد من هؤلاء البدو في المعارك الحربية

« ومع هذا فانا والحالة هذه لا ارى من الموافق الاعتماد عليهم بوجه من الوجوه

« نعم ان الموقف الحاضر يحتم علينا متابعة اعطائهم المال لانه يخشى اذا نحن تخلينا عنهم ان نضطر الى حشد قوات غفيرة من جنودنا لاتقاء شرهم ، والمال الذي ندفعه اليهم هو عبارة عن بدل لسكوتهم وابعادهم عن مثل هذه الاعتداءات في المستقبل ليس غير »

قوات الفدائيين

وهذا التقرير اهاب بالقيادة العليا لان تؤسس في هذه الجبهة قوة باسم « المفرزة الفدائية » اختارت افرادها من الجنود العرب المشهورين بالقوة وشدة المراس ودعتهم الى ان يقسموا الايمان على القرآن الكريم وشرفهم العسكري بان يدافعوا عن هذه الجبهة الى اخر رمق من حياتهم

وقد بذل هؤلاء الجنود تضحيات عظيمة في سبيل مقاومة هجوم الانكليز على مراكزهم سجلت لهم بماء الذهب

قوات الجناح الايمن

وعندما بدأت حملة قناة السويس الاولى في منطقة السويس ، تلك الحملة التي حدثنا قراء « الاسرار » عنها بصورة مفصلة ، انشأت القيادة مفرزة الجناح الايمن وكانت هذه المفرزة التي وضعت تحت قيادة البنباشي رأفت بك مؤلفة من قوات العربان وقوات الالاي ٨٠ التابع للفرقة ٢٧

وقد اتخذت هذه المفرزة منطقة القنطرة قاعدة لها وكانت المسافة بينها وبين القوات الرئيسية التي تحارب في جهات السويس تتراوح بين ١٥٠ و١٨٠ كيلومتراً وهي مسافة شاسعة جداً تجعل صعباً تعاون القوتين في ادارة الحركات الحربية

اول معركة في القنطره

كان الموقف الحربي في منطقة القنطرة غير ما كان عليه في منطقة قناة السويس مما حدثنا عنه قراء « الاسرار » في جزء سابق ، ولهذا ارسل قائد الفرقة ٢٧ برقية هذا نصها :

الى قائد الالاي ٨٠

عليكم القيام بهجوم على المراكز الانكليزية في صباح الغد باكراً . ويجب ان يتولى افراد الطابور الفدائي هذه الحركة

قائد الفرقة ٢٧ الميرالاي

محيي الدين

وقد كان هذا الامر غامضاً جداً لان المقتضى في مثل هذه الاحوال ان يبين قائد الفرقة الهدف الذي يقصده من وراء اعطائه

مثل هذه الاوامر ولكن محيي الدين بك نفسه كان يجهل ما يرمي اليه وقد ارسل برقيته بناء على اوامر جمال باشا

اوامر على علبة دخان

ورأفت بك، قائد الالاي ٨٠، وهو من القواد العسكريين الذين لعبوا في



ضعف النقليات العسكرية العثمانية

يرينا هذا الرسم قافلة من النقليات التركية، وهي المعدات الضعيفة التي اعتمدها العثمانيون في نقل معداتهم الحربية الى الجبهة

معارك غزة وبئر السبع فيما بعد وعرف بعد الحرب العالمية باسم رأفت باشا عند ما حارب الى جنب مصطفى كمال باشا في جهاده الوطني، لم ير من حاجة الى ان يسأل عن هدف هذه المخاطرة ولكنه استدعى البنباشي رفعت بك واعطاه امراً بادارة هذه الحركة

وكان رفعت بك قائد الطابور الاول التابع للالاي ٨٠ فاستدعى اليه اليوزباشي عباس بك طبارة وخاطبه قائلا :

— عهدنا اليك بادارة البلوكين الاول والثاني للقيام بحركة كشف على المراكز الانكليزية في منطقة القنطرة وعليك ان تهيء هذه القوات للقيام بذلك الهجوم ليل ١٤ — ١٥ كانون الثاني سنة ١٣٣١ — ٢٧ — ٢٨ كانون الثاني سنة ١٩١٥

— ولكن ما هي التعليمات التي يجب علي السير بها؟

— ليست لدي تعليمات في هذا الشأن !

— جرت العادة ان نتلقى الاوامر الخطية لنتمكن بواسطتها من ان نستعد للحملة ونعمل على تنفيذها !

— ليست لدي اوامر خطية !

— اذاً ليس في امكاني والحالة هذه ان اسير الى تنفيذ هذا الهدف مهما كان الامر !

— انا قائدك وآمرك بالذهاب الى الحرب!

— ومن يتحمل التبعة؟

— عليك ان تطيع الاوامر والا اعدك متمرداً!

غير ان هذا التهديد لم يرهب القائد العربي لانه لا يريد المخاطرة بقواته على هذه الصورة دون ان يعلم الهدف المقصود منها، ولما رأى القائد رفعت بك هذا الاصرار من معاونه تناول علبة تبغ من جيبه واختط عليها بضع كلمات قال فيها « ان غايتنا من وراء ذلك القيام بحرب اسمية تشغل الانكليز في هذه الجبهة فيعتقدوا ان قواتنا الرئيسية هنا ويستبقوا على ضفة القناة اكبر عدد ممكن من قواتهم . والهدف المقصود من وراء ذلك هو تحويل ضغط الحلفاء عن جبهة الالمان الغربية »

وقد احتفظ عباس بك طبارة بهذه العلبة التي لا تزال موجودة عنده الى يومنا هذا وهي من الوثائق التاريخية النادرة التي تدلنا على مقدار خديعة الالمان لابناء البلاد الذين ضحي منهم بعشرات الالوف من عرب وترك لمساعدة الالمان .

وقد كان في نيتنا ان ننشر رسماً زنكوغرافياً لهذا الامر الذي سجل على علبة التبغ غير ان الكتابة التي اطلعنا عليها السيد عباس طباره لم تكن واضحة

من هو عباس طباره

والسيد عباس طباره مثل دوراً هاماً في الحروب التي نشبت في منطقة سينا وفلسطين، وهو بيروتي الاصل والمولد تلقى علومه الابتدائية والثانوية فيها ثم انتقل الى المدرسة السلطانية . ولكنه اظهر ميلا الى الجندية فانتقل الى « الرشدية العسكرية » في بيروت ولما اكمل علومه فيها ذهب الى المدرسة الاعدادية العسكرية في قوله لي — استانبول، ثم الى المدرسة الحربية فاكمل فيها علومه سنة ١٩٠٨ وخرج منها برتبة ملازم ثان فارسل فوراً الى المدينة المنورة حيث اشترك في اخماد الثورة التي نشبت يومئذ في المدينة ومنها نقل الى بلوك الرديف في كليس ثم الى قيادة البلوك الرابع من الاي الرديف في القدس

وفي سنة ١٣٢٩ — ١٩١٣ عين عضواً في ديوان حرب عرفي القدس

ولما اعلن النفير العام ورأت الحكومة احتياجها الى الاي الرديف ٨٠ التابع للفرقة ٢٧ اعيد عباس بك الى الخدمة الفعلية وعين قائداً للبلوك ٢ من الطابور الاول وذهب الى الجبهة الحربية فاشترك في الحملة التي اجتاحت حدود مصر في سينا وفي ابعاد الانكليز الى الضفة الثانية من قناة السويس

وقد ابدى هناك مهارة وجسارة فائقتين، الى ان وقعت له الحادثة التي سردناها آنفاً لقراء «الاسرار» وامره في خلالها قائده بالذهاب على رأس بلوكين من جنوده لشغل الانكليز في القنطرة

موقف الانكليز في القنطرة

والانكليز رغم الاستعدادات العظيمة التي قامت بها قيادة الجيش الرابع في جبهة الاسماعيلية كانوا على اعتقاد وطيد من ان كل المساعي التي تبذل هنالك لم تكن الا مناورة عادية وان المعارك الاساسية لن تدور الا في جبهة القنطرة ولهذا استعدوا للحرب فيها واقاموا التحصينات العسكرية القوية وشحنوا القناة بعدد كبير من السفن الحربية الفرنسية والانكليزية والروسية وخصصوا فيها عدداً من الطائرات كانت تغير يومياً على المراكز العثمانية

الاستحكامات الانكليزية

وانشأ الانكليز على ضفة القناة من جهة فلسطين استحكامات قوية اتخذوها قاعدة للدفاع عن هذه الجبهة ولمنع القوات العثمانية من الوصول الى القناة لاختراقها الى الضفة الثانية . وهذه الاستحكامات كانت الهدف الاول الذي امر اليوزباشي عباس بك بمهاجمتها بقواته ليلة ٢٧ — ٢٨ كانون الثاني ١٩١٥

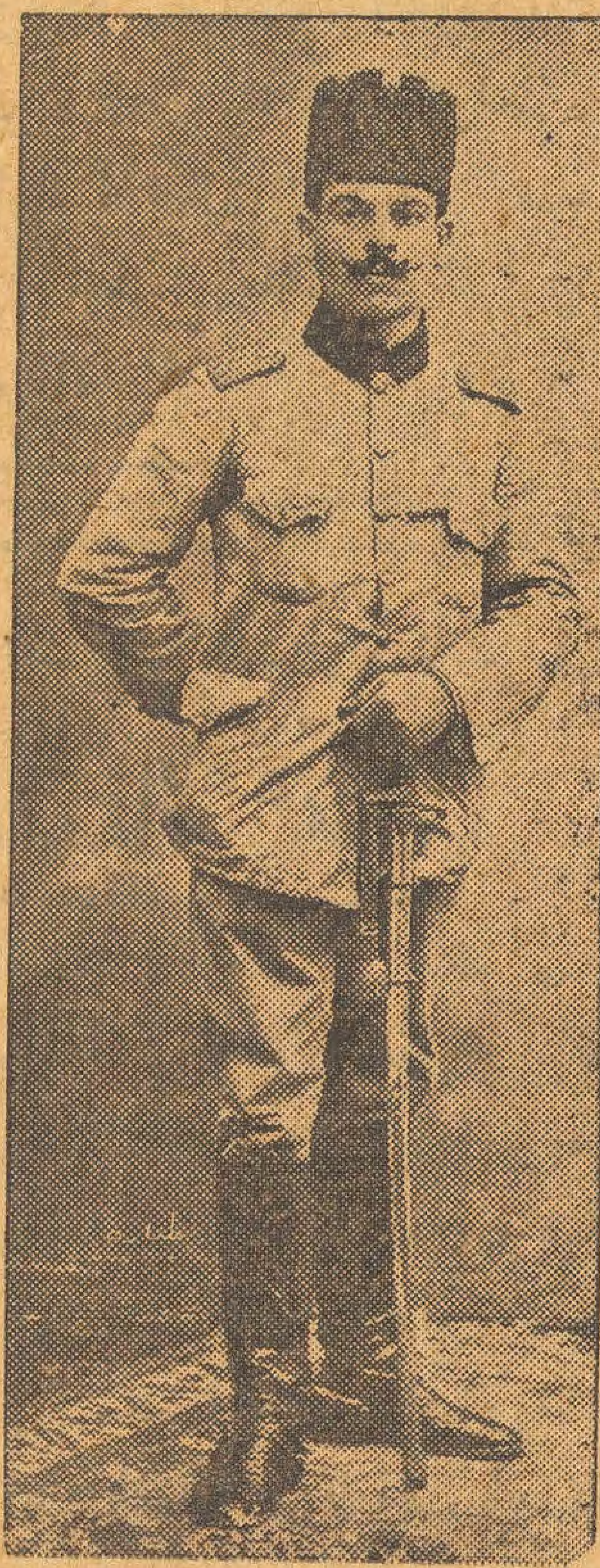
ولكن مهاجمة هذه الاستحكامات كانت شديدة الخطورة لان المدفعية الانكليزية المركزة على الضفة الثانية، واسطول الحلفاء المرابط في القناة، والطيارات العديدة، كانت تحميها، في حين لم تكن لدى العثمانيين مدفعية تذكر ولا طيارات تحمي القوات الزاحفة

معركة خطيرة

وعند منتصف الليل اعدت العدة لتلك الحملة وقسمت القوات الزاحفة على القنطرة قسمين : قسم عهد اليه بمهاجمة الجهة اليمنى من الاستحكامات بقيادة اليوزباشي عباس بك طباره ، وقسم وُكلت اليه مهاجمة الجهة اليسرى بقيادة الملازم طلعت افندي. وكانت هذه القوات جميعها مؤلفة من ٢٥٠ جندياً وقد مشت الى هدفها في الساعة الواحدة صباحاً

جبهة الميمنة

ولم يندفع اليوزباشي عباس بك مع عاطفته في مهاجمة هذه المنطقة لانه ادرك من الاوامر الموجودة لديه ان اختراق القناة والوصول الى الضفة الثانية لم يكونا الغاية الحقيقية من الهجوم على القناة. وقد ايد اعتقاده هذا ضعف القوة التي اعطيت له. فان هذه القوة لو قدّر لها دحر القوات الانكليزية الموجودة على الساحل الفلسطيني والوصول الى الضفة الثانية سالمة لعجزت في كل حال عن الثبات هناك ولاضطرت الى التراجع ، وربما كان في تراجعها قضاء على كل ما معها من جنود



❋ اول شهيد عثماني في جبهة السويس ❋

الملازم طلعت افندي ، وهو اول ضابط قتل في معركة قناة السويس على ضفة القنطرة . وقد اخذ له هذا الرسم قبل مقتله باسبوع واحد

ولهذا اصدر الاوامر الى قواته بالسير تدريجياً الى الامام لتحتل الاستحكامات الانكليزية وعندما تشتبك والانكليز بالسلاح الابيض لا يبقى في امكان المدفعية ان تؤثر بها ، فتكره الانكليز على سحب مراكزهم الى الضفة المصرية من القناة وفي هذا الانسحاب فوز وتهديد للانكليز وتأييد لقوة العثمانيين. وقد سارت هذه القوات الى هدفها بانتظام كلي وتمكنت من الاحاطة بالاستحكامات الانكليزية واحتلالها وقد خسر الانكليز بذلك ما يربي على ٢٥٠ قتيلا

وحينما تم لليوزباشي عباس هذا الفوز الذي هدد المراكز

نقل المواد الغذائية

الى الجبهة

قافلة من الجمال جاثمة امام مراكز الاعاشة في « خان يونس » تحمل مواد غذائية الى الجنود وكانت هذه المواد لا تصل الى الجبهة الا وقد سرق المسؤولون نصفها كما يطالع ذلك القراء في هذا الجزء من « الاسرار »



الانكليزية في تلك الجبهة كانت قوات الميسرة في خطر محيق

مقتل اول قائد عثماني

اما قوات البلوك الاخر التي ذهبت الى ميسرة هذه المنطقة بقيادة الملازم طلعت افندي فقد كان موقفها غير موقف تلك، فهذا الضابط الشاب عند ما رأى ان القوات الانكليزية المرابطة في الاستحكامات الامامية قد تحولت الى مقاومة رفاقه الذين هم بقيادة اليوزباشي عباس اعتقد ان المجال بات حراً لديه ، فاندفع وراء عاطفته بشدة متناهية وهاجم المراكز الانكليزية الخلفية الواقعة وراء هذه فاخترقها بسهولة ومشى الى العوامات القائمة على الساحل فاخترقها، وما كاد يتوسط القناة حتى انصبت عليه نيران المدفعية ورصاص الرشاشات فبات في حالة لا يستطيع معها الدفاع ، فاضاع قيادته وتشتت جنوده وقد تمكن قسم كبير منهم من الوصول الى الضفة المصرية من القناة وهناك قتل كثير منهم كما قتل غيرهم في وسط القناة ولم ينج من تلك القوة المهاجمة الا ٦٠ جندياً اخذوا اسرى الى مصر و٥٠٠ جندياً اخرون عادوا بصورة محزنة الى الساحل الذي جاؤوا منه

خيبة الحملة

والانكليز الذين ضربوا قوات الميسرة هذه الضربة الفظيعة ارادوا ان يتمموا عملهم بالقضاء على قوات الميمنة فسلطوا قواتهم على تلك الجهة ، ولما رأى اليوزباشي عباس طباره ، الذي كان جاهلا مصير قوات طلعت بك ، هذه القوات العظيمة قادمة اليه ادرك خطورة الموقف فقام بحركة التفاف عليها مكنته من وقف تقدمها ، ولما شاهد الجنود القليلين الذين نجوا من البلوك الاخر ادرك ان مهمته قد انتهت فامر قواته بان تتراجع بصورة منتظمة وعاد عند الفجر الى المعسكر سالماً ولم تتجاوز خسائره المئة جندي في حين ان الانكليز خسروا في معاركهم معه اكثر من ٥٠٠ جندي بين قتيل وجريح

جثمان طلعت افندى

وفي الصباح الباكر ارسل القائد شرذمة من الفدائيين الى الساحل تمكنت من العثور على جثمان الملازم طلعت افندي اولى ضحايا هذه الحرب التي كلفت العثمانيين اكثر من الف قتيل جلهم ان لم نقل كلهم من ابناء العرب الذين ذهبوا ضحية تلك الخطط الهمجية التي كانت القيادة العليا على اعتقاد وطيد من عدم الحاجة لها لولا توخي خدمة الالمان فتخفف وطأة ضغط قوات الحلفاء عنهم في الجبهة الغربية

اجل كان كل ما ارادته السلطة العثمانية من وراء هذه الضحايا خدمة الالمان فقط .

تقدير بسالة القائد

وادركت القيادة الرئيسية مقدار التضحية والبسالة اللتين ابداهما القائد عباس بك طباره فابرقت بالامر الى القيادة العليا فارسل اليه احمد جمال باشا برقية يهنئه بها على فوزه ويمنحه الوسام الحربي .

تراجع القوات العثمانية

كانت هذه المعركة التي شنتها القوات العثمانية على القنطرة



بعض القواد العثمانيين في الجبهة

يرينا في هـذا الرسم قافلة من الضباط وهم من الشمال الى اليمين : اليوزباشي عبـاس طبارة ، البنباشي احمد خلقي ، الدكتور برهان ، الملازم عثمان قائد المدفعية . اخذ لهم هذا الرسم في جبهة الحرب في القنطرة

اخر معركة كبرى دارت على هذه الضفة بعد خيبة حملة قناة السويس الاولى وقبل المعركة الثانية .

فان الانكليز بعدها حشدوا قوات كبيرة في تلك الجبهة وحصنوا مراكزهم على الضفة فجعلوا موقف القوات العثمانية في خطر شديد

اين الرصاص والسلاح ؟

اما القيادة العليا فقد كانت مخطئة في هذه الحركات ومسؤولة عن الضحايا الرئيسية التي ذهبت في تلك المجزرة . وقد قال لنا السيد عباس طبارة في حديثه عنها :

ـ عندما رجعنا من هذه المعركة كنا في حالة اضطرار شديدة. فالرصاص المحدود الكمية الذي كان معنا قد نفد والماء كان مفقوداً كل الفقدان والجنود الذين عدت بهم كانوا في حالة يرثى لها من الجوع والعطش وقد طلبت لهم الرصاص فلم يلبوني ومع هذا صبر الجند ولم يكن في قدرتهم ان يحاربوا بحرابهم والعدو يملك احدث معدات القتال لذلك لم يكن لنا بد ان نتراجع الى الوراء

روايات محزنة

وقد تحدث الينا اليوزباشي عباس بك طبارة عن فواجع الحرب في الجبهة فروى لنا منها الشيء الكثير . وان في معلوماته هذه ما يدل قراء «الاسرار» على الاسباب الحقيقية التي ادت بالعثمانيين الى الانكسار. وقد رأينا ان نجمع معلوماته في هذا الفصل دلالة على تلك الاسباب التي يعتبر القواد العثمانيون مسؤولين عنها قال :

بسالة الجنود العرب

ـ كانت قواتنا مؤلفة من جنود عرب وطابورنا مؤلفاً من ابناء القدس. وقد اظهر هؤلاء الجنود بسالة عظيمة وتضحية لا حد لها وكان الاسرى الانكليز الذين اسرناهم يقولون لنا: ان قيادتهم اتخذت من قواتنا مثالا للتضحية والصبر وكانت تدعو قواتها الى التشبه بنا

«ولا بد من الاعتراف بان جنودنا كانوا يلقون بانفسهم في التهلكة فرحين مسرورين وكانوا يظهرون تأثرا في الايام التي لا نخوض فيها معارك القتال. وهذه القوات التي لا تزيد على عشرة الاف مقاتل من الجنود العرب كانت كافية لوقف تيار هجوم الانكليز الذين يفوقونها عدداً وعدة

« ولكن ماذا فعل القواد العثمانيون بهؤلاء الجنود البواسل ؟

« انهم اماتوهم جوعا واهلكوهم اضطهاداً

حالة المعيشة في الجيش

«كان الجندي منهم في الجبهة الحربية محروماً من اللحم والخضرة

والفاكهة ومن كل مادة غذائية . وكان المقرر له ٦٠٠ غرام من البقسماط وكمية من التمر . وعلى ذلك فقد حرموه هذا ايضاً وما كانوا ليعطوه نصفه .

مع ان الضباط الموجودين بعيداً عن الجبهة كانوا يتمتعون



القائد العثماني الجلاد

امير الالاي نور الدين بك الذي امر باعدام ٢١ عربياً دون سبب مبرر كما حدثنا بذلك احد معاونيه اليوزباشي عباس طباره

بالخيرات والنعم فاسمع ما اقص عليك :

هل هذا هو العدل

«كان النظام العسكري يقضي بان يعطى يومياً كل جندي في الجبهة ٦٠٠ غرام من البقسماط و٥٠ غراماً من اللحم و٢٠ غراماً من الرز الخ.. على ان هذه الكمية لا يمكنها ان تؤمن حاجات الجندي. ففي وسعها ان تكفيه لو اتبع العدل في اعطائه اياها ، ولكن كبار الضباط في مؤخرة الجبهة كانوا يتلاعبون ويحولون دون وصول نصفها الى الجندي

« وان تسألوني كيف كانوا يتلاعبون اجبكم ان الامر سهل عليهم جداً. فان مأمور (العنبر) المستودع العمومي في دمشق يسرق خمسة في المئة من السكميات التي يرسلها الى الجبهة ويخلط ما بقي بالحصى فيبقى الوزن صحيحاً . وهكذا تتناقص هذه الكمية تدريجاً في المحطات التي تمر بها فلا تصل الى الجبهة الا وقد سرق نصفها، وكثيراً ما كنا نتبين ان اكياس الارزاق الواردة الينا في الجبهة قد ملئ نصفها حصى ونصفها الاخر مواد غذائية فنكتب ضبطاً بها فيذهب ضبطنا سدى

طرق الاحتيال

« واني لاذكر، على وجه المشابهة ، اختلاسات كثيرة من هذا النوع وقعت في الجبهة ، كان اعظمها حادثان : اولها اننا بعد معارك استمرت اربعة شهور في الجبهة خضناها دون ان نتناول قطعة من السكر او السمن او اللحم القدد المعروف « بالقاورمه » ذهبت بمهمة الى العريش فوجدت هناك الضباط المشمولين بالرعاية يحيون حياة سعيدة ولديهم من المواد الغذائية كل ما يحتاجون اليه ، ذاك بانهم قد اقتسموا الغنائم قسماً اختصوا به نفوسهم ، وقسماً باعوه غير حافلين بالذين يحاربون في الجبهة وتلك المواد هي ملك لهم

« وهكذا كان الضباط الذين في الجبهة يعاملون مثل تلك المعاملة السيئة

لماذا نقم العربان

« ان بعض المؤلفين الاتراك قد اتهموا عربان سينا بصورة خاصة وعربان جزيرة العرب بصورة عامة بانهم كانوا يباعون ويشرون بالدراهم وبانهم ايما تميل لهم الدراهم يميلوا

«مع ان الحقيقة الراهنة ان هؤلاء العربان كانوا مثل جنود الجبهة ضحية التلاعب والسرقات المتعددة في الجيش

«فالقيادة العليا خصصت بكل بدوي من البدو الضاربين في سيناء الذين انضموا الى قوات المشائر فيها، مرتباً شهرياً قدره ثلاث ليرات عثمانية ذهباً كانت ترد من المسكوكات الجديدة من المانيا، وقد وزعت هذه المرتبات لمدة قصيرة ليرات ذهبية كاملة ثم ما لبث التلاعب ان ذر قرنه فاختلس من في دمشق منها ليرة ذهبية فدفعت بعدئذ ليرتين ذهبا وليرة ورقاً نقدياً ثم امتد التلاعب فباتت الليرات الذهبية تصل ليرات ورقاً فرفض العربان قبولها، وكان من جراء ذلك ان دب الوهن في صفوف العربان خصوصاً بعد ان علم الانكليز بالامر وطفقوا يعرضون عليهم اضعاف ما كانوا يقبضونه من القيادة العثمانية

« وهكذا كانت الخيانة والسرقة سبب ابتعاد العربان عن القيادة العثمانية لا لخيانتهم كما ادعى بعض الضباط العثمانيين في مؤلفاتهم »

بسالة الجنود العربية

« وعلى كل فان هذه الامور التي ترون خطورتها في حد نفسها لم تحمل الجنود العرب على اقل خيانة . فما تلكأوا عن خدمة الجيش بتضحية واخلاص وقد رأيناهم في شتى المعارك التي خاضوا غمارها هنالك يتحملون كل مشقة في سبيل القيام بواجبهم

«واذكر كذلك حادثاً وقع في بدء حركاتنا الحربية وهو ان حيوانات النقل كانت قد تلفت لقلة الماء وكان ماء الشرب مفقوداً في الجبهة التي ذهبنا اليها . فلم يشأ القائد ان يجلب لنا من مؤخرة الجبهة حيوانات للنقل وانما امر كل جندي ان يحمل على ظهره فوق سلاحه وعتاده الحربي صفيحتين من الماء، فتحمل جنودنا هذا العناء بصبر واناة

اعدام عربي

«وهناك حادث اخر لا اذكره الا آسفاً ، وهو ان الملازم الاول

المكلف بالحراسة جاءني يوما يخبرني بان الجندي حسن عبدالله، من جرحى معركة ٢٧ ــ ٢٨ كانون الثاني سنة ١٩١٥، قد فر من الجبهة.

«فاستنكرت هذا الخبر خصوصاً وقد رأيت بعيني اخلاص هذا الجندي وتفانيه في معركة القناة

«فعملا بالاصول العسكرية اخبرت القائد بأمره. وفي اليوم الثاني عاد ذلك الجندي وقد ساقه ضابط الحراسة رأساً الى مقر قائد الالاي ودعيت انا الى هناك

«وقد صرح هذا الجندي وهو من اهل غزه ان الضعف الذي اصيب به من جراء جرحه وقلة الغذاء دفعه الى ان يذهب الى مسقط رأسه غزه حيث يأخذ قليلامن الغذاء والمال ثم يعود الى الجبهة

«ومع ان عمله هذا يدل على اخلاص لانه لم يقف الا ٢٤ ساعة، ومع ان هذا العمل لا يؤلف جرماً يستحق اكثر من السجن بضعة ايام، امر قائد الالاي باعدامه الحياة فوراً، وقد نفذ به الامر ولم تنفع توسلاتي وتوسلات سائر رفاقي الضباط في شأنه

«وهذا الحادث الذي يدلكم على فقدان العدل والتضحية ليس شيئاً عظيماً في جنب حادث آخر يفوقه هولا وفظاعة

اعدام ٢١ عربياً

«عندما تراجعت قواتنا عن قناة السويس بعد المعركة الاولى كان تراجعها عن مراكزها مؤثراً جداً، فقد كانت منهوكة القوى من خوض المعارك الحربية، مضنوكة من شدة الجوع والعطش والبرد ومن مطاردة الطيارات المعادية لها

وكان من جراء كل ذلك ان تأخرت شرذمة منها عن الوصول مع القوات الرئيسية الى «جمامه» وهي المرحلة المعينة لوصول هذه القوات وتجمعها

«فعملا بالقاعدة العسكرية المتبعة قام قائد الجبهة المير الاي نور الدين بك (وهو الجنرال نور الدين باشا الذي ابعده مصطفى كمال باشا عن القيادة في بلاده بعد اخذان يتآمر ضده مع بعض القواد اثر ثورة الاكراد سنة ١٩٢٥) باحصاء الجنود المفقودين وارسل مفرزات تتأثر اثر الغائبين فوجدت احداها على بعد ثلاثة كيلو مترات من «جمامه» ٢١ جندياً كانوا يستظلون شجيرات من النخيل فانتزعت سلاحهم وقادتهم الى هذا القائد فلم يتنازل حتى الى سؤالهم عن اسباب تأخرهم وانما استقدم بلوكا مؤلفاً من مئة جندي امرهم ان يطلقوا الرصاص دفعة واحدة على هؤلاء الجنود وهكذا اعدم الـ ٢١ جندياً دفعة واحدة دون ادنى محاكمة

كيف برر القائد موقفه

«ولما تم اعدامهم على هذه الصورة الفظيعة التي كانت سبباً لسخط الضباط والجند معاً وقف بيننا المير الاي نور الدين بك خطيباً وقال:

ـــ يؤسف الانسان ان يقتل ولده بيده، وهؤلاء الجنود الذين اعدمناهم الان هم اولادنا وفلذات اكبادنا. وقد كان من الواجب ان لا يعدموا على هذه الصورة بل ان يموتوا في ساحات القتال دفاعاً عن الوطن ومجده

«ولكن موقفهم الخائن جعلهم كعضو فاسد بيننا وجب بتره، وارجو ان يكون مصيرهم هذا خير عبرة لسائر الجنود الذين ينبغي لهم ان يعلموا ان مصيرهم سيكون مصير هؤلاء الجنود اذا اقدموا على ارتكاب مثل هذه الخيانة»

بمثل هذه الكلمات التي تخفي السم في الدسم حاول المير الاي نور الدين بك ان يبرر ما اقدم عليه من اعدام هذا العدد الكبير من الجنود الابرياء مستنداً الى ذلك بما تخوله اياه القيادة العليا من صلاحية مطلقة. وهذه حقيقة يجمل بكم ان تسجلوها في التاريخ، اقولها لكم وانا اشد ما اكون ثقة ببراءة هؤلاء الجنود الذين كانوا ممن لم يتأخروا عن اللحاق بقواتنا الا بعد ما حل بهم من اهوال الطريق ومن وطأة الجوع والعطش والتعب. وقد حاولت انا وغيري من الضباط العرب ان ندافع عنهم، وكلهم من جهات دمشق وضواحيها، غير ان مساعينا ذهبت سدى

ضحايا الجند كثيرة

«وهذان الحادثان اللذان رويتها لك هما جزء من عشرات حوادث سؤ التدبير والظلم التي ارتكبت في الجبهة خلال تلك الايام العصيبة.

«وهذه الاعمال المجرمة التي اعتقد الضباط العثمانيون انها تساعدهم على توطيد هيبتهم انتجت لهم غير ما املوه، لانها ملأت صدور الجنود حقداً عليهم، وهكذا لم تكد تضطرم نيران الثورة العربية حتى رأيناهم يسارعون زرافات ووحداناً الى الحلفاء في المناطق البعيدة عن الجبهة العربية، ليقودهم هؤلاء الى ساحات القتال العربية

لواحسن العثمانيون

«ويمكنني القول بصراحة انه لواحسن المسيطرون على مقدرات الامور في الجيش العثماني ادارة الحركات الحربية وادارة الضباط والجنود

القواد العثمانيون



السمراء

امير الاي نورالدين بك في الوسط وقد احاط به ضباط الفرقة الذين هم تحت قيادته وهؤلاء الضباط من فئه الضباط السعيدة

العرب وتقديم احتياجاتهم كاملة كما كانوا يقدمون الى الالمان لما وجدت جنديا واحدا يفكر في ان ينتفض على القيادة العثمانية ، ولضحى كل اولئك الجنود بحياتهم في الدفاع عن كيانهم وعن العثمانيين

قيمة كنفر الماني

« ان القواد العامين لا يعرفون حقيقة الحالة في الجبهات الحربية. وعدم معرفتهم هذه الامور لا يبرئهم من تبعاتها لان واجباتهم تحتم عليهم مها كان الامر ان يتفقدوا المناطق الواقعة تحت سيطرتهم ويعرفوا كل ما يجري فيها .

«ولم يكن الضباط ليجسروا على شكوى من هم اعلى رتبة منهم خصوصا في جهة فلسطين، حيث كان اكثر الضباط العاديين من العرب واصحاب المراتب العليا من الاتراك، لهذا لقي الضباط في هذه الجبهة مشقات عظيمة. واذكر اننا نحن شرذمة الضباط في الجبهة كنا نشاهد الضابط الالماني البنباشي تيل يطعم كلبه « بسكويتا » في حين لم نكن نستطيع ملء اجوافنا بالخبز الجاف

« وكان بيننا يوزباشي تركي يدعى عثمان بك ، مشهور بجرأته وعدم تهيبه الامور فاتخذناه وسيلة لارسال شكوانا الى جمال باشا وبعد ان تناول بضع كؤوس من العرق ذهب الى ادارة البرق وارسل الى احمد جمال باشا الذي كان يومئذ في بئر السبع البرقية التالية :

صاحب الدولة قائد الجيش الهمايوني الرابع ووزير البحرية الجليلة « استرحم ان تقبلوا استقالتي كضابط في الجيش العثماني وان تتوسطوا لدى القيادة الالمانية لقبولي كنفر عادي

اليوزباشي عثمان

تدابير جمال باشا

وما كاد احمد جمال باشا يتلقى هذه البرقية حتى اصدر امرا باعتقال عثمان بك وحمله اليه مخفوراً. فلما مثل امامه سأله عن معنى هذه البرقية فاجاب قائلا :

ـــ ارسلت هذه البرقية حينما رأيت الكلب الالماني يشبع من البسكويت ونحن لا نحصل على فتات الخبز، وكان بودي ان اقول كلباً المانيا بدلا من جندي الماني الا ان خشيتي من ان تفسروا قولي بأني ارى الكلب الالماني خيراً من الضابط في جيش صاحب الجلالة السلطان منعتني من مثل هذا التعبير. وقد اهتم جمال باشا يومئذ بالامر وانصفنا غير ان انصافه لنا لم يكن لسوى مدة قصيرة وما لبثنا ان عدنا الى حالتنا الاولى، وكان من الصعب علينا ان نجد في كل مرة عثمان بك آخر !»

الحالة في الجبهة الحربية

هذا هو الحديث الذي ادلى به الينا اليوزباشي السيد عباس طباره ، وفيه كثير من الفواجع التي تبين لقراء « الاسرار» الاسباب الرئيسية التي ادت الى انحدار القوات العثمانية

ومن المؤكد ان القوات العثمانية التي حاربت الانكليز في جو غير صالح للحرب قد اظهرت في الدفاع عن منطقة القناة قوة وبسالة نادرتين كل الندور

خسائر العثمانيين تتوالى في جبهة السويس

الدويدار تسقط بين ايدي البريطانيين ويصاب العثمانيون بالفوادح
القوات العثمانية تتراجع بكاملها عن السويس

معركة الاضمحلال !

تراجعت القوات العثمانية عن جبهة قناة السويس في اسوإ الاحوال. فالاسطول المرابط في القناة كان يصليها نيران قنابله في حين لم تكن لديها مدفعية كافية لمقابلته بمثل فعله

ثم ان الطائرات الانكليزية كانت تقترب اشد القرب من المراكز العثمانية وهي آمنة لعدم وجود طائرات تطاردها او مدفعية ترميها بقذائفها فتسقطها، والصحراء الرملية التي كان يجتازها الجنود العثمانيون لم تكن لتحميهم

نعم ان في الصحراء كثيراً من القبائل البدوية لها منازل خاصة محفورة تحت الارض، غير انه لم يكن في امكان الجنود الوصول اليها حينما تحوّم فوقهم تلك الطائرات ليتمكنوا من الاختباء فيها

الانسحاب الى الدويدار

لذلك ظل الجنود بعد معركة ٢٧ — ٢٨ كانون الثاني سنة ١٩١٥ ومعركة ٢٨ منه مدة ثمانية ايام مشتتين في الصحراء حتى تمكنوا من الوصول الى قرية «الدويدار» التي اتخذت اول هدف لتراجع القوات العثمانية عن الجبهة

والدويدار مركز فيه بعض آبار مياهها غير عذبة وهو محاط بعدد كثير من شجر النخيل يساعد الجند على التستر من الطائرات الانكليزية التي كانت تطاردهم بشدة

وقد كلف هذا التراجع الجنود العثمانية اكثر من الف نفس بين صرعى بقنابل الاعداء وضحايا رمال محرقة في النهار وبرد قارس في الليل .

وشرعت القوات العثمانية تستعد لاقامة الاستحكامات حول «الدويدار» للدفاع عنها غير ان كل مساعيها ذهبت سدى لان القيادة الانكليزية التي كانت تخشى هجوم هذه القوات درت بموقفها وسيرت وراءها آلايين من الجند الى مطاردتها فصادفاها على مقربة من الدويدار فدارت بينها وبينها رحى معركة شديدة بدأتها المدفعية الانكليزية باطلاق القنابل عشر ساعات متوالية على المراكز العثمانية حتى ضعضعتها ثم زحف المشاة فزحزحوا القوات العثمانية وحملوها على التراجع الى الوراء مولية وجهها شطر «قطيه» وبذلك سقطت الدويدار بين ايدي الجنود الانكليزية وخسر العثمانيون في هذه المعركة زهاء ٨٥٠ رجلا بين قتيل وجريح واسير

حالة الجبهة بعد سقوط الدويدار

وكانت منطقة «الدويدار» تؤلف للقوات العثمانية جناحها الايسر اما القلب فقد كان مؤلفاً من قوات الالاي ٨٠ التابع للفرقة ٢٧

وكانت الميمنة مؤلفة من قوات العربان التي يقودها البنباشي ممتاز بك

وسقوط الدويدار بيد القوات الانكليزية اهاب بالقبائل البدوية التي كانت تشكو التلاعب بالاموال التي ترد اليها، كما روى لنا اليوزباشي عباس بك طباره في حديثه الذي نشرناه في هذا العدد، الى التضعضع فتفرق القسم الاكبر منها عن الجبهة وكان من جراء ذلك ان باتت قوات القلب في حالة الخطر فاضطرت الى التراجع الى الوراء خشية من العدو فتزلزلت هذه الجبهة شر تزلزل

ولم تترك القيادة الانكليزية وقتاً كافياً للقوات العثمانية تحصن



الاسرى العثمانيون في الجبهة

جمهور من الاسرى العثمانيون يتقدمهم ضباطهم يمرون في ميدان الازبكيه بالقاهرة يحيط بهم الحرس الانكليزي من الخيالة

فيه استحكاماتها في جهات «قطيه» ولكنها تابعت مطاردتها لها

وكانت سعف النخل في «قطية» تحجب الجنود عن انظار الطائرات فاتخذ الجند من ذلك وسيلة قوية للدفاع فقاوموا قوات الانكليز الزاحفة اليهم مقاومة شديدة غير انها لم يتسن لها الثبات تجاه القوات العظيمة التي هاجم بها الانكليز المراكز العثمانية فتراجعوا بصورة مؤلمة

رجعة القوات العثمانية

وحينما بات الموقف على هذه الحالة في منطقة الجناح الايمن المدافع عن جبهة القنطرة اصدر رأفت بك قائدهذه الجبهة امراً بتاريخ ٢٠ شباط سنة ١٣٣٠ ـ ٥ اذار سنة ١٩١٥ ـ يأمر به القوات العمومية بالتراجع وقد كانت الخطة الموضوعة لتراجعها تنحصر بما يلي:

اولا ـ ينتقل مركز القيادة العامة لقوات الجناح الايمن الى «النبي ياسر» تمهيداً لنقله الى العريش

ثانياً ـ تتراجع قوات الميسرة من قطيه الى بيرمزار، فبير العبد، فالعريش

ثالثاً ـ تتراجع قوات الميمنة الى مغضبة

رابعاً ـ الهدف. تتجمع القوات جميعها في العريش وتظل سائر المراكز في يد قوات العربان بقيادة ممتاز بك

الشروع في التراجع

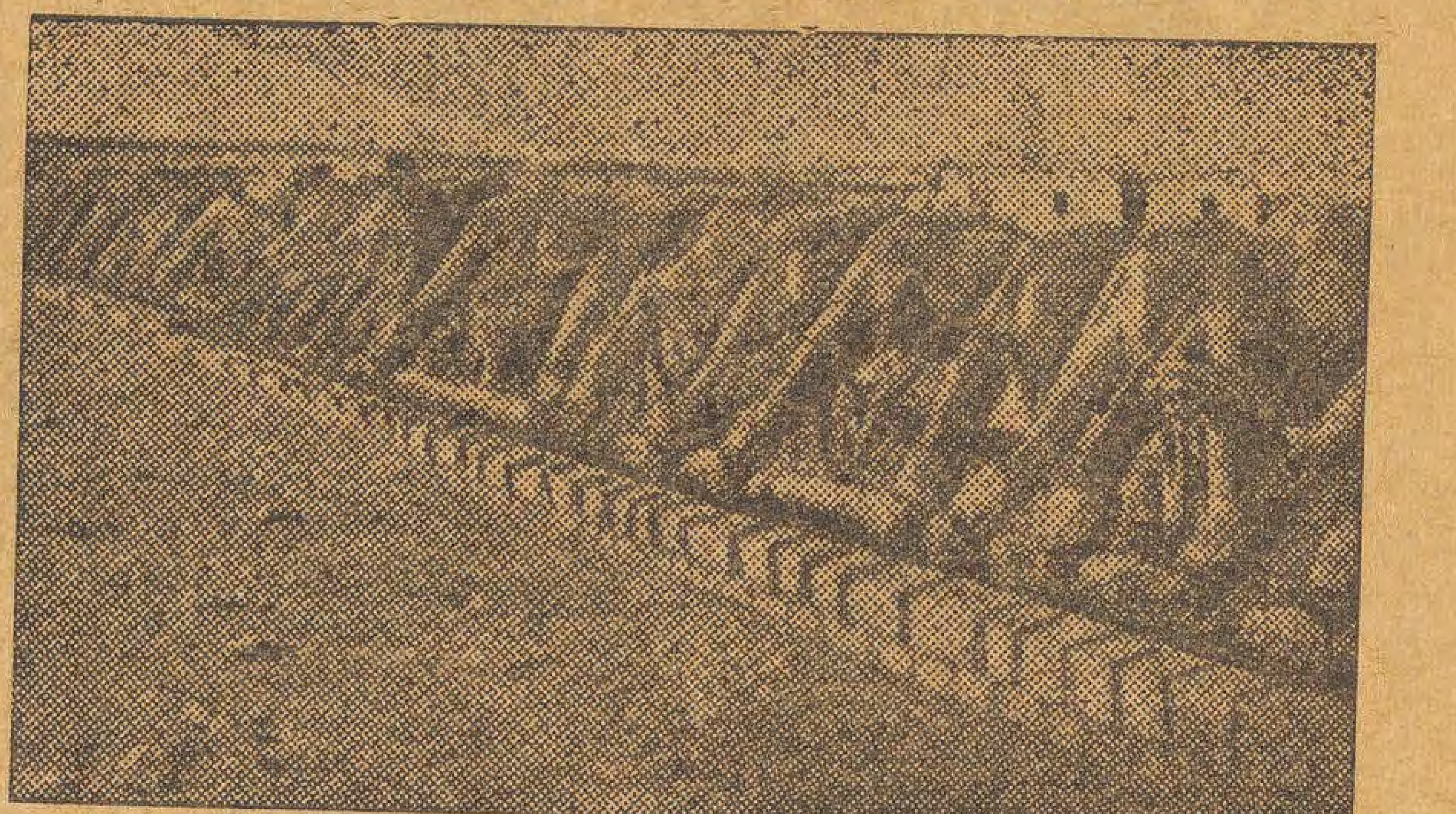
ولما صدرت هذه الاوامر كانت القوات الانكليزية قد احاطت بالقوات العثمانية في «بيرمزار» فاضطرتها الى الانسحاب بشكل انهزام وبعد ان تلقت الامر بالتراجع لم تتوقف في «بير العبد» الا ريثما استجمعت قواها ثم تابعت تراجعها

ورأى الانكليز ان في مواصلتهم السير الى الامام خطراً شديداً عليهم فوقفوا عند بير العبد

استعداد الانكليز

وكانت القيادة الانكليزية على صواب في وقوفها في هذه المنطقة لانها رأت نفسها قد توغلت كثيرا في قلب صحراء سينا وهي لاتريد

ان تتبع الخطة التي انتهجتها القيادة العثمانية بالمخاطرة في جنودها. فاكتفت من هذه الحملة التي انتهت في اخر اذار سنة ١٩١٥ بما وصلت اليه من فوز في ابعاد القوات العثمانية عن ضفة قناة السويس وانصرفت بعدئذ الى مد خطوط السكك الحديدية في قلب الصحراء لتؤمن بها نقليات الجنود المستمرة الى هذه الجبهة من جهة ، ولتحفظ خط الرجعة دون ان تضطر الى تضحيات عسكرية عظيمة اذا تغلبت عليها القوات العثمانية من جهة ثانية . وكان في جهات القناة الوف من العمال



طرق تأمين المياه الى الجيش

كانت المياه مفقودة في الجهة الحربية في السويس ولذا اعتمدت القيادة هذه الانابيب الخشبية وهي من التدابير السقيمة لتأمين احتياجات الجمال من الماء

فطفقوا يشتغلون شغلا متواصلا لتعزيز المراكز الانكليزية وتمهيد طرق المواصلات

انتقال الاسطول

وما لبث الاسطول الانكليزي — الفرنسي ، الذي كانت اعماله منحصرة ، حتى هذا الوقت ، في داخل قناة السويس ، ان خرج من جهات بور سعيد متبعاً طريق الشاطىء العثماني وهو يضرب المراكز العسكرية العثمانية الممتدة من جهات الساحل المصري الى غزة. وكانت تمتد في بعض الاحيان منطقة عمله الى مدن يافا — حيفا — عكا حتى بيروت

معركة محزنة

اما قوات الميمنة في الجناح الايمن فانها بعد ان تمكنت من الوصول الى هدفها مغضبة سالمة اراد قائدها البنباشي احمد حلمي بك — وهو قائد حلبي نأسف لاننا لا نعرف اسم العائلة التي ينتمي اليها — الهجوم على المراكز الانكليزية مع ان الاوامر التي لديه تأمره بصراحة ان يقف في تلك المنطقة ويصد هجمات الانكليز اذا ما حاولوا مهاجمتها

ولكن هذا القائد رأي الفرصة مناسبة لمهاجمة المراكز الانكليزية فجهز اربعة الاف جندي سيرهم قسمين وجهة الاول منها الجهة اليمنى من القناة وهو مؤلف من ٢٥٩٠ جندي والاخر كان الميسرة في هذه المنطقة

وقد توغلت القوات الاولى في جبهة لا تعرف مداها ولم تكن تعرف خريطة الهدف الذي ينبغي لها ان تسير اليه

واذا بالطائرات الانكليزية تحوم فوقها وتمطرها وابلا من قنابلها ثم تنصرف . وقبل ان تملك القوات العثمانية روعها فاجأت الفرزة الثانية منها قوات انكليزية غفيرة وامطرتها قنابلها وزحفت تهاجمها

ورأت القوات العثمانية الموقف الخطر المحدق بها واستحالة مقاومتها للقوات الانكليزية فاوسلت الرسل بطلب النجدات. ووسائل طلب النجدات الفنية باللاسلكي وبالتلفون كانت مفقودة عند القوات العثمانية ، فلم تكد تصل الفرزة الاخرى الى هذه الجهة لنجدة الاولى حتى كانت هذه قد اضمحلت تقريبا وتعرضت القوات الجديدة من جراء ذلك الى الخطر ولم تستطع ان تشترك في المعركة الا مدة ثلاث ساعات اضطرت بعدها الى التراجع عن الجبهة بصورة زرية وبشكل انهزام شنيع

نتيجة المعركة

وقد دل الاحصاء الرسمي الذي احتفظت به دائرة اركان الحربية العمومية العثمانية ولم يعلن الا بعد الحرب العالمية ، على ان نتيجة هذا الانهزام كانت كما يلي :

اولا — لم يعد من القوات العثمانية البالغ عددها ٤٠٠٠ جندي وضابط الا ١٢١٠ جنود، اما سائرهم فقد قتل اكثرهم واسر باقيهم

ثانيا — اسقطت طائرة انكليزية واحدة وكان سقوطها لخلل طرأ عليها وقتل اثنان من ركابها

ثالثا — قتل ٣١٢ جنديا انكليزيا وجرح ٢٩٣

رابعا — خسرت القوات العثمانية كل ما كان لديها من عتاد وتراجعت وهي لا تملك من وسائل النقل شيئا

حالة الجنود الروحية

وفي اواسط نيسان عندما تمت خطة رجعة القوات العثمانية الى الوراء كان الموقف كما يلي :



معدات الهلال الاحمر العثمانية

هذه هي الوسائل الضعيفة التي يعتمد عليها العثمانيون في نقل جرحى الجنود ومرضاهم في جبهة سينا الحربية

اولا — ان نصف القوات التي اشتركت في معركة القناة في ضفة القنطرة راح بين قتيل وجريح واسير

ثانيا — ان النصف الاخر الباقي من هذه القوات كان في حالة موءلمة لما حل به من النصب والمرض والجوع والعطش والبرد وقليل منه من كان في حالة صحية حسنة

ثالثاً — ان القواد في موءخرة الجبهة لم يكونوا يعتنون بامر الجنود فاضطر قوادهم المباشرون الى اطعامهم العشب النابت لان البقسماط لم يكن يكفيهم

رابعاً — ان سوء حالة الجنود هذه جعلتهم شبه متمردين ناقمين على قوادهم وضباطهم يترقبون اقل افرصة للانقضاض عليهم والفتك بهم

تقرير احد القواد

وقد بعث اليوزباشي عباس بك طباره تقريراً الى رئيسه رأفت بك قائد الجناح الايمن وصف في مقدمته حالة هؤلاء الجنود الشقية قال:

« ان من كانت حالته على هذه الصورة التي اوردناها لسعادتكم يصعب جداً فرض النظام عليه والاستفادة منه في خوض المعارك الجديدة. فالامر كما يتبين لكم خطير جداً واذا لم تتخذوا تدابير سريعة فعالة ثار الجند علينا وبتنا في موقف يصعب تلافيه

«واني ارى من الواجب اتخاذ التدابير التالية لتلافي ما نتوقعه :

«اولا — ان تستبدل هذه القوات التي نهكتها هذه العوامل بقوات جديدة لم تخض معارك القتال بعد

«ثانياً — ان يؤذن لنا حتى وصول القوات الجديدة باشعال النار لتدفئة الجنود ليلا لان البرد اثر كثيراً باجسامهم وجعلهم في حالة يعجزون معها عن النهوض على اقدامهم

«ثالثاً — ان ترسل الينا المواد الغذائية اللازمة لهم»

تحقيق هذه المطالب

ومع ان اشعال النار في المناطق القريبة من الساحل شديد الخطورة لانه يدل الاعداء على مراكزها فقد وافق رافت بك على هذا التدبير وسلم بيده عباس بك علبة الثقاب ليشعل صناديق البترول الفارغة لتدفئة الجنود .

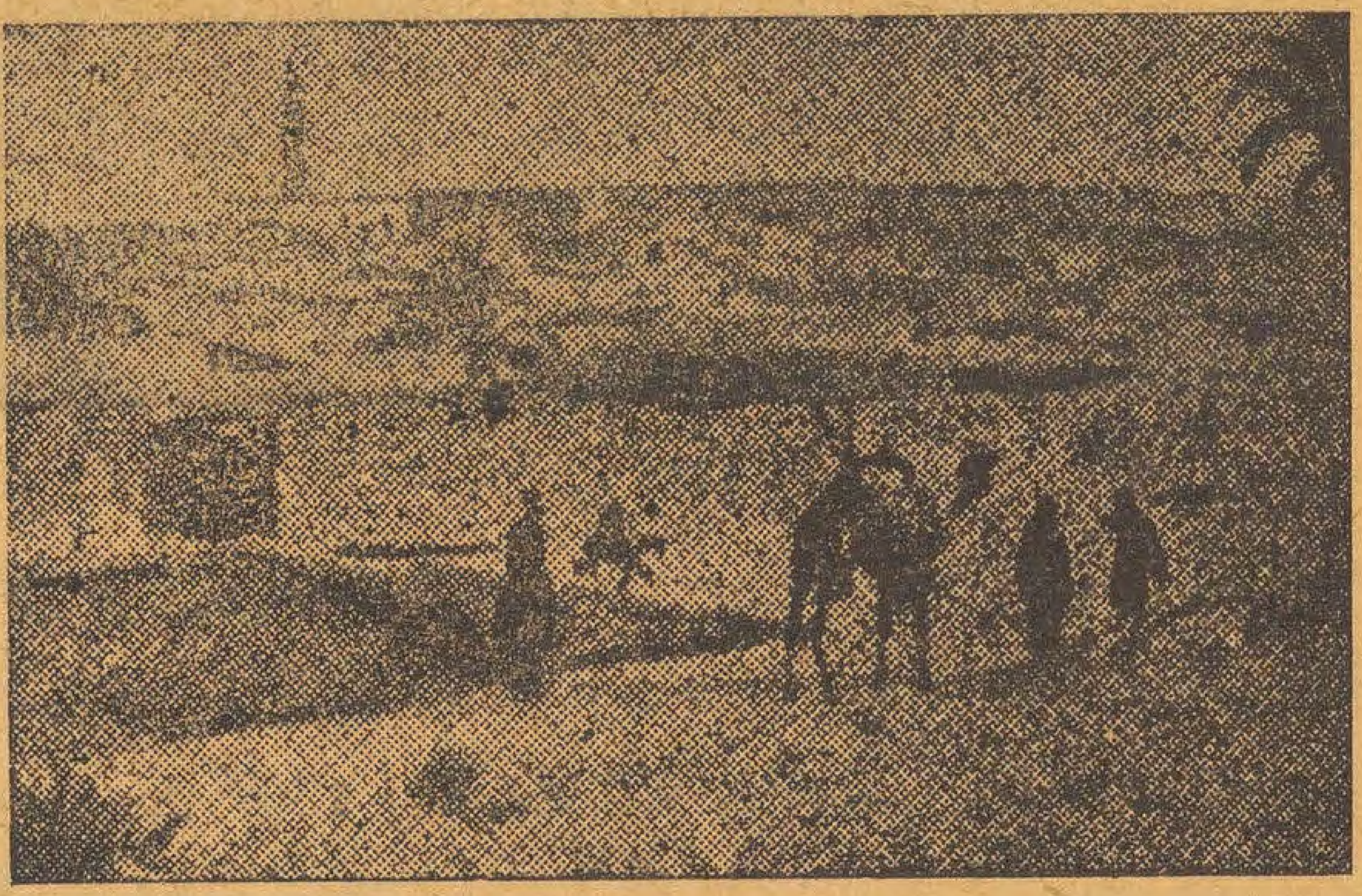
وارسل عند الصباح جنداً الى الصحراء فجمعوا كميات كبيرة من « المكوب » الذي كان موجوداً بكثرة في تلك الجهة صنعوا لنفوسهم منه طعاما شهيا وتمكنوا من الاصطلاء وهم يطهون طعامهم

ثم وافق على نقل عدد كبير من الجنود المتعبة الى منطقة بعيدة عن ساحل القناة فارسلوا الى الحارثية — وهي قرية واقعة شرقي حيفا — بحجة اقتطاع الحطب والسنديان لانه لا يجوز في حالة الحرب نقل الجنود الى الاستراحة وبذلك ترك لهم فرصة كافية يستعيدون خلالها قوتهم ونشاطهم ، وجاء الى تلك المنطقة بقوات جديدة من جهات القدس لم تخض بعد المعارك الحربية

الجلاء عن قلعة النخل

وهذا الموقف الحربي الذي تطورت به الحالة في الجبهة الحربية اهاب بالقيادة الانكليزية العليا لان تعد حملة قوية لمهاجمة « قلعة النخل » واحتلالها

وبلدة قلعة النخل تقوم فيها قلعة قديمة شيدت في القرون الوسطى بحجارة ضخمة كالحجارة التي تشاهدها في المدن التاريخية



قلعة النخل في سينا

منظر عام لقلعة النخل في صحراء سينا وهي المدينة الوحيدة القائمة في تلك الجهات النائية عن العمران

القديمة امثال بعلبك وجبيل وغيرها جهزها الاتراك عندما نهضوا يستعدون لحملة قناة السويس الاولى تجهيزا حولها حصناً قوياً لا يمكن اختراقه بوجه من الوجوه .

مستودع الذخيرة

ولما كانت « قلعة النخل » اقرب حصن حربي قائم على مقربة من قناة السويس فقد جعل الاتراك هذه البناية القديمة مستودعات العتاد الحربي والذخيرة الحربية واقاموا حولها سياجاً من الاسلاك الشائكه وحصنوها بالمدفعية الجبليه السريعه الفعالة .

وكان الانكليز يعرفون خطورة هذا المركز عند القيادة العثمانية فرغبوا في الاستيلاء عليه مهما كلفهم من تضحيات

ضرب قلعة النخل

فعمدت الطائرات الانكليزية في بادىء الامر الى ضرب هذه القلعة بقذائفها فحامت خلال يومين متواليين فوقها وضربتها بعدد كبير من قنابلها لكنها لم تؤثر بها شيئا ، لان المدفعية النمساوية التي تولت الدفاع عن تلك المنطقة تصدت لها فاسقطت منها اول يوم طائرة واحدة ثم اسقطت في اليوم الثاني طائرتين

ولكن الحلفاء ارسلوا في اليوم الثالث عدداً اكبر من طائرات الهجوم الانكليزية فتمكنت من اسكات المدفعية المذكورة

الهجوم على القلعة

وهنا رأت القيادة الانكليزية الفرصة سانحة للقيام بهجوم عام على هذا المركز فجهزت لواء كاملا من جنودها بدأ بهجومه على قلعة النخل في ١٥ شباط ١٩١٥ فصدمته القوات العثمانية وتمكنت من صده في المعارك الاولى .

فوز الانكليز

لكن تطور الموقف الحربي وعدم كفاية المدفعية في تلك الاثناء منع القيادة العثمانية من مواصلة القتال في الجهة القريبة من القلعة فاضطر القائد الى ان يصدر اوامره الى الجنود بالانسحاب من الاستحكامات الخلفية ثم حشد قوة كبيرة حول القلعة لتحمي هذه القوات في انسحابها . فانفسح له بذلك مجال سحب قواته هذه بخسائر قليلة

نسف القلعة

وتوغل الجنود الانكليز في قلب بلدة قلعة النخل دون ان يصادفوا مقاومة واخذوا يتقدمون لاحتلال القلعة وانهاء الموقعة .

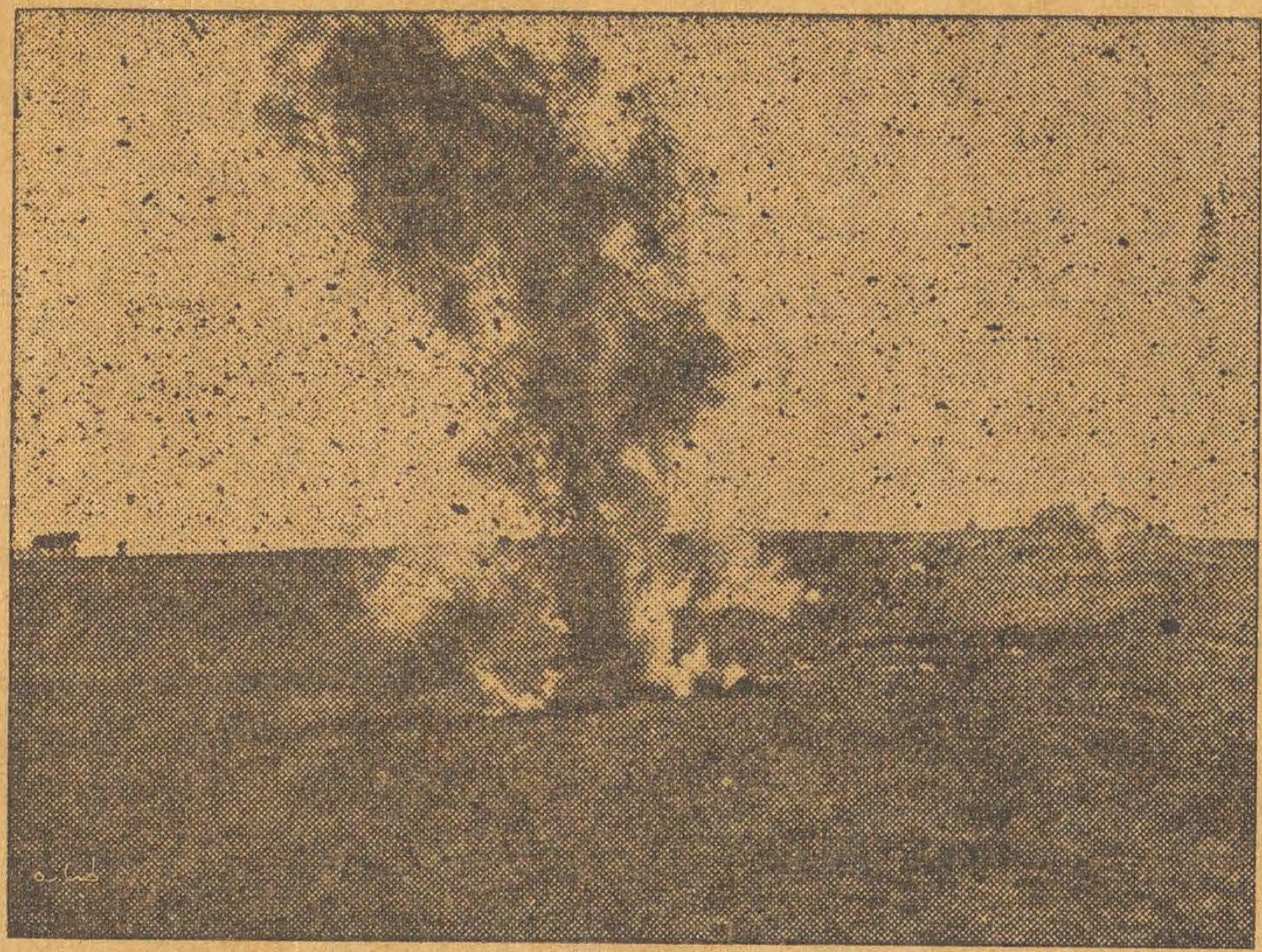
غير ان اليوزباشي عباس بك طباره المعهود اليه بالدفاع عن هذه المنطقة وجد انه لا يستطيع الثبات في مركزه اكثر مما ثبت ، فقرر نسف القلعة لكيلا يترك للانكليز مجال الوصول الى الذخيرة التي فيها والاستفادة منها لانه لم يكن في مكنته نقل هذه الذخيرة الى الجبهة العثمانية. فاصدر لقواته الموجودة حول القلعة امراً بالتراجع ثم جاء بفتيل ادخل طرفه داخل القلعة وسحب الطرف الاخر معه الى الجهة الخلفية التي اخذ يتراجع منها حتى اذا بات في مكان بعيد قليلا عن القلعة اشعل الفتيل وسار الى الوراء

انفجار هائل

وما مرت عشر دقائق حتى سمع دوي انفجار شديد تعالى من

منظر النار وهي تشتعل في قلعة النخل

اخذت هذا الرسم من الجو احدى الطائرات



تلك الجهة نسفت معه القلعة وكثير من منازل المدينة نسفا وقد ذهب ضحية هذه الصدمة عشرات من الجنود الانكليز الذين كانوا على مقربة من مكان الانفجار

نجاة القوات العثمانية

وهذا الانفجار الذي ضعضع مراكز القوات الانكليزية حال دون مواصلتها التقدم لضرب القوات العثمانية التي كانت تتراجع بصورة محزنة للغاية .

حتى ان الطائرات نفسها لم تكن لتجسر على التقدم وكان هذا العمل سببا في انقاذ البقية الباقية من القوات العثمانية التي تمكنت بهذه الصورة من التراجع وهي على شيء من الاطمئنان

الهدوء يسود الجبهة

وساد الجبهة الحربية في سينا جمود طويل بعد المعارك الحربية التي وقعت خلال الاشهر الاولى من عام ١٩١٥ ، اذ ان كلا من الفريقين المتحاربين ، « الانكليز والعثمانيين » انصرف الى تعزيز مراكزه الحربية في تلك الجهات

فالقيادة الانكليزية انصرفت الى اقامة الاستحكامات الحربية على طول جبهة قناة السويس من جهة الحدود الفلسطينية لمنع غارات العثمانيين بعد ان بلغها ما يقومون به من استعدادات لحملة القناة الثانية وانصرفت كذلك في الوقت نفسه الى اقامة طرق المواصلات العسكرية لسوق الجيش فاستقدمت عدداً كبيراً من العمال المصريين جمعتهم، بعد ان غرتهم باجور شهرية باهظة، لمساعدتها في هذه الاعمال

مساعي الاتراك

اما القيادة العثمانية فانها انصرفت الى بذل جهود جبارة لتجييش القوات الكبيرة لمعركة قناة السويس الثانية ، فحولت مدن شفاعمرو والناصرة وصفورية الى معسكرات حشدت فيها اكبر عدد ممكن جمعه من القوات العثمانية استعداداً لتلك المعركة وفي الوقت نفسه باشرت مد خطوط السكك الحديدية قصد ايصالها الى بئر السبع لتسهيل سبل المواصلات مع تلك الجهات

واتخذت من مدينتي اللد والرملة قاعدة لحشد القوات الاحتياطية وارسل احمد جمال باشا برقية الى القيادة العليا في استانبول يعلمها الموقف الحربي في جبهة سينا ويطلب منها مساعدته ليس بالجند بل بالطائرات والمدفعية ومعدات الحرب الحديثة التي يؤمل ان تصل اليه قبل ان يشرع في المعركة الثانية

اسرار الحرب الكبرى

بقلم كرم ملحم كرم

الايطاليون يشددون من عزائمهم و يصدون عن مواقعهم النمسيين

خدعة تجوز في القوات النمسية فتضعضعها

احتلال مدينة غوريزيا

مال اركان حرب الجيش النمسي الى الهجوم على نواحي نهر «ايزونزو» السفلي فيما كان الجيش النمسي يقوم بهجومه على ولاية «ترانتان» . بيد ان محاولة الروس صرف النمسيين عن الجبهة الايطالية ، ومقاومة الايطاليين في ولاية «ترانتان» ، واخفاق النمسيين في الاستيلاء على «مونفالكونه» في ١٥ و ١٦ حزيران ، قضت على رغبة اركان حرب الجيش النمسي القضاء المبرم

فاكتشفت عندذاك القوات النمسية بان تصد الايطاليين وتقذف بهم الى نهر «ايزونزو» بهجوم تقوم به في جبل «كارسو» معتمدة على الغازات الخانقة. ولم يكن قد شاع استعمالها في تلك الجبهة الحربية

كتيبة المانية تحمل الغازات

وجاء الضباط الالمان بكتيبة دربوها في «كريمس» ، على ضفاف نهر الدانوب ، على طريقة رمي الغازات . واقبلت هذه الكتيبة الى نواحي نهر «ايزونزو» السفلي تحت ستار الكتمان . واعدت العمل بدقة . وباشرته واعادته واستعادته . وبدأت تجاربها في ٢٢ حزيران في «ساجيتي» على مرأى من القائد «بوروويفيك» وتعلم الجند درء خطر الغازات بالاقنعة الواقية . وألقيت في «بيغليا» محاضرة على ضباط الفرقة العشرين المكلفة رمي الغازات في الخنادق الايطالية

تدابير النمسيين

وانشأ النمسيون مستودعاً لهذه الغازات في «لايباك» ثم في «رانزيانو» . واعدت تدابير رمي الغازات في منطقة «سان ميشال» و «سان مارتينو دل كارسو» . وحصر الغاز في زجاجات من الحديد مجهزة بانبوب . وهذه الزجاجات ضمتها صناديق من الخشب تحميها اكياس من التراب

وفي ليل ٢٦ حزيران ألقيت الزجاجات سراً على جبهة الفرقة العشرين والفرقة السابعة والعشرين الايطاليتين

ولكن الريح لم تكن مؤاتية اخرت العمل . واتخذت تدابير خاصة لمنع فرار الجند لئلا يبوحوا بالسر . وفي ٢٨ قام الايطاليون بهجومهم ، وزاد الهجوم الايطالي في تأخر النمسيين عن اطلاق غازاتهم فارجأوا الامر الى صباح اليوم التاسع والعشرين

والغازات تقضي على من يتنشقها بالموت وهو على بعد ميل واحد منها ، وتؤثر في من يتنشقونها حتى وهم على بعد خمسة اميال

بيد انها لا تحرمهم الحياة

وفي ٢٩ منه ، بين الساعة الخامسة والخامسة والنصف ، بعدما قذفت المدفعية بنيرانها على خطوط نهر «ايزونزو» وممراته ، انتشرت غمائم كثيفة من الغازات ، تدفعها ريح عليلة ، على جبهة الفيلق الايطالي الحادي عشر

فدهش هذا الفيلق وهو يستنشقها ، غير انه ابى الا الدفاع عن مواقعه ، ودافع بثبات ، ودفع الهجوم النمسي وادرك الفوز ووقع بين يديه ٤٠٣ اسرى

الاستعداد للهجوم الايطالي

وكما فكر اركان حرب الجيش في النمسا في التأهب للهجوم فكر في ذلك اركان حرب الجيش في ايطاليا ، خصوصاً بعد اخفاق الهجوم النمسي في ولاية « ترانتان ». فالايطاليون شاقهم الهجوم على جبهة نهر « ايزونزو » لاحتلال مدينة « غوريزيا » والناحية الجنوبية من جبل « كارسو » في منطقة « مونفالكونه »

والاستعداد ظهر في اثناء الشتاء ، فزيدت المدفعية وازدادت اعمال التحصين في مناطق نهر « ايزونزو » السفلي

بيد ان هجوم النمسيين في ١٥ ايار ضعضع المشروع ، فما لبث الايطاليون ان عادوا اليه . واتجهت النية الى مفاجأة النمسيين مفاجأة غلابة لا يقوون بها على اتقاء الضربة . فتنقل القيادة العليا الجيوش المعسكرة على جبهة « ترانتان » دفعة واحدة الى جبهة ايزونزو ، وتمهد المدفعية الطريق لهجوم بليغ الاثر ، هدام

خدعة !

وتسنى للايطاليين ان يلحقوا بالنمسيين المهزومين . ومما قضت به القيادة الايطالية العليا ان تكون مدينة « غوريزيا » هدف الهجوم الاول . ولكن الحكمة تقضي بان لا يشعر بهذه الخطة النمسيون . فعمد الايطاليون الى الخدعة وقرروا ان يهاجموا قبل الموعد بيومين « مونفالكونه » وهي موقع من الجبهة وافر الاحساس

وتم حشد الجيوش ونقل الذخائر في ثلاثة اوقات مختلفة . فمنذ ٢٩ حزيران الى ٢٧ تموز جيء من « ترانتان » الى ضفاف نهر « ايزونزو » ببعض القوات الاحتياطية والاضافية والذخائر دون ما اثارة يقظة النمسيين

والمداورة الحربية الكبرى جرت بين ٢٧ تموز و ٤ آب ، فانتقلت المدفعية بمعظمها والقوات الكبرى الى جبهة ايزونزو بسرعة وتكتم شديدين . فلم تكن تدري الفيالق الى اين يجري انتقالها الا وهي في طريقها الى هدفها . والقطر الحديدية نفسها لم تكن تعلم وهي تنقل الجنود الى اي ناحية تسير بها . فالقادة كانوا يبلغون العاملين في هذه القطر ما يجب عليهم دون ان يوضحوا لهم شيئاً مما يجري في طي الخفاء



فون باتوكي

وهو من عهدت اليه الحكومة الالمانية في اثناء الحرب الكبرى درء خطر المجاعة عن المانيا وتنظيم اعمال الاعاشة

بدء المعركة

وفي ٤ آب بدأت المعركة . وكان قد تم الاستعداد الايطالي. وورد على الجيش الايطالي الثالث الموكول اليه امر الهجوم ما يحتاج اليه من المدافع، وفي مساء ٣ آب بات التأهب في كل ناحية تاماً . فلم يكن على المدفعية الايطالية الا ان تفتح اشداقها وتطلق النار

والنار اطلقت في ٤ آب في منطقة « مونفالكونه ». وبعد استعداد عظيم احتل المشاة التمتين الحاملتين رقم ٨٥ و ١٢١ في شرقي « روكا دي مونفالكونه » . ولكن النمسيين فيما يخلون خنادقهم ابقوا فيها قذائف انفجرت وانبعثت منها غازات خانقة

وما لبث النمسيون ان جمعوا صفوفهم وواثبوا الايطاليين فاعادوهم الى مواقعهم

وانقضى اليوم الخامس في تفجير القذائف. وفي هذا اليوم تمت الخدعة الايطالية وقد صب الايطاليون نيران مدافعهم على منطقة مونفالكونه ليوهموا النمسيين انهم يبغون مهاجمة هذه المنطقة، على حين كانوا يرومون احتلال مدينة «غوريزيا»



الالمان في ايام المجاعة يقبلون على شراء الملح والكاز

مشهد من مشاهد المجاعة في اثناء الحرب الكبرى في المانيا

السعي لاحتلال غوريزيا

وفيما المدافع الايطالية تصب على «مونفالكونه» كان الاستعداد لمهاجمة جبهة «غوريزيا» يجري بهمة ونشاط. ففي ٦ آب انفجرت نيران شديدة من سابوتينو الى سان ميشال. وانطلقت القوات الكشافة الى الخطوط النمسية تتبين حالتها. ولدى الساعة الرابعة بعد الظهر تهدم الخط النمسي الاول وتبعثرت الخطوط الاخرى. واندفعت قوات المشاة كالامواج الى خنادق النمسيين ونيران المدافع تنصب وراءها على هذه الخنادق وتلتهم حتى القوات الاحتياطية وتفتح طريقاً للايطاليين الى مواقع اعدائهم

وفي اليسرة اندفعت الفرقة الخامسة والاربعون من الجيش الايطالي الى مهاجمة جبل سابوتينو، فاجتازت بوثبة واحدة مواقع الدفاع النمسية وبلغت في اربعين دقيقة قمة الجبل واسرت فيها الحامية النمسية، ثم تدحرجت في منحدرات الجبل الشرقية ووجهتها نهر ايزونزو، وفي المساء بلغت خط سان فالنتينو — سان مورو

وفي اعالي غوريزيا استولت الفرقة الثالثة عشرة بعد هجمات متعددة ونضال حار طويل على القمة رقم ١٨٨ في الشمال الشرقي من اوسلافيا. وهاجمت الفرقة الرابعة والعشرون خطوط اوسلافيا القوية وملكتها بعد عدة هجمات ووصلت في المساء الى بفما

معركة تدوم الليل بطوله

واستولت الفرقة الحادية عشرة على جبل بودغورا واجتازته وبلغت ضفاف نهر ايزونزو عند مستوى غرافنبرغ. وطوقها على هذه الضفاف النمسيون فاضطرت طول الليل الى القتال

وعلى يمين الفرقة الحادية عشرة، بين جبل «بودغوار» ونهر ايزونزو، خرقت الفرقة الثانية عشرة الخطوط النمسية. ومن جهة ايزونزو الاخرى، على الطرف الشمالي من جبل كارسو، استولت الفرقة الثانية والعشرون على قمة «سان ميشال» وقد طال التزاحم عليها وتخضبت ارضها بالدم. ومن الواجب القول ان النمسيين دافعوا عن انفسهم دفاع الابطال، الا ان النصر خانهم، فانهزموا وقد ابقوا بين ايدي الايطاليين ثلاثة الاف اسير وعشرة مدافع

احتلال غوريزيا

ولقد تم للايطاليين في يوم ١٠ اب ان يرسخوا في جبل «سابوتينو» وجبل سان ميشال وهما ركنا الدفاع عن غوريزيا وبقي عليهم ان يستولوا على القمم المشرفة على المدينه. ولكن

هذه القمم صعبة المنال ، فليس من السهل امتلاكها وقد انشأ فيها النمسيون خطوطاً للدفاع منيعة . ولكن الايطاليين قاموا بتضحيات جسيمة ، فوثب مشاتهم الى تذليل العقبات تسندهم المدفعية ، وحالفهم التوفيق واستولوا على تلك الارض الصعبة ورسخت اقدامهم في الخنادق جمعاء ، ولكن بالتدريج. واكرهوا النمسيين على الاستسلام وصدوا عنهم هجماتهم في ما وراء نهر « ايزونزو »

والفرقة الايطالية الخامسة والاربعون هي التي ادركت النجاح وقد تسنى لها ان تفاجىء النمسيين من الوراء. وبعد ظهر اليوم الثامن من شهر آب كانت المرتفعات المشرفة على غوريزيا بين ايدي الايطاليين. وعند المساء اجتاز لواءان النهر . واندفعت قوة من الفرسان يعضدها فريق المشاة على الدراجات لتذليل كل عقبة في السهل المنبسط امام ابواب المدينة . وفي صباح اليوم التاسع كانت القوات الايطالية تدخل غوريزيا ظافرة منصورة

النمسيون في خسارة مستمرة

وغاظ النمسيين ان ينتزع منهم الايطاليون قمة سان ميشال . وحاولوا استعادتها بكل ما يملكون من عزم . ولكنهم لم ينجحوا في مبتغاهم بل خسروا قرية بوشيني على المنحدر الشمالي . وفي الجنوب احتل الايطاليون الاستحكامات المشيدة على مقربة من جبل سان مارتينو

وعجز النمسيون عن البقاء في جبل سان ميشال بعد ما خسروه، بل هم عجزوا عن البقاء في المنطقة المتمدة منه الى « ديبيلي » في الجنوب . وفي صباح اليوم العاشر بدأ النمسيون هزيمتهم الى «فالونه»، وعلى الاثر واثب الفيلق الايطالي الحادي عشر من ناحية اليسار ، والفيلق الثالث عشر من جهه اليمين ، جبل كارسو . فاتسع هذا الهجوم من « فيباكو » الى جبل « كوزيش »

والقوات النمسية المدافعة عن جبل كوزيش استقرت في مواقع حصينة . وهذه المواقع عرفت القيادة النمسية كيف تستفيد منها بشهادة الايطاليين انفسهم . فانشأت استحكامات منيعة محفورة في الصخر تعلوها الاسلاك الشائكة ومعظمها مصفح . وعبدت فيها طرقاً تساعد على سرعة المواصلات

وكان من امر هجوم ١٠ آب ان احتل الايطاليون من جبل كارسو الناحية الواقعة غربي فالونه . وتحدث مقام اركان الحرب في الجيش الايطالي عن هذا الهجوم فقال : « احتلت جيوشنا « روبيا » وجبل سان مارتينو دل كارسو ، وجبل دوبريدو ، وجبل كوزيش، وبلغت الخط الواقع بين فالونه و كرني هريب

وفي ١١ وقع هذا الخط بين ايدي الايطاليين ، واستقر النمسيون في جبل ديبيلي وعلى القمة رقم ١٢١ ، في مواقع وافرة التحصين

وفي ذلك اليوم اجتاز الايطاليون فالونه واقاموا في منحدرات جبل ناد لوجم . وفي ١٢ منه استولت الفرقة الثالثة والعشرون على قمته . وفي الوقت نفسه، وفي الناحية الجنوبية ، احتلت جبل اوبا كشياز يلا وتقدمت ميلا في جهة الشرق

وجلا النمسيون في الناحيه الجنوبية من هذا الجبل عن القمة رقم ١٢١ وعن جبل ديبيلي وتراجعوا الى ما بعد فالونه واقاموا في القمة رقم ١٤٤

ودامت المعارك الى ١٥ فنجح الايطاليون في منطقة « نادلوجم». ومع كون التيار الايطالي طغى على النمسيين فقد ثبت هؤلاء في مواقعهم . ونفدت قوى الفرقتين الايطاليتين من الفيلق الحادي عشر وهي تهاجم الاعالي الشرقية من « فالونه » فحلت محلها الفرقتان الثانية والعشرون والتاسعة والاربعون وما تسنى لهما الاستيلاء على هذه الصخور الشاهقة المنتصبة امامها

وبات من الضرورة وقف الهجوم لتنظيم الاماكن المحتلة . واضحى الموقف كما يلي :

خسر النمسيون جبل سابوتينو ولكنهم احتفظوا امامه بجبل « سان غبريال » وليس يبعد عنه مسافة تزيد على خمسين ذراعاً . ولم يجلوا في شرقي « غوريزيا » عن القمم المشرفة على « سان ماركو »، وما برحوا يسدون وجهات « فيباسه » وهي تقود الى « لاييالك » البعيدة عنها سبعين ميلا . وظلوا مالكين الطرف الشرقي من «فالونه»، وما زالت قواتهم، تسد من جنوبي جبل « كارسو » حتى البحر ، ساحة « ليزرت » ، وكانوا يستندون من الوراء الى قلعة « هرمادا »

الروس يعودون الى الهجوم على النمسا والمانيا يقودهم بروسيلوف

اذا لم تعملوا بخطتي اليكم باستقالتي !

لست احفل بالقيصر !

في ١٥ ايار ١٩١٦ قام النمسيون بهجوم على ايطاليا بين نهر «اديج» ونهر «برنتا»، وفي ٢١ ايار نشرت جريدة «كورياره ده لاسيرا» الايطالية مقالا تحت عنوان «ساعة العمل الموحد» كان اشبه بنداء الى روسيا قالت فيه :

«لا ريب ان الروس ساعدوا على ادراك ذلك النصر العظيم في معركة المارن. فالقائد «رينتكامب» دفع جنوده الى غزو بروسيا الشرقية قبل الموعد المنتظر. ونحن انفسنا ساعدنا على تخفيف وطأة الضغط النمسي الالماني الهائل عن الروس بخوضنا غمار القتال فيما كان الحلفاء يعانون الدواهي العسكرية الشداد. وفي شهري تشرين الاول وتشرين الثاني بينما الهجوم على «ريغا» و «دفنسك» يبدو حامياً واعياً لم نتردد في مهاجمة استحكامات «غوريزيا» وجبل «كارسو». فاذا صممت اليوم روسيا على الاسراع في العمل والاندفاع الى الامام كان بالمستطاع القضاء على الخطة النمسية الالمانية»

مقال جريدة المانية

وفي ٢ حزيران، فيما النمسيون يقفون امام آخر حاجز يفصلهم عن السهل الايطالي، بدأ المدفع الروسي يقصف بعنف. وفي ٤ حزيران كتبت جريدة «برلينر تاجبلاط» الالمانية تقول :

«بعد ثلاثة اسابيع من بدء الهجوم النمسي المجري على منطقة التيرول الجنوبية، ازداد الروس همة ونشاطاً في اعداد مدفعيتهم لعرقلة مساعينا في الجبهة الشمالية الشرقية. وقد توهموا انهم يرموننا بالوهن. ولكن جبهتنا الروسية تحصنت تحصيناً قوياً. فمنذ اشهر طويلة ونحن نهتم بتوطيد اركانها. وحالة الجيش في ارفع مستوى. فما اصابتنا في القتال خسائر ولا فتكت بجيشنا الاوبئة ولا انتاب الضعف جبهتنا مع كل اضطرارنا الى الاستعانة بقوات وافرة منها لايفادها الى سائر الجهات. اذاً علينا ان ننظر باطمئنان الى الحوادث المقبلة»

بدء الهجوم الروسي

وفي النهار نفسه بدأ الهجوم الروسي، فوثبت القوات الروسية الى الخنادق النمسية بسهولة عجيبة

والجيوش الروسية كانت تؤلف من خليج «ريغا» الى الحدود الرومانية ثلاث جبهات. الجبهة الشمالية ويتولاها القائد كوروباتكين تضم ثلاثة جيوش، الثاني عشر والخامس والاول، وقد احتشد فيها ثلاثة عشر فيلقا

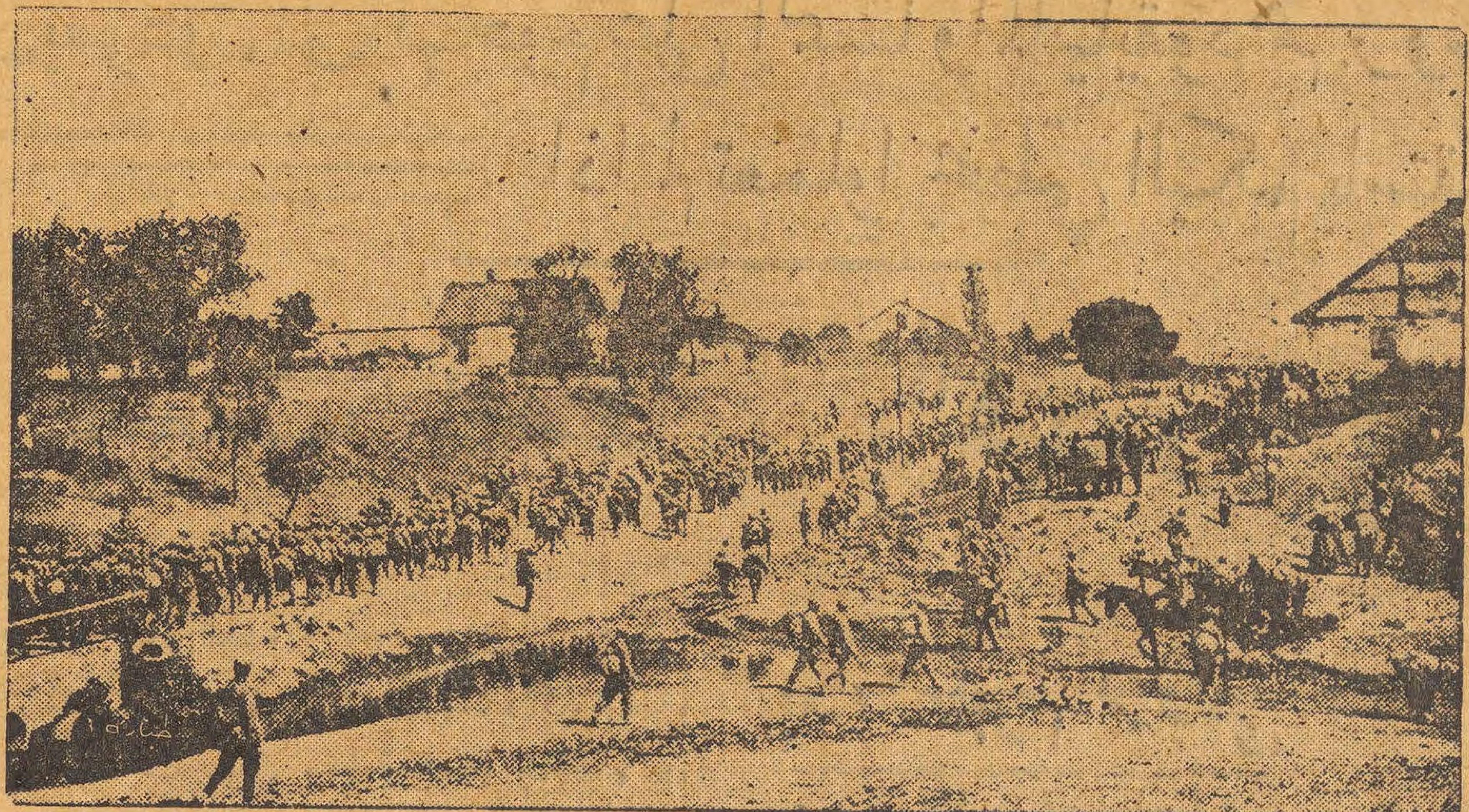
والجبهة الغربية الممتدة من «فيدزي» الى خط «كوفل - ساوني» ملك زمامها القائد «ايفرت» وضمت ثلاثة جيوش، الثاني والعاشر الثالث، وهذه الجيوش جمعت ثلاثة وعشرين فيلقا

والجبهة الجنوبية الغربية المنبسطة من «كوفل - ساوني» الى حدود رومانيا والموكول امرها الى القائد «بروسيلوف» وعليها اربعة جيوش، الثامن والحادي عشر والسابع والتاسع، وهذه الجيوش تتألف من تسعة عشر فيلقاً

وكان لدى الالمان والنمسيين في مقابل هذه القوات ما يعادلها. فقد حوت جبهاتهم خمسة وخمسين فيلقا ونصف فيلق

في سبيل فردون

وفي ١٨ آذار، للتخفيف عن عوانق الفرنسيين في فردون، قام الجيش الروسي الثاني بهجوم عام عن جانبي الخط الحديدي المشيد بين «بوستافي - سفنتسياني». ودعم هذا الهجوم من الشمال في ناحية «فيدزي» الجيش الاول، وفي ناحية «دفنسك» الجيش الخامس. وجرت الاعمال العسكرية تحت الثلوج، في المستنقعات وفي بحيرات من الدم، على ان فوائدها كانت محدودة، وفي ٣٠ آذار وقفت وقوفا تاما



قوافل من اسرى النمسيين في قبضة الروس

في الهجوم الذي قام به القائد بروسيلوف على القوات النمسية في شهر حزيران ١٩١٦ وقع بين يديه عدد كبير من الاسرى ، وهذا الرسم يمثل قوافل هؤلاء الاسرى يقودهم الروس الى ما وراء الجيش

هجوم الصيف

وفي اواسط شهر نيسان بدأ الاستعداد لهجوم الصيف المقررة خطته في شهر كانون الاول في « شانتيبي » . ومما نصت عليه الخطة الحربية الروسية ان يجري هذا الهجوم على الجبهات الثلاث ، على ان تكون الصدمة الاولى في القلب وفي الجبهة الغربية ومنطقة « بارانوفياشي »

موقف الالمان والنمسيين

وانقسم الالمان والنمسيون الى ثلاثة اقسام . فقام في الشمال ، من خليج « ريغا » الى نهر « نيامن » ، القائد هندنبورغ وقد نال لقب قائد جيش الشرق العام . وكان تحت امرته من الشمال الى الجنوب جيش « نيامن » القديم المعسكر في اليسار الاقصى وقد اضحى يعرف بالجيش الثامن لقائده « فون بيلوف » ، ثم قوات القائد « شولتز » فالجيش العاشر ، فالجيش الثاني عشر لقائده « فون فابك » وقد استقر على يسار الخط الحديدي المشيد بين « ليدا — مولود تشنو »

وفي جنوبي قوات هندنبورغ انبسطت قوات الامير ليوبولد البافاري ، وكان انبساطها من « نيامن » الى « بانسك » . والاوامر كانت ترد على الامير ليوبولد من مقر اركان الحرب العام كما كانت ترد على هندنبورغ . وبدأ حشد الجيش النمسي من جنوبي « بانسك » . وكان يتلقى اوامره من مقر اركان الحرب في « تيش » . وتألف يساره من قوات القائد « لنسنجن » ، وتلاها الجيشان النمسيان الاول والثاني لقائدها « بوبهم ارمولي » ، فالجيش الالماني المقيم في الجنوب لقائده الكونت « بوتمر » ، فالجيش النمسي السابع

وقد عد الروس القوات الالمانية النمسية المعسكرة من بحر البلطيك الى الحدود الرومانية بمئة وسبع وعشرين فرقة من المشاة واحدى وعشرين فرقة من الفرسان

ايطاليا تطلب النجدة

وطلب القائد « كادورنا » ، وولي امر الجيوش الايطالية العام ، النجدة من روسيا بان تهاجم النمسيين على حدودها فتخف وطأتهم عن ايطاليا . على ان الشتاء قضى على الاستعداد الروسي بالتأخر . فتململ الروس ، الموقف يقضي بسرعة الهجوم . واخيراً رأوا ان يقوموا به على الجبهة الجنوبية الغربية من نهر « بريبيا » الى نهر « بروث » على مسافة اربعمئة ميل

القائد بروسيلوف

صاحب خطة الهجوم على النمسا



هذا هو القائد بروسيلوف الذي قاد في حزيران ١٩١٦ الى النصر الجيش الروسي. ففكر في مهاجمة النمسيين دون ما ابطاء واضطر رجال اركان الحرب في روسيا الى تأييد مطلبه مكرهين. فابلغهم انه يستقيل اذا لم يطلقوا يده في العمل، فورد عليه الجواب ان اعمل بما شئت

وكانت خطته في موضعها. فقهر النمسيين وضعضعهم وملك الظفر التام. وشعرت المانيا بقوة هذا القائد وبما في هجومه من خطر عليها وعلى حليفتها النمسا فاسرعت الى نجدة النمسيين بقوات المانية صرف لدرء الخطر المنذر بالويل الجسيم

جيش القائد لنسنجه

اي موقف كان في اوائل حزيران ١٩١٦ موقف جيش القائد «لنسنجن» ؟

كان يعسكر على ضفاف نهر «بريبيا» ويجاوزها الى غابات وادغال. فامتد في الشمال الى قناة «اوجنسكي» وفي الجنوب الى نهر «ستير». وكان جناحه الايسر المانياً، وجناحه الايمن نمسياً. واقامت ميسرته في منطقة «بانسك» وليس من مجال فيها للاعمال الحربية الكبرى. وتألفت هذه الميسرة من فرقة الفرسان تعضدها الفرقة الاحتياطية الحادية والثمانون من الشمال، والفرقة الثانية والثمانون من اليمين وقد استقرت على ضفاف نهر «بريبيا». وهاتان الفرقتان تؤلفان الفيلق الحادي والاربعين، وهما من بقايا جيش القائد الالماني «فون ماكنزن»

وفي جنوبي «بريبيا» انشأت القوات النمسية قواعدها. فانتهت الى مناطق منخفضة وعرة المسالك. وعهدت بامر المحافظة على طرقها الى ثلاث فرق من الفرسان. وامتدت جبهتها الى قمم صغيرة جرداء تتواثب من صدر مروج خضر على ضفاف نهر «ستير». وهذه القوات كانت تنتمي الى جيش القائد «لنسنجن» نفسه. فهي مكلفة المحافظة على فسحة مترامية الاطراف يصعب الوقوف على خفاياها. وهذه القوات تجمع عشرين الف فارس وعدداً يماثله من المشاة

وفي جنوبي القوات المستقرة على ضفاف نهر «بوغ» اجتازت الجبهة النمسية نهر «ستير» عند اعالي «كولسكي»، ومن هذه الاعالي انتهت الى «دوبنو» وقد عسكر فيها الجيش النمسي الرابع

تحت قيادة الارشيدوق جوزف فردينان ، المقيم باركان حربه في «لوتزك». وتألف جيش الارشيدوق من ست فرق ونصف فرقة على جبهة طولها سبعون ميلا ، على ان هذا الجيش كان يملك اربع فرق من المشاة وفرقة من الفرسان اقامت وراءه باجمعها تستريح

وفي الناحية الجنوبية من جيش الارشيدوق بدا الجيشان النمسيان الاول والثاني تحت قيادة القائد « ارمولي » ، وموقعهما بين « دوبنو » وحدود غاليسيا . وهما مؤلفان من ثماني فرق من المشاة واثنتين من الفرسان ، وقد اتخذا مقراً لاركان حربهما في «برودي» ولم تكن تزيد قوتهما الاحتياطية على نصف الفرقة التاسعة والعشرين

وفي الناحية الجنوبية من قوات القائد « بويهم ارمولي » جرت تبديلات متعددة . فالفرق الالمانية من الجيش الالماني المعسكر في الجنوب والموكولة شؤونه الى القائد « بوتمر » دعيت على التوالي الى ميادين اخرى . وفي شهر حزيران ١٩١٦ لم يبق لهذا الجيش غير فرقة المانية واحدة هي الفرقة الثامنة والاربعون الاحتياطية، المقيمة في اعلى نهر « ستريبا» تجاه « تارنوبول » ، وانصرفت عنها الفرق الاربع الاخرى التي كانت تملكها في صيف ١٩١٥ ، ولكن وردت عليها فرقتان من قوات القائد« بويهم ارمولي » وبقيت لها فرقتان من قوات القائد « ما كنزن »

وفي اوائل شهر حزيران ١٩١٦ بلغ مجموع جيش القائد « بوتمر » عشر فرق ، تسع فرق من المشاة اقامت في الصف الاول ، وفرقة في الاستراحة هي الفرقة الثامنة والثلاثون ، واضيفت اليها فرقة الفرسان الثانية المستقرة في الجبال الواقعة غربي «بوكزكز»

وبهذه الفرق العشر امتدت على جبهة طولها مئة ميل ، من جبل « الكسينتز » حتى مصب نهر « ستريبا » في نهر « دنياستر »

اسوأ حال فى اسوأ جيش

ومن نهر «ستريبا» الى الحدود الرومانية انبسط الجيش السابع لقائده « بفلانزر بالتان». ولم يكن في شهر حزيران ١٩١٦ يزيد على ثماني فرق من المشاة واربع من الفرسان ، اي انه ضئيل العدد اذا قيس بالمجال المتسع فيه . فعليه ان يحمي الجبهة الجنوبية من نهر «دنياستر»

واسوأ سمعة كانت لهذا الجيش . فالجنود فيه كانوا يهزأون بقائدهم . ولم يكن فيه من وحدة ولا نظام ولا تجانس . فاللغات باجمعها وجدت فيه ميدانا رحيبا . واندفاعهم الى القتال كان اشبه بالمهازىء . وكانت اللعنة لدى الجندي : جعلك الله من افراد جيش «بفلانزر بالتان»!

ورئيس اركان الحرب في المانيا طلب مراراً استبداله

عدد الجيوش

وكان عدد الجيوش الروسية خمسة تقابلها خمسة جيوش المانية ونمسية . فوقف قبالة جيش القائد «لسنجن» الجيش الروسي الثالث يتولاه القائد «ليخ» ، وهو الجناح الايسر من قوات القلب لقائدها «ايفيرت». وقد امتدت من الجنوب الى الخط الحديدي القائم بين « كوفل» و «سارني»

وبعد هذا الجيش تبدأ المناطق النازلة فيها قوات القائد «بروسيلوف»، وهي تعد اربعة جيوش ، يقيم منها في الشمال الجيش الثامن ويملك زمامه القائد «كالدين» ، وهو جندي شجاع الا انه متقلب في الرأي ، وقد وقف حيال جيش الارشيدوق والجيش النمسي الاول. ويليه الجيش الحادي عشر لقائده «ساكاروف» المواجه لجيش «بويهم ارمولي» والمتجه الى يسار قوات القائد « بوتمر» . وهناك الجيش السابع لقائده « تشتشرباتشيف» الواقف ازاء ميمنة القائد «بوتمر » نفسه . واخيراً جيش القائد «ليتشيتزكي» المقابل لجيش القائد «بفلانزر»

من هو بروسيلوف ؟

والقائد « بروسيلوف » ممن تولوا في منشوريا قيادة الجيوش. فذاعت سمعته كما ذاعت سمعة القائدين « ميتشانكو » و «رينتكامب». ولما اهتم الغراندوق نقولا ووزير الحرب « سوكوملينوف » بتنظيم الجيش الروسي عهدا الى « بروسيلوف » بمنصب القائد العسكري في ولاية « بالوديا » كما عهدا اليه بقيادة احد الجيوش

وفي شهر ايلول ١٩١٤ ، بعد معركة « لمبرغ » الاولى ، دفع قواته الى نهر « دنياستر» وبلغ « هاليكز » فيما روسكي يدخل لمبرغ

ومنذ ذلك الحين وهو لا يبرح ولاية غاليسيا وجبال الكاربات. فاظهر حزماً في خططه واندفاعاً في هجومه . وهو رجل ربع القامة، بادي العزم ، بارد العينين ، يتكلم قليلا ، ومن النادر ان يبدو للعيان. واشتهر عنه انه قاس عنيد . ولم يكن من القائد الضعيف «ايفانوف» الا ان ألقى في ٦ نيسان بين يديه شؤون القيادة في الجبهة الجنوبية الغربية وهو يبكي

ولما تولى « بروسيلوف » هذه القيادة طلب على الفور القيام بالهجوم . وحدث بذلك القيصر نقولا الثاني في « كامينتز بودولوكي » . وحدث به مجلس الحرب المنعقد في ١٤ نيسان في « موهيلاف »

فاجيب ان ليس ما يمنع قيامه بهذا الهجوم ، على ان لا ينتظر



خندق من الخنادق الايطالية في جبل «كارسو»

مساعدة خاصة على الاطلاق ، لا سيما وقد قر الرأي في مجلس اركان الحرب العام في روسيا على ان يقوم بالهجوم الرئيسي القائد «ايفيرت» في ناحية « فيلنا »

اما وقد اجيب« بروسيلوف» الى مطلبه فدخل مقر اركان حربه في « برديتشاف » ودعا قادة جيشه وابلغهم ان عليهم ان يكونوا في اواخر شهر ايار على استعداد للقتال

وفي مقدمة ما رمى اليه القائد « بروسيلوف » في هجومه ان يدفع قواته باجمعها الى مقاتلة العدو ليمنعه من حشد قواته الاحتياطية. وعلى الجيش الثامن المؤلف منه الجناح الايمن ان يضرب الضربة الاولى بان يقذف بالفيالق الاربعة المعسكرة في « اوليكا » الى « لوتسك » و«فلاديمير — فولنسك »

وعلى الجيش الحادي عشر والسابع عشر المؤلف منها القلب والمعسكرين في « تارنوبول» و«بوكزاكز » ان يشقا الطريق الى لمبرغ بينما يتجه الجيش التاسع بفيلقين من فيالقه الى ستانيسلو ، سالكاً ضفة نهر دنياستر اليمنى

انتقاد خطة بروسيلوف

على ان هذه الخطة التي اقرها القائد بروسيلوف لقيت في مقر اركان حرب الجيش الروسي العام كل انتقاد . فقيل فيها انها جامعة لكل عيب. والعيب الاكبر فيها ان «بروسيلوف » يريد الهجوم على جبهة واسعة مما يضعضعه ويقضي بتبديد قواته جمعاء

وفي مساء ٣ حزيران خاطبه من مكان اركان حرب الجيش العام القائد «الكسيف» يطلب منه باسم القيصر ان يؤخر الهجوم وان يقوم بقتال منفرد. فرفض«بروسيلوف» كل الرفض واعلن انه يرغب في الاستقالة فوراً من منصبه

فاجاب «الكسيف» ان القيصر يرقد الان وليس من اللائق ايقاظه لابلاغه نبأ هذه الاستقالة

لست احفل بنوم القيصر

فاعلن بروسيلوف بشدة: ليس لي ان اهتم برقدة القيصر او يقظته! اريد الجواب الساعة !

فكان جواب «الكسيف» داعياً الى تخفيف الحدة، قال: بروسيلوف، لينصرك الله، افعل ماتشاء!

هجوم ٤ حزيران

وفي ٤ حزيران بدأ بروسيلوف هجومه ، فامتد على الجبهة بكاملها ، منذ منحنى نهر « ستير » الى الحدود الرومانية

وقد اكتفت البلاغات الروسية الاولى بان تشير الى ماغنم



قوات روسية تستريح في غاليسيا

الروس من اسرى ، وتفاقم عدد هؤلاء . فمنذ ٦ حزيران وقع منهم في الاسر الروسي خمسة وعشرون الفاً و ٤٨٠ ضابطاً • وفي ٧ بلغوا اربعين الف جندي وتسعمئة ضابط . وفي ٨ اضيف اليهم احد عشر الف جندي و ٥٨ ضابطاً

ووردت الانباء الراهنة تقول ان جيش القائد « كالدين » هز جيش الارشيدوق النمسي في « اوليكا » واحتل في ٧ حزيران مدينة « لوتزك »

جريدة التيمس تصف المعركة

ووصفت جريدة « التيمس » المعركة في نشرة ١٨ تموز ١٩١٦ بقلم شاهد عيان فقالت ان قرية اوليكا تستقر في شبه واد ، وتبعد عشرة اميال عن الطريق القائم بين لوتزك وروفنو ، والاحراج المالئة تلك الانحاء تنتهي عند هذا الطريق ، مما يجعل « اوليكا » بادية للعيان مكشوفة الصدر . ومن اعالي الجبال تبدو استحكاماتها . واتفق ان الخطوط الالمانية كانت في بعض الانحاء قريبة جداً من الخطوط الروسية. ولكن المواقع الروسية اشد منعة. فالروس في انهزامهم الاكبر وقفوا في تلك الاماكن وحصنوها ، وباتوا فيها على اتصال من الوراء بسائر القوات الروسية، وعلى رحابة في اطلاق نيرانهم على العدو المصطدم بهم .

وهذا الموقف لم يكن موقف النمسيين . فكانوا في اضطرار لبلوغ خطهم الاول الى اجتياز المنعرجات اليه ، بينما الروس كانوا يندفعون اليه تواً في خط مستقيم ، مما ساعد الروس على امتلاك هذا العدد الكبير من الاسرى

مواقع النمسيين المحصنة

ولم تكن مواقع النمسيين المحصنة تزيد على ثلاثة . اما المواقع الاخرى فلا تحصين فيها ، حتى ان الروس كانوا يسبقون اليها حملتها

واعتنى النمسيون كل الاعتناء بتحصين الموقع الاول . وصبوا جهدهم على صيانته والدفاع عنه . فقد حفروا فيه الخنادق العميقة. وانشأوا في هذه الخنادق اماكن خاصة بالرشاشات بنوها في معظمها بالفولاذ . وكان لهذه الخنادق اروقة تتصل بحجرات الضباط . ويبلغ عمق هذه الحجرات احياناً عشر اذرع تحت الارض • ويقول الشاهد العيان الذي وصف المعركة لجريدة « التيمس » انه لم ير في اثناء

جولاته الواسعة في الجبهة الغربية ما هو افضل مما قام به النمسيون من ضروب التحصين في تلك الجبهة الروسية

ولم يحاول الروس الاستيلاء على الخط النمسي الاول بكامله، بل عهدوا بهذه المهمة الى مدفعيتهم . فكانت تطلق قذائفها وتشق امامهم الطرق ، فيمد المشاة الى اجتيازها بامان

بعد هزيمة « اوليكا »

وبعدما تضعضع النمسيون في « اوليكا» تراجعوا بصفوفهم في ناحية نهر « ستير». والطريق العام الواصل بين « روفنو » و« كوفل» يجتاز هذا النهر ويمر في « لوتزك » . ومدينة « لوتزك » في ايام السلم هادئة منفردة . ونهر « ستير » يجري ببطء في البراري ويدور حول قمة يرتفع عليها قصر قديم العهد يشرف على الطريق العام . ويعود تاريخ بناء « لوتزك » الى خمسمئة سنة. وقد انبسطت حول تلك القمة

وفي ٧ حزيران دخلها الروس . ولما كان الخط الحديدي يتجه في ناحية اخرى تبعد نحواً من خمسة عشر ميلا عن يمين « لوتزك » فقد سار الروس الى حيث يتجه هذا الخط ، ساروا الى «روجيشتش» واحتلوها في يوم ٩ حزيران

وعلى يسار «لوتزك» انشأ النمسيون خطاً يتقدم نهر « ستير» فاستولى عليه الروس واجتازوا النهر بين «نورغوفيتسا» و«ميلنوف». وما لبثوا ان طوقوا «ميلنوف» ، وفي العاشر من شهر حزيران استسلمت حاميتها.

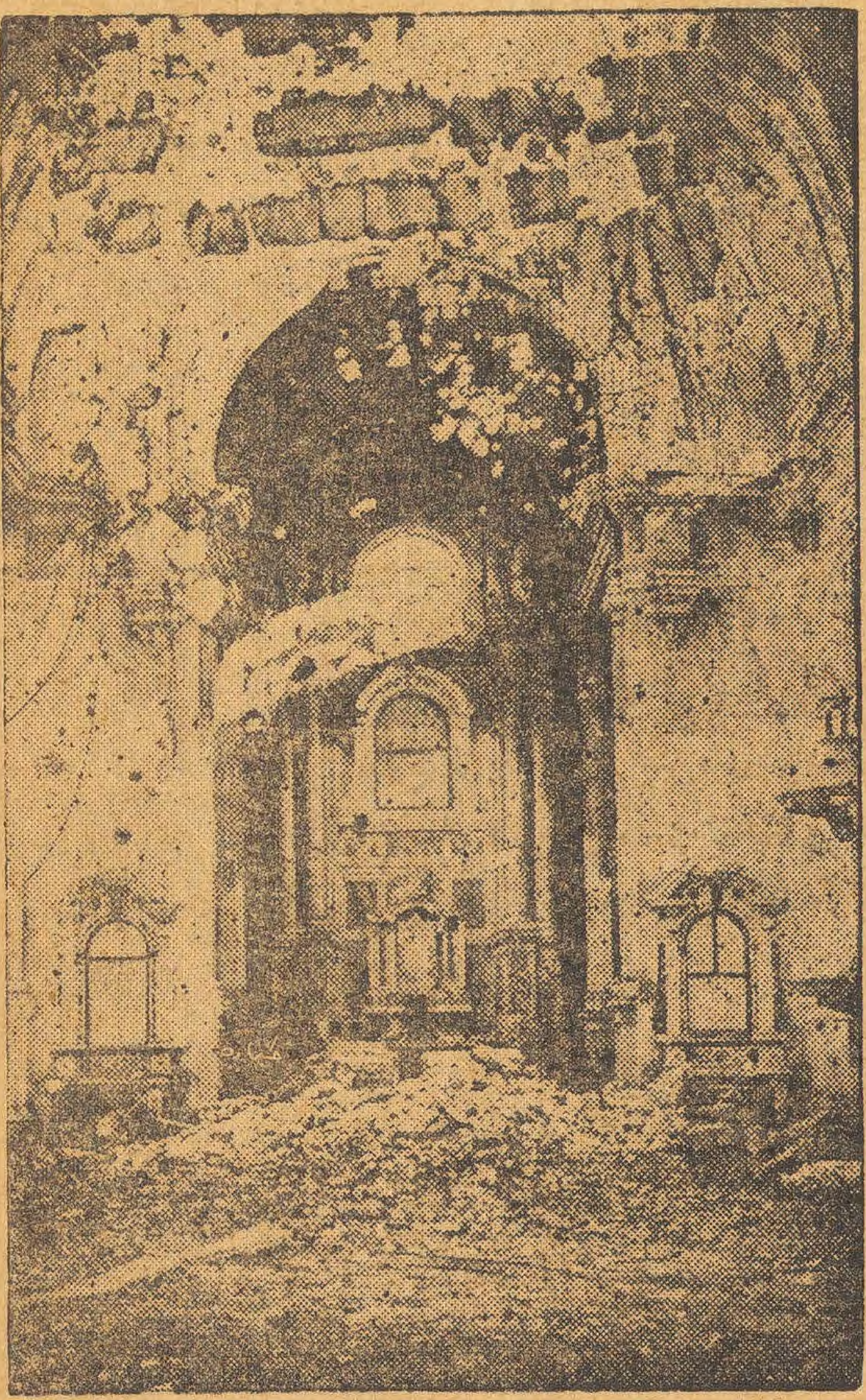
احتلال دوبنو

وفيما الجناح الايمن من جيش القائد « كالدين» يتقدم بطريق « روفنو » الى « كوفل » ويبلغ « لوتزك » كان جناحه الايمن يتقدم بطريق « روفنو » الى « برودي » مندفعاً الى « دوبنو »

وهذه المدينة تقع عند منعطف نهر « ايكفا » الشرقي . وبدا للنمسيين انه بات من الصعب عليهم الدفاع عنها وقد طغى عليها الروس من الشمال وهاجموها من الشرق ودخلوها في ٩ حزيران

وفي اليوم العاشر منه اضحى الروس اسياد خط « ستير — ايكفا » بكامله ، من « روجيشتش » في الشمال حتى « دوبنو » في الجنوب ، اي على مدى سبعين ميلا

ودعت القيادة العليا الجيش الثامن الى بسط هجومه في ناحية « رافا — روسكا » متصلا من الجهة اليسرى بالجيش الحادي عشر المنطلق الى « لمبرغ » . ولدعم ميمنة الجيش الثامن انفصل في ٢٤ حزيران الجيش الثالث من قوات القائد «ايفيرت» واندغم بقوات القائد « بروسيلوف » ، وورد عليه الامر بان يتجه من « رافالوفكا » الى « كوفل »



كنيسة سان اندريا في غوريزيا

﴿ وقد هشمتها القذائف في الحرب النمسية الايطالية ﴾

سقوط سزرنوفيتز

وفي الوقت نفسه جرى حادث خطير في جنوبي نهر « دنياستر» . فالقائد الروسي « ليتشيتزكي » انزل بجيش القائد « بفلانزر بالتان » اكبر هزيمة في تاريخ الحرب . فقد انتشرت قوات القائد « بفلانزر » على ضفة نهر « دنياستر » الشمالية ، من نهر « ستريبا » الى مسافة خمسة عشر ميلا من « زاليسكزيكي » . وفي هذه الناحية اجتازت النهر شاخصة الى الجنوب للوقوف حاجزاً منيعاً بين نهر « دنياستر » ونهر « بروت » تسد الطريق الى « اوكنا » و «سزرنوفيتز » وبوجان والموقع من وجهته العسكرية لا يدعو الى الاغتباط . فهاجم

القائد « ليتشيتزكي » في « دمبرونوفتس » جنوبي نهر « دنياستر » ، فاذا به يقطع خط الاتصال بين قوات اعدائه . وفي ١٠ حزيران في منطقة « دوبرونوفتس » وحدها وقع في قبضة الروس ثمانية عشر الف اسير

وفي الجبهة نفسها ، عند نهر « دنياستر » ، جرت موقعة اخرى احتل فيها الروس قرية « سنكوف » وقهروا العدو فتراجع بلا نظام الى « زاليسكزيكي » ، ولحق به الفرسان الروس التركان وانزلوا به كل هوان !

التقدم الروسي السريع

وفي ١١ حزيران طارد الروس اعداءهم بشدة ووقفوا امام « زاليسكزيكي » واجتازوا النهر من الجنوب الى الشمال واحتلوا هذه المدينة . ومشت قوات القلب من « دوبرونوفتس » الى « ساداغورا » ووقعت فيها على اعتدة وافرة ، ثم اندفعت الى « سزرنوفيتز » وبلغت جوارها . وهاجمت في الميسرة ، على مقربة من « بوجان » ، خط « بروث » لاجتياز هذا النهر وبلوغ « سزرنوفيتز » من الوراء ، من الناحية الجنوبية الشرقية

وكان ابناء « سزرنوفيتز » قد شاهدوا منذ اوائل شهر حزيران الطيارات الروسية تحلق في سماء مدينتهم ، وفي اليوم السادس من الشهر نفسه انفجرت في المدينة ثلاث قذائف روسية ، ثم اقبلت عيال الفلاحين فاليهود تجر امتعتها وابقارها وخنازيرها وتتحدث عن نشوب معارك دامية في « اوكنا » و « دوبرونوفتس »

واذا الافق يتوهج . فالقرى كانت تحترق بين « اوكنا » و « دوبرونوفتس » . وظهر على الجدران منشور يبلغ الاهلين ان النيران الروسية ستنقض في ١١ حزيران على المدينة

الاهلون يرحلون

وبدأ رحيل الاهلين . ويوم الاحد ، قبل المنصرة ، تساول معلمو الجامعة الامر بمغادرة المدينة . وقد روى احدهم لمجلة « نيوفري بريس » الالمانية ما سمع من الجنود المقبلين من « اوكنا » . فكانوا يتحدثون عن تفوق الروس . وتراءى لهم ان القوات الروسية تزيد اضعاف اضعاف على القوات النمسية

وفي ليل ١٧ — ١٨ حزيران ، بعد ما اجتاز الروس نهر « بروث » امام مدينة « سزرنوفيتز » ، بلغوا هذه المدينة من الناحية الجنوبية الشرقية ومن الشمال ودخلوها . فالتوى النمسيون بعضهم الى جنوبي المدينة وانتحوا جبال الكاربات ، والاخرون الى الغرب متراجعين الى « ستياتان »

لنسنجن يتحرك

وهكذا بات في اواسط حزيران جيشان من الجيوش النمسية في هزيمة تامة . غير ان القائدين « بيهم ارمولي » و « بوتمر » حفظا في القلب مواقفهما . على انهما اضطرا الى التراجع لحفظ خطوط الاتصال بينهما . ولم يبق في مأمن من كل ازعاج سوى جيش القائد « لنسنجن »

اهتمام الالمان بالموقف

ولم ير اركان الحرب في الجيش الالماني بدأ من الاهتمام بهاتين الثلمتين في الخط النمسي . واول ما اتجهت اليه المساعي لسد هاتين الثلمتين . فدعيت قوات تولاها القائد « كيفيس » لملء الفراغ بين نهر « دنياستر » ونهر « بروت » ، وجيء بقوات اخرى عهد بامرها الى القائد « لنسنجن » وقد امست شطراً من جيشه . وكلف هذا القائد نفسه رد الهجوم الروسي بكل ما يملك من تدابير

كيف جيء بهذه القوات

ومن اي مكان جيء بهذه القوات لسد الثلمة الاخرى في الخط النمسي ؟

فكل ما لدى النمسيين من جيوش اضحى في ميادين القتال . فاستقر في الجبهة الايطالية ثماني عشرة فرقة . واحتشدت كلها في ولاية ترانتان وليس بالامكان العودة بها من سوى خط حديدي واحد

اذاً فالسرعة والضرورة تقضيان بان تنجد المانيا حليفتها . ولقد فعلت بهمة وعزم ، فانشأت فرقة جديدة من القوات الاحتياطية الخاصة بالفرق الثلاث المقيمة في الجبهة الشمالية من نهر بيريديا ، وجيء باربع فرق من الجبهة الفرنسية ، وبثلاث فرق من جبهة روسيا الشمالية . وهي نجدة من ثماني فرق . ودعيت فرقتان نمسيتان من الجبهة الايطالية . ومجموع هذه النجدة عشر فرق لا تزال مالكة قواها انضمت الى جيوش القائد « لنسنجن »

الأسرار

العدد الثالث والعشرون



القوات الروسية في معارك باطوم



ساحة القتال بعد انتهاء المعركة

٥ قروش

أسرار الجاسوسية والحرب الكبرى

الاسرار

مجلة اسبوعية تاريخية تبحث في التاريخ وما اهمله التاريخ

اصحابها : انطون صادر ، كرم ملحم كرم ، فؤاد ميداني

رئيس الانشاء المسؤول: كرم ملحم كرم — منشىء القسم الشرقي: فؤاد ميداني

المكاتبات باسم مدير المجلة : انطون صادر

الادارة مكتبة صادر * شارع اللنبي * بيروت

العدد ٢٣ بيروت في ٥ ايلول سنة ١٩٣٨

اسرار الجاسوسية في القضية العربية

بقلم فؤاد ميداني

الارمن ينقمون على العثمانيين وينضمون الى قوات الروس ينصرونها

الاتراك يتقهقرون امام الروس وينتقمون من الارمن

بدء المذابح الارمنية

لما انهزمت القوات الروسية في موقعة « بورشقا » على تلك الصورة الفظيعة التي سببها الجواسيس الروس عن غير قصد كما بينا ذلك في جزء اخير من «الاسرار» عدلت القيادة الروسية عن خطتها في مهاجمة القوات العثمانية غير النظامية واكتفت بمعارك بين المدفعيات غير فاصلة

اكبر معركة مدفعية

وقد ظلت قذائف المدافع الروسية الممتدة على طول خطوط القتال تترامى على المراكز العثمانية طوال ١٧ يوماً دون انقطاع الا في فترات الاستكشاف التي كانت تقوم بها قوات المقدمة الروسية

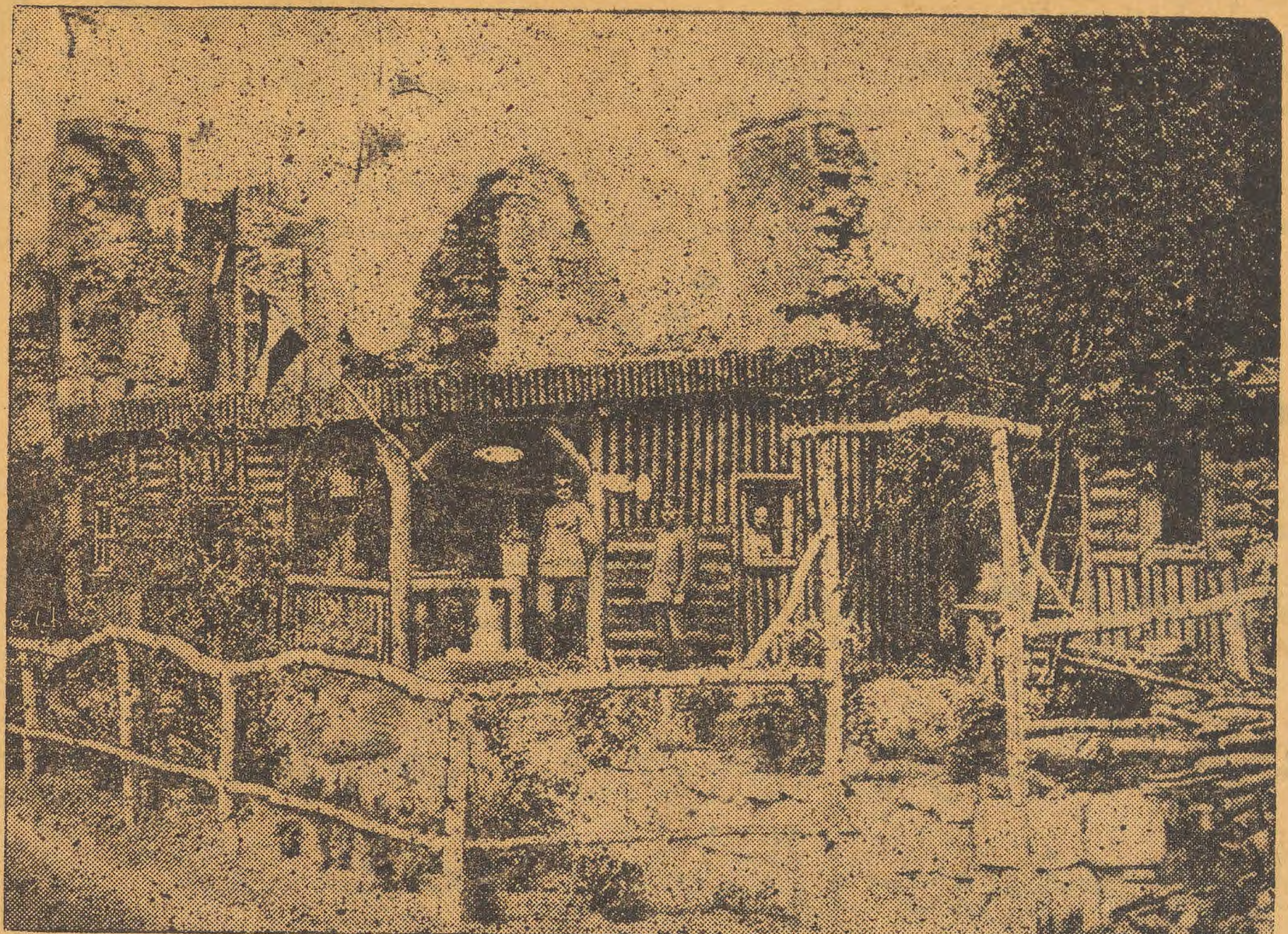
وكان هدف الروس من وراء هذه الحركات الحربية دك الحصون الطبيعية التي لجأت اليها العصابات العثمانية في الجبال واتخذتها قاعدة لمقاومة حركات الهجوم الروسية

مرض ستانجه بك

وقد كان في امكان العثمانيين ان يستفيدوا من هذا الموقف ويهجموا هجوماً مضاداً على المراكز الروسية بقواتهم النظامية غير ان المير الاي ستانجه بك الالماني حال دون ذلك

فهذا القائد اصيب بعد عودته من اردهان بمرض شديد اضطره الى الانسحاب الى المؤخرة مع الالاي الذي جاء معه وقد رفض ان يخاطر بالآيه في اثناء مرضه ، كأنه في عمله هذا يعتزل خوض غمار المعارك ما دام مريضاً وكأن هذا الالاي قد ارسل الى الجبهة من اجله لا لتعزيز تلك الجبهة

وساء عناد القائد الالماني القائد العثماني رضا بك فارسل برقية الى انور باشا يشكو بها اليه هذا الامر فاصدر انور امراً يقضي بارسال هذا الالاي الى « بور شقا » ووضعه تحت تصرف رضا بك



القائد ستانجه بك في معسكره

المقر الذي اتخذه القائد الالماني ستانجه بك،وهو قائم في جبهة متهدمة لكثرة ما اصيبت بهمن قذائف . والقائد ستانجه وقف امام مدخل المعسكر كما يبدو في الرسم

هدف القائد العثماني

وكان رضا بك يرمي بهـذه الحركة الى الزحف نحو الامام واحتلال « الباطوم » وفي تقريره الذي بعث به الى القائد العام عزت باشا اكد انه سيتمكن من احتلال باطوم دون اقل ريب اذا جهز بالحملة التي هي تحت تصرف ستانجه بك الالماني

وعزت باشا وافق فوراً على هذا التدبير لانه وجد ان اضاعة الوقت في مثل هـذه المشاحنات يضر كثيراً بالموقف الحربي ويضر بالجيوش المتقاتلة ، ولذا اصدر امراً مشدداً الى القـائد ستانجه بك يدعوه الى ارسال آلايه ليكون تحت تصرف رضا بك اذا كان هو غير قادر على ادارة هذه القوات بنفسه ويعلمه ان المانعة في مثل هذه الامور تحدث اضراراً عظيمة في مركز القيادة،وانه يعتبره مسؤولا عن كل هذه الحركات

الاستعداد للحملة

وقد وافق ستانجه بك رغم مرضه على السير بقواته الى بورشقا للاشتراك في هذه الحملة . وهناك عقد والضباط العثمانيين اجتماعاً بحثوا فيه الموقف وقرروا ان تسير القوات النظامية تحت قيادة ستانجه بك وتؤلف قوات القلب وتسير العصابات في المناطق الجبلية فتؤلف الميمنة والميسرة .

وقرروا في الوقت نفسه ان تزحف هذه القوات في منتصف الليلة الثانية ووجهتها مدينة باطوم لاحتلالها

جواسيس الروس

ولكن الجيش الروسي الذي يملك جواسيس في هذه المنطقـة ما عتم ان اطلع على الخطة التي قرر العثمانيون اتباعها في هذه الجبهة

ومع ان القوات الروسية كانت بعيدة عن المنطقة التي تسلقتها العصابات فان هؤلاء الجواسيس اتبعوا خطة كانوا قد اتفقوا والجيش عليها وذلك انهم اضرموا النار في الحرش الذي يؤلف منطقة فاصلة بين تلك الجبال والقوات الروسية

اندحار العصابات العثمانية

وبينما القوات النظامية تتقدم وقفت العصابات حائرة تجاه ذلك الحادث المفاجيء فانقضت عليها القوات الروسية فجأة وطوقتها من كل الجهات وضربتها ضربة قاضية كان من جرائها ان تناثرت قواها غير النظامية وانحدرت من الجبال في انهزام رائع. وقد حاولت قيادة هذه العصابات وقفها في (بورشقا) فذهبت محاولتها سدى ، ولم يرض احد من رجال تلك العصابات بان يقف في مراكزها

ضرب بورشقا

ولم تقتصر القوات الروسية في ذلك اليوم على عملها هذا ولكنها جرت المدفعية الثقيلة الى الهضبات المرتفعة وشرعت منذ فجر اليوم الثاني تطلق قنابلها على المراكز العثمانية في (بورشقا) اطلاقا ملحاً استمر طول ذلك النهار وقسما من الليل فضعفت البقية الباقية من قوات العثمانيين النظامية وغير النظامية

رضا بك يقرر الانسحاب

ورأى رضا بك قائد هذه الجبهة ان موقفه امسى شديد الخطورة لان العصابات التي كان يعتمد عليها قد تفرقت من حوله بصورة زرية ولم يبق له امل في الاستفادة منها ولان القوات النظامية التي يقودها القائد الالماني ستانجه بك قد توغلت في قلب المنطقة وباتت محصورة بين الروس وليس في قدرته ان يصل اليها فارسل برقية الى القيادة العليا يعلمها خطورة الموقف وعزمه على الانسحاب الى « قورا » .

ولكن القيادة العليا رفضت الموافقة على عزمه واجابته محتمة عليه ان يدافع عن تلك المنطقة حتى آخر رمق من حياته . بل ان عليه ان يموت فيها ولا يتراجع عنها .

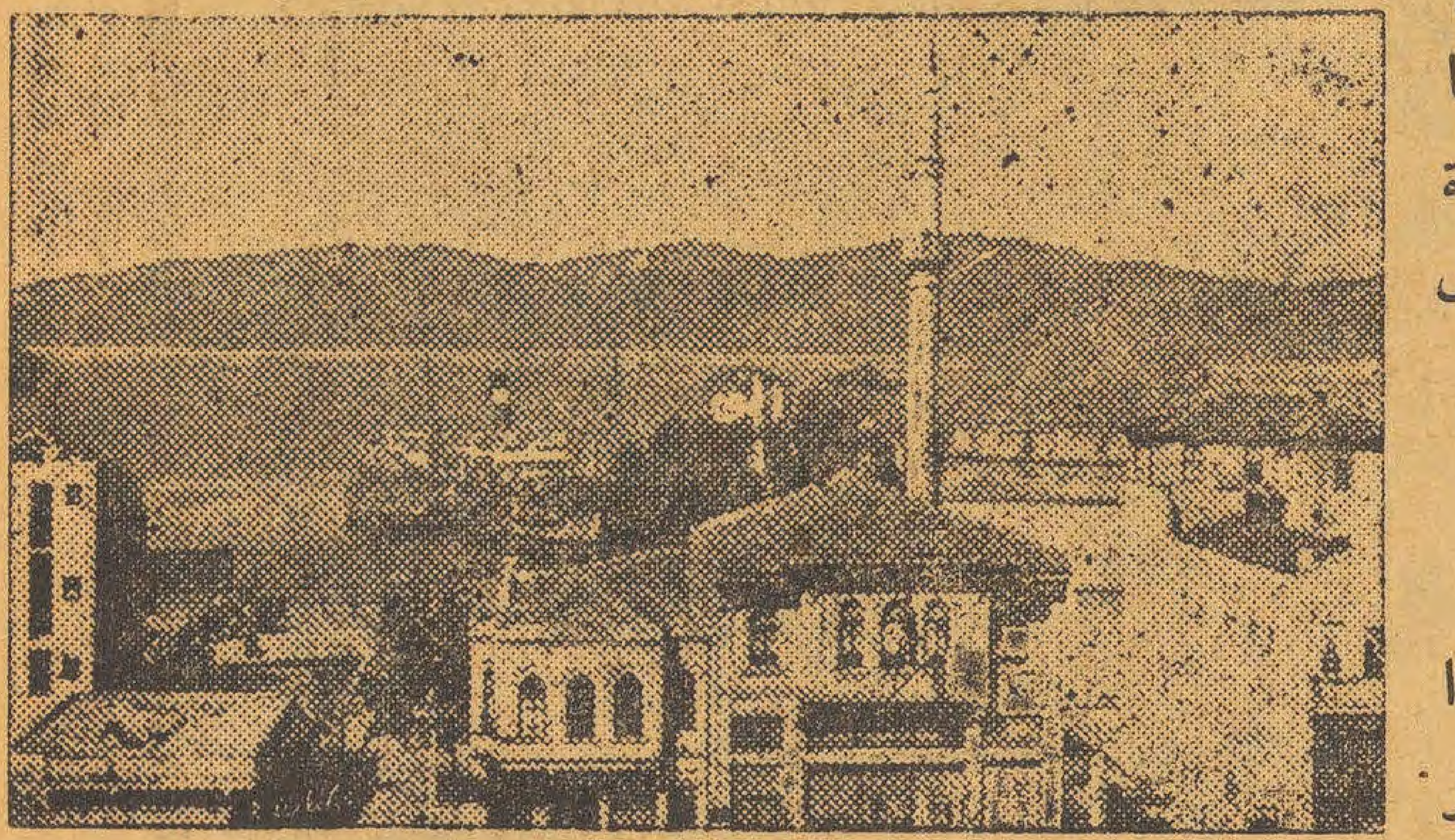
ولم يفد عناد القيادة العليا شيئاً فان القوات الروسية ما لبثت ان احدقت بهذا المعقل واكرهت رضا بك ومن بقي معه من قواته القليلة الى التراجع تراجعاً زرياً

تقدم الروس المستمر

ولم تكن القوات الروسية لتقف في هجومها عند ذلك الحد لرؤيتها الجو خالياً لها وليس من يقاومها ، خصوصاً وان القوات العثمانية بعد تلك الهزيمة الروعة التي منيت بها باتت في حال لا تستطيع معها الدفاع عن كيانها ، فلم تكد تقف في قورا حتى ارغمتها القوات الروسية على التراجع الى الوراء

في قلب البلاد العثمانية

وتوالت بعد ذلك المطاردات وضرب الروس موقع « ديادين »



مدينة باطوم الروسية

يظهر في هذا الرسم الحي الاسلامي من مدينة باطوم الروسية ، وقد كان هدف القيادة العثمانيـة ، غير انها فشلت في تحقيقه

بقنابلهم واخرجوا منه القوات العثمانية واجبروها على التراجع عن جبهة القفقاس الى قلب الولايات الشرقية العثمانية ثم زحفوا الى قلب ولاية (بايزيد)

وكانت المعارك في هذه الجبهة شديدة جداً فالقوات الروسية بعد احتلالها « ديادين » صبت قنابلها صباً شديداً لا انقطاع له على المراكز العثمانية فحولت هذه الجبهة الى اتون من نار لا ترى فيه الا دخان القنابل والحرائق واشلاء القتلى ولا تسمع الا دوي البارود وانين الجرحى .

انتقام الاتراك

وتراجعت القوات الموجودة في مؤخرة جبهة شالدبران الى مدينة « اورديش » ففتكت بالارمن الساكنين فيها فتكا ذريعاً وتؤكد الوثائق التي لدينا انه لم ينج انسان من الخمسين عائلة ارمنية التي



تمثال ارمينيا

يرينا هذا الرسم بعض الوثائق التي صادرهـا العثمانيون في ذلك الوقت والتي اتخذهـا الارمن كوسيلة لاثارة شعور مواطنيهم وهي تمثال شعار نهضة ارمينيا

كانت في هـذه البلدة فقد ذبحتهـا العصابات التركية ذبح النعـاج واحرقت منازلها

وثائق خطيرة

وقد لجأت القيادة العثمانية في هذه الجبهة في تقريرهـا الذي رفعته الى القيادة العليا الى تبرير نفسها من اثارة هذه المذبحة فقالت ان التحريات التي قامت بها في منزل الصيدلي اشيان يراونت صاروفيان اوقعتها على وثائق ومراسلات تدل على اتفـاق الارمن مع القوات الروسية على احداث ثورة في البلاد وعلى اتفـاق هـذه العصابات الارمنية مع القوات الروسية . وقد اظهرت هذه الوثائق للحكومة العثمانية ايضاً الخطة التي اتبعها الروس والارمن لضرب القوات العثمانية من مؤخرتها

ولهذه الاسباب فقط ترى القيادة العثمانية ان ذبح الارمن جاء في محله لان في امكان هؤلاء حين يرون ضعفاً من القوات العثمانية ان ينهضوا لمقاومتها

وقد تكون هذه المعلومات وتلك الوثائق حقيقية غير ان الذي لا مبرر له هو ذبح النساء والاطفال. ولم تقف المذابح الارمنية التركية عند الحد الذي سردناه لقراء « الاسرار » بل تجاوزتها الى المناطق الاخرى بصورة فظيعة

سقوط اردیش

ولما بلغ العصابات الارمنية نبأ مقتل اخوانها في اردیش هاجت هيجاناً عظيماً وانطلقت القوات الروسية الى تلك المنطقة فنشبت هنالك معركة حامية الوطيس بين الفريقين انتهت بسقوط مدينة « اردیش » في ايدي هذه القوات وكانت خالية من الناس لان سكانهـا غادروها منسحبين منها الى الوراء قبل سقوطها لتنجو بذلك من انتقام الارمن



العصابات الارمنية في الجبهة

فئة من زعماء العصابات الارمنية التي اشتركت بجانب الروس في مقاومة اخوتهم الاتراك في منطقة « قيزيل ويزه » وقد ارتكب هؤلاء كثيراً من الفظائع ، كما يطالع ذلك القراء في هذا الجزء من « الاسرار »

ولكن لم تنج بناياتها من ايديهم فقد اوقدوا بها النار واحرقوها ولو لم تسرع اليهم القوات الروسية وتوقفهم عند حدهم لما تركوا بها حجراً على حجر

احتلال قيزيل ديزه و بايزيد

وقد مهدت المدفعية اعمال القوات النظامية فتمكنت هذه من احتلال (بايزيد) وهي من الولايات الكبرى القائمة على الحدود الروسية ثم اجتازت قوة منها مؤلفة من خمسة آلاف مقاتل (وادي شالديران) الذي كانت القيادة العثمانية تعلق عليه آمالا كبيرة في وقف هجمات القوى الروسية فذهبت ادراج الرياح لان تلك القوات تمكنت من اجتيازه بسهولة تامة دون ان تستطيع القوات العثمانية وقفها و كانت نتيجة ذلك ان اتصلت القوى الروسية بالعصابات الارمنية ودخلت واياها قيزيل ديزة

وكان الارمن حتى ذلك الوقت معتصمين بهدوئهم وسكينتهم فلما شاهدوا القوات العثمانية تتراجع هبوا الى سلاحهم يتقلدونه لمساعدة القوات الروسية ضد العثمانيين وكان اول ما قامت به العصابات الارمنية ان هاجمت الاتراك ابناء وطنها في (قيزيل ديزة) وبرحت بهم قتلا وسلبا وحرقا.

ويستدل من التقارير التي اذيعت بعد الحرب العالمية ان العصابات الارمنية ذبحت في تلك البلدة الفين من السكان الاتراك واحرقت منازلهم بشكل فظيع

ومنذ ذلك الوقت تقدمت العصابات الارمنية تعمل في صفوف القوات الروسية ضد العثمانيين بكل ما اوتيت من قوة ونشاط وقد انضم اليها عدد كبير من اخوانهم في قلب البلاد العثمانية وكانت نتيجة هذه الحركة المفاجئة التي قام بها الارمن ان تضعضع مركز القيادة العثمانية واخذت تتراجع بصورة محزنة القوات العثمانية

احتلال شالديران

وقد حاولت القوات العثمانية في جوار « شالديران » تلك المدينة

التاريخية القديمة بان تصد بالسلاح الابيض هجمات الروس الفائقة

ولكن جنود (القوزاق) الخيالة ما لبثوا ان ادركوا القوات العثمانية من مؤخرتها واعملوا فيها سيوفهم وسنابك خيولهم

وتدل الوثائق التي وجدت في وزارة الحربية العثمانية على انه لم ينج من القوات العثمانية التي كانت تدافع عن هذا الموضع وعددها ٦٥٠ جنديا الا ١٨٠ جنديا جلهم جرحى اما سائر القوة فقد قتل في هذه المجزرة البشرية

ودخلت القوات الروسية مع العصابات الارمنية (شالديران) وفتكت بسكانها واحرقت منازلها

تراجع العصابات التركية

وعلى اثر هذا صدرت اوامر القيادة العليا الى قوات العصابات التابعة للتشكيلات المخصوصة، تلك القوات التي كانت قد اصبحت ضعيفة جداً ، بان تتراجع جميعها الى منطقة «ارضروم» حيث تقرر حشدها هنالك استعداداً للدفاع

اجتماع القيادة العليا

وما كاد يحل شهر شباط سنة ١٣٣٠ــ ١٩١٥ــ الذي وقعت في بدئه الحوادث الدامية التي تنقل الى قراء «الاسرار» تفصيلها حتى انقلب الموقف في الجبهة العثمانية ــ الروسية انقلاباخطيراً فالقوات العثمانية بدلا من ان تكون قوات هجوم على المراكز الروسية انقلبت الى قوة دفاع ولكنها قوة دفاع ضعيفة جداً . لذلك عقد القواد العثمانيون اجتماعاً في ارضروم بحثوا فيه الموقف العسكري والتدابير الواجب اتخاذها للدفاع عن هذه المنطقة فقرروا طلب نجدات من الاناضول واستانبول وايفاد مفرزة لاستكشاف المواقع الروسية

معلومات عن الجبهة

وفي اليوم السادس من شباط ١٩١٥ ارسلت القيادة العثمانية مفرزة بقيادة الملازم الثاني مصطفى افندي الى المقدمة لمعرفة حقيقة الموقف الحربي في الجبهة . فقام هذا الضابط بمقدرته الكشفية بمخاطرة شديدة ثم عاد يقول :

اولا ــ ان جناح الروس الذي يحارب قواتنا من جهتنا اليسرى قد اشترك بمعركة شديدة منذ ثلاث ساعات مع قواتنا المسيطرة على مرتفعات «ارقيم» بقيادة اليوزباشي خالد بك.

والقيادة العثمانية ثابتة في مراكزها هذه ثباتاً يستدعي الاعجاب والقوات الروسية على وفرتها غير قادرة على زحزحتها من مراكزها

وقد عمد الروس امس واليوم الى حرق الاحياء المرتفعة من مدينة «كومشخانه» التي احتلوها في اليوم الثالث من شهر شباط ١٣٣١ ــ ١٦ شباط ١٩١٥ ــ والسكان بحالة يرثى لها

ثانياً ــ ان القوات الروسية التي تحارب في الجناح العثماني الايمن غير قوية ، غير ان توالي هجومها على هذه المراكز اخاف القرويين في تلك الجهات ، فباتوا يرون ان الموقف شديد الخطورة وعذرهم في ذلك انهم يرون القوات الروسية والعصابات الارمنية تهاجم هذه المراكز بشدة

استنجاد مدينة

وقد ايدت معلومات هذا الضابط البرقية التي وردت من سكان مدينة «كاوسكرد» فقد ارسلوها يستنجدون بالقيادة العثمانية مبينين لها خطورة الموقف والمخاطر الشديدة التي يتعرضون لها ويطلبون في آخر برقيتهم هذه جواباً

القيادة العثمانية عاجزة

لكن استمرار القوات الروسية في تقدمها وضعضعة مركز القيادة العثمانية تركا البرقية دون جواب لان القيادة العثمانية كانت في حالة لا تساعدها حتى على الدفاع عن المراكز التي تتصرف بها فلم تتمكن من الرد على هؤلاء السكان او من ارسال اية نجدة لهم

الخطر على ارضروم

وفي اليوم العاشر من شهر شباط سنة ١٣٣٠ ــ ٢٣ شباط سنة ١٩١٥ ــ بدأ الخطر يهدد ارضروم نفسها. فالقيادة العثمانية العليا التي تضعضعت مراكزها في الجبهة اضطرت الى نقل مقرها الى «حسن قلعة» وسبب ذلك تقدم القوات الروسية الى جهات «نارمان» و«زازاق» حيث تدور رحى معارك حربية شديدة

برقية والي ارضروم

وفي هذا اليوم ارسل والي ارضروم الى الدكتور بهاء الدين شاكر بك رئيس مصلحة التشكيلات المخصوصة في «ارتوين» برقية هذا نصها :

«باتت مدينتنا في خطر عظيم وانشاء الله لا تسقط بيد الاعداء. ان فرقة خليل بك المؤلفة من ١٦ الف جندي غادرت منذ اربعة ايام ديار بكر متجهة الى ارضروم (خليل بك هو خليل باشا شقيق

انور باشا الاصغر) وارسلت من استانبول ما بين ٦ و٧ شباط فرقتان أخريان

«ان حركات هجوم الاعداء على مراكز الولاية ضعيفة ولهذا ليس من خوف على مراكزنا من الان حتى وصول النجدات التي نؤمل وصولها الى ارضروم في النصف الاخير من هذا الشهر »



بهاء الدين شاكر بك في الجبهة

يمثل هذا الرسم بهاء الدين شاكر بك ويعقوب جميل بك في اثناء وجودهما في الجبهة

هذه هي البرقية التي تلقاها بهاء الدين شاكر بك من والي ارضروم وكان الموقف الحربي في «ارتوين» هادئاً نوعاً ما بالنسبة الى ما هو عليه في جبهة ارضروم ولم يكن هناك من خطر على هذه الجبهة في ذلك الوقت

بهاء الدين شاكر في ارضروم

ولهذا غادر بهاء الدين شاكر بك «ارتوين» الى ارضروم ليدرس بنفسه الموقف الحربي وليتخذ التدابير التي يراها موافقة للدفاع عن هذه الجبهة خصوصاً وهو يعرف حقيقة موقف القيادة العثمانية وان التدابير التي تدعي انها قد اتخذتها للدفاع عن هذه المنطقة ما هي الا تدابير وهمية لا قيمة لها

وحينما كانت تجري هذه الامور في منطقة ارضروم كان القائد خالد بك يحصن منطقة « ارقيم » لصد هجمات القوات الروسية لان هذه المنطقة كانت تهم القيادة العليا هماً عظيما اعتقاداً منها بانها تؤلف خط الدفاع القوي الذي يمنع القوات الروسية من الاحاطة بالقوات العثمانية في موقع ارضروم احاطة نهائية

مقدمة الجبهة

والقوات الروسية في مقدمة هذه الجبهة كانت تقوم في اوائل شهر شباط بمناوشات خفيفة غير انها في اليوم العاشر منه — ٢٣ شباط سنة ١٩١٥ — قامت بهجوم فجائي شديد على بلدة «شاوشت» فاحتلتها بعد معركة دامت خمس ساعات تكبد فيها العثمانيون خسائر فادحة ، واضطروا في اخر الامر الى التراجع عن موقعي « هوبا » و « اسقاريش » دون مقاومة تذكر

وفي ٢٧ شباط سنة ١٩١٥ اضطر القائد الالماني ستانجه بك ان يسوق الى مورغول قواته المرابطة في مدينة « ارتوين » التي كانت تهددها القوات الروسية . وفي اليوم الاول من شهر اذار سنة ١٩١٥ هاجمت القوات الروسية مهاجمة عامة شديدة القوات العثمانية التي كان قد نفد عتادها الحربي وذخيرتها فلم يكن لها بد من التراجع عصر اول اذار الى « يمريسا » فالتحقت بها القوات الروسية الى هناك ودارت بين الجيشين معركة استمرت الى ما بعد منتصف الليل وانتهت بانهزام القوات العثمانية بعد ان قتل منها عدد كبير

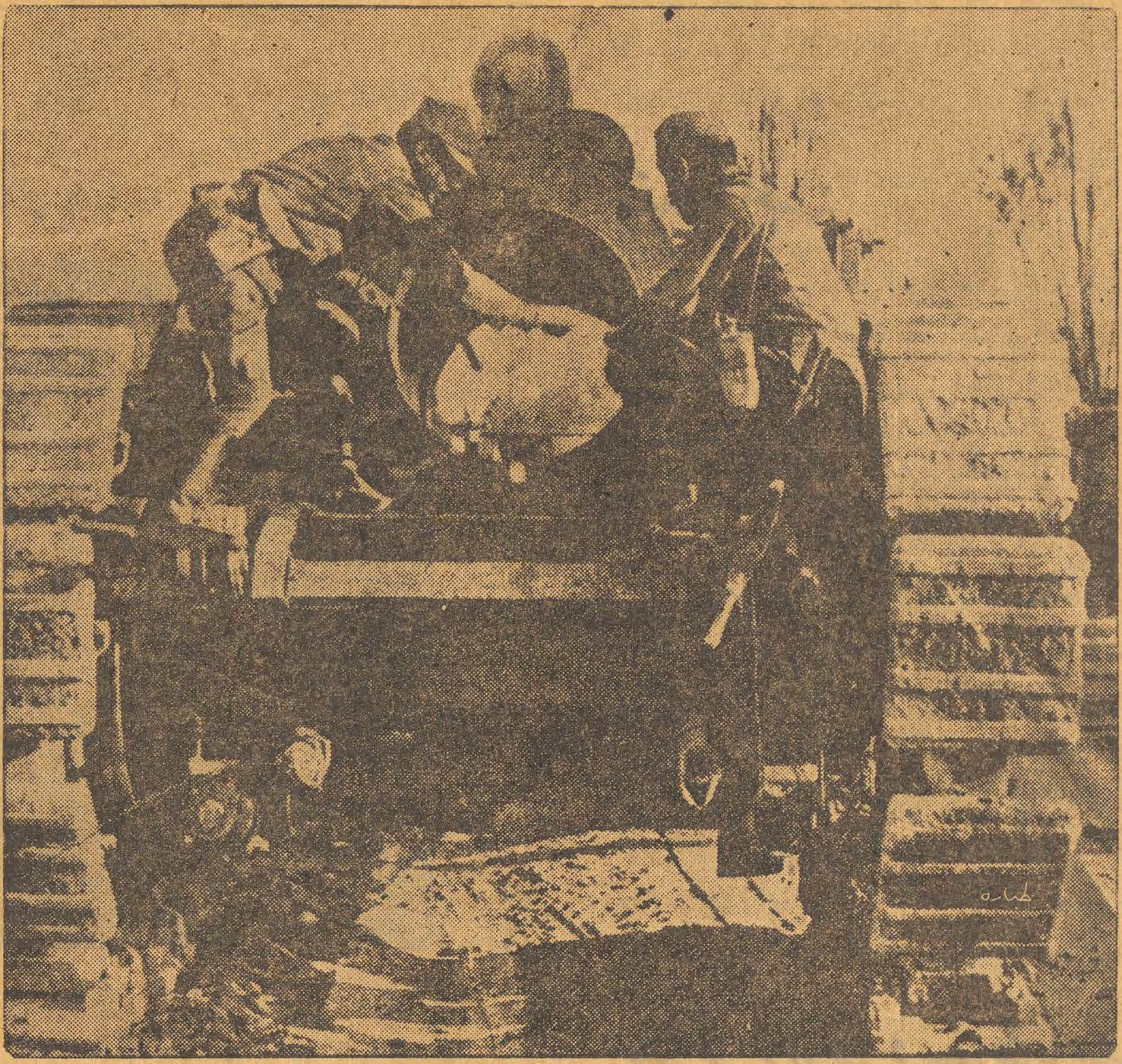
معركة ارتوين وسقوطها بيد الروس

وهذا الفوز الذي ادركته القوات الروسية في هذه المعركة قوى شوكتها بما انضم اليها من العصابات الارمنية الثائرة التي تألفت من السكان الارمن الناقمين على القوات العثمانية واضعفت كثيراً نفوذ هذه القوات وشوكتها

وفي صباح ١٨ شباط سنة ١٣٣٠ — ٣ اذار ١٩١٥ — كانت القوات الروسية قد تمكنت من نصب مدفعيتها على المرتفعات المطلة على ارتوين واخذت تصليها وابلا من القنابل .

وقد حاولت القيادة الروسية الزحف بقواتها عدة مرات ولكنها لم توفق لان القوات العثمانية صدت هجماتها واجبرتها على التقهقر بعد ان كبدتها خسائر بلغت حسب الاحصاآت الرسمية ١٠٥٠ قتيلا وضعف هذا العدد من الجرحى .

ومع ان خسائر العثمانيين لم تكن لتقل عن خسائر الروس فالبسالة التي بذلها هؤلاء مكنتهم من صد هجمات الروس وفي اليوم الثاني استأنف الروس هجومهم على شمالي المدينة بقوات اعم وقدساعدتهم



مدفع من مدافع الروس الضخمة

يرينا هذا الرسم فوهة احد المدافع الضخمة التي كان يستعملها الروس في حروبهم مع العثمانيين ومجرد القاء نظرة على هذا المدفع كاف لتكوين فكرة عن خطورة الادوات الجهنمية التي اقتضتها حرب ١٩١٤.

هذه المرة مدفعيتهم في اختراق الجبهة العثمانية اذ ان مئات القنابل التي القتها المدفعية الروسية على هذه الجبهة الضعيفة ضعضعتها وتركتها في حالة لا تساعدها على الثبات. وزاد ضغط القوات الروسية على الاحياء الاخرى من المدينة فنشبت بين الفريقين معركة شديدة بالسلاح الابيض استمرت طول الليل حتى صباح ٢٠ شباط ١٣٣٠ — ٥ اذار سنة ١٩١٥

احتلال ارتوين!

وتفقد القائد العثماني قواته التي تبلغ ٨٥٠٠ جندي فوجد انه لم يبق لديه منها الا شراذم قليلة لا تزيد على الالفين بات جنودها في حالة يرثى لها من الضعف ولم يبق في قدرتهم الدفاع اكثر من ذلك

ورغماً من الاوامر التي ارسلتها القيادة العليا بضرورة الاحتفاظ بهذه المدينة والدفاع عنها فان القائد وجد نفسه في موقف حرج للغاية وانه اذا اصر على البقاء هناك ساعات اخرى قضى على قواته قضاء نهائياً. فاصدر امره بالجلاء عن ارتوين من عن طريق الساحل الايسر لنهر (جوروخ) وفي عصر ذلك النهار لما دخلت القوات الروسية الى هذه المنطقة كانت القوات العثمانية قد جلت عنها كل الجلاء

وابت العناية الربانية الا محاربة القوات العثمانية بالاوبئة فانتشر

زعماء العصابات العثمانية

اخذ هذا الرسم لرضا بك قائد المتطوعة التابعة للتشكيلات المخصوصة ، ووقف بجانبه بعض معاونيه وامامهم كمية وافرة من السلاح الحربي الذي صادروه من الروس



داء التيفوس الوبيل في منطقة ارضروم انتشاراً مخيفاً ، فكان يفتك يومياً بالقوات فتكا ذريعاً ضعضع مراكز العثمانيين

وجاء الدكتور بهاء الدين شاكر بك الى ارضروم ليدرس الموقف .

الوسائل الطبية مفقودة

فرأى الوسائل الطبية مفقودة تماما من المدينة والمستشفى الوحيد الذي كان فيها بحالة لا تساعد ابداً على تدارك احتياجات الجيش بوجه من الوجوه .

وليس ثمة مواد طبية ولا اطباء فابرق الى استانبول يعلمها الحالة ويطلب نجدة صحية مع بعض الاطباء .

واجابت الحكومة المركزية على برقيته هذه بعد ١٥ يوما بان اختارت بعثة برئاسة الدكتور حمدي بك المدرس في كلية الطب العثمانية.

ولكن هذه البعثة لم تصل الى ارضروم الا بعد ٤٦ يوماً من ذلك التاريخ وكان الداء قد فتك بمئات الجنود فذهبوا ضحية اهمال الحكومة العناية بهم

وقد زاد خطر الموقف عندما انتقل الداء الوبيل الى السكان الذين كان يموت منهم في كل يوم عشرات ولا يجدون من يهتم حتى بدفنهم

الخلاف بين القواد

وجاء ضغثاً على ابالة خلاف بعض قواد العصابات مع بعضهم من جهة ، وخلافهم مع قواد الجيش من جهة ثانية فاصبح الموقف بذلك ينذر بخطر اعم

وتوالت الشكاوي من هؤلاء القواد الى استانبول توالياً شُلت معه ايدي العثمانيين عن القتال وفسح المجال للقوات الروسية لتجابه القوات العثمانية في كثير من المواقع وتتغلب عليها وتترك مقر ارضروم نفسه تحت الخطر الشديد

استبدال القائد العام

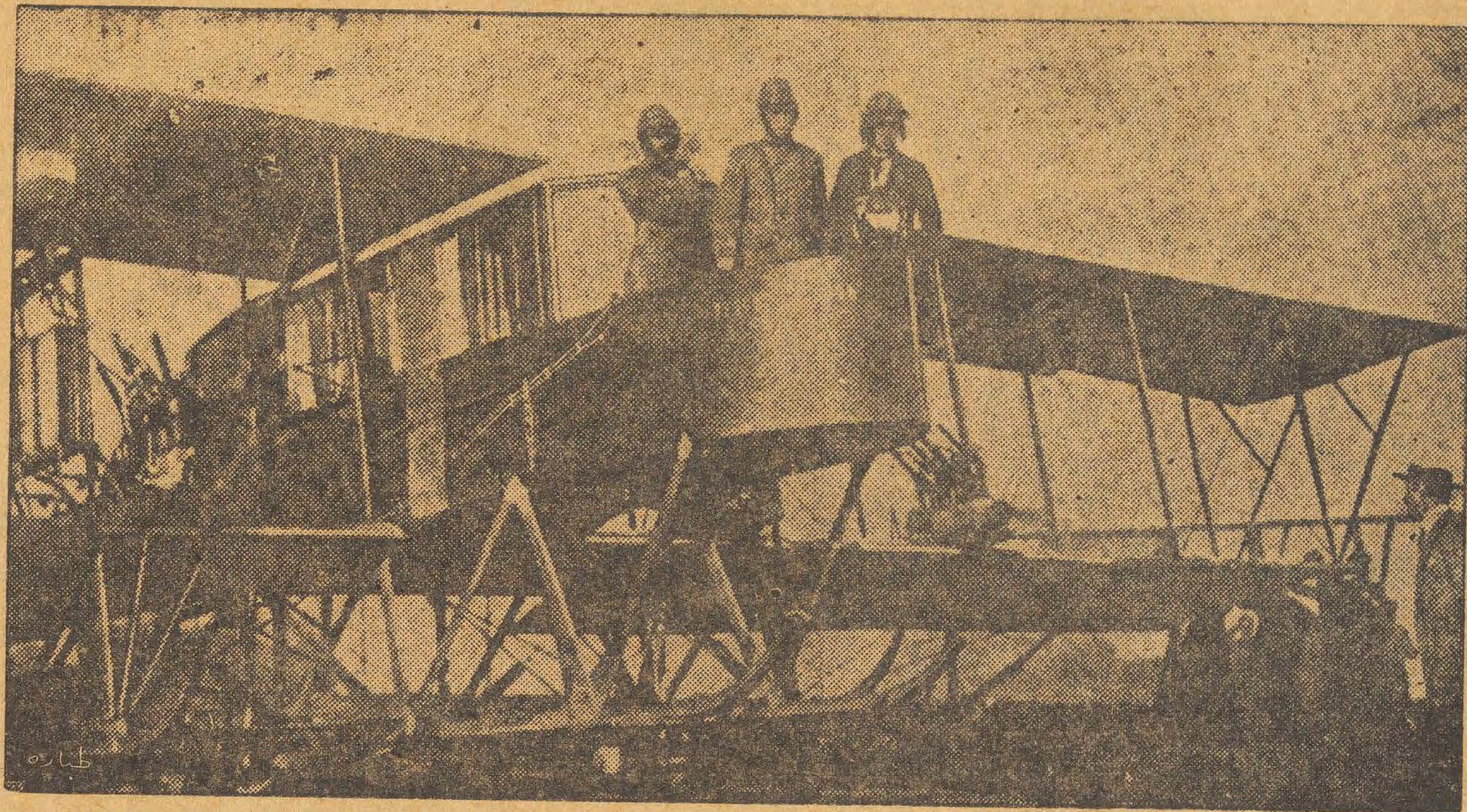
وعلى اثر هذا ادركت القيادة العليا للقوات العثمانية ان الموقف بات شديد الخطورة فاصدرت امراً باستبدال قائدي الجيش والفيلق فعينت اللواء محمود كامل باشا قائداً لجبهة ارضروم ووهيب باشا الذي كان قائداً للقوات العثمانية في البلاد الحجازية قائداً للفيلق التاسع

تحديد صلاحية العصابات

وكان اول ما فعله القائد الجديد ان استحصل على امر من انور باشا بضرورة تحديد صلاحيات العصابات التابعة للتشكيلات المخصوصة لانه وجد في اعمال هذه العصابات ما كان سبباً لعرقلة اعمال الجيش وتأخير فوزه في تلك المناطق

ومن جملة هذه التدابير التي اتخذت يومئذ مقاومة حركات العصابات الارمنية وعدم الاشتراك في معارك حاسمة مع القوات الروسية النظامية وتعيين المناطق التي لا يجوز لهذه العصابات ان تتخطاها

وارسل الدكتور بهاء الدين شاكر بك في الوقت نفسه



الطائرات الروسية في الجبهة

يرينا هذا الرسم احدث طائرة روسية استعملت لمقاومة القوات العثمانية . وهي من الطائرات البالية بالنسبة الى ماوصلت اليه الطائرات في عهدنا هذا

تقريراً الى المركز العام لحزب الاتحاد والترقي يبين فيه خطورة الموقف العسكري في الولايات الشرقية من جهة العصابات الارمنية ثم يقول :

« ان في بقاء العناصر الارمنية في هذه الولايات خطراً شديداً ليس على الجبهة الحربية فحسب بل على القوات العثمانية في سائر هذه الجهات ولهذا ارى من المناسب اتخاذ تدابير شديدة صارمة من شأنها ابعاد جميع السكان الارمن عن هذه الولايات

«وهذا القرار يمكن اتخاذه اولا اذا ما اصدرنا قانوناً من شأنه حفظ مستقبل البلاد وتأمين نفوذ الجيش »

وقد اقر المركز العام هذا التقرير بعد مناقشة فاترة في جلسات قصيرة انتهت باصدار ذلك القانون الذي استند اليه رجال حزب الاتحاد والترقي ليس في تهجير زهاء مليون من الارمن عن بلادهم فحسب بل في تهجير عدد كبير من رجالات العرب الذين ابعدوا عن بلادهم ايضاً بحجة ان بقاءهم في هذه المنطقة خطر شديد عليهم في هذه الاحوال الحرجة

وقانون الهجرة هذا كان من الاسباب الرئيسية في انزال الاضرار والفواجع بمئات من رجالات العرب كما سيطالع ذلك قراء « الاسرار » في غير جزء من اعداد هذه المجلة

في الجبهة الحربية

وبعد ان اتخذ القائد هذه التدابير التي اعتقد انها كافية لحماية الجبهة الحربية هذه انصرف الى جهات الحدود لتفقد المواقع الحربية واعداد الخطة النهائية لمقاومة حركة تقدم الروس الذين كانوا يقصدون ضرب مدينة « ارضروم » والاستيلاء عليها. وقد استغرقت رحلته هذه ثلاثة ايام عاد بعدها الى ارضروم وعقد جلسة حضرها قواد الفيالق ورؤساء اركان حربهم دار فيها البحث حول خطة الدفاع والطرق التي يجب اتباعها لمقاومة حركات الجنود الروسية

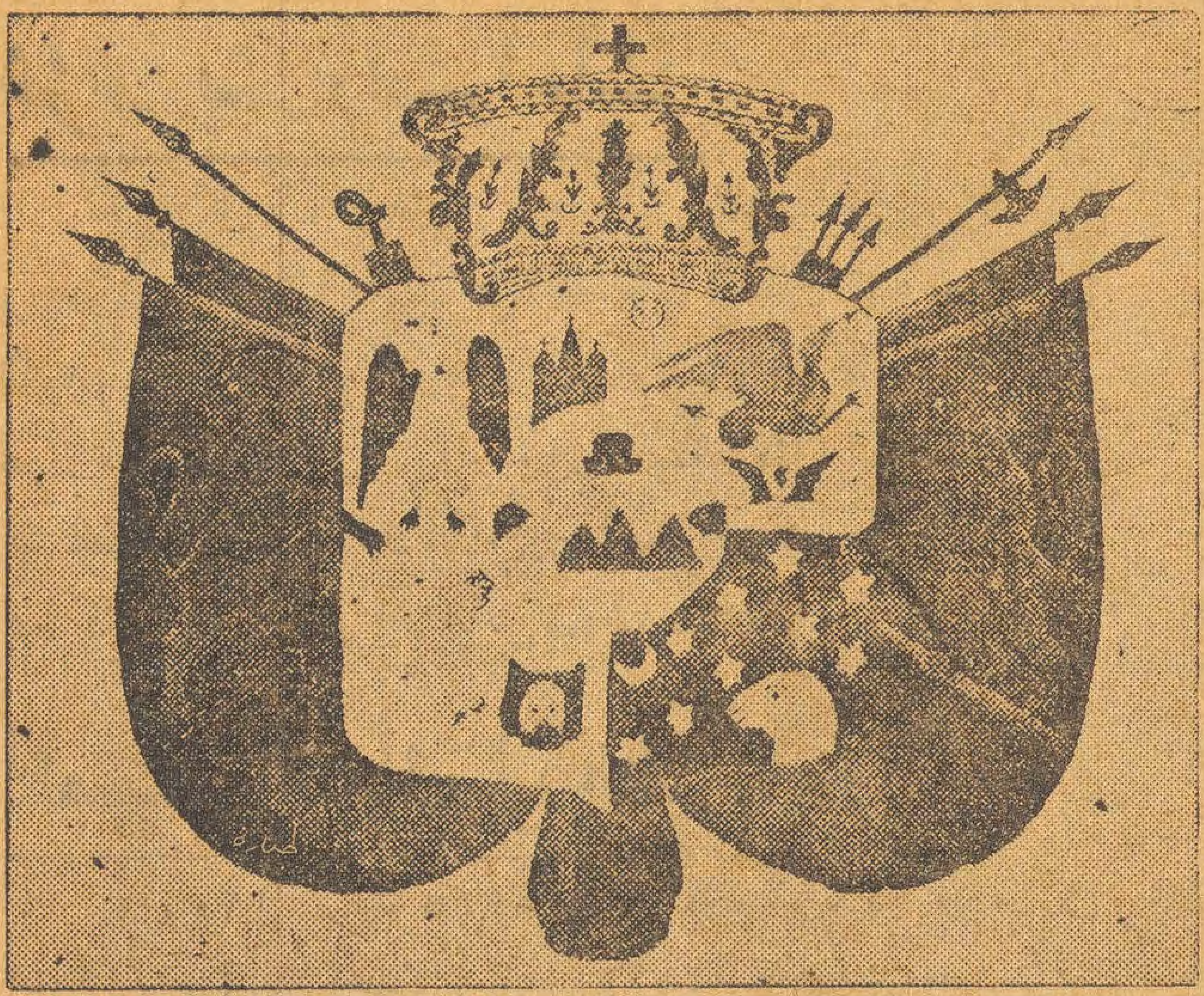
سقوط اورخاويه

وماكاد القائد العثماني ينصرف لجمع قواته في هذه الجبهة والعمل على ضرب الروس حتى وردت انباء من « اورخاويه » تدل على سؤ الموقف

فالقوات العثمانية التي تراجعت من « اوتوين » الى « اورخاويه»

الشعار الارمني

اعتمد الارمن على تحقيق استقلال ارمنستان ولذا حاربوا في صفوف الروس ضد العثمانيين . وهذا الرسم يرينا الشعار الذي اتخذه الارمن ليكون رمزا لدولة ارمينيا المقبلة



لم تتمكن من الثبات في هذه المنطقة اكثر من اسبوع واحد لان القوات الروسية وصلت الى مقربة منها وتمكنت من نصب ثلاث بطاريات من مدفعيتها في هذه المنطقة الجبلية وشرعت تصل القوات والمراكز العثمانية بوابل من قنابلها وقد استمرت المدفعية الروسية تضرب المراكز العثمانية مدة عشر ساعات دون ادنى توقف ضرباً ضعضع المراكز العثمانية وتركها في حالة لا يمكنها معها الاتيان بادنى حركة

اخلاء ارضاوية

وعندها لم يبق في وسع رضا بك قائد قوات التشكيلات المخصوصة وستانجه بك الالماني قائد الالاي الثامن البقاء في مراكزهما فقررا ان يتراجعا بقواتهما تاركين في المدينة عتادهما الحربي ومدفعيتهما التي لم يستطيعا اخذها معهما وشعر الروس بهذه الحركة من العثمانيين فاصدروا الى قوات الخيالة اوامر شديدة بان يطاردوا القوات العثمانية المتراجعة فطاردوها وضربوها ضربة شديدة وانزلوا بها خسائر فادحة في الارواح

الطائرات الروسية في الميدان

ولاول مرة ظهرت اسراب الطائرات الروسية في جبهة (اوروخانية) اذ قامت بمطاردة القوات العثمانية المتراجعة عن هذه الجبهة وساعدت الخيالة الروسية في تشتيت شمل تلك القوات

وتدل التقارير الرسمية التي وردت يومئذ الى القيادة العليا ان هزيمة (اورخانية) هذه قد كلفت القوات العثمانية ٢٥٠٠ مابين قتيل وجريح في حين لم تزد خسائر القوات الروسية عن الثلثمائة وذلك لان القوات العثمانية كانت في حالة سيئة لا تقدر معها على الدفاع عن نفسها .

احتلال الروس لاورخانية

وفي اليوم الثاني دخلت القوات الروسية مدينة (اورخانية) وكانت هذه المدينة شعلة من نار لان المدفعية الروسية التي كانت تصب قنابلها على المراكز العثمانية اصابت كثيراً من منازل المدينة فاشعلت بها النار وساعدت الرياح على امتدادها فقضت على ثلث البنايات التي فيها واهلكت زهاء الفين من سكانها

ويؤكد المؤرخون العثمانيون ان فاجعة (اووخانية) كانت من افظع واهول المعارك التي نشبت بين القوات المحاربة

وقد زادها فظاعة ان العصابات الارمنية المحاربة بجانب القوات الروسية هاجمت المدينة قبل دخول القوات الروسية اليها فاعملت بسكانها السيف والنار فقتلت حسب رواية المصادر العثمانية الصادقة زهاء خمسماية نفس ، على ان البلاغات الرسمية التي نشرت يومئذ على سبيل الدعوة ضد الارمن قالت ان هؤلاء فتكوا باكثر من خمسة آلاف نفس بين رجال ونساء وشيوخ واطفال

ولكن الحقيقة الراهنة هي ان المذبحة الارمنية هذه لم تكلف الاهلين اكثر من ٥٠٠ قتيل وهو عدد يدل قراء «الاسرار» في كل حال على فظاعة تلك المجزرة التي ضحي فيها بمثل هذا العدد من الابرياء شاءت التقادير السيئة ان يكونوا عرضة لها

هؤلاء بشر وليسوا ماشية

وعلى كل فان الارقام الرسمية الحقيقية التي يمكن التعويل عليها في معركة « اورخانية » تدل على ان سقوط هذه المدينة بين ايدي القوات الروسية كلف الفريقين ٥١٥٠ نفسا وهو عدد يبرهن على هول تلك الكارثة لان من العادة ان لا يسقط مثل هذا العدد الكبير من الضحايا الا في المعارك الكبرى ولم يقع في هذه الجبهة ما يسمى بمعركة حربية كما يرى القراء من مطالعة هذا الجزء من الاسرار

المعسكر العثماني في خطر

وفي ٢٠ آذار سنة ١٩١٥ كانت القيادة العليا قد انتقلت الى الجبهة الجديدة التي اتخذتها في مدينة (برسوان) غير ان الطائرات الروسية لم تترك لها الوقت الكافي للاستراحة هناك، فهي على بعد المسافة بين القوات العثمانية والقوات الروسية تمكنت من اجتياز الحدود والوصول الى هذه المنطقة وضرب المعسكر العثماني بقذائفها ساعات طويلة .

وسائل الدفاع الجوية مفقودة

والوسائل العصرية المنيمة في الوقت الحاضر كانت مفقودة في ذلك الوقت، حتى ان معدات الدفاع المعروفة لدى الدول كانت مفقودة تماما لدى العثمانيين ولذا لم يبق في قدرة القيادة العثمانية ان تفعل شيئا لاتقاء الغارات الروسية الا تفريق الجنود لتخفيف عدد الضحايا .

وهذا ما كانت ترجوه القيادة الروسية العامة التي واصلت ارسال طائراتها دون انقطاع الى المراكز لكي تحول دون تمكن القيادة العثمانية من نقل مركزها الى الجهة الخلفية

تدابير سخيفة

ولكن القائد ستانجه بك الالماني رأى ان هذا التدبير لم يفد شيئاً فاستدعى اليه القائد نائلي بك وخاطبه قائلا:

— يجب نصب المدفعية في تلك الهضبة المواجهة لنا لانها الهضبة المرتفعة الوحيدة التي تساعدنا على ضرب المراكز الروسية بالقنابل

« نعم ان الطريق صعبة لا تساعدنا على جر المدافع الى الهضبة ومع ذلك ففي امكاننا اذا جمعنا كل قواتنا وصرفناها للعمل في شق الطريق تأمين فتحها فيصبح لدينا المجال الكافي لايصال مدفعيتنا الى المرتفعات وهـذا ما اطلبه منك

فوعد نائلي بك ستانجه بك بتحقيق هذه المهمة دون ان يفكر في الموقف، ودون ان يدري ما اذا كان في طاقته تحقيق هذا المشروع . الا انه بعد ان ذهب الى المعسكر وجد نفسه في حالة لا تمكنه من جمع قواته المتفرقة في تلك الجهة فابلغ ستانجه عدم امكانه تحقيق المشروع فمضى هذا يشغل جنوده في فتح الطريق وتمهيدها

جاسوسة روسية

وفيما كان القائد ستانجه بك منصرفاً الى تحقيق هذا الامر سمع صراخاً خارج المعسكر من خيمته فوجد جماعة من الجنود يقودون اليه رجلا طويل القامة نحيف البنية حليق الوجه فانتهرهم سائلا اياهم عن امره ولكنهم ظلوا ممسكين به فظنه القائد رجلا فدنا احدهم منه وقال

— انهـا سيدة يا مولاي وقـد اعتقلتها طوفـة العسس وهي تقطع اسلاك التلفون ولما باتت بين ايديهم اخذت تتظاهر بالجنون كما ترى

وقد احالها القائد الى هيئة طبية فاثبتت في تقاريرها ان المرأة لم تكن مختلة الشعور بل مالكة لتمام قواها العقلية

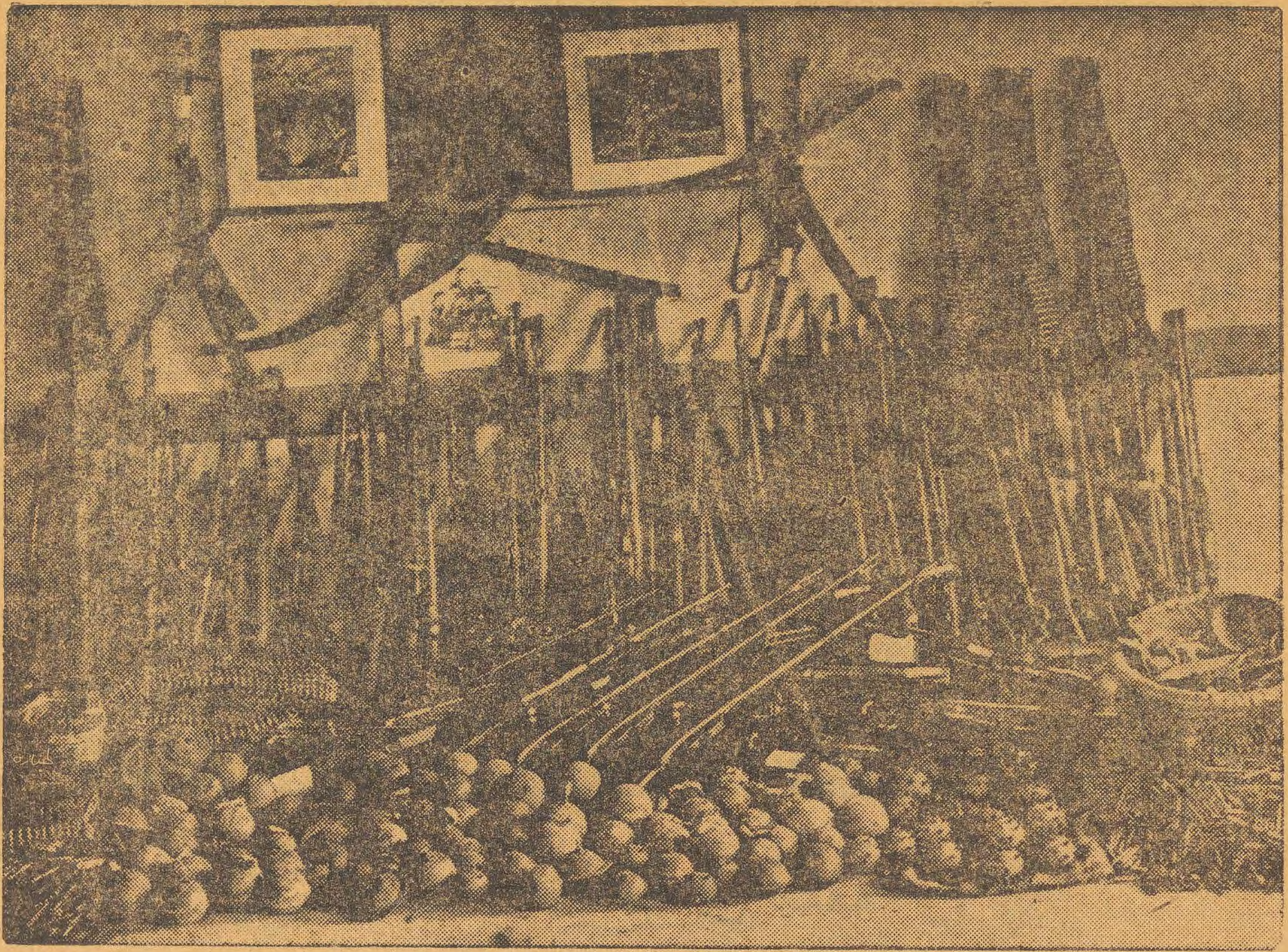
وعلى اثر هذا القرار احال القائد هذه الفتاة الى ديوان الحرب العرفي لمحاكمتها بتهمة الجاسوسية

وقد تبين من افادتها لدى الملازم عثمان بهلوان بك انها تدعى فاطمه حكيموف وهي امرأة في الثلاثين من عمرها كرجية الاصل جسورة مستهترة استخدمت في دائرة الاستخبارات الروسية ولما كان الروس يعتقدون ان العثمانيين لا يمسون السيدات اوفدوها الى مؤخرة الجبهة العثمانية لقطع اسلاك التلفون في المنطقة العثمانية والتجسس عليهم

وقد تبين ايضاً من افادة فاطمه هذه انها تمكنت من الانسلال الى المراكز العثمانية مراراً متعددة كما انها كانت سببا في كثير من المصائب التي نزلت بالقيادة العليا ولهذا قرر المستنطق رفع قضيتها الى ديوان الحرب متهما اياها وفقاً للمادة ١٧١ بتهمة الجاسوسية ، وقد اجتمع ديوان الحرب العرفي في اليوم الاخير من شهر آذار سنة ١٩١٥ ونظر في قضيتها فاصدر بحقها قرار هذا نصه :

الحكم باعدام فاطمه حكيموف

« بناء على التقرير المقدم من الباش جاويش اسعد افندي الذي يثبت فيه مع افراد العسس التي كانت برفقته ان فاطمه بنت عثمان



السلاح الحربي المصادر في الجبهة

السلاح الذي يقول العثمانيون في بلاغاتهم التي اذاعوها في الحرب العالمية انهم صادروه من العصابات الارمنية في خلال المعارك التي يطالع قراء « الاسرار » تفصيلها في هذا العدد

حكيموف قد اعتقلت بالجرم المشهود وهي مرتدية ثياب الرجال ومتمنطقة بالسلاح الحربي تقطع اسلاك التلفون. وبناء على تقرير هيئة الاطباء المؤلفة برئاسة البنباشي خلوصي بك رئيس اطباء الجيش الذي يثبت عدم جنون المرأة المذكورة وامتلاكها لتمام قواها العقلية، وبناء على التحقيقات الاولية التي قام بها مستنطق هيئة ديوان الحرب المؤيدة بافادة المرأة نفسها امام هذه الهيئة التي تثبت ان المرأة المذكورة قد جاءت مراراً متعددة للتجسس على الوحدات العثمانية.

ولما كان عمل هذه المرأة ينطبق على الخ ...

تقرر باتفاق الاراء الحكم بالاعدام على فاطمه بنت عثمان الكرجيه .

وبعد ان اقر ديوان الحرب اعدام هذه المرأة جرت مناقشة حول كيفية اعدامها

فالقانون العسكري يوجب اعدام من يقبض عليه بتهمة الجاسوسية رمياً بالرصاص

ولكن هيئة الديوان عارضت انزال الاعدام بالمرأة على هذه الصورة ورأت ضرورة تنفيذه بواسطة المشنقة واستقر الرأي اخيراً على تنفيذه بهذه الصورة وتقرر ان ينتدب لذلك الملازم الاول المدفعي عادل افندي

فرار فاطمه

ولكن عادل افندي لم ينفذ الحكم لانه كان على اعتقاد وطيد من ان هذه المرأة بريئة من تهمة الجاسوسية ولذا لما استدعاه النائب العام وامره ان يتسلم الامرأة وينفذ بها حكم الاعدام في صباح اليوم



الجبهة الحربية في القفقاس

منظر مروّع يدل على المخاطر التي كابدها الجيشان الروسي والعثماني في المعارك التي خاضاها في الحرب الطاحنة التي نحدث قراء «الاسرار» عنها

الثاني من شهر نيسان سنة ١٩١٥ اجابه انه لا يعتقد بأنها مجرمة ولذ لا يطاوعه ضميره على اعدامها. فاعترض النائب العام على ذلك وقال :

ــ ولكن هذا صادر من ديوان الحرب العرفي وعليك وانت جندي ان تنفذه

ــ وضميري

ــ ليس له عليك من حق لانك جندي وعليك ان تنفذ الامر الصادر اليك

ــ واذا عارضت

ــ اعتبرك متمرداً واسوقك الى ديوان الحرب

ــ والمرأة

ــ سيقوم من يتولى اعدامها بدلا منك

ــ اذاً انا اصدع للامر

قال الملازم عادل كلمته هذه وخرج بعد ان تسلم امراً من النائب العام الى السجان ليسلمه فاطمه

وفي ٢ نيسان سنة ١٩١٥ تقدم عادل افندي بتقرير الى رئيسه يعلمه فيه انه نفذ حكم الاعدام بفاطمه عثمان حكيموف

مقتل فاطمه حكيموف

وقد صدقت القيادة الامر وطوته الى العاشر من شهر نيسان سنة ١٩١٥ يوم تلقى القائد ستانجه تقريراً من اليوزباشي علي رضا بك يقول فيه : «انه بينما كانت طوفة عسس تقوم بحراسة مستودعات الذخيرة ليل ٨ ــ ٩ شاهدت رجلا يحاول اضرام النار في هذه المستودعات وان احد افراد العسس حمدي شاهد الرجل قبل ارتكاب الجريمة فاطلق عليه الرصاص فقتله ولما ذهب اليه ليراه وجد انه الامرأة فاطمه حكيموف التي اعدمت صباح ٢ نيسان»

وقد ابى القائد ستانجه بك ان يصدق هذا الخبر لان تقرير عادل افندي ماثل لديه يعلن فيه اعدامه فاطمه فطلب ان يشاهد جثة المرأة بنفسه وتوجه الى المستشفى فتأكدت له عندها هذه الحقيقة

توقيف الملازم عادل

وعلى أثر ذلك اصدر امراً باستدعاء عادل افندي ولما مثل بين يديه قال له :

ــ هل تعرف صاحبة هذه الجثة ؟

ــ نعم !

ــ انت تقول في تقريرك الذي رفعته الي انك اعدمتها مع انني اراها قد عاشت الى يومنا هذا فما معنى ذلك ؟

ــ مولاي ، كنت اعتقد يومئذ ببراءتها !

ــ وما يعني ذلك ؟

ــ لهذا اخليت سبيلها !

ــ وهل من حقك ان تفعل ؟

ــ ان ضميري لم يطاوعني على اعدامها !

ــ والان !

ــ اراها مذنبة !

ــ وانت ؟

ــ ....

وهنا امر ستانجه بك الجنود الذين كانوا معه باعتقال الملازم عادل افندي واصدر امراً بتأليف ديوان الحرب لمحاكمته فوراً

اعدام عادل افندي

ولم تستغرق محاكمة الملازم عادل افندي طويلاً. فقد اعتبر ديوان الحرب عمله خيانة وحكم عليه بالاعدام. وفي صباح ١٥ شباط ١٩١٥ نفذ به حكم الاعدام رمياً بالرصاص فذهب هذا الضابط الذي هو من ازمير ضحية مرؤته وشفقته على المرأة الكرجية التي اعتقد ببراءتها من التهمة التي وجهت اليها

القضاء على العصابات

ويوم نفذ حكم الاعدام بالملازم عادل افندي كان الموقف الحربي في الجبهة التي يدافع عنها ستانجه بك شديد الخطورة لان القوات الروسية التي حشدت في المؤخرة نسفت جسر اورخانية وهو الجسر الذي كانت تعتمد عليه القيادة لانقاذ البقية الباقية من قواتها الموجودة في جبهة القفقاس. وقامت بعدئذ القوات الروسية بآخر هجوم على هذه القوات فابعدتها عن تلك المنطقة ابعاداً نهائياً فتراجعت الى منطقة طربزون كما تراجعت من قبل قوات رضا بك

الى ارضروم وهكذا لم يبق من اثر للقوات العثمانية في المنطقة القفقاسية

عصابات التشكيلات المخصوصة

وهذه الحركة قضت في الوقت نفسه على كل امل للقيادة العثمانية العليا من العصابات التي الفتها دوائر التشكيلات المخصوصة لان تراجعها مع القوات العثمانية عن جبهة القفقاس اهاب بالقيادة العليا العثمانية لسحب افراد هذه التشكيلات نفسها من منطقة الولايات الشرقية الى المنطقة البلقانية حيث وقعت معارك حربية شديدة بينها وبين اليونانيين والصرب ستأتي على وصفها

***

هذه هي المعلومات التي تمكنا من جمعها عن المعارك الاخيرة في الجبهة الروسية العثمانية، تلك المعارك التي انتهت بانهزام القوات العثمانية وتراجعها بصورة نهائية عن بلاد القفقاس

مكابرة العثمانيين

الا ان القيادة العثمانية العليا ظلت تكابر في سرد المعلومات الخرافية عن المعارك التي وقعت في هذه الانحاء . فهي لا تريد ان تعترف بفشل القوات العثمانية بل ترغب في خديعة الشعب بان قواتها لا تزال معسكرة في المنطقة القفقاسية . ولذا اصدرت على اثر ذلك سلسلة من البلاغات نبسط بعضها امام القراء وقد نقلناها عن النصوص الرسمية التي اذيعت في ذلك الوقت ليقارن القراء بينها وبين الحقيقة التي سردناها آنفاً . وهذا نص البلاغ الذي اذيع في ٢٧ ايار سنة ١٩١٥ :

«حاولت فصيلة من العدو مؤلفة من صفوف مختلفة ان تتقدم من « اولتي » في القوقاس فقابلها جندنا المرابط في ذلك الجوار ودحرها واستولى على مواقع مهمة للعدو

«وانزلنا بالعدو في المعركة التي حاول ان يتقدم بها في ٢٧ ايار من « اولتي » خسارة تبلغ نحواً من الف قتيل واخذنا منه اسرى كثيرين بينهم ضابطان»

ويظهر ان العثمانيين اعتقدوا بصحة المعلومات التي اوردوها في بلاغهم هذا فعادوا واذاعوا بلاغاً ثانياً هذا نصه :

«في الغارات المتعددة التي قامت بها جيوشنا على خط «اولتي» في مقدمة القوقاس دحر الجناح الايمن قوات العدو نحو الشرق بنجاح. وكانت نتيجة هجماتنا اول من امس اننا احتللنا مواقع مهمة للعدو واخذنا غنائم كثيرة وعلمنا من اقوال الاسرى الذين اخذناهم في المرة الاخيرة ان روسيا جندت الشيوخ الذين في سن الخمسين وسلحتهم ببنادق من

طراز « برادنفته » وان جنود الفرقة الجديدة يظهرون العصيان وان هؤلاء الجنود قاموا والاهالي بحركات يشكرون بها الحرب في محلات كثيرة .

وتوالت البلاغات العثمانية على هذا المنوال ولم تكن غير مداورات فارغة لا قيمة لها

وفي اواخر شهر حزيران ، فيما القوات الروسية تتوغل في قلب الولايات الشرقية، اذاعوا بلاغاً يقول :

« استولت جنودنا المرابطه على خط « اولتي » في مقدمة القوقاس بعد معركة شديدة على رابية « قره طاغ » وهي تعلو ٢٩٠٠ متر وتبعد ساعتين عن الحدود الواقعة بجوار « قلعة بوغازي» . وقد غنمنا من العدو الذي يوالي فراره نحو الشرق مئات من خنادق الذخائر والاعتدة

«ولم تصب قواتنا ولله الحمد بخسائر تذكر بل هي تتمتع بكل مقدرة وقوة »

بلاغ آخر

« ان العدو الذي اجبرناه على الرجوع بهجماتنا المتوالية الناجحة في منطقة «قلعة بوغازي» بمقدمة القفقاس يحاول بكل قواه ، اتكالا على النجدات التي وردت عليه، واستناداً الى المواقع المحصنة التي هيأها قبلا للتستر فيها، ان ينقذ جناحه الايمن من التقهقر »

ثم عادت القيادة واصدرت في اليوم الثالث من شهر تموز بلاغاً جديداً قالت فيه :

« ان المعارك الدائرة في المنطقة الجبلية بجوار الحدود في مقدمة القفقاس تستمر وتتقدم بنجاح قواتنا

«وقد ترك العدو في المعركة التي وقعت الجناح الايمن ماينيف على ستماية قتيل بينهم سبعة ضباط ، واسرنا ضابطين احدهما قائد طابور وعدداً من الجنود ونقل هؤلاء الاسرى الى ولاية ارضروم حيث جرى عرضهم امام الشعب في تلك المدينة»

الحالة في جبهة القفقاس

هذه هي البلاغات الرسمية التي اذيعت حتى اخر تموز سنة ١٩١٥ عن الحركات الحربية في جبهة القفقاس . والحقيقة الراهنة ان القوات العثمانية تراجعت في ذلك الوقت ليس عن المراكز الروسية في جبهة القفقاس بل عن قسم كبير من الولايات العثمانية القريبة من الحدود الروسية . اذ ان الروس قاموا يطاردونها الى الامام فاحتلوا ولايات بايزيد وارزنجان واخذوا بمحاصرة ولايتي وان وارضروم

سحب التشكيلات المخصوصة

وفي هذا الوقت صدرت الاوامر بسحب قوات التشكيلات المخصوصة من هذه المنطقة الى الولايات الغربية على حدود صربيا واليونان حيث كان الموقف الحربي قد تطور بشكل خطير فاجتاحت القوات الالمانية صربيا واحتلتها

وخاضت بلغاريا الحرب بجانب المانيا وعند ذاك لم تر الدولة العثمانية بدا من تعزيز جبهتها هناك فنقلت هذه القوات غير النظامية الى هذه المنطقة وقامت تناوىء الصرب والعصابات اليونانية

وكان بامكان الروس ان يضربوا في هذه الجبهة القوات العثمانية بشدة متناهية لو لم يتطور الموقف الحربي في جبهة الدردنيل وفي الجبهة الشرقية وقد هزم فيها الالمان الروس مما اهاب بالقيادة الروسية الى سحب قواتها الى حدود القفقاس

وعلى اثر ذلك ساد الجبهة الروسية العثمانية سكون استمر مدة طويلة ، غير انه عاد وتعاور في المعارك التي دارت رحاها بين الجيشين في عام ١٩١٦ ، وهي من المعارك الخطيرة التي سنعود الى سردها عندما يحين تاريخها من البحث في هذه السلسلة من «الاسرار »

اسرار الحرب الكبرى

بقلم كرم ملحم كرم

الروس يقهرون الالمان والنمسيين في غاليسيا ويزحفون الى «لمبرغ»

الاستنجاد بالفيلق العثماني الخامس عشر

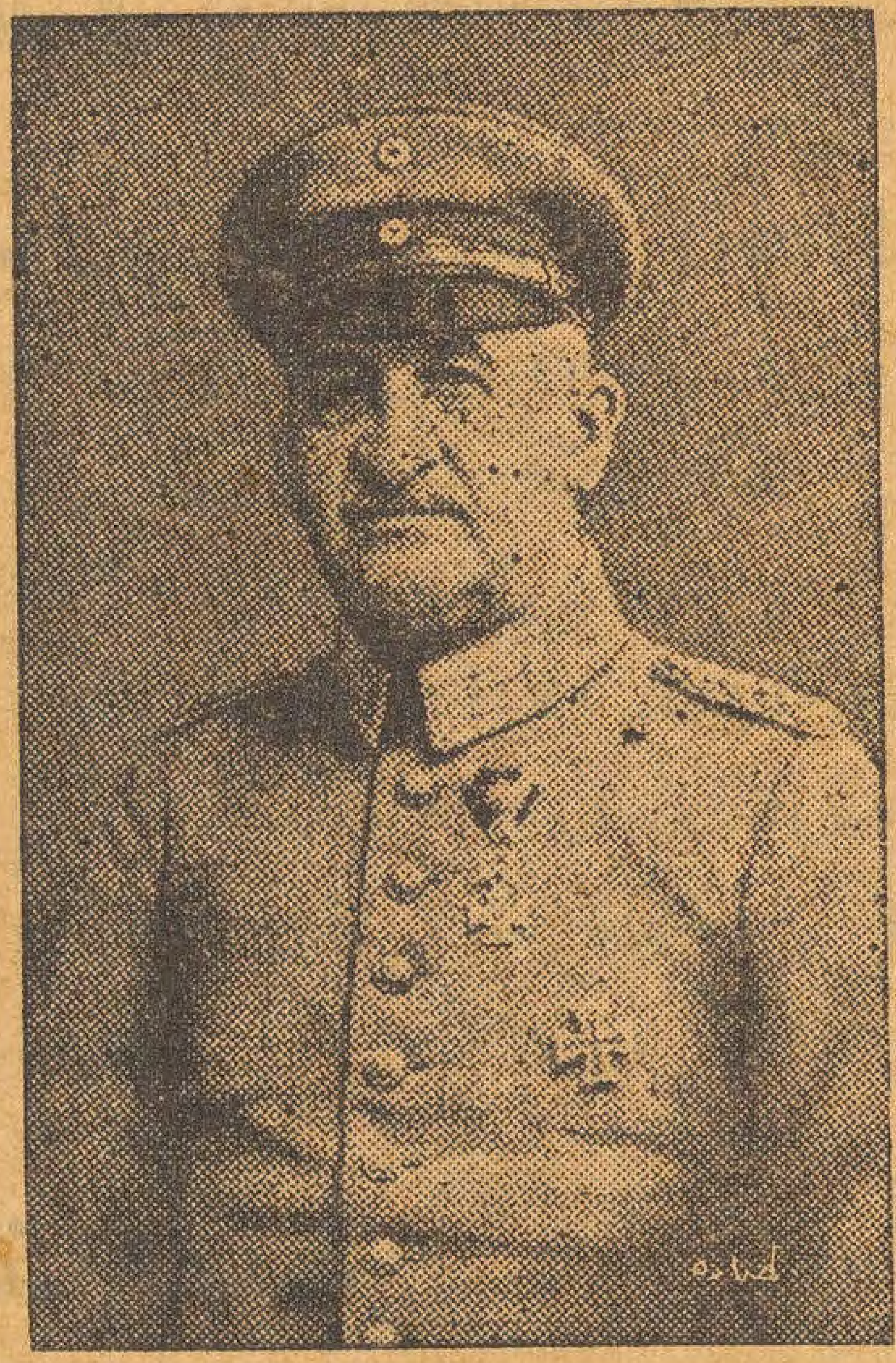
خسارة ستمئة الف نمسي

كان على القائد «لنسنجن» ان يتدخل لانقاذ النمسيين والا ضعضعهم الروس. ولقد تدخل بحزم، واقام من النجدات الواردة عليه ومن قواته ملقطاً حاول به امام «لوتزك» ان يعصر جيش القائد الروسي «كالدين»

فالقائد «كالدين» دفع قواته من «لوتزك» الى «كوفل» وهي هدفة الاول. وتقدمت هذه القوات من طريقين احدهما يتجه الى الناحية الشمالية الغربية، وهو الطريق الممتد بين لوتزك وكوفل، والاخر يتجه الى الغرب وهو طريق لوتزك — فلاديمير فولنسك

وبلغ الروس منطقة «زاتورتسي»، غير انهم بدل ان يتابعوا مسيرهم الى «فلاديمير فولنسك» ارتدوا الى اليمين سالكين الضفة اليمنى من نهر «توريا» وانتهوا الى جبهة «ليجاكوف — ماكوفيتشي»

ومضوا في اندفاعهم فاذا هم بين «فلاديمير فولنسك» و«كوفل» وقد طغوا عليها من الجنوب واعتزموا مهاجمتها من الجنوب نفسه ومن الناحية الجنوبية الشرقية. فسيروا عليها حملتين. وكانت مهمة «لنسنجن» ان يصد هاتين الحملتين عن مبتغاهما ويقضي عليهما بالوقوف، وان يضغط جانبيهما، الجانب الايمن على نهر «ستير» والجانب الايسر على نهر «ليبا»



القائد فون لنسنجن

احد قادة الالمان في الجبهة الروسية وقد كانت له فيها المواقف المشهورة

وهذا الاهتمام بصد الروس وضغطهم افضى الى اربع معارك ، الاولى على منعطف نهر « ستير » في « كولكي» ، والثانية على طريق « لوتزك — كوفل » ، والثالثة على نهر « توريا » ، والرابعة على نهر ليبا

المعركة الاولى

وتحدثت نشرة روسية عن المعركة الاولى فقالت : « منذ ١٠ حزيران ١٩١٦ والعدو يحاول النجاة مما هو فيه ، فسعى في منطقة «سيمكي» شرقي « كولكي» ، عند منعطف نهر «ستير» ، لرد هجماتنا فاطلق علينا قوات تفوقنا عدداً واثبت طلائعنا وسددت اليها نيرانها ، فدحرتنا وارجعتنا الى الضفة اليمنى من نهر « ستير» ، غير اننا منعناها في اليوم نفسه من كل تقدم »

هذا ما ورد في النشرة الروسية ، وكان القائد « كالادين » قد انشأ على طول الضفة اليمنى من نهر «ستير» خطاً للدفاع

المعركة الثانية

والمعركة الثانية جرت على طريق « لوتزك — كوفل » . فالنمسيون كانوا قد تراجعوا عن ضفاف نهر «ستير» في ناحية « ستوكهود » واتجهوا من «روفنو» الى « كوفل» ، فاقتفت خطواتهم سيارات روسية مصفحة .

واقبل لنجدتهم في « تيريسبا » لواء الماني ، وشاء الحؤول دون هزيمتهم فاستقروا وراء نهر « ستوكهود» ، ورغبوا في منع الروس من اجتيازه بانشائهم رأس جسر امام « سفيدنيكي » ولكن الروس في ١٤ و١٥ حزيران هاجموا جبهة « سفيدنيكي — بوغسزوفكا » واستولوا على رأس الجسر . فلم ير عند ذاك القائد « لنسنجن » بداً من الهجوم ، فدفع في ١٦ حزيران لواء المانياً لمهاجمة «بوغسزوفكا» ، فعسكر هذا اللواء على الضفة الجنوبية من نهر « ستوكهود » بين القصب وفي المستنقعات وتحت الامطار

قرية تؤخذ وتسترد

وهذه الهمة التي ابدتها قوات « لنسنجن» في « بوغسزوفكا » ابدت مثلها في قرية « سفيدنيكي » ، بيد انها لم تكلل بالتوفيق . فالروس قذفوا اعداءهم برصاص الرشاشات وارغموهم على اخلاء الشطر الجنوبي من القرية . ولكن الالمان ما لبثوا ان استعادوا هذا الشطر ، زعهم اياه الروس واستردوه

وكان هناك لواءان المانيان يقاتلان فيلقاً روسياً بكامله . وحل بهذين اللوائين التعب ونهكت قواهما ، وحاربتهما الطبيعة نفسها بعاصفة مشتعلة بالبروق والرعود والسيول ولم يتراجعا عن استعادة قرية « سفيدنيكي » ، فوقفا يقاتلان الروس برباطة جأش نادرة

ورود النجدات

ودعيت النجدات . فاقبلت من « كوفل » كتائب المانية ونمسية . وفي ١٨ حزيران استعيدت القرية بعد مجهود لا يستهان به ، خصوصاً والمنطقة وافرة الصعوبة ، فالمستنقعات تحول دون اطلاق يد المشاة في العمل ، فتمنعهم من الانبساط وتخفف من وقع القذائف

على ان الالمان وقد صبروا في نضالهم ظفروا ، وتقدموا حثيثاً فاستردوا « بوغسزوفكا » ، وتقهقر الروس ، وصعب عليهم الامر فصمموا على الثبات وصد الهجوم ، واذا المعركة تتلاشى في مناوشات منفردة تقوم بها شراذم من الجند

عودة الالمان الى الهجوم

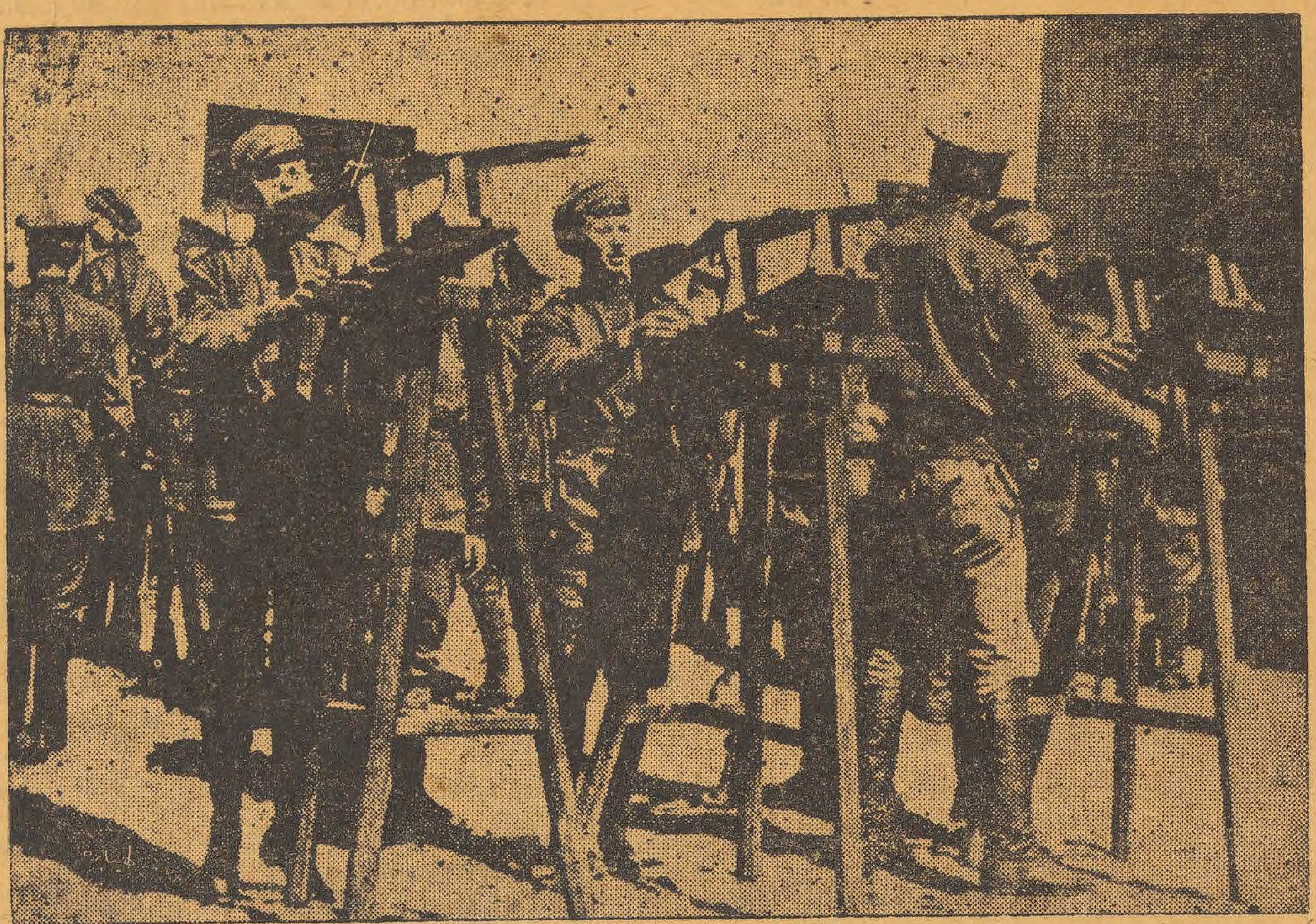
وفي ٢١ حزيران عادت قوات المانية الى الهجوم . فواثبت الجناح الروسي الايمن في ناحية « ميلسك » مندفعة الى « سوكال » مجتازة المستنقعات وقد غمرتها المياه الى الصدور

ولكن قرية «لينياوكا» ، وهي في منتصف طريق «ميلسك» ، وقد حصنها الروس تحصيناً قوياً ، دافعت وثبتت في دفاعها ، مع ان الالمان طوقوها من انحاء ثلاث . فما تسنى لهم الاستيلاء عليها في سوى اليوم السابع والعشرين . ولقد قام الكولونل الالماني « هوفر » بتضحيات جسام قبل ان يتمكن من احتلالها

واصابت الخسائر الفريقين ، وكانت في الجانبين فادحة . فالكتيبة الثانية والعشرون السيبيرية كادت تفنى فادغمت بالكتيبة الثالثة والعشرين . والالمان انفسهم اضطروا الى وقف المعركة لتستريح قواتهم . فما فكروا في الهجوم الا بعد ايام ، في ٢ تموز . وقام بهذا الهجوم جناحهم الايسر يقاوم ابداً الجناح الروسي الايمن ووجهته « ايملان » ثم « بيريسبا »

المعركة الثالثة

والمعركة الثالثة كانت ضفاف نهر « توريا » ميدانها . فالروس بعدما اجتازوا «كيزلان» وصلوا الى جبهة «ليجاكوف — ماكوفيتشي» كما سبق القول . وهي تبعد عشرة اميال عن « كيزلان » . وعلى هذه



القوات الروسية بعد فوزها على ضفاف نهر دنياستر

بعدما فاز القائد بروسيلوف على نهر « دنياستر » وضعضع النمسيين اخذت قواته تطلق نيرانها على الفارين كما تبدو في هذا الرسم

الجبهة اكرههم الالمان على الوقوف ، بل هم ارجعوهم الى « كيزلان » نفسها . ونشبت معارك اخرى فتراجع الروس خمسة اميال الى الينابيع القريبة من نهر « توريا » . وما استقروا في سوى جبهة « زاتورتزي - زويلهو »

المعركة الرابعة

والمعركة الرابعة كانت على نهر « ليبا » . وهي معركة هجوم على جناح الروس الايمن هدفها الاستيلاء على « لوتزك » . وفوجيء الروس مفاجأة بهذه المعركة ، فخسروا فيها سبعة الاف قتيل ، وتقول رواية المانية انهم شعروا بالضغط الالماني من كل ناحية فاضطروا الى دفع فرقتين من الفرسان الى الهجوم لينقذوا قوات المشاة

وشهد الالمان انفسهم بان هذا الهجوم كان متفوقاً ، وان منظره يثير الاعجاب ، بيد ان الرشاشات الالمانية مزقته ، وبلغ الالمان اعالي « بوريميل » على نهر « ستير » ، وعضدهم في هجومهم فرقة مجرية

المعارك على نهر ستير

ويجب القول ان « لنسنجن » وفق في محاولته ، فتولى في اواخر شهر حزيران مهمة عصر الروس في المنطقة الغربية من « لوتزك » وحالفه النجاح . غير ان « بروسيلوف » اجابه بالمثل وقد اسرع الى مقاومته . ففي ٢٤ حزيران اندغم الجيش الثالث لقائده « ليخ » بالقوات المعسكرة في الجنوب الغربي . فدعا بروسيلوف الى هجوم مزدوج يقوم به الجيشان الثالث والثامن في الناحية اليمنى ، ويقوم به من الميسرة الجيشان السابع والتاسع وهدفهما « هاليكز » و « ستانيسلو » على ان تحتفظ قوات القلب بمواقعها

وحاول الالمان والنمسيون ان يطغوا على الجناح الايمن في جيش القائد « كالدين » ، ولكن القائد « ليخ » هب لنصرة زميله وبات الالمان والنمسيون يعانون هذا الضغط

وفي ٤ و ٥ تموز انسلت جيوش تركستان وقسم من الفيلق الروسي الثلاثين الى جنوبي « كولكي » ، فاوفدت على الفور قوات المانية من على ضفاف نهر « ستوكهود » لسد الفراغ . وفيما تقف هذه القوات بوجه الروس وتحول دون تقدمهم كان هؤلاء قد خرقوا الخطوط الالمانية الشرقية في شمالي « سزارتوريسك » ، فلم تجد بعد ذلك القيادة الالمانية بداً من الهزيمة

وفي ٧ تموز اعلنت برلين ان قواتها جلت عن ضواحي

« سزارتوريسك » على اثر ما لقيت من ضغط العدو المتفوق عليها بعدده

و « فينا » عاصمة النمسا اعلنت النبأ نفسه بعدما اثنت كل الثناء على المقهورين. قالت : « بعد قتال دام اربعة اسابيع ثبتت فيه القوات النمسية المجرية المقاتلة في منعطف نهر ستير ، عند شمالي « كولكي »، ثباتاً عجيباً حيال عدو يتفوق عليها خمسة اضعاف، ورد عليها الامر بالتراجع عن الخط الاول . وجرى هذا التراجع دون ان يعرقل سيره العدو ، والفضل في صونه عن الاذى يعود الى القوات الالمانية المعسكرة غربي كولكي والى اخلاص الفرقة البولونية في كولوما »

انهزام لنسنجن

وفي الجنوب ، بين نهر « ستير » ونهر « ستوكهود »، امام قرية «سفيدنيكي» ، طغت القوات الروسية على يسار قوات القائد لنسنجن فاضطر القائد الى التقهقر . وفي ليل ٨ – ٩ تموز جلت قواته عن قريتي « لينيافكا » و « ايماليا » وقد كلفها احتلالهما البدل الغالي . وتراجعت الى ما وراء نهر «ستوكهود» . وفي ١٠ و ١١ تموز خاضت في «سفيدنيكي» معارك شديدة

وطاردها الروس . وكان عليها ان تجتاز ارضاً ملساء ، لا جبال فيها ، فما ثمة غير احراج ومستنقعات وطرق لا تقوى السيارات على اجتيازها . والحر متفاقم، والسماء زرقاء ،والشمس محرقة ، والقذائف يتوالى انفجارها ، والقرى تحترق ويتصاعد منها الدخان اعمدة طويلة .

وفي ٧ بلغ الروس نهر « ستوكهود » واسروا اثني عشر الفاً من اعدائهم ، غير ان الالمان والنمسيين اثبتوا اقدامهم في ضفاف ذلك النهر وعمدوا الى المقاومة . وكتب لهم الفوز فدحروا الروس على طول خط ذلك النهر

المعارك على نهر دنياستر

فيما الجناح الايمن من جيش القائد بروسيلوف يدرك الفوز على نهر « ستير » كان جناحه الايمن يضرب جيش القائد النمسي «بفلانزر بالتان» ضربة قاسية. فضعضعه بين نهري «دنياستر» «وبروث» واكرهه على الالتواء الى جبهة «هورودنكا — سنياتان»

وكان ان سقطت في ١٧ حزيران مدينة «سزرنوفيتز» فاضطرت ثلاث فرق نمسية الى الاعتصام بجبال الكاربات . فطاردتها قوات الجناح الروسي الشمالي الاقصى واجتازت في ٢٠ حزيران نهر «سيريت»، وفي ٢١ احتلت «رادوتز»، وفي ٢٢ « غوراهيمورا » ، وفي ٢٤ مساء « كيمبولنغ »

ففي ستة ايام استولى الروس على ولاية « بيكوفين » بكاملها، وللحؤول دون الفاجعة وردت على القائد « بفلانزر بالتان » فرقتان المانيتان ، احداها الفرقة ١٠٥ وقد دعيت من البلقان ، والاخرى الفرقة ١١٩ وقد فصلت عن جبهة «سموروغوني» ، ووردت عليه ثلاث فرق نمسية دعيت من جبهة « ترانتان » هي الفرق ٤٤ و ٥٧ و ٥٩

١٠٠٠٠ اسير

وخسارة ولاية « بيكوفين » جعلت خط « هورودنكا – سنياتان» على الضفة الشمالية من نهر « بروت » عرضة للخطر . وكان الروس قد بدلوا اتجاههم في جنوبي هذا النهر ، فاندفعوا الى ناحيته الغربية، فاضطرت القوات النمسية الالمانية المعسكرة بين نهري « بروت » و « دنياستر» الى الالتواء مرة اخرى . وفي ٢٤ احتل الروس على نهر « بروت » قرية « كيليكوف » وقرية « تولوكوف »

وفي ٢٦ كانوا في قرية « دوبوفيتز » ، اي انهم احتلوا المراكز الاولى. وفي ناحية « سنوفيدوف» اجتاز القوزاق الروس نهر دنياستر سباحة واحتلوا في ٢٦ حزيران على الشاطىء الجنوبي القريتين الصغيرتين « باترو » « وسيافرس » . وفي ٢٨ تزعزع الخط الالماني النمسي بكامله واستولى الروس على ثلاثة خطوط من الخنادق ووقع بين ايديهم عشرة الاف اسير

وفي اليوم التالي كان الروس يدخلون بلدة « كولوميا » وهي على بعد اربعة اميال من ميدان القتال

انتصار الروس المستمر

وفي اواخر حزيران كان الجناح الايمن من جيش القائد « ليشيتزكي » يسير في تقدمه الى الغرب على جبهة « اوبرتين — كولوميا — بيستيم » . وفي اول تموز اندفعت قوات القلب الى « بيزينجين » الواقعة على بعد عشرة اميال من غربي « كولوميا »

وفي ٤ احتلت الخط الحديدي الممتد من « ستانيسلو » الى بلاد المجر ، عند اعالي « ميكوليكزين » ، على بعد خمسة عشر ميلا من جنوبي « ديلاتين » . وقد استطاع النمسيون والالمان وقف الزحف على « ديلاتين » ، بيد ان الروس عادوا الى الهجوم من نهر « بروت » واستولوا على « سادزافكا». وفي ٨ تموز كانت « ديلاتين» نفسها تسقط بين ايديهم

وفيما ينطلقون الى ديلاتين كانوا يقومون بالهجوم على جانبي نهر « دنياستر »، وفي ٧ تموز احتلوا قرية «غريغوفر »، على ان المعارك



الشعب الروسي يهتف لجيوشه الظافرة

لما بلغ الروس نبأ انتصار قواتهم على النمسيين والالمان في الهجوم الذي نظمه القائد بروسيلوف احتشدت جموعهم امام بلاط القيصر الشتوي في بترو غراد تهتف للظافرين وتتظاهر بغبطة وابتهاج معجبة بهم

جمدت حركتها. وبعد مناوشات قويه في ١٢ و١٣ تموز عاد العدو فاستتب

ومنذ ٦ تموز كان النمسيون والالمان قد عمدوا الى صد الهجوم الروسي . فوائبوا جناح اليسار الاقصى من جيش القائد «ليتشيتزكي» في منطقه «كيمبولنغ» . وفي ٩ منه اعلن الروس انهم دفعوا عنهم هجمات العدو على جبهة «فوندول — مولدانا — فاليبوتنا». ودامت المعركه الى ١٠ تموز . واذا البلاغات تسكت سكوتا تاما. فالمعارك هنا مثلها في كل مكان هدأت بين ١٠ و١٥ تموز

خسارة ٦٠٠ الف رجل

وكانت الخسارة هائلة في هذه الاسابيع الخمسة . فغنم الروس لا اقل من مئتي الف اسير ، وبلغت الخسائر النمسية ستمئة الف رجل

هجوم القائد ساكاروف

غير ان الانقطاع عن خوض المعارك لم يكن طويل الامد . فالروس ما لبثوا ان عادوا الى الهجوم. وكان التوفيق حليف جناحهم الايمن وجناحهم الايسر . ومضوا في الهجوم فتفوقت قوات القلب تحت قيادة ساكاروف

ففي اواسط تموز استقر الموقف الحربي بين ينابيع نهر «ستوكهود» في الشمال وجبهة غاليسيا في الجنوب، اي من جناح القائد «لنسنجن» الايمن الى جناح القائد «ارمولي» الايسر ، على الشكل التالي :

انبسطت الجبهة النمسية الالمانية في الجنوب الشرقي من «لوتزك» في شبه زاوية امتدت قاعدتها الى ملتقى نهر «ليبا» ونهر «ستير» ، امام «ميكاييلوفكا»، والتوى طرفها الايمن الى الجنوب فبلغ الخط الحديدي الواصل بين «دوبنو» و «برودي» غربي «رادزيفيلوف» ، وانبسط الطرف الايسر الى الشمال الشرقي مجتازاً «اوغرينوف»

ومنتهياً الى جبهة « سفينيوكي ــ لوكاتشي »

وعلى قاعدة هذه الزاوية شاء القائد « ساكاروف » ان ينقض بقواته . غير ان القيادة الالمانية النمسية نفسها كانت تفكر في الانقضاض على « لوتزك ». فكل نيتها ان تخترق الجانب الايسر من القوات الروسية المعسكرة في « فلاديمير فولنسك » و « كوفل » . ولقد جهزت سبع فرق من المشاة واربع فرق من الفرسان . وكانت في ١٥ تموز على استعداد

الروس يسبقونه

وتقرر في ١٨ تموز الهجوم، بيد ان الروس تقدموا هذا الموعد. وبدأت مدافعهم في ١٥ تموز ، لدى الساعة الرابعة بعد الظهر ، تقذف نيرانها . فامتدت من غربي « بليدوف » الى شرقي « زلوتشيسكا » . ودام اطلاق النار الليل بطوله ، وشمل الخط بكامله لئلا يدري الالمان والنمسيون باهداف الروس ويحتشدوا في الاماكن المتفق على مهاجمتها. غير ان المدافع الروسية ما لبثت ان حصرت نيرانها في هذه الاماكن. ولدى نصف الليل فتحت في الاسلاك الالمانية والنمسية الشائكة عشر طرق ، عرض كل منها عشرون خطوة . وبعد ثلاث ساعات بدأ الهجوم .

اختراق الخطوط النمسية

واخترق الروس الخطوط النمسية فالتوى النمسيون الى الجنوب الغربي ، على خط «بيستوميتي ـــ كرازوف» ، فكان ان اصيبوا في اليوم التالي بهزيمة اخرى . وكانت الخسارة جسيمة . فوقع منهم بين ايدي العدو ثلاثة عشر ألف اسير وثلاثون مدفعاً ، منها سبعة عشر مدفعاً ضخماً ، واقصاهم الروس عن ضفاف نهر «ليبا» اليسرى ازاء « كرازوف »

مدافعهم ترميهم بنارها

وبعدما اخترق القائد « ساكاروف » الجبهة النمسية انشأ لقواته جبهة خاصة انبسطت من « سفينياتشي » الى « إليزاروف » . وعن هذه الجبهة صد في ١٩ تموز هجوماً نمسياً . وكانت المدافع النمسية الضخمة التي استولى عليها الروس تطلق نيرانها على النمسيين

وفي ٢٠ جلا النمسيون عن «فرين» على ضفاف نهر « ستير » ، وملك الروس معابر هذا النهر والتوى النمسيون الى « بيريستيتشكو». وعجز اللواء الثالث عشر النمسي عن اجتياز النهر فطوقه الروس في منطقة « فرين » و «بلياشيفو» فاستسلم بأجمعه

وفي ٢١ دخل الروس « بيريستيتشكو » واجتازوا نهر « ليبا» وكانوا قد اقصوا عنه الجحافل النمسية بالاعتماد على مدفعيتهم

وفي هذين اليومين ، في ٢٠ و ٢١ تموز ، تضعضعت الصفوف النمسية ، وضغطها الروس من الجانبين فبقي منها بين ايديهم اثنا عشر الف جندي وثلاثمئة ضابط

هزيمة النمسيين

وتوالت هزيمة النمسيين الى الجنوب ، وكانت الخسائر فادحة. وفي ٢٥ بلغوا نهر « زلونوفكا » . وفي ٢٦ كان الروس على ضفاف نهر «بولدوركا» الجاري في الشمال الغربي من «برودي» والمندغم بنهر «ستير» . وفي ٢٨ احتل القائد «ساكاروف» بلدة «برودي»

وهذا الهجوم ، هجوم القائد « ساكاروف» ، هدم الخط النمسي الالماني على طول ستين ميلا ، واوقع في الاسر الروسي اربعين الف اسير بينهم ٩٤٠ ضابطاً ، عدا ٤٩ مدفعاً ومئة رشاشة واعتدة وافرة غنمها الروس

الهجوم على طول الجبهة

وشاء الروس اغتنام الفرصة فقاموا بهجوم عام على الجبهة بطولها. ولقد قاموا بهذا الهجوم منذ اواسط ايلول، فيما كان القائد «ساكاروف» يقاتل في القلب . فاستقر جيش خاص بين قوات القائد «ليخ» وقوات القائد « كالدين » . وفي ٢٨ تقدم « بروسيلوف » بقواته . فقام الجناح الروسي الايمن بالهجوم منذ « اوبزيز » في الشمال الى « زاتورتسي » في الجنوب . وقد قالت جريدة «فرانكفور زيتنغ» الالمانية ان عشرين فرقة اشتركت في اول آب في هذا الهجوم

فالجيش الروسي الثالث والجيش الخاص اندفعا في طريق « كوفل». وفي منطقة «هولفيكز» اجتاز الروس نهر « ستوكهود » ، واقصى الحرس الروسي العدو عن هذا النهر ، وهاجم الجيش الثامن «فلاديمير فولنسك» ففاز في « كوشيف» ووقع في قبضته تسعة آلاف اسير .

جيش القائد بوتمر

اما جيش القائد « بوتمر » فهو الجيش الاوحد من القوات النمسية الالمانية الذي تسنى له الاحتفاظ بمواقعه . فهاجمه القائد « تشربانشيف» الروسي ولكن دون ان ينال منه منالا . فاستطاع الثبات



الروس يندفعون الى مقاتلة الالمان والنمسيين

قوات القائد « ليتشيتزكي » وهي تندفع الى مدينة « ستانيسلو » تحتلها في غاليسيا الشرقية

في اماكنه . وطربت الصحف الالمانية لهذا الثبات ونادت به تعلنه بملء صوتها . وفي ٢٨ تموز ، وكانت القوات الروسية قد استقرت في ضفاف نهر « كوروبياك » ، واثب القائد « تشيتشر باتشف » قوات القائد « بوتمر » ، واضطرت القوات الروسية الى المرور في النهر تجتازه وقد غمرتها المياه الى الاعناق ، على انها اجتازته واسرت الف جندي

قوات اليسار النمسية

وفي اليسار ، في جنوبي نهر دنياستر ، قام جيش القائد « ليتشيتزكي » بالهجوم وابعد النمسيين الى « ستانيسلو » ، واحتلت فرقة من جيش القفقاس « جيزرنينا » على طريق « تولماكز »

ورود النجدات

وحيال هذه الهزيمة استنجد القادة الالمان والنمسيون بالقيادة العليا لصد هجوم « بروسيلوف » . فوردت عليهم النجدات في حينها . وفي اواخر تموز واوائل آب جمع الالمان والنمسيون صفوفهم واعتزموا صد الهجوم الروسي

وكانت المانيا قد اوفدت في شهر حزيران الى الجبهة الروسية اربع فرق سلختها من شمالي نهر « بريبيا » في بولونيا ، وفرقة جاءت بها من البلقان ، وانتزعت من الجبهة الفرنسية تسع فرق . على حين ان النمسا ما استطاعت ان تزيد على ما لديها من قوات في ذلك الميدان اكثر من فرقتين اقبلتا من الجبهة الايطالية

وفي شهر تموز تساوى مجهود الحليفتين في ايفاد النجدات لمقاومة الهجوم الروسي . فاستدعت النمسا من الجبهة الايطالية اربع فرق ، وجاءت المانيا بفرقة من الجبهة الفرنسية ، وبفرقتين ونصف فرقة من شمالي نهر « بريبيا » ، اي ان المانيا والنمسا جردتا في اواخر تموز على القائد بروسيلوف نحواً من تسع عشرة فرقة استلتها من الميادين الاخرى

وكان عليهما في شهر اب ان تتابعا هذا المسعى . ولكن النمسا كانت قد تلاشت . فرسا العبء على عاتق المانيا وحدها . والمانيا لم تتخاذل دون المهمة . فجاءت باحدى عشرة فرقة رمت بها القائد بروسيلوف . وهذه الفرق لم تقبل باجمعها دفعة واحدة . فالفرقة تتلو الفرقة ، واحياناً

يتلو اللواء اللواء ، غير انها كانت تدفع الى ميدان القتال فور وصولها

الاستنجاد بالاتراك

وهذه الفرق جيء بها من قلب المانيا ، ومن شمالي « بريبيا » ومن الجبهة الغربية . وما برح الموقف يقتضي النجدة، فاستعان الالمان بتركيا ، فاوفدت في اواسط آب الى غاليسيا فيلقها الخامس عشر

ويجب القول ان المانيا عانت في الهجوم الروسي معظم الشدائد. فقد احتملت الشطر الاكبر من الاثقال. ففي اول حزيران كان لديها على الجبهة الشرقية ، من «ريغا» الى الحدود الرومانية، ثمان واربعون فرقة اي خمسمئة وثمان واربعون كتيبة . وفي اواخر آب كان لديها على هذه الجبهة نفسها ستون فرقة او ستمئة وخمس وتسعون كتيبة

ثم هي نقلت من شمالي نهر «بريبيا» الى جنوبيه تسع فرق ، فما بقي لديها في الشمال ، اي على حدود روسيا الشمالية ، ما يزيد على ثمان وثلاثين فرقة بدلا من سبع واربعين، وهذه الفرق اتسع مجالها ، فامتدت الواحدة منها على طول خمسة عشر ميلا . ومع ان القيادة الالمانية لم تكن تحشد في اول حزيران في جنوبي نهر «بريبيا» غير فرقة واحدة، اضطرت في اول ايلول الى حشد ثلاث وعشرين فرقة

التبديل في القيادة

وجرى تبديل في القيادة . ففي شهر حزيران ، بعد هزيمة «لوتزك»، عهد بأمر القوات النمسية الالمانية المعسكرة بين نهر «بريبيا» ونهر «ليبا» الى القائد الالماني «فون لنسنجن» ، كما عهد بأمر الجيوش الاخرى الى قادة آخرين . فحل القائد « فات » على رأس الجيش الثالث محل القائد «بيهالو» ، وتولى القائد «ترزتيانسكي» شؤون الجيش الرابع بدلا من الارشيدوق جوزيف فرديناند

وظل جيش القائد «بويهم ارمولي» وجيش القائد « بوتمر » تحت قيادة رئيسيهما . على ان جيش القائد «بوتمر» انبسط الى الجنوب واقبل جيش جديد لسد الثلمة التي خرقها الروس . وهذا الجيش تولاه القائد النمسي « كيفيس » . فاستقر بين القائد «بوتمر» والقائد «بفلانزر بالتان»

قيادة هندنبورغ

وفي ٢ آب امست الجبهة الشرقية بكاملها تحت قيادة المارشال هندنبورغ . فقد شاءت المانيا ان تستولي على شؤون الحرب بكاملها . ولكن النمسا احتجت . فانتزعت بعد ايام القيادة العامة على الحدود الروسية من المارشال هندنبورغ وقامت ثمة قيادتان ، قيادة هندنبورغ نفسه وقد وقفت عند الخط الحديدي الممتد من «تارنوبول» الى «لمبرغ» ، وقيادة ولي عهد النمسا الارشيدوق شارل وقد امتدت من هذا الخط الى الحدود الرومانية

نشاط النمسيين

ودب النشاط في صفوف النمسيين بعد ورود النجدات عليها وتنظيمها . ففي مساء اول آب ١٩١٦ اعلن بلاغ روسي ان القوات النمسية عادت بهمة الى الهجوم على قريتي «ستوبيشفا» و«سموليباوي»

واعلن في ٣ آب بلاغ آخر وقوع هجوم نمسي على جبهة « غولفيتشي — دوبنيا كي » . فاجاب الروس بهجوم في جنوبي « دوبنياكي » ، على بعد خمسة اميال منها ، وشنوا الغارة في نهار ١٣ آب وفي الليلة التالية على قرية « رودكا ميرنسكايا » واحتلوها لدى الساعة الثالثة صباحاً

وشاؤوا الوثوب الى « كوفل » و « فلاديمير فولنسك » ، بيد ان طرق هاتين البلدتين ظلت مسدودة بوجه الروس

هجوم آخر للقائد ساخاروف

بعدما احتل القائد « ساخاروف » مدينة « برودي » مال الى اقتناص فوز آخر بالتبسط في الناحية الجنوبية بين « برودي » و « ايزورنا » ، على جبل تكسوه الغابات وينحدر منه نهر « بوغ » ونهر « سيريت » ، على ان النمسيين والالمان كانوا يحمون هذا الخط، وساعدتهم ضفاف الانهر في الدفاع عنه . فنشبت بين الفريقين معارك حامية . وفي ٥ اجتاز الروس الضفة اليمنى على طول خمسة عشر ميلا واحتلوا خمس قرى، وفي ٦ ازدادوا تبسطا في ميمنتهم وميسرتهم واسروا ١٦٦ ضابطاً و ٨٤١٥ جندياً

وما لبثت الحالة ان هدأت على هذه الجبهة

هجوم اثر هجوم

وما وقف القائد ساركاروف عن هجومه حتى عمد في جنوبي نهر دنياستر القائد « ليتشيتزكي » الى الهجوم . وذلك في ٧ آب ، على جبهة طولها سبعة وعشرون ميلا ، منذ نهر دنياستر الى خط « كولوميا — ستانيسلو » الحديدي

وكان خصمه القائد « كيفيس » النمسي . ونجح الروس فهدموا خطوط النمسيين واحتلت ميمنتهم « تلوماكز » ، ثم اتجهوا الى



الاسطول الروسي في البحر الاسود يبتهج بانتصار بروسيلوف

مشهد من مشاهد الملاحيه الروس في البحر الاسود وقد وصلت اليهم ابناء فوز اخوانهم في غالسيا

الامام على طول الجبهة ، فاحتلوا خط « نيجنيوف ــ اوتينيا » ، وبانت قوات القلب فيهم على نهر « فورونا »

واندفعوا الى الامام فبلغوا في ٨ آب ، لدى الساعة الثامنة مساء ، على هذا النهر نفسه ، مدينة « تيسمانيتسا » . وطاردوا النمسيين في هزيمتهم فبلغوا « كريبلين » وقطعوا الخطوط الحديدية باجمعها في جنوبي « ستانيسلو » ، واضحوا في الضفة اليمنى من نهر « بيستريتزا »

وفي ١١ آب ، لدى الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والاربعين ، كانت قوات القائد « ليتشيتزكي » تحتل مدينة « ستانيسلو » والتوى النمسيون تحت النيران الروسية الى الشمال ، شاخصين الى « هاليكز » ، وجاوز فريق منهم نهر « بيستريتزا » . وفي ١٢ آب كان الروس يحتلون مدينة « نادفورنا »

الهجوم في كل مكان

وعمدت سائر الجيوش الروسية الى الهجوم . وكان القائد « كيفيس » النمسي في تراجعه امام القائد « ليتشيتزكي » الروسي قد كشف الجانب الايمن من جيش القائد « بوتمر » الممتد الى شمالي نهر « دنياستر » وعرضه للخطر . وما خفي ذلك على النقاد الالمان . فكتب في ٨ آب المنشىء العسكري في جريدة « لاغازيت ده فرنكفور » يقول : « انه لموقف جميل موقف جيش القائد « بوتمر » في قتاله الباسل . فهو يهاجم الروس سعياً لكسب الوقت ، وقد استطاع العبث بكل محاولة بدرت من الروس لخرق صفوفه »

ولكن الروس خرقوا في اليوم التالي هذه الصفوف . فهاجم جيش القائد « تشيتشرباتشيف » الروسي ميسرة القائد « بوتمر » ، وفي ٨ آب اجتاز نهر « كوروبياك » عند مستوى « فيلنسيوف » واحتل المرتفعات القائمة بين هذا النهر ونهر « زلوتا ليبا »

وفي ١٠ هاجم جناحه الايمن النمسيين من « دونتكا » وبلغ « مونا سترجيسكا » واحتل شطرها الجنوبي . وتقدمت قوات القلب من نهر « زلوتا ليبا » فاحتلت قرية « لازاروفكا » وصدت هجمة نمسية في « زاداروف »

واخيراً اجتاز الجناح الايسر نهر « زلوتاليبا » على مقربة من مصبه وبلغ نهر « دنياستر » واحتل بلدة « أوسيازيليني » ، وفي ١٢ احتل الجناح الايمن الاقصى بلدة « موناستر جيسكا » بكاملها

وبلغ القائد « ساكاروف » نبأ انتصار « ليتشيتزكي » فاندفع بيساره الى نهر « سيريت » وبلغ خط « تروستيانتز ــ نستزوفس »

وطغى على مواقع النمسيين الواقفة سداً منيعاً امام « ايزرنا » ، وفي مساء ١١ اب اعلن بلاغ روسي احتلال هذه المواقع

الانطلاق الى لمبرغ

فالايام العشرة الاولى من شهر آب ١٩١٦ سجلت النصر للجيوش الروسية الثلاثة القابض على نواصيها القادة «ساكاروف» و«تشتشرباتشيف» و« ليتشيتزكي » وقد سددوها الى مدينة « لمبرغ » النمسية

ومدينة « لمبرغ » عاصمة غاليسيا الشرقية . كان قد احتلها في اوائل الحرب الروس وما لبث القائد الالماني « فون ماكنزن » ان اقصاهم عنها. فظل الروس يحنون الى امتلاكها، واقامها القائد «بروسيلوف» هدفاً لهجومه هذا

غنائم الفائزين

اما غنائم الجيوش الثلاثة الفائزة فهي مما يجدر بنا الاشارة اليه . فالقائد « ساكاروف » وقد احتل في ٢٨ تموز مدينة « برودي» وخرق في ٦ آب الخط النمسي الالماني على نهر «غرابركا» ، ثم خرقه على نهر « سيريت » ، اسر من ٤ الى ١١ اب ٣٠٤ ضباط و١٦٥٩٤ جندياً

والقائد « تشتشرباتشيف » وقد اقصى النمسيين عن نهر « كوروبيباك » ثم عن نهر « زلوتاليبا » اسر ١٢٦٣ ضابطاً و ٥٥١٥٨ جندياً

اما القائد « ليتشيتزكي » وقد احتل « ستانيسلو » وتقدم نحواً من ثلاثين ميلا ، فقد اسر من اول آب الى اليوم العاشر منه ١٤١ ضابطاً وعشرة الاف واربعمئة واربعين جندياً

هزيمة القائد بوتمر

فما لقيت الجيوش الالمانية النمسية صدمة كهذه الصدمة . ولم يثبت منها سوى جيش القائد « بوتمر » ، فهو مع اضطراره الى الالتواء بجناحه الايمن ظل بجناحه الايسر محافظاً على جبهته الاولى . ولكن الروس تدفقوا عليه من الشمال والجنوب . وايقن ان الثبات محال فلم ير بداً من التراجع

وبدأ تراجعه في ١١ آب ، فجلا عن مواقعه ، وبلغ في ١٤ خط التراجع نهر « زلوتاليبا »

وطارده جيش القائد « تشتشرباتشيف » . وفي ١٤ كانت ميمنة هذا الجيش على نهر « سنيافكا » ، فعبرته في بعض النواحي من جنوبي « برزجاني »

والحق يقال ان القائد « بوتمر » دافع بشدة وبسالة عن جبهته. ووردت عليه النجدات فرسخت قدمه في خط « سنيافكا — ليبا » ، ولم يكن من البلاغات الروسية الا ان اعلنت في ١٦ اب ان قوات القائد « بوتمر » تعرقل بهجماتها حركة التقدم

وبات التقدم محصوراً بالجناح الايسر ، بين نهر « زلوتاليبا » ونهر « دنياستر » . وقاوم النمسيون مقاومة عنيفة . وفي ١٨ اعلن مقام اركان الحرب في روسيا ان النمسيين عادوا الى الهجوم على نهر «زلوتا ليبا» بقوات لجبة

ولكن هذا الهجوم اخفق . الا ان اخفاقه لم يكن بالدليل على ان هزيمة القائد «بوتمر» توالت ، بل هي وقفت عند نهر « زلوتاليبا» تأبى ان تتراجع عنه

على حدود المجر

وفي اواسط اب عاد الالمان مرة اخرى الى الهجوم. فقاموا به في صميم الجبهة ، امام خطوط القائد بوتمر . وكانت النجدات قد وردت على هذا القائد فهاجم الصفوف الروسية على ضفاف نهر « زلوتاليبا »

وما برح الروس يتقدمون ، تقدموا بميمنتهم على ضفاف نهر «ستوكهود» وتقدموا بميسرتهم في جبال الكاربات

وفي ١٣ قام الالمان بهجومهم على طلائع قوات القائد « كالدين» عند جنوبي نهر « ستوكهود » . وفي ١٨ كان الروس يعمدون الى الهجوم ، فاستولوا على قرية « توبولي » واحتلوا شطراً من المواقع الالمانية . وفي اليوم التالي واثب الالمان القوات الروسية . ودامت المعارك الى ٢٠ منه . فكان الالمان يستردون قرية « توبولي » ولا يلبث الروس ان يقصوهم عنها ،واخيراً ملكها الروس كما ملكوا ١٣٠٠ اسير.وانتقل القتال الى المدفعية .فتكلمت احشاء المدافع . ولم يقع غير مناوشات طفيفة بين طلائع الجيش

على ان النقادة العسكريين الروس ما اعاروا تلك المعارك في غابات نهر « ستوكهود » ومستنقعاته شأناً خطيراً . فاهتموا بنجاح جيش القائد « ليتشيتزكي » في جبال الكاربات وهو يهدد منها المجر

فان طلائع قوات ليتشيتزكي بلغت في ١٠ و ١٢ اب خط «ستانيسلو — نادفورنا » واحتلت خط نهر بيستريتزا . وبالاعتماد على هذا الخط اندفعت تهاجم سبل جبال الكاربات

واذاع الروس في ١٣ اب بلاغاً يشير الى تقدمهم . وفي ١٥ اب كانوا يحتلون جابلونيكا وفوروتشا ومرتفعات متعددة

وحاول النمسيون والالمان صد هـذه الهجمات فما كتب لهم التوفيق .

تقدم الروس

وفي ١٧ جاوز الروس جابلونيكا وبلغوا جبل فوروونيسانكا . وهاجمت قوة روسية اخرى صدر الجبهة عند اعالي دولكوبول . ومشت الى فيرسكول تهزم الالمان والنمسيين وتحتل في ٢٠ هـذه البلدة كما احتلت قرية اخرى تبعد عن فيرسكول نحواً من ميلين

وفي المنطقة الغربية القصوى تقدمت حملة على طول نهر بيستريتزا . وبلغت في ٢٥ منطقة رافايلوفا

اربع حملات فى الكاربات

فاندفعت الى جبال الكاربات اربع حملات على جبهة طولها سبعون ميلا وهـددت الحدود المجرية . فالحملة اليمنى برحت ضفاف نهر « بيستريتزا » الى «رافايلوفا» فاحتلتها في ٢٩ اب وبلغت في اليوم نفسه جبل «باتنير» على الحدود واستولت عليه

وتقدمت الحملة الثانية بطريق جابلونيكا الممتد الى كوروسميزو وبلغت كالحملة الاولى الحدود عند جبل فوروونيانكا . ومشت الحملة الثالثة من اردجالوزا وانطلقت الى ينابيع نهر بروت في ناحية جبل « كوفرلا » الجاثم على الحدود

واندفعت الحملة الرابعة في طريق نهر سوكزافا واتجهت الى الحدود في ناحية تومناتيك وفيها استولى الروس على مرتفعات متعددة . وحاولوا بكل ما لديهم من جهد بلوغ نهر بيستريتزا على جبهة كيرليبابا — دورنا فاترا

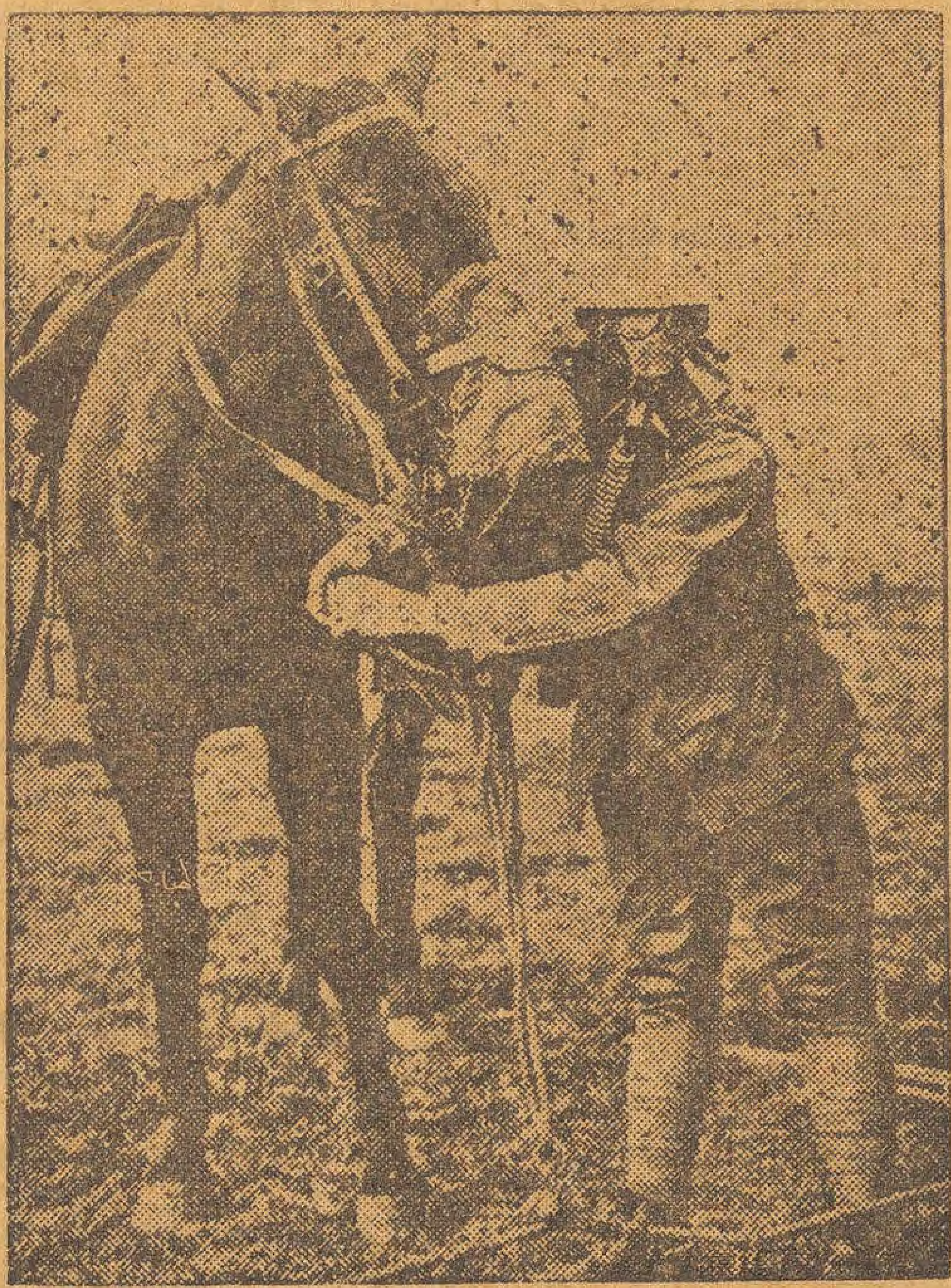
رومانيا والحرب ونهاية الهجوم

وفي ٢٧ اب خاضت غمار القتال دولة اخرى . فقـد شهرت رومانيا الحرب على النمسا والمجر واجتاحت ولاية ترانسيلفانيا . فما وجدت امامها غير فرقتين من الجند وبضع كتائب . ونزول رومانيا الى الميدان شدد من عزائم روسيا . وظهر النشاط على الخطوط الروسية باجمعها . وفي ٣١ اب نشبت المعارك في ولاية فولهيني على جبهة لوكاتشي سفينيوكي ، وعلى حدود غاليسيا عند اعالي نهر سيريت ، وعلى مقربة من نهر دنياستر في جبهة القائد تشيتشرباتشيف

وفي هذا النهار نفسه ، في هذه المناطق الثلاث وفي جبال الكاربات ، اسر الروس خمسة عشر الفاً وخمسمئة جندي ، و ٢٨٩ ضابطا

تقدم الروس

ودامت المعارك بشدة اياما طويلة . فلم تتبدل في «فولهيني» وفي اعالي نهر « سيريت » ، مع ان الروس اعلنوا بعد الثلاثة الايام الاولى من هجومهم انهم اسروا ٤٥١٦ جنديا و ١١٥ ضابطاً



لاتقاء الغازات الخانقة

فارس وجواده يتذرعان بالقناع الواقي من الغازات الخانقة في اثناء الحرب الكبرى

وفي منطقة «فولهيني» جرت معارك حائرة دامت شهر ايلول بكامله وشطراً من شهر تشرين الاول . وقد حشد الروس في هـذه المنطقة الفيلق السادس ، والفيلق السيبيري الرابع ، والحرس الامبراطوري ، وفرقة من القوزاق لمناوأة قوات القائدين الالمانيين «مارويتز» و «ليتزمان» والقوات المجرية النمسية لوليها القائد فون سزورماي

على ان جيش القائد « تشيتشرباتشيف » تقدم بجناحه الايمن في طريق « تارنوبول » متجهاً الى « لمبرغ » ، وتقدم جناحه الايسر في منطقة « دنياستر » امام مدينة « هاليكز »

وهذا الصراع بين جيش القائد « تشيتشرباتشيف » الروسي وجيش القائد « بوتمر » الالماني اخر مرحلة من مراحل المعركة وجيش القائد « بوتمر » كان مؤلفاً في اول حزيران من الفرقة

الثامنة والاربعين الالمانية الاحتياطية ، ومن ست فرق نمسية. ووردت عليه في شهر تموز من البلقان الفرقة ١٠٥ الالمانية ، والفرقة ١١٩ وقد اقبلت من « ريغا » ، وفي شهر اب جاءته الفرقة الخامسة والتسعون والمئة والتاسعة والتسعون ، ثم الفرقتان التاسعة عشرة والعشرون التركيتان

وانجده في اواسط ايلول الالمان بالفرقة ١٢٣ وقد اوفدوها اليه من جبهة « ابن » في فرنسا ، ثم الفرقة ٢٠٨ وقد اسرعت اليه من جبهة « السوم » الفرنسية . واخيراً جاءته قوات من الفرقة الاحتياطية الاولى ، ثم من فرقة الحرس الامبراطوري الثالثة وقد خاضت في شهر اذار معارك فردون

ولقد فنيت من هذا الجيش ثلاث فرق نمسية . ودعيت فرقتان احداهما مجرية شخصت الى حدود رومانيا . وحلت فرقتان ونصف فرقة محل الفرق المحتجبة ، فامسى هذا الجيش لدى اواسط ايلول ١٩١٦ سبع فرق المانية وبعض قوات من فرق اخرى ، وثلاث فرق ونصف فرقة نمسية ، وفرقتين تركيتين تولتا تحت امرة القائد « بوتمر » نفسه الدفاع عن طرق « لمبرغ » و « بزوبزاني » و « هاليكز »

هزيمة قائد المانى

وفي ناحية «زاقالوف» دافعت قوات المانية تحت قيادة « فون جيروك » عن المواقع الكامنة فيها ، بيد ان القائد (تشيتشربانشيف) هاجمها في ٢٩ آب واكرهها على الهزيمة . واتسع مجال المعركة فاندفع الجناح الروسي الايسر الى ناحية (هاليكز) . وفي ٦ ايلول احتل الروس الخط الحديدي القائم شرقي (هاليكز) والرابط هذه المدينة بمدينة (بازوبول)

وبلغ عدد الاسرى الالمان والنمسيين والاتراك في هذه الهجمة خمسة آلاف وستمئة جندي واربعة وخمسين ضابطاً . فتساقطت القذائف على هاليكز . وقالت احدى الصحف الروسية ان العدو اخذ في ليل ٧ ايلول ينسف القلاع ، وانه نسف الجسر الكبير المشيد على ضفتي نهر (دنياستر)

وبرحت القطر الحديدية الملأى بالجيوش مدينة هاليكز تحت رش القذائف . واحتمى المدافعون عن المدينة وراء نهر نيبلاليبا بين مجرى هذا النهر الاسفل ونهر دنياستر وقاوموا في هذا الموقع مقاومة اليائس المستميت

وتوافدت النجدات . وفي ٨ ايلول هجم الالمان والنمسيون على الجناح الروسي الايمن في منطقة نارايوفكا . وخعلته في هجومه ان يطغي على هذا الجناح ويقذف الروس الى نهر دنياستر . وتوالت المعارك على نهر نارايوفكا . واشير اليها بين ١٦ و١٨ ايلول . واذا السكون يسود

وكان الجناح الايمن من جيش القائد تشيشربانشيف قد اجتاز في ٣ ايلول نهر زلوتاليبا . على ان الهجوم الاكبر وقع في ٣٠ ايلول على نهر سنيافا . فاسر الروس بعد الايام الثلاثة الاولى اربعة الاف جندي . وكانت النجدات قد لبت نداء الالمان والنمسيين . فتعادلت الكفتان على الخطوط بكاملها

المشكلة الرومانية

وكان من موقف الجيش الروماني ان وضع حداً لهجوم القائد بروسيلوف الروسي . فالقوات الرومانية بعد فوزها في البدء لم تلبث ان لقيت في اواخر ايلول الهزيمة في « هرمانستاد » . فاضطر الروس الى الاهتمام بها ، لا بخوض الحروب في غاليسيا والتخفيف عن هذه القوات بل بمساعدتها جنباً الى جنب

فاوفدوا في البدء فيلقاً تحت قيادة « زايونتشوفسكي » ، فعضدها في « دوبرودجه » .

ولكن ظهر من هذه المساعدة انها غير كافية ، فاقبل القائد « ساكاروف » على رأس جيش بكامله . واقام في دوبرودجه يدافع عنها ، ووجه قوة من هذا الجيش لنصرة الجناح الروماني الايسر المهزوم .

واسرع جيش روسي آخر يقوده تشيشربا نشيف ليعضد الرومانيين في جناحهم الايمن . وهكذا اضحى الروس في كل مكان سياجاً للرومانيين

وتولى قيادة الجيشين الروسيين العليا القائد بروسيلوف نفسه ، وظلت قيادة الجيش الروماني بين يدي ملك رومانيا دون سواه . ولكن الموقف يدعو الى توفير الارشاد العسكري لهذا الملك ، فعهد بالامر الى القائد ساكاروف

فتولى ساكاروف قيادة القوات الروسية ، وعمل ضباط اركان الحرب الرومانيين بمشورته . فكانوا يذيعون اوامر القتال في قواتهم بعد الوقوف على رأي القائد الروسي

٤٢٠ الف اسير

وفي اوائل تشرين الاول نشر مقام اركان الحرب الروسي بياناً يعلن فيه نصيب الروس من هجوم بروسيلوف . فكان ان وقع بين ايدي الروس في هذا الهجوم ــ وقد دام اربعة اشهر ــ ٤٢٠ الف اسير ، و٢٥٠٠ رشاشة ، وستمئة مدفع ، وذخائر واعتدة

اسرار الجاسوسية والحرب الكبرى

الاسرار

٥ غروش

الآنسة نهال حامد الجاسوسة العثمانية

وهي البادية في رسم الغلاف وقد كانت لها اليد الطولى في مطاردة جواسيس الانكليز كما توضحه هذه النشرة من « الاسرار »

العدد الرابع والعشرون



الاسرار

مجلة اسبوعية تاريخية تبحث في التاريخ وما اهمله التاريخ

اصحابها : انطون صادر ، كرم ملحم كرم ، فؤاد ميداني

رئيس الانشاء المسؤول: كرم ملحم كرم — منشىء القسم الشرقي: فؤاد ميداني

المكاتبات باسم مدير المجلة : انطون صادر

الادارة مكتبة صادر * شارع المتنبي * بيروت

العدد ٢٩ بيروت في ١٢ ايلول سنة ١٩٣٨

اسرار الجاسوسية في القضية العربية

بقلم فؤاد ميداني

اختفاء عزت بك الجندي في الحرب الكبرى لا يزال سراً غامضا

أيكون لجان عسكر يد في قتله ؟...

محاولة خطف فيليب زلزل

لم تتمكن ادارة « مصلحة التشكيلات المخصوصة » الموضوعة تحت تصرف انور باشا من ان تمد يدها الى بيروت مع ان هذه المنطقة والمناطق الساحلية المتفرعة منها كانت معتبرة من الجبهات الحربية. والنظام الذي وضع لهذه المصلحة ينص على ضرورة تأليف عصابات من المتطوعة لمساعدة الجيوش في كل منطقة قائمة في جبهة الحرب

ولكن عدم امتداد نفوذ انور باشا الى هذه المنطقة يرجع الى امرين:

الاول — رغبته في عدم المساس بنفوذ احمد جمال باشا الذي يرى بيروت قاعدة لحكمه

الثاني — لانه يرى ان في تأليف هذه العصابات في هذه المنطقة خطراً على السلام ومثيراً لكثير من الفتن بين المسلمين والمسيحيين

تدابير احمد جمال باشا

غير ان هذه التدابير التي عجز عنها انور باشا قام احمد جمال باشا بتحقيقها على طريقة اخرى. فهذا القائد وجد من المناسب ان يقيم حوله فئة قوية تؤيده في تحقيق المنهاج الواسع الذي يريد تنفيذه في البلاد

وعندما جاء الى بيروت كان معتزماً ان يقوم بحركة واسعة النطاق لالغاء امتيازات الجبل اللبناني وتتريك العناصر العربية

وكان يرغب في تنفيذ هذا المشروع على اثر فوزه في احتلال مصر

ولكنه بعد الخيبة التي مني بها في حملة قناة السويس الاولى وبعد الذي كشفه من مساعي عبد الكريم الخليل ورفاقه في جهات صيدا وجد من الضروري تأليف كتلة قوية من ابناء البلاد تقاوم حركات العناصر المعادية له وتؤيده في سياسته ولهذا جمع كتلة من هؤلاء يتكل على تأييدها ومساعدتها له

جماعة جمال في بيروت

وسرعان ما تألفت هذه الكتلة في بيروت وانضم اليها عدد كبير من شبان المدينة المعروفين وفي مقدمتهم السادة احمد آغا



اصدقاء احمد جمال باشا في بيروت

يبدو في هذا الرسم اصدقاء احمد جمال باشا. فالجالسان من اليمين الى اليسار هما السيدان مصطفى الشرقاوي ومحيي الدين عز الدين . وفي الوسط السيد محمود الشرقاي، والمرحوم الحاج خليل عبد العال ، والشيخ اسعد الشقيري ، والمرحوم احمد الشرقاوي ، والحاج علي الكيالي . والواقفون هم السادة : محمد ابو حسن الشامي ، الحاج بشير البنا ، وراشد رمضان شاتيلا

الشرقاوى واخواه محمود ومصطفى ، وعلي الكيالي ، وسعد الدين باشا شاتيلا واخوه محيي الدين باشا شاتيلا ، والحاج خليل عبد العال وبشير البنا واحمد عبد العال ، وراشد رمضان شاتيلا ومحيي الدين عز الدين وانيس النحاس وسليم اغا كريديه وولده محمد آغا وعبيدو الانكيدار ومحمد العيتاني وغيرهم من الاشخاص المعروفين في بيروت

وقد مثّل هؤلاء السادة في مساعدة احمد جمال باشا ادواراً مهمة روينا بعضها في اعداد سابقة من (الاسرار) فسعد الدين باشا شاتيلا واخوه محيي الدين باشا ساعدا جمال باشا وانور باشا في تهريب السلاح الحربي الى طرابلس الغرب

وساعد احمد آغا الشرقاوي ورفاق له المرحوم جعفر باشا العسكري والدكتور عزت الجندي على السفر الى طرابلس الغرب والمنطقة الادريسية

وكان للاخرين أياد عظيمة في تحقيق سياسة احمد جمال باشا ومساعدته فيها

وكان بعد ذلك ان منح احمد جمال باشا هؤلاء السادة وثائق تعفيهم من الخدمة العسكرية الاجبارية وتفسح لهم مجال البقاء في بيروت ليظلوا تحت تصرفه لتنفيذ الاوامر التي يعطيهم اياها

الدكتور عزت بك الجندى

اما مصير الدكتور عزت بك الجندي فلا يزال مجهولا الى يومنا هذا . فابناؤه الذين هم اليوم من وجهاء حمص يجهلون امره تماماً لان الاشاعات الرائجة عن ذلك متعددة حتى الى اليوم وهي تقول ان احمد جمال باشا قد استدعاه فعلا الى القدس بعد عودته من قناة السويس لايفاده بمهمة رسمية الى عسير لمحادثة السيد الادريسي ولكنه

لم يوفده فيها وانما اعتقله وسجنه في مكان خفي ثم قتله سراً

على ان هذا الخبر كان ولا يزال عبارة عن اشاعة لا تستند الى ادلة راهنة

وقد قمنا بتحقيق في بيروت واستانبول نفسها توصلا الى معرفة الحقيقة . فأكدت لنا المعلومات التي استقيناها من هذين المصدرين ان الدكتور عزت بك الجندي لم يمكث في بيروت بل ذهب حقيقة الى المنطقة الادريسية وهناك اختفت اثاره

حديث شاهد عيان

وقد قال السيد محمود الشرقاوي في حديثه لنا عن هذه القضية :

« دعاني اخي المرحوم احمد آغا الشرقاوي لأهيء مركباً شراعياً طلبه منه احمد جمال باشا ليقل احد رسله الى (جيزان) في المنطقة الادريسية ، وكنت اجهل هذا الرجل الذي سيجره عليه

«وقد تمكنت من الحصول على المركب المنشود وذهبت اليه واخي واحد رجال جمال باشا وهو ضابط تركي يدعى برهان بك فتفقدناه وبحارته وكانوا اربعة

«وفي منتصف الليل الثاني جاء اليه اربعة اشخاص هم الدكتور عزت بك الجندي والدكتور ناجي بك الاصيل ــ وكان اخيراً وزير الخارجية في العراق ــ والبنباشي نور الدين بك واليوزباشي احسان بك . وسافر ثلاثة من هؤلاء على المركب وعاد الرابع وهو الدكتور ناجي بك الاصيل الى اليابسة معنا

« وهذا كل ما اعرفه عن الحادث وكانت اخر مرة رأيت فيها الدكتور عزت بك الجندي في بيروت وقد شاهدته بأم عيني يسافر الى المنطقة الادريسية »

اين ذهب الدكتور الجندي

هذا ما رواه لنا احد رجال عصبة « جماعة جمال باشا » وهو وان كان لا يعرف تفصيلات اخرى عن مصير الدكتور عزت بك الجندي فلأن دوره كان في الدرجة الثانية من هذه القضية في حين ان الذي مثل الدور الاول فيها هو شقيقه المرحوم احمد آغا . فمن الصعب والحالة معرفة اكثر من ذلك في بيروت

اما البحارة الذين ذهبوا برفقة الدكتور فلم يعد احد منهم الى بيروت وهكذا اختفى الضابطان التركيان فماذا كان مصيرهما ؟

ان المعلومات الراهنة الموجودة لدينا تدل على انهم بعد ان اوصلوا الدكتور الجندي الى ساحل عسير عادوا ادراجهم جميعاً وقد كتب الينا جواد رفعت بك من استانبول جواباً على سؤال وجهناه اليه عن مصير عزت بك يقول :

« ليس لدي معلومات راهنة عن مصير الدكتور عزت بك الجندي . وكل الاشاعات التي نقلتموها الينا عن سجنه في دمشق ومقتله



الوطني المجاهد عزت بك الجندي

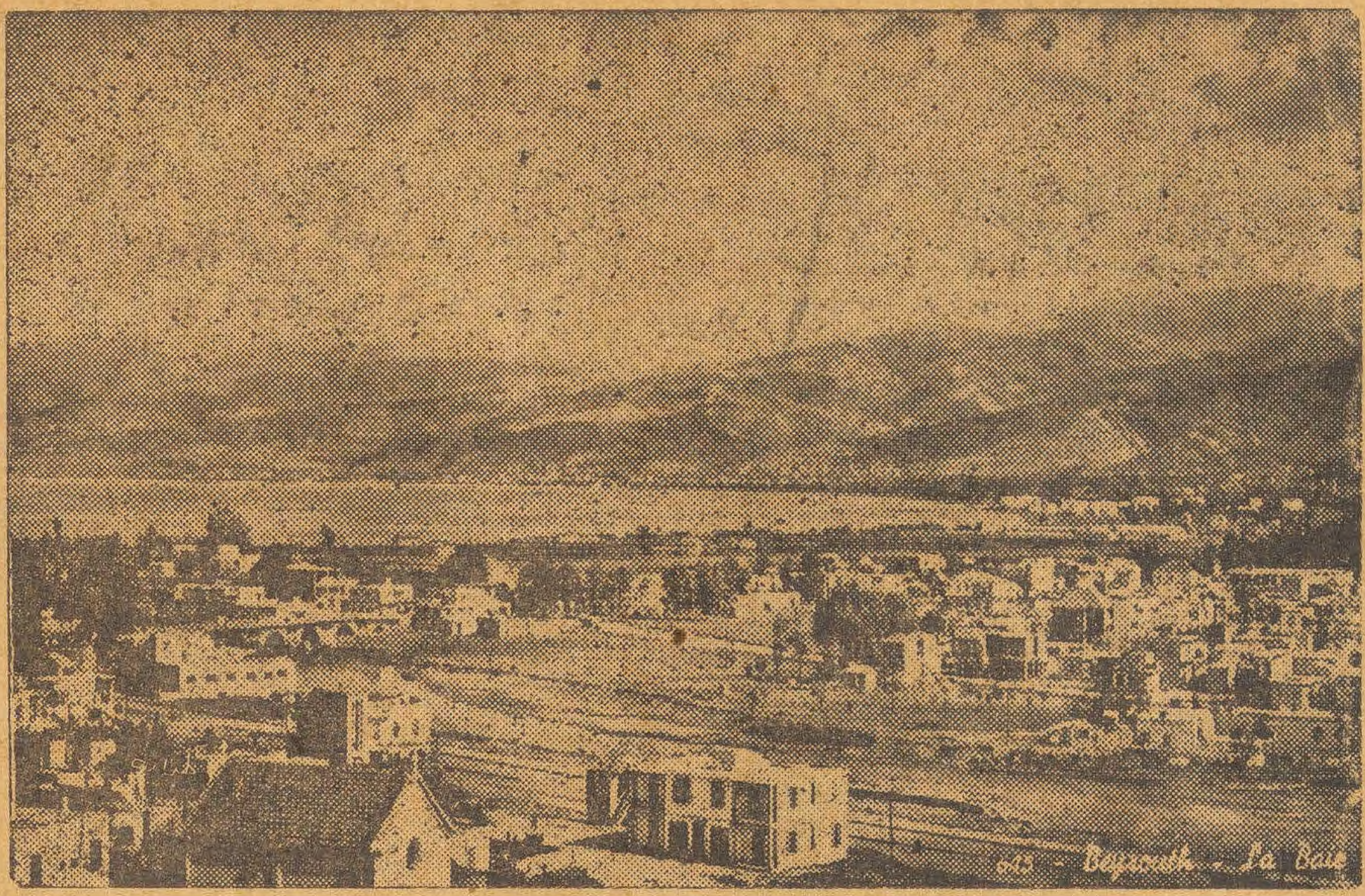
آخر رسم للوطني المجاهد عزت بك الجندي قبل ان تضيع آثاره . وقد اهداه الينا نجله مجاهد بك الجندي

هناك عارية عن الصحة تماماً

« وقد راجعت ، اجابة لطلبكم ، محمد جمال باشا ــ اي جمال باشا الصغير ــ وعلي فؤاد باشا لانهما هما الشخصان الوحيدان اللذان كانا على اطلاع على الامور فاجابني الاول انه لا يعلم عن مهمة الدكتور الجندي شيئاً الا انه نفى بشدة سجنه واعدامه سراً قائلا انه لم يعدم احد بمثل هذه الطريقة وانه اذا كان قد قتل ففي خارج منطقة الجيش الرابع ، واردف قائلا انه روجع خلال الحرب بأمر عزت بك واكد لمراجعيه انه لا يعرف شيئاً من مصيره

«اما علي فؤاد باشا فقد صرح ان عزت بك الجندي قد سافر حقيقة لمقابلة السيد الادريسي يرافقه اثنان من الضباط الاتراك وقد وصل عزت بك الى هدفه وقابل الادريسي ولكنه لم يوفق في مهمته هذه لان الادريسي كان قد اتفق والانكليز في اذار سنة ١٩١٥ اي قبل وصول ذلك الوفد الى عسير

«وان عزت بك كان قد ارسل رسالة واحدة عن مهمته هذه الى



مرفأ بيروت الذي ابحر منه عزت بك الجندي

يمثل هذا الرسم محلة الكرنتينا في بيروت ومنها ركب عزت بك الجندي البحر قاصداً المنطقة الادريسيه

احمد جمال باشا وهو بدوره عرضها عليه ، اي على علي فؤاد باشا ، وارسلت هذه الرسالة الى انور باشا وهي لا تزال الى يومنا هذا محفوظة في سجلات وزارة الحربية العثمانية وهذا يؤيد ان عزة بك قد سافر من البلاد ولم يعتقل فيها سجيناً

« اما ماذا كان مصيره بعدئذ ورفاقه فمجهول

« وهناك تقرير ، لدى قيادة الجيش الرابع ، يقول ان المركب الشراعي الذي اقل الدكتور الجندي ورفاقه كان عرضة لمهاجمة جماعة كان يديرهم «جان عسكر» الجاسوس الانكليزي الذي اخذ على عاتقه مهاجمة السفن العثمانية في البحر الاحمر وقد اسر ذاك المركب بمن فيه

«واي مصير كان لمن فيه ؟ وهل كان عزت بك ورفيقاه العثمانيان بينهم ؟

« هذان سؤالان لم يتمكن علي فؤاد باشا من ان يجيب عليهما بشيء

« اما انا فليس لدي معلومات راهنة اضيفها الى ما تقدم الا اعتقادي بان عزت بك الجندي اذا كان قتل لم يقتل في بلاده ، واذا وثقنا برواية علي فؤاد باشا امكن القول ان الرجل ذهب ضحية جان عسكر الجاسوس الانكليزي الذي اتعبنا كثيراً على سواحل البلاد العربية .

« ان جمال باشا قتل منذ ١٦ عاماً وبات امره بيد خالقه ولهذا لا يهمنا الدفاع عنه وهو في اعتقادي قد ارتكب كثيراً من الجنايات المخالفة للقانون

« غير ان الحقيقة الراهنة هي انه لم يقتل عزت بك الجندي وقد كان يثق به كما يثق بجعفر باشا العسكري

من قتل نخله المطران ؟

« يتهم البعض كذلك احمد جمال باشا بانه قتل نخله باشا المطران مع ان الحقيقة الراهنة ان الذي تعمد قتله هو والي سوريا — اي دمشق — لان بينهما عداوة سابقة والوثائق الموجودة لدينا تؤكد هذه الحقيقة وتؤيد ايضاً نقمة جمال باشا على الوالي وطلبه اقالته من منصبه لارتكابه هذه الجريمة

«هذا ما لدي من المعلومات اوردتها لكم جواباً على الاسئلة التي وجهتموها الينا ..»

هذا هو نص الكتاب الذي تلقيناه من جواد رفعت بك احد كبار موظفي مصلحة الاستخبارات في الجيش الرابع ، وكثيرون من ابناء هذه البلاد قد عرفوه خلال الحرب العالمية

وقد اردنا ان نثبت هذه الحقيقة لقراء «الاسرار» خدمة للتاريخ ووفاء بما وعدناهم به في جزء سابق من نقل الحقيقة وذلك عندما تحدثنا اليهم عن مهمة عزت بك الجندي

ان هذه المعلومات الراهنة تنقل حادث اختفاء المرحوم الجندي

لى زاوية جديدة وهي « مقتل عزت بك ورفاقه البحارة البيروتيين بيد جان عسكر »

ان ما لدينا من المعلومات الخاصة عن « جان عسكر » يدلنا بصراحة تامة على ان هذا الرجل اهل لارتكاب اعظم الجرائم وافظعها. فقد اكد لنا الذين اتصلوا به انه اقدم خلال الحرب العالمية على أسر عدد كبير من المراكب والزوارق وقتل من اسرهم من رجالها

وحقيقة هذا الرجل معروفة لدى مصلحة الاستخبارات الانكليزية التي لا بد لها ان تعرف أكان عزت بك ورفاقه من ضحاياه ام لا. وقد كتبنا الى من كانوا على اتصال به من مصريين لعل بينهم من يعرف الحقيقة فيجلو غوامض مصير شهيدنا العزيز الذي نقدر مع البلاد العربية فضله واخلاصه لقضية بلاده

من هو جان عسكر ؟

وجان عسكر جاسوس خطير كان قبل الحرب العالمية يشتغل في العاديات الأثرية ويعتبر نفسه من علماء الاثار ويتصل بالسياح الذين يرتادون مصر

وظل هذا امره الى ان استدعاه اللورد كيتشنر وكان يومئذ في القيادة بمصر وطلب منه ان يرتب له مجموعة أثرية كان يملكها. ووقعت يومئذ لجان حوادث حببت اللورد كيتشنر به فقربه اليه ثم ادخله بالاعتماد على المستر ستورس في مصلحة الاستخبارات الانكليزية

وفي الحرب العالمية ارتكب جان عسكر كثيراً من الفظائع .

الاستاذ فيليب نخله يحدثنا عنه

والاستاذ فيليب نخله المحامي الذي امضى شطراً كبيراً من عمره في القطر المصري تعرف الى جان عسكر قبل ان يصير هذا جاسوساً وارتبطا بصداقة متينة وقد . حدثنا الشيء الكثير عن هذا الرجل وفظاعته ومما قاله :

« اجتمعت عند ابرام الهدنة العالمية مراراً بجان عسكر هذا وكان يحدثني دائماً عن الاعمال التي قام بها في منطقة جزيرة العرب وكانت مهمته في سنتي الحرب الاولين منحصرة في البحر الاحمر فكان يجوب على احدى السفن التي وضعت تحت تصرفه سواحل اليمن وعسير وغيرها من البلاد العربية

« وقد روى لي انه اسر في احد الايام سفينة صغيرة كانت تهرب سلاحاً للعثمانيين ولما ادلهم الظلام قتل الاسرى بالرصاص واغرق بهم السفينة فابتلعتها اللجة

« ولما اتصلت هذه الحادثة بالقيادة الانكليزية كفت يده عن العمل وجاءت به الى مصر ووبخته وارادت مجازاته غير انها شعرت بحاجتها اليه في تلك المنطقة العربية فاخلت سبيله واعادته الى عمله

« وهذه الجريمة واحدة من عشرات الجرائم التي ارتكبها جان عسكر في تلك الجهات وهي في اعتقادي من افظع الجرائم التي وقعت في تلك الجهات ايام الحرب العالمية »



جان عسكر في البحر الاحمر

رسم تاريخي نادر لجان عسكر اخذ له وهو على متن احدى السفن الشراعية الانكليزية يطارد العثمانيين في البحر الاحمر . وقد اهدى الرسم الينا صديقنا المحامي الاستاذ فيليب نخله

هل كان الجندي ضحية

تدلنا هذه الرواية التي سردها لنا الاستاذ فيليب نخله المحامي في بيروت دلالة صريحة على ان جان عسكر تعود ارتكاب مثل هذه الجرائم .

وافادة الاستاذ نخله هذه تنطبق ايضاً على المعلومات التي اوردها لنا جواد رفعت بك نقلا عن علي فواد باشا . فهل يكون الدكتور عزت بك الجندي ضحيته ؟

ان الاشخاص الذين كاتبناهم في مصر ورافقوا جان عسكر في حوادثه هذه هم لا شك يعرفون الاشخاص الذين فتك بهم

وانهم ان كانوا يجهلون الاشخاص العاديين لا يجهلون ولا شك

الاشخاص البارزين امثال عزت بك ويعرفون ولا ريب أكان منهم ام لا

قد يتبادر الى اذهان القراء ان احداً من هؤلاء لن يجيب على اسئلتنا ولو كان يعرف الحقيقة

غير اننا على ثقة من ان الذين يعرفونها سيجيبوننا لامرين:

الاول — ان جان عسكر مات قتلا في بيروت

والثاني — ليس لمصلحة الاستخبارات الانكليزية علاقة بالجرائم التي ارتكبها الرجل في تلك الايام العصيبة

جان عسكر في بيروت

وقد عرفنا جان عسكر في دمشق لدى دخول القوات الانكليزية الى العاصمة السورية وكان من اكبر مساعدي الكولونيل لورنس الذين يعتمد على اخلاصهم

ثم عرفناه في بيروت وكان فيها ملفتاً للانظار، فهو رجل نحيف البنية جداً يركب دائماً هجيناً ويسير به مسرعاً في شوارع بيروت متنقلا من جهة لاخرى. وقد مثل هذا الرجل في بيروت ادواراً هامة بعد الحرب لا مجال لذكرها هنا ونحن نبحث حوادث الحرب العالمية ولكن من المؤكد ان الرجل كان يجمع في منزله انصار الحكومة الانكليزية ومريديها يوم كانت السياسة والجاسوسية تمثلان ادواراً خطيرة في تعيين مصيرنا

وفجأة اختفى جان عسكر من سفر الوجود وانطلقت السلطات تتحرى أثره دون جدوى

والبيروتيون الذين كان يروقهم منظره الغريب ظلوا مدة من الزمن اكثر الجميع شوقاً لمعرفة مصيره ثم تناسوه

مقتل جان عسكر

ولكن بعد مرور سنة على اختفائه قام صاحب المنزل الذي كان يقطنه جان عسكر في محلة الاشرفية بحفريات ادت الى ظهور هيكل بشري وجد بجانبه سواراً من الاسورة التي تعوّد جنود الاحتلال لبسها في معاصمهم ايدت ان صاحب الجثة هو جان عسكر. وقد عثر في هذه الحفرة كذلك على اثار اخرى زادت في تأييد هذه الحقيقة، ولكن القتلة الجثة ظلوا مجهولين كما ظلت الجنايات التي ارتكبها هو مجهولة

ولم يكن «جماعة انصار جمال باشا» منحصرة في الفئة التي اوردناها من الشبان المسلمين فقط بل تعدتها أيضاً الى فئة من الشبان المسيحيين

فاحمد جمال باشا عمد يوم جاء الى بيروت لمطاردة جماعة «القبضايات» الذين كانوا يقلقون الامن العام. فاعلن العفو عن المخالفات التي ارتكبها هولاء في بيروت وجبل لبنان واستخدم الذين دخلوا في طاعته بين صفوف «جماعة جمال» وخصص بفئة من الجنود مقاومة المعارضة بالقوة وعهد الى انصاره بمقاومة اعمالهم بشدة متناهية وبموافاته باخبار ما يقع في منطقتهم وبذلك كانت له فئة لا يستهان بها من الشبان المسلمين والمسيحيين تعمل على تأييده ومساعدته

جماعة جمال يخدمون جمال

وليس في امكاننا ان ننكر ونحن نسجل الحقائق التاريخية الراهنة ان هذه الفئة من الشبان قامت نحو احمد جمال باشا بخدمات جلى. فاحدهم السيد انيس النحاس هو الذي ارشد الى وثائق القنصلية الفرنسية التي اخفاها السيد جورج بيكو قنصل فرنسا العام في بيروت عندما غادرها

والسيد انيس النحاس اوفدته القيادة العثمانية لابلاغ السيد فيليب زلزل ترجمان القنصلية الفرنسية كيفية دعوة اخوانه تراجمة القناصل الى ضرورة مقابلة مدير الشرطة لان القانون الذي اصدرته الحكومة يومئذ اوجب ابعاد هؤلاء التراجمة الى الاناضول وقدرأت الحكومة في بقائهم في المناطق الساحلية خطراً عليها يهدد سلامتها

ولما رأى السيد فيليب هذه الدعوة خاف العاقبة وفاتح السيد انيس بمخاوفه هذه قائلا له ان لديه من المعلومات الخطيرة ما يساعده على النجاة وطلب من السيد انيس مساعدته

صلاحية جماعة جمال

وكان انصار جمال باشا يملكون صلاحية واسعة. فكان في قدرتهم مطالعة احمد جمال باشا رأساً بالامور التي يريدون عرضها عليه. فاطلع السيد انيس النحاس، وهو من شباب بيروت المعروفين اليوم، احمد جمال باشا على الامر واعلمه ان لدى فيليب زلزل معلومات خطيرة قد تتعلق باسرار القنصلية الفرنسية وانه يريد عرضها عليه واسترحم منه تأجيل سفره الى الاناضول توصلا الى معرفة تلك الاسرار.

فوافق جمال باشا على هذا الطلب واستقدم اليه السيد زلزل فاطلعه على كل ما كان لديه من معلومات وارشده الى مكان الوثائق التي اخفاها القنصل الفرنسي قبل فراره

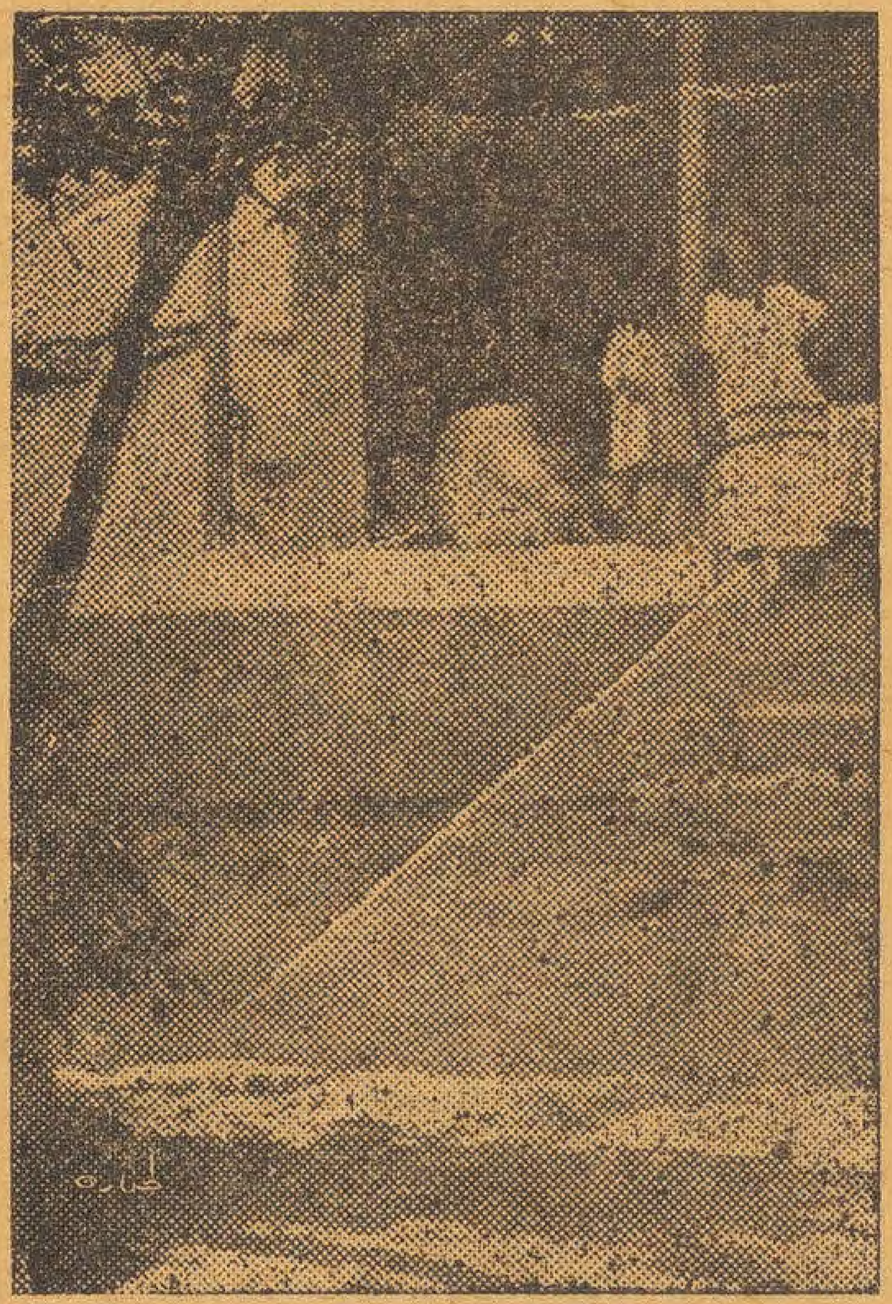
العثور على الوثائق

وتوجه السيد فيليب زلزل مخفورا بالسيد انيس النحاس الى دار

القنصلية الفرنسية الكائنة في خان انطون بك

وهناك استدعى ترجماني قنصلية اميركا وهولندا ليكونا شاهدين على هذه التحريات التي تولاها مدير الشرطة

واجريت حفريات في هذا المكان ظهرت بها الوثائق الخطيرة التي سلمها احمد جمال باشا الى ديوان الحرب العرفي وكانت سبباً في اعدام عدد كبير من خيرة شباب العرب. وسيطلع القراء على بيان ذلك



زوجة عيد نعمه واطفالها

يمثل هذا الرسم زوجة عيد نعمه واطفالها الصغار يوم فرارها من بيروت

في عدد آخر من « الاسرار » عندما يحين تاريخ سر هذه الحوادث

وهكذا يرى قراء « الاسرار » ان هذه الفئة التي اطلق عليها اسم « جماعة جمال » خدمة جمال باشا خدمات عظيمة

عيد نعمه في الميدان

ولكن رغم كل هذه الاعمال ورغم وفرة انصار جمال وجنوده ورجال شرطته فأن عيد نعمه ظل يهزأ باحمد جمال باشا مواصلا اعماله الخطيرة

فقد جاءت شمس نعمه يوم كشفت اوراق القنصلية الى شاطىء الكرنتينا تعلن شقيقها عيد ما حصل

فخاف عيد عاقبة ذلك لانه كان يعلم ان العثور على مثل هذه الوثائق سيؤدي حتماً الى امور شديدة الخطورة . فاسرع الى القائد جوزف بيكار — قائد المدرعة لابوريو — يعلمه ما وقع ، فطلب منه القائد ان يدبر طريقة يخطف بها فيليب زلزل ويأتي به اليه

وقد اعتقد القائد جوزف بيكار ان فيليب زلزل لم يقدم على ذلك الا تحت الضغط الشديد وانه لم يبح الا بمخبأ جزء من الوثائق لاقيمة خطيرة له ، لذلك اراد ان يخطفه ويأتي به الى المدرعة ليمنع وقوع ما لديه من الوثائق المهمة بيد السلطة العثمانية . وقد لبى عيد نعمه الطلب غير انه عندما اجتمع بشقيقته في المرة الثانية علم منها الحقيقة المؤلمة وهي ان فيليب زلزل اعترف بكل شيء دون ادنى ضغط وانه ارشد العثمانيين الى الوثائق السرية التي اراد القنصل الفرنسي العام اخفاءها . وان هذا الرجل اي فيليب زلزل موجود الان تحت حراسة الامن العام وليس الوصول اليه ممكناً

وكان عيد شديد النقمة على فيليب زلزل يريد الوصول اليه باية صورة كانت ولكنه كان عاجزاً عن ذلك

حادث خطير

وقد ادى هذا الامر الى تحويل مهمة عيد الى ناحية اخرى هي :

بلغ عيداً ، وهو يجوس جهات بيروت وراء فيليب زلزل ، ان هناك جماعة من الشبان عرضة لخطر الموت ، لان ديوان الحرب العرفي في عاليه حكم عليهم بالاعدام لفرارهم من الخدمة العسكرية وعرف ايضاً ان الجند يتأثرون خطاهم لاعتقالهم واعدامهم الحياة

واحكام الاعدام ، في مثل هذه الحالات كانت كثيرة ، واحمد جمال باشا كان لا يتأخر عن الموافقة عليها لاعتقاده ان قتل الفرد في سبيل فائدة المجموع خير من ترك الامور على حالة يصعب عليه معها متابعة سياسته في ادارة القوات العسكرية

موقف عيد نعمه

واراد عيد نعمه انقاذ هؤلاء الشبان وهم : السادة ميشال ومارون ويوسف اولاد اسعد صليبا وميلاد ومارون البوري وطانيوس الجاويش وبشاره الجاويش

فطاف عليهم يدعوهم الى الشخوص الى مغارة التنين القائمة على شاطىء البحر وهي من مغاور بيروت الخطرة لان المعروف عنها انها تمتد الى مغارة سيدة البزاز

فاجتمع هؤلاء الشبان في تلك الجهة في الوقت الذي عينه لهم وتمكن من انقاذهم من الموت وحملهم الى الدارعة « لابوريو » وتسليمهم الى القومندان جوزيف بيكار الذي حملهم بالدارعة الى جزيرة ارواد وسلمهم الى حاكمها القومندان ترابو اول حاكم للبنان بعد اعلان الانتداب

عهد الجاسوسية في البلاد العربية

فتاة تركية ترصد في القدس حركات الجاسوس «ماير» الالماني
جاسوسة انكليزية تعشق ماير وتشاطره مهمته

الثعلب يعبث بكل مطاردة

تناول المؤلفون الاجانب بالبحث كثيراً من المخاطرات التي قامت بها فتياتهم وقد سجلت اهم هذه الاعمال بتخليد ذكرى بطلاتها بالتماثيل وعلى الشاشة البيضاء — السينما — وفي بلادنا العربية كثيرات من الفتيات اللواتي قمن باعمال لا تقل خطورة عن الاعمال التي قامت بها النساء الغربيات ولكن عدم وجود من يهتم بتسجيل حوادثها كان من الاسباب الرئيسية في عدم معرفتهن الى الان.

وهذا لا يدل على ان عددهن قليل ، فان في البلاد العربية كثيرات قد مثلن ادواراً خطيرة. وشمس نعمه ، شقيقة عيد نعمه من اهالي دير القمر ، مثلت كما طالع القراء وكما سيطالعون ايضاً في اجزاء الاسرار المقبلة ادواراً خطيرة في تاريخ الجاسوسية في السلطنة العثمانية

الجاسوسة الحسناء

ولكن التي مثلت اعظم دور في تاريخ الجاسوسية في الشهور الاولى التي مرت على دخول تركيا الحرب العالمية كانت حسناء فلسطينية رأى عدنان بك رئيس مصلحة مقاومة الجواسيس في فلسطين استخدامها في مقاومة الجواسيس في فلسطين خصوصا في مقاومة الجاسوس ماير الذي تحدثنا عن اعماله في الجزء الثامن عشر من «الاسرار»

من هي الجاسوسة الحسناء

اتخذ السلطان عبد الحميد ، في عهد استبداده وطغيانه ، مدينة عكا مقراً لابعاد بعض الاشخاص الذين اعتقد ان في بقائهم في عاصمة ملكه خطراً عليه. وبين هؤلاء الذين نقم عليهم وابعدهم الى عكا سنة ١٨٩٠ السيد عثمان حامد وقد كان من موظفي قصر يلدز ومن اقارب



نهال وشقيقها في القدس

يمثل هذا الرسم نهال وشقيقها جواد حامد وقد اخذلها سنة ١٩١٤

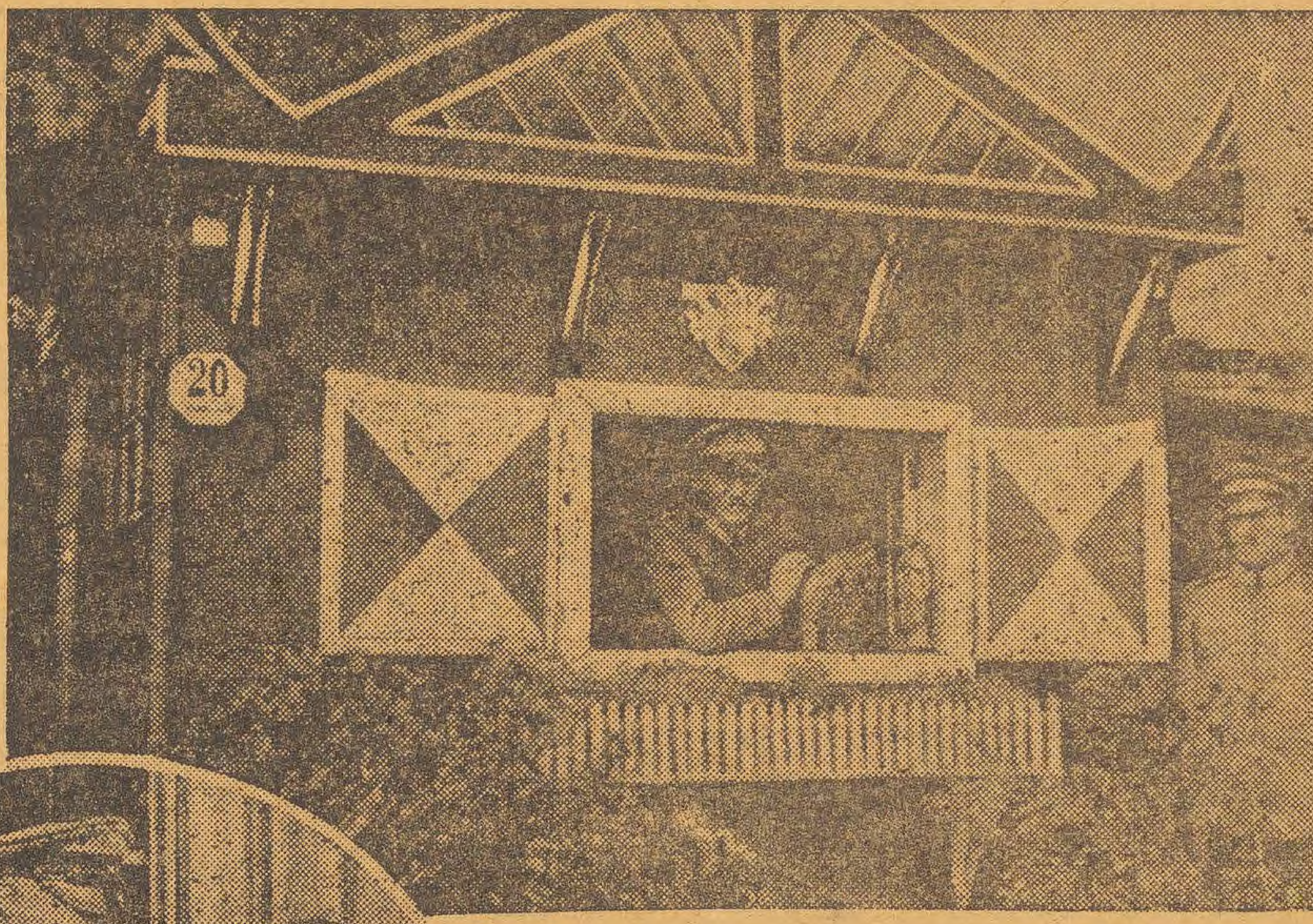
المقربين الى عزت باشا العابد.

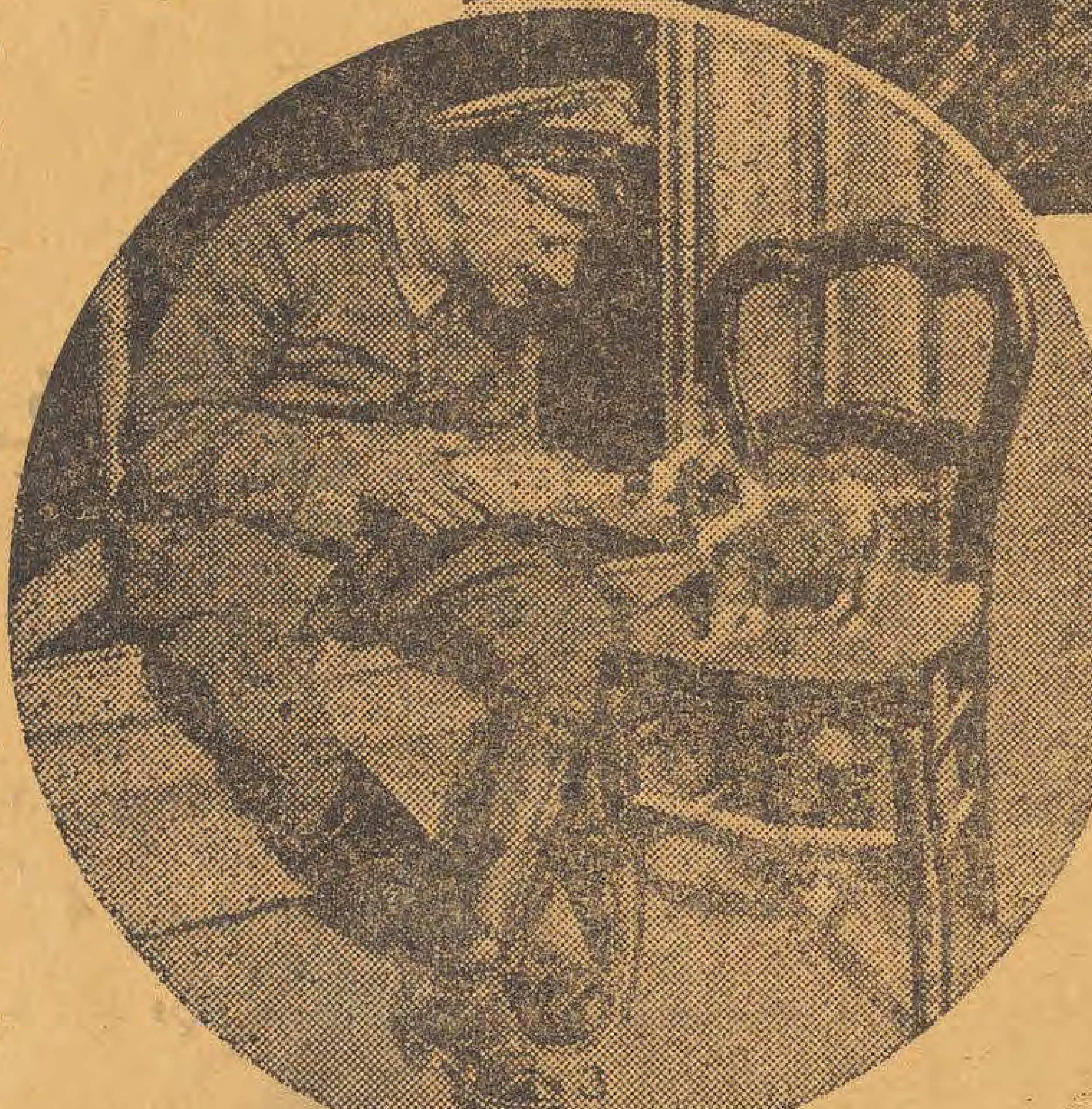
ولكن السيد عثمان وكان يومئذ في ريعان الشباب احب احدى «السريات» في القصر وعلم السلطان بذلك فغضب عليه غضباً شديداً وابعده الى عكا

ومع ان من عادة السلطان عبد الحميد في مثل هذه الحالات

ان يزوج من يغضب عليه بمن يحب ويبعده معها فلم يفعل ذلك في هذه المرة بل ابعد عاشق الفتاة وحده .

وفي سنة ١٨٩٥ تزوج السيد عثمان حامد سيدة فلسطينية تنتسب الى عائلة عربية عريقة في الحسب والنسب ورزق منها في السنة الاولى





ماير في الجبهة الحربية

ليس لدينا رسم خاص لماير غير هذا الرسم الذي اضطررنا بمناسبة حوادث الرجل العجيبة الى اعادة نشره وقد ظهر « ماير » في الزاوية السفلى من الرسم ضمن اطار

من زواجه ابنه السيد جواد حامد، وهو اليوم من كبار موظفي الخارجية في انقره، ثم رزق فتاته الثانية سنة ١٨٩٨ وسماها نهال

وقد انصرف السيد عثمان الى تربية ولديه تربية عالية. فاوفدهما سنة ١٩٠٦ الى استانبول وتعلما فيها وكانا على طفولتهما من اشد المتحمسين لابطال الحرية لعلمهما انهم ساعدوا على هدم سيادة عبد الحميد الذي كان سبب نفي والدهما

وظلا في استانبول الى سنة ١٩١٤ ثم عادت نهال الى القدس وقد انتقل والداها اليها وعاشا معا في منزل قائم في وسط مدينة القدس القديمة

والانسة نهال ، وقد بلغت في بدء عام ١٩١٥ الثامنة عشرة من عمرها ، استخدمت في مصلحة الاستخبارات العثمانية كمترجمة للغة الانكليزية التي كانت قد تعلمتها في معهد «روبير كوليج» في استانبول واحسنتها .

وكانت اول انسة استخدمت في وظيفة عسكرية ، وقد عهد اليها بها لانها تستلزم دقة وامانة. فاظهرت نهال ووالدها وشقيقها تعلقاً شديداً بالاتحاديين منذ اعلان الحرية واندفاعاً مخلصاً في خدمتهم

وكانت الانسة نهال تؤدي خدمتها هذه بهدوء دون ان تتدخل في شؤون الاستخبارات

كيف اشتركت بالجاسوسية ؟

غير انها سيقت الى خدمة الجاسوسية مرغمة، ففي شهر شباط سنة ١٩١٥ حضرت حفلة القنصلية الاميركية في القدس وكانت لها صلة صداقة بزوجة القنصل لمعرفتها اللغة الانكليزية . فتعرفت في هذه الحفلة بالانسة روبيكا هولشتاي وهي فتاة يهودية بولونية الاصل جاءت مع جماعة هرتزل الى فلسطين لتكون نواة الوطن القومي الصهيوني الذي سعى اليهود لتأسيسه في البلاد العربية

وتوطدت الصداقة بين الفتاتين ، لان روبيكا احاطتها بعنايتها واكثرت من زيارتها

وكانت نهال تعتقد ان هذه الصداقة بريئة الى ان اخذت روبيكا تحادثها في شؤون وظيفتها كموظفة في دائرة الاستخبارات العثمانية

أتكون روبيكا جاسوسة؟

وخافت نهال هذه الفتاة اليهودية واعلنت مخاوفها رئيسها فامرها بضرورة الاتصال بها لمعرفة حقيقتها . فنفرت من هذه المهمة قائلة :

ــ يمكنني العمل في هذا القلم باخلاص وتضحية ولكن ليس في وسعي ان اكون جاسوسة اتتبع الناس !

ــ ولكن وطنيتك توجب عليك ذلك ، فنحن في نطاق محاط بالاعداء ، والمخاطر تتهددنا من كل جهة ، وانا نفسي لا اتأخر عن ان اقوم بمثل هذه المهمة اذا ما اوجبت الضرورة علي ذلك !

فرضيت الانسة نهال بالمهمة ووثقت اتصالها بروبيكا. ولما وقعت حادثة فرار « ماير » جاءت الى زيارة روبيكا فوجدت عندها شخصا لا تعرفه قدمته روبيكا اليها بصفته شقيقها وقد جاء من المانيا

وكانت نهال تعرف ان روبيكا بولونية الاصل فداخلتها الريبة ولم تكن ريبتها لاعتقادها بان هذا الرجل جاسوس وانما لاعتقادها بانه عشيق روبيكا وهي لا تريد الاتصال بفتاة ذات عشيق ولهذا لم تمكث عندها طويلا وانما تركتها وانصرفت

وفي اليوم الثاني عندما جاءت الى دائرتها وسألها رئيسها عما لديها من معلومات رجت منه ان يعفيها من الخدمة المذكورة وبينت له السبب .

الا ان القائد لم ير في عمل روبيكا ما تؤاخذ عليه ولهذا سأل الانسة نهال قائلا لها :

ماير هو الاخ الوهمي

ــ ولكن روبيكا ألم تفاتحك بامر شقيقها من قبل ؟

ــ كلا !

ــ وما هي اوصافه ؟

ولما ذكرت له الانسة نهال اوصاف الرجل اخرج من درج مكتبه رسماً وعرضه عليها فلما رأته قالت دون تردد : هذا هو !

ــ وهل انت متأكدة من ذلك ؟

ــ كل التأكيد ، وهذا الجرح البادي في اعلى حاجبه الايسر اكبر دليل على ذلك

ــ هذا اخطر جاسوس نطارده في المدة الاخيرة

قال ذلك وبسط لها اعمال ماير التي سردناها للقراء في الجزء الثامن عشر من « الاسرار » ثم قال :

ــ ان عدنان بك يقوم الان بمطاردته في الجهة القريبة من الجبهة وانا اخشى اذا ما عمدنا الى مفاجأته في منزل روبيكا ان يفلت منا. وهذا الحادث يدلنا على ان الشخص ذو اتصال ببعض الجماعات اليهودية فينبغي لك ان تراقبيه وروبيكا لمعرفة الحقيقة وسابرق الان الى عدنان بك واعلمه الامر ليأتي الى القدس مسرعاً !



عدنان بك

رئيس مصلحة مقاومة الجواسيس في فلسطين الذي لقي مشقات عظيمة في مطاردة ماير ورفاقه الجواسيس الاجانب

بين روبيكا ونهال

وشعرت روبيكا بنفور نهال وذهابها غاضبة وكان يهمها ان تظل على صداقتها لها. ولهذا ذهبت اليها في اليوم الثاني وسألتها عن السبب فتظاهرت بالسذاجة وقالت :

ــ تقولين انك بولونية واري اخاك المانياً وقد رابني هذا الامر لاني فتاة لا اريد ان اعاشر فتاة في موقع الشك والشبهة !

ــ انك على خطأ فان من شاهدته هو شقيقي وهو من ضباط مصلحة الاستخبارات الالمانية وقد جاء الى القدس بمهمة سرية لمطاردة بعض جواسيس الانكليز

ــ لماذا لم يذهب الينا؟

ــ لانه منتدب من لدن الاركان حربية الالمانية العمومية رأساً ويخشى اذا اعلم السلطات التركية بالامور ان يقوموا باعمال صبيانية تفقده كل امل في الوصول الى هدفه ومع هذا فلديه الاوامر اللازمة للاستعانة بالعثمانيين عندما يتم له الامر ليسلمهم الجواسيس !

ــ ولماذا اعلمتني هذه الامور وهي مما يجب ان تبقى سرية؟

ــ لابدد شكوكك بي من جهة ولانني بحاجة اليك من جهة ثانية .

ــ بحاجة الي ؟

ــ نعم، فانت موظفة في دائرة الاستخبارات العثمانية وفي امكانك مساعدة اخي بمهمته !

ــ ولكن هذه خيانة !

ــ كلا لانك لا تخدمين الاعداء وانما تخدمين ضابطاً هو في خدمة دولة صديقة للسلطنة العثمانية

ـــ ولكن ...

ـــ انا عالمة ان هذا يكلفك بعض المتاعب ولهذا سلمني اخي خمسة الاف مارك لادفعها اليك مقدماً وابلغك انه سينقدك مثل هذا المبلغ كل شهر علاوة على « الاكراميات » التي سيمنحك اياها صاحب الجلالة الامبراطور!

وهنا تظاهرت نهال بان المبلغ كاد يميلها الى العمل بجانب روبيكا ثم قالت : وماهي المهمة التي تطلب مني ؟

ـــ اخي سيعلمك اياها!

ـــ متى ؟

ـــ اذاً قبلت؟...

ـــ نعم

ـــ غداً عند ما تأتين الى منزلي شرط ان لا تطلعي احداً على هذا الامر!

وقد وعدتها الانسة نهال بان يظل هذا الامر سراً بينهما . وامضت هناك مدة من الزمن تبادلتا في خلاله احاديث مختلفة ثم ودعتها وانصرفت

بين نهال وعدنان

ولما ذهبت نهال في الصباح الى الدائرة وجدت عدنان بك ورئيسها بانتظارها فابلغتهما ما وقع لها فقال عدنان :

ـــ هل انت متأكدة من انه سيكون في منزل روبيكا؟

ـــ هذا ما اكدته لي

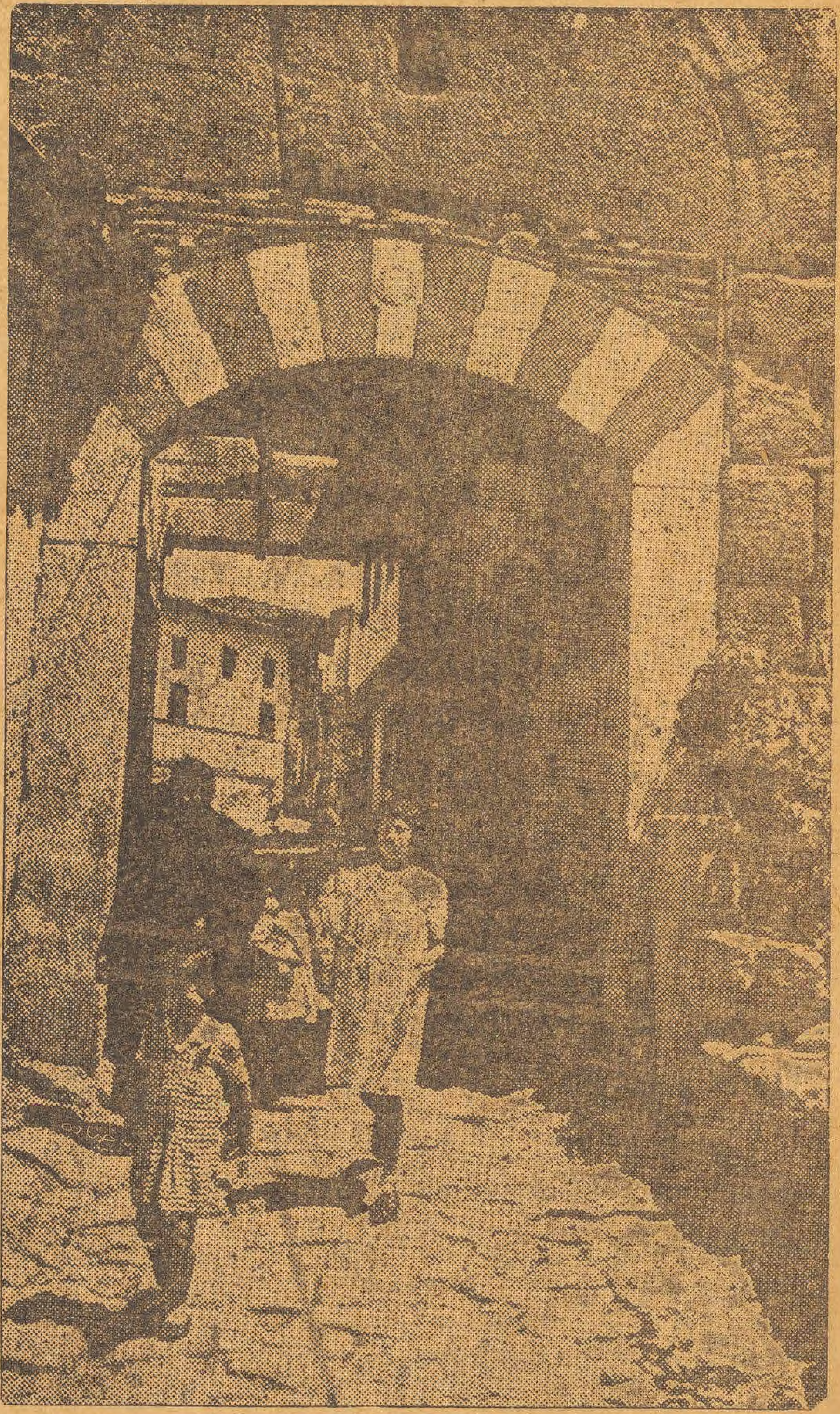
ـــ اذاً علينا ان ندهمه ونعتقله !

الرئيس ـــ كلا ، ان الرجل يقطن في محلة « المسكوبية » وهي محلة يهودية لا بد ان يشعر احد سكانها بامر ناوينبه فيفر . ومع هذا فما دامت الانسة نهال حامد سوف تجتمع به ففي وسعنا اعتقاله ساعة نشاء. واوى من الواجب والحالة هذه ان نظل على اتصال به لمعرفة سائر رفاقه الجواسيس فنضرب الجميع ضربة شديدة !

وتم الاتفاق على ان تذهب نهال في المساء في الموعد المضروب لها وترى ما تكون النتيجة

بين نهال وروبيكا وماير

ولما اجتمع ماير بالانسة نهال ابرز لها اوراقاً حاول ان يثبت بها انتسابه الى دائرة الاستخبارات الالمانية. وكانت هذه الاوراق مزورة، ولكن الفتاة تظاهرت بتصديقها. ومما زاد نهال استغرابا انه كان يحمل حقيقة جواز سفر من



مقر اجتماع ماير وجواسيسه

هذا رسم تاريخي اخذته مصلحة الاستخبارات العثمانية لمقر اجتماع ماير بروبيكا . وهو يمثل احدى « بوابات » القدس » والمنزل الذي « تعقد فيه مجالس الجواسيس »

الاركان الحربية الالمانية يثبت انه يدعى روبير ويلهلم هولشتاي

وبينما كانت الانسة نهال تستمع الى هذه المعلومات وهي مستغربة اعمال هذا الجاسوس الذي يقلب اسماءه كما يريد ويملك الوثائق التي تؤيد ادعاءه اقترب «ماير» منها وخاطبها قائلا:

— كان في امكاني مراجعة الدائرة فوراً الا ان الاوامر الموجودة لدي توجب علي ان اعمل منفرداً وان استعين بكل وسيلة تمكنني من تحقيق غايتي هذه ولهذا رأيت الاستعانة بك وابلغت الامر الى القيادة العليا في برلين فوافقت عليه!

— وانا على استعداد للقيام بما تريده مني!

ماذا يطلب ماير؟

— ان الذي اطلبه منكم هو تزويدي بلائحة الجواسيس الانكليز الذين تطاردهم دائرتكم

— ولكن هذا ليس من خصائصي

— اعلم ذلك ولكن ثقة الرؤساء بك تجعلك غير عاجزة عن الحصول على هذه اللائحة

— ساجتهد بالحصول عليها

— ليس هنا مجال للفظة اجتهاد وانما علينا ان نحصل على هذه اللائحة

— ولكن...

— لا ارى محلا للاعتراض ما دمنا قد اتفقنا على العمل

— حسن وبعد ذلك؟

— ارغب في الاطلاع على التقارير التي ترد عليكم عن اعمال مكافحة جواسيس الانكليز

— هذا امر مريب منكم

— ليس في ذلك ما يريب ما دامت مهمتي تنحصر في مطاردة الجواسيس الانكليز

— سأسعى . ولكن الى اين تريد ان ارسل لك هذه التقارير؟

— في امكانك تسليمها الى روبيكا!

— وانت؟

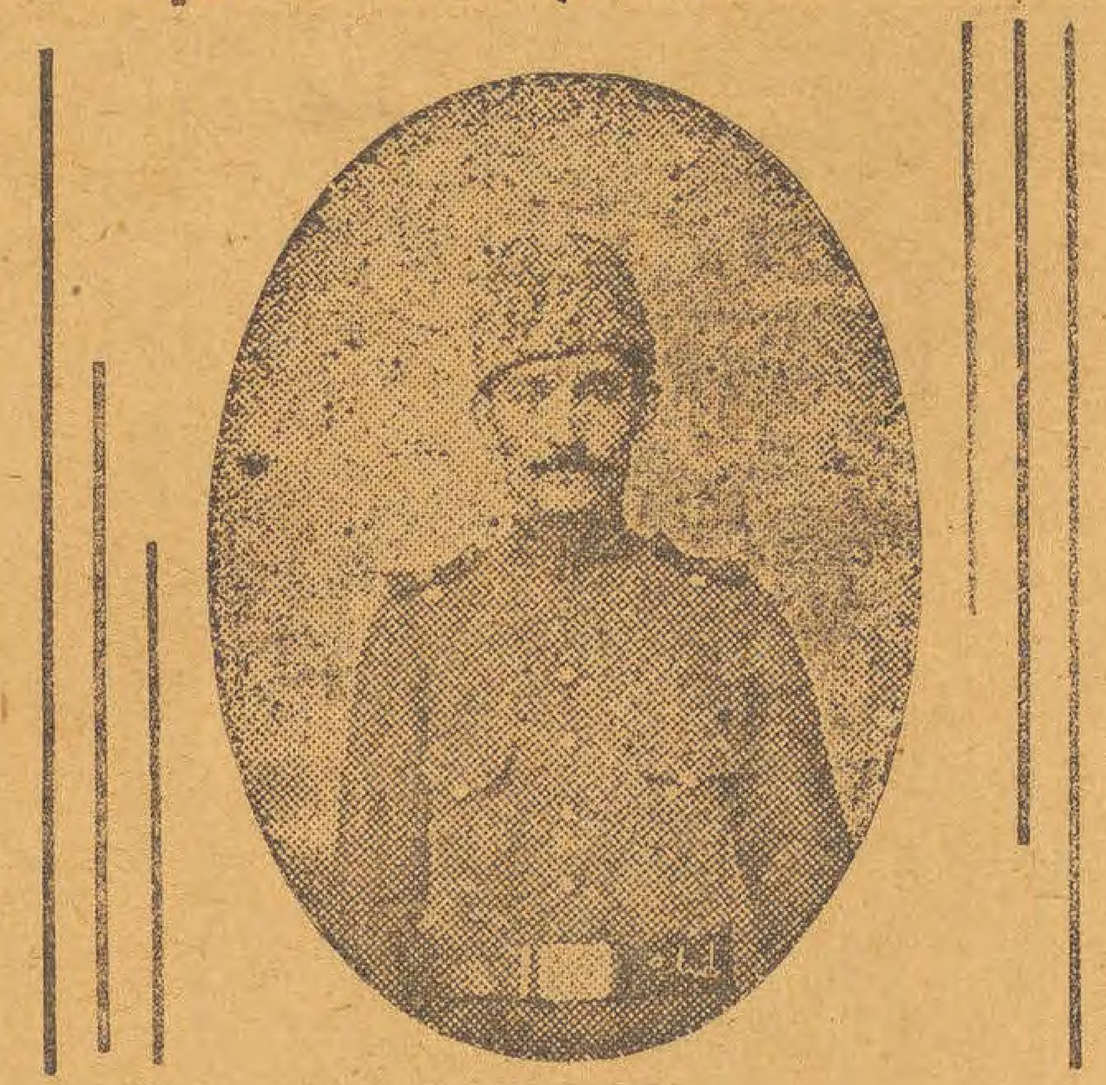
— ربما لن تريني بعد الان، ومع هذا ففي امكانك ان تثقي بروبيكا لانني اعتمد عليها بكل شيء، واذا وجدت ضرورة للاتصال بك طالعتك الامر!

مصادمة دموية

خرجت الانسة نهال من منزل روبيكا وهي لا تعلم ان هناك من يترصد حركاتها

فالقائد عدنان بك رئيس مصلحة مقاومة الجاسوسية رأى ضرورة اللحاق بها لكي لا تكون عرضة لمخاطر جديدة مع هذا الجاسوس الخطر

وقد ارفق به خمسة من رجال الشرطة السريين



شهيد الجاسوسية في فلسطين

رسم المرحوم حسين مصطفى المقدسي احد رجال الشرطة الذي قتل في اصطدامه بالجاسوس ماير .
ويؤسفنا ان لا نتمكن من اخذ رسم رفيقه، غير اننا حصلنا على رسم ضريحه المنشور في غير مكان من «الاسرار»

وما كاد يراها تخرج من المنزل حتى هاجمها برجاله متظاهراً بانه يريد اعتقالها ليبعد شبهة «ماير» ولئلا يحمل الرجل على الاعتقاد بانها على اتفاق والجواسيس العثمانيين . ثم هاجم المنزل وامر من فيه ان يفتحوا له الباب وقد فعل ذلك بعد ان رأى ماير يطل عليه من النافذة ويشاهده وهو يعتقل الفتاة

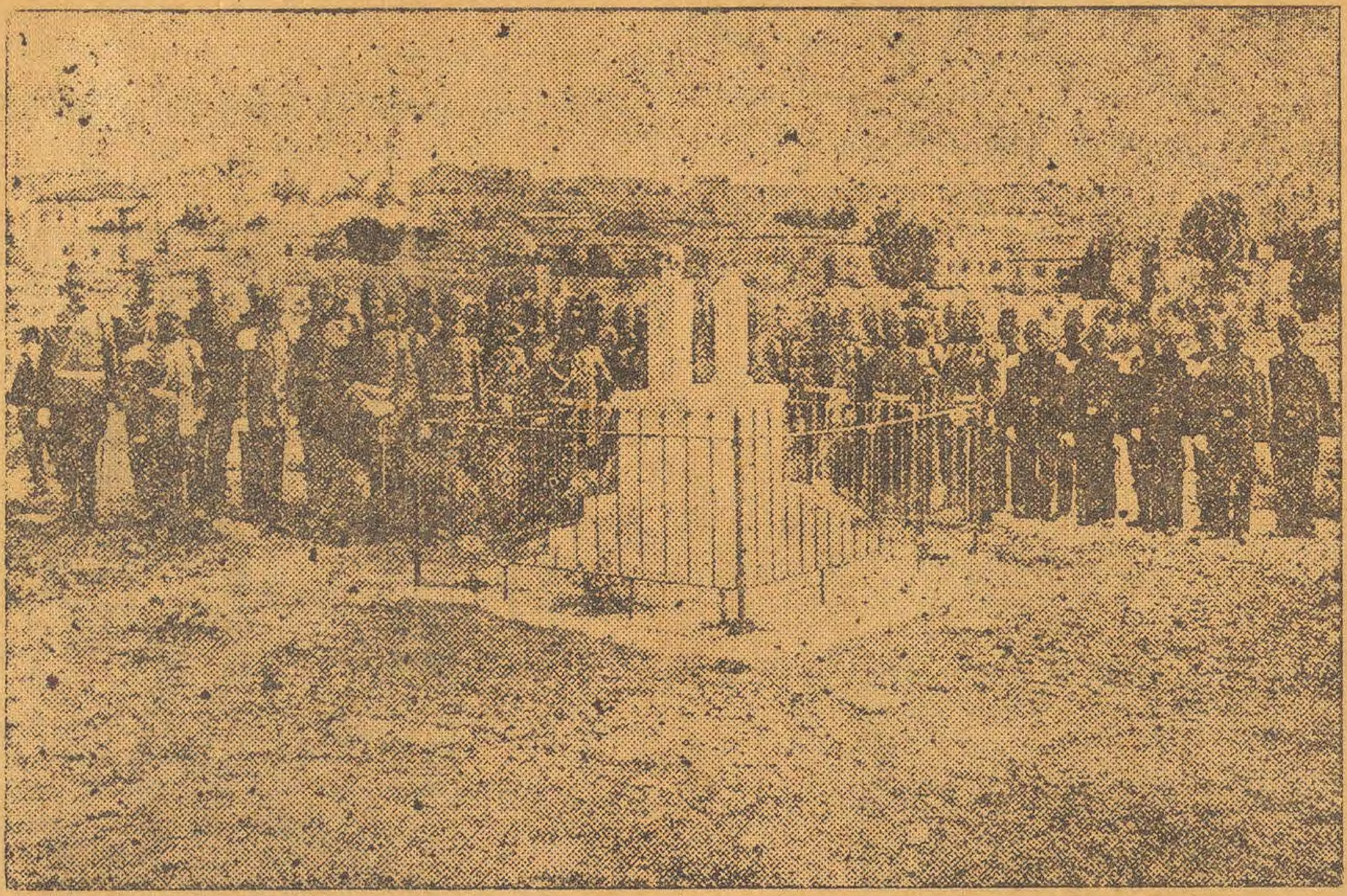
غير ان من في المنزل تأخروا في فتح الباب فخلعه ودخل مع احد افراد الشرطة بعد ان ترك باقيهم في الخارج للمحافظة على النظام ولمنع فرار احد ممن في المنزل

غير انه لم يجد في المنزل الا روبيكا ولما طلب منها ان ترشده الى الرجل الذي كان عندها انكرت وجوده

ففتش المنزل وفيما هو يفعل سمع ازيز الرصاص في الجهة الخلفية من المنزل فترك الشرطي بجانب روبيكا وخرج الى تلك الجهة

قتل شرطيين وفرار ماير

وهناك وجد اثنين من رجاله قتيلين، هما عبد الستار احمد



ضريح الشرطى القتيل في القدس

يمثل هذا الرسم ضريح الشرطي عبد الستار احمد البعلبكي في القدس ، وقد وقف حوله اركان البوليس في القدس يقرأون له الفاتحة

البعلبكي وحسين مصطفى المقدسي. وقد صرح له الشرطيان الاخران وهما احسان خالد ورؤوف بكتا انهما كانا واقفين امام باب المنزل من الجهة الخلفية فسمعا ازيز الرصاص فاسرعا ووجدا رجلا يرتدي ثياب الضباط الالمان يتبادل اطلاق الرصاص والشرطيين الصريعين. ولما ابصرهما اختفى في البناية المجاورة فلحقا به الى هناك فوجدا البناية فارغة ووراءها طريق شاهدا فيه سيارة تبتعد لهذا ولم يتمكنا من اللحاق براكبها

خطيئة عدنان بك

وقد وبخ رئيس مصلحة الاستخبارات اليوزباشي عدنان بك على عمله هذا لانه خالف الخطة الموضوعة وكان سببا في مقتل شرطيين ذهبا ضحيتين بريئتين .

ولكن المجال لم يكن ليساعد على اطالة الوقت. وفكر الرجلان في خطة توصلهما الى هدفهما فقررا سجن نهال مع روبيكا اعتقاداً منهما ان هذه الخطة ستكسب نهال ثقة روبيكا وبذلك ترشدها الى المكان الذي اختفى فيه ماير فتعوض نهال بدهائها ما اضاعه عدنان بحمقه .

نهال تعمل كل شيء في سبيل وطنها

ونهال خانم لم ترفض هذه المهمة بعد ان اثبت عدنان بك تسرعه فذهبت الى السجن بجانب روبيكا متظاهرة بالاستياء منها قائلة لها :

— كان عليك ان تخبريني من الاول حقيقة هوية هذا الرجل اذاً لما كنت تركت مجالا لاحد يترقب معه اثري ويصل الى الرجل واتهم انا بالجاسوسية مع انني بريئة منها

— وهل انت خائفة ؟

— نعم لانني اعلم ان عاقبتي الاعدام !

— كلا لا تخافي فانا سانقذك !

— كيف ؟

— سترين ذلك قريبا

— ولكننا هنا في السجن

— وسنصبح حرتين .

محاولة تهريب نهال وروبيكا

وكانت روبيكا على صغر سنها داهيه ، فقد تمكنت بعد ثلاثة

ايام من سجنها من ابلاغ الانسة نهال انها ستفران من السجن في تلك الليلة .

اما وكيف يمكنهما الفرار فان روبيكا لم تخبرها بـذلك بل



الجندي الذي قاده الغرام الى الاعدام

رسم عثمان جاويش وقد التقطته مصلحة الادلة الجنائية في دار الاستخبارات العثمانية وسجلته تحت رقم ١١٣٨ كما يبدو في الرسم

اكتفت بالقول انها ستفر واياها في تلك الليلة حتما . فخافت نهال ان يتم الفرار دون ان تعلم عدنان بك به ولم يكن في امكانها ان تعلمه احداً وهي بجانب روبيكا في غرفة واحدة .

وفيما تفكر بطريقة تنقذها من هـذا المأزق جاءها الحارس يدعوها الى المقابلة فذهبت وكان عدنان بك هو الذي استدعاها وهناك اخبرته بما كان من امر روبيكا فأبدى عجبه واراد استبدال حارس المساء الا ان نهال منعته من ذلك قائلة :

ــ اذا تمكنت روبيكا من خديعة هذا الحارس فعلينا والحالة هذه ان نترك لها المجال الكافي لتنفذ عملها .وعند ذاك يمكنك ان ترسل رجالك السريين الى استقصاء اثرنا وانا لا استبعد ان تكون ذاهبة بي الى ماير وبذلك يتيسر لنا اعتقاله !

وهكذا تم الاتفاق وعادت نهال الى السجن ولما سألتها روبيكا عن سبب دعوتها اجابتها ان عدنان بك حاول ان يشدد عليها توصلا الى معرفة مقر ماير واسماء رفاقه وانها انكرت كونها تعرف شيئاً من ذلك .فصدقتها روبيكا خصوصا انها كانت تدعى لمثل هذه الامور

فرار الفتاتين

وعند منتصف الليل شوهد باب غرفة روبيكا ونهال يفتح ويدخل منه الحارس عثمان جاويش وهو شاب تركي من اهل ازمير في الخامسة والعشرين من عمره .وما كادت روبيكا تراه حتى ارتمت عليه تعانقه قائلة :

ــ هل جئت يا حبيب الروح؟

ــ نعم ايتها الحبيبة !... هيا بنا !...

ــ وتناولها بيدها وامسكت هي بيد نهال التي ادهشها هـذا الغرام الفجائي وذهب الثلاثة معاً دون ان يعترضهم احد حتى اذا بانوا



احد الجواسيس الذين اعدموا في القدس

هارون ازاك احد الجواسيس اليهود الذين اعتقلوا في « زيكرون جاكوب » وقد اعدم على الاثر وكان من ضحايا الجاسوس الخطير ماير

في الجهة الخلفية من السجن العسكري شاهدوا جندياً يدعى ورخان حفظي رابه امرهم ولما قرب منهم عرف الفتاتين السجينتين فحاول توقيفهما الا ان عثمان جاويش عاجله بطعنة مدية كانت كافية للقضاء على حياته ثم فر الثلاثة

عدنان يشاهد مقتل اورخان

وكان عدنان بك في اخر الشارع يشاهد هذه الجناية غير انه لم يحرك ساكناً في هذه المرة لانه كان يرغب في معرفة مقر الجاسوس

ولهذا ترك القتيل وشأنه واتبع القاتل والفتاتين الى ان خرجوا من القدس وهناك وجد جوادين في انتظارهم فركب القاتل مع روبيكا احدهما واركب نهال الاخر وساروا في برية القدس

وكان عدنان بك يرقب هذه النتيجة فتدارك الامر بان جاء بجوادين كانا يلحقان به. وما كاد الثلاثة يبتعدون عنه حتى امتطى جواداً



الجاسوس الثاني الذي اعدم في القدس

جاك اسحاقوفتش احد الثلاثة الذين اعدموا في القدس صباح ٢٤ نيسان ١٩١٥، وقد اخذت له هذا الرسم مصلحة الاستخبارات العثمانية قبل اعدامه باسبوع واحد

وركب احد معاونيه الجواد الآخر ولحقا بالجماعة

في زيكرون جاكوب

وطالت المطاردة يومين انتهت بعدهما عند زيكرون جاكوب حيث دخل الثلاثة مزرعة منفردة فباتوا هناك تلك الليلة

وفي اليوم الثاني شاهد عدنان بك عثمان جاويش يخرج منها الى «عتليت» ويعود ومعه رجلان عرف في احدهما ماير نفسه، ذاك الجاسوس الخطير الذي يطارده. وكان عدنان بك منفرداً هناك فرأى ان من الخطر الشديد ان يجابه الاشخاص الثلاثة فتركهم وشأنهم لاعتقاده ان مساعده سيقوم بمراقبتهم في زيكرون جاكوب حيث كانوا وانطلق الى اقرب نقطة للجند يطلب نجدة

الاحاطة بالوكر

ووصلت القوة وهي مؤلفة من ٥٠ جنديا بقيادة الملازم الاول صلاح الدين افندي واحاطت بالمزرعة من سائر جهاتها وتقدم عشرة جنود بقيادة عدنان بك نحو الباب فوجد هناك الجندي الذي اقامه فاعلمه ان الثلاثة دخلوا المزرعة حقيقة ولم يخرجوا منها

فدنا عدنان بك من باب المزرعة ولكنه ما كاد يصبح على بعد ١٥ مترا من البناية حتى بوغت بالعيارات النارية فسقط ثلاثة من جنوده صرعى ولكن رفاقهم شددوا النطاق وتمكنوا من اقتحام الباب فاذا بهم في قلب الدار يهددون من فيه بالقتل

اعتقال الجواسيس ما عدا ماير

وفتش المنزل تفتيشاً دقيقاً فوجد فيه عثمان جاويش والانستان نهال وروبيكا وجاك اسحاقوفتش وهارون ازاكيا اما ماير فانه لم يعثر له على اثر

وعندها اقترب عدنان بك من الانسة نهال وسألها عن ماير فقالت:

— ذهب قبل مجيئكم بنصف ساعة من هذا السرداب!

واشارت الى سرداب قائم هناك فادخل عدنان بك فيه بعض الجنود فاذا هو يؤدي الى بعد نصف ميل من الجهة الخلفية المزرعة فارسلت القوات لمطاردة الجاسوس دون جدوى لانه كان قد توارى وذهب الى جهة مجهولة

ولكن اين ماير؟

ظلت البرقية التي طيرها عدنان بك من مركز البرق الى مختلف الجهات يطلب التحري عن الرجل مهملة مدة من الزمن

وفي اليوم الثالث وردت برقية من قائمقام حيفا تقول ان رجلا تنطبق عليه هذه الاوصاف ركب القطار من حيفا الى دمشق وانه كان يرتدي ثياب الضباط الالمان.

وعلى الاثر ابرق عدنان بك الى قائد الفيلق الثامن في دمشق يعلمه الامر ويسأله عن وصول ماير أجاء فعلا الى دمشق ام نزل في احدى محطات سكة حديد قطار الحجاز؟

اين ذهب ماير؟

ولكن الجواب الذي ورد بعد اسبوع من قائد الفيلق الثامن دل على ان ماير شوهد في محطة «درعا» وانه قابل قائد الموقع الالماني هناك ثم عاد في قطار المساء نفسه الى حيفا.

وهذه البرقية اظهرت لعدنان بك ان الجاسوس عاد مرة اخرى الى فلسطين

فاين هو ؟

اكدت الحقيقة الرهنة التي تمكنا من معرفتها بعد الحرب العالمية ان الجاسوس عاد في اليوم التالي الى حيفا .

وكان ذهابه الى « درعا » لتدبير مكيدة خطيرة فيها

وقد لعب بعد هذه الحوادث اموراً خطيرة في فلسطين سنأتي على تفصيلها في جزء آخر من (الاسرار)

عاقبة الموقوفين

وفي اليوم الخامس والعشرين من شهر نيسان سنة ١٩١٥ صدر بلاغ رسمي في القدس هذا نصه :

« نفذ حكم الاعدام صباح امس في القدس شنقاً بكل من عثمان مراد جاريش وجاك اسحاقوفتش وهارون ابزاكيا لانهم ارتكبوا عار الخيانة والجاسوسية واشتركوا في اعمال ادت الى فشل ستة من جنود الدولة الذين كانوا يقومون بواجب الخدمة

« وقد ظلت جثثهم معروضة على الاهلين حتى الساعة الثامنة صباحاً عبرة لغيرهم من ارباب الفساد والمجرمين »

وهذا البلاغ الذي اذيع في الجريدة الرسمية في ذلك التاريخ يدلنا على ما حل باولئك الاشخاص. اما روبيكا فانها تناولت يوم قبض عليها مادة سامة فراراً مما توقعته من تعذيب لانها كانت على يقين من ان ديوان الحرب سيعاملها في هذه المرة باقصى الشدة وصولا الى معرفة حقيقة الامور منها لا سيما انها كانت قد ادركت ان نهال جاسوسة عليها

وقد نجت بتضحية نفسها من العذاب الذي كان معداً لها . اما نهال فقد قدرتها القيادة حق قدرها ومنحتها وسام الحرب العثماني جزاء لها على اخلاصها وبسالتها .

ولما اتصل نبأ عودة ماير بعدنان بك دعا اليه الانسة نهال قائلا لها : ليس في فلسطين من يعرف امر ماير سواك ، وقد علمت ان الرجل الآن في فلسطين ، واعتقد انه بات اليوم بعيداً عن المنطقة اليهودية ، ولا بد له من ان يلجأ الى الاماكن المأهولة ما دام بوسعه ان يخفي شخصيته . فكما اتخذ لنفسه اسم عثمان في القدس في المرة الاولى ــ راجع الجزء الثامن عشر من « الاسرار » ــ فان بوسعه ان يتخذ لنفسه اسماً آخر . ولهذا ارجو ان تتولي بنفسك التحري عنه !

فادهشت هذه المهمة الانسة نهال وقالت :

ــ ولكن هذه من مهام رجال الشرطة ، والرجل لا بد له ان يعرفني !

ــ يجب ان تكوني على صلة به !

ــ وكيف ؟

ــ ماير سيعتقد انك تمكنت من الفرار وهو يجهل ان امرك فضح امام رفاقه وقد ماتوا جميعاً !

ــ اذاً ؟

ــ ارى ان تغيري ملابسك وتتظاهري بانك تحاولين الاختفاء فيشعر بضرورة الاتصال بك وبذلك يكون لدينا المجال الكافي للقبض عليه !

ــ امرك !

وعلى هذه الخطة اتفقا

نهال تبدأ العمل

وبعد الاتفاق بين نهال وعدنان بك انصرفت الفتاة الى تنظيم امورها استعداداً لمطاردة ماير .

وسيرى القراء في الاعداد التالية غرائب هائلة عن اعمال هذه المطاردة الخطرة .

الأسرار



الملاحون الانكليز في الدردنيل

يطلقون قذائفهم على الطيارات الالمانية الحائمة فوقهم

العدد
الخامس
والعشرون

٥ غروش



الاسرار

مجلة اسبوعية تاريخية تبحث في التاريخ وما اهمله التاريخ

اصحابها : انطون صادر ، كرم ملحم كرم ، فؤاد ميداني

رئيس الانشاء المسؤول: كرم ملحم كرم — منشىء القسم الشرقي: فؤاد ميداني

المكاتبات باسم مدير المجلة : انطون صادر

الادارة مكتبة صادر * شارع النبي * بيروت

العدد ٢٥ بيروت في ١٩ ايلول سنة ١٩٣٨

اسرار الجاسوسية في القضية العربية

بقلم فؤاد ميداني

مصطفى كمال يرد الانكليز عن «انافورطه» في شواطىء الدردنيل ليس للمهمة الخطيرة غير هذا البطل !

اضطراب العثمانيين !

اخذ الموقف الحربي في شبه جزيرة « جناق قلعة » في اواخر شهر تموز سنة ١٩١٥ دوراً هاماً، فالحلفاء بعد النجدات التي وصلت اليهم من انكلترا ومصر بذلوا جهوداً عظيمة في تنظيم المعارك الحربية في هذه المنطقة لخوض المواقع الفاصلة بينما كانت جنودهم الاساسية لا تزال في المناطق الساحلية غير قادرة على التقدم خطوة واحدة الى الامام

بعد سفر غورو

وقد احدثت مغادرة الجنرال غورو ساحة الحرب استياء عظيماً بين الضباط والجنود الفرنسيين لما كان لهذا القائد الشاب من التأثير العظيم على الجنرال هاملتون القائد العام الانكليزي الذي لم يذعن الا لارادة ذاك القائد الفرنسي

ولكن ماذا يفعلون والعناية شاءت ان لا يمكث الجنرال غورو في هذه المنطقة الا مدة قصيرة محدودة

وقد كان تأثير هؤلاء الجنود والضباط عظيماً من البرقية التي بعث بها القائد الجريح الى مساعديه وقد قال فيها ما نصه :

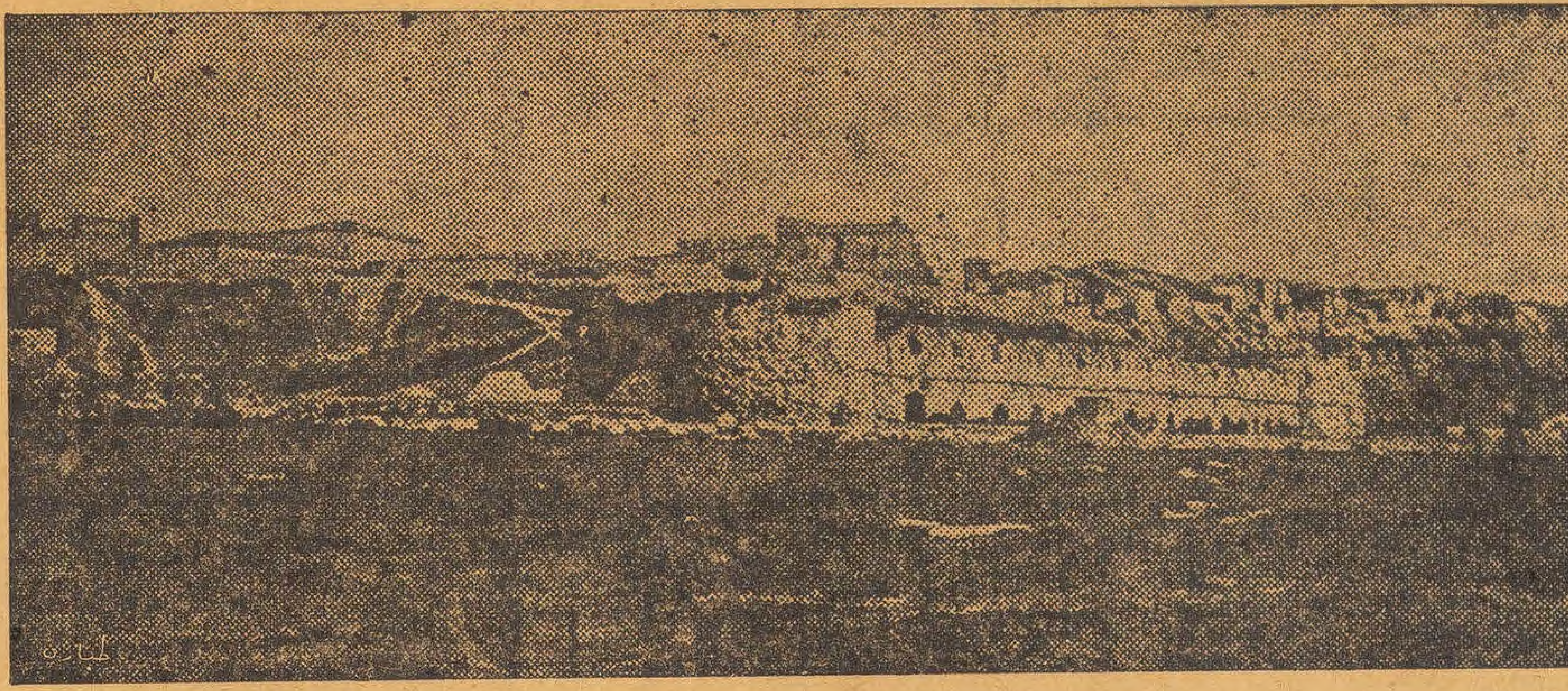
« اني حين مغادرتي رفاق السلاح لا يسعني وانا مصاب بجراح تضطرني الى مفارقتكم الا ابداء اسفي الشديد. واني اترك القيادة لمعاوني الجنرال بايو الذي هو مثال النشاط والعناية متمنياً لكم ظفراً لامعاً . وفي الختام احيي العلم هاتفاً لتحي فرنسا

القائد العام لقوات الشرق

الجنرال غورو

القائد بايو

وفي اليوم الرابع من شهر تموز سنة ١٩١٥ تسلم الجنرال بايو قيادة قوات الشرق الفرنسية



حصون سد البحر في جناق قلعه

اتخذ الفرنسيون من حصون سد البحر قاعدة لاعمالهم الحربية . وفي هذا الحصن وقع الانفجار الذي يطالع القراء تفصيله في هذا الجزء من « الاسرار »

وكان هذا القائد من القواد الفرنسيين اللامعين . وقد مثل في حرب جناق قلعة دوراً خطيراً الا ان الاحوال السيئة كانت تعاكسه معاكسة شديدة فبات من الصعب عليه ان يقدم في مثلها على عمل من شأنه ان يعيد الى القوات الفرنسية مركزها السامي

وصادف في اليوم الثاني لتسلم الجنرال (بايو) القيادة العليا ان ضربت المدفعية العثمانية المراكز الفرنسية في (سد البحر) مدة طويلة واصابت هدفها

حرق مستودعات الذخيرة

وكانت اعظم كارثة اصابت المركز الفرنسي في ذلك اليوم ان قنبلة من القنابل العثمانية اصابت مستودع الذخائر الحربية فتفجر . وقد حاولت القيادة الفرنسية انقاذها دون جدوى لان النيران التهمتها باجمعها . وظلت الانفجارات تتوالى في هذه المستودعات يومين كاملين فضعضعت مراكز القوات الفرنسية من جهة وقضت من جهة اخرى على الذخيرة والعتاد الحربي الذي كان الفرنسيون يعتمدون عليه في تلك المنطقة

قرطجنة تغرق

وكانت الباخرة الفرنسية «قرطجنة» راسية يومئذ في تلك الجهة فخاف ربانها عليها من الانفجارات لانها كانت تنقل خمسة آلاف قنبلة من عيار سبعة ونصف والفي قنبلة من عيار ١٥ سنتيمترا

ولكن لم تكد الباخرة تبتعد عن الساحل حتى باتت عرضة لقذائف الغواصة الالمانية (٢١-٤) فقد رمتها هذه الغواصة بقنابلها فاغرقتها وبذلك فقدت القيادة الفرنسية في ذلك اليوم هذه القنابل التي ذهبت سدى كما فقدت الذخيرة التي احترقت في البر

وقتل في هذه الباخرة ١٦ جندياً من بحارتها كما قتل في البر عدد كبير من الجنود الذين اصابتهم شظايا الانفجارات

معارك تموز

اما معارك تموز التي دارت رحاها بين الفريقين فلم تفد احداً منهما لانها كانت سجالا بينهما . فتارة يكون الفوز فيها في جنب القوات الفرنسية الانكليزية وطورا في جانب القوات العثمانية . وكانت النتيجة في كلتا الحالتين ان ظل كل فريق في موقفه الحربي واصيب كلاهما بخسائر فادحة في الارواح والاموال والذخائر

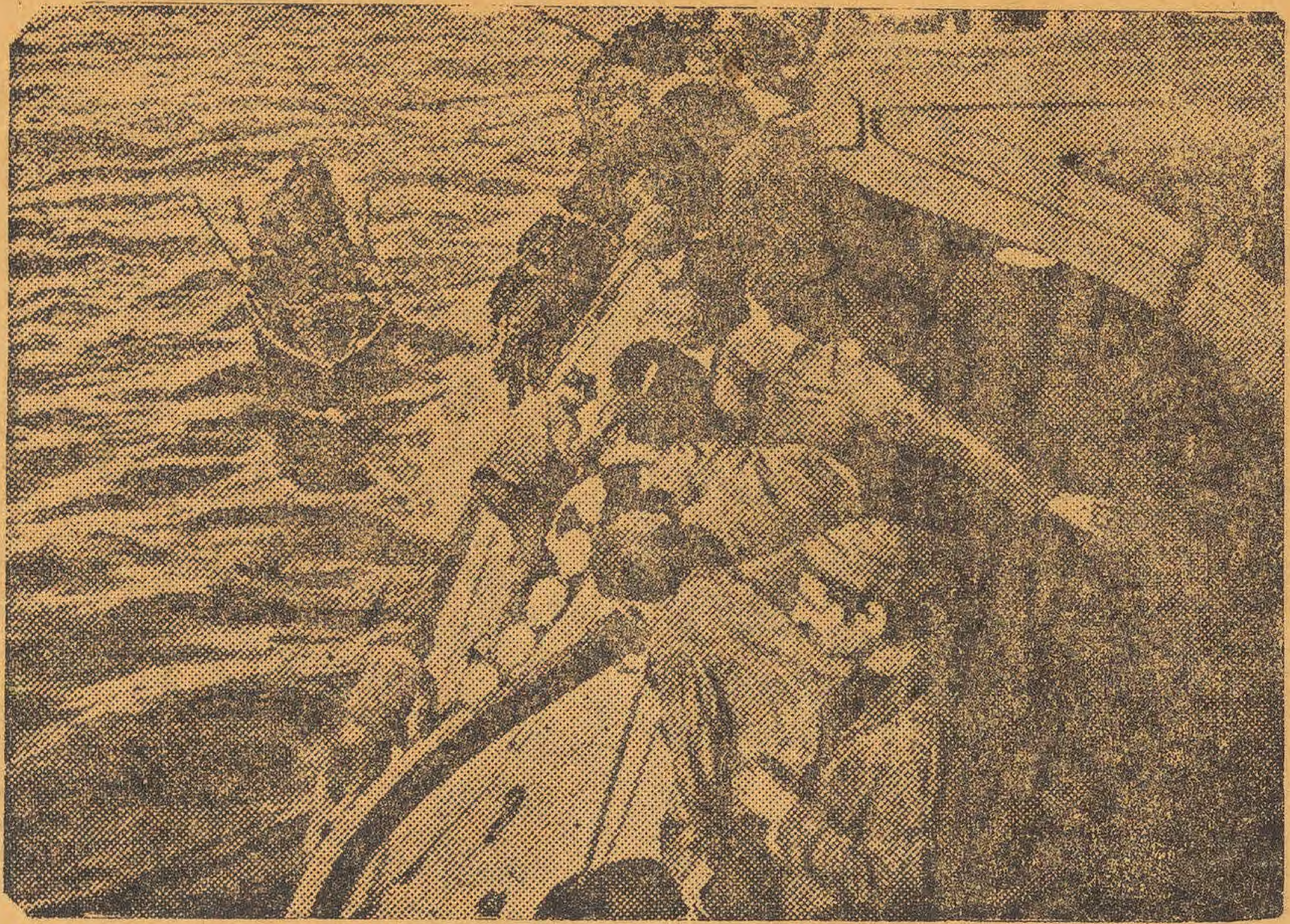
معارك آب

وكانت القوات التي تستعد في جبهة القتال لمعارك آب مؤلفة كما يلي :

اولا — ٤٠٥٠٠ من القوات التابعة لجيش الشرق الفرنسي

ثانياً — ٢٢١٠٠٠ جندي من القوات الانكليزية

وعلى هذا فقد كانت قوات الحلفاء في ذلك الوقت مؤلفة من



قوات الحلفاء في جناق قلعة

شرذمة من قوات الحلفاء عند انزالها من بواخر النقل الى البر في جهات جناق قلعة

٢٦١،٥٠٠ جندي

ثالثاً — كان في القطر المصري ٦٠ الفاً من الجنود الاحتياطية مؤهبين للسفر في البواخر الموضوعة هناك لنقلهم الى الجبهة الحربية حينما ترى القيادة ذلك موافقاً

رابعا — اما القوات العثمانية التي كانت معدة للنقل في هذه الجبهة فقد كانت مؤلفة من ١٤٠ الفا من الجنود بينهم ٨٠ الفا في الجبهات على قتال مستمر مع القوات المهاجمة والباقون في مؤخرة الجبهة ولم يشتركوا في خوض هذه المعارك بعد

الاستعداد للحرب في الجبهة العثمانية

وقد ادركت القيادة العثمانية خطورة الموقف بعد النجدات الحربية التي اخذت ترد على الجبهة الحربية من انكلترا وفرنسا ومصر فنهضت تعد العدات لمجابهة الاعداء وتجمع قواتها من مختلف الجبهات وكانت تؤمل ان يتمكن القائد جمال بك من صد القوات الزاحفة على جبهته

في الجبهة

لما جاء المير الاي جمال بك صباح ٧ اب سنة ١٩١٥ الى جبهة الحرب التي تركها له المير الاي الالماني «كانانكستر» كان يصحبه مرافقه فقط فوجد الموقف على الصورة التالية :

اولا — ان الالاي ٢٥ التابع للفرقة التاسعة مسيطر على المراكز المواجهة لمرتفعات «جوناق باير»

والمراكز الانكليزية في هذه الجهة متفوقة جداً على المراكز العثمانية

ثانياً — كانت قوات الالايين ٧٢ و١٤ التابعين للفرقة ١٩ معسكرة في المنطقة الممتدة من« كورد كشيدي — ابدال باير» وهي تسعى بكل قواها لمنع تقدم الحلفاء الى هذه المنطقة

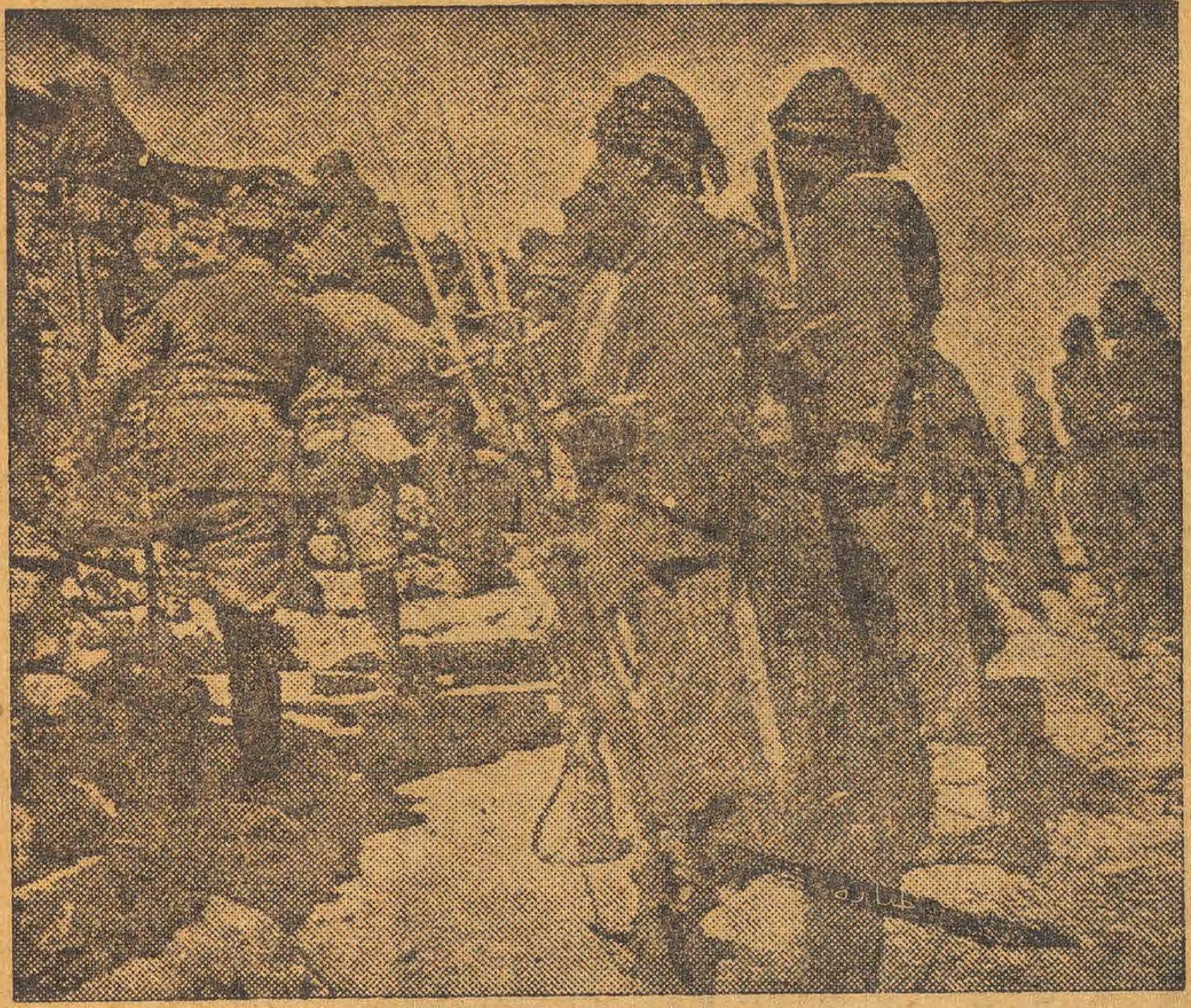
ثالثاً — وصلت في تلك الليلة بطارية صحراوية وبطارية جبلية وطابوران من الجند من مفرزة انافورطة الى الجبهة القصوى من جبهة اليمين لتعزيز موقع «آغلي دره»

رابعاً — انسحب في ذلك الوقت الطابور الاول من الالاي ٣٢ من موقع « آصمادره » الى الجهة القريبة ونهض يدافع مدافعة شديدة لمنع تقدم الحلفاء في جهات قوجه جشمه

خامساً — اما الالاي ٦٤ التابع للفرقة التاسعة فقد ارسل في بادىء الامر الى جانب قوات «آغلي «دره» لمساعدتها في منع تقدم قوات الحلفاء الزاحفة على قوجه جشمه

القوات العثمانية في الجبهة

القائد جمال بك يتفقد القوات العثمانية في «قوجه جشمه» عندما جاء لاول مرة يتفقدها



الا انه في اثناء هذه المعركة رؤي ان الموقف في الجناح الايسر اشد خطورة فسحبت القيادة هذا الالاي الى جوناق بار وامرته بمهاجمة «شاهين صرت» الذي كان الحلفاء يهددونه حتى اصبح في خطر عظيم. ووجد القائد ان المدفعية الموجودة في جبهة «جوناق بار» مؤلفة من بطاريتين وهي قوة غير كافية لتأمين احتياجات الدفاع.

الاوامر غير صريحة

واعترضت جمال بك مشكلة ثانية فانه عندما جاء الى الجبهة لم يجد فيها تعليمات صريحة عن التدابير التي يجب عليه اتخاذها وكل ما بلغه قبل ان يغادر معسكره ان عليه ان يسعى بكل قواه لطرد العدو من منطقة «آغلي دره» وان يصدم تقدم القوات المعادية الزاحفة شرقي «كيكلي وآصمادره»

وكانت قوات الحلفاء الزاحفة على هذه المنطقة مؤلفة من ١٦ الف جندي يقف في وجهها ستة الاف جندي هي مجموع قوات العثمانيين المدافعة عن تلك الجبهة.

تدابير القائد

فانصرف القائد جمال بك عند رؤيته كل هذا الى اتخاذ التدابير اللازمة للدفاع عن منطقته. وكان اول ما فعله انه حينما وجد ان مقر القيادة في «كورد دروسي» غير ملائم لادارة الحركات الحربية لبعده عن منطقة القتال وهو لا يساعده على الاشراف على ادارة الحركات الحربية نهض يبحث عن مركز يمكنه ان يراقب منه الموقف الحربي في (جوناق بار) و «انافورطه» فوفق الى اختيار هضبة مرتفعة قائمة على المرتفعات المسيطرة على جوناق بار وقوجه جشمه

خطورة الموقف

وفي هذه المنطقة التي تولاها الميرالاي جمال بك تمكن من الاشراف على مرفأ (سوفلا) فوجد فيه غرائب. فقد تحول هذا الميناء الصغير الى شبه مرفأ كبير بما حشد فيه من السفن والزوارق والعمارات البحرية العديدة

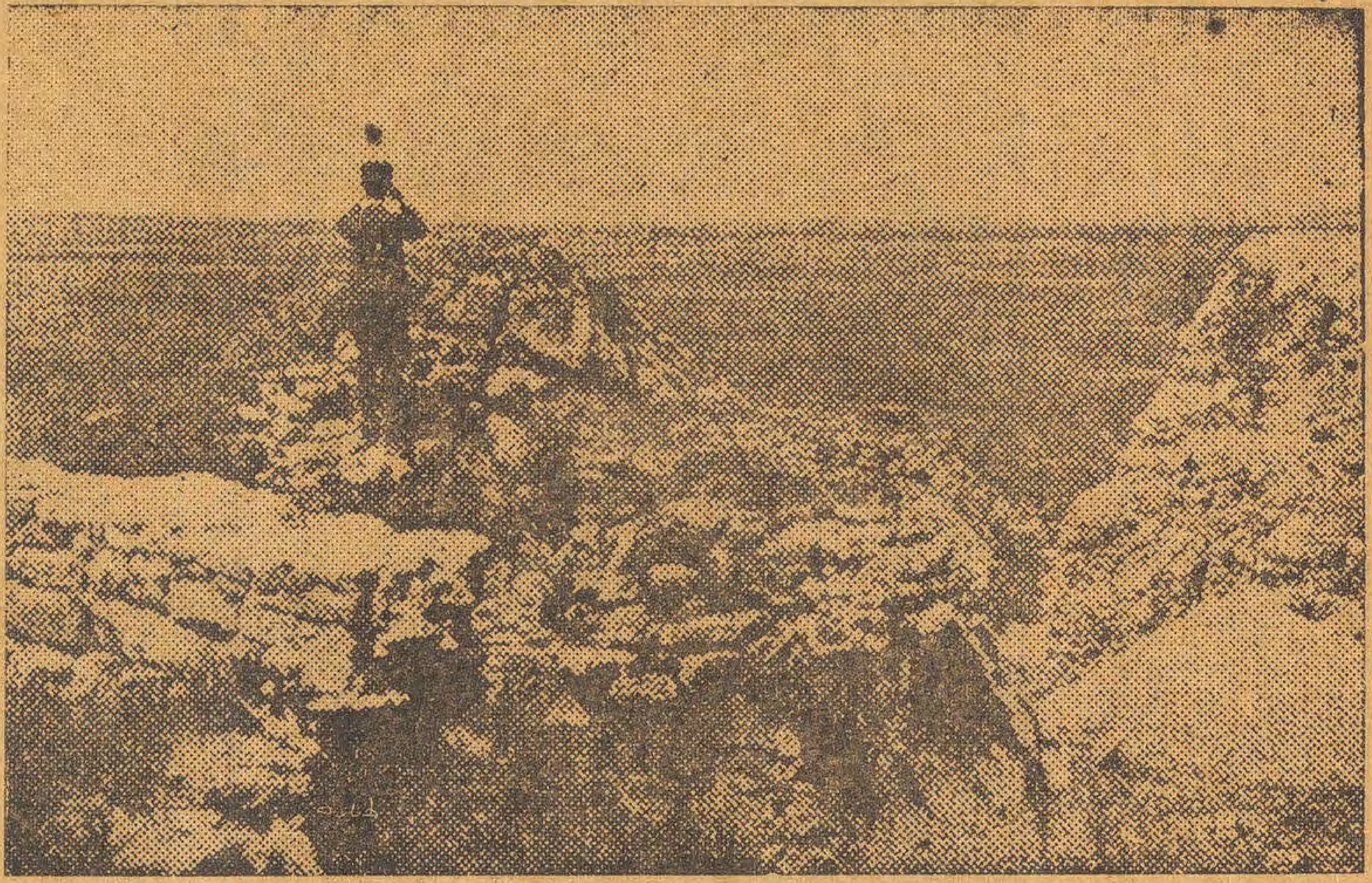
اما ساحله فقد كان يعج بالاف الجنود وعتادهم الحربي الذي ملأ ذلك المكان دون ان يكون في قدرة العثمانيين ان يصيبوه بقنبلة ولهذا كانت تلك القوات تسرح بحرية تامة دون ان تهتم بموقف العثمانيين واستعداداتهم الحربية

تقرير جمال بك

ولما عاد جمال بك الى المعسكر ارسل الى قائد الجبهة الشمالية تقريراً هذه نصه :

الى قائد الجبهة الشمالية

اولا — تمكنت القوات في النهار من وقف تقدم قوات العدو في جبهة جوناق بار وقوجه جشمه



جمال بك على الهضبة

صعد جمال بك الى مرتفعات الجبهة ليشرف على ساحل « سوفلا » وهذا الرسم يرينا اياه وقد وقف يراقب الساحل البحري من تلك الجهة

دان القوات ستتمكن بعد الساعة الخامسة والنصف من مساء اليوم من المحافظة على هذا الخط بعد ان تراجع العدو عنه

ثانياً — سيقوم الالاي ٦٤ مع الغروب في هجومه على موقع شاهين صرتي

ثالثاً — بدأ العدو بهجومه في منطقة انافورطه بصفوف متراصة كثيفة يتبع الصف فيها الاخر وهذه الصفوف تنقض الان انقضاضاً شديداً على هضبات مستان

وهناك خط كبير من القوات الانكليزية يتقدم بسرعة من بيوك كميلك الى كوجوك كميلك والموقف في هذه المنطقة شديد الخطورة

قائد الفرقة الرابعة

جمال

الاستعداد لمعركة انافورطه

وفيما كان الميرالاي جمال بك قائد الفرقة الرابعة يترصد هذه المنطقة ويشاهد استعدادات الحلفاء العظيمة في مرفأ سوفلا كان الحلفاء يستعدون استعدادا عظيما لمعركة « انافورطه » تلك المعركة الكبرى التي رفعت من مكانة مصطفى كمال وجعلت اسمه دائما مرادفاً لها لفوزه بلقب بطل « انا فورطه » فالانكليز وحلفاؤهم الفرنسيون استعدوا لهذه المعارك استعدادات عظيمة واسعة النطاق واختاروا مرفأ « سوفلا » قاعدة لاخراج جنودهم الحربية وكان هذا المرفأ في ذلك اليوم — ٦ آب ١٩١٥ — يبعد عشرة كيلومترات عن جبهة الحرب العثمانية .

وكان اول ما فعله الانكليز ان اخرجوا الى البر قوات الفرق ٣٢ و ٣٣ و ٣٤ التابعة للفيلق الحادي عشر واخرجوا بعد ذلك فرقة من الفيلق العاشر وتم لهم ذلك كله قبل شروق شمس ٦ آب ثم دفعوا هذه القوات عند شروق الشمس الى المرتفعات المعروفة باسم (صوفتاتبه) ثم الى المرتفعات الواقعة حول بحيرة (طوزلو كول)

وقد تولى قيادتها الجنرال ستيفل الانكليزي الذي قام في يوم ٦ آب بحركات حربية متعددة للوصول الى مرتفعات (مستان تبه) الا ان كل مساعيه هذه ذهبت سدى لان قواته التي تجمعت بشكل كثيف لم يبق في وسعها ان تتقدم الى الامام نظراً لشدة الحر ولصلابة المواقع التي حاولت اجتيازها

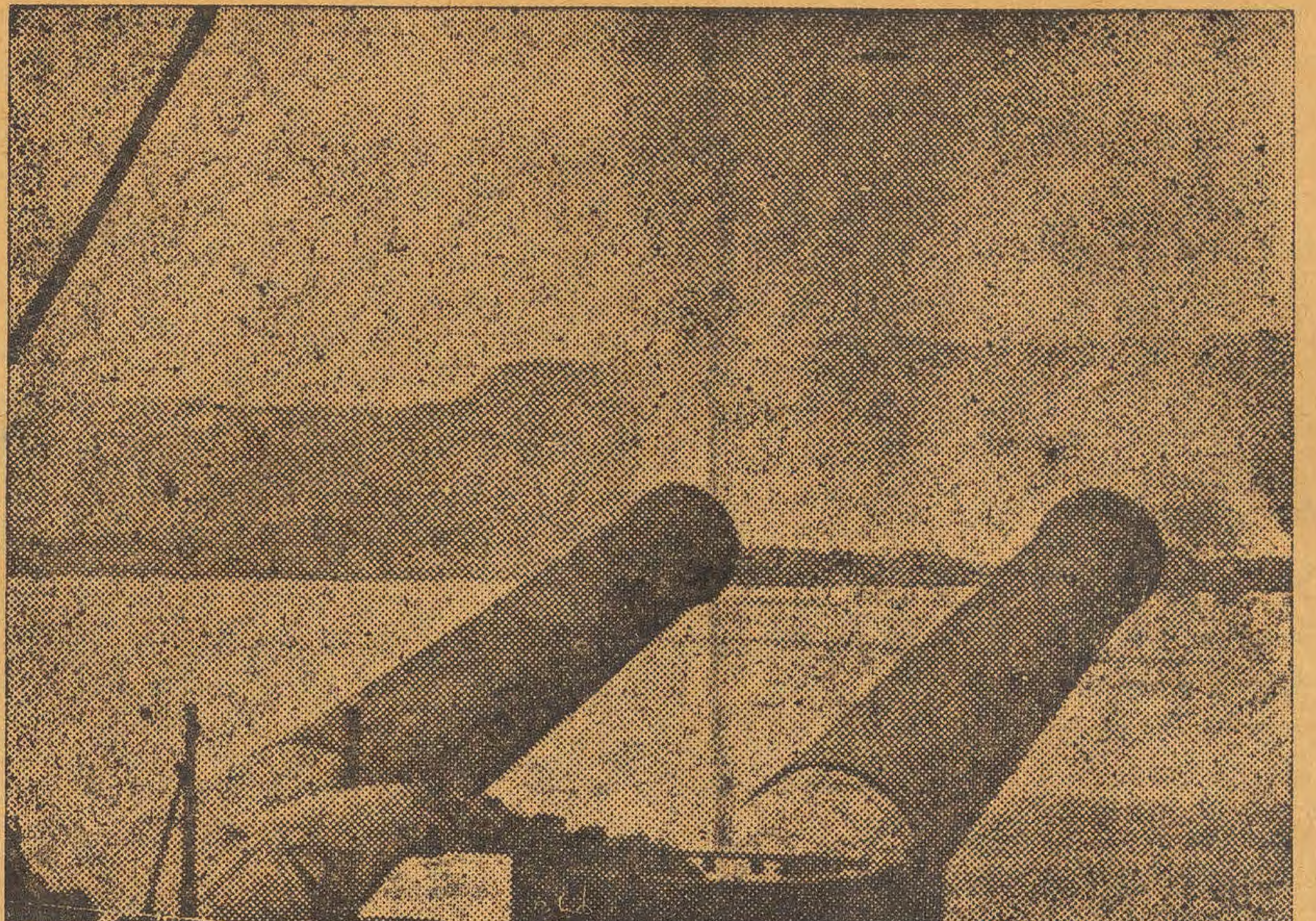
وقد تكبدت القوات الانكليزية في هذه المناوشات التي قامت بها ٤٥٠ قتيلا في حين لم تزد خسائر العثمانيين على ٣٠٠ قتيل

في مرفأ ساروس

وحين اخرج الانكليز هذه القوات العظيمة من مرفأ (سوفلا) اخرجوا قوات تفوقها عدداً من مرفأ (ساروس) ذلك الساحل الذي اتخذه الحلفاء قاعدة اساسية للحركات الحربية التي يريدون القيام بها في هذه الجبهة

موقف العثمانيين وتدابير اسعد باشا

وفي الساعة التاسعة من مساء ٦ آب سنة ١٩١٥ تلقى اللواء اسعد باشا امراً من رئيس اركان حربه القائمقام كاظم بك — الجنرال كاظم قره بكير اليوم — يعلمه ان الانكليز بدأوا باخراج قواتهم في جهات سوفلا وضواحي اري بروني. وعلى الاثر ابلغ اوامره الى قائد الفيلق الـ١٦ بان بعد الفرقتين السابعة والثانية



المدفعية الانكليزية في جناق قلعة

فوهة مدفعين من المدافع الانكليزية التي اخذت تصب قذائفها على مراكز العثمانيين من جهة سوفلا

عشرة . وبعد ساعة من هذه الاوامر كانت هاتان الفرقتان تسيران الى جبهة انافورطه

ولكن هل كانت هذه الاوامر صائبة ؟

ان الموقف الحربي في البلاد صعب .

فالمنطقة التي يريد القائد اسعد باشا ان يرسل اليها هاتين الفرقتين ضيقة وجبلية

والفرقة السابعة التي تعد اقرب فرقة الى مركز « انافورطه » الذي يريد القائد ارسالها اليه كانت تبعد عنه ٤٥ كيلو متراً

واذا فرض ان معدل سرعة السير في حالة الحرب ٣٠ كيلومتراً في النهار لم يكن في امكان هذه الفرقة ان تصل الى انافورطه الا في صباح ٨ آب على اقل تقدير

ومع هذا فان القائد اسعد باشا لم يهتم بمثل هذه الامور فسار بقواته في جو شديد الحرارة وطريق صعبة المسالك

معركة قانلي سرت

وفيما كانت القوات العثمانية تقوم بحركاتها هذه كانت القوات الانكليزية تقوم بهجومها الشديد على جبهة « قانلي سرت » ذاك الهجوم الذي استبسل فيه الانكليز. فوجهوا في بادىء الامر نيران مدافعهم الى ذاك الحصن مدة ثلاث ساعات متوالية فدكوه دكاً ثم صدر أمر الى المشاة بالهجوم مرة ثانية

وقد كانت هذه المعركة من اشد معارك جناق قلعة الحربية هولاً لان الجنود الانكليزية اخذت تتقدم دون ان تبالي بالمقاومة العنيفة التي كانت تقاومها بها القوات العثمانية

وكانت مراكز العثمانيين قوية حصينة منيعة لذلك كانت ضحايا الانكليز تتساقط بكثرة فائقة

ومع هذا فقد تمكنوا في ذلك النهار من الاستيلاء على الحصن

وتقول المعلومات التي نشرتها القيادة الانكليزية العليا بعد نهاية الحرب العالمية ان خسائرها كانت في هذه المعركة عبارة عن ٦٩٦١ قتيلا ما عدا الجرحى

تدابير مصطفى كمال

عندما بلغ مصطفى كمال بك ، قائد الفرقة ١٩ نبأ هذا الفوز الذي احرزه الانكليز في احتلال « قانلي سرت » خاف العاقبة .

لان احتلال الانكليز لهذه النطقة ، رغم كثرة ضحاياهم ، يضعضع الجبهة العثمانية ويجعلها في خطر شديد. ولهذا قام يتطلع الى القواد فلم يجد بينهم من يهتم بالموقف فارسل طابورين من قواته دون استشارة

القيادة العلياء الاول الى « آغلي دره » والثاني الى « اصماده ره » وامرها بالدفاع عن هذه المنطقة الى اخر رمق من حياتهم .

وكانت غاية القائد العثماني من وراء هذه الحركة وقف تقدم الانكليز.

وقد نجح في هذا التدبير نجاحا عظيما وبدأ من ذلك الموقف يلمع نجمه

وادرك المريشال فون ساندرس باشا ان فيضي بك قائد الفيلق اظهر عجزاً شديدا في ادارة الحركات الحربية وكان سببا في سقوط « قانلي سرت » التي يعتمد عليها الاتراك في الدفاع عن مؤخرة الجبهة فاصدر امرا بعزله من القيادة واولى مكانه مصطفى كمال .

وفي هذا الوقت العصيب، وقت تحرج موقف العثمانيين، عقد القواد جلسة فوق العادة بحثوا فيها الموقف العسكري فقرروا ان بقاء الموقف على هذه الحالة شديد الخطر لان مواصلة خطة الدفاع تترك للحلفاء المجال الكافي لاخراج ما يعوزهم من الجنود في منطقة «انافورطه» وفي هذه الحالة لا يبقى في قدرتهم مواصلة الدفاع وقرروا في نهاية الامر ضرورة اتباع خطة الهجوم الى ان يتمكنوا بواسطتها من طرد الاعداء من بلادهم .

وانتدبوا القائد مصطفى كمال بك لادارة هذه الحركات

وقبل ابتداء المعركة الاولى في « انا فورطه » كانت القوات العثمانية في هذه الجبهة لا تزيد على الـ ١٥٠٠ جندي في حين كانت قوات الانكليز التي اخرجت الى هذه المنطقة تبلغ ٢٠ الفاً . وقد ابلغ القائد اسعد باشا القيادة العليا، بعد ارساله النجدة التي بيناها آنفاً ان الموقف بات حرجاً وان الحلفاء قد حولوا مراكزهم الحربية الى هذه الجبهة وطلب منها تزويده بقوات كافية من المناطق الاخرى

غير ان المريشال ليمان فون ساندرس باشا القائد العام لهذه الجبهة لم يهتم بهذه الملاحظات. فابقى القوات الاخرى في مراكزها وجاء بقوات قليلة من المؤخرة

لم يسع المريشال ليمان فون ساندرس باشا الى تعزيز جبهة انافورطه التي كانت وجهة نظر الحلفاء بل عمد الى تعزيز منطقة قوجه جشمة المجاورة لها وحشد فيها ثلاثة طوابير من الفرقة ٢٥ وطابورين من الفرقة ٦٤ واربعة طوابير من الفرقة ١١ وطابوراً واحداً من الالاي ١٤ وبلوكين من الالاي ٨٢ وبطاريتين من مدافع الصحراء وبطارية ونصفاً من المدافع الجبلية

اما في انافورطه فقد حشد ثلاثة طوابير و١٢ مدفعاً

وعلى هذا يكون مجموع القوات التي ستجابه القوات الانكليزية ١٣ طابوراً ونصف الطابور وهي قوة لا تزيد على العشرة الاف جندي معها ٢٦ مدفعاً. وعلى هذا فقد عزم مصطفى كمال باشا على ان يخوض المعركة بقوة وبأس

والحقيقة التاريخية التي يمكن تسجيلها هنا ان الجنود العثمانية التي كانت تخوض معارك القتال في جناق قلعه كانت قوية المراس مالكة لتمام قواتها المادية والمعنوية

والجنود العثمانيون كانوا في ذلك الوقت خلافاً لزملائهم في غير جبهة



بطل انافورطه في الجبهة

رسم نادر لمصطفى كمال باشا وهو يدرس الموقف الحربي في منطقة انافورطه بعد ان تسلم القيادة فيها

يملكون ما يحتاجون اليه من قوت وذخيرة لان القيادة العليا العثمانية التي تعلق على هذه الجبهة مستقبل الحرب كانت تزود قواتها بكل ما يحتاجون اليه فيها

اما قوات الحلفاء فقد كانت عكس ذلك لانها كانت مؤلفة من عناصر مختلفة جرت الى هذه الحرب جراً . فكانت تحارب بشعور غير الشعور الذي يحارب به العثمانيون

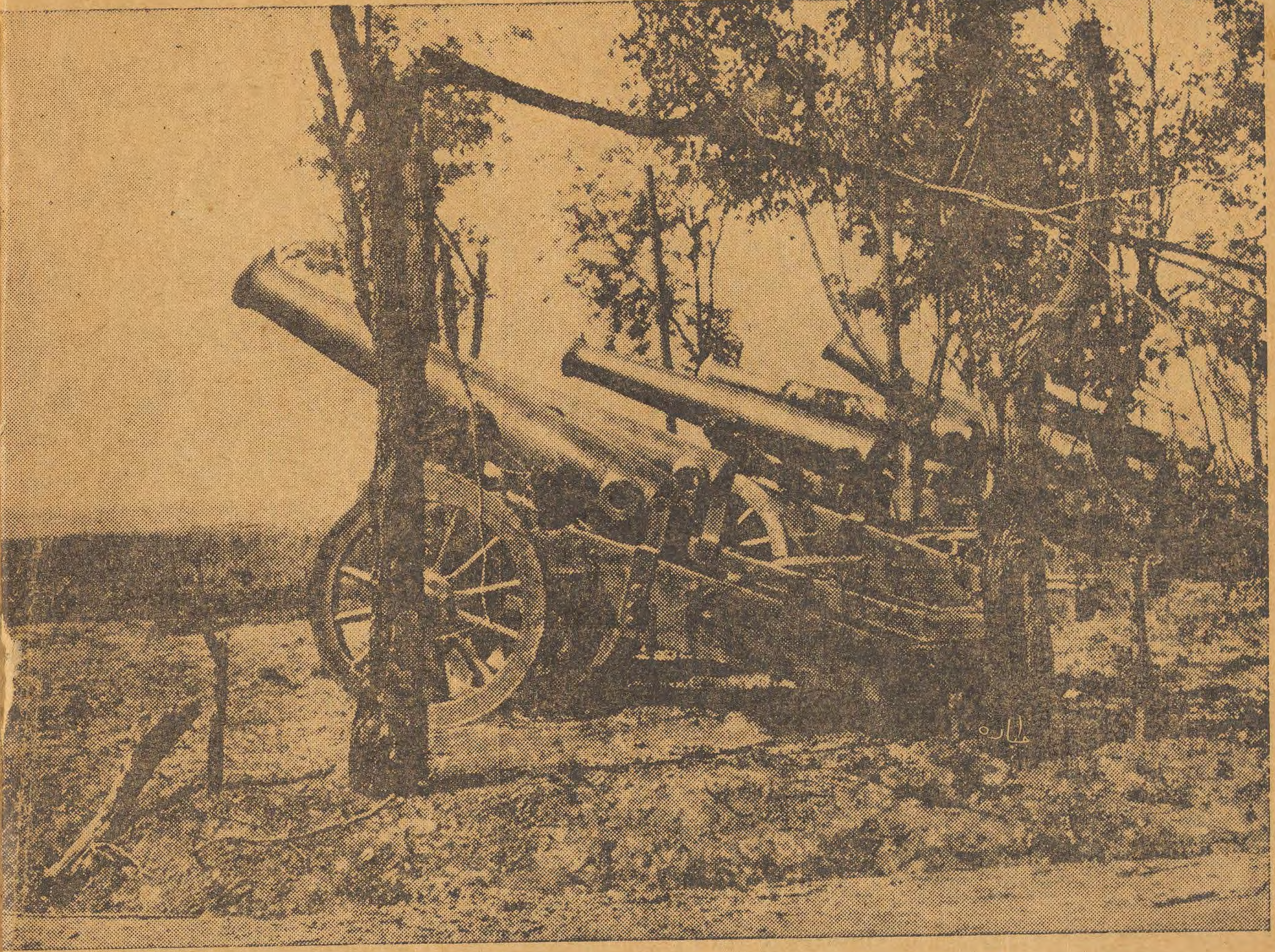
ولهذا خسر الحلفاء في هذه المعارك خسائر فادحة

حالة الجنود السنغالية

ولهذه الخسائر اسباب اخرى نشر بعض المؤلفين العسكريين الاجانب شيئاً منها

فقد روى احد الضباط الفرنسيين «لارشير» في مذكراته ما يلي :

« كثرت اصابات الجنود السنغالية في ايديهم اثناء معارك



المدفعية العثمانية في انافورطه

استعمل العثمانيون مدافع ضعيفة جداً في حروب جناق قلعة وهذا رسم بعض المدافع التي شاؤوا ان يجابهوا بها مدافع الحلفاء الضخمة

جناق قلعة بصورة لفتت انظار القيادة العليا وقامت بتحقيق عن ذلك فتبين لها ان هؤلاء الجنود الذين سئموا المعارك الحربية والذين كانوا يمضون الوقت ليل نهار في خنادقهم عمدوا الى طريقة جديدة للنجاة من الجبهة الحربية وهي ان يرفعوا ايديهم الى العلاء اثناء اطلاق العثمانيين الرصاص عليهم فيصابون بجراح توجب نقلهم الى المستشفيات حيث يقضون بضعة ايام ثم يعودون الى الخدمة في امور بسيطة في مؤخرة الجبهة الحربية . وهذه الاصابات وان كانت بسيطة في بعض الجنود كانت تسبب احياناً للبعض الاخر التهابات تودي بحياتهم وهذا ما اهاب بالقيادة لان تنزل بهم عقوبات شديدة

«وعندما كشفت القيادة هذه الحيلة ابتكر هؤلاء حيلة اخرى ، وهي انهم اتوا بعقاقير طبية كانوا يضعونها على عيونهم وكانت غايتهم الاساسية منها ان يصابوا بامراض بسيطة ، غير ان هذه الادوية كانت في كثير من الاوقات تفقدهم بصرهم نهائياً .

«وقد رأت القيادة العليا الفرنسية على اثر ذلك ان من واجبها اتخاذ تدابير شديدة قاسية لوضع حد لمثل هذه الامور ، فاذاعت في منتصف تموز ١٩١٥ بياناً انذرت فيه كل جندي يحاول تشويه جسمه او بصره باحالته الى ديوان الحرب العسكري وانزال اشد العقوبات فيه .

«وقد حاكم هذا الديوان بعض هؤلاء الجنود واعتبر ان عملهم جريمة ترمي الى الفرار من الخدمة العسكرية وانزل بهم عقوبة شديدة .

«وهذه الاحكام وان كانت اثرت في الجنود وقللت من هذه الاعمال الا انها لم تحل دون استمرار هذه الحركات حتى نهاية حروب جناق قلعة»

هذا ما رواه الضابط لارشير في مذكراته وهو يدل قراء « الاسرار » بصراحة تامة على بعض الاسباب التي ادت الى ضعف المقاومة عند الحلفاء

كيف وقعت معركة « انافورطه » الاولى

مصطفى كمال يتحدث بنفسه عن المعركة وعما لقي فيها من اهوال
القائد العثماني يسير الى القتال وهو مريض

الساعة المنقذة !

كانت معركة « انافورطه » الاولى من اشد المعارك الحربية التي وقعت في جناق قلعه. وقد رواها النائب الكاتب « روشن اشرف بك » في مذكراته عن لسان مصطفى كمال باشا قال:

— كان يوم ٦ اب سنة ١٩١٥ من الايام التاريخية النادرة في حياتنا الحربية في جناق قلعة ، فقد قامت مدفعية العدو بضرب مراكزنا بشدة متناهية لم يسبق لها مثيل. فدكت الجبال وطمرت الاودية وكنا لا نسمع في ذلك اليوم الا قصف القنابل ودوي الصخور والجبال. ثم قام العدو بعد هذا بهجوم شديد على مراكزنا الحصينة، وهو وان يكن قد تكبد خسائر فادحة الا انه استطاع في كل حال احتلال مرتفعات «قاتلي صرت» الحصينة

حرج الموقف

« وهذا الموقف ساعد الحلفاء مساعدة كبرى لانه مكنهم من الاحاطة بقواتنا الرئيسية من جهاتها الثلاث. ودارت رحى القتال بالسلاح الابيض بين قواتنا وقوات الحلفاء فمكنت هؤلاء من الوصول الى المؤخرة والاستيلاء على وسائل النقل باجمعها .

«وهنا ادركت ان الموقف بات شديد الخطورة . والتفت حولي فلم اجد احداً من القواد المسؤولين لانهم كانوا بعيدين عن الجبهة من جهة وغير منتظرين العواقب الخطيرة التي نترقبها

« والسكوت على مثل هذه الحالة يعد جريمة لا تغتفر. وانتظار الاوامر من قواد لا يدركون العواقب الوخيمة جريمة لا يمكن السكوت عليها، لذلك قررت العمل بنفسي لتدارك الموقف وحفظ الخطر الذي يهدد سلامة الجيش والبلاد معاً .

يوم ١٧ آب

« وكانت معارك ٦ آب قد هدمت استحكاماتنا الامامية ومعارك الليل ضعضعت مراكزنا. ثم زاد الموقف حرجاً في اليوم الثاني اذ قامت المدفعية الانكليزية الساعة الرابعة من صباح ٧ آب بضرب مراكزنا بشدة تفوق الشدة التي اتبعتها في اليوم السابق

« وقد اصابت المدافع استحكاماتنا الخلفية المستورة وبدأت تنزل فيها اضراراً جسيمة. واستمر هذا الامر ٤٥ دقيقة انزلت خلاله مدفعية العدو في جبهتنا هذه اضراراً عظيمة جداً ، ثم هجم جنود العدو هجمات صادقة على مراكزنا التي تدافع عنها الفرقة ١٩ فتمكنوا في بادىء الامر من احتلال الاستحكامات العثمانية الامامية، الا انهم ما كادوا يتوغلون فيها حتى قابلتهم قواتنا بعزم وشدة فمنعتهم من التقدم. ثم كرت عليهم حتى التحمت معهم بمعركة شديدة بالسلاح الابيض في وسط الاستحكامات وهناك دارت مجزرة دموية شديدة افنيت في نهايتها هذه القوات المهاجمة

«وعندها رأينا نجدات جديدة من الاعداء تفد الى هذه المنطقة، ولكن نصيبها كان الموت كما كان نصيب الحملة الاولى . وتوالت النجدات وتوالت معها الانكسارات حتى امتلأت استحكاماتنا بجثث القتلى»

قال روشن اشرف بك : ولما وصل مصطفى كمال باشا بحديثه الى هذا الحد العجيب سألته عن الغاية من اصرار الحلفاء على متابعة القتال في هذه المنطقة بعد الضحايا العظيمة التي قدموها قرباناً لها فقال :

— لست اعرف شيئاً راهناً عن هذه المكابرة. الا ان الذي



خارطة مواقع القتال في جناق قلعة

يمثل هذا الرسم خارطة مواقع القتال في جناق قلعة حيث تدور المعارك الحربية التي نحدث عنها قراء «الاسرار» في هذه النشرة

كنت اعتقده ان الحلفاء كانوا يرمون من وراء هذه الحركات الى القضاء على الفرقة ١٩ التي هي تحت قيادتي وضربها بشدة متناهية للوصول الى هدفهم في احتلال (قوجه جشمه)

بين مصطفى كمال وفون ساندرس

وهنا تابع روشن اشرف بك نقل حديث مصطفى كمال باشا فقال:

—وفي نهاية الامر توقفنا بوقف حركة الانكليز هذه واكرهناهم على البقاء في مراكزهم، ولما عدت الى المعسكر وجدت المريشال ليمان فون ساندرس باشا يطلبني وقد عرف بالمعركة التي تدور رحاها بين فرقتي والاعداء، فاوضحت له الموقف كما هو، ثم سألني عن الموقف العمومي فاجبته ان الحالة تدعو الى القلق لان العدو يتابع اخراج الجنود والمعدات الحربية الى البر في كل ساعة

«وهنا سألني المريشال رأيي في التدابير فاجبته قائلا:

—ان الحالة سيئة للغاية والموقف دقيق جداً وليس في قد[ر] والحالة هذه اتخاذ اي تدبير كان بالقوات الضعيفة الموجودة لدينا !

—والان؟

— ارى ان الواجب يحتم علينا ان نستفيد من هذه الفر[صة] وهذا لا يكون الا اذا وضعت القيادة تحت تصرف رجل واح[د] مسؤول في امكانه ادارة الحركات الحربية وحده دون اضاعة الو[قت] في الاستشارات والاخذ والرد!

«ولكن المريشال ومن ورائه الجنرال كاظم باشا لم يرقهما ه[ذا] التدبير لان كليهما يرغبان بان تظل القيادة تحت تصرفهما ولو فق[دت] البلاد باجمعها، لذا لم يوافقا على افتراض هذا ولم يتأثرا به

«ولكن المعارك التي اتخذت شكلا خطيراً اهابت بالمريشا[ل] فون سان ساندرس باشا الى ان يعود الى مخاطبتي في المساء وابلا[غي] انه عهد الي بقيادة الفيلق في موقع «انافورطه». غير انه حدد



هضبة «جونك باير» في مضيق الدردنيل

ليس ادل من هذا المنظر على فظاعة الحرب . فان هذا الرسم النادر اخذ ساعة تساقطت قذائف اسطول الحلفاء
على المرتفعات العثمانية في هضبة «جونك باير»

ة القتال والتدابير الواجب اتباعها

رض مصطفى كمال باشا

«وفي الساعة التاسعة من مساء ٨ اب استدعيت شفيق بك قائد
لاي وابلغته عزمي على الذهاب الى الجبهة وسلمت اليه ادارة الفيلق
ة غيابي . وكان مرافقي الخاص كاظم بك قد استشهد في معركة
اب فاستدعيت الملازم راسم افندي ووليته هذه الوظيفة بدلا منه
خذت معي الدكتور حسين بك رئيس اطباء الفرقة وكنت في
لك الوقت مريضاً وحرارتي تبلغ الثامنة والثلاثين والنصف . ولما
اء رئيس الاطباء وشاهدني على هذه الحالة حاول منعي من براح
راشي قائلا ان في ذهابي وانا مريض خطراً شديداً يهدد حياتي
«وحاول ان يشدد علي لمنعي الذهاب بالقوة غير انني رفضت قائلا:
— اذا كنت تخاف الذهاب معي الى الجبهة الحربية ففي
امكانك البقاء حيث انت، اما انا فذاهب !

— كلا ليس هذا قصدي ، بل انني ارى في تركك فراشك في هذا الوقت خطراً شديداً على حياتك خصوصاً في مثل هذه الساعة من المساء !

— لا قيمة لحياتي تجاه بلادي ، ان الاخطار تحيق بها . وما دامت هذه حالتها فليس في وسعي ملازمة فراشي كالنساء

« قررت ان لا اعيش ما زالت اقدام الاعداء تطأ ارض بلادي ، فاما تطهيرها منهم واما الموت . فاذا كنت معي ومن رأيي ففي امكانك مرافقتي لاسعافي بالمنعشات لاتمكن من القيام بمهمتي هذه والا فانت حر في ان تبقى في المعسكر !

« ولكن رئيس الاطباء الذي لم يظهر مثل هذه الشدة الا خوفاً علي لم يسعه بعد اصراري الا موافقتي والمسير بجانبي !»

مصطفى كمال يتفقد الجبهة

وكان مصطفى كمال باشا يقصد في ذلك الوقت — حسب حديثه



السلاح العثماني في الجبهة

نوع من السلاح البالي القديم المجهز به العثمانيون في خطوط القتال في الجبهة الحربية

مع روشن اشرف بك — الى الجبهة بنفسه ليشرف على مواقف الانكليز وليدرس بنفسه الخطة والتدابير المقتضى اتخاذها للجهوم الذي قرر القيام به على الجبهة في صباح اليوم الثاني

وقد كان في امكان هذا القائد ان يوفد مفرزة من جنوده او بعضاً من ضباطه الى جبهة الاعداء لاستكشاف مراكزهم غير انه وجد في هذا العمل اضاعة الوقت من جهة ومعرفة ناقصة للمراكز من جهة ثانية، فقرر ان يقوم بنفسه بهذه الاستطلاعات وان يعود في المساء ليضع الخطة الواجب اتباعها للهجوم العام الذي قرره

مخاطرة شديدة

وسار مصطفى كمال باشا الى خطوط القتال باقدام ثابتة فاجتاز الخطوط العثمانية الى المراكز الانكليزية ، وبات في قلبها فشاهد الاستعدادات العظيمة التي يعدها الانكليز وابصر عشرات البواخر التي تنزل جنوداً في الموانيء، فادرك ان التريث حتى يتم انزال كل هؤلاء الجنود يقضي حتما على المراكز العثمانية، فعاد الى المعسكر بعد ان رسم لنفسه بنفسه خطة الهجوم

وصادف اذ ذاك ان ضل القائد الطريق فلم يشعر الا وقد بات تجاه الخفير الانكليزي الذي احس به فاطلق عليه الرصاص وكانت هذه الرصاصة كافية لايقاظ جنود الانكليز فهبوا الى بنادقهم ظانين ان العثمانيين قد هاجموهم واخذوا في اطلاق العيارات النارية بكثرة زائدة

ولكن هذه العيارات النارية ، رغم كثرتها ، لم تصب الهدف لان القائد العثماني كان قد انبطح على الارض واخذ يزحف زحفاً الى ان تمكن من اجتياز منطقة الخطر والوصول الى رفيقيه اللذين ابيا الذهاب معه ومن هناك توجه الى مقر الفرقة

اجتماع عسكرى

وقد استغرقت رحلة مصطفى كمال باشا في الجبهة ثلاث ساعات. ولما عاد الى المعسكر في الساعة الواحدة صباحاً استدعى اليه ضباط اركان حربه وبسط لهم الموقف باسهاب ثم عين لهم خطط القتال التي يجب ان يعملوا بها في الصباح الباكر

ثم انطلق الى مقر الجنود ، دون ان يستريح دقيقة واحدة

حرارة الحمى تلهب بدنه ، يبتغي ان يؤمن لنفسه الفوز الذي يرجوه في معركة صباح

ابلاغ الجيش الامر

وكانت وسائل المفاوضات التلفونية كأنها مفقودة تماماً بين قواد الفرق وقطعاتهم ، فلم تكن هناك خطوط الا بين القائد العام وقواد الفيالق والفرق فقط ولهذا كانت تتم هذه المفاوضات بواسطة الرسل

وكان كثير من هؤلاء الرسل يتعرضون الى المخاطر الشديدة وبعضهم كانوا يهلكون وينتج عن عدم ايصالهم الاوامر الى مراكزها مخاطر شديدة

وقد ادرك مصطفى كمال باشا هذه النواقص في جيشه فاراد ان تصل اوامره الى جميع افراد جيشه في حينها فاوفد عدة رسل الى الجبهة الحربية حتى اذا تأخر احدهم وصل الاخر ، بذلك يتسنى له ان يتأكد من ان اوامره قد بلغت الى سائر القواد فيكونوا على استعداد المعركة في الوقت المعين لها

مصطفى كمال يصف المعركة

والان نترك الكلام للقائد مصطفى كمال باشا يصف لنا المعركة التي وقعت في ٩ آب كما رواها لروشن اشرف بك . قال :

« بعد ان ارتحت الى الاوامر التي اصدرتها وامنت وصولها الى القواد ، وبعد ان اصدرت الاوامر اللازمة الى جميع قوات ... ور العمال ليسعى على قدر الامكان الى ربط الجبهة بشبكة تلفونية ، ... وت المعسكر العام الى هضبة (شاملي تبه) المشرفة على مواقع القتال فوصلت اليها الساعة الرابعة والنصف قبل شروق شمس ٩ آب ،

... ت لي في ذلك الوقت الفرقة السابعة وقد بدأت بمقاتلة الاعداء

« ولم يتسن لي رؤية سائر القوات في زحفها لان الضباب الكثيف الذي كان يعترض بيني وبينها حال دون رؤيتي مواقع تقدمها ، ولهذا اخذت ارقب الموقف بدقة زائدة فرأيت افراد الفرقة ... ية يتقدمون بجرأة فائقة فيستولون على الاستحكامات الانكليزية.

« الساعة الخامسة والدقيقة ٥ ، كان افراد هذه الفرقة قد تمكنوا من اجبار القوات الانكليزية على الجلاء عن مراكزها وطفقوا يطاردونها ... باتوا على مقربة من الاستحكامات الانكليزية الامامية

... فرقة ١٢

« وفي هذا الوقت وردت ... اشعر بان قوات الفرقة ١٢ قد وصلت الى ساحة القتال وانقضت على المراكز الانكليزية فزحزحتها واحدة ...

« وكانت المعلومات التي تلقيتها في ذلك اليوم تدل على ان قواتنا تمكنت من دحر قوات الانكليز في انافورطه وشرقي سوفلا وكبدتها خسائر فادحة

« وقد اكتفيت في ذلك اليوم بالفوز الذي احرزته هذه القوات



الجنرال هاملتون الانكليزي

القائد العام للقوات الانكليزية الفرنسية في معركة « جناق قلعة »

فأمرت بوقف الهجوم وتحصين الاستحكامات التي احتلتها جنودنا والمحافظة عليها ومنع قوات الانكليز استردادها ثانية »

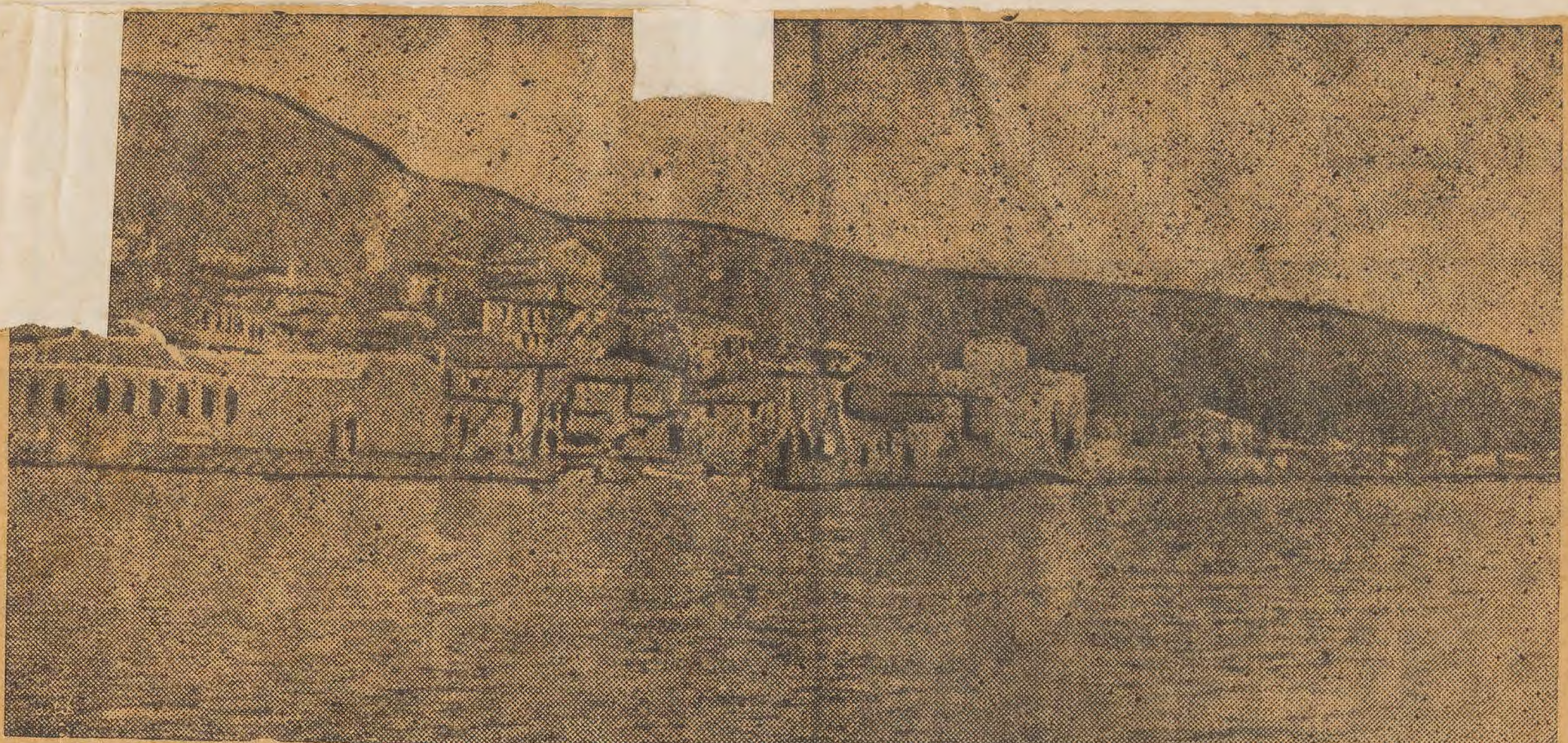
قال روشن اشرف بك : وهنا رأيت مجالا لسؤال مصطفى كمال باشا عن كيفية فوز قواته على قوات العدو الغفيرة فابتسم مصطفى كمال باشا ومد يده الى المنضدة الموضوعة بجانبه وكان عليها كتاب هو مذكرات الجنرال هاملتون قائد الحملة الانكليزية العام فقلب صفحاته الى ان وصل الى الفصل الذي يريده ثم ناولني اياه وقال :

ــ اقرأ هذا الفصل تر فيه جواباً على سؤالك !

ماذا قال هاملتون

« وتناولت الكتاب واذا به يقول : « ان الجنود الانكليزية كانت تترقب اليوم الثاني لهاجمة العثمانيين . ولم يكن يدور في خلدها ان في

وقد بان
ساس
بنادقهم
النارية
الهدف
زحفاً الى
ابيا
ساعات.
ضباط
تال التي



حصون كليد البحر

منظر عام لحصون كليد البحر التي اتخذها الحلفاء قاعدة لادارة حركاتهم الحربية وانزال جنودهم الى ميدان الحرب في انافورطه

مكان القوات العثمانية مهاجمتها ، ولهذا دهشت عندما رأت هؤلاء ينقضون عليها وكان دهشها مدعاة لتضعضع مراكزها .

« وقد اعترف الجنرال هاملتون في كتابه ان قواد الجيش الانكليزي فقدوا كل تأثير على الجنود التابعين لهم »

وبعد ذلك تابع مصطفى كمال باشا سرد حديثه قال :

ـــ ان الفوز الذي ادركناه في هذه المعركة لم يكن ليقنعني بزوال الخطر لذلك انصرفت بعده الى اتخاذ التدابير العسكرية الكافية التي تؤمن لي الفوز النهائي الممكن ادراكه من وراء ذلك .

« وقد كنت على اعتقاد وطيد ان هدف الجنرال هاملتون من وراء الحركات الحربية التي يقوم بها في هذه المنطقة هو الوصول الى « جوناق باير » والاستيلاء عليها لان هذه المنطقة من المراكز الحربية الهامة التي يمكنها ان تحقق له مركزاً عسكرياً قويا يساعده على ادارة الحركات الحربية في المناطق العسكرية الاخرى

القوات العسكرية العثمانية

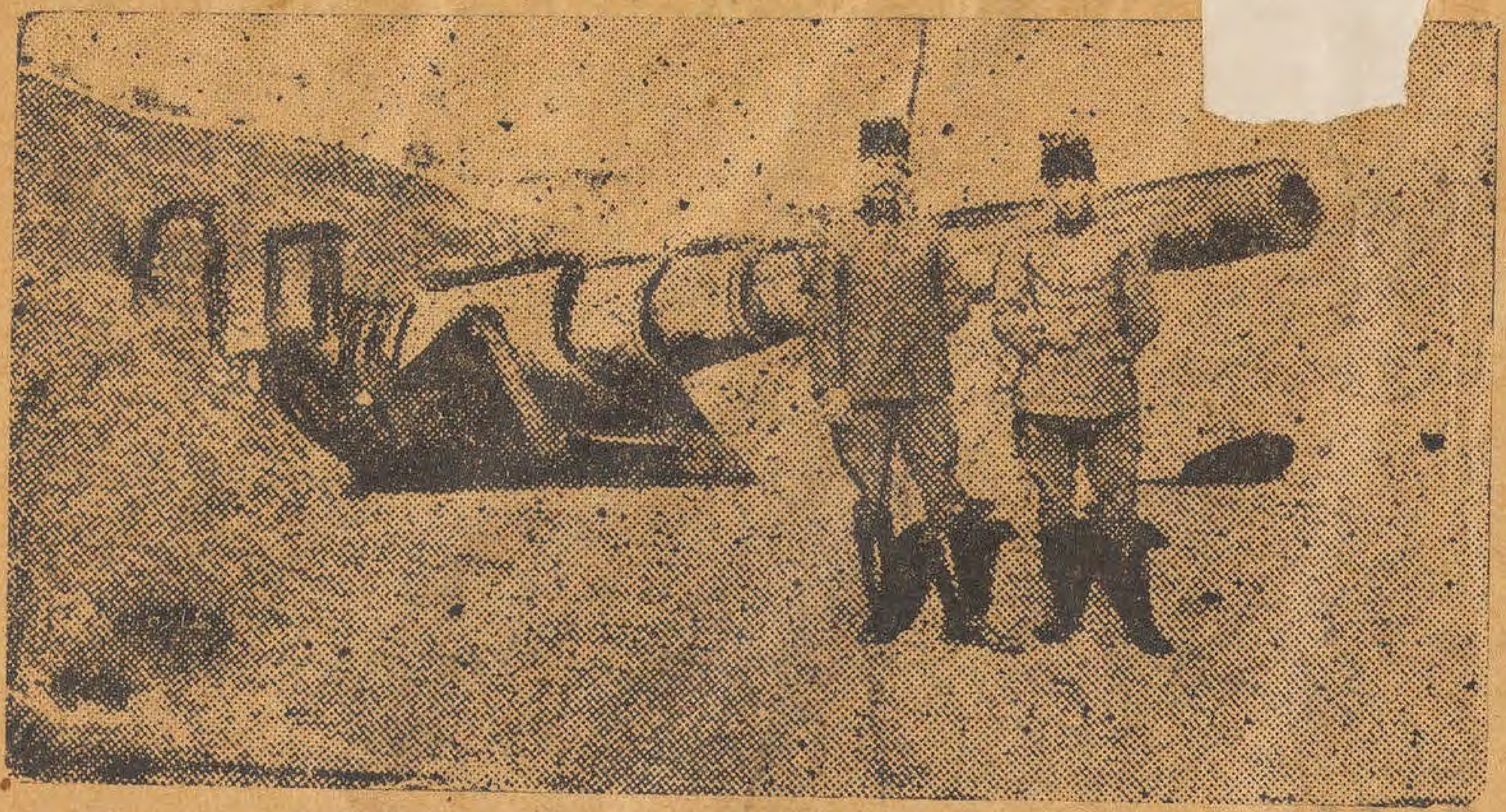
« ولم تكن لنا في « جوناق باير » الا قوات قليلة تتولى الدفاع عن هضباتها وعن الهضبات الممتدة الى « شاهين تبه » ، وكانت هذه القوات منهوكة القوى من شدة ما لاقته من تعب وعناء .

« ولم يكن في وسعي ونحن في تلك الحالة ان استبدل بهؤلاء الجنود غيرهم من القوات الاحتياطية التي لم يكن موجوداً لدينا منها قوة تذكر ، وكل ما كان في طاقتي ان افعله هو انني امرت باعطائهم شيئاً من المرق الذي يمكنه ان يسد حاجتهم الى الغذاء .

«ثم قررت الذهاب الى هذه المنطقة لدرس حالتها العسكرية

« وفي الطريق من انافورطه الى « جوناق باير » اعترضتنا عقبات عديدة اولها اننا ما كدنا نبتعد قليلا عن مقر « انافورطه » حتى شاهدنا طائرات العدو تحوم فوقنا ، فحاولنا الابتعاد من طريقها فشاهدتنا فأخذت تلقي علينا قذائفها فاضطررنا الى التفرق [illegible] وهناك حتى ابتعدت عنا. وتطلعت الى من كانوا برفقتي فسررت لرؤيتي اياهم سالمين ولكننا . ما كدنا نتقدم قليلا حتى وجدنا انفسنا نواجه الاعداء الذين كانوا قد استولوا على الخط وكانوا قد شاهدونا ايضاً فأخذوا يطلقون علينا الرصاص ، فتراجعنا الى الوراء ثم سرنا في طريق صعب المرور كثير المخاطر الى ان تمكنا بعد مسير شاق من الوصول الى هدفنا في مرتفعات « جوناق باير » ، وهناك جمعت قواد الجند وضباط اركان حربهم وامليت عليهم الاوامر العسكرية التي يقتضي اتباعها لمقاومة حركات العدو الهجومية

المدافع في جناق قلعه



اثنان من القواد العثمانيين امام احد المدافع يراقبان الحالة في الجبهة الحربية في جناق قلعة

«. قد علمت من هؤلاء الضباط ان قواتهم قليلة العدد، ومع هذا لم احفل بالامر بل ابلغتهم ان علينا مهاجمة الاعداء منذ الان لئلا نترك لهم فرصة تحصين مراكزهم، وان الخطة التي وضعتها وان كانت لا تؤكد لهم الفوز الذي يتوخونه الا انها تساعدهم على كل حال مساعدة جدية على وقف حركات العدو ومنعه من تحصين مراكزه في هذه الجبهة .

معركة جوناق باير

« بعد ان اتخذت التدابير العسكرية النهائية ذهبت الى الخيمة التي اعدت لي للاستراحة قليلا، ولكن الحمى التي لازمتني واشتغال افكاري في معركة الصباح حالتا دون ان يطرق النوم اجفاني فلبثت في فراشي اتقلب مدة قصيرة خلتها قرنا ثم رأيت ان من العبث الرقاد فنهضت الى المركز اطوف حوله الى ان بدا الفجر ينبلج فذهبت الى النقطة المخصصة لضباط اركان الحرب فوجدتهم في انتظاري .

معركة هائلة

«فوقفت بجانبهم ارقب الموقف. وكانت الساعة الرابعة من صباح ١٠ آب سنة ١٩١٥ وهي الساعة المعينة للهجوم فتناولت المنظار واخذت في مراقبة الجبهة فرأيت ان الهجوم تأخر عن موعده ومرت دقائق خشينا بعدها ان يفضحنا النور فيشعر بنا الاعداء ويمطروننا بوابل من قنابل المدافع البرية والبحرية وعندها لا يذهب تعبنا سدى فحسب بل يقضي على كل امل لنا في النجاة من هذا الخطر

«وعندها غادرت المقر المعد لمراقبة الحركات الحربية وتوجهت الى مقر الجنود فوجدت ان الكسل يسيطر عليهم فوقفت اخطب فيهم واذكي نار الحماسة في قلوبهم. وكان لكلماتي التأثير المرغوب فيه اذ ما لبثوا ان اندفعوا الى الامام ورأيت من حماستهم وشدتهم ما جعلني واثقا بالنصر الاكيد لانهم ظلوا في هجومهم لم يتوقفوا عنه قط حتى سيطروا على العدو الذي كان نائماً في استحكاماته يرقب هجومهم. وقد وقعت من جراء ذلك مجزرة بشرية هائلة كان فيها لسيوف جنودنا وضربهم الدور الاول فافنوا جنود الحلفاء . وما كادت الساعة تدق السادسة حتى تطور الموقف تطورا خطيراً وذلك ان الانكليز ما كادوا يشعرون بالهزيمة التي منيت بها جنودهم حتى سلطوا جميع بطاريات مدفعيتهم القريبة والبعيدة على جبهتنا هذه فدارت عندئذ معركة مدفعية حامية الوطيس اطلقت فيها الاف القنابل وكانت اعظم معركة شهدتها في تاريخ معارك جناق قلعه

الساعة تنقذ مصطفى كمال

«وكانت الهضبة التي وقفت عليها تقع في جهة متوسطة بين الجيشين المتحاربين

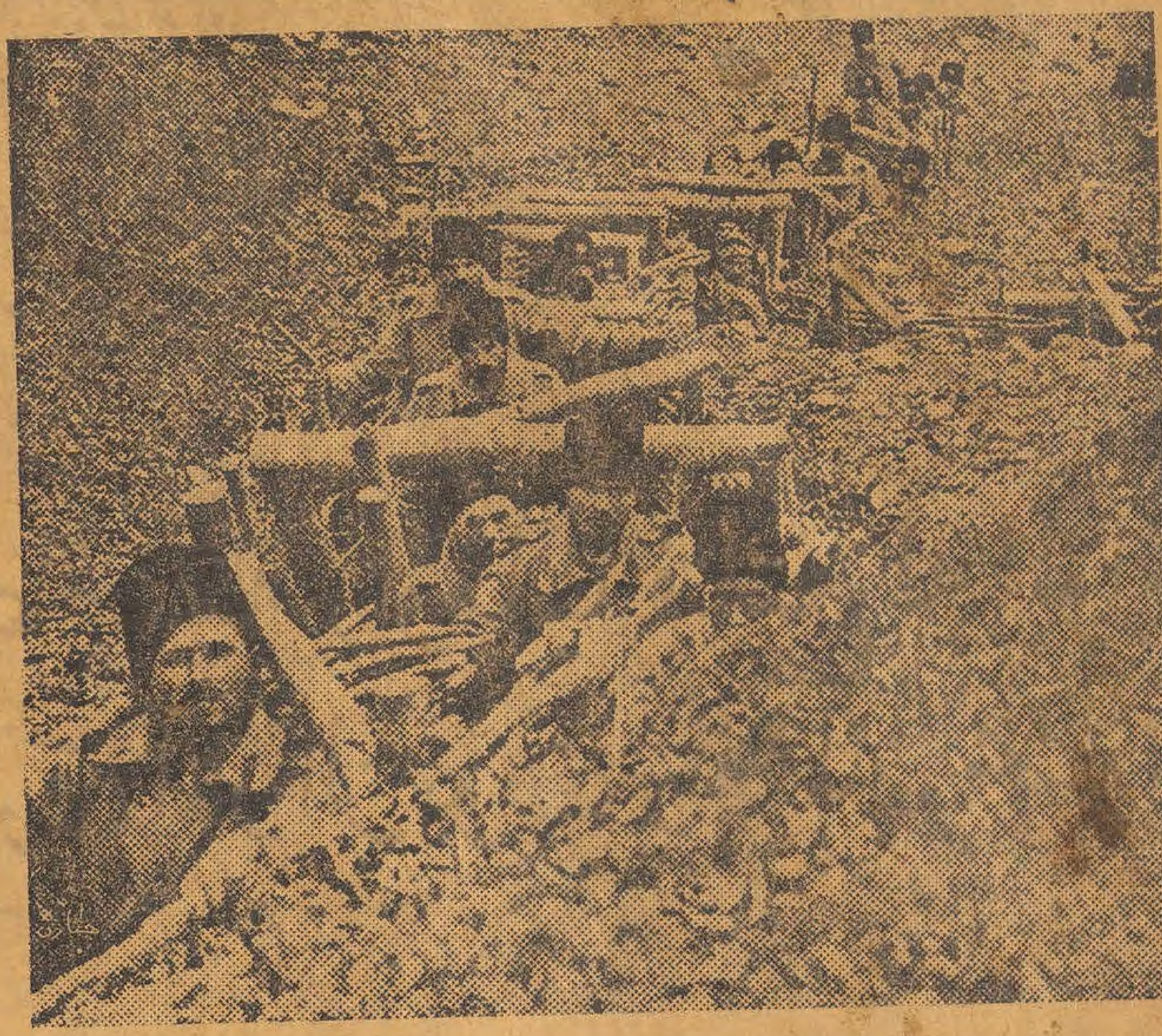
«وفيما انا منصرف الى مراقبة الموقعة اذا باحد ضباط الفرسان وكان واقفاً بجانبي يصيح: «اصبت يا سيدي !». وكنت قد شعرت بهول الصدمة الا انني ما كدت اسمع صوت الضابط حتى اطبقت يدي على فمه لامنعه من مواصلة الصياح لان من الخطر الشديد ان يعلم الجند بان قائدهم قد جرح لئلا تتضعضع صفوفهم

«وكنت قد اصبت حقيقة يومئذ بشظية قنبلة ولكن هذه الشظية وقعت في الساعة التي كنت احملها فحطمتها وكان ذلك سبباً لنجاتي من الموت المؤكد

«ولما علم المريشال فون ساندرس باشا بهذه الحادثة طلب مني ان اهدي اليه الساعة التي كانت سبباً في انقاذ حياتي ففعلت واهدى الي بدلا منها ساعته الذهبية وهي من الساعات التاريخية التي تحمل

خط حديدي يربط احدها بالاخر . وثمة عشرون ميلا تقوم فيها حصون طبيعية واستحكامات فنية تصد عن بخارست كل عدوان تفاجأ به من الجنوب

وفي هذا الموقع القوي انطلق الرومانيون الى مهاجمة النمسيين



القوات الرومانية في الخنادق

مشهد من مشاهد القوات الرومانية في اثناء القتال

والالمان الزاحفين اليهم . فواثبوا في ٣٠ تشرين الثاني ميسرة القائد «ما كنزن» ، اي الفرقة الالمانية ٢١٧ ،فاشرفت على الخطر ، وما انقذها منهم غير الفرقة التركية السادسة والعشرين من جهة ، وهي المندغمة بقوات المارشال «ما كنزن» ، ووصول قوات القائد «شميتوف» و«كوهن» من جهة اخرى

التراجع الروماني

ولكن فيما الميسرة الرومانية تدافع عن ولجات نهر « الارج » وتمنع القائد ما كنزن من الانسلال اليها ، وفيما الميمنة لا تزال منيعة في ثباتها في شمالي « سينايا » ، اذا حماة مدينة « بيتاسكي » يتقهقرون ويلتوون الى بخارست امام قوات القائد « كرافت » المنحدر الى نهر « دامبوفيتزا » ، وامام قوات القائد «مورجن» المنفصل عن الجيش الاول للوقوف بين قوات القائدين كرافت وستابس

وحث القائد « كرافت » المسير الى «بلويستي» ، وفي ٦ كانون الاول كان يحتل هذه البلدة

احتلال بخارست

وفي ٥ كانون الاول اوفد المارشال « ما كنزن » ضابطاً من ضباطه ينذر بخارست بضرورة الاستسلام . فكان الجواب ان بخارست مدينة مفتوحة ، وان الجيوش الائتلافيين ان تدخلها ساعة تشاء . وفي ٦ كانون الاول دخلت هذه الجيوش بخارست. وانهزم الجيش الروماني، غير انه استطاع في هزيمته ان يحتشد على ضفاف نهر « سيريت»

وفي اوائل كانون الثاني ١٩١٧ انصرفت القوات الرومانية عن جبال الكاربات في «هارج» ومرت امام «فوكزاني» وانتهت الى نهر الدانوب في مدينة «بريلا» . وهاجم الالمان والنمسيون هذه المدينة من الجانبين . وفي ٣ كانون الثاني استولى الالمان والبلغار من الناحية الشرقية على « ايزاكيا » و « ما كن » ، وباستيلائهم عليها باتت ولاية «دوبرودجه» بكاملها بين ايدي اعداء رومانيا

وفي ٤ كانون الثاني انتزع الالمان والنمسيون في الناحية الغربية من الروس «غورغيتي» و «رومانيت» ،ودخلت قوات القائد ماكنزن الى «بريلا»

جيش الشرق يهاجم

واعتزم الحلفاء مساعدة الهجوم الروماني . فدعوا جيشهم في مقدونيا الى القيام بهجوم في ١٠ اب ١٩١٦ ، غير ان هذا الهجوم تأخر فيه جيش الشرق عن الموعد ، وتقدمه البلغار فهاجموا في ١٥ قوات الحلفاء في شمالي « كافالا »ودحروها . وانتقلت الجبهة البلغارية الى الامام فامست على خط نهر «ستروما» وبحيرة «تاكينوس»

ولم يتحرك اليونانيون لنصرة الحلفاء . فوقفوا ينظرون الى الامور نظرة غير المكترث ، حتى ان الفيلق اليوناني الرابع استسلم الى الالمان وسيق الى المانيا

وتقدم الجناح البلغاري الايمن من «موناستير» الى «فلورينا» . فصدمه في اوائل ايلول جيش الشرق وصده عن مبتغاه . وحالف التوفيق هذا الجيش فاحتل في ١٨ تشرين الثاني ١٩١٦ مدينة « موناستير »

وعود اثينا

و كان الحلفاء،بعد اندفاع البلغار الى « كافالا » يصدون عنها جيش الشرق،قد اوفدوا الى اثينا السيد « بيناز » يطلب الى الحكومة اليونانية ان تقاتل في جانب الدول المتحالفة،فاسمته الحكومة اليونانية



القوات الرومانية تجتاز احد الانهر في اثناء هزيمتها

لم تجد القوات الرومانية بدآ من الهزيمة بعدما فاجأتها القوات الالمانية والنمسية بتلك السيول المتدفقة من الجند . والرسم يشير الى الرومانيين في اثناء هزيمتهم وهم يجتازون احد الانهر للنجاة بانفسهم من الخطر الداهم

الوعود وقد تدفقت بها بلا حساب . فاوهمته انها ستحارب المانيا النمسا وتركيا وبلغاريا ، على ان هذه الوعود ذهبت كالهباء . ففي كانون الاول ١٩١٦ هاجم اليونانيون قوة من الملاحين الفرنسيين نزلت في اثينا عاصمة اليونان

انذار الحلفاء

وفي ١٤ كانون الاول وجه الحلفاء انذاراً لاثينا يطلبون منها نزع السلاح، وايفاد العناصر المشتبه بها الى « بيلوبونيز» ،ودعوة اتها التي تحارب خارج ولاية تيدساليا

سقوط وزارة اسكويث وخيبة الحلفاء

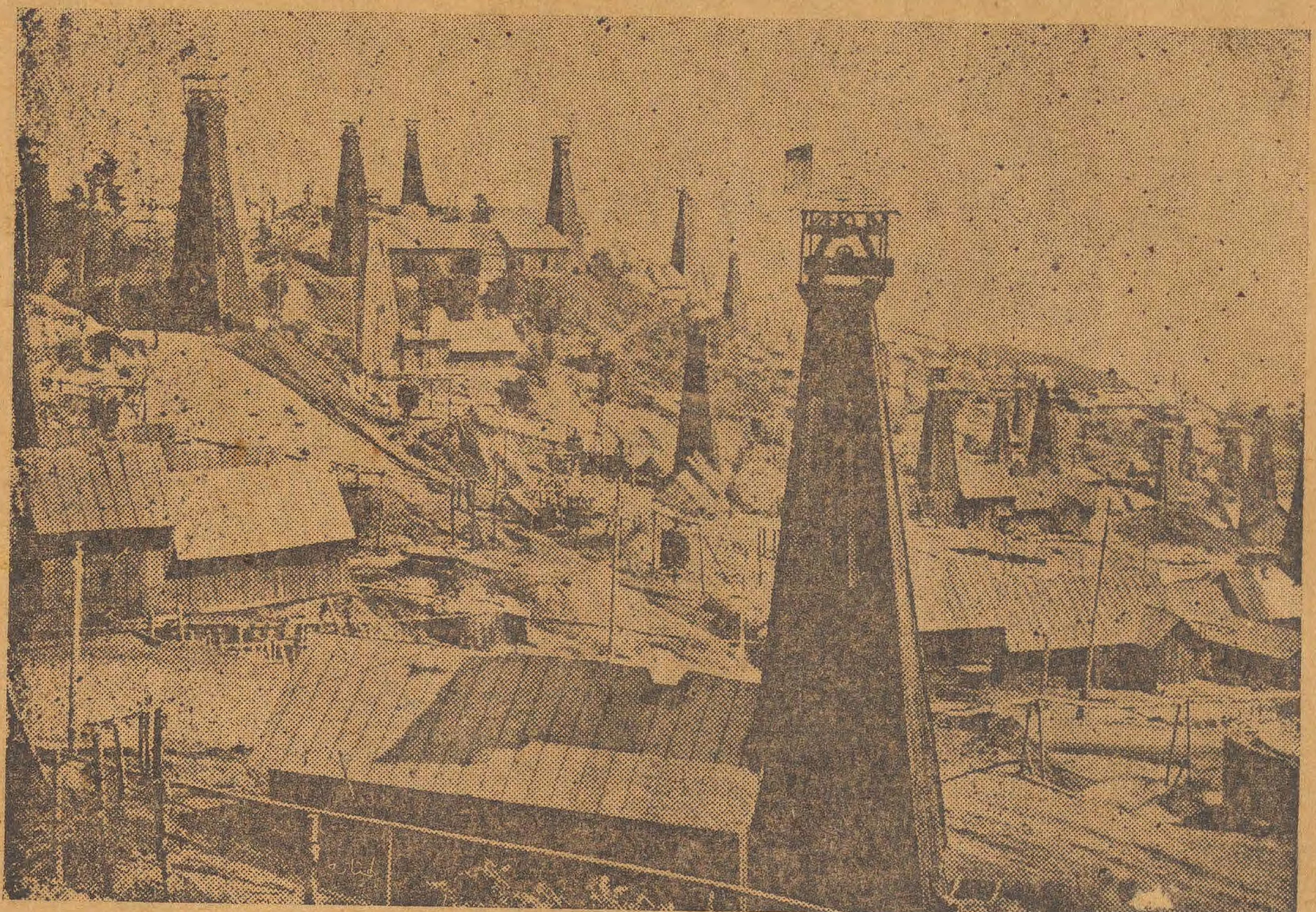
ولقد كان اضمحلال رومانيا ضربة شديدة على الحلفاء.فتلاشى الامل بانهاء الحرب سريعاً.وسقطت في انكلترا وزارة «اسكويث » فعهد الملك في ٧ كانون الاول الى السيد لويد جورج بتأليف الوزارة الجديدة ومن المأثور عن السيد لويد جورج انه شديد الظمأ الى تبديل الرجال والقواعد المتبعة في تسيير الحرب وتنظيم الشعب الانكليزي لادراك الظفر التام . على ان اراءه الحربية اذا لم تلق النجاح في بعض الميادين الثنوية فمن الضرورة الاعتراف بانه بذل كل مجهود ، مع كل ما اصطدم به من معاكسة بني قومه ، في توحيد قوى الحلفاء

الاستيلاء على ابار الزيوت الرومانية

واول ما بدر من الائتلافيين لدى احتلالهم رومانيا سعيهم لامتلاك آبار الزيوت وهي اكثر من ان تعد ، خصوصاً في ولاية فالاشيا،ورغبتهم في الاستيلاء على ما لدى رومانيا من حبوب . وهذه الحبوب ظفروا بها . فالمجالس البلدية الرومانية لم تتجرأ على احراق الكميات الهائلة الموفورة لديها منها،اما الزيوت فلم يسلم منها ما يروي الظمأ . فقد اعلنت السلطات الرومانية ضرورة احراق هذه الزيوت.وتولى المهمة ضابط انكليزي وضابط فرنسي ومهندس روماني وقاموا بها حق قيام

كيف احرقت الابار ؟

وكتب في ذلك مراسل جريدة « الجورنال» الباريسية فقال:



معامل استخراج الزيوت في رومانيا

يشير هذا الرسم الى احدى مناطق استخراج الزيوت في رومانيا . ورومانيا غنية بهذه الزيوت . والابار لا نعد فيها . وفي هذه النشرة من « الاسرار » يطالع القراء ان السلطة الرومانية قضت باحراق هذه آلابار فيما القوات الالمانية والنمسية تحتل رومانيا

« بدت المنطقة الممتدة من « تارغوفيست » الى « براهوفا » الى «بيزه» اشبه بجهنم . فالنيران ظلت تتقد اسبوعاً كاملا فيها . واهتزت الارض بشدة الانفجار المتوالي المندفع الى السماء كأنه عواصف من اللهيب . وجرت في الارض انهر تشتعل . ولم يكن يضيء المنطقة في النهار غير الشرر المتصاعد من احشاء النار وقد حجب عنها الدخان الكثيف نور الشمس . وفي الليل ، على دائرة خمسين ميلا ، كانت تبدو السماء حمراء احمراراً راعباً يزيد في خوف الاهلين الفارين افئدتهم يأساً وذعراً

غليوم يعرض الصلح

الا ان هذه الصدمة في الزيوت لم تمنع الامبراطور غليوم الثاني من التباهي والاعتزاز . ففي ١٢ كانون الاول ١٩١٦ دعا الحلفاء الى المفاوضة بعقد الصلح ، و كتب في ذلك اليوم ، فاجابت انكلترا وفرنسا وايطاليا انها ترفض كل الرفض دعوة ليست في اوانها !